الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة–

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

–قسم التاريخ–

- الرقم التسلسلي: .....
- رقم التسجيل: .....

الحراك الاجتماعي والفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ

تخصص" العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر ودول المغرب الكبير"

إعداد الطالب الباحث: حمزة بوقادوم

إشراف الدكتورة: حنان لطرش

لجنـة المنـاقشـة

الأستاذ	الرتبة	المؤسسة	الصفة
محمد أوجرتني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ قسنطينة	رئيسا
حنان لطرش	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ قسنطينة	مشرفا ومقررا
علي أجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر_ باتنة 01	مناقشا
لخضر بوطبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد الأمين دباغين_ سطيف 02	مناقشا
صالح حيمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور– خنشلة	مناقشا
عايدة حباطي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ قسنطينة	مناقشا

السنة الجامعية: 1444–1445هـ/ 2023–2024م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾

سورة سبأ ـ الآية: 18.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

سورة الحجرات، الآية: 13.

إهداء

إلى كل من يلتمس طريقا لكي يسخّر طاقاته البناءة في سبيل رفعة أمتنا الخالدة، ووطننا الحبيب...إلى كل من أسهم في مد جسور التواصل بين الشعوب العربية لتعيش الجزائر في أمن وأمان.

إلى صاحبي أكبر فضل –بعد الله تعالى-والدي حفظهما الله وجزاهما عني خير الجزاء.

إلى رفيقة الدرب زوجتي التي شجعتني وساندتني وصبرت وتحملت معي طوال فترة انجاز هذا العمل وكانت لي خير سند.

إلى قافلة الحياة التي رأيت في أعينهم بهجة الدنيا ونظرتها ولداي حفظهما الله ورعاهما: سراج الدين ولجين.

إلى الأهل والأحبة والأصحاب.

أهدي لهم هذا العمل حبا وتقديرا وكرامة... سائلا المولى العلي القدير القبول.

شكر وتقدير

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ لا يشكر الله من لا يشكر الناس﴾ رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي في كتاب البر والصلة.

تأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم... لا يسعني وأنا أقدم هذا العمل إلا أن أعبر عن خالص تشكراتي وعظيم امتناني للأستاذة حنان لطرش التي أشرفت على هذا العمل فلم تبخل علي بقويم النصح وصادق الود والعون ... والتي شجعتني وحفزتني على متابعة مسيرتي البحثية، وقد لقيت منها كامل الدعم والتوجيه؛ ولم تدخر جهدا في مواكبة هذه الدراسة، ولم تبخل علي بتوجيهاتها الهادفة وآرائها النيرة ونصائحها القيمة ودقة ملاحظاتها، وصبرها على أخطائي وزلاتي وعثراتي دون تذمر بحلم وتواضع ورحابة صدر وكريم أخلاق، وكانت لي خير معين وأفضل ناصح أمين فلها منا مرة أخرى جزيل الشكر وجميل العرفان وأسمى عبارات التوقير والامتنان... وإلى كل من ساعدني على انجاز هذا العمل وثبت خطواتي في رحلة البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتي الأجلاء في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة– دون استثناء...الذين عهدنا منهم دوما الرعاية والتقدير... الذين نهلنا بين أيديهم واغترفنا من معينهم حيث كانوا ولا يزالون مرجعا وقدوة لنا في عملية البحث؛ ونخص بالذكر البروفيسور احميده عميراوي.

والشكر موصول أيضا إلى أعضاء اللجنة الموقرة التي تجشمت عناء قراءة هذا العمل المتواضع، وإلى كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات.

باللغة العربية:

أ.و.ج: الأرشيف الوطني الجزائري

أ.و.ت: الأرشيف الوطني التونسي.

أ.و.ق: أرشيف ولاية قسنطينة.

س.م.ش: سجلات المحاكم الشرعية

ج : الجزء.

مج: مجلد.

د .ت: دون تاريخ.

د. ط: دون طبعة.

ط : الطبعة.

ص: صفحة.

تح وتع: تحقيق وتعليق.

تر: ترجمة.

باللغة الفرنسية:

G. A. L: Grand Alger Livres

E. N. L: Entreprise Nationale Du Livre

Éd : Édition

I.B.L.A : Revue des belles lettres arabes.

O.P.U: office de publications universitaire

R.A : Revue Africaine

A.N.T : Archives nationale Tunisienne

R.O.M.M : Revue de l'occident musulman et de la méditerranée.

ANEP : Agence nationale d'édition et publicité.

S.T.D : Société Tunisienne de diffusion.

ENAG : Entreprise nationale des arts graphiques**.**

P.F.T.R.S.I : Publication de Fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information.

R.S.A.C : Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine.

A.E.S.C : Annales Economies, Sociétés, Civilisations.

C.P.U : Centre de Publication Universitaire.

C.M : Cahiers de la méditerrané.

C.T : Cahiers de Tunisie.

R.C.M : Revue Confluences Méditerranée.

C.H.A.N : Centre Historique Des Archives Nationales.

D.R.C.C : Direction Régionale du Cadastre Constantine.

B.S.A.P : Bulletins de La Société D'anthropologie de Paris.

C.H.S : Centre d'histoire sociale.

CRESM: Cahiers du Centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes.

R.S.I : Revue Studia Islamica.

BNF : Bibliothéque nationale de France.

P : Page.

PP : Plusieurs Pages.

N : Numéro.

Anonyme : مجهول

Imp : Imprimer.

PRÉ : présentation.

T : Tome.

Vol : Volume.

Ibid : même auteur**.**

Op.cit (Opéro citato) : Ouvrage précédent citée.

Trad : traduction.

مقـدمـة

إن الطابع السكوني الذي ميز المسار الحضاري في العالم الإسلامي عموما وأقطار المغارب خصوصا خلال الفترات الحديثة-مع ارتباط الجزائر بالباب العالي عام 1520م تونس عام 1574م-؛ أفرز واقعا تعمقت فيه حدة الانحطاط والتكلس في ظل مسوغ روحي متوارث من غير إدراك للفحوى والمعاني العميقة أمام طغيان السطحية والقدرية وروحية التصوف المتوكلة المستسلمة المستمدة من ثقافة إحالية نصية طغى عليها الجمود وأصابها الوهن الذي عقم فيها قابليتها وعطل فيها ديناميتها، ما جعل الأفراد والجماعات بحكم السليقة في سعي وحراك دائم، يدفعها في ذلك الحس الإنساني الهادف إلى التجدد في مضمار المواجد والمشاعر من خلال مد جسور الروابط الاجتماعية، وتمتين الصلات الفكرية والروحية في ظل الانتماء والانتساب إلى الدائرة الإسلامية؛ كما هو الحال بين أبناء الشعبين المتجاورين رغبة في تلافي الحركة الصورية الثابتة، والخروج عن نطاق الأوضاع الساكنة، وكسر ثقافة العزلة، حيث نسج التاريخ والجغرافيا وشائج قربى وروابط اتصال وثيقة ومتعددة الأوجه بين الجزائر تونس خلال الفترة العثمانية؛ ولا سيما على الصعيدين الاجتماعي والثقافي الروحي، ومن مؤشراتها الكثيرة الدالة؛ وجود حراك وحراك معاكس؛ باعتباره سنة عاملة في الخليقة، فهي من أهم مرتكزات الإنسانية، ما أدى إلى انتعاش تيار الحركة البشرية والتواصل الثقافي؛ وهذا إيمانا من ساكنتها بأهمية التعارف بين الشعوب، لذا عملت على تنشيطه عن طريق التواصل المستمر في مختلف المجالات، فاستطاعت بذلك ربط البلدين بروابط متينة؛ استمرت عدة قرون من الزمن ولا تزال، حيث شكلت أقطار بلاد المغارب مجتمعات لا يمكن؛ تقسيمها معرفيا لأنها تؤلف وحدة لا يمكن التجرؤ على تجزئتها، فهي تقوم على نقاط تشابه وتمفصل.

على الرغم من التوتر والصراع الذي طبع العلاقات بين الإيالتين المتجاورتين في أغلب الفترات الحديثة مع تقاطع المصالح إلا ذلك لم يؤثر على حراك الأفراد وتنقلات المجموعات البشرية ولا في مسألة تحييز المجالات ومحاولات مخزنة المجموعات والتكتلات القبلية على مستوى الأطراف الحدودية لأن الفضاءات التخومية في مجموعها كانت مفتوحة غير آبهة بالحدود الفاصلة، لذلك غلب طابع الترحل والاستقرار المجالي على العلاقات بين أبناء الإيالتين في سياق التحولات التي عكستها حركات هجرية كثيفة أفرزت نتائج مست مختلف الميادين، حيث ساهمت الهجرات بمختلف أنواعها عبر التاريخ في تغيير عديد المكونات والتقاليد وأنماط الحياة السائدة أحيانا؛ وهو ما يشير إليه **فرنان بروديل** في سياق حديثه عن **حركية وحيوية مجتمعات المتوسط**؛ بقوله:"...**في المتوسط كل شيء عرضة للتبادل والانتقال والاستعارة من الناس إلى الأفكار إلى أنماط العيش وأساليب الحب وأشكال السكن والأخلاق والمآكل...**"[1].

لقد كانت تونس من الأقطار التي قصدها الجزائريون أمام توافر عوامل الجذب بحكم الامتداد الطبيعي الواحد وثقل الجوار الجغرافي وتراكماته التاريخية في العلاقات بين الشعبين؛ التي تميزت بدينامية سواء على مستوى الحركية المجالية أو على مستوى الانتساب بحكم المصاهرات القائمة بين أبناء البلدين، وقد تجلى هذا الحراك البشري مع مرور الوقت في ظهور جاليات لعبت أدورا بالغة أسهمت في رسم معالم الصلات الاجتماعية بين الشعبين الشقيقين، حيث كانت الزيارات والصلات والإعانات والإحسانات متبادلة لأن الأصول والاهتمامات والتوجهات في عمومها كانت واحدة. إن الثقافة الهجروية سعي حثيث ودائم؛ وحراك مستمر لتجديد الذات والمكونات؛ لكونها تشخص بناء ديناميا مرتبطا ببلورة وإعادة بلورة للأفراد والجماعات-رغم ما شابها من تراتبية أو تقسيم فئوي- انطلاقا من واقعها المعيش؛ وما يفرضه الواقع البيئي

[1]- فرنان بروديل: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تر مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص 153.

الجديد في البلد المهاجر إليه من عقبات؛ تتجلى على وجه الخصوص في الاندماج والانخراط في الحياة الاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى التواصل الفكري بين المنطقتين على مدى قرون عديدة والذي تجلى في هجرة النخب العلمية واستقرارها في هذا البلد أو ذاك، أين تقلدت الوظائف المتنوعة من منطلقات متباينة، لذلك لا يمكن بحال من الأحوال إغفال الحضور النخبوي الجزائري في البلاد التونسية لما له من أهمية بالغة، وتناسي حراك أبناء الإيالة التونسية وأدوار نخبها وحكامها في الحفاظ على استمرارية أواصر العلاقات الاجتماعية والفكرية مع الإيالة الغربية، فقد كان الحراك البيني حثيثا؛ في ظل العقل التواصلي القائم على الانفتاح والحوار، لذلك لم تنقطع التنقلات ولم تتوقف الحركات الهجروية التي حافظت على استمرارية الصلات في شقها الاجتماعي والثقافي بين أبناء الإيالتين؛ والتي برزت في أجلى صورها مع محاولات التأقلم والاندماج التدريجي طيلة عقود من الزمن.

ولئن تعطلت الاتصالات السياسية أحيانا فإن الحراك الاجتماعي والثقافي ظل القناة والخيط الرابط بين أبناء الإيالتين على مر الفترات ومختلف الحقب، ولا شك أن اتخاذ الأنظمة الحاكمة العثمانية المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها؛ قد زاد في تعزيز هذا الحراك بين الشعبين؛ فمن سمات الفكر الإنساني أنه لا يؤمن بالحواجز السياسية ولا يعرف الحدود الجغرافية التي من شأنها أن تقف حائلا يمنع الاتصال بين رجاله والمنتمين إلى حقوله المعرفية المختلفة؛ فالتلاقح الفكري ظاهرة معروفة خصوصا إذا حلت محل الحواجز السياسية؛ وعليه وقع اختياري على موضوع الدراسة الموسوم بـ: **الحراك الاجتماعي والفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد لعثماني**، والتي حاولنا من خلالها الإلمام بالظاهرة حتى يتسنى لنا إدراك ما جمع بين أبناء الشعبين من أواصر.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه دراسة تجاوزت الطريقة الكلاسيكية في الكتابة التاريخية؛ التي لا تخرج في العادة عن تحديد تسلسل كرونولوجي للأحداث والوقائع ذات الصبغة السياسية والعسكرية إلى الاهتمام بجوانب متعددة ولا سيما تلك المتعلقة بواقع العلاقات الاجتماعية والصلات الفكرية مع تنقلات الأفراد والجماعات وحراك النخب العالمة بين قطرين متجاورين جغرافيا متجانسين حضاريا؛ في ظل القواسم المشتركة الجامعة بينهما، وهذا من خلال إبراز تجليات هذا الحراك في شقيه الشعبي والنخبوي؛ والذي يسهم بلا شك في زيادة الترابط وتقوية هذه الصلات؛ إلى جانب ما لهذا هذا الموضوع من أهمية؛ إذ لا يزال في حاجة إلى المزيد من الحفر، وتوسيع دائرة الاستقصاء والبحث وتنويع الرؤى، ذلك أن قدم ظاهرة الحراك كعملية حيوية قد استقطبت اهتمام الدارسين في مختلف المجالات؛ وهذا من أجل تشخيص دقيق للحراك المجتمعي عموما وحراك النخب على وجه الخصوص والكشف عن حيثياته ودوافعه وتأثيراته على الصعيد الحضاري وانعكاساته على مسار العلاقات ين الإيالتين؛ وهذا موضوع في الحقيقة تماهت فيه البدايات والنهايات بحكم تاريخية العلاقات؛ وارتباط الفترات ببعضها البعض، ذلك أن تاريخ بني البشر عبارة عن حلقات متصلة شبيهة في استمراريتها بالماء الجاري.

دواعي اختيار الموضوع:

يعزى اختيارنا لطرق مثل هذا النوع من المواضيع إلى جملة من العوامل؛ منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، من ذلك:

* الميل إلى المواضيع التاريخية ذات الصبغة الاجتماعية الفكرية الدينية؛ من ذلك تنقلات العامة وحراك النخب.

* التعرف على الحراك كظاهرة اجتماعية فكرية جسدت انموذجا فريدا في تاريخ العلاقات بين الجزائر وتونس؛ بحكم القرب والجوار الجغرافي والرابط التاريخي، وهذا في ظل تركيز واهتمام المصادر والدراسات على العلاقات دول المغارب مع العالم الغربي المسيحي.

* إدراك أهمية القرب الجغرافي بين الإيالتين ودوره في زيادة دينامية الحراك بمختلف أشكاله وتجلياته.

* قلة الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع؛ ذلك أن أغلب الدراسات ركزت على القضايا السياسية والجوانب العسكرية والميادين الدينية؛ وأهملت القضايا والمسائل المرتبطة بالحراك الاجتماعي والفكري...والوقوف على المشوار الطويل الذي قطعته العامة ولعبته الصفوة وإدراك الدور الذي أسدته في سبيل في تمتين عرى التواصل بين الإيالتين.

* غلبة وشيوع طابع التعميم وسطحية الطرح والمعالجة في بعض الكتابات المرتبطة بالجوانب الثقافية والدينية.

* تقديم صورة مشرقة عن حراك الأفراد والجماعات وتنقلات النخب بين الإيالتين؛ إلى جانب محاولة إبراز أثرها الاجتماعي والفكري في ظل سيادة الصراع بين حكام الإيالتين في أغلب الفترات.

* الوقوف على القضايا والمسائل التي ارتبطت بحراك العامة وحركية النخبة...التي تعكس لنا الحضور الجالياتي لأبناء البلدين.

* محاولة إعطاء معالم عن التجليات والملامح التي اتخذها الحراك الاجتماعي والفكري بين الإيالتين في فترة طبعت فيها العلاقات بطابع التوتر والصراع.

* العمل على إبراز المسار الذي سلكه رجال الصفوة في حراكهم لبلورة مشروع الوحدة بين أقطار المغارب.

حدود الدراسة:

حددنا مجال الدراسة في مجال جغرافي يغطي فضاء الإيالتين خلال العهد العثماني أي في حقبة زمنية طويلة ناهزت ثلاثة قرون؛ وهي الفترة العثمانية ببلاد المغارب، وبالضبط مع بداية انتصاب حكم العثمانيين في الإيالتين رغم التباين والاختلاف في فترات انضواء كل إيالة تحت راية الدولة العلية، ومع ذلك فقد آثرنا أن نجعل من تبعية الجزائر عام 1520م بداية؛ في ظل الالتحاق المتأخر لتونس التي ارتبطت بالباب العالي عام 1574م، وهذا إلى بدايات سقوط الجزائر تحت نير الاحتلال عام 1830م وهي الفترة التي يبدأ معها عهد جديد في تاريخ العلاقات في ظل الاستعمار الفرنسي؛ رغم أن الإيالة التونسية خضعت للحماية عام 1881 على عهد الباي محمد الصادق؛ وهي حقبة ليس من اليسير الإحاطة والإلمام بكل جوانبها، وذلك حينما يتعلق الموضوع بمجال جغرافي مترامي يضم فضاء البلدين.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدعائم الأساسية التي قام عليها الحراك بين هاتين الإيالتين التي تماثلت بسماتها وخصائصها وتشابكت مقوماتها وتوافقت غاياتها، وأثر تنقلات العامة وحركية النخب في توطيد الصلات التاريخية؛ حتى يستفاد منها في زيادة الترابط بينهما وتطويره وإضفاء المضمون الحقيقي والمصداقية الفعالة للعلاقات، مع الحرص على تبني ما هو إيجابي وتلافي ما هو سلبي، وهي العناصر المهمة في تكون وحدة الأمة، كما أن قضية التواصل هي أهم قوى المواجهة ضد ألد أعداء الأمة العربية الإسلامية، ذلك أن الغاية من جعل موضوع الحراك الاجتماعي والفكري بين الجزائر وتونس مدارا للنظر والتفكير؛ ليس كونه

مجموعة من الظواهر والحركات التاريخية فحسب، بل بما يمثله من عينات تعكس لنا جوانب من التماهي الاجتماعي والتفاعل الثقافي بين أبناء الشعبين في جو من التآخي والتسامح والتعايش والانفتاح.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية البحث الرئيسة في هذه الدراسة حول واقع حراك الأفراد وتنقلات الجماعات البشرية وهجرات النخب العلمية والدينية وتأثيراته في رسم معالم الصلات الاجتماعية والفكرية بين الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة؛ أو بعبارة أخرى: **إلى أي مدى أسهم حراك العامة والنخب في توطيد الصلات الاجتماعية والفكرية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية خلال العهد العثماني؟**

وأطرنا هذا الموضوع بمجموعة من التساؤلات الفرعية التي ستتم الإجابة عنها في هذا البحث من قبيل:

* ما هي العوامل المؤثرة في الحراك الاجتماعي والفكري؟ وكيف أسهم القرب الجغرافي على وجه التحديد في دينامية الحراك؟

* إلى أي مدى أسهم الحكام في توطيد العلاقات الاجتماعية الفكرية بين البلدين؟ وما أثر ركب الحجيج في تمتين الصلات الاجتماعية والثقافية؟ وهل استطاع الحراك في شقيه أن يقدم صورة صادقة عن واقع العلاقات القائمة بين الإيالتين خلال الفترة؟ وهل كان للحراك في عمومه تأثير على مسار العلاقات بين البلدين؟

* فيم تجلت تمظهرات الحراك الاجتماعي القائم بين الإيالتين؟ وماهي الملامح التي اتخذها حراك الصفوة بين القطرين؟

خطة البحث:

أما بالنسبة لتصميم البحث، فارتأينا وبالنظر إلى ما أتيح لنا لدينا من معلومات واستنادا إلى الإشكاليات المطروحة، تقسيم موضوع إلى مقدمة وبابين يتضمن كل منهما مجموعة من الفصول، وأنهينا الدراسة بخاتمة عامة وملحقا للوثائق، أما الفصل التمهيدي الموسوم بـ: **الحراك بين المفاهيم اللغوية والمعاني السوسيولوجية التاريخية**؛ فجعلناه مدخلا مفاهيميا حاولنا من خلاله ضبط مفهوم مصطلح الحراك ودلالاته اللغوية ومعانيه الاصطلاحية وأشكاله؛ وما يتماشى وموضوع الدراسة، في حين جاء الباب الأول الموسوم بـ: **الحراك الاجتماعي بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني" مظاهر وتجليات"** مقسما إلى خمسة فصول، تناولنا في الفصل الأول الأوضاع الاجتماعية السائدين في البلدين خلال الفترة، وخصصنا الفصل الثاني المعنون بـ: **خلفيات الحراك الاجتماعي" بين الضرورة والرغبة** " للحديث عن بواعث حراك الأفراد وتنقلات الجماعات؛ وحاولنا أن نقف عند ظاهرة فرار الجند إلى جانب ودور الوكلاء لما لها من أثر في زيادة وتيرة الحراك، وعالجنا في الفصل الثالث الموسوم بـ: **الحضور الجالياتي البيني**؛ اللذي جسده التواجد البشري من الجانبين كمظهر من مظاهر الحراك الاجتماعي القائم، وتحدثنا في الفصل الرابع "**الحراك القبلي بين الإيالتين– حتمية وتماهي**" عن أثر هذا الحراك في محاولات تحييز المجال وترسيم الحدود، وقدمنا نماذج حراك تكتلات قبلية تخومية، وحاولنا من جهة أخرى إبراز مظاهر التماهي القبلي في ظل هذه التنقلات بين الجماعات الطرفية أو الحدودية، وتطرقنا في الفصل الأخير الموسوم بـ" **من صور الحراك الاجتماعي البيني" المصاهرات والإحسانات...**" إلى علاقات النسب الناتجة عن التصاهر بين أبناء الإيالتين من مختلف الطبقات بما فيها المصاهرات السياسية، والإحسانات المقدمة والهدايا المرسلة من الجانبين كملمح من ملامح الحراك الاجتماعي القائم، وعرجنا على الرسائل المتبادلة بين حكام البلدين في

المناسبات الاجتماعية (تقلد العرش، الأفراح، التعازي، ازدياد مولود...) إلى جانب الاهتمام بالرعايا من خلال قضاء المآرب وتسوية القضايا العالقة كاستيفاء الدين ورد المظالم وتوقيع العقوبات، وتحرير الأسرى والاهتمام بالزوايا وأضرحة الأولياء على غرار عبد الرحمن الثعالبي؛ دون إغفال ما أولاه الحكام للشؤون الخاصة بالمواريث والوفيات، والعناية بالحجيج وركب الحج، وختمنا الفصل بالحديث عن التشابه في العادات والتقاليد، والتعاضد العسكري البحري ضد الأوربيين كوجه من وجوه التماهي الاجتماعي؛ بما في ذلك مشاركات أساطيل الإيالتين في حروب الدولة العلية.

أما الباب الثاني الموسوم بـ **الحراك الفكري بين الجزائر وتونس " مظاهر وتجليات"** قسمناه هو الآخر إلى خمسة فصول: الفصل الأول المعنون بـ: **الأوضاع الثقافية في إيالتي الجزائر وتونس خلال الهد العثماني؛** تحدثنا فيه عن المؤثرات الثقافية؛ فالواقع الثقافي السائد في البلدين على ضوء المصادر المحلية والكتابات الأجنبية؛ ثم طبيعة النتاج الأدبي والفكري والمحاولات التي قام بها بعض الحكام لترقية الحياة العلمية، والمؤسسات الثقافية؛ وأهم مراكز الإشعاع الفكري في الإيالتين، أما الفصل الثاني " **عوامل حراك النخب العالمة ونشاطها السياسي**"؛ فخصصناه للحديث عن الدوافع المختلفة التي كانت وراء حراك النخب بين الإيالتين، وأدرجنا جانبا من جوانب نشاطها الديبلوماسي سعيا منها لتلافي بعض الأزمات وابرام تسويات"صلح" بين البلدين، أما الفصل الثالث " **تجليات التواصل الفكري لحراك الصفوة بين الإيالتين**"؛ فعالجنا فيه هذه المظاهر التي أخذت أشكالا عديدة ومتنوعة كالإجازات، المجالس والمناظرات، الفتاوى، انتقال المصنفات، المراسلات والردود، وأثر ركب الحج ...أما الفصل الرابع: " **تنقلات النخب العالمة بين البلدين خلال العهد العثماني**"؛ توقفنا فيه عند حراك النخب بين الإيالتين طيلة الفترة المدروسة؛ وحاولنا إبراز أدوارها والأثر الذي تركته من خلال نشاطها، وقمنا بأخذ انموذجين فريدين هامين؛ جسدا بحق الحراك الفكري القائم: **الحراك الفكري لآل الرصاع بالحاضرة التونسية؛ ونشاط عائلة قدورة العلمي والديني بالجزائر**، أما الفصل الأخير "**الطرق الصوفية روافد للحراك بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني**"؛ تطرقنا فيه إلى الحضور الصوفي الجزائري بالبلاد التونسية أو يمكن تسميته بريح الغرب والذي تجلى في تغلغل طرقي جسدته كل من القادرية، التيجانية، الرحمانية، والعمارية، والحنصالية، وطريقة أولاد الحشان...أما الوافد التونسي أو الحراك العكسي فقد مثلته كل من الشابية، البوعلية، التليلية. وفي النهاية جعلنا خاتمة تتضمن النتائج المستخلصة والمتوصل إليها من الدارسة قياسا بالإشكاليات المطروحة.

***المنهج المتبع:**

ولما لهذا الموضوع من أهمية وضرورة لا غنى عنها؛ بذلنا الطرق للأخذ بالمنهج الأقوم؛ لذلك ارتأينا الاعتماد على مجموعة من المناهج؛ نعتقد أنها كفيلة بإيصالنا إلى درجة من الدقة والحياد العلمي؛ ومن ثم توخي الوصول إلى دراسة موضوعية، ومن بينها:

* **المنهج التاريخي**، يأتي تركيزنا على المنهج الاسترادادي أو الاسترجاعي باعتباره لا يقتصر على سرد الأحداث التاريخية، بل أنه يحللها ويفسرها في واقعها التاريخي قصد الوصول إلى معرفة الحاضر؛ على اعتبار أن الواقع نتاج تراكمات سابقة، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن دراسة الحراك الاجتماعي والفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني قادتنا إلى الوقوف على ملامح الحراك بشقيه الاجتماعي والفكري من خلال إبراز أشكال التماهي الاجتماعي كالتضامن والتآزر والدعم ومظاهر الاندماج والتفاعل الثقافي ورصد مجريات الأحداث المرتبطة بالحراك....كما ساعدنا هذا المنهج على تتبع

المسار التطوري للحراك بنوعيه والبواعث والاعتبارات المتحكمة فيه ...مرورا بفترات ذروة حركية العامة؛ وحراك النخب؛ وفترات التراجع والاعتبارات المتحكمة فيه؛ مع إبراز أثر هذة الحركات الهجروية في رسم معالم الصورة الثقافية والاجتماعية في الإيالتين.

* كما استعنا **بالمنهج الوصفي** الذي يهتم بدراسة الأوضاع من حيث خصائصها وأشكالها وعلاقتها والعوامل المؤثرة فيها...ولقد ساعدنا في الوقوف على واقع الإيالتين بتوصيف السمات العامة للواقع الاجتماعي وملامح الحياة الثقافية بالإيالتين، وتوصيف الحراك بأشكاله المختلفة؛ كظاهرة اجتماعية تحكمت فيها الأوضاع السائدة، وهذا من خلال رصد الحضور البشري للعامة والنخب على السواء؛ لتأكيد قدم تاريخية الحراك الذي حافظ على ديمومته واستمراريته؛ التي تعكس متانة الروابط بين الشعبين.

* بالإضافة إلى **منهج تحليل المضمون–المنهج التحليلي–**الذي يقوم على وصف منظم ودقيق لمحتوى النصوص المكتوبة في مختلف المصادر الأدبية، وقد استعملنا هذا المنهج في دراستنا لمختلف الوثائق والبيانات المقدمة من خلال المراسلات الأرشيفية لاستخراج المعطيات التاريخية الضرورية التي تناولت مختلف القضايا المرتبطة بالحراك؛ وهذا بتتبع الحقائق والمواقف التي كانت تعرضها هذه المصادر لاستنباط بعض الأحكام واستخلاص بعض الآراء والأفكار للتوصل إلى استنتاجات عامة؛ من خلال تحليل الحراك كظاهرة ارتبطت بالعامة والنخب على السواء وبواعثها وأصولها وتجلياتها المختلفة؛ ومدى تأثيرها على الصلات بين الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة في شتى جوانب الحياة، وهذا من أجل ادراك كنهها لتفعيل سبل ووسائل توطيدها.

الدراسات السابقة:

على كثرة الدراسات التي تناولت العلاقات بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية؛ إلا أننا لا نكاد نجد دراسة علمية رصينة شاملة جامعة عالجت مختلف جوانب القضايا العلائقية بين الإيالتين؛ من ذلك الحراك في عمومه وبشقيه الاجتماعي والفكري، ومن هذه الدراسات التي توقفت عند موضوع القضايا والمسائل ذات البعد العلائقي أو أشارت إليه بشيء من الإيجاز نجد: الدراسة التي قام بها الأستاذ **احميده عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، ومؤلف للأستاذ **عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر تونس في القرن 12هـ/18م، والعمل المقدم** الباحث **فيلالي السايح** في مذكرة ماجستير موسومة بـ **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية** ، وأطروحة دكتوراه للباحثة سحابات زهيرة موسومة بـ: " **الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628–1830**، وأيضا أطروحة دكتوراه للباحث **الطيب يوسفي** تحت عنوان: **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني–رسائل أئمة التيجانية–**، والعمل الذي قدمه الباحث **معاد عمراني**؛ وهو أطروحة دكتوراه موسومة بـ:" **الإيالة الجزائرية والأزمات السياسية في تونس 1587–1830**، ومذكرة ماجستير تحت عنوان: **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية التونسية** للباحث محمد عطية، ومذكرة ماجستير أخرى اهتمت بالصلات الروحية للباحث **أحمد بن تيشة** والموسومة بـ: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب " الجزائر وتونس انموذجا"**، ونجد أيضا دراسة الباحثة **ليلى غويني** تحت عنوان: **التفاعل الثقافي بين دول المغرب من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**؛ دون أن نغفل بعض الدراسات الوثائقية؛

من ذلك كتاب **إحسانات بايات تونس لبايات وأعيان قبائل بايلك قسنطينة** للباحث **توفيق بن زردة**؛ ودراسته حول " **الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني**"، ومذكرة ماجستير للباحثة صورية حصام بعنوان: **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتنس خلال القرن الثامن عشر**... أما في تونس نجد الدراسة التي قام بها الباحث التونسي عبد الكريم الماجري والموسومة بـ" **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس (1881–1937م**، إلى جانب كتابه الآخر" **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي1930–1939**"، وهي دراسة تاريخية تتبع فيها الباحث التشكل التاريخي للجاليات المغاربية بتونس في عملية رصد لخصوصياتها الاجتماعية وأوضاعها القانونية في ظل الاستعمار، والدكتور إدريس رائسي في مؤلفه: **القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة 1830–1881**، وأيضا تلك الدراسة التي أعدتها الباحثة **لوسات فلنزي** بعنوان: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790–1830**؛ التي ضمنتها كما هائلا من المعلومات المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومذكرة ماجستير – نوقشت بجامعة منوبة– للباحث **إبراهيم بن الزاهد**؛ والموسومة بـ: **العلاقات بين المجتمعات الواحية في الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري خلال القرن 19م**....إلى جانب بعض المقالات منها؛ المقال الموسوم بـ: **من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتنس خلال العهد العثماني– هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس** للأستاذ صالح بوسليم ومحمة عائشة...وأيضا مقال للباحثة **فوزية لزغم** المعنون بـ: العلماء **الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات (1671–1830) ودورهم في مد جسور التواصل بين الجزائر وتونس** ...

إن أغلب الدراسات التي عالجت موضوع الصلات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني على ندرتها؛ اهتمت بالحياة السياسية لأقطار المغارب وتطورها وعلاقاتها مع العالم المسيحي، أما البعض الآخر منها فقد اتسم بالشمولية التي جمعت أقطار المغارب بصفة عامة لذلك حظيت العلاقات بين الإيالتين بالشيء اليسير في حقل الدراسات التاريخية، كما أنها ركزت في عمومها على الجانب السياسي في العلاقات والتاريخ العسكري الذي عكسته كثرة المواجهات، والبعض منها آثر الخوض في الشق الديني أي أنها في مجملها ركزت على جانب من الجوانب...كما أن المعالجة كانت من جانب واحد أي طرف واحد وهو الحضور الجزائري...في حين كان الآخر مغيبا، أما الشق الفكري وما ارتبط به والحراك الاجتماعي الاجتماعي بتمظهراته؛ لم أجد حسب اطلاعي دراسة اهتمت بالجانب الاجتماعي؛ كحراك الأفراد والجماعات والمصاهرات أو الجاليات أو الحراك القبلي من الجانبين؛ وهو ما حاولنا في هذه الدراسة إبرازه .كما أن أهمية وقيمة هذه العمل تكمن أيضا في تقديم بعض الإضافات التي لم نلمسها في البحوث أو الدراسات التي قدمت في موضوع العلاقات البينية بين أقطار المغارب؛ لذلك نحسبها على حد علمنا دراسة بحثية فيها نوع من الجدة، إلى جانب ما تخللها من تصويب لبعض المغالطات التي وقع فيها عدد من الباحثين؛ بناء على وثائق أرشيفية ومصادر تعود للفترة.

المادة المصدرية والمرجعية المعتمدة:

لدراسة الموضوع وفي محاولة للإلمام بجوانبه والإجابة عن أهم إشكالياته، عمدنا إلى استغلال مادة مصدرية اختلفت في طبيعتها أكثر مما أئتلفت؛ وحاولنا تلمس المادة في مظانها على تشتتها وتشعبها، وقد اتسمت في عمومها بالوفرة والتنوع

-حيث تصدرتها الوثيقة الأرشيفية-والتي تمكن الباحث بلا شك من تقريب الحقيقة ومحاولة ملامسة الواقع، إلى جانب عدد كبير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية؛ لعل من أهمها:

أولا-الأرشيف:

01-الأرشيف الوطني الجزائري:

***الأرشيف الجهوي لولاية قسنطينة** خاصة سجلات المحاكم الشرعية التابعة للمحكمة المالكية؛ ونخص هنا على وجه التحديد **السجل الأول** 1202-1205هـ/1787-1790م، و**السجل الثاني** 1205-1210هـ/ 1790-1795م، و**السجل الثالث** 1211-1218هـ/1796-1803م، و**السجل الرابع** 1218هـ/ 1803م والذي ينتهي بتاريخ عام 1233هـ/1817م، والتي أفادتنا كثيرا في هذا البحث خاصة ما يتعلق بموضوع الجاليات إلى جانب المصاهرات التي جمعت الجزائريين بإخوانهم التونسيين، وأيضا رصد بعض الأنشطة الاقتصادية التي مارسها أبناء الجالية التونسية، وبعض المعاملات المالية والهبات، وعدنا أيضا إلى بعض الوثائق الأرشيفية المصورة عن وثائق أصلية من الأرشيف التونسي؛ عبارة عن مراسلات بين حكام الإيالتين عالجت قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة.

***أرشيف المديرية الجهوية لمسح الأراضي** خاصة محاضر القرار المشيخي **Sénatus Consult** لعام 1863، والذي جاء في إطار حصر الكثير من أراضي القبائل والدواوير؛ والهادف إلى ضرب البنية المجتمعية؛ ومنه تفكيك وحدة القبيلة، حيث استقينا منها بعض المعلومات المتعلقة بالحراك القبلي كما هو الحال مع قبيلة دريد التونسية.

***وثائق المحاكم الشرعية بالأرشيف الوطني الجزائري:** التي حوت على معلومات قيمة تتعلق بالجاليات التونسية إلى جانب الأنشطة الاقتصادية الممارسة وإشارات للأملاك والثروات المرتبطة ببعض الأشخاص والعائلات؛ والتي تعكس لنا مقدار التفاوت والتباين في الثروة ومنه مؤشرات الغنى والثراء والفقر، وبعض المعاملات المالية والهبات... دون إغفال **سجلات بيت المال والبايلك** التي قدمت لنا في الكثير من الأحيان جردا للأملاك والثروات والتركات التي خلفها بعض المتوفين، وبعض الأنشطة التجارية التي قام بها أبناء البلاد مع الإيالة التونسية ...و**الدفتر الهمايوني** الذي استخرجنا من إحدى مراسلاته أسماء لجاليات تونسية نالت اهتمام حكام الإيالتين...وحظي البعض منها بامتيازات.

02-وثائق مجموعات المكتبة الوطنية الجزائرية:

استطعنا أيضا استغلال رصيد وثائقي هام بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية، ويتمثل في مجموعة من الوثائق وردت في مجموعات تعود للفترة العثمانية؛ **المجموعة :3206، ، المجموعة: 3203، المجموعة: 3190**... والتي أفادتنا من خلال تقديم معلومات تتعلق بالجاليات التونسية بالجزائر؛ بما في ذلك وفود بعض الزعامات والمشيخات القبلية على البلاد، إلى جانب معاملات مالية قام بها بعض أبناء الجالية التونسية؛ والتي أشارت في ثناياها إلى أملاك بعض العائلات، دون أن ننسى ما تضمنته وثائق المجموعة الأخيرة المشار إليها من أخبار ترتبط بحراك الجند، وتتعلق على وجه التحديد بفرار جند الإنكشارية إلى البلاد التونسية أو مرورهم عبر أراضيها.

03-الأرشيف الوطني التونسي: اعتمدنا بصفة خاصة في هذا البحث على وثائق الأرشيف الوطني التونسي المتنوعة والثرية؛ وخاصة:

* **الدفاتر الإدارية والجبائية** والتي شكلت رصيدا قيما، وخاصة تلك التي اهتمت بمصروف الدولة ومدخولها ودفاتر الإحسانات؛ أو التي اهتمت برصد الإحسانات والعوائد أو ضبط لتعداد أفراد القبائل والأعراش أو نوبات زواوة؛ إلى جانب رصد الحضور الجزائري بالبلاد التونسية الذي عكسته هذه الجاليات المستقرة، وأيضا ما جاء فيها من إشارات تتعلق ببعض المهن والوظائف التي تقلدها بعض الجزائريين، ومسائل تتعلق ببعض المسائل الاجتماعية كالديات، والهبات التي خص بها أبناء الجاليات من مختلف المستويات الاجتماعية.... خاصة الدفتر **2144**، والدفتر **2145**، الدفتر **143**، والدفاتر **20**، **2070**، **99**، **139**، **3090**، **01**، **2341**، **620**، **673**، **688**... وعثرنا على سجل مخصص للجالية الجزائرية المستقرة بتونس سنة 1876م تحت رقم :3968، وهو الدفتر الذي يحمل قائمة بـ: 1725 اسما، والمعنون بـ:

Registre D'immatriculation Des Musulmans et Israélites Algériens en Tunisie.

* أما **السلسلة التاريخية** (**Série historique**) بالأرشيف الوطني التونسي التي اهتمت بتاريخ الإيالتين في الفترة الحديثة بصفة عامة، وقد اعتنينا فيها بصفة خاصة بالمراسلات المتبادلة بين بايات دايات الجزائر مع البايات التونسيين التي كانت صورة حية ومرآة عاكسة في الكثير من الأحيان لواقع العلاقات البينية القائمة خاصة خلال الفترة الحسينية؛ حيث حوت معلومات كثيرة حول حراك الجاليات، وأشارت إلى مظاهر التضامن والتعاون بين أبناء الإيالتين، إلى جانب الكثير من القضايا والمسائل الاجتماعية التي تخص الحكام أو رعايا البلدين؛ كاستيفاء ديون الرعايا أو مستحقات المتوفين، وأحيانا تسهيل عمليات قضاء مآرب أو تلك التي حوت على توصيات تخص ركب الحجيج، وأيضا رسائل الوداد التي وردت فيها معلومات تتعلق ببعض الهدايا المتبادلة.

* أما بالنسبة **للسلسلة د** (**Série D**) بالأرشيف الوطني التونسي، فإنها حوت مادة توثيقية هامة غزيرة شكلت رصيدا ثمنيا حول التصوف الطرقي، واشتملت دراسة ثرية لرموز الإسلام الشعبي خاصة الزوايا والطرق الصوفية؛ وكانت في حقيقة الأمر عبارة عن إحصاءات وتقارير لأعوان الإدارة الاستعمارية بالبلاد التونسية، وكانت من الأدوات الأساسية التي أماطت اللثام وقدمت إجابات للكثير من التساؤلات حول الحراك الطرقي خاصة ما تعلق بالحضور الصوفي الجزائري الفاعل والمؤثر بتونس الذي تسميه الباحثة التونسية **لطيفة الأخضر** في كتابها **الإسلام الطرقي** بـ" **ريح الغرب**"، والذي تجلى في العديد من الطرق من ذلك القادرية، التجانية، الرحمانية وفروعها كالعزوزية، إلى جانب الوافد التونسي كالبوعلية، دون إغفال ما أفادتنا به هذه التقارير من تعداد يخص عدد الإخوان التابعين لبعض هذه الطرق.

ثانيا–المصادر المخطوطة:

اعتمدنا عدد لا بأس به من المخطوطات المتواجدة سواء بالمكتبة الوطنية الجزائرية أو المكتبة الوطنية التونسية منها:

***مخطوط حبوس قسنطينة** بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ الذي يغطي فترة القرن 17م، والذي استوقفنا عند المؤسسات التعليمية والدينية والأوقاف المخصصة لها بقسنطينة، وقد وردت فيه معلومات قيمة تتعلق بالجاليات التونسية –من جرابة، صفاقسية... التي ارتبط الكثير من أفرادها بوظائف دينية وتعليمية تقلدوها؛ وحرف امتهنوها...ومخطوط وردت فيه إشارات عن علاقة زواوة باليلاد التونسية؛ تحت عنوان **كيفية سيرة زواوة** لمؤلف **مجهول**... إلى جانب **الرحلة الحجازية**

"**رحلة المجاجي**" لصاحبها **عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي** خلال القرن 11هـ17م؛ التي أشار فيها مؤلف الرحلة إلى العديد من المدن والحواضر التونسية؛ وذكر لبعض المشايخ والأولياء.

* **مخطوط صالح باي** لصاحبه **النقاد** بالمكتبة الوطنية التونسية: وقد منه استفدنا هو الآخر؛ من خلال الوقوف على واقع العلاقات بين الإيالتين على عهد صالح باي بايات قسنطينة وحمودة باشا التونسي، وقد وردت فيه معلومات قيمة تتعلق بحراك القبائل التونسية إلى فضاء بايلك الشرق وفرار رعايا صالح باي إلى المجالات التونسية.

* **مخطوط كناش الطواحني؛ للأديب خليل بن مصطفى الطواحني الحنفي**(كان حيا بدايات القرن 19م) بالمكتبة الوطنية التونسية؛ الذي يكتسي أهمية بالغة رغم طغيان الصبغة الأدبية الخالصة على محتوياته، والذي أورد فيه صاحبه تراجم للعديد من أدباء الإيالة التونسية؛ إلى جانب أشعار ومراسلات على غرار المراسلات التي كانت بين عبد الكريم الفكون والشيخ تاج العارفين ...والتي استقاها حرفيا كما أشار المؤلف من كتاب الشهب المخرقة لأحمد برناز.

ثالثا–المصادر:

01–المصادر العربية:

إلى جانب المصادر الأرشيفية والمخطوطة اعتمدنا أيضا لإنجاز هذه الدراسة على مادة مصدرية مكتوبة كان عمادها **المصنفات التاريخية**، وكتب **السير** و**التراجم** والتي مثلت مادة تاريخية دسمة؛ حبلى بالأفكار وعديد المعاني والأخبار ذات الدلالات والإشارات المباشرة التي تضمنتها، والتي خصت بها علماء ونخب الإيالتين ...وهو ما مكننا من تجميع العشرات من التراجم، وأيضا بعض المصادر التقليدية **كالرحلات الحجازية والمرويات المنقبية**، و**كتب النوازل**، **ومصادر الرحالة الأجانب ومذكرات الأسرى** ...والتي اهتمت في عمومها بتاريخ العلاقات بين الإيالتين في جوانبها المختلفة، وقد حاولنا استقصائها وتوظيف ما يخدم منها الموضوع، والتي رغم اقتضابها في العديد من الأحيان؛ إلا أنها كشفت لنا عن بعض الأفكار الهامة، ومن أهمها:

* **المصنفات التاريخية**: لقد حاولنا استغلالها ما توافر منها وتوظيف ما يخدم موضوع الدراسة، من أهمها كتاب **تاريخ العدواني لمحمد بن عمر العدواني**؛ الذي عاش في القرن 11هـ/17م، إذ يعد مادة مصدرية ووثيقة حية ذات أهمية بالغة؛ كتبت بلغة يغلب عليها العامية، تطرقت إلى جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة خلال القرن 17م؛ خاصة بصحراء سوف والجنوب والجريد التونسي، وقد اعتمدنا عليه في رصد حراك بعض القبائل التونسية على غرار **تلامذة الشابية دريد** كما يسميهم **ابن أبي دينار**، وأيضا حراك طرود وحضورها المتكرر في الكثير من الأحداث بالبلاد التونسية، ومن جهة أخرى يعتبر كتاب العدواني بحق مصدرا من مصادر التأريخ للحركة الشابية؛ والتي لعبت دورها في ربط الصلات الروحية بين الإيالتين، إلى جانب كتاب **تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها؛ لابن المفتي (1683–1753م)**، والذي تكتسي أهمية بالغة باعتباره أحد المصادر العثمانية الهامة التي كانت بمثابة نواة حقيقية تم فيها رصد لعلماء الجزائر من فقهاء ومفاتي الحنفية والمالكية، وقد استفدنا منه في تتبع حراك أسرة **سعيد قدورة الجربية التونسية** التي استطاعت الظفر بحظوة ومكانة لدى حكام الجزائر؛ من خلال الوظائف التي تقلدها أبنائها (الفتوى، الخطابة، التدريس).

ومن أهم المصنفات المصدرية التاريخية التونسية؛ التي أرخت للفترة؛ نذكر: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار** (ت. 1110هـ/1698-1699م)، وهو من ساكنة الحاضرة التونسية، باشر التدريس، ثم تقلد قضاء سوسة، ثم نقل عنه إلى قضاء القيروان...ويعتبر مصدرا هاما؛ من مصادر الفترة، فقد استوقفنا عند الكثير من الأحداث السياسية المرتبطة بالحدود والتي تسبب فيها ضعف الولاء القبلي، وحراك بعض القبائل التونسية إلى الفضاءات المجالية الجزائرية في أعقاب هزائم الجيش التونسي؛ وسعي السلطة الحاكمة في تونس لمخزنة القبائل وتحييز المجال، إلى جانب الكثير من مظاهر التعاون العسكري والتآخي الاجتماعي من تآزر وتعاضد ومصاهرات؛ وذكر للعادات والتقاليد، وحراك لبعض النخب العلمية التي فرت من سيف السياسة.

* **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** للوزير **السراج**؛ الذي اعتمدنا عليه في تتبع جانب من العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر تونس خلال العهد المرادي ومع بداية حكم السلالة الحسينية، وقد وردت فيه إلى جانب المعلومات المتعلقة بالمواجهات العسكرية بين الإيالتين؛ والكثير من الإشارات الدالة على متانة الصلات الاجتماعية من ذلك بعض القضايا التي تخص الجاليات، والتعاون العسكري البحري إلى جانب رصد لواقع الحياة العلمية والفكرية وتراجم عديدة لأعلام جزائرية تونسية لعبت دورا رائدا في الحراك الفكري. ومن أهم المصادر أيضا كتاب؛ **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي لمحمد الصغير بن يوسف الكرغلي الباجي الحنفي** (1105هـ-1177هـ/1694-1764)، وتكمن أهمية المصدر في كونه مصدرا من الدرجة الأولى عن الحرب الباشية الحسينية التي عايش أطوارها ... والتي انتهت بانتصاب الدولة الحسينية وعهودها الأولى وعلاقاتها بالدول المجاورة...وهو يعتبر منجما هاما ومرآة عاكسة للحياة الاجتماعية والدينية، وقد استفدنا منه استفادة بالغة من خلال رصد الوقائع المرتبطة بالصراع الباشي الحسيني وأبرز وأهم التحالفات القبلية التي تشكلت في ظل هذه المواجهة؛ إلى جانب الحضور القبلي التخومي لبعض التكتلات المستقلة الولاء؛ على غرار نهد، والحضور المتميز والفاعل للجاليات الجزائرية بجهات بنزرت وماطر على وجه الخصوص من أبناء بجاوة، بالإضافة إلى ظاهرة التهادي بين حكام الإيالتين، وهو المصدر الوحيد الذي أشار إلى حراك بعض نخب باجة نحو البلاد الجزائرية من ذلك قاضي الباي حسين بن علي عام 1735.

* **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود بن سعيد مقديش الصفاقسي**، والذي أرخ فيه صاحبه لتاريخ تونس منذ الفتح الإسلامي ولحدود سنة 1833م، حيث تم رصد الكثير من الأحداث المرتبطة بالواقع الاجتماعي التونسي؛ إلى جانب تراجم لأعلام وشخصيات تونسية هامة كان لها حضورها الفاعل بالبلاد الجزائرية؛ في خضم حراكها نحو الجهة الغربية.

* **التاريخ الباشي لحمودة بن عبد العزيز**؛ أحد خواص **علي باي الحسيني(1759-1782)** الذي قلده **قلم الإنشاء**، واستعان به في تدبير شؤون دولته، وبعثه لمرات سفيرا عنه في بعض الأغراض السياسية إلى قسنطينة والجزائر، فقد كان شاهد عيان على الكثير من الأحداث...ساعدنا على معرفة الكثير من الجوانب الخفية؛ باعتباره لسان السلطان الرسمي؛ على غرار حراك أبناء وسلات إلى الشرق الجزائري، وأيضا الحضور الحناشي في الكثير من الأحداث، وتأثير مشيخة الخنقة ...وجانب هام من واقع الحياة الفكرية بالإيالة خلال التونسية خلال الفترة. ومن المصادر الهامة لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنها لتنوعها وثرائها، بالنظر إلى ما جاء فيها من معلومات وأفكار وأحداث نشير إلى

كتاب؛ **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف (1802–1874)**، والذي تقلد عديد المنصب السياسية الهامة حيث كلف بالكتابة في عهد الوزير شاكير وعين وزيرا في أفريل عام 1861م ثم ثاني الكواهي بالمجلس الأكبر في اكتوبر 1862م، كما حرر أول دستور تونسي سنة 1861م...والذي أرخ لتاريخ تونس...وقد احتوى مؤلفه على مجموعة من التراجم لعديد الأعلام، وقد استقى أغلب معلوماته حول الأحداث التي لم يعايشها من عديد المصادر كابن أبي دينار والوزير السراج...وكان شاهد عيان على الكثير من الأحداث.

وأيضا نوع من الكتابات التاريخية التي جاءت على شكل **مذكرات** كما هو الحال مع مصنف الشيخ عبد الكريم الفكون الموسوم بـ: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، والذي يعتبر من أهم مصادر الفترة، وقد كتب على فترات، ويبدو أن الفكون قد بدأ في تسجيل مذكراته كما يذكر الأستاذ سعد الله خلال العشرينات من القرن 11هـ/17م؛ التي استفدنا من خلالها في رصد جوانب من تجليات حراك النخب بين البلدين كالمراسلات، وأسماء نخب جاليات تونسية وضعت عصا التسيار بباليك الشرق. بالإضافة إلى كتاب: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون الجزائري** الذي كان معاصرا للداي **محمد بكداش** (ت.1122هـ/1710م)، والذي استفدنا منهما في معرفة جوانب من الحياة الفكرية وأسماء بعض النخب العلمية التونسية على وجه الخصوص، وإشارات ترتبط بصلات بعض بايات المقاطعة الغربية بتونس.

أما عن المصنفات المصدرية التقليدية **كالمرويات المنقبية، وكتب التراجم**، والتي تزخر بمعلومات كثيرة ومتنوعة من أحداث وتراجم وسير... **ومن أهم كتب التراجم**؛ كتاب **ذيل بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة** الذي يعتبر من رواد الفكر في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، إذ يعد بحق مصدرا ثمينا؛ للفترة المدروسة؛ بما تضمنه من جرد لتراجم ونخب علمية من البلدين"**علماء وفقهاء أجلاء**" خلال القرنين 11–12هـ/17–18م؛ بطريقة مبسطة مع إبراز لتآليفهم، ومن خلاله استطعنا الوقوف على المشايخ والعلماء والأولياء الذي كان لهم حضور وأثر في الحراك الاجتماعي والفكري القائم بين الإيالتين...إلى جانب ما تم رصده من أحداث سياسية خلال فترة البايات والدايات؛ والتي كان لها وقع وتأثير مباشر على واقع الحياة الاجتماعية والثقافية، وكتاب **الدرة المصونة لأحمد بن قاسم البوني** (ت.1139هـ/1726م) التي أورد فيها الكثير من الأعلام الذين نهل من معينهم؛ من ذلك مشايخ البلاد التونسية (القيروان، باجة، تستور، الكاف، سوسة...).

* **كتب المناقب**: إن قيمة النصوص المنقبية من الناحية الوثائقية تتمثل في كونها غنية بالإفادات المنوعة؛ لما تحمله من معلومات وشهادات عن التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والديني، ومن المؤلفات التي استوقفتنا لأهميتها البالغة؛ نذكر كتاب: **نور الأِماش في مناقب القشاش للمنتصر بن أبي لحية القفصي**، وهو كتاب منقبي يهتم بسيرة ولي، يغطي كامل النصف الثاني من القرن 16م وبدايات القرن 17م، وهو من المصادر الهامة التي لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنها في رصد الكثير من الأحداث الاجتماعية والفكرية والسياسية المرتبطة بتاريخ الإيالتين خلال الفترة الحديثة، فقد استطعنا عن طريقه معرفة العديد من أبناء الجزائر الذين شدوا الرحال إلى البلاد التونسية وآثروا جوار الشيخ أبي الغيث القشاش؛ دون إغفال الدور الكبير الذي قام به هذا الأخير في افتكاك العديد من أبناء الإيالة الجزائرية من الأسر، إلى جانب علاقات زاويته بالمجتمعات الواحية والتكتلات القبلية التخومية كما هو الحال مع كنفدرالية الحنانشة،

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الكتاب يعتبر المصدر الأوحد على حسب اطلاعنا الذي أشار إلى نزول الشيخ أبي العباس أحمد المقري بالحاضرة التونسية؛ أين حظي بضيافة الشيخ القشاش في زاويته.

أما كتب **التصوف** فقد اعتمدنا على **الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير** للشيخ محمد المسعود الشابي، وأيضا محمد العربي في مصنفه: **فهرست بغية المستفيد لشرح منية المريد**، مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي: **رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، وتعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي...**

أما عن كتب **الرحلات الحجازية** فنخص بالذكر؛ رحلة الشيخ **الحسين الورثيلاني**(**ت**.1193هـ/1765م) الموسومة بـ: " **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"...وأيضا رحلة **أبي راس الناصر**(ت.1824) المسماة: **فتح الإله ومنته**، فقد كانت رحلتيهما بحق موسوعات ثقافية رصدت واقع الحياة الثقافية؛ إلى جانب كونها مرآة عاكسة لحراك الصفوة والتفاعل الثقافي الذي صاحبه، وأيضا **رحلة أبو العباس أحمد المقري** (**ت**.**1041هـ/1631**) إلى البلاد المشرقية عام 1027هـ/م، والتي استفدنا منها في معرفة جوانب من واقع الحياة الثقافية بالإيالتين إلى جانب إجازات ومراسلات الشيخ لبعض نخب الإيالة التونسية... إلى جانب **رحلة بن حمادوش الجزائري** (ت.1783-1785م) المسماة "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**"؛ الذي استوقفنا عند بعض علماء الإيالة التونسية؛ ممن استقروا بالحاضرة الجزائرية أو بعض مشايخه الذين أخذ عنهم؛ دون أن نغفل الإشارة إلى بعض الرحلات **الإباضية الحجازية**؛ كرحلة **الشيخ إبراهيم بن بحمان اليسجني المصعبي**(**ت**.**1223هـ/1817م**)؛ المسماة: **رحلة المصعبي**؛ التي تتبعنا من خلالها ركب الحج الإباضي؛ وبخاصة مروره بالبلاد التونسية، وينضاف إليها الرحلات الحجازية المغربية التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها لرصد الملامح والسمات العامة للفترة؛ **كالرحلة العياشية** المسماة "**ماء الموائد**"، و**الرحلة الناصرية الكبرى**؛ التي قدمت لنا إضافات قيمة تتعلق بالحياة الفكرية في الإيالتين؛ إلى جانب حراك الأفراد والجماعات؛ في ظل ركب الحجيج الذي كما تضمنت في الكثير من الأحيان ذكر لأسماء الأعلام من المشايخ الذين نهلوا في هذه المنطقة أو تلك، دون أن نغفل ما احتوته هذه المصادر من ذكر لانتقال المعارف مع التآليف والتصانيف الموجودة في هذا البلد أو ذاك.

كما اعتمدنا على **كتب النوازل** لما لها من أهمية في الدراسات التاريخية؛ إذ يمكن استغلالها كوثائق تميط اللثام عن العديد من القضايا والمسائل التي تناولتها بعفوية وتلقائية؛ وبخاصة تلك التي أغفلتها المصادر التقليدية أو تعمدت التغاضي عنها لسبب من الأسباب، ونشير في هذا الصدد إلى؛ **كتاب الأجوبة لأبي القاسم مرزوق بن عظوم المرادي** (كان حيا سنة 1009هـ/1604م)، المنحدر من احدى العائلات العلمية ذات الصيت بالقيروان وهي عائلة العظاظمة، ويعتبر من أهم المصادر التي استقينا معلومات هامة – من جل أجزاءه الإحدى عشر- ترتبط بأسماء أبناء جاليات جزائرية استقرت بالبلاد التونسية إلى جانب بعض الانشغالات التي رصدتها الكثير من الأجوبة على نوازل ارتبطت بقضايا وتحديات واجهتها؛ والتي عكست جانبا من الواقع والوضع الذي كانت تعيشه، وأيضا أسماء لبعض النخب العلمية التي أكدت حضورها في المشهد التونسي كآل الرصاع مثلا التي أمدت المجتمع التونسي بالعديد من العلماء على مدى ستة قرون، وحوت هذه النوازل أيضا بعض المسائل المرتبطة بالحدود بين الإيالتين. ومؤلفات شيخ الإسلام **عبد الكريم الفكون**: يتصدرها كتابه: **كتاب نوازل قسنطينة**، و**محدد السنان في نحور إخوان الدخان**؛

وفتاوى تخص نوازل لقضايا اجتماعية؛ حاول المشايخ تقديم أجوبة عنها، أما عن كتب **الردود** التي جاءت على شكل دحض دعاوى بالأدلة الشرعية نذكر؛ كتاب؛ **الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة؛** للشيخ أبو العباس **أحمد برناز**(1763-1726م)؛ الذي ألفه عام 1712م، وأدخل عليه تنقيحات وتحويرات عام 1716م....حيث تضمنت كردود 160 شهابا، وقد استفدنا منه خاصة في الحراك الفكري؛ من خلال وقوفنا على بعض الفتاوى والمراسلات التي جمعت عبد الكريم الفكون و بعض مشايخ تونس(**تاج العارفين، إبراهيم الغرياني**)، وهو المصدر الوحيد الذي تفرد بالإشارة إلى **رد الفكون** على رسالة تاج العارفين؛ وإلى الصلات الوطيدة التي تجمع العائلتين، إلى جانب جرد لأسماء بعض الأعلام من أبناء الإيالتين.

02-المصادر الأجنبية: أما المصادر الأجنبية التي تم الاعتماد عليها؛ فأغلبها مصادر فرنسية؛ باستثناء مصدر انجليزي وحيد باللغة الانجليزية لمؤلفه **بروقتون Broughton**[1]، ويمكن عموما حصر أهمها في:

أ-كتب الرحالة ومذكرات الأسرى الأوربيين: التي تعد من المصادر الأجنبية الهامة التي تم اعتمادها في هذا العمل، فقد كانت كتب الرحالة الأوربيين وخاصة الفرنسيين في مجملها توصيفية للوضع العام السائد في بلاد المغارب، فهي من الأدوات الرئيسية التي أسهت في سد الكثير من الثغرات، ونذكر منها:

* مؤلفات الأسير الإسباني الذي بقي في الجزائر العاصمة من 1578 إلى 1581م؛ **هايدو فراي ديقو دو Fray Diego de Haëdo** (ت. بعد 1612م)، ونخص كتابة **تاريخ ملوك الجزائر Histoire des rois D'Alger**، ومؤلفه الآخر الموسوم بـ: **طبوغرافية الجزائر وتاريخها العام" Topographie et histoire générale d'Alger**، الذي يعد بمثابة منجم للمعلومات الجغرافية والتاريخية، والسوسيو اقتصادية، والثقافية والدينية على وجه الخصوص[2]، واللذان أفادانا في رسم صورة عن واقع الحياة السياسية والاجتماعية خاصة ما تعلق بالتعداد السكاني والتراتبية المجتمعية، وإشارات كثيرة تخص الواقع الاجتماعي؛ من ذلك الكوارث والنكبات الطبيعية التي تعرضت لها البلاد، بالإضافة إلى معلومات وأفكار تتعلق بالحياة الثقافية، وأيضا كتاب **الأب بواريه L'Abbé Poiret** الموسوم بـ: **Voyage en Barbarie** الذي ألفه عام 1789م؛ بعد رحيله عن الجزائر التي قدم إليها قبل ذلك عام سنة 1785م، وقد قدم فيه انطباعات مختلفة عن ساكنة البلاد كالعادات والتقاليد و الجوائح التي تعرضت لها وأسلوب التعليم ومعلومات عن بعض القبائل من ذلك قبيلة نهد، وأيضا بعض مشاهد القسوة لبعض الحكام.

* أيضا ما كتبه ترجمان وسكرتير الملك لويس السادس عشر؛ الكاتب الفرنسي **Venture de Paradis**؛ الذي تم تعيينه بالقنصلية الفرنسية بالبلاد التونسية بين 1780و 1786م، وبالجزائر عام 1788م؛ حيث قضى بها مدة عامين، ورغم أن ملاحظاته وآراءه وتقديراته تنبثق بشكل حازم من العقلية الفريدة كمفوض ملكي، وديبلوماسي جاسوس مسخر وراثيا لخدمة دولته[3]؛ إلا أن مذكراته حوت العديد من الأحداث الهامة التي كان فيها شاهد عيان، حيث أفادنا كتابه الموسوم بـ" **تونس والجزائر في القرن الثامن عشر**"،"**Tunis et Alger au 18e siècle....**" في التعرف على

[1]- Broughton (MRS): **Six Years Residence in Algiers,** Second Edition, Saunders and Otley, London, 1939.

[2]- Haëdo : **Topographie et histoire générale d'Alger**, 3e éd, grand- Alger livres édition 2007.

[3]-Venture De Paradis : **Alger Au 18e siècle (1788-1790),** Edition grand –Alger Livres, Alger, 2006.

التركيبة الاجتماعية الحضرية، وواقع المجتمع الريفي، إلى جانب سرد العادات والتقاليد السائدة، وجانب متعلق بواقع الحياة الثقافية كالتعليم والمؤسسات الدينية، كما تضمن بعض الإشارات المرتبطة بعلاقات الإيالتين التي عكستها التبعية التونسية التي جسمتها الضريبة السنوية المدفوعة. واعتمدنا أيضا كتاب **لوجييه دوتاسي Laugier de Tassy** الموسوم بـ:" **Histoire du Royaume d'Alger**" الذي يعبر عن طريقة تفكير النخبة في القرن الثامن عشر، فقد تحدث عن الأحكام والأفكار المسبقة بسبب العرق والدين، ولم يمكث **لوجييه** على ما يبدو كثيرا في مدينة الجزائر أين كان يزاول وظيفة بالقرب من قنصل فرنسا[1].

*- ما دونه الطبيب المارسيلي الرحالة **بايسونال جون أندري Peysonnel** (1694-1759م)، الذي جاء إلى سواحل المغرب في سن الثلاثين عمره؛ في سنوات 1724-1725، في مهمة علمية أراد أن يضفي عليها طابعا رسميا، وحط الرحال بالجزائر التي قضى بالجزائر مدة تزيد عن ثمانية أشهر ونصف،وزار تونس وأقام بها[2]، وأيضا ما دونه عالم الطبيعة **ديفونتين[3] Desfontaines** – الذي كان مثالا صادقا للتفكير البورجوازي الفرنسي نهاية عصر التنوير-وقد ترجمت أعمالهما في عدة دراسات منها " **رحلة في إيالتي الجزائر وتونس" Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger…**، تناول فيها العديد من المواضيع المختلفة وصاحب **حمودة باشا** أثناء خروج المحلة، أورد فيه الكثير من المعلومات المتعلقة بالتوترات السياسية والمواجهات العسكرية، والكثير من الإشارات المرتبطة بالعادات والتقاليد السائدة في الإيالتين، إلى جانب الحديث عن بعض القبائل المتنفذة التي تتمتع بالاستقلالية ولا تدين بالولاء للأنظمة الحاكمة في الإيالتين في الكثير من الأحيان.

* ما كتبه أشهر رحالة أوربي **الانجليزي توماس شاو Thomas Shaw**(1692-1751)، والذي قدم إلى المغرب، وأقام في الجزائر مدة 12 سنة (1720-1732)؛ بصفته قسيسا وملحقا بالممثل الإنجليزي بمدينة الجزائر، وبهذه المناسبة جاب القطر الجزائري، وزار معظم نواحيه (من الجزائر إلى وهران والمدن الساحلية الغربية، والشلف، وشرقا إلى جرجرة، وبونة وحصن الباستيون، أما المناطق التي لم يتمكن من زيارتها ولا سيما الجنوب والصحراء؛ فقد جمع حولها رصيد محترم من المعلومات من المسافرين أو السكان المحليين؛ أو غيرهم ممن أقاموا هناك لفترة طويلة)[4]، فجاءت مذكراته الموسومة بـ " **رحلة في إيالة الجزائر في القرن 18م**"،**Voyage Dans La Régence D'Alger Aux 18eme Siècle** ؛ حافلة بالمعطيات التاريخية والجغرافية حول الجزائر وتونس، فقد تحدث في كتابه عن واقع الحياة الاجتماعية، وحدود الإيالة؛ بما في ذلك بعض التكتلات القبلية ذات الشأن (النمامشة، الحنانشة، نهد...)، إلى جانب معلومات تتعلق بالحياة الثقافية في الإيالة.

---

[1]- إبراهيم حناني: **واقع ومواقف النخبة الأوربية من الحياة في الجزائر والمغرب الكبير في القرنين 17 و18**، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2022، ص 94-95.

[2]- Denise Brahimi : **Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux 17e et 18esiècles**, Société nationale et de Diffusion, Alger, 1978, PP 131, 153.

[3]- **ديفونتين "Desfontaines"**: عالم نباتات قدم إلى بلاد المغارب ما بين 1783 و1786 لدراسة الأعشاب، جلب معه معشبة معتبرة كانت مخزنة في متحف باريس، حيث استغل فترة تواجده في كتابة كتابه الذي حمل عنوان " **Flore des Plantes de L'Atlas**". انظر إبراهيم حناني، **المرجع السابق**، ص 113.

[4]- Denise Brahimi: **Op.cit**, P 139.

* وأيضا كتابات بعض الرحالة؛ منها ما كتبه التاجر البريطاني **توماس ماجيل Thomas Maggill** الذي زار البلاد التونسية عام 1808م، ويحتوي كتابه الذي نشر عام 1811م؛ والموسوم بـ: **رحلة جديدة إلى تونس Nouveau voyage à Tunis**؛ على معلومات هامة ومتنوعة وقد استفدنا منه خاصة من في معرفة الأوضاع العامة بالإيالة التونسية على عهد **حمودة باشا** (1782-1814)؛ من ذلك التعداد السكاني، ونجد أيضا كتاب الطبيب الفرنسي **لويس فرانك Louis Frank** الذي زار البلاد التونسية مرتين مطلع القرن 19م، وبقي بها لبعض الوقت بصفته طبيبا خاصا للباي التونسي[1]، والموسوم بـ: **Histoire et description de la régence de Tunis**، ومن أهم المواضيع التي تناولها وصف مدن تونس والقوى العسكرية بها؛ بما فيها تقديم إحصائيات حول تعداد سكان الإيالة.

* مذكرات الأرستقراطي السويسري الكالفيني؛ **هنري ديتون Henry Dunant** (من مواليد جنيف 08 ماي 1828م) الذي قدم إلى الجزائر في سن الخامسة والعشرين، وزار تونس عام 1856م؛ واكتشف الإسلام، وسحره كل شيء (الطبيعة، العمران، الكرامة والبساطة...)، حيث ألف كتابه الأول الموسوم بـ: **لمحة عن إيالة تونس Notice sur la régence de Tunis**؛ والذي نشر بجنيف عام 1858م، روى فيه ما رآه مستعيدا تلك المشاهد التي عايشها أثناء فترة إقامته[2]، حيث قدم لنا وصفا عاما للحياة بالبلاد التونسية، وقد استفدنا منه خاصة ما تعلق بالتركيبة البشرية، و طرق إحياء الأعياد والمناسبات الدينية بالإيالة.

* ومن المؤلفات التي اعتمدناها **الحوليات**؛ من ذلك كتاب " **حوليات تونسية" les annales Tunisiennes**؛ **لألفونس روسو Alphonse Reausseau**، وقد شغل صاحب هذا الكتاب منصب المترجم الأول للقنصلية العامة الفرنسية بتونس سنة 1854م؛ أرخ للبلاد التونسية من سنة 1535 إلى سنة 1830، وهو مؤلف يتضمن تاريخ البلاد التونسية؛ استفدنا منه في معرفة ماهية الحراك القبلي؛ ومواقف بايات تونس وبايات قسنطينة منه، وبخاصة حراك القبائل الذي حدث على عهد صالح باي قسنطينة وحمودة باشا التونسي.

*كتاب **"تاريخ قسنطينة" Histoire de Constantine** للضابط الفرنسي؛ الترجمان المحلف، فارس جوقة الشرف، عمدة قسنطينة بدايات الاحتلال؛ **أرنست مارسيي Ernest Mercier**، والذي تتبع ورصد فيه أغلب الأحداث السياسية والعسكرية المرتبطة بتاريخ بايات قسنطينة، إلى جانب التنظيمات الإدارية ببايلك الشرق، والذي ألهمنا معرفة الكثير من القضايا المرتبطة خاصة بالحراك القبلي من الجانبين؛ مع لجوء وفرار قبائل من مجالات الإيالة إلى فضاءات الإيالة المجاورة؛ مع ما يستتبعها من تغير في الولاء وطلب للحماية، دون أن نغفل كتابات المترجم **شارل فيرو Charles Féraud** (1829-1888م)؛ الذي يعتبر من أبرز الكتاب الفرنسيين خلال القرن 19م، بدأ حياته كمترجم؛ ثم ضابط فرئيس الجمعية التاريخية الجزائرية عام 1876، كرس حياته للتنقيب في تاريخ إفريقيا الشمالية، ومن نتاجه المعرفي؛ ما كتبه عن تاريخ المدن الجزائرية (بجاية، جيجل، برج بوعريريج، المسلية وبوسعادة، سطيف)، إلى جانب كتاباته المتنوعة في المجلة الإفريقية خاصة ما يتعلق بمواضيع القبيلة في بايلك الشرق، أو الدراسة القيمة التي قدمها حول أحرار الحنانشة.

[1]- Louis Frank et Marcel. J : **Histoire et description de la régence de Tunis**, 2e Edition, Editions Bouslama, Tunis, 1985, P 1-2.
[2]- Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, Société Tunisienne de diffusion, Tunis, 1995.

* إلى جانب بعض المراجع بالفرنسية؛ التي اهتمت بالشق الديني؛ أو ما يمكن تسميته تجاوزا الإسلام الشعبي؛ منها: كتاب **لويس رين (Rinn (Louis** الموسوم بـ: **المرابطون (الصلحاء) والإخوان Marabouts et Khouan**، وأيضا مؤلف **أوكتاف ديبون** و**كوبولاني** تحت عنوان: **الطرق الدينية الإسلامية les confréries religieuses musulmanes**. حيث استفدنا منها في التعريف بالعديد من الطرق الصوفية التي شكلت حلقة الوصل بين الجزائر وتونس؛ إلى جانب استغلال الإحصائيات التي وردت فيها، والمتعلقة في الغالب بعدد الأتباع من الإخوان المرتبطين بكل طريقة.

رابعا–المراجع العربية والفرنسية:

أما بالنسبة للمراجع فهي غزيرة وكثيرة جدا خاصة على مستوى الكتابات العامة والكتابات التقنية وهي ضرورية باعتبارها تيسر للدارس تفسير المفاهيم والمصطلحات ونضع من خلالها الموضوع في إطاره العام، هذا بالإضافة إلى الدراسات والأبحاث ذات المنحى الأنثروبولوجي والسوسيولوجي وحتى المهتمة منها بالديمغرافيا التاريخية...ومنها مؤلفات العديد من الباحثين الجزائريين على غرار كتاب **النظام المالي لإيالة الجزائر، الجزائر في التاريخ العهد العثماني** للأستاذ ناصر الدين سعيدوني؛ الذي أفادنا بخاصة في الشق الاجتماعي للجزائر العثمانية، ومصنفات شيخ المؤرخين الأستاذ أبو القاسم سعد الله؛ منها: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م** الذي يكتسي أهمية بالغة إذ لا سبيل لطرق باب الحياة الثقافية دون العودة إليه....ومؤلفات بعض التونسيين ومنها **الدراسة القيمة للباحثة التونسية؛ فاطمة بن سليمان الموسومة بـ: الأرض والهوية نشأة الدولة الترابية في تونس 1574–1881**، ومؤلف الباحث عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية**، ومؤلف أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، وأيضا مؤلفات الأستاذ لطفي عيسى من ذلك **مغرب المتصوفة؛ ومميزات الذهنية المغاربية**، والدراسة المتميزة التي قام بها الباحث التونسي عبد الكريم الماجري؛ تحت عنوان: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي(1830–1939)**....وهو مرجع تاريخي هام؛ تتبع فيه الباحث الحضور الاجتماعي الجزائري بالبلاد التونسية، وقد استوقفنا فصله التمهيدي خاصة ما تعلقبرصد حراك أبناء الجاليات الجزائرية قبيل الاحتلال الفرنسي للبلاد عام 1830؛ مع تبيان لأهم وأبرز وأهم الجاليات الفاعلة والمؤثرة بالبلاد التونسية. والدراسة القيمة للأستاذ الأزهر الماجري والوسومة بـ: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**؛ الذي استفدنا منه في الوقوف على حراك بعض القبائل التخومية؛ إلى جانب استقرار جاليات من الجانبين شكلت مع مرور الوقت فروعا تابعة لهذه القبيلة أو تلك، كما وردت الحديث عن بعض المؤسسات الدينية من ذلك زاوية أولاد تليل بفريانة التي لعبت دورا كبيرا في تحقيق نوع من التماهي القبلي بين التكتلات التخومية.

ومراجع عديدة ومتنوعة منها؛ الدرسة القيمة الموسومة بـ: **الإسلام الطرقي** للباحثة لطيفة الأخضر، وكتاب محمد البهلي النيال؛ **الحقيقة التاريخية للتصوف**، ومؤلف حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو تحت عنوان: **الطرق الصوفية وروادها بالبلاد التونسية**... وقد أفادتنا في تقديم تراجم عن أقطاب التصوف وأهم الطرق الصوفية بالإيالتين...وكتاب المؤرخ الفرنسي (1923–2012) **جون قانياج Jean Ganiage** في دراسته القيمة الموسومة بـ: **جذور الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية" Les origines du protectorat français en Tunisie**

1861-1881"، والتي كانت في الأصل أطروحة دكتوراه ناقشها سنة 1957م، وصدرت أول مرة في كتاب سنة 1959 بفرنسا، والذي عدنا إليه للوقوف على واقع التجمعات القبلية التخومية بالجنوب الغربي التونسي وحراك البعض منها إلى الفضاءات المجالية الجزائرية.... وكتاب **جمال حقوي Jamel Haggui** الهام الموسوم بـ: **الجزائريون في تونس من 1871 إلى 1962م**..... **Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962**

بالإضافة إلى عشرات من المراجع، كما لا يوفوتنا أن نشير إلى مجموعة من الرسائل والمذكرات منها؛ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الكفاءة في البحث للباحث **العربي الحناشي**، والموسومة بـ: **الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس 1640—1740م**؛ التي اطلعنا من خلالها على طبيعة العلاقات التي جمعت هذه القبيلة التخومية القوية بالبايات المراديين والحسينيين الذين سعوا تبنوا سياسة استهدفت احتواء واستقطاب هذه التكتلات القبلية تحت شعار مخزنة المجتمعات القبلية؛ والتي تندرج في إطار محاولات تحييز المجال إلى جانب كسب سند قوي داعم حفاظا على العرش، ومذكرة ماجستير تحت عنوان: **زواوة بالبلاد التونسية خلال الفترة** للباحثة **نبيهة مصباحي**.

أما المقالات فلا حصر لها في هذا البحث؛ ومن أهمها تلك الدراسات التي تضمنتها بعض المجلات، ومن أهمها المجلة الإفريقية **Revue Africaine**؛ التي أفادتنا بعض أعدادها بمعلومات غزيرة؛ منها الدراسة القيمة التي خصها **شارل فيرو(ch) Féraud** لأحرار الحنانشة، والتي تضمنها المجلة الإفريقية في عددها 18، عام 1874م؛ والموسومة بـ: « **Les Harar seigneurs des Hanencha** » :...والمقال الخاص بالجالية الجزائرية في تونس؛ بمجلة **Ibla** عام 1948م في عددها 42-43؛ لكاتبه **جرمين مارتييه** (**Germine Marty**) والموسوم بـ: " **الجزائريون في تونس**" « **Les Algériens a Tunis** »، والذي خصه للجاليات الجزائرية التي وضعت عصا التسيار بالبلاد التونسية؛ في مختلف جهات الإيالة؛ إلى جانب الكثير من المقالات التي رصدناها في المجلة التاريخية المغربية التي تصدرها مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات، والتي اعتمدناها خاصة ما يتعلق بمسائل المجال وحراك القبائل، والطرق الصوفية من ذلك كتابات علي الشابي حول الحركة الشابية.

وفي العموم فإن المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة؛ ورغم البعض من النقائص وسطحية بعض المعلومات والأفكار التي تضمنتها؛ إلا أنها كانت إجمالا هامة وقيمة؛ فقد ذللت العديد من الصعات وقدمت لنا إجابات عن العديد من الإشكالات والتساؤلات.

الصعوبات:

من الطبيعي أن تواجه الباحث مجموعة من المعيقات والمصاعب، التي تؤثر بصورة أو بأخرى على جودة العمل وقيمته بشكل أو بآخر، فأنا كغيري ممن يطرق باب البحث واجهتني بعض العقبات، من أهمها:

اتساع نطاق البحث وشساعته وتشعبه لطول الفترة المدروسة؛ أمام كثرة الأحداث وطبيعة الفاعلين ...وتشابك الكثير من القضايا ما يزيد في تعقيدها...في ظل التركيز على الأحداث السياسية. مما صعب من عملية ضبط هيكلة وخطة دقيقة للموضوع، وصعوبة الإحاطة بكل محتويات ومضامين الوثائق الكثيرة.... إلى جانب عسر قراءة بعض الوثائق بالأرشيف الوطني الجزائري لعدم وضوحها وقدم الوسائل المستخدمة (خاصة وثائق سجلات البايلك وبيت المال بالأرشيف الوطني الجزائري).

وعلى الرغم من هذه العقبات؛ فقد حاولنا الإلمام بجوانب الموضوع وإعطاء صورة عن حراك الأفراد والجماعات وتنقلات النخب وتجليات الحراك بشقيه الاجتماعي والفكري...ولا شك أن كل عمل يعتريه النقصان ويتخلله الخطأ والزلل، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أجر المجتهد.

مدخل مفاهيمي:

الحراك بين المعاني اللغوية والمفاهيم السيوسيولوجية التاريخية.

أولا–الحراك بين الدلالات اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية.

ثانيا–جذور الحراك في الدراسات السوسيولوجية الغربية.

ثالثا–بين الحراك الاجتماعي والحركات الاجتماعية.

رابعا–من الفكر إلى الحراك الفكري.

يتشكل العالم من مجتمعات؛ تحكمها الكثير من القيم، تعيش في فضاءات مجالية تتفاعل معها باستمرار في ظل تنقل حثيث يتم تحديده بواسطة الحراك؛ أي قياس حراك الأفراد كصفة ملازمة للمجتمعات البشرية المختلفة، حيث لا يخلو مجتمع من تحرك الأفراد وتنقل الجماعات من مكان إلى آخر، ومن مركز اجتماعي إلى موقع آخر عدا المجتمعات المغلقة التي يقل فيها الحراك الاجتماعي إلى أدنى مستوياته، ويرى العلماء أن الكائنات البشرية المنضوية تحت النظام الاجتماعي ليست كائنات جامدة الحركة أو أن حركتها بفعل آلية محددة؛ بل أنها تتميز بالعقل، لذلك فإنها تؤثر سلبا وإيجابا في النظام الاجتماعي حيث أنها قد تتواءم معه أو أنها تحدث تغيرا فيه ليكون متوائما معها، آخذين بعين الاعتبار تأثير العوامل الخارجية[1]؛ ذلك أن الحراك كظاهرة بشرية تعبر عن نبض التجمع السكاني نجده يمثل إحدى المكانيزمات التي تعمل على إعادة التوازن للمجتمعات الإنسانية على وجه المعمورة؛ كنتيجة حتمية للتغيرات الاجتماعية المصاحبة لها، ومن هنا أضحى التعرف على المكان ضرورة هامة للمحافظة على الحياة، ولهذا كانت الكائنات الحية في تنقل مستمر[2]. لذلك كانت حركة الإنسان، وحرية تنقله من مكان إلى آخر إحدى أهم صور تشكيل المجموعات الحضارية والمدنيات منذ القدم، فالتمازج الثقافي والتعايش الاجتماعي بين الأفراد والجماعات الاجتماعية المختلفة عرقا وجنسا ولونا؛ كان بسبب الحراك المستمر للشعوب من مجال إلى آخر عبر حقب زمنية مختلفة[3]؛ فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، والحاجات المادية والنفسية والفكرية والروحية تدعوه إلى التواصل مع غيره والاستعانة به في بعض شؤون حياته، وأشواقه المغروسة تتطلع إلى اكتشاف المجهول ومعرفة الجديد وتطوير الحياة، فلا ينفك يخرج عن إطار حيزه الجغرافي الذي نشأ فيه إلى فضاء أرحب، وحياة أخصب[4].

وعليه قبل الحديث عن الحراك ومظاهره المختلفة بين إيالتي الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية؛ حرّي بنا أن نتوقف أولا عند ماهية مصطلح الحراك وأنواعه؛ باعتباره أحد العناصر المسؤولة عن التغير البشري، والدينامية والحركة السكانية في مجتمع ما؛ على الرغم من صعوبة ضبط المصطلح وإيضاح مدلوله، حيث أن بعض المفاهيم غير قابلة للإيضاح؛ وهو ما يذهب إليه الباحث المغربي **الطيب بوعزة** الذي يقول أن أصعب شيء في تأثيث العقل البشري هي المفاهيم[5]؛ لذلك تبرز مفارقات دلالية مثيرة للانتباه؛ تستوجب الكشف عنها بلحاظ المقارنة سعيا لتحديد دقيق، إذ أن ضبابية المفاهيم واختلاطها هي مشكلة الفكر الإنساني؛ والتي يترتب عنها الضلال عن طريق الحقيقة ومنه انعدام المنهج الفكري[6]، ولأنها في الغالب ذات ارتباط بالحقل الذي تستعمل فيه؛ فالمفاهيم عندما تنتقل من حقل إلى آخر يعقبها بالضرورة تغيير في بنائها الدلالي، وعليه فإن دراسة الحركة البشرية هي في قمة التعقيد؛ لارتباط الظاهرة الإنسانية بالسياسة والاقتصاد

---

[1]- مولود زايد الطيب: **دور الحراك الاجتماعي في الحصول على المكانة الاجتماعية وعلاقته ببنية ونظام المجتمع**، جامعة الزاوية، ليبيا، د.ت، ص 04.

[2]- عيسى علي إبراهيم: **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص 05.

[3]- عبد الحق طرابلسي ومنير دريدي: "**الهجرة ومسائلات الحياة اليومية للإنسان العربي في ظل الظروف الإقليمية والدولية الراهنة**"، أعمال المؤتمر الدولي الموسوم بـ"**ظاهرة الهجرة كأزمة عالمية بين الواقع والتحديات**"، 17-18 اكتوبر 2019، برلين، ألمانيا، 2019، ص 34.

[4]- عبد الملك بومنجل: **حوار الحضارات تعارف وتثاقف**، ط1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2019، ص 74.

[5]- الطيب بوعزة: "**الحداثة نحو مقاربة دلالية سوسيوتاريخية**"، ندوة علمية تحت عنوان: "**الحداثة دلالة ومشروع**"، مؤسسة بلا حدود للدراسات والأبحاث في مدينة الرباط، المغرب، 26-27 اكتوبر 2013.

[6]- عبد الكريم غلاب: **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، ط1، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998، ص 07.

والمجتمع والبنية السكانية والنفسية، بل لأنها ترسم تطورات علاقات البشر بالأرض من حيث الحركة والسكون أيضا[1]؛ فالبشر يميلون إلى الانتقال والهجرة؛ ليس بشكل فردي وانما ضمن جماعات، وقد تؤدي مغادرتهم لمناطق نشأتهم الأصلية في أغلب الأحيان إلى تغييرات كبيرة[2].

إن الهجرة انتقال من مكان واستقرار في مكان آخر، ولا يمكن بحال من الأحوال تصور هجرة أو حراك من دون مكان، لذلك فإن المشترك بينهما هو المكان بالذات، كما أن ارتباط الهجرة بالأمكنة والمواقع يجعل العلاقة بينهما علاقة تفسير واستكشاف، وآية ذلك أن الهجرة تبدأ من مكان وتنتهي بمكان آخر، والعلاقة بين المكانين علاقة إما تعكس تماثلا أو تناقضا بين ظرفية المكانين لأسباب مناخية أو تضاريسية أو اقتصادية أو أمنية أو دينية أو نفسية؛ حسب ما تمليه سياقات حدث الهجرة[3].

أولا_الحراك بين الدلالات اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية.

01–من حيث الدلالة اللغوية:

أجمع أئمة اللغة والمعاجم من النحاة على **فتح حرف الحاء** في كلمة **حراك**؛ ما عدا **الشهاب الخفاجي** الذي انفرد في كتابه"**عناية القاضي وكفاية الراضي**"؛ بقوله « وقد تكسر الحاء في كلمة الحراك»، ولكن **محمد بن الطيب الفاسي** أنكر عليه ذلك في كتابه "**حاشية على قاموس الفيروز آبادي**"، وأيّد **الزبيدي صاحب التاج** شيخه في رأيه؛ فلم يجز كسر الحاء[4]، وفي لسان العرب فإن مصطلح الحراك بفتح الحاء اسم مشتق من فعل ثلاثي: حَرُك، يَحرك، حَركة وحَرّكه فتحرك، وما به حَرَاك أي حركة، ، والحركة ضد السكون[5]، وفي **القاموس المحيط** :حَرَك، حَركا، وحَركة ضد سكن، وحرّكته فتحرك[6] ضد سكنه فسكن، ويقال "حرّك مني الأمر" أي اضطربت له[7]، والحَراك: الحركة، والحَرِكُ الخفيف الذكي[8]، والحركة ضد السكون[9]، والحَرَكي: اسم منسوب إلى الحركة خلاف السكون[10]، والحَراكية قابلية وسهولة الحركة، وتقابلها اللاحراكية التي تعني فقدان القدرة على الحركة؛ وبخاصة الجانب الإرادي منها[11]، والحَركة في العرف العام انتقال الجسم من مكان إلى آخر أو انتقال أجزائه، وقيل هي عبارة عن وجود جسم في مكان عقب كونه في مكان آخر، والحركة عند

---

[1]– خالد محمد دفع الله: "**استجابة البحوث للسياسات: حالة بحوث الهجرة القسرية في السودان**"، مجلة سياسات عربية، العدد 19، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، مارس 2016، ص 35.

[2]– ستيفن كاستلز ومارك ميللر: **عصر الهجرة**، تر: منى الدروبي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2013، ص 45.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش وآخرون: **الهجرات والحركات البشرية ببلاد المغرب وامتداداتها الراهنة**، تق محمد حسن، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2023، ص 85.

[4]– محمد العدناني: **معجم الأخطاء الشائعة**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1985، ص64.

[5]– ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، ت: عبد الله العلايلي، مج1(أ–ر)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص615.

[6]– الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 936.

[7]– فردينان توتل اليسوعي: **المنجد الكبير في اللغة**، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2015، ص 204.

[8]– مجموعة مؤلفين: **المنجد الأبجدي**، ط5، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1986، ص 361.

[9]– صالح العلي الصالح. أمينة الشيخ سليمان الأحمد: **المعجم الصافي في اللغة العربية**، دار الشرق الأوسط، الرياض، السعودية، 1989، ص 118.

[10]– جماعة من المختصين: **معجم النفائس الكبير**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 370.

[11]– انطوان نعمة وآخرون: **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط1، دار الشرق، بيروت، لبنان، 2000م، ص 276.

الصوفية السلوك في سبيل الله[1]؛ مع ما يعقب هذا الحراك الروحي من ترقٍ في الأحوال والمقامات. وعليه فالحَراك في اللغة يعني الحركة[2]؛ التي تعبر عن كل مظهر عام من مظاهر النشاط، وهي بذلك ضد السكون؛ أي أنّ الحراك صفة تقترن بخاصية الدينامية أو الحيوية والحركية، ومنه نجد أن الحراك نزعة ترفض الثبات وترى أن الأشياء في تغير وحركة مستمرة، وهي سمة من سمات المجتمعات المتقدمة المعروفة بحركيتها[3]؛ بل أن الفيلسوف اليوناني **أفلاطون (427-347 ق.م)** كان يؤمن بأن الحركة هي مصدر الوجود والكون؛ والسكون هو مصدر اللاوجود والتغييرات التي أطلق عليها اسم الفساد[4].

إذن فمعاني الحراك تدل على المقدرة على التحرك، والتنقل، وتغيير الأماكن، وعدم الاستقرار أي معاني ودلالات التجاوز المجالي؛ وكل ما يعكس عدم الثبات في موضع واحد، وترتبط أشكال الحراك أو الحركة بالعديد من الأصول العلمية (حركة الكواكب، التشريح، حركة العظام...)، (الحركة الفيزيائية...) أي الرجوع في أصولها إلى البنية الأصلية للمجتمع الثابتة، فحركة المجتمع تؤول إلى التحول الاجتماعي الذي يستدعي التنقل والتحرك[5]، والحركة اليومية الظاهرية للأرض، دورانها حول محورها في مدة 24 ساعة إلا 03 دقائق و56 ثانية تقريبا[6]. والحركة بالمعنى الموسع هي التغير الذي يحصل في العالم؛ فلا يمكن أن توجد في العالم مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة، فالحركة في الكم ترتبط بانتقال الجسم من كمية إلى أخرى كالنمو والذبول، والحركة في الكيف تقترن بانتقال الجسم من كيفية إلى أخرى، أما الحركة في الأين فهي انتقال الجسم من مكان إلى آخر[7]؛ أي أن الحركة المرادفة للحراك التي تفيد الترك والمغادرة تقترن في عمومها بخاصية الانتقال الذي يصحبه التغير في أغلب الأحيان.

وفي المقابل ظهر مصطلح الحراك باللغات الأجنبية كالألمانية والفرنسية والانجليزية في القرن 18م لاستحضار معاني خفة الحركة الذهنية؛ وبالتالي القدرة على التغيير، تبدل الملامح، سهولة الحركة، تنقل الآراء....[8] ثم تطورت معاني المصطلح في المعاجم الأجنبية فأصبحت الكلمة يقابلها **Mobilité بالفرنسية** التي تحمل **طابع الحركة أو التنقل وتغيير المكان**[9]، و**بالانجليزية** نجد كلمة **Mobility** التي تعني **فعل التنقل من مكان إلى آخر**[10]؛ أي **أن الحراك يرتبط في عمومه بصفة التقلب والتغيير وسهولة الحركة**[11]، لذلك نجد أن مصطلح حركات في العرف السائد يحمل دلالات كل ما يصدر عن الإنسان في المجتمع من مظاهر خارجية[12]. وإذا كانت المصطلحات الحديثة في معظمها هجينة على اللغة؛

---

[1]- بطرس البستاني: **محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987، ص 163.

[2]- مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ج1، 1972م، ص 352.

[3]- أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتاب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، 2008، 480.

[4]- رائد راكان الجواري: **دراسات في الفكر الجغرافي**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2013، ص 32.

[5]- مليكة حاكم: **الحراك الاجتماعي والمهني في الجزائر**، قسم علم الاجتماع، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2019-2020، ص 18.

[6]- فردينان توتل اليسوعي: **المنجد الكبير في اللغة**، المرجع السابق، ص 204.

[7]- جلال الدين سعيد: **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب للنشر، تونس، 19947، ص 154.

[8]- Vincent Kaufmann **: « Histoire de la notion de mobilité »,** Forum vies mobile**,** 18 Mars 2012, P 01.

[9] -**Le Nouveaux Petit Robert De La Langue Française**, Paris, 2009, P 1612.

[10]- عبد القادر بوعرفة : "**الحراك الشعبي بالجزائر، الدوافع والعوائق**"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 07، جامعة وهران، 2009، ص 13.

[11] - **Le Petit Larousse Illustre**, Paris, 2012, P695.

[12]- انطوان نعمة وآخرون: **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، المرجع السابق، ص 275.

فإن مفردة "**الحراك**" أصيلة في اللغة، وهي في عمومها مظهر عام من النشاط المنافي للسكون، ولأن العقل الجمعي يقول "في الحركة بركة"؛ يغدو مفهوم الحراك أو الحراكي ايجابيا وليس سلبيا؛ أي أن معنى الحراك بالضرورة مخالفة السكون[1]، وإذ كانت الحركة في اللغة تشير إلى حالة مضادة للسكون والثبات؛ فهي تدل من الناحية الفيزيائية على تغير الواقع في الموقع وتنطوي على تحول في الزمان والمكان، والحركة من المصطلحات الفيزيائية العلمية التي تأخذ معنى الانتقال والتحول، فهي نقلة ضد السكون والثبات الذي يؤول إلى الجمود والسكونية[2].

ويشيع نطق كلمة "حِراك" بكسر الحاء بمعنى الحركة، وهذا خطأ، وصوابه فتح الحاء على الصورة "حَرَاك"، وهذا في مصادر اللغة قديمها وحديثها[3]؛ لذا نقول حَراك، لا حِراك[4]، ونقول أيضا: "أصبح المريض بلا حَراك ولا نقول أصبح المريض بلا حِراك"[5] أي حركة. ويقال جلس الجميع بلا حَراك بفتح الحاء أي بلا حركة[6]. ويصف البعض الغلام الذكي النشيط بقولهم: هذا غلام حِرِك. والصواب: هذا غلام حَرِك[7]؛ أي خفيف رشيق سريع؛ نشيط وفعال عكسه ثقيل الحركة أي خامل غير نشيط، ويقال:" **كثير الحَركة قليل البركة**" مثل يضرب على أنه لا خير ممن يكثر الانتقال من عمل إلى عمل آخر دون الثبات على عمل واحد دائم[8]. وركب حارِكَ البعير، وهو أعلى كاهله، وحَرَكْتُ البعير: أصبت حارِكَه[9]، وحَرَكْتُ بالسيف مَحْرَكَهُ حَرْكًا أي ضربته، ويقال: مُعْنَبط الحارِك مَحْبُوك الكَفَلِ[10]، ومحرك: ما يولد الحركة أو يثيرها أو ينقلها، وتحرك أي قام بحركة؛ وخرج عن سكونه، وتَحَرُّك: انتقال جماعي من مكان إلى آخر[11]، وفي الحديث: " **آمنت بمحرك القلوب أي مقلبها**"، ويقال ظللت اليوم أحرك هذا البعير أي أسيره فلا يكاد يسير[12]. مما تقدم يستشف بما لا يدع مجالا للشك أن الأصل في مصطلح الحراك–الذي يعني الحركة–بفتح الحاء لا بكسرها[13]؛ وهو الأسلم والأصوب عند فقهاء اللغة والنحويين بإجماع، وعليه يصبح الحَراك تعبير يحمل معاني الحركة والديناميكية والحركية، وفي هذا السياق يقول أمير الشعراء **أحمد شوقي**:

مضنيٌ، وليس به حَراك ********* لكن يخف إذ رآك[14].

---

[1]- عمر كلاب، "**في مبنى ومعنى الحراك**"، صحيفة الأنباط، 2019، 15-12-2018، Alanbet News. Net/Post.

[2]– حسين بركاني: "**المقاربة الجينالوجية لبراديغيم الحراك والثورة عند فرديريك نيتشه**"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج 10، العدد 1، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2021، ص 616.

[3]- محمود عبد الرزاق جمعة: **الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية**، ط1، منشورات بتانة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2018، ص 78.

[4]– محمد العدناني: **معجم الأخطاء الشائعة، المرجع السابق**، ص 65.

[5]– شامل الشاهين: **معجم المنتقى من الخطأ والصواب في اللغة العربية**، دار غار حراء، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 85.

[6]– هلا أمون: **معجم تقويم اللغة العربية وتخليصها من الأخطاء الشائعة**، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 67.

[7]–محمد العدناني: **معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1989، ص 150.

[8]– **المنجد الوسيط في العربية المعاصرة**، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 2012، ص 223.

[9]– الزمخشري: **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 184.

[10]– الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 307.

[11]– **المنجد الوسيط في العربية المعاصرة**، ص 224.

[12]– أحمد رضا: **معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة**، مج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1985، ص 71.

[13]– جودة مبروك محمد: **المعجم الوجيز في الأخطاء الشائعة**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005، ص 34.

[14]– خضر أبو العينين: **معجم الأخطاء النحوية واللغوية والصرفية الشائعة**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص 37.

يتراءى لنا على ضوء ما ورد في المعاجم أن أصل الكلمة يعود إلى الجذر العربي، وأن الأسلم والأصوب هو فتح الحاء في كلمة حراك لا كسرها وهو ما أقره جل فقهاء اللغة من النحويين، ومهما يكن من أمر فالسائد أنّ كلمة حِراك بكسر الحاء المتداولة؛ تحمل معاني الحَراك بالفتح لحداثة استخدامها في الدراسات المعاصرة كونها كلمة دخيلة، وهذا خطأ شائع؛ وكما يقال في المثل: (**خطا شائع خير من فصيح مهجور**)، لذلك نجد أنّ مصطلح الحَراك يقترن بخاصية الحركية والانتقال ويحمل معاني الحيوية والدينامية والنشاط المرتبط في اغلب الحالات؛ بتجاوز المجالات الجغرافية؛ وهو المعنى المراد في هذه الدراسة.

02-المعاني الاصطلاحية:

الحراك صفة مرتبطة بالإنسان، ويعني مجموع التنقلات التي يقوم بها الفرد، أو مجموعة من الأفراد في فترة معينة[1] بوصفه في الأساس خاصية للحياة، لاسيما عند الناس الذين يتنقلون استنادا إلى ظروفهم أي منزلتهم الاقتصادية ومكانهم الأصلي[2]، لذلك فالحراك هو التنقل في إطار شبكة اجتماعية لتأدية مهام أو خدمات[3]؛ أي أنه التعبير المجازي لتنقل الأفراد بين الأمكنة، وهو أداة عامة لفهم خصائص الحياة المجتمعية[4]. وهو مصطلح يدل على نشاط وخروج على الرتابة في أي ميدان داخل المجتمع[5]؛ إذ يساهم في انجاز تحليل يموضع الفضاء والزمن أي تأويل العبور من فضاء إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى[6]. إن الحراك في أبسط معانيه كمصطلح عام يقصد به مختلف أشكال الحركة؛ التي تعبر عنها التنقلات والهجرات التي تتم على مستوى نطاقات مجالية[7]؛ أي أنه ظاهرة جغرافية تعني انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى أخرى؛ مع ما يتبع ذلك من تغير مكان الاستقرار الاعتيادي للفرد بصورة دائمة أو مؤقتة[8]،

لذلك يستخدم مصطلح الحراك للدلالة على الحركة المكانية أو التنقلات البشرية؛ وهذا ما يعرف بـ: الحراك الفيزيقي، وعليه يكون الحراك المقصود بالدراسة التنقلية والهجرة والحركية في إطار شبكية مجالية أو نطاق جغرافي؛ باعتباره ظاهرة اجتماعية على قدر من الأهمية ترتبط بتنقلات السكان في قلب التغيير الذي تعيشه المجتمعات، وقد يأخذ شكل هجرات كالحركات المهنية والانتقال بالسكن والحركات الخاصة بالترقية ورحلات العمل والتنقلات المتعلقة بالحياة اليومية، كما أنه متعدد الكيفيات التي يشارك بها الفاعلون طوعا أو كرها في الانخراط في نسق التدفق ذاك، كما يرتبط بمدى اندماج

---

[1]- عبد الحكيم كبيش: **التمدد الحضري والحراك التنقلي في النطاق الحضري لمدينة سطيف**، اطروحة دكتوراه في تهيئة المجال، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر،2010-2011، ص22.

[2]- طوني بينيت وآخرون: **معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، عالم المعرفة، بيروت لبنان، 2010، ص 283.

[3]- كمال فيلالي: **"الحراك والرحاب والواقع الحضري في قسنطينة"**، سلسلة أعمال ملتقيات، مخبر الدرسات والأبحاث والهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 16.

[4]- جون سكوت: **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، تر: محمد عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 170.

[5]- علي سعدي وعبد الزهرة جبير: " **الحراك الشعبي: دراسة نظرية في المفهوم والأسباب**"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج14، العدد 2، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020، ص 518.

[6]- سعيد علوش: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985، ص 66.

[7]-Kamila Tabaka: **vers une nouvelle socio-géographie de la mobilités quotidiennes**, Thèse du Doctorat en Géographie, Université Joseph Fourier- Grenoble, France, 2009, P 21.

[8]- عبد القادر القصير: **الهجرة من الريف إلى المدن دراسة ميدانية اجتماعية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 105.

الفاعل في محيطه ومكانته الاجتماعية[1]، وعليه نجد أن كلمة حراك "**Mobilité**" تعني كل تغير في مكان الحياة أو مستوى الحياة، لأن الحراك الجغرافي غالبا ما يكون متبوعا بحراك مهني، واجتماعي وثقافي، لذلك يتداخل الحراك مع الهجرة مع يصحبها من انتقال بشري في فترة زمنية من نقطة إلى أخرى؛ سواء كان هذا الحراك قسريا أو تلقائيا، مستمرا أو مؤقتا بالنسبة لجماعات واسعة...ستتبع بتغيير مكان الإقامة أي تحرك الفاعلين الاجتماعيين في دائرة المجال مهما كانت مسافة ومدة ذلك التحرك، أي أن الحراك يتضمن دلالة ديموغرافية وجغرافية، ويتماهى مع تعبير الهجرة ليأخذ بعدا سوسيولوجيا يعكسه الانتقال من مجال حياتي إلى آخر[2].

إن الحراك كجزء من الحركة الطبيعية العامة للسكان؛ مفهوم عام يشير إلى الانتقال من مكان إلى آخر، ويشمل أنواع التحركات السكانية أو أنماطها كافة؛ على غرار الهجرات بنوعيها الداخلية من الريف إلى المدن أو على المستوى الخارجي عندما تتجاوز الفضاء الجغرافي المحلي إلى مجال آخر، وقد تكون هذه التحركات أحيانا مؤقتة[3]؛ ذلك أن المجتمعات الحديثة قد عرفت كثيرا من الحركة الجغرافية لأن الناس ينتقلون إلى جهات جديدة بحثا عن فرص العمل؛ ويعرف هذا أيضا بالحراك الجانبي[4]، وهي حركية أفقية جغرافية طبعت النسيج المجتمعي وتجسدت في هجرة المجموعات وتنقلها المستمر في الداخل والخارج على امتداد مجال جغرافي معين، هذه الدينامية الاجتماعية كانت محكومة بمسالك محافظة تتحكم فيها الأعراف والتقاليد [5]؛ على غرار الحراك البشري القائم بين الإيالتين الجزائرية التونسية؛ خلال الفترة الحديثة، لأن العلاقة الاجتماعية الناتجة عن الحراك ترتبط بتصرف جماعات في تتابع متوافق بصورة تبادلية أي توافر الحد الأدنى من الفعل التبادلي على الجانبين[6]، ذلك أن العلاقات الاجتماعية تنشأ من جملة التفاعل القائم من خلال الاتصال بين الأفراد لإشباع الحاجيات التي يسعون إليها، لذلك تعتبر مصدر مهم لسيرورة الحياة الاجتماعية واكتمالها، أي أن الأساس في العلاقات الاجتماعية هو تبادل التأثير والتأثر، ويعد التبادل بهذا المعنى من أسمى مستويات التبادل الاجتماعي وأجلى تمثلات الحراك؛ حيث تتطور العلاقات في مستويات متتابعة[7].

وتتمظهر من خلال مختلف التفاعلات القائمة بين الأفراد والجماعات؛ فالإنسان محكوم بقدر من التواصل بحيث لا يمكن تصور حياة بشرية بدونه، بحكم كينونته الأساسية؛ فلا يستطيع الإنسان إلا أن يتواصل مع مكونات المحيط؛ لكي

---

[1] – حمد الحاج سالم: "**الحراك المجالي والتغير الاجتماعي الثقافي"من خلال السكن في العمارات الجماعية بمدينة تونس"**، بحث مقدم لنيل شهادة الدرسات المعمقة في علم الاجتماع، جامعة تونس الأولى، 1996-1997، ص 224.

[2]– عبد الرحمن المالكي: **الثقافة والمجال–دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب–**، ط1، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس،2015، ص 119، 120، 121.

[3]– رشود بن محمد الخريف: **معجم المصطلحات السكانية والتنموية**، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، السعودية، 2010، ص 86.

[4]– أنتوني غيدنز–فيليب صاتن: **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، تر: محمود الذوادي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2018، ص 182.

[5]– محمد نجيب بوطالب: **القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار–الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي إلى الاندماج الوطني**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002، ص 185.

[6]– ماكس فيبر: **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، تر: صلاح هلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011، ص 56.

[7]– عبد العزيز فكرة: "**العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، جامعة تبسة، الجزائر، 2017، ص 504.

يستمر في الوجود، ولربما كانت نهاية التواصل تمثل نهاية حياة الإنسان بالذات[1]، ذلك أن التواصل علاقة تفاعلية تنتج عنها تقطيعات وتنظيمات وحدود...ولا يكون دائما تبادلا هادئا؛ فالحركة هي عملية فكرية فعالة، إذ يمكن أن تعمل الحركة على مستوى الرغبة العامة للتحرك قدما من فكرة إلى أخرى جديدة[2]. لذلك تظهر تجليات الحراك في كل أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ففي ظله يكون: الأخذ والعطاء، التأثير والاندماج، الاختلاط، الثراء الديمغرافي، والتعدد الثقافي [3]، وهذا يتواءم وطبيعة النفس البشرية المجبولة على ذلك، فالحراك النفسي للإنسان يعكس نوعا من التوحد العاطفي مع المظاهر الجديدة في البيئة التي يعيش فيها أو بعبارة أخرى القدرة على التوافق والتكيف مع المتغيرات الجديدة في البيئة والتعاطف معها[4]؛ نتيجة الحوافز الاجتماعية والسياسية التي يوفرها المحيط الجديد، والتي تعطي بدورها أهمية للموقع الجديد باعتباره مركز جذب.

انطلاقا مما تقدم يتراءى لنا أن مفهوم الحراك يختلف حسب التخصصات التي تناولت هذا المصطلح لوصف جوانب مختلفة من حياة الإنسان في المجتمع؛ فعلى سبيل المثال يفهم الحراك جوهريا عند الجغرافيين على أنه حركة في الفضاء المجالي، وهناك من يربطه ضمنيا بالحركة المادية والفكرية للأشخاص بين مختلف المواقع الجغرافية، أما بالنسبة لعلم الاجتماع؛ فإن الحراك هو فوق كل شيء اجتماعي بالكامل يعبر عن تغيير الفرد للمواقع في الفضاء الاجتماعي، ومن الممكن ربطه بالحراك المكاني أي تغيير الموقع الجغرافي، لذلك أصبح الحراك –باعتباره سلسلة متصلة من الحركات– حقيقة اجتماعية كاملة تعكسها التنقلات المكانية التي يصاحبها في العادة تمزق للروابط الاجتماعية الأولى؛ أي أنه لم يعد حركة فحسب بل أضحى ظاهرة اجتماعية كاملة تصف إلى جانب ذلك الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والرمزية؛ كتوصيف لسياقات معينة يتنقل فيها الأفراد، وهذا الاستخدام الموسع للمصطلح هو مصدر للتفاهم بين الباحثين في شتى التخصصات ومختلف المجالات؛ إذ بالنسبة للبعض من الضرورة بمكان تضمين البعد المكاني في حين يرى البعض الآخر أن الحراك يصبح مجازيا إن لم يصاحبه التغيير[5]، حيث أضحى الحراك التاريخي لا زاوية واحدة له؛ فهو ليس سلبا كله وليس إيجابا كله، فقدرة أي أمة تبرز في تجددها وإعادة إنتاج شروط الفاعلية فيها [6]، لذلك ما يجب إدراكه أن للحراك إفرازات أخلاقية وسلوكية أكثر أهمية وشمولا وأثرا، منها ذلك الاستعداد الفطري الكبير للاختلاط والتواصل؛ فالحراك في جوهره ليس سوى حال من التنقلات المستمرة الداخلية والخارجية[7]، وهو ما يذهب إليه "**بارك**" الذي يربط في مختلف دراساته

---

[1]– بناصر البعزاتي: **التواصل المفاهيم والقنوات**، من كتاب: **المفاهيم وأشكال التواصل**، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2021، ص 11.

[2]– عيسى سعد العوفي وعبد الرحمن علوي الجميدي: **القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير**، ط1، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 137.

[3]– كمال فيلالي: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط1، ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2016، ص 221.

[4]– سمير سعيد حجازي: **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، ط1، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 2007، ص 143.

[5]-Nathalie Ortar et autres: **Migrations, Circulations, Mobilités**, Presses Universitaires de Provence Aix- Marseille Université, France, 2018, PP 16, 17, 18.

[6]– جاسم سلطان: **التراث وإشكالياته الكبرى (نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية)**، ط2، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016، ص 20.

[7]– محمد سعيد: **أنبياء البدو_الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع العربي قبل الإسلام**، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2018، ص 38.

بين التغير الاجتماعي وقدرة الإنسان على التحرك و تغيير مكان تواجده وإقامته، ذلك أن مفهوم الحراك يتناقض مع الانكماش والعزلة، بالإضافة إلى كونه يساعد الفرد على التفتح، واكتشاف عوالم جديدة واكتساب خبرات جديدة، لذلك من المقبول اليوم تماما أن ما نعتبره عادة نقص ذكاء عند بعض الأفراد أو الأجناس أو المجموعات يأتي في الغالب نتيجة العزلة؛ هذا في الوقت الذي نجد فيه حراك سكان ما هو قطعا عامل حاسم في نموهم الفكري، ولهذا فالحراك لا يقاس فقط بالمسافة أو عدد التنقلات ولكن أيضا وأساسا " بعدد المثيرات التي يستجيب لها الفرد أو الأفراد المتنقلون"، وبهذا المعنى يصبح الحراك أوسع من الهجرة، فإذا كانت الهجرة تعني وتشير أساسا إلى الانتقال في المجال، فإن الحراك يعني بالإضافة لذلك تغيرا على مستوى الإدراك والتربية؛ إنه بهذا المعنى تغير مجالي متبوع ومحايث لتغير ذهني وفكري أيضا، قد يتم في إطار تنظيم اجتماعي سوي، أو في إطار تنظيم اجتماعي متفكك أو سيء[1]. لذلك نجد أن الهجرة تتماهى والحراك كشكل من أشكال التنقل البشري؛ باعتبارها:" **حراك جغرافي وسوسيولوجي تحركه دوافع وأسباب وينخرط في ثنائية الجذب والطرد التي تناولتها أدبيات علم اجتماع الهجرة والنظريات الكلاسيكية المفسرة للهجرة**[2]". ومن هنا يصبح الحراك نمط يرتكز بالأساس على الحركية الهادفة إلى تحقيق عبور المجال الجغرافي المنطوي على التغير الاجتماعي، ويتجلى أثر هذا الحراك – من التنقل كنمط حياة إلى الحركية كتدبير استرتيجي سوسيو مجالي–على ملامح الحياة سواء الثقافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو المجالية[3]. وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الاختلاف في تحديد ماهية الحراك؛ يعزى إلى تداوله في حقول معرفية مختلفة، ذلك أن التمايز في الحقول المعرفية قد يؤدي في الكثير من الأحيان إلى التباين في ضبط المفاهيم الدلالية للمصطلح.

ثانيا: جذور الحراك في الدراسات السوسيولوجية الغربية:

ظهرت كلمة الحراك لأول مرة في القرن 16م، لوصف تجمعات وفئات السكان التي قدر لها أن تكون خطيرة، واختصر المصطلح اللاتيني (**Mobil Vulgus**) في أواخر القرن17م بصيغة "**Mob**"؛ التي تساوي الغوغاء أي الحشد الفوضوي؛ أو الكثرة المتقلبة التي يشكل امتعاضها وسخطها تهديدا على أرستقراطية الاكليروس أو الدولة، وتحولت كلمة "**Vulgus**" بمعنى المشترك إلى كلمة "**Vulgar**" أي شعبي مبتذل، وتبلورت كلمة "**Mobil**" في النهاية لوصف القدرة على الحركة أو التغيير، ومن هنا جاء النعت الوصفي متحرك "**Mobile**" أو قابل للتحريك "**Movable**"، والحراك "**Mobilité**"؛ وهو مصطلح كان يصف آراء الحشود، وبعد ذلك سلوك الأفراد، وأخيرا خواص الأشياء، فقد كان الناس الموصوفون بألفاظ الحركة والحراك؛ عرضة لإثارة المخاوف الأخلاقية خلال الأزمنة الحديثة [4].

وفي المقابل تعد دراسة الحراك الاجتماعي قضية ذات جذور سوسيولوجية وطيدة؛ ترجع إلى كتابات كل من **كارل ماركس** و**جون ستيوارت ميل**؛ في منتصف القرن 19م، وإلى الإسهامات الأساسية لكل من **فالفريدو باريتو** الذي طور

---

[1]– عبد الرحمن المالكي: **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016م، ص 136-137.

[2]– مقداد إسعاد: **الجالية ومفهوم الإقليم_الجالية التونسية بالجزائر**، جريدة نيوز الصباح، تونس، 10 سبتمبر 2022، ص 03.

[3]– محمد بوالنعناع وآخرون: **ديناميات التحول الاجتماعي بالأقاليم الجنوبية للمغرب_أبحاث ودراسات_**، ط1، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، 2019، 78.

[4]– طوني بينيت وآخرون: **المرجع السابق**، ص 283-284.

"**نظرية صفوة الصفوات**"، و**بيتريم سوروكين** في بدايات القرن 20م الذي كتب مؤلفه "**الحراك الاجتماعي**" عام 1927م؛ حيث كان مهتما على وجه الخصوص بدور النظم التعليمية في توزيع الناس على المواضيع المهنية المختلفة [1]، حيث دخل مصطلح الحراك ميدان العلوم الاجتماعية عام 1920 مع أعمال **سوروكين** و**أعمال مدرسة شيكاغو**؛ التي ربطته بالجانب المكاني، حيث تم تحديد الحراك من حيث التغيير وعبور المجال أو الفضاء[2]، وبعد الحرب العالمية الثانية توسع حقل الحراك الاجتماعي، وتكاثرت الدرسات حوله مع **غلاس Glass** في انجلترا، **كارلسون Carlsson** في السويد، **ليبست Lipset** و**بنديكس Bendix**، **كاهل Kohl**، ثم **بلو Blau** و**دونكان Duncan** في الولايات المتحدة الأمريكية، و**داربل Darbel** في فرنسا[3]، وهو ما جعل حقل الحركية الاجتماعية أحد الحقول الأكثر اتساعا في علم الاجتماع، فلم يترك ملاحظات عديدة وحسب، وإنما كذلك تأمل نظري ومنهجي متواصل [4].

ثالثا: بين الحراك الاجتماعي والحركات الاجتماعية:

01–مفهوم الحراك الاجتماعي:

تتعدد مفاهيم الحراك الاجتماعي، إلاّ أنّ أشهرها مفهوم **بيتريم سوروكين** الذي كان يرى أنه انتقال الفرد أو الجماعة من طبقة أو مستوى اجتماعي اقتصادي معين إلى طبقة أخرى أو مستوى اجتماعي اقتصادي آخر، بحيث يرتبط في هذا الانتقال تغير في مستوى وظيفة ودخل الفرد، وقد يكون هذا الانتقال إلى أعلى أو إلى أسفل [5] في نطاق تنظيم هرمي أو متدرج صعودا أو هبوطا[6]؛ أي أنه تغيير في المواقع الاجتماعية المهنية للفرد أو الجماعة، أي الانتقال إلى وضعية مميزة مصاحبة لهذا التغيير[7]؛ أي أن الحراك الاجتماعي يعني انتقال الأفراد والجماعات من مواقعها الأصلية إلى مواقع جديدة[8]؛ بمعنى الحركة بين مواقع اجتماعية واقتصادية مختلفة[9]. إن الحراك بهذا المعنى يشير إلى تغيير في الموقع الطبقي للفرد مقارنة بانتمائه الطبقي الأصلي، ويمكن أن يحدث ذلك نحو الأفضل أو نحو الأسوأ[10]، لذلك نجد أن تعبير الحركية الاجتماعية يشير إلى حركات الأفراد أو الوحدات العائلية داخل نظام الطبقات الاجتماعية[11]، ومنه نجد أن الحراك الاجتماعي في عمومه يقصد به تحرك الأفراد والجماعات من مركز اجتماعي إلى مركز آخر[12]، وقد جاء في **موسوعة علم الاجتماع** بأنه

---

[1]- جوردون مارشال: **موسوعة علم الاجتماع**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مج2، ط2، 2007، ص 523-524.

[2]- Vincent Kaufmann **: Op.cit, P** 02.

[3]– خليل أحمد خليل: **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984، ص 93.

[4]– ر. بودون وف. بوريلو: **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، تر: سليم حداد، ط1، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986، 278.

[5]– محمود شوقي عبد الرحمن: "**الحراك الاجتماعي**"، أنترنت، موقع الأولوكة، بتاريخ :2008/06/24، ص 01.

[6]– سميح غانم: **موسوعة مصطلحات علم الاجتماع**، مفاهيم–اتجاهات ومدارس–أعلام، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت، 2014، ص 664.

[7] - **Le Petit Larousse Illustre**, Paris, 2012, P695.

[8]- Frédéric Lebaron : **La Sociologie**, Dunond, Paris, France, 2009, P 80.

[9]– أنتوني غيدنز–فيليب صاتن: **المرجع السابق**، ص 182.

[10]– محمد انقزو: **معجم المفاهيم والمصطلحات في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط1، رسلان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2015، ص 254.

[11]– ر. بودون وف. بوريلو: **المرجع السابق**، ص 277.

[12]– غريب عبد السميع غريب: **علم الاجتماع مفهومات–موضوعات–دراسات**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2009، ص 49.

« **عملية انتقال الأفراد عادة، وفي بعض الأحيان جماعات بأكملها بين مواقع مختلفة، في إطار نسق للتدرج الاجتماعي في أي مجتمع**»[1]؛ أي أنه تغيير في الموقع الطبقي للفرد مقارنة بانتمائه الطبقي الأصلي، ويمكن أن يحدث ذلك نحو الأفضل أو نحو الأسوأ[2]، فهو يعني في عمومه الحركة التي تحدث في داخل المجتمع، بمعنى تغير في الوضع الاجتماعي بالنسبة للفرد أو الجماعة، فالحراك الاجتماعي عملية اجتماعية يتم الانتقال في ظلها من وضع اجتماعي معين إلى وضع آخر[3]، ومع ذلك أخفقت الدراسات السوسيولوجية التي قارنت معدلات الحراك في أنماط مختلفة من المجتمعات، في الكشف عن الفروق والتمايزات في أنماط الحراك في تلك المجتمعات، ولم يلق مفهوم الحراك الاجتماعي اهتماما كبيرا في الدراسات الأنثروبولوجية للمجتمعات المحلية التي تتسم بوجود فروق داخلية قليلة في المكانة بين أعضاء هذه المجتمعات[4] .

وعليه يتضح أن الحراك الاجتماعي يأخذ معاني الانتقال من ما بين أجزاء المجتمع الجغرافي والانتقال الرأسي على السلم الاجتماعي ما بين الوظائف والشرائح الاجتماعية دون وجود جدران أو أسقف مانعة، وهو الدرجة التي تحدد في أي مجتمع (الفرد– العائلة) تغير مسار حياتهم من خلال نظام التسلسل الهرمي الاجتماعي أو الطبقي[5]، وهي ظاهرة تدل عن تغيير في الموقع الاجتماعي مع ما يترتب على ذلك من تغيير في الدور والحالة الطبقية، وأن يؤدي الانتقال من فئة إلى فئة إلى إحداث تواصل بين مختلف المراتب والفئات[6]، **لذا نجد مصطلح الحراك الاجتماعي يأخذ معنى انتقال الفرد أو الجماعة من وضعية اقتصادية، اجتماعية، فكرية في فضاء جغرافي، إلى وضعية أخرى تكون إلى أعلى أو إلى أسفل أي ملازمة لهبوط أو مقرونة بصعود في الموقع (المنزلة)، وقد ترتبط أحيانا بمجال ترابي آخر يعكسه هذا الحراك**، وعندما تتم الحركية الاجتماعية بسهولة وسلاسة بين المراتب الدنيا والمواقع العليا نقول بوجود "**جاذبية شعرية**" اجتماعية، أو بكلام آخر نقول **إن هناك جاذبية داخل قنوات التواصل الاجتماعي الهرمي تسهل عملية الانتقال من مستوى إلى آخر**، ومن شروط سهولة الحركية الاجتماعية انفتاح الطبقات الاجتماعية؛ والقبول بوجود قنوات التواصل فيما بينها التي تتيح للمنافسة حريتها الكاملة[7]، وينبغي أن نشير أن هناك تماهي بين الحركية الاجتماعية والحركية الجغرافية التي تعكسها التنقلات، وتتحدد طبيعة الحراك الاجتماعي ومداه في أي مجتمع عن طريق الأيديولوجية السائدة، كما تتحدد عن طريق كيفية وإمكانية شغل مكانة اجتماعية معينة في وقت ما، ويتحدد ثالثا عن طريق مدى تغيير بناء المكانة مع الزمن[8].

---

[1]- جوردن مارشال: **المرجع السابق**، ص 523.

[2]– محمد أنقزو: **المرجع السابق**، ص 254.

[3] – ميشان مان: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، تر: عادل مختار الهواري–سعد عبد العزيز مصلوح، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994، ص 206.

[4]– شارلوت سيمور–سميث: **موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، تر: علياء شكري وآخرون، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2009، ص 264.

[5]– معلوي بن عبد الله الشهراني، **أثر الحراك المعرفي على الأمن الفكري**، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ص 21.

[6]– بودون وف. بوريلو: **المرجع السابق**، ص 159.

[7]– سامي ذبيان وآخرون: **قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية**، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1990، ص 205.

[8] - ميشان مان: **المرجع السابق، ص 207**.

أما الحراك الاجتماعي الذي ننشده فهو الذي لا يمس الوضعية التراتبية للأفراد داخل النسق الاجتماعي؛ بل الحراك الاجتماعي الذي يرتبط بتغير الموقع الجغرافي الذي نشأ فيه الفرد، ومنه ينشأ التمييز بين حراك عمودي يهم التراتب، وآخر أفقي يهم الحركات الهجروية أساسا [1]**؛ أي الحراك الاجتماعي الأفقي الذي يترتب عنه تغير في المكان أو البيئة أو الموقع**[2]، وهو الذي يطلق عليه " **الحراك الفيزيقي أو الحراك المناطقي**"، وهو ما قد يحدث دون حراك اجتماعي (من ذلك الهجرة والانتقال ...)، أو قد يحدث حراك مناطقي يصاحب الحراك الاجتماعي (الانتقال لسكن مواقع متميزة لها دلالة رمزية للمكانة الاجتماعية)[3]، **وهو حراك مكاني يرتبط بالحركة أو المقدرة على التحرك، ويشير إلى انتقال الأشخاص أو الجماعات من موقع فيزيقي إلى آخر، ويستخدم في الغالب للإشارة إلى تغيير مكان الإقامة، ويعني في العلوم الاجتماعية الحركة خلال مسافة فيزيقية ويطلق عليه في هذا السياق التنقل الجغرافي أو الفيزيقي**[4]**؛ أي الحركية الجغرافية المرتبطة بالهجرات أو التنقلات البشرية للجماعات والأفراد على السواء** [5] التي ترتبط في الغالب بتغيرات اجتماعية مصاحبة؛ أي الحراك الاجتماعي الذي يعتبر من قبيل تغيير المركز الاجتماعي والاقتصادي.

إن الحراك الاجتماعي أضحى ظاهرة سوسيو-مجالية تشمل مختلف التنقلات التي تتم على مستوى المجالات الجغرافية مع ما يصحبها من تحول وتكيف مع الوضع الجديد؛ أي ما يرافقها من تغيرات في الأدوار، المواقف، العلاقات...والتأثيرات المتبادلة، وهذا ما دفع بعض الباحثين على غرار **جون إيري John Urry** إلى اعتبار الحراك ظاهرة اجتماعية ومكانية، ولكنها تشمل الأشياء، التواصل والأفكار...ومختلف أشكال الحركية التي تعكسها العلاقات الاجتماعية، ولربما هذا ما دفع الباحث **تيم كريسويل Tim Kresswell إلى القول:" إن المجتمع هو منطقة غير محددة وغير واضحة المعالم"**[6]، والنوع الأخير أي الحراك الأفقي أو المناطقي هو المقصود والمنشود في هذه الدراسة. ومن هذا المنطلق نجد أن الحراك الاجتماعي باعتباره عملية تغير فيزيقي في مكان الإقامة المعتاد؛ تغير جذري في حياة المهاجر ينطوي على عملية تنقل اجتماعي، لأن المهاجر قد يحقق في أثناء إقامته في المنطقة المتنقل إليها؛ مستوى من الحياة الاجتماعية، ويصل أحيانا إلى بعض المراكز؛ ويتمتع بمكانة اجتماعية واقتصادية؛ لم تكن له في المنطقة المهاجر منها، وقد يتجمع المهاجرون من البلد الواحد في ظل هذا الحراك في بلد الهجرة، فيؤلفون ما يدعى بالجالية في الوطن الجديد؛ والتي تتجه إلى التعايش بالانصهار والاندماج المجتمعي، وقد يوثر بعض أفرادها أحيانا التفرقة العنصرية أي الانعزال محافظين على عاداتهم ونظمهم كحواجز فاصلة بينها وبين الآخر[7]. وقد حاولت العديد من الدراسات -في هذا

---

[1]- محمد سبيلا-نوح الهرموزي: **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفية**، ط1، المركز العلمي للأبحاث والدراسات الإنسانية، الرباط، المغرب، 2017، ص 196.

[2]- غريب عبد السميع غريب: **المرجع السابق**، ص 49

[3]- أماني قنديل: **الحراك الاجتماعي في مصر "محاولة للفهم"**، تق محمد أمين إبراهيم، مصر، 2019، ص ص 25، 26.

[4]- مصلح الصالح: **الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط1، دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1999، ص 342

[5]- سامي ذبيان وآخرون: **المرجع السابق**، ص 205.

[6]- Vincent Kaufmann **: Op.cit,** PP 6, 7, 8.

[7]- عبد القادر القصير: **المرجع السابق**، ص 109.

السياق– التي ارتبطت بالبيئات الغربية أن تظهر أن معظم حركات التنقل الجغرافي نحو التلال والسهول في بداياته؛ كانت صنيعة المناطق الجبلية، إذ كتب المؤرخ **فرنان بروديل** في معرض حديثه عن التنقل من الجبال في منطقة البحر المتوسط في عهد **فيليب الثاني:" الجبل مصنع رجال قيد استخدام الآخرين، مصنع غذى تاريخ المتوسط كله، وربما قام هو نفسه بصناعة هذا التاريخ...وما تقدم يحملنا على الاعتقاد في أن السكن بدأ جبليا قبل انتقاله إلى السهول...إذ كان مشهد الانتقال المنظم للقطعان والبشر...على امتداد القرون علامة أساسية في حياة المجتمعات المتوسطية"**[1]؛ نظرا إلى فقر المناطق الجبلية والحاجة الفعلية المرتبطة بالبيئة؛ والكثافة السكانية للمناطق الجبلية[2].

وأيا كانت دلالة وطبيعة الحراك الجماعوي غير المتمايز للحشود الكبيرة– من المجموعات السلالية إلى موانئ الهجرة من مواطن مختلفة– فإنه لم يكن تعني في الغالب الإقامة الدائمة والتأقلم الحضاري[3]، وقد يصاحب الحراك الديمغرافي الذي يعبر عن عملية الانتقال المجالي للأفراد والجماعات إلى الفضاء الجديد أي مكان الإقامة؛ بعض السمات التي قد تتفرد بها البيئة الجديدة كميزات ترتبط بالطبقة الاجتماعية ولغة الاستخدام، والدين، والعرف؛ وعليه تتشكل في النهاية أنواع للحراك على شاكلة: الحراك الاجتماعي، الحراك اللغوي، الحراك الديني والعرقي[4]، وتعكس معظم الحركات السكانية رغبة الإنسان في مغادرة منطقة ما تصعب معيشته بها إلى منطقة أخرى؛ يعتقد في إمكانه العيش بها بصورة أفضل وأحسن، وليس ذلك قاصرا على الهجرات الدولية فحسب؛ بل في الحراك المحلي كذلك؛ كانتقال سكان الريف للعيش في المدن...وعليه فإن دوافع الحراك قد تكون واحدة في الغالب والعامل المشترك الأعظم بينها هو عدم الرضا على البيئة الأصلية للمهاجرين؛ مما يحفزهم على الانتقال نحو بيئة أكثر ملائمة [5]، ومنه نجد أن الحراك الاجتماعي لا يعني بالضرورة أن يكون عموديا؛ ولكنه يشير أحيانا إلى حركات عديدة قد تأخذ شكل التنقلات، أو انتقال المعارف ...وما إلى ذلك[6]. ومنه يتضح أن الحراك الاجتماعي يرتبط بالدرجة التي تتيح للفئات المجتمعية تغيير فضائها المجالي مع يستتبعه من تحولات في المكانة أي المواقع الاجتماعية؛ المرتبطة في الغالب بالمستويات الاقتصادية؛ مع ما يترتب عن ذلك من تحولات في المنظومة القيمية الفكرية.

02-الحركات الاجتماعية:

يشير المعنى العام لكلمة **Mouvement** إلى سلسلة الأفعال والجهود التي يقوم بها عدد من الأشخاص بغية تحقيق هدف معين، غير أن الاستعمال الفعلي الكلمة يحيل إلى معاني عديدة تبعا للاهتمامات والتوجهات، فالمؤرخون يستخدمون المصطلح للإشارة إلى اتجاه أو ميل أو تحول تاريخي، لذلك نجد استخدام تعبير الحركة التاريخية للدلالة على

[1]– فرنان بروديل: **المتوسط والعالم المتوسطي**، المرجع السابق، ص ص 28،27-31.

[2]– باولا كوتي: **تاريخ الهجرات الدولية**، تر: عدنان علي، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 23.

[3]– هربرت موللر: **التحركات السكانية في تاريخ أوروبا الحديث**، تر: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971، ص 142.

[4]-Rejean Lachapelle: **«Définition et analyse des mobilités démographiques»**, Colloque de liège: « Démographie et destin des sous-populations », A I D E L F, France, 1981. P 238.

[5]– فتحي محمد أبوعيانة: **دراسات في الجغرافيا البشرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 143.

[6]- Howard Becker et autres **: La sociologie-Histoire, Idées, Courants**, Science humaine Editions, France, 2009, P 172.

اتجاهات أو تيارات بعيدة المدى[1]، ويستخدم **عالم الاجتماع** المصطلح للدلالة على تلك الجهود المنظمة التي يبذلها مجموعة من المواطنين بهدف تغيير الأوضاع أو السياسات أو الهياكل القائمة؛ لتكون أكثر اقترابا من القيم الفلسفية العليا التي تؤمن بها الحركة، ولا يبدو أن هناك تعريفا محددا جامعا لمفهوم الحركات الاجتماعية مهما تنوعت أو تعددت التعاريف، ويضيف آخر؛ أن التعبير يشير إلى سلوك جمعي له فرادة تميزه، وله بناء وتنظيم وقيادة، ويهدف إلى تغيير الأوضاع القائمة، أو تغيير بعض جوانبها الأساسية على الأقل [2]، وهناك من يشير أن الحركة الاجتماعية مجموعة من الأفكار لها هدف مسطر؛ أي أنها تتحدد بأشخاص وأفكار وأهداف معينة، وفي هذا الاتجاه تعتبر الحركة مجموعة من الأفكار، أي أنها تيار فكري لذلك ذهب بعض المفكرين في تعريفهم بالقول أنها " **الجهد الرامي إلى تغيير طابع العلاقات الاجتماعية المستقرة في مجتمع معين**"[3].

إن الحركة الاجتماعية التاريخية في عمومها؛ جملة مكونة من الفاعلين ومن رهان صراعاتهم؛ أي أنها تصرف ينظمه الفاعلون الاجتماعيون من أجل التوجيه الاجتماعي للتاريخية[4]، فالحركة الاجتماعية بتعريف **قواميس علم الاجتماع**:" **منشأة جمعية تهدف إلى إقامة ترتيب جديد للحياة**"[5]، ومن بين الإسهامات العديدة التي قدمها **تشالز تلي** للباحثين في هذا المجال لدراسة الحركات الاجتماعية؛ هذاالتعريف الأكثر شيوعا، والذي يعرف فيه الحركات الاجتماعية على أنها:" **سلسلة مستدامة من التفاعلات بين أصحاب السلطة وأشخاص يضطلعون بالتحدث نيابة عن قاعدة شعبية تفتقد إلى تمثيل رسمي، وذلك في مجرى إذاعة هؤلاء الأشخاص لمطالب واضحة لإجراء تغيير في توزيع أو ممارسة السلطة وتدعيم هذه المطالب بمظاهرات عامة من التأييد**"[6]، كما يشير مصطلح الحركة الاجتماعية إلى" **الجهد الملموس والمستمر الذي تبذله جماعة بشرية معينة من أجل الوصول إلى هدف أو مجموعة أهداف مشتركة، ويتجه هذا الجهد نحو تعديل أو تغير أو تدعيم موقف اجتماعي قائم**"[7].

وقد أدخل مفهوم الحركة الاجتماعية الفيلسوف والحقوقي الألماني " **لورنز فون ستين**" أثناء نشره الطبعة الثالثة من أحد كتبه عام 1850، وهو كتاب استوحى مضامينه من الحركة الإصلاحية وخصصه لدراسة العقائد، ونظريات التفكير والحركات الاشتراكية و الشيوعية في فرنسا، ولحركات الثورة الفرنسية في العقد الذي أعقب إعادة تأسيس الملكية في شهر تموز/يوليو عام 1814، بينما يعطي **كارل ماركس** و**فريديريك انجلز** الأولوية للشروحات المتعلقة بالصراعات المادية والجدلية، وبينما هم يجعلون بالتالي من البروليتاريا–الطبقة الكادحة– ضامنا لمعنى التاريخ؛ نجد مفكرون آخرون على غرار **هيربرت برومر** فضلوا التحدث منذ بداية الخمسينات عن " **منشأة جماعية للاحتجاج والمعارضة، تهدف إلى فرض**

---

[1]– عبد الله محسن: **علم الاجتماع الاتجاهات النظرية وأساليب البحث**، تق وتر عبد الله شلبي، دار الشمس للطباعة، القاهرة، مصر، 2008، ص 129.

[2]– عدنان مصلح: **معجم علم الاجتماع**، ط1، دار أسامة–دار المشرق الثقافي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 224.

[3]– صحراوي بن حليمة: **الحركات السياسية–الدينية في الجزائر بين القطيعة والاستمرارية**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران، 2010–2011، ص 36.

[4]- عادل بلكحلة: **الحركة الاجتماعية في المجتمع المحلي**، ط1، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، 2016، ص 15.

[5]- Boudon(R) Et Autre, **Dictionnaire de sociologie**, Larousse, Paris, France, 2012, P 159.

[6]- تشالز تلي: **الحركات الاجتماعية 1768–2004**، تر وتق: ربيع وهبة، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ص 15.

[7]– محمد غيث عاطف: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، 394.

بعض التغيرات التي تكسب أهمية بارزة فى البنى الاجتماعية والسياسية، وذلك بلجوء غير حصري بل متكرر إلى وسائل لا مؤسسية"[1].

03-أنماط الحراك الاجتماعي (من منظور سوسيولوجي): يمكن تقسيم الحراك الاجتماعي إلى أنواع:

أ- **من حيث الاتجاه:** حيث ينقسم بدوره إلى نوعين:

*** الحراك الاجتماعي الأفقي:**

يشير إلى حركة الفرد أو انتقاله من وضع أو مركز اجتماعي معين، إلى وضع أو مركز اجتماعي آخر في نفس المستوى، دون أن يصاحبه تغيير يذكر في ظروفه الاقتصاديةوالاجتماعية؛ مثل " **انتقال مدرس من مدينة إلى أخرى في حدود الإدارة التعليمية التي يعمل بها** "؛ بمعنى تحرك الأفراد والجماعات من مركز اجتماعي إلى آخر في نفس الطبقة[2]

*** الحراك الاجتماعي الرأسي:**

ويقصد به انتقال أي شخص من وضع اجتماعي إلى آخر، ويوجد لهذا شكلان بحسب الاتجاه: الحراك الصاعد والحراك الهابط ؛ أي الانتقال من مرتبة أعلى أو أدنى في سلم التميز، فالحراك الصاعد يشير إلى انتقال الفرد أو الجماعة إلى طبقة أو مستوى اقتصاديواجتماعي أعلى يصاحبه تحسن الظروف الاقتصادية ، والحراك الهابط يعبر عن انتقال الفرد أو الجماعة من مستوى أو طبقة اجتماعية عليا، إلى مستوى أو طبقة اجتماعية متوسطة أو دنيا، وفي هذه الحالة يَكْتَسِبُ خصائص الواقع الاجتماعي الأدنى[3] ؛ أي انتقال الأفراد من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أعلى وأرقى[4]. وقد تأخذ الحركية الاجتماعية عند بعض السوسيولوجيين معاني الحراك الاجتماعي؛ لارتباطها بانتقال الأفراد من مركز اجتماعي أو طبقة اجتماعية إلى أخرى، وقد يكون حراكا أفقيا بمعنى الانتقال من وضع اجتماعي إلى آخر مساو له أو رأسيا بمعنى الانتقال من طبقة إلى أخرى[5].

ب-من حيث البعد الزمني: يمكن التمييز بين الحراك بين الأجيال والحراك الجيلي[6].

*** الحراك داخل الجيل الواحد:** ويمكن التعرف عليه عن طريق المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية التي شغلها الفرد طيلة حياته المهنية، ويطلق عليه حراك الوظيفة.

*** الحراك بين الأجيال:** ويستدل عليه من خلال المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية التي يشغلها الأبناء؛ بالأوضاع الاجتماعية التي يشغلها الآباء والأجداد، فإذا ظهر اختلاف دلّ ذلك على حدوث قدر كبير من الحراك الاجتماعي[7].

ج-من حيث المجالات: وهذا النوع من الحراك ينقسم هو الآخر بدوره إلى:

---

[1]- جيل فيريول: **معجم مصطلحات علم الاجتماع**، تر وتق: أنسام محمد الأسعد، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2011، ص 124، 125.

[2] - أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص 271.

[3]- محمود سالم علي جذور: **أثر التعليم في الحراك الاجتماعي بالمجتمع الليبي**، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2004-2005، ص85-86.

[4]- أحمد زكي بدوي: **المرجع السابق، 271**.

[5]- الهادي المثلوثي وآخرون: **قاموس الجغرافيا**، ط1، الناشر: شمال- جنوب، تونس، 2002، ص 116.

[6]- جوردن مارشال: **المرجع السابق**، ص 523.

[7]- محمود سالم علي جذور: **المرجع السابق**، ص86.

*** الحراك المهني:**

يقصد به حركة الجماعة المهنية؛ أو حركة فرد معين مشتغل بمهنة من المهن؛ أو مواقع مهنية خالية من خلال نظام التدرج الطبقي للفضاء الاجتماعي؛ على أساس هيبة كل مهنة أو مكانتها، حيث يستخدم هذا التدرج للحكم على الحراك الذي يحدث، وعليه فالحراك إلى أسفل يشير إلى فقدان الهيبة المهنية أي المكانة، بينما يعني الحراك إلى أعلى زيادة تلك الهيبة أي المنزلة المجتمعية [1]، كما يعبر الحراك المهني بشكل عام عن سهولة الحركة والتي تعني سهولة تغيير المكان أو الوضعية[2]، وهو بهذا نجده يرتبط ارتباطا وثيقا مع الحراك المناطقي أو الفيزيقي.

*** الحراك الاقتصادي:**

ويقصد به تغير مراكز الأبناء الاقتصادية عن مراكز الآباء والأجداد، حيث أدى تغير نظام الملكية، ونمو الملكيات الفردية ونشأة نظام الأجور، وتقسيم العمل وتقييمه على أساس انتاج الفرد، ومقدار ما يبذله من مجهود ونشاط إلى تغيير المراكز الاقتصادية للأفراد[3]، وعليه فالحراك الاقتصادي يأخذ معاني انتقال الفرد أو الجماعة من وضعية اقتصادية أو مستوى اقتصادي معين إلى واقع أو مستوى اقتصادي آخر،وقد يأخذ صفة الصعود أو يركن إلى خاصية الهبوط[4]،فالحراك الاجتماعي دائما ما يكون محدودا بظاهرة الإنتاج المرتبطة بعدم المساواة في الموارد[5]، ويعرف الحراك في سوق العمل على أنه حركة العمال بين المهن أو أصحاب العمل، أو بين المواقع الجغرافية داخل الدولة الواحدة ضمن نظام الكفالة[6]. لذلك يتماهى الحراك الاقتصادي الذي تعكسه التراتبية أحيانا؛ مع الحراك الاجتماعى في ظل الانتقال بين المواقع الاجتماعية؛ ومنه يتبين أن الحراك الاقتصادي في عمومه يكمن في التحولات المرتبطة بالمهن والوظائف لدى الكثيرين من أفراد المجتمع؛ على ضوء ما كان يمارسه هؤلاء من أعمال سابقة قديمة، وقد تكون في الغالب من الأحيان استمرارية لها أو قد يعقبها تدرج وتراتبية في مواقع اجتماعية جديدة؛ أي أن المعيار الاقتصاد هو المعتمد في تقييم مكانة الفرد الاجتماعية؛ انطلاقا من التغيرات والتحولات التي ارتبطت بوضعه الاقتصادي، ولعل هذا ما يفسر التداخل الواضح والتشابك الكبير بين مختلف أشكال الحراك، والملاحظ أن مساعي الأفراد والجماعات لتحسين أوضاعها الاجتماعية– التبدلات في المواقع الاجتماعية– تبقى مرتبطة في الكثير من الأحيان بالحراك المجالي.

*** الحراك السياسي:** في مفهومه العام هو كل النشاطات والفعاليات السياسية؛ الفردية منها والجماعية في داخل الوطن وخارجه، والحقيقة أنّ لكل حراك سياسي طبيعة معينة، يمكن فهمه ومعرفة مكوناته من خلالها[7]، ويرى الأستاذ **احميدة**

---

[1]– جوردون مارشال: **المرجع السابق**، ص523.

[2]– غنية بلغربي: "**سوسيولوجية الحراك الاجتماعي المهني**"، مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، مج 4، العدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص 137.

[3]– حنان مالكي: "**المدرسة والحراك الاجتماعي**"، دورية دفاتر المخبر، العدد 11. جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016، ص 256-257.

[4]– حمزة بوقادوم: **الحراك الفكري لعلماء المغرب خلال القرن 16م الشيخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي أنموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 201-2014، ص 57.

[5]- Jean-Louis Fabiani : **La Sociologie Histoire, idées et courants**, sciences humaines Editions, Auxerre, France, 2021, P 48.

[6]– **قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام–نسخة الشرق الأوسط**، ص 31.

[7]– محمد بالروين: **الحراك السياسي وأثره على الاستقرار السياسي في دولة الكويت**، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، الكويت، 2013، ص19.

عميراوي أنّ الحراك السياسي يرتبط أيضا بحلول قيادة حاكمة محل قيادة أخرى[1]؛ باعتبار أنّ كل نظام سياسي يضع بناء للفرص السياسية؛ بحيث يسهل صعود البعض إلى احتلال مناصب أو مواقع ذات تأثير سياسي، وفي المقابل يتم استبعاد آخرين، وهذا الحراك لا يمكن قياسه بشكل مباشر؛ إلا أنّ نتائجه يمكن ملاحظتها، فالتحول أو التغير في مكونات الصفوة السياسية؛ يعد ميكانيزمات أساسية لتغيير البناء السياسي والقيم السياسية، وكلما كان التغيير في طليعة وخصائص الصفوات أو النخب عظيما؛ كان التغيير في اتجاه ومنهج النظام الحاكم عظيما أيضا، ذلك أنّ الحراك السياسي الصاعد يحكم عليه في ضوء الفرص الهرمية للتدرج السياسي، فبقدر اتساع درجة المساواة السياسية بقدر عظمة التنمية السياسية، ذلك أنه يزيد من التطلع لاحتلال المواقع السياسية المؤثرة[2]، وقد يأخذ الحراك صبغة السلبية الهادفة إلى الاحتواءواستمرارية الحكم الفاشل من جانب، وقد يصطبغ بالميزة الايجابية الهادفة إلى إصلاح أحوال الناس وإسعادهم[3]، حيث شاع داخل أدبيات العلوم السياسية، وعلم الاجتماع السياسي، استخدام مصطلح "**الحراك السياسي**" للإشارة إلى "**عملية يتم فيها التحرك من موقف سياسي إلى آخر**"، وغالبا ما تشمل الاتجاه نحو تفاعل شعبي وسياسي واجتماعي، يتبلور على قاعدة إبراز قضية سياسية واجتماعية في المجتمع، والنضال من أجلها... لذلك يعتبر البعض الحراك السياسي تأثير مجموعة من الأفراد والجماعات في حركة النظام السياسي، وأنه يتضمن عملية من التفاعل بين نوعين من القوى وهما؛ القوى الدافعة للحراك، والقوى المقاومة أو المعارضة[4].

رابعا_من الفكر إلى الحراك الفكري:

01- الفكر في **اللغة** يعني إعمال النظر في الشيء[5]؛ أي إعمال العقل المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: لي في الأمر فكر: أي نظر وروية؛ وما لي في الأمر فكر: ما لي فيه حاجة ولا مبالاة[6]، ويعرفه **صليبا** في **معجمه** بقوله:" **الفكر إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية؛ وهو مرادف للنظر العقلي (Réflexion) والتأمل (Méditation)، ومقابل للحدس(Intuition)**"[7]، كما عُرّف **الفكر** بأنه" **جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وبوجه عام هو ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية؛وأسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وترتيب وتنسيق**"[8]؛ فالفكر هو الأداة التي وهبها الله للإنسان لتحقيق رسالته في الأرض، أما التفكير فهو العملية التي تستعمل هذا الفكر للوصول إلى النتائج من خلال

---

[1]- أحميدة عميراوي: محاضرة بعنوان " **النخب والحراك الاجتماعي**"، ألقيت على طلبة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، بتاريخ 2012/06/27.

[2]- عثمان حسين عثمان هندي: **الحراك السياسي " مفاهيم وقضايا "**، ج1، دار فرحة للنشر والتوزيع المنيا، مصر، (د.ت)، ص 4-5-6-7-8.

[3]- محمد بالروين:"**من الحراك السياسي**"، انترنت، منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية، أوت 2008، ص01.

[4]- نادر جودة محمد: **الحراك-Mobility**، الموسوعة السياسية https//Political-Encyclopedia.Org، 2022.

[5]- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، 1995، ص484.

[6]-مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، 2004، ص 698.

[7]- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982، ص 154، 155.

[8]- جميلة بت عيادة الشمري: **مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة**، ماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ص13.

المقدمات والمدخلات التي ندخلها له[1]، ويعني مصطلح الفكر عند المفكر المغربي **محمد عابد الجابري**؛ جملة من الآراء والأفكار التي يعبر بواسطتها الشعوب عن مشاكلها واهتماماتها، وعن مثلها الأخلاقية ومعتقداتها المذهبية وطموحاتها السياسية والاجتماعية، ورؤيتها للإنسان والعالم، والفكر ليس محتوى فحسب بل هو أيضا أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف في خانة الأيديولوجيا أو داخل دائرة العلم[2]، أما عن الحركة الفكرية فهي دعوة غالبا ما تستند إلى نظرية فلسفية، لها دعاتها ووجود مؤثر في المحيط الثقافي(السياسي، الفني...)[3].

02-الحراك الفكري:

يقصد به مقدار ودرجة وقوة ارتباط الفرد بالقيم والأفكار المستحدثة المختلفة؛ كالكتب وما ارتبط بالابتكارات المختلفة في شتى صنوف العلوم والفنون والمعارف...ما يؤدي إلى إفراز نماذج فكرية واجتماعية تعكسها السلوكات الجديدة، والتغير في التقاليد المتوارثة وضعف ارتباط الأفراد بالقيم القديمة، والتوجه نحو تلقف الأفكار المستحدثة...فينتج عن ذلك زيادة في النشاط الفكري[4]؛ أي أنه **الديناميكا الثقافية التي ترتبط بانتقال أو هجرة العناصر والسمات الفكرية عن طريق الاحتكاك الثقافي، بمعنى حالة من الاندماج الثقافي بسبب فاعلية الثقافة في حراكها القوي[5]**، ويعرّفه البعض بأنه إطلاق المساحة للعقل؛ كي ينظر ويفكر بعين الفكر، ويقيس ويقلّب بحسب المصالح والمفاسد، شريطة أنّ يتقيد هذا الحراك الفكري بضوابط، فإذا ما انعدمت الضوابط أو كانت قاصرة وقع الخلل [6]، في حين يرى الأستاذ **أحميدة عميراوي** أنّ الحراك الفكري يقصد به ارتباط فئة بقيم وإنتاج فكري وآليات مختلفة؛ قد تكون " تعليم، إعلام، مؤلفات.."[7] ؛ في ظل الانفتاح على ثقافات المجتمعات الأخرى، ومنه توسيع دائرة معارف أفراد المجتمع؛ كنتاج للعلاقات التبادلية مع الجوار، فالحراك الفكري بهذه الدلالات يحمل معنى مقدار وقوة ارتباط الأفراد بالقيم والأفكار والمبادئ التقليدية المتوارثة؛ ومدى قدرته على مواكبة الأفكار المستحدثة المختلفة؛ والتي غالبا ما تتمرد على الموروثات وتتجاوز الحدود الجغرافية[8]، ويلح أصحاب الفكر المستنير في هذا الصدد على ضرورة أن تخلع البشرية عنها ثوب التقليد على طريق التكيف والملائمة فكرا وعملا مع واقع متطور جديد، وأن تصوغ فلسفة تنويرية جديدة، وبناء محيط عقلي ملتزم بقيم جديدة وفكر إنساني أصيل جامع بين البشر دون تمييز[9]، في ظل التواصل والتداخل الذي يتيح الاقتران والتشارك في جو التعايش والتعارف، وهو ما يفتح الآفاق على فرص وإمكانيات المشاركة في بلورة الفكر العالمي وحضارته وثقافاته

---

[1]- جمال يوسف الهميلي: **صناعة الفكر**، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2016، ص 10.

[2]- محمد عابد الجابري: **اشكالية الفكر العربي المعاصر**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص 51.

[3]- محمد محمد داود: **معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003، ص 237.

[4]- حنان مالكي: "**المدرسة والحراك الاجتماعي**"، المرجع السابق، ص 256.

[5]- سمير الخليل: **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016، ص 174.

[6]- محمد الشريف جاكو: "**الحراك الفكري واضطراب الثوابت**"، صحيفة التشاد الإلكترونية، بتاريخ 17 يناير2013، ص01.

[7]- أحميدة عميراوي: **محاضرة "النخب والحراك الاجتماعي"**.

[8]- عيسى مصطفى محمد مصطفى: **أثر وسائل التواصل الاجتماعي على الحراك الاجتماعي في السودان**، ماجستير في علم الاجتماع، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2019، ص 41.

[9]- ريتشارد أى. نيسبيت: **جغرافية الفكر**، تر شوقي جلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص 09.

المتجددة[1]، فالتفاعل الحضاري سنة كونية، والحضارة تراكم عطاء البشرية؛ إنها جهود بني البشر منصهرا بعضهم ببعض؛ على نحو من التفاعل والانتقاء قد يكون ارتفاعا في سلم الرقي بالإنسانية وقد لا يكون[2]، ذلك أن ثقافة العزلة تنتهي بالضمور والانكماش لا محالة، لذا كان فضاء الوجدان مفتوحا وشاغرا ومهيأ لحراك الأفكار والعقائد[3]، ومنه يتراءى لنا أن الحراك الفكري له مؤشرات دالة على تحولات ذهنية مجتمعية جارية؛ تأخذ منحى نحو الانفتاح أو اتجاها نحو الانغلاق في سياق تاريخي عام، ذلك أن ميلاد فكر وتجدده وأفوله؛ إنما يرتبط بشروط ثقافية وبيئة مجتمعية أي وفق أفكار ورؤى؛ تنتقل الأمم في ظلها نقلات على صعد التحديث والتجديد.

وفي ظل الحراك الفكري الايجابي تتم إعادة الروح للفنون الإبداعية وتنقيح الشوائب التي تحيط بها من الاحتكاك مع الثقافات الأخرى، والتمسك بما هو جيد من تلك الثقافات؛ ومنها الاهتمام بروح النقاش والحوار دون أن ننسى الطروح العلمية والأبحاث والمبتكرات الجديدة[4]، لذلك كان هذا النوع مرتبطا بحركة النخب التي تنتجها الظروف التاريخية، والتي تصقل خصائص المجتمع حسب طبيعة النخبة التي تفرض وجودها كطبقة قيادية [(5)]، والحراك الفكري للنخب أو الصفوة في الكثير من جوانبه؛ يهدف إلى تغيير الواقع وتعديل سلوكيات الناس، كما ترتبط فعاليته بمدى حركية هذه النخب العلمية؛ التي تسهم في إحداث التفاعل والتلاقح الفكري بين الأفراد والجماعات؛ من خلال ما يمكن أن نسميه تجاوزا " **الحمل الثقافي** " كمصطلح أكثر إخصابا، لأنه يمكن أن يفهم كوسيط تلاقح وكمرحلة استيعاب؛ تجسد فاتحة لعصر جديد يحمل إنتاجا في ظل شروط ملائمة ومناخ مناسب[(6)]، ذلك أن حراك الصفوة كظاهرة تاريخية يسهم بشكل أو بآخر في الاعمار، وتلاقي الثقافات والحضارات المختلفة في بقعة جغرافية؛ ما يسمح بالالتقاء والتبادل والامتزاج الثقافي وبناء حضارة إنسانية مشتركة[7].

وعن مسؤولية هذه النخب في خضم حراكها الفكري؛ يقول **علي شريعتي**:" **أن مسؤولية المثقف في زمانه هي القيام بالنبوة في مجتمعه حين لا يكون نبي، ونقل الرسالة...ومواصلة النداء، نداء الوعي والخلاص وبيان الاتجاه والسبب وقيادة الحركة في المجتمع المتوقف، وإضرام نيران جديدة في مجتمعه الراكد...كما يقدمون رسالة التحول واستجابة التحول إلى نسق بعينه ويضيئون الطريق للحركة...المفكر هو بذاته وبالضرورة الماحي للظلام والظلم فالعلم قوة لكن الفكر نور**"[8]، لذلك فإنتاج الثقافة مشدود بحدود معينة إلى هذه الطليعة من البشر أي حراك

---

[1]- رضوان السيد وآخرون: **التعايش والتعارف في الإسلام مفاهيم ميسرة**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، منظمة التعاون الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2022، ص 32.

[2]- عبد الملك بومنجل: **المرجع السابق**، ص 75.

[3]- سليمان عشراتي: **العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004، ص 70.

[4]- صلاح الدين أبو الرُب: **الحراك الفكري، جريدة** الدستور، /**https.www.addustour.com25جانفي2015** .

[5]- كمال فيلالي: "**الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد الأول، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2005، ص08.

[6]- عبد الهادي عبد الرحمن: **التاريخ والأسطورة "الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديما"**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1994، ص 09.

[7]- طلعت مطصطفى السروجي: **السكان والبيئة رؤية اجتماعية**، ط1، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2014، ص 235

[8]- علي شريعتي: **مسؤولية المثقف**، تر إبراهيم الدسوقي شتا، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 2007، ص 126-127.

هذه النخبة من العلماء والفقهاء والمتصوفة ، وتتجلى في الآلية والفاعلية العلمية لرجالات الفكر؛ وحركيتهم الذاتية المتواصلة؛ التي سيكون لها الأثر البارز والدور الرائد في إحداث التوازن داخل المجتمعات، حيث شكلت أداة التواصل والتفاعل الذي عكسه الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير في ظل هذه الدينامية النخبوية[1]؛ التي تحيل في عمقها على تبادل المعلومات والأفكار وحتى العواطف أو الإحساسات الوجدانية، وعن طريق هذا التواصل تتشكل العلاقات الإنسانية وتتطور، وهو بذلك يشكل جوهر الإنسانية [2]، وبذلك يكون الحراك الفكري قائما على التفاعل الطوعي والإرادي بين مختلف المجموعات البشرية، وهذا في ظل الاحترام والتسامح الذي يعقبه تداخل بين مختلف الثقافات تأثيرا وتأثرا، فتصبح عملية التناقل الفكري –كظاهرة تغطي جميع الحقول–غير مرتبطة بالفرد فقط، ولكنها عملية خفية لحركة شيء أو فكرة أو مهارة شخص نحو آخر أو آخرين، تهم المجتمعات وتعاقب الأجيال[3]. ومنه نستنتج أن التواصل الحضاري وسيلة استيعاب منجزات الآخرين والتعرف على ثرواتهم المعرفية وامكاناتهم الثقافية؛ بما تحويه من قيم إنسانية وحضارية؛ فالتواصل الحضاري هو تبادل الثقافات الرئيسية أو فروعها وأنساقها، والاتصال ببعضها تحاورا وتعارفا وتلاقحا[4]، وقد يكون هذا الحراك الفكري حراكا أفقيا يتم بين ثقافات متزامنة أو بين أقاليم ثقافية معينة، وقد يكون حراكا رأسيا يتم بين الأجيال المتعاقبة لثقافة ما أو بين فئاتها أو بين طبقاتها المتراتبة اجتماعيا[5].

تنتقل الأفكار والآراء وشتى ضروب الخبرة من فرد إلى آخر ومن شعب إلى شعب، وإن هجرة الأفكار تلك التي لا تتوقف ولا تتلكأ تحمل معها في أثناء حراكها بذورا جديدة لأفكار جديدة؛ إلى أن تتناولها عقول أكثر تقدما وتحررا؛ فالتاريخ في أوسع معانيه ليس سوى تسجيل عملي لتطور هجرة الأفكار، وليس سوى تسجيل لتقدم خبرة الإنسان...إن هذه الأفكار تعتورها أثناء هجراتها تغيرات سلبية وايجابية، وتطرأ عليها تطورات قد تكون تقدمية وقد تكون انتكاسية؛ فهي التي تحدد معالم التاريخ وترسم خط سيره، **لأن هذه الأفكار هي التي تصنع الحضارة ومن ثم تصنع التاريخ أي أنه يمكن كتابة تاريخ العالم كتاريخ لحراك الأفكار من إحدى الجماعات البشرية إلى جماعة أخرى، وإن كثيرا من التاريخ يمكن أن يستعرض في اصطلاحات من تحرك الأفكار من جماعة لأخرى؛ فامتزاج الأفكار وما يتبعه من اتصال للثقافات؛ تخلق ما يسمى بالحافز الإشعاعي الذي يجعلها جزءا من البنيان الاجتماعي، وهذا يعني أن التاريخ يصنع جزئيا بواسطة الأفكار، وأن فترة تقدم الحضارة هي فترة حراك الأفكار بحرية من عقل إلى عقل ومن بلد إلى آخر، ومن الماضي إلى الحاضر؛ فالأفكار الحسنة تعيش أكثر مما يعيش أصحابها وإن عمروا طويلا**[6]، ذلك أن التداخل الثقافي، إنما يستمد قوته وصيرورته من حقيقة ارتباط الثقافة بالإنسان

---

[1]– حمزة بوقادوم: **المرجع السابق**، ص 58.

[2]– عبد الكريم غريب وآخرون: **التواصل والتثاقف**، ط1، منشورات عالم التربية، الدر البيضاء، المغرب، 2010، ص 06.

[3]– صباح علاش: "**التناقل الثقافي الحرف التقليدية النسائية بالريف نموذجا**"، مجلة أسيناك، العدد 14، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2019، ص 16-17.

[4]– فيروز شني: "**التواصل الحضاري بين الترجمة والمثاقفة**"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 50، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2018، ص 35.

[5]– نورة العويد: **التواصل الحضاري من منظور إسلامي**، ط1، مشروع سلام للتواصل الحضاري، الرياض، السعودية، 2012، ص 16.

[6]– جلبرت هايت: **هجرة الأفكار**، تر: شفيق أسعد فريد، شركة أمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2013، ص ص 12، 34، 36، 89، 90، 102، 104.

ورغباته ومخاوفه، وهو استمداد طبع حركة التداخل بالحيوية والتحول والاستمرار[1]. **إن الحراك الفكري يؤدي إلى إحداث تحولات عميقة في بنية القيم والمفاهيم؛ حيث تتسلل في ظله الكثير من المذاهب والأفكار، والمتأمل لبدايات حراك الأفراد والجماعات؛ يلحظ تأثير الوافدين ومساهمتهم في نشر الأفكار والمذاهب الفكرية، لذلك كان تأثير المجتمعات بسبب قدوم أشخاص أكثر ثقافة وتعلما من بيئة إلى بيئة أخرى سنة تاريخية واجتماعية لها مئات الأمثلة والشواهد التي تزخر بها كتب التاريخ البشري في الشرق والغرب**، والحقيقة أن ثمة عوامل سياسية وفكرية أسهمت بمجموعها في حدوث ذلك التأثير؛ ذلك أن وجود أي احتكاك فكري وعلمي واجتماعي بين مجتمعات وثقافات مختلفة لا بد أن ينتج عنه تأثير وتأثر، والوزن النسبي لتأثر كل فرد راجع لحجم إمكاناته العلمية والفكرية وغيرها من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولهذا من الطبيعي أن يتأثر بقدوم علماء ومفكرين؛ أثَروا الوسط الجديد وتأثروا بالبيئة المحلية؛ حتى العائدون إلى أوطانهم كثيرا ما حملوا معهم هذه التأثيرات بما فيها اختيارات مشايخهم العلمية، سجلات فكرية نوعية...والتي تتباين تبعا لتنوع الشخصيات وحجم الشريحة البشرية والمجتمعية المتفاعلة معها؛ والآراء التي تصدت لهذه السجلات وتداعياتها، وبما تحمله هذه المدارس والمناهج من اتجاهات مختلفة بداخلها؛ أظهرت خلافاتها وآرائها حول قضايا ومسائل مختلفة متنوعة، وكل هذه العوامل من شأنها أن تسهم في أن يكون لهذه السجالات الفكرية آثارها وانعكاساتها الفكرية والاجتماعية[2]. نلحظ أن الحراك المعرفي_الذي يقصد به إجرائيا انتقال المجتمع من مستوى ثقافي وحضاري أقل إلى مستوى ثقافي وحضاري أعلى_؛ يظهر في مستوى الناتج العلمي والثقافي للمجتمع من خلال التفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى كما يتضح في مقدار التغير في سلوك الأفراد وعاداتهم[3]، أما ما يتعلق بآليات الحراك المعرفي فيمكن ربطها بمصدرين أساسينهما؛ المصدر الداخلي أي أن يكون قائما داخل النسق الاجتماعي، وإطاره المجتمع نفسه أي أنه نتيجة لتفاعلات تقسم داخل المجتمع، والمصدر الخارجي الذي يأتي من خارج المجتمع نتيجة اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات والأمم الأخرى؛ وسواء أكان المصدر داخليا أم خارجيا فإن ذلك يقوم على آليات محددة: الابتكار والاكتشاف، والذكاء والبيئة الثقافية، الانتشار[4].

إن الحراك الثقافي يحمل في طياته كل ما يتغير في المجتمع؛ سواء كان هذا الحراك محدودا أو واسعا، شاملا مختلف المظاهر المادية والمعنوية بكل ما يترتب عليه من قيم وعادات، فالعلاقة بين الحراك الاجتماعي والثقافي هي علاقة تضامن واحتواء فكل ما هو تغير اجتماعي يعد تغيرا ثقافيا ومعرفيا، والتعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والمعرفية والطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته[5]،

---

[1]- رشيد يلوح: **التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2014، ص 34.

[2]-وليد بن عبد الله الهويريني: **الحراك الفكري السعودي–لا أورق فكرية من سجلاته التاريخية–**، ط1، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، 2016، ص135.

[3]- معلوي بن عبد الله الشهراني، **المرجع السابق**، ص 19.

[4] – صالح عبد الله العقيل، **المرجع السابق، ص109**.

[5] - صالح عبد الله العقيل، **دور الحراك الثقافي في التغير الاجتماعي وحماية الأمن الفكري**، مجلة بحوث التربية، العدد 21، جامعة المنصورة، 2011، ص106

فالحراك الثقافي يعني بالنسبة لجماعة ما اكتساب خصائص الثقافة الفرعية لثقافة أخرى[1]. وهناك العديد من العوامل المسببة للحراك الثقافي بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني مثل العوامل الإيكولوجية والطبيعية، تتمثل بمكونات البنية الطبيعية التي يعيشها فيها الإنسان وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية، وكذلك يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث الحراك الاجتماعي، ويلعب الاتصال أو العزلة دورا رئيسيا، فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة، والمجتمعات الزراعية ترغب في حماية ثقافتها، وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى، ومن العوامل المؤثرة بسبب النشاط الإنساني المخترعات الجديدة[2]، وقد يأخذ الحراك الثقافي أنماطا عديدة؛ يمكن حصرها في:

أ–الحراك الثقافي الداخلي؛ فمن من مؤشراته:

* **التجديد**: يعني أي عنصر ثقافي جديد تلعبه الثقافة.

* **الابتكار**: هو إضافة ثقافة تحدث نتيجة عمليات مستمرة داخل ثقافة معينة.

* **الاكتشاف**: هو الإضافة المعرفية التي تتحقق من خلال ملاحظة الظواهر الموجودة؛ ولم يسبق الالتفات لها من قبل.

ب–الحراك الثقافي الخارجي: يتمظهر في الاتصال المعرفي، التثاقف، الاستعارة، الانتشار، ويمكن إجمال هذه العمليات تحت فئتين هما: الانتشار والتثاقف.

* **الانتشار**: يعني نقل المواد المعرفية على المستوى الأفقي من مكان إلى آخر، كمعارض الكتب والفنون والمواد الإعلامية والانبعاث للعمل والدراسة في الخارج...وقد يتم الانتشار عن طريق الهجرة أو الاستعارة، والهجرة تؤدي إلى انتشار وحدة تثاقفية كبيرة، أما الاستعارة فهي نقل وحدات بسيطة.

***التثاقف**: هو عملية التغير من خلال الاتصال الثقافي الكامل، أي اتصال بين ثقافتين يؤدي إلى زيادة أوجه الشبه بينهما في معظم الميادين الثقافية، ويتضمن هذا المصطلح أيضا عملية الاستعارة الثقافية، ويشير مصطلح تجديد إلى العملية التي تؤدي إلى قبول عنصر ثقافي جديد، وهي صورة من صور التغيير الثقافي[3].

إن المثاقفة كمصطلح بالغ الأهمية يشير إلى تلاقي وتقاطع الثقافات والحضارات المختلفة، وأخذ بعضها من بعض على أساس من حوار يعاد إنتاجه لصالح هذه الثقافة أو تلك؛ على اعتبار أن الثقافات تتفاعل وتتداخل ويقترض بعضها من بعض دون قيود أو شروط؛ أي أن التثاقف يدخل مباشرة في التعامل مع ثقافة الآخر، ويشكل أساسا فيها، وبتعبير آخر؛ فالمقصود من التثاقف هو "**مجموعة من الظواهر الناتجة عن الاحتكاك المستمر والمباشر بين جماعات وأفراد منتمين إلى ثقافات مختلفة، وعن التغيرات التي تبدو آثارها على النماذج الثقافية الأصلية لهاته الجماعة أو تلك**"[4]. ولا شك أن ما تعيشه المجتمعات البشرية من علاقات ليس وليد الطبيعة، وإنما هو وليد الثقافة التي يصنعها الإنسان لنفسه، ومن ثم كان على هذا الإنسان أن يوجه ثقافته للحوار والتواصل، هذا التواصل الذي يكون في جميع

[1]- عبد الرحمن المالكي: **المرجع السابق**، ص 120.

[2]- صالح عبد الله العقيل، **المرجع السابق**، ص106.

[3]– معلوي بن عبد الله الشهراني، **المرجع السابق، ص30**.

[4]– عبد الكريم غلاب وآخرون: **المرجع السابق**، ص ص 172، 173.

أشكاله حوارا، وجدلا، وتبليغا وخصاما، إنما هو شرط من شروط استقامة التفكير وماهيته، والاجتماع البشري هو الموضع الطبيعي لكل تواصل ممكن وهو شرط إمكانه والداعي له في وقت واحد[1]، فما من ثقافة توجد على حال صافية مماثلة لذاتها في الأزل؛ من دون أن يمسها أثر خارجي البتة.

إن صيرورة التثاقف هي ظاهرة كونية حتى وإن كانت ذات أشكال ودرجات شديدة الاختلاف...ذلك أن كل ثقافة هي صيرورة دائمة من البناء والهدم وإعادة البناء، وربما توجب استبدال كلمة "**ثقافة**" بكلمة "**تثقف**" (**Culturation**)؛ وهي متضمنة بعد في كلمة "**تثاقف**"؛ للتأكيد على البعد الثقافي الديناميكي[2]. هذا وتؤدي المثاقفة من هذا المنطلق إلى حدوث تغير ما ناتج عن المزج أو الحوار بين حضارتين أو ثقافتين، وليس خضوع ثقافة لثقافة أخرى، فالمثاقفة بهذا المعنى هي ما يشير إليه "**روجيه جارودي**" في حديث عن **ضرورة تجاور وتحاور الثقافات**[3]، لأن التواصل يهدف إلى إقامة جسور اللقاء والتقارب مع الطرف الآخر، ولأنه نزوع نحو تقوية وشائج (القربى الحضارية)، وتمتين أواصر التلاقي؛ فالتواصل بين الحضارات هو أرقى أنواع التواصل وأكثرها دواما واستمرارية، لأنه يمثل المستوى الأرفع من التقارب الفكري والترابط والتعايش الإنساني بين الأمم والشعوب، ولأنه يجسد المعنى الحقيقي للتواصل الذي يقود إلى إزالة الموانع النفسية والثقافية والتاريخية التي تحول دون تحقيق المصالح، والتي هي من معوقات تلاقح الأفكار، وتبادل الخبرات والتجارب، وامتزاج الثقافات، وهي في ذلك كله تجسيم لمعنى التواصل الحضاري، ومنه يصبح التفاعل الحضاري سنة من سنن الخلق، وصبغة الله في كل حضارة من الحضارات الإنسانية المتعاقبة؛ لذلك فهو مظهر للحيوية؛ وهو إن كان ايجابيا يكون ذا فعالية، وإذا لم يكن للتفاعل تأثير قوي في المحيط الاجتماعي وفي العلاقات المتبادلة بين الأمم والشعوب؛ عدمت الفعالية [4].

وإذا ما تتبعنا جذور دينامية التداخل الثقافي بين طرفين أو أكثر فسنجدها في أعماق الذات الإنسانية؛ تحفز الإنسان على الحركة والتفاعل، وإنتاج " **ثقافة مشتركة**" هي محصول تفاعله مع الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى تنشيط التوليد الثقافي، وتبادل الدلالات والأفكار والمعطيات المعنوية كلها،وكلما تحققت هذه الأهداف استمر العطاء والإبداع الإنساني، فيكتمل نضج الثقافة المشتركة عندما تنجح في تأسيس بناء حضاري منسجم، ولا يتأتى هذا إلا بالقوة والحركة، والحراك الذي يكون مصحوبا دائما بتغيير العادات والأفكار والرؤى، فحراك الإنسان هو حراك للثقافات والعادات[5].

من القصور اختزال الحراك في مجرد حركة بشرية يقوم بها الفرد أو القبيلة حين تجدب الأرض من مكان إلى مكان آخر أو اختزال إفرازاته الثقافية في الاستعداد الدائم للحرب... بل ما يجب إدراكه أن للحراك إفرازات أخرى أكثر أثرا منها ذلك الاستعداد الفطري الكبير للاختلاط والتواصل، ولم يكن الحراك في جوهره إلا شكلا من أشكال الهجرة المستمرة، ولا

---

[1]- إسماعيل زروخي: **حوارات إنسانية في الثقافة العربية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 36.

[2]-دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص 112.

[3]- جمال نجيب التلاوي: **المثاقفة**، تر: ماهر مهدي-حنان الشريف، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، 2005، ص 07.

[4]- عبد العزيز بن عثمان بن عثمان التويجري: "**التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى**"، المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:" التسامح في الحضارة الإسلامية" المنعقد بالقاهرة 1-2004/5/4، مصر، 2004، ص 83-84-85.

[5]- رشيد يلوح: **التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري، المرجع السابق**، ص 35.

تعبر المصادر عن هذا الحراك إلا بشكل هامشي بواسطة إشارات سريعة لهذا الحراك الكبير في البنية القبلية حين تقول أن فروعا من قبيلة التحقت بقبيلة أخرى، ومنه نجد أن الحراك في واقع الأمر أخلاقيات خاصة (مبدأ الجوار ومبدأ الولاء)،كما تتولد عن الحراك ممارسات ثقافية أخرى تشهد بشكل أفضل عن الحراك الثقافي منها المصاهرات بين الأفراد والقبائل، وهو تقليد يعود لزمن قديم، وكانت هذه المصاهرات أحيانا منطلقا لارتباطات اقتصادية وسياسية مؤثرة[1].

إن الحراك بمفهومه الشامل الواسع ليس مجرد نقلة جسدية من موطن إلى آخر، وإنما هو أيضا موقف عقلي، واتجاه ذهني، وتوجه نفسي من الفرد والجماعة، وبما أن الحراك ظاهرة اجتماعية؛ فإنه يحمل ما يحمل من الصفات الإنسانية، الإلزامية العمومية، التلقائية، الترابطية...وهذه الظاهرة تتعلق بالحاجة الحيوية للأمم والشعوب لتتبادل العناصر فيما بينها[2].

إن الحراك البشري كظاهرة إنسانية تاريخية؛ وكحتمية ملازمة للمجتمعات البشرية بما تحمله من دلالات ديمغرافية مجالية أو فيزيقية؛ تتولد عنها تحولات وإفرازات عميقة في بنية القيم والمفاهيم بحكم الاختلاط والاحتكاك والتحاور والتعارف والتلاقح الناتج عن التواصل الحضاري؛ أي تبادل الثقافات التي تتمظهر؛ نتاج التأثير والتأثر في التعاضد والترابط والتضامن والاحتواء والمصاهرات، وتنتج عنها في ظل تيار التثاقف؛ القائم على الحركة والتفاعل والأخذ والعطاء؛ ممارسات ثقافية تعكسها منظومة قيمية من عادات وتقاليد وقيم وأفكار ورؤى ومذاهب ووحدة في مضمار العواطف أو الإحساسات الوجدانية...ولا يتأتى هذا التجاور والتحاور الإنساني إلا عن طريق التواصل المجتمعي والتداخل الثقافي والتلاقي والتقاطع الحضاري بإقامة جسور من التقارب الاجتماعي والتلاقي الفكري الهادف إلى خلق ثقافة مشتركة في رحاب الاتصال و في جو من التعايش والتسامح المتبادل بين الأمم والشعوب، وبهذا تتشكل العلاقات الإنسانية وتتطور.

[1]- محمد سعيد: **الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع العربي قبيل الإسلام**، ط1، الناشر: شمال-جنوب، تونس، 2009، ص 48.

[2]- عبد القادر القصير: **المرجع السابق**، ص 108.

الباب الأول:

الحراك الاجتماعي بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني "مظاهر وتجليات"

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني.

أولا: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني.

01-تعداد السكان وإشكالية الإحصاء

02-بنية المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية

03-الحالة الصحية والمعيشية

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية في الإيالة التونسية خلال العهد العثماني.

01-تعداد السكان وإشكالية الإحصاء

02-بنية المجتمع التونسي خلال الفترة العثمانية

03-الحالة الصحية والمعيشية

.

يتصف الوضع الاجتماعي في الجزائر وتونس أثناء العهد العثماني؛ بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم وأسلوب حياتهم واختلاف مصادر رزقهم وطبيعة علاقاتهم بالحكام، وهذا ما خلق نوع من التراتبية التي عكستها تصنيفات ساكنة المدن والأرياف إلى عدة طوائف وجماعات؛ تختلف في أنماط حياتها وطرائق عيشها، لذلك تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات: كيف كانت البنية السكانية للمدن والأرياف في الإيالتين؟ ما هي خصائص ومميزات الوضع الاجتماعي بالإيالتين؟. وهو ما سنحاول الإجابه عنه باعطاء صورة متكاملة عن الواقع الاجتماعي السائد بالإيالتين؛ في ظل اختلال التوازن من حيث تباين مستويات المعيشة على أساس الثروة، بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي فتكت بالساكنة في البلدين.

أولا–الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

تتجلى صورة الواقع الاجتماعي الجزائري خلال الفترة العثمانية في التركيبة البشرية والحالة الصحية التي تؤثر سلبا أو ايجابا على التطور الديمغرافي للإيالة؛ ويمكن توضيح ذلك في:

01–تعداد السكان وإشكالية الإحصاء:

تعد مشكلة تقدير عدد سكان الجزائر في العهد العثماني من أهم القضايا التي خاض فيها الباحثون، وخلصوا إلى صعوبة ترجيح رقم على آخر في ظل غياب إحصائيات رسمية دقيقة لعدد السكان آنذاك، واعتبر هذا الأمر ثغرة عجزت المصادر الأوربية عن تلافيها؛ لأن السلطات التركية لم تكن تهتم بعمليات الإحصاء كون أغلب العناصر بما فيها الحكام من الجند الإنكشارية؛ ويضاف إلى ذلك ضعف المستوى الثقافي مما يجعل من القيام بعمليات معقدة مثل الإحصاء أو تعداد بسيط للسكان من الأمور غير الواردة[1]؛ ذلك أن المستوى الحضاري والاجتماعي في ذلك الوقت لم يصل إلى التعداد الكامل للسكان، ومنها أن علم الإحصاء السكاني حديث إذا ما قورن بعهد حكومة الأتراك بالجزائر، ومنها سوء النظام التركي الذي أهمل أو لم يهتم بهذه الناحية الاجتماعية[2]، حيث كتب القنصل الفرنسي "**ديبوا تانفيل**" **Dubois Thainville** تقريرا عن الجزائر وأرسله إلى دولته بتاريخ 1809/11/18 جاء فيه أن الأتراك لا يقومون أبدا بإحصاء النفوس، وأنهم لا يستعملون أي سجل لتقييد الولادات والوفيات، وأنه صعب عليه تقدير عدد سكان البلاد؛ بل حتى تقدير عدد سكان المدن[3]، وهو ما أقره الألماني **موريتس فاغنر** (1813–1887) الذي زار الجزائر عام 1835، حيث اعتبر التقديرات الخاصة بالتعداد السكاني اعتباطية؛ لأن الحكومة الجزائرية خلال الفترة العثمانية لم يكن لها أي نوع من السجلات[4]. وقد اختلفت الإحصائيات حول عدد السكان الجزائر سواء في المصادر المحلية أو الأجنبية، فالقنصل الأمريكي **وليام شالر** قدرهم عام 1826م بحوالي مليون نسمة[5]، في حين قدر **حمدان بن عثمان خوجة** عدد السكان

---

[1]– كمال كاتب: **أوربيون"أهالي" ويهود بالجزائر 1830–1962**، تر: رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص 31.

[2]– علي عبد القادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 250.

[3]- كمال لحمر: **صورة المجتمع الجزائري في المجلة الإفريقية 1856–1962**، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص 218.

[4]- أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830–1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 33.

[5]- وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816–1824)**، تعريب وتع وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 191.

بعشرة ملايين نسمة[1]، بينما قدرت الوثائق الفرنسية عدد سكان الجزائر في بداية القرن التاسع عشر بمليون ونصف نسمة، لكن الرأي الغالب يقدر العدد ما بين مليونين وثمانمائة ألف وثلاثة ملايين نسمة، وهو رقم تقريبي لأن العديد من القبائل تعيش على الترحال، وكثير من الأماكن غير معروفة [2]، وهو ما ذهب إليه **ياكونو Yacono** الذي قدر تعدادهم بناء على معطيات إحصائية بنحو ثلاثة ملايين نسمة عام 1830م[3]، وهي التقديرات التي أقرها الجنرالات الفرنسيين الذين تولوا القيادات المختلفة بدايات الاحتلال مقترحين إبادة الأمة الجزائرية التي لم تكن تتجاوز الثلاثة ملايين[4]، والظاهر أنه التعداد الإجمالي لسكان الإيالة الجزائرية نهاية العهد العثماني؛ إذا أخذنا بعين النظر الاعتبارات الواردة والتقديرات الاعتباطية أو الإحصائيات المفرطة؛ وهذا بعد أن تعرضت البلاد للكثير من الأوبئة والمجاعات؛ التي أدت إلى تراجع أعدادهم[5]، أما الأستاذ **أبو القاسم سعد الله**؛ فيذكر أن عدد سكان الجزائر حسب معظم التقديرات؛ حوالي خمسة ملايين نسمة[6]، في حين قدر الباحث **ناصر الدين سعيدوني** التعداد الإجمالي لسكان الإيالة مع نهاية العهد العثماني بحوالي ثلاثة ملايين وأكثر، وذلك أخذا بأكثر الاحتمالات تواردا وطرحا لكل التقديرات الاعتباطية أو الإحصائيات المغرضة التي أدلى بها قادة الجيش الفرنسي التي أنقصت عدد السكان إلى مليون أو أقل[7]، وهذا الرقم يبدو معقولا؛ إذا ما حاولنا تلمس الحقيقة، وهو ما يجعلنا نستبعد قول **حمدان خوجة** بأن سكان الجزائر عشرة ملايين.

02-بنية المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية:

أما عن سكان الجزائر فقد كانوا أصلا من البربر، وبعد الهجرات العربية اختلطت العناصر السكانية بواسطة الدين والمصاهرة واللغة فتعرب غير العرب، ثم استقبلت هجرات عربية أخرى وهجرات أندلسية مستمرة منذ القرن **9هـ/15م**، كما استقبلت عناصر مالطية وايطالية وغيرها ممن قدموا للتجارة مع مدينة مفتوحة لهذا النشاط، كما سكن الجزائر عدد من الأتراك جنودا وإداريين وعلماء،كما أن عددا من المرتدين عن المسيحية من جنوب أوربا حلوا بالمدينة، وارتفعت حظوظهم الاقتصادية والسياسية، وكان اليهود قد عانوا من على يد الإسبان أيضا فهاجروا أو طردوا مع المسلمين واستقروا بمدينة الجزائر، وهذا الخليط من السكان جعل العاصمة متعددة الوجوه والألسنة والتجار والإنتاج، وجعلها أيضا تنفتح على عالم البحر الأبيض المتوسط[8]، وهو ما يذهب إليه **جيمس ويلسون ستيفن** الذي يقول :" **سكان إقليم الجزائر...مزيج من أمم مختلفة مثل الأهالي وعرب الأندلس المطرودين من كاتالونيا، وآراغون، وأجزاء أخرى من**

---

[1]- حمدن خوجة: **المرآة**، تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 51.

[2]- محمد الخداري: "**الجزائر في بداية القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية، بحوث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني**"، الرباط 12-14 نوفمبر 2009، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، تركيا، 2013، ص 110.

[3]- Yacono(X) : **« Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 »**, In R.A, N° : 98, 1954, P : 306.

[4]- محمد العربي الزبيري: **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص 131.

[5]- Boyer Pierre : **L'évolution de L'Algérie médiane « ancien département d'Alger » de 1830 a 1956**, Paris, Maisonneuve, 1960, p.p.60-61.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 184.

[7]- ناصر الدين سعيدوني: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 221.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 497-499.

إسبانيا في نهاية القرن السادس عشر، واليهود والإنكشاريين، وعدد كبير من الأتراك القادمين من المشرق طلبا للثروة، وكذا العدد الوافر من العبيد المسيحيين"[1].

يتوزع سكان الجزائر ما بين المدن والأرياف، إذ يشكل سكان المدن أقلية ضئيلة تقدر **05%** من مجموع السكان، بينما يمثل ساكنة الريف **95%** من مجموع سكان الجزائر، وهذه النسبة المتواضعة من سكان المدن لم تكن موزعة توزيعا متكافئا بين مختلف أرجاء البلاد؛ إذ تختلف كثافتها من منطقة إلى أخرى، ففي الناحية الغربية تبلغ **7%** أو **8%** وفي الناحية الوسطى تنخفض إلى **6%** بينما في الجهة الشرقية لا تتجاوز **3%** من مجموع سكان الحواضر[2]. ومعنى هذا أن سكان المدن كانوا أقل من **150 ألف نسمة** انطلاقا من الرقم التقريبي الذي هو ثلاثة ملايين نسمة، ولعل أهم ميزة ميزت التركيبة الاجتماعية للحواضر الجزائرية هي التنوع والتعدد في العناصر الإثنية، فقد كانت المدن تتميز باختلافات وتمايزات عرقية ودينية وحتى مذهبية طبعت تركيبتها الاجتماعية، في حين لا نكاد نجد هذه الخاصية بنفس الحدة والأهمية على مستوى الأرياف، بل غالبا ما تميز الريف بنوع من الانسجام، وهذا ما يجعلنا نلاحظ تباينا بين الوسط الحضري والعالم الريفي [3]، وعلى ضوء ما تقدم يمكن توضيح التركيبة السكانية في المدن والحواضر على النحو الآتي:

أ-التنظيم الاجتماعي لسكان المدن:

ارتكز حكم الأتراك العثمانيين في الجزائر بالمدن والحواضر الكبرى على وجه الخصوص، وكان البناء الاجتماعي للمدينة مختلفا تماما عن البناء الاجتماعي الريفي، وقد اتخذ شكلا هرميا قوامه الثروة كمؤشر للمستوى المعيشي؛ وهو ما نلمسه في التركيبة الاجتماعية المؤلفة من:

***الأقلية التركية:**

تحتل المرتبة الأولى في السلم الاجتماعي على المستويين العسكري والمدني، وتضم في صفوفها القادة العسكريين والموظفين السامين من السياسيين والإداريين والجنود؛ فهم الحكام والأسياد، يؤلفون جمهورية، يشكلون تنظيما يزيد في الأغلب عن 1200 نفر بعضهم مشاة والبعض الآخر فرسان، ينضوون تحت حكم رئيس يعرف باسم داي الجزائر، لهم الأحقية في وراثة الداي بحكم خدماتهم وصفاتهم وكونهم الحزب الأقوى بالبلاد[4]؛ إذ يحتكرون السلطة فمنهم الباشوات والوزراء والبايات ورياس البحر والأغوات أو قواد البر، كما كان منهم أعضاء الديوان، وهم كفئة متميزة كانوا ينظرون إلى السكان نظرة استعلاء واحتقار وازدراء[5].

لقد كانت التنظيمات العسكرية الوحيدة بالبلاد؛ التي تمتعت بصلاحيات مطلقة، حيث مارست سلطة استبدادية على جميع السكان بغض النظر عن معتقدهم، واستفادت من الترقيات العسكرية في الجيش، كما تقلدت أعلى الرتب

---

[1]- جيمس ويلسون ستيفن: **الأسرى الأمريكان**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 151.

[2]- ناصر سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ص 41.

[3]- فتيحة لواليش: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 105.

[4]- Laugier De Tassy : **Histoire Du Royaume D'Alger**, Amsterdam, 1725, Paris, 1830, P 77.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 153.

والمناصب الحكومية على غرار منصب الداي[1]، وقد ضمت هذه الطائفة إلى جانب الإنكشارية –الباحثين عن الثروة وتحصيل الغنيمة عن طريق الجهاد البحري– العلوج المسيحيين **Renégat** الذين اعتنقوا الإسلام؛ وأضحوا أتراكا بالوظيفة كما يذكر **هايدو**[2]، وكان معظم الأتراك يفضلون كسب عيشهم من المرتبات التي يحصلون عليها من الخزينة أو من إيجار المحلات والبساتين التي يملكونها في المناطق التي يقيمون فيها، وكانوا يفضلون استقدام أبناء وطنهم من الأناضول في حالة الاحتياج إلى الرجال[3].

وفي المقابل نجد بعض الوظائف المدنية والقضائية والدينية التي تخص الإدارة المحلية للإيالة كان العثمانيون من غير السكان المحليين ممنوعون من مباشرتها؛ من ذلك الإدارة المحلية للمدينة والمقاطعات الداخلية للريف الجزائري، وكذا الكثير من المؤسسات التي تدير دواليب الدولة مثل: الحسبة والقضاء والإفتاء المالكي والتعليم ونقابة الأشراف والنقابات الحرفية بالمدينة والأمن والنظافة؛ بل إن المدقق في الوظائف المحلية الخاصة بالريف الجزائري يجد أن معظمها كانت تسند إلى مسؤولين محليين من أهالي الجزائر[4]، وقد عرف الأتراك العثمانيون انخفاضا في الجزائر ابتداء من أواخر القرن 12هـ/ 18م، ويبدو أن السبب الرئيسي يعود إلى قلة المجندين من المشرق (**ريمون"**أ")[5]، إذ لم يتجاوز عدد أفراد هذه الفئة حسب التقديرات المتوفرة عام 1830م؛ عشرين ألف نسمة في جميع أنحاء القطر الجزائري[6]؛ في حين يشير الباحث **قايد مولود Gaid Mouloud** أن عدد جند الإنكشارية في نفس العام؛ لم يكن يتجاوز في أغلب الأحوال 5000 انكشاري[7].

يصف الأسير النرويجي **نيلز** الأتراك الأسياد بأنهم لطفاء على العموم إلا عندما يكونون في حالة تستوجب القسوة والصرامة، ويتصفون بالصدق والإخلاص؛ لكنهم أكثر قسوة وحقدا على أعدائهم، ولا يتورعون عن الانتقام من كل من يعارضهم[8]، ويقر **خوجة** هذه الصفات عندما يذكر أن الأتراك اتسموا بالقناعة والشرف والكرم، واحترام عادات البلاد[9]، والتسامح الديني مع أبناء الملل إلى درجة؛ أن هناك من يرافق عبيده من الأسرى المسيحيين لأداء شعائرهم الدينية في الكنيسة[10]، ومع ذلك اتبعت هذه الفئة الحاكمة سياسة العزلة والنظرة الفوقية تجاه بقية فئات المجتمع الجزائري، وهو ما يقره **هايدو** الذي كان أحد الأسرى الأوربيين في سجون الجزائر، حيث كان شاهد عيان، والذي أشار إلى أن العطاءات والهدايا مقدمة في كل الأزمنة على الفضيلة والأهلية في تعيين الحكام بالجزائر، ووصف لنا العلاقة بين الفئة الحاكمة أي الأسياد والفئة المحكومة بقوله: "**لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الترك بالمور في مملكة**

---

[1]- Rozet(M) : **Voyage Dans La régence D'Alger Ou description du Pays Occupé Par L'armée Française**, Paris, 1833, PP : 277, 278, 292.

[2]- Haëdo : « **Topographie et histoire générale d'Alger »**, in R.A, Vol 14, Alger, 1870, P 496.

[3]– عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 74.

[4]– محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية–دراسة للمصادر ونصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية**، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 20.

[5]– أندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر لطيف فرح، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 58.

[6]– ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص42.

[7]-Mouloud Gaid : **L'Algérie sous les Turcs**, 2e Ed, Editions Mimouni, Alger, 1991, P 199.

[8]- نيلز نيلسون موسى: **أسير نرويجي في مدينة الجزائر**، تر وتع: لخضر بوطبة، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2019، ص 101.

[9]– حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 119.

[10]-Rozet(M): **Voyage Dans La régence D'Alger, Op. Cit**, P 52.

الجزائر"[1]، وقد ظلت الأقلية التركية الحاكمة ضئيلة العدد إلى غاية أوائل القرن 19م، وكان أغلب أفراد هذه الطائفة يعيشون في حالة عزلة عن المجتمع الجزائري، ولذلك فإنها لم تؤثر في البنية الاجتماعية للمدن[2]، وتعزى أسباب عزلة الطائفة التركية في بعض الأحيان عن الأهالي الجزائريين إلى اعتبارات عدة منها الرغبة في الحفاظ على سطوتها السياسية أو صيانة تقاليدها المميزة في العيش [3]. وعلى الرغم من ذلك فإن دورهم كان إيجابيا إذ أنهم تمكنوا من وضع اللبنات الأولى للدولة الجزائرية الحديثة، وأخروا وقوع المنطقة تحت نير الاحتلال الأوربي، ويبدو أن عدم اندماجهم الكلي يعود إلى توافدهم المستمر من المشرق، وأن محدودية انتشار التأثيرات العثمانية تعود إلى ضآلة العنصر النسوي العثماني المتواجد في الجزائر[4].

***طبقة الحضر (المغاربة أو البلدية):**

الحضر ويسمونهم **البلدية**، وهم الجزائريون؛ الذين ولدوا وتوطنوا مدينة الجزائر منذ زمن، حيث كانوا يشغلون نهاية القرن 16م بالمدينة نحو 2500 منزل[5]، تتشكل طبقة الحضر البلدية في عمومها من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من أندلسيين وأشراف؛ أي أن هذه الفئة ينضوي في دائرتها سكان المدن الأصليون والمهاجرون الأندلسيون وكل من استوطن المدن من أهل البادية و"تمدن" بعد أن كان باديا[6]؛ ذلك أن فئة الحضر ضمت جماعات صقلتها سنين التمدن إلى درجة أنها أصبحت تشكل نموذجا فريدا ونمطا اثنيا متميزا [7]، وقد كان لهذه الطبقة عادات وتقاليد اجتماعية خاصة بها، وكانت طبقة ميسورة الحال يعمل أبناؤها في المهن الصناعية، ويتولون وظائف في السلك القضائي والتعليمي[8]، كما أن هذه الفئة كانت معفية من دفع الضرائب، ويرجع هذا الامتياز إلى عهد **عروج** و**خير الدين** اللذان منحاها من أجل استرضائها وقبولها لهم كأسياد في أعقاب الاستيلاء على المدينة[9]، وتضم فئة الحضر العلماء والفقهاء، والتجار، وأصحاب الحرف والصنائع، والكتاب الإداريين، وقد حرمت هذه الفئة من أي طموح سياسي أمام احتكار العثمانيين لمعظم المناصب، ورغم ذلك فإنها كانت تلعب دورا هاما في هذا المجال؛ وتتمتع بنفوذ روحي ومادي، ولعدم تمكن هذه الفئة من الوصول إلى قمة الهرم السياسي، فإنها كثيرا ما كانت تقوم بأعمال من شأنها أن تقضي على الحكم العثماني، وأصبحت تطمح إلى التخلص منه بأي شكل من الأشكال[10]، حيث كانت محل خوف وحسد نظرا للمكانة التي كانت تحتلها في البنى الاقتصادية؛ بحكم القوة الاقتصادية التي كانت تمثلها

---

[1]- Haëdo : **Histoire Des Rois D'Alger**, édition Grand-Alger Livres, Alger, 2004, P 228.

[2]- الطاهر العمري: "**بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي**"، أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، المنتظم بجامعة منتوري، قسنطينة في 23-24 أفريل 2001، ص 218.

[3]- أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص 31.

[4]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009، ص 166.

[5]-Haëdo: **Topographie et histoire générale d'Alger**, 3e éd, grand- Alger livres édition 2007, P :49

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1515-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص155.

[7]- فتيحة لواليش: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، **المرجع السابق**، ص 105.

[8]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 97.

[9] - Haëdo : **Topographie et histoire générale d'Alger ; Op.cit**, P 50.

[10]- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1515-1830)**، المرجع السابق، ج1، ص 148-149.

ومن حيث قدراتها التنظيمية، كما أنها شكلت وزنا ديمغرافيا هاما، وقد كانت فئة الحضر تمثل نحو نصف عدد سكان مدينة الجزائر متفوقة على الأتراك الذين احتلوا المرتبة الثانية من حيث القوة العددية[1]، وعلى الرغم من ثقلها البشري الهام الذي تعكسه الأعداد الكبيرة للبلدية؛ إلا أن هذه الطبقة ليس لها دور كبير في الحكومة[2]، ومع ذلك فإن تأثيرها في الحواضر كان عميقا حيث مس مختلف مناحي الحياة؛ بحكم مستوياتها التعليمية الراقية؛ إذا ما قورنت بالفئات الأخرى.

وكان السكان المور (أبناء البلد من المغاربة)- رغم المحاولات التي تحاول تصويرهم على أنهم جشعون متعطشون للدماء انتقاميون- يسكنون المدن والسهول الزراعية، ويشكلون أكثر من نصف السكان[3]، ويشير أحد الأسرى النرويجيين أنهم كانوا متسولين وخدم للفئة الأولى لكنهم يتمتعون بنوع من الحرية[4]، وقدر الرحالة الفرنسي **فانتور دوبارادي** عدد أفراد هذه الفئة في مدينة الجزائر بـ: 32 ألف نسمة من المجموع الكلي للمدينة البالغ 50 ألف نسمة في القرن 18م[5]، ومن أهم العناصر التي تتشكل منها طبقة الحضر:

-العنصر الأندلسي:

أصبح عدد الأندلسيين والموريسكيين في مدينة الجزائر في نهاية القرن 16 وبداية القرن 17م يفوق البلدية أو الحضر القدماء؛ وحسب تقدير الباحثة الجزائرية **سامية شرقي** فإن عددهم حوالي 25 ألف أندلسي موريسكي مقابل 15 ألف "بلدي"؛ مما سهل انتشار عادات الأندلس وتقاليدها؛ لا سيما أنها الأكثر آنذاك مقارنة بتقاليد بقية المكونات الديمغرافية الاجتماعية في المدينة العاصمة، وتضيف الباحثة أن 6/1 مساكن مدينة الجزائر العتيقة كان يسكنها الموريسكيون[6]، وفي شرشال عاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في مائتي ألف بيت[7]، وازداد عددهم بعد قرار الطرد من اسبانيا عام 1609م ، إذ وجد نحو مليون شخص من جميع الطبقات؛ وفي جميع الأحوال مشردين بلا مأوى ولا وطن، حيث حرمت شبه الجزيرة بهذا القرار من شعب ذكي ونشيط مع انتقال الكثير منهم إلى ساحل شمال إفريقيا، حيث تضخم سكان مدن شمال إفريقيا؛ وعلى وجه الخصوص الجزائر العاصمة[8]، وكان نصيب مدينة وهران من هؤلاء المهاجرين 22 ألفا نزل أغلبهم بها، واتجه فريق منهم متكون من خمسة إلى ستة آلاف نحو تلمسان، وأربعة آلاف نحو مستغانم[9]، وبما أنهم لم يكن في امكانهم الالتحاق بالجيش والوظائف العليا بالدولة؛ فقد توجه معظمهم إلى التجارة والصناعة، حيث

---

[1]- عائشة غطاس: **"من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية"**، مجلة إنسانيات، العدد 19-20، CRASC، وهران، الجزائر، 2003، ص 02.

[2]- شوفاليه دارفيو: **مذكرات قنصل فرنسافي الجزائر 1673-1674**، تر وتع لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث للنشر والإشهار، برج بوعريريج، الجزائر، 2023، ص 121.

[3]-Vincent-Yves Boutin : **Aperçu Historique Statistique et Topographique Sur L'état D'Alger**, 2e édition, Paris, 1830, P : 109-110.

[4]- نيلز نيلسون: **المصدر السابق**، ص 101.

[5]-Venture De Paradis: **Alger Au 18e siècle (1788-1790)**، Edition grand –Alger Livres, Alger, 2006, P 20.

[6]- فوزي سعد الله: **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، ج2، طبعة خاصة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 47.

[7]- الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 34.

[8]-Devoulx (Albert) : **Notice sur les corporations Religieuses D'Alger**, Alger, 1862, P 29.

[9]- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية"مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر"**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 25.

أظهروا كفاءاتهم ومهاراتهم خبرتهم خاصة في ميادين صناعة الأسلحة والبارود والنجارة والخياطة، وصناعة الخزف، كما اشتهروا بانتاج الحرير في مدينة القليعة، وزراعة قطن جديد في مستغانم[1].

كان للهجرة الأندلسية انعكاس ايجابي على العمران ومختلف المجالات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات إلى حد كبير؛ أدى إلى شيوع النقود الإسبانية في المعاملات بين حكام الجزائر وباقي الدول الأوربية، إذ أصبحت تشكل عنصرا بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة، حيث أصبح أفراد الجالية الأندلسية يشكلون بورجوازية المدن الساحلية، ذلك أن غايتهم لم تكن السعي لاكتساب النفوذ السياسي وتقلد المناصب العليا في الدولة، وإنما كان همهم العمل على تنمية ثروتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم، وبذلك أصبحت طبقة ميسورة الحال، اتصفت برقة الذوق وأسلوب المعيشة الراقي وطريقة تعاملهم المتحضرة، ونمط العمارة ونوعية الفن حيث كان الأندلسيون بالجزائر مولعين بنظم الموشحات وترديد المدائح[2]. لقد استفادت الإيالة الجزائرية من ثروة كبيرة جراء هذه لهجرة، ففي كل مكان ترك الأندلسيون آثارا لنشاطهم الدؤوب، إذ رفعوا شرشال من أنقاضها، وعمروا البليدة، وأسسوا القليعة، وزرعوا أشجار العناب والزيتون في بونة، والقطن في مستغانم والحرير في القليعة، وأصبحت مدينة الجزائر مع مجيئهم تزخر بالمياه الوفيرة، والتي لم يكن بها سابقا سوى الآبار والصهاريج[3]، لذلك نجد كثير من الكتاب يصرون على أن اللاجئين من الأندلس قد أغنوا مدينة الجزائر كثيرا بمهاراتهم، بينما يخبرنا آخرون بأن الموريسكيين لم يستقبلوا استقبالا حسنا في مدينة الجزائر؛ على عكس ما حدث لهم في تونس؛ حيث كان الاقتصاد أكثر ملائمة لقدراتهم، وحيث الحكومة أكثر استعدادا لاستقبالهم[4]، ومع ذلك فإن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة؛ جعلت منهم نخبة مميزة في نظر السلطات، حيث استفاد الأتراك العثمانيون من خبراتهم ومهاراتهم في شتى الأمور، ونشاطهم الجهادي والعسكري ومساهمتهم الفعالة في تدعيم إيالة الجزائر، وهذا راجع إلى حيوية الأندلسيين التي اعتبرها أحد الباحثين بأنها الدور البسيكولوجي في مجتمعات المغارب[5].

وقد مثلت الجالية الأندلسية النخبة البرجوازية التي احتكرت دواليب الحركة الاقتصادية، وكانت بمثابة المؤشر المالي للرأسمالية الحديثة في الجزائر العثمانية، كما لعبت أدورا كبيرة في الحياة الاجتماعية بالجزائر، فقد اشتغل أبناؤها بالعمل التجاري والحرف المهنية وطلب العلم والتدريس، ومساعدة الأتراك في تنظيم موارد الخزينة العامة، وأصبحت النخبة المديرة لشؤون العمليات البحرية والنخاسة ومبادلة الأسرى وتمويل مشاريع الجهاد البحري، ما مكنها من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف الشرائح والطوائف، ومن العائلات الأندلسية التي اشتهرت بالتجارة والصناعة نذكر: **ابن رامول، وابن هني، وابرزوان، وبرحال وبن تشيكو، وابن الكباطي، وابن الشاهد وابن عمار، وخوجة**[6].

---

[1]- عمار بوحوش: **المرجع السابق**، ص 74-75.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية"مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر"**، المرجع السابق، ص 33، 34، 35.

[3]-Devoulx (Albert) : **Notice sur les corporations Religieuses D'Alger**, **Op.cit**, P 29.

[4]- جون ب. وولف: **الجزائر وأوربا 1500-1830**، تر وتع أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 151.

[5]- حنيفي هلايلي: **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 51.

[6]- حنيفي هلايلي:**"الحضور الأندلسي بالجزائر على ضوء المحاكم الشرعية"**، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، أوت 2002، ص 316-320.

– الأشراف:

تنتسب هذه الطبقة إلى آل البيت، وهي قليلة العدد إذا ما قورنت مع طبقات مجتمع مدينة الجزائر بصورة عامة؛ وطبقة البلديين خاصة، تتألف هذه الطبقة من نحو 200-300 أسرة فقط[1]، حيث كان للأشراف في الجزائر نقابة خاصة ونقيب يسمى نقيب الأشراف يحظى بتقدير العامة ورعاية الحكام، وكانوا يتمتعون بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع؛ حتى أن مبايعة الباشا كانت لا تتم إلا بحضوره إلى جانب العلماء والديوان، ومن أشهر العائلات التي تولت هذه النقابة في الجزائر عائلة **المرتضى** وعائلة **الزهار**، وكان لأوقاف الأشراف وكيل خاص أيضا؛ وليس هو النقيب المشار إليه لأن النقابة منصب معنوي أما الوكالة فمنصب إداري[2]. وقد عرف الداي **محمد بقطاش** برعايته للأشراف، حيث بنى لفائدتهم زاوية زاوية عام 1121هـ/1709م؛ عرفت بزاوية الأشراف ما لبثت أن أصبحت لها أوقاف كثيرة قبل أن تتعرض لمصادرة الإدارة الفرنسية عام 1832م[3]، وقد اندمج أغلب أفراد هذه الجماعة في طبقة الحضر، فلم يعد ينتسب إلى الأشراف سوى بعض العائلات التي لم يتجاوز عددها 300 أسرة[4]، أما العلماء فنعني بهم رجال الدين أو الشريعة، والذين مثلوا أعضاء مجالس القضاء، والمراكز التعليمية والدينية، ورؤوساء الطرق الصوفية ونقابة الأشراف، ويندرج ضمن فئة العلماء التي تنتمي إلى طبقة الحضر بالمدن؛ المفاتي والأئمة الخطباء والوعاظ والمؤدبون، والقائمون بشؤون المساجد وخدام الأضرحة، إضافة إلى الخوجات والمثقفين والأحرار والمرابطين، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأخيرة لم يكن لها طموح لتقلد المناصب السياسية؛ بل أنها اكتفت بتولي المناصب العلمية والدينية[5].

***فئة الكراغلة:**

طبقة أبناء الأتراك الذين ولدوا في الجزائر من النساء المحليات" أمهات جزائريات" أي فئة القولوغلية، حيث كان التعريف اللغوي للقب "**قول أوغلو- Kuloglu**" الذي يعني في الاصطلاح العثماني ابن العبد[6]، وهي في نظر هؤلاء الأتراك نتاج اجتماعي أدنى منهم مرتبة فأطلقوا عليهم "أبناء العبيد" أو "الكراغلة"[7]؛ باعتبار أن الانكشارية بدورهم عبيد للباب العالي الذي لا يعرفون سيدا غيره، وهناك من ينسب كلمة العبد للرعية؛ أي أنهم أبناء الأتراك ممن هم أدنى منهم طبقة، ما جعلهم يحتلون مرتبة أدنى من مرتبة التركي القح، ومهما كانت دلالة العبارة فإنها تعكس لنا اندماج الطبقتين الحاكمة والمحلية المحكومة[8]. وقد عاش الكراغلة في بداية عهدهم كبقية العناصر العثمانية، فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها آباؤهم، ومع مرور الوقت أصبحوا يقومون بدور الوساطة بين الحكام والمحكومين، حيث

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 243.

[2]– الشريف كمال دحومان الهاشمي: **أشراف الجزائر؛ دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 155.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق**، ص 243.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 235

[5]– رشيدة شدري معمر: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671–1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2005-2006، ص 47-48.

[6]– عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 133-134.

[7]– حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 166.

[8]– جميلة معاشي:"**اندماج الإنكشارية في المجتمع القسنطيني من خلال سجلات الزواج والطلاق بأرشيف قسنطينة**"، أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، المنتظم بجامعة منتوري، قسنطينة في 23-24 أفريل 2001، ص 203.

لعبوا دورا بارزا في تاريخ البلاد خلال الفترة العثمانية، ويبدو أن سبب اندماج الكراغلة بالعثمانيين؛ يعود إلى شخصية الحكام الأوائل الذين استطاعوا توحيد العناصر المختلفة تحت حكمهم، وخلق نوع من الانسجام والترابط بين مختلف العناصر طوال مدة حكم البايلربايات(1587-1520)[1]، في حين يذهب البعض بالقول أن فئة المولدين التي تفردت بمواصفات خاصة لم تستفد بشيء من الامتيازات التي تمتع بها أباؤهم رغم رابطة الدم التي تجمعهم، حيث لم يتمكنوا من التدرج في المناصب العسكرية ولم يتقلدوا المناصب الحكومية البارزة[2]؛ فرغم نضالهم الطويل على مدى أجيال لانتزاع حقهم؛ فإنهم لم يشغلوا إلا مناصب ثانوية، ولم يتقلدوا على الإطلاق وظيفة الداي أو الأغا بسبب عدم قبولهم في سلك الإنكشارية[3]، ويرجع **هنري جارو (Garrot)** سبب إقصائهم من جميع المناصب العليا إلى انحيازهم إلى طائفة الرياس على حساب اليولداش، على أمل الظفر بنصيب في إدارة الشؤون العامة مع وصول الرياس للحكم[4]، وعلى الرغم من أن هذه الفئة يمكن لها أن ترث خيرات متجمعة إلا أنها لا تحصل على كسب الآباء؛ وهو ما يحول دون نشأة ارستقراطية عائلية وراثية[5].

بدأت العلاقات بين هذه الفئة والسلطة الحاكمة بالتوتر منذ أواخر القرن 16م وبداية القرن 17م ؛ خصوصا بعد أن بات الكراغلة يشكلون قوة لا يستهان بها مع تزايد أعداد أفرادها، لذلك عمد الأتراك العثمانيون أمام تخوفهم إلى إقصائهم من صفوفهم، ومع ذلك يبدو أن السبب الرئيسي للعداء كان سياسيا، وهو ما أدى إلى ظهور الكراغلة كمجموعة تشكلت على وجه التحديد أثناء الصراع بين **خضر باشا**[6] والميلشيات، ومهما يكن فإن أهم ميزة لهذه الفئة هي بقائها على ارتباط بالبلد رغم وضعهم الغامض بين الأتراك والأهالي؛ هذه الحالة أدت في النهاية إلى ولادة تحالفات وطنية خلقت أزمة للسلطة انتهت باندلاع ثورة عام 1629م[7]؛ التي قامت بها عناصر فئة الكراغلة للحد من نفوذ الأتراك والسيطرة على مقاليد الحكم، إلا أن الخطة انكشفت وتمكنت السلطة من القضاء على التمرد، ولقي العديد من عناصر الفئة مصرعهم، لذلك فقدوا كثيرا من امتيازاتهم من ذلك عدم اشراكهم في الحكم لقربهم من الجزائريين، فأبعدوا عن الأوجاق والمناصب العليا، ولم يعد لهم نفوذ وسلطت عليهم الجواسيس وأصبحوا عرضة للإهانات[8]، ولم تستطع السلطة الحاكمة على الرغم من المذابح التي ارتكبتها بحق الفئة الحد من شوكتهم؛ إلا بعد أن سمح لهم الداي شعبان آغا عام 1693م بالانضمام إلى الأوجاق من جديد واستعادة حقوقهم[9].

---

[1]-أرزقي شويتام: "**دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية**"، مجلة أفكار وآفاق، مج3، العدد 04، جامعة الجزائر 2، 2013، ص 180.

[2] - Rozet(M) : **Voyage Dans La régence D'Alger, Op.cit,** P 294.

[3]-Mouloud Gaid: **L'Algérie sous les Turcs**, Op.cit, P 104.

[4]-Garrot (Henri) : **Histoire Générale de L'Algérie**, Imp.crescenzo voutes, Alger, 1910, P 477- 478.

[5]- أندري برنيان وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1960،1984، ص 132.

[6]- **خضر باشا:** كان رجلا مسنا تقلد منصب الباشوية كحاكم للبلاد مرتين؛ الأولى بين 1589-1592م، اتسمت ولايته بالقسوة وسوء معاملة الرعية بما فيهم المسيحيين، اندلعت في عهده ثورة بني عباس عام 1590، أما ولايته الثانية؛ فكانت لعام واحد 1595-1596م، ولم يحدث فيها شيء يستحق التنويه. انظر Haëdo:**Histoire Des Rois D'Alger**: **Op. Cit,** P 211-221, 228-229.

[7]-Boyer(P): «Le **Problème Kouloughli dans la régence d'Alger»، in** R.O.M.M, N°: Spécial, 1970, P82.

[8]- حمدان خوجة: **المرآة**، المصدرالسابق، ص 157.

[9] - Boyer(P) : **Le Problème Kouloughli dans la régence d'Alger,** Op.cit, P 84.

عرفت فئة الكراغلة تطورا ديمغرافيا واضحا؛ حيث بلغ تعدادها عام 1621م خمسة آلاف نفر في الوقت الذي كان فيه عدد الأتراك العثمانيين بمدينة الجزائر عشرة آلاف[1]، في حين قدر الرحالة **فانتور دوبارادي" Venture De Paradis"** عدد أفراد هذه الفئة في القرن 18م بنحو: 6000 كرغلي[2]، وهذا ما يقره **شالر** الذي قدر عددهم بنحو: عشرين ألف، حيث ذكر أنه بالرغم من التمردات التي قامت فئة الكراغلة ضد سلطة الأتراك؛ إلا أنهم حافظوا على بعض المكاسب والامتيازات كالترقي في المناصب القيادية العسكرية البحرية، وامكانية الوصول إلى منصب القائد أو الباي[3]، وقد شكل الكراغلة الذين يتوزعون في كامل أنحاء الإيالة الجزائرية مع الوقت نواة قوية في المدن الداخلية الرئيسية على غرار تلمسان، معسكر، مستغانم، المدية، مليانة، وقسنطينة، وأصبح أفراد هذه الفئة يلعبون دورا أساسيا في مجتمع مدينة تلمسان، وذلك عندما أصبحوا يشكلون الغالبية العظمى من سكانها فأضحت لهم الكلمة العليا فيها[4].

واستطاع الكراغلة الوصول إلى المناصب الإدارية العالية عن طريق نفوذ آبائهم العثمانيين؛ أو عن طريق أموالهم ولعل من أبرزها العمل على إدارة البايليك كبايات أو قياد أمثال: باي التيطري **محمد الذباح** (1768-1771)، وباي قسنطينة الحاج **أحمد باي** (1826-1837)، بالإضافة إلى تقلدهم وظيفة الإفتاء إذ نجد أن حسين بن رجب شاوش أو المفتين من الكراغلة بمدينة الجزائر وذلك سنة 1691، كما تولوا منصب أمين الحضر على غرار **الحاج محمد أغا بن عبد التركي**، وقد نشطوا كذلك في مؤسسة بيت المال حتى ارتقوا لمنصب بيت المالجي **كالحاج مصطفى آغا بن محمد التركي** سنة 1672، زيادة على ذلك عملوا وكلاء أو نظراء على الأوقاف، كما كان باستطاعتهم تولي منصب الخوجة شريطة الإلمام باللغة العربية والتركية بشكل جيد، ومنه يتراءى لنا أن الكراغلة بمناصبهم الإدارية في البايلك، قد أصبحوا أعوانا لإدارة الحكم المركزي يعملون دور الوساطة بين الفئة الحاكمة وبقية السكان[5]، وتقلد هذه الفئة الهجينة لمختلف هده المناصب يؤكد حضورها في تسيير دواليب الحكم رغم سياسة الإقصاء والتهميش المنتهجة في حق أفرادها.

***فئة البرانية:**

ثم تأتي طبقة **البرانية؛** وهم السكان الأصليون القادمون من دواخل البلاد؛ من مدنهم الصغيرة وقراهم إلى المدن الكبرى كمدينة الجزائر للعثور على عمل مؤقت، كل حسب موطنه الأصلي، إذ نجد؛ البساكرة والجيجلية والقبائليون والميزابيون والأغواطيون، وكانت كل مجموعة مختصة في مهام معينة[6]، وكان لكل جماعة أمين يرأسها عدا الزنوج؛ والذي يعتبر المسؤول عن أفراد التنظيم الحرفي ويعمل كوسيط شرعي بينهم وبين الإدارة، ويسهم في ضمان التحصيل الضريبي للبايلك مع استمرارية زعامته على أبناء طائفته[7]، حيث شهدت مدينة الجزائر التي أضحت أكثر جاذبية منذ عام

---

[1]-Boyer(P): **Ibid,** P 82.

[2]- Venture De Paradis : **Op.cit, P 20**

[3]- وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، **المصدر السابق**، ص 56.

[4]- Boyer (P): **Le Problème Kouloughli dans la régence d'Alger,** Op.Cit, P 87.

[5]- حبيبة عليليش: **الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني القرن 10-13هـ/16-19م**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2017، صص 116-119.

[6]- Hoexter Miriam : **« Taxation Des corporations Professionnelles D'Alger à L'époque Turque** », In R.O.M.M, N ° 36, 1983, P 19.

[7]- Bernard Caporal: **Oran Capitale du Beylik de L'Ouest (1792-1831)**، éditions Alpha, Alger, 2012, P: 220.

1565م توافدا للسكان من مختلف الأقاليم الفقراء والأقل فقرا من أبناء فئة البرانية بحثا عن المزيد من فرص الربح، وظروف معيشة أفضل[1]، حيث اشتغلوا في مهن متواضعة وأعمال شاقة كسبا للقمة العيش، ومن المهن التي امتهنوها العمل في البساتين وكعمال أجراء وحرفيين؛ ونجد منهم صغار التجار[2]، وتجدر الإشارة إلى أن الغلبة العددية كانت للعنصر الجيجلي ثم على التوالي؛ جماعة القبايل وجماعة البساكرة ثم جماعة الأغواطية، بينما شكل أهل مزيتة وبنو عباس أصغر الجماعات حجما[3].

والجدير بالملاحظة أن فئة البرانية لم تكن محصورة في العاصمة فقط، بل كان لها في الحواضر الكبرى على غرار قسنطينة التي استقرت بها ومارس أفرادها عديد الأنشطة والحرف كالنسيج والحدادة والبناء والطبخ والحلاقة وغيرها[4]، **فالميزابيون؛** حظوا باحترام السلطة الحاكمة التي اعترفت بمذهبهم الإباضي، و سمح لهم بالمحافظة على أمين بمدينة الجزائر مع حق التقاضي عليهم من طرف قاضيهم المقيم في غرداية، وقد احتكروا أعمال المشرفين على الحمامات، وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين[5]، كما اشتغلوا في بيع الفحم، والظاهر أنهم استطاعوا جمع ثروات، ولربما هذا ما دفع **خوجة** إلى القول أن باي التيطري أضعف وأفقر من أمين ميزاب[6]، وقد كانوا من أهم عناصر فئة البرانية التي عرفت بإخلاصها للسلطة حيث تمتعت بامتيازات تعود إلى زمن **حسن أغا** نظير المساعدة التي قدمها أفرادها في التصدي لحملة الإمبراطور **شارلكان** عام 1541، أين أظهروا شجاعة نادرة وهذا في أعقاب تراجع الجزائريين إلى حصن الإمبراطور، هذه الخدمات لاقت استحسان ورضى حسن أغا الذي كافأهم فأغدق عليهم الثروات، لكنهم فضلوا منحهم الحقوق والامتيازات التي استمرت إلى غاية مجيء الفرنسيين؛ فأصبحوا أسيادا منذ هذه اللحظة[7].

وأما **جماعة البساكرة** فتتكون من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ ووادي سوف وتوقرت[8]، وقد امتهنوا مهنا متواضعة وحراسة مناطق التسوق وأبواب المدينة ليلا[9]، وبعض الأعمال الشاقة مثل (الحمالة)، كما كانوا يزودون العاصمة بالماء الصالح للشرب أي الإشراف على ناقلات المياه[10]، أما **القبائل وبنو عباس** و**الشاوية** وآخرون من هذه القبائل شديدة المراس؛ الذين تواردوا على مدن الإيالة للعمل كخياطين ورعاة وعمال غير ماهرين وخدم للبيوت[11]، **أما الجيجلية؛** فتذهب بعض المصادر أن استقرار أقدم عناصرها بالعاصمة يعود إلى سنة 1516م عندما رافق هؤلاء الإخوة **بربروس**

---

[1]- Farid Khiari : **Vivre et Mourir en Alger- L'Algérie Ottomane aux 16e et 17e siècles**, éditions L'Harmattan, Paris, France, 2002, P 179.

[2]-Mouloud Gaid : **L'Algérie sous les Turcs**, Op.cit, P 201.

[3]– عائشة غطاس: "**من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 03.

[4]-Féraud Charles: «**Les Corporations de métiers a Constantine Avant la conquête Française**»، In R. A, Vol 16, Alger, 1872, P 454.

[5]– وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 100.

[6]– حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 98.

[7] - René Lespés : **« Quelques Documents sur la corporation des mozabites d'Alger dans les premiers temps de la conquête 1830-1838 »**, In R.A, Vol 66, Alger, 1925, P 199.

[8]– ناصر الدين سعيدوني والمهيدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ...**، **المرجع السابق**، ص 100.

[9]- Hoexter Miriam: **Op. Cit,** P 31.

[10] - Broughton (MRS): **Six Years Residence in Algiers,** Second Edition, Saunders and Otley, London, 1939, P: 297.

[11]– وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 100.

عقب استنجاد أهالي الجزائر بهم، حيث قدم معه لدعمه نحو 3000 من موريي جبال جيجل من أتباعه، ولحق به ساعة الانطلاق للسير إلى الجزائر ألفان من المتطوعين؛ آملين أن تكون الغنائم مضمونة[1]، وأضحوا مع مرور الوقت يتمتعون بامتيازات وحظوة خاصة، ولربما يعزى ذلك إلى احتضان سكان جيجل للإخوة بربروس، وهو ما يقره **فانتور دوبارادي** خلال القرن 18م الذي أشار إلى الحظوة التي نالتها الجماعة، والتي كان لها دون سواها من البرانية حق حمل السلاح وارتداء الملابس المزركشة المطرزة بالذهب على الطريقة التركية[2].

دون أن ننسى **جماعة الأغواطيين** المنتسبين لمدينة الأغوط، والذين احتكروا أعمال التنظيف في الشوارع وتصفية الزيوت[3]، بالإضافة إلى **جماعة القبائل** أبناء المناطق الجبلية القادمين من مملكة كوكو أو إمارة بني عباس للاستقرار في العاصمة كما يذكر **هايدو**، وكانوا يعيشون في الأكواخ أو في غرف يكترونها، يشتغلون خدما لدى الأتراك أو الحضر الأغنياء، ويعملون في بساتين الكروم ويقومون بالتجديف على متن السفن لقاء أجرة، ومنهم من كان يبيع الأعشاب والفواكه والفحم والزيت والبيض[4]، كما مارسوا العديد من المهن على غرار الحراسة الليلية التي تحملت عبئها فرق زواوة التي أضحت تشكيلا عسكريا تابعا الدولة يحظى بالعديد من الامتيازات، حيث أسندت لها مسؤولية القيام بالدوريات الليلية[5]، ومن النشاطات التي كانت على ما يبدو حكرا على القبائليين؛ صنعة الفحم، إذ يشير **ابن الشويهد** إلى ذلك بقوله"**رفع القبائل الفحامون شكوى إلى الداي بابا حسن**..."[6]، ولعب أبناء الطائفة دور الوسيط بين ساكنة الأرياف والبوادي وقاطني المناطق المدينية المتحضرة [7]، وعلى الرغم من هيمنة جماعة البرانية على العديد من المهن غير المرغوب فيها من طرف البلديين ؛ وتقديمهم لخدمات عديدة، فقد ظلوا يعتبرون أجانب بسبب انغلاقهم ضمن المجموعات التي ينتمون إليها وعدم انسجامهم بشكل عملي في حياة المجتمع، فأغلبهم هاجروا بدون أهلهم وظلوا مرتبطين بمراكزهم ومناطقهم الأصلية[8]، ومنه يتراءى لنا أن جماعة البرانية التي جاءت من مناطق مختلفة؛ قدمت خدمات جليلة في المدن الحواضر، ومارست واحتكرت العديد من المهن والنشاطات غير المرغوب فيها من طرف البلدية.

***الجالية اليهودية:**

تشكل الطائفة اليهودية أحد أهم العناصر البشرية في تركيبة المجتمع بالمدن الجزائرية الكبرى، وتعود أصولها إلى السكان المحليين الذين اعتنقوا اليهودية واستقروا بالبلاد قبل الفتح الإسلامي، بالإضافة إلى يهود الأندلس الذين قدموا فرارا من اضطهاد النصارى أواخر القرن 15م وحتى منتصف القرن 17م، ينضاف إليهم يهود **ليفورن** القادمين من موانئ

---

[1] - Haëdo : **Histoire Des Rois D'Alger**, **Op.cit,** P 25.

[2]-Venture De Paradis: **Op.cit,** P 34.

[3]- حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 170.

[4]-Haëdo : **Topographie et histoire générale d'Alger, Op.cit**, P 51.

[5]-Venture De Paradis: **Op.Cit,** P 33.

[6]- عبد الله بن محمد الشويهد: **قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)**، تح وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ص 110-111.

[7]- Venture De Paradis : **Op.cit,** P 33.

[8]- حنيفي هلايلي:"**الوافدون على مدينة الجزائر العثمانية بين التهميش والاندماج-البساكرة نموذجا**"، المجلة الخلدونية، العدد 06، الجمعية الخلدونية، بسكرة، الجزائر، 2008، ص 165.

الإيطالية بعد منتصف القرن 17م لممارسة التجارة وتصريف غنائم النشاط البحري وعقد صفقات تجارية بين الدول الأوربية وحكومة الجزائر[1]، كما انتشر اليهود في دواخل البلاد؛ إذ لا توجد مدينة داخلية لا نعثر بها على جالية يهودية، ويبدو أنهم ساحوا في مختلف أرجاء الإيالة، حيث وضع البعض منهم عصا التسيار في كل المدن الصحراوية المتناثرة مثل: تقرت، بوسعادة، وادي ميزاب...إلخ، وقد استقرت العائلات اليهودية بين القبائل أيضا؛ حيث عاشت حياة بدوية[2].

تجلى الحضور اليهودي بالبلاد مع تكاثر العنصر اليهودي في أعقاب سقوط غرناطة، وصدور قرارات الطرد، فقد نزلت عبر ميناء الجزائر وحده 45.000 أسرة؛ تمثل أكثر من 200.000 شخص دفعة واحدة، ووتوزع هذا السيل الجارف على موانىء وهران وتونس ومستغانم وتنس وبجاية، كما انتشر يهود اسبانيا عقب الطرد في الداخل؛ واستقروا بقسنطينة[3]، وبلغ عدد اليهود سنة 1580م نحو 150 عائلة، وعملوا بالصياغة والصرافة وكبائعين متجولين، الأغنياء منهم كانوا يشترون غنائم القرصنة، ويبيعونها في تونس واستانبول، وكان لليهود معبد خاص يحلون به مشاكلهم ونزاعاتهم، وكان يترأسهم زعيم أوقسيس، وقد أجبر اليهود على ارتداء الملابس السوداء باعتبارهم أدنى طبقات الشعب، ويقول **بردان** أن عدد اليهود أصبح سنة 1634 قرابة 10 آلاف يهودي، ونال عدد اليهود الذين استقروا في الجزائر العاصمة إعجاب أكثر من مراقب؛ ففي القرن 17م كان هناك أكثر من 8000 شخص في الجزائر العاصمة وحدها؛ جاءوا من كل مكان: من إفريقيا، آسيا، أوربا[4]، وذهب الباحث اليهودي"**أزنباث**" أنه وجد وثيقة في الأرشيف الفرنسي تعود إلى السنوات الواقعة ما بين (1616-1660)، تذكر أن عدد اليهود في الجزائر يتراوح بين 8000 و9000 نسمة[5]، أما **لوجييه دوتاسي Laugier de Tassy**؛ فيقول أن عددهم أصبح سنة 1725؛ نحو 5000 من المنازل أو العائلات اليهودية ذات الأصول البربرية دون احتساب المسيحيين، وهذا من جملة سكان الحاضرة المقدر عددهم زهاء مائة ألف نسمة[6]، في حين قدر **فانتور دوبارادي** عددهم بنحو 7000 يهودي من مجموع سكان العاصمة[7]، ويشير **دوتاسي** أنه توجد نحو 500 عائلة من يهود البلاد الأصليين تدفع الجزية والحقوق، وتتعرض في الغالب لإهانات وشتائم متكررة، وفي المقابل نجد عائلات يهودية ليفورنية بملابس مسيحية، تحت حماية القنصل الفرنسي[8]، ومن العائلات اليهودية ذائعة الصيت خلال هذه الفترة: عائلة **اسحاق برشيشات برفات**، و**سيمون بن سماح دوران** بالجزائر، و**عمران بن ميراوس أفراتي** بوهران، و**جوزيف بن منير** و**ميمون بن سعدية** بقسنطينة، و**ابراهيم بن هاكون** و**ابراهام النقاوة** بتلمسان، وكانت كل عائلة مرتبطة بحاخام له تأثير بالغ على إخوانه في الدين[9]. ويعتبر اليهودي **سلامون جاكيت** المؤسس الحقيقي للنفوذ اليهودي في الجزائر، وهو من يهود **ليفورن**، عاش عمرا طويلا ومات سنة 1724، حيث خضعت سياسة الداي

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 102-103.

[2]- Rozet et Carette : **L'Algérie**, Paris, France, 1850, P 214.

[3] - Henri Garrot : **Les Juifs Algériens ; Leurs Origines**, Librairie Louis Relin, Alger, 1898, P 38.

[4]-Moulay Belhamissi: **Alger, L'Europe et la guerre secrète 1518-1830**, ANEP, Alger, 2009, p 37.

[5]-Eseinbeth.M: «**Les juifs En Algérie et en Tunisiea L'époque Turque 1516-1830**», In R.A, Vol 96, Paris, France, 1952, P : 150.

[6]-Laugier de Tassy : **Op.cit**, p 166.

[7] - Venture De Paradis **: Op.cit**, P 20.

[8]- Laugier de Tassy : **Op.cit,** P 291-292.

[9] - Henri Garrot : **Les Juifs Algériens ; Leurs Origines**, **Op.cit**, P 36.

الداخلية والخارجية وحتى المسائل المالية لسيطرته[1]، ورغم فقد اليهود الكثير من الامتيازات التي كانت لهم مع مجيء الأتراك؛ إلا أنهم تمتعوا بنوع من الحرية في ممارسة شعائرهم[2]، حيث أشار القنصل الأمريكي **وليام شالر** أن 5000 نسمة من يهود مدينة الجزائر لوحدها؛ تتمتع بحرية تامة في ممارسة عقائدها الدينية، وهي تخضع لقوانينها الدينية في الأحوال الشخصية، كما يتولى إدارة شؤونها رئيس من أبناء الطائفة يعينه الداي، وبوصف اليهود رعايا جزائريين يتمتعون بحرية التنقل والإقامة، وممارسة المهن في حدود القانون؛ فهم غير قابلين للاسترقاق، يمارسون جميع فروع التجارة، وهم يحتكرون السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة؛ وذلك في الذهب والفضة، والحكومة لا توظف سوى اليهود لسك العملة[3].

مارس اليهود أنشطة اقتصادية مختلفة، بموجب الحرية التي تمتعوا بها، حيث اشتهروا في الصنائع والحرف، واحتكروا الصياغة وبرزوا في العطارة والقزازة، واشتغلوا في الخياطة، كما برزوا في الأنشطة المالية والتجارة، فقد نمت أموالهم واستثماراتهم لدرجة احتكار تصدير المواد الهامة والأساسية في البلد مثل الحبوب والجلود والأقمشة والحرير وغيرها[4]، وكثير منهم يشترون الغنائم الواردة من القرصنة، لتباع من جديد للتجار المسيحيين بفوائد كبيرة ، وهناك من ينتقل بتجارته إلى تونس وجربة وطرابلس، عنابة وقسنطينة، وهران وتلمسان، وتيطوان وفاس وحتى القسطنطنية[5]، وكانوا يظهرون بملابس سوداء أو بيضاء ويمنعون من ركوب الأحصنة أو حمل أي نوع من السلاح وإن كان عكازا، كما أنهم لا يغادرون المدينة إلا يومي الأربعاء والسبت من دون إذن، وإذا ما كان هناك عمل شاق ومعين يستوجب القيام به؛ فإنه يقع على عاتقهم[6].

***– الدخلاء:**

أما فئة الدخلاء في المدن فتشمل العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري، على غرار التجار الأجانب والقناصل الأوربيين، ورجال البعثات الدينية، والإرساليات التبشيرية، وجماعات الأسرى المسيحيين، وقد كانت هذه الفئة تعيش في عزلة عن باقي السكان[7]؛ فالمسيحيون الموجودون بإيالة الجزائر كانت أعدادهم قليلة جدا؛ إذا ما استثنيا العبيد[8]؛ ويتمتع الأحرار منهم بحرية ويخضعون في شؤونهم وقضاياهم لقوانين بلدانهم، كما كان لهم قساوسة وأماكن للعبادة، ومقابر خاصة لدفن موتاهم، وغالبا ما تكون هذه الفئة غير مجبرة على دفع الضرائب[9]؛ وأغلبهم من التجار والقناصل، أما الأسرى الأوربيون؛ فيذكر مراقب برتغالي أن عددهم في السجون الجزائرية بين 1621-1637 يقدر بنحو 25 ألف أسير[10]، أما الرحالة الفرنسي **فانتور دوبارادي Venture De Paradis**؛ فقد أشار إلى تواجد نحو 2000 من

---

[1]– عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 410-411.

[2]-Rozet(M): **Voyage Dans La régence D'Alger, Op. Cit,** P 232.

[3]– وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)**، **المصدر السابق**، ص 89.

[4]- جيورج ميني: **تاريخ اليهود في الجزائر**، تر: لبنى مسعود، جمال بن عمار الأحمر، ط1، مكتبة عراس للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2016، ص 55.

[5] - Haëdo : **Topographie et histoire générale d'Alger, Op.cit,** P 123.

[6]-Shaler(W): **Esquisse de l'état D'Alger**, Trad.M.X. Bianchi, Librairie Ladvocat, Paris, 1830,P 87.

[7]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ...**، **المرجع السابق**، ص 104.

[8]- Laugier De Tassy: **Op. Cit**, P 85.

[9]– حنان لطرش: **السلطة والمجتمع في الجزائر (1830–1848م) الثابت والمتحول**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2018، ص 39-40.

[10]– محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني على الاحتلال الفرنسي**، ط2، مكتبة الشرق، بيروت، لبنان، 1979، ص 92.

العبيد والمسيحيين (القرن 18م)[1]، وقد أدت تقلبات الحروب بين الإيالة والدول البحرية الأوربية إلى جلب آلاف من الأسرى إلى الجزائر العاصمة من جميع أنحاء العالم من مختلف الأمم ومن جميع الطبقات الاجتماعية: **الإسبان، البنادقة، الصقليين، الصقالبة، السلاف، الفرنسيين، الانجليز، الاسكتلنديين** وغيرهم؛ **فأضحت المدينة عالمية بامتياز**[2].

واستخدم هؤلاء في الحانات أو السجون أو كخدم في قصر الداي أو رعاية بعض البساتين[3]، كما عمل أغلبهم في القنصليات أو الموانئ أو في أحواض بناء السفن أو مع خواص يعملون في مهام مختلفة، وعلى الرغم من الإشراف والمراقبة فقد حاول هؤلاء الأجانب الانتقام من أسيادهم أو الدولة من خلال المؤامرات أو أعمال التخريب أو التجسس[4]، وقد كانت الحانات والمقاهي في مدينة الجزائر كلها تقريبا في ملك وإدارة الأعلاج أو الأرقاء المسيحيين، وأصبح الكثير منهم من الأغنياء الذين رفضوا عروض تحريرهم أو فديتهم خوفا من فقدان أرباحهم التجارية[5]؛ الأمر الذي جعل **لوجييه دوتاسي** يقول أن العبيد بإمكانهم أن يجعلوا أنفسهم سادة المدن الرئيسية إذا تمكنوا من التواصل أو التعايش[6]، حيث كانوا أسرى حرب لا عبيد كما يذكر **سبنسر**، فقد كان العبد متاعا مملوكا والذي يباع يسجل في الخزينة تحت عنوان خاص به، والأسرى الذين لا يختارهم الداي للعمل في الحراسة أو خدم ولا يشتريهم الباعة، ويصبحون ملكا للدولة؛ فيستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة، ويبدو أن أعدادهم قد تناقصت فمن ألفين أسير عام 1790م؛ بلغ عددهم سنة 1800م ألفا ومائتين[7].

أما بالنسبة لوضعية الأسرى فقد كان لهم هامش من الحرية، فقد أشار الأسير النرويجي في مدينة الجزائر **نيلز نيلسون موس** (1769-1772)؛ أن الأسرى كان يسمح لهم بمغادرة مدينة الجزائر إن شاءوا خلال العيدين(عيد الفطر، عيد الأضحى)، وبالأخص أسرى الداي والمسؤولين الكبار الذين يحصلون على الهدايا في هذه المناسبات[8]، كما تحدث الأسير **تيدنا** الذي حظي بمنصب خزندار الباي **محمد الكبير**(1766-1791) بالغرب الجزائري- مدة ثلاث سنوات وسبعة أشهر من 1779إلى 1782- عن المعاملة الحسنة التي يعامل بها العبيد المسيحيين، وأنهم أحسن حالا من عبيد الجزائر، و أشاد بالحرية التي كان يتمتع بها لدرجة جعلته يرتاد أي مكان[9]، ويتحدث العالم الألماني **هابنسترايت** في رحلته عن الأسرى الأوربيين في مدينة الجزائر على قلتهم؛ والذين كانوا في غالبيتهم من الإسبان والبرتغاليين والألمان، ويحظون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى الدول الأوربية التي تكون في حالة سلم مع حكومة الداي[10].

---

[1] - Venture De Paradis : **Op.cit,** P 20.

[2]- Moulay Belhamissi: **Alger, L'Europe et la guerre secrète…**Op. Cit, P 43.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 46.

[4] - Moulay Belhamissi : **Alger, L'Europe et la guerre secrète…**Op.cit, P 43.

[5]- جون ب. وولف: **المرجع السابق**، ص 151.

[6] - Laugier De Tassy : **Op.cit**, P 86.

[7]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص ص 156، 160.

[8]- نيلز نيلسون موسى: **المصدر السابق**، ص 114.

[9]- احميده عميراوي: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني"مذكرات تيدنا انموذجا"**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003، ص ص: 33، 54،93.

[10]-. هابسترايت (ج. أو): **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هت/1732م)**، تر وتق وتع ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص 34.

ويشير الأسير النرويجي **نيلز نيلسون** إلى تواجد مجموعة كبيرة من الأسرى جاءوا إلى الجزائر بإرادتهم، وهم يفوقون أولئك الذين تم أسرهم في البحر على يد رجال القراصنة الجزائريين؛ وكان أغلبهم من الإسبان، وكان عددهم يتراوح بين 1600و 1800، وأن السبب الذي كان يدفعهم إلى الفرار والتوجه إلى الجزائر اعتقادهم أنهم سيكونون أحسن حالا، وعلى العموم كان كل الأسرى يقولون أنهم جاؤوا إلى البلاد من أجل ممارسة التجارة الموازية في مادة التبغ، وقد تحول الكثير من الأسرى الإسبان عن دينهم في مدينة وهران[1]، بل أن هناك مئات من الرياس من أصل مسيحي كانوا يعملون في البحرية الجزائرية على عهد الداي **مصطفى** (1798-1805)[2].

إذ يتمتع المسيحيون والعلوج بنفس الامتيازات التي يتمتع بها الأتراك بمجرد اعتناقهم للديانة الإسلامية، أما إذا ما تصاهروا مع أبناء البلد فإنهم يفقدون الامتيازات التي تمنحها الدولة، وقد تناقصت أعداد المسيحيين بالإيالة عقب حملة **اللورد اكسماوث** على الجزائر 1816، إذ استطاعت انجلترا الحصول على وعد منع استرقاق الأوربيين كشرط أساسي لإقرار السلم[3].

أما شريحة **العبيد"الزنوج"** الذين يشكلون أقلية بين السكان، فقد كانوا في غالبيتهم يجلبون إلى الإيالة عن طريق القوافل من المناطق الداخلية لإفريقيا أو من طرابلس، وبإمكانهم الحصول على حريتهم بسهولة نظير اعتناقهم الإسلام[4]، ورغم الأوضاع المادية الصعبة والمتدنية التي كانوا يعيشونها إلا أنهم شكلوا أحد عناصر التركيبة السكانية رغم صغر حجمهم، وتركيبتهم التي يغلب عليها العنصر النسوي[5]، إذ نجد الكثير من العائلات الزنجية تعيش وسط السكان "المور والعرب" الذين كان لديهم الكثير من العبيد من الجنسين، يعملون على خدمتهم، والاهتمام بهم كثيرا[6]، حيث كانوا يعاملون بشكل جيد إلى حد ما من قبل أسيادهم، إذ يمكن للزنوج الحصول على حريتهم نظير خدماتهم أو عن طريق دفع مبلغ مالي لعتقهم، وأشار **روزي** "**Rozet**" أن أحد القضاة بمدينة الجزائر كان مالكا لـ: 12 من النساء السود دون عدد الرجال، كما لاحظ عند زيارته لبعض المدن الجزائرية على غرار البليدة والمدية وجود العديد من الزنجيات ذوات اللون الأصفر الباهت[7]، ويصف لنا كل من **روزي** و**كاريت** وضعيتهم؛ قائلين بأن العبيد بين المسلمين يعاملون برقة ولطف كبيرين؛ عكس ما هو الحال عند الجاليات المسيحية؛ لدرجة أن العبد أصبح فردا من الأسرة، وغالبا ما يكون مرتبطا بصلات الدم[8].

وقد تكاثرت جماعة العبيد السود (الوصفان) حتى بلغوا مع نهاية القرن 18م ما بين 2000 و 3500 نسمة بمدينة الجزائر وحدها، وكان لها أمين يعرف بقائد الوصفان يتقاضى بعض العوائد من أفراد طائفته، أغلبهم يشتغل في المنازل ويقوم بأعمال التنظيف الغسيل، واشتغل البعض منهم في المخابز وأعمال البناء والنسيج وامتهان بعض الفنون الجميلة

---

[1]- نيلز نيلسون موسى: **المصدر السابق**، ص 107-109.

[2]- Moulay Belhamissi **: Histoire de la marine algérienne (1516-1830)**, 2e Edition, ENAL, Alger, 1986, P 71.

[3]-Vincent-Yves Boutin : **Op.cit,** P 133.

[4]-Shaler(W) : **Esquisse de l'état D'Alger**, Op.cit, P 91.

[5]- عائشة غطاس:"**من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 04.

[6]-Rozet et Carette: **Algérie états tripolitains,** 2eme édition, éditions Bouslama, Tunis, 1980, P 12.

[7] - Rozet(M) : **Voyage Dans La régence D'Alger,** Op.cit, PP 137, 138,139.

[8]- Rozet et Carette : **L'Algérie,** Op.cit**,** P 215.

كالرقص والغناء والموسيقى[1]، ومنه يتضح لنا التنوع البشري العرقي والاثني للمجتمع المديني في الجزائر العثمانية؛ حيث تتعايش الأجناس من مختلف الأمم في جو من الانفتاح والقابلية للاندماج مع الآخر.

ب–سكان الأرياف:

لقد هيمن الطابع القبلي على الريف في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد تكونت التركيبة الاجتماعية في الريف الجزائري على العموم من جماعات ذات امتيازات، وعشائر الرعية ، ومنهم كبار ملاك العقارات أفرادا وعائلات، وفلاحي الملكيات الجماعية والخماسة و الفلاحين الموسميين والعبيد الذين كانوا في خدمة العائلات الغنية[2]، إذ لم يتغير البناء الاجتماعي للريف الجزائري؛ حيث بقيت القبيلة هي المسيطر، فقد كانت دائما الوحدة الاجتماعية الأساسية، وكانت مقسمة إلى عشائر وبطون وقد سميت بالدوار أو المشتى، وكل دوار أو مشتى كان مقسما إلى العائلات الأبوية الممتدة، وكل عائلة ممتدة بمثابة الجماعة الاجتماعية التي يتم فيها التفاعل الاجتماعي الأساسي[3]. ومع ذلك لايمكن أن تتحدد سمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري في شكل مطلق بالقبيلة والعلاقات فيما بينها فقط؛ وإنما كانت تتحدد أيضا في النظام العقاري الذي كان قوامه الأرض التي لم تعد بالنسبة لسكان الريف مردود مادي بقدر ما هي هوية[4]، ولم تكن القبائل بالريف الجزائري على مرتبة واحدة، ذلك انها كانت منقسمة إلى قبائل مخزنية وقبائل محالفة لها امتيازات، وقبائل سابية ممتنعة، ويشكل البدو سكان الأرياف الجزائرية غالبية سكان الإيالة خلال الفترة العثمانية (حوالي 95% من مجموع السكان)، وهم أساس ثروة البلاد[5]، ويمكن تصنيفهم حسب علاقاتهم مع السلطة الحاكمة ومع بعضهم بعضا، ووفق طريقة تنظيمهم وحياتهم المعيشية إلى الفئات الاجتماعية التالية:

***قبائل المخزن:**

يمكن أن نعرف قبائل المخزن من حيث تكوينها بأنها عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها، فمنها من أقرها الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة؛ ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية[6]؛ أي أنها القبائل المرتبطة بخدمة الجهاز الإداري، والقائمة بالواجبات العسكرية المحددة خارج المدن في إطار المهام الموكلة إليها، إذن هي مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية؛ استمدت منها تماسكها، حيث دخلت في خدمة البايلك مقابل امتيازات تحظى بها منها الحصول على الأراضي، والإعفاء من الضرائب، فهي مسؤولة عن جباية الضرائب، ومراقبة قبائل الرعية، إذ تمثل الدعامة الأساسية التي ارتكزت عليها سياسة الأتراك مع باقي سكان الإيالة، والمدافع الشرس عن وجوده ضد أي كان[7]؛ أي أنها كانت بمثابة حلقة الوصل بين السكان والحكام،

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 101.

[2]- Marcel(E)**: « Les Tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du 19e siècles »**, Annales Economies, Sociétés, Civilisations, N° 1, 1966, P 44.

[3]– بلقاسم بوقرة: **من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008، ص 166.

[4]– احميده عميراوي: من **الملتقيات التاريخية الجزائرية**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص 38.

[5]– حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 51.

[6]–ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 258.

[7] - Marcel(E) **: « Les Tribus privilégiées en Algérie…**Op.cit, p 44.

ففي بايلك الغرب ومنذ عهد الباي **مصطفى المنزالي** (1802-1805) لم تطلق رصاصة واحدة من قبل تركي في أي حملة من الحملات؛ لأن قبائل المخزن هي التي تتكفل بهذه المهمة[1]، وبقدر ما كانت قبائل المخزن دعامة لنظام الحكم العثماني في الجزائر؛ بقدر ما كانت تدافع عن امتيازاتها بوقوفها ضد كل محاولة لتغيير نظام الهيمنة[2].

لعبت قبائل المخزن دور حلقة الوصل بين الطبقة الحاكمة في المدن والسكان في الأرياف حسب ما تقتضيه مصالحها وتعاونها مع السلطة الحاكمة، وإن هذا التحالف وإسناد المهام الإدارية والعسكرية لقبائل المخزن يرجع لأيام الموحدين، ومن بعدهم الزيانيين في تلمسان، وبنو حفص في تونس وبجاية، وحافظ الأتراك على هذا النوع من القبائل؛ وذلك خدمة لهم ولسياستهم تجاه الرعية[3]؛ مقابل إقطاعات يمنحها لها تعرف عادة بالمشاتي؛ تستقر عليها هذه العشائر وتباشر عليها نشاطها الزراعي، غير أن هذه الأراضي كانت تدخل ضمن إقطاع غير قابل للقسمة؛ يتم استغلاله مقابل شروط متفق عليها ضمنيا بين أفراد العشيرة ورجال البايليك[4]، وما دامت هذه الأراضي مخصصة للإعداد الحربي فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال كرائها أو منحها للأجانب، حيث كانت مقيدة في دفاتر مشاتي الداي، إلا أن هذا الامتياز أضحى متوارث في أبناء العائلة ولا يمكن انتزاعه لخيانة حصلت أو جناية ارتكبت، ومع ذلك فقد حاز بعض أعضاء المخزن عن طريق الابتياع أملاك وعقارات خاصة، كما أصبح لها الحق في امتلاك الأسلحة وإجبارية خدمة الداي أو الباي باستخلاص ضرائب الدولة أو الخروج مع المحلة العسكرية لإخماد التمردات[5]، واتخذت مع مرور الزمن رغم تباين أصولها شكل قبائل مستقلة بذاتها كقبائل الدوائر والزمالة؛ أو تكونت نتيجة ظروف تاريخية في مجموعات عرقية مغلقة كمخزن الكراغلة أو العبيد[6]؛ وفرسان الصبايحية بسهل الشلف، ومجموعات موزعة على أقسام متعددة حسب الحاجيات العسكرية في البايلكات الثلاث[7]، ويمكن أن نلخص المهام التي أوكلت إلى هذه القبائل في؛ العمل على جمع الضرائب من سكان الأرياف التي يرفضون دفعها، ومما يلاحظ أن نشاط قبائل المخزن الحربي ترك آثارا في حياة سكان الأرياف، إذ ساعد على انتشار اللغة العربية وانحصار اللهجات المحلية ببعض الجهات كالهضاب العليا القسنطينية، وشجع على ذيوع البداوة والتحول من ممارسة الزراعة إلى تربية المواشي، وبالجملة فقد أصبحت قبائل المخزن نهاية العهد العثماني بمثابة الدركي الساهر على مصالح البايليك، والقوة الرادعة التي يستغلها الحكام إبقاء لنفوذهم وحفاظا على مصالحهم[8]، حيث أصبحت قبائل المخزن تمثل الجيش الاحتياطي في الجزائر؛ الذي اعتمد عليه الأتراك لاستنزاف موارد الريف الاقتصادية، وسد حاجاتهم من الأموال والثروات؛ بعد أن شحت موارد الإتاوات، وتناقصت غنائم القرصنة في مستهل القرن 18م[9]،

---

[1] - Walsin Esterhazy: **De la domination Turque dans l'ancienne régence D'Alger**, Librairie de Charles Gosselin, Paris, France, 1840, P 262.

[2]- Marcel(E): «**Les Tribus privilégiées en Algérie…**Op. Cit, p 49.

[3]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، المرجع السابق، ص 106.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 114.

[5]- Marcel(E) **: « Les Tribus privilégiées en Algérie…**Op.cit, pp 49, 51.

[6]- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 49.

[7]- أندري برنيان وآخرون: **المرجع السابق**، ص 134.

[8]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، المرجع السابق، ص 107.

[9]- حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 85-86.

لذلك أضحت الجهاز الاقتصادي والعسكري والإداري الذي اعتمدت عليه الإدارة العثمانية لحفظ الأمن، وتسيير شؤون المجتمع الريفي، حيث دعم الأتراك هذه القبائل وأوكلوا إليها مهام إدارية وعسكرية حماية لمصالح البايليك.

***قبائل الرعية:**

تتألف قبائل الرعية من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للبايلك؛ التي لم تحظ بأي امتياز من السلطة التركية، وكانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة، وتفرض عليها أعمال السخرة، حيث كانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية–الممانعة– لأنها كانت تقطن مناطق وعرة يصعب على القوات التركية أن تتواجد فيها بصفة دائمة[1]، وتشمل أيضا بعض القبائل الأهلية التي أرغمتها عوامل مختلفة على الخضوع للإدارة العثمانية كقرب مجالها من الحاميات العسكرية، ومن المناطق الخاضعة لنفوذ البايلك الممثل في قبائل المخزن والقبائل المتعاونة معها[2]، وتمركزت قبائل الرعية عبر كل مناطق البايلك التلية والساحلية والسهبية، حيث شكلت قبائل مضطهدة تحملت عبء الثقل الضريبي الذي شكل المورد الرئيسي للدولة؛ خصوصا مع تراجع عائدات البحر[3]؛ أي أنها إجمالا قبائل تدفع الضرائب وتتحمل الأعباء، وقد اتخذت الحكومة العثمانية في الجزائر إجراءات لمنع هذه القبائل من الخروج من قبضتها عن طريق وضع قيادة من الأتراك والكراغلة؛ وشيوخ القبائل المتعاونة مع البايات على رأس قبائل كبيرة، وقد بلغ عدد القياد الذين لهم نفوذ على قبائل الرعية في مدينة قسنطينة وحدها حوالي 24 قائدا و11 شيخا[4]، والملاحظ أن السياسة الضريبية وأعمال السخرة التي لجأت إليها الإدارة وفرضتها على بعض الأفراد أو الجماعات من قبائل الرعية؛ مثل حرث أراضي البايلك وحصدها بما يعرف بالتويزة؛ أدت إلى نتائج عكسية، فبالرغم من الأساليب التي لجأ إليها الحكام لضمان ولاء قبائل الرعية لهم، فإن هناك بعض القبائل شقت عصا الطاعة، وثارت ضدهم أمثال قبائل صبيح، وأولاد يونس، والشرفاء في بايلك الغرب، وقد عرفت حركة التمرد هذه اتساعا في أواخر العهد العثماني نتيجة اشتداد وطأة الحكام على الرعية، وأدى هذا الوضع إلى تضاعف عدد القبائل الممتنعة[5]، وغالبا ما تبنت الفرق الدينية مطالب القبائل المتمردة على سلطة البايلك؛ خاصة نهاية القرن 18م ومطلع القرن 19م الذي عرف اندلاع انتفاضات قادتها زعامات دينية[6].

***القبائل الممتنعة أو شبه مستقلة:**

هي القبائل التي تقطن جهات خارجة عن سلطة ممثلي البايليك ، وقد رسخ الوسط الطبيعي الوعر والبعد عن التأثير المباشر للسلطة المركزية النزعة الاستقلالية لدى هذه القبائل تجاه البايليك، وعمق روح المقاومة لديها كلما شعرت بمحاولة تدخل عناصر خارجية في شؤونها، وتعتز بعض هذه القبائل بكونها لم تروض أبدا، وباستعدادها الدائم للدفاع عن استقلالها الذي لم تتمكن السلطة البايليك نفسها من كسر شوكته[7]، فهي على النقيض من قبائل الرعية الخاضعة؛ بقيت

---

[1]– صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، ط3، دار هومه لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 367.

[2]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830م**، المرجع السابق، ص 257.

[3]– فتيحة لواليش: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، المرجع السابق، ص 31.

[4]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، المرجع السابق، ص 108.

[5]– أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830م**، المرجع السابق، ص 272–273.

[6]- فتيحة لواليش: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، المرجع السابق، ص 31.

[7] - Nacereddine Saidouni : **L'algérois Rural a la fin de l'époque Ottomane (1791-1830)**, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2001, PP 349-350.

بعيدة عن السلطة التركية؛ متحصنة في المناطق الجبلية كالأوراس والونشريس والبابور والقبائل؛ أو ظلت ممتنعة عن أيدي الحكام بأراضي الجنوب الملائمة لحياة الرعي والترحل، وينتمي غالبية السكان المستقلين عن السلطة التركية إلى مجموعات قبلية على رأسها عائلات تعتمد في فرض نفوذها على السلطة الروحية أو الكفاءة الحربية[1]، إذ يذهب **فانتور دوبارادي** بالقول أن غالبية المناطق الجبلية من المملكة إلى سهل القيروان تقطنها جماعات– أمم– مستقلة، ففي الجزائر منطقتين شهيرتين لم تخضعا لحكم أبدا؛ قبايل فليسة التي يمتد نفوذها من دلس إلى القل، وزواوة التي لا تدفع أي ضريبة بما فيها ضريبة الرأس، وغالبا ما يشنون حربا شديدة فيما بينهم، ويتحدون فقط ضد العدو المشترك، وفي المقابل اتجه البعض من أبناء زواوة إلى العاصمة أين شكلوا هيئة نظامية؛ حظيت بامتيازات؛ حيث أسندت لها مهمة القيام بالدوريات الليلية؛ فيما كانت فليسة أيضا يحكمها شيوخ معينون[2]، حيث كانت إلى جانب أولاد سيدي الشيخ وزواوة المستقلين بإمارة كوكو؛ لا تعترف بالولاء للحكم المركزي؛ ذلك أنها كانت ترى في نفسها سلطة موازية ومنافسة للسلطة الحاكمة، لذلك كانت غايتها الحصول على مساعدتها في مواجهة الأعداء[3]، كما يذكر الألماني **هابنسترايت** أن قبائل جبال الأطلس كانت تعيش شبه استقلالية إذ أنهم لا يعتبرون من الرعايا الخاضعين، وكانوا يتصدون لجند المحلة عندما تتوجه إليهم، ولهذا السبب أصبح من غير الممكن السفر أو الانتقال داخل البلاد بدون حراسة قوية[4].

قدر عدد هذه المجموعات السكانية عام 1830 بحوالي 320.000 نسمة حسب الإحصائيات؛ من أصل مجموع السكان البالغ ثلاثة ملايين عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد اتبعت السلطات التركية الحاكمة عدة إجراءات للحد من استقلال هذه القبائل وتمردها، أهمها: – إقامة الحاميات العسكرية في مناطق هذه القبائل، وعزلها في المناطق الجبلية الحصينة أو في المناطق الصحراوية، كما عملت على مراقبة الأسواق الموسمية والأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطن هذه القبائل المستقلة، حيث يجري التعارف وعقد الأحلاف وتبادل الرأي وكانت الدولة تنصب على هذه الأسواق قادة من الأتراك، وكانت تفرض على البضائع المحمولة إلى الأسواق ضريبة مقدارها 10%، وبهذه الطريقة استطاعت فرض جزء من سلطتها التجارية على هذه القبائل، وفي حالة عدم إعطاء هذه السياسة أية نتائج إيجابية كانت السلطة تلجأ إلى القوة، وتدمر المواقع الحصينة وتتلف الأمتعة والأقوات، حتى تضطر القبيلة المتمردة إلى المهادنة والخضوع[5] .

***قبائل الأحلاف :**

وسميت بالأحلاف لأنها ترتبط بحلف عسكري أو اقتصادي مع السلطة التركية العثمانية أو المخزن، ولا يعدو ان يكون هذا الحلف سوى دعم بالفرسان أو بمواد أولية مثل الفحم، الخشب، الزيت وغير ذلك، مقابل عدم تدخل قوات المخزن والأتراك في شؤونها الداخلية، وعادة ما تكون قبائل الأحلاف عبارة قبائل مرابطية أو تنحدر من سلالة الأشراف؛ أو هي قبائل قوية وعريقة تدعى بالأجواد، وقد تمارس العديد منها نفوذها على قبائل مجاورة لها[6].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 49.

[2]- Venture De Paradis : **Op.cit,** P 33**.**

[3]– أندري برنيان وآخرون: **المرجع السابق**، ص 135.

[4]– هابسترايت(ج. أو): **المصدر السابق**، ص 33.

[5]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، المرجع السابق، ص ص 109، 110.

[6]– بلبراوت بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، ج2، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 548.

وكانت هذه القبائل تتعامل مع السلطة الحاكمة عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العرف والعادة يتوارثون حكمها، وكانوا يعتمدون في ذلك على نفوذهم الديني وكفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد تميزت العائلات التي كانت تحكم هذه المجموعات بالطابع الروحي؛ وذلك في غرب إيالة الجزائر (عائلات المرابطين)، بينما غلب الطابع الحربي على هذه المجموعات السكانية التي كانت تقطن القسم الشرقي من البلاد، وجنوب التيطري (الأجناد) وفي جرجرة والبابور والصومام اعتمدت لفرض زعامتها على أصولها العريقة (الأشراف)[1]، حيث أصبح زعماء هذه الأسر الشريفة شيوخا روحيين يحظون بامتيازات هامة كمنح الأرض والحصول على منافع عديدة، وبهذه الطريقة نشأت نبالة دينية في القبيلة، وجرى تنظيم جديد وطبقة اجتماعية جديدة[2]، ونذكر من هذه العائلات أسر اعتمدت على العصبية؛ فتمكنت من القيادة والسؤدد في حدود معينة، مثل أسرة **آل مقران**، و**ابن عاشور**، و**بوعزيز بن قانة**، حيث تمكنت هذه العائلات من احتواء أسر أخرى، وكونت منها صفا، وتوسعت إلى حد أن صارت تضم قرى عديدة، لها هيكلها الإداري مشخصا في "مجلس القرية" الممثل من جميع القرى[3]، وفي مقابل مساندة الباي للحفاظ على تلك السلط الفردية أو الجماعية، وسعيا وراء تواصل الوراثة كانت تدين بالطاعة والولاء وتدفع الضرائب، وترفعها على الأفراد والجماعات العائدة إلى أحلافها؛ كما هو الحال مع قبيلة ريغة جنوب سطيف[4].

كان أكثر من ثلثي الجزائر وحدها منذ أوائل العهد العثماني؛ تحت حكم المرابطين مباشرة أي أن السلطة الزمنية أو المركزية تكاد تكون معدومة في الأرياف[5]، لذلك كانت الإدارة العثمانية تستعين في تعاملها مع بعض القبائل بالمرابطين والشخصيات المؤثرة في المنطقة مقابل منحهم بعض الامتيازات مثل بناء المساجد، ومنحهم هبات لزواياهم وأراضي زراعية وتكليف بعضهم بجمع الضرائب والغرامات من قبائلهم، وكانت هذه الظاهرة أكثر انتشارا في منطقة وادي الساحل التي كان فيها تأثير الأسر الدينية واسعا[6]، لذلك كانت تعامل بشيء من الاحترام لكسب ودها ومداهنتها واستغلال نفوذها لجعلها حليفة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ولا شك أن الدعم الذي يقدمه أولئك المشايخ كان له الأثر الكبير في تهدئة النفوس وتلميع صورة الأتراك العثمانيين في قلوب العامة[7]، وهو ما أكده **خوجة** نهاية العهد العثماني، فالمرابط منقذ وحامي القوافل والحاميات التركية نفسها، وعندما تتوجه إلى حصن بجاية تضطر سنويا إلى اصطحاب مرابط وإلا فإنها تأخذ طريق البحر، و قد نتج عن هذه الساسة إذعان القبائل وإقرار أمن الطرقات[8]، وكمثال على ذلك التأثير المرابطي ونفاذ سلطة هؤلاء على سكان الأرياف؛ نجد ذرية المرابط **مولاي الشقفة** التي ظلت تحتفظ بتأثير المرابط، وسلطة الحاكم طيلة العهد العثماني، وكانت تتوارث ذلك التأثير، وتلك السلطة، وكان نفوذها يشتمل على

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، المرجع السابق، ص 108.

[2]– الشريف كمال دحومان الهاشمي: **المرجع السابق**، ص 112.

[3]– احميده عميراوي: **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري**، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 25.

[4]– أندري برنيان وآخرون: **المرجع السابق**، ص 135.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 193.

[6]– أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830م**، المرجع السابق، ص 261.

[7]- Charles Féraud : Histoire **des villes de la province de Constantine- Bougie**, Constantine, 1869, PP 197-198.

[8]– حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 112.

مقاطعة جغرافية واسعة في النصف الشرقي لسهل جيجل والجبال المحيطة به[1]، وكان مرابط بجاية الشيخ **عبد القادر** الشهير بسيدي **محمد أمقران**– المنحدر من الأسرة المقرانية أسياد مجانة– بمثابة قديس لدى الأتراك، حيث كان يحظى بمنزلة هامة للغاية في مدينة الجزائر؛ لدرجة أنه عهد إليه بختم جوازات السفر التي يحتاجها سكان بجاية[2].

ومن العائلات التي تولت حكم مجموعات قبلية في غرب البلاد أولاد سيدي الشيخ التي اشتهرت بنفوذها الروحي الواسع، وهو ما جعل البايات يحيطون مشايخها بالتجلة والاحترام ويغدقون عليهم بالأموال والهدايا؛ لتأثيرها على جزء كبير من قبائل بايلك الغرب للحفاظ على ولاءها، وتسهيل تحصيل الضرائب، لذلك كان عندما حل الشيخ سيدي بوبكر بوهران أسرع الباي لاستقباله بفرقة موسيقية وحصان، وإطلاق سراح جميع السجناء[3]، وقد ساعدت استقلالية المناطق الشرقية للإيالة، وعدم تعرضها لثورات مدمرة على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أضحت تسيطر على ثلثي بايلك الشرق، الأمر الذي اضطر السلطة الحاكمة للتعامل معها والاعتراف بزعامة شيوخها مثل مشيخات: النمامشة، الحنانشة، الحراكتة، أولاد عزيز ببلزمة، أولاد بوضياف بالأوراس، وأولاد عاشور بفرجيوة، وأولاد مقران بمجانة، وبني جلاب بتوقرت، وأولاد بن قانة بالزيبان وغيرها[4]، وعليه إذا أخذنا بالتصنيف الذي وضعه بعض الكتاب الفرنسيين المهتمين بالتجمعات السكانية نجد أن العائلات ذات الطابع الثيوقراطي التي انبنت سلطتها على الهيلمان الروحي سادت الجزائر الغربية، والعائلات الأرستقراطية التي كان قوام نفوذها السيف والقلم تركزت بالشرق الجزائري وجنوب التيطري، بينما انحصرت الحياة الديمقراطية بالمناطق الجبلية شمال وشرق الجزائر الوسطى، وكانت جل العائلات الإقطاعية تتحكم في توجيه سكان الريف ولا سيما ببايلك الشرق، مما دفع السلطات التركية إلى التعاون معها حفاظا على استتباب الأمن[5] .

يتضح مما تقدم أن المجتمع الجزائري اتخذ تركيبا هرميا من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية، كما سادت حياة البداوة خلال الفترة العثمانية، حيث تحول عدد كبير من السكان من حياة الاستقرار وممارسة الزراعة إلى حياة الترحال التي ارتبطت بتربية الماشية والبحث عن الكلأ، فالريف الجزائري كان متنوع الحكم، ولكن أقسى أنواع الحكم فيه هو المسلط على الرعية طبعا، والعلاقة بين السلطة الحاكمة والسكان علاقة استغلالية محضة[6]، حيث احتلت قبائل المخزن مركز الصدارة في مجتمع الأرياف باعتبارها آلة الردع ووسيلة الاخضاع، ثم تلتها القبائل الأحلاف، ومن ثم قبائل الرعية في أسفل السلم الاجتماعي، كما يتراءى لنا التفاوت بين المجتمع المديني والوسط الريفي؛ بل نجد أن هذا التباين يظهر حتى في البيئة القبلية نفسها، وفي هذا الجانب توصل الأستاذ **عميراوي** إلى قناعة مفادها أن التشكيلات الاجتماعية الجزائرية كانت تجمعها مثمنات دينية وعرقية؛ أكثر مما تجمعها اعتبارات عثمانية ومستويات اقتصادية وحكومية[7] .

---

[1]– علي خنوف: **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري"نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي"**، الميزان للطباعة والنشر، الجزائر، 1999، ص 50.

[2]– شوفاليه دارفيو: **المصدر السابق**، ص 129.

[3] - Walsin Esterhazy : **De la domination Turque…, Op.cit,** P 270.

[4]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**...، **المرجع السابق**، ص 108.

[5]– حنان لطرش: **السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005–2006، ص 39.

[6]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1515–1830)**، المرجع السابق، ج1، ص158.

[7]–احميده عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 104.

03- الحالة الصحية والمعيشية:

اتسم الوضع الاجتماعي في إيالة الجزائر بكثير من العنف في مواجهة الواقع بكافة أشكاله، وقد ساهمت في حدته الأحوال الاقتصادية المضطربة؛ التي عانت من آثار الجفاف، وضعف التجارة والصناعة، مما نتج عنه انهيار نقدي لقيمة العملة، وهو ما جعل البلاد تواجه صعوبات جمة، بانتشار الوباء والجوع والغلاء، ما أثر سلبا على التماسك الاجتماعي[1]، حيث اتسمت الأوضاع الاجتماعية في الكثير من الأحيان بالفوضى والاضطرابات وتوترات الجند الانكشارية، كما كانت تتأثر بالأوبئة والأمراض وكانت الحياة الريفية أشد قساوة، إذ كثيرا ما تتعرض للغارات التركية بسبب رفضها الاستجابة للضرائب المفروضة عليها؛ الأمر الذي لم يحقق انصهار المجتمع في بوتقة واحدة مع الأتراك، وظل هذا المجتمع يعيش فرقة موحشة وعداوات قاتلة[2]، وقد عرفت البلاد خلال هذه الفترة جوائح وكوارث طبيعية عديدة، فقد عجلت أوبئة الطاعون المتتالية والمجاعات المتعاقبة نتيجة الجفاف بتدهور الحالة، حيث تعرضت الجزائر لمجاعة كبيرة أيام مكوث بربروس في جيجل أفقدت السكان المادة الخام – القمح والشعير-للزراعة خريف عام 1514م ما دفع عروج إلى الخروج بسفنه أوائل نوفمبر من نفس العام أين عاد سريعا بثلاثة سفن محملة بالقمح الذي قام بتوزيعه على السكان الذين كانوا يتأوهون لقساوة الجوع[3]، ويتحدث صاحب **كعبة الطائفين** عن الوباء الذي حل بتلمسان وضواحيها عام 1058هـ/1648م؛ والذي رافقه زحف أسراب الجراد التي أتت على المحاصيل، وما أعقبه من سنوات قحط غاب فيها الحصاد، إذ يقول :" **وأما سنة الوباء عام ثمانية وخمسين فالجراد وبعده ما بقي لقط وراء الحصاد...**"[4]، كما أشار القنصل الفرنسي بالجزائر **بونوا لومير"Benois Lemaire"** في احدى مراسلاته إلى حكومته إلى معاناة سكان الجزائر من المجاعة التي حلت عام 1734 والتي خلفت بعض المشاكل[5]، واستمر الحال على هذا النحو في السنوات اللاحقة حيث أصاب البلاد قحط شديد مع اجتياح الجراد الذي أتى على المحاصيل الزراعية خلال سنوات 1778م و1779م، ومع نهاية جويلية لم يبق للأهالي طعام يأكلونه سوى الجراد[6].كما كانت البلاد عرضة للمجاعات على غرار مجاعة 1798م التي تركت أثرا سيئا على الإيالة عموما وبايلك الغرب على وجه الخصوص، إذ يقول صاحب **أنيس الغريب والمسافر**:(**مسغبة عظيمة أهلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضا**)[7]. وقد نتج عن تردي الأوضاع والآفات الطبيعية تدني المستوى المعيشة بالأرياف، في الوقت الذي ارتفعت فيه الأسعار، وأصبحت الحياة صعبة بالنسبة لغالبية السكان، وهذا ما دفع أحد الشعراء الشعبيين بقسنطينة "**الشيخ بلقاسم الرحموني الحداد**" الذي عاش في زمن **صالح باي** إلى وصف الحالة المعيشية المتردية عام 1802م؛ بقوله:

---

[1]- فتيحة صحراوي: **الجزائر في عهد الداي حسين 1818-1830**، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 34.

[2]- صالح فركوس: **المختصر في تاريخ الجزائرمن عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002، ص 126.

[3] - Haëdo : **Histoire Des Rois D'Alger**, Op.cit, P 23.

[4]- محمد بن سليمان الصايم: كعبة **الطائفين وبهجة العارفين**، ج2، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601، ص 223.

[5]-De grammont (H.D): **Correspondance Des Consuls D'Alger (1690-1742),** Editions Assala Culture, Alger, 2013, P 211.

[6]- عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص 534.

[7]- مسلم بن عبد القادر الوهراني: **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 64.

عام مكبره هاي سيدي *** بالكساد وغلات النعما

كيف نخبر هاي شيدي *** بالفساد في كمان حوما

باح كل شي بلا كتما *** في بلد قسنطينة الدهما

واش تنظره هاي سيدي ركاب

واش تنظرو فيها هلكت *** راهي فسدت

ما بقت تسمى بلدة[1].

كما عرفت إيالة الجزائر مجاعة على عهد الداي **مصطفى** (**1798–1805**)، فقد اجتاح المنطقة قحط شديد قلل كل أمل في الحصاد، كما أن التموينات استهلكت بعد أن تدخل اليهوديان **بكري** و**بوشناق** في مسألة تصدير الحبوب، نظرا لتأثيرهما الكبير على الداي الذي أرغم البايات على تسليم جميع احتياطات القمح لهما، فقد حلت المجاعة والقحط بضراوتهما وامتد فتكهما ليعم كامل تراب الجزائر وكانت الخسائر عظيمة، ولم تتوقف هذه الآفة عن التفاقم لمدة عام كامل[2]، وفي المقابل عرفت البلاد غزوا للجراد الذي أتى على الأخضر واليابس– حصد الزروع وأفنى الأشجار والثمار– على عهد الداي **عمر**(1815–1817)؛ فساد الغلاء وارتفعت الأسعار، حيث أعطى الداي أوامره بتموين الخبازين بالقمح وبيع الخبز لسكان المدينة بأسعار أيام الرخاء إلا الأهالي أضحوا يقتتلون عليه، واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن وجد حصاد العام الموالي[3].

ورغم المناخ الصحي الذي كانت تتمتع به الجزائر فإنها كانت عرضة لأمراض مختلفة ولعل أخطرها داء **الطاعون** الذي كان يظهر حسب بعض المصادر في البلاد مرة **كل خمس عشرة سنة أو خمس وعشرين سنة**[4]، وهو ما يؤكده **الباحث سعيدوني** الذي يذكر أن الأوبئة **كانت تظهر بها كل خمسة عشر سنة، وأنها في بضع الأحيان تستمر لبضع سنوات**[5]، حيث عانت الإيالة خلال الفترة الأخيرة من اجتياح الأوبئة؛ إذ يشير القنصل الهولندي **Cornelis Pijnaker** في رحلته إلى الجزائر وتونس أنه على الرغم من الهواء النقي والصحي إلا أن الطاعون كان يتفشى في الجزائر العاصمة وتونس كل 20 سنة ويستمر ثلاث سنوات، كما هو الحال عام 1621 الذي كانت فيه نسبة الوفيات محدودة أما في السنة الموالية 1622 فقد كانت الزيادة قوية ثم عرف تراجعا وانخفاضا في السنة اللاحقة[6].

وقد تحدث البرتغالي **جواو كرفالو ماسكاريناس** الذي كان أسيرا بمدينة الجزائر في الفترة 1621–1627م؛ عن وباء 1624م الذي كان يحصد 600 إلى 700 شخص يوميا؛ إذ يقول أنه فتك بالعديد من الأسرى المسحيين من بينهم

---

[1] - Cour(A) : **« Constantine en 1802 D'après une chanson populaire du poète Cheikh Balkacem El-Rahmouni El-Hadad »**, In R.A, N° : 60, 1919, P : 227.

[2]-Eugéne Vayssettes : **« Histoire des Derniers Beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'hadj-Ahmed »**, In R.A, Vol 03, Alger, 1858, P 265.

[3]- أحمد الشريف الزهار: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تق أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 144–145.

[4]– عائشة غطاس:"**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 124.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 89.

[6]-Cornelis Pijnaker: **Description Historique des villes de Tunis, d'Alger et D'autres se Trouvant en Barbarie1626**, Introduction Et Annotation : Gérard Van Krieken, ENAG Editions, Alger, 2015, P 181

أحد النبلاء البرتغاليين[1]، كما كانت إيالة الجزائر عرضة للأوبئة في سنوات لاحقة، من ذلك وباء 1654 الذي قضى على ثلث سكان الجزائر، ووباء 1664 الذي أدى إلى تناقص سكان مدينة الجزائر إلى أقل من النصف، إذ لم يعودوا يتجاوزون 30 ألف نسمة[2]، ويشير **ابن رقية التلمساني** صاحب "**الزهرة النائرة**" إلى تجدد الطاعون في مدينة الجزائر سنة 1145هـ/1732م[3]، وقد تحدث أحد قناصل فرنسا بالجزائر في رسالة إلى حكومته؛ عن الطاعون الذي حل بالإيالة عام 1741م؛ والذي كان يحصد 40 إلى 50 شخص يوميا، وقد تسبب في تأخير حركة هذا الأخير وتنقله[4]، كما تحدث **المكناسي** في رحلته عام 1200هـ/1785م عن الوباء **الذي ضرب مدينة الجزائر، والذي أتى على خلق كثير حيث كان يموت نحو الثلاثمائة يوميا، إلا أن وطأته خفت في الأيام الأخيرة فأضحى يحصد العشرة يوميا**[5]، كما نجا عام 1788م حوالي ثلاثين شخصا من الوباء الذي عصف بالإيالة عام 1787م و1788م؛ **إثر الطاعون الذي انتقل إلى تونس قادما من الإسكندرية في عام 1783م**...فالطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر في السنوات الأخيرة؛ حصد 700 إلى 800 عبد مسيحي وبقي نحو 500 على الأكثر بين يدي البايلك وأيدي الخواص[6].

ومن خلال رواية **الزهار** نقيب أشراف الجزائر؛ نستشف مصدر انتقال وباء الطاعون وانتشاره بمدينة الجزائر، والذي يرجع بالدرجة الأولى إلى عنصر الوافدين المتطوعين القادمين من مدن الأناضول حيث يذكر لنا : " **وفي سنة 1201هـ/1786 جاء الوباء إلى الجزائر، حتى وصل عدد الأموات خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى الوباء الكبير، قيل: إنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ/1796م**"[7]، وهو الطاعون الذي أشار إليه الأسير **كاثكارت** والذي وصفه بالفظيع، فقد أهلك الجند فأضحت ثكنات الإنكشارية شبه خالية[8]، أما وباء عام 1816 الذي عم كل دول شمال إفريقيا :(طرابلس، تونس، الجزائر والمغرب الأقصى)؛ فقد استمر مدة ست سنوات يفتك بالسكان أي إلى غاية عام 1822م[9]، إلا أن وطأته كانت سنة 1818م؛ إذ يعتبر أقسى وباء حل بالشمال الإفريقي في النصف الأول من القرن 19م، فقد عد كارثة

---

[1]- ماسكارياس: **مذكرات الأسير البرتغالي جواو كرفالو ماسكارياس في مدينة الجزائر 1621–1627**، تر وتع لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022، ص 162-166.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 89.

[3]-Alphonse Rousseau : Chroniques **de la régence d'Alger traduit d'un manuscrit arabe intitulé-El-Zohrat-El-Nayerat**, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1841, P 211.

[4]- De Grammont(D): **Correspondances des consuls D'Alger (1690-1742)**, Adolphe Jourdan, Paris, 1890, P 266.

[5]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **رحلة المكناسي 1875**، تق وتح: محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص 330.

[6] - Venture De Paradis **Op.cit,** P 81.

[7]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 79.

[8]- جيمس ليندر كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر وتع وتق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 100.

[9]-Jean Marchika : **La peste en Afrique Septentrionale**, Histoire de peste en Algérie de 1363 à 1830, Thèse de Doctorat en Médecine, Alger, 1927, P 151.

ديمغرافية حقيقية بالنظر إلى عدد ضحاياه[1]، وهذا ما عبر عنه **بنزاك "Panzac"** بقوله:" **وباء الطاعون من الظواهر المستمرة والدائمة في الجزائر العثمانية**"[2].

أما عن الإجراءات الوقائية المتخذة من جانب السلطة لتفادي كارثة الوباء أو الحد من انتشاره كالقيام بما يعرف بالحجر الصحي، فإن ما ورد في المصادر لا يمكننا من الإجابة القطعية حول تطبيق الحجر الصحي أو عدم تطبيقه، **فابن حمادوش** في رحلته ذكر حادثة تدل على أن هذا النظام كان معمولا به، إذ فرض الداي الحجر الصحي على مركب حجاج موبوئين من الإسكندرية، ومنعهم من الدخول ولم يأذن لهم إلا بعد أن تحقق من سلامتهم[3]، كما حاول **صالح باي** قسنطينة عام 1787م فرض حزام صحي حول عنابة ومنطقتها ليمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة، وتخوف الباي **عصمان** حاكم وهران عام 1794م من انتشار الوباء بمقاطعة وهران والتجائه إلى سهول مليتة ليقيم بها ثلاثة شهور بعيدا عن أي اتصال بالسكان[4]، غير أن **خوجة** الذي سمحت له مكانته الاجتماعية وأسفاره في أوربا نجده يعيب على المسلمين تعصبهم لما اكتشفه الأوربيون وعدم اقتدائهم بهم لتلافي الضرر؛ أي عدم استعمال الحجر الصحي، مشيرا إلى بعض الممارسات الوقائية المتخذة مع حلول الوباء، والتي اقتصرت على لزوم المنازل على قاعدة "الكرنتينة"[5]، وفي هذا يقول:" **وأن العبد الحقير وقعت الوباء بالجزائر وأنا بها فالتزمت بأقل مما يحتاط الإفرنج، فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير أن أقتحم مجتمع الناس، ولا أمس أحدا ولا قماشا، ثم أرجع وأتبخر فسلمني الله سبحانه من أنا ومن معي، وتكرر ذلك أزيد من عشرين سنة**"[6]، لذلك لجأ العديد من السكان إلى استعمال البخور والعلاج بالمياه المباركة، وتعاطي الشعوذة قصد الشفاء وإزالة آثار السحر والوقاية من الحسد، كما كانت زيارة الأولياء والمرابطين أمرا شائعا لاعتقادهم أن زيارة المقام تحل معها البركة وتدرء عنهم الأمراض والأوبئة [7]، وفي هذا السياق يقول **سبنسر**:" **كانت النساء يزرن القبب بانتظام كي يقدمن القرابين ويوقدن المصابيح الزيتية، ويضعن الزهور لتدعيم التدخل الديني الذي يطلبنه بغية إبعاد المصاعب الاجتماعية أو العائلية**"[8]. وكانت أوبئة القرنين 17و18م أكثر حدة وشدة من التي اجتاحت الجزائر أثناء القرن 16م، في حين تميز القرن 19م بنسبة

---

[1] - **Ibid**, P 167.

[2]- محمد مكحلي: **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707-1827)**، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 123.

[3]- عبد الرزاق بن حمادوش: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تق وتح وتع أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، 121.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص560.

[5]-**الكرنتينة**: تعني الحجر الصحي لكل وارد أجنبي سواء كان مريضا مرضا معديا أو مشكوك فيه، وذلك بجعله في إقامة جبرية معزولة لمدة أربعين يوما؛ وهي المدة القصوى التي يظهر فيها الوباء، وهذا حرصا على التأكد من سلامة الوافدين.

[6]- حمدان خوجة: **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء**، تق وتح محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 119-120.

[7]- عبد القادر قندوز: **الطب في ثقافة علماء الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2020، ص 53، 54.

[8]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 126.

أكبر؛ فناهزت سنوات ظهور الطاعون سبعين سنة مقابل ثلاثة وستين أثناء القرن 18م وأربعين سنة طيلة القرن 16م، أما فيما يخص التوزيع الجغرافي لهذه الأوبئة، فقد كانت المناطق الوسطى من البلاد الجزائرية، وفي مقدمتها مدينة الجزائر، المرتبة الأولى بنسبة 54% من الأوبئة، في حين احتل الشرق الجزائري المرتبة الثانية بنسبة 26%، فيما كانت حصة الغرب الجزائري لا تتعدى 15% من أوبئة الطاعون[1].

وكانت البلاد عرضة لأمراض أخرى منها الجدري، وحمى المستنقعات أو حمى التيفوس، وقد اعتبر الجدري من أخطر الأمراض التي تفتك بالسكان؛ إذ كان يحل بالبلاد مرة كل أربع سنوات تقريبا، وقد كان السكان القاطنون بالقرب من المستنقعات هم الأكثر عرضة، أما قاطنو مدينة عنابة فكانوا يعانون من انتشار الحمى العنيفة المستوطنة في المنطقة، وقد أدى انعدام الرعاية الصحية، وجهل السكان بالطرق الوقائية إلى انتشار داء العينين، وأمرض جلدية مختلفة[2]، وقد تحدث **فانتور دوبارادي** في هذا السياق عن مرض الجدري الدي عرفته الجزائر في جانفي 1789م، والذي لم يكن موجودا بها قبل 40 سنة، ويذكر أن أهل البلاد يزعمون أن أطفالهم عندما يصلون سن البلوغ دون أن يصابوا بهذا المرض فإنهم لن يكونوا عرضة له بعد ذلك، وأن الأطفال الذين يصابون به في أوقات الوباء هم دائما فوق العشر سنوات[3]. ويعود سبب سوء الحالة الصحية إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها بالبلاد الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي، فمن هذه الأمصار؛ ولا سيما مصر والحجاز واستانبول انتقلت مختلف الأمراض؛ كالكوليرا والتيفوس والجدري والطاعون والسل؛ وهذا مع توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من الأقطار المشرقية إلى الموانئ الجزائرية[4]، وقد زاد في حدتها حدوث المجاعات التي تعتبر آثارها الديمغرافية أخطر من بعض الحروب[5].

لقد تعرضت البلاد لمجاعات مهلكة سنوات متلاحقة، ففي سنة 1800 حدثت مجاعة في البلاد اختفت فيها الأقوات من الأسواق؛ حتى اضطر الداي **مصطفى باشا** إلى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود لتلبية حاجيات السكان، وأعطيت الأوامر لتشديد الحراسة على مخازن الحبوب، حيث بيع القمح بثمانية عشر فرنكا للصاع الواحد[6]، لتتجدد آفة المجاعة سنة 1219هـ/1804-1805 مع حلول الجفاف الذي ترك أعمق الأثر في النفوس، إذ يقول **العنتري** أنها كانت مجاعة شديدة وقحط وهول أضر كثيرا بأهل بلد قسنطينة ووطنها، ودام الحال كذلك عليهم ثلاث سنين متوالية، ولم تعد الأسعار إلى حالتها الطبيعية إلا مع حلول عام 1808م[7]، إذ جاء في مخطوط لأحد العائلات القسنطينية حديث عن هذه المسغبة :(...**وكانت عيطة القبائل في شهر الله ربيع الأول في السنة المذكورة"1219"**

---

[1]- فلة موساوي القشاعي: "**وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جامعة الجزائر 02، 2001، ص 141-142.

[2]- عائشة غطاس: **الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 126.

[3]- Venture De Paradis : **Op.cit,** P228.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: "**الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني**"، من كتاب: **الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية، زغوان، تونس، 1986، ص 432.

[5]- فلة موساوي القشاعي: "**وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله**"، المرجع السابق، ص 141.

[6]- حمدان خوجة: **المرآة، المصدر السابق**، 160.

[7]- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 27، 28.

وكانت فتنة عظيمة من موت في الخلق شيء كثير وعم القحط جميع البلاد الواصل إلينا ذكرها حتى وصل القمح عندنا بخمسة عشر ريالا الصاع وكذلك الشعير بثمانية ريالات)[1]، ولعل من أبرز المجاعات التي تقدم فكرة حقيقية عن الوباء المروع؛ والتي خلفت آثارا سيئة نجد مجاعة 1815-1819م، وتعود أسباب هذه المجاعة التي استمرت خمس سنوات إلى الجفاف واجتياح الجراد والأوبئة، وعانت خلالها الأرياف من نقص في المواد الضرورية الهامة؛ في حين عرفت المدن نقصا في الحبوب وارتفاعا في أسعار القمح، ما أجبر الداي إلى اللجوء إلى الخارج واستيراد كميات معتبرة من القمح وجهت للعاصمة وحدها [2]، وتتواصل سنوات الجدب؛ ففي رسالة من **أحمد باي** إلى **حسين باشا** بتاريخ 11 ذي القعدة 1243هـ/ 24 ماي 1827م؛ يخبره فيها أن بعض القبائل "**أولاد مقران**" اعتذرت عن دفع الجزء المتبقى من الغرامة المفروضة عليها بسبب الجراد وقلة الخصب[3]، وما يمكن ملاحظته في هذا الجانب أن المجاعات على قلتها أو كثرتها كانت تتكرر بانتظام عقب عدة سنوات. وتعتبر الزلازل من العوامل المساعدة على انتشار المجاعة نظرا للخسائر والدمار الذي تحدثه، وما ينجر عنها من إخلال بالأعمال الزراعية، إذ عرفت البلاد زلازل عنيفة هزت أغلبها مدينة الجزائر، دمرت البيوت والعتاد الزراعي، وقضت على البشر والمواشي[4]؛ من ذلك الزلزال الأكثر تدميرا في تاريخ مدينة الجزائر عام 1716 الذي دمر المدينة تقريبا، حيث أدى إلى تهديم معظم المنازل وانهيار قصور بارزة وأقسام كاملة من الجامع الأعظم، كما تجاوز عدد الضحايا أكثر من 20.000 حسب شهادة القنصل الفرنسي **سيزار فيليب فاليار**[5].

كما عرفت الإيالة مشاهد لهزات أرضية؛ على غرار الزلزال الذي ضرب مدينة الجزائر بشدة سنة 1717م، وما تلاها في عديد من المناسبات[6]؛ كأعوام 1722، 1735، و1756م، ما استدعى طرح مسألة تخطيط المدن والبناء والقرارات والإجراءات التي سترافق عملية إعادة الإعمار والوقاية من الأضرار في الحاضرة طوال القرن 18م[7]، والأمر لم يكن قاصرا على مدينة بعينها بل مس مختلف المناطق على غرار الزلزال الذي ضرب مدينة وهران أكتوبر 1790م، والذي عجل بتحرير المدينة التي كانت لا تزال تحت نير الاحتلال الإسباني، إذ يقول **ابن زرفة** في **الرحلة القمرية: " فليس عندنا أكثر من أن الزلزلة هدمت كثيرا من ديارهم، وخربت جملة من عمرانهم، ونحن نقول ذلك رجما بالغيب، ورميا بسهم يوشك أن يصيب، لا يخلو هذا الهدم الكثير من يقتل بعض كبارهم، ولا غرو أن يستأصل جيشهم وأميرهم"**[8]، وقد قضى هذا الزلزال على ألف شخص، ثم تكررت الهزات الأرضية حيث شهدت مدينة القليعة وجهاتها

---

[1]- Anonyme: « **Note chronologiques pour L'histoire de Constantine** », In R.A, Vol 39, 1895, P 165.

[2]-Nacereddine Saidouni: **L'algérois Rural a la fin de l'époque Ottomane (1791-1830)**, **Op.cit,** P P 266-267.

[3]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص 39.

[4]- Nacereddine Saidouni: **L'algérois Rural a la fin de l'époque Ottomane, Op.cit, p 268.**

[5]-Tobjorn Odegaard: Les **Correspondances de Ludolf Hammeken Le premier consul Dano-Norvigien à Alger 1746-1751**,ENAG Editions, Alger,2016, P 79-80.

[6]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 59.

[7]-Tobjorn Odegaard: **Op.cit**, P 79-80.

[8]- ابن زرفة أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن: **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3322، ص 33.

زلزالا عام 1802 أحدث خسائر جسيمة على عهد الداي مصطفى باشا الذي أمر بتقديم يد المساعدة للمنكوبين وإعادة بناء زاوية **سيدي علي مبارك**[1]؛ فتأثرت عنابة عام 1810، ومدينة الجزائر عام 1818م[2]، وفي عام 1825 كانت الزلزلة التي مات فيها خلق كثير في البليدة ، والتي تسببت في خراب مدينة البليدة عن آخرها و ألحقت أضرارا بالغة بالدور في مدينة الجزائر[3]، وتكررت هذه الهزات في السنوات الأخيرة و كان آخرها عام 1830[4].

لقد كان لسلسلة الأوبئة التي اجتاحت الجزائر أثرا سلبيا مس جميع القطاعات، فعلى الصعيد الاقتصادي مثلت الأمراض والأوبئة عائقا كبيرا في طريق تحسين الأحوال المالية للبلاد، حيث أسهمت في الركود التجاري والصناعي خاصة بمدينة عنابة؛ لأنها أدت إلى هلاك العديد من التجار والصناع، وفتحت المجال أمام الشركات الأجنبية للاستفادة من المواد الخام، فقد سجلت سنة 1787م ارتفاع كمية الصوف المصدرة إلى الخارج، حيث قامت الشركة الملكية الإفريقية بشحن 25 قنطارا من الصوف المصدرة من ميناء عنابة وحده، وهذا راجع لفتك الطاعون بعدد كبير من النساجين، بالإضافة إلى انخفاض في عدد حرفيي الحرير الذين يصنعون الأحزمة في مدينة الجزائر العاصمة، هذا ما جعل تلك الصناعة تعرف تدهورا ملحوظا، حيث قل انتاجها وهذا ما أدى إلى تراجعها، كما تأثر الإنتاج الفلاحي سلبا من خلال إهمال حصاد الأراضي الفلاحية، فكثر اللجوء إلى الاستيراد لتغطية العجز في الإنتاج[5]. كما عانت البلاد من نزيف ديمغرافي خطير، تسببت فيه المأساة المتعددة الجوانب التي نتجت عن الجفاف والأوبئة والمجاعات، والحروب والتمردات، إضافة إلى الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل وفترات البرودة القاسية والحرارة الشديدة؛ بالإضافة إلى الجراد الذي أثر سلبا على الإنتاج الفلاحي، كما شكلت مختلف الأوبئة التي عانى منها السكان؛ عاملا خطيرا أدى إلى انقراض ديمغرافي لا مثيل له في تاريخ الجزائر[6]، وعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية إلا أن الحصيلة كانت ثقيلة للغاية، لذلك تضاربت الآراء بين قائل أن هذه الكوارث الوبائية أتت على ¼ السكان وبين من يتحدث عن فقدان الثلث خلال القرنين 17و18م، لكن المؤكد والمجمع عليه هو تراجع عدد السكان مع الاعتراف بجهل المعطيات الرسمية لأعداد الضحايا؛ نتيجة انعدام توافر سجلات للمواليد والوفيات[7]، لقد تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فانذثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، كما هو الحال مع قبائل الأمحال، حيث سمي طاعون 1876م بـ: حبوبة الأمحال نسبة إليهم بعدما أفناهم عن آخرهم، وهذا ما دفع السكان للفرار واللجوء إلى المناطق التي لم يصل إليها الطاعون رغم بعدها، وهذا ما كان له تأثير على الوضع الاجتماعي، فقد هاجر الأهالي أراضيهم تاركين ممتلكاتهم مشتتين في الأفق؛ كما فعل

---

[1]- أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 111.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 90.

[3]- أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 190-191.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 90.

[5]- وليد الهادي معومة: "**وباء الطاعون في الإيالات العثمانية بشمال إفريقيا-طرابلس، تونس، الجزائر-خلال القرن الثامن عشر**"، مجلة الجامعة الأسمرية، مج35، العدد 3، ليبيا، سبتمبر، 2022، ص 298-299.

[6]- فلة موساوي القشاعي: **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1815-1871م)**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010، ص 448.

[7]-Kamel Filali : **« Famines et épidémies facteur potentiel de l'éclipse de l'ottoman en Algérie »**, In Arab historical for Ottoman studies, N° 17-18, F.T.R.S.I, Zaghouan, Tunisie, 1998, p 47.

سكان جيجل الذين قاموا بمغادرة المدينة عند انتشار المرض، وقد أدت مسألة اندثار بعض الأسر والقبائل؛ إلى طرح مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف؛ حيث تولت إدارة بيت المال الإشراف على التركات المهملة والقيام بعمليات الميراث؛ من خلال إحصاء الموتى والعمل على تجنب الفوضى الناتجة عن كثرة الوفيات[1]، حيث أصبحت الحالة الصحية والمعاشية تزداد سوءا وتدهورا؛ ما أثر على نمو السكان وترك آثارا سيئة على الوضع الاجتماعي، فتضاءل سكان المدن وتناقص سكان الريف ابتداء من أواخر القرن 18م، مما تسبب في ضعف قوة الأوجاق وتناقص عدد البحارة وندرة الحرفيين والصناع وافتقار المزارع والحقول إلى اليد العاملة [2]، لذلك كانت الكثير من الإحصاءات تتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان أو كثافتهم، وذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعاشية والشروط الطبيعية[3]، وعلى الرغم مما خلفته هذه الجوائح من آثار؛ مع توالي سلسلة الهجمات المريعة للطواعين والمجاعات؛ فإن حركة الهجرة وجلب الأسرى قد ساعد على استقرار السكان[4]، ومع ذلك فان انكماش النشاط الاقتصادي؛ وسوء الأحوال الصحية وتردي الظروف المعيشية؛ قد أثرت على النمو الديمغرافي، وكانت وراء حراك الساكنة بحثا عن مجالات تتوافر فيها مستويات عيش أفضل.

ثانيا– الأوضاع الاجتماعية في تونس خلال العهد العثماني:

تتجلى صورة الواقع الاجتماعي التونسي خلال الفترة العثمانية في التركيبة البشرية؛ والحالة الصحية التي تؤثر سلبا أو ايجابا على النمو الديمغرافي للإيالة، ويمكن توضيح ذلك في:

01–تعداد السكان وإشكالية الإحصاء:

من الصعب تقدير عدد سكان الإيالة التونسية شأنها شأن الولايات المغاربية الأخرى، ذلك أن تأهيل النظام الديمغرافي بتونس يصطدم بعائق رئيسي يتمثل في عدم وجود وثائق إحصائية في ذلك الوقت؛ ما يجعل الباحث أمام مجرد مسألة عدد قليل من المعطيات العددية التي لا تعكس لنا الحجم والإشارة إلى حالة السكان[5]، إذ تجعل تقديرات من عدد سكان الإيالة قبل 1785 منحصرا ما بين أربعة ملايين وخمسة ملايين حسب كل من **ماك جيل Mac Gill**و**نيسان Nyssen**[6]، وتذهب لوسات **فالنسي Lucette Valensi** بالقول أن عدد سكان تونس مطلع القرن التاسع عشر أقل بقليل من مليون نسمة حسب أكثر الإحصاءات دقة [7]؛ عكس ما يذهب إليه أحد الباحثين الذي قدر عدد سكان البلاد التونسية بنحو مليونين ونصف المليون نسمة، مقسمين على النحو الآتي: 7000 نسمة من الأتراك المولودين بالشرق، 100.000 يهودي، 7000 مسيحي فيهم الأحرار والعبيد، والباقي مغاربة وعلوج[8]، في

---

[1]– وليد الهادي معومة: **المرجع السابق**، ص 299.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 559.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: **الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 437–438.

[4]– جون–ب–وولف: **المرجع السابق**، ص ص 158–159.

[5]-Toufik Bachrouch : **Formation Sociale Barbaresque et Pouvoir à Tunis au 17e siècle,** Publication de L'université de Tunis, Tunis, 1977, PP 25,26.

[6]-Lucette Valensi: **Fellahs Tunisiens L'économie rurale et la vie des compagnes aux 18e et 19e siècles,** Mouton- Paris- La Haye, Hollande, 1977, P P14.

[7]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، تر: حمادي الساحلي، د.ط، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 27.

[8]-Thomas Maggill: **Nouveau voyage à Tunis**, Imprimerie de G.L.F. Panckoucke, Paris, 1815, PP 51-54.

حين قدر الدكتور **لويس فرانك Louis Frank** التعداد السكاني قبل ذلك ببعض سنوات بنحو **ثلاثة ملايين** عام 1806م[1]، ويرى أحد الباحثين أن عدد سكان الإيالة يقارب على الأرجح مليوني نسمة في سنة 1815، ويعزى هذا الانخفاض المذهل في عدد السكان إلى وباء الطاعون سنة 1815م وتوطينه من سنة 1894 إلى 1800، وبسبب المجاعة في 1805م، ويمكن القول أنه منذ ذلك عرفت الإيالة استقرارا ديمغرافيا[2]، ويعيد **بايسونال Peyssonnel** الذي زار تونس عام 1724؛ أسباب تراجع عدد سكان الإيالة التي يقول أنها معمورة نسبيا إلى ثلاثة عوامل : انتشار الدعارة، وظاهرة الإجهاض للسرايا والنساء الشرعيات على السواء، وأخيرا الوباء الذي تسبب في إخلاء البلاد من السكان[3]، وأمام المعلومات المتنوعة التي تعود في مجملها إلى أوائل القرن 13هـ/19م التي تسمح لنا تجاوزا وفي حدود الترجيح؛ القول أن عدد سكان البلاد التونسية الإجمالي ما بين مليونين و200 ألف ومليونين ونصف نسمة[4]، بينما تنزل تقديرات متأخرة في سنة 1820؛ إلى مليون ومليون ونصف[5] .

وفي النصف الثاني من القرن 13هـ/19م؛ قدر **محمد بيرم الخامس**(1840-1889) عدد سكان القطر التونسي بنحو مليون ونصف، لأن تحقيق العدد غير موجود رسميا(في ظل غياب إحصاءات رسمية)، وهذا إذا ما استثنينا أعراب الأعراض مثل ورغمة وجبالية باجة الذين لا يعرف منهم إلا عدد الذكور البالغين من السكان غير العاجزين عن التكسب[6]، وهو الرقم الذي أشارت إليه بعض الدراسات التي قدرت هي الأخرى مجموع سكان الإيالة التونسية بنحو المليون ونصف نسمة؛ منضويين في البدو والحضر، وجزء كبير من المجتمع الريفي التونسي يتشكل من البدو المتجمعين في قبائل[7]، أما الأستاذ **غانياج Ganiage** فقد أشار إلى أن أغلب الكتاب المعاصرين الأكثر جدية؛ قد قدروا عدد سكان الإيالة التونسية بنحو **مليونين نسمة** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[8]؛ ما يعني أن الكثافة السكانية كانت لا تتجاوز 15 نسمة في الكم^2، ومن نتائج ذلك عدم اكتمال تعمير البلاد، فهناك مناطق كثيفة السكان نسبيا ولكنها منعزلة، تفصل بينها فلوات شاسعة، مما أفضى إلى تجزئة الحياة الاقتصادية وهيمنة اقتصاد الاكتفاء الذاتي، أما النتجة الثانية فهي وفرة الأراضي بالنسبة لعدد السكان، مما يجعل استغلال الأرض غير مكثف، ويحفز على انتشار الحياة الرعوية، وهذا دافع لضعف الملكية الفردية الخاصة، واستدامة النظام القبلي، ويتوزع السكان بصفة غير متكافئة بين

---

[1]- Louis Frank et Marcel. J **: Histoire et description de la régence de Tunis**, 2e Edition, Editions Bouslama, Tunis, 1985, P 07.

[2]- خليفة شاطر: **التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار إيالة تونس من سنة 1815 إلى سنة 1857**، تر: إبراهيم بلقاسم، ط1، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015، ص 56.

[3]- Peyssonnel et Desfontaines **: Voyages dans les régences de Tunis et D'Alger**, T1, Paris, 1838, P P 75,76.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، ط2 منقحة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 117.

[5]- خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 56.

[6]- محمد بيرم: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، تح: علي بن الطاهر الشنوفي وآخرون، مج2، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحمة، شركة أوريبس للطباعة، تونس،1999، ص 358.

[7]- E. Guellouz et autres **: Histoire de la Tunisie les temps modernes**, S.T.D, Tunis, 1983, P 285.

[8] -Jean Ganiage : **Les origines du protectorat français en Tunisie (1861-1881)**, préface : Khalifa Chater, BERG Edition, Tunis, 2015, p 89.

الأرياف وعدد من المدن والمداشر، ويبلغ العدد الاجمالي لسكان المدن ما بين 150 و170 ألف نسمة، ولكن توزيع السكان بين المدن كان غير متوازن، فتونس العاصمة تحتضن بين 100 و120 ألف نسمة؛ أي ما يقرب من عشر سكان البلاد، أما القيروان فكانت تضم بين 18 و20 ألف نسمة، وتعد صفاقس المدينة الثالثة، ويبلغ عدد سكانها حوالي 15 ألف نسمة، وتعد سوسة بين 8 و9 آلاف نسمة، أما بقية المدن فكان عدد سكانها لا يتجاوز الخمسة آلاف ساكن[1] . ويلاحظ أن جميع هذه التقديرات السابقة قد تبدو لنا اعتباطية غير مقبولة، لأنها كانت نتاج حسابات وليست قائمة على تعداد يشهد لنا على التطور الذي عرفته الإيالة التي عرفت تواترا لأزمات ديمغرافية، لذلك فهي تبقى مجرد أرقام في ظل غياب ملاحظة المعاصرين لأي تقدم ديمغرافي[2]؛ نتيجة تواتر الأزمات الصحية والغذائية وخاصة الطاعون وغيره من الآفات؛ التي كانت تنخر البنية السكانية وتعوق النمو الديمغرافي، ويشير الأستاذ **عبد الحميد هنية** أن المعطيات الديمغرافية المتوفرة تكشف نسبة تحضر كبيرة نسبيا في البلاد التونسية تقدر بنحو 20% من السكان الذين يقطنون المدن، و80% يقطنون الأرياف، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بحالة البلدان المغاربية والبلدان الأوربية أيضا قبل أن تعرف الثورة الصناعية[3].

02-بنية المجتمع التونسي:

أما عن التركيبة السكانية للايالة التونسية؛ فقدكانت فسيفساء وخليط بشري؛ من أصول متنوعة وأعراق متغايرة لما مر عليها في العصور المختلفة من الحوادث بحكم الحروب، والتغالب والامتزاج، وتعاقب الحكومات والأمم الفاتحة والغازية التي كانت تتوافد عليها تباعا حاملة ثمرات كدها، ونتائج سعيها وأصول نظاماتها وصور تشكيلاتها وطرائق معاشها، وأنواع فنونها وصنوف لغاتها، فتكون قد أثرتها بروافد ثقافية وحضارية من الفنيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين فالعرب والإسبان والترك ثم الإفرنج[4]، وهو ما أكده أحد الباحثين التونسيين؛ إذ يقول: " **إن التونسيين نتاج مهجن ومعاد التهجين لآلاف وآلاف المصاهرات المتنافرة: بربر، عرب، أتراك، أوربيون... لقد كانت تونس قادرة على صهر كل هذه العناصر في بوتقتها** "[5].

ويمكن تقسيم المجتمع التونسي آنذاك إلى طبقات على غرار أهل المدن، وهم على جانب من الحضارة وجل احترافهم التجارة، وكانت بيدهم معظم الصناعات التقليدية كصناعة الشاشية وغيرها، ولذلك كانت فئة التجار والصناع من أغنى فئات المجتمع[6]، وامتازت التركيبة البشرية التي تم استقدامها عموما بقدرتها على توظيف تلك التقنيات الحربية والإدارية وغيرها، ويذكر **بايسونال** أن الأتراك يحتلون المرتبة الأولى في السلم الاجتماعي، وأنهم ضروريون لإرهاب وإخضاع الأهالي خاصة عربان الأرياف، ويليهم في التراتبية سكان المدن والتجار وغيرهم الذين يشكلون الطبقة الثانية، في حين اعتبر البدو

---

[1]- نور الدين الدقي: **تونس من الإيالة إلى الجمهورية 1814-12014**، ط1، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس، 2016، ص ص 29، 30.

[2] - Lucette Valensi : **Fellahs Tunisiens…**, Op.cit**,** PP 13,14.

[3]- عبد الحميد هنية: **"بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها خلال الفترة الحديثة"ما بين القرن 17و19م"**، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 30-31 مارس 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013، ص 20.

[4]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 32.

[5]- الهادي التيمومي: **كيف صار التونسيون تونسيين-رحلة "حنون" معاصر في رحاب التاريخ**، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، 2021، ص 18.

[6]-السايح فيلالي: **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1998، ص 25.

والقرويين من الطبقة الثالثة، ولهذه الطبقات الثلاث ملابس مختلفة، وطرق عيش مغايرة أيضا[1]، لذلك كان السلم الاجتماعي لإيالة تونس يضم الفئات الاجتماعية التالية :

أ–سكان المدن:

***فئة الأتراك العثمانيين:**

شكل الأتراك الطبقة الاجتماعية أو الاثنية الأولى في المجتمع التونسي خلال الفترة العثمانية، فقد احتلوا واجهة المسرح الاجتماعي، وأصبحوا الفئة ذات الامتياز منذ أن ارتبطت الإيالة بالباب العالي عقب الدخول العثماني عام 1574، وكان انتقاؤهم يتم وفق معايير محددة[2]، وشكلت هذه الفئة في البايلك طبقة ارستقراطية متميزة؛ استوحت أساليب حياتها من التقاليد التركية، وسرعان ما تطورت نحو أوربا؛ بصفة أكثر رسمية من كونها حقيقية[3]، كان الأتراك يشكلون أقلية ضئيلة العدد تتركز أساسا في العاصمة والمدن الرئيسية، حيث كان عدد جماعة الأتراك نحو أربعة آلاف فرد أغلبهم كان يقيم بمدينة تونس[4]، وتتكون من العائلة الحاكمة والوزراء وكبار قادة الجيش والموظفين، وقد سيطر أفراد هذه الفئة على أهم الوظائف السياسية والإدارية علاوة على سيطرتها على بعض الأنشطة الاقتصادية من تجارة خارجية وقرصنة، حيث وفرت لها عوائد مالية هامة تعيش عليها إلى جانب العوائد الداخلية المتأتية من الجباية [5]، وهم قوم مقيمون وعلى وجه العموم حضريون، يمثلون انتماء الإيالة إلى الإمبراطورية العثمانية من خلال وجود عسكر الترك، وبالتالي كانت خريطة توزيعهم تمثل في نفس الوقت خريطة حامياتهم، ولم تكن نشاطاتهم قاصرة على الخدمة العسكرية[6].

وقد تمكنت الطائفة التركية من احتكار السلطة والنفوذ داخل المجتمع التونسي في البداية بطريقة شبه كاملة، وتتم عملية تجنيد هؤلاء الأتراك جزئيا من تركيا(الأناضول)، ومن المقاطعات الشرقية التابعة للإمبراطورية العثمانية، كما يتم جلبهم أيضا من شبه جزيرة البلقان ومن الجزر اليونانية(بلاد الروملي)، وحتى من أوربا المسيحية بعد اعتناق أفرادها الإسلام(العلوج أو المرتدون المشهورون)، وكانت الرابطة التي تجمع هؤلاء جميعا هي العقيدة الإسلامية[7]، ورافق ذلك انتشار الأتراك بتونس وأعمالها إثر الدخول العثماني؛ زواجهم كلهم أو أغلبهم بالتونسيات، فنشأ عن ذلك طبقة جديدة من الأهالي ينعتونهم بالكراغلة[8]، حيث لقوا الدعم الكبير من المجتمع المديني لكي يستقروا في البلاد ابتداء من القرن السادس عشر، وكان الأتراك يمولون الواجهة الساحلية والمدن بشكل عام بالتقنيات الحربية والإدارية والمالية المتطورة[9]. وقد عرف عدد الأتراك العثمانيين ارتفاعا بسبب عمليات التجنيد من الولايات العثمانية الأخرى، لكن العملية شهدت

---

[1]-Peyssonnel et Desfontaines**: Voyages dans les régences…**Op. Cit**,** PP 66-67.

[2]-Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn bin Ali (1705-1740),** T 1, 2e Edition, C.P.U, Tunisie, 2008, P 35.

[3]-E. Guellouz et autres**: Op.cit,** P287.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 119.

[5]–جمال بن طاهر: **الفساد وردعه–الردع المالي وأشكال المقاومة بالبلاد التونسية 1705–1840**، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1995، ص 59.

[6]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 36.

[7] - Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …** T 1, Op.cit**,** P 24.

[8]–محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 226.

[9]– عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص 21.

تراجعا عقب ذلك بفترة من الزمن بعد أن دخلت الإيالة في صراعات داخلية، وانتشار الأوبئة التي أسهمت في التقليل من أعدادهم، وأيضا مع محاولة البايات وخاصة **حمودة باشا الحسيني**(1782-1814) الذي عمد إلى استبعادهم من الأمور الإدارية؛ نظرا للمشاكل التي أحدثها أفرادها داخل المدينة[1]. كانت هذه الفئة تمثل طبقة أرستقراطية ونبلاء البلاد؛ ما جعلها محل استياء من الأهالي، لأن أفرادها احتلوا لوحدهم جل الخطط العسكرية: عضوية الديوان، دايات وضباط التنظيمات وأغوات القصور والوظائف المدنية، وأيضا عضوية القضاء العسكري، وفضلا عن القوة الاقتصادية، والاستثمار في التجارة، حيث يقوم أبناء الطائفة كل سنة باستئجار أكثر من **مائة مركب** لنقل الزيت إلى الاسكندرية وكذلك العبيد السود والشواشي إلى موانئ المشرق، بالإضافة إلى احتكار الفلاحة، والإقامة في المدن[2].

*** فئة الحضر:**

وهم غالبية سكان المدن الذين ظلوا مرتبطين بوسطهم المحلي ومحافظين على تقاليدهم العربية الإسلامية، وهم يتألفون من جماعة البلدية، وهي العائلات الأصيلة التي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية السابقة، وتلحق بها جماعة الأشراف والمرابطين، وهم الأسر التي قدمت في الغالب من مواطن بعيدة وعرفت بنسبها الشريف، وظلت تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس، وتندرج ضمن جماعة الحضر جماعة الأندلسيين[3]، والبلدية حسب الاستعمال السائد خلال القرن السابع عشر وعلى ضوء مشاهدات الأوربيين هم موريو المدن أي السكان الأصليين للمدن[4]؛ أي أن النواة الأساسية لمجموعة البلدية، وهم السكان الأصليون الذين فقدوا كل روابطهم القبلية أثناء استقرارهم[5]. وقد حصر بعض الدارسين عبارة البلدية وجعلها قاصرة على التجار وأصحاب الحرف[6]، وقد سكنت فئة الحضر المدن الساحلية مثل بنزرت وسوسة والمهدية وصفاقس...وخاصة العاصمة تونس؛ ولم يتجاوز أفرادها 10%، وقد تدعمت بقدوم المهاجرين الأندلسيين في ميدان الوظيفة ككتبة وفي عدة مصالح إدارية، وتقلد أعيانهم مناصب في الوظائف الشرعية المالكية، كما كان من ضمنهم الحرفيون في الشاشية بالخصوص وفي مهن أخرى[7]، وكانت جماعة الحضر تمثل البرجوازية المدينية التي كانت تتكون إلى حد كبير من عناصر عربية انصهرت مع مر القرون مع العناصر الأصلية، ما جعلها تعتبر التراث الوطني الوريث الأصيل، بالإضافة إلى العنصر الأندلسي ومساهمته التي أتاحت إعادة إحياء التقاليد العربية خلال القرنين 16و17م[8] . إن ما يعطي هؤلاء الحضر صفة البلدية ليس عامل الزمن فحسب؛ وإنما وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية[9]، لذلك نجد من

---

[1]- حفيظة بوتوقوماس: **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 132-133.

[2]- حفيظة بوتوقوماس: **المجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1835-1882**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص 20.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر-تونس- طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 123..

[4]- Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …**, Op. Cit**,** T 1, P 31.

[5]- خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 99.

[6]- د. أرنولد. قرين: **العلماء التونسيون 1873-1915**، تر: حفناوي عمايرية-أسماء معلى، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1995، ص 69.

[7]- محمد صالح بن مصطفى: **العثمانيون في تونس1705-1957 التاريخ الآثار السكان وسلوكاتهم**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2012، ص 326.

[8]- Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, S.T.D ,Tunis, 1995, P 288.

[9]- جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 59.

يربط هذه الفئة من الساكنة بموقع الوسيط بين الحكام والأغلبية الريفية التي تمثل القاعدة، وبنوع من الحالة المكتسبة والأقدمية، بالإضافة إلى بعض العناصر المادية على غرار امتلاك مسكن داخل المدينة، وبستان زيتون في محيطها، وركن لمقبرة على أبواب المدينة، والمولد والحياة والموت، وهناك من يقرن التعريف وفقا لمعايير اقتصادية معاصرة، على غرار العلامة النقدية، حصص الميراث المسجلة في العقود، انتقال الممتلكات، لذلك كان المجتمع الحضري في الواقع متمايزا بشكل كبير، حيث كان يقترن بالتراتبية الهرمية المختلفة التي لم تكن ذات صبغة اقتصادية فحسب، بل تندرج في إطارها: الدوائر الدينية، عالم التجارة والعمل، الأشخاص الصغار[1]. لقد مارس البلدية المحافظين احتكارا حقيقيا لبعض الحرف التي تناقلوها وراثة، فكانوا النواة الأصلية للمدينة بامتياز، من خلال أنشطتهم التجارية والحرفية، وعقاراتهم وأجنتهم في الفحوص، وبواسطة جذورها في البلاد؛ تمكنت من صقل أعرافها، وكانت عامل استقرار وتوازن في الحياة الاجتماعية؛ إلا أن هذه الدينامية المهنية للبلدي عرفت تراجعا خلال القرن 19م، وتجلت عموما في المشاركة من بعيد في التجارة الخارجية للإيالة، واقتصار نشاطهم على الأعمال اليدوية[2]. إن المجتمع المديني أو البلدية مرتبطين باقتصاد نقدي نشيط نسبيا، أي عالم يتميز بالتطور الكبير للملكية الخاصة، والتسلسل الهرمي الاجتماعي المعقد والاعتماد على المدن من وجهة نظر اقتصادية وسياسية وثقافية[3]، ومن أهم العناصر التي تتشكل منها طبقة الحضر:

ـالأندلسيون:

استقروا في البلاد في فترات مختلفة، فقد وفدوا في أعقاب سقوط إشبيلية بأيدي المسيحيين سنة 1371م، وقد هاجر منهم إلى تونس نحو مائة ألف في تدفق مسترسل على امتداد قرنين ونصف[4]، خاصة تلك الهجرة الجماعية التي بدأت منذ السنوات الأخيرة لحكم **عثمان داي** (1598-1610)[5]؛ واستمرت بدايات حكم **يوسف داي**(1610-1637)[6]، حيث شكلت هذه الأعداد الوافرة بلا شك؛ دعما للزاد الديمغرافي، وكان الترحيب والعطاء الذي أبداه بايات تونس بسبب المأساة التي حاقت بهؤلاء، وأيضا لضرورة سياسية لما يمثله هؤلاء المهاجرون من وزن كبير، فقد كانوا ينظرون إليهم لا على أنهم حلفاء فحسب لاستيطان الأراضي الداخلية في البلاد بل أيضا لتأمين دعم الأتراك الذين أبدوا عاطفة خاصة لقضية الموريسكيين[7]، وبذلك عززوا سلطتهم؛ فكان ذلك وبطريقة ما شكلا من أشكال التحالف مع الإمبراطورية التركية، لذلك سعى هؤلاء البايات إلى استقبال عدد كبير من المنتمين إليهم، والذين كانت تربطهم علاقات جيدة مع

---

[1] -Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …** Op. Cit**,** T 1, PP 36-37.

[2] -Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, **Op.cit,** PP 288-289.

[3] - Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et sociétédans la Tunisie …** Op.cit**,** T 1, P 53.

[4]- د. أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 67.

[5]- **عثمان داي**: استقل بوظيفة الداي 1598، كان ذا حزم وعقل، سن قوانين المساواة بين الرعايا التي تعرف بالميزان، وجه عنايته لعمارة البلاد؛ وقد أعانه على ذلك قدوم نحو 30.000 مهاجر أندلسي، توفي سنة 1610م ودفن بزاوية ابن سيدي عروس بالعاصمة. انظر حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح حمادي الساحلي، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001، ص 113-115.

[6]- **يوسف داي**: انتصب هذا الدايعام 1610، وسعى في ترقية البلاد وتوطيد راحتها، من آثاره جامعه البهيج والمدرسة اليوسفية، وما بالمدينة من أسواق كسوق الترك والبركة، حنايا وحصون وجسور، في عهده حصل الخلاف الحدودي بين ولايتي الجزائر وتونس عام 1037هـ/1628م، توفي سنة 1637م. انظر حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، نفسه، ص 115-116.

[7]-Nizar Sayari et Hicham Rejeb: « **Origine du paysage Andalou dans le nord-ouest Tunisien** », R.C.M, N° 79, 2009, PP 02.

العثمانيين، حيث كان لهؤلاء الموريسكيين[1] **فضل على سياسة البايات وتعزيز موقفهم، بالإضافة إلى ما تحمله هذه الفئة من الثروات الأخرى التي تتجاوز الدراية والمعرفة؛ إلى كون الموريسكيين خبراء في الزراعة والهندسة المعمارية والبناء، وفي جميع الحرف اليدوية، كما كانت لهم معرفة كبيرة بالتقنيات العسكرية[2]، حيث أوت الإيالة التونسية ثمانون ألفا من الموريسك المطرودين من إسبانيا سنة 1609م، والذين استقر خيارهم من المثقفين بأحياء معينة؛ أما زارعو البقول وصانعو الشواشي والأقمشة الحريرية والأواني الخزفية المطلية؛ فقد واصلوا نشاطهم في الضواحي القريبة**[3].

ومن فرط اهتمام الدولة بالوافد الجديد؛ أن جعل الداي عثمان "**شيخ الأندلس**" في سلك الدولة[4]، وكانت لهم أحياء بالحاضرة التونسية؛ "**زقاق الأندلس**" داخل المدينة العتيقة، و"**حومة الأندلس**" في ربضها، ودعموا ديمغرافيا عددا هاما من القرى المتواجدة حول مدينة تونس[5]، وقد أخذ الأندلسيون وجهات مختلفة من البلاد التونسية وتم توطينهم خاصة في مناطق حول مدينة تونس ضمن مدار لا يتجاوز 60 كلم عن العاصمة[6]؛ أين وضع هؤلاء المهاجرين عصا التسيار أولا، وفي الأماكن المحيطة بها الأكثر خصوبة؛ لتنقل بعدها أعداد منهم على طول مجرى نهر مجردة، إما لإنشاء مستوطنات جديدة أو لزيادة عدد سكان المدن والقرى الموجودة فعلا أو حتى لتنشيط المراكز القديمة المستقرة التي تم التخلي عنها بعد ذلك، إذ تقدم كتابات المؤرخين ومشاهدات الرحالة ثلاث مناطق رئيسية لاستقرار هؤلاء المهاجرين وهي: **شبه جزيرة كاب بون، ووادي مجردة، وساحل بنزرت**، ويمكن تفسير هذا التواجد الموريسكي بصرف النظر عن الإرادة السياسية للبايات؛ بالنشاط الاقتصادي لهؤلاء الوافدين الجدد، فقد كانت غالبيتهم مزارعين لفترات طويلة؛ يمتلكون التقنيات الزراعية[7]، وقد أدى تركيز الأندلسيين في هذه المناطق إلى صراعات مع السكان الأصليين حول السيطرة على الأراضي الخصبة التي أعطيت للأندلسيين ولم تكن مواتا، وتكشف وثيقة تعود إلى عهد **حمودة باشا الحسيني** (1782-1814) عن هذه الخلافات بين الأندلسيين وأهالي مجاز الباب، وحكم حمودة باشا بينهم؛ فكان الحكم لصالح الأندلسيين، وتمثل هذه الأراضي أساس الثروة خلال الفترة الحديثة[8].

وقد احتفى بمقدمهم بايات تونس على غرار **عثمان داي** (1595-1610)، وخصص لهم الدور والأراضي، وسعى إلى توظيف خبراتهم المهنية ومعرفتهم للغة القشتالية، ولأساليب الحروب البحرية التي تفننوا فيها، وقد أنشأوا نتيجة لذلك مدنا عديدة ما زالت تشهد حتى يومنا هذا بخصوصيات المعمار الأندلسي، هذا فضلا عن ترجمتها بدقة عن أسلوب

---

[1]- **الموريسكيون**: تطلق كلمة "**الموريسكي**" على المسلمين بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492م؛ الذين أجبروا على اعتناق المسيحية وتظاهروا بذلك؛ ففقدوا استعمال اللغة العربية، ثم هاجروا من الأندلس خلال القرن 16م وبداية القرن 17م، وكانت ثقلفتهم تختلف عن الثقافة العربية الإسلامية لأسلافهم الذين هاجروا من الأندلس قبل القرن 16م. عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 123.

[2]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، 225.

[3]- شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر: محمد مزالي-البشير بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 365.

[4]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، ط1، منشورات دار زخارف للنشر، تونس، فيفري 2016، ص 31.

[5]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 124.

[6]- عبد الحميد هنية: **المرجع نفسه**، ص 21.

[7]-Nizar Sayari et Hicham Rejeb : « **Origine du paysage Andalou…**, Op.cit, PP 02-03

[8]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 21.

حياتهم وعاداتهم ومطبخهم وتقاليدهم[1]، ونذكر من هذه المدن التي أسسوها سليمان وقرنبالية والجديدة وزغوان وطبربة ومجاز الباب وتستور وقلعة الأندلس وغيرها، وعلاوة على ذلك استوطن جانب وافر منهم مدينة تونس اتخذوا بها حارات عرفت بهم، وأنشأوا أسواقا للصناعات التي جلبوها معهم كصناعة الشاشية ونسيج الحرير ونقش الرخام والجبس والزليج، وقد نقل أهل البلاد عنهم أصول تلك الحرف حتى أتقنوها، وبالجملة حصل للقطر من هجرة الأندلسيين إليه ثروة واسعة وعمران دافق[2]، حيث أحيى عدد كبير من الفلاحين معظم أراضي وادي مجردة، وقدموا فنيات رفيعة في ميدان القرصنة مكنت عائداتها من تجميل المدينة[3].

ويندرج الحرص الشديد على نقل التقنيات المرتبطة بالنشاط البحري إلى النزعة الانتقامية من الإسبان، لذلك قالوا إن الأندلسيين الوافدين على تونس في ذلك الزمان؛ أشاروا على أهل الدولة بتشديد القرصنة البحرية انتقاما وتشفيا مما أصابهم في بلادهم من العذاب[4]؛ خاصة وأن الأتراك **يعتبرون أنفسهم في واجهة الجهاد ضد الكفار الذي يستمدون منه شرعيتهم**، وهذا السياق تحدث **ابن أبي دينار** عن أثر هؤلاء الوافدين الحضاري على **عهد عثمان داي**؛ بقوله:" **وفي هذه السنة (1017هـ/1608م) والتي تليها جاءت الأندلس من بلاد النصارى، نفاهم صاحب إسبانية، وكانوا خلقا كثيرا فأوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضعفائهم على الناس وأذن لهم أن يعمروا حيث شاؤوا فاشتروا الهناشير وبنوا فيها واتسعوا في البلاد فغمرت واستوطنوا في عدة أماكن، ومن بلدانهم المشهورة سليمان وبلي ونيانو أوقر نيالية وتركي والجديدة وزغوان وطبربة وقريش الواد ومجاز الباب والسلوقية وتستور وهي من أعظم بلدانهم وأحضرها والعالية والقلعة وغير ذلك، بحيث تكون عدتها أزيد من عشرين بلدا فصار لهم مدن عظيمة وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين وصاروا يعدون من أهل البلاد**"[5].

ومنه يتراءى لنا أن للأندلسيين أهمية حضارية لا بأس بها، فقد استقدموا كثير من التقنيات الهامة التي طورت ظروف الإنتاج عامة في البلاد، واستفادت بها خاصة الأنشطة الاقتصادية التي كان لها علاقة بالأندلسيين مثل القرصنة والفلاحة وبعض الصناعات الحرفية[6]، إذ تؤكد الدراسات أن الموريسكيين كانوا رجالا مهرة وفنيين في العديد من من المهن مثل صناعة الحرير والذهب والفضة والنقش على اللوح والبناء والفلاحة وأساليب السقي الفنية، كما كانوا وراء تعميم زراعة البرتقال والحوامض وقصب السكر ومختلف الأشجار المثمرة كالتوت والعديد من من المنتوجات النباتية كالحناء[7]. تمتع الموريسكيون باستقلال مكنهم من تدبير شؤونهم مع حرصهم على الاحتفاظ بشخصيتهم فلا تتزوج بناتهم بغير

---

[1]- عبد الجليل التميمي: **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والمعلومات، زغوان، تونس، 1989، ص 64.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 115.

[3]- شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، المرجع السابق، ج2، ص 365.

[4]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، 225.

[5]- ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط3، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص 228.

[6]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 122.

[7]- عبد الجليل التميمي: **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، المرجع السابق، ص 60.

الموريسكيين ولا يتنازل الرجال للتزوج من غير الموريسكيات عن طيب خاطر إذ لما تحوجهم الفاقة أحيانا يختلطون بسكان البلاد الأصليين، ورغم حفاوة سكان البلاد الأصليين بهم كانوا يرون أنفسهم فئة أرفع منزلة منهم مع ازدراء واضح واحتقار مفضوح للبدو على غرار **رياح** المتمركزين حول تستور[1]، ولذلك يذهب الباحث التونسي **رشاد الإمام** إلى أن امتزاج أفراد الجالية الأندلسية وتداخلهم مع بقية الأهالي؛ لم يتم –بصفة متكاملة– على الرغم من انقضاء قرنين ونصف على تاريخ قدومهم إلى البلاد التونسية [2]، وهذا عكس ما ذهب إليه **شارل أندري جوليان** الذي أشار إلى اندماج هؤلاء الوافدين الذين انصهروا في إفريقية، وأنسوا الحياة في ظل النظام التركي، وسرعان ما تبنوا العادات والتقاليد التونسية[3].

*** فئة الكراغلة:**

هم السكان المولدون من آباء أتراك وأمهات تونسيات، عرفوا بأبناء العبيد "**قول أوغلي_Kuloglu**" على اعتبار أن آبائهم الإنكشارية عبيد للسلطان العثماني، ظلوا مبعدين عن المناصب العليا في الإدارة رغم وضعهم الاجتماعي المتميز، إذ كانت تجمعهم قرابة العمومة مع الأتراك ويشدهم نسب الخؤولة إلى أهالي البلاد[4]، ويذهب بعض الباحثين بالقول أن الأتراك العثمانيين لم يقبلوا الزواج من تونسيات إلا عن مضض بعد أن ضاقوا ذرعا بعزوبيتهم أو كونهم من ضعفاء الحال، وقد أفرز زواجهم من تونسيات فئة الكورغليين أو الكزدغليين على غرار العائلة الحسينية[5]، وقد مثل الكراغلة فئة وسطى بين الأقلية الحنفية والأغلبية المالكية، ورغم انفتاح المناصب العسكرية والوظائف الإدارية والخطط الشرعية الحنفية أمامهم؛ إلا أنهم اعتبروا أتراكا من درجة ثانية[6]، وقد كان عددهم أكبر من عدد الترك بلا شك، ولكنهم كانوا لا يشاركون هؤلاء في النفوذ ولا في الوظائف[7]، إذ أن الجندي المتزوج بامرأة من تونس والمتحصل على راتب يومي لا يقل عن الإثني عشر ناصري؛ بإمكانه أن يورث امتيازه في الخدمة؛ كشريحة وسطية بين الوافدين وأهل البلاد توسعت بهم القاعدة الاجتماعية للسلطة، إلا أن منزلتهم كانت من الطراز الثالث، إذ أن الأتراك يأنفون من أبناء إخوتهم في السلاح، ما عدا أولاد المعسكر الذين يخدمونهم[8]، ومع ذلك فإن وضع الكراغلة في تونس مختلف تماما عما هو موجود في الجزائر، حيث كانوا يقبلون في الجندية، بل لقد تمكن **حسين بن علي** وهو ذاته **كرغليا** من الوصول إلى الحكم عام 1705م، وقد قام بتجنيد أفراد من فئة الكراغلة كجنود في التنظيمات العسكرية بدلا من تجنيد الإنكشارية القادمين من المشرق[9]، وقد

---

[1]– محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 332.

[2]– رشاد الإمام: **"الأندلسيون في البلاد التونسية في منتصف القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية"**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23–24، تونس، نوفمبر، 1981، ص 295.

[3]– شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، المرجع السابق، ج2، ص 365.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 111.

[5]– محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق، ص** 327.

[6]– مراد رقية: **"التوزيع الجغرافي والتصنيف الوظيفي لعسكر حنفية بايليك تونس في النصف الثاني من القرن 19"**، من أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات العثمانية حول: وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني خلال الثلاثين سنة الماضية، تق عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، اكتوبر 1996، ص 171.

[7]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 36.

[8]– توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591–1675**، مجموعة أيام الناس، تونس، 1992، ص 47.

[9]– اندريه ريمون: **المرجع السابق**، ص 62.

استقر هؤلاء على المدن الواقعة على ساحل البحر كالمهدية والمنستير وبنزرت وغار الملح، وقد أعيد بناء هذه المدن وتعميرها من طرف الكراغلة الذين استوطنوها؛ وكونوا أغلبية سكانها[1]، ونشأ هؤلاء الكراغلة في بيئة محاطة بالمؤثرات العثمانية والحضرية، استلهموا منها نفسية تتوق إلى السلطة والثروة؛ فقد جنح كراغلة تونس نحو أخوالهم من ساكنة البلاد ليشكلوا معا تحالفا ضد الوجود التركي، حيث نجدهم قد حسموا أمرهم بربط أواصر القربى(المصاهرة) والاندماج مع السكان المحليين ضد آبائهم مجتمعين وملتفين حول مشروع وهدف موحد؛ هو الابتعاد عن دائرة العثمانيين لأنهم في نظرهم رهان خاسر مقارنة بخيار الاندماج في المجتمع العريض، مما سمح ببروز قيادات كرغلية حسب مشروع السلطة[2] .

*** الجالية المسيحية:**

تتألف أساسا من التجار ورجال الدين المسيحيين والقناصل وبعض الرحالة والأطباء والصيادين وهم في الغالب يقيمون بمراكز الولايات، حيث لا يتجاوز عددهم عدة مئات، وهم في الغالب منعزلون عن بقية السكان ويفضلون الإقامة في الضواحي القريبة من الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة أو في فنادق معينة قريبة من الميناء أو غير بعيدة عن قنصليات بلدانهم[3]، ويعود استقرار التجار المسيحيين في المدن التونسية إلى فترات سابقة لانتصاب الحكم العثماني بالبلاد، ففي العهد الحفصي كانت هناك فنادق للجنويين والبنادقة بالحاضرة التونسية، وتزايدت أعدادها التي كان من المفروض أن تنخفض خلال القرن 19م؛ حيث أمكن إحصاء أزيد من 12 ألف، وكانوا في الأساس من مالطا، سردينيا، صقلية، مارسوا مهنا متنوعة وعاشوا في اختلاط بالفنادق التي أضحت مكتظة بشكل فريد مع مرور الوقت، وقد تمتعوا بحماية قنصلية أمام تنازلات الباي، وأصبحوا يشكلون مصدر قلق للحكومة التونسية؛ إذ غالبا ما أدت خلافاتهم إلى أزمات حقيقية بين الدول، ومع ذلك ظهرت أقلية من جموع المسيحيين من موانئ المتوسط، مرسيليا، ليفورن، جنوة...عاشت في راحة، ومارست أعمالا تجارية كبيرة؛ كان أفرادها الممثلين المعتمدين للشركات التجارية الكبرى الإيطالية وخاصة الفرنسية في تونس[4]، أما عن الجاليات فقد تكونت أقدم جالية أوربية في تونس في أواخر القرن 16م من قبل تجار مرسيليا ومنطقة البروفنس، وكان يمثلهم قنصل فرنسا الذي حل بالإيالة منذ 1577، والتحقت بالفرنسيين جاليات انجليزية وهولندية خلال القرن 17م؛ وكان عدد أفرادها ضعيفا[5]. وكان النصارى بتونس أسعد حظا، إذ رغم الهزات التي نشأت عن الأزمات مع الأمم الأوربية؛ فإنهم غالبا ما عاشوا في أمان بقيادتهم حتى أن التجار الإنجليز واصلوا ممارسة تجارتهم بكل حرية؛ عندما سجن التونسيون قنصلهم كرد فعل على حملة **بليك** (**Blake**) عام 1654، وكان فندق فرنسا المبني سنة 1659 أوسع الفنادق مساحة وأجملها منظرا لأن قنصل فرنسا كان يضع تحت حمايته التجار من مختلف الجنسيات؛ ما عدا الإنجليز والهولنديين، ونازعه قنصل انجلترا هذا الامتياز بكل الوسائل[6]، وقد صدّر التجار

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مج3، مكتبة المنار، تونس، 1966، ص 271.

[2]- محمد مقصودة: **أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين 18 و19م دراسة سوسيو تاريخية مقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، 2018-2019، ص ص 29، 30.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 228-229.

[4]-Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, Op.cit, PP 290-291.

[5]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 336.

[6]- شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، المرجع السابق، ج2، ص 361.

الأوربيون من الإيالة القمح والشعير وزيت الزيتون والصوف والجلود والمرجان والإسفنج؛ ووردوا نحوها الأقمشة والصوف الناعم ومواد التلوين والخردوات والخمور والمشروبات الكحولية مع المساهمة في الاتجار بأسرى القرصنة، كما ساهم التجار الأوربيون في النشاط المالي خاصة دفع فدية الأسرى التي يقع تسديدها من قبلهم بزيادة محترمة بعد العودة إلى بلدانهم[1].

كما يوجد من ضمن الأوربيين يونانيون اشتغلوا في ميدان النجارة والصيد البحري، وكانت وضعيتهم عامة حسنة، وقد تبين ذلك من خلال الوضعية الحسنة لكنيستهم القريبة من باب البحر، ووقع استقطاب عناصر أجنبية أخرى وهم الأعلاج (أسرى القرصنة)، وقد عمل المجتمع المديني على إبقائهم في البلاد كمماليك بعد أسلمتهم، وتميز العلوج بإتقانهم اللغات والتقنيات الأوربية، علما وأن أوربا خلال القرن 16م شهدت تطورا تقنيا عرف بأنه عصر النهضة، وقد نتج عن تراكمات تقنية وإدارية؛ تمكن المجتمع من توظيفها كعوامل قوة[2].

وقد عاضد **المماليك** الأتراك خاصة في مهامهم العسكرية، وينحدر المماليك من أسرى القرصنة، كما نجد قسما من الأحرار الذين قدموا إلى الإيالة التونسية إما بسبب فرارهم من الدين أو من العدالة، وتسلق قسم منهم سلم الترقيات بسرعة وكسب ثروات كبيرة في وقت وجيز، وبعضهم قدم بحثا عن المغامرة والجواري الحسان، ورغم اعتناق جلهم الدين الإسلامي تبقى أسماؤهم دليلا على أصلهم مثل: موراتو، نابوليتانو، وملتازي، وانقليزي، وسبنيولو...وقد بلغ عددهم بكامل الإيالة سنة 1637 حوالي 4000، حيث عملوا كجنود وضباط ضمن جند الإنكشارية، وفي سنة 1628م كان قادة الجند المكلفين بحراسة الإيالة وخاصة العاصمة من المماليك[3]. وقد اشتهروا بخدماتهم وكونوا عائلات حافظت على الأسماء الأصلية ومن أشهرهم: **مراد باي** مؤسس العائلة المرادية، **وحسين بن علي** جد العائلة الحسينية، وزوجته أصيلة البندقية ووالدة ابنيه **محمد وعلي**، وغيرهم من الوزراء وولاة المناطق وقواد البحرية[4]، كما أن هذا الدم المختلط أنتج عنصرا سكانيا هجينا جيدا، فسكان مدينة زغوان شرقي تونس، ينحدر أغلب سكانها من الإسبان الذين تماهوا في العنصر المحلي مع إسلامهم[5]، وفي أثناء القرنين 12هـ/18م و13هـ/19م وفدت على تونس جموع كثيرة من العلوج ذكرانا وإناثا؛ كان أكثرها من القرج والروم، والتحقت بالبلاط الحسيني وبأهل الدولة وديار الأكابر، وأكثرهم اعتنق الإسلام، وتصاهرت مع أهل تونس؛ واختلط دمها بدم العنصر الأهلي كدماء العناصر السابقة[6].

***اليهود:**

عاشت الطائفة اليهودية في تونس منذ أقدم العصور في علاقات طيبة مع الجماعات الإسلامية بالمدن الكبيرة، وازداد هجراتها على مر الحقب؛ إلى أن أضحت جالية هامة، حيث قدر عددها الكاتب أ. **دي فلو A.De Flaux** في كتابه "**إيالة تونس في القرن التاسع عشر**"، ما بين 30 إلى 35 ألف[7]، بينما تذهب **فالنسي** بالقول أن عددهم بلغ حوالي

---

[1]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 336-337.

[2]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 21.

[3]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 332-333.

[4]- حسين خوجة: **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تح وتق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1975، ص 38.

[5]- Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**,**Op.cit,** P157.

[6]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 226-227.

[7] -Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, Op. Cit**,** P 289.

15000 شخص من جموع العشرين ألف الذين كانوا يعيشون في الإيالة في أوائل القرن التاسع عشر[1]، في حين تقدرهم بعض المصادر خلال هذه الفترة بنحو 25000 إلى 30000 نسمة، ويقيم بالعاصمة التونسية لوحدها ما يربو على 15000 إلى 20000 من أبناء الجالية، بينما مثلت الجماعات اليهودية البدوية البعيدة عن المدن البقية[2].

يعود استقرار اليهود بالبلاد إلى فترات قديمة أعقبت تهديم القدس على يد **تيتيس**(**Titus**) الروماني، وثانية على عهد الإمبراطور **أدريان**، وموجة أخرى لهجرة يهودية جاءت في أعقاب الاضطهاد الإسباني لهم في القرنين 14 و15م فرارا من محاكم التفتيش، حيث توافدوا بأعداد كبيرة على الإيالة، ويعزى هذا إلى توافر عوامل الاستقرار كالحرية في ممارسة الشعائر الدينية؛ ذلك أن المسلمين كانوا أكثر إنسانية من المسيحيين في نظر اليهود، وكانوا في أعلى المراتب الاجتماعية سواء كانوا أغنياء أوفقراء؛ إلا أنهم كانوا مرابين في حدود مواردهم[3]، كما أن **يهود القرنة** الذين تعود أصولهم إلى الأندلس، والذين طردوا مثل المسلمين نحو إيطاليا (القرنة) ثم انتقل أعداد منهم إلى تونس واستقروا في الحارة التي يقطن"اليهود التوانسة"، حيث تم استجلابهم لما لهم من إمكانيات لتنشيط قطاعي التجارة والقرصنة[4]، لكن الأتراك أخضعوهم وغيروا ضرائبهم بشكل تعسفي قبل عهد **أحمد باي**، وتجلت هذه المضايقات في اجبارهم على ارتداء زي خاص؛ على عكس الزي الذي يظهر به المغاربة، ونوع محدد من الوظائف، وأضحى جبنهم مضرب الأمثال[5].

وعلى الرغم من ذلك فإن أغلبية الجالية اليهودية تعيش على أرض الإيالة – سواء كانت من أصول ليفورنية أو من أصل تونسي– كانت تعد من رعايا الباي الخاضعة لسلطته[6]، وكان اليهود يتمتعون بالحرية الدينية، ولكنهم كانوا تحت وطأة سلسلة من التضييقات والإجراءات الشائنة المسلطة عليهم، إذ كان مفروضا عليهم ارتداء زي خاص كما تقدم، ولم يكن لهم حق حمل السلاح ولا حتى امتلاك الدواب، وكانوا يتكلمون العربية ولكنهم يكتبونها بحروف عبرية[7]، لذلك نجدهم في آخر السلم الاجتماعي؛ حيث كانوا كما تقول **فالنسي** بمثابة" **كلاب بلا راية**"، يحتقرهم الناس، وكانوا لا يتمتعون بحق امتلاك الأرض؛ لذلك لا نجدهم إلا في المدن، والحال أنهم كانوا موجودين في الإيالة التونسية حسب توزيع لم يتغير منذ القرن الثامن عشر على الأقل، وقد اسقروا في أقصى الجنوب في جبل مطماطة، وواحة قابس، ومدينة قفصة، وجزيرة جربة، ولكن أكثرهم كانوا موجودين في مدينة تونس[8]. لقد عاش جميع اليهود في أحياء خاصة بهم تعرف باسم "**الحارة**" لا تجمعهم إلا المصلحة وقانون الألفة، ومارسوا جميع أصناف الصناعات والحرف التي تؤكدها ألقابهم (الصفار، الحداد، النقاش...)، وجميع أنواع التجارة، تتكون الطبقة العليا من يهود ليفورن المستقرين بتونس، والذين اشتغلوا في ميدان البنوك، التجارة، أو العمل كسماسرة، في حين كانت الطبقة الوسطى أو الدنيا منخرطة في تطريز الأقمشة، وفي

---

[1]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، **المرجع السابق**، ص 37.

[2]-Anonyme: **«Les juifs de Tunisie quelques repères historiques»** , R.C.M, N° 10, Paris- La Haye, Hollande, 1994, P 154.

[3] -Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, Op. Cit**,** P 289.

[4]– عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص21.

[5]- Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, Op. Cit**,** P 289.

[6] -Anonyme: **«Les juifs de Tunisie»**... **Op.cit,** P 154.

[7]– لوسات فالنسي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 38.

[8]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع نفسه، ص 37.

مهنة الخياطين، وبيع الخردوات...تدار شؤون الطائفة اليهودية مدنيا من قبل "**قايد**" من بينهم، وترفع نزاعاتهم إلى محكمة دينية هي محكمة الأحبار، وكان أفرادها دائما على استعداد لقبول أي هيمنة على الإطلاق، ولا يمكن لومهم بأي روح من التمرد أو التمرد لكنهم عموما جبناء وخائفون[1].

وقد لعب **يهود القرنة** دور الواسطة في عملية الفدية بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية للمتوسط؛ بفضل إتقانهم اللغة الإفرنجية وامتلاكهم للنقد، وساعدت شبكة العلاقات بين شتات اليهود في المتوسط على تدعيم دورهم في مجال التجارة، وافتداء أسرى القرصنة[2]. إن الدور الرئيسي الذي لعبه اليهود في الحياة الاقتصادية، دفع بايات تونس إلى استغلال علاقاتهم بالدول الأخرى خاصة معرفتهم باللغات الأجنبية لتكليفهم بمهمات ديبلوماسية، حيث كانوا موضع ثقتهم حتى في علاجهم الخاص، ويعزى هذا إلى جملة من الأسباب على غرار: خبرتهم في المعادن النفيسة وبالعملات المستخدمة في سائر البلدان، وقدرتهم على مسك دفاتر الحسابات، ومعرفتهم بالطب[3].

تمتع العنصر اليهودي الأوربي على حساب الأهلي بالحماية القنصلية،كما شكلت الجالية اليهودية وبصفة طبيعية فئة اجتماعية لعبت دور الوسيط بين السكان المسلمين والأوربيين في الأحياء الفرنسية[4]، لذلك نجدهم يتمتعون **بشيء من الاستقلالية**؛ إذ أدارت شؤونهم لجنة من أعيانهم جمعت الأموال من مساهمة الجالية وخاصة من الأثرياء لتوفير المصاريف اللازمة للسهر على صيانة البيعات ودور العبادة، ودفع أجور الحاخامات وإعانة الفقراء والمرضى، وقد شكل اليهود التوانسة ويهود ليفورن مجموعة واحدة رغم الاختلاف في اللغة والعادات، ونظر في شؤونهم نفس مجلس الأعيان، وقامت نفس المحاكم الربانية بالنظر في قضاياهم[5]، ومن الأمثلة التي تعكس جانب الحرية والمساواة اعتبار المسيحيين وأهل الذمة من رعايا الباي، ما أورده **ابن أبي الضياف** في **الاتحاف**؛ من أن المشير **أبي العباس أحمد باي(1837-1855)** كان يعطي الأوامر بتوزيع القمح أيام المساغب على سكان الإيالة؛ مساويا في ذلك بين المسلمين واليهود والنصارى، ولما كلمه في ذلك خاصته أجابهم بقوله:" **ان المهاجرين إلى مملكتنا، وان انتفعت المملكة بهم وانتفعوا بها، نراهم كالضيوف، وللضيف حق**"[6].

***العبيد:**

استطاع سلاطين تونس تحقيق انتصارات في حروبهم مع الغرب المسيحي خلال القرنين 13 و14؛ التي مكنتهم من جلب الآلاف منهم كعبيد، وكانوا في صراع دائم مع فرسان مالطا، حيث سقط في قبضتهم الأوربيون من جميع الدول، فقد أصبح كثير من الإيطاليين في القرون اللاحقة عبيدا، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة الإيطالية هي اللغة الرسمية للأوربيين في الإيالة، وكان لعبيد كل أمة سجنهم أو فندقهم؛ إما سجن أو حمام يحرسه جنود الباي، أما القلة الذين يمثلون باقي الدول فقد اختلطوا وتشتتوا مع البقية، وكانت تحدث مبادلات متكررة بين تونس والحكومات الأوربية؛ إذ

---

[1]-Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, **Op.cit,** PP 289-290.

[2]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص21.

[3]-Anonyme: «**Les juifs de Tunisie»**... **Op.cit,** P 153.

[4]- Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, **Op.cit,** P 290.

[5]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 335.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج4، ص 172.

كانت فرنسا على وجه الخصوص تسترد عبيد أمتها[1]، وقد أجمعت تقديرات المعاصرين على قلة أعدادهم، إذ يتحدث القنصل الفرنسي عن 1400 عبد بداية القرن 18م، ومع دخول الجزائريين عام 1756 تونس؛ جلب باي قسنطينة معه ما بين 1000 و1200، إلا أن هذا لم يكن له تأثير كبير إذ سرعان ما وصل العدد إلى حوالي 2000 عام 1780، وتزايد بدايات القرن 19، ومهما يكن فإن هذه الأرقام تبقى قليلة إذا ما قورنت بالتي تم طرحها في القرن 17م؛ والتي تراوحت بين 6000 و12000 أسير مسيحي[2]، وفي المقابل يشير **حسن حسني عبد الوهاب** بأن مدة العصر الحسيني تجمعت فيها من العبيد خلائق لا تحصى بتونس، ناهيك أنهم كانوا مائة ألف أو يزيدون عند تحريرهم من الرق في دولة المشير **أحمد باي الأول**[3]، ففي نهاية القرن 18م كان هناك الكثير من العبيد المسيحيين في تونس وبالأخص من جنوبي طبرقة، النابوليتان (نابولي)، الصقليين والمالطيين، والبعض من الذين تم جلبهم من **روسيا**، والبعض الآخر من أراضي الإمبراطورية العثمانية[4].

وقد عثر أحد الباحثين على مذكرة لعبيد **حمودة باشا** تعود في تاريخها إلى عام 1797؛ تضم أزيد من 1500 اسم وكلهم عبيد الباي، ومهما كان الأمر فإن العبيد المسيحيين؛ قد شكلوا نهاية القرن 18م شريحة من 1000 إلى 2000[5].وكان هناك العبيد الأسياد والعبيد الخواص، أما عبيد الأمير فيسكنون القصر، ويعملون في الحدائق ويعاملون بلطف، أما النوع الآخر فيشتغلون بأي عمل تعلموه في شبابهم بأوربا، يتغذون على حسابهم الخاص، كما كان عليهم أن ينتجوا يوميا مقدرا ثابتا لأسيادهم، باستثناء أولئك الذين كانوا خدما وأفرادا يعيشون معهم، ويمكن للعبد أن يدخر ما إن يفي بمبلغ سيده المحدد، وما تجاوزه يحتفظ به لنفسه أي أنه من خلال النشاط والطاقة والعمل والصحة الجيدة؛ يستطيع العبيد تحرير أنفسهم بأنفسهم، حيث كان ثمن الافتداء يتراوح بين 500 و1000 فرنك حسب عمر العبد أو قوته، وحسب نزوة السيد، فعندما استولى **علي باشا** على جزيرة طبرقة أضحى جل سكانها من الجنويين عبيدا[6]، حيث قدرتهم بعض المصادر بأزيد من 800 مسيحي تم نقلهم إلى العاصمة التونسية[7]، وكان الأسرى المسيحيون في تونس مثل مواطنيهم في الجزائر؛ يتمتعون بقدر كبير من الحرية الدينية، وكانت الأنشطة الروحية بصفة خاصة محل تشجيع من قبل الحكام التونسيين[8]. أما عن **العبيد السود** الذين تجلبهم القوافل التجارية من الصحراء؛ فعلى الرغم من انتشارهم في سائر أنحاء الإيالة، إلا أنهم كانوا في قلة عددية في وسط البلاد عكس المناطق الجنوبية الأقل كثافة نسبيا من منطقة الشمال والساحلالتي عرفت تواجدا لهم، ومع أن وزنهم الديمغرافي كان ضعيفا فإنهم كانوا القوة العاملة المفضلة في المناطق الزراعية والواحات، وعلى العكس من ذلك فإن وجودهم بالمدن مرتبط بالبرجوازية الثرية. واستطاع السود ترسيخ جذورهم مرة

---

[1]-Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**,Op. Cit**,** P 155-156.

[2]-Lucette Valensi : **« Esclaves chrétiens et esclaves noirs à Tunis au 18e siècle »**, A.E.S.C, N° 6, Tunis, 1967, P 1277.

[3]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 226-227.

[4]- Henry Dunant : **Notice sur la régence de Tunis**, Op.cit**,** P 158.

[5] - Lucette Valensi: «**Esclaves chrétiens et esclaves noirs…**»، Op. Cit, P 1278.

[6]- Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, **Op. Cit,** P 157.

[7] -Lucette Valensi: «**Esclaves chrétiens et esclaves noirs…**»، Op. Cit**,** P 1277.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، المرجع السابق، ص 254.

أخرى بتونس، فاندمجوا في المجتمع التونسي، وتمكنوا حتى من الحصول على الملكية، ومع ذلك فإن حالتهم أقل من وضع العبيد المسيحيين[1].

وقد اتخذ **علي باشا** من العبيد السود حرسا خاصا، ومن أخباره أنه استعمل فرسانا من السودان لحراسته سماهم " **البوابة**" وتأنق في خيلهم وسلاحهم وملبسهم، لكن هذا الاستعمال لم ينتشر عند البايات الحسينيين إذ اقتصروا على استعمالهم في شؤون القصر، وبصفة عامة لم يعاملوا عند الأغنياء والبايات بقساوة حتى أن عديد الأسياد عتقوا بعضا من عبيدهم مرضاة لله؛ فأصبح بالإيالة وخاصة بالعاصمة سود أحرار[2]، ولا يخفى أن دم هذا الفريق من السكان اختلط أيضا بدم أبناء بيوت تونسية كثيرة لا سيما بالجهات الجنوبية من المملكة[3]، واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن تم إلغاء العبودية المسيحية (استرقاق المسيحيين) على عهد **محمود باي بن حمودة باشا** خلال أسبوع عيد الفصح عام 1816، أما بالنسبة للعبيد السود فإن القضية استمرت إلى غاية 1842 عندما أقدم المشير الأول **أحمد باي** (1837-1855) على إلغاء العبودية والاسترقاق بصفة نهاية في جميع أنحاء الإيالة، وبذلك تم تحرير جميع عبيد الأراضي التونسية[4]، وفي هذا السياق يقول **محمد بن الخوجة**:"**وفي مدة العصر الحسيني تجمع بتونس من العبيد خلائق لا تحصى، ناهيك أنهم كانوا مائة ألف أو يزيدون عند تحريرهم من الرق في دولة المشير أحمد باي الأول، ولا يخفاك أن دم هذا الفريق من السكان اختلط أيضا بدم أبناء بيوت تونسية كثيرة لا سيما بالجهات الجنوبية من المملكة**"[5].

وإلى جانب هذه المجموعات السكانية، نجد فئة أخرى هي **الأجانب المندمجون**، تشمل العناصر التي تعيش على القطر التونسي، لكنها تابعة لسيادة دولة أخرى على غرار الطرابلسية والجزائرية المغاربة والأفارقة السود، وبحكم الانتماء للحضيرة الإسلامية فقد تعامل معهم التونسيون رغم ارتباطهم في الكثير من الأحيان بسلطات أوطانهم، **فالطرابلسية** استقروا جهة جربة وصفاقس والمنستير وسوسة والوطن القبلي وتونس وباجة، حيث استقر هناك الكثير من الاباضية القادمين من جبل نفوسة، ومن أبناء هؤلاء من تقلد وظائف سامية كالسيد **الشريف**(ت. 1701) الذي تولى رئاسة نقابة الأشراف بالإيالة، أما **الجزائريون** وبحكم العلاقات؛ فقد استقروا في تونس العاصمة وغرب البلاد[6]؛ كأبناء **زواوة** الذين كانوا مثالا لاختلاط الدم التونسي بالدم القبائلي، وتشكل منهم عسكر زواوة الذين كانوا في خدمة الدولة الحسينية [7]، كما أن الكثير من أبناء **المغرب الأقصى** قد وفدوا على الحاضرة التونسية لتوافر عامل الاستقرار، وغالبا ما كانوا من أصول أندلسية كسيدي **علي عزوز** المولود بفاس و**محمد المصطاري** أصيل مكناس، وكان مجيئهم صحبة قوافل الحجيج والتجار، حيث كونوا مجموعات سكانية وأسسوا زوايا، وتسلموا أراضي محبسة[8]، ومن مجموع ما تقدم يتضح لنا أن

---

[1]- Lucette Valensi: **ibid,** PP 1278, 1279.

[2]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 357.

[3]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 227.

[4]-Henry Dunant: **Notice sur la régence de Tunis**, **Op. Cit,** P 158.

[5]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص226-227.

[6]-حفيظة بوتوقوماس: **المجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1835-1882**، المرجع السابق، ص 30.

[7]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 227.

[8]- حفيظة بوتوقوماس: **المجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1835-1882**، المرجع السابق، ص ص 30، 31.

العنصر التونسي عبارة عن مزيج مركب من عناصر نشيطة مختلفة الأجناس، أكثرهم في العدد البربر، فالعرب، ثم الأندلس، فالترك، والزنوج، فبقية عناصر الأقليات التي اندمجت في عناصر الأكثريات، وبحكم الضرورة لا بد وأن تلك العناصر تكون متباينة في القوة والإدراك والأخلاق، ولكنهم متحدون كلهم في حب بلادهم تونس على السواء[1].

ب–جماعات الريف:

يقصد بها أهل الريف أي الفلاحون الذين يقومون بزراعة الأرض وفلاحتها، وقد تم كسب الشيوخ والأعيان من قبل الحكام بطرق شتى منها الإعفاء من الضرائب، والمنح المالية والألقاب الشرفية، والعلاقات الخاصة مع الباي ووزرائه، وبتلك الأساليب استطاع الحكام استمالتهم؛ علما أن أهل الريف ميالون إلى الهدوء والاستقرار حرصا على أرزاقهم وممتلكاتهم[2]، وكانت التركيبة الأساسية للمجتمعات الريفية متطابقة؛ بغض النظر عن اختلاف وتباين الظروف التي تعيش فيها، فالقبائل البدوية أو المستقرة وسكان الجبال البربرية أو عرب السهول؛ ذات تنظيم اقتصادي واجتماعي وسياسي عتيق[3].

لقد ظل المجتمع التونسي مجتمعا ساكنا بحكم جمود البنية الاقتصادية؛ حيث لم يشهد خلال هذه الفترة حراكا ملحوظا، ولم يكن التراتب داخل المجتمع قائما على الثروة بقدر ما كان خاضعا لاعتبارات سياسية أو إثنية، إذ يتكون المجتمع التونسي من بنى ومجموعات تربط بينها صلات عضوية؛ بعضها مادي وبعضها سياسي، والسمة البارزة لهذا المجتمع هي التناقض بين نمط عيش مجتمع المدن والمجتمعات القبلية، وأهم مظهر لهذا الاختلاف هو سيطرة المدن على القبائل سياسيا واقتصاديا بحكم احتكارها للنفوذ الإداري والعسكري والقضائي، فضلا عن سيطرتها على مسالك الاقتصاد النقدي واحتكارها لأهم الوظائف الدينية، وتعيش الطبقات الميسرة والنخب الاجتماعية بالمدن من جلب فوائض الإنتاج الزراعي ومن العائدات المتأتية من الأرياف، ومنها الضرائب المفروضة على رجال القبائل، وقد ولد هذا النفوذ لدى سكان المدن شعورا بالتفوق الحضاري[4]، وكان جزء كبير من سكان الريف التونسي يتألف من البدو الذين تم تجميعهم في قبائل، وهم من السكان شبه الرحل؛ الذين تم تكريسهم لمحاصيل الحبوب الموسعة والماشية المتنقلة...إذ تمثل القبيلة في تونس النظام المميز للرحل، حيث كانت مجموعات قبلية تعيش جنبا إلى جنب، ويذكر أن أعضاء القبيلة وحدة في الأصل والتقليد والتملك الجماعي للمراعي؛ حيث تذهب قطعانهم، وحيث يتعاطون زراعاتهم، بصورة عرضية، كما أن تضامن المجموعة القبلية شرط لا غنى عنه لبقائها أمام عجز الدولة عن درء الأخطار والتصدي للغزوات[5].

أما المجتمع القبلي فيضم أكثر من ثلثي السكان وأغلبهم من البدو الرحل أو نصف المستقرين، ويتألف من تجاور مجموعات قبلية عتيدة أو صغيرة تتناحر وتتحالف حسب الظرف، وتعيش أغلب القبائل في مناطق بعيدة عن المدن وعن الجهات المحظوظة، وتنقسم القبيلة إلى مجموعات بشرية صغيرة تجمع بينها وشائج الالتحام والانقسام، ولكن هذه

---

[1]– محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 227.

[2]– السايح فيلالي: **المرجع السابق**، ص 25.

[3]-Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …**T 1, **Op. Cit,** P 53.

[4]– نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص ص 31، 32.

[5]– خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 99–100.

المجموعات تتعاون اقتصاديا وتتضامن عسكريا عند ظهور الخطر الخارجي[1]، وكان جزء كبير من سكان الريف التونسي يتألف من البدو الذين تم تجميعهم في قبائل، وهم من السكان شبه الرحل الذين تم تكريسهم لمحاصيل الحبوب الموسعة والماشية المتنقلة...ومن القبائل الأكثر شهرة في التل نذكر: **مقعد، نفزة، خمير**، أما القريبة من **التلال** فنجد؛ **الركبة، كنفدرالية ونيفة، دريد، أولاد عون** و**أولاد عيار**، وبالقرب من **الحدود الجزائرية**؛ **ماجر** و**الفراشيش**، وسواء هذه القبائل كانت أصولها عربية أو بربرية إلا أنها تعربت بشدة، حيث استطاعت القبائل التلية السيطرة على الجبل، والوفرة النسبية للمراعي، **وظلت مرتبطة بسمات جعلتها مشهورة لقرون عدة: التنظيم الأبوي، احترام العادات، حب الحرية، آداب الضيافة وروح العشيرة...وفي وسط الإيالة نجد بدو السهوب أكثر عددا على الرغم من انقسامهم بقوة أكثر من قبائل التل: رياح، جلاص، الهمامة، المثاليث، نفات...**[2]، و**القبائل الرحل الصحراوية** التي تقطن المنطقة الصحراوية أي جنوب شط الفجاج، والتي يقوم نمط عيشها أساسا على الترحال، أي أنها قبائل رعوية بالدرجة الأولى؛ إذ تعتمد تربية الإبل وكذلك الأغنام، **وهي قبائل محاربة أساسا تتعاطى النشاط الحربي لأغراض شتى، وتعيش في علاقة تبعية متبادلة مع المجموعات المستقرة في الجنوب(بالجبال والواحات)؛ وذلك في إطار اقتصاد متكامل، وتعيش معها في الجبال أو الواحات في إطار شبكة واسعة من العلاقات الشخصية التي تربط العرب والبربر المستقرين، ومن بين القبائل الرحل في الجنوب** نذكر؛ **قبيلة غريب** وتوجد بمنطقة نفزاوة، و**قبيلة أولاد يعقوب** وهم رعاة ولهم أملاك بالواحات، وكذلك **الحزارة والصابرية** التي هي قبائل صغيرة، وبني زيد وهم عبارة عن خليط من سلالات متعددة، ونجد بالجفارة بالجنوب الشرقي **اتحادية ورغمة** وهي عبارة عن مجموعة من القبائل اتحدت لتشكل قوة قبلية ضاربة[3] .

تصنف جماعات الريف التونسي إلى **عشائر المخزن** و**جماعات الرعية** والقبائل **الحليفة** و**الممتنعة**، وذلك حسب الامتيازات التي كانت تحظى بها والخدمات التي كانت تقدمها، والعلاقات التي كانت تربطها بالحكام والصلات التي كانت تشدها إلى سكان المدينة، وهذا ما يتبين من وضعية كل جماعة على حدة[4]، وتخضع علاقة القبائل بالسلطة إلى المركزية لمنطق الولاءات ولشبكة معقدة من العاملات السياسية، فقد كان من مصلحة الدولة مهادنة بعض القبائل على حساب البعض الآخر[5]، ويمكن تقسيمها حسب علاقتها بالسلطة كالتالي:

*** القبائل الممانعة:**

تتماهى هذه القبائل دائمة التمرد في مجال طرفي غير واضح الحدود، وهذه المجموعات الطرفية لا تشكل فقط تهديدا للحكم المركزي في أوقات تمردها؛ بل أنها تصل إلى حد بناء أنظمة ذاتية مستقلة[6]؛ على غرار جبال عمدون ومطماطة ووسلات التي كانت من المناطق الممانعة للهيمنة المخزنية، والتي تحصنت بجبالها رافضة الخضوع لدفع الجباية ومحاولة

---

[1]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 32.

[2]- E. Guellouz et autres **: Op.cit,** PP 285,286.

[3]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص ص 39-41.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 129..

[5]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 32.

[6]- محمد عبد الباقي الهرماسي: **المجتمع والدولة في المغرب العربي**، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ص 13.

الحفاظ على استقلاليتها[1]، فقد كان **الوسالتية** على سبيل المثال في تمردات ضد الأتراك؛ وحكام تونس منذ القرن 16م، وكثيرا ما يدفعهم إلى ذلك المطالبون بالعرش، ولربما هذا ما دفع البعض إلى القول بأنه لم يكن هناك بجميع أنحاء الإيالة أشخاصا أكثر انقيادا للخيانة من هؤلاء الجبليين[2]، بالإضافة إلى **القبائل المحاربة** التي كانت في علاقة عدائية بالحكم التركي، وسعت إلى الحفاظ على استقلاليتها وكذلك على مكانتها المتميزة المتمثلة في تغريم المجموعات المستقرة أو الأقل قوة؛ على غرار **أولاد شنوف** الذين كانوا متغلبين على الكاف ورعييته، و**أولاد بالليل** و**أولاد حمزة** و**أولاد صولة**، ولعل أكثر المجموعات تواردا في المصادر **أولاد سعيد** الذين روج لهم الإخباريون صورة امتزج فيها العنف والتمرد بالكفر[3]. لذلك تركزت الخيارات الاستراتيجية للبايات المراديين على دحر القبائل الممانعة، وإخضاع جميع الأطراف المناهضة لحكمهم في الفترة الفاصلة بين 1628 و1644م، وإعادة هيكلة مجال الإيالة بطريقة تكفل للفرق العسكرية التابعة لها مراقبته بشكل مباشر ولصيق[4].

وكان **أولاد شنوف بالكاف على العهد المرادي أول ضحايا هذه السياسة الداخلية ؛ القائمة على كسر شوكة القبائل التي كانت ترفض دفع الضرائب لحكام تونس الجدد، والسبب كذلك في اندلاع الحرب بين الجزائر وتونس، وهذا بعد أن نجح المراديون في كسر شوكة هذه القبائل** بين سنة 1636 و1637؛ فاستسلمت القبائل الأخرى مثل **أولاد بليل** و**جبالية عمدون**، ثم جاء دور **أولاد سعيد** في الجنوب، وهم الذين عرفوا برفضهم للخضوع للمخزن منذ الفترة الحفصية، فكان تدمير الحامة سنة 1636 لتسهيل السيطرة بعد ذلك على على**الجبالية** و**ورغمة** في **جفارة** سنة 1637 و**مطماطة** سنة 1638، وللمحافظة على هذه المكاسب عمل المراديون على إحياء مؤسسة القبائل المخزنية من خلال تقريب قبائل **دريد**، كما كانت الاستعانة بكتائب **الصبايحية** في تونس، وباجة والكاف، وكذلك عسكر **زواوة**، وفي العهد الحسيني حرص **حسين بن علي** على مواصلة التجربة المرادية المتمثلة في إخضاع الأرياف لسلطة المخزن وإعادة تنشيط دور القبائل المخزنية مثل **المزارقية**[5] من **همامة** وأولاد **يعقوب** و**دريد**، ولكن المخزن سوف يعرف أخطر حرب أهلية عرفتها تونس (1628-1756) عندما انقسمت البلاد إلى شقين: **الشق الباشي** ضم في الشمال والوسط قبائل السواسي وأولاد سعيد وأولاد عيار وونيفة والفراشيش وماجر والمثاليث، و**الشق الحسيني** ضم دريد والهمامة وجلاص ونفات، أما في الجنوب فكان **صف شداد** الموالي للشق الباشي يضم قبائل حازم والغرارية والحمارنة، و**صف يوسف** الموالي للشق الحسيني يضم قبائل ورغمة والودارنة وعكارة وأولاد يعقوب والمزاريق[6].

---

[1]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881**، منشورات Edisciences، تونس، 2009، ص 147.

[2]- Jean Despois: « **Le Djbel Ousselat, les Ousseltiya et les Kooub** », R. C.T, N° 28, Tunis, 1959, P 408.

[3]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881**، المرجع السابق، 2009، ص 147.

[4]- لطفي عيسى: **كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار**، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2007، ص 132.

[5]- **المزارقية**: أصحاب المزراق -وهو الرمح-فرسان من العروش أصبحوا في عهد حمودة باشا أحد مكونات الإيالة، يعتمد عليهم الباي عند الحاجة، فيشاركون في المحلات بخيلهم وسلاحهم، ويمنحون مرتبا، ولا يدفعون الضرائب. انظر؛ محجوب السميراني: **الجيش التونسي (1831-1881) رافد نهضة وإصلاح**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ص 31.

[6]- بوراوي الطرابلسي: **تاريخ تونس المنسي السكان والأرض**، الأطلسية للنشر، أريانة، تونس، 2015، ص 67-68.

***القبائل المخزنية:**

وهي القبائل الموالية للسلطة؛ إما بصورة طوعية أو انتقلت إلى خدمة الدولة بعد إخضاعها بالقوة،والتي تتصرف في قطع الأرض وتتمتع بإعفاءات جبائية؛ نظير ما نقدمه من دعم عسكري لأصحاب البلاد[1]، ولكن مع ذلك يمكن إبراز مجموعة من القبائل التي عرفت بولائها وتحالفها الدائم مع السلطة على غرار دريد والهمامة وغيرها في تونس، ومقابل تحالفها تحصل على جملة من الامتيازات؛ فهي تساهم أساسا في تدعيم الجيوش النظامية أو فرق المحلة أو الحركة بعدد من فرسانها، وهي تساهم بذلك في تنفيذ السياسة الجبائية أو الحملات التأديبية للسلطة، وتتحصل مقابل ذلك على إعفاءات جبائية وإعانات وحتى على إقطاعات[2]، فقبيلة **دريد** العربية الأصل وهي أنموذج القبائل المخزنية على وجه التحديد، كانت تقوم بتزويد الدولة بقوات ذات أهمية للحفاظ على النظام والمساهمة في تحصيل الضرائب من دواخل البلاد، لقاء رواتب وإعفاءات ضريبية [3]، لذلك شكلت دريد القبيلة المخزنية بامتياز؛ حيث كانت تتمتع بعلاقات طيبة مع الباي، وتوفر له الفرسان الذين تستحقهم المحلة عند جمع الجباية بمنطقة الجريد، وكذلك حمل الحبوب التي تقدمها القبائل فيما يعرف بضريبة العشور[4]. ومن أشهر القبائل التونسية التي انتقلت إلى مواقع مخزنية خلال الفترة الحديثة؛ قبيلة **أولاد سعيد** المتمركزة بمنطقة **السباسب** في الجهات الوسطى من البلاد، وقد اقترن اسم هذه القبيلة بالصراع مع السلطة المرادية خلال النصف الأول من القرن 17، وهي مثال معبر على انتقال القبائل من وضع محارب رافض للمركزة إلى وضع مسالم مخزني، حيث تحولت هذه القبيلة بعد أن تعرضت للضربات والتهجير من قبل البايات المراديين إلى قبيلة مخزنية خلال القرن 18م، وأصبحت تدعم السلطة وتنتفع بها؛ حيث أقطعها **حمودة باشا الحسيني** إحدى أكبر الاقطاعات المعروفة بمنشير النفيضة، غير أن هذا التحول لم يكن دائما؛ إذ سرعان تعرضت هذه القبيلة من جديد إلى ضربات السلطة لا سيما في عهد **أحمد باي**[5]، ومن القبائل الكبرى الأخرى، نذكر **قبيلة جلاص** وهي من أوسع القبائل التونسية، والتي لم يكن لها في الغالب سوى قايد واحد، والتي كانت تضع تحت تصرف السلطة نحو ثلاثة آلاف فارس، وتتوزع هذه القبيلة إلى ثلاث مجموعات أساسية وهي: أولاد يدير وأولاد خليفة، أولاد سنداسن والكعوب[6]، وهذه القبيلة المخزنية ذات الأصول العربية الحجازية المستقرة بالقرب من القيروان عبارة عن خليط من أجناس متعددة؛ تم تنظيمها كقبيلة علم، وقدمت القوم تلبية لتعليمات قائد القيروان الذي كان يخيم على أراضيها[7]، ومن الناحية السياسية فإن **قبيلة جلاص** مندمجة في **إطار الولاءات المخزنية منذ بداية القرن 18م**، وقد وقفت في **الصف الحسيني** خلال الحرب الأهلية في النصف الأول من القرن الثامن عشر[8].

---

[1]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790–1830**، المرجع السابق، ص 50.

[2]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، تونس، 2003، ص 205–206.

[3]- Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …** T 1,**Op. Cit,** P 61.

[4] - Jean Ganiage : **Op.cit.** P 112.

[5]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 206.

[6]- Pellissier. E : **Description de la régence de Tunis**, 2e Edition, Editions Bouslama, Tunis, 1980, PP 126,127.

[7]- Jean Ganiage : **Op.cit,** P 115.

[8]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، المرجع السابق**، ص 206.

كما نجد في وسط الإيالة قبائل على غرار: **رياح، المثاليث، ونفات**...التي تعتبر في عمومها قبائل مخزنية، لقد كانت في الواقع تقدم وحدات من غير النظاميين لدعم سلاح الخيالة إذا لزم الأمر، ذلك أن الحفاظ على الأمن طرح مشاكل؛ لا سيما بين قبائل الجنوب أي أن التحريض كان له طابع مزمن، حيث شكل محيط الحدود مع طرابلس مشاكل خاصة للمسؤولين عن الأمن...ما أعاق حركية المبادلات التجارية بشكل منتظم بسبب الخلافات العشائرية، والتي غذتها وعززتها الروح المرابطية[1]، فمن خلال هذه الأمثلة نفهم كيف تصبح القبائل مخزنية وكيف يتحول عداؤها إلى ولاء، وهناك قبائل أخرى تحولت من مواقع هامشية إلى الولاء في ظروف خاصة مثل الحروب الأهلية حيث تكون الأحلاف المنتصرة هي المستفيدة طبعا في حين تفقد القبائل المهزومة كل امتيازاتها، وبصفة عامة فإن وجود قبائل مخزنية ساعد السلط المركزية في المدن على إخضاع المجتمع القبلي والريفي عموما من أجل استنزافه ضرائبيا، فالقبيلة المخزنية كانت أداة مثلى وضعتها سلطة المدينة لتثبيت أمنها واستغلال الأرياف وترويض بقية القبائل[2].

ويهدف هذا التحالف إلى الاستفادة من القدرة الحربية للقبائل لمراقبة المناطق الطرفية ورفد المحلة، وهذا ما يفسر غياب مناطق قبلية خارجة عن سلطة الباي؛ أو ما يسمى في المغرب ببلاد"**السيبا**"، ولذلك كان التقسيم الإداري يتطابق مع الواقع المتحرك للبنية القبيلة؛ بحيث كانت حدود القيادات تتوافق مع "وطن" القبيلة وتنعت باسمها[3]، والشيء الملاحظ أن القبائل المخزنية رغم ما تتمتع من إعفاءات جبائية؛ إلا أنها تفتقر إلى مصادر الدخل، إذ ليس لها أي مورد رزق آخر غير خدمة الأرض التي تضعها الدولة تحت تصرفها، ذلك أن أفرادها يعملون خارج حملات جمع الضرائب كمنتجين مثل غيرهم من أبناء القبائل المعادية[4]. أما **قبائل الرعية؛** فتؤلف غالبية سكان الريف الذين يقومون بممارسة الزراعة، فأفراد جماعات الرعية يقومون بخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين أو باستغلال الأراضي الخاصة بهم كأراضي عربي بتونس، ونظرا لخضوع جماعات الرعية لموظفي الدولة فهي مطالبة بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمة بخدمات إلزامية(التويزة) لمصالح الدولة وموظفيها وأعيانها[5]، هذه القبائل الخاضعة يدير شؤونها أعيان محليون أو أعوان ينصبهم الحكم المركزي، ولقد كانت هذه القبائل مجال استغلال متواصل وضرائب ثقيلة[6].

***قبائل الأحلاف:**

وسميت بالأحلاف لأنها ترتبط بحلف عسكري أو اقتصادي مع السلطة التركية العثمانية أو المخزن، ولا يعدو ان يكون هذا الحلف سوى دعم بالفرسان أو بمواد أولية مثل الفحم، الخشب، الزيت وغير ذلك؛ مقابل عدم تدخل قوات المخزن والأتراك في شؤونها الداخلية، وعادة ما تكون قبائل الأحلاف عبارة قبائل مرابطية أو تنحدر من سلالة الأشراف؛ أو هي قبائل قوية وعريقة تدعى بالأجواد، وقد تمارس العديد منها نفوذها على قبائل مجاورة لها[7].

---

[1]- E. Guellouz et autres **: Op.cit.** P 286.

[2]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، المرجع السابق، ص**207.

[3] – نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 32.

[4]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 51.

[5]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 130.

[6]– محمد عبد الباقي الهرماسي: **المرجع السابق**، ص 15.

[7]– بلبراوت بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، ج2، المرجع السابق، ص 547–548.

ويلاحظ أن عددا من القبائل دخل في خدمة الدولة؛ فصار فصار فرسانها جندا رديفا يرافق المحلة في تنقلها مقابل الإعفاء من الضريبة، وتخضع علاقة القبائل بالسلطة المركزية لمنطق الولاءات وإلى شبكة معقدة من المعاملات السياسية، فقد كان من مصلحة السلطة مهادنة بعض القبائل على حساب البعض الآخر، وتأتي في مقدة القبائل المتحالفة العروش المخزنية التي انتصرت للصف الحسيني في القرن الثامن عشر، مثل دريد وجلاص والهمامة، ويهدف هذا التحالف إلى الاستفادة من القدرة الحربية للقبائل لمراقبة المناطق الطرفية ورفد المحلة، وهذا ما يفسر غياب مناطق قبلية خارجة عن سلطة الباي، أو ما يسمى ببلاد " السيبا"، ولذلك كان التقسيم الإداري يتطابق مع الواقع المتحرك للبنية القبيلة؛ بحيث كانت حدود القيادات تتوافق مع "وطن" القبيلة وتنعت باسمها[1].

ومن ناحية أخرى تحظى بعض القبائل من أجل نسبها المفترض بالتفوق على عامة الناس، إما لكونها منحدرة من آل البيت وإما لكونها من سلالة أحد الأولياء الصالحين، وهي في كلتا الحالتين تحظى بتوقير وهيبة تتفرد بها عن سائر أفراد المجتمع[2]، ومن القبائل التونسية التي تكفلت بالقيام بالوظائف الدينية نجد **قبيلة المهاذبة** التي ترجع أصولها إلى **سيدي مهذب** أو **قبيلة الجليدات** التي تعود أصولها إلى الولي **سيدي عبد الله بوجليدة**، ومن الامتيازات التي تتمتع بها القبائل الدينية هي عدم دفع الضرائب للسلطة المركزية، واستغلال فضاءات القبائل الأخرى المجاورة دون أن يثير ذلك أي صراعات بينها، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذا النوع من القبائل كان يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة لدى بقية المجموعات القبلية نظرا لسلطتها الدينية المكتسبة[3]؛ إلا أن ما يلاحظ هو أن هذه العائلات المتميزة بالشرف؛ سواء من أجل نسبها الشريف أو لأسباب أخرى؛ نجدها لا تتصرف بالضرورة في ثروة طائلة [4]، ينبغي أن نؤكد أن أهم ما يميز الحياة الاجتماعية في الأرياف هو المكانة التي تحظى بها الزاوية في البيئة القبلية؛ باعتبارها مؤسسة مستقلة عن السلطة المركزية تقوم بوظائف اجتماعية وثقافية لا غنى عنها، كدور الوساطة بين الأطراف المتنازعة، وإسداء التعليم والعلاج وتوفير الملجأ للمظلومين والملاحقين، ويمكن تفسير انتشار الزوايا في الوسط الريفي والحضري بما ترمز إليه في المخيال الشعبي من قوة معنوية واجتماعية، وتكمن أهميتها في تبوئها وظيفة سياسية مكملة لسلطة الدولة، بما نسجته من شبكات للتضامن الجماعي بين فرق تنتمي لقبائل متعددة وأحيانا متنافسة، ولعل هذا ما يفسر الرعاية التي حظيت بها الطرق الدينية من قبل السلطة الحسينية التي كانت لا تتوانى عن رفع مقامها، والتحالف معها للإفادة مما توفره من شبكات للتأطير الاجتماعي في مناطق بعضها طرفي أو هامشي لا تطولها يد السلطة إلا عرضيا[5].

ويبدو أن السلطة عمدت إلى مخزنة أغلب القبائل التي أعلنت الولاء وأذعنت للطاعة، ومن ثم التعود على الاستعانة بها عند الحاجة، فقد أخضع المراديون ومن بعدهم الحسينيون هذه القبائل شيئا فشيئا وأدمجوها في نظام الدولة، وذلك بالتحالف مع تلك التي تبدي حسن نواياها تجاه الحكم قصد خضد شوكة المشاغبة منها والعنيدة بشكل استثنائي، ففي

---

[1]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 32.

[2]- لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، المرجع السابق، ص 50.

[3]- سالم لبيض: **مجتمع القبيلة البناء الاجتماعي وتحولاته في تونس دراسة في قبيلة عكارة**، ط1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2006، ص 82.

[4]- لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، المرجع السابق، ص 51.

[5]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 33.

سنة 1815 انقادت القبائل التونسية للنظام ولم تعد تجرؤ على الدخول في مواجهة مباشرة مع الحكم[1]، حيث تعرض أولاد **مساهل من أولاد ماجر** في عهد **حمودة باشا** إلى عقاب شديد بعد أن انكسرت شوكتهم وزالت وطأتهم، حيث أنزلهم ضواحي القيروان[2]، ولقد أظهر هذا المثال أن البايات الحسينيين لم يعودوا مبالين، وهذا يعكس لنا تطور النظام الذي تخلى شيئا فشيئا عن الوضع الخاص بالمزارقية، وتم التعود على الاستعانة بمجموع قبائل الإيالة، فقد أصبح الباي يصدر نداء عاما إلى كل القبائل؛ فتسارع كل قبيلة إلى تجهيز مجموعة من المقاتلين، ولا يتخلف أحد من القبائل أبدا مدفوعين في ذلك بأمل الغنيمة المحصل عليها[3]، ففي الحرب الجزائرية التونسية عام 1807؛ سارعت القبائل إلى تقديم المساعدة **لحمودة باشا**، الذي استطاع أن يعتمد على قوات من **دريد** و**ونيفة** و**شارن** و**الوسالتية** والعروش وأهل القلعة الكبرى إلى جانب المزارقية[4]. يتبين لنا أن طبقة الدولة –المتمثلة في البايلك–قد سعت لفرض هيمنها على المجموعات القبلية، وخاصة منها تلك التي استقرت بالمناطق المحظوظة، وتتجسم هيمنة الدولة في ابتزاز أوفر قسط ممكن من فواضل إنتاج هذه المجموعات عن طريق أنظمة جبائية جد متطورة[5]، وإن اعتماد السلطة المركزية على عدد كبير من القياد والشيوخ، والاعتماد على القبائل المخزنية يعكس لنا عجزها على السيطرة على القبائل؛ وهو ما دفعها إلى تكثيف أدواتها وتنويع وسائلها إبرازا لنفوذها، فالعلاقة بين **السلطة المركزية والقبائل هي علاقة مجبى بالأساس**، ومما لا شك فيه أن أغلب القبائل كانت تدفع مرغمة[6]؛ ما أدى إلى إضعاف حدة الفوارق الاجتماعية، وتصاعد مقاومة القبائل لهذه الطبقة المخزنية كلما ازداد هذا الاستغلال تفاقما[7].

والملاحظ أن الحياة الحضرية كانت أضعف في الجزائر؛ إذا ما قورنت بالواقع المديني التونسي الذي كان أقوى كما يذهب **الباقي الهرماسي**، وأن الدولة التونسية قبل الاستعمار كانت إلى حد بعيد أكثر مركزية واندماجا، وفي القرن 19م تستمد الدولة قوتها من القبائل المخزنية؛ بقدر ما تستمدها من تنظيم الجيش النظامي، وصحيح أنه في الجزائر لم تلجأ الفئة العسكرية إلى الاستعمال المكثف للمحليين، ولكن في تونس لجأ العرش إلى استعمال السكان المحليين وخصوصا سكان الساحل؛ حيث كان المركز يرصد باستمرار ما يقع في الأطراف، وكلما وجد الحكم عوائق في النفاذ إلى مناطق قبلية معينة، اكتفى بممارسة نوع من التأثير غير المباشر فقط، ولعل الجزائر تقدم المثال الأمثل على ذلك، إذ تعددت مواقع رفض السلطة المركزية؛ وتقوت الأطراف على حساب النفوذ المركزي، وفي الوقت نفسه كانت الإدارة التونسية أكثر مركزة وامتدادا؛ فقد كان السكان يخضعون إلى حوالي 62 قائدا، وقعت تسميتهم جميعا من طرف العائلة الحاكمة، 22 في المدن الكبرى والصغرى و40 في البادية والأرياف، ومنه يتضح أن مرتكزات الحكم المركزي كانت أكثر هشاشة في جميع

---

[1]– خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 101

[2]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، صص 31، 32.

[3] - Louis Frank et Marcel. J : **Op.cit,** P 73-74.

[4]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 41–46.

[5]– عبد الحميد هنية: "**الملكية والأسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر**"، مجلة كراسات تونسيةLescahiers de Tunisie، العدد 121–122، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس 1، تونس، 1982، ص 185.

[6]– سالم لبيض: **مجتمع القبيلة البناء الاجتماعي وتحولاته في تونس**، المرجع السابق، **ص 73**.

[7]– عبد الحميد هنية: "**الملكية والأسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر**، المرجع السابق، ص 185.

أقطار المغارب خلال القرن 19م[1]، وهذا بدوره أثر على الواقع الاجتماعي في هذه البلدان عموما؛ وبالبلاد التونسية على وجه الخصوص.

03-الحالة الصحية والمعيشية:

عرفت تونس خلال الفترة العثمانية موجة من الأوبئة على غرار الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة 1592م، ولفترة امتدت طيلة ثلاث سنوات، وخلف عديد الضحايا، ثم انتشر من جديد عام 1624م في سجون **بنزرت** التي كانت تأوي العبيد إلا أن نسبة انتشار **الوباء** كانت محدودة إذ لم تتعد أسوار السجن، وفي مرحلة لاحقة اجتاح الوباء مدن الجنوب التونسي بسبب تجارة القوافل على الحدود الجزائرية، ولئن تراجعت نسبة الإصابات إلا أن الوباء عاود الظهور من جديد بالعاصمة سنة 1086-1087هـ/1679م، وأصاب عددا من المقربين من **علي باي المرادي** الذي تحاشى تشييع جنازاتهم مخافة انتقال العدوى، وقد تحدث القنصل الفرنسي بتونس آنذاك السيد **شارل قراتيان** "**Charles Gratian**" عن إصابة ما لا يقل عن 400.000 شخص بالطاعون، وانتشار المرض في الجزائر والمغرب وصولا إلى اسبانيا، لكن سرعان ما تراجعت وتيرة انتشاره خلال شهر أوت ليعاود الظهور من جديد عام 1689م؛ حيث أصيب خلالها ما يناهز 60.000 شخص، وبدأت بوادر الوباء بالظهور مجددا عام 1701م؛ حينما قدمت ثلاث سفن تابعة **لمراد باي** من تركيا إلى ميناء "**كاب فارينة**" بمدينة **بنزرت** بالشمال التونسي، وهي تحمل على متنها ألف جندي كان البعض منهم مصابا بالطاعون[2].

ومن الأوبئة التي ظلت راسخة في تاريخ البلاد **وباء** عام 1702م الذي انتقل من جربة عن طريق السفن التركية وجنوبا من طرابلس، فقد عم البلاد مخلفا عديد الضحايا حيث قضى آلاف الأشخاص؛ نتيجة سريان العدوى بين الناس؛ واستمراره لمدة 06 أشهر[3]، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، ففي سنة 1705م كان الجنود القادمون من طرابلس يحملون معهم الوباء، وأصيب به عدد من عناصر الجيش وانتشر الوباء بسرعة، وبلغ عدد الضحايا 700 ضحية يومية في تونس العاصمة وحدها...فقد فقدت الحاضرة آنذاك ما يناهز 44.000 شخصا نتيجة انتشار الوباء، كما كان الموتى يدفنون في قبور لا يقل عمقها عن مترين بعد أن تحرق ثيابهم درءا لتفشي العدوى[4]، ويتحدث الرحالة (**Beaugrand**) في رحلته إلى تونس عن **وباء** سنة 1720 الجارف؛ الذي أثر تأثيرا عظيما على ساكنة تونس مخلفا أزيد من 40.000 ضحية[5]، وفي سنة 1189هـ/1783م وقع طاعون جارف وهو المعروف عند أهل الحاضرة بالوباء الكبير مات بسببه أعيان الحاضرة وأثر في عمران البلاد نقصا فادحا[6]، وهو الطاعون الذي تحدث عنه **فانتور دوبارادي**؛

---

[1]- محمد عبد الباقي الهرماسي: **المرجع السابق**، ص 21.

[2] - Edouard Bloch: **« La peste en Tunisie : Aperçu historique et épidémiologique »,** Thèse pour le doctorat en médecine, Tunis, 1929, P P 04-05-06.

[3]- مكارم سلاطني: "**لمحة عن تاريخ الأوبئة بتونس**"، مجلة آفاق فكرية، المجلد: 09، العدد: 03، جامعة الجيلالي البابس، سيدي بلعباس، ديسمبر 2021، ص 78.

[4]- Edouard Bloch: **Op. Cit**, P 07-08.

[5]- Beaugaud.H: **Lettres de voyage « France, Italie, Sicile, Malte, Tunisie, Algérie, Espagne »**, Montréal des Presses de la Patrie, 1989 ; P 112.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 14.

حيث حصد أكثر من مائة ألف شخص في مدينة تونس لوحدها[1]. عرف الوباء طفرة خلال سنتي 1784-1785 لدى رسو سفينة بميناء حلق الوادي؛ **تحمل 150 حاجا قادمين من الإسكندرية التي تفشى فيها الوباء سنة 1783، حيث انتشر في البلاد بدءا من العاصمة وصولا إلى المدن الساحلية (سوسة، المنستير، جمال)، وارتفع فيها عدد الضحايا إلى 300 يوميا[2]؛ حيث قضى على ثلث متساكني مدينة الكاف، لينتقل إلى الجزائر وليبيا، وتشير بعض المصادر أن سبب تفشي العدوى هو عبور بعض العناصر الإنكشارية الوافدة من القسطنطينية إلى تونس خلسة دون الخضوع إلى إجراءات العزل والحجر؛ ما أدى إلى ارتفاع عدد الإصابات**[3]، وهو الوباء الذي تحدث عنه **المكناسي** في رحلته عام 1200هـ/1785م؛ إذ يشير أنه حصد زهاء ثمانين ألف، وراح ضحيته عدد كبير من علمائها وطلبتها[4].

لقد كان لهذا الوباء تأثيره الكبير على التركيبة الديمغرافية، بالنظر إلى عدد ضحاياه، حيث تذكر بعض المصادر أن الإيالة التونسية قد فقدت خلال الطاعون الأكبر كما اصطلح على تسميته والذي امتد طيلة سبعة عشر شهرا من جوان 1784 إلى أكتوبر 1785 **ثلث عدد سكانها، فيما ترجح مصادر فقدان سدس عدد السكان**[5]، وقد تحدث عنه **الأب بواريه L'Abbé Poiret** الذي أشار أن الطاعون استمر وأدى إلى **انخفاض ساكنة تونس بمقدار الثلث؛ حتى أن جزيرة طبرق أعيد إعمارها مرتين، وكانت بمثابة مقبرة لسكانها الجدد، وأن العديد من المدن باتت مهجورة تماما**[6]، وفي شوال 1233هـ/ أوت 1818 وقع الطاعون بالحاضرة التونسية، ولم يلبث أن فشا خطبه، ومات به أعيان من أهل العلم، ووصل عدد الموتى في الحاضرة أكثر من 100.000 في بعض الأيام، حيث دام نحو العامين...**وهذا الطاعون هول أول التراجع بالإيالة لأنه نقص به من الإيالة قدر النصف، وبقيت غالب المزارع معطلة لا أنيس بها**[7].

ويبدو أن حكام تونس انتهجوا سياسة وقائية للحد من تأثيرات الوباء، فقد كان باي تونس **حمودة باشا** حريصا على تطويقه حيث لجأ إلى تطبيق الحجر الصحي"الكرنتينة" للحد من انتشار الوباء من خلال تبني إجراءات التخفيف منه على غرار إصدار أوامر بحرق ثياب الموتى وكسوة بيوتها وغلقها، وغسل الغرباء بالمقابر، وسجن مرضاهم بمخازن القلالين[8]، وهو ما يؤكده **أبوالقاسم الزياني** الذي أشار إلى التدابير الصحية الصارمة المتخذة أثناء عودته من رحلته سنة 1794م مع عدد من الحجاج، إذ لم يسمح لهم بدخول مرسى حلق الوادي إلا بعد قضاء فترة حجر صحي ناهزت

---

[1] -Venture De Paradis: **Op.cit,** P 59.

[2] - Lucette Valensi **: « calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale au 18e et 19e siècles »,** In. A.E.S.C, 24e années, N 6, 1969, P : 1543-1544.

[3] - Edouard Bloch: **Op.cit**, P 12.

[4]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **المصدر السابق**، ص325.

[5]- منال دربالي: **"لمحة تاريخية عن الأوبئة في تونس"**، كراسات المنتدى، عدد04، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية المرصد الاجتماعي التونسي، 2020، ص 12.

[6]- L'Abbé Poiret: **Voyage en Barbarie ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les annés 1785 et 1786**, T1, Paris, France, 1789, P 191.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 128-129.

[8]- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج3، ص 14.

20 يوما؛ رغم مكاتيب التشفع التي أرسلت لصاحب المرسى الذي تجاهلها ولم يلتفت إليها[1]، ويبدو أن إجراءات الحجر كانت قاصرة على الحاضرة التونسية دون غيرها من سائر المدن التي تصدت للوباء بالعقاقير والتمائم والرقى، إذ نجد صاحب **نزهة الأنظار** يذكر في معرض حديثه عن طاعون عام 1785م – الذي حصد ما يناهز 15 ألف من أهالي صفاقس أكثرهم من أهل الخير والصلاح، وحملة القرآن العظيم والفقهاء؛ أن الناس آيست من حياتها وعجزت عن الحمل والدفن، فلا نفعتها التمائم والرقى ولا التعاويذ والأبخرة ولا الكتابة على أبواب الدور[2]. وقد صاحب تفشي الطاعون؛ انتشار وباء الريح الأصفر أو الكوليرا في17 محرم 1266هـ/ 02 ديسمبر عام 1849؛ وفتكها بآلاف الأرواح حيث كان يموت بسببه أكثر من 200 يوميا في الحاضرة، يذكر **ابن أبي الضياف** أن **أحمد باي** أخذ برأي بعض الفقهاء كالشيخ **مصطفى** بن شيخ الإسلام **أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم** بانعقاد موكب يضم 40 شريفا في جامع الزيتونة؛ للدعاء والتضرع إلى الله لرفع هذا الوباء الفتاك والتخفيف من وطأته[3]. ومما عمق الأزمات تزامنا مع انتشار الأوبئة؛ فترات الجفاف وشبح المجاعات التي أثرت على الواقع الاجتماعي بانتشار الفقر والخصاصة بين أفراد المجتمع التونسي[4]، ذلك أن قوة السكان تتأثر بإيقاع وشدة الهجمات الوبائية والكوارث الجوية، إلى جانب المجاعة والطاعون وآثارهما المدمرة بشكل منفصل[5]. لقد منيت البلاد في هذا القرن زيادة على الحروب التي أشرنا إليها بمصائب توصف عادة بأنها طبيعية من جدب ومجاعات ونزول جراد، فالطاعون الذي اكتسح تونس **ثلاث مرات** على أقل تقدير في أربعين سنة؛ في 1604م، وفي سنة 1620م، وفي سنة 1642-1644م[6]، والذي دام في المرة الأخيرة سبع سنوات؛ أهلك مئات الآلاف من النفوس، ولم تسلم منه طبقة اجتماعية؛ فمات به الكثير من رجال الشرع والعلماء والفقهاء، وقد تحدث **الوزير السراج** عن آثار هذا الوباء الذي سماه بـ"**الفناء الأعظم**" وهو المعروف عند أهل البلاد بوباء أحمد خوجة؛ مشيرا إلى أن تونس قد خلت من العلماء وتراجعت بركة العلم بالأمة[7]، وفي عام 1191هـ/1777م عرفت الإيالة مجاعة شديدة حيث بلغ سعر القفيز الواحد القمح 100 ريال وأكثر بالحاضرة، وأما في أطرافها كبلاد الجريد فقد تجاوز فيها سعر المائتين وبلغ في بعض الأحيان الثلاثمائة، وانتهى قفيز الشعير بالحاضرة إلى بضعة وستين ريالا، وانتشر الفناء في الماشية، وخيم الموت على المدن والقرى والبوادي، فانهال الناس على المدن يتسولون ويشحذون في الأسواق؛ وأثر الضر باد عليهم، والمرض منتشر فيهم، والموت يتخطفهم[8].

---

[1]- أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1991، ص 471.

[2]- محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري-محمد محفوظ، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص 188.

[3]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج4، المصدر السابق، ص ص 128-134.

[4]- مكارم سلاطني: **المرجع السابق**، ص 81.

[5] - Toufik Bachrouch : **Formation Sociale Barbaresqueet Pouvoir à Tunis, Op.cit**, P 29.

[6]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 182، 189.

[7]- الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تق وتح محمد الحبيب الهيلة، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 407.

[8]- الوزير الحاج حمودةبن عبد العزيز: **الكتاب الباشي**، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص 309.

تعرضت تونس سنة 1218هـ/ 1803-1804 إلى مجاعة وكان سببها حسب ما أورده **ابن أبي الضياف** هو عدم نزول المطر، واشتداد القحط وتعسر الإتيان بالميرة لوقوع الحرب يومئذ[1]، لقد أثرت هذه على تونس تأثيرا شديدا؛ مما حدا بالباي إلى إرسال الشيخ **إبراهيم الرياحي** كسفير له لدى سلطان المغرب **مولاي سليمان** ليمده بالمؤن من الأطعمة؛ إذ يقول **الناصري** متحدثا عن وفادة الرياحي:(**بالميرة لحدوث المسغبة بالبلاد التونسية، فأعظم السلطان رحمه الله مقدم هذا الشيخ واهتزت له فاس ...وأمده بمطلبه من الميرة وبهدية جليلة، وآب الشيخ بسفارته خير مآب**)[2]، وقام الباي ببيع تلك المؤن بأقل من ثمنها ومنح جزء منها للعاجزين من غير مقابل[3]، ولم تقتصر مساعدات الباي على هذه الإمدادات بل نراه يرسل سفنا عديدة إلى البحر الأسود لاستجلاب الحبوب، ومنع صنع الكماليات من المآكل[4] .

ومن البديهي أن تكون لتلك المجاعات نتائج سيئة ومردود رديء على الزراعة والتجارة والصناعة، فقلة الحبوب هي التي منعت الباي **حمودة باشا** من الدخول في حرب مع الو.م.أ عقب مصادرة الأسطول الأمريكي لبعض السلع التونسية خريف 1803، ذلك أن الباي كان منهمكا في ايجاد الوسائل التي تجنبه شر المجاعة، وتلافي حالة البؤس الذي خيم على السكان؛ وجعلهم يقتاتون بعض أنواع النبات[5]، وعندما تولى **حسين باي بن محمود** الحكم (1824-1835)؛ تعرضت تونس لقحط شديد في شوال سنة 1244 هـ/أفريل-ماي 1829م، حيث وقع امساك شديد فزعت بسببه الناس؛ فأمر الباي علماء العصر بقراءة صحيح البخاري في الجامع الأعظم، واضطر إلى استيراد المؤن من الخارج، ويذكر **ابن أبي الضياف** أن ذلك كان من ماله الخاص، وباعها لأهل المملكة بأثمان زهيدة[6].

وقد أثرت هذه الأوبئة في التركيبة الديمغرافية وفي طبيعة الأنشطة الاقتصادية التقليدية التي كان يمارسها السكان، حيث اندثرت بعض الأعمال والحرف مثل صناعة الأقمشة والقبعات القطنية بالإضافة إلى تراجع الإنتاج الزراعي نتيجة الجفاف وعدم توفر البذور، وهو ما أدى إلى هجرة عدد من المتساكنين هربا من المرض[7]، وبانقلاب الموازين في المتوسط في أعقاب وفاة **حمودة باشا** عام 1814، دخلت البلاد مرحلة أخرى من تاريخها؛ فقد تظافرت الأزمات الديمغرافية والفلاحية مع التدخل الرأسمالي الأوربي؛ لتولد أزمة شاملة بالبلاد لم تتمكن سياسة الإصلاحات التي بدأت مع **أحمد باشا** (1837-1855) من تجاوزها ووضع حد لها[8]. **يلاحظ أن الواقع الاجتماعي الذي ميز الإيالتين خلال الفترة العثمانية؛ ارتبط بتراتبية بشرية مدينية عكستها المواقع والمراكز الاجتماعية الفئوية، والتحالفات والولاءات القبلية -مع السلط الحاكمة في الإيالتين- في المجالات الريفية التي كان قوامها السياسة الجبائية التي أثقلت كاهل السكان في ظل**

---

[1]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 39.

[2]- أحمد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح وتع: جعفر الناصري-محمد الناصري، ج8، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1997، ص 118.

[3]-ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، المصدر السابق، ص 113.

[4]- رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، د.ت، ص372.

[5]- اسماعيل العربي: **العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 201.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 162-163.

[7]- منال دربالي: **المرجع السابق**، ص 13.

[8]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 67.

هشاشة أنظمة المخزن، إلى جانب ما عرفته الأقطار المتجاورة من جوائح ونكبات طبيعية مع تعاقب فترات الجفاف وانتشار الوباء وتفشي المجاعات الناجمة عن سنوات الجدب؛ التي ترتب عنها عواقب وخيمة على المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ نتيجة النزيف والانهيار الديمغرافي الذي عكسته فداحة وجسامة الخسائر البشرية نتيجة الأرواح التي حصدتها الطواعين (ارتفاع عدد الضحايا هذه الجوائح)... وهو ما أحدث انكماشا اقتصاديا وترك بصمات واضحة على التركيبة الديمغرافية؛ لذلك كان لمجموع الأوضاع الاجتماعية والعوامل المؤثرة فيها تأثير على حراك الأفراد وتنقلات الجماعات؛ وحراك المجتمعات القبلية؛ بين الإيالتين.

الفصل الثاني: خلفيات الحراك الاجتماعي بين الإيالتين"بين الرغبة والضرورة"

أولاـبواعث ودواعي حراك الأفراد والجماعات بين الإيالتين.

01–العوامل الرئيسية والمباشرة للحراك.

02-العوامل المساعدة على الحراك الاجتماعي بين الإيالتين.

ثانيا–وكلاء الجزائر في تونس"تمثيل سياسي وحراك اجتماعي".

ثالثا–تنقلات الجند ودورها في تكثيف الحراك بين الايالتين.

يمثل الحراك ظاهرة اجتماعية ديمغرافية قائمة؛ عرفتها البشرية منذ القدم عبر العصور التاريخية لحياة الإنسان، فقد كان الحراك ملازما للإنسان أملته ظروف بيئية وجغرافية، حيث كانت الجماعات البشرية تهجر بيئتها وتنتقل إلى أماكن أخرى، كلما ضاقت بها سبل العيش بحثا عن المكان الذي تتوافر فيه المياه وظروف الحياة المناسبة، فقد كان الماء الدعامة الأساسية لظهور واستقرار التجمعات البشرية[1]، وارتبط الحراك في بداياته بتحصيل الغذاء والبحث عن الأمن، غير أن ظروف الحياة وتطور الجماعات البشرية؛ أدى إلى تنوع وتغير الأسباب والدوافع التي كانت تحث الإنسان على التنقل والهجرة، ومع تقدم الحياة البشرية وتطورها وما نتج عنها من ظهور للملكية العامة والخاصة، وتكوين الدول وتمايزها عن بعضها واختلاف المجموعات البشرية وما تلاها من نزاعات وصراعات؛ أدى ذلك كله إلى هجرة السكان أو تهجيرهم[2].

وقد ترتب عن هذا الحراك قيام علاقات حضارية بحكم الاحتكاك والامتزاج الذي يؤدي مع مرور الوقت إلى الانصهار والتماهي المجتمعي؛ كما هو الحال بين ساكنة الجزائر وتونس، فقد كان حراك الأفراد والجماعات حثيثا على مستوى دول الجوار التي كانت فضاءا مفتوحا، لذلك تعتبر الهجرة ظاهرة مؤثرة في التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وقد ساهمت في التأثير على الخصائص الديمغرافية للسكان، إذ ساهمت تنقلات الأفراد والمجموعات والجند بحثا عن مجال أوسع وأكثر تجددا في عمليات الاندماج الثقافية والسياسية والاجتماعية[3]. ومن هنا تأتي جملة من التساؤلات من قبيل: ما هي خلفيات حراك الأفراد وتنقلات الجماعات والجند بين الإيالتين؟ وكيف أسهم الحضور الديبلوماسي –ممثلا في الوكلاء–في زيادة دينامية هذا الحراك؟

إن هذا الحراك الفيزيقي أو المجالي_المناطقي– بين إيالتي الجزائر وتونس فرضته الوحدة الطبيعية أي الامتداد المجالي المشترك بمظاهره الطبيعية المختلفة بحكم القرب الجغرافي، والروابط التاريخية والحضارية التي تجمع بين شعبي القطرين على مر العصور والفترات، بالإضافة إلى الوحدة اللغوية أي وحدة اللسان " اللغة العربية"، والدين الواحد أي الانتماء للدائرة الإسلامية أي التجانس الثقافي، إذ مرت المنطقتين تقريبا بنفس الظروف السياسية والاجتماعية، ففي كثير من الأحيان لم يكن للحدود الساسية حضور في مخيال أبناء الشعبين...كل هذه القواسم وغيرها زادت في اللحمة وقوت في الروابط بين الشعبين، وهذا الحراك الذي ترك بصمات وكان له تأثير في على العلاقات الاجتماعية؛ عكسته استمرارية حركية الأشخاص وتنقلات الأسر والقبائل بين أراضي الإيالتين، فقد كانت القبائل الحدودية في وضعية سياسية غير ثابتة، خاضعة تارة لإيالة تونس وطورا لإيالة الجزائر، وأحيانا أخرى غير خاضعة لأحد مثل قبيلة خمير التونسية[4]، ولا شك أن هذا الحراك بشقيه العام ممثلا في تنقلات الأفراد والأسر والجماعات ومختلف التكتلات القبلية أو النخبوي الذي ارتبط بهجرات ورحلات فئة المثقفين من العلماء والطلبة؛ قد تحكمت فيه عوامل عديدة ومؤثرات مختلفة زادت في ديناميته أحيانا وفي انحساره وتراجع وتيرته أحيانا أخرى.

---

[1]– إبراهيم أحمد أبو القاسم: **المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911–1957)**، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ص 17.

[2]– أحمد جابو: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس(1830–1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010–2011، ص 20.

[3]– الهادي التيمومي وآخرون: **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، شركة أوزيس للطباعة، قرطاج، تونس،1999، ص 410.

[4]–أحمد الحمروني: **الشمال الغربي التونسي وثائق وبحوث**، ط1، دار سحر للمعرفة، تونس، 2016، ص 40–42.

أولا: بواعث ودواعي حراك الأفراد والجماعات بين الإيالتين:

من العوامل المتحكمة في تفسير التحركات السكانية بين البلدين خلال الفترة العثمانية نجد؛ أسباب رئيسية ومباشرة وعوامل مساعدة أسهمت في استمرارية الحراك وديمومته بين الإيالتين.

01-العوامل الرئيسية والمباشرة للحراك: ارتبط الحراك البشري بين الإيالتين بدوافع وأغراض مختلفة؛ يمكن حصرها في:

أ-العامل السياسي:

نجد أن الكثير من الجزائريين شدوا الرحال إلى الأقطار المجاورة رفضا للسياسة المنتهجة من الأتراك، وفي هذا الجانب نجد قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر، يشير إلى أحد عوامل الحراك الاجتماعي التي ربطها بالاستبداد، ذلك أن العرب كلما وجدوا أن استبداد الباي وطغيانه لا يطاق يجلون إلى منطقة أخرى أو إلى الصحراء، حيث لا تصل إليهم يد السلطة، وبهذه الطريقة خلت سهول عنابة بمقاطعة قسنطينة تقريبا من سكانها، بسبب نزوح القبائل العربية عنها نتيجة لما تعرضوا له من الاستبداد الذي لم يكونوا يطيقونه، وفي الحالة الأخيرة التجأوا إلى مملكة تونس[1]؛ التي عادة ما تكون في هذه المناسبات المجال الأنسب لاستقرارهم-لراحتهم؛ حيث أصبحت سهول بونة الخضراء في الفترات المتأخرة – من الحكم العثماني- تقريبا خالية من السكان –العرب- الذين فروا من الطغيان المرهق[2]، وأن القبيلة هي الأخرى كانت تتردد بين البلدين، فكلما أغضبتها أجهزة المخزن نزحت إلى القطر المجاور؛ كما حدث مع الحنانشة والنمامشة والهمامة ودريد وغيرها [3]، وفي هذا السياق أعرب باي قسنطينة **حسن أزرق عينه** لممثلي بعثة تونسية في أوت عام 1755م عن استياءه من منح حق اللجوء على أراضي تونس لإحدى قبائله المتمردة التي كان في حالة حرب معها[4]، وقد ورد على **حسن** باي قسنطينة ولد **بوعزيز بن نصر** شيخ الحنانشة بهديته؛ شاكيا له خلاء الوطن وأن كل ما تحت يده من الرعية هربت ودخلت مملكة تونس، وضعفت بخروجهم الجباية طالبا منه التدخل؛ فكاتب **علي باشا** في ذلك وأغلظ له في القول، فما كان من الأخير إلا أن تهرب من الأمر، ورد على **حسن باي** بقوله: **" ما نحن إلا أحباب، والذي قال لك على رعية الغرب وأن كثيرها إلينا هرب، إما أن يقدم بسرجه أو يبعث أحدا من أصحابه ويدخلون على إفريقية ومن عرفوه من الرعية يرفعونه ولا يتركون له صبيا ولا صبية "**[5].

كما أدى عسف بعض بايات تونس إلى حراك ساكنتها غربا، فقد تضمنت رسالة من القنصل الفرنسي بالجزائر إلى حكومته مؤرخة في 05 مارس 1742م؛ أنباء وردت إليه من قسنطينة حول الوضع في تونس، وتتمثل في نزوح السكان أمام طغيان باي تونس **علي باشا** وارتفاع أسعار الحبوب، مما خلق وضعا مواتيا لتدخل الداي الذي أحبطه خطر القطيعة مع فرنسا[6]، وهو الأمر الذي وجدناه في عنابة؛ إذ يشير **حسن دردور** في هذا الشأن أن سبب توافد الجربيين بأعداد

---

[1]- وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، المصدر السابق، ص 109.

[2]-Shaler(W): **Esquisse de l'état D'Alger**, Op.cit, P 113.

[3]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص 13.

[4]-Eugène Plantet : **Correspondances des Beys de Tunis et des consuls de France avec la cour1577-1830**, T2, Paris, France, 1894, P 490.

[5]- الصغير بن يوسف: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق وتح: أحمد الطويلي، مج4، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 2009، ص 13، 14.

[6]- Mohamed Touli : **Correspondance Des Consuls De France à Alger 1642-1792**, C.H.A.N, Paris, France, 2001, P 320.

كبيرة على مدينة عنابة؛ كان جراء هروبهم من سياسة **علي باشا** حاكم تونس تجاه الأغنياء؛ والتي لم يكن أمام مطالبه منهم مفر آخر سوى الفقر أو الموت، فأدى ذلك إلى لجوء هذه الفئة من التونسيين إلى الجزائر مهاجرة، وبما أنهم كانوا موهوبين وأصحاب خبرة في مجال التجارة؛ فقد أضافوا لأسواق عنابة منذ استقرارهم حركية بفضل نشاطهم الخاص، وقد كانوا يمارسون تجارة المصنوعات الفخارية والبهارات وعلى رأسها الهريسة[1].

كما أدت سياسة القمع والقسوة الكبيرة التي استخدمها **حسن الكبير** قائد علي باي الحسيني تونس ضد قبائل غرب الإيالة لقمع تمرداتها إلى حراكها صوب مجالات الإيالة المجاورة، فقد عبرت أكثر القبائل البدوية عصيانا الحدود هربا من تعسف الباي التونسي، واستقرت بخيامها جنوب تبسة نهاية شهر نوفمبر 1783م، فطالب **صالح باي** قسنطينة بتعويض مناسب جراء الأضرار التي لحقتها معلما **حمودة باشا** أن القبيلة لم تعد تحت سلطته[2]، وكادت الحرب أن تندلع بينهما شتاء 1783-1784م إلا أن الباي التونسي أعرب عن أسفه وآثر عدم تقسيم قواته لأنه كان على حرب مع البندقية، واضطر إلى منح التعويضات الملائمة [3] مرغما والمقدرة بـ 25000 سكة لفائدة القبيلة المقيمة داخل البايليك في جوان 1784م [4]، ولم يقتصر الأمر على التعويض المادي فحسب، فقد حصل صالح باي أيضا على كميات من الزيت والملح والدقيق للأوجاق[5]، وتكررت الأحداث واستجد النزاع عام 1787م، عند لجأ عدد كبير من سكان قسنطينة إلى الأراضي التونسية رغبة في التملص من التبعية للباي بسبب عسفه وقساوته فرارا من القضاء[6]، وهروبا من المطالب المالية التي فرضها عليهم عمال الباي [7]، فاتهم الجزائريون الحكومة التونسية بتأليب القبائل الحدودية القاطنة عند تخوم الإيالة ضد سلطة باي قسنطينة[8]، وعندها طالب صالح باي قسنطينة الباي التونسي بتعويضات، حيث كاتب حمودة باشا ولامه على استقباله لقبائل وعشائر جزائرية تابعة له مطالبا بضرورة دفع الباي التونسي لتعويض؛ إلا أن الأخير أعلن رفضه الصريح؛ فأخذ باي قسنطينة يستعد للحملة وجمع أزيد من 6000 محارب، فاضطر حمودة باشا أمام الضغط وإلحاح مقربيه، وخطر البنادقة الذي يتهدده إلى الرضوخ للشروط القاسية وأن يدفع من جديد[9]؛ مبالغ هامة كتعويضات مطلوبة، كما استطاع قريب باي قسنطينة **محمد خوجة العجمي** إعادة الفارين من بلد تونس، وقد وصف أحد المؤرخين القسنطينيين المتأخرين" **النقاد**" هذه الأحداث بقوله:" **ولما انتهى إلى باي تونس بأن صالح باي نزل حيدرة مريدا استرجاع من فر من وطنه إلى تونس عظم عليه الأمر وخشي على نفسه فوجه إليه كاتبه ابن عبد العزيز في جملة من الحوانب ...ثم بعد ذلك اجتمع مع صالح باي وتحدث معه ووعده بمال جزيل وأمره صالح باي أن يبلغ مكتوبه لباي تونس ...ثم أن صالح باي بعد انفصال عبد العزيز من عنده وجه قريبه محمد خوجة العجمي**

---

[1]- H'senDerdour**: Annaba 25 siècles de vie quotidienne et de Lutte**, T2, S.N.D, Alger, 1981, P 137.

[2]-Alphonse Rousseau**: les annales Tunisiennes,** Editions Bouslama, Tunis, 1985**,** P 216.

[3] - Ernest Mercier: **Histoire de Constantine**, Imp. Ed. Marle et Biron, Paris, 1903, P 277.

[4]-Alphonse Rousseau **: les annales Tunisiennes…**Op.cit, P 217.

[5]- Moloud Gaid**: Chronique des Beys de Constantine**, O.P.U, Alger, 1983, P 43.

[6]- EugéneVayssette : **Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837**, Media Plus, Constantine, 2010, P 130.

[7]– ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر– العهد العثماني–**، المرجع السابق، ص 63.

[8]- Alphonse Rousseau: **les annales Tunisiennes…**Op. Cit, P 222.

[9]- Ernest Mercier: **Op.cit**, P 278.

لاسترجع الفارين من بلد تونس فتوجه هو كافة من كبراء الفرسان إلى بلد تونس ...فدخل محمد خوجة إلى بيت معدة له فنزلوا بدار هيأها له باي تونس...فمكث هناك أياما واستحضروا من أراد استرجاعه..."[1].

وقد ارتبطت الحركية الجغرافية والاجتماعية في الكثير من الأحيان بالصراعات السياسية والعسكرية وتغير التحالفات، حيث أنه كلما تم دفع قبيلة تونسية نحو الغرب إلا وتم ملء الفراغ بقبيلة جزائرية قادمة من الشرق، إضافة لهذه الحركية الجغرافية الدائمة هناك حركية اجتماعية شملت المجموعات والأفراد على السواء[2]، حيث لعبت الحروب والفتن الداخلية دورا بارزا في حراك الأفراد وحركية القبائل والجماعات، ومن الأمثلة على ذلك **قبيلة نفات** العربية الهلالية التونسية التي ساندت علي باشا في ثورته ضد عمه حسين باي مما جعلها عرضة لملاحقة هذا الباي؛ فارتحلت إلى الجزائر، ولما انتصر علي باشا رجعت عام 1740م إلى مجالها[3].

كما أن الحراك البشري بين الإيالتين يرتبط أحيانا بقرارات من الحكام في تغيير وضع الساكنة لأسباب سياسية أو عسكرية أو غيرهما؛ كما هو الحال في تونس مع سكان **–جبل وسلات**– وكل ما يتصل به من المداشر وغير ذلك، عندما قرر **علي باي بن حسين** سنة 1762م أن يجلي كل الوسلاتية وأن يخرجهم تماما، حيث هدم منازلهم وأكواخهم، فانتشروا في الضواحي القريبة وشبه القريبة[4]، وقد ساحت أعداد غفيرة منهم بفضاء عاصمة بايلك الشرق قسنطينة، حيث غصت سجلات المحاكم الشرعية بأسمائهم، ويعزى ما حدث لأهل جبل وسلات إلى المواقف المساندة **لعلي باشا**[5] ضد **حسين بن علي**[6] وأبنائه من بعده، وقد كان تمردهم قد تسبب في هجرتهم ونزوحهم من بلادهم، وما استقرار عدد كبير منهم في ربوع قسنطينة إلا دليل على إرادتهم الابتعاد عن موطن الصراع لما لحق بهم من قهر وتشريد [7]، إضافة إلى الفتن والصراعات التي تؤدي إلى مغادرة المنطقة إما قوة أو هروبا من عار الخسارة، فقد نتج عن صراعات داخلية بين أبناء **القرارة**–بغرداية– إلى هجرة أبناء الصف الشرقي للمدينة خاصة إلى تونس التي بقيت الوجهة الرئيسية للقراريين إلى غاية

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **الشرق الجزائري"بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال" من خلال وثائق الأرشيف**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 67.

[2]– إبراهيم جدلة: **دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط**، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018، ص 116.

[3]– مسعود الضاوي: **نسب قبيلة الهمامة وتاريخها وأصول القبائل العربية الكبرى وحراكها**، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2020، ص 201.

[4]– أحمد عبد السلام: **"الهجرات وتأثيرها على سكان المجتمع التونسي ما بين 1574 و1880"**، ندوة **"الهجرة التوسطية بين الأمس واليوم"** بجامعة الشريف الإدريسي المفتوحة–يوليو 1988، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1992، ص 32.

[5]– **علي باشا:** استقل بولاية تونس عام 1735م بعد أن حكم السيف في شيعة عمه حسين بن علي، في سنة 1740 سير ابنه في جيش لتشريد الجنويين المقيمين بمرسى طبرقة لصيد المرجان، ثار عليه ابنه يونس عام 1752م، قتل عام 1756م مع عودة أبناء عمه، انظر حسن حسني عبد الوهاب؛ **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 127–128.

[6]– **حسين بن علي:** مؤسس البيت الحسيني عام 1705م، افتتح أعماله بترميم سور مدينة تونس وتحصين قلاعها، خرج عليه ابن أخيه علي بن محمد عام 1728م، فاستعان الأخير بالجزائر؛ حيث استطاع الانتصار على عمه في سمنجة عام 1735، وتقلد شعار الولاية، وتوالت الحروب بينهما والتي انتهت بمقتل حسين بن علي جنوب القيروان عام 1740م، انظر حسن حسني عبد الوهاب؛ **خلاصة تاريخ تونس**، ص 125–126.

[7]– فاطمة الزهراء قشي: **"التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء"**، من كتاب **الأسماء والتسمية أسماء الأماكن، القبائل والأشخاص في الجزائر**، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2005، ص 25–26.

الاحتلال الفرنسي[1]، كما كان الاحتلال الأجنبي للبلاد من أسباب حركية الأفراد وتنقلات الجماعات وحراك القبائل، فقد اضطرت الجالية التونسية بالجزائر إلى العودة إلى بلادها في أعقاب الاحتلال الفرنسي عام 1830، حيث وجه الباي التونسي **أبي عبد الله حسين باشا** (1824-1835) مركبا حربيا إلى مرسى الجزائر فيه القبطان **حسونة المورالي**، وأمير **آلاي سليم**، وأمره إن وجد تونسيا يريد الرجوع إلى وطنه يحمله[2].

ويعتبر التهجير القسري إحدى الآليات المنتهجة للتخلص من العناصر المناؤئة؛ إذ كثيرا ما أدت حركات المعارضة لسياسة الدايات والبايات إلى ملاحقة ونفي هؤلاء المنتقدين، والذين غصت السجلات والمصادر بأسمائهم خلال الفترة الحديثة، على غرار الشيخ **محمد التواتي** الذي غادر قسنطينة إلى باجة عام 1624[3]، ومن العلماء الذين وفدوا على البلاد على عهد الداي **الحاج مصطفى لاز** نذكر **الشيخ مصطفى الأندلسي** الذي استصفيت أمواله وهرب إلى وطن الجزائر التي استقر بها إلى أن أدركته المنية، لأن الباي **حمودة باشا المرادي** (1631-1666) كان حاقدا عليه لأمور بدت منه، وكذلك **الشيخ صالح** شيخ عرب طرود الذي فعل به ما فعل بغيره [4]، كما التقى الشيخ **الورثيلاني** في طريقه إلى البقاع المقدسة(في حجته الأولى) عام 1732م بالشيخ **إبراهيم بن الشيخ بوعزيز الحناشي** ضواحي قابس التونسية؛ فارا من عساكر باي قسنطينة الذي تعقبه يريد الانتقام منه، متهما اياه بالاستطالة على المسلمين والتمرد على الأحكام الشرعية(الزواج بأكثر من أربع نساء)[5]، وكما هو الحال مع باي قسنطينة **مصطفى انجليز(1798-1803)** الذي عفا عنه باشا الجزائر وقام بنفيه بمعية عائلته إلى تونس، فقبله حمودة باشا التونسي وأجرى عليه إكراما[6]، ولم يقتصر التهجير القسري على الأفراد بل شمل الجماعات والقبائل أيضا؛ فمع استعدادات الباي التونسي **مراد الثالث** لتوجيه حملة إلى قسنطينة (جوان-اكتوبر 1700)، صدرت الأوامر قبل أن تتخطى قواته الحدود الجزائرية التونسية بإخراج الجزائريين الذين كانوا ببنزرت إلى بلادهم، وقد أخرجوا منها في مركب فرنسي لم يمهل حتى لشحن حمولته[7]، كما انتقلت جموع من التونسيين إلى البلاد الجزائرية عقب هزيمة الباي التونسي إبراهيم الشريف أمام الجزائريين عام 1705، إذ يصف لنا صاحب الصروف هذا الحراك البشري بقوله:" ...**إلا ما وقع في زمن ولاية إبراهيم الشريف الذي أسره الجزائريون بعد أن أوقعوا بعسكره وتبعتهم كثير من أقوامه ودخل في وقته جمع غفير من تلك الأعراب إلى العمالة الجزائرية واستوطنوها إلى الآن** "[8]، وفي هذا السياق يتحدث **الأب بواريه L'Abbé Poiret** عام 1785م عن شيخ وطن

---

[1]- ناصر بالحاج: **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين 9-13هـ/15-19م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، 2013-2014، ص 73.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 168.

[3]- Kamel Filali : **L'Algérie mystique des marabouts fondateurs aux khwèn insurgés 15-19 siècle,** 2e édition, Editions Alexandre, Paris, 2020, P 10, 107.

[4]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 237.

[5]- الحسين الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، تح: محفوظ بوكراع-عمار بسطة، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 267.

[6]- الحاج أحمد العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص 116.

[7]- Lucas (Paul) : **Voyage du sieur Paul Lucas**, T2, Paris, France, 1712, P 278.

[8]- إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ط2، منشورات، ثالة، الأبيار، الجزائر، 2000، ص 247.

المعزولة جهة القالة المسمى الشيخ **عبد الله**؛ الذي كان متمسكا بالسلطة ولا يتوانى من أجلها في التضحية حتى بأقربائه، فقد كان يعتقد أنه أخاه تقرب من باي قسنطينة لانتزاع السلطة منه ما جعله يقرر التخلص منه، وهوما دفع الأخ إلى الفرار إلى تونس، وعلى الرغم من ذلك فقد تعقبه الشيخ عبد الله؛ حيث سافر إلى البلاد التونسية وطلب ملاقاته، ولم يتبادر في ذهن الأخ مكر الشيخ حيث التقى الطرفان وتبادلا تحية السلام، ومع ذلك أخرج الشيخ عبد الله سكينا من برنوسه وطعن أخاه مرديا إياه قتيلا بين ركبتيه[1].

ويرتبط الحراك أحيانا بالعجز عن الإيفاء بمستحقات الجند، كما الحال مع باي قسنطينة **حسين شاوش** (1708-1709م) الذي فر سنة 1709م بما حصل عليه من أموال جمعها من الضرائب"حصيلة الدنوش" إلى تونس؛ فأصبح الداي **بكداش** غير قادر على دفع أجور الإنكشارية لأن الباي قسنطينة كان قد فر إلى تونس بمبلغ الضريبة السنوية (الدنوش)؛ بدلا من حملها إلى إليه قبل شهر مارس 1710م / محرم 1122هـ[2]، وهو ما أدى إلى مقتل الباشا محمد بكداش في نفس العام لأنه لم يجد ما يدفعه للجنود عقب هروب الباي المذكور.

ومن العوامل التي زادت من تنقلات الأفراد وحراك الجماعات **دعوات استقبال حكام البلدين للرعايا من الجانبين**؛ ذلك أن الحراك البشري بين الإيالتين كان **واقعا معاشا بين الإيالتين خاصة على مناطق التماس الحدودي**ة، وفي هذا الصدد اتهمت الحكومة الجزائرية **حمودة باشا** بتشجيع رعايا دولة الجزائرية وبالأخص أهالي قسنطينة بالهجرة إلى الأراضي التونسية بحكم القرب الجغرافي، وهو ما نلمسه عند حكام تونس خاصة على عهد **علي باي** (1759- 1782) الذي شرع أبواب المملكة للجزئريين وأجزل عليهم العطاء وغمرهم بجميل الفضل والبر والإحسان، إذ يقول صاحب **المشرع** في هذا الصدد:"**من قوة وسعة باله أنه من حين تولى إلى يومنا هذا ما أوحش قادما من وجق الجزائر ولا قصر فيما يطلبونه**"[3]؛ لذا كان حراك الأفراد والجماعات باتجاه تونس حثيثا خاصة من منطقة قسنطينة الحدودية، كما أن من عادة القبائل الحدودية أنها لا تحترم أنظمة الدول فتخرج بحثا عن موارد اقتصادية أو هربا من الضرائب، وهذا لا يعني عدم وجود هجرات من المناطق الأخرى إلى **تونس**، ولا أدل على ذلك من جماعات زواوة التي وفدت من منطقة القبائل على البلاد التونسية منذ العهد العهد الحفصي، وتواصل مجيئها خلال الفترة التركية؛ فقد اتخذ **حمودة باشا المرادي** منهم فرسانا كحرس خاص له، وتواصل الاعتماد على جند زواوة في عهد الدولة الحسينية[4]، حيث واصل **حسين بن علي**(1705-1735) تجنيد الفرق من بلاد زواوة، وعمل على نشرها بأغلب معسكرات وحاميات الإيالة حتى جعل منهم قوة عسكرية مرادفة لجند الترك، كما شجع جاليات من زواوة على الاستقرار في أراضي البايلك بمناطق ماطر وباجة ونفطة ووضعها في مواجهة القبلية الجبلية، فاستطاع السيطرة على معضلة الجبل بتوطين هذه الفرق في الأبواب المؤدية إليه[5]، وقد

---

[1]-L'Abbé Poiret **: Voyage en Barbarie**… Op. Cit, T1, P200-202.

[2] - Berbrugger(A) : « **Epitaphe D'Ouzoun Hassan, le conquérant en 1708** », In R.A, Vol 09, Challamel Ainé, Librairie, 30rue des Boulanger, Paris, 1865, P 124.

[3]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 216، ص 26.

[4]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 153.

[5]- محمد الحبيب عزيزي: **إشكالية الدولة وآلة الحرب-الحكم المتجول في المغرب العربي الحديث**، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016، ص 186-187.

أشار **علي باي الحسيني** إلى هذا الوضع في خطابه الشهير سنة 1169هـ/1755م إلى باي قسنطينة **حسن أزرق عينه** أثناء الحملة على تونس، وذلك عندما أراد باي قسنطينة التوقف وعدم الاستمرار في المسير بعدما وصلته أوامر من داي الجزائر بالتوقف عن تلك الحملة، قائلا له:" **أن قبائل قسنطينة، التي ملت ما أنهكتها به أنت من سلبك المستمر لمقدراتها؛ ستنسحب إلى الأراضي التونسية بمجرد ما تلمس مدى عجزك عن إخضاعها والتحكم فيها**"[1]. وعن مغريات استقطاب تونس للجاليات من مختلف الأجناس والبلدان؛ يقول **ابن مخلوف:**" **وكان من الحضارة بتونس ما اقتضاه طبع العمران والثروة وحال البلاد بما لا ينافي سذاجة الدين فتوالت الوفود على سكنى هاته الحاضرة من سائر الجهات على اختلاف الملل والنحل والأصناف يجذبهم مغناطيس العدل فزادوا في أسباب العمران من البناء والغراسة وغير ذلك**"[2].

وفي الجهة المقابلة غالبا ما ينتهي حراك بعض القبائل التونسية إلى الاستقرار ببايلك الشرق، حيث وفر لها **الحاج أحمد باي** الوسائل الكفيلة لضمان حياة كريمة، مانحا إياها إقطاعات زراعية لفلاحتها، مسقطا عنها بعض المطالب المخزنية التي كانت مفروضة على الرعية الجزائرية[3]؛ من ذلك **قبيلة الزغالمة** التي أذن لها بالاستقرار في الفضاء الجغرافي لبايلك الشرق بالقرب من **تبسة**، وهذا ما توضحه رسالة من الحاج **أحمد باي** إلى **حسين باشا** مؤرخة في 29 صفر 1244هـ/ 09 سبتمبر 1828؛ يطلب من خلالها السماح لها بالدخول إلى الأراضي الجزائرية، ومما جاء فيها" **ونحن سيدي أن الزغالمة الذين أخبرناك عليهم وأمرناهم بالدخول إلى بلادنا والبعد عن وطن القبلة ووعدوا بذلك وما زالوا إلى الآن بقرب تبسة. وقد أمرنا قايد الدار يبقيها عنده في قسنطينة حتى يأتيني جوابك السعد، هل توسع لهم في الجواب ونوافقهم للدخول إلى بلادنا أم نتغافل عنهم ونردهم بلطف)**[4].

ب–العامل المادي والتجاري والعلمي:

إن عوامل الحراك البشري لا ترتبط دائما بالدواعي السياسية؛ وإنما نجدها تقترن في حالات كثيرة باعتبارات تتعلق **بالبحث عن العمل–طلبا للرزق– وسعيا في تمتين الروابط الاجتماعية**، وأيضا رغبة بالانخراط في الجندية بحكم طبيعة الفرد والبيئة؛ كما هو الحال مع زواوة التي لم تصلها يد الأتراك وبقيت متمنعة، فقد كانت تونس قبلة بالنسبة لها حيث التحقوا بالجيش، ولم تدمجهم السلطة العثمانية في عسكرها النظامي؛ بل عملت على التزام سياستها بالمحافظة على نقاوة دماء الانكشارية من العناصر المحلية[5]، وكان جند زواوة مضرب الأمثال مضرب الأمثال بالبلاد التونسية "**الزواوة مقدمون في البلاء ومؤخرون في الراتب**"، وأيضا بحكم العلاقات التجارية مع أبناء البلد المهاجر إليه، ولربما ما يعكس لنا ذلك رواج العملة التونسية، فقد كان سكان المنطقة يقومون بتزوير العملة، حيث كانت سكة تونس تصنع بالألوف بزواوة وترسل

---

[1]-Alphonse Rousseau : **Les annales Tunisiennes**, **Op.cit**, P 159.

[2]- ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، مج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 175.

[3]– خديجة دوبالي: **رسائل أحمد باي إلى حسين باشا(1240–1245هـ–1826–1830م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005–2006، ص 239.

[4]– **رسالة رقم: 133–134، المجموعة: 3206**،–**قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية**.

[5]– محي الدين لاغة: **نفزاوة (الجنوب التونسي) تاريخ وتراث**، المركز الجامعي، منوبة، تونس، 2018، ص 177.

مع التجار إلى تونس[1]، وأحيانا أخرى نجد أن أهالي **زواوة** كثيرا ما كانوا يرسلون أبناءهم إلى البلاد التونسية لتعلم الصناعات والحرف اليدوية[2]، لذلك كانت المقصد والوجهة.

ونلمس في هذا الجانب حراكا كبيرا للتجار الجزائريين نحو البلاد التونسية، فقد أورد الباي التونسي **حسين باشا** في إحدى رسائله–دون تاريخ–إلى داي الجزائر **حسين باشا** أن مراكب الجزائريين وتجارهم في تردد دائم على الإيالة التونسية، إذ يقول:"...**شقوق بلادكم مترددون لبلادنا من عنابة وغيرها كثيرون وما تعرضنا لأخذ شيء منها وكذالك تجار بلادكم في بلادنا لا يحصون كثرة**"[3]، وتذهب الباحثة **غطاس** بالقول أن الجوار والعلم والتجارة كلها عوامل كانت وراءت تنقلات متواصلة بين سكان أقطار المغارب، ويبدو هذا التأثير جليا من خلال أسماء المواقع المختلفة بمدينة الجزائر كمدفع الجرابة وزنقة الجرابة[4]، حيث كان للتجارة إسهامات إيجابية في حراك الكثير من الأفراد والجماعات بين البلدين، فقد كان **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار(1790–1870م)** في حراك دائم إلى تونس لشراء عمائم الحرير وأنواع العطور؛ ومع أوبته يقوم ببيعها بقسنطينة، وقد ساعده هذا التردد في حضور حلقات دروس جامع الزيتونة [5].

وفي هذا السياق يتحدث **أحمد باي قسنطينة** في إحدى الرسائل التي وجهها إلى **مصطفى باشا باي تونس** بتاريخ ذي الحجة 1251هـ/ 1834م عن هذا الحراك التجاري القائم بين الإيالتين، إذ يقول " ...**وتجار الفريقين ينتفعون بالتردد لما يديرونه من المتجر والمكاسب...**"[6]، ويظهر العامل التجاري كعامل استقطاب لحراك الأفراد والجماعات بين البلدين جليا من خلال حركية القوافل الكبيرة بين البلدين بحكم القرب الجغرافي، ولعل من أبرزها القافلة التجارية الشهرية التي تنطلق من مدينة قسنطينة متكونة من 200 إلى 300 بغل، محملة ببضائع تبلغ قيمتها مليون فرنك، لتباع بمدينة تونس بمليون ونصف مليون فرنك [7]، وللقيام بهذا الحراك التجاري المنتظم؛ كان تجار قسنطينة يستعينون بجماعة من اليهود المحترفين لفحص بعض السلع وتحديد أسعارها في البيع والشراء، وتذكر جميع المصادر أن قافلة قسنطينة تحقق في كل مرة أرباحا تزيد عن نصف رأس المال الذي يقدر شهريا بخمسمائة ألف فرنك[8]، كما ارتبطت الصحراء الجزائرية بالواحات التونسية ببلاد الجريد، حيث يتم ضمان أمن حراك هذه القوافل تقريبا بصفة يومية؛ لبعد هذا الطريق عن الساحل من جهة، وباعتباره من بين أكثر المسالك ازدحاما[9].

كانت إيالتي تونس والجزائر مرتبطتين بعلاقات تجارية وثيقة، وكانت شبكات قوافلهما تلتقيان في المنطقة الحدودية، كما أن الطريق التجارية تونس– الكاف تتواصل باتجاه قسنطينة، وتدين مدينة الكاف بازدهارها إلى حد كبير لمبادلاتها

---

[1]– مجهول: **مخطوط كيفية سيرة زواوة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3012، ص 15.

[2]– فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي**، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م، ص 100.

[3]- أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:02**.

[4]– عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830 مقاربة اجتماعية–اقتصادية**، منشورات ANEP، الجزائر، 2012، 34.

[5]– الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 67.

[6]– أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:66**.

[7]– ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792–1830**، المرجع السابق، ص 198.

[8]– محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 153.

[9] - Carette(E): **Du Commerce de L'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques**, Paris, 1844, P 22.

مع الجزائر، وكان الحنانشة يترددون على سوقها الكبير الذي كان ينتظم كل يوم خميس، وفي الجزائر تضطلع تبسة بدور شبيه بدور الكاف، وكانت طرق المواصلات الجزائرية في خصوصها؛ مرتبطة مباشرة بالقصرين وفريانة وقفصة وسيدي خليفة والجريد، وكان تجار الجنوب التونسي يزودون تونس بالبضائع الجزائرية – التونسية؛ متجاهلين المشاكل الحدودية، فقد كانت "**القافلة تخرج من الجريد محملة بالبرانس والحايك؛ فيأخذ أولاد يحيى بن طالب جزءا من هذه الأشياء مقابل شيء من القمح، ويبيع الجريديون القمح على عين المكان؛ تاركين جزءا من حمولتهم لشركائهم من تبسة، ويواصلون باتجاه تونس بما بقي من بضائعهم، وبالمال الذي حصلوا عليه، ويشحنون من تونس بضائع يزودون مغازات تبسة بجزء منها، ويحملون الباقي إلى الجريد وتوقرت والزاب وغرداية بالجزائر**"[1]، ويعني ذلك كم كانت هذه العادات التجارية مهمة، وتمتزج تجارة الجريد أيضا في كثير من الأحيان بتجارة الجزائريين من سكان وادي سوف، وهناك أربع قوافل كبيرة" تخرج سنويا من تونس محملة بالبضائع الموجهة إلى الجريد؛ وبالخصوص إلى وادي سوف، وكانت هذه القوافل تفضل هجر طريق تونس–زغوان–القيروان، والتوجه إلى الحدود الجزائرية، عبر مجاز الباب وتبرسق" عندما يكون تجار وادي سوف أوفر عددا من تجار الجريد"، وهو ما كان يحصل في أغلب الأحيان، ولكن بعض التجار الجزائريين كانوا يلتحقون بتونس بوسائلهم الخاصة؛ دون الاستعانة بالقوافل التونسية، حيث كانت لقبيلة بني ميزاب، التي يبدو أنها لها دورا مهما في التجارة التونسية الجزائرية؛ حركة قوافل دائبة بين تونس وعنابة أو قسنطينة، وكان البعض من تجار من وادي سوف أنفسهم يتخلون عن التعاون مع الجريد، ويتعاطون تجارة "مثلثة" أكثر ربحا:" **كان تجار وادي سوف المغادرون لتونس يأتون إليها من بلادهم عبر قسنطينة وعنابة؛ فهم يسافرون من وادي سوف إلى قسنطينة، حيث يبيعون برانيسهم وحياكهم ثم يحملون من قسنطينة المال، ويصلون إلى تونس لاشتراء بضائع زهيدة الثمن، وكانوا يحملون منتوجات صناعتهم إلى قسنطينة؛ لأن رواجها أكبر من رواجها في تونس**"[2].

يبدو أن الجزائر الشرقية (منطقة قسنطينة وخاصة جهتي تبسة ووادي سوف) قد شكلت إلى حد ما جزءا من الفضاء الاقتصادي التونسي أو بالأحرى من هذه المنطقة المتحدة المركز التي تمثل تونس قطبها الاقتصادي، ويعود هذا الوضع إلى تقاليد ضاربة في القدم أو لعله البعد عن الجزائر فحسب؛ الذي عجزت عن تعويضه كل من عنابة المركز الحضري المتواضع، وقسنطينة الواقعة في ظهير البلاد؛ والمحرومة هكذا من النشاط البحري المتنامي بل المهيمن[3].

بالإضافة إلى تعسف الحكام في جمع الضرائب، ذلك أن السياسة الضريبية التي سلكها البايات والتي كان قوامها– التحميلات الجبائية واالمطالب المخزنية–أرهقت كاهل السكان وجعلتهم يجلون من منطقة إلى أخرى أو إلى الصحراء حتى لاتصلهم يد السلطة، ويقول **شالر** في هذا السياق: " **البايات وحكام الأقاليم، هم المسؤولون عن جمع الضرائب، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة، يستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب وهذا الظلم الذي لا يطاق جعل الناس يهجرون البلد...**"[4]، إذ يبين التنقل عن طريق الحركة أو المحلة لتحصيل الجباية من القبائل

---

[1]– خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 140–141.

[2]– خليفة شاطر: **نفسه**، ص 143.

[3]– خليفة شاطر: **نفسه**، ص 143–144.

[4]– وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824**، المصدر السابق، ص 59.

رأسمال رمزي تملكه سلطة المخزن، لوجود منافسين لها كالزوايا وباقي الأشراف، ويعكس لنا العنف الرمزي أيضا كون الحركة رمزا لعظمة السلطة والمخزن؛ ذلك أن هذا الحضور السلطوي له مفعول يضاهي مفعول العنف الجسدي في نجاعته[1]، وعلى الرغم من ذلك فإن مضاعفة الضرائب وزيادة المغارم على الرعية تؤدي إلى فقدان الأمن ونفور الأنفس لعلمها بما ينتظرها بل ربما تركت أوطانها مهاجرة إلى حيث تجد الأمن على الأبدان والأموال[2]، ذلك أن النظام الضريبي القائم إثقال كاهل السكان بالضرائب دون مراعاة ظروفهم المزرية وأوضاعهم المادية؛ قد أثر بحق على الوضع الاجتماعي وهو ما تجلى في حركة السكان، وذلك من خلال حركات الهجرة ...حيث قامت العديد من القبائل بترك أراضيها والهجرة إلى الصحراء أو إلى الأماكن الحصينة، أو حتى خارج الحدود حتى لا تخضع_ للضرائب التي يفرضها عليهم البايلك [3]، حيث نجد الوزير **الإسحاقي** في رحلته الحجازية عام 1143هـ/ 1730م يكشف تذمر أهل بسكرة من ثقل الضرائب المفروضة عليهم من قبل الحكام الأتراك بقوله" **وأخبرنا بعض من تلقانا من كبارهم أنهم يؤدون اللازمة مرتين في السنة يدفعونها في يد الباشا الذي ببسكرة**"[4]، وكانت القبائل التونسية في مجملها تشعر بالغبن الجبائي والتعسف السياسي، وتبدي استعدادا دائما للثورة أو للإفلات من سيطرة الدولة باللجوء مؤقتا إلى التراب الجزائري[5].

نلحظ في الجهة المقابلة حراك بعض القبائل التونسية من أمام المحلة تهربا من الحمل الجبائي واحتمائهم ببلاد سوف، حيث أصبحت عادة متبعة إلى أن ترجع الحملة إلى تونس فتعود القبائل إلى مضاربها[6]؛ فعروش **الفراشيش** الغربية على الخصوص يحتلون مجالات يسهل التنقل داخلها بين الإيالتين واللعب أحيانا على ازدواجية الولاء حسب ما تقتضيه مصالحهم، وقد كانت فرق أولاد عسال وأولاد منصر والحراكتة ووأولاد السايح وأولاد حمزة يعلنون انتماءهم إلى الجزائر والاستقرار بفضاء النمامشة كلما زاد ضغط المخزن التونسي عليهم وزادت مطالبه، لكنهم يتشبثون بولائهم لباي تونس كلما غض النظر عن تجاوزاتهم وأسقط عليهم بعض المطالب [7].

ومن المجموعات القبلية الحدودية أيضا نذكر **أولاد علي، المراسن ووشتاتة؛** التي عرفت بعمليات الإغارة التي كانت تقوم بها ضد بعض القبائل الجزائرية؛ وكذلك الهجرة إلى التراب الجزائري؛ بمجرد اقتراب موعد مجيء المحلة التي تجمع الجباية[8]، كما أن أبناء الجريد التونسي الذين يتعاظم خوفهم مع قدوم المحلة إلى مناطقهم لأخذ أموالهم؛ فإنهم سرعان ما

---

[1]- رحمة بورقية: **الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991، ص 51-52.

[2]- إبراهيم خريف: **المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد**، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2021، ص 164.

[3]- توفيق دحماني: **الضرائب في الجزائر (1206هـ-1282هـ/1792-1865)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008، ص 440.

[4]- أبي محمد الشرفي الإسحاقي: **رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية**، تح: محمد الأندلسي، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2017، ص 288.

[5]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 33.

[6]- مسعود الضاوي: **المرجع السابق**، ص 179.

[7]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي"**، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات، منوبة، تونس، 2007، ص 351.

[8]- خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 109.

يهجرون مجالهم بأعداد كبيرة للاستقرار بجهة سوف الجزائرية [1]، وفي المقابل نجد القنصل الفرنسي العام بتونس **دروشي** يتحدث في إحدى مراسلاته عن مطالبة **صالح باي** قسنطينة (1771-1792) في سبتمبر 1781م الحكومة التونسية بإعادة رعاياه المقيمين في أراضي الإيالة منذ مدة طويلة، وبالضريبة التي كان عليهم أن يدفعوها والتي تقدر بنحو 40.000 سكين، وإرساله حفيده للقيام بالمهمة يرافقه 300 إلى 400 رجل، وقد أثارت هذه القضية قلقا كبيرا لدى الباي التونسي لأنها لا تقتصر على دفع الرعايا للعودة؛ وإنما تتعلق أيضا بمبلغ من المال يتوجب تقديمه [2].

وكثيرا ما ارتبط الحراك بظاهرة هروب القبائل والأهالي من تعسف الحكام في مسألة جمع الضرائب، فقد اخترقت القبائل التونسية عام 1783م الحدود الجزائرية، وبالتحديد مجال تبسة متخذة من الجزائر موطنا لها بعدما وجدته من تسلط حاكمهم علي باي فأذن لهم **صالح باي** بذلك، وعلى أساس هذا وجه **لحمودة باشا** رسالة يطلب فيها تقديم تعويض لهذه القبائل؛ التي اتخذت الجزائر ملاذا نتيجة الضرر الذي حاق بها إلا أن الباي التونسي رفض ذلك، وجهز نفسه لحملة ضد باي قسنطينة الذي كان له بالمرصاد؛ ولكن الظروف التي كانت تعيشها تونس من خلافات مع البندقية منعتم من ذلك فآثر حمودة باشا أن يقدم تعويضا[3]، ويبدو أن جزء من هذا التعويض كان للقبيلة التونسية التي استقرت بقسنطينة منذ 15 سنة؛ وتعويض ثان لحكومة باي قسنطينة مقابل الخسائر التي تكبدتها من جراء هذا الاستقرار، وقد كان المبلغ مشطا 40.000 محبوبا[4].

وبالفعل ساهمت الهجرة بشكل كبير في إشعال فتيل الحرب من جديد بين الجزائر وتونس، ففي سنة 1787م تجدد النزاع والصراع بين الإيالتين؛ وذلك مع **فرار بعض القبائل الجزائرية إلى الأراضي التونسية جراء المطالب المالية،** الأمر الذي أحدث أزمة جديدة بين **حمودة باشا وصالح باي** الذي حمله مسؤولية ذلك من خلال إيوائهم في أراضيه وأخذ كل طرف يعد العدة فقد جهز صالح باي ما يناهز ستة آلاف محارب لغزو تونس وفي المقابل أعد **حمودة باشا** قوة قوامها ألفي تركي وثلاثة آلاف من الكراغلة وكثيرا من الفرسان العرب، إلا أن ركون حمودة باشا للأمر الواقع وتقديم ما توجب عليه من تعويضات حال دون اندلاعها[5]، وانتهى ذلك إلى الصلح، حيث قدم حمودة باشا هدية فاخرة إلى داي الجزائر من أجل تجنيب تونس حربا بحرية مع البندقية؛ وأخرى برية مع جيرانه المسلمين جند الترك الجزائريين[6] .

ج-الدافع الاجتماعي:

كما ارتبط الحراك بالأزمات الاقتصادية "انتشار الأوبئة والمجاعات وسيادة فترات الجفاف"، حيث شكل حراك السكان في المجال أثناء الأزمات الديمغرافية مشهدا مألوفا خلال الفترة الحديثة، وكانت تقف وراءه مجموعة من الاعتبارات

---

[1]- محمد الحماص: **الاستعمار الفرنسي وقبائل الوسط والجنوب بالبلاد التونسية 1881-1950**، ط2، مركز النشر الجامعي، تونس، 2014، ص 39.

[2]-Eugène Plantet: **Correspondances des Beysde Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830**, T3, Paris, France, 1899, P 122.

[3]- صالح العنتري: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ بلد قسنطينة**، مراجعة وتق وتع يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 63.

[4]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 82.

[5]- ناصر الين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 245.

[6]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 82.

الموضوعية؛ وخاصة موجات الجفاف الحادة التي تدفع الأفراد والجماعات إلى الهجرة والتنقل إلى المناطق التي لم تمسها الأزمة أو التي شهدتها لكن بصورة أخف وطأة[1]، وكانت الأوبئة والمجاعات التي تضرب كل مناطق البلاد...وبالتالي فإن الآثار المترتبة عنها كانت تختلف بحسب المناطق، وكانت تتسبب في حركة سكانية حيث كانت ترد أفواج على هذه المناطق ، مما يؤدي إلى صعوبة تمييز المجموعات الإثنية عن بعضها البعض، ومن هنا كان ترميم الثغرات الديمغرافية الناجمة عن الكوارث المختلفة يتم بواسطة هجرات وافدة متجددة كلما تجددت الأزمات[2]، وفي الجانب يتحدث **ابن خلدون** عن الاضطرابات الاجتماعية التي ينتج عنها القحط وما يترتب عنها من نقص في الأقوات والمجاعات[3]؛ تضطر الساكنة من أبناء الإيالتين إلى الارتحال والاتجاه صوب فضاءات تتوافر فيها مصادر الرزق وفرص العيش الكريم.

إن انتشار الوباء خلال ق 17م يمكن أن يؤثر على الأنشطة الاقتصادية للإيالات العثمانية المغاربية، من ذلك الأمراض المعدية التي مست اليد العاملة الفلاحية،كما أن أزمنة انتشار الوباء كانت نتائجها خطيرة على التجارة؛ خاصة في فترات الجدب والقحط، وأثناء هجمات الجراد التي تؤثر على الأخضر واليابس، والتي عادة ما تكون وراء انتفاضات القبائل ضد سلطة الدايلك أو البايلك، ولا شك أن ردود فعل السلط كانت في الغالب قاسية جدا؛ الأمر الذي أدى إلى إضعاف فضاء الريف، وأن الكثير من الريفيين هجروا الفلاحة ليتحولوا بذلك إلى الرعي وحياة البدواة والترحل[4]، وأمام الخوف تأثيرات طاعون 1784-1785م الذي اجتاح الإيالة التونسية؛ أصدر **صالح باي** قسنطينة عام 1785م تعليمات صارمة للقبائل الحدودية بعدم التواصل مع التونسيين في المناطق المحاذية تلافيا لانتشار العدوى[5]، وفي هذا السياق استقرت قبيلة **الشابينة** التي قدمت من الشمال الغربي لتونس على مجال جغرافي يعود لقبيلة أبادها الطاعون عام 1816 بفضاء دائرة عنابة[6]، كما أعقبت ثورة **ابن الأحرش** 1804 شدة ومجاعة؛ حيث أشرف الضعفاء من الناس فيها على الهلاك خصوصا بعض نواحي بايليك الشرق، حيث تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل من يبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط والفتن إلى غير ذلك؛ حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك...[7]، كما يعتبر البحث عن الكلأ أي الاعتبارات الرعوية؛ من عوامل الحراك في الفضاءات الريفية والمناطق الصحراوية حيث الأوساط القلبية، فقد لاحظ **بروديل Fernand Braudel** أن الرحل في شمال إفريقيا كانوا يدفعون بقطعانهم كل صيف حتى الشمال المتوسطي، وعند اقتراب الشتاء يرجعون إلى الجنوب والصحراء

---

[1]- سعيد إدحمان:"**دور الأوبئة والجوائح المائية في الهجرات البشرية بالمغرب خلال العصر الحديث**"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 68، لبنان، اكتوبر 2020، ص 102.

[2]- محمد حالي: **المجتمع والأزمات الديمغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727-1757)**، مساهمة في الديموغرافيا التاريخية، ط1، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2013، ص 190، 191.

[3]- ابن خلدون: **المقدمة**، تح؛ أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص 286.

[4]- عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2009، ص 166.

[5] - Edouard Bloch: **Op.cit**, P 12.

[6] - Carette(E) : **Origine et migration dés principales tribus de l'Algérie**, révisé et Préface : salima Hamouche, 1erEdition, Elassala Edition, Alger, Algérie, 2013, P 445.

[7]- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، المصدر السابق، ص 33، 34.

...وقد شهد أن الانتقال المنظم للقطعان والبشر كان وعلى امتداد قرون علاقة أساسية في حياة المجتمعات المتوسطية؛ " **الانتجاع في الشمال والبداوة في الجنوب**"، والانتجاع هو تلك الحياة الرعوية المنظمة التي كانت تنتقل بين مراعي الشتاء في السهول والمناطق المنخفضة ومراعي الصيف على المرتفعات[1]، لذلك أضحى الحراك الرعوي في فترات زمنية محددة؛ حتمية تقتضي توسعا مجاليا أي انتزاع الأرض واكتساح المراعي في الفضاءات السهلية.

تخضع القبائل الأكثر حراكا في تنقلاتها لبعض القوانين التي تحدد بشكل ثابت تقريبا لا يتغير؛ المكان المعد للسكن، ومكان ممارسة نشاطاتها الاقتصادية من زراعة ورعي، وهذه القوانين تخضع بدورها لطبيعة المناخ والأرض، ففي أثناء النصف الأول من السنة؛ تصبح الجزائر عامة أرضا واسعة مروية ومكسوة بالاخضرار؛ حيث تنتقل قبائل الواحات مع قطعانها أثناء سداسي الاخضرار إلى منطقة الهضاب المجاورة، وتنزل قبائل المنحدرات الجنوبية للأطلس التلي إلى شمال منطقة الهضاب، وتنزل بعض القبائل من جبال الأطلس الصحراوي إلى الجزء الجنوبي من منطقة السهوب (الهضاب) والآخرون إلى المنطقة الشمالية للواحات، وفي أثناء السداسي الجاف تعود قبائل الأطلس التلي والأطلس الصحراوي إلى جبالها، وقبائل الواحات ينفذون هجرتهم البعيدة، حيث يهجرون منطقة الواحات، ويذهبون للبحث في السهول العليا للأطلس التلي على الماء والقمح والمرعى[2] التي تعتبر حاضنة للمجتمعات الرعوية، إذ يترك سكان مناطق **التل** الصحراوي في الصيف مناطقهم بحثا عن العشب والماء؛ على غرار قبائل "**الأرباع**" و"**سعيد**" و"**عتبة**" و"**ورقلة**" و"**قسنطينة**"، وقبائل **الحضنة الشرقية** و**بسكرة** و**تقرت** و**الوادي** المتنقلة باتجاه التل الشمالي، وتشبه حركة التنقل في تونس مثيلاتها في قسنطينة، فأهل التل ينتقلون في الشتاء إلى **السباسب** و**أهل السباسب** يقودون ماشيتهم في الصيف باتجه الجبال[3].

إن حركية الترحال الرعوي كانت ولا تزال تستقطب مجموعة من القبائل، فقد كانت بعض العروش التونسية تنتقل إلى البلاد الجزائرية؛ فعلى سبيل المثال **الفراشيش** كانوا ينتقلون مرتين على الأقل إلى التراب الجزائري؛ واحدة في موسم الحرث وواحدة في موسم الحصاد، كما كانت بعض العروش الجزائرية لا سيما **النمامشة** تنتقل إلى البلاد التونسية لاتباع الكلأ والمرعى لأنعامهم[4]، وتدفع سنوات القحط أفراد قبيلة **الفراشيش** أو البعض منها إلى القيام بحركة انتجاع "تعشيبة" بحثا عن الكلأ في الأراضي الجزائرية[5]، والمنطقة الصحراوية عموما، التي تمتد بين واحات الإيالتين تمر عليها كل عام خريفا قطعان القبيلتين البدويتين **الهمامة المرتبطة بالجريد التونسي** و**الربايع بواد سوف**، وهؤلاء وأولئك يقودون قطعانهم في المنطقة القريبة من واحاتها الخاصة بها، وحسب تقارير الرحالة فإن الربايع لا يتجاوزون أحد الجبال الرملية المسمى بوناب والهمامة لا يتجاوزن أحد الآبار المسمى **العستي**؛ إذن النقطتين كانت فاصلا بينهما بمسافة تقارب 25 كلم كخط

---

[1]- فرنان بروديل: **المرجع السابق**، ص 31.

[2]- اسمهان لعريبي: **الحياة الاقتصادية ببايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2012-2013، ص 125، 126.

[3]- نورة الوسلاتي: **تمثل البداوة مقاربات في التاريخ الثقافي بين المغاربي والمحلي**، ط1، سوتيمديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019، ص 74.

[4]- محمد حلوان: **السلطة الاستعمارية في الجزائر ومسائل التخوم مع الإيالة التونسية (1830-1881)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019-2020، ص 198.

[5]- محمد صلاح حقي: **"النشاط الاقتصادي لقبيلة الفراشيش في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وعلاقته باقتصاديات البلدان الأوربية"**، مجلة كان التاريخية، العدد 45، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، سبتمبر 2019، ص 130.

حدودي يمكن أن يسقط[1]. إن ظاهرة تنقل القطيع من مجال إلى آخر التي تسمى **بالعزيب** لها نواميسها وأوقاتها ويمارسها العرش داخل مجاله، وأحيانا ينتقل إلى مجال آخر ليس على ملك العرش...وبالنسبة للعروش الحدودية التونسية؛ فإنها تعزب في البر الغربي بالجزائر، مثل أنفار من **خمير** الذين يجعلون سعيهم تحت نفر من **نهد** في بر الجزائر، حيث أصبح رعي القطيع التونسي في بر الجزائر منذ النصف الأول من القرن 19م تقليدا، فقد ورد في إحدى الوثائق مكتوب من حاكم القالة إلى كبار **بني مازن** يذكرهم أن موعد قدوم بقرهم إلى القالة قد قرب [2]، ذلك أن الانتجاع يخضع لتنظيم وفقه بين القبائل المنتجعة؛ التي تعمد إلى القيام بتعاقدات بين المشاركين في الاستفادة من المراعي وفق مجموعة من الأعراف التي تسهر عليها المجموعة القبلية؛ حرصا على ضمان المرعى في إطار تبادل المصالح بين السكان[3]، لذلك مثلت الحياة الاجتماعية والاقتصادية الحافز الرئيسي للحراك البيني في الفضاءات المجالية بالإيالتين.

د–الباعث الديني:

يعتبر التردد على أضرحة الأولياء والزوايا من الأتباع والمريدين من أهم عوامل حراك ساكنة البلدين، فقدجذب **سيدي اليعقوبي** الكائن على أكمة جبل تلة الشقرة والمشرف على السهل–**بتونس**–، **أولاد ماضي والزياعرة والجزائريين** المقيمين بالتخوم، فالزاوية هي محل معد للزيارة والزردة والمخالطة الاجتماعية الدورية بين الفئات المتحالفة، وتردد **أولاد نصر** على **الخمامسة** لتكريم وليهم، فقد جلبت الزردة **الزغالمة** المقيمين في ناحية **تبسة والفراشيش وأولادبوغانم**[4]، **حيث لا تزال توجد عدة مقامات للأولياء بمدينة الكاف التي كانت معقلا من معاقل الطرق الصوفية التي كان لها أثير سياسي واجتماعي كبير**[5] على شعبي الايالتين بحكم العلاقات التاريخية والقرب الجغرافي؛ هذه الطرق الدينية بالجهة التي تستمد جذورها من أصل جزائري[6]، فقد كان الشيخ **أحمد التليلي** –مؤسس الأسرة المرابطية **بفريانة**–في تجواله وسياحته الصحراوية عام 1733م التي قادته إلى منطقة **الزاب** يزور الصالحين (**مشايخ الخنقة في مقدمتهم شيخه سيدي عبد الحفيظ**) ويتوقف عند قبور وأضرحة الأولياء على غرار **سيدي عقبة، وضريح خالد بن سنان العبسي**[7]، وفي المقابل نجد **الورثيلاني** في **رحلته الحجازية**؛ يذكر أنه كانت له زيارات للصلحاء ووقفات مع مزارات كثيرة بتونس، فقد زار الولي **سيدي عبد الحق** وتوقف عند **قبر الصحابي أبي لبابة بتوزر** لمرات عديدة[8]، ومن بين المعطيات التي كانت حافزا وراء زيارة **أبي راس الناصري** للقيروان وجود العلماء والصلحاء والأولياء المدفونين بها، من ذلك زيارته لجامع

---

[1] - Rozet et Carette **: L'Algérie**, Op.cit, P 01.

[2]– صلاح الدين البرهومي: "**القطيع في الشمال الجبلي خمير وماكنة ونفزة ومقعد في القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية لمغاربية، العدد 120، مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005، ص 252.

[3]– هشام بويزكارن: "**الترحال والانتجاع بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19م**"، مجلة ريحان للنشر العلمي، العدد 37، مركز فكر للدراسات والتطوير، سوريا، 2023، ص 343.

[4]– توفيق بشروش: **الولي الصالح والأمير في البلاد التونسية**، ج1، ط1، دار سيناترا، تونس، 2013، صص 259، 260.

[5]– محمد الطالبي: **دائرة المعارف التونسية**، تر: رياض المرزوقي والعربي عبد الرزاق، الكراس 4، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1994، ص 168.

[6]– يوسف الجفالي: **الجالية الجزائرية بجهة الكاف من سنة 1881 إلى 1929**، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس1، 1992–1993، ص 33.

[7]- Sallah Alouani : **Tribus et marabouts -A'Rab et walàya dans l'intérieure de l'Ifriqiya entre 12e et 18e siècles**, Academia scientiarumfennica, Helsinki, Finlande, 2010, PP 182-183, 207.

[8]– الحسين الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، المصدر السابق، ص 256، 268.

الأنصاري الذي بناه **رويفع بن ثابت الأنصاري**، أي أن شغل الشيخ الشاغل التبرك بالمكان عبر تلمس آثار الصلاح والولاية [1]، لذلك كانت زيارة الأضرحة وكبار مشايخ الطرق الصوفية والمرابطين للتبرك ظاهرة بارزة خلال الفترة؛ ولم تكن قاصرة على العامة من الناس بل شملت أيضا النخب العلمية.

كان لانتشار **الطرق الصوفية** لا سيما **الرحمانية** أثره في جعل المنطقة خاضعة **لنبض واحد في السراء والضراء** منذ أواخر القرن 18م، **وترتب عن ذلك حدوث درجة من التطور والتحرك الاجتماعي العظيم؛ فكانت الأسفار والهجرات والحج والهروب والتنقلات الاجتماعية والروحية من وضع إلى آخر، وكان لذلك كله عواقب في تغيير الحدود والولاءات**[2]، فقد نجحت الزاوية الرحمانية بقيادة **مصطفى بن محمد بن عزوز** والقادرية بقيادة **محمد بن إبراهيم بن أحمد** بالجريد التونسي؛ بتفعيل التواصل الروحي مع منطقة الجنوب الشرقي من خلال تعليم وتخريج عدد كبير من المثقفين والمعلمين[3]. كما كانت زيارة الأولياء عند الكثير اعتقادا منهم تنفيسا للكربات ودفعا للمضرات وجلبا للبركات؛ على غرار **الشيخ أبي الغيث القشاش** الذي شدت إليه الرحال من مختلف الجهات الجزائرية، من ذلك أحد الجزائريين الذي ورد على الشيخ بزاويته بتونس طالبا الشفاء والخلاص شاكيا وسواسا في قلبه، فكتب له بخط يده على ورقة بلسما روحيا[4]، ومن هؤلاء المشايخ الذين أحرزوا سمعة كبيرة في القرن السابع عشر بين رجال التصوف؛ نجد الشيخ **علي بن عزوز** –صاحب **زاوية زغوان**–الذي كان اسمه يتردد في كل مكان بقطر تونس وشرق الجزائر[5].

ويرتبط حراك الأفراد والجماعات في بعض الأحيان **بالتوجه إلى البقاع المقدسة لتأدية مناسك الحج**؛ إذ يرجح أن تكون هجرة الكثير من الجزائريين إلى البلاد التونسية مرتبطة بالحج، فكانوا يتوجهون إلى الإيالة التونسية على غرار بقية المغاربة، ويقيمون مدة زمنية غير محددة تتيح لهم فرصة اللقاء بإخوانهم التونسيين، ثم يواصلون سيرهم نحو الشرق ومنهم من كان يمدد إقامته بالبلاد التونسية إثر العودة من الحج[6]، ويذكر **الورثيلاني** أنه أثناء إقامته بتونس لمدة؛ ترك بها أهله بها أخذا بخاطر بعض العلماء والصالحين الراغبين في إقامته، وهذا بنية الرجوع والتوطن فيها لنشر العلم وبثه في البلاد التونسية[7]. وقد ترتبط هذه الحركية أحيانا أخرى باعتبارات دينية كوحدة المذهب أي الحافز السياسي المذهبي، كما هو الحال مع سكان وادي ميزاب الذين كانت البلاد التونسية الوجهة المفضلة بالنسبة إليهم، وعلى وجه التخصيص جزيرة جربة حيث إخوانهم في المذهب الإباضي، ولهذا لا نكاد نجد عالم إباضي بالمغرب الأقصى على حد علمنا؛ فقد كانت العلاقات العلمية والثقافية قوية بين علماء المذهب الإباضي بين كل من جزيرة جربة وإباضية الجزائر، بالإضافة طبيعة

---

[1]– أبو راس الناصر: **نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تق وتح محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012، ص 23.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2005، ص 255.

[3]– رضوان شافو: **"انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830–1954م"**، مجلة كان التاريخية، العدد 34، الكويت، ديسمبر 2016، ص 10.

[4]– المنتصر بن أبي لحية القفصي: **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تح: لطفي عيسى وحسين بوجرة، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1998، ص 194.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، المرجع السابق، ص 218.

[6]– محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب–الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2018، ص 55.

[7]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 339.

النشاط الاقتصادي الممارس كالتجارة[1]، وهو ما اشتهر به الإباضية الذين امتهنوها لقرون بحكم ما اتسموا به من سمات كالأخلاق والأمانة.

02-العوامل المساعدة على الحراك الاجتماعي بين الإيالتين.

إلى جانب الأسباب المباشرة والرئيسية التي استوقفتنا في خضم حديثنا عن البواعث الرئيسة المرتبطة بالحراك الاجتماعي وحركية الجماعات والأفراد وتنقلات القبائل؛ والتي أكدت الأحداث والوقائع التاريخية ملازمتها لتلك الأسباب كل على حدة، وكل جماعة لها دوافعها ومبرراتها في تلك الحركات الهجروية؛ وهذا على ضوء ما جادت به الوثائق والمصادر التاريخية، وهذا بعد أن حاولنا تحديد ماهيتها كاعتبارات لها ارتباطات مباشرة بالحراك، والتي استقيناها من السياق السردي الذي جاء في مختلف المظان التاريخية، فقد ركزنا أيضا على العوامل المساعدة لما لها من أهمية بالغة، ويمكن إجمالها في:

أ-العامل الجغرافي (الوحدة الطبيعية):

يمثل الإطار الجغرافي للمغرب العربي وحدة فيزيائية تتميز بخصائص معينة أهمها التضرس الشديد وازدواجية التركيب سواء على المستوى الجيوموفلوجي أو التركيب البنيوي أو نوعية الحالة البيو-مناخية، والأصل في هذه الازدواجية المتعددة هو الموقع ما بين أوربا في الشمال والصحراء الإفريقية الكبرى في الجنوب[2]، وهو عامل هام وضروري، إذ أن المغارب بلد واحد وحدت بين أجزائه الجغرافيا عبر كل العصور، إذ تشهد جغرافيا شمال إفريقيا وجيولوجيتها أن طبيعة الأوطان الخمسة التي يتكون منها المغارب طبيعة واحدة[3]، إذ كان للموقع الجغرافي دور في تماسك القطرين، إذ لا يفصل بينهما أي حاجز طبيعي حصين، فكلاهما يشكلان وحدة جغرافية لا تكاد تتجزأ ذات ميزات طبيعية متشابهة في ظروفها المناخية والاقتصادية والاجتماعية، فها يشتركان في كثير من مقوماتهما في التضاريس والتربة والمناخ[4]، إذ نجد إقليمان ذات خواص متماثلة، حيث أنهما يتميزان بنفس التضاريس؛ وذلك بوجود الحلقات والسلاسل الجلية المتساكنة متشابهة الميزات، وكان من نتيجة ذلك تشابه كبير في المقومات التضاريسية والظروف المناخية والاقتصادية، وكذا الاجتماعية، وبالتالي تيسرت أسباب التواصل؛ التي سهلت للحياة في القطرين عبر العصور عوامل التبادل بينهما [5]، فلا مناص من أن يكون لهذه الوقائع الجغرافية والمناخية أثرها في التاريخ السياسي، وفي الأخلاق الاجتماعية وفي الدين[6]، لذلك فإن القرب الجغرافي فيما بين الجزائر وتونس سهل التواصل؛ وزاد من تفاعل هذه الروابط نظرا للجوار المجالي ولخصائص المناطق الحدودية بين الجزائر وتونس، فقد كان الحراك بها مستمرا للأفراد والجماعات والقبائل والقوافل، وغالبا ما كانت هذه الحركة بينهما تضم قبائل

---

[1]- دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 304.

[2]- أحمد العماري: "**خلفيات الحدود الجيو-سياسية للأتراك والفرنسيين تجاه وحدة المغرب الكبير**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص 2، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 1985، ص 133.

[3]- محمد عزيز الحبابي: المغارب: "**البلد الذي وحدته الجغرافيا والجيولوجيا عبر العصور**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990، ص 65.

[4]- محمد المكي الناصري: "**وحدة المغرب العربي**"، مجلة الثقافة، العدد 15، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1973، ص ص 8، 9.

[5]- خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية 1900-1939**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 58.

[6]- ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح الإسلامي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 42.

بأكملها أوبعضا منها تنتقل بخيامها وحيواناتها[1]، إذ ينفرد إقليم الشرق بمميزات جعلته أهم مقاطعة في الجزائر؛ مثلما أهلته كي يحظى باهتمام النظام العثماني والتونسي، فهو فضاء رخو وحيوي يمتاز بحدود مفتوحة على الغرب التونسي، وتتشكل ساكنته من هرم اجتماعي كبير قاعدته القبائل والأسر الموسعة التي كان بعضها يتوطن على الأطراف الحدودية والتخوم التونسية[2]. **إن المنطقة كانت تتحرك بدون حدود إلى حدود، فمنطقة الزيبان والجريد ووادي ريغ كانت تشكل وحدة متكاملة إقتصاديا واجتماعيا وروحيا**[3]؛ لأن العامل الجغرافي يلعب دورا أساسيا في تماسك التجمعات واستمرارية العلاقات كلما تقاربت الأوطان وتدانت الشعوب التي توحدها العقيدة ويجمعها اللسان...لأن العامل الجغرافي ضروري لكل تجمع يراد إنشاؤه وحلف يرجى دوامه[4]، وإذا كان الموقع الجغرافي فاعلا أساسيا في ازدواجية التركيب البنيوي، فإنه كان أيضا فاعلا أساسيا بالنتيجة في ازدواجية العلاقة بين الجزائر وتونس .

ب–العامل التاريخي والثقافي والحضاري:

وهو أقوى العوامل وأشدها رسوخا، وإذا أضيف هذا العامل إلى العامل الجغرافي؛ حققت المجموعات نجاحا كبيرا في مجالات التنسيق والتقارب وتوحيد المواقف؛ بحكم عمق الروابط وصدق المشاعر، فالمغرب العربي يمثل وحدة حضارية متكاملة، فالتاريخ تاريخ مشترك، واللغة واحدة، والمذهب واحد، والخصائص متماثلة، والانتماء واحد، ومن الصعب أن نجد على نطاق العالم منطقة تتجسد فيها خصائص التقارب والتماثل كما نجدها في المغرب العربي المسلم[5]؛ الذي تسكنه عناصر واحدة توحدت مصالحها، كما توحدت طبيعة أرضها وألفت بين قلوبها عزة الماضي وآلام الحاضر وآمال المستقبل السعيد؛ فالتونسي والجزائري أبناء وطن واحد هو المغرب العربي[6]. إن الثوابت التاريخية لوحدة المغرب العربي، تستخلص في خطوطها العامة من الأحداث التاريخية والأنظمة السياسية؛ التي يعكسها الماضي المشترك بين البلدين، والذي يتبين من خلال تعاقب الأحداث ومصير القطرين[7]، وبالتالي فإن هذا الماضي المشترك يشكل دائما البوتقة التي تنصهر فيها جميع التجارب، ومنه الذوبان في وحدة روحية واجتماعية على غرار الجزائر وتونس اللتان عرف تاريخهما أحداثا جعلت منهما وحدة تاريخية متكاملة، كما شكلت لهما مصيرا مشتركا[8]؛ ذلك أن بلدان افريقيا الشمالية " تونس والجزائر والمغرب

---

[1]– أحمد جابو: **أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ما بين 1830–1881**"، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 6، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012، ص228.

[2]– احميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002م، ص 6،7، 12.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، **المرجع السابق**، ص 255.

[4]– عبد الوهاب بن منصور: "**أثر العامل الجغرافي في التجمعات والأحلاف الإقليمية**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990، ص 44.

[5]– محمد فاروق النبهان: "**الإرث الثقافي والتاريخي بين الشعوب وأثره في تكوين مجموعات اقليمية منسجمة**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990، ص 36.

[6]– أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، ساندياكادينيسيا تيف، الجزائر، 1948، ص 04.

[7]– ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 460، 461.

[8]– مومن العمري: **شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009–2010، ص 41.

الأقصى" تمثل منطقة جغرافية ومناخية وعرقية بشرية واحدة منذ فجر التاريخ، توالت عليها هجرات بشرية متعددة لم تؤثر فيها كثيرا رغم أنها كونت بها دولا عديدة، بدءا بالقرطاجيين فالرومان والوندال والبيزنطيين وأخيرا العرب المسلمين الفاتحين الذين متنوا الصلات والوشائج العرقية والدينية واللغوية والثقافية، وفي ظل الإسلام والعقيدة الإسلامية شهد الإقليم عدة دول تداولت السلطة والحكم والولاية ففي صدر الإسلام كانت القيروان عاصمة لكل بلدان ألإقليم ولبلاد الأندلس، وفي عهد الفاطميين والأسرة الزيرية تمتنت العلاقة بين الجزائر وتونس، كما تمكنت في عهد دولة عبد المؤمن بن علي الموحدية، وازدادت متانة على عهد بني حفص الذين حكموا تونس وبجاية وقسنطينة وعنابة في الجزائر، غير أنه في عهد الأتراك ابتداء من القرن 16م بدأ الصراع بين النظامين التركيين في كل من الجزائر وتونس، ولكن السكان في كلا البلدين حافظوا على وشائج القربى، والماضي المشترك والمصالح المشتركة، والعوائد الموروثة، ولم ينساقوا أبدا وراء دعاة الفرقة، والتشنج، والصراعات العرقية والطائفية والجهوية[1]؛ وهذا ما يفسر دينامية واستمرارية الحراك البيني بين أبناء الإيالتين.

تربط بين أجزاء المغارب وحدة متكاثفة مترابطة كوحدة اللغة ووحدة العناصر ووحدة الدين ووحدة الثقافة، ووحدة المصلحة [2]، وإذا كانت الحياة الاجتماعية تقوم على مسارات التفاعل والتكامل بين الذوات والمجموعات، فإن الفضل يعود بدرجة كبيرة إلى العامل الديني من حيث هو مصدر النظام في العالم الإنساني[3]، فالدين يطالب الأفراد بالتعاون والتآلف؛ وكذلك تشجيع العمليات الاجتماعية الايجابية كالتوافق والانسجام والتناسق والمؤازرة والافتخار[4]مع اكتساب الهوية العربية الإسلامية،إذ يعتبر الدين الإسلامي أهم مقوم من مقومات الوحدة بين المغارب، فقد كانت كل من الجزائر وتونس على **وحدة دينية**، فكلاهما يعتنق **المذهب المالكي** مما أدى إلى تلاحم الشعب الجزائري بالتونسي، وزاد في عمق التواصل بين القطرين[5]، وإن هذه الوحدة المذهبية التي زادت في دينامية الحراك؛ كان قوامها المنهج المالكي في الفقه، والمنهج الأشعري في العقيدة، وربما لم يتوفر أي قطر إسلامي في سعة الرقعة المغربية على مثل هذه الوحدة المذهبية[6]؛ التي وحدت أهل المغرب ليندرجوا في نطاق الأمة الإسلامية لبنة متماسكة قوية[7]. ورغم أن المذهب السائد ببلاد المغرب العربي كان **المذهب المالكي**؛ فإنه بمجيء العثمانيين احتفظت البلاد بنخبة فقهائها المالكيين؛ رغم أن مذهب الدولة الرسمي هو **المذهب الحنفي**...مع تعيين شيخ الإسلام الحنفي من الأستانة رأسا لمدة سنتين، وكان شيخ الإسلام الرئيس

---

[1]- احميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص ص 6، 7.

[2]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ANEP، الرويبة، الجزائر، 2010، ص 201.

[3]- زهير الخويلدي:**"فلسفة الدين بين تاريخية المعتقدات ودنيوية المقدس"**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 2018، ص 03.

[4]- عبد العزيز فكرة: **المرجع السابق**، ص 504.

[5]- خير الدين شترة: **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، ج1، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 144-147.

[6]- **ابتدأت الوحدة الذهبية** بما رجع به تلاميذ **مالك بن أنس** رضي الله عنه من فقهه وحديثه فأرسوه أولا في القيروان وتونس، ومن هناك في المغرب الأوسط والأقصى والأندلس، ثم تدعم بعد ذلك في القرن الرابع بما رجع به تلاميذ **أبي بكر البقلاني (ت 403هـ)** من علم جامع بين بين المالكية والأشعرية؛ ومن ذلك الحين أصبح أهل المغرب وحدة مذهبية في المنهج الفقهي والمنهج العقدي جميعا، ورغم تقاطر مذاهب فقهية وعقدية متعددة كالمذهب الحنفي ومذهب الأوزاعي والمذهب الظاهري اللذين ظهرا بالأندلس، كما عرف المغرب المذهب الشيعي بطريق العبيديين، ومذهب الخوارج بطريق الصفرية، ومذهب الاعتزال، إلا أن هذه المذاهب جميع آلت إلى الزوال سوى حضور محدود للمذهب الإباضي، **وانتهى المغرب ممحضا لوحدة مذهبية مالكية أشعرية**.

[7]- عبد المجيد عمر النجار: **المستقبل الثقافي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997، ص42،43، 44.

الديني المطلق، وكان هو الشخصية الثانية بعد الباشا، لكن الملاحظ أن فقهاء المالكيين حافظوا على مكانتهم؛ حيث كانوا يمثلون أغلبية السكان[1].

كما أن العامل اللغوي عامل شديد الأهمية إذا كانت الوحدة معبرة عن تجانس ثقافي وتقارب في الخصائص البشرية، والعادات والمعايير والقيم الاجتماعية[2]، ولذلك فإن الخصائص الثقافية للبلدين والتي اندرجت في وحدة الثقافة الإسلامية المتأتية من التعاليم الدينية؛ أنتجت ثمار كانت عامل توليد حضاري، تجلت في ثقافة مشتركة، ثقافة مرت بعدة لغات وأرست في النهاية على العربية التي هي أم اللغات وسيدة الساميات ولغة القرآن ولسان الثقافة العلمية والأدبية والفنية والتقنية طوال قرون[3]؛ إذ يقول **عبد العزيز الدوري** في هذا الجانب:" **كانت العربية قاعدة التعريب، ثم نشأت الثقافة العربية الإسلامية لتكون خير تعبير عن التوثب العربي الثقافي في الإسلام، ولتعطي التعريب محتواه، وهذه ناحية بالغة الأهمية في تكوين الأمة العربية وفي سيرها في التاريخ**"[4].

ومن الناحية البشرية تميز سكان القطرين دون المشرق باحتفاظ عنصر السكان الأصليين البربر ببعض مميزاتهم؛ كاحتفاظهم بلغتهم الأصلية كلغة حديث في بعض المناطق الجبلية، ولكن قسم كبير منهم استعرب مثل الأجناس الأخرى التي اعتنقت الإسلام، فكان هذا تأكيد لصفة المغرب العربية التي كان قوامها اللغة العربية دون اعتبار للأصل العربي، بل أن المتكلمين بها يسلمون بأنها لغتهم الوحيدة[5]؛ أي اكتساب الكيان البشري الصفات والخصائص التي تؤكد العروبة، وتنشأ هذه الصفات نتيجة لتسرب الدماء العربية وقيام رابطة الدم والسلالة بقدر ما تنشأ نتيجة لانتشار اللغة العربية انتشارا حقيقيا يجعل منها قاعدة وأساس لمقومات الثقافة والتراث المشترك، والتعريب على هذه الصورة يخلق الروابط المتينة التي تشد الكيان البشري، كما يؤدي إلى درجة كبيرة من درجات التعاطف بين الناس والإحساس بالمصالح المشتركة التي تجمع شملهم في كيان قومي متماسك بقدر ما هو متكامل، وما من شك أن اللغة تلعب الدور الأكبر في تجميع الكيان البشري لأنها الوسيلة التي تعبر عن الأحاسيس والعواطف[6]؛ وهذا من شأنه أن يزيد في قوة الترابط، وتيسير التواصل الذي تعكسه حركية ساكنة الإيالتين؛ دون إغفال أهمية عامل الوحدة البشرية؛ ذلك أن عدم وجود أي حاجز طبيعي صعب من جهة، وانتماء العنصر الجزائري والتونسي إلى أصل واحد (الأصل السامي–الكنعاني) حسبما أكدته جميع المصادر من جهة ثانية؛ أدى إلى تجانسهما تجانسا تاما بعد الفتح الإسلامي، واندماجهما في قومية واحدة[7]، **ولهذا لا يمكن القول أن هناك فوارق بشرية ما زالت في شمال إفريقيا ولا حواجز بشرية؛ بل أن الفوارق قد اندثرت منذ زمن بعيد فأزالتها المخالطة والمصاهرة**[8].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ–العهد العثماني–**، المرجع السابق، ص 138.

[2]– محمد فاروق النبهان: **الإرث الثقافي والتاريخي بين الشعوب وأثره في تكوين مجموعات اقليمية منسجمة**، المرجع السابق، ص 36.

[3]– عثمان الكعاك:"**الوحدة الثقافية للمغرب العربي**"، مجلة الأصالة، العدد 11، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1392هـ/1972م، ص 19.

[4]– عبد العزيز الدوري: **التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 79.

[5]– صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993، ص 9، 10.

[6]– صلاح الدين علي الشامي: **جغرافية الوطن العربي الكبير**، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1975، ص 33.

[7]– أحمد العماري: **المرجع السابق**، ص 135.

[8]– عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر"طبيعية، بشرية، اقتصادية"**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ص 127.

إن وجود تقارب في القيم الاجتماعية والثقافية له أثيره الايجابي في تهيئة التفاعل الموحد، فوجود أسلوب معيشة متميز مشترك، وحدوث تقارب في القيم الثقافية بين الطرفين وحد الإحساس المشترك بأهمية زيادة الترابط فيما بينها، وهو ما يؤدي إلى سرعة الاستجابة النفسية والعاطفية ممثلة في الرسائل والاتصالات التي كان يوجهها كل طرف إلى الآخر، فقد أدى انضمام الجزائر وتونس إلى حضيرة الأمة العربية الإسلامية وانتشار الثقافة العربية بهما في وقت مبكر إلى صبغهما بالصبغة الواحدة[1]، وأكبر دليل على عظمة الثقافة الإسلامية أنها استطاعت أن تكون لدى الشعوب الإسلامية ثقافة إسلامية موحدة غالبة واضحة في السلوك البشري؛ والقيم والأخلاق والتقاليد الاجتماعية؛ والعادات السائدة، وهذا دليل واضح وأكيد على عظمة خصوصية الثقافة الإسلامية وعمق تأثيرها في الشعوب الإسلامية؛ حتى أصبحت ثقافة الإسلام ثقافة أصيلة عميقة الجذور[2]، وإلى جانب العامل الديني واللغوي، أسهمت العوامل الاجتماعية في دعم الحراك البشري القائم، ويتجلى هذا في مجال المصاهرة والقرابة، ذلك أن الحدود المشتركة التي تمتد على مسافة ألف وثلاثمائة كيلومتر جعلت القرابة بين سكان المناطق الحدودية أمرا طبيعيا وأصبح التداخل بين الأسر من خلال رابطة المصاهرة أمرا عاديا[3].

إن التواصل بين الشعبين الجزائري والتونسي لم ينقطع في مختلف العصور، فالوحدة الجغرافية واللغة والصلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية الأخرى إضافة إلى عمق الصلات الفكرية الموغلة في أعماق التاريخ كلها عوامل ساعدت على تقارب الشعبين إلى بعضهما وفي العديد من الفترات التاريخية يشكل وحدة تارة في شكلها الكلي وتارة في شكلها الجزئي[4]، لذلك يعتبر الإرث التاريخي والثقافي من أبرز العوامل الإيجابية والمؤثرة في حراك الأفراد والجماعات بحكم ما ينسجه في النفس البشرية من شعور عاطفي بالتقارب والانسجام والتعاطف...وما يتركه من نزوع روحي بحكم الارتباط العقدي؛ فالحدود الحالية للبلدين أي القطرية لا تتناسب إطلاقا مع الظروف الطبيعية ولا مع التقاليد التاريخية[5].

ثانيا–وكلاء الجزائر في تونس "تمثيل سياسي وحراك اجتماعي":

إن الوكيل تاريخيا موظف تعينه حكومة الجزائر في العهد العثماني ليكون نائبا عنها في إحدى الإيالات العثمانية أو المدن الأوربية، ليسهر على خدمة مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويسلم له من طرف الحكومة وثيقة تعتبر بمثابة توكيل رسمي، يذكر فيها تفاصيل الصلاحيات الموكلة له، وتعتبر تلك الوثيقة بمثابة أوراق اعتماد لدى سلطات البلد الموجود به[6]، لذلك جسد هذا الحضور الديبلوماسي ضمانا للاستقرار والعمل بممارسة مختلف الوظائف وحفظا للحقوق وضمانا للحماية وسلامة للأرواح واستردادا للمظالم؛ تلافيا للخلافات والأزمات؛ وتنشيطا للمبادلات في ظل هذا التمثيل السياسي؛ الذي مثل إحدى المحفزات التي زادات في الحركية البينية بين شعبي البلدين. لقد كان لحكام الجزائر

---

[1]– خير الدين شترة: **مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية من مطلع القرن العشرين إلى غاية سنة 1939**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002، ص 40.

[2]– محمد فاروق النبهان: **"قابلية الثقافة الإسلامية للأخذ والعطاء"**، سلسلة ندوات: الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء، مكناس 4–5 ديسمبر 1991، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، 1993، ص 30.

[3]– بشير مديني: "**قراءة تاريخية حول الجالية الجزائرية بتونس**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 20، جامعة غرداية، الجزائر، 2014، ص 184.

[4]- خير الدين شترة: **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، المرجع السابق، ص126.

[5]– سمير أمين: **المغرب العربي الحديث**، تر: كميل.ق. داغر، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1980، ص 14.

[6]– سيد أحمد بن نعماني:" **وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج1، العدد 1، جامعة الجزائر، جانفي 2013، ص 199.

وكلاء أي قناصل، في العديد من الدول، و**بتونس** على وجه الخصوص؛ تعدد وكلاء الجزائر بها ومنهم **الحاج محمد بن أحمد** ثم **القائد علي خوجة** وكذلك **سي علي بن عيسى** جنرال الحاج أحمد باي، وأخيرا **الحاج عمر محمد عمر**[1].

ويندرج هذا في إطار التشميل الديبلوماسي (العلاقات الرسمية)، وتجدر الإشارة في هذا السياق؛ أنه كان للجزائر ممثلان في تونس ممثل **داي الجزائر**؛ وممثل **باي قسنطينة**، وتتمثل مهمة هذين الوكيلين في الإشراف وتسيير شؤون الجزائر السياسية والاقتصادية في تونس[2]، وفي المقابل لم يكن لهذه الأخيرة ممثلون عنها في الجزائر؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى نظرة أوجاق الجزائر لولاية تونس نظرة تبعية؛ كما وصفها **حمدان خوجة**[3]، ويبدو أن التمثيل الديبلوماسي التونسي بالجزائر كان حاضرا عكس ما ذهب إليه بعض الدارسين؛ وأنه اقتصر على خيار الحفاظ على المصالح مع وجود ممثلين في المدن ذات الأهمية الاقتصادية والسياسية القريبة من المناطق الحدودية، وهذا سعيا لاحتواء قيادات وساكنة هذه المناطق وجعلها في تبعية للمخزن التونسي، فقد أشار **ابن الخوجة** إلى وجود **وكيل تونسي** في **قسنطينة** و**عنابة** على غرار **يوسف الليقرو** عامل الأعراض وأمير الأمراء فيما بعد[4]. مارس بعض الوكلاء المستقرين بتونس أنشطة اقتصادية؛ حققت لهم ثروات هامة، فقد قام بعض الوكلاء كوكيل باي قسنطينة في تونس؛ بأعمال تجارية من ذلك بيع أبقار الباي، فقد جاء في إحدى الدفاتر الجبائية ذكر مدفوع **للحاج محمد الصفاقسي الوكيل** في حق البقر الذي أتى به من قسنطينة وباعه في تونس[5]، بالإضافة إلى الإعفاء لسلع الوكلاء الخاصة من دفع رسوم نقلها على متن السفن الجزائرية، وحصول الوكيل على نسبة عادة ما تكون 10% من عوائد بيع البضائع والسلع الجزائرية كالغنائم التي يغتنمها البحارة الجزائريون في طريقهم [6]، ونظير الحظوة التي نالها الوكلاء عند البايات التونسيين، فقد شملت إحسانات حكام تونس مرافقيهم كما هو الحال مع وكيل باي قسنطينة محمد الصفاقسي القسنطيني الذي حظي عند حلوله بتونس مع إحدى عشر نفرا قدموا عليها بالبقر بإحسان، حيث كان نصيب أحدهم 20 ريالا والباقي حصل على 10 ريالات، وكان هذا في 10 صفر من عام 1171هـ/ 1757م[7]، ويتكرر الأمر في كل مرة مع قدوم الوكيل المذكور والمصاحبين له، حيث حظي 11 نفرا –جاءوا معه بالبقر مع **الحاج محمد الصفاقسي**–بإحسان قيمته 120 ريالا، وهذا في محرم من عام 1173هـ/ 1759م[8]. وكان **لصالح باي** قسنطينة(1771-1792) وكيل اسمه **الحاج محمد فريكح**؛ـالذي كان قبل ذلك وكيلا للباي **أحمد القلي** (1756-1771م)[9]؛ حيث تردد اسمه كثيرا في السجلات والوثائق والدفاتر الإدارية والجبائية؛ وقد لعب

---

[1]– عبد الجليل التميمي: **موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر**، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق، تونس، 1983، ص 28.

[2]– السايح فيلالي: **المرجع السابق**، ص 52.

[3]– أحميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونسأواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 61.

[4]– محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 142.

[5]– **أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 94**، ص 23.

[6]– سيد أحمد بن نعماني: **المرجع السابق**، ص 206.

[7]– **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 178.

[8]– **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 08.

[9]– محمد الطاهر بن أحمد النقاد: **ذكر طرف ولاية السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة، مخطوط** رقم 00263، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية، ص 19.

دورا تجاريا بارزا من خلال بيع الأبقار المرسلة من الباي في تونس، ففي أواسط محرم من عام 1172هـ/ 1758م تلقى مقبوض عن 1466 بقرة جلبها من قسنطينة[1]، ولم يقتصر الأمر على بيع الأبقار بل حتى الأصواف الجزائرية كانت تباع بالحاضرة التونسية، فقد تلقى **فريكح** و**بوبعاية** السيار للجزائر وقسنطينة في 11 شوال 1177هـ/1763م ما قيمته 12000 محبوب حق صوف باشا الجزائر؛ و9361 محبوب لباي قسنطينة[2]، كما قام وكلاء الجزائر بأدوار هامة؛ تجلت في مساعيهم لرد المظالم واستيفاء الديون لأصحابها، فقد كاتب **الحاج أحمد باي** السيد **حسين باشا باي تونس** من جديد في ذي القعدة 1240هـ/ 1824م بمكتوب يتضمن وجود دين لقبيلة **الحراكتة** الجزائرية في ذمة قبيلة الجوبان التونسية، وأسندت مهمة تسوية مسألة ذلك الدين إلى **الحاج عمار** وكيل الجزائر بتونس؛ بمساعدة من الباي التونسي على تمكين الوكيل من خلاص المبلغ المتبقى[3]، بالإضافة إلى بعض المسائل السياسية والقضايا الديبلوماسية والشؤون العسكرية المتعلقة بالجند، فقد راسل **الحاج إبراهيم** وكيل للجزائر بتونس؛ **حسين باشا** داي الجزائر بتاريخ 11 جمادى الأولى 1245هـ/07 نوفمبر 1829م يخبره بوصول عدد من المجندين من أزمير إلى تونس[4].

وتظهر لنا المكانة التي نالها الوكلاء الجزائريون بالحاضرة التونسية من خلال قيمة الثروات والممتلكات والعقارات التي امتلكوها، إذ يشير صاحب **أبو القاسم الزياني** إلى بيت وكيل الجزائر بتونس الذي كان على معرفة سابقة به؛ **الحاج علي الجزايري** عام 1785م، إذ يقول أنه أصبح خليفة باشا الجزائر بتونس، وأدرك منصبا عظيما ومالا كثيرا وعقارا في أقرب مدة؛ وأنه عند حلوله بالحاضرة التونسية؛ أكرم وفادته عندما حل نزيلا عنده، فحضر سفرته للغذاء، وأمر خدامه بتجهيز دار لضيافته[5]، ومن هؤلاء الوكلاء الذين ورد ذكرهم في الوثائق نذكر **الحاج إسماعيل** وكيل الجزائر وقسنطينة بتونس الذي خصصت له مؤونة كما هو الحال بالنسبة للوكلاء الذين قبله؛ كما هو مؤرخ في صفر 1215هـ/04 أوت 1800م (تشمل: لحم، سمن، روز، عسل، زبيب، زيت، قهوة)، وقد تم توقيف هذه المؤونة للوكيل المذكور في رجب 1216هـ/نوفمبر 1801م، ليعوض بعدها **بالحاج مالك الوكيل** في شعبان 1216هـ/ جانفي 1802م[6]. وتتضح منزلة هؤلاء الوكلاء أكثر مع طلبات بعض البايات الموجهة لهم من أجل الاستدانة والحصول على قروض لشخصهم، فقد وجه **عثمان بن محمد** باي قسنطينة تذكرة مؤرخة عام 1218هـ/ 1803م إلى **الحاج مالك** الوكيل بتونس؛ ليستلف له على يده 10 آلاف ريال دورو[7]، كما خص أبناء الوكلاء بإحسانات كما هو الحال مع **الحاج سليمان بن الحاج محمد الصفاقسي وكيل باي قسنطينة** الذي حظي بإحسان قيمته 10 ريال في جمادى الأولى 1171هـ/ 1757م[8].

---

[1]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2984.**

[2]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 129، ص 114.**

[3]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:63.**

[4]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 150.

[5]- أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 164-165.

[6]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016، ص 386.

[7]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 11.**

[8]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 78.

ويبدو أن هؤلاء الوكلاء قد نالوا إلى جانب الحظوة والامتيازات التي تمتعوا بها توارث المنصب، كما هو الحال مع **الحاج محمد بن علي رايس** وكيل الجزائر بتونس الذي خلف والده- سبق وأن أشرنا أن والده **الحاج علي** استضاف صاحب الترجمانة-، فقد ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية؛ أنه حظي بعوايد مخصصة عبارة عن مؤونة شهرية عن غير دفع؛ تتمثل في كميات من المواد الغذائية (قفيز غير ربع قمح، قلة غير ربع سمن، مطر غير ربع زيت) كما هو مدون في شهر صفر الخير 1206هـ/ 1791م [1]، والظاهر أن الوظائف الممارسة والثروات المحققة؛ من العوامل التي أهلت هؤلاء لتقلد هذا المنصب الديبلوماسي الخطير؛ كما هو الشأن مع **محمود بن الحاج محمد أمين السكة** الذي كان تاجرا بسوق السلسلة بتونس؛ ففي مكتوب مؤرخ في أواسط جمادى الثانية 1239هـ/ 15 فيفري 1824م من الدولاتلي **حسين باشا** الجزائر إلى **سيدي محمود باشا** يعلمه أنه انتخب نفرا يسمى **محمود الحنفي الجزيري** بن المرحوم الحاج **محمد أمين السكة** التاجر بسوق السلسلة بتونس (القاطن بتونس) وكيلا لدولة الجزائر على العادة[2]؛ والذي عزل ثم أعيد تعيينه تعيينه من جديد وكيلا للجزائر في تونس في جمادى الأولى **1242هـ/ 1826م**؛ كما هو مدون في مكتوب من **يحيى آغا** الجزائر إلى السيد **حسن خوجة باش مملوك** تونس مؤرخ في أواسط جمادى الأولى **1242هـ** يعلمه فيه بقدوم السيد **محمود الوكيل** بأمر من الداي حسين باشا الجزائر الذي سرحه ووجهه إلى المحروسة تونس [3]، لذلك نجد أن أغلب هؤلاء الوكلاء ينحدرون من طبقة الأعيان سواء من حيث أصولهم أو وظائف أسلافهم أو ثرواتهم، فمعظم الوكلاء ينتمون لعائلات لها تقاليد في ممارسة النشاط التجاري، من ذلك **محمود بن أمين السكة** الذي كان جده من كبار تجار الجزائر، وتقلد لسنوات وظيفة أمين السكة بدار السلطان[4]. والظاهر أن بعض وكلاء الجزائر بالإيالة التونسية صرفوا عنايتهم إلى نيل الامتيازات والحصول على أكبر قدر الثروة والجاه ونيل الحظوة بدل الاهتمام بالشؤون التي تقتضيها الوظيفة الموكلة إليهم، بل الظاهر أنهم عمدوا إلى تحويل مقدرات البايلك لحسابهم الخاص، فقد جاء في رسالة من الداي **مصطفى** إلى المجلس التنفيذي للجمهورية الفرنسية بتاريخ جوان 1798م أن المسمى **الملا محمد** حمل القمح إلى فرنسا وباعه، وأن هذه أثمان القمح وصلت إلى المرحوم **الحاج علي** القائم بأعمال الجزائر في تونس، والتي كان من المقرر أن ترسل إلى الخزينة العامة للجزائر؛ إلا هذه الأموال لم تدفع[5]، وجاء في رسالة من **حسين باشا داي** الجزائر إلى الباي التونسي **حسين باشا** مؤرخة في أواسط ذي القعدة 1243هـ/ماي 1828م بشأن مؤونة تسلمها وكيله (الجزائر) بتونس؛ الذي أخبر الداي أنه تسلم نصف المؤونة.. ولم يصدقه الداي فكاتب الباي التونسي للتأكد من الأمر؛ نافيا تورط الأمراء والبايات في هذا الفعل[6]. والظاهر أن المساعي الحثيثة لدى الداي؛ والتنافس للظفر بهذا المنصب الديبوماسي جعل فترة بعض الوكلاء المعينين تكون وجيزة؛ كما هو الحال مع الوكيل **الحاج عمار**؛ فقد ورد في رسالة من **الحاج أحمد باي** إلى الداي

---

[1]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 1046**، ص 10.

[2]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة 223، ملف 384. الوثيقة رقم: 37.**

[3]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة 223، ملف 384. الوثيقة رقم: 51.**

[4]– سيد أحمد بن نعماني: **المرجع السابق**، ص 206.

[5]-Eugéne Plantet: **correspondances des Deys D'Alger avec la cour de France**, T2, Editions Bouslama, Tunis, 1981, P 478.

[6]– **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 58.**

حسين باشا 29 صفر 1244هـ (09 سبتمبر 1828م) تعيين الحاج عمار وكيلا للجزائر في تونس[1]، ويبدو أن الوكيل المشار إليه لم يعمر في منصبه طويلا؛ إذ سرعان ما تم تعويضه **بالحاج إبراهيم** كوكيل للجزائر بتونس عام 1829م[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن التنافس على المنصب والسعي للعودة إليه والظفر به كان واردا بين هؤلاء المندوبين؛ كما هو الحال مع الوكيل السابق للجزائر بتونس **الحاج عمار** الذي سرعان تمت إعادة تعيينه من جديد كممثل لداي الجزائر، ويتضح ذلك جليا من خلال رسالة وجهها **الحاج أحمد باي إلى حسين باشا داي الجزائر 21 ذي القعدة 1245هـ (13 ماي 1830م)؛ يعلمه فيها** بوصول رسائل من وكيل الجزائر في تونس**الحاج عمار** إلى **حسين باشا،** وكانت واحدة منها من باي تونس." **أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم.... سيدنا حسين الدولاتلي...فالذي أعرفكم به هو خير إن شاء الله أنه وردت علينا مكاتب وقت تاريخ هذا الكتاب بعثها خديمكم ووكيلكم بتونس الحاج عمار ودكر أن منها مكتوب من عند باي تونس...وأما عدد المكاتب المذكورة الواصلة لسيادتكم من عند الوكيل خمسة مكاتب...من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله وقت المغرب يوم الجمعة 21 ذو القعدة سنة 1245هـ"**[3]. والملاحظ أن بعض الوكلاء نظير ديمومة المنافع واستمرارية الحفاظ على المكسب وضمان بقاء الحظوة والمنزلة؛ تناسوا وظيفتهم وتقربوا من ذوي الشأن والسلطان وباحوا بأسرار أوطانهم؛ كما هو الحال مع وكيل الجزائر **الحاج محمد البرادعي** الذي استماله **حمودة باشا** إلى أن صار نصيرا لتونس لا يخفي شيئا عن الباي من مراسلات وتعليمات داي الجزائر لسنين طويلة[4]، ووصل به الأمر أن تواطأ مع أعوان وحاشية الباي التونسي **حمودة باشا** في استقدام **حسن باي بن اسماعيل بن يونس** من الجزائر إلى تونس؛ الذي أمر حمودة باشا بقتله في 20 سبتمبر 1799م، ولما تأكد تورطه ... أمره داي الجزائر بالقدوم إليه؛ فأيقن بالهلاك وامتنع من التوجه إلى الجزائر، ولاذ بمقام الولي **سيدي أبي سعيد الباجي** ... فبعث إليه الباي التونسي من اغتاله في مهجعه أو مهربه وأشاع أنه مات فجأة[5]، ولربما هذا ما دفع **حمودة باشا الحسيني** إلى وضع **جواسيس**على **رسل أو وكلاء الجزائر** فأحيا **فرقة المرناقية** لهذا الغرض، وهو ما يشير إليه الباجي في **الخلاصة النقية** بقوله:" ...**وأعلن بما كان يخفيه من حرب الجزائريين لما عيل صبره في مداراتهم وأحيا سانية المرناقية للتطلع على أحوال رسلهم واستكشاف سائر جواسيسهم**"[6]. ويبدو أن المكانة التي نالها وكلاء الداي جعلتهم يتصرفون بنوع من العنجهية والكبرياء والتعالي على الباي التونسي ووزرائه بحكم تبعية الأخير لداي الجزائر الذي كانت له اليد الطولى عليه، إذ يشير **ابن العطار** إلى أن باي قسنطينة الذي كان له وكيل بالحاضرة التونسية؛ كان يبعث أناسا من أهل مخزنه إلى تونس يغلظون على رعية تونس ويظلمونهم[7]، وهو ما يؤكده **خوجة** الذي يذكر أن وكيل الجزائر أو القائم بأعمالها، ووكيل قسنطينة كانوا يقومون

---

[1]- **الوثيقة رقم: 59، المجموعة رقم: 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[2]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 150.

[3]- **الوثيقة رقم: 01، المجموعة رقم: 1642، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[4]- رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، المرجع السابق**، ص 414.

[5]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 34.

[6]- الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تق وتح وتع محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2012، ص 261.

[7]- الحاج أحمد بن العطار: **المصدر السابق**، ص 115.

بتجاوزات دون أن يعاقبوا عليها أبدا.... إذ يقول:" **وفي سنة 1801م كنت عائدا من القسنطينية صحبة خالي، فأرسينا بتونس وأقمنا فيها أسبوعا، وقد قام باي تونس المسمى يوسف خوجة وهو رجل فاضل بدعوتنا إلى بيته، وأثناء الحديث اشتكى بشدة من التجاوزات التي يقوم بها في تونس وكيل الجزائر ووكيل قسنطينة والرجال المحيطين بهما ولاحظ بأنه يخشى أن تؤدي تلك التجاوزات وتهاون حكومة الجزائر وقلة مراعاتها لتونس إلى ثورة تشتعل حتما بسبب الخلاف الذي كان قائما بين الحكومتين**"[1]. ولا شك أن هذا الدور الذي لعبه وكلاء الجزائر بالإيالة التونسية كممثلين ديبوماسيين؛ كان له الأثر الايجابي في زيادة دينامية الحراك الاجتماعي؛ وهذا ما سنلحظه في الفصول اللاحقة من خلال ما قدموه من تسهيلات لقضاء المآرب، وحلحلة بعض القضايا التي تخص الرعايا الجزائريين بالبلاد التونسية.

ثالثا–تنقلات الجند ودورها في تكثيف الحراك بين الإيالتين:

إن حراك الإنكشارية كان نتاج عوامل سياسية بحتة؛ في ظل التمردات وما أعقبها من قمع وقسوة إلى جانب فقدان الكثير من الامتيازات وأحيانا تأخر تقاضي الجند للمرتبات، فقد أدت الفتن والحروب بين حكام الإيالتين الجزائرية التونسية إلى مواجهات وصدامات متكررة؛ ترتبت عنها انعكاسات ذات بعد اجتماعي عسكري تجلت بوضوح في فرار وانضواء فرق من الجند المنهزم وانتقالها إلى معسكر الطرف الغالب، ويبدو أن العادة تكررت لمرات ومن الجانبين؛ فقد ورد لتونس شرذمة– كما يقول **صاحب الحلل**– من المشردين من الجزائر، ونزلوا بدفتر العسكر التونسي، ومنهم من كان له في الجزائر وجاهة، وهم الذين ألحوا على **الحاج علي لاز** وأقنعوه بضرورة خلع الداي **محمد منشتالي**، ولم يزالوا معه حتى أقاموه؛و كانت ولايته يوم الثلاثاء 17 ذي القعدة 1083هـ/6 مارس 1673م[2]، وفي حملة **مراد الثالث بن علي باي** على قسنطينة عام 1112هـ/1700م والتي انتهت بهزيمة القوات التونسية في أعقاب حصار المدينة في معركة **جوامع العلمة** اكتوبر 1700م حيث هزم مراد باي، وترك جنوده وأمواله وجميع آلاته، ورجع إلى تونس فلم يصل إليها إلا مع 50 فارسا لا غير؛ أما جنده فقد وقع فيهم السيف عدا الأتراك من جند **مراد باي** الذين تم تجميعهم وتكليفهم بجر المدافع التي أتى بها مراد باي، وكان عددها 25 مدفعا فجروها على أكتافهم حتى بلغوا قسنطينة، ثم سرحوهم فمنهم من رجع إلى تونس، ومنهم من ذهب مع عسكر الجزائر ودخل في جملته[3]؛ حيث وجدوا حسن المعاملة من أهالي مدينة الجزائر؛ ومن آثر منهم العودة أرسلوه في مركب وأرجعوه إلى بلاده[4]، ويشير في هذا السياق **الوزير السراج** إلى عودة عناصر من الجند التونسي إلى وطنهم لاحقا؛ بعد أن خمد أوار الفتنة في أعقاب هزيمة موقعة جوامع العلماء[5].

ولما انهزم **إبراهيم الشريف** أما محلة الجزائريين التي يقودها الداي **عشي مصطفى** (1700–1705م) بالقرب من الكاف ووقوعه في الأسر في 13 جويلية 1705م ...وزحف الأخير على الحاضرة التونسية التي فرض عليها حصارا...

---

[1]– حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 164–165.

[2]– الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج 2، ص ص 440–441.

[3]– الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص ص 110، 111.

[4]– أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 125.

[5]– الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 649–650.

ولما اشتد القتال، ومالت كفة النصر للتونسيين...تخلى عنه بعض من جنده والتحقوا بالصف الحسيني أواخر سبتمبر 1705م، وفي هذا يقول صاحب الحلل:"...**حتى رأوا ما أيسوا به الاصطبار، وظنا أنه أحيط بهم فلا مخلص ولا فرار، وهرب منهم لتونس نبذة...**"[1]، وقد انتهى هذا الحصار بالفشل؛ حيث دارت الدائرة على الداي الذي اضطر إلى الانسحاب والفرار أوائل اكتوبر 1705م، وبفشل ثورة جند الترك على علي باشا عام 1156هـ/ ماي- جوان 1743م، تفرق جمعهم وهناك من آثر الفرار على غرار **علي بهلوان** الذي فر فيمن كان معه ونجوا إلى **قسنطينة**[2].

كما أظهر عسكر **نوبة الكاف**؛ ولائهم **ليونس بن علي باشا** الذي تمرد على والده؛ حيث هربت جماعة منهم وقصدت الجزائر؛ دون إغفال من نفاه **محمد باي بن علي باشا** من عسكر تونس الكثيرة، والتي انتقلت إلى مدينة الجزائر وصارت تترقب الرجوع،كما أن عناصر من الجند التونسي الفار التي حطت الركب في الإسكندرية أو أزمير كثيرهم مات؛ والذي لم يمت **سافر إلى الجزائر**[3]، وعلى عهد الباي التونسي **حسين باي الثاني** (1824-1835م) تمرد أحد حوانب الترك المسمى **علي بن مصطفى** في أواخر ربيع الثاني 1240هـ/ 21 ديسمبر 1824م حيث ادعى أنه من ذرية **الباشا علي بن محمد**، ففر إلى جبل باجة والتف عليه أوغاد الجبل وشنوا الغارات واستاقوا الأنعام وقتلوا من دافع عن ماله، فجهز الباي **أبي النخبة مصطفى** محلة بعسكر زواوة وكاتب سائر المزارقية بالعروش وقصدوا جهة الجبل؛ فأخمد فتنته وأغرم أهل الجبل، أما المتمرد فشرده؛ ومات بالجزائر طريدا[4]. ويبدو أن علاقات المصاهرة السياسية؛ كانت إحدى عوامل حراك الجند سعيا للحفاظ على العرش؛ كما هو الحال مع بايات التونسيون وحكام إمارة كوكو بزواوة؛ فسيعمد لاحقا المسمى **حند أو سي أحمد بن عمر القاضي بن ختوش** والمكنى أيضا **بأحمد التونسي**- الذي اغتيل والده **عمر** الرابع في سلالة الملوك بكوكو عام 1618- بعد يشب عند أخواله في تونس إلى السعي إلى استعادة ملك أبيه السليب؛ وهذا بعد الحصول على الدعم المالي والعسكري، إذ دعمه أخواله بفرقة عسكرية عن طريقها استعاد **أحمد التونسي** ملك أبيه السليب عام 1632-1633م، ولما استقر به المقام خير أتباعه من الجند بين البقاء معه في المملكة وبين العودة إلى موطنهم الأصلي فآثروا البقاء إلى جواره، فقد كان الانتصار المؤزر بفضل دعم قبيلة المهلهل التوانسة، ومن جند أخواله، حتى أن كلمة **بوبهير المخلدة** هي اسم **لعريف** العساكر التونسيين من قبيلة المهلهل الدفين بها[5]، لذلك كانت زواوة على مر الفترات وتعاقب الحقب مركز استقطاب وجذب بمفهوم التحرك السكاني، وفق جدلية الأحداث تحديا واستجابة، وهذا ما حدث في إطار ما يمكن نعته تجاوزا إعادة قولبة البنيات السكانية بالطاقات الجديدة المكتسبة[6].

إن ضياع الامتيازات وفرص الحصول على الثروة أمام تراجع دور البحرية وتناقص مداخيل الضرائب؛ أدت إلى زيادة معاناة الأفراد الإنكشارية لدرجة أن الجندي أصبح لا يملك " عشرة أسبير" لتناول فنجان قهوة، فإنه أصبح يتحين أي

---

[1]- الوزير السراج: **المصدر نفسه**، مج3، ص 32.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 127-128.

[3]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 170.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 154.

[5]- أحمد ساحي: **الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512-1767م**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2015، ص 65.

[6]- أحمد ساحي: **المرجع نفسه**، ص 37.

فرصة تمكنه من الهروب، حيث كانت تونس الوجهة المفضلة للاستقرار[1]، فقد فر فريق من الجند الجزائريين قدر عددهم بـ: 200 إلى 300 نفر كانوا مكلفين بتحصيل الضرائب في داخل البلاد إلى تونس، فلما تجمع لديهم مبلغ كبير قدر بنحو 10000 جنيه قتلوا رئيسهم، واتجهوا إلى البلاد التونسية في مارس 1752م، وهو ما أثار استياء الداي من **علي باشا** الذي أعطاهم حق اللجوء[2]، ويتجدد الأمر في فترات لاحقة؛ إذ يتحدث **الورثيلاني** في رحلته الحجازية عام 1179هـ/1766م عن طائفة من الترك الهاربين من الجزائر ؛ قدم بهم شيخ الخنقة ليلا ليذهبوا مع ركب الحجيج [3]، ولما أخفقت الحملة التونسية بقيادة **سليمان كاهية** على قسنطينة عام 1807م؛ على عهد **حسين باي بن صالح باي** (1806-1807)، وأقدم نحو 500 إلى 600 تونسي إلى إلقاء السلاح قبل أن يتم إدماجهم في الجيش الجزائري[4].

كما أدى تغير الوضع بالمنطقة وزوال المغريات المادية والسلطوية التي كانت تحفز الشباب على المغامرة والهجرة للعمل بالجزائر؛ إلى توقف الإقبال على التطوع للجهاد بالجزائر، بل وصل الأمر إلى فرار العديد من المجندين من الجزائر إلى مواطنهم الأصلية أو إلى الإيالات الشرقية؛ عبر إيالتي تونس وطرابلس، وكثيرا ما استقر هؤلاء بتونس لما كانت تشهده هذه الإيالة من استتباب الأمن، وهو ما سبب توترا خطيرا ومشاكل ديبلوماسية بين الإيالات الثلاث، وخاصة بين الجزائر وتونس، إذ كثيرا ما طالبت حكومة الجزائر الحكومة التونسية بعدم مساعدة الجند الهاربين بمنعهم من المرور عبر أرضيها وتسليم الفارين منهم، وهو موضوع العديد من الرسائل التي أرسلها الداي **حسين إلى** باي **تونس**[5]، ففي سنة 1242هـ/ 1826م ظهر الخلاف من جديد بين تونس والجزائر دون أي مبرر، فقد لجأ بعض عساكر الأوجاق إلى تونس؛ فطالب الداي حسين بإعادتهم، إلا أن باي تونس رفض تسليمهم؛ فعرض الأمر على استانبول، فأمرت استانبول أمير تونس بإعادتهم للجزائر، ورغم ذلك رفض حكام تونس أوامر استانبول، فاضطر السلطان للتأكيد على ذلك[6]، حيث تدخل السلطان **محمود الثاني** بنفسه بإرسال فرمان إلى الباي التونسي **محمود باشا(1814-1824)** في أوائل جمادى الثانية عام **1240هـ/ 1824م** يطلب فيه عدم السماح للجنود الفارين من الجزائر بالإقامة في تونس أو المرور عبر أراضيها إلى الأناضول، وضرورة القبض عليهم وتسليمهم لوكيل الجزائر ليعيدهم إلى الإيالة، وهذه مقتطفات مما جاء فيه:" **أمير الأمراء الكرام...باي تونس محمود باشا زاده دامت معاليه التوقيع الرفيع من الباب العالي... متضمن فرار نفرات أوجاق الجزاير لتونس وصدور القبول والوجق بمحال سايرة صدور الاذن بالمرور...فلذلك نشا الأمر الشريف فيما بعد اوجاق جزاير الغرب ظهور فرار النفرات ففي الحين التصاحب والقبول من أداء الرخصة للمرور سواء كان لحضرتكم أو لديار آخرين ممنوع وعلى أي حالة تسليمهم ليد وكيلهم...اعادتهم لمحلهم بمزيد اقدام**

---

[1]- محمد بوشنافي: **الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر(1700-1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2001-2002، ص 206.

[2]- عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م**، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2017، ص 145.

[3]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 236.

[4]-Eugéne Vayssettes**: Histoire de Constantine sous la domination Turque,** Op.cit, P 172.

[5]- جميلة معاشي: "**الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير**"، أعمال الملتقى: **سوسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر** ماي 2008م، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 84.

[6]- عزيز سامح الترّ: **المرجع السابق**، ص 624.

واهتمام بهذا نطق فرمانم...ولا يصدر إلا تسليم الفار ليد الوكيل وربطه ...صدور هذا الفرمان واجب الاتباع ولازم الامتثال مضمون اطاعته...في اوايل شهر جمادى الاخر سنة اثنين واربعين ومايتين وألف"[1].

ويبدو أن ظاهرة فرار الجند لم توقف؛ حيث تكررت من جديد وهذا ما نلمسه؛ من مكتوب من **حسين باشا** الجزائر إلى **سيدي حسين** باشا مؤرخ في 23 جمادى الثانية 1243هـ/ 1827م بشأن الجنود الفارين إلى **رومة** عبر الأراضي التونسية دون أن تحرك السلطات القائمة ساكنا. "...**وأن البعض من العسكر هرب إلى تونس وأرسل أكثرهم جهارا إلى جانب رومة ...وهذه الكيفية ينشأ عنها خلل في نظام الوجق...لأن مرور الفارين إلى رومة جهارا من غير أن تتعرض لهم دولة تونس أظهر بين الناس أخبارا ذميمة وقد صدر فرمان من الدولة العثمانية مخاطبا به سيدي حسين باشا ونسخة أمر خاص من الصدر الأعظم وناظر البحرية في منع مرور هؤلاء الفارين وإلقاء القبض عليهم عند مرورهم ووصولهم إلى عمالة تونس ويسلموا إلى وكلاء الجزاير ليرجعوهم إلى الجزاير وأنه بلغه الفرمان المذكور والأوامر الخاصة المذكورة وأنه أرسل جميعها مع الحاج العربي أغة العرب ومعه أنفار إلى سيدي حسين ويطلب الجواب عنها في أقرب وقت ..**"[2].

استجاب الباي تونس أمام الضغط والتهديد إلى الامتثال لأمر الباب العالي بعدم السماح للجنود الفارين من الجزائر بالبقاء في تونس أو المرور إلى الأناضول والروميلي، والقبض عليهم وتسليمهم إلى وكيل الجزائر ليعيدهم إلى الإيالة، وقد تعهدت السلطات التونسية بالعمل بما جاء في الفرمان، وهو ما عبرت عنه رسالة حسين باي تونس إلى حسين داي الجزائر في 19 رجب 1243هـ/ 04 فيفري 1828م. "... **حضرتك رئيس دولة أوجاق الجزاير أحد الدولة العلية أبدية الدوام ... وفيما بعد من شان الفرار الصادر من يلداش الجزاير لطرق تونس وطرابلس عدم الاذن بمرورهم لرومه على مقتضى ارادة قاطعة البادشاه... تنفيذ فرمان جهاته مطاع مفروضة بذمتنا... بمقتضى منطوق الفرمان العالي وفيما بعد الآن فرار اليلداش لار ليس بمقبول وارد واعادتهم جد وسعي مبذول على منوال امنيتكم ومن طرف سيادتكم أيضا مباشرين القرار ولطرفنا موجود وكيلكم ابننا تسليما ليده وارجع على مقتضى جواب الأمر العالي بهذه الدفعة المبعوث صوب سيادتكم القرر بعثه التماسا خاصا لتفقد طبعكم الشريف ..التحرير المشتمل المكارم ان شاء الله تعالى لدى أسعد الوصول فيما بعد ..وعن طبعكم ومروتكم في 19 رجب 1243هـ حسين باشا باي ...محروسة تونس دار الجهاد.**"[3]، والظاهر أن العلاقات القديمة القائمة سرعان ما تحسنت بين أوجاقات الغرب وتعززت في إطار الوحدة الإسلامية؛ مع إعادة الفارين من الجزائر إلى تونس إلى بلادهم في أعقاب رسائل الباب العالي **محمود الثاني** مع الباي التونسي **حسين الثاني** (1824-1835)[4].

---

[1]- **رسالة رقم 190، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[2]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284**، الوثيقة رقم: 56.

[3]- **رسالة رقم 246، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[4]- مصطفى بوداق وآخرون: **الجزائر في الوثائق العثمانية**، تر: فاضل بيات، يشار محمد الصالح الشريف، تصميم وتنسيق وطباعة سيستام أوفسات، أنقرة، 2011، ص 154-155.

وإذا كان الجنود يضطرون إلى الفرار والعودة إلى أوطانهم أمام المصاعب التي يعيشونها في الإيالة، فإنهم سرعان ما يعودون إلى الجزائر بعد مدة قصيرة من مغادرتها والانخراط من جديد في صفوف الجندية وهي ظاهرة تسترعي الانتباه، كما هو الحال مع المسمى **الحاج محمود** الذي كان يعمل "**باش طوبجي**" في بايلك قسنطينة؛ الذي اضطر لأسباب إلى الهروب نحو **تونس** ثم **بيروت** وبعد مدة أسر ناهزت الأربع سنوات من طرف سفن يونانية؛ آثر في النهاية الأوبة إلى الجزائر[1]. والملاحظ أن ظاهرة الفرار والنفي لم تكن قاصرة على جند الإنكشارية؛ بل كثيرا ما مست **فئة الكراغلة** مع اندلاع الفتن والثورات التي قام بها أبنائها؛ حيث كثيرا ما تعرضوا للاعتقال والتقتيل والتهجير إلى الإيالات المجاورة على غرار **تونس**، فقد تمكن الجند الأتراك من وأد ثورة الكراغلة وتخليص مدينة الجزائر من الفتنة؛ لتعقبها سلسلة اعتقالات يوم 29 ماي 1629م، فكان مصير الكراغلة ومساندیهم من رياس البحر هو الطرد العام من الإيالة، في حين آثر غالبية المطرودين من الكراغلة الانتقال من مدينة الجزائر متخذين الطريق إلى القبائل، ليستقر البعض منهم بصفة نهائية في واد الزيتون[2]، وتعرض البعض منهم للنفي خارج الإيالة إلى **تونس**، ولم يتمكنوا من العودة إلى الجزائر وبالضبط لمنطقة **زواوة** القبائلية إلا سنة 1041هـ/1632م، أي **بعد ثلاث سنوات**[3].

ويبدو أن بعض الكراغلة قد آثر البقاء والاستقرار بالحاضرة التونسية والتخلى بصفة نهائية عن فكرة العودة إلى الجزائر، وهذا ما تظهره بعض الدفاتر الجبائية التي تشير إلى **إحسان الباي التونسي** إلى أحد **كراغلة تلمسان** عام 1197هـ/1782م قيمته 04 ريالات[4]، ولا يستبعد أن يكون الأخير من الكراغلة الذين صدرت في حقهم أحكام القتل أو النفي التي طالت الكثير من أبناء هذه الطائفة؛ فاضطر كغيره إلى الانتقال إلى **تونس**.

إن حراك الجند من الإنكشارية والذي ارتبط في غالب الأحيان بالصدامات العسكرية والأزمات السياسية؛ قد دفع بالعديد من عناصر التشكيلات العسكرية إلى الانتقال صوب البلاد التونسية والتحاق أعداد معتبرة من الجيش التونسي وانخراطها واندماجها في الجيش الجزائري؛ وهذا يعكس لنا صورة من صور الارتباط الاجتماعي والتماثل السياسي في أنظمة الحكم؛ في ظل التبعية للباب العالي، ولذلك فإن هذه التنقلات كانت إحدى المحفزات التي زادت من تنقلات الأفراد وارتحال الجماعات بين الإيالتين سواء أكانت مدنية أو عسكرية. إن التحركات البشرية البينية المتباينة من المدن والأرياف والحواضر على السواء؛ المكتسحة الرقعة المجالية للايالتين في فترات زمنية محددة، كانت ضمن إطار حدثي متكامل؛ حيث تأثرت بمعطيات سياسية وعسكرية– صراعات وتحالفات–وأمنية توازنية – ترحيل جماعي–وبرغماتية وحوافز عقدية مذهبية وبواعث محركة اجتماعية اقتصادية وطبيعية أحيانا بحكم القرب الجغرافي، لذلك أضحت حركة التواصل البشري كواقع مألوف؛ من الثوابت في تاريخ البلدين.

---

[1]– محمد بوشنافي: **الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر(1700–1830)**، المرجع السابق، ص 207–208.

[2]–Pierre Boyer: **Le Problème Kouloughli dans la régence d'Alger, Op. Cit**, P 82, 83.

[3]– ابن المفتي: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، دراسة وتح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009، ص 49، 50.

[4]–أ.و. ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 221، ص27.**

الفصل الثالث: الحضور الجالياتي البيني بالإيالتين

أولا_الجاليات التونسية بالبلاد الجزائرية خلال العهد العثماني.

01-التوزيع الجغرافي للجالية التونسية في الجزائر.

02-جماعة الجرابة انموذج جالية تونسية متميزة بالإيالة الجزائرية.

03-المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات التونسيية بالجزائر.

04-مؤشرات الغنى والثراء لدى بعض أبناء الجالية التونسية بالجزائر.

ثانيا-الجاليات الجزائرية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني.

01-التوزيع الجغرافي للجالية الجزائرية في تونس.

02-الجاليات الأكثر حضورا بالبلاد التونسية.

03-المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات الجزائرية بتونس.

04-مؤشرات الثراء والغنى لدى بعض أبناء الجالية الجزائرية.

إن المتأمل في التاريخ يلحظ قدم ظاهرة الحراك الاجتماعي بين البلدين والتي استقطبت اهتمام العديد من الباحثين والدارسين؛ باعتبارها عملية حيوية وأداة أساسية للتعمير وحركة تواصل بشري وحتمية فرضتها الظروف وتحكمت فيها دواعي كثيرة؛ عكستها في الغالب الحركة الهجروية؛ المتقلبة والمتباينة التي اتخذت صورا متعددة متنوعة؛ تجلت ملامحها بوضوح في الأعداد الكبيرة للجاليات كنتيجة طبيعية لحراك الأفراد وتنقلات القبائل والجماعات في فضاء الإيالتين. وتتبادر إلى أذهاننا في هذا السياق جملة التساؤلات من قبيل: **ما هو واقع الحضور الجالياتي البيني بالإيالتين؟ هل تمكنت هذه الجاليات من تغيير مواقعها الاجتماعية في المناطق المهاجر إليها؟ وهل استطاعت الاندماج الأوساط المجتمعية الجديدة؟**

شكل الحراك البشري وتونس بين الجزائر إحدى ركائز التواصل الاجتماعي، والذي زاد في تعميق أواصر الأخوة والصداقة وحسن الجوار، حيث أسهمت التنقلات البشرية في مد جسور العلاقات الاجتماعية بينهما، والتي تجسمت عمليا في أعداد الجزائريين والتونسيين الذين أضحوا يشكلون جاليات خاصة متميزة بالإيالتين.

أولا–الجاليات التونسية في البلاد الجزائرية خلال العهد العثماني:

01–التوزيع الجغرافي للجاليات التونسية بالبلاد الجزائرية:

لعبت الجاليات دورا هاما في الحفاظ على استمرارية الصلات الاجتماعية وتوثيقها بين البلدين، فقد كانت بحق مرآة عاكسة للحراك الاجتماعي الحثيث للجماعات والأفراد التي استقرت بالمناطق الصحراوية أو الفضاءات القبلية أو التي آثرت سكنى المدن؛ فقد انتقل العديد من التونسيين إلى قسنطينة أو إلى مدينة الجزائر، ومع أننا لم نحصل على أرقام دقيقة لأعداد الجاليات التجارية التونسية بالجزائر؛ كما أن تحديد تاريخ مضبوط لهذه التنقلات والحراك البشري يعد من الصعوبة بمكان نتيجة التواصل والحركية الدؤوبة بين أبناء الشعبين؛ فالملاحظ أن أعداد الجاليات التونسية بالجزائر ضئيلة إذا ما قورنت بأعداد الجاليات التجارية الجزائرية المقيمة بتونس، ويعزى ذلك حسب اعتقادنا إلى قوة ومتانة علاقات تونس مع المشرق الإسلامي؛ زد على ذلك أن علاقات تونس التجارية مع الجزائر برزت بشكل واضح مع بايلك الشرق، فلم تكن مدينة الجزائر البعيدة عن البلاد التونسية مطمحا لكثير من التجار التونسيين.

كثيرا ما يفضل الأفراد الاستقرار في مناطق يجدون فيها نوعا من التلاؤم مع ممارساتهم اليومية من جهة ومع أمنهم الذاتي من جهة أخرى، ومدينة الجزائر عرفت خلال العهد العثماني حالة من الأمن والرخاء الاقتصادي أهلها لأن تكون من بين أهم المدن المغاربية المستقطبة للجاليات من مختلف الجنسيات، وقد كان يطلق على المدينة لفظ"**كوزمو بوليتان**" أي المدينة الدولية بمعنى أنها جمعت في تركيبتها الاجتماعية **أجناسا مختلفة**، وقد أكد سعد الله بأن "**جميع الكتابات تؤكد أن مدينة الجزائر كانت من أشهر المدن أمنا لساكنيها**"[1]، ولنا أن نذكر في هذا السياق **ابن المفتي** الذي قدم وصفا عن أهمية المدينة خلال القرن 11هـ/17م؛ إذ يقول: (...**وكبرت بالجزائر البهجة والمسرات والاجتماعات المفرحة والخيرات، وفاقت كل ما رأيناه حتى تلك الأيام، لدرجة أنها صارت شبيهة ببلاد الشام، ويضاف لها رخاء السلع وجودتها وصار يضرب المثل برخاء البلاد...**)[2]، ويشير **وليم سبنسر** إلى أن هذا التجمع من المواطنين

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، المرجع السابق، ج1، ص 172–173.

[2]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 67.

الذين يقطنون إيالة الجزائر رغم كونهم مجموعة من العرقيات؛ إلا أنهم كانوا منسجمين تحت الحكم العسكري التركي[1] في هذه المدينة.

كانت التركيبة البشرية بالإيالة الجزائرية متنوعة الأعراق؛ عكسها النسيج الاجتماعي الذي تشكلت منه البلاد التي استقطبت أناسا من كل الجهات، ونخص بالذكر دول الجوار على غرار **تونس**؛ التي كانت لها بها جاليات، وقد تباينت أصول هؤلاء الوافدين التونسيين على البلاد الجزائرية؛ حيث ارتبطت انتماءاتهم بأسماء المناطق والجهات التي قدموا منها؛ إذ نجد **التونسي** و**الجربي** و**البنزرتي** و**القفصي**، **الباجي**، **الوسلاتي**، **القيرواني**، **الصفاقسي**، **الدريدي**، **الفراشيشي**، **الهمامي**، **الجريدي**...حيث انتقل العديد من التجار التونسيين إلى الجزائر للاحتراف بالتجارة هناك سواء في قسنطينة أو في مدينة الجزائر؛ كجالية تونسية مقيمة في الإيالة من خلال علاقاتهم بفرقائهم الجزائريين، وكثيرا ما كانوا يكونون شركات خاصة في تجارتهم هناك مع بعضهم البعض، وتذهب الباحثة **عائشة غطاس** استنادا إلى دفاتر المخلفات وإلى ما ورد فيها من ملاحظات سجلها الساهرون على تصفية التركات. ...إلى أن بعض هؤلاء الوافدين لم يكونوا من المقيمين الدائمين **بمدينة الجزائر**، إذ توفي عدد منهم بالفنادق على غرار وفاة تونسي بفندق الشماعين، ويتعلق الأمر بالتجار الذين كانوا يعبرون بميناء الجزائر، بينما جاء البعض الآخر طلبا للعلم مثل الطالب التونسي المتوفى بزاوية بن عبد الله[2].

ومن العائلات التونسية التي وفدت على الجزائر عام 1108هـ /1696م لأسباب سياسية، نذكر أسرة **فرحات بن حسن**؛ الذي قتله **رمضان باي بن مراد بن حمودة باشا** وشرد أسرته، حيث قدموا فارين إلى **خنقة سيدي ناجي** بنسائهم وأبنائهن، ومكثوا بها سنين ذات عدد[3]، ويشير **صاحب الإتحاف** أن رب العائلة المذكور ظاهر **محمد بن شكر** على **محمد باي** بفراره عند القتال بلا سبب[4]، ولم يكن هؤلاء التونسيين من مدينة تونس فقط؛ بل من المدن الأخرى حيث انتقلت **عائلات** من جزيرة **جربة** التونسية وامتهنت النشاط التجاري في مدينة الجزائر بحكم الحركية الاقتصادية التي كانت قائمة بين البلدين[5]؛ إذ نجد عائلة **سعيد قدورة التونسية** التي انتقلت من قدورة القريبة من جربة ووضعت عصا التسيار بالعاصمة، فقد ارتحل سعيد بمعية الوالد **إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي أصلا**؛ الذي عمل خبازا قرب زاوية سيدي الأكحل قرب باب عزون[6] ، في حين أضحى الابن الشيخ **سعيد بن إبراهيم قدورة** مؤسس أسرة علمية تداولت منصب الإفتاء في الجزائر مدة قرن[7]، حيث تقلدت عائلة قدورة وظيفة الإفتاء المالكي من 1616 إلى 1730م من دون انقطاع؛ وبانقطاع إلى غاية 1766م[8]، ذلك أن بعض العائلات التونسية الوافدة مثل الجرابة؛ قد اندمجت وانصهرت في

---

[1]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، 2006، ص 53.

[2]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص 34، 35.

[3]- محمد بن الطيب الخنقي: **مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي**، تق وتع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص ح.

[4]- ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج2، ص 68.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 304.

[6]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 95.

[7]- المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار والمداخيل**، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 330.

[8]-Fatiha Loualich : **La famille à Alger 18e et 19e siècles**, Editions Média-Plus, Constantine, 2017, P 54.

المجتمع المحلي لمدينة الجزائر، وأصبحت تعتبر نفسها من البلدية، وقد نال أفرادها حظوة ومكانة لا مثيل لها مثل أسرة سعيد قدورة[1] المشار إليها، حيث انتشرت **العائلات الجربية** في مختلف أنحاء البلاد الجزائرية[2]، وقد وردت في مصدر انجليزي يعود إلى أواخر القرن 17م أخبارا نادرة عن **الجرابة** المتواجدين بمدينة الجزائر، حيث اعتبرهم عنصر سكاني هام؛ يضم نحو ثلاثمائة (300) عائلة، تقلد بعض أبنائها مهام إدارية كأمانة العساسين بالسوق الكبير عام 1648، ومهمة **المزوار** التي تولاها **حمدان الجربي**، وتصدر بعضهم أمانة **جماعة الجرابة** على غرار **بوعزير بن سليمان**، الذي خلفه **محمد بن شوش** 1703، ثم تولاها **الحاج عبد العزيز** عام 1704، وفي حدود 1751م أصبح **الحاج قاسم بن هندة** على رأسها، وفي فترة لاحقة تولاها **الحاج عمر بن قاسم الجربي** عام 1785[3].

ومن العائلات التونسية التركية الأصل التي كان لها حضور في الجزائر بحكم شهرتها كونها أسرة علمية نجد عائلة **البيارمة** التي انخرط بعض أفرادها في سلك الجندية على عهد سنان باشا، إذ تشير المصادر إلى مخلف تركة للمسمى **القايد بيرم** عن زوجه في أوائل جمادى الثانية عام 1230هـ/ 1814م [4]، وقد ارتبطت عائلة بيرم التونسية ذات الأصول الشريفية- والتي أنجبت **محمد بيرم** الذي كان معاصرا لابن الحفاف- بمصاهرات مع عائلات علمية بالحاضرة الجزائرية، فقد تزوجت سليلة الأشراف **أمينة بنت بيرم** المفتي الحنفي **حسين بن محمد بن العنابي**[5]، ويبدو أن هذه المصاهرة حافظت على الصلات بين العائلتين، وهذا ما يفسر الحظوة التي نالها رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي لما حل بتونس عام 1244هـ/1828م-1245هـ/1829م، ونزل عند أخواله من أسرة **بيرم** التي أكرمت وفادته، حيث أقام معززا مكرما، فقد أحاط به علماء الأسرة وكلهم أشادوا به واستجازوه- على غرار **محمد بيرم الرابع**- ونوهوا بعلمه ومدحوه بالنثر والشعر[6]، والظاهر أن تواجد **آل بيرم** لم يكن قاصرا على مدينة بعينها بل إنهم انتشروا في الحواضر والمدن الجزائرية الكبرى، فقد جاء في إحدى عقود وثائق سجلات المحاكم الشرعية مؤرخ في 11 جمادى الأولى 1202هـ/ 1787م ذكر لعائلة **سي إبراهيم بيرم** بقسنطينة[7]، أما عائلة **أولاد سيدي الشيخ** العريقة بمشيختها الدينية بالجنوب الوهراني؛ فقد حلت بالصحراء الجزائرية قادمة من تونس مع زعيمها الروحي **سيدي الشيخ (1534-1615)** الذي أورثها اسمه؛ مع تأسيس أحد الزوايا المهمة التي لعبت دورها البارز في المنطقة خلال العصر الحديث[8]. كما تكونت جالية تونسية بمدينة **المدية**؛ فقد أكد الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** في دراسة اجتماعية لدفتر محكمة **المدية** أواخر العهد العثماني(1821-1829) من خلال الوثائق؛ عن وجود عدد من البرانية —بمدينة **المدية** عاصمة بايلك التيطري -الذين ينتسبون إلى

---

[1]- نجوى طوبال: **الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية 1122-1246هـ/1710-1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص 465.

[2]- محمد أبو راس الجربي: **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، تح وع: محمد المرزوقي، المطبعة الرسمية، تونس، 1960، ص 155.

[3]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيوزن بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية**، المرجع السابق، ص 44-45.

[4]- **أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال**، العلبة: 03، السجل: 22.

[5]-Fatiha Loualich: **La famille à Alger 18e et 19e siècles, Op. Cit,** P 101.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775-1850**، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 30.

[7]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م، ص 24.**

[8]- إبراهيم مهديد: **"الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن 19م والرأسمالية الاستعمارية-إشكالية الاندماج الاجتماعي"**، مجلة إنسانيات، عدد 04، CRASC، وهران، الجزائر، جانفي-أفريل 1998، ص 81.

بلدانهم الأصلية ومن هؤلاء من كان عالما؛ ومنهم من كان تاجرا، ومن كان صاحب حرفة، ومن هؤلاء نجد تونسيون وفدوا على البلاد من **باجة**....[1]، ومنهم من تقلد مناصب سامية بالمدينة؛ كما هو الحال مع **أحمد الدريدي** قاضي **المدية** وأحوازها – من قبيلة **دريد** التونسية- الذي ورد ذكره في إحدى الوثائق التي ترجع بتاريخها إلى 1169هـ/1751م [2]، ويبدو أن التونسيين كان حضور أيضا في الحياة الاجتماعية بمدينة **البليدة** بحكم الاندماج، فقد جاء ذكر المكرم **علي التونسي النائب** بحكم التوكيل عن **الحاج علي بوسنينة** ...في رسالة من أعضاء المجلس العلمي بالبليدة إلى نائب بيت المال ...في شأن المخاصمة والمحاكمة في قضية الدار المخلفة لمتوفاة...في وثيقة تعود بتاريخها إلى 1268هـ[3]، وهذا دون إغفال الأثر الايجابي لأبناء الجالية التونسية – من **جرابة** و**أندلسيين** وغيرهم- بمدينة عنابة؛ فقد استقر الشيخ **مصطفى قردناش** –شيخ الأندلسيين بتونس قرابة نصف قرن- بعنابة التي خلف بها أحفادا، وقد حاول النهوض بزراعة الزيتون الكثيفة في هذه المدينة لما أدخله من تقنيات زراعية جديدة [4].

ويشير الرحالة الألماني **هاينريش فون مالتسان** أن مجتمع **سوق أهراس** يتكون من أجناس مختلطة؛ من ذلك التونسيون الذين استقروا بالمنطقة[5]، كما استقرت جاليات تونسية أخرى **بالزاب**، فقد أشار الشيخ **أحمد التليلي** –مؤسس الأسرة المرابطية **بفريانة**-في تجواله وسياحته الصحراوية عام 1733م أنه وجد بين سكان بسكرة أحفاد سلفه سيدي تليل[6]. وما يلاحظ أن المقيمين والنازحين إلى إيالة الجزائر من تونس؛ أغلبهم استقروا في المنطقة الشرقية وأن أعدادهم قليلة في مدينة الجزائر مقارنة بمدينة قسنطينة وضواحيها؛ حيث أن الجماعات التي قصدت مدينة الجزائر أغلبها جماعات تجارية، ورغم ذلك فإن هذا الحراك الجالياتي؛ يعكس لنا متانة الروابط الاجتماعية التي كانت قائمة لفترات زمنية طويلة بين تونس وقسنطينة[7]، لذلك عرفت مدينة قسنطينة تنوعا إثنيا ومذهبيا في القرن 16م لم يسبق أن شهدته في أي فترة تاريخية، وقد وصل هذا التنوع ذروته في القرن 19م، أين صبعت الاختلافات العرقية والدينية التركيبة الاجتماعية القسنطينية؛ ما أدى إلى إثراء المجتمع إثنيا، حيث أصبح يتميز بالتعدد الاجتماعي والعرقي والديني[8]، وكانت المدينة بحق قطب توافد جهوي ومركز جذب واستقطاب من مكناس ومراكش؛ مرورا بطرابلس وقفصة وصفاقس دون نسيان القيروان وتونس والكاف[9]،

---

[1]- أبو القاسم سعدالله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج2، ص 295.

[2]- ودان بوغفالة: **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني**، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009، ص 130.

[3]- مصطفى أحمد بن حموش: **فقه العمران في الإسلام من خلال الأرشيف العثماني الجزائري(956هـ/1549-1246هـ/1830)**، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص 235.

[4]- ميكال دي ايبالزا:**"حول ثلاثة أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا"**، تر: عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، العدد 34-35، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1976، ص 117-118.

[5]- هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979. ص 263.

[6]- Sallah Alouani : **Tribus et marabouts …**Op.cit, p 182-183.

[7] - Jacques Berque : **l'Intérieur du Maghreb 15è-19é siècle**, Editions Gallimard, France, 1978, p 135.

[8]- محفوظ رموم: **"الحراك الاجتماعي في مدينة قسنطينة إبان القرن 19م العتق والعتقاء انموذجا"**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 140، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومتات، زغوان، تونس، 2010، ص 17.

[9]- فاطمة الزهراء قشي: **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 21.

وحسب ما ورد في مخطوط **دفتر أوقاف مدينة قسنطينة** (القرن 10-11هـ/16-17م) نجد أن النسيج الاجتماعي في قسنطينة التي كانت متنوع الأعراق، فقد استقطبت المدينة خليطا بشريا من كل المناطق والجهات، فمن تونس نجد التونسي والجربي والبنزرتي والقفصي من ذلك؛ شاهد عدل تونسي اسمه **عبد الله بن علي القفصي**... والمعلم **محمد بن سالم قفة**، كما استوقفنا اسم **الوسلاتي** عند الحديث عن أوقاف الضعفاء (رحبة الصوف) بالمدينة، ووردت أسماء مجموعة من الجرابة؛ **سالم الجربي، عبد الرحمن الجربي، والمعلم سعيد الجربي** في معرض الحديث عن أوقاف المساجد بقسنطينة، وجاء ذكر **أبي الغيث ابن الحاج البنزرتي، والسيد أحمد عمر التونسي** في الأوقاف المخصصة للجامعين الأعظمين، وما يعكس لنا الحضور التونسي ورود احدى المؤسسات الدينية باسمهم؛ وهي زاوية القفصي[1]، حيث وردت بالسجلات الشرعية للدولة في قسنطينة أسماء بعض السكان الذين تزوجوا بقسنطينة وينسبون إلى صفاقس وقفصة والكاف في تونس، أو إلى قبائل تونسية لها فروع في تونس مثل **ورغمة** و**الهمامة** و**دريد**، أو إلى مناطق مثل **جبل وسلات**[2]، وقد كانت **عائلة القفصي** بحاضرة بايلك الشرق قسنطينة من العائلات التونسية قليلة العدد (من حيث عدد الأفراد) [3]، ومن **العائلات الباجية** التي استقرت **بقسنطينة** نذكر عائلة **أسطى علي بن محمد الباجي**، هذا الأخير الذي لما أقعده المرض الفراش وأحس بدنو الأجل اعترف أن ما يملكه في بيته من أثاث هو لابنته؛ وأنه لا يملك في ذلك شيء أمام شهيديه، وهذا حسب ما جاء في عقد مؤرخ في الخامس من ربيع الثاني عام 1204هـ/ 1789م[4].

كما كان الوسالتية من العائلات الوافدة من تونس أو المهاجرة والفارة – إلى الجزائر– من الملاحقة السياسية التي عانت منها طوال القرن 18م، وقد بدأت محنتها مع الخلاف بين حسين بن علي وابن أخيه **علي باشا** في العقد الثالث[5]، ذلك أن الوسالتية وقفوا إلى جانب **علي باشا** في ثورته على عمه **حسين بن علي** عام 1728، كما احتضنوا ثورة **اسماعيل بن يونس** في ثورته 1759-1762 ...حيث اضطر الوسالتية إلى مغادرة قراهم بعد أن تم نهب الجبل... بعد أن صدرت التعليمات من الباي إلى المشايخ باجتثاث الوسالتية وعدم ترك وسلاتي واحد في الجبل، وكان هذا صائفة عام 1762م...فأضحى الجبل مهجورا تماما لا يسكنه إلا البوم لوحده[6]، وهذا بعد فرار الثائر **اسماعيل بن يونس** باي عام 1762م نحو الغرب-الجزائر-مع أتباعه منهم الأعيان على غرار **عائلة السهيلي** عقب حصار فرضه **علي باي**(1759-1782) دام ثلاث سنوات؛ والذي انتهى بتهجير عروش الوسالتية وإخلاء جبلهم؛ حيث تعايشت مجموعة منهم مع النمامشة[7]، وكانت عائلات مهاجري جبل وسلات الوافدة من تونس؛ التي حطت الرحال بقسنطينة

---

[1]- مخطوط: **دفتر حبوس الحبوس لمدينة قسنطينة**، رقم المخطوط: 3568، المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة الحفظ والمخطوطات-مصلحة المخطوطات، ص8، 14، 34، 35.

[2]- فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، تونس، 1419هـ-1998، ص 198.

[3]- فاطمة الزهراء قشي: **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م**، المرجع السابق، ص 162.

[4]- أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م**، ص 149.

[5]- فاطمة الزهراء قشي: **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م**، المرجع السابق، ص 136.

[6]- Jean Despois : **Op.cit,** P421.

[7]- عبد الواحد المكني: **شتات أهل وسلات بالبلاد التونسية مقاربة في الأنثروبولوجيا التايخية**، دار سحر للنشر، تونس، فيفري 2020، ص 105.

سنة 1762م؛ من العائلات ذات الكثافة العددية والواضحة الانتماء[1]، ولم يكن حراك الوسالتية قاصرا على بايلك الشرق؛ بل كان لهم حضور بمدينة الجزائر أيضا؛ فقد ورد ذكر **الحاج الطيب الوسلاتي** -المتوفى عام 1788م- أحد أغنياء العاصمة[2]، حيث أضحى الوسالتية من الجاليات التونسية التي كان لها حضور فاعل بمدينة قسنطينة حيث قدرت أعدادهم **بالآلاف**، وقد استطاعت الجالية الوسلاتية أن ترسخ وجودها في المدينة وأن تندمج مع المجتمع وبين الحرفيين بشكل واضح؛ ومما يدل على ذلك وصول الوسالتية إلى مراكز كبيرة بين الحرفيين في قسنطينة [3]، وقد أكدت تلك السجلات بين عامي 1787-1795م؛ أن عدد المقيمين في قسنطينة كان أكثرهم من إيالة تونس مقارنة بالموجودين بها من طرابلس الغرب والمغرب الأقصى، وأن هؤلاء التونسيين أغلبهم قادمون من مدينة تونس نفسها، ومدينة الكاف الحدودية وبعض المدن التونسية مثل القيروان وجندوبة[4].

والملاحظ أن بعض العائلات التونسية كانت إقامتها بالبلاد الجزائرية مؤقتة؛ إذ سرعان ما راودها الحنين وعادت إلى أوطانها؛ كما هو الحال مع بعض أسر جبل وسلات، ويذكر صاحب **الكتاب الباشي** في هذا السياق أن **القائد أحمد السهيلي** الذي صاهره **اسماعيل بن يونس** على ابنته؛ كتب سنة 1185هـ/1771م –بعد أن أعرضت نفسه عن المقام في الجزائر مع أهله، واشتاق للعودة إلى وطنه- إلى **علي باي** (1759-1782) يطلب الأمان والإذن في القدوم والعفو عما جناه، فأجابه إلى ذلك، فقدم بعياله وأولاده وقدم معه جماعة من أهل وسلات الذين هربوا معه، فقوبلوا بالإكرام والتبجيل والإحسان، حيث عينت له التعيينات، وتمت توليته من جنابه على **وسلات** كما كان قبل عصيانه، و جعله من خاصته...ولم يعاتبه فيما صدر منه من قيامه مع ابن يونس[5]، ويبدو أن الحركية البشرية التي عرفتها قسنطينة كانت كبيرة كانت كبيرة في النصف الثاني من القرن 18م وبدايات القرن 19م، وهو ما أثار استياء **الشيخ الحداد الرحموني** الذي عبر عن تذمره من العناصر الوافدة على المدينة؛ إذ يقول:

واش تنظروا فيها هلكت راهي فسدت

ما بقت تسمى بلدة

من كثير العبد اندخلت رغما عمرت

كل جنس جاءها يتهدا

انحشرت برهوط انعدت فيها سكنت

هذا يجي هذا يغدا.

---

[1]- فاطمة الزهراء قشي: **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م**، المرجع السابق، ص 135-136.

[2]- ياسين بودريعة: **الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2016-2017، صص68، 173.

[3]- فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع**، المرجع السابق، ص 405.

[4]- فاطمة قشي: **المرجع نفسه**، ص 119.

[5]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص 339.

مغاربة وشرافة حفلات جائيين ليها بالكثرات[1].

إن الحضور التونسي لم يكن قاصرا على فئة التجار، فقد استقطبت الإيالة الجزائرية أسماء لعلماء تونسيين بارزين وفدوا على البلاد في فترات مبكرة؛ وخاصة منهم من كان على المذهب الحنفي؛ فلم تكن الجزائر بالنسبة إليهم نقطة عبور فقط وإنما تحولت موطنا لطلب العلم والوظائف، فبحكم التشابه النسبي في النظم السياسية بين الولايتين العثمانيتين ورد على الجزائر في العهد العثماني بعض العلماء والقضاة الحنفيين من تونس نذكر منهم على سبيل المثال؛ الشيخ **أحمد بن مصطفى برناز** صاحب **الشهب المخرقة** (ت.1726)، فقد توجه إلى الجزائر وأخذ العلم عن عدة مشايخ في بونة وقسنطينة والجزائر وزواوة، ومن علماء تونس كذلك الذين زاروا الجزائر لطلب العلم وبثه يمكن أن نذكر على سبيل المثال؛ **محمد الشافعي الباجي** و**أحمد الأصرم القيرواني** اللذين استقرا بالجزائر مع أبناء حسين بن علي واحترفا بث العلم وصناعة التوثيق[2]. ومن العلماء التونسيين الذين استقروا بالحاضرة الجزائرية خلال القرن 11هـ/17م؛ الشيخ **محمد زيتون التونسي** الذي تولى قضاء الحنفية؛ وقد أرسله الداي **شعبان خوجة** مع وفد العلماء المكون من المفتيين؛ **محمد بن سعيد** عن المالكية و**حسين بن رجب شاوش** عن الحنفية، والقاضي **محمد بن الحاج** عن المالكية إلى محلة الشرق الثائرين على الداي المذكور في سنة 1106هـ/1695م، لتهدئة الأوضاع[3]، والشيخ **سعيد قدورة** الذي تدرج في الوظائف الرسمية بالجزائر العاصمة؛ فقد اشتغل **إماما** بجامع البلاط و**خطيب** جامع سيدي رمضان، ثم **إمام** و**خطيب** و**مدرس** الجامع الكبير،ثم تقلد وظيفة الإفتاء المالكي منذ سنة 1028هـ حتى وفاته 1066هـ[4]، ومع بداية القرن الموالي وبالضبط على عهد الداي **محمد بكداش**(1707-1710م)؛ **تولى أبو حفص عمر بن محمد التونسي** قضاء العسكر، وقد حاز هذا الرجل مكانة مرموقة بفضل علمه، وصفه ابن ميمون بالحياء والعلم والذكاء[5]، ومارس بعض أبناء الجالية التونسية مهنة **بالتدريس**؛ فقد جاء في مخطوط حبوس قسنطينة؛ ذكر أسماء بعض المعلمين التونسيين بعاصمة بايلك الشرق؛ أمثال: المعلم **محمد بن سالم قفة** في أحد عقود الشراء التي ترجع بتاريخها إلى قعدة الحرام عام 1042هـ/نوفمبر 1615م، و**المعلم سعيد الجربي**، وشاهد عدل تونسي اسمه **عبد الله بن علي القفصي** الذي ورد ذكره في نص يعود إلى تاريخ أواخر الحجة 985هـ/ديسمبر 1551م...[6].

ولم تكن أسباب حراك النخب العلمية نحو الغرب طلبا للوظيف والتجارة فحسب؛ بل غالبا ما كانت تنقلاتهم غربا لدواعي سياسية بحتة نتيجة التضييق والتهجير القسري أو النفي؛ ومن هؤلاء العلماء الذين وفدوا من تونس على البلاد

---

[1]- Cour(A): **«Constantine en 1802 D'après une chanson populaire du poète Cheikh Balkacem El-Rahmouni El-Hadad»** ,**Op.cit**, PP 227-228.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 301.

[3]-MG. Delphin: **«Histoire des pachas d'Alger de 1515-1745»,** journal Asiatique**,** 11e série, vol xix, imprimerie nationale, paris, 1922, p206 .

[4]-ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص97.

[5]- محمد بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص149.

[6]- مخطوط: **دفتر حبوس الحبوس لمدينة قسنطينة**، رقم المخطوط: 3568، المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة الحفظ والمخطوطات-مصلحة المخطوطات، ص 8، 14، 35.

على عهد الداي **الحاج مصطفى لاز** نذكر؛ **الشيخ مصطفى الأندلسي** الذي استصفيت أمواله وهرب إلى وطن الجزائر التي استقر بها إلى أن أدركته المنية، لأن الباي **حمودة باشا المرادي** (1631-1666) كان حاقدا عليه لأمور بدت منه[1]، ويشير **الحيلاتي**(ت.1099هـ/1688-1689م) في رسائله إلى أحد الأولياء من أصحاب الكرامات التونسيين من قاطني جزيرة جربة الذي تعرض إلى محنة بمعية أسرته، حيث امتحن وانتهى به المطاف إلى السجن، وبعد فترة دامت قرابة الشهرين تم افتداؤه وبخروجه...اضطر إلى الفرار من الجزيرة والخروج من البلاد فزعا مرعوبا وسكن الجزائر[2]، دون أن ننسى الفقيه **الشيخ** سيدي **علي شعيب الباجي** (تزايد سنة 1109هـ/1698م) القاضي الكبير **لحسين باي**؛ الذي فر إلى الجزائر لما دخل **علي باشا** تونس عام 1735م، وبلغ عرش **نهد**؛ فاغتبط شيخ القبيلة بقدومه، ولما خاف أن يرحل من عنده زوجه ابنته واتخذه إمامه ومقرئ أولاده، وقاضي عرشه؛ لينتقل بعدها إلى مدينة الجزائر التي بها نال حظوة ومكانة عند الداي الذي قربه؛ وأمر له بأثاث ودار؛ حيث حيث لحقت به عائلته وأحبابه؛ واجتمعوا بشيخهم وفرحوا بلقاء الأحباب، واستوطن الشيخ مدينة الجزائر وتزوج فيها ببعض الحرائر، ولحقه من بلدة باجة كل من في قلبه حاجة وجعلهم أصهاره، وتوفي الشيخ القاضي بالحاضرة الجزائرية قبل تملك ولدي حسين بن علي مملكة تونس بمدة قريبة[3].

والملاحظ أن عدد غير قليل الأنشطة التجارية والإدارية – التي ارتبطت ببعض العائلات العلمية-اقترنت مع النشاط الديني لا في الأسرة الواحدة بل لدى الفرد الواحد كما هو الحال مع **عائلة قدورة، بيرم، العنابي**، وتتحدث بعض الوثائق الأرشيفية عن بعض التونسيين الذين استقروا بمدينة قسنطينة ونسبوا إليها؛ على غرار **الحاج محمد الصفاقسي القسنطيني** الذي حظي عند حلوله بتونس مع إحدى عشر نفرا قدموا عليها بالبقر بإحسان، حيث كان نصيب أحدهم 20 ريالا والباقي حصل على 10 ريالات، وكان هذا في 10 صفر من عام 1171هـ/ 1757م[4]؛ حيث تقلد الأخير منصب وكيل باي قسنطينة في تونس، وقد جاء في إحدى الدفاتر الإدارية والجبائية أن **الحاج محمد الصفاقسي الوكيل** قبض سنة 1172هـ/ 1758-1759م ما قيمته 101610 ريالات ثمن الأبقار التي باعها بتونس[5]، وشمل الحراك بعض الشخصيات القيادية القبلية التونسية التي وفدت على البلاد وإلى قسنطينة على وجه التحديد- طلبا للجوء- بناء على رسالة من الحاج **أحمد باي** إلى **حسين باشا** تعود في تاريخها إلى 29 صفر 1244هـ/09 سبتمبر 1828م، تذكر **موظفين تونسين** طردهما الباي **أبي عبد الله حسين باشا** (1824-1837م) من تونس يريدان اللجوء إلى الجزائر؛ أحدهما اسمه: **محمد بن سليمان بن فرحات من أولاد حسن** وهم من أولاد الترك كان **قائدا على دريد من رعية باي تونس**، والثاني رجل مسن كان **شيخ الفراشيش** عزلهم باي تونس وولى غيرهم، وأذلهما وأبعدهما؛ حيث قدما إلى **قسنطينة** طالبين اللجوء، ونزلوا في ضيافة قايد الدار بعاصمة البايلك؛ حتى يأذن لهما بالاستقرار بأمان[6].

---

[1]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 237.

[2]- سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي: **علماء جربة المسمى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي**، تح: محمد قوجة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 63، 64.

[3]- الصغير بن يوسف: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تق وتح: أحمد الطويلي**، مج2، المطبعة العصرية، تونس، 2009، ص 30-44.

[4]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 178.

[5]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 143**، ص 23.

[6]- **رسالة رقم: 133-134، المجموعة: 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

كانت الجزائر قبلة وملاذ العديد من الشخصيات التونسية المعارضة كما هو الحال مع **بايات تونس** أوقات الأزمات والصراع على الحكم، إذ يقول الشيخ الصغير بن يوسف: "**ولما أن قدر الله على مملكة تونس ساعة ساعة يسلط عليهم الجزيرية فيهرب إليهم هارب أو غاصب أو طالب مملكة تونس فيدخل الجزائر فيكرمونه ويوعدونه بنصره والخروج معه ويقدمون على القتال والقتل مع أبناء عمهم لأجل تولية سلطنته، فتكررت منهم هذه الفعال مرات من زمان إلى زمان ومن دولة سيدي يوسف داي رحمه الله كان أول خرجة للفتن والقتال مع عسكر تونس بسبب الشيخ ثابت بن شنوف**"[1]، فقد قام **عثمان داي** (1598-1610) بنفي **صفر داي**؛ الذي انتقل إلى **الجزائر**، وبقي بها إلى أيام **يوسف داي** (1610-1637) الذي أعاده إلى البلاد التونسية[2]، واضطر **محمد بن مراد الثاني** إلى الفرار جهة **الزاب** في أعقاب مواجهة بينه وبين أخيه بالقرب من قفصة[3]، وبوفاة **مراد الثاني** عام 1675م تقلد ابنه **محمد باي** الحكم من بعده؛ الذي ألزم أخاه **علي باي** بالخروج إلى بستانه بالمرسى، فداخل الأخير خاله في الفرار عام 1676م، وركب البحر إلى **بونة ومنها إلى قسنطينة أين فرح بايها بمقدمه؛ وأكرم وفادته**، وظل يتقلب في نواحي قسنطينة إلى أن استقر به المقام عند شيخ الحنانشة **سلطان بن منصر**، أما خاله **أحمد بن يوسف** داي فتوجه إلى الجزائر وجعلها دار إقامة إلى أن توفي بها بالطاعون[4]، وفر والي صفاقس **ابن عطية** زمن الفتنة بين **محمد الحفصي** وبين ابني أخيه إلى عنابة التي مكث بها قرابة السنتين والنصف، ولم يعد إليها إلا في صفر 1088هـ/ 17 أفريل 1677م أين استلزمه علي باي من جديد بلد صفاقس[5]. ومن بين الشخصيات التي وفدت على الحاضرة الجزائرية نجد **محمد شكر كاهية** وصهر **محمد باي** المرادي على أخته، الذي نقم عليه هذا الأخير لأمور صدرت منه، فخاف على نفسه واختفى أياما، ثم طلب التسريح لآداء فريضة الحج[6]، واستشفع بالشريف العالم **أبي عبد الله محمد بن الحجيج الأندلسي**، فأذن له فعدل عن الحج إلى الجزائر، واخذ في مشاغبة محمد باي وإيقاد فتنة بينه وبين داي الجزائر[7]؛ حيث بقي بالجزائر زهاء ثلاث سنوات (1691-1694)، استطاع خلالها أن يكون علاقات جيدة وأن يضع نفسه في خدمة السلطة الحاكمة، وأن يحظى بثقة الداي شعبان خوجة الذي اعتبره جزائريا صديقا، حيث أصبح من **أعضاء – ضباط– الديوان السامي بالجزائر**[8]، ويعزى هذا التعيين حسب اعتقادنا إلى خبرته العسكرية باعتباره كاهية سابق، وأيضا الولاء والإخلاص الذي أظهره للداي؛ وهذا ما يفسر الحظوة والمنزلة التي نالها، ولذلك أوصله الجزائريون في نهاية المطاف إلى سدة الحكم عام 1694م، وأثناء تواجد **ابن شكر** بالجزائر كان يتردد على زاوية **مولاي الشقفة** قبل رحيله نهائيا إلى

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق وتح: أحمد الطويلي، مج1، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 1998م، ص131-132.

[2]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 226.

[3]- ابن أبي دينار: **نفسه**، ص 288.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 49.

[5]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 206-207.

[6]- الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، المصدر السابق، ص 234.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 63، 64.

[8]-Plantet Eugéne: **Correspondances des Deys d'Alger avec le cour de France 1579-1833**, Op.cit, T1, P330.

تونس[1]، هذا وقد تصدر الأديب الشاعر **أحمد الأصرم**-الفقيه رئيس كتاب ديوان الإنشاء- للإشهاد بالجزائر [2]، وقد ولد لهذا الأخير أيام غربته بالجزائر مع أولاد الباي حسين بن علي ابنه **أبو عبد الله محمد الحبيب الأصرم** (ت. نوفمبر 1818)، الذي اجتهد في تحصيل العلوم، فحصل الملكة العلمية، والذي أضحى له في التاريخ والأدب باع، وتقلد خطة الكتابة بالحاضرة التونسية عقب عودته ثم سلم فيها [3]، كما استقبلت **خنقة أولاد سيدي ناجي** القريبة من الحدود التونسية العديد من الباشاوات والبايات الذين فتحت لهم الأبواب وخصوا بكرم الضيافة على غرار: **محمد شكر** عندما اتهم بالتآمر ضد مصالح الإيالة التونسية، وفتحت الزاوية أبوابها كملجأ وملاذ لـ: **علي باشا** وبعدها **ليونس باي**[4].

وفي أعقاب فشل ثورة **علي باشا** ضد عمه **حسين بن علي** عام 1729م؛ فر بمعية أفراد أسرته مخترقا الفيافي إلى الجزائر التي وصلها؛ فأكرم داي الجزائر وفادته وجعل له دارا جهزها بمختلف الفرش والحوايج، واستقر بها زهاء ست سنوات من 1729م إلى غاية 1735م، وقد تحدث الشيخ **الصغير بن يوسف** عن خروج الباشا بقوله: "**وقصدوا الجزائر من جهة الصحراء وتركوا خلفهم ثنية قسنطينة ولا زالوا سايرين في ذلك الصحراء والقفار...إلى أن وصوا مدينة الجزائر ودخلوها...فعندها أمر الداي بعض وكلايه أن يحضر دارا وما تحتاج إليه من فرش وحوايج وعرش فإذا انتهى انتهى يذهب إلى علي باشا ينقله إليها**"[5]، وبعد استيلاء **علي باشا** على الحكم(1735-1756) ومقتل عمه **حسين بن علي** عام 1740م؛ تفرق أبناءه (علي، محمد، محمود) الذين اتجهوا غربا صوب **الجزائر**؛ حيث وضعوا عصا التسيار بها؛ واتخذوها **دارا وعشاير** كما يقول **صاحب المشرع الملكي**[6]، فقد استكان **محمد باي بن حسين** وأسس من مطعمه، واتخذ بستانا بالجزائر سكنه وسلى نفسه بمطالعة الكتب ومسامرة عالميه؛ **أبي عبد الله محمد الشافعي الباجي**، وكاتبه **أحمد الأصرم القيرواني**[7]، و يتحدث أحد القناصل الفرنسيين في رسالة مؤرخة في 11 ماي 1741م؛ عن لجوء **أبناء حسين بن علي تركي** إلى الجزائر في فترة عرفت الطاعون؛ من بينهم **محمود**، والابنان الآخران **محمد** و**علي**؛ الذين ظلا منعزلين في بيت رفيقهم بالعاصمة، وكان قدومهم على البلدة نادرا وبشكل عابر؛ بسبب الخطر المحدق بهما، ذلك أنهما كانا عرضة لوباء فتاك للغاية[8]، وقد كان علي باي قبل التحاقه بالعاصمة مستقرا بالفضاء القسنطيني يتقلب في أحياء العرب من ناجعة إلى ناجعة، ويتلقى من يفد عليه من عربان **تونس**[9]، حيث وضع عصا التسيار أخيرا **بخنقة سيدي ناجي** التي مكث فيها رفقة عائلته وحاشيته قرابة 70 يوما؛ حيث وجد بها من كرم الضيافة

---

[1]- عبد القادر صحراوي: **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830)**، دار هومه للطبعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 126.

[2]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص51.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 107-108.

[4]- Kamel Filali : **L'Algérie mystique…,** Op.cit, P 128.

[5]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 242.

[6]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 8-9.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 146.

[8]- D. De Grammont **: Correspondances Des Consuls De France à Alger 1642-1792, Librairie Ernest Loroux, Paris, 1890, PP : 261-262.**

[9]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، مج1، ص 146.

والاحترام كبير من مشايخها: الشيخ **أحمد بن ناصر** وأبيه الذين أكرموا وفادته؛ فتوطدت علاقات الصداقة التي كانت تربط العائلة ببايات تونس والتي استمرت إلى غاية مجيء الفرنسيين[1]، ويشير **Gouvion** إلى أن الباي **علي بن حسين** استقر بدار شيخ الخنقة **محمد الطيب** مع عائلته وحرسه وحاميته المؤلفة من 95 فارس، حيث كرست الضيافة العظيمة فيما بعد؛ محبة حقيقية بين مملكة تونس وأولاد سيدي ناجي[2]، وفي اثر رجوع أولاد الباي حسين توفي أخوهما **محمود باي**؛ ودفن بقسنطينة، وسبب موته امتناعه عن الطعام لما ناله من الأسف؛ حتى وهنت قواه في أسرع وقت[3]، وبعد أن تملكا **الأخوين** البلاد عام 1756م؛ جهز **محمد باي بن حسين** بعض أصحابه لمدينة الجزائر ليأتيه بعياله وأولاده، وعيال أخيه وولده[4]، كما قدمت الخنقة ضيافتها إلى عدة بايات لم يجدوا الأمان إلا بها، منهم الباي **يونس** بعد فراره من تونس عام 1799م[5]؛ وهو يؤكد ارتباط هؤلاء البايات بالجزائر؛ بل أن **حمودة باشا الحسيني** (1782-1814) ولد لجارية من أعلاج القرج اسمها محبوبة؛ تزوج بها أبوه في الجزائر[6].

فر **يونس بن علي باشا** بمن معه من خاصته و أصحابه إلى الجزائر عقب ثورته على أبيه، فأكرم **عشي حسن باي** وفادته ورفع قدره وتلقاه بنفسه وأظهر له السرور بقدومه، فدخل قسنطينة عام 1165هـ/ 1752م وأظهر بها أبهة ملوكية من المماليك والخدم والمراكب؛ مما يدل على عظم شأنه ورفعة منزلته، وبقي كذلك إلى أن توفي **حسن باي** سنة 1167هـ/1753-1754م[7]، ولما ولي قسنطينة **حسن باي** المعروف بـ "**أزرق عينه**"(1754-1756) استصفى جميع ذخائره وأمواله، وزاد في التضييق عليه ولم يترك معه إلا كاتبه **أحمد بن أبي الحسن السهيلي** وخديمين وسجنه في بيت داخل داره[8]، ولما عزم **علي باشا** صاحب الجزائر على غزو تونس بالمحال مع أولاد **حسين بن علي**، زاد **حسن باي** قسنطينة في التضييق على **يونس** وسلبه جميع أمواله من الذهب والسلاح والجواهر والأحجار التي لا يقوم لها وصف[9]. وبتولية أولاد الباي **حسين** ومقتل **الباشا علي**...ورجع-حسن باي-**بأحمد بن يونس** و**محمود باي بن محمد**...إلا أن المنية عاجلته مع وصوله، فولي مكانه **أحمد باي**، فضم البنين **ليونس** في علو داره، ثم توفي **احمد بن يونس** ثم **محمود بن محمد**، ولحق بعد ذلك **اسماعيل بن يونس** شريدا؛ فكان مع أبيه إلى شعبان 1167هـ/ ماي-جوان 1754. فصدر الأمر من الجزائر بنقل **يونس** إلى مكان خفي...وبعد فترة خرج **يونس بن علي باشا** من مخبأه بقسنطينة-بعد أن أشيع الخبر بوفاته-معتلا، وتوفي بعدها مباشرة في ربيع الثاني 1182هـ/أوت-سبتمبر 1768م، ولما توفي انتقل ابنه **إسماعيل** إلى **الجزائر**، **وتزوج بها بنت الخزناجي** التي أنجبت له ابنه **حسن**، الذي قدم على الحاضرة التونسية على عهد

---

[1]- Gustave Mercier: **«Khanguet Sidi Nadji quelques inscriptions arabes inédites»,** R.S.A.C, Constantine, 1916, P 159.

[2]- Gouvion(E), (M) : Kitab**Ayane El Maghariba**, Constantine, Ed Fontana, Alger, 1920, P 43.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 131.

[4]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 116.

[5]- عبد القادر صحراوي: **المرجع السابق**، ص 139.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 11.

[7]- الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 133-134.

[8]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 141.

[9]- الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 134.

حمودة باشا (1782-1814)، لكنه ما لبث أن قتل في 1799[1]، وقد أشار **درورشي** القنصل العام الفرنسي بتونس في رسالة مؤرخة بتاريخ 22 سبتمبر 1780 إلى أن **إسماعيل بن يونس** باي حفيد علي باي والمنافس على العرش بالإيالة التونسية قد عاجلته المنية[2].

ومن الشخصيات التونسية التي وفدت على البلاد الجزائرية في فترات متأخرة؛ وكان لها حضور متميز، وأوتيت نصيبا من العلم نجد **أحمد علي اللنبيري المرالي التونسي** الذي يرجع في أصوله إلى **بلاد اليونان**؛ التي انتقل منها إلى **تونس** التي نشأ بها وقرأ بمدراسها، واستوطنها فنسب إليها، ومنها جاء إلى قسنطينة[3]؛ عكس ما ذهب إليه الأستاذ **عميراوي** الذي اعتبره أحد المغامرين الذين جاءوا إلى الجزائر لخدمة السلطة الفرنسية؛ وأنه من غير المستبعد أن يكون من الجواسيس أو من المتدينين المسيحيين الذين وظفتهم السلطة الفرنسية ليكون أحسن وسيلة دعائية لصالح الاحتلال والتوسع[4]، ولا يعرف عن تاريخ مجيئه إلى قسنطينة ولا سببه سوى عمله موظفا بالإدارة الفرنسية، وقد عرف بنفسه بهذه العبارة في صدر كتابه **علاج السفينة في بحر قسنطينة:" أحمد اللنبيري اليوناني الأصل التونسي النشأة والدار"**[5]، وهو ما يؤكده **ارنست مارسيي** الذي أشار أن اللنبيري تم تعيينه ترجمانا محلفا-شرعيا- بالمحكمة المدنية بقسنطينة في 30 جانفي 1846، وأن أصوله يونانية، وقد عاش لفترة طويلة في **تونس**، حيث كان يرتدي الزي الأهلي، وأنه حسب زعمه كن يتظاهر بالإسلام، وأن عقله متفتح إلى حد ما، لكنه يفتقر إلى التعليم، وأن معلوماته سطحية معتقدا أنه سيد الماضي في كل شيء، حيث ترك بعض الملاحظات حول قسنطينة، وأعمال متنوعة في الخط وكلها بلا قيمة كبيرة. ويبدو أن الدافع كان حقدا وحسدا، ذلك أن **ميرسيي** قد سمي بدوره ترجمانا شرعيا بنفس المحكمة خلفا للنبيري، وأن كلامه كما يقول **محمد المهدي شغيب** من قبيل قول العامة" **عدوك صاحب صنعتك**"[6]، وما يعكس هذا الحضور؛ كثرة مؤلفاته التي مست مختلف الميادين: التاريخ، الدين، الحربية والعسكرية؛ من ذلك كتابه: **علاج السفينة في بحر قسنطينة**[7].

لقد امتزج التونسيون مع المجتمع الجزائري وذلك بربطهم علاقات شخصيات جزائرية في تعاملاتهم اليومية، وقد سمحت تلك الصلات في اكتساب بعض منهم وجاهة في المجتمع الجزائري، ومن الشخصيات التي كانت لها مكانة كبيرة نجد **قاسم بن زكري الجربي** الذي كان يحضر اجتماعات مجلس مدينة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م[8]، كما ورد اسم الفقيه العالم السيد **محمد التونسي** في رسم عدالة مؤرخ في 1056هـ/ 1646م كشاهد في عقد بيع دار اشتراها المسمى أحمد **الحرار بن بلقاسم** من ورثة العالم المرحوم محمد بن شلمون[9]. وما يعكس لنا بوضوح مظاهر التماهي

---

[1]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 141-142.

[2] - Eugène Plantet : **Correspondances des Beys de Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830**, T3, Op.cit, P 113.

[3]- محمد المهدي بن علي شغيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980، ص 280.

[4]- علي اللنبيري المرالي التونسي: **العود الجزائري**، تقديم وعرض: أحميده عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 5.

[5]- محمد المهدي شغيب: **المرجع السابق**، ص 280.

[6]- Ernest Mercier : **Op.cit**, P 518.

[7]- محمد المهدي شغيب: **المرجع السابق**، ص 281.

[8]- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 44، 146، وانظر أيضا؛ ابن الشويهد، **المصدر السابق**، ص 93.

[9]- **أ.و.ج: س.م. ش: علبة:123، الوثيقة رقم: 06.**

الاجتماعي في الوسط المديني تلك المعاملات المالية لأبناء الجالية التونسية مع إخوانهم من الجزائريين، فقد ورد في وثيقة المؤرخة بتاريخ أواخر ربيع الأول 1164هـ/1750م؛ ابتياع السيد **مصطفى بن الحاج ابراهيم الجربي العلج** ثلاثة أرباع حانوت –بسوق الملاحين القريبة من سوق القبايل- من الولية **نفيسة بنت السيد محمد فتيح** لكن زوج المرأة تدخل واسترد المبيع المذكور"...**بثمن قدره ألف** ريال **واحد ومايتا** ريال **ثنتان وأربعون ريالا كلها فضية مثمنة دراهم صغار وقبل قبض الثمن قام السيد الحاج محمد حجي...بحكم نيابته عن زوجته الولية نفيسة المذكورة وأخر بالشفعة جميع المبيع المذكور من يد مبتاعه الحاج مصطفى المذكور فشفعه في جميع ما اشتراه.."**[1]، أما بالنسبة **لمعاملات الديون** فقد تحدثت بعض الوثائق عن نماذج **للتداين** فقد ورد في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1128هـ/1715م أن **صالح الجربي** قد أقرض مبلغا من المال قدره 1.25 ريالا دراهم صغار للسيد **محمد الفخار**[2]. وهذه المعلومات الواردة في الوثائق تعكس صورة من صور الاندماج الاجتماعي بين الجزائريين والتونسيين؛ ذلك أن هؤلاء الأخيرين لم يعيشوا منغلقين على أنفسهم، وذلك راجع إلى قدم العلاقات القائمة المبنية على أسس متينة "وحدة الأرض، العنصر البشري، الدين، اللغة، التفكير والمصير"[3]. ويبدو أن بعض أبناء الجالية التونسية استطاعوا بحكم التعايش والاندماج **تكوين ثروات** عكستها الأملاك نتيجة تحسن الأوضاع المادية، وهو ما دفع البعض منهم إلى تقديم قروض على غرار **الحاج لعلى الحروي التونسي** الذي كان له دين لدى المسمى الحاج أخليل الحفاف 425 ريالا[4]، كما اكترى **محمد الشريف** بسويقة –العاصمة-دارا من **محمد الشارني** بما قدره؛ أربعة عشر ريالا[5]. والملاحظ أن بعض العائلات التونسية الوافدة؛ قد اندمجت وانصهرت مع المجتمع المحلي لمدينة الجزائر، وأصبحت تعتبر نفسها من البلدية؛ حيث نال أفرادها حظوة ومكانة لا مثيل لها كما هو الحال مع أسرة **سعيد قدورة الجربية**[6].

لم يقتصر الحراك في عمومه على تنقلات الأسر والأفراد بل الملاحظ أنه شمل أيضا **حركية جماعية للجاليات التونسية** تعكسها تنقلات **الجماعات البدوية** التي استوطنت المدن؛ كما هو الحال مع **شيخ** بلدة **قبلي (نفزاوة) بنور بن عبد الصمد** الذي انتقل إلى الغرب ومكث **بتقرت** ومات بها؛ بعد تعرضه إلى قمع شديد من قبل المحلة رافضا الخضوع للسلطة الحسينية[7]، وهو ما يتواءم مع أورده **الورثيلاني** في رحلته إلى الحج سنة 1179هـ/1766م؛ عندما تحدث عن انتقال شيخ نفزاوة **ابن روب – بنور بن عبد الصمد الشابي–** بعشيرته وشيعته إلى **وادي ريغ**، إذ يقول:" **وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله، الشيخ ابن روب، وهو شيخ من شيوخ نفزاوة خارجا عن ولاية صاحب تونس، بأن استقر في وادي ريغ والله أعلم؛ في ثلاثين من الخيل وعشرين رجلا ومعهم السلاح**

---

[1]- أ.و.ج: **س.م.ش: العلبة 2/9، م3، و1.**

[2]- خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 716

[3]- شهرزاد بوترعة: **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014-2015، ص 45.

[4]- أ.و.ج: **سجلات بيت المال**، العلبة: 360، السجل: 375.

[5]- أ.و.ج: **سجلات بيت البايلك وبيت المال**، العلبة: 01، السجل: 03.

[6]- نجوى طوبال: **الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق**، ص 465.

[7]- محمد ضيف الله: **نوافذ على تاريخ نفزاوة**، المغاربية للطباعة، تونس، 2008، ص 96.

القوي"[1]، وما يؤكد الاعتقاد أن **ابن الروب** هو **بنور بن عبد الصمد** ليس الثورة على الباي فحسب؛ وإنما العدد الهام أيضا من الرجال والفرسان الذين معه، والذين لا يمكن جمعهم إلا من بلدة هامة كبلدة **قبلي**، وربما يوجد من بينهم من كان ينتمي إلى صف **شداد** المعادي للسلطة المركزية في تونس[2]، ويشير صاحب **الإتحاف** إلى بقاء أناس من دريد بنسائهم وأولادهم في أعقاب فشل حملة **حمودة باشا** على **قسنطينة** سنة 1807م، حيث اضطر باي قسنطينة إلى إنزال هذه الجموع أرضا تسمى بحيرة دريد التي تملكوا بها[3].

لقد ارتحل عدد غير قليل من التونسيين إلى الجزائر خاصة من العروش الحدودية، فسكان منطقة الصيفة خاصة دوار المقانعة **شعابنة أولاد عبد الله** وأصلهم من **تونس**، و**المرابطون عرش الدوانمة** و**أولاد راشي** من عرش **دريد**، **وكلهم من أصول تونسية**، وكذلك الشأن في منطقة **غرب الدهوارة** حيث استوطن **الغلابرة من عرش أولاد بوغانم والهمايلية من عرش أولاد بوهنان والشوابرة والعزايزية** من **عرش الزغالمة**، وفي منطقة **العوابد** يوجد الكشاردة وأولاد خليفة من عرش ورتان وأولاد الظاهر من **الهمامة**، والكثير من الجزائريين في شرق الجزائر ووسطها وهم من أصول تونسية خاصة في **سوق أهراس** و**عنابة**؛ مثل عائلة **النابلي** المعروفة في **قالمة**، ومجموعات أخرى من **الفراشيش والهمامة** في **تبسة**[4].

لقد أصبحت المناطق الصحراوية مناطق تواصل مجتمعي؛ عكستها تلك الزيارات البشرية الموسمية؛ التي كانت تجدد الصلات الاجتماعية بين البلدين؛ **فأولاد سرغين** الذين استقروا **غرب مدينة الأغواط**؛ تشكلوا من: **الجماني وبدارة، وأولاد سكحال** القادمين من أولاد زيد من الزاب، **والفليجات** الذين قدموا من الجنوب **التونسي**، وفي عام 1889 كانت مدينة **الأغواط** تضم:3139 ساكن من بينهم 519 من الأوربيين ...بما في ذلك اليهود الأهالي...والثلاثة آلاف وثلاثمائة وعشرون(3320) الباقية من المسلمين الذين نجد منهم **التونسيون**[5]، ومن الفرق المنتمية إلى **شعانبة متليلي** نجد **بني مرزوق الوافدين من تونس**[6]؛ الذين لجأوا في البداية إلى غرداية عندما وقع نفيهم من**نفزاوة** وكانوا حوالي **ثلاثين عائلة**، ويذكر أن الشيخ **صالح بن عمي سعيد** هو الذي قبل هؤلاء اللاجئين سنة 933هـ/1527م، وفرقهم على بعض عشائر **غرداية** كنزلاء على شروط؛ منها أن يدفعوا سدس محاصيلهم للعرش، وأن يكونوا سندا داعما ضد أي خطر يتهدد الوطن، إلا أنهم لم يوفوا بالشرط فطردوا من غرداية، وبقوا على المذهب المالكي، وكانت حرفتهم النسيج والخياطة[7]، كما نجد **حوامد تونس** المنضويين ضمن 22 فرع من فروع قبيلة التلاغمة[8].

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 257.

[2]- محمد ضيف الله: **المرجع السابق**، ص 96.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 42.

[4]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب–الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 53.

[5]- Mangin (E): **Notes sur l'Histoire de Laghouat,** Adolphe Jordan, Librairie-Editeur, Alger, 1895, PP 15, 32.

[6]- الشيخ لكحل: **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851–1908)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017–2018، ص 28.

[7]- يوسف بن بكير: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 59–60.

[8] - Féraud (Ch) **: « Notes historique sur les tribus de la province de Constantine »,** in R.S.A.C, Paris, 1869, P 03.

وقد وجدت قبائل جزائرية ضمت فروعا من أصول تونسية على غرار قبيلة **أولاد سيدي يحيى بن طالب** التي كانت تضم بعض الفرق من خارج أبناء المنطقة؛ كما هو الحال مع **العبادنة** التي تنسب إلى شخص **تونسي** يدعى **عبدوني** الذي التحق بأولاد **سيدي يحيى بن طالب**،كما ساحت **عشائر دريد** بالجنوب الجزائري، وآثرت مجموعات منها البقاء والاستقرار بالصحراء على غرار **الخنافسة** الذين يعودون في أصلهم إلى **دريد**[1]، حيث أضحوا يشكلون قبيلة جزائرية تسكن مع **أولاد ابن ناصر مدينة عين صالح** وضواحيها وتعيش في تنافس مستمر مع التوارق[2]، وفي المقابل لا تزال **عشيرة** من قبيلة **الفراشيش** التونسية تقطن جهة **تبسة**[3]، كما نجد قبيلة **المحارزة** بإقليم **توات** التي ارتبطت باسم **علي بن مسعود** الذي قدم من **بلاد تونس** إلى **الجزائر** رفقة الشيخ **معمر بن سليمان المعراج أبي العالية** خلال القرن السابع أو الثامن الهجريين/ الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي، حيث استقر **علي بن مسعود الحرزي** بمنطقة **تيز كوك** تلبية لأمر شيخه؛ الذي كلفه بنشر التعليم في المنطقة[4].

ولم تقتصر الجاليات التونسية بالجزائر على أبناء الملة المحمدية؛ إذ نجد إلى جانبهم **أهل الذمة** من **اليهود** ذوي **الأصول التونسية** الذين وفدوا على الحاضرة الجزائرية؛ وكان لهم حضور فاعل في البلاد، فقد التحقوا بالبلاد منذ عدة قرون؛ قادمين من تونس في النصف الثاني من القرن السادس عشر[5]، حيث شكل اليهود إحدى الشرائح الاجتماعية وكانوا أهم ملة بمجتمع مدينة الجزائر، فقد تمركزوا بشكل كثيف في موقع أطلق عليه تارة؛ حارة اليهود، وتارة أخرى **حارة الذميين**، لكنه لم يكن الموقع الوحيد؛ بل انتشروا في مختلف أحياء المدينة[6]، وقد أثبتت الوثائق أن التجار اليهود كانوا متواجدين بالأسواق الصغرى، لتلبية الحاجيات الضرورية والمستجلة لسكان العاصمة، من ذلك المحل الذي اكتراه الذمي **مسعود التونسي بن إيليه** بسويقة **باب الوادي**[7]. لقد تكونت بين اليهود والمسلمين علاقات كثيرة ظهرت بوضوح كبير في المجال التجاري، ورغم تفوق المسلم الديني على اليهودي إلا أنه كان يحترم وجوده ليس بالضرورة أنه يحبه وراض عن تصرفاته، ويتبادل معه المنافع ويسمح له حتى بتمثيله سياسيا وتجاريا[8]، وهو ما سمح بتواجد جاليات يهودية تونسية في أغلب مناطق البلاد.

يعتبر **وادي ميزاب** (غرداية) أكثر منطقة صحراوية عرفت حضورا يهوديا، حيث يذكر أن أول اليهود المستقرين بالمنطقة قدموا مع شخص سمي **عمي سعيد** الذي أتى بمجموعة من اليهود ممن يتقنون الحرف، وتذكر **الرواية المزابية** في هذا السياق أنه في حوالي القرن الثامن الهجري جاء إباضي من جزيرة جربة اسمه **عمي سعيد** مع عدد كبير نسبيا؛

---

[1]- بيار كاستال: **حوز تبسة**، تع وتح وتق: العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر،2010، ص 293.

[2]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، المرجع السابق، ص 161.

[3]- بيار كاستال: **المرجع لسابق**، ص 44.

[4]- محمد الصالح حوتية: **توات والأزواد**، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2007، ص 70.

[5]- فوزي سعد الله: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 144.

[6]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية**، المرجع السابق، **ص** 316.

[7]- نجوى طوبال: **طائفة اليهود بمجتمع الجزائر(1700-1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 157.

[8]- آمال معوشي: **يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي 1830-1870م**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 10.

لتضخيم النواة من السكان المتكتلين من قبل في غرداية، حيث أحضر معه عائلة يهودية من جربة، واستقر بها في غرداية[1]، في حين أشار **الشيخ النوري** أن **الشيخ عمي سعيد الجربي** استقدم معه أربع عائلات يهودية؛ لما قدم إلى ميزاب من جربة التونسية سنة 854هـ/1450م، ذلك أن ميزاب كانت ملاذا لليهود المضطهدين والمضايقين- أو على الأقل لما يتراءى لهم ذلك- هنا وهناك مثلما حدث لهم في توات سنة 897هـ/1492م، وفي القرن 16م بتقرت مع بني جلاب[2]، وبعدها قدمت عائلات يهودية من الأندلس ومناطق مختلفة على غرار **بالوكة** القادم من **جبل بالوكة بتونس**[3].

وقد شجع **الميزابيون** خلال العهد العثماني إقامة اليهود في مدنهم، واستقدم بعضهم حرفيين يهود من جنوب تونس[4]، وما يؤكد حقيقة الارتباط بين يهود الإيالتين؛ أن طريقة الطائفة اليهودية في جزيرة **جربة** كانت شديدة الشبه بطريقة حياة الطائفة اليهودية في **غرداية** في الجزائر[5]. وتذكر الكتابات على أن اليهود كان لهم حضور منذ قرون؛ **بالمسيلة**، حيث وفدت عائلات من فاس المغربية خلال القرن 14م وسكنت المدينة، بينما توجه جزء كبير منها إلى منطقة **بوسعادة**[6]؛ التي حلت بها حلت بها مجموعات أخرى قادمة من الأندلس، وتعددت أصول يهود المدينة بين الأصل الجريدي التونسي كعائلة **نجار** و**جاوي** اللتان قدمتا من مدينة **توزر بالجنوب التونسي**، وقد استطاع هؤلاء اليهود المستقرين من خلال نشاطهم أن يكونوا همزة وصل مع يهود منطقة نفطة الجريد وتوزر بالجنوب التونسي[7]، ومن العائلات اليهودية ذات الأصل الأندلسي نجد عائلة؛ **شيشبورتيش ببوسعادة**، والتي احتفظت باحتكار حقيقي لصناعة المعادن الثمينة[8]؛ فقد جاءت من الأندلس إلى تونس خلال القرن 15م، وارتحل أفراد منها إلى الجزائر قادمين من **القيروان**، حيث كان أحد أفرادها وهو الحاخام **جوزيف شيشبورتيش** في **تونس**؛ رسولا ووكيلا للحاخام الكبير **سيمون بن سماح دوران** الذي توفي عام 1442م[9]. وما يعكس لنا الحضور اليهودي بالمنطقة؛ يشير **شارل فيرو** أنه قبل الدخول إلى بلدة **المسيلة** من جهة الضفة اليمنى؛ تجد منطقة جديدة تتألف من من حوالي خمسة عشر متجرا مشغولا بشكل رئيسي من اليهود[10].

---

[1] - Huguet. j: « **Les juifs du Mzab** », In B. S.A.P, V Série, T 3, Paris, France, 1902, P560.

[2]- ابراهيم بن صالح بابا أعزام: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، دراسة وتحقيق: ابراهيم بكار بحاز، سليمان بن محمد بومعقل، ط1، المطبعة العالمية، غرداية، الجزائر، 2013، ص 188.

[3]- رحيمة بيشي وجميلة ثابت: **يهود منطقة وادي ميزاب خلال القرن 13هـ/18م**، ط1، دار صبحي للنشر، غرداية، 2014، ص 72، 73.

[4]- أحمد سميح حسن: **يهود الجزائر في العصر العثماني**، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022، ص 243.

[5]-صموئيل أتينجر: **اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)**، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشا عبد الله الشامي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 315.

[6]- كمال بيرم: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1840-1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص 255.

[7]-Youssef Nacib: **Cultures Oasiennes, Bou-Saada, Essai D'histoire Sociale**, éditions Zyriab, Alger, 2017, PP 202,205.

[8]- عيسى شنتوف: **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**، دار المعرفة باب الوادي، الجزائر، 2008، ص 65.

[9] - Maurice Eseinbeth : **Les juifs de l'Afrique du Nord Démographique et Onomastique**, Imprimerie Du Lycée, Alger, 1936.

[10]- Charles Féraud : **Histoire Des Villes De La Province De Constantine « Sétif, Bordj-Bou-Areridj, Mesila-Bousaada »**, Constantine, 1872, p 328.

ويشير **عبد الرحمن اليعقوبي** في مخطوطه **فتح المنان** إلى أن عدد أفراد الجالية اليهودية التي تواجدت بالقنادسة (بشار) خلال القرن 18م لم يزد عن ثلاثة بيوت مجتمعة في جهة محددة من القصر[1]، و فيما يخص تقرت (**وادي ريغ**)، فقد عرف هذا الإقليم الوجود اليهودي؛ إذ ترجع بعض الكتابات **المجاهرية** إلى أنهم كانوا على **اليهودية** وأسلموا، ويذكر **الأغواطي** في رحلته أن جماعة من الناس في تقرت يعرفون **بالمجاهرية**، وقد كانوا في القديم يهودا ثم أسلموا خوفا من الموت أمام تهديد السكان لهم[2]، ويذكر أنهم وفدوا من عدة مناطق من تونس كالكاف ونفطة، لتعمير المدينة ومارسوا أنشطة اقتصادية متعددة[3]، وهناك من يرى أن كلمة المجاهرية تحريف لكلمة المهاجرية، وهم أولئك الذين نزحوا من تونس ونفطة وطرابلس[4]، ويذهب الباحث **حسن دردور** إلى أن هناك أقلية يهودية بين الحنانشة، استقرت في منطقة الزعرورية قرب سوق أهراس، وكان لها مجلس خاص يعقد اجتماعات في معبد يهودي (Synagogue)[5]، كما تواجدت جالية يهودية بمدينة عنابة بحكم القرب الحدودي مع تونس؛ لذلك يلاحظ وجود عدد كبير من السكان العابرين؛ بما في ذلك يهود تونس[6].

والظاهر أن الارتباط بين يهود الجزائر وتونس؛ بقي مستمرا لفترات طويلة، وحتى في أوقات الأزمات والفتن كانت تونس الوجهة المفضلة ليهود الجزائر، فلما اندلع تمرد 1805م الذي استهدف اليهود؛ استقبل الداي مصطفى هذا التمرد بتغطية وجهه، وبدأ بتوزيع الذهب يمينا وشمالا لينقذ رأسه، ثم أمر بنفي جميع اليهود الذين بقوا على قيد الحياة إلى تونس، ووعد بأنه لن يسمح لأي يهودي بدخول قصر الجنينة بعد الحادثة، لكن وعده وإحسانه لم ينه التمرد والعصيان[7]، حيث غادرت في أعقاب ثورة الإنكشارية 300 عائلة يهودية الإيالة؛ منها 100 توجهت إلى تونس والباقي إلى ليفورن[8]؛ ذلك أن يهود الجزائر كانوا في حراك تجاري حثيث، إذ أن معاملاتهم التجارية ارتبطت أيضا بمحصلات القرصنة؛ حيث كانوا يقومون بشراء الغنائم من القراصنة، وإعادة بيعها في تونس[9]، وقد كان الداي **مصطفى باشا** يستثمر أمواله عن طريق شركائه من كبار التجار اليهود؛ الذين كانت لهم شبكات واسعة من الأقارب والشركاء في مختلف موانئ المتوسط[10]، إذ

---

[1]– محمد برشان: "**اليهود في منطقة بشار من خلال المصادر المحلية**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 11، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2014، ص 311.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، المرجع السابق، ص 264.

[3]- عبد الحميد قادري: "**التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**"، الملتقى التاريخي الثالث الموسوم بـ:"فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، تقرت، 23-24 أفريل 1998، ط1، الآمال للطباعة، الوادي،1999م، ص 24.

[4]– الطيب بوسعد: "**الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني-وادي ريغ نموذجا**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، جامعة غرداية، 2011، ص 441.

[5]-H'sen Dardour: **Annaba 25 siècles de vie quotidienne …**, Op.cit, T2, P 59.

[6]- Benjamin Drif**: La communauté juive de Bône (1870-1940): mutations Socio-culturelles a L'époque coloniale** ,C.H.S, France, 2015, p 32.

[7]– عزيز سامح الترـ: **المرجع السابق**، ص 584.

[8]– وداد بيلامي: **النفوذ الاقتصادي السياسي ليهود الجزائر(15156–1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004م، ص 22.

[9]– عزيز سامح الترـ: **المرجع السابق**، ص 409.

[10]– المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 260.

يشير **فوزي سعد الله** أن عائلات يهودية بأكملها هاجرت مدينة الجزائر؛ بمجرد كساد تجارتها بحثا عن أسواق ربحية في تونس[1].

02-جماعة الجرابة انموذج جالية تونسية متميزة بالإيالة الجزائرية:

يعد العنصر الجربي من أبرز وأهم العناصر التونسية الوافدة على الإيالة الجزائرية، فقد شكلوا بمدينة الجزائر جالية معتبرة وذلك لعددهم الكبير مقارنة بالمغاربة، ففي الإحصاء الذي قدمه **فانتور دوبارادي** عن سكان المدينة نهاية القرن 18م /12هـ، أدرج الجرابة من بين أهم الفئات السكانية، حيث صنفهم بعد البساكرة والزواوة والميزابيين[2]، لكن بداية قدوم الجرابة واستقرارهم بمدينة الجزائر غير معروفة على وجه التحديد، إلا أنه من المؤكد أنهم وفدوا عليها إبان القرن 16م، حيث وجد زقاق عرف باسمهم قبل سنة 1623م[3]؛ وهو "**زنقة الجرابة**"[4]، إذ نجد فئة من جماعة الجرابة استقرت بالحاضرة الجزائرية عام 1675م، حيث تشير **غطاس** نقلا عن مصدر انجليزي " يعود في تاريخه إلى شهر سبتمبر 1675م(القرن17م)" **أن الجرابة شكلوا عنصرا أساسيا بالعاصمة، ناهز؛ 300 عائلة جلهم من التجار أو الباعة المتجولين، والذين يمتلكون ما بين ستة وثمانية سفن يتاجرون بواسطتها بين جربة وتونس والأسكندرية وطرابلس والجزائر**[5].

وتعد جماعة الجرابة الجماعة الوحيدة التي انتظمت في إطار منظم للغاية على غرار الجماعات المهنية القائمة بالمدن، فالعناصر المغاربية الأخرى كالتوانسة والفاسيين والطرابلسيين والتطوانيين لم يتأطروا ضمن جماعات، أما العناصر الوافدة من جزيرة جربة فقد انضوت تحت لواء هذا التنظيم الاستثنائي ضمن جماعة خاصة يتصدرها أمين الجرابة على غرار التنظيمات الحرفية الأخرى، ويعزى ذلك إلى اعتبارات عدة منها؛ اعتناقهم المذهب الإباضي، وأهميتهم العددية[6]، وأهمية نشاطهم الاقتصادي الذي يعتمد على التجارة بشكل أساسي، ومن الدلائل على أهمية طائفة الجرابة خلال القرن 17م ضريبة **البشماق** أو**ضريبة الالتزام**؛ التي دفعها أمين الجماعة إلى خزينة الدولة عام 1691م والتي قدرت بـ 500 صايمة[7]، وهو مبلغ ضخم حيث يعادل خمسة أضعاف ما دفعه عدد من أمناء التنظيمات الحرفية كأمين الصباغين وأمين الخياطين، بل يعادل ما دفعه شيخ البلد في السنة نفسها، بالإضافة إلى ذلك كان عليهم دفع ضريبة الضيفة [8] كل عام حيث كانوا يدفعون خمسة إلا ربع ريال[9]، كما انتظموا في الحراسة بالمدينة، ففي عهد الداي بابا حسن سنة 1107هـ/1695م فرض

---

[1]- فوزي سعد الله: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، المرجع السابق، ص 138.

[2] - Venture De Paradis : **Op.cit**, P 20.

[3]- أمين محرز: **الجزائر في عهد الآغوات(1669-1671)**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 175.

[4]- **سجلات بيت البايلك وبيت المال: العلبة 03، السجل رقم 22**.

[5]- عائشة غطاس: "**تجار مغاربيون بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال وثائق القنصلية لفرنسية**"، من كتاب دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص 367.

[6]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص 44.

[7]-Devoulx (Albert)**: Tachrifat**, Recueil De notes Historiques Sur l'administration De L'ancienne D'Alger, Alger, 1852, P 66.

[8]-**ضريبة ضيفة رأس العام**: أخذت على شكل تبرعات إجباريةتدفعها بعض الجماعات سنويا مع حلول العام الجديد، يشرف على استيفائها شيخ البلد، أنظر غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص186.

[9]- عبد الله بن محمد الشويهد: **المصدر السابق**، ص 116.

على الجرابة المساهمة بسبعة نوبات[1]. ومن المؤشرات التي تعكس لنا حضور وأهمية ووزن الجرابة في مدينة الجزائر؛ وجود نهج باسمهم قبل سنة 1623م يعرف **بزنقة الجرابة**[2]، وقد تحولت هذه الزنقة في العهد الفرنسي إلى درج يؤدي إلى ساحة شارتر بشارع سان لويس[3]، والواضح أن الجرابة سكنوا بحومات مختلفة بالمدينة على غرار حومة أسفل **مدفع جربة** اللصيقة بصور القصبة[4]، كما كان لأهالي جربة **فندق** خاص بهم يعرف **بفندق جربة**[5]، و**سوق** يعرف **بسوق الجرابة،** وهو من أسواق السلع والمواد الغذائية[6]، وهو يكشف حجم التبادل التجاري وسعة نشاط أسواق مدينة الجزائر التي كانت قبلة للتجار من داخل البلاد وخارجها، حيث يعد العنصر الجربي بحق من أهم العناصر الوافدة على مدينة الجزائر؛ لما له من دور في الحركية التجارية، ومن الدلائل أيضا عن أهمية هذه الجماعة بمدينة الجزائر إسهامها في تسيير المدينة وإدارتها، حيث كان **الحاج قاسم بن زكري الجربي** أحد أعضاء مجلس المدينة وأحد الأطراف الفاعلة إلى جانب **الريس سعيد الشويهد** والمكرم **الحاج علي فلاطو الأندلسي** و**الحاج حسن العطار بن عاشر الأندلسي** التي شاركت في تعيين؛ **محمد بن الزناتي** من زاوية البحيرة **أمين العساسين** بالسوق الكبير عام 1648م[7]، وهذا في حد ذاته تسجيل عن معاملة بين الأمناء الكرام والمكرم علي **قاسم بن زكري الجربي** أن يجعلوا أمينا على جماعة العساسين بالسوق الكبير من زاوية البحيرة، وتولى بعض أبناء الجرابة مهام إدارية كمهمة **المزوار**؛ فقد كان **حمدان الجربي مزوارا** في فترة سابقة لعام 1793م، ولعل أكبر دليل على وزن طائفة الجرابة وأهميتها أمانة الجماعة، حيث كان للجماعة أمين يسهر على تنظيمها، فقد تصدر **بوعزيز بن سليمان** أمانة جماعة الجرابة أواخر القرن 17م/11هـ (1697، ثم خلفه **محمد بن شوش** 1703م/1115هـ، ثم تولاها من بعده **الحاج عبد العزيز** عام 1704هـ/، وفي حدود 1751م أصبح المسمى**الحاج بلقاسم بن هندة** على رأسها، وفي فترة لاحقة تولاها **الحاج عمر الجربي بن قاسم** عرف **يانس**1785م[8]، إذ تداول على رأس جماعة الجرابة سبعة أمناء على مدى قرن تقريبا لفترات متفاوتة[9].

لكن ما يتوجب توضحيه في هذا المقام؛ أن صدارة أمانة الجرابة لم تبدأ مع بوعزيز بن سليمان عام 1697م؛ كما ذهبت إلى ذلك الباحثة **عائشة غطاس،** بل كانت قبل هذا التاريخ بسنوات، فقد عثرنا على وثيقة بسجلات المحاكم الشرعية تعود بتاريخها إلى 1074هـ/1663م، تشير إلى أن المسمى **مهني بن مرزوق** كان على رأس أمانة الجرابة[10]...وهذا يعني أن صدارتها كانت قبل هذا التاريخ المشار إليه، ولعل هذا ما يدفعنا إلى القول أن الحضور الجربي قد

---

[1]- عبد الله بن محمد الشويهد: **المصدر نفسه،** ص 112.

[2]- **أ.و.ج: س.م.ش، العلبة: 10، الوثيقة: 20.**

[3]- بدر الدين بلقاضي، مصطفى حموش: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديلفوكس،** موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 182.

[4]- مصطفى أحمد بن حموش: **فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري،** المرجع السابق، ص 220.

[5]- أندري ريمون: **المرجع السابق،** ص 186.

[6]- عبد الله بن محمد الشويهد: **المصدر السابق،** ص 30.

[7]- **أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 58، الوثيقة: 35.**

[8]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص 44-45.

[9]- **أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 60، الوثيقة: 21.**

[10]- فاطمة الزهراء قشي، محفوظ حني: "**جماعة الجرابة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**"، مجلة الإحياء، مج 21، العدد 28، جامعة باتنة 01، جانفي2012، ص 942.

يعود إلى بدايات االقرن 10هـ/ 16م، ومن الصور الجلية التي تؤكد الحضور البارز والاندماج الاجتماعي لأبناء الطائفة واستقرارهم بالحاضرة الجزائرية؛ شهرة العاصمة باسم أحد الأولياء الجرابة: وهو **سيدي علي الجربي** المتوفى خلال القرن 16م؛ حسب ما تؤكده وثائق المحكمة الشرعية التي تشير إلى ضريح هذا الأخير الكائن بحومة القادوس[1]، ومن المعقول أنهم أقاموه عقب نزول الأتراك بمدينة الجزائر، وفي النصف الثاني من القرن 17م(11هـ) تملك أندلسي اسمه **علي بن فارس** دار هناك؛ فتناسى الناس اسم **سيدي الجربي**، وصاروا يدعون هذا المسجد باسم جامع بن فارس، وسموا النهج أيضا بزنقة بن فارس[2].

وعلى ما يبدو لم يقتصر تواجدهم ونشاطهم على مدينة بعينها، بل انتشروا في كبريات المدن والحواضر، ففي مدينة عنابة توافد الجرابة بأعداد كبيرة، جراء هروبهم من سياسة الباي التونسي **علي باشا** تجاه الأغنياء التي جعلتهم مخيرين بين الفقر أو الموت، وهو ما دفع هذه الفئة إلى الحراك نحو الجزائر، وبما أنهم كانوا موهوبين في مجال التجارة منذ استقرارهم أضافوا لأسواق مدينة **عنابة** حركية بفضل نشاطهم الخاص، وقد كانوا يشتغلون بصناعة الفخار والبهارات على رأسها الهريسة[3]، وكان للطائفة أمانة بالمدينة؛ فقد جاء في دفتر التشريفات أن **أمين الجرابة** في عنابة كان يرسل سنويا إلى قصر الداي؛ وعن طريق وسيط أمين الجرابة للجزائر؛ ضريبة قيمتها: 100 صايمة[4].

وجاء في إحدى رسائل **حسين باشا** داي الجزائر إلى **محمود باشا باي** تونس مؤرخة في أواخر شعبان1237هـ/ماي 1822م، يذكر فيها حاكم الجزائر أخبارا بشأن سفن جرابة حاملة للبارود والرصاص؛ رست بسواحل الجزائر وباعت حمولتها لقبائل جبلية عاصية متمردة، واشترى أصحابها في المقابل ما هم بحاجة إليه من الشمع والزيت وما إلى ذلك، حيث نبه حاكم الجزائر نظيره التونسي بتلافي تكرار مثل هذه الأعمال مستقبلا؛ وإلا فقدوا بضائعهم، لكنه في المقابل لم يمانع بشراء ما يحتاجونه من موانئ الجزائر، عنابة، وهران[5]. ويذكر **ابن عظوم** في أجوبته أحد التجار الجرابة واسمه؛ **خميس بن سعيد الجربي** المكنى **قطوسة** قدم بخصوص تجارة في ثياب(سفاسر) مصبوغة بجربة ليبيعها في الجزائر، حيث باعها بسبع كرونات ذهبا إلا ربع، وتسوق بذلك المبلغ شواشي وجوز[6]، ويتحدث أحد القناصل الفرنسيين بالجزائر في رسالة موجهة لحكومته مؤرخة في 20 مارس 1690؛ عن وصول سفينة لجرابة إلى مدينة الجزائر قادمة من تونس[7]. وهذا يعكس لنا الحراك البشري الدائم والحثيث لأبناء الطائفة؛ الذين أسهموا بحق في دعم أواصر العلاقات الاجتماعية بين البلدين. كما نجد أبناء الطائفة أيضا بمدينة قسنطينة؛ في فترات مبكرة تعود إلى القرن 16 و17م، فقد عثرنا في **دفتر حبوس قسنطينة** على عديد الأسماء لعناصر جرابة من ذلك على سبيل المثال؛ **سالم الجربي** و**عبد الرحمن الجربي**،

---

[1]– خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 492.

[2]–عبد القادر نورالدين: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2006، ص 236

[3]-H'sen Derdour**: Annaba 25 Siècles De Vie Quotidienne …**, T 02, **Op. Cit**, P 137.

[4]-Devoulx (Albert): **Tachrifat**, **Op. Cit**, P66.

[5]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة:223، الملف:384، رقم الوثيقة:18**.

[6]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج3، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2005، ص 181.

[7]-De Grammont(D) : **Correspondances des consuls D'Alger (1690-1742)**, Op. Cit, P10.

وهناك من تقلد بعض الوظائف كمهنة التدريس على غرار المعلم **سعيد الجربي**[1]، كما مارس اثنان من المنتسبين لمدينة **جربة** من أصل خمسة حرفتي **القلال** أي صنع الجرار والأواني الفخارية؛ والرحوي أي العامل في مطاحن الحبوب[2]، وهذا كما أشرنا يبرز لنا مدى اندماج الجرابة في المجتمع المديني القسنطيني.

ولا يفوتنا في هذا الجانب أن نشير إلى العلاقات المتميزة بين واداي ميزاب وجربة؛ بحكم وحدة المذهب، فسكان المنطقتين غالبيتهم إباضية، فلا بد أن ينشأ عن هذه الوحدة المذهبية بين المجتمعين من التفاهم والتعاون، ونوعية السلوك ما يفتح السبيل لذلك، وييسر الجوار والمصاهرة وغير ذلك من مظاهر النشاط الاجتماعي[3]؛ حيث نجد في مزاب أسر تنتمي إلى جربة وأصلها الأول جاء منها كأسرة **آل الفخار** في **غرداية** وقد جلبوا معهم صناعة الفخار وانتشرت في مزاب، وأسرة **آل متياز** و**آل أزبار** في **بني يزقن** و**آل الحاج عيسى** في **العطف**، وفي مظاهر الزينة والملابس التقليدية في الأفراح صور مقتبسة من **جربة** كأنواع الحلي الذهبية معروف "**شاركة**" وطراز من الألبسة الصوفية تعرف باللسان المحلي " **تجربيت**" أي الجربية تلبس في مناسبات معينة، والحائك الأزرق المعروف بـ" **أززاو نتونس**" وغير ذلك[4].

كما تعامل أفراد الطائفة مع الجند الإنكشارية، نذكر على سبيل المثال؛ **مرزوق بن قاسم البربوشي** الذي اشترى عام 1154هـ/ 1742م علويا يقع يقع قرب جامع خضر باشا من حسين يلداش بن عبد الله، ثم باعه بعد خمس سنوات حسن بلكباشي بن مصطفى التركي[5]، كما باع **عمر الجربي بن قاسم** و**نفوسة بنت أحمد التونسي**سنة 1195هـ/1783م ثلثا واحدا من دار تقع بحومة بن جاور علي إلى السيد **عثمان الإنكشاري** منزول آغا[6]، وهذه المعاملات التجارية من بيع وشراء؛ وفرت لأبناء الطائفة من الجرابة موارد مالية، كما جعلت لهم ثروات وأملاك كثيرة؛ كالحاج سليمان بن الحاج صالح أمين جماعة الجرابة الذي تملك دار بالشراء ضواحي القصبة سنة 1189هـ/ 1776م[7].

كما نجد دورا اكتراها بعض أبناء الطائفة لممارسة بعض الأنشطة والمعاملات التجارية؛ من ذلك الدار الموسومة بدار الجربية التي تم اعتمارها بـ: ثمانون ريالا[8]، ودار جربية أخرى بسويقة عمور اكتراها محمد الحوات بـ : 68 ريالا [9]، ودار أخرى أيضا **لمصطفى خوجة علج الجربي** بنفس السويقة؛ اكتراها منه بن العربي بـ: 10 ريالات[10]. وقد زاول الجرابة

---

[1]- **مخطوط: دفتر الحبوس لمدينة قسنطينة**، مصلحة حفظ المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم :3568، ص 14.

[2]- سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، أطروحة دكتوراة في التاريخ لحديث، جامعة قسنطينة 2، 2018-2019، 128.

[3]- ابراهيم طلاي: **العلاقة بين سكان جربة ومزاب**، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة، أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1986، ص 13، 14.

[4]-إبراهيم محمد طلاي: "**العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب**"، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، تونس، د.ت، ص 07.

[5]- **أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 57، الوثيقة: 02.**

[6]- **أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 88، الوثيقة: 19.**

[7]- **أ.و.ج: س.م.ش، العلبة: 71-72، الوثيقة: 31.**

[8]- **أ.و.ج: سجلات البايلك، العلبة: 24، السجل: 170.**

[9]- **أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة 01، السجل: 03.**

[10]- **أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة 01، السجل: 03.**

تجارة العطارة في حوانيت يعود كرائها لمختلف الأوقاف، من ذلك اكتراء **عبد الرحمن العطار الجربي** حانوتا قرب حمام السبوعة؛ تشرف عليه عناصر من ميزاب سنة 1085هـ/1674[1]، كما اكترى المسمى **بن حومة الجربي العطار** حانوتا للعطارة تابعة لأوقاف الجامع الأعظم، وقد بقيت هذه الحانوت سنين طويلة ولأكثر من 60سنة (1714-1774م)، ما يبين استمرار عقد الكراء وبقاء السيد بن حومة الذي عمر طويلا على ما يبدو؛ مواظبا على نفس النشاط وفي نفس المكان، وكانت أغلب الحوانيت التي اكتراها التجار الجرابة بالسوق المسمى باسمهم؛ **سوق الجرابة**، وقد ورد في عقد اكتراء سدس حانوت حانوت بسوق الجرابة من طرف بن الحاج علي العطار سنة 1078هـ/ 1667م، ومن جانب آخر وردت إشارات عديدة في سجلات البايلك؛ تبين استقرار التجار الجرابة بمدينة الجزائر، بل وانتشارهم في الدور والعقارات بالبيع والايجار خارج السوق المخصصة لهم[2]، فهذه دار الحاج **محمد الجربي** بسوق الكتان من اكتراء ابراهيم بن عمر خوجة الإنكشاري سنة 1073هـ/1760م[3]؛ المنتمي إلى طائفة الأوجاق، وكان يدفع كراء قدره 38 ريالا سنة 1190هـ/1776م[4]، وهذه دار **محمد الجربي** بذات السوق أيضا بيد محمد بن مصطفى، وكان يدفع كراء سنويا مرتفعا على ما يبدو من قيمته المقدرة بـ: 63 ريالا سنة 1184هـ/1770م، وهو ما يبرز سعة الأملاك ويسر الحال والرفاه في العيش وتفتحهم في تعاملاتهم على كل الفئات، ويبدو أن لأصحاب الأملاك منهم عبيد وخدم، فقد ورد في إحدى السجلات بتاريخ ربيع 1712هـ/1715م اسم المتوفى عن زوجه؛ **بركات الوصيف** معتوق الجرابة[5].

وعليه يمكن التمييز بين بين نوعين من التجار الوافدين على البلاد؛ مستقرين بصفة دائمة أو بشكل مؤقت لفترات محددة؛ حيث ترتبط حركيتهم بالمبادلات التجارية من تصدير واستيراد، وقد كان ميدان نشاطهم بالجزائر العاصمة: سوق الجرابة، كما نجد لأبناء الطائفة الجربية حضور بارز بين الفخارين أو الفخارجية منذ أوائل القرن 17م، فقد ورد في أحد الاتفاقات تبادل نوع من الأواني الفخارية بين التجار مثل الفخار الجربي المزركش"**المزوق**" الذي تم تحديد سعره بـ: 72 ريالا سنة 1693م، وبأمر من الداي **بابا أحمد** عقد اجتماع بين السيد **محمد بن اليا** والسيد **محمد بن الفقير** شيخ البلد وأمين الفخارين، وجمع الجماعة؛ واتفقوا على السعر المشار إليه [6]. إن الاتفاق سالف الذكر يبين بوضوح أن أن التجار الجرابة كانوا من بين ممولي المدينة بهذا النوع من الفخار المعروف باسم"الجربي المزوق"، ومن المحتمل أن يكون بعض الجرابة قد تولوا أمانة جماعة الفخارجية بجانب أمانة الجرابة الخاصة بهم، وهو اعتراف بالخبرة ودليل على الحظوة بين الفخارين[7]، حيث أسهمت الفئة في دعم الخزينة بمبالغ محترمة عن طريق الرسوم المختلفة؛ نظير ما تميزت به الجماعة من نشاط أقدم عليه أفرادها؛ من صناعة الفخار والتجارة والعطارة والأقمشة فضلا عن السلع المجلوبة من جزيرة جربة[8].كما

---

[1]- فاطمة الزهراء قشي، محفوظ حني: **المرجع السابق**، ص 942.

[2]- فاطمة الزهراء قشي، محفوظ حني: **المرجع نفسه**، ص 941-942.

[3]- أ.و.ج: **سجلات البايلك، العلبة 24، السجل: 170**.

[4]- أ.و.ج: **سجلات البايلك، العلبة 24، السجل: 168**.

[5]- أ.و.ج: **سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة 10، السجل: 52**.

[6]- عبد الله بن محمد الشويهد: **المصدر السابق**، ص 88-89.

[7]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص 33.

[8]- فاطمة الزهراء قشي، محفوظ حني: **المرجع السابق**، ص 942.

يظهر النشاط التجاري لجماعة الجرابة بمدينة الجزائر من خلال القروض التي استفادوا منها، وتلك التي أفادوا بها الحكام، ففي بعض الأحيان أقرض تجار كبار أو مالكون رؤوس أموال لجرابة لتوظيفها في التجارة واقتسام الأرباح، من ذلك استفادة أحد أبناء الطائفة المسمى: **سعيد بن مهني الجربي** عام 1220هـ/1805م من مبلغ من المال قدره: 1000 ريال منحه له السيد: **الحاج قاسم السكاكري حرفة** على وجه القراض لتوظيفه مع اقتسام الربح بينهما[1]، والمكرم السيد **علي بن دحمان الجرابي الدلال** الذي كانت له شراكة مع المكرم **الحاج بن الحاج عمر الجزائري الصراف**، ففي عقد يعود بتاريخه إلى عام 1154هـ/1741م منح هذا الأخير للأول مبلغا قدره 82 دينار فضية من سلف أحصاه، وكان الغرض هو توظيف المبلغ وتوسيعه عن طريق الأرباح المحصل عليها[2]، كما حصل **علي الشرقي الجربي** من متروك أحد الخراطين "القصابي" على مبلغ 44 ريالا في دين؛ من مجموع التركة المقدرة بـ 270 ريالا[3]، ولعل هذا ما جعلهم أصحاب أملاك من دور وعقارات داخل وخارج **سوق الجرابة**، من ذلك امتلاك أحد العناصر الجرابة المسمى السيد؛ **علي الجربي بن دحمان** لأموال ولدار بالشياع أي ملكية مشتركة بزنقة الجرابة بمدينة الجزائر؛ وهذا بتاريخ 1173هـ/1759م[4]، ومن خلال العينة حصلنا على تركة وحيدة تخص وظيفة المزوار وهي **لحمدان الجربي**، وقد توفي هذا المزوار عام 1792- مخلفا تركة بلغ مجموعها 17273 ريالا، وهو ما أهله لأن يكون من كبار أثرياء المدينة[5] .

03-المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات التونسيبة بالجزائر:

مارس أبناء الجاليات التونسية بالبلاد الجزائرية أنشطة متنوعة مست شتى مناحي الحياة؛ والتي عكست بشكل أو بآخر ملامح الحراك الاجتماعي القائم من جهة، وأعطت من ناحية أخرى صورة للتعايش والتماهي والاندماج المجتمعي، فقد كانت التجارة البينية لبلدان شمال افريقيا نشطة؛ حيث كان للتجار معاملات بيع وشراء في البلد الذي يذهبون إليه، وقد ذكر **الوزان** أن السفن القادمة من تونس وجربة كانت تأتي كل سنة إلى عنابة من أجل التجارة لشراء القمح والزبد؛ حيث كان القمح القادم من مناطق عديدة وخاصة **عنابة** مصدر قوت لسكان القيروان، وذكر كذلك أن تجار تونس كانت لهم تجارة مع أهالي ورقلة[6]، أما **مارمول كاربخال** فقد ذكر بأنه كانت تقام في عنابة سوق كل جمعة يقصدها التجار من تونس[7]، ويذكر **حسن دردور** أن سبب توافد الجرابة بأعداد كبيرة على مدينة بونة، كان جراء فرارهم من سياسة باي تونس**علي باشا** تجاه الأغنياء والتي لم يكن أمام مطالبه منهم مفر آخر سوى الفقر أو الموت، فأدى ذلك إلى لجوء هذه الفئة من التونسيين إلى الجزائر مهاجرة، وبما أنهم كانوا موهوبين في مجال التجارة منذ استقرارهم أضافوا لأسواق عنابة حركية بفضل نشاطهم الخاص، وقد كانوا يمارسون تجارة المنتوجات الفخارية والبهارات وعلى رأسها الهريسة[8]، وقد

---

[1]- أ.و.ج: س.م. ش، علبة **31**، الوثيقة رقم: **41**.

[2]- أ.و.ج: س.م. ش، علبة:**130-131**، الوثيقة رقم: **99**.

[3]- **سجلات بيت البايلك وبيت المال: العلبة 03، السجل رقم 23**.

[4]- أ.و.ج: س.م. ش، علبة**06**، الوثيقة رقم: **07**.

[5]- ياسين بودريعة: **المرجع السابق**، ص 264.

[6]- الوزان: **وصفافريقيا**، ج2، المصدر السابق، ص ص 62، 75، 136.

[7]- مارمول كاربخال: **افريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1989م ص 272، ج3، ص 8.

[8]-H'sen Derdour **: Annaba 25 Siècles De Vie Quotidienne …** , Op.cit, T2, 1983, P 137.

لعب التجار التونسيون دورا مميزا في الحركة التجارية الدولية عبر ميناء الجزائر، حيث تم تسجيل 15 عقدا للتجار التونسيين؛ استنادا إلى المعطيات المستقاة من وثائق القنصلية الفرنسيةفي الفترة الممتدة (1686-1791م)[1]، حيث احتل التونسيون المرتبة الثانية بعد الطرابلسيين من حيث العقود المسجلة، وتم إحصاء 23 تاجرا تونسيا، من بينهم 13 تاجرا من جربة وهم بذلك يمثلون أزيد من النصف؛ من بينهم: **الحاج سليمان ألين التونسي، الحاج محمد غازي، صالح بن ثابت الجربي، سيدي رمضان، محمد بن مسعود، سيدي السعيد، الحاج عمر الجربي**...ومن التجار الذين عرفوا بمدينة الجزائر نجد التاجر **أحمد الجربي** خلال القرن 12هـ/18م؛ الذي حبس جميع داره على جماعة الحزابين بالحلقة بالجامع الأعظم عام 1788م[2]...إذ تظهر أسماء التجار التونسيين في العديد من المعاملات التجارية (بيع وشراء) على غرار السيد **محمد الحسن بن محمد القفصي**[3].

ويمكن اعتبار الجاليات التجارية هي أغلب الجماعات المقيمة في المدن بشكل مؤقت، لأنها لم تأتمهاجرة ونازحة سواء لأسباب اقتصادية أو سياسية، بل تسافر وراء ثرواتها وتجارتها، لذلك يمكن القول أن الجماعات التجارية من أهم عوامل التفاعل الاجتماعي بين الإيالتين بحكم انتقالهم من بلد إلى آخر؛ كونهم يمثلون رعايا الدولة غير المهاجرين قسرا، وبما أن التجار هم جوهر التفاعل الاجتماعي في العلاقات الاجتماعية بين البلدين، بحكم أن إقامتهم في البلد الآخر بموافقة دولتهم أي أنهم لم يهربوا من بلدهم بل إقامتهم مؤقتة، لذلك تأثر وجودهم بالعلاقات السياسية بين البلدين، حيث نرى **حمودة باي** سنة 1806م عندما أعلن الحرب على الجزائر؛ أمر بإخراج جميع رعايا الجزائر من تونس[4].

ومنه يتضح أن الحراك التجاري لعب دورا مهما في توثيق وتعميق الصلات الاجتماعية بين الشعبين المتجاورين، بحيث أضحت تلك العلاقات فعالة وقوية؛ مع انفتاح أبناء الإيالتين على بعضهم البعض في الجوانب الاجتماعية؛ في ظل الترحيب الذي يلقاه التجار من الأهالي في هذا البلد أو ذاك، فقد كانت مناطق التقاء القوافل زيادة على كونها فضاءات معاملات تجارية؛ فرصة للتعارف وتكوين الصداقات، ولم تسجل حالات الاعتداء على التجار إلا في مناسبات نادرة؛ كما حدث مع قافلة قسنطينة التي استولت عليها دريد عام 1759م؛ والتي تدخل بشأنها علي باي[5]، وهذا يعكس لنا مدى احترام الساكنة للجاليات التجارية الموجودة على أراضيها، حيث كانت قوافل قسنطينة ومناطق الجزائر الأخرى ذات أهمية كبيرة لتجارة تونس؛ قيمة وأرباحا، وإذا ما نظرنا إلى الجنوب التونسي(بلاد الجريد) المنطقة النائية والبعيدة عن الشمال نجد أن التجارة مثلت لها فرصة كبيرة للاتصال بأهالي الجزائر في رحلات موسمية؛ سواء من خلال جلب العبيد السود الذين شكلوا جزءا هاما من تجارة تونس أو عن طريق صيد النعام في الفضاء الصحراوي الفسيح الذي يبدأ من غدامس إلى سوف[6]. وامتهن التونسيون بالبلاد الجزائرية عديد الحرف؛ ومارسوا مهنا وصنائع متنوعة إلى جانب النشاط

---

[1]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، المرجع السابق، ص 34.

[2]- عائشة غطاس: **"تجار مغاربيون بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال وثائق القنصلية الفرنسية"**، المرجع السابق، ص 362-364.

[3]- حنيفي هلايلي: **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999-2000، ص 173.

[4]- أحمد بن المبارك: **المصدر السابق**، ص 51.

[5]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، صص181-182.

[6] - Louis Frank et Marcel. J : **Op.cit,** P123.

التجاري؛ اتسمت في مجملها بالتفاوت بين أصحابها، وكانت تخضع إلى تراتبية واضحة، فلما هاجرت عائلة **قدورة الجربية** إلى الجزائر؛ استقر رب الأسرة **إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي** بالعاصمة، وعمل **فرانا** أو **خبازا** بمحاداة زاوية سيدي الأكحل قرب باب عزون[1]، ويبدو أن ابنه الشيخ **أبو عثمان سعيد** قد امتهن حرفة **النجارة**، وهو ما يشير إليه صاحب الصفوة بقوله:" **الإمام العالم الصالح أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة، الجزائري الدار، التونسي النجار**"[2]، كما مارس التونسيون مهنة **الدلالة** كما هو الحال مع المكرم **السيد علي بن دحمان الجرابي الدلال** الذي كانت له شراكة مع المكرم الحاج بن الحاج عمر الجزائري الصراف، ففي عقد يعود بتاريخه إلى عام 1154هـ/1741م منح هذا الأخير للأول مبلغا قدره 82 دينار فضية من سلف أحصاه، وكان الغرض هو توظيف المبلغ وتوسيعه عن طريق الأرباح المحصل عليها [3]، وهناك من امتهن حرفة **العطارة** إذ نذكر في هذا الجانب السيد **علي العطوي التونسي العطار** الذي قام بدفع ما عليه من غرامة والتي قدرت بـ 50 سلطاني ذهب على يد **محمد خوجة** متاع العطارين في أوائل شعبان 1168هـ/ 1754م[4]، ونجد أيضا من تولى أمانة وظيفة إحدى التنظيمات الحرفية، كالمكرم **محمد بن عمار التونسي** زوج **آمنة بنت محمد الوسلاتي** الذي كان **أمين القلالين** بقسنطينة، وهذا من خلال عقد قران مع المذكورة يعود بتاريخه إلى 06 جمادى الأولى عام 1202هـ/1787م [5].

كما مارس بعض أبناء **الوسالتية** حرفا ومهنا متواضعة كما هو الحالمع **عمارة الحمار الوسلاتي** بمدينة الجزائر[6]، بالإضافة إلى بعض المهن التي مارسوها كالعمل في **المقاهي**، فقد جاء ذكر المسمى **الحاج محمد التونسي القهواجي صناعة** بتاريخ 1173هـ/1759م[7]، ومن **التونسيين** من مارس حرفا داخل مدينة قسنطينة؛ كما هو الحال مع بعض مع **الجرابة** الذين امتهنوا **حرفة القلال**(صناعة الجرار والأواني الفخارية والرحى)؛ كما مارس **محمد التونسي** مهنة **الجزارة** وعرف حسب العقد **بالجزار حرفة**[8]، ومن الحرفيين التونسيين نجد كذلك **عمر المرابط القيرواني**(ت 1222هـ/1807م) الذي اشتغل في الجزائر **سراجا–يصنع السروج–**، وكان هذا الرجل ممن خدم عائلة الباي **حسين بن علي**، ويأتي بربح عمله إلى مخدومه **محمد باي** عندما كان لاجئا بالجزائر[9]، ونجد من أبناء الجالية التونسية من غير المسلمين من مارس مهنة **الخياطة** كما هو الحال مع الذمي **إبراهيم التونسي الخياط بن إسحاق بن عزره اليهودي**،...الذي ورد ذكره في في وثيقة مؤرخة في أوائل ربيع الثاني **عام 1239هـ/سبتمبر 1823م**[10]. ومارس

---

[1]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 95.

[2]– محمد الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تق وتح عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البضاء، المغرب، 2004، ص 220.

[3]– **أ.و.ج: س.م. ش، علبة130–131، الوثيقة رقم: 99.**

[4]– **أ.و.ج: سجلات بيت المال، العلبة 360، السجل: 375.**

[5]– **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 22.**

[6]– عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700–1830"**، المرجع السابق، ص 252.

[7]– **أ.و.ج: سجلات بيت المال، العلبة 360، السجل: 375.**

[8]– سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن 19 من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، المرجع السابق، ص 128.

[9]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، مج7، ص47.

[10]– نجوى طوبال: **طائفة اليهود بمجتمع الجزائر(1700–1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، المرجع السابق، ص 170.

الحرفيون اليهود الذين استقدموا من **الجنوب التونسي إلى ميزاب** مهنهم في أحسن الشروط التي تكفل لهم صيانة حقوقهم والتمتع حرياتهم[1]، وكان لأبناء الجالية التونسية حضور في العديد من الأنشطة والأعمال بمدينة قسنطينة ، فقد مارس التونسيون مهنة التحميص "**حماصون**"[2]، كما اختصوا أيضا في **صناعة الحلويات** من العسل واللوز والسكر وتحضير وبيع **الفطائر** للمارة والنازلين في المدينة[3]، أما الشيخ **مصطفى قردناش** –شيخ الأندلسيين بتونس، والذي استقر قرابة نصف قرن– بعنابة، فقد حاول النهوض بزراعة الزيتون الكثيفة في هذه المدينة لما أدخله من تقنيات زراعية جديدة[4]، حيث استفادت منه **بونة** أيما استفادة حيث حولها إلى جنة فيحاء بتوسيع وتنويع وتكثيف زراعتها؛ وإلى مدينة تجارية محترمة ذاعت شهرتها في البحر الأبيض المتوسط[5].

ومن النخب التونسية التي مارست مهنا نذكر؛ الشيخ **أبي عبد الله محمد الشافعي الباجي**، وكاتبه **أحمد الأصرم القيرواني**–عالمي **محمد باي بن حسين** ومرافقيه في غربته–، وكانت حرفتهما بالجزائر بث **العلم وصناعة التوثيق**[6]، وإلى جانب الصنائع والمهن المشار إليها؛ امتهن أبناء الجاليات التونسية حرفا أخرى، من ذلك **حرفة البناء** حيث كان المسئولون بالجزائر يستعينون ببعض الصناع المسلمين ولا سيما من تونس والمغرب الأقصى من أجل انجاز المنشآت العمرانية[7]، ويذكر أنه في أعقاب الدعم الجزائري ووصول علي باشا إلى الحكم في تونس؛ كان الداي **إبراهيم باشا** في أشد الحاجة للحصول على المبالغ اللازمة لتموين خزينة البايلك، في الوقت الذي كان أشد ما يكون احتياجا لمواجهة الحملة الحربية التي كانت إسبانيا تعدها ضد الجزائر، إذ يقال أن تونس ساهمت في دفع نفقات التحصينات التي قام بها **إبراهيم باشا** وفي إعادة بناء قنطرة الحراس التي بناها **الحاج أحمد** والتي حطمتها حملة مائية عنيفة، كما يقال أن باي تونس هو الذي وجه له **المهندس الذي أشرف على الأشغال**[8]، كما نجد أيضا بعض المهندسين التونسيين في مدينة وادي ريغ–تقرت– عند **بني جلاب** الذين أقاموا بها القصور والجوامع[9]، ونذكر نماذج عن النقاشين التونسيين **الأسطا حسين** و**علي بن محمد التونسي**، و**أحمد بن عمر التونسي**، وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة **خنقة سيدي ناجي**[10] بمنطقة الزاب، ومن النقوش الموجودة بالباب الغربي للمسجد والتي تثبت ورود بنائين تونسيين على المنطقة" **ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال 1146 على صانعه أصطا أحمد بن عمر**

---

[1]– فوزي سعد الله: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، المرجع السابق، ص 141.

[2]-Isabelle Grangaud : **La ville imprenenable une histoire sociale de Constantine**, Edition-Media Plus, 2004, P 44.

[3]– عبد الرزاق قشوان: **الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219–1282هـ/ 1804–1871م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017–2018م، ص 96.

[4]– ميكال دي ايبالزا: **المرجع السابق**، ص 117–118.

[5]– فوزي سعد الله: **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، المرجع السابق، ج1، ص 291.

[6]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 146.

[7]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي (1500–1830)**، ج2، طبعة 6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 488.

[8]– مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج4، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2011، ص 217.

[9]– إبراهيم بن صالح أعزام: **المرجع السابق**، ص 142.

[10]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، المرجع السابق، ج2، ص 449.

الشريف الجبالي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفاقسي رحمه الله"[1]، كما وجدت كتابة على دائرة محراب **جامع سيدي عقبة (بسكرة)** تشير أن باني هذا المسجد هو **محمد بن عمر التونسي** عام 1214هـ/ 1799-1800م [2]، ولا يفوتنا في هذا السياق أن نشير أن الجامع الكبير **بوادي ريغ** (تقرت) الذي ارتبط بفترة حكم **بني جلاب** والذي يرجح تأسيسه في القرن 14م، قد بناه مهندسون تونسيون[3]، ويعتبر مسجد **سيدي المبارك** المعروف كذلك **بالجامع الكبير** الذي بناه الشيخ **محمد بن محمد الطيب** من المعالم التاريخية الهامة **بالخنقة** شرق البلاد، فقد بني وزين بالرخام ونقش من طرف صناع تونسيين[4]. ومن النقائش الغريبة ذات الدلالة الخاصة؛ لوحة تذكارية وضعها **علي باي** بالزاوية لتخليد مروره **بالخنقة**، وهي لوحة نجدها داخل روضة **سيدي مبارك** ورد فيها بعد البسملة" **أودع علي بن حسين باي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ناقشها أسطى حسين سنة 1151هـ/ 1738-1739**)"، في حين نجد أن النقاش هو **أسطى حسين التونسي** الأصل الذي اشتغل لاحقا بالخنقة زهاء خمس سنوات[5].

وتذكر نقائش الخنقة عديد الصناع، تسميهم **الأسطى**[6]، وفي بعض الأحيان تذكر الكتابة أصول الصناع مثل **الأسطى أحمد بن عمر التونسي**؛ الذي أنجز نقوش محراب مسجد سيدي مبارك بتاريخ أواسط صفر جويلية 1734م أو **الأسطى الحاج امحمد السعد بن عمر الصفاقسي**؛ باني المسجد بتاريخ 8 شوال 1147هـ/ 14 مارس 1734م **أو الأسطى أحمد بن عمر الشريف الجبايلي التونسي النقاش**؛ الذي ركب الباب الغربي للمسجد في التاريخ نفسه، وهو صانعه وناقشه تقول الكتابة[7]، وقام البناءون **الأسطى علي البنزرتي وأخوه محمد، وقاسم الصفاقسي بمعية أربعة صناع أجر**؛ أرسلهم **حمودة باشا بن علي** (1782-1814) بتجديد مئذنة مسجد سيدي ناجي بعد سقوطها عام 1210هـ/ 1794م [8]، وهذا الحضور يؤكد على الطابع التونسي الملاحظ في أبنية الخنقة من عمال (بناؤون) ومهندسين جاءوا إلى الزاوية قادمين من تونس[9]؛ بل إن الصرح الجنائزي أو الضريح الذي يحمل رفاة الولي **سيدي عبيد الشريف بقنتيس(تبسة)**،- والذي أصبح مزارا يحج إليه الجزائريون والتونسيون على السواء- كان من إنجاز **معلم تونسي** ماهر جدا في فن البناء، فقد استجاب هذا **المهندس** كما تقول الرواية لأمر الولي **سيدي عبيد** الذي جاءه في المنام بعد وفاته طالبا منه الإسراع في تشييد القبر، وقد استغرق في بنائه ثلاثة أيام[10]، غير أن الوثائق الأرشيفية تشير أن المخزن التونسي من

---

[1]- كريمة بن حسين:"**خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 89-90، منشورات التميمي للبحث العلمي، والمعلومات، زغوان، تونس، ماي 1998، ص 106.

[2]- Simon(H) : **« notes sur la mosquée de Sidi Ocba »**, In R.A, Vol 53, Alger, 1909, P 38.

[3]- Féraud Charles : « Les **Ben-Djellab sultans de Tougourt »,** In R.A, Vol 23, Alger, 1879, P 58.

[4]- كريمة بن حسين: **المرجع السابق**، ص 106.

[5]- Gustave Mercier: Op.cit**,** PP 147, 149.

[6]- **الأسطى**: وهي كلمة تركية تعني المعلم أو الخبير الذي يتقن في إحدى الصنائع أو الفنون مثل البناء والخط، والنقش على الجبس، ونحت الحجارة ونقشها، والحدادة، والنجارة.

[7]- Gustave Mercier: **Op.cit,** PP 149,150.

[8]- كريمة بن حسين: **المرجع السابق**، ص 105.

[9] - Gustave Mercier: **Op.cit,** P 150.

[10]-Trumlet (C): **L'Algérie légendaire**, Editeur augustin challamel, Paris, France, 1892, P 244.

عمد بدوره إلى تلبية طلبات المساعدة التي تلقاها باعتبارها آلية من آليات كسب ولاء واستلزام الصلحاء والزوايا في خارج البلاد؛ حيث عمد **علي باي**(1759-1782) سنة 1191هـ /1777-1778م إلى إرسال إثنين من **القبابة** أي المختصين في بناء القباب و" **معلم" نجار** و"**معلم" نقاش حجر** إلى أولاد سيدي عبيد بالجزائر " لبناء مقام **سيدي عبيد الشارف**" [1]، ولم يقتصر الأمر على حراك المهندسين والنقاشين التونسيين إلى الجزائر؛ بل تعداه إلى بعض مواد البناء والزخرفة، من ذلك الزليج الذي كان يجلب من تونس[2].

04-مؤشرات الغنى والثراء لدى بعض أبناء الجالية التونسية بالجزائر:

امتلك بعض أبناء الجاليات التونسية بحكم الاندماج والتعايش ثروات وأملاك عكست مؤشرا من مؤشرات الثراء، ومن هذه العينات بالنسبة للرجال الأغنياء بمدينة الجزائر نجد الحاج **الطيب الوسلاتي** المتوفى عام 1788م؛ الذي امتلك ثروة هامة تجلت بوضوح من خلال ما خلفه من تركة، فقد كان تاجر ملابس حيث خلف تركة تقدر بـ: 5383 ريالا، كما خلف هذا الأخير عطر الورد الذي قدر ثمنه بـ 680 ريالا دون الإشارة إلى الكمية[3]، أما من الجرابة فنجد المسمى **حمدان الجربي** المتوفى عام 1792م الذي تقلد وظيفة المزوار[4]، والذي خلف تركة بلغ مجموعها 17273ريالا؛ وهو ما أهله لأن يكون من كبار أثرياء مدينة الجزائر[5]، وهذا **علي التونسي** المتوفى عام 1815 والذي ترك هو الآخر تركة قدرت قيمتها بـ 14.000.00 ريال دراهم صغار[6]، وهناك من النساء من تركن ثروة أدنى كما هو الحال مع بعض المعتقات على غرار **ياقوت** معتقة التونسي المتوفاة سنة 1815م، وقد قدرت بـ: 1069 ريالا [7]، والمتوفاة الحاجة **جوهرة** معتوقة الحاج بن يونس بن روح التونسي، التي خلفت تركة قدرت بنحو 1465 ريالا، كان نصيب زوجها الحاج **محمد التونسي بن أحمد** ما قدره 727 ريالا، وهذا كما هو مدون بتاريخ 1133هـ/ 1720م [8]، وكما هو الحال أيضا مع المسماة؛ كريمة بنت حسن زوجة سليمان بن صالح التونسي؛ التي سافرت معه إلى بلاده سنة 1775م، وخلفت أملاكا بمدينة الجزائر[9]، في حين كان السيد **عمر الجربي** من الذين امتلكوا عقارات (أراضي) وأملاك "دور وحوانيت" في المدينة، حيث قام بابتياع دار قرب مسجد خضر باشا بناحية باب عزون، وملك كذلك دار ابن كرشيش اليهودي بزنقة الجرابة وابتاع أيضا حانوتا بسوق القبايل، وقام بتحبيس هذه الأملاك على نفسه أولا ثم على أولاده محمد وعايشة وقامير ومن سيولد بقية عمره؛ فإن انقرضوا رجع الحبس على فقراء مكة والمدينة وأثبت كل هذا في وثيقة صدرت بتاريخ 1086هـ/1675م[10]،

---

[1]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2145**، ص 258.

[2]- Venture De Paradis: **Op. Cit**, P 172.

[3]- ياسين بودريعة: **المرجع السابق**، صص68، 173.

[4]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص37.

[5]- ياسين بودريعة: **المرجع السابق**، ص 264.

[6]- المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 342.

[7]- ليلى خيراني: **واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني 1800-1817م دراسة أرشيفية**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2016، ص 87.

[8]- **أ.و.ج: سجلات بيت المال وبيت البايلك، العلبة 10، السجل: 52.**

[9]- نجوى طوبال: **الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية**، المرجع السابق، ص 469.

[10]- **أ.و.ج: س.م.ش، العلبة 10، م5و20.**

والظاهر أن الملكية لم تكن الأمر قاصرة على الرجال؛ فقد امتلكت الوافدات من التونسيات عقارات وجنان، من ذلك الولية **نفسة بنت الحاج محمد التونسي** التي حبست على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان **البحيرة الصغرى الكائنة بالحامة** ابتداء على نفسها تنتفع بغلتها مدة حياتها، وبوفاتها ترجع مع مائها على ابني ابنها علي وهما: علي وهذبة، وعلى ابني ابنتها يونة وهما : أحمد وعائشة ...بتاريخ 1155هـ/ 1742م [1]، ومن أبناء الجالية التونسية من امتلك **عبيدا**، فقد وردت في إحدى عقود الزواج بقسنطينة التي تعود بتاريخها إلى 28 محرم 1203هـ/ 1788م لفظة **معتوق الصفاقسي** أي محرره، والذي كان شاهدا عقد نكاح **محمد بن علي العنابي** من **تاسعديت بنت السعيد الورتيلاني**[2] .

استطاعت الكثير من العائلات التونسية التي آثرت الاستقرار بالبلاد؛ أن تكون لها ثروة وأن تصبح صاحبة أملاك على غرار عائلة قدورة، ويبدو أن الجاه العلمي لهذه الأسرة اقترن أيضا بممارسة النشاط التجاري، فقد كان الشيخ المؤسس"سعيد" من كبار التجار الأثرياء، وكانت ثروته واسعة جدا جمعها من التجارة والمشاركة في امتلاك سفن القرصنة، وعمليات تصدير السلع التي تأتي بها الغنائم البحرية[3]؛ إلى جانب الشراكة في ممارسة بعض النشطة التجارية، حيث كان المفتي ذا مال يشارك به بعض التجار[4]، وكان صاحب ثروة وأملاك، كما كانت له أرض حراثة، وكان ينفق من ماله الخاص لا من دخل الأوقاف[5]، ويبدو سعة الرزق مست حتى أبناء الأسرة؛ حيث ذكرت الباحثة **فتيحة لواليش** أن **الحاجة الزهراء بنت سيدي سعيد؛** كان لديها محل تجاري لكيْ وصبغ الملابس قرب باب القيصرية بالعاصمة[6]، والظاهر أن الأرباح التي حققتها الأسرة من النشاط التجاري والثروات التي توافرت لها –إلى جانب الورع والعلم–هي التي أهلتها للظفر بالهيبة والمكانة الاجتماعية المرموقة. وتفيد وثيقة قضائية مؤرخة في جمادي الثانية 1203هـ/ 17–25 فيفري 1789م؛ انتقال جنة يملكها **عثمان التركي** بعد وفاته لولده الوحيد **محمد الانجشاري الحفاف** الذي باعها بدوره **لعلي التونسي بن الحاج حسن** بمبلغ قدره **600** ريال **دراهم صغار**، وقبض منه مبلغ **189 ريالا** والباقي يؤديه إليه منجما بما قدره في كل عام **36 ريالا**. وتشير الوثيقة بعدها إلى أن المذكور قبض من **علي التونسي** جميع الأقساط المتبقاة **من مبلغ الجنة** حسيب ما هو مسجل لدى القاضي الحنفي **أبي الحسن إبراهيم أفندي** أواخر شعبان 1214هـ/ 17–25 جانفي 1800م، ومما جاء فيها مقتضبا:" ...**وتوفي المالك عثمان المذكور عن ولده محمد الانجشاري الحفاف لا غير في علم من علمه وانتقل جميع الجنة المذكورة له الانتقال التام ...باع من المكرم علي التونسي ابن الحاج حسن جميع الجنة المذكورة بيع له بثمن قدره ستماية** ريال **كلها دراهم صغار...وصار البائع المذكور يقبض من المبتاع المسطور منجما بعد نجم إلى أن بقي له تمام المبيع المذكور ما قدره ستة وثلاثين ريالا...أبو الحسن السيد إبراهيم أبانه قاضي الحنفية ...وأشهدهما على نفسه أنه قبض من المبتاع على المسطور جميع**

---

[1]- أ.و.ج: **سجلات المحاكم الشرعية، العلبة رقم 1/19، الوثيقة رقم :38.**

[2]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 68.**

[3]– المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 331.

[4]– أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 72.

[5]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص97–98.

[6] - Fatiha Loualich: **La famille à Alger 18e et 19e siècles**, **op.cit**, p146.

العدد الباقي له لقاء البيع المذكور ...أواخر شعبان المبارك المزهو من عام أربعة عشر ومائتين وألف."[1]، وبوفاة المالك **علي التونسي** انتقلت الجنة التي يملكها بمدينة الجزائر لورثته وهم زوجته **آمنة** وأولاده **محمد وحسن وعائشة** كما هو مدون في وثيقة قضائية ترجع بتاريخها إلى أواسط ربيع الأول 1233هـ /18-25 جانفي1818م، هذه مقتطفات مما جاء فيها:" ...**وتوفي علي المالك المذكور عن زوجه الولية آمنة بنت محمد وأولاده من غيرها وهم السيد محمد وحسن وعايشة لا غير...وما خلفه المالك المذكور موروثا عنه جميع الجنة المذكورة وانتقلت للورثة المذكورين....بتاريخ أواسط ربيع الأول عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف.**"[2] .

واستمرت عائلة علي التونسي في تمليك الورثة، فبوفاة **محمد بن علي التونسي** انتقل نصيبه مع أخيه **حسن** في **جنتين** كان يملكهما والدهما إلى ورثته وهم زوجته وأولاده، فباع الورثة مع عمهم حسن الجنتين المشار إليهما لحسن الانجشاري الحفاف بن مصطفى بمبلغ قدره ألفان ومائة وخمسة وتسعون ريالا دراهم صغار، وهذا كما هو مبين في وثيقة قضائية تعود باريخها إلى أوائل شعبان 1244هـ/ 5-14 فيفري 1829م. ووما جاء فيها: " **الحمد لله بعد أن استقر على ملك الأخوين محمد وحسن ولدا علي التونسي ...تملك جميع الجنة المذكورة معهما في المشار إليه وكما استقر على ملكهما أيضا جميع الجنة المحاذية للجنة المسطرة...وتوفي محمد المذكور عن زوجه الولية موني بنت علي وأولاده منها عبد الرحمان وحسن ووالي ومحمد وخيرة ومن غيرها روزة لا غير به علم من علمه ومما خلفه الهالك المذكور موروثا عنه جميع شطر الجنتين المذكورتين المشار إليه لورثته المذكورين على حسب ارثهم فيه ...وأشهدوا على أنفسهم أنهم باعوا كلهم صفقة واحدة وعقدا واحدا من المكرم حسن الإنجشاري الحفاف ابن مصطفى جميع الجنتين المذكورتين معهم...بثمن قدره...ألفان** ريال **ومائة** ريال **واحدة وخمسة وتسعون ريالا كلها دراهم صغارا قبض البائعون المذكورون من المبتاع المسطور جميع العدد الزبور معاينة....أوائل شعبان 1244هـ.**"[3]. إن هذه المؤشرات مظاهر ودلائل على التفاوت في الثروة ومظهرا من مظاهر التراتبية وملمحا من ملامح الاندماج المجتمعي؛ التي تبرز أيضا أن المكانة الاجتماعية -التي يعكسها تغيير المواقع مع ما يصاحبها من تحولات-؛ لا ترتبط في الغالب بالمستوى الاقتصادي فحسب؛ بل تبرز -على ضوء النماذج المنتقاة-أيضا عن طريق الالتزام الديني والجانب الأخلاقي والرصيد العلمي والتنفذ السياسي؛ كما هو الحال مع عائلة قدورة الجربية، ومنه يتجلى ارتفاع المنزلة الاجتماعية لشريحة معينة باحتلالها مراكز عليا؛ وهو ما يعكس قوة تأثير الحراك الاجتماعي. ومن الدلائل التي تعكس لنا وجود جالية تونسية هامة بالبلاد الجزائرية؛ أنه في أعقاب سقوط البلاد تحت نير الاحتلال الفرنسي عام 1830؛ وجه الباي التونسي **أبي عبد الله حسين باشا (1824-1835)** مركبا حربيا إلى مرسى الجزائر فيه القبطان **حسونة المورالي، وأمير آلاي سليم**، وأمره بحمل التونسيين الراغبين في العودة إلى وطنهم[4]. يلاحظ أن المقيمين من الوافدين التونسيين إلى إيالة الجزائر؛ استقرت غالبتهم ببايلك الشرق وأن أعدادهم قليلة في مدينة الجزائر حاضرة الإيالة إذا ما

---

[1]- **الوثيقة رقم 04، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[2]- **الوثيقة رقم 21، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[3]- **الوثيقة رقم 32، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 168.

قوررنت بقسنطينة وضواحيها، كما أن أغلب الجماعات التي كانت العاصمة قبلتها معظمها جماعات تمتهن التجارة، أما في سائر مناطق البلاد فإن الحضور التونسي يكاد ينعدم؛ إذا ما قورن بأعداد الجزائريين بالبلاد التونسية خلال الفترة.

ثانيا–الجاليات الجزائرية في البلاد التونسية خلال العهد العثماني:

عرفت الجالية الجزائرية حضورا متميزا بالإيالة التونسية التي كانت مجالا منفتحا وأرضية لتنوع اجتماعي، عكستها الفسيفساء البشرية التي قدمت من مختلف نواحي البلاد الجزائرية إلى حاضرة تونس وسائر المناطق، فمنهم من قدم من الجنوب الجزائري؛ مثل المزابية والسوافة والورقلية والتوقرتية والتواتية، ومنهم من هاجر من المنطقة الشمالية مثل قسنطينة ووهران ومنطقة القبائل ومدينة الجزائر، وقد كان لبعض الجماعات الوافدة من الجنوب الجزائري تنظيم داخلي يميزها عن الفرق الأخرى، والملاحظ أن هناك مناطق جزائرية معروفة بنزعتها الهجروية في اتجاه الإيالة التونسية على غرار منطقة القبائل وبلاد ميزاب ومنطقة وادي سوف، ذلك أن هذا الحراك البشري هو امتداد لظاهرة قديمة؛ على غرار حراك زواوة والمزابية والسوافة والقبائل الحدودية[1]، لذلك شكلت البلاد التونسية منطقة استقطاب للمهاجرين الجزائريين على مر الحقب والفترات، وقد كانت حركة السوافة نحو البلاد التونسية مألوفة منذ الفترة الحديثة، حيث كان هناك تقارب حضاري وعلاقة جوار بين مجتمع سوف ومجتمع بلاد الجريد بالجنوب الغربي التونسي[2]، إذ تسمي المصادر الإخبارية والوثائق الرسمية التونسية الوافدين من إيالة الجزائر باسم"الغرابة" نسبة إلى الغرب، وهي كلمة جامعة تفقدهم الهوية الثقافية والسياسية وتقتصر على الهوية المجالية، ومع ذلك نجد بعض الجماعات الجزائرية؛ قد ألحقت بأصلها الجغرافي الدقيق مثل المزابية والسوافة وزواوة، كما حافظت بعض القبائل من جهة أخرى على نسبها دون أن يلحق بها نسب الغربي مثل **طرود وأولاد خيار** التي تعاملت معها الإدارة التونسية كمجموعة بشرية وافدة وليست أصيلة البلاد التونسية[3].

من الصعوبة بمكان تقدير أعداد أبناء الجاليات الجزائرية بالبلاد التونسية؛ لعدم وجود بيانات دقيقة بذلك؛ بل أننا نجهل حتى ضحايا مصائب الطاعون الذي ضرب الإيالة لفترات متعاقبة؛ لأن ضبط إحصاء الوفيات لم يتم قط[4]، لكن الشيء الملاحظ على ضوء العلاقات الاقتصادية أن أعدادهم كبيرة، نظرا لكون تونس في طريق تجارة الشرق بالنسبة للجزائر، وفي تونس اهتم بأمورهم الوكيل الجزائري هناك، حيث كان معظم وكلاء الجزائر بتونس من التجار[5]؛ خاصة مع التطور الاقتصادي الملحوظ الذي عرفته الإيالة التونسية خلال القرن الثامن عشر؛ في ظل الارتباط مع النشاط التجاري المتوسطي الذي جعلها تلقب بـ:" **شنغهاي المتوسط**"؛ وما صاحبه من تطور ديمغرافي إيجابي حيث أضحت فضاء جذب لهجرات بشرية داخلية وخارجية[6]، فقد استقطبت البلاد التونسية جاليات جزائرية كبيرة ارتبطت في الغالب بأسماء المدن

---

[1]– عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس(1831–1937)**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010، ص 86-87.

[2]– محمد السعداوي: "**الجزائريون السوافة بالحاضرة تونس لمحة عن تاريخ جالية وافدة زمن الحماية 1881–1956**"، دورية كان التاريخية، العدد 58، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، ديسمبر 2022، ص 110.

[3]– عبد الكريم الماجري: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1830–1939)**، ط1، SotepaGrafic، تونس، 2022، ص 92.

[4]– لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل اختلال الجزائر 1790–1830**، المرجع السابق، ص 32.

[5]–**أ.و. ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 334، الملف 284، رقم الوثيقة رقم 37.**

[6]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 216.

التي قدمت منها كالجزائري، القسنطيني، الزواوي، لكن المؤكد أن الأعداد تقدر **بالآلاف**؛ ولا أدل على ذلك من توجيه **حمودة باشا** عام 1223هـ/1808م في خضم الاستعداد لحربه مع الجزائر **أربعة آلاف من عسكر زواوة** مع ثلاث آلاف جندي تركي إلى المنطقة الحدودية لحراستها[1]، ومع ذلك فقد وضع **محمد بيرم التونسي** وصفا يمكن الاعتماد عليه في توقع رعايا الجزائر بمدينة تونس على وجه التحديد من خلال حديثه عن عدد سكان مدينة تونس الذي قال إنها قرابة 150 ألف نسمة، 90 ألف منهم ما بين **جزائريين وأهالي**[2]، فيكون بذلك قد أبرز أن الجاليات الجزائرية هي أكبر الجاليات العربية في مدينة تونس من خلال وضعه الجزائريين مع الأهالي في العدد المشار إليه.

إن المعطيات تجعل من عملية إحصاء الوافدين من إيالة الجزائر عسيرا، ذلك أن الدفاتر التي خصصت للغرابة الجزائريين أواسط القرن التاسع عشر لا تقدم لنا تعدادا حقيقيا، لأن الأرقام المذكورة لا تتناسب والعدد الحقيقي للجزائريين الذين وفدوا على الإيالة التونسية في فترات مختلفة[3]، **ولعل أول سجل أو تسجيل للجالية الجزائرية بتونس كان سنة 1876م، وهو الدفتر الذي يحمل قائمة بـ: 1725 اسما** مقسمة على النحو الآتي: **تسعمائة وسبعة وثلاثون(937) جزائريا مسلما، سبعمائة وستة وأربعون(746) يهوديا جزائريا، واثنان وأربعون متجنسا**[4]، والحقيقة أن هذه الأرقام لا تعكس الرقم الحقيقي للجالية الجزائرية بتونس، فقد قدره الوزير **خير الدين** عام 1876 بحوالي **خمسة عشر ألفا(15000)**، أما القنصل الفرنسي فقد قدر تعدادهم بنحو **ألفين وخمسمائة (2500)** بالنسبة للجزائريين المتوافدين على البلاد التونسية، ويعزى ذلك إلى أن التسجيل اقتصر على البالغين من ناحية ؛كما أنه لم يشمل كل الجزائريين، فهناك منهم غير المسجلين[5]، **ذلك أن الحاضرة كانت خليطا من السكان شأنها شأن عواصم البلاد الأخرى.**

تركزت سياسة السلط الحاكمة على تسمية الوافدين إليها من شيوخ البرانية بالعاصمة، فهناك **شيوخ أبناء قسنطينة ووهران ومدينة الجزائر وبني مزاب وتوات والوارقلية والتوقرتية**، إذ تشير الوثائق إلى أسماء كثيرة من الجزائريين مثل **المزابي، الغرداوي** ...وقد كثر الجزائريون بصورة أدت بالحكومة إلى تعيين مشايخ لتجمعاتهم المتعددة، وصنف هؤلاء الشيوخ تبعا لمواطن انتساب منظوريهم مثل **القسنطينيين** و**الوهرانيين** و**التواتيين** وغيرهم، وليس هناك أسباب محددةلاستيطان أبناء الجزائر مدينة تونس؛ وقد يكون من بين الأسباب المعارضة السياسية والبحث عن العمل والتعلم في الزيتونة بدليل أننا نجد **عدولا** حلوا بالإيالة التونسية فرارا من السلطة؛ مثل **العدل محمد بن الطاهر الوهراني** ، ويقوي هذا الظن أن بعضهم **أشراف**؛ بدرت منهم تصرفات لم يرض عنها ولي الأمر[6].

---

[1] - Alphonse Rousseau **: les annales Tunisiennes, Op.cit,** P 263.

[2]- محمد بيرم: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المصدر السابق**، مج2، ص 347.

[3]- عبد الكريم الماجري: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1830-1939)**، المرجع السابق، ص 93.

[4]- **Registre D'immatriculation Des Musulmans et Israélites Algériens en Tunisie**, sous le N°: 3968, 1876.

[5]- بشير مديني: **الجالية الجزائرية في تونس-السوافة نموذجا (1876-1954)**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2005-2006، ص 06.

[6]- أحمد قاسم: "**مدينة تونس في العهد العثماني من خلال الوثائق**"، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدرسات العثمانية حول "**المدن والديمغرافيا التاريخية والبحر خلال العهد العثماني**"، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1994، ص 301.

01-التوزيع الجغرافي للجالية الجزائرية في تونس:

اتخذ هذا الحراك الجزائري نحو البلاد التونسية أنماط عديدة ومختلفة، حيث ارتبط بالإقامة الدائمة وكان البعض الآخر عرضيا، وإذا أخذنا العامل السياسي أو الديني في الحسبان لتفسير حالات حركية الأفراد والجماعات في فترات معينة؛ فإنه لا يمكن إغفال الاعتبارات الاقتصادية لتفسير تواجد عدة آلاف من الجزائريين؛ إذ تشكلت الجاليات الجزائرية في تونس على الأقل من عشرات الجماعات العرقية ذات الأصول الاجتماعية المختلفة، ومع ذلك فإن المصادر لا تحصي سوى سبعة مجموعات رئيسية: الجزائرية (أبناء العاصمة وما جاورها)، **القسنطنيين، الوهرانيين، المزابيين، السوافة، التواتية، الوراقلة**، وقد شكلت بالحاضرة التونسية قرابة 25%من العدد الاجمالي، أما البقية فقد ارتبطت تسمياتهم في الغالب بالجزائريين أو الغرابة حتى لو كانت هناك مجموعات مجتمعية مهنية، وعلى الرغم من أن هذا التمايز إداري أكثر منه إثني؛ فإنه يخفي تعددا اجتماعيا مع مجموعة كاملة تحمل أنماط لحياة وسلوكيات[1]، بل ويذهب الأستاذ **الحمروني** أن منطقة الشمال الغربي التي تضم أكبر عدد من سكان البلاد التونسية؛ اتسمت بتنوعها العرقي نتيجة انفتاح موقعها الجغرافي المتصل بالجزائر والمتفاعل مع الجهات المتاخمة، لذلك كانت ساكنتها في عمومها نتاج التلاقح بين الأصول البربرية والأصول العربية وبين العناصر الدخيلة في أوقات متأخرة من أندلسيين وجزائريين[2]. إن الروابط البشرية حافظت على انسيابها المعتاد منذ القدم في الاتجاهين، حيث بلغ عدد الجزائريين المستقرين بالبلاد التونسية في مختلف الأطوار ثلثي أفراد باقي الجاليات العربية الإسلامية[3]، ويذهب البعض بالقول أن الحضور الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي بالبلاد التونسية من معتنقي **المذهب الحنفي؛ قد شكل ربع سكانها من ذوي الأصول التركية**، وكانت **تونس، بنزرت، المهدية** من أكثر المدن التونسية عددا واستقطابا لأبناء الجالية الجزائرية[4]، وبالحاضرة التونسية كان **باب ربض السويقة** قاعدة ارتكاز هؤلاء الوافدين، حيث كان منذ فترة قديمة مقر سكنى الأجانب عن البلاد من **سوافة وورقلية وقبايلية**[5]، واستقرت **الغرابة وفطناسة** وهما مجموعتان من أصل جزائري في الناحية الشرقية من وطن **باجة** حيث تكثر العيون والموارد المائية[6].

كما استقطبت جزيرة **جربة** عائلات جزائرية من **ميزاب** وغيرها، من ذلك أسرة **الكاتب محمد البجائي** الذي استقر بالجزيرة مع أولاده قادما من بجاية[7]، وكان بمدينة **نابل** جالية جزائرية، فقد جاء في إحدى الوثائق الأرشيفية ذكر لأحد الجزائريين المسمى **سالم التلمساني** من **سكان نابل** على **لزمة المواشي** التي عليه؛ والمقدرة عليه عام 1151هـ/1738-1739: (11ريال)بـ 22 ريالا[8].

---

[1]-Jamel Haggui: **Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962**, Les Editions Sahar-Tunisie,Tunis, 2020, P 25-26.

[2]- أحمد الحمروني: **المرجع السابق**، ص 20.

[3]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، 2018، ص 50.

[4]- أحمد جابو: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس(1830-1954)**، المرجع السابق، ص 194.

[5]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 74.

[6]- عادل الكوكي: **وطن باجة دراسة منوغرافية واقتصادية**، ط1، الميسرة للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 40.

[7]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج3، ص 15.

[8]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 20**، ص 34.

ونلمس أيضا الحضور الجزائري بمدينة **قابس**؛ فقد استقرت بعض الأسر بالمدينة كما هو الحال مع **دار ضبيحة**؛ ذات الأصول الجزائرية، والتي وضعت عصا التسيار بالمنزل وجارة[1]، كما توافد الغرابة الجزائريون على جهة ماطر وبنزرت التي اتسمت بمجموعة من الخصائص البشرية كتنوع عناصرها، وظروفها الطبيعية والاقتصادية الملائمة وانفتاحها على البحر وقربها من الحاضرة؛ ما جعلها منطقة جذب للهجرات الداخلية والخارجية[2]، فقد استقطبت مدينة **بنزرت** التي كانت فسيفساء من كل العروش تقريبا؛ هجرات خارجية لعناصر وفدت من الجزائر على غرار **البجاوة**، كما استوطن الغرابة الجزائريون جهة **ماطر** منذ زمن بعيد (القرن 18م)[3]، ويبدو أن الجزائريين شكلوا جالية متميزة بمدينة بنزرت، فمع استعدادات الباي التونسي **مراد الثالث** لتوجيه حملة إلى قسنطينة (جوان-اكتوبر 1700)؛ صدرت الأوامر والتعليمات قبل أن تتخطى قواته الحدود الجزائرية التونسية بإخراج الجزائريين الذين كانوا ببنزرت إلى بلادهم، وقد أخرجوا منها في مركب فرنسي لم يمهل حتى لشحن حمولته[4].

ويذكر **الصغير بن يوسف** أن هؤلاء الغرابة من الجزائريين المستقرين بجهة **ماطر** كانوا يعرفون خلال الفتنة الحسينية الباشية أيضا باسم بجاوة وينتمون إلى زواوة أما قائدهم فهو **علي بن سعيد**، وقد كان أيضا شيخ ماطر[5]، وأنهم كانوا مسلحين ينظمون غارات على المناطق المجاورة لهم، وأنهم كانوا في صراع مستمر مع القبائل المجاورة **كمقعد، نفزة**؛ وبخاصة عرش **هذيل** الذي استضعفته، ففرض عليهم **محمد باي(1756-1759)** تغيير موطن إقامتهم والانتقال إلى نواحي **بنزرت** بمعية عائلاتهم، وبوفاته عادوا إلى مضاربهم؛ فتكررت غارات **بجاوة** الذي تغلب عليهم تسمية الغرابة نظرا لأصولهم الجزائرية[6]، وتجددت على عرش **هذيل** عام 1186هـ/1772م؛ إلا أن انضمام الأعراش(مقعد ونفزة) إلى جانب هذيل ألحق الهزيمة من جديد بغرابة **بجاوة** التي قتل منها نحو 355 قتيل ولم يقتل من هذيل سوى ستة، ولا أفاد الغرابة إلا الاستنجاد بعلي باي الذي بعث أوامره للأعراش أن ينتهوا عن **الغرابة**"[7]، وهذا يدل على مناوئة بجاوة للسلطة التي ترجع إلى القرن 18م، ولعل هذا ما يفسر إقطاع **علي باي**(1759-1782) إياهم أحباسا متعددة[8]. وفي القرن 19م استقل الغرابة عن زواوة، وأصبحوا منتظمين في وجق خاص بهم وكاهيته يسمى؛ **محمد أوضاحي**، وقد كان في نفس الوقت خليفة بنزرت، ومن الملاحظ أنهم يختلفون عن الغرابة الذين قدموا من الجزائر بعد احتلالها عام 1830م[9]،

---

[1]- بلقاسم بن محمد بن جراد: **قابس عبر التاريخ**، مطبعة لخدمات السريعة، قابس، تونس، 2001، ص 103.

[2]- فوزي المزوعي: "**العناصر البشرية المستقرة ببنزرت في منتصف القرن التاسع عشر**"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت، دوتا:1991-1992، مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس، 1993، ص ص 43، 45.

[3]- علي الحباشي: **التونسيون-الأصول والألقاب-الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 107-108.

[4]- Lucas(P) : **Voyage du sieur Paul Lucas**, T2, Paris, France, 1712, P 278.

[5]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 68.

[6]- الصغير بن يوسف: **نفسه**، مج4، ص ص 192، 193، 194.

[7]- الصغير بن يوسف: **نفسه**، مج4، ص 22.

[8]- الأزهر الغربي: "**منطقة ماطر أواخر القرن 19م**"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت، دوتا:1991-1992، مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس، 1993، ص 69.

[9]- فوزي المزوغي: "**الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**"، أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت؛ دورتا سنة 1993 وسنة 1994، مجموعة سراس، تونس، 1996، ص 20.

ويبدو أنه خلال النصف الأول من القرن 19م فرضت بجاوة هيمنتها على عروش الجهة لتستعملها ضد السلطة، ففي سنة 1837؛ شهدت جهة ماطر انتفاضة خاضها جبالية الجهة بقيادة بجاوة، وبزعامة أحد أبنائها وأوليائها الشيخ **الحسين** من **أولاد عبد الرحمن أقوطال** صاحب الزاوية الشهيرة في بجاوة[1]، وعكس زواوة والحنفية الذين لم يكونوا مكلفين بمهام عسكرية في أوقات السلم، فقد كان الغرابة يساهمون في حراسة بنزرت أثناء الليل، والملاحظ أنهم لم يؤمروا بالتوجه إلى الحاضرة سوى مرة واحدة، وكان ذلك سنة 1864م[2]. يتبين أن أبناء بجاوة استطاعوا فرض وجودهم وحضورهم كقوة بماطر وبنزرت بحكم توالي الهجرات؛ والوزن الديمغرافي الذي يعكسه التعداد البشري، لذلك خصتهم السلطة بامتيازات هامة، في حين تبقى العناصر الجزائرية الوافدة على مدينة **صفاقس** قليلة العدد مقارنة بالطرابلسية، فرغم ما تتمتع به المدينة من جاذبية وما تتوفر عليه من إمكانيات اقتصادية فإن العناصر الوافدة من الجزائر على المدينة لا تكاد تذكر، ومع ذلك نجد بعض الأسماء التي ذكرتها الوثائق مثل: **سالم القبايلي**، ويبدو ان المجتمع الصفاقسي خلال القرن 18م منغلق على نفسه لتجنبه العناصر الدخيلة عليه[3]، إذ يشير **عبد الواحد المكني**-في معرض حديثه عن الأقليات العربية والإسلامية بالمدينة- إلى غياب ورود أسماء الجزائريين في الدفاتر الذين لا يكاد يجد لهم أثرا، وربما اشتغل أغلبهم كمترجمين للفرنسيين وملحقين بالجيش وسلك الأمن على عهد الحماية[4]. كما سكنت **الوطن القبلي** مجموعات محدودة من "الغرابة"؛ تنحدر من أصول جزائرية والجانب الأكبر منها قدم من الجهات الشرقية للجزائر وجنوبها وخصوصا من جهة **مزاب**[5]، وإذا ما ذهبنا إلى مدينة **سوسة** الساحلية في شرق تونس والبعيدة عن الحدود الجزائرية، فقد أمكن تسجيل 04 حالات وفاة لمقيمين في بداية القرن 19م في تلك المدينة من خلال عرض عدد الوفيات وجنسياتهم[6].

وبحكم القرب الجغرافي للجهة ووجود علاقات تاريخية سابقة؛ توافدت على جهة **الكاف** في أوقات متباعدة نسبيا أعداد هامة من الجزائريين في شكل عائلي أو عروشي، ولم تكن هذه الجالية الوافدة متكونة من فئة اجتماعية واحدة بل بالعكس كانت هذه الجالية منحدرة تقريبا من الفئات المكونة للمجتمع الجزائري[7]، كما نجد عرش بجاوة الذي ضم أحد عشر فرعا؛ قدموا من بجاية واستوطنوا شمال البلاد التونسية محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم[8]، ومنهم من استقر جنوبا؛ على غرار عائلة **الحاج مسعود بن مرزوق البجاوي** من سكان **القيروان**[9]، ويقول **الورثيلاني** أنه تخلف

---

[1]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج5، المصدر السابق، ص 217.

[2]- فوزي المزوغي: **الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 20.

[3]- علي الزاوي: "**الوافدون على مدينة صفاقس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع**"، من كتاب **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988، ص 371-372.

[4]- عبد الواحد المكني: **الأصل والفصل في تاريخ عائلات صفاقس**، ط2، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، 2016، ص 32.

[5]- الطيب النفاتي: **مجتمع الوطن القبلي زمن الاستعمار الفرنسي دراسة في مواقع فقراء الأرياف**(1881-1956)، دار نيرفانا للطباعة والنشر، تونس، 2012، تونس، ص 60.

[6]- مراد رقية: **الوضع الجبائي بالبلاد التونسية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التسع عشر 1705-1820م (قيادة سوسة)**، دكتوراة غير منشورة، اشراف توفيق البشروش، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1998م، ص 459.

[7]- يوسف الجفالي: **المرجع السابق**، ص 50.

[8]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، ط3، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ص 13.

[9]- جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 62.

في أعقاب أوبته من حجته الأولى 1153هـ/1740م، حيث استضافه أحد الأشخاص الجزائريين القادمين من **ميلة** في بيته بضواحي **توزر** التونسية التي وضع بها عصا التسيار ، فوجده من أهل الدين والصلاح، وقدم له الطعام؛ فما وجد أحلى منه مذاقا، فأخبره أصحاب الدار أنه من طعام بلده[1]، ويتحدث **الورثيلاني** في موضع آخر عن بعض الجزائريين ممن استوطن **قابس** من **قلعة بني عباس**، من بينهم رجل فاضل كريم جواد، أتى بشتى أنواع النعم إلى خيمته مع أولاده طالبا العلم والقرآن، ويذكر أنه أثناء إقامته بتونس لمدة؛ ترك بها أهله أخذا بخاطر بعض العلماء والصالحين الراغبين في إقامته، وهذا بنية الرجوع والتوطن فيها لنشر العلم وبثه في البلاد التونسية[2].

وعلى الرغم من التباين والاختلاف في أعداد وأماكن استقرار الجاليات الجزائرية بالإيالة التونسية إلا أن التوافد الجزائري مس مختلف جهات البلاد التونسية، ما يؤكد حضورهم القوي وحراكهم الدائم في جميع الفترات، فقد انتشرت الجاليات الجزائرية في أغلب مناطق البلاد التونسية قادمة من مختلف الجهات، وقد تعددت أسماء الشخصيات والعائلات التي استقرت بالحاضرة التونسية؛ من ذلك كما يذكر **الإفراني** في نزهته شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب الذي اشتهر اسمه في المشارق والمغارب الشيخ **عبد العزيز القسنطيني** الذي كان من سكان مدينة تونس؛ والذي تصدى لتغيير المنكر والأمر بالمعروف بها حتى قبضه الله إليه، وكان يحظى بمكانة هامة عند ملوك تونس[3]، و**بوسلامة القليعي** المستقر بالحاضرة التونسية؛ والذي كان متزوجا بها من تونسية[4]، ونجد أيضا عائلة **سي علي الجزائري** الذي استوطن الحاضرة التونسية الذي كان يحظى بمكانة وحظوة باعتباره وكيلا للجزائر، وكان يتقاضى مصروفا شهريا ثابتا مخصصا لأهله" دار سي علي الجزيري"، والمقدر بـ: 02 ريال، وقد وردت الإشارة إليه في سنوات عديدة؛ من ذلك شهري جمادى الثانية ورجب من عام 1188هـ/1774م، رجب 1189هـ/1775م، وفي جمادى الأولى من عام 1190هـ/1776م [5]، كما جاء ذكر أبناء **تلمسان** في العديد من الوثائق، من ذلك **ابراهيم الندرومي** عرف **الأزرق** الذي استقر بالإيالة التونسية؛ وتزوج بها من تونسية، وبقي بالحاضرة التونسية إلى أن أدركته المنية[6]، ويشير صاحب **أبو القاسم الزياني** في النصف الثاني من القرن 18م إلى بيت وكيل الجزائر بتونس **الحاج علي الجزايري** الذي أصبح خليفة باشا الجزائر؛ الذي كان على معرفة سابقة به، وأنه كما يقول أدرك منصبا عظيما ومالا كثيرا وعقارا في فترة وجيزة[7]، ومن العائلات التي آثرت الاستقرار بالمدينة نجد عائلة **أبو عبد الله محمد الأخضر القسنطيني** (ت.18 سبتمبر 1819م) الذي اتخذ سكنى بالحاضرة[8].

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 262-263.

[2]- الحسين الورثيلاني: **المصدر نفسه**، مج3، ص 305، 339.

[3]- محمد الإفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح: السيد هوداس، مطبعة مدينة الجي، 1888، ص ص 47-48.

[4]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج5، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2006، ص 76.

[5]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2070**، ص 06، 105، 106، 123.

[6]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2004، ص 332.

[7]- أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 164-165.

[8]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 69-70.

ويبدو أن بعض الجزائريين آثروا الاستقرار بصفة نهائية بالبلاد التونسية؛ حيث تكون وفاتهم بها؛ والمعبر عن طول عدم أوبتهم في الوثائق بمصطلح: "الغايب بتونس"، كما هو الحال مع حفيد **عزيزة بنت أحمد** التي ورثت مخلفات ابن أخيها كما هو مضمن في رسم عدالة مؤرخ في 1111هـ/1699م[1]، والمكرم **أحمد بن إبراهيم الغايب بتونس** هو الآخر، والذي ورد ذكره في أحد العقود التي تعود بتاريخها إلى عام 1255هـ/ 1839م[2]، وقد استقرت العديد من العائلات المزابية بالبلاد التونسية، كما الحال مع عائلة الشيخ **أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي**(ت. 1187هـ/ 1774م)؛ الذي وفد مع والده إلى جزيرة جربة عام 1692م واستقر بها، وقد تولى هيئة التدريس بها، وترأس مجلس العزابة حيث كان مفتي الجزيرة ورئيس مجلس الحكم فيها[3]، دون أن نغفل الحراك المطرد للعائلات الصحراوية نحو تونس، إذ يشير **هنري دوفيريي**"**Henri Duveyrier**" إلى أن **العائلات الورقلية** كانت تنتقل بصفة دورية إلى البلاد التونسية[4].

ينتشر الغرابة المنحدرين من أصول جزائرية في كل بلدان أعمال بنزرت، ويحمل هؤلاء ألقابا تنسبهم إلى الجهة المنحدرين منها مثل **العنابي، الجيجلي**[5]، حيث نجد عدد كبير من العائلات البنزرتية التي تعود أصولها إلى الجزائر، وقد قدم أجداد تلك العائلات قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 من ذلك؛ عائلات **أوفنسو** التي قدمت من منطقة القبائل إلى مدينة بنزرت حوالي 1825م، واستقرت بأحيائها العتيقة، وعائلة **بن صالحة** التي قدمت من وهران عام 1832م بثروة كبيرة مكنتها من العيش في ظروف طيبة، وكذا عائلة **بن غريبة** التي قدمت من البلاد الجزائرية؛ ووضعت عصا التسيار بالمدينة منذ حوالي 03 قرون ونيف، وعائلة **بوشوشة** إحدى العائلات البنزرتية ذات الوزن الاقتصادي والاجتماعي، التي قدمت من جيجل منذ نحو ثلاثة قرون واستقرت بأحواز المدينة وفي جهة زغوان، وعائلة **جلاجلة** التي قدمت من جيجل حوالي 1798م، وعائلة **الحاج يحيى القادة** التي قدمت من منطقة القبائل في حدود عام 1825م، وعائلة **الزاوي** العريقة، التي قدم أجدادها الأوائل من البلاد الجزائرية سنة 1700، عائلة **السعدي** التي تعود أصولها إلى زواوة والتي قدم جدها الأول حوالي 1800، ينضاف إليها عائلة **عزوز** التي جاء أجدادها الأوائل إلى بنزرت بداية القرن 18م، دون أن ننسى عائلة **اللزام** إحدى العائلات العريقة في بنزرت؛ التي قدم جدها الأول من **بجاية** في بداية القرن 17م[6]، بالإضافة إلى عائلات أخرى على غرار عائلة **مخلوقة** التي قدم أجدادها الأوائل من البلاد الجزائرية حوالي 1770م، وعائلة **الملولي** ذات الأصول الجزائرية؛ التي قدم جدها الأول منذ أقل من ثلاث قرون من **عين مليلة**، وقد استقرت هذه العائلات في الأحياء العريقة مثل:"**حومة القايد**"، وحي "**المدة**"، وحي "**الربع**"

---

[1]- ليلى أقران: **الحياة اليومية بمدينة الجزائر من خلال سجل التركات 111-1113هـ/1699-1701م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2016-2017، ص 107.

[2]- **أ.و.ج: سجلات البابايلك وبيت المال، العلبة رقم: 01، السجل: 02.**

[3]- سالم بن يعقوب: **تاريخ جربة وعلمائها**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 2009، ص 126.

[4]-Henri Duveyrier **: Sahara Algérien et Tunisien ; Journal de route**, Annoté par Ch. Maunoire et H. Schirmer, Paris, France, 1905, p 24.

[5]- فوزي المزوغي: **العناصر البشرية المستقرة ببنزرت في منتصف القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 45.

[6]- فوزي فليس: **عائلات بنزرت تاريخها ومشاهيرها**، ط1، مطبعة Print Copy، بنزرت، تونس، 2013، ص 210، 217، 221، 124، 238، 240، 254، 256، 276، 315.

و"**البياضة**"، وذلك منذ قرنين على الأقل، **وقد ساهمت بقسط وافر في إعمار المدينة في العقود الأولى من القرن 19م، وتنميتها وإثراء تراثها الثقافي والحضاري ودعم نسيجها الاجتماعي**[1].

إلى جانب أبناء **قبيلة الحنانشة** الذين لهم حضور قوي في أغلب الأحداث السياسية التي عرفتها البلاد التونسية، فقد كان الأحرار سادة الحنانشة بشرق البلاد على اتصال دائم بتونس[2]، وما يعكس لنا هذا الحضور البارز ما جاء في شكوى شيخ الحنانشة **ابن أبي عزيز بن نصر** إلى باي قسنطينة الذي طالبه فيها؛ بضرورة مراسلة الباي التونسي **علي باشا** بشأن الرعايا من أبناء القبيلة الذين استوطن أغلبهم مملكة تونس[3]، وقد تم إدماج بعضهم في الجهاز العسكري لقاء امتيازات قدمتها السلطة التونسية لأعيان القبيلة وكبارها الذين خصوا بعوائد وإحسانات، ومن أسماء أبناء قبيلة الحنانشة الذين تواتر ذكرهم في المصادر، ونالوا حظوة خلال العهد المرادي **علي الحناشي**؛ الذي كان يتمتع بفروسية كبيرة، وكان مقدما لدى **مراد باي**[4]، دون أن ننسى أبناء **خنقة سيدي ناجي** الذين كانوا في حراك دائم إلى الحاضرة التونسية بحكم العلاقات التي تربط مشايخها بالمخزن التونسي، حيث حظي أبناء الخنقة بالإحسانات، من ذلك إحسان **لمحمد بن عبد الحفيظ الخنقي** قيمته 30 ريالا في عام 1173هـ/ 1759م[5]، ويبدو أن أهل **الزيبان** كانوا في حراك دائم إلى البلاد التونسية؛ فقد أشار**حسين خوجة**(ت. 1145هـ/1732) إلى لقاءه أحد المعمرين من أهل بسكرة[6].

أما عن **الجالية القسنطينية** فقد ارتبط وجودها بالإيالة التونسية منذ قرون؛ بحكم العلاقات التاريخية–التبعية للحفصيين– والقرب الجغرافي لمتاخمة أراضيها للمجالات الجغرافية التونسية والنشاط التجاري، لذا كان الحضور القسنطيني بأعداد هامة بتونس، وتزايد بصورة متسارعة مع الاحتلال الفرنسي الذي دفع عديد العائلات القسنطينية إلى الانتقال إلى البلاد التونسية[7]، ومن المهم في هذا الجانب إبراز الخاصية التي تتفرد بها هذه الجالية دون سواها من الجاليات لجزائرية الأخرى، وهي التفتح وتعدد الأعراق والثقافات؛ هذه السمات جعل وزن الجالية ضعيفا أمام كل التغيرات ونمط الإيقاع الذي رافق المسار الهجروي للفرد والجماعة بالبلاد المستقبلة[8]، وفي هذا الصدد يذكر **عبد الجليل التميمي** بأن بايلك قسنطينة بقي خاضعا للتأثيرات الثقافية الواردة عليه من ولاية تونس؛ فزيارات القسنطينيين إلى مدينة الكاف وتونس كانت أكثر ترددا على هاتين المدينتين منها على الجزائر نظرا لقربهما، ثم استمرار القسنطينيين على التعلم بجامع الزيتونة وكذلك الحج إلى بيت الله الحرام كانت يتم عادة على طريق تونس، وأخيرا العلاقات التجارية بين قسنطينة وتونس التي عرفت نشاطا ملحوظا؛ ساعدت على خلق اتصالات مفيدة بين القسنطينيين والتونسيين[9].

---

[1]– فوزي فليس: **المرجع نفسه**، ص ص 315، 324، 330، 355.

[2]– محمد المهدي شغيب: **المرجع السابق** ص 284.

[3]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 147.

[4]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 255، 260.

[5]– **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 99**، ص 33.

[6]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 312.

[7]- Marty (Germine): «**Les Algériens a Tunis**», In R. I.B.L.A, N° : 42-43, Tunis, 1948, P304.

[8]-Jamel Haggui: **Op.cit,** P 32.

[9]- عبد الجليل التميمي: "**العلم القسنطيني أثناء حكم أحمد باي آخر بايات قسنطينة**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 02، تونس، 1974جويلية، ص 91.

لقد كانت قسنطينة مركزا تجاريا هاما لموقعها المتميز الرابط بين الجزائر وعنابة وتونس[1]، ويبدو أن الحراك البشري لم يكن فرديا بل كان جماعيا أحيانا أخرى، إذ يشير **صاحب المشرع الملكي** إلى انتقال **عائلة خليفة باي قسنطينة** المسمى **الحاج علي بن المجاهد** إلى الحاضرة التونسية، وقد كانت زوجته من بنات قسنطينة، وكانت ذات مال وجمال، وهي التي أقرضت **علي باشا** لما كان بالجزائر، فلما جاء موعد العودة إلى تونس طلب منه الرحيل معه بماله وأهله وولده، ووعده بدار وما يكفيه من المؤنة وأن يوسع عليه، فما كان منه إلا أن خرج معه بعياله وأولاده إلى أن وصل تونس، فأغدق عليهم الباي من فضله، لدرجة أن أصبحت تدعي أن ولدها **يونس**، ولم يلبث زوجها أن عاجلته المنية فأصبحت تعرف بأم الأيتام[2]. إن هذه الوشائج جعلت الكثير من العائلات القسنطينية توثر الاستقرار بالبلاد التونسية، من ذلك **عائلة أبو محمد حسونة بن الحاج أحمد القسنطيني** (ت. 1861م) استقرت هي الأخرى بالعاصمة التونسية حيث كان لها بستان في **مرناق**، حيث نشأ حسونة بين يدي أبيه، وأقبل على التجارة، ولما توفي والده قام مقامه في وكالة الجامع الأعظم[3]، واستقرت بعض العائلات الجزائرية بمدينة **جمال** من قرى الساحل التونسي؛ من ذلك عائلة الشيخ **علي بن محمد الميلي الجمالي**(ت. 1248هـ/1832م)، والتي تعود في أصولها إلى مدينة "**ميلة**"[4].

كما نجد حضورا لأبناء قبيلة أولاد **سيدي عيسى** الجزائرية (ضواحي المسيلة) بالبلاد التونسية على غرار **عائلة الشيخ الطاهر بن مسعود بن أبي بكر اليعسوي الفاروقي** (ت. 1234هـ/ 1818م) الذي تصدى لبث العلم، وتقدم لمشيخة المدرسة السليمانية بعد وفاة شيخها الغرياني وأقرأ بها، وقد استمر على خطته وملازمة بث العلم إلى أن أدركته المنية عام 1234هـ / 1818م ودفن في جوفي الزلاج، فكان رابع إخوته الدفنين بتونس وهم: الشيخ محمد الكبير، والشيخ العربي، والشيخ العابد، وكلهم علماء قرأوا في بلادهم ولحقوا بأخيهم؛ وكانت وفاتهم بتونس[5].

في حين كان أبناء **بونة** الذين استقروا بالإيالة التونسية منذ زمن بعيد الأكثر عددا، واندمجوا في المجتمع التونسي؛ إذ لا تكاد ترد سيرة أسماء الأعلام التونسيين إلا ووجدنا لفظة العنابي حاضرة إلى اليوم، حيث استقرت عائلات عنابية ضواحي **بنزرت** على وجه الخصوص، وكانت في أغلبها ميسورة الحال واستطاعت أن تكون لها ثروات وأن تصبح لها ملكيات نتيجة تعاطيها للفلاحة وممارستها لبعض الأنشطة التجارية على غرار تجارة الأقمشة وبخاصة النسيج أو الحرير، في حين كان الوافدون على البلاد التونسية من **تبسة، خنشلة، النمامشة** هم الأقل يسرا حيث مارسوا وظائف ثانوية كعمال أجراء [6]، وما يمكن ملاحظته في هذا الجانب أن سكان **المناطق التلية الشمالية** عموما وأبناء **قسنطينة وعنابة** على وجه الخصوص؛ كانت هجرتهم باتجاه تونس **هجرة عائلية**، وكثيرا ما أخذت طابع الاستقرار النهائي[7].

---

[1]- فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 87.

[2]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص130-131.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 127.

[4]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، مج1، ص 244-246.

[5]- محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص 237-238.

[6]- Marty (Germine): **Op. Cit,** P 305.

[7]- بشير مديني: **الجالية الجزائرية في تونس؛ السوافةنموذجا(1876-1954)**، المرجع السابق، ص 09.

أما عن **الجالية القبائلية** فقد كانت أكثر الجاليات تجانسا وحيوية بالنسبة لباقي الجزائريين؛ والتي غالبا ما ارتبطت باسم"الزواوة"، حيث يعود استقرارها بالبلاد التونسية لفترات طويلة سابقة للحماية، وارتبط حراكها في أغلب الفترات رغبة في الانضمام إلى صفوف الجيش التونسي[1]، فقد توافد الكثير من أبناء **بلاد القبائل** ومن جبال الأوراس وغيرها للانخراط في صفوف **عسكر زواوة** المشهورين بالشجاعة والبأس؛ مع القناعة والاكتفاء بشظف العيش[2]، حيث توجد جماعة كبيرة من قبائل زواوة في تونس والذين استدعاهم البايات ليخدموا في جيوشهم، وأصبح للعديد منهم ذرية، وقد تراوحت أعدادهم بين عشرة آلاف وعشرين ألف [3]، ومن أسماء أبناء الجالية القبايلية التي ورد ذكرها في إحدى عمليات البيع بالحاضرة التونسية المسمى: **علي بن محمد** المكنى **غربالا القبايلي**[4]، وكان هناك صنف آخر من هؤلاء المهاجرين هم الطلبة الذين يتوافدون على جامع الزيتونة قادمين من **تبسة** و**خنشلة** و**سطيف** و**بسكرة**[5].

ويبدو أن حراك الجزائريين نحو البلاد التونسيية لم يكن قاصرا على جهة معينة بل كان شاملا لأغلب مناطق البلاد بما فيها الجهات الغربية للإيالة، فقد **الجالية الوهرانية** قليلة العدد بالبلاد التونسية، ومع ذلك نجد أن قدومها كان منذ أكثر من قرن من احتلال الجزائر عام 1830م[6]، حيث كانت **العائلات الوهرانية** من أولى موجات المهاجرين إلى البلاد التونسية، وقد عرفت تلك العائلات بسعة الرزق[7]، ويبدو أنها تتونست وتناست أصولها الجزائرية مع مرور الوقت إلا نادرا، وكانت هذه العائلات الوهرانية في عمومها ثرية ومتحضرة، وتعزى أسباب قلة أبناء وهران إلى بعد تونس عن الغرب الجزائري، وهذا ما يفسر عدم وجود شيخ لأبناء الجالية الوهرانية عكس باقي المجموعات الإثنية الأخرى [8]، كما نجد حضورا لأبناء **مستغانم** بالبلاد التونسية، إذ تشير عديد المصادر إلى أهمية تواجد الجزائريين **ببلاد الفراشيش**؛ مثل تجار مستغانمية بتالة [9].

كما تتحدث المصادر عن **الجالية التلمسانية** التي كان لها حضور بالبلاد التونسية منذ فترات بعيدة، إذ يتحدث الشيخ **إبراهيم خريف** في كتابه عن عرش المواعدة الذي يعود في الأصل إلى الجد الأول سيدي **أحمد ميعاد** الذي ورد على نفطة قادما من تلمسان سنة 1527م، وهو يعود في الأصل إلى العائلة الشريفة بحكم انتماء نسبه إلى الحسين بن فاطمة الزهراء، وقد استقر بالمنطقة يدرس الفقه والدين، ونشأ من صلبه أربع فرق وهم المعبر عنهم **بالمواعدة: أولاد سيدي حمود** و**أولاد سيدي علي ميعاد** و**أولاد سيدي عبد الرحمن** و**أولاد سيدي عبد القادر**[10].

---

[1]- Marty (Germine): **Op.cit,** P309.

[2]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 153.

[3]- اندريه ريمون: **المرجع السابق**، ص 79.

[4]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2005، ص 210.

[5]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب–الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 51.

[6] - Marty (Germine): **Op.cit**, P 314.

[7]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب–الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 51.

[8]- Marty (Germine):**Op.cit**, PP 314, 315.

[9]- أحمد جدي: **قبيلة الفراشيش في القرن التاسع عشر**، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1996، ص 72.

[10]- إبراهيم خريف: **المرجع السابق**، ص ص 103-105، 124-130.

وتعد **عائلة الرصاع التلمسانية** من الأسر النبيلة ذات المجد العريق المتوارث، والتي احتكر أفرادها بالحاضرة التونسية مناصب إدارية وعلمية ودينية، حيث اضطلعوا بأهم الخطط منذ العهد الحفصي، فقد كانوا من الفقهاء والأئمة الأعلام والمفاتي العظام والخطباء وعدول الإشهاد والقضاة، يقول **الوزير السراج:" وقد خرج منهم رجال كحب الرمال وأبناؤهم إلى الآن لم تزل يد المقادير توزع عليهم المراتب من طرق الفتيا والقضاء والخطابة والإمامة والعدالة إلى يومنا هذا** "[1]، وما يعكس حضور آل الرصاع التلمسانيين بالبلاد التونسية؛ تواجد مسجد بنهج الوصفان بالحاضرة التونسية؛ يعرف باسم **مسجد الرصاع**، والذي أحدثه أحد أبناء الأسرة التلمسانية[2]، ومن أسماء أبناء الجالية التلمسانية نجد **خليل التلمساني** الذي تلقى من الباي التونسي مؤنة جمادى الثانية 1188هـ/ 1774م لمدة 99 يوم كل يوم ستة أرطال وربع[3]، ولعل الحضور التلمساني بالبلاد التونسية يرتبط إلى حد كبير بالحراك التجاري الذي قام به أبناء الجالية، ولربما هذا ما يفسر تكرار ذكر الأحذية التلمسانية الحمراء الرائجة "**صبابط حمر تلمساني**" في الوثائق الأرشيفية التونسية "**الدفاتر الإدارية والجبائية**"[4]، كما نجد **أبو الحسن علي الجزيري** (ت. 07 سبتمبر 1800) أحد أبناء جند الجزائر، نشأ في خدمة الباي **حسين بن علي** وقاسى مع أولاده ألم الغربة في الجزائر؛ وبعودة أبناء الأمير حسين بن علي لتونس، تقلد الخطط النبيهة كالأعراض[5]، ودار الجلد وغيرهما[6]، وقد ورد اسمه في الوثائق"**علي الجزائري قايد الأعراض**"[7]. ويبدو أن كراغلة تلمسان كانوا في حراك إلى تونس، وهذا ما تظهره بعض الدفاتر الجبائية التي تشير إلى إحسان الباي التونسي إلى أحد **كراغلة** تلمسان عام 1197هـ/1782م قيمته 04 ريالات[8]، ولا يستبعد أن يكون من الكراغلة الذين مستهم أحكام النفي نتيجة ارتكابهم لمخالفات؛ لذلك انتقل إلى تونس؛ كما حدث مع أبناء هذه الفئة في أعقاب ثورتهم عام 1629م.

02-الجاليات الأكثر حضورا بالبلاد التونسية:

من أهم الجاليات الجزائرية التي استقطبها المجتمع التونسي خلال الفترة الحديثة عبر فترات تاريخية متلاحقة:

أ-زواوة:

استقرت بالبلاد التونسية منذ زمن الصراع التركي الإسباني[9]، وقد اندمج عدد منهم في الحياة العسكرية وكان لهم دور في تاريخ البلاد[10]، وتعود أصول هذه الجالية الوافدة على البلاد التونسية إلى منطقة القبائل، حيث استمدت اسمها من

---

[1]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص287.

[2]- محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، تح: الجيلاني بن الحاج يحيى-حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 245-246.

[3]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2070**، ص 105.

[4]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 139، ص 27.**

[5]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص176.

[6]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، المصدر السابق، ص 37.

[7]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص176.

[8]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 221، ص27.**

[9]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 174.

[10]- أبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج2، ص 141، 149، 150، ج3، ص 24.

قبائل زواوة في جرجرة بالشمال الشرقي الجزائري[1]، وقد اشتهر عنصر زواوة بالشدة والبأس والقيام بعديد الأعمال مهما كانت شاقة ومتعبة[2]، إذ يقول **ابن أبي الضياف**:(**وقبيلة زواوة من أعظم قبائل البربر وأشدهم بأسا، حتى أن جلهم لم تصله يد الترك بالجزائر، وفيه ما يحتاجونه من الضروريات والمزارع والسلاح والبارود...مع أن شجاعتهم لا يستطيع المنكر جحدها**"[3]، ويظهر أن هؤلاء القادمين من منطقة القبائل، كانوا قد التحقوا بتونس طلبا للرزق ثم التحقوا بالجيش، ولم تدمجهم السلطة العثمانية في عسكرها النظامي بل عملت على التزام سياستها بالمحافظة على نقاوة دماء الانكشارية من العناصر المحلية[4]، وكان قدومهم في النصف الثاني من القرن السادس عشر، حيث تركزت زواوة بالبلاد التونسية مع حملة علج علي عام 977هـ/ 1569م؛ الذي تمكن من دخول تونس، وترك بها نحو 8000 زواوي، إذ يقول **ابن أبي دينار**:(**ولما تمهدت البلاد رجع الباشا علي إلى الجزائر وخلف في البلاد نوبة من الأتراك وزواوة لصيانتها، وخلف قائده رمضان حاكما في البلد وعدد الأتراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواوة كذلك**)[5].

ويقدر القنصل الهولندي **Cornelis Pijnaker** أعدادهم بنحو ألفين (2000)، يتقاضون راتبا قدره أربعة أسبير في اليوم ولا يحق لهم الحصول على خبز أو أية سلعة[6]، ويشير **الأب دان** في القرن 17م إلى كثرة أبناء زواوة المجندين دون أن يتجاوزوا عدد الأتراك ولا العلوج على كل حال؛ بهدف الحيلولة دون أن يكون ذلك وسيلة للتفوق على أهل البلد[7]، في حين قدرها الديبلوماسي الإيطالي **جون باتيست سلفاغو** الذي زار تونس خلال القرن 17م باثنتي عشر ألف (12000زواوي)[8]، ويبدو أن أعداد فرق زواوة قد تزايدت إذ يشير **بايسونال** في رحلته إلى تونس 1724م إلى وجود فيلق عسكري بالحاضرة يضم نحو 3000 زواوي من منطقة القبائل الجزائرية[9]، أما الباحث التونسي **محمد الهادي الشريف**، فقد أشار إلى أن عدد أفراد القوات النظامية لزواوة خلال القرن 18م يتراوح ما بين 1800 إلى 2000 زواوي؛ مستقرين بالعاصمة(باردو)، وفي مختلف المناطق الداخلية كباجة والقيروان، ومختلف مناطق الجريد ونفزاوة، وفي بعض حصون قابس وغيرها[10]، وفي عام 1802 وصل تعداد جند زواوة إلى 1400 نفر[11]، ولئن شهد القرنان 17م و18م تزايدا في عدد الوافدين من **الزواويين** على إيالة تونس، فإن القرن 19م قد عاين تعاظم ذلك التيار الذي ضم

---

[1]- Federman (Henri) : « **Notices Sur L'histoire Et L'Administration Du Beylik Titteri »,** In. R.A, V 11, Paris, 1867, P 299.

[2]- Pellisier(E) : **Description de La Régence Du Tunis**, 2eed, Editions Bouslama-Tunis, 1980, P376.

[3]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، المصدر السابق، ص 121، 122.

[4]- محي الدين لاغة: **المرجع السابق**، ص 177.

[5]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 196.

[6]- -Cornelis Pijnaker: **Op. Cit**, p 225.

[7]- Pierre Dan : **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, 2e ed, Paris, France, 1649, P 164.

[8]- أحمد قاسم: **البلاد التونسية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574–1600)**، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004، ص 140.

[9]- جون أندريه بيسونال: **الرحلة إلى تونس 1724**، تر وتح: محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص 53.

[10]-Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…,** Op.cit. T 1, P 347.

[11]-سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد–المجموعات–شبكات العلاقات (1735–1814)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2014، ص 22.

آلاف الجزائريين الفارين من الاستعمار الفرنسي[1]، وعند دخول القوات الفرنسية سنة 1881م إلى تونس كان يوجد في مدينة تونس حوالي 3000 جندي من عسكر زواوة[2].

وقد يعزى هذا التواصل والارتباط إلى عراقة العلاقات بين تونس ومنطقة جرجرة، إذ ارتبطت الأخيرة مع الإيالة التونسية بعلاقات تجارية، ولربما ما يعكس لنا ذلك العملة التونسية، فقد كان سكان المنطقة يقومون بتزوير العملة؛ حيث كانت سكة تونس تصنع بالألوف بزواوة وترسل مع التجار إلى تونس[3]، وحجم الهدايا والهبات التي يقدمها بايات تونس إلى سكان المنطقة على غرار **علي باي** (1759-1782) الذي قدم إحسانات إلى أهالي جبل زواوة لتوزع على طلبة العلم، واهتم بوفود الحجيج من ذلك الإحسان لـ: 27 نفر قاصدين البقاع المقدسة لتأدية مناسك الحج عام 1175هـ/1761م ، وتوقير وإكرام أهل الصلاح من الأولياء كالإحسان الذي ناله المرابط **سعيد الورتلاني** على يد الفقيه علي (31 ريال) عام 1178هـ/ 1764م [4]. وانتشر العديد من أبناء زواوة في البلاد التونسية حيث نجدهم في بنزرت، ماطر، الحمامات، نابل، سوسة والقيروان والكاف والمكنين وصفاقس وقابس وجربة، حيث كان هناك أوجاق العسكر[5]، حيث تم تثبيت فيالق زواوة في مناطق مختلفة من الإيالة التونسية في إطار دعم سلطة العثمانيين الميدانية، واتخذ زواوة إقامتهم بالمدن القديمة التي تتوافر بها الثكنات والحصون، حيث تم إحصاء نحو 40 مدينة وقرية في هذا الجانب(باجة، تبرسق، تستور، الكاف، قفصة، القيروان....) في حين تقع الغالبية منها على الساحل (بنزرت، طبرقة، تونس، نابل، الحمامات، سوسة، المنستير، صفاقس، جربة...)[6].

وإذا كانت زواوة صنف واحد ولهم نفس الانتماء الجغرافي وهو جبل زواوة بالجزائر، فإن صاحب **المشرع** يصنف **زواوة** بالبلاد التونسية إلى غربي وبلدي ورقاع وسوقي وضاعة، وقد أكثر **علي باشا** (1735-1756) -في الفترة الحسينية أثناء الحروب والأزمات- من جلب زواوة، هو ما يعكس تنوع الوسط الجغرافي الذي ينحدرون منه، إذ يقول **الصغير بن يوسف:(لا يجتمع العسكر إلا بهذه الأصناف الملقطة)** [7]، وهذا تأكيد على جلبهم من بقاع مختلفة وليس من جبل زواوة على وجه التحديد، وأن أغلبهم غير متحضرين، ويبدو أن تباين انتماءاتهم الجغرافية مرتبط بتزايد أعدادهم، حيث صنفتهم المصادر إلى زواوة المغندفين لأنهم يقومون بالأعمال الشاقة التي تتطلب عنفا وخشونة، وطول فترة بقاءهم على ذمة الجندية وقضاء أغلب حياتهم في جبهات الحرب[8]، ولربما هذا ما جعل السكان ينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار[9] لأنهم كانوا أقل قيمة عسكرية من الانكشارية وأقل تكلفة مالية وأدنى مرتبة وهيبة منهم في نظر الأهالي،

---

[1]- لطفي عيسى: **مغرب المتصوفة**، ط2، الشركة الوطنية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018، ص 396.

[2]- محجوب السميراني: المرجع **السابق**، ص 122.

[3]- مؤلف مجهول: **مخطوط كيفية سيرة زواوة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3012، ص 15.

[4]- **أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144، ص247-248.**

[5]- عبد الواحد المكني: "**عسكر زواوة مقدمين في الشقاء مؤخرين في الراتب**"، نيوز براس New Press، موقع تربية وتعليم، 26ماي 2018.

[6] - Abd ElWahad Mokni: « **Allogènes de Jadis de naguère : La communauté de Zwawa A partir du Milieu du** 19e », Cahier du C.E.R.E.S, N°3, Tunis, 2010, P 153.

[7]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص84.

[8]-Samida (Mongi): Les **Zouaoua, une colonie Kabyle en Tunisie au 19e siècle,** Editions Tunis-Carthage, Tunis, 1986**,** P 32.

[9]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…,** Op.cit. T 1, P 279.

وهذا هو سر إطلاق هذه التسمية عليهم[1]، فقد كان الزواوة يعيشون ظروف حياتية صعبة ومتواضعة حيث كانت أجورهم تبعث على السخرية، وكانوا لا يتقاضون راتبا إلا أثناء الخدمة، ولهذا قيل "**الزواوة مقدمون في البلاء ومؤخرون في الراتب**"[2]، وعليه تعتبر فرقة زواوة من أقل المجموعات أجرا، فراتب خوجة زواوة وكاهيته مثل ربع أجر باش حانبه عرب ونصف كواهي الأوجاق الداخلية، وهذا ما دفع بعض أعوان العسكر إلى تعاطي بعض الأنشطة التجارية[3] ، وهناك الزواوة البلدية الذين ينتمون إلى الجيل الثاني، وهم الخارجين عن الخدمة والذين كانوا متمرسين(غير ملقبين، غير معروفين)، والمدجين الذين مارسوا حياة عادية[4]، وأيضا زواوة الجلاجلة؛ وقد تكون هذه التسمية خاصة بزواوة الذين يتم جلبهم من منطقة جيجل بالجزائر، أما زواوة أولاد عروش؛ فيبدو أنهم أبناء القبائل، وهذا عكس زواوة الغرابة؛ التي ترتبط بعناصر زواوة الذين تم انتدابهم من بقية أنحاء الجزائر، حيث بلغ عدد ديار زواوة عام 1842م في حدود 120 دار[5]. وقد اضطلعت زواوة بمهام خاصة في أوقات الأزمات والحروب الأهلية، حيث كانوا حماة للحصون في المدن الهامة، كما ساهمت في تحصيل المجبى؛ إذ كانت على رأس الرتل أثناء الخروج السنوي للمحلة من جهة، ومن ناحية أخرى كثيرا ما قامت بتعويض الجنود الأتراك والجنود التونسيين المجندين، وفي المقابل كانت لزواوة امتيازات اقتصادية نتيجة كثرة التجنيد والبزة النظامية الموحدة، وكانوا معفيين من الضرائب المباشرة، كانوا يقيمون في الثكنات المختلفة الفندقية ويتقاضون أجرا سنويا بالفضة، ويستفيدون من الثمرات(الزيت، القمح، زلابية رمضان، خروف العيدية)[6].

وهذا تأكيد على مكانة زواوة وأهمية قدرتهم العسكرية وامتثالهم للأوامر الصادرة عن السلطة رغم ضعف الراتب، إذ تشير المصادر أن لباس جيش زواوة كان مدنيا؛ إلا أن الضباط منهم يحصلون على برنوس أسود، وقد وقع تنظيمهم كما ذكرنا على شاكلة جيش الترك الأوائل في أعقاب الاتصال بهم، ويتمثل هذا التنظيم في إقامة ديوان خاص(مجلس) لهم مثل الحنفية، وهو مؤسسة سياسية وعسكرية؛ تضمن لهم تسيير الشؤون المشتركة، يتألف من سبعة أعضاء تتجدد عضويتهم كل سنة[7]، كما سعى الحسينيون بداية من القرن 18م من خلال تمكين زواوة من إقطاعات في جربة؛ إكسابهم التأثير المعنوي والإمكانيات المادية؛ مما ييسر من الناحية الجبائية استخلاص الضرائب من أهل الجزيرة في أوانها، وبالقدر الذي يستطيعون تحمله على غرار ما كان يقوم به الأتراك في مناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانية [8].كما كانت لهم أيضا **محكمة** (محكمة زواوة) تعمل على تسوية الأمور والقضايا العادية التي تعترضهم، كما أنهم **تنظيم جبائي** يمكن زواوة من المشاركة في استخلاص الضرائب، وهو ما مكنهم من الحصول على العديد من الامتيازات، وقد كان لزواوة **ديوان**؛ أراد **علي باشا**(1735-1756م) هدمه، وعزل خوجتهم وإبطال عسكر زواوة؛ لأنهم كانوا متحالفين مع

---

[1]- محمد الهادي الشريف: "**القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع من ق16م إلى أواسط ق19**"، من أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي، 30-31 اكتوبر 1997، مجلة الدفاع، ط2، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 1998، ص 144.

[2]- Federman (Henri): Op**. Cit**, P 319.

[3]- سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص 35.

[4]-Abd ElWahad Mokni: Allogènes **de Jadis de naguère…** Op. Cit, P 148.

[5]- نبيهة مصباحي: **زواوة بالبلاد التونسية في الفترة الحديثة**، مذكرة ماجستير في التاريخ لحديث، جامعة تونس1، تونس، 2008-2009، ص 18-19.

[6]- نبيهة مصباحي: **المرجع نفسه**، ص 147.

[7]- الشيباني بنبلغيث: **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق(1859-1882)**، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، 1995، ص 139.

[8]- محمد المريمي: **إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث**، ط2، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016، ص 94.

حسين باي (1705-1735) في إطار الفتنة الباشية الحسينية[1]، كما نلحظ أن لزواوة شيوخها على غرار بقية الفئات الاجتماعية الأخرى، وهم يترأسون مختلف تصنيفاتها، إذ نجدهم منقسمين إلى قسمين، فهناك شيوخ مسجلون بديوان زواوة ويتقاضون الراتب، وقد بلغ عددهم سنة 1258هـ/ 1842: خمسة شيوخ، وشيوخ غير مسجلين بالديوان لا يتلقون الراتب، ويقدر عددهم بـ: 29 شيبخا[2]، يبدو أن زواوة كانوا مستقلين بشيخ في عدة جهات من البلاد، ولا سيما بتونس ووطن المنستير[3]. وتتضح أهمية عسكر زواوة بالنسبة للسلطة المركزية في عدم دفعهم للدية المخزنية، من ذلك دية نصر بن محمد الزواوي من أولاد عمار[4]، وفي المقابل إذا ما قتل أحد من زواوة فإن لأهله الحق في المطالبة بالدية، كما أن الجاني يدفع لأجل جريمته الدية المخزنية، ومن الأمثلة على ذلك دية **الجيلاني بن عبد الله البجاوي** الذي قتله **العربي بن يوسف** عام 1212هـ/1797م، والتي سقطت لأن القاتل زواوي، فكلما ثبت لدى السلطة أن القاتل من زواوة إلا وسقطت عليه الدية، ويشير الكتبة إلى ذلك ببطلان الدية المذكورة لأن الجاني من جماعة زواوة[5].

ومن الدلائل على حضور **زواوة** كجالية جزائرية مندمجة في المجتمع التونسي؛ ما جاء في إحدى المراسلات التي وجهها **حمودة باشا** إلى مشايخ الساحل من الطرابلسية بتاريخ 1222هـ/ 1807، يطلب فيها قدوم **جند زواوة** الساحل بتمامهم **لزامة ومتزوجين بأسلحتهم عليه** دون أن يتخلف منهم أحد، لحاجته إليهم في حملته على قسنطينة، وأنه أقر زيادة رواتبهم، "...**والذي يكون عليه عملكم أنكم تجمعوا جميع زواوة الساحل بتمامهم لزامة ومتزوجين وأقدموا بهم إلى هنا بأسلحتهم...لا يتخلف منهم أحد لأن هذا اليوم الذي نصيبوهم فيه وها نحن زدناهم في الراتب**"[6].

ب-الجالية الورقلية:

شكل الوراقلة جالية هامة بتونس منذ فترة طويلة، ففي رسالة مؤرخة سنة 1889م لأحد شيوخ الوراقلة-شيخ فرع **بني براهيم**-المعروف باسم **أحمد البدوي** إلى الوزير الأول **خير الدين** يذكر فيها أن حراسة **سوق العطارين** موكلة **لأبناء ورقلة منذ خمسة قرون**، وعلى الرغم من صعوبة تحديد تاريخ معين لاستقرار الوراقلة في تونس بناء على ما جاء في هذه الرسالة، فلا يمكن من ناحية أخرى تجاهل أقدمية وجودهم بالحاضرة[7]، ولربما هذا يعود إلى العلاقات التجارية القائمة بين ورقلة وتونس، ذلك أن ورقلة كانت قبلة للتجار القادمين من تونس[8]، وبذلك يتضح لنا أن الهجرة الجزائرية إلى تونس قديما جدا، فقد شكل الوراقلة جالية قديما جدا في تونس بلغ عددها نحو 6000 نسمة، أكثر من 3/2 يسكنون المدينة، هذه المجموعة الإثنية تكاد تكون قاصرة على الذكور دون النساء الورقليات التي يسكن تونس والتي نجد عددهن قليلا جدا، وقد دفعهم إلى الحراك البحث عن العمل، وقد اشتهرت جماعة الوراقلة بالعمل في المنازل خاصة عند العائلات

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 101.

[2]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم:3090، ص240**.

[3]- الهادي التيمومي وآخرون: **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، المرجع السابق، ص 162.

[4]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم:291، ص39**.

[5]- جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 67.

[6]-**أو. ت: السلسلة التاريخية، الحافظة:223، الملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 100**.

[7]- Jamel Haggui : **Op.cit,** p 39.

[8]- مارمول كاربخال: المصدر السابق، ج3، ص 66.

البلدية، ونجد الكثير منهم في خدمة اليهود[1]، في حين قدر **اندريه ريمون** جماعة الوراقلة الجزائرية بألفي نسمة، تخضع لسلطة وكيل داي الجزائر ورئيسهم المباشر الذين يقومون بتعيينه بأنفسهم، وكانوا يعملون كعتالين وحراس وعاملين في الحمامات[2]، ويذكر **الحشايشي** أن أهل ورقلة اختصوا بحراسة أسواق البلد جميعا، وأن لهم شيخا هو الذي يباشر أخذ مرتباتهم[3]. والظاهر أن قسم من الزنوج المستقرين بالجنوب التونسي المنحدرين من الواحات الصحراوية الجزائرية يعودون في أصولهم إلى الورقلية –نسبة لورقلة–، حيث تعممت هذه التسمية لتشمل كل زنوج الواحات[4]، وكان لأبناء الجالية بالحاضرة التونسية دار تعرف باسم **دار الوراقلية**، وهي دار يجتمعون بها ولا يدخلها أحد من غير بني جنسهم، وعليهم رجل كبير يسمى **المقدم**[5]. ويشير المبشر الألماني **ايفالد** عندما بارح تونس في 11 ماي 1835م ونوى مباشرة رحلته على طول ساحل البحر إلا أنه وجد عراقيل حالت دون ذلك؛ حيث تخلى عن خادمه لكذبه فصرفه عنه، وأشار عليه مسلم يعرفه بتونس بخادم آخر ينتمي إلى قبيلة الورقلية التي تقيم على بعد 20 يوما سفرا من مدينة تونس، وتتمتع بالحرية والاستقلالية ولا تخضع إلا لسلطة شيخها؛ وهم قوم يمتازون بالثقة والوفاء ويحظون في تونس بسمعة طيبة للغاية، ومنهم ينتدب حراس الليل ولا يعهد إلى غيرهم بحراسة القصر من الخارج، فكلما احتاج أحدهم إلى رجل أمين لخدمته بعث إلى الشاوش رئيس طائفتهم الذي يكون ضامنا لكل فرد منهم، لكي يعين له رجلا من الورقلية، لهذا سر **ايفالد** كثيرا بالخادم الجديد، ولكن ما إن وقعت عينه عليه ورآه حتى وجده مغشى بالقمل وأشعره بكل رفق بذلك، وأوعز إليه بشراء ثياب جديدة بدلا من التي كان يرتديه...(بعد هنيهة أتياه معا)، فكان رده أولا أنه يريد استشارة شاوشه في الموضوع، وقصده في الحين، وبعد هنيهة أتياه معا، وقال له الرئيس: أن الورقلي يصعب عليه مفارقة أصحابه القدامى الأوفياء من أجل مخدوم، فوجد نفسه مرة أخرى بدون خادم[6].

ج–الجالية الميزابية:

يعود تواجد الجالية الميزابية في تونس إلى فترات قديمة جدا يصعب تحديدها، فقد تجلى الحضور الميزابي مع نهاية القرن 18م بالبلاد التونسية بناء على عقدين تم تدوينهما الأول لنازلتين والثاني لاثنين من الحبوس الخاصة بأبناء مزاب[7]، وهذا يعكس لنا بداية تشكل ظاهرة هجرة المزابية إلى تونس، إذ تشير أحد المصادر إلى تواجد أعداد كبيرة من أبناء مزاب في حدود عام 1800م[8]، ومع ذلك فقد كانت هجرة الميزابيين إلى الخارج بحثا عن مصادر الرزق منظمة منذ القرن 14م، واستمرت لفترات طويلة...إذ كانت هجرة أبناء قصور ميزاب وفي سن مبكرة إلى تونس من الهجرات المفضلة، فقد كانوا

---

[1] - Marty (Germine): **Op.cit,** PP 320, 321.

[2]– ريمون اندريه: **المرجع السابق**، ص 79.

[3]– محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، در وتح: الجيلاني بن الحاج، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1996، ص 165.

[4]– محمد الهادي الجويلي: **مجتمعات للذاكرة–مجتمعات للنسيان، دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء بالجنوب التونسي**، تق: محمد نجيب بوطالب، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 49.

[5]– محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 302.

[6]– كريستيان فردناندايفالد: **رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835**، تر وتق وتع: منير الفندري، ط1، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ص 18.

[7]- Jamel Haggui: **Op.cit,** p 38.

[8]- C. Holsinger (Donald): « **Migration interne et classes moyennes en Algérie : cas des mozabites »,** in les Cahiers du CRESM, 11e Edition du C.N.R.S, France, 1980**,** P 375.

في حركية دائمة ...وبمجرد وصولهم نجدهم يحضون باستقبال إخوانهم، وهذا لخلافة آبائهم في تركتهم وأعمالهم، مارسوا مهنا متواضعة غير مربحة (البقالة، الجزارة، أو باعة فحم، العمل في الحمامات الشعبية...)[1]، إلا أنه ليس لدينا أي فكرة عما كانت جماعة المزابيين الذين كونوا جالية في تونس؛ قد جمعت كل سكان وادي ميزاب؛ بما في ذلك السنة أم أنها اقتصرت على تواجد أبناء المذهب الإباضي[2]. لقد تواجد بنو مزاب كفئة نشطة من الجزائريين؛ بأعداد كبيرة، ومنذ أزمنة بعيدة بالحاضرة التونسية؛ مركز الحكم ومقر الإدارة، ومحور النشاط الاقتصادي، وبوتقة التفاعل الاجتماعي، حيث كانوا من رعايا الباي، وكانت لهم نفس حقوق المواطن التونسي وعليهم نفس الواجبات، وأكثر من ذلك نجدهم يتلقون تحفيزات مادية من الباي للاستقرار بالبلاد التونسية، نظرا لنشاطهم وحراكهم الاقتصادي الكبير[3].

وكان لأبناء الجالية المزابية بالحاضرة التونسية أماكن مخصوصة ولا يألفون غير بني جنسهم إلا بعض أعيانهم ممن استقر بتونس وصارت له ذرية بها[4]، وكانت جزيرة جربة منطقة استقطاب الجالية الميزابية، إذ يبقى العامل المذهبي دافعا رئيسا لحراكهم؛ ذلك أن المذهب الإباضي كان على الدوام حلقة وصل بين سكان الجزيرة وأبناء وادي ميزاب[5]، فقد تميزت جزيرة جربة بتنوع كبير في الأجناس، إذ أنها تتكون من أقليات مختلفة في ديانتها وعاداتها وثقافتها وأصولها[6]، فقد وفدت إليها عائلات كثيرة ترجع في أصولها إلى مناطق إباضية على غرار وادي ميزاب[7]، ولا يفوتنا في هذا الجانب أن نشير إلى العلاقات المتميزة بين ميزاب وجربة، إذ يسود بهمما مذهب إسلامي واحد، فسكان المنطقتين غالبهم إباضية المذهب، فلا بد أن ينشأ عن هذا المذهب الواحد بين المجتمعين من التفاهم والتعاون، ونوعية السلوك ما يفتح السبيل لذلك، وييسر الجوار والمصاهرة وغير ذلك من مظاهر النشاط الاجتماعي[8]؛ إذ لا يخفى ما لهذه الحركة التعاونية من أثر كبير على الناحية الاجتماعية والفكرية من نقل العادات والاقتباس من التقاليد وغيرها من مظاهر النشاط في الحياة، حيث نجد في مزاب أسر تنتمي إلى جربة وأصلها الأول جاء منها كأسرة **آل الفخار** في غرداية وقد جلبوا معهم صناعة الفخار وانتشرت في مزاب، وأسرة **آل متياز** و**آل أزبار** في **بني يزقن** و**آل الحاج عيسى** في **العطف**، وفي مظاهر الزينة والملابس التقليدية في الأفراح صور مقتبسة من جربة كأنواع الحلي الذهبية معروف "**شاركة**" وطراز من الأبسة الصوفية تعرف باللسان المحلي " **تجربيت**" أي الجربية تلبس في مناسبات معينة، والحائك الأزرق المعروف بـ" **أززاو نتونس**" وغير ذلك[9].

---

[1]- Marty (Germine): **Op. Cit**, P 328-330.

[2]- Jamel Haggui: **Op.cit**, P 38.

[3]- ناصر بالحاج: **المرجع السابق**، ص 268.

[4]- محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 302.

[5]- البشير مديني: **إسهامات الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 1830-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2014-2015، ص 43.

[6]- مبروك المشيري: **جزيرة جربة العمارة والعمران وطقوس الانتقال**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 45.

[7]- محمد المرمي: المرجع **السابق**، ص 336.

[8]- ابراهيم طلاي: **العلاقة بين سكان جربة ومزاب**، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة، أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1986، ص 13، 14.

[9]-إبراهيم محمد طلاي: "**العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب**"، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، تونس، د.ت، ص 07.

وقد تحدث العلامة **أبي العباس الهلالي السجلماسي**(ت.1175هـ/1761م) في رحلته الحجازية، أنه ارتحل مع ركب الحج المغربي لما وصل **الأغواط**؛ ووجد قوم من **ميزاب** قاصدون تونس لاكتسابهم ببيع الفول المطبوخ ونحو ذلك، وذلك دأبهم على ما ذكر له، وكانوا يدخلون في الركب خوفا من الأعراب، ويوهمون أنهم حجاج، وإنما يحجون إلى تونس لاكتساب الفلس؛ فيذهبون مع الركب إلى **توزر**، ويفارقونه ويذهبون لشأنهم، ولا ينفعون الركب بفرس ولا بغلة، ولا مدفع ولا حراسة بالليل، وإنما هم مشاة يغطون رؤوسهم وبعض...وقد تفطن لهم الأعراب فتعرضوا للركب بسببهم، فصالحوهم على جلود مدبوغة اشتروها من الركب، ودفعها لهم أمير الركب، وكلمهم في شأنهم فخلوا سبيلهم، ولم يذهب من جماعتهم للحج مع الركب إلا ستة 06 أنفار أو نحوها؛ وأنهم يرجعون في مذهبهم إلى أهل جربة؛ فهم أهل فتواهم[1]، من ذلك التاجر المزابي **أبي بكر بن باب بن إبراهيم** الذي كانت له تجارة واسعة في تونس، ويبدو أنه حقق منها أموال جعلته من الثراء بمكان، فقد أرسل هذا الأخير وهو بتونس برنوس قيمته 18 ريالا سكة تونس وثلاثة عشر عرجونا دقلة نور قيمتها 27 ريالا وثلاثة أثمان سكة تونس إلى المسمى **بعمور بن الحاج بن الشيخ** المتواجد ببلاد الترك، وهذا بشهادة قيدت بتاريخ عام 1791م، ويعزى نجاح هذا الحراك التجاري إلى ما اشتهر به بنو مزاب من " هدوء ونشاط وأمانة" [2].

إن ما يعكس الحضور التجاري المزابي بالإيالة التركات التي خلفها بعض التجار على غرار التاجر الهالك **عمر بن صالح بكراع** الذي وقع ورثته في نزاع مع التاجر **أبي بكر بن باب** عام 1251هـ/1836م في شأن 135 ريالا دفعها وكلاء المتوفى للأخير في تونس من تركته كانت دينا على الأول؛ تم إقرارها من القاضي **عمر بن صالح** بعد أن استظهر الدائن البينة [3]. ويبدو أن التركيبة الاجتماعية لهذه الجالية تمتد إلى حدودها العرقية والدينية بدلا من حدودها الجغرافية، كما هو الحال مع المجتمع الورقلي الذي جمع بالإضافة إلى مواطنيه التقرتية وأبناء وادي ريغ[4].

ويبدو أن التلاحم بين أبناء المذهب لم ينقطع في فترة من الفترات ولا في منطقة أو بلد بعينه حيث ظل هذا التضامن قائما حتى خارج أوطانهم الأصلية، ففي مصر أسس أحد التجار الجربيين المسمى **عبد العزيز بن منصور البحار** في القرن 11هـ/17م إلى جانب أفراد الجالية الجربية–بعد اتخاذ مقر للاجتماع فيه، والتطوع بجعل هذا المحل وقفا لذلك الغرض– وكالة بمحيط سوق طولون، سميت في البداية باسمه، ثم سميت **بوكالة الجاموس** لأنها أضحت بقية القرن 11هـ/ 17م مكانا لتخزين جلود الجواميس وبيعها، والتي أضحت **قبلة للعديد من العائلات الإباضية، وقد كانت مختصة بسكن الطلبة الإباضيين وكانت حافلة بالعلماء الأجلاء وعشرات الطلبة من بني ميزاب وجزيرة جربة وجبل نفوسة، والوكالة متكونة من مدرسة، ومكتبة، ومأوى ومحلات تجارية تساهم في التوسعة المادية على العائلات الجربية المهاجرة وغيرها** [5].

---

[1]– أبو العباس الهلالي السجلماسي(ت.1175هـ/1761م): **التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، دراسة وتح: محمد بوزيان بنعلي، مطبعة الجسور، وجدة، المغرب، 2012م، ص 196-197.

[2]– ناصر بالحاج: **المرجع السابق**، ص264.

[3]– ناصر بالحاج: **المرجع نفسه**، ص 183.

[4]- Jamel Haggui: **Op.cit,** P 38.

[5]– فتحي بوعجيلة: **الإباضية التونسيون وأثرهم في الثقافة الوطنية مدخل إلى دراسة الآخر المحلي**، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2016، ص 41.

د-الجالية السوفية:

كانت الموجة الكبيرة من المهاجرين أهم عصب في التواصل البشري لمنطقة واد سوف في تونس وما فرضته من تواجد وانتشار وتعدد المهن والحرف في تونس، وما نتج عن ذلك من تواصل ثقافي واجتماعي وسياسي جعلهم في عدة محطات تاريخية يتبوءون المقام الأول في تونس[1]، ويشير **صاحب الصروف** في هذا المقام إلى علاقات سوف وسكانها الباكرة بتونس؛ في معرض حديثه عن علاقة طرود بالشابية خلال القرن 16م، حيث يذكر أن أفراد من **طرود** كانوا يترددون على القيروان من أجل زيارة معارف لهم هناك والإتيان ببعض السلع، فتوطدت العلاقة بين رؤساء التجار والشابي الذي منح الجماعة هدايا؛ طالبا منهم أن يكونوا عونا له على الأمير التونسي لقاء أجر[2].

لقد كانت **تونس** بالنسبة **للسوافة** الحاضرة الأكثر جاذبية بحكم قرب سوف من بلاد الجريد، لذلك انتقلوا إليها بكثرة بحثا عن العمل بصورة فردية إذ نادرا ما اصطحبوا معهم عائلاتهم – يعود ذلك حسب اعتقادنا إلى إقامتهم المؤقتة؛ إذ سرعان ما نجدهم في أوبة بعد نهاية العمل ومع جمع قدر من المال-، فأضحوا مع الوقت يألفون جالية هامة بالبلاد التونسية ارتبط نشاطها بالأعمال الشاقة غير المرغوب فيها (الحمالة، عمال موانئ، فحامون، النظافة، والعمل الأكثر ارتباطا بالسوقي حمل الماء"قرباجي"...)[3]؛ على غرار أبناء **قبيلة طرود** الذين انتقل عدد كبير منهم إلى تونس (العاصمة وبقية المدن..) بحثا عن العمل حيث اشتغل الكثير منهم **كبنائين**، وهناك من آثر منهم البقاء لفترة مؤقتة، فما إن يتحقق الهدف وهو تحصيل قدر معين من الثروة حتى يقرر العودة إلى سوف أين يقوم ببناء منزل واقتناء بعض النخيل[4]، كما أشار **صاحب الإتحاف** إلى قصة مقتل أحد أبناء **سوف** من **الحمالين** بالعاصمة تونس سنة سبتمبر 1823م على عهد **حسين باي بن محمود** (1824-1835)[5]. وهو ما يعكس لنا حضورهم واندماجهم في الحياة الاجتماعية التونسية؛ فهم الذين شكلوا ثلث النزلاء بمدينة توزر، وما فرضته قبيلة **طرود** من حضور في إقليم مجردة السفلى، حيث كانت الحاضرة التونسية ممثلة لكل جهات سوف (تاغزوت، الزقم، الكوينين، المصاعبة، طرود)، فقد كون أبناء سوف أكبر جالية مقارنة بكل الجاليات الأجنبية أو حتى مقارنة بأبناء مختلف المناطق الجزائرية بالعاصمة تونس[6]. ويبدو أنهم ساحوا في مختلف أنحاء الإيالة التونسية ولم يكن حضورهم قاصرا على الحاضرة، فقد ضمت التركيبة السكانية **لجرسين** إحدى قرى **نفزاوة** بالجنوب التونسي عرش **أولاد ضيف** الذين جاءوا من البلاد الجزائرية وبالضبط من منطقة **كوينين بوادي سوف**[7]، أما بالحاضرة التونسية فقد كانوا مستقرين برأس الدرب وباب الجزيرة ونهج الزاوية البكرية والحلفاويين وباب السويقة والملاسين وجبل جلود، حيث أصبح السوافة شيئا فشيئا يشكلون الجزء الأكبر من الجالية الجزائرية[8]، وقد

---

[1]- حميدي أبو بكر الصديق: **دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص 27.

[2]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 227.

[3] - Marty (Germine):**Op.cit**, P 311-316.

[4]-Charles Féraud: «**Ben-Djallab sultans de Tougourt**, **Notes historiques sur la provinces deConstantine-Le Souf**", In R.A, Vol 26, Paris, 1982, P 50-51.

[5]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج5، ص 84.

[6]- حميدي أبو بكر الصديق: **المرجع السابق**، ص 27.

[7]- محمد ضيف الله: **المرجع السابق**، ص 179.

[8]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 51.

أسهم تعدد انتماء أبناء سوف إلى الطرق الصوفية، والدور الرائد الذي لعبته الزاوية في تنظيم الحياة المجتمعية للجالية السوفية بتونس على وجه الخصوص[1].

هـ-الجالية التواتية:

شكلت الحاضرة التونسية منذ قرون محط أنظار العديد من التواتيين، الذين نزلوا بها واستوطنوها، بل فيهم من عقب هناك بنين وحفدة، أصبحوا يعرفون لاحقا بلقب التواتي تمييزا لهم عن بقية الجاليات الساكنة بالأقاليم التونسية، ورغبة منهم على حفظ الأصول والخصوصيات[2]، حيث استقر عدد هام من التواتية بمدينة تونس منذ القرن 18م، ويرجح أن تكون هجرتهم مرتبطة بالحج، وربما كان وصولهم إلى الحاضرة التونسية رفقة القوافل التجارية، خاصة وأن إقليم توات قد اضطلع بدور هام في التجارة الصحراوية، حيث كانوا يرافقون تلك القوافل والبعض كانوا يفضلون البقاء بالإيالة التونسية، علاوة على الذين كانوا مجبرين على ذلك باعتبارهم كانوا من فئة العبيد [3]. كما قام بعض علماء **توات** ببناء زوايا بالحاضرة التونسية بقيت مرتبطة بالجالية التواتية، فقد قام الشيخ **الكوش التواتي التونسي** (ت. ق12هـ/18م) الذي نزل بتونس نزولا عند رغبة أهلها، فانتقل إليها وبنى بها زاويته خارج باب مدينة تونس، ومنها ذاع صيته واجتمع عليه التونسيون[4]. مارس غالبية أبناء الجالية الحراسة، كحراسة الغابة والبساتين، ولهم شيخ لبيب يعين لذلك، يتقاضى أجرا شهريا يقدر 30 فرنكا[5]، في حين امتهنت الأقلية التجارة وعمل البعض كخدم خاص، وقد ارتبطت الهجرة التواتية بداية القرن 18م بالبحث عن الثروة في الشمال مع القوافل المارة، وكانت في الغالب هجرة فردية ذكورية، أما النساء التواتيات فكان عددهن قليل؛ حيث ولدن بتونس مع تزاوج الآباء التواتيون والأمهات التونسيات[6].

ولم تقتصر الجاليات الجزائرية بتونس على أبناء الملة المحمدية إذ نجد أهل الذمة كاليهود الجزائريين الذين وفدوا على الحاضرة التونسية، فقد كانت الجالية اليهودية بالبلاد التونسية تضم يهودا من الجزائر وبعض البلدان العربية الإسلامية[7]، وهو ما أكده **هنري سالادين Henry Saladin** في معرض حديثه عن تركيبة يهود الإيالة التونسية؛ حيث أشار أنها ضمت يهودا من أصل جزائري من مجموع تعدادها الذي يناهز نحو 40 ألف[8]؛ إذ نجد ذكر لأحد اليهود الجزائريين في حبس لأحد الدور بحومة اليهود داخل باب السويقة من تونس- مؤرخ في أوائل قعدة 1100هـ/أوت 1689م- وهو الذمي **شلوموا التلمساني**[9] .كما ورد ذكر يهود جزائريين نالوا إحسانات بالحاضرة التونسية على عهد علي باي

---

[1]- Jamel Haggui : **Op.cit,** P 41.

[2]- سالم بوتدارة: **الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017م، ص 259.

[3]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبية لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 55.

[4]- محمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر**، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 2260.

[5]- محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 165.

[6]- Marty (Germine): **Op. Cit**, P 325.

[7]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبية لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 65.

[8]- Henry Saladin : **Tunis et Kairouan**, Librairie Renouard, Paris, France, 1908, P 37.

[9]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2011، ص 268.

(1759-1882)؛ كما هو الحال مع الذمي **يعقوب بن سرور بن عمر الذمي الجزايري** الذي حظي بإحسان قيمته 20 ريالا عام 1175هـ/1761م، والذمي **بابيش الجزيري** الذي نال هو الآخر إحسانا قيمته 06 ريالات عام 1177هـ/1763م[1]. ويبدو أن بعض يهود الجزائر كان لهم حضور فاعل في البلاد التونسية لما نالوه من حظوة كبيرة لدى حكامها، كما هو الحال مع الذمي **إبراهيم الجزائري** الذي كان مقربا من الباي التونسي، فقد قدّم بإذن منه المعظم الباي **محمد بن حسين بن علي**(1756-1759) احسانا لأنفار **تقرتية** "**محمد بن جلاب التقرتي ومحمد بن مسعود** شيخ طواقة قيمته: 80 ريالا، وذلك في حجة 1170هـ/ 1756م[2]. لما تعاظم النفود اليهودي بالبلاد، جعل منهم السادة لدرجة أن أصبح **بوجناح** يلقب بملك الجزائر، وما تبع ذلك من نهب واحتكار للثروات... لاحت رياح الثورة، ففي يوم 28 جوان 1805 اغتال أحد أفراد الإنكشارية **بوجناح** وهو خارج من قصر الجنينة، كما أقدموا على ذبح 42 يهودي في كنيسهم، فزرعوا الرعب في أوساطهم مع ازدياد الرغبة في الانتقام...وتحقيق العدالة السريعة، كما أقدم الداي الجديد **أحمد** على مصادرة ممتلكاتهم، ووضع **ديفيد وميشال بكري** السجن لذلك سارعت البقية منهم إلى الفرار[3]، حيث هاجرت 300 عائلة يهودية من الإيالة، توجهت 100 منها إلى تونس[4]، حيث كان يهود الجزائر في صراع مستمر مع الأهالي؛ وهذا ما جعلهم يهاجرون، ويكون في اتصال دائم بالأجانب خاصة إلى تونس[5].

والواقع أن الحراك إلى **تونس** لم يقتصر على الجزائريين من أبناء المدن والحواضر ولا على العناصر التركية الحاملة للمذهب الحنفي؛ أو أهل الذمة من اليهود بل شمل مختلف **القبائل الحدودية**، وغيرها من العناصر العربية [6]، فقد استقرت بالبلاد التونسية بيوتات من **قبيلة العواودة**-إحدى عروش قسنطينة- ناهزت **تسعين بيتا**؛ حسب ما هو مبين في وثيقة مؤرخة في24 رمضان 1242هـ/ 20 أفريل 1827م[7]، ونجد مجموعات قبلية لا تعرف نفسها بالانتماء إلى **الفراشيش كالحراكتة** من أصل الجزائري[8]، حيث ينتمي فريق **الحراكتة** إلى **عرش أولاد ناجي** ويتركزون حول فوسانة وتالة، والحراكتة يعودون إلى أصول جزائرية استوطنوا بمجال الفراشيش منذ قديم لكن استقرارهم تكثف بعد 1830، ومن أهم فرق الحراكتة نذكر **أولاد السايح والحيانة وأولاد دريهم وأولاد القفصي**، إذ يشير **فيرو** أن الجد الأول للحراكتة هو **سيدي يحيى بن طالب**[9]، كما ينتمي عرش **أولاد بوعلاق** إلى **عرش أولاد مهني** من **ماجر** ويستقرون

---

[1]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 259، 263.

[2]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144**، ص 295.

[3] - Claude Martin : **Les Israélites Algériens De 1830 à 1902**, Thèse Pour Doctorat ès-Lettres, Université de Paris, France, 1936, PP 21, 22.

[4]- وداد بيلامي: **النفوذ الاقتصادي السياسي ليهود الجزائر**، المرجع السابق، ص 22.

[5]- أبو راس الناصر الندرومي: **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان**، دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2011، ص 40.

[6]- جميلة معاشي: **الإنكشارية والمجتمع بإيالك الشرق في نهاية العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 352.

[7]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 52.**

[8]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 38.

[9]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص60.

حول سبيطلة، ويروى أنهم يعودون في أصولهم لقبيلة **أولاد سيدي عبيد** المستقرة حول نقرين على حدود الفراشيش الغربية، وقد غادر **أولاد بوعلاق** البلاد الجزائرية خلال أربعينات القرن التاسع عشر واستقروا بأرض **ماجر**[1].

كما وفدت عشائر من مناطق جزائرية مختلفة على نفطة التونسية، من ذلك **عشيرة الشرفاء** التي كانت مواطنهم حول بلاد **الأغواط** مع استقرار **سيدي سعيد** سنة 1090هـ/ 1679م؛ الذي عكف على العبادة وانتصب للإرشاد إلى أن توفي سنة 1150هـ/ 1737م، وخلف عائلة اشتغلت بتعلم العلم، وورد عليها أيضا الشيخ **سيدي ضيف الله** من **الزاب** واشتغل بتدريس القرآن ثم تصدى لتعلم العلوم الدينية إلى أن توفي سنة 1255هـ/ 1839م وخلف ذرية اشتغلوا بالعلم، والتف حول عائلتي هذين السيدين عدة عائلات من قبيلتهم وغيرها، وبذلك صارت مختلطة من عدة قبائل ورئاستهم في العائلتين المشار إليهما، وأما **عشيرة بني علي** فإنهم من أهل **بني علي** المستوطنين بنواحي **الزاب**، وفدت على نفطة هروبا من الأتراك في حدود 1010هـ/1601م، ولما وجدوا سعة العيش والاستيطان استقروا بها واتخذوها وطنا، واندمجت فيهم عدة فرق أخرى مثل **أولاد عزوز** الذين ورد جدهم عزوز على بلد نفطة سنة 1060هـ/1650م، أما **أولاد الشريف** فإنهم ينتسبون إلى **قبيلة العمامرة** التي وفدت هي الأخرى على البلدة أوائل القرن 10هـ/16م وتلاحقت بهم عدة عائلات من قبيلتهم في أزمنة مختلفة واستوطنوا هذه البلاد، والتفوا حول الشيخ **أحمد معاد** ليهتدوا بهديه ويسترشدوا بمعارفه، وكانت لهم ثروة عظمى فاقتنوا أجنة النخيل الثمينة وقوي شأنهم وأوقفوا على زاوية **سيدي معاد** أجنة لينفق ما يتحصل من أرياعها فيما يعود بالنفع العميم، و**عشيرة المصاعبة** التي ترجع في نسبها إلى **طرود(سوف)**، وكان ابتداء ورودهم في أوائل القرن 11هـ/17م [2]. كما شمل الحراك البشري إلى تونس **عائلات دينية ومرابطية** وعائلات موالية لها وأعيان بلد، من ذلك **عائلة مصطفى بن عزوز** التي وضعت عصا التسيار بنفطة الجريد قادمة من **الزاب**، وعائلة **المرابط بوزيان** التي يقال أنها تنتمي إلى الزيانيين **بتلمسان**، والتي هاجرت واستقرت **بتوزر**، ومن أبنائها **محمد بن أحمد الشكري البوزياني الطولقي** المتزوج **من أم هانئ** بنت السيد بوسالم بن عزوز البرجي المتوطنة بتوزر[3]، كما هاجرت إلى الجريد التونسي قبيلة **أولاد سيدي عبد الملك** من **أولاد سيدي عبيد** وبعض العائلات الأخرى التي رفعت شعار الدين كسبب لهجرتها[4]. وغداة الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830م) هاجرت مجموعات كبيرة إلى تونس على غرار عائلات من معسكر وتلمسان عام 1832م، وعلى إثر فشل مقاومة الأمير عبد القادر عام 1847م؛ انتقلت قبائل بأكملها إلى البلاد التونسية قصد الاستقرار بها[5]، أما عن صعيد الأشخاص والعائلات نجد نقيب أشراف الجزائر **الحاج أحمد الشريف الزهار** عام 1832م وغيره كثيرون من فحول أبناء الجزائر، فأم مدينة تونس، وازداد تبحرا في العلم والفقه على يد الشيخ **إبراهيم الرياحي**[6].

---

[1]- الأزهر الماجري: **المرجع نفسه**، ص 103.

[2]- إبراهيم خريف: **المرجع السابق**، ص 136-147.

[3]- وافية نفطي: **الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة من خلال وثائق الأوقاف 1830-1930**، مذكرة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، 1995-1996، ص 60-62.

[4]- عبد الكريم الماجري: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1830-1939)**، المرجع السابق، ص 53.

[5]- خير الدين شترة: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، طبعة خاصة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 246.

[6]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 22-23.

ومن الأسر التي هاجرت إلى تونس في أعقاب الاحتلال، أسرة المؤرخ الجزائري **أحمد توفيق المدني** ذات الأصول التركية، فقد عاد بعض أفرادها إلى الموطن الأصلي" تركيا"، في حين آثر البعض الاستقرار بالبلاد التونسية[1]، حيث ازدادت هجرة الجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي نتيجة التوغل الاستعماري والثورات الشعبية أو لأسباب أخرى خاصة هجرة بعض قبائل تبسة إلى تونس سنة 1846م منهم **العلاونة** وبعض فروعهم **كأولاد العيساوي** ثم **أولاد رشاش، أولاد خليفة** وخاصة **أولادسيدي عبيد**، وهاجرت مجموعات من قبيلة النمامشة الكبرى نحو تونس كهجرة **أولاد خيار والحنانشة وأولاد يحيى بن طالب** نحو الكاف، قلعة سنان، غار الدماء...وانتقال عائلة الشيخ **مصطفى بن عزوز** مقدم الطريقة الرحمانية الذي قدم من **واحة البرج** بعد الزحف الاستعماري عليها عام 1843م، و**إبراهيم بن عبد الله** شيخ الطريقة الجيلانية بورقلة، و**محمد بن علاق** زعيم **أولاد يعقوب** الأغواطيين[2]، وبسبب الثورات التي عرفها الشرق الجزائري، كثورة 1871م وثورتي الأوراس في 1876 و1879م كانت الإيالة التونسية ملجأ لعدد من زعماء المقاومة وتواصلت الهجرة في وقت لاحق من قبائل سوف وريغ[3]؛ بما في ذلك العائلات المتنفذة التي حطت الرحال بالبلاد التونسة؛ كما هو الحال مع عائلة **ابن جلاب** بعد فشل ثورة زعيمها **سلمان بن جلاب** عام 1854م، وعائلة **أولاد عزالدين** التي هاجر معظم أفرادها في أعقاب ثورة الزواغة وفرجيوة عام 1864م، وبعد القضاء على ثورة المقرانيين عام 1871م انتقلت أعداد كبيرة إلى البلاد التونسية؛ قدرت بنحو 500 مهاجر[4].

ومن الشخصيات الجزائرية التي وفدت من الجزائر على تونس؛ نذكر **القائد رمضان باي**(ت. 1021هـ/1612-1613)[5]؛ الذي يقول عنه **صاحب المؤنس** أنه من الأعلاج وأصله من أهل الجزائر، وخدم المنصب هناك-أي بالجزائر-، وانتقل إلى الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة، وكانت فيه سياسة تدبير فاقتنى المماليك وعلت همته، وتخرج من مماليكه عدة رجال أخذوا المناصب في حياته؛ وتسموا بهذا الاسم قبل مماته[6]، وفي عام 1687م قدم **إبراهيم خوجة** داي الجزائري على تونس هاربا من عسكره وكان إذ ذاك محاصرا لوهران، لما بلغه أن الحاج **ميزومورتو باشا** الجزائر (1683-1688) تظافر رأي العسكر معه على الفتك به[7]، ويذهب **دوغرامون** أن **إبراهيم خوجة** فقد شعبيته في أعقاب عودته من حصار وهران، وأصبح غير مرغوب به من الجند الإنكشارية، فاضطر إلى الفرار واللجوء إلى سوسة[8]، فأكرم **محمد باي المرادي** نزله ورحب به وهاداه هدايا تناسب مقامه، وحباه بالإجلال، وعامله معاملة تنبئ عن رفيع

---

[1]- جميلة معاشي: **الإنكشارية والمجتمع ببايلك الشرق في نهاية العهد العثماني**، المرجع السابق، ص352.

[2]- يحي بوعزيز: **"دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881"**، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982م، ص 49.

[3]- محمد علي الحباشي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 53.

[4]- العياشي روابحي: **"هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"**، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج24، عدد 53، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2018، ص 364-365.

[5]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 347.

[6]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 251.

[7]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 553.

[8] - Henri Delmas de Grammont : **Histoire D'Alger sous la domination Turque 1515-1830,** présentation LemnouarMerouche, Editions Bouchene, France, 2002, P 213.

قدره، وتشير إلى شامخ فخره[1]. ويتحدث **الناصري** في رحلته أواخر القرن 18م (انطلقت رحلته عام 1782) عن استقرار **الشيخ أحمد** أحد أمراء **بني جلاب بتوزر التونسية**، حيث كان صاحب منعة وثروة إلا أن الزمان جار عليه...واستحرم بالركب النبوي فدخله مع كل من لاذ به إلى أن وصل الإيالة التونسية، واستوطن **توزر**[2]، وهو ما يقره **صاحب الصروف** الذي أشار إلى استقرار القائم بالإمارة بتقرت **الشيخ أحمد** بالجريد التونسي عام 1201هـ/1787م[3]. ومن البايات نجد باي بايلك الغرب **مصطفى قائد الذهب المسراتي**(1155هـ/1742-1743م)؛ الذي فر إلى تونس– لما سمع ما يكرهه من الباشا–ورأى أصحاب المحال قد اتفقوا على تسليمه لعصمان باي الذي خرج عليه ليقتله...ومكث بها إلى أن مات وبها ضريحه؛ دون أن تشير المصادر إلى تاريخ وفاته[4]، ويروى أنه لما حل بتونس رفع الباي منزلته وأعلى شأنه وقربه إليه؛ جاعلا إياه من الخواص؛ فحصلت بينهما مودة الارتباط وتزوج قايد هنالك بامرأة وأتى معها ببنت[5].

دون أن ننسى**الحاج مصطفى انجليز باي** قسنطينة(1798-1803) الذي كانت ولايته تشبه ولاية **صالح باي** في الرخاء والعافية وتمهيد الوطن، وكان سبب انقضاء ولايته هو اشتهار أحد أولاده بالفسق والفساد، وإذاية الناس فلما شاع أمره عزله الباشا عام 1218هـ/1803م؛ فانتقل إلى الجزائر حيث وضع في إقامة جبرية مدة ثم فر إلى تونس، والتحق **بحمودة باشا**[6]؛ الذي وفد عليه طريدا بعد عزله، ومعه ابنه علي، فأحسن الباي قبوله، وأكرم نزله، وأعطاه بستانا بمنوبة، ووعده الإعادة إلى ولايته، وبقي إلى أن توفي بالحاضرة التونسية ربيع الثاني 1228هـ/ أفريل 1813م، وحضر رجال الدولة جنازته وأسف الباي على موته قبل أن يوفي له بما وعده من رجوعه إلى قسنطينة[7]، كما فر باي قسنطينة **حسين شاوش(1708–1709م)** سنة 1709م بما حصل عليه من أموال جمعها من الضرائب"حصيلة الدنوش[8]" إلى تونس؛ فأصبح الداي **بكداش** غير قادر على دفع أجور الإنكشارية لأن الباي قسنطينة كان قد فر إلى تونس بمبلغ

---

[1]– الوزير السراج: المصدر السابق، مج2، ص 553.

[2]– محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، دراسة وتح: المهدي الغالي، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013، ص 216.

[3]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 269.

[4]– محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 255.

[5]– الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحودراسة يحيى بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 300.

[6]– محمد صالح العنتري: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**، المصدر السابق، ص 88.

[7]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 59.

[8]– **الدنوش**: من لقب "**دنشDenche**"، وهو اشتقاق عربي محليمن اللفظة التركية "**دونش donus**" بمعنى العودة، وهي مصطلح إداري كان يطلق في العهد العثماني على الزيارة التي كان يقوم بها البايات إلى الجزائر العاصمة في كل ثلاث سنوات لمقابلة الباشا، وتقديم التقارير المالية والإدارية له، ويحصلون مقابل ذلك على تحديد الزيارة أو تنحيتهم وتعيين من يخلفهم، ومن تلك اللفظة جاء فعل "**دنش**" بمعنى **قام بتلك الزيارة**. انظر خليفة حماش: " **الألقاب التركية في الجزائر في العصر الحديث**"، سلسلة أعمال ملتقيات **الهجرة، الحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي**، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2010، ص 95-96.

الضريبة السنوية؛ بدلا من حملها إلى إليه قبل شهر مارس 1710م/محرم 1122هـ[1]. ولم يقتصر الحراك على عائلة **مصطفى انجليز باي قسنطينة** سابق الذكر، بل امتد طلب اللجوء إلى أحد أحفاده الذي طلب هو الآخر من الباي التونسي الانتقال من قسنطينة إلى تونس لأن الأباء والأجداد كانوا في خدمة دولتهم زمن الباي **حمودة باشا التونسي** (1782-1814)، وهو يتضح من الرسالة التي وجهها **حسان بن علي بن الحاج مصطفى انجليز** للباي **محمد باشا (1855-1859م)** يلتمس فيها من الأخير الإذن له بالانتقال إلى البلاد التونسية في أعقاب وفاة الأب والجد بالحاضرة التونسية؛ شاكيا له ما تعرض من محن (سجن، مصادرة أملاك، تهديم دور)، وهذا بعد أن أن فتح له الباب الباي الأسبق المشير **أحمد باي** (1837-1855)؛ وأنه حصل على تسريح بالإقامة من الإدارة الاستعمارية، والرسالة مؤرخة بتاريخ 05 محرم 1271هـ/ 28 سبتمبر 1854م في قسنطينة، ومما جاء فيها: " **سليل الملوك العظام وحمية بلاد إفريقية الهمام...مولانا المنصور السيد محمد باشا السيد محمد باشا ...خديمكم... حسان بن علي بن الحاج مصطفى انكليز باي...أبي وجدي خدموا دولتكم العالية وخدموا سيدنا حمودة باشا رحمه الله وعملوا الشر في دولة الجزائر ولحقني الظرر في بلاد قسنطينة فأخذوا أملاكنا الترك وهدموا ديارنا وهدموا تربانا ورفعوا احجارهم وحطوني في السجن أعوام عديد لأجل خدمة ابي وجدي دولتكم العالية ولا خلصت من السجن حتى مات أبي وجدي في تونس السعيد وصار الصلح بين الجزائر وتونس خرجت من السجن لأجل خدمتكم ومسني الظرر العظيم من اجل خدمتكم...وطلبت من دولة فرانصة إذن وتسريح بالاقامة بجانبكم...ونطلب الإذن من سيادتكم نقدم لحظرتكم كما أمرنا سيدنا أحمد باشا أو لا وأنا سيدي ابن خدامكم. محسوب عليكم ولحقني الظرر في السابق بجانب خدمتكم وتغيرت علينا الأحوال... فراني نترجا في جوابك السعيد يسر قلبي وعيني عليكم لأجل أبي وجدي خدام أواليكم والسلام من خديمكم ومقبل التراب من تحت نعلكم حسان بن علي بن الحاج مصطفى انكليز باي تاريخه 5محرم سنة 1255 في قسنطينة**"[2].

03-المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات الجزائرية بتونس:

يتجلى الحراك الاجتماعي لأبناء الجالية الجزائرية في تونس في التراتبية أو التقسيم الفئوي داخل النسق الاجتماعي؛ والذي عكسه التغير في المواقع الاجتماعية الأصلية التي تتجلى في التفاوت في الثروة وفي المعرفة والتنوع المهني وطبيعة المناصب-المرتبطة في الغالب بالمهام والأدوار والمراتب-التي تقلدها الجزائريون نظير الحظوة التي نالها بعض أبناء الجالية؛ ممن أسندت لهم بعض الخطط كالإمامة والخطابة والفتوى؛ ورئاسة الأمحال وقيادة الجند، ومنهم من نال شرف التكليف السياسي للقيام بمهام ديبلوماسية، هذا دون أن ننسى الحراك الاقتصادي البارز للجاليات الجزائرية والذي عكسته الأنشطة التجارية والحرفية والفلاحية الممارسة، فقد تنوعت الوظائف التي مارسها أو تقلدها أفراد الجالية بالبلاد التونسية، حيث مارسوا مهنا ووظائف مختلفة؛ فقد تقلد الشيخ **محمد الوشتاتي القسنطيني** خطة قضاء المحلة ثم قضاء الحاضرة التونسية؛ عقب وفاة الشيخ محمد الرصاع سنة 894هـ/ 1488م[3]، ومنهم العالم الفقيه **أبو الفضل البرشكي** الذي تولى

[1] - Berbrugger(A) : **Epitaphe D'Ouzoun Hassan, le conquérant en 1708**, Op.cit, P 124.

[2]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 98**.

[3]- محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، المصدر السابق، ج3، ص 60.

إمامة الجامع الأعظم[1]، ومن بجاية نجد **الكاتب محمد البجائي** المستقر مع أولاده (أسرته) بجزيرة جربة[2]، والشيخ **أبو العباس أحمد القسنطيني**(ت.1235هـ/1819-1820م) الذي كان من أعيان الحاضرة التونسية وكبار تجارها...تقدم لوكالة الجامع الأعظم وهي **من** الخطط النيهة في الحاضرة، وهو الذي وشح رؤوس سواريه بالنقش...وأبطل عوائد كانت لوكلاء الجامع من الحبس، وبوفاته قام ابنه مقامه في الوكالة على الجامع[3]، و**الشيخ أبو عبد الله محمد القبائلي**(ت. سبتمبر 1855) الذي اشتغل بالتدريس؛ وقدمه **أبو العباس أحمد باي** لخطة الفتوى، فأحسن القيام بها في التثبت[4].

ومن أبناء جند الجزائر؛ الذين ولدوا بالحاضرة التونسية، ونشأوا في خدمة الباي حسين بن علي، وقاسى مع أولاده ألم الغربة بالجزائر **أبو الحسن علي الجزائري** (ت. 1215هـ/07 سبتمبر 1800)، عاد مع أبناء الأمير **حسين بن علي** وتقلد الخطط النبيهة كالأعراض ودار الجلد وغيرهما[5]، ومن الموالي نجد **أبو عبد الله الملقب بالفرطوط**(ت. 1238هـ/1822-1823م)، نشأ صغيرا في الجزائر وجاء إلى تونس، وخدم الباي **أبا حمودة باشا** وهو صغير، وآل أمره أن اصطفاه **أبو النخبة مصطفى باي؛** وترقى عنده، وسافر معه بالمحال بخطة خزندار[6]، كما تقلد بعضهم وظيفة **المزوار** على غرار **محمد بن سالم الخياري** بمدينة القيروان[7]، كما أضحى الفقيه الأعدل **قاسم الرصاع** (ت.1818) أحد أبناء أسرة الرصاع التلمسانية على رأس مشيخة مدينة تونس أيام الباي علي بن حسين (1759-1782)، حيث جاء في إحدى الدفاتر الجبائية أن قاسما شيخ المدينة تلقى مقبوضا يتمثل في 50 مطر زيت [8].

وفي ميدان الخطط الشرعية؛ فقد لاحظنا في إحدى السجلات الأرشيفية التي يعود تاريخها إلى 1258هـ/1842م أن لزواوة عدولا، بلغ عددهم 16 عدلا يتوزعون عل جهات مختلفة من البلاد التونسية منها مثل **بوزلفة وغار الملح وماطر وطبربة،** ومن هؤلاء **العدول** الفقيه الأعدل **محمد بن الحمام** بتونس، والعدل **سامح قربوح** بمنزل بوزلفة، والعدل **أحمد بن سعيد** ببنزرت، والعدل **محمد بن يوسف الجودي** بماطر، والقارئ العدل **علي بن الحاج محمد اللزام أحد** المنحدرين من عائلة اللزام- القادمة من بجاية- بجهة بنزرت أي زواوة الغرابة[9]، أما **إبراهيم بن أحمد القسنطيني الشباني،** فقد امتهن مهنة التعليم بمدينة القيروان، حيث ورد اسمه في أحد الرسوم التي تعود بتاريخها إلى 1000هـ/جوان 1592م[10]، والشيخ **المدرس أبي القاسم البجاوي بالحاضرة التونسية** الذي ورد ذكره على نسخة رسم حبس مؤرخة

---

[1]- أبو القاسم بن عظوم: **المصدر السابق، ج**1، ص 141.

[2]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق، ج**3، ص 15.

[3]-ابن أبي الضياف: **المصدر السابق،** ج7، ص 119.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه،** ج8، ص 97-98.

[5]- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه،** ج7، ص 37.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه،** ج7، ص 133-134.

[7]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق،** ج3، ص 128.

[8]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2070**، ص 161.

[9]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم:3090، ص147، 157، 201، 206.**

[10]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج7، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2007، ص 21.

في غرة شوال 1041هـ/1632م[1]، كما نجد حضورا لأبناء الزيبان في النشاط التعليمي؛ من ذلك الشيخ **محمد القرطبي البسكري** الذي كان يقرئ أولاد الشيخ **أبو الغيث القشاش** مدة في الدار والكتاب، وبعدها بعثه الشيخ لتأدية مناسك الحج فحج وعاد إلى تونس، ثم ما لبث أن عاد إلى بلاده، فلما وصلها أدركته المنية[2].

كما نجد حضورا لأبناء قبيلة أولاد **سيدي عيسى** الجزائرية (ضواحي المسيلة) بالبلاد التونسية على غرار **عائلة الشيخ الطاهر بن مسعود بن أبي بكر اليعسوي الفاروقي** (ت. 1234هـ/ 1818م) الذي تصدى لبث العلم، وتقدم لمشيخة المدرسة السليمانية بعد وفاة شيخها الغرياني وأقرأ بها، وقد استمر على خطته في وملازمة بث العلم إلى أن أدركته المنية عام 1234هـ / 1818م ودفن في جوفي الزلاج، فكان رابع إخوته الدفنين بتونس وهم: الشيخ محمد الكبير، والشيخ العربي، والشيخ العابد، وكلهم علماء قرأوا في بلادهم ولحقوا بأخيهم، وكانت وفاتهم بتونس[3]، ومن الجزائريين من تعاطى مهنة الطب على غرار **حسان الجزائري** الذي كان طبيبا بمدينة القيروان، وكان ممن يعود إليه عند الاقتضاء، لكن ما يلاحظ أن هذه الشخصيات رغم مؤهلاتها العلمية "كفاءة الطب أو الجراحة" فإنها لم تحظ بما حظي به رجال الدين والفقهاء من حظوة وإجلال[4]، ومنهم من قام بمهام ديبلوماسية، نظير الحظوة التي نالها من حكام الإيالة على غرار **محمد التلمساني**، والذي أرسله الباي التونسي **حسين بن علي** (1705-1735) على رأس سفارة إلى لندن عام 1732م لجلب المواد الضرورية اللازمة لبناء سفينته قيد الإنشاء، وعلى الرغم من تردد الحكومة الانجليزية إلا أنه من المرجح جدا أن التلمساني نجح في مهمته مع استجابة الانجليز لرغبة الباي الذي حصل على ما هو بحاجة إليه لقاء قدر من المال[5]، ومنهم نال حظوة عند البايات فقربوه وأسندوا له وظائف حساسة، من ذلك **علي الحناشي** الذي كان يتمتع بفروسية كبيرة، وقد نال حظوة وكان مقدما لدى **مراد باي** الذي أسند له المهام الصعاب وولاه قيادة الجند، فأبلى بلاء حسنا في القضاء على تسلط بني شنوف المتغلبين على بلد الكاف، وشارك في إخماد فتنة أولاد سعيد؛ فكافأه الباي أن **ولاه على القيروان** عام 1041هـ/1631-1632م[6]، ونذكر أيضا في هذا السياق **الحاج مبارك الأوراسي كاهية وجق التوانسة**، الذي نال مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة عند الباي حسين بن علي، وفي هذا يقول **صاحب المشرع**:"...**وكان عنده الحاج مبارك الأوراسي في أرفع مكان، وأعز سلطان، فهو كاهية الكواهي، وكلامه عند الباي حسين ليس بواهي، ما لبس قدامه الرزة، وما يلبسها بعد السلطان إلا ذو العزة. فألبسه إياها وصار يتبختر ويتباهى وإذا رجعت الخاصة والكتاب والوزراء إلى ديارهم فلا يبقى مع مماليك البيت إلا هو معهم، ومحسوب منهم وهو ناظر عليهم، فما رقى عند الباي حسين أحد درجته، ولا قعد أحد بقته ولا بلغ أحد طريقه**"[7].

---

[1]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، المرجع السابق، ص 78.

[2]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 422.

[3]- محمد بن عثمان السنوسي: **المصدر السابق**، ج1، ص 237-238.

[4]- آمال المحفوظي: **القيروان في الفترة الحديثة قداسة الصورة وعمق الانتماء**، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع والكتاب المختص، تونس، 2017، ص 152.

[5]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…** Op.cit, T 2, P 91.

[6]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص ص 255، 260.

[7]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 115.

وشكل عسكر زواوة عصب الجيش النظامي للسلطة العثمانية بالبلاد التونسية، حيث كانت زواوة قوة منظمة على منوال التشكيلة الإنكشارية تنظيما واحترافا، حيث كانوا مدربين على استخدام الأسلحة النارية رغم تدني أجور أعوانها مقارنة بالأتراك[1]، فقد استنجد المراديون خلال حكمهم ومن بعدهم الحسينيون بجند زواوة، وانقسمت هذه التشكيلة إلى مجموعة من الفرسان التي تم تنظيمها على شاكلة المشاة العثماني، بالإضافة إلى وحدات من الخيالة على غرار الخيالة الترك، وكان لها ثكنات خاصة ومحلة تخرج قبل محلة الترك[2]، وقد تعرضت بعض المصادر إلى عنصر زواوة المجندين، وأشارت إلى وجود أسماء لبعض العاملين بالجيش التونسي أي المنخرطين في الجندية؛ من ذلك ما أورده **ابن عظوم** في أجوبته، حيث ذكر في وصية أسم: **سلامة بلقباش زواوة بن علي القشطولي**[3]. ونجد من الأسماء أيضا الشيخ **أبو العباس أحمد العوادي** (ت. 1243هـ/ 1828م) الذي يعود أصله من العواودة أحد عروش قسنطينة، هاجر إلى تونس في طلب العلم، درس بالجامع الأعظم...وولي القضاء بماطر، ثم أقبل على التدريس والاحتراف بصناعة التوثيق، واجتباه الوزير أبو المحاسن صاحب الطابع إلى التدريس بجامعه، وأفاض عليه من كرمه[4].

وأكد الباحث **بوزيد الأمجد** في دراسة لفئة الغرابة التي استقر بعض أفرادها بمدينة تونس في حدود 1772م؛ والتي ضمت 44 غربي؛ تعود أصولهم إلى توات، قسنطينة، الجزائر، طرابلس، غدامس، المغرب...أن جاذبية الأنشطة التجارية، وممارسة بعض الأعمال الحرفية والفلاحية بالإيالة التونسية؛ كانت من أهم عوامل حراكها الاجتماعي، فقد استقرت هذه الفئة بمدينة تونس في نهج باب الجزيرة، وأحياء أخرى مثل باب سويقة، الملاسين، مشكلة عددا هاما؛ في ظل وضعية اقتصادية مزرية، إذ لا يمكن للأنشطة الحرفية والتجارية الزراعية تلبية متطلبات عمل هؤلاء، وهذا سبب إصابة بعضهم بالبطالة والبؤس واللجوء إلى التسول والتسكع[5]، وبالنسبة لمعظم هذه الحرف(الأقمشة الحريرية والمحازم، الأبسة المطرزة بالحرير) التي يصدر جزء منها إلى تونس؛ فإن مدينة الجزائر هي التي تزود تونس وغيرها من المدن بالعمال[6]. لقد انحدر حرفيو مدينة الجزائر بالإيالة التونسية من مناطق عدة: الجزائر، مستغانم، قسنطينة، وهران، زواوة، تلمسان، صنهاجة، مزاب، وقد استقر هؤلاء شأنهم شأن أغلب المغاربة في المدينة؛ وخاصة في ربض باب الجزيرة؛ حيث تواجدت أهم الأنشطة الحرفية التي امتهنوها، ومن القطاعات الأساسية التي تواجدت فيها هذه الفئة: الجلد، الأسلحة النارية، وحرفة النحاسية، فقد استقطبت حرفة الجلد بفروعها أكبر نسبة من الحرفيين الغرابة لعراقة التقاليد التي تمتلكها هذه الجالية في هذا المجال، أما الخياطة فكانوا أساسا من أصل جزائري وخاصة القادمين من عنابة وقسنطينة، وقد عرفوا بإتقانهم لهذه الحرفة[7]، ومن هؤلاء الجزائريين الذين مارسوا مهنة الخياطة؛ نذكر الشاب **إبراهيم البرشكي الخياط** الذي ورد ذكره في

---

[1]- محمد الهادي الشريف: **القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع**...، المرجع السابق، ص 144.

[2]- سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد–المجموعات–شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص 22.

[3]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج2، ص 294.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 151.

[5]-Lamjed Bouzid : « **Contributions a L'étude Des Gharbis : le Cas De 44 Gharbis Décèdes dans La ville de Tunis** », In R.H.M, N°122, P.F.T.R.S.I, Tunis 2006, PP : 40,41.

[6]- حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 104، 105.

[7]- كريم بن يدر: **الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19م**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007، صص 81، 82.

أوائل ربيع الثاني 1001هـ/أوائل جانفي 1593م[1]، وقد امتهن بعض الجزائريين حرفة صناعة وبيع الأحذية على غرار حذاء البشماق، فقد جاء في شهادة عدل تعود إلى العهد المرادي مؤرخة في أوائل جمادى الثانية 1105هـ/26 جانفي 1694م؛ ذكر للسيد **يوسف الجزيري البشامقي** والد المكرم محمد الشريف **بلكباشي**، والمكرم **محمد الشريف بن يوسف الجزيري البشامقي**[2]، كما امتهن بعض الجزائريين حرفة صناعة الحصير أو حصير السمار اليدوي (المنسوجات أو المفروشات اليدوية)؛ كما هو الحال مع **محمد السمار الجزايري** الذي ألقى عصا التسيار بالحاضرة التونسية مع عيال الباي **محمد الرشيد** في أعقاب أوبتهم من الجزائر **عام 1170هـ/1756م**[3].

ومن هؤلاء العملة والحرفيين الجزائريين نجد أيضا أبناء ورقلة الذين امتهنوا حرفة البناء، إذ تشير الوثائق إلى استقدام نحو 40 من الوارقلية–أصيلي ورقلة– للقيام بأشغال ترميم وبناء الزوايا والأضرحة، من ذلك المشاركة بناء الزاوية البشيرية بالحاضرة التونسية بين 1820-1822م[4]، وعلى عهد **حمودة باشا**(1782-1814) نجد ذكر **للحاج أحمد القسنطيني** الذي كان من أعيان الحاضرة، والذي تم تكليفه إلى جانب بعض الأعيان بإعادة بناء المعسكرات الخمس الخاصة لسكنى عسكر الترك...حيث أشرف على بناء معسكر سيدي عامر قرب سوق البلاط، فأتم ذلك في وقت قصير؛ وعمره بالجند[5]، كما كان المهاجرون القادمون من قسنطينة والمنطقة المحيطة بها؛ يعملون أيضا في وظائف متواضعة[6]، ومارس البعض منهم مهنة الصباغة؛ كما جاء في رسم وصية يعود تاريخها إلى 27 ربيع الثاني 1007هـ/ 24 نوفمبر 1598م، اسم **محمد القلي بن قاسم القلي الصباغ** الذي كان من شهود تونس[7]، وكما هو الحال مع أحد أتباع الطريقة الرحمانية؛ المسمى **سالم العايب**(ت.عام 1860)، الذي انتقل من سوف إلى نفطة الجريد، واشتغل بمهنة **الصباغة** لبعض الوقت[8].

ومن أبناء الجاليات الجزائرية التي خدمت بايات تونس نجد **الأخضر التلمساني** الذي كان من خدام الباي التونسي **علي بن حسين** (1759-1782م)(قيمة التذكرة: 01ريال) عام 1187هـ...[9]، كما تشير الوثائق الأرشيفية إلى وجود " **معلم حمامجي**" من أبناء مزاب اسمه **بكير** مكلف بالإشراف على حمامات الباي التونسي علي باشا في سنوات 1742-1743م[10]، ونجد ذكرا في أحد دفاتر الأرشيف الوطني الذي يعود بتاريخه إلى 1240هـ/1842م؛ لعناصر من زواوة يعملون كخدم في زاوية الولي **سيدي محمد البشير الزواوي** (**ت**.عام 1827)، من ذلك ورود 14 اسما من خدام

---

[1]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج4، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2006، ص 147.

[2]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، المرجع السابق، ص 413، 414.

[3]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2144**، ص 251.

[4]- حمادي دالي: **الدولة والقبيلة والزاوية والفقهاء بالبلاد التونسية 1574-1877**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 319.

[5]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 38.

[6]- اندريه ريمون: **المرجع السابق**، ص 79.

[7]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج2، ص 167.

[8]- علي غنابزية: **مجتمع واد سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م**، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، 2019، ص 207.

[9]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2070**، ص 204.

[10]- عبد الكريم الماجري: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1830-1939)**، المرجع السابق، ص 251-252.

الولي في طبربة والأنصارين[1]، هذا يعكس لنا مبررا بذلك مكانة الزاوية البشيرية في قلوب زواوة. كما لاحظنا وجود ذكر لبعض النساء اللواتي مارسن بعض الحرف بالبلاد التونسية، من ذلك **أخت محمد بن علي الجزائري** التي كانت تعمل في بستان الباي التونسي، والتي تمت الإشارة إليها في إحسان لأخيها المشار إليه بتاريخ 1195هـ/1781م[2]، والظاهر أنهما أبناء الوكيل الأسبق للجزائر بتونس **علي الجزائري** الذي استوطن الحاضرة التونسية؛ وكانت له حظوة ومنزلة لدى الباي التونسي،كما اشتغلت نساء من مجتمعات قبلية كخادمات للبايات؛ من ذلك **امرأة نموشية** –من قبيلة النمامشة– كانت خديمة **لعلي باي (1759–1782م)**؛ والتي ورد ذكرها في الإحسان المقدم لها من الباي التونسي المذكور في ربيع الثاني 1178هـ/ 1764م؛ والمقدر بـ: 06 ريالات[3].

لقد كان للجزائريين حضور تجاري بارز بالبلاد التونسية في فترات مبكرة؛ وهو ما دلت عليه الوثائق، فقد وردت الإشارة إلى أحد التجار الجزائريين المسمى **محمد بن الحاج حسين الجزائري** من ساكنة سوق الجمعة بالحاضرة التونسية الذي خصه أمين باب الجديد بكسوة وإحسان قيمته 10 ريالات عام 1193هـ/1779-1780م على يد **الحاج محمد الهاني البواب**[4]، كما أن بعض التجار من أبناء الخنقة كانوا في ذهاب وأوبة دائمين نحو البلاد التونسية، كما هو الحال مع **سي محمد التواتي** الذي يحمل دوريا 100 قربة قطران من الخنقة إلى تونس للمدعو **علي زمال التونسي**[5]، في حين احترف عدد من المزابية تجارة الغلة بتونس؛ ذلك أن فقر منطقة واد ميزاب دفعت أبنائها إلى الانتقال إلى المدن والحواضر التونسية لتعاطي بعض أصناف التجارة كالخضر، والغلال، الفحم، وحراسة الأسواق[6]، ومن الأمثلة الدالة على ممارسة النشاط؛ الوجيه العفيف الخير **أبو الحسن علي العنابي**(ت. أفريل 1841م) الذي كان من أعيان التجار الأخيار بالحاضرة التونسية، وأحد أركان مجلس الحكم المتجري[7]، ومن النخب العلمية التي كان لها نشاط تجاري نذكر الشيخ **أبو عبد الله محمد بن محمد القبائلي(ت.1271هـ/1855م)**؛ الذي احترف بالتجارة لمعاشه[8].

وهذا دون أن ننسى الدور البارز لليهود في النشاط التجاري والمعاملات المالية، كما جاء في إحدى السجلات بتاريخ 1175هـ/1761م أن اليهودي المسمى **إسحاق** كانت له مع وليه المعلم **موسى سكر** تجارة في تونس[9]، حيث كان بعض اليهود الجزائر يرتحلون ببضائعهم، ويذهبون إلى تونس وجربة[10]، وقد سيطر يهود جربة على تجارة بن قردان في

---

[1]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم 3090.**

[2]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2145**، ص 210.

[3]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2144**، ص 319.

[4]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2145**، ص 210.

[5]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 01**، ص 138.

[6]– حبيبة محيدب: **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2015-2016، ص 63.

[7]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 48.

[8]– ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج8، ص97-98.

[9]– أ.و.ت: **سجلات بيت المال، العلبة: 360، السجل: 375.**

[10]- Haëdo **: Topographie et Histoire Générale D'Alger**, Op.cit, P 123.

أقصى الجنوب التونسي، التي كان يرتادها التجار من وادي سوف[1]، ومن هؤلاء اليهود الجزائريين من امتهن مهنة الصرافة (استبدال العملات أو تحويل النقد) بالحاضرة التونسية؛ كما هو الحال مع **الذمي إبراهيم الجزائري الصراف** الذي حظي بتذكرة من **علي باي** تونس (1759-1782) قيمتها 150 ريالا؛ نظير 300 سلطاني التي أخذها منه الباي المذكور أثناء إقامته بالجزائر[2]، وما يعكس لنا ارتباط اليهود في علاقاتهم بالإيالة التونسية؛ نذكر حادثة وقعت للطبيب **أندرهيل** الذي وقع في أسر البحارة الجزائريين سنة 1194هـ/1788م، حيث قضى مدة ناهزت 06 سنوات في الأسر، وقد افتدى نفسه بأموال وفرها من معالجة يهودي؛ فلما حانت ساعة الخروج من الجزائر تبين غدر التاجر اليهودي الذي باعه لأحد التونسيين، لكن الحظ ساعفه لأن السفينة التي كانت تقله وقعت في أسر رجل برتغالي؛ فاستعاد حريته[3].

لقد كان يهود الجزائر في حراك تجاري حثيث، إذ أن معاملاتهم التجارية ارتبطت أيضا بمحصلات القرصنة، حيث كانوا يقومون بشراء الغنائم من القراصنة، وإعادة بيعها في تونس[4]، وما يعكس لنا الدور الكبير للعنصر اليهودي وأثره في دينامية الحراك الاجتماعي بين سكان الإيالتين؛ الرواج الكبير للعملة التونسية خاصة بشرق البلاد، فقد كان التجار اليهود القسنطينيين يصدرون كميات هامة من البضائع إلى تونس؛ ذلك أن المدينة لم تكن مركزا تجاريا فحسب؛ بل أنها فضاء أكثر ملائمة للمبادلات بين المجتمعات الريفية التي تجد بها كل ما تطلبه من المنتجات الضرورية؛ نظرا لعلاقات عاصمة البايلك مع بونة وتونس ودواخل البلاد[5]، حيث كان سكان قسنطينة يستعينون في تجارتهم إلى تونس باليهود الذين يرسلونهم لتخزين المؤن[6]، وكان من ثمار هذا الحراك الاقتصادي أن توطدت الصلات بين أبناء الإيالتيتن، وفي هذا الصدد يقول **عبد الجليل التميمي** بأن المبادلات التجارية التي عرفت نشاطا واسعا بين قسنطينة وتونس ساعدت على خلق اتصالات مفيدة بين القسنطينين والتونسيين[7].

ما يدل بوضوح على ايجابية الحراك الاجتماعي؛ تلك التراتبية أو الفئوية المجتمعية؛ التي يعكسها الحضور القوي للجزائريين من مختلف المناطق بالإيالة التونسية؛ مقارنة بنظرائهم من التونسيين بالغرب، فقد أسهم أبناء الجالية الجزائرية في تطوير الحياة الاقتصادية وترقية الحياة الاجتماعية بالبلاد التونسية؛ من خلال حركية المبادلات التجارية والمعاملات المالية البينية؛ وممارسة عديد الحرف والمهن والصنائع وتقلد بعض الجزائريين بمختلف مدن القطر المجاور لوظائف متنوعة متوارثة في ذويهم؛ والتي غالبا ما نقلها هؤلاء من مواطنهم الأصلية إلى البلد المهاجر إليه.

---

[1]- محمد العيد قدع: **الروابط الاجتماعية والثقافية بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي (1881-1962)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2019-2020م، ص 150.

[2]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 20.

[3]- جون.ب. وولف: **المرجع السابق**، ص168.

[4]- عزيز سامح الترّ: **المرجع السابق**، ص 409.

[5] - André Nouchi **: Enquête Sur Le Niveau De Vie Des Populations Rurales Constantinoises de La conquête Jusqu'en 1919**, Presses Universitaires De La France, Paris, 1961, P 121.

[6]- Charles Féraud : « **Corporations Des Métiers A Constantine Avant la Conquête Française** », In R.A, Vol 16, Challamel ainé – Librairie, Paris, 1872, P 452.

[7]- عبد الجليل التميمي: **"العلم القسنطيني أثناء حكم أحمد باي آخر بايات قسنطينة"**، مجلة الأصالة، العدد 65، الجزائر، 1978، ص 74.

04-مؤشرات الثراء والغنى لدى بعض أبناء الجالية الجزائرية.

يشير **ابن العطار** في هذا السياق إلى التجار القسنطينيين بالحاضرة التونسية؛ الذين أمرهم حمودة باشا الحسيني بالعودة إلى بلادهم آمنين، حيث رتبوا أمورهم وخلصوا أموالهم وهذا بعد تأزمت العلاقات؛ وتجهز الأخير للقيام بحملة على قسنطينة عام 1807م[1]، ومن هؤلاء التجار الجزائريين نجد التاجر **الحاج أحمد بن الفراصد؛** الذي كانت له مبادلات تجارية بالحاضرة التونسية؛ فقد كان له شركاء يساعدونه على غرار الحاج **محمد سلامة** الذي قدم على تونس عند صاحب الزمام الفراصد بما مجموعه 93.996 ريالا، وكانت له معاملات مالية بالحاضرة المشار إليها [2]، والسيد **أحمد الغرابلي** الذي كانت له هو الآخر تجارة في تونس، فقد قبض مبلغا قدره 49 ريالا من السيد **مصطفى بن صابر الذمي في تونس،** ثمن كراء مجموعة من الدور؛ كما هو مدون في سجلات بيت المال بتاريخ رجب 1249هـ/ 1833م[3].

وتشير بعض المصادر إلى وفاة أحد يهود الجزائر بالحاضرة التونسية عام 1742؛ وهو **الذمي دانيال آرون دي ليفي لويزا،** الذي كان إلى جانب **ابراهام يايتش** من كبار التجار، واللذان عينا كل من **مبير لومبارسو وموسى جوناتان** كوكيلين لهما بالعاصمة التونسية التي استقروا بها[4]، كما أسس يهود الجزائر بيوتات تجارية كما هو الحال مع شركة التاجران ذوي الأصول البرتغالية دانيال دوكوستا ألفرنجا وأرون ليفي لويزادا، وقد استمر تواجد هذه الشركة على الساحة التجارية قرابة 56 سنة (1686- 1742)، وقد تركزت نشاطاتها على تجارة العبيد بالدرجة الأولى، إضافة إلى استيراد بعض بضائع الترف، وتصدير الحبوب(القمح، الشعير)، وكان لهذه الشركة التجارية ممثلان في تونس هما: **موسى كوهن جونتان ومبير لومباراسو**[5]، وقد ترك بعض الجزائريين من ذوي الجاه والغنى أملاك لذويهم؛ بعد وفاتهم؛ كما هو الحال مع المزوار **محمد بن سالم الخياري** الذي خلف موروثا عنه بدار القيروان وبلد بني خيار[6]، ويبدو أن بعض الجزائريين المستقرين بالبلاد التونسية كانت لهم أملاك، فقد جاء في إحدى وثائق الأحباس التي تعود بتاريخها إلى عام 1559م ذكر لحانوت يعمره **الشريف الجزيري**[7]، وورد في إحدى الوثائق التي تعود في تاريخها إلى 1173هـ/ 1773م اسم **الشاذلي بن عبد الرحمان العنابي** الذي كانت له معصرة بساحل بنزرت كائنة بحومة الولي الشيخ الولي الصالح سيدي قاسم[8]، وأحد التجار من مشايخ مزاب الذي امتلك حماما بالحاضرة التونسية عام 1816م، بقي يديره إلى غاية 1847م [9]،

---

[1]- الحاج أحمد بن العطار: **المصدر السابق،** ص 117.

[2]- **أ.و.ج: سجلات بيت المال: العلبة: 360، السجل: 375.**

[3]- **أ.و.ج: سجلات بيت المال: العلبة: 36، السجل: 370، ص 23.**

[4]-Haddey.M. J**: Le Livre d'or Des Israélites Algériens**, Imprimerie Typographique De Bouyer, Alger, 1872, P 13.

[5]- وداد بيلامي: **اليهود والشبكة التجارية في إيالة الجزائر والحوض الغربي للمتوسط 1686-1830**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، السنة الجامعية:2017-2018م، ص 228.

[6]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق،** ج3، ص 128.

[7]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين،** المرجع السابق، ص 61.

[8]- تفاحة مفتاح: "**أوقاف الجامع الكبير بغار الملح من خلال وثيقة أرشيفية تعود إلى أواسط القرن الثامن عشر**"، مجلة السبيل؛ مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد 1، جامعة منوبة، تونس، 2016، ص 08.

[9]- C. Holsinger (Donald): **Op.cit,** 375.

ويشير صاحب **أبو القاسم الزياني** في رحلته (الترجمانة) في النصف الثاني من القرن 18م إلى وكيل الجزائر بتونس **الحاج علي الجزايري**؛ الذي أدرك منصبا عظيما ومالا كثيرا وعقارا في مدة قصيرة[1].

كما اقترنت الثروة ببعض القادة الجزائريين المستقرين بالحاضرة التونسية؛ كما هو الحال مع القائد **أبو الحسن علي الجزائري**(ت. 07 سبتمبر 1800)، الذي تقلد العديد من الخطط الإدارية والمهام والأنشطة الاقتصادية، حيث تولى عددا كبيرا من اللزم باعتباره يتمتع بثقة أبناء حسين بن علي، وتعتبر فترة كل من **علي باي** وابنه **حمودة باشا** أساسية في بنائه لثروته، فقد ارتبط اسمه ببعض اللزم الهامة على غرار **لزمة سوق الحرير** 1769-17770م، و**الباطان** (1771-1772م) وغيرها[2]، وكان من الذين امتلكوا عبيدا مسيحيين؛ إذ تشير الوثائق إلى محاولة نصراني تابع له الهرب، إلا أن أحد التونسيين المسمى **عمر التونسي** أحضره من حلق الوادي[3]، ومن مظاهر الثراء الفاحش لليهود ليهود ليفورن قدوم التاجر **أنطوان بابون**- كما ورد في وثيقة تعود إلى عام 1716- إلى الجزائر بأربعة آلاف قطعة من الياقوت والزمرد من إيالة تونس على متن السفينة المسماة **Saint Pierre** ، حيث رفض رجل الأعمال اليهودي **ياكوب كوهين بكري زهوت** دفع قيمة الياقوت والزمرد المقدر بـ 82 بياستر بسعر الصرف في مدينة الجزائر، واقترح دفع القيمة بالسلطاني[4]، ومن العائلات الجزائرية المتنفذة التي جمعت بين الجاه والوجاهة بالبلاد التونسية نجد عائلة **آل الرصاع التلمسانية**، فبالعودة إلى وثائق الأحباس يتبين أن مجمل العقارات التي حصل عليها آل الرصاع حضرية وريفية، قد تم اقتناؤها بقسط وافر خلال القرن 17م، ما يفسر الموقع الاجتماعي الذي كان تحتله العائلة في طبيعة توزع ثروتها، التي كانت في أغلبها أملاك محبسة الثروة كانت تتوزع على مدينة تونس وعلى المناطق المجاورة لها، ولم تكن تتعدى شعاع 60 كلم من العاصمة إلا نادرا، وقد كان آل الرصاع من كبار الملاكين العقاريين لا سيما خلال القرن 17م، حيث اقتنوا أملاكا حضرية بمدينة تونس إلى جانب أصول الزياتين المنتشرة حول الحاضرة[5]، ولربما ما يعكس هذا الثراء وسعة الأملاك وسلطة الجاه ما جاء في بعض الوثائق الأرشيفية التي تضمنت بيان لمحاسيب ورثة الفقيه **عثمان الرصاع** (ت.1818م) شاهد بيت المال، على ما تقاضاه من بيت المال مقبوضا ومصروفا مدة خمسة أعوام، كان تمامها شهر صفر1234هـ/19ديسمبر 1818م، وبلغ مقبوضه (162295من الريالات) تجمع ذلك للمذكور من تونس وعملها، وجملة مصروفه ومدفوعه بمقتضى تذاكر الورثة (من الريالات127295)، وكان الباقي للجانب المذكور قبل الورثة 25 ألف من الريال لا غير، حيث استولى الورثة على مخلفه وقيدت المحاسبة في 29 ربيع الثاني سنة 1237هـ/ 24جانفي 1822م[6] أي أن الورثة قد اقتسموا هذه التركة بعد وفاة الشيخ **عثمان الرصاع**، ومن العائلات الثرية ذات الأصول الجزائرية بمدينة **بنزرت** نجد؛ عائلة **أحمد**

---

[1]- أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 164-165.

[2]- عثمان البرهومي: **اللزم والمجال الحضري بالإيالة التونسية خلال العهد الحديث 1705-1856م**، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، تونس، 2009، ص 394.

[3]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم: 99**، ص 03.

[4]- وداد بيلامي: **اليهود والشبكة التجارية في إيالة الجزائر والحوض الغربي للمتوسط 1686-1830**، المرجع السابق، **ص 250**.

[5]- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وحدة البحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 2011، ص 282.

[6]-**أ.و. ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 2341**.

الجموسي الشهيرة بعائلة" **بن صالحة**" القادمة من وهران الجزائرية حوالي عام 1832م، وكانت تمتلك ثروة كبيرة تتمثل في كميات هامة من الذهب و"اللويز"؛ مكنتها من العيش في ظروف طيبة جدا؛ ومن امتلاك مسكن واسع أنيق، وبعض الأراضي الفلاحية بضواحي بنزرت[1].

شكلت الجاليات مؤشرا من مؤشرات الحراك الاجتماعي، فقد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك عمق الصلات الاجتماعية بين سكان الإيالتين رغم التفاوت والتباين القائم، فقد اعتبر التونسيون الجزائر بلدا لهم؛ كما هو الحال بالنسبة للجزائريين الذين كانوا يرون في البلاد التونسية موطنهم الثاني؛ إذ لم تحل العلاقات السياسية المتوترة في أغلب الفترات في تكريس القطيعة وفرض الحصار على الشعبين، حيث لم تكن هناك حواجز بين الجزائري والتونسي وعوائق تقف حائلا أمام الحراك البشري الفردي والجماعي الذي استمر متجاوزا منطق ما تمليه السياسة وما يفرضه الحكام، كما ارتبطت الحركة الإيقاعية للنمو الاقتصادي ارتباطا وثيقا بمسار الحراك القائم بين البلدين؛ والذي تعكسه دلائل الغنى والثراء؛ وتنوع الوظائف واختلاف الحرف والصنائع وازدياد وتيرة النشاط التجاري، حيث أسهمت الجاليات الجزائرية بأعدادها الكبيرة وأنشطتها المتنوعة في إعادة تشكيل الفضاء المديني التونسي، وتنمية المدن والحواضر التونسية وتوسيع عمرانها من خلال المساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية، ذلك أن مدن الإيالة مهما كان حجمها ووزنها لا يمكن لها أن تتطور إلا بفضل الحراك والتنقلات البشرية المتقلبة شديدة التنوع للمهاجرين، وذلك ما أشار إليه ابن خلدون الذي ربط اكتمال التطور الحضري بالنمو الديمغرافي والتعمير المستمر، ذلك أن التراتب والحراك الاجتماعي –كعملية لها بعد تاريخي– لم يكن ظاهرة ساكنة وثابتة على مر الأجيال. إذ لم يستنكف أبناء الجالية الجزائرية بعض الأعمال التي كانت متاحة لديهم طلبا للرزق، وأضحت تشكل عنصرا مكونا لنسيج سكاني فسيفسائي بالبلاد التونسية.

[1]– فوزي فليس: **المرجع السابق**، ص 217.

الفصل الرابع: الحراك القبلي بين الإيالتين

"حتمية وتماهي"

أولا–حراك القبائل ومسألة تحييز المجال بين الإيالتين.

01–المجالات القبليةالتخومية ومحاولات ترسيم الحدود.

02–قبيلة نهد بين النزعة الاستقلالية والولاء المزدوج.

ثانيا–الحراك القبلي ودوره في توثيق العلاقات الاجتماعيةبين الإيالتين.

01–حركية التكتلات القبلية الجزائرية في الفضاءات التونسية.

02–الحراك القبلي التونسي نحو الغرب.

ثالثا–مظاهر الاندماج والتماهي القبلي بالمناطق التخومية للإيالتين.

رابعا–القبيلة المرابطية الولائية " أولاد سيدي عبيد" انموذج الانصهار والانشطار القبلي.

لما كانت أغلب القبائل بدوية صرفة فإن حراكها في فضاءات غير خاضعة للمخزن أمر بديهي، كما أن عجز السلطة كان يسهل من عملية انتقالها إلى مجالات أخرى؛ في ظل سعي حثيث إلى هذه احتواء القبائل الطرفية داخل حدود معينة؛ على أن الحدادة التي تم تثبيتها تمثل فقط الحد الذي ينتهي عند مجال ضعف نفوذ الدولة في الإيالتين، لذلك ظل الحراك القبلي كحتمية قائما بحكم علاقات القربى والنسب"التزاوج والمصاهرات" والجوار بين العروش أو بحكم الأواصر التي كانت تنشأ عن تحالفات القبائل ضد بعضها البعض أو ضد الحكام؛ والتي عادة ما ينتج عنها ظاهرة قطع الطرق ووضعية اللأمن في بعض المناطق التي شكلت ملمحا من التواصل الاجتماعي السائد، لذلك ظلت القبائل التخومية أو الطرفية محافظة على عيشها المألوف القائم على الحركة والتنقل، وعدم التقيد والالتزام بحدود مجالية ثابتة. فماهي أهم وأبرز التكتلات القبلية التي ارتبطت بهذا الحراك المجالي البيني؟ هل استطاعت السلط الحاكمة ترسيم الفضاءات المجالية بين الإيالتين في ظل استمرارية حركية القبائل التخومية؟ ماهي أبرز التأثيرات والتجليات التي ترتبت عن هذا الحراك القبلي؟ وإلى أي مدى أسهم الحراك القبلي في توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية بين أبناء البلدين؟.

أولا–حراك القبائل ومسألة تحييز المجال بين الإيالتين:

تمثل السيادة الترابية إحدى أركان السيادة السياسية للدولة الحديثة، وفي هذا الإطار شكلت الحدود إحدى المسائل الجوهرية في علاقة السلطة بالمجال في تاريخ المغرب الحديث، حيث ظلت الكيانات الجغرافية المغاربية منذ القرن 17م إلى حدود الاستعمار انموذجا للدولة التقليدية التي كانت سيادتها على مجالها الترابي ضعيفة، ذلك أن الفضاء الجغرافي المغاربي كان رخوا لا يتعدى مجال تحرك قبائل مرتحلة في معظمها؛ تحكم السلطة المركزية فيه محدود للغاية[1].

01-المجالات القبلية التخومية ومحاولات ترسيم الحدود:

عرف مفهوم الحدود داخل المجالات الطرفية تطورا في محتواه الاجتماعي ومدلوله السياسي والاقتصادي وبعده الاستراتيجي، وذلك ارتباطا بتاريخ المنطقة وبتطور ميزان القوى بين السلط في كل من تونس والجزائر؛ وبين القبائل الحائزة لهذه المجالات[2] الترابية؛ التي تتسع وتضيق تبعا لقوة القبيلة وتأثير الزعامات المحلية، لذلك سارعت مؤسسات المخزن إلى محاولة وأد الحدود العشائرية وتحييز هذه الفضاءات، وإعادة ضبطها وانتاجها وفق آليات وقواعد محددة.

ما لبثت الإيالتين الجزائرية التونسية أن دخلتا في صدام عسكري حدودي، ساهمت فيه بشكل مباشر القبائل التخومية بين الإيالتين، ويعود الصراع أساسا إلى الرغبة الجامحة لحكام الإيالتين نحو التوسع والبحث عن موارد مالية وجبائية جديدة؛ خاصة بعد أن ضربت الإيالتين أزمة اقتصادية وهيكلية حادة[3]، ومن القضايا التي كانت تعكر صفو العلاقات بين حكام البلدين وتزعزع الثقة بينهم نجد:

* التجاوزات التي كانت تصدر عن القبائل المجاورة للحدود بين البلدين، بالامتداد فيما يليها، أو الهجرة إلى البلاد المجاورة، تهربا من دفع الضرائب، كان أيضا من القضايا التي تتسبب في توتر العلاقات بين البلدين.

---

[1]– فاتن المشيشي: **ضبط الحدود التونسية الجزائرية بين 1881و 1962 "دلالات التحييز الفرنسي"**، مذكرة ما جستير في التاريخ المعاصر، جامعة تونس الأولى، تونس، 2008-2009، ص 07.

[2]– الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش**، المرجع السابق، ص 471.

[3]– محمد العادل: **"الأوضاع التخومية والحدودية بين إيالة تونس وإيالة الجزائر خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر"**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 157، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2015، ص 201-202.

* تقلب القبائل الحدودية وشيوخها على الخصوص؛ في ولائهم لحكام هذا البلد أو ذاك، ما كان يؤثر على العلاقات بين البلدين، ويدفعها نحو النزاع والصدام؛ من ذلك أولاد سعيد ودريد، والشنانفة، والحنانشة وغيرها، وعلى مواطنها وشيوخها مثل **ثابت بن شنوف**، شيخ قبيلة الشنانفة التي كانت تسيطر على على منطقة الكاف التونسية، والشيخ **خالد بن نصر** شيخ الحنانشة الجزائرية المجاورة لها، والشيخ **ابن علي** شيخ عرب ناحية بسكرة وغيرهم، فتذبذب ولاء هولاء الشيوخ وغيرهم مع قبائلهم؛ نجم عنه توتر كبير في العلاقات بين البلدين في العشرية الثانية والثالثة من القرن السابع عشر الميلادي[1].

ويشير **ابن عظوم** في **أجوبته** إلى نازلة عرضت عليه أواخر محرم 988هـ/ 9 ديسمبر 1589م تتضمن توسع عسكر تونس في المناطق الداخلية الغربية من أجل جمع الضرائب والمجابي في ظرفية تميزت بانعدام الوضوح المجالي."...**جوابكم عن مسألة عسكر خرج من تونس في محلة لاستخلاص حقوق مخزنية من وطنهم المعروف بهم، معهم طائفة يقال لهم التلمود، ولطائفة التلمود رعايا وطن لهم عليهم حقوق عادية أيضا تمنعوا من أدائها إليهم بطائفة يقال لهم الحنانشة. وخرج أيضا عسكر قسنطينة وبلد العناب مع الحنانشة دون حضور عسكر تونس، فوقع موت أناس من جانب عسكر قسنطينة ولم يتعين قاتلهم**...". ما أدى إلى نزاع بين **عسكر قسنطينة وعنابة** التابعين لإيالة الجزائر من ناحية **وعسكر تونس** من ناحية أخرى الذي خرج في محلة لاستخلاص المجابي"، وأما المجال الذي كان مسرحا للمواجهة على ضوء الوثيقة فهو الحنانشة والتلمود[2]، أي المجال الواقع بين الحنانشة من جهة ومنطقة الكاف من جهة ثانية، ويبدو أنه ذات المجال الذي أشار إليه مصدر عثماني أواخر القرن 16م باسم"**أركو**"، ويذكر أن عربان قلعة أركو امتنعوا عن دفع ما عليهم من آداءات وضرائب في سنة 1586 إلى خزينة تونس، وأدى هذا الرفض إلى اندلاع حرب بين بايلربايات تونس والجزائر، و أن الباب العالي تدخل لإحلال الصلح بين الطرفين المتنازعين [3].

تجددت المواجهات عام 1612 على التخوم الشمالية الغربية بين عسكر الأتراك- العثمانيين- بتونس وتحالف قبلي معارض للوجود العثماني في هذه المنطقة جمع **أولاد مسعود** و**أولاد قانة** الذين يتمركزون في المنطقة الغربية المجاورة لجبال خمير وفي الجنوب الشرقي لعنابة، وأدى اختلال التوازن بين الطرفين لصالح العثمانيين، مما دفع بهذه المجموعات القبلية إلى الاستنجاد بحكام الجزائر؛ وبذلك دفعت المجموعات التخومية مرة أخرى الحكام في الإيالتين نحو المواجهة العسكرية[4]. فقد دفعت ضرورة تحديد الحيز الجبائي **برمضان باي**- وهو أحد قادة المحلة- إلى الهجوم على **بني شنوف** الذين كانوا يحتلون مناطق التخوم في جوار الكاف والذين كانوا يتلاعبون بولائهم حسب ما يتحصلون عليه من منافع، حيث بدأت التحركات العسكرية في 1612 ورد الجزائريون الفعل في 17 أوت-15 سبتمبر 1613[5]، وهذا في أعقاب إقدام

---

[1]- عمار بن خروف: "**العلاقات بين الجزائر وتونس من 1574 إلى 1671**"، مجلة دراسات إنسانية، العدد 02، جامعة الجزائر، 2002، ص 119-120.

[2]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج6، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2006، ص 275-276.

[3]- محمد العادل: **المرجع السابق**، ص 203-204.

[4]- محمد العادل: **نفسه**، ص 210.

[5]- توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، المرجع السابق، ص 32.

رمضان باي الذي سعى إلى بسط نفوذه إلى أقصى التخوم الغربية مع أتراك الجزائر، حيث تسبب أثناء خروجه لجمع المجابي في الاصطدام بفروع الحنانشة؛ الذين سارعوا إلى الاستنجاد بالعسكر الجزائري بعد أن تم إحراق محاصيلهم[1]. وكاد الجيشان أن يلتحما لو لم تتدخل بعض الشخصيات الدينية " **القاضي الحنفي رمضان أفندي و الفقيه أبو القاسم البرشكي والمفتي أبو ربيع** وهما عالمان من علماء المالكية" التي قامت بوساطتها، إذ تؤكد الوثائق عدم حصول المواجهة ؛ ويتحدث **ابن أبي دينار** عن هذه الواقعة على عهد **يوسف داي**؛ إذ يقول:" **وفي أيامه سنة اثنتين وعشرين وألف كانت محلة الجزائر الأولى ولم يقع بينهما قتال**"[2]، وهي نفس العبارة التي أوردها **الوزير السراج**: "**وفي رجب 1022هـ/ أوت– سبتمبر 1613م وردت محلة الجزائر الأولى ولم يقع فيها قتال**" [3]، حيث تم التوصل إلى حل سلمي في الثلث الأخير من صفر 1023هـ/ 23 مارس– 2 أفريل 1614؛ يقوم على تثبيت الخط التضاريسي واد سراط كحاجز طبيعي بين الإيالتين، فما هو شرقيه فهو لتونس وما هو غربيه فهو لوحق الجزائر، وأورد **إليات** (Elyatt) في 1615 أن الحد الساحلي عند الرأس الأشقر[4](Cap Roux) ، وهذه مقتطفات من نص الاتفاق المتوصل إليه "...**بعد أن وقعت مكالمة ومشاحنة ومشاجرة بين السادات الفضلاء عسكر الجزاير المحمية بالله ومدينة تونس ... بسبب الحدادة الفاصلة بين بين المدينتين ... على أن الحدادة بين المدينتين المذكورتين وادي سراط فما كان من غربيه فهو للجزاير المحمية وما شرقي الواد فهو لمدينة تونس ... بشهادة الفقيه المفتي سيدي محمد بن أبي الربيع والفقيه المفتي سيدي قاسم البرشكي والفقيه الأجل مولانا رمضان افاندي والمعظم رستم والمعظم علي آغة الكرسي بالجزاير المحمية بالله تعالى تاريخها أواسط صفر الخير عام ثلاثة وعشرين وألف(عام 1023هـ/ 1614م)**"[5].

لم يضمن هذا الاتفاق –الأول من نوعه–دوام حسن الجوار؛ بل عاد النزاع سنة **1037هـ/ 1628م**؛ ويحمل **ابن أبي دينار** مسؤولية اندلاع الحرب إلى الأعراب وتحديدا إلى شيخ أولاد شنوف **ثابت بن شنوف**[6]، وهو ما يذهب إليه **صاحب الحلل**:"**وفي شهر رمضان سنة 1037هـ/ ماي–جوان 1628م كانت الواقعة العظمى بين عسكر الجزائر وعسكر تونس وهي المعبر عنها بعام السطارة... وكان استجلابهم فيها على يد ثابت بن شنوف وهو الذي أطمعهم في البلاد**"[7].

عكس ما ذهب إليه **صاحب المؤنس** الذي حمل مسؤولية اندلاع الحرب إلى شيخ أولاد شنوف؛ فإن المصادر الأجنبية تذكر معطيات متعارضة مع ما ذكرته الرواية الإخبارية المحلية حيث تؤكد شهادات معاصرة – **مارسيل أتاردو**

---

[1]– عادل النفاتي: "**القبيلة والأرض والسلطة في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**"، مجلة ليكسوس، العدد 49، مركز موكادور للدراسات والأبحاث، المغرب، نوفمبر 2023، ص 60.

[2]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 231.

[3]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 359.

[4]– توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591–1675**، المرجع السابق، ص 32.

[5]– **أ.وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1-2.

[6]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 321-232.

[7]– الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 359.

مملوك الباي – لهذه الأحداث حقائق مغايرة للرواية التي أوردها صاحب المؤنس، وتتلخص المسألة حسب الراوي في استيلاء **مراد باي** على ثروة أحد الزعماء المحليين من شيوخ الحنانشة وافتكاك – قلعته(قلعة أركو أو أرق) التي كان فيها بمعية عائلته تحت حراسة اثني عشر من الزنوج(حامية من الزنوج)، وكان لهذا الشيخ رعايا في الجزائر، وقد أسر **مراد كورسو** ابن الشيخ ثم عمد إلى إعدامه؛ فتوفي الوالد حزنا على مقتل ابنه، ثم اجتاح بعدها حصنه الحدودي الاستراتيجي أي القلعة– ضيقة المدخل الواقعة على صخرة عالية للغاية– ودمرها ونصب بها حامية من الترك، ما أغضب سلطات الجزائر ودفعها إلى القيام باستعدادات حربية [1]، وتؤكد الدراسات أن الحصن المشار إليه هي **قلعة سنان** المخزن الاحتياطي لقبيلة الحنانشة؛ والتي لطالما كانت مقرا لسلطتها ومهدا لقوتها، حيث كانت هذه القلعة الحصينة المركز والملجأ الطبيعي الآمن، والذي جعل منها الموقع المناسب لمقاومة سكان البلاد خلال الحروب المتكررة في القرون الماضية[2]، ويعتبر تدمير **مراد كورسو** لقلعة أرق خرقا واضحا لاتفاقية 1614م وإيذانا باندلاع مواجهة عسكرية بين الإيالتين، وهو ما تشير إليه وثيقة أرشيفية:" ... **ثم عمد أهل مدينة تونس إلى قلعة أرق وجعلوا بها نوبة ولم تكن سابقة بها فآل الأمر بين العسكر إلى تجديد الفتنة...**"[3]، بينما يعيد المؤرخ الفرنسي **دوغرامون** السبب إلى إقدام حكام تونس على تشجيع وتحريض قبائل بايليك الشرق– قسنطينة– على التمرد والعصيان؛ ما أثار داي الجزائر **خسرو باشا** وجعله يعلن الحرب؛ وكان هذا في حدود 1624م، ورغم أن الظروف حالت دون وصول الحملة في العام المشار إليه إلا أن الاضطرابات والقلاقل والمناوشات الحدودية استمرت قرابة أربع سنوات[4]، وانتهت بالمواجهة عام **1628** .

عاد النزاع في سنة 1628م ؛ وتأهب الطرفان إلى الحرب إلى حد أن الوساطة العثمانية لم تجد نفعا، دارت فيها الدائرة على الجانب التونسي في هذه المواجهة...وانتهى الأمر إلى توقيع الصلح بين الفريقين نظير الدور الذي قامت به بعض النخب الدينية العالمة مثل الشيخ **تاج العارفين العثماني** و**الشيخ إبراهيم الغرياني** و**الشيخ مصطفى** شيخ الأندلس وغيرهم[5]، ونصت المعاهدة الحدودية الموقعة بتاريخ 16 جوان 1628م على: **الإبقاء على وادي سراط كحد طبيعي وتمديد هذا الخط نحو الشمال مسايرة لوادي ملاق وجبل الحيرش وقلوب الثيران وجبال الحفا إلى البحر، بحيث أن رعايا كل كل الجانبين إذا تجاوز الحد للعمالة الأخرى فلا يطالبه أهل العمالة المنتقل عنها بخراج، بل يكون خراجه للعمالة الجديدة المنتقل إليها.** وهذه شروط الصلح كما جاءت في الوثيقة "...وأن **الحد الفاصلبين المدينتين المذكورتين** من **ناحية القبلة وادي ملاق والأحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر... وعلى أنه وقع الوفق بين العسكرين على أنه من دخل عمالة الجزاير وحل غرب وادي سراط يكون خراجه لقسنطينة ولا يطالبه أهل مدينة تونس وكذا من دخل حدادة تونس من الرعايا واجتاز الوادي وكان شرقيه**

---

[1]-Roy(B): **«Deux Documents inédits sur L'expédition Algérienne de 1628(1037 Hég) contre les Algériens»** , In R. T, N° 120, Institut de Carthage, Tunis, 1917, P 184.

[2] - Féraud (ch) :**« Les Harar seigneurs des Hanencha »**, InR.A, Vol:18, Paris, 1874**,** PP 23, 129-130**.**

[3]– أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1–2.

[4]-Henri-Delmas de grammont: **Histoire D'Alger sous la domination Turque 1515-1830**, Présentation lemnouare Merouche, Edition Bouchene, Paris, France, 2002, P 141.

[5]–ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 321–232.

فهو لهم ولا يطالبه أهل الجزاير حسبما هو مرتسم في غير كما وقع ذلك في زمان السيد مصطفى باشا والمرحوم فرحات باي وذلك بتاريخ يوم الخميس رابع شهر ذي القعدة سنة 1037هـ/ 1628م"[1] .

يتبين لنا أن مفهوم الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس قبل الاحتلال الفرنسي عام 1830م؛ قد استند على مبدأ القانون الإسلامي المستمد من مفهوم الأمة الإسلامية الذي يوجب على كل فرد مسلم الانتقال إلى أية دولة إسلامية؛ فيصبح من رعايا تلك الدولة خاضعا لقوانينها ومحاكمها الشرعية بصفة آلية، وبذلك يتوجب عليه دفع الضرائب المفروضة عليه كبقية رعايا تلك الدولة التي انتقل إليها، وهو ما أقرته معاهدة 1628م التي تعدإقرار وتطبيق لإحدى مبادئ القانون الإسلامي في مفهومه للسيادة[2]. وبمقتضى هذا المبدأ فإن كل جزائري انتقل إلى الإيالة يصبح ولاءه لفائدة الإيالة التونسية والعكس صحيح، غير أن هذه الوضعية المستمدة من مفهوم الأمة الإسلامية؛ قد أصبحت في حكم الإلغاء بعد احتلال الجزائر عام 1830م[3]، كما تم التأكيد مرة أخرى على اعتبار واد سراط حدا جبائيا ويشريا بين العمالتين مع تمديده في اتجاه الشمال حتى البحر[4]، وافتقر المجال الشمالي الفاصل بين جبل الحفا والبحر إلى تحديد متفق عليه[5]، كما أن حدود إيالة تونس حسب اتفاق سنة 1628 تقف عند وادي صراط الواقع جنوب الكاف، ولم يتعرض هذا الاتفاق إلى الفضاءات الواقعة جنوب هذا الخط؛ أي أن الحد –المشترك–بين الإيالتين يبتدئ شمالا عند رأس الأشقر أو كاب رو Cap Roux إلى بلاد الفراشيش؛ وأن واضعي الحد لم يقوموا بتمديده إلى المناطق الجنوبية موطن القبائل المنتجعة الأكثر قدرة على الحركة والأفقر والأكثر تمردا؛ باعتباره فضاء قبليا داخلا في نطاق التحصيل الجبائي–الضريبي–يستوجب التحديد[6]، لذلك ظلت المناطق السباسبية جنوب وادي سراط مفتوحة، إذ لم تؤثر الحدود كثيرا في الحراك التجاري والصلات الاجتماعية والثقافية بين المجموعات القلبية التونسية والجزائرية، ولا في الحد من نفوذ تلك القبائل على مجالاتها، حيث لم تكن ترى الحد الفاصل عائقا أمام ممارساتها المعتادة من حرث ورعي وإغارة أو تنقل؛ بل كان التواصل بينها هو السمة الغالبة[7]. ولكن اللافت للنظر في هذه الوثيقة أن الحدود الطبيعية الفاصلة بين البلدين هي ذات دلالة جبائية وبالتالي يصبح حد السيادة هو الجباية، ولكن بما أن القبائل الحدودية حرة في اجتيازها لهذا الحد الطبيعي؛ فإنها سوف تستغل هذه الثغرة للتهرب قدر الإمكان من دفع الجباية، وهكذا نستشعر محدودية ونسبية هذا التطور في تصور مسألة الحدود، إذ أن حركية المجموعات البشرية القبلية تفسد إلى درجة ما هذا التصور الطبيعي أو الترابي للحدود[8]، لذلك ارتبط مفهوم الحدود" الأطراف" خلال القرن 17م أساسا بالمسألة الجبائية، وقد أكد الأستاذ **توفيق البشروش** على أهمية

---

[1]– أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1–2.

[2]– عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية، المرجع السابق**، ص344.

[3]– ا أحمد جابو: **أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ما بين 1830–1881**، المرجع السابق، ص 229.

[4]– فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574–1881**، المرجع السابق، ص 124.

[5]– توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591–1675**، المرجع السابق، ص 33–34.

[6] - Mochicourt (Ch) : « la **frontière Algéro- Tunisienne dans le Tell et dans la Steppe** », in R.A, Vol 82, Alger, 1938, P 33.

[7]– عادل النفاتي: **المرجع السابق**، ص 60–61.

[8]– المنصف التايب: **"المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني"**، مجلة روافد، العدد 04، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس، تونس، 1998، ص 14–16.

العلاقة بين نمط الإنتاج الجبائي والمسألة الحدودية بين الإيالتين، فقد أشار إلى ذلك منطلقا من مبدأ السيادة المجالية التي ستكون لها من الآن فصاعدا إطارا ماديا وأساس قضائيا؛ مبرزا أهمية العلاقة بين نمط الانتاج الجبائي ومسألة الحدود[1]. حيث تم تثبيت مبدأ السيادة في التخوم على أساس مبدأ الدوائر الجبائية التي تعكس لنا ملمحا غير جغرافي لكن بشري.... لذا نجد أن هذا الترسيم (1628م) يطرح قلقا كبيرا بالمناطق التخومية الخاضعة للتحصيل الجبائي، والمرتبطة بالفضاء البايلكي؛ ما يجعل التجمعات البشرية الحية على المناطق التخومية غير قادرة على التذرع بالولاء المزدوج للتهرب من الأداء الضريبي، كما أكد الاتفاق أهمية الحدود الجبائية والقضائية، ففي المستوى الجبائي أشار إلى دورها في تثبيت التبعية الجبائية للمجموعات القبلية التخومية التي كانت في السابق تتأرجح بين أكثر من مركز سياسي، أما على المستوى القضائي فقد ضبط حسب رأيه المجال الذي تمتد إليه صلاحيات الحكام القضائية[2]؛ فلئن حافظت القبائل على حريتها في الترحال فقد وضع هذا الصلح حد لحق الملاحقة[3].

ويظهر بجلاء أن صورة المجال التونسي قد تميزت في القرن 17م بوجود مراكز رفض وعناد (**أولاد سعيد، بنو شنوف**...) مشتتة شمالا ووسطا وجنوبا بما أعطى للمجال وضعا أمنيا؛ فمراكز الرفض السياسي هي مراكز جبلية داخلية، وهي مزاوجة بين عناصر العناد الاجتماعي والمناعة الطبيعية مقابل سلطة لم تكتمل بعد تطور هياكلها الضرورية[4]، لكن الملاحظ أن اهتمام الحكام بالحدود كان قاصرا على مراقبة المداخيل الجبائية وضمان ديمومة الريع العقاري دون أن تعنيهم الخلافات الحدودية للمجموعات المحلية، فقد كشفت الاتفاقيات المنبثقة عن المواجهات الحدودية مع دايات الجزائر التي توجت بواقعة **السطارة** عام 1628م؛ محدودية تصور الحكام لمسألة الحدود وأكدت المدلولات الجبائية لتصور دايات تونس والجزائر لمسألة الحدود [5]. أما الأستاذ **خليفة الشاطر** فلئن ركز على فكرة وجود حدود فعلية – حقيقية- بين الإيالتين نتيجة الاتفاقيات(1614-1628)؛ فلقد أشار إلى أن هذه الحدودلا تمثل خطوط قطيعة أو انفصال معلمة على الأرض بقدر ما هي فضاءات-تخومية تفصل بين نطاق الولاء السياسي- تجارية وبشرية مفتوحة ذات وضع قانوني غامض، وتمثل هذه الحدود حدا بين مجالين جبائيين ينتميان إلى الفضاء الإيكولوجي نفسه، أكثر من كونها أداة فصل بينهما، وعلى أية حال فإن الحدود بين الإيالتين لا تمنع بتاتا تنقلات البشر والبضائع أو حتى غارات بعضها البعض على الجانبين[6]؛ إذ كانت ظاهرة انتهاك الحدود المتبادل بين البلدين (الجزائر وتونس) واقعا معيشا، من ذلك إقدام أحد قراصنة طبرقة على الاستيلاء على قارب صيد تابع للقالة بحجة أن هذا القارب خرق الحدود المتفق عليها بين البلدين[7]، وهذا

---

[1] -Taoufik Bachrouch : **Formation Sociale Barbaresque et pouvoir à Tunis, Op.cit**, P 163.

[2] - Taoufik Bachrouch : **« Pouvoir et souveraineté territoriale la question de la frontières Tuniso-Algérienne sous Ahmed Bey »**, acte du 1er congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb, CERES, Tunis, 1979, P 197-198.

[3]- توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، المرجع السابق، ص 34.

[4]- مبروك الباهي: **"مفاهيم المجال التونسي لدى نخبة من مؤرخي العصر الحديث في القرن (17-18-19)"**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 74، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ماي 1994، ص 29.

[5]- فوزي سعداوي: **"تبلور مفهوم حدود السيادة في سياسة بايلك تونس القرن 19م"**، أعمال الندوة الدولية" المجال ببلاد المغارب" 4-5-6 مارس 2004، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، 2004، ص124.

[6]- خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 54-55.

[7]- هابستراويت (ج. أو): **المصدر السابق**، ص 97.

يعني عمق التواصل والروابط بين هذه المجموعات نظرا للجوار الجغرافي ولخصائص المناطق الحدودية بين الجزائر وتونس، حيث كانت الحركة مستمرة للأفراد والجماعات والقبائل والقوافل وغالبا ما كانت هذه الحركة تضم قبائل بأكملها أو بعضا منها تنتقل بخيامها وحيواناتها وأملاكها من الجزائر نحو تونس أو تكون في الاتجاه المعاكس من تونس نحو الجزائر[1]، لذلك ظل الترسيم الحدودي بين الإيالتين محافظا على ضبابيته إلى حدود نهاية القرن 18؛ دون أن يكون له أدنى أثر على ديناميكية حراك القبائل الطرفية.

لقد عرف مفهوم الحدود في تاريخ تونس الحديث تطورا في مدلولاته ومحتوياته الاجتماعية والسياسية والإستراتيجية من الحدود الجبائية أثناء القرن 17م إلى مفهوم الحدود الترابية أو حدود السيادة بداية من منتصف القرن 19م، وهذا مع تطور ميزان القوى بين السلط وبينها وبين القبائل الحائزة لهذا المجال من ناحية أخرى[2]، حيث اكتسى مفهوم الحدود طابعا تطوريا؛ فمن مفهوم **الحدود الجبائية** خلال القرن 17م إلى حدود **السيادة الترابية والجغرافية** مع نهاية القرن 18م؛ ليتحول بعد احتلال الجزائر سنة 1830 ومع استقرار العديد من القبائل الجزائرية التي فرت أمام قوة الاحتلال بمجال الفراشيش من ذلك **فرق أولاد السايح وأولاد محمد وأولاد العسال الذين يعودون إلى الحراكتة**، إلى الحدود " **الملاجئ**"[3]، وبالتالي إعادة طرح مسألة الحدود، وقد تجلى التطور الجديد لمفهوم الحدود منذ إقدام أحمد باي سنة 1847م على تركيز أربع قطع مدفعية بمدينة الكاف[4].

وأما أدب الرحلات فله جغرافيته، بالرغم أنه أدب معلوماته زهيدة، اتخذ شكل دليل، أسلوبه الإشارة العابرة حتى في الاستطراد التاريخي، إذ يشير **المكناسي** في رحلته 1785م إلى مدينة **الكاف**؛ ويذكر أنها آخر عمل صاحب تونس وحد إفريقية[5]، ويضع **الصغير بن يوسف** حد مملكة تونس في الموضع المسمى بـ: **عيون التوامي**[6] " **العسكر...ثم يرحلون ويقصدون عيون التوامي وهي حد مملكة تونس**" [7]، وقد حاول **ارنست كاريت** رصد المعالم الحدودية الفاصلة بين الإيالتين رغم أنه ألمح إلى صعوبة تحديدها وضبطها بدقة، ومع ذلك وضع نقاط معلمية جعلها حدود للإيالتين تمتد من الجنوب إلى الشمال، وتتمثل في **بئر بوناب، والكثبان الملية المحيطة بواد سوف، وسهل الميطة وواد غصران، ومجرى واد هلال، ومضيق البكارية، وآثار حيدرة، ومجرى واد حيدرة، ووادي سرات، ووادي ملاق**[8]، ولم يستطع البلاط الحسيني في تونس والدايات بالجزائر فرض سلطتهما على المناطق التخومية، وبقي مفهوم الحدود قبل مرحلة الاستعمار يكتنفه التلاشي بين سلطتين سياسيتين لم تستطيعا فك علاقات التواصل والتكامل بين العناصر الاجتماعية

---

[1]- أحمد جابو: **أوضاع الجالية الجزائرية بتونس 1830-1882**، **المرجع السابق**، ص 228-229.

[2]- فوزي سعداوي: **المرجع السابق**، ص 124.

[3]-الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش**، المرجع السابق، ص 472.

[4]- فوزي سعداوي: **المرجع السابق**، ص 125-126.

[5]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **المصدر السابق**، ص 328.

[6]- **عيون التوامي**: يقع هذا المكان في آخر أرض بني مازن عند وادي بربر وهو الموضع الذي تنهي إليه محلة الباي الصيفية. ويمثل كذلك الحد الذي يفصلهم عن نهد. فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881**، المرجع السابق، ص 275.

[7]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 40.

[8]- كاريت(إ): **الاستكشاف العلمي للجزائرخلال أعوام 1840، 1841، 1842**...، ج6، المرجع السابق، ص 14.

المكونة للمجالين الجزائري والتونسي؛ ممثلة في القبائل التخومية التي ظهر ترابطها وانسجامها على مجال واسع غير محدود، حيث أن عملية تحديد التخوم كشكل من أشكال تحييز المجال بقيت بالنسبة للسلطتين المركزيتين التونسية والجزائرية محصورة في إطار تأمين استخلاص الضرائب في كلا الإيالتين؛ هذه العملية التي كانت تعسر كلما تم الاقتراب من التخوم، حيث كانت توجد بعض القبائل التي أهم ما كان يربطها بالأرض الماء والمرعى، إذ كانت تعمد إلى الاحتماء بالمجال المجاور كلما اشتد طلب الآداء، ولم يكن للحدود بين الإيالتين وجود كبير في ذهنية القبائل؛ وحتى المجال الترابي التونسي لم تكن له مكانة كبيرة في وجدان التخوم الغربية [1].

وعلى الرغم من المراسلات التي أشارت إلى كلمات على غرار **الخط، الحد، والحدادة؛** فقد وقع نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر في الحدود الفاصلة بين الإيالتين؛ فقد جاء في مكتوب من الحاج **أحمد باي قسنطينة** إلى **حسين باشا** حاكم تونس في 24 رمضان 1242هـ/ 20 أفريل 1827م في هذا الشأن يعكس لنا بوضوح ضبابية الحدود ووهم ثباتها في مخيال الجماعات القبلية التخومية: " **إن ورغة[2] تعدوا الحد الفاصل بينهم وبين الحنانشة وبهذا السبب يقع الفساد وان شئت فابعث من قبلك من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المالوف فان الكثير والجم الغفير من معشر الوطن يعلمونه ويتحققونه**"[3]، وهو ما أكده مكتوب لاحق من **مصطفى باي لأخيه حسين باشا تونس** مؤرخ في 12 رجب 1243هـ/1827م " **أخينا سيدي حسين باشا...كما لا يخفاكم وقوله أن ورغة قد تجاوزا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم نتجاوزه ولا زلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وبحدودها فإذا وجدهم تجاوزوا حدهم ولو قدر شبر فإنه نرجعه ونحكم فيهم... والنظر الأعلى لكم...أخيكم الفقير إلى الله مصطفى باي وفق الله الجميع بمنه وكرمه في 12 رجب الأصم 1243هـ**" [4] .

يمكن القول من هذا المنظور أنه رغم ظهور المقياس الخطي وتطور القوانين إلا أن موضوع الحدود يبقى محل اختلاف؛ وظل ترسيمها هشا على أرض الواقع، فتعددت الحدود وتشابكت؛ فحدود إقليم قسنطينة ظلت موضع خلاف بين نظام البايات في كل من تونس والجزائر، ذلك أن التخوم بين هذين النظامين كانت محددة **بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا،** فأوطان القبائل والعشائر الموالية والخاضعة لهذا النظام أو ذاك تعد ضمن مجال السيادة لهذا النظام أو لذاك؛ **فالولاء الذي يضبط هويتهم لم يكن ثابتا دائما لنظام حكم واحد، وهو أحد العوامل التي حالت دون رسم الحدود بين الإيالتين**[5]؛ كما هو الحال مع قبيلة **نهد.**

---

[1]- ادريس رائسي: **القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830-1881)**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص 36.

[2]- **ورغة:** يعود هذا العرش الحدودي إلى أصل بربري "**قبيلة هوارة**"، وقد يكون أوائلهم أبعدوا منذ القرن 11م من قبل طرودمن المجال الترابي الذي كان لهم قرب الفايض في طرابلس، فارتحلوا بمعية عروش بربرية، وبحثا عن الحماية دخل عرش ورغة مبكرا في دائرة العروش الموالية للدولة الحفصية؛ ثم للبايات الحسينيين، وكان فرسان هذا العش ضمن القوات المخزنية. انظر؛ محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 18.

[3]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة قم: 52.**

[4]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة قم: 57.**

[5]- احميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 19.

02-قبيلة نهد بين النزعة الاستقلالية والولاء المزدوج:

تقع كنفدرالية نهد بالجهة الشرقية من عنابة بين القالة ورأس روكس (**Cap Roux**) على الحدود التونسية؛ وتضم **برابطية والسوارخ وعواوشة ولخضر وأولاد عريض وسبتة**، وكانت هذه الكنفدرالية في حروب مع جيرانهم في تونس؛ وخاصة مع خمير[1]، إذ تعد قبيلة نهد حسب الرحالة **بايسونال"Peyssonnel"** واحدة من القبائل الحدودية -الواقعة بين القالة وطبرقة- المكونة من نحو 700 إلى 800 فرد؛ جميعهم جبليون مسلحون، لا يدفعون الضريبة لا لداي الجزائر ولا لحاكم تونس؛ على الرغم من أنهم يقولون أنهم في تبعية لهذا الأخير، وأن هذه الجهة تقطنها قبائل غير خاضة لا لباي تونس ولا لداي الجزائر[2]، وعلى الرغم من عدم اهتمام الرحالة الأوربيين بمسألة الحد الترابي بين الجزائر وتونس أو بمنطقة نهد؛ إلا أن الصفتان اللتان تلازمان هذه المجموعة هما؛ التوحش وطابع الانزواء وعدم التقيد بسلطة حكم الإيالتين، ويقول **القس بواري L'Abbé Poiret** الذي قدم الجزائر سنة 1785م أن حياة قبيلة نهد- التي يمثل فضاءها حدا فاصلا بين إيالتي الجزائر وتونس- بائسة وتمزقها الصراعات الداخلية؛ وقد وصفها بأقذع الأوصاف من قبيل؛ الأمة الشرسة المتعطشة للدماء، الغادرة التي لا تحترم معاهدات السلام، الحقيرة والجبانة التي لا تهاجم عدوها إلا عن طريق الكمائن أو عندما يكون أعزل، مضيفا أنها تقوم بزراعة الأراضي وتربية القطعان، وأنها لا تدفع إلا نزرا يسيرا من الضرائب حتى لا يقع إزعاجها من طرف الحكام، ومشيرا إلى المحاولات المتكررة للبايات في كل من تونس وقسنطينة الهادفة إلى إخضاعها دون جدوى[3].

إن قضية نهد أسالت الكثير من الحبر؛ فقد ادعى كل طرف أحقيته على هذا المجال التخومي، وتعود ضبابية الوضع الجغراسياسي لنهد بدرجة أولى إلى ضبابية الحد بين الإيالتين في المنطقة الشمالية ولا سيما في مستوى البحر؛ فاتفاقية 1628م لا تتضمن أي موقع ساحلي محدد[4]، ذلك أن قبيلة نهد تميزت بكونها قبيلة حدودية منقسمة إلى قسمين: قسم يعيش **بالبلاد التونسية ويخضع لنفوذ السلطة المركزية**، وقسم يعيش **بالبلاد الجزائرية ويخضع لنفوذ دايات الجزائر** إلا أن سلطة كل منها لا يجب المبالغة فيها، وقد كانت قبيلة **نهد** وغيرها من القبائل التونسية **كخمير ووشتاتة وبني مازن** تعيش من التجارة مع المراكز التجارية الأوربية (فرنسية وجنوية) بالسواحل التونسية[5]، وبانقطاع المورد الأساسي للرزق أي التجارة السلمية مع الأوربيين **بطبرقة وتامكرت**؛ التجأت القبائل التونسية إلى مركز تجاري آخر وهو **برج القالة**، وقد اضطرت الشركات الفرنسية المستغلة للقالة إلى تخصيص عوائد مالية هامة لرؤوساء القبائل المجاورة لحمايتها؛ على غرار نهد التي كانت من أقرب القبائل إلى البرج[6].

---

[1]- عبد القادر بورمضان: **المجتمع والعمران في مدية عنابة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1900م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2021-2022، ص 17.

[2]- Peyssonnel et Desfontaines: **voyages dans les régences de Tunis et d'Alger,** Op.cit**,** T2, P 225-226.

[3]-L'Abbé Poiret**: Voyage en Barbarie**, Op. Cit, T1, P151.

[4]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية-، المرجع نفسه**، ص277.

[5]- جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 302.

[6]- جمال بن طاهر: **نفسه**، ص 303.

طرحت مسألة انتماء نهد لأول مرة بشكل جانبي في العشرينات من القرن 19م؛ لما راسل **سليمان كاهية** –حلق الوادي– **وزير مملكة تونس** قنصل فرنسا في رسالة مؤرخة في ربيع الأول عام 1237هـ/ 1821م؛ يعلمه فيها أن **كافو روسو** "رأس صقلاب الواقع بين طبرقة والقالة" هو الحد بين الإيالتين الجزائرية والتونسية، ويشير في معرض الحديث أن لهم رعية ساكنة هناك يقال لهم نهد يعلم هذا جميع أهل البر والبحر[1]، وقد استند الجانب التونسي في مزاعمه على ما وردفي إحدى الدفاتر الجبائية ابتداء من سنة 1676م التي تفيد أن نهد كانت **من** دافعي الضرائب للمراديين، وأنهم كانوا في خدمة الحسينيين وهذا من خلال مراسلة مؤرخة في 30 سبتمبر 1744م، وأن القنصل الفرنسي يقول أن نهد وإن كانت مستقلة جدا إلا أنها تشغل جزء من الإيالة[2]، وهو ما يذهب إليه الدكتور **توماس شاو** الوحيد الذي أكد بأن بعضهم (نهد)كان يدفع الضرائب للتونسيين [3]، بالإضافة إلى المسائل القضائية المتعلقة بأحكام تخص مسائل الدوايا أو التعويضات النقدية؛ كالتدخل لردع نهد واخضاعها لدفع الدية المخزنية كغيرها من المجموعات السكانية، فقد احتوت وثيقة تعتبر بمثابة معاهدة سلمية بين نهد والفرنسيين القاطنين ببرج القالة؛ على أحكام الدية الاصطلاحية بين المجموعتين وعلاقتهما زمن السلم والحرب، وذلك حسب ما حكم به **علي باشا** في أواسط رجب1166هـ/ ماي 1753م[4] بناء على طلب حاكم الحصن لإقامة العدالة ، ووقف أعمال العنف والجرائم التي كانت تقوم بها نهد ضد عمال الحصن، ومن بعده **حمودة باشا** الذي حكم في النزاعات الجديدة الناشئة بين نهد والمسيحيين بحصن القالة (الباستيون) في بداية جانفي 1791م، بحضور وكلاء البلدان المتنافسة[5]، كما نجد أن **باي تونس** يتدخل في تنظيم العلاقات الاقتصادية من (فلاحة والصيد والرعي واقتطاع الخشب من أراضي نهد) والتجارة بينهما، لكن هذا الواقع لا يمكن أن يحجب بعض المؤثرات الدالة على ضعف ارتباط نهد أو بعض فروعها بالسلطة في تونس، فقد كان مشايخ نهد الذين يتم تعيينهم من طرف الباي يتلقون مثلما هو الحال بالنسبة لمشايخ ورغمة في الجنوب؛ هدايا كرمز لتبعية تلك المجموعات العروشية له[6].

لقد ظلت المنطقة على المستوى الاقتصادي حتى قبيل انتصاب الحماية تربطها علاقات اقتصادية بالمجالات المجاورة لها سواء داخل البلاد–مثل سهول واد مجردة ومنطقة الدخلة جنوبا وميناء طبرقة شمالا– أو خارجها خاصة مع الشرق الجزائري، وهذا يفيد مقولة العزلة والانغلاق التي سحبتها عليها الكتابات التاريخية[7]، وهو ما دفع الباحثة التونسية **فاطمة بن سليمان** إلى القول أنه من المرجح أن قبيلة نهد أضحت في تبعية للإيالة التونسية ابتداء من النصف الثاني من القرن 17م مع التوسع المرادي على عهد **حمودة باشا** الذي انجر عنه بسط سيادة الباي على هذه المجموعة القبلية أو بعض

---

[1]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2847**، ص 03.

[2]- Taoufik Bachrouch: **«Pouvoir et souveraineté territoriale la question de la frontières Tuniso-Algérienne sous Ahmed Bey»**, Op.cit, P 198.

[3]- Shaw (Thomas) : **Voyage Dans La Régence D'Alger Aux 18eme Siècle**, Edition Grand-Alger Livres, Alger, 2007, p 187.

[4]– جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 302.

[5]- Taoufik Bachrouch: **«Pouvoir et souveraineté territoriale la question de la frontières Tuniso-Algérienne sous Ahmed Bey»**, Op.cit, P 198.

[6]– فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية–نشوء الدولة الترابية في تونس(1574–1881)**، المرجع السابق، ص 278.

[7]– فاطمة بن سليمان: **"مجال خمير والسلطة المركزية بتونس في القرن التاسع عشر: من التخوم إلى الحدود ومن المخزن إلى الدولة"**، مجلة روافد، العدد 05، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 1999–2000م، ص 18–19.

العشائر المكونة لها، حيث أسست لهذا الشكل من المراقبة الحدودية أي مخزنة المجموعات الحدودية وجعلها "خادمة للدولة" أي ذات وظيفة عسكرية مهمتها الذود عن تخوم الإيالة أي عن المجال الطرفي بين الإيالتين[1]. وفي المقابل نجد أن هناك بعض المؤشرات تنفي ارتباط نهد المطلق بالسلطة التونسية؛ إذ يضع **الصغير بن يوسف** حد مملكة تونس في الموضع المسمى بـ: **عيون التوامى**[2]؛ حيث يقول: " **العسكر...ثم يرحلون** ويقصدون **عيون التوامى وهي حد مملكة تونس**"[3]، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار هذا الحد يصبح عرش نهد خارجا عن سيادة تونس، وهذا ما يشير إليه الكاتب بقوله:" **أن عرش نهد الذي كان في غاية المنعة ليس برعية تونس ولا للجزائر**"[4]، كما أن المصادر الجبائية لم تذكر فرق القبيلة كباقي القبائل التونسية الأخرى؛ ولا توجد هذه المجموعة ضمن قائمة أسماء المجموعات الخاضعة للضرائب العادية أو الاستثنائية[5]، بل يذهب **بواري** (**Poiret**) أبعد من ذلك معترفا بتبعية القبيلة للإيالة الجزائرية؛ إذ يذكر أن رجال نهد يدفعون ضرائبهم إلى باي قسنطينة؛ حرصا منهم على حفظ مبادلاتهم التجارية مع القالة[6].

ويبدو أن **بايسونال** وغيره من كتبوا أخطئوا في هذا الجانب، فرغم أننا نقر باستقلالية قرار الكثير من القبائل في تسيير شؤون ونمط معيشتها على غرار قبيلة نهد التي لا تدفع الضريبة لحكام الإيالتين، لكن في مسألة التبعية والولاء نجدها على ما يبدو في تبعية لداي الجزائر لا لباي تونس، ويظهر هذا من خلال ما أورده **الشيخ الصغير بن يوسف** في كتابه **المشرع الملكي** حيث أشار إلى هروب قاضي حسين باي الكبير؛ الشيخ **علي شعيب الباجي** أحد مشايخ وعلماء تونس من حكم **علي باشا** عام 1735م؛ والذي ارتحل من باجة واستقر لاجئا بقبيلة نهد أين حظي بالاستقبال والترحاب والمصاهرة- تزوج ابنة شيخ القبيلة-، ولما طرأت مسألة جنائية تخص أحد أقارب الداي لم يجد لها فتوى، أشاروا عليه بالاستنجاد بالشيخ شعيب الذي كان في ضيافة شيخ نهد الخاضع لسيادته؛ فأرسل إلى باي قسنطينة في هذا الشأن ...الذي بعث بدوره إلى شيخ القبيلة طالبا منه إرسال الشيخ وتجهيزه...فاستجاب وامتثل للأمر على الفور وجهز الشيخ، وأرسله إلى قسنطينة ومنها واصل الطريق إلى الجزائر[7]. فلو سلمنا أن القبيلة لا تعترف بالولاء ولا تدين بالتبعية كيف لها أن تستجيب لأمر الداي الذي كلف بدوره الباي الذي وجه أوامره لأحد شيوخ القبائل الخاضعة له- شيخ قبيلة نهد-، فامتثل الشيخ الخاضع – الذي لم يكن في الواقع سوى رعية من رعايا حاكم الجزائر- على الفور للتعليمات الواردة؛ وسارع إلى تجهيز صهره؛ الذي حل بعاصمة بايلك الشرق ومنها واصل الطريق إلى العاصمة، وهذا يعكس لنا بما لا يدع مجالا للشك تبعية قبيلة نهد للإيالة الجزائرية؛ ولربما هذا ما جعل الباحثة التونسية **فاطمة بن سليمان** تذهب بالقول أن غياب نهد في المصادر المحلية لا يعبر عن ضعف اهتمام المؤرخين بأوضاع العروش القبلية فقط، بل يمكن اعتباره مؤشر

---

[1]- فاطمة بن سليمان: "**مجال خمير والسلطة المركزية بتونس في القرن التاسع عشر**"، المرجع نفسه، ص 18-19.

[2]- **عيون التوامى**: يقع هذا المكان في آخر أرض بني مازن عند وادي بربر وهو الموضع الذي تنهي إليه محلة الباي الصيفية. ويمثل كذلك الحد الذي يفصلهم عن نهد. فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، المرجع السابق، ص 275.

[3]- الصغير بن يوسف: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج1، المصدر السابق، ص 40.

[4]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية-نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، المرجع السابق، ص 275.

[5]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية**، المرجع نفسه، ص 277.

[6]- L'Abbé Poiret **: Voyage en Barbarie**, T1, Op. Cit, 52.

[7]- الصغير بن يوسف: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج1، المصدر السابق، ص 39-44.

على ضعف مساهمة المجموعة في تاريخ الإيالة، فقد كانت في وضع جغراسياسي يمكن نعته بالهامشي[1]. ومع سقوط الجزائر تحت نير الاحتلال الفرنسي عام 1830م، شرعت القوات الغازية-رغبة في ترسيم الحدود وتحديد المجالات الترابية-تتوسع في مناطق كثيرة كان من بينها أراض تونسية؛ حيث طفت قضية نهد من جديد. ففي سنة 1837 وقع خلاف بين باي تونس**أحمد باشا** ودولة فرنسا في شأن قبيلة نهد من جبالية باجة؛ حيث أن القبيلة منقسمة إلى فخذين فخذ تابع لتونس وفخذ تابع للجزائر[2]، ففي أواخر هذا العام أقدمت القوات الفرنسية على ضم فخذ من قبيلة نهد المتوطنة غرب القطر التونسي إلى فخذ آخر من لنفس القبيلة المتوطن بالقالة، الأمر الذي دفع حاكم تونس إلى تقديم طلب **للقنصل الفرنسي** كي يشعر حكومته بالتراجع عن هذا العمل؛ لأن المعمول به في هذا العهد أن مجال السيادة يتحدد بالولاء البشري، وعليه فخروج هذا الفخذ من السيادة التونسية يعني المس بسيادة النظام التونسي، وكان جواب القنصل الفرنسي أن الدولة الفرنسية ستعوض ما أخذته بأرض أخرى عندما يتم تعيين الحدود بين البلدين، وكان رد الباي التونسي **والجواب:" إن هؤلاء نهدا لم تنلهم رعاية الجزائر سابقا، ولا وقع من دولة الترك في الجزائر كلام مع تونس في شأنهم، مع ما كان بينهم من الحروب. وإنما في رعاية تونس وملوكها يتداولون التصرف فيهم والخلاص منهم، خلفا عن سلف**"[3]، أما عن التعويض الترابي المقترح من القنصل الفرنسي في أعقاب تحرير الحدود؛ فقد سجل الوالي **أحمد باشا** أن الأمر لا يتأتى إلا بالعودة إلى الباب العالي، وكتب إلى القنصل بمضمون مكتوب دولته بما نصه:" **وأما تجديد التحديد أو إبدال بعض العمالة بجزء من غيرها فمعلوم أن نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية وإن كان التصرف العام في الإيالة بما يقتضيه اجتهادنا من المصلحة. أما التنقيص منها أو إبدال بعضها فلا يحسن منا بغير إعلام مولانا السلطان وتقرير ما ينشأ لنا من المضرات بسبب ذلك لجنابه العلي "**[4].

واستمر الأمر على هذا النحو إلى تم وضع **حد روندون** أو الحل الظرفي الذي انجز سنة 1845م؛ حيث مثل التحديد في مجمله باستثناء **نهد** قبولا واضحا بطموحات السلطة المركزية بتونس والأعراش الحدودية التابعة لها، يبتدأ خط التحديد من **رأس صقلاب "كافو روسو"** لا من **بير برج القالة** كما أراد الباي ولا من **طبرقة** كما أرادته فرنسا، وبعد ستة (06) سنوات من رسم الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس؛ حافظت خلالها مجموعة نهد على الوضع القانوني(لم يقع البت في شأن تبعيتها)؛ لتقرر فرنسا سنة 1851م ضمها نهائيا إلى الجزائر[5]. إن الجدل القائم بين الإيالتين حول تبعية قبيلة نهد يعكس بوضوع محاولات المخزن من الجانبين تحييز المجالات الجغرافية كوجه من وجوه فرض السيادة على الفضاءات الترابية عن طريق إخضاع واحتواء التكتلات القبلية على المناطق التخومية، وهذا لا يعني بالنسبة للمجموعات المحلية فقط القطيعة مع تقاليد العبور التي اعتادوا عليها فحسب؛ بل وأيضا الاختناق الاقتصادي ومنه زعزعة التوازنات التقليدية[6].

---

[1]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية-نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، المرجع السابق، ص 276.

[2]- محمد بيرم الخامس: **المصدر السابق**، مج2، ص 390.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج4، ص 16-17.

[4]- محمد بيرم الخامس: **المصدر السابق**، مج2، ص 390.

[5]- فاطمة بن سليمان: الأرض **والهوية-نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، المرجع السابق، ص294-296.

[6]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، 94-95.

ثانيا–الحراك القبلي ودوره في توثيق العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين:

إن الحياة القبلية كان لها من الأصل تقاليد قوية من التواصل الإنساني والثقافي، يتولد عنها حراك جغرافي لا يمكن اختزاله في مجرد حركة بشرية جماعية تفعلها القبيلة حين تجدب الأرض، ولا يمكن اختزال إفرازاته الثقافية في الاستعداد الدائم للحرب والإغارة؛ لكن ما يجب إدراكه أن للحراك إفرازات أخلاقية وسلوكية أكثر أهمية وشمولا يعكسها الاستعداد الفطري الكبير للاختلاط والتواصل من خلال التنقلات المستمرة[1]؛ فهناك القبيلة **النجع** أو القبيلة المتحركة التي تجوب الصحراء الجزائرية، وتكون على شاكلة قوافل لها مظهر أكثر حركية، من النادر أن يصحبها غرباء عن جميع الأشخاص الذين يشكلونها، وإذا ما وجد بينها أجانب فإنهم سيعمدون بشكل أو بآخر إلى البحث عن طريقة لاستخدامهم في المساعدة سواء في التحميل أو في رعي الإبل [2].

لقدجمعت بين الإيالتين الجزائر وتونس أواصر الصداقة وعمق الصلات الحضارية عبر العصور التاريخية، وذلك بحكم الروابط الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتقارب الجغرافي، حيث شهدت العلاقات بينهما تعايشا وانفتاحا وتضامنا كبيرا بين الشعبين؛ فقد ألغى التواصل البشري الذي عكسه الحراك القبلي كل الحدود الجغرافية التي تفصل المنطقتين، لذلك كانت الحركة الاجتماعية عموما والتنقلات القبلية خصوصا في دينامية مستمرة وحراك دؤوب وخاصة في المناطق الحدودية، وتتداخل عدة عوامل في تفسير حركية القبائل في المجال الجغرافي كأنماط العيش ونوعية الاقتصاد السائد في القبيلة، وما ينتج عن ذلك من استغلال للثروات الطبيعية، وتنافس المجموعات البشرية، وتحالفها مع بعضها البعض أو انقسامها إلى مجموعات ثانوية مما يؤدي بالمجموعات الطبيعية إلى الانتقال بحثا عن مجالات جديدة للعيش فيها؛ زيادة على دور المخزن وممثليه في الضغط بواسطة التكاليف المختلفة أو التدخل المباشر لترحيل مجموعات محددة نحو مواطن جديدة في فترات قوة السلطة المركزية، أما في فترات ضعفها وتفككها، فإن السلطة المركزية قد تتحول إلى عامل يسهل على القبائل تحركها في المجال، خصوصا عندما يتزامن ذلك مع تعاقب كوارث ديمغرافية من شأنها الإخلال بالتوازن الديمغرافي في السهول[3]؛ لذلك لا يمكن بحال من الأحوال إغفال ما للتقلبات السياسية من أهمية في تكييف الخريطة البشرية لهذا البلد أو ذاك أو هذه المنطقة أو تلك، بالإضافة إلى ضعف الساكنة الناتج عن الأوبئة والمجاعات التي تخلف فراغا ديمغرافيا لا يمكن تلافيه إلا بحلول مجموعات أخرى، وقد تجلت الحركية القبلية قبل كل شيء في نمط العيش المعتمد على الترحال والانتجاع؛ بحكم الأعراف التي كانت تتحكم في عملية التنقل من مكان لآخر، وهذة الحركية التي تستند إلى حتمية بيئية بحثا عن المراعي والأراضي الخصبة لم تكن إلا مظهرا من مظاهر حركية أشمل وأرحب وأوسع نطاقا[4]؛ ذلك أن مجالات النفوذ التي كانت بمثابة جهات فاصلة قد أضحت أشكالا رمزية، حيث لم تعد الفضاءات التخومية التي تمتد مئات الكيلومترات أحيانا تشكل عائقا أمام التبادل التجاري الحر ولا تنقل السكان ولا الغزوات بين قبائل الإيالتين

---

[1]– محمد سعيد: **المرجع السابق**، ص 38.

[2]– كاريت(إ): **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1841،1842 –أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية**، تر حمزة الأمين اليحياوي، ج6، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 146-148.

[3]– محمد حالي: **المجتمع والأزمات الديمغرافية في تاريخ المغرب**، المرجع السابق، ص ص 188، 189.

[4]– محمد منصور: المغرب **قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792–1822**، تر محمد حبيدة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 28-29.

الجزائرية والتونسية، ثم إن سكان جهة الحدود كانوا لا يعيرون اهتماما كبيرا للحدود ولا يبالون بمفهومها مطلقا ولا يلتفتون إليها أحيانا بل كانوا يمارسون نشاطهم حسب قواعد الترحال وعادات الغزو وسنن التبادل التجاري[1]؛ لأن الوحدة السياسية في المخيال الجمعي لا تزال دينية إسلامية مستمدة من نظرة الفقهاء والمشايخ إلى العالم، والتي تجعله من زاوية عقدية قسمين:"دار الإسلام ودار الحرب".

ولئن عرفت كامل المنطقة الحدودية بين تونس والجزائر بطابعها الريفي؛ **حيث كان المجال فيها غيير محدد، فالقبائل من الجانبين كانت تنقل في هذا الفضاء دون ضوابط وحواجز وكانت القبائل تعبر في الاتجاهين وتتوزع المجال الجغرافي بين تونس والجزائر جنوب وادي سراط أي منطقة الوسط الغربي للبلاد التونسية**؛ وبخاصة العروش المتقابلة على الحدود؛ وهي عروش **أولاد علي** و**أولاد الحاج** و**الحوادث**، عرش (**أولاد ناجي**) و**البعاصة** و**الزعابة** و**الروابح** و(**أولاد وزاز**) و**أولاد سيدي تليل**، ويقابلهم من الجانب الجزائري **فرق الجوامع وفرقة المزارقة وفرقة العبادنة وفرقة المغارسة وفرقة الهاميلية وفرقة الطوايسية** و**أولاد سيدي مبارك بن صحراوي** و**النمامشة** ثم **أولاد سيدي عبيد**[2].

إن المجموعات القبلية التخومية لم تكن تكترث للخط الحدودي الفاصل، حيث كانت في حراك دائم من بايلك قسنطينة نحو مجالات الإيالة التونسية؛ دون أن يعتريها إحساس بقلق إدا ما كانت في هذا البلد أو ذاك؛ لأن الحدود لم تعرف الثبات والاستقرار، وهذا ما دفع **اندري نوشي** إلى وصفها **بالحدود المتحركة**[3] أو ما يمكن التعبير عنه **بالحدود البشرية بدل السياسية** وفقا للوضع الاجتماعي السائد[4]، حيث كانت الحدود خلال الفترة **ضبابية**[5]، وهو ما جعل الباحث التونسي **الأزهر الماجري** ينفي بصفة مطلقة وجود حدود واضحة بين تونس والجزائر[6]، فقد واصلت بلاد الجريد كمنطقة حدودية عصية؛ علاقات التبادل البشري بين الإيالتين؛ والتي حافظت عليها لفترة طويلة عليها مع المناطق المجاورة مثل بلاد الزاب وسوف[7].

لقد كانت القبائل الحدودية منذ أمد طويل في وضعية سياسية غير ثابتة؛ خاضعة تارة لإيالة تونس؛ وطورا لإيالة الجزائر، وأحيانا أخرى غير خاضعة لأحد مثل **قبيلة خمير**[8]، ذلك أن الفضاء الحدودي كان مفتوحا بين البلاد التونسية والجزائر، وكان يتميز بخصوصيات بشرية متداخلة بين القبائل؛ فتحرك القبائل في المجال الحدودي كان مرنا وسهلا، ذلك أن الحدود العازلة لم تكن مطروحة بين متساكني هذه المجالات، فقد كانت تربط العديد من القبائل الحدودية الجزائرية

---

[1]- أحمد العماري: **المغرب في مواجهة الاستعمار دراسات في مسألة الحدود والإصلاح**، ط1، مؤسسة محيط، المغرب، 2022، ص 49.

[2]- إدريس رائسي: **المرجع السابق**، ص ص 76،77.

[3]-André Nouchi: **Enquète sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquète jusqu'en 1919**, 1e Edition, presses de France, Paris, 1961, P 15.

[4]- احميده عميراوي: **علاقات بايليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص 16.

[5]-Sallah Alouani : **Tribus et marabouts …**Op.cit**, P 207.**

[6]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 73.

[7]- Dalenda Larguéche : **Territoire sans Frontiéres la contrebande et ses réseaux dans la régence de Tunis au 19 sciécle**, Centre de publucation universitaire, Tunis, 2001, P 90.

[8]- أحمد الحمروني: **المرجع السابق**، ص 47.

التونسية علاقات نسب؛ حتى أن بعض القبائل على غرار **الزغالمة**[1] و**أولاد بوغانم**[2] كانت منقسمة إلى قسمين؛ مجموعة داخل التراب التونسي وأخرى داخل التراب الجزائري لأنها كانت في السابق تعيش في إطار مجموعة واحدة[3]؛ ذلك أن الحراك عرف انسيابية وديناميكية خاصة؛ مع تنقلات العديد من القبائل والتحاقها بنظيراتها التونسية، كما هو الحال مع **أولاد على بن يحيى** و**أولاد يحيى بن طالب** حيث التحق هؤلاء بقبيلة الفراشيش أين طالب **أحمد باي** قسنطينة في رسالة موجهة إلى قائد الفراشيش وكافة المشايخ يأمرهم فيها بترحيلهم، وفي حالة عدم قيامهم بذلك؛ فإنه سوف يتولى أمرهم بنفسه[4]، وسارت قبيلة **العواودة** إحدى عروش قسنطينة؛ على نهجهم حيث انتقلت بيوتات منها إلى البلاد التونسية ناهزت التسعين بيتا، ما دفع بالحاج **أحمد باي** إلى توجيه رسالة السيد **حسين باي باشا** تونس يطالبه فيها بحكم الروابط الأخوية والمودة التي تجمعهم بضرورة العمل على ردهم إلى بلادهم[5]، وكذلك عرش **الجوامع** الذين حلوا بالعمالة التونسية وأظهروا الفساد؛ ومارسوا أعمال السلب والنهب كالاستيلاء على الأنعام والعمل تحريض القبائل كالنمامشة ضد **أحمد باي**؛ الذي اشتكى من هذه الأعمال من خلال رسالة بعث بها إلى باي تونس[6]، كما نجد قبائل أخرى واحية هاجرت من **وادي سوف**، واستوطنت بالجريد **كالهبائلة** في القرن 12هـ/18م[7].

ارتبطت قبيلة **الفراشيش**- أكبر قبيلة في الوسط الغربي أو السباسب العليا- ذات الموقع الجغرافي المتميز لاعتبارات جغرافية وبشرية وسياسية؛ بشبكة من العلاقات مع **الهمامة وماجر وأولاد عيار** وهم من أكبر وأقوى القبائل التونسية في القرن 19م، إضافة إلى علاقاتهم بالقبائل الجزائرية المتاخمة وخاصة أولاد **سيدي يحيى بن طالب** و**النمامشة**[8]، وما دامت القبيلة تجمع بين الترحال والاستقرار؛ فإن علاقتها بهذه القبائل الجزائرية المتاخمة تبدو مستقرة أحيانا ومتوترة في أحيان كثيرة[9]؛ وكانت قبيلة الفراشيش التونسية تشارك النمامشة في حراثة الأرض ببكارية وبئر العاتر[10]، فالحراك القبلي في اتجاهاته المتنوعة عادة ما يأخذ بعدا اجتماعيا وسياسيا حقيقيا متجاوزا بذلك الإطار القبلي والعلاقات الدموية؛ إذ أن فضاء الفراشيش ليس مجالا بريئا وقضية أرض، بل هو أساسا مسألة بشرية ديمغرافية، فمن يمتلك القوة الديمغرافية يضمن

---

[1]- **الزغالمة**: احدى العروش الحدودية ذات الأصل البربري، من أقدم من استوطن الربوع، ينسبون إلى جدهم الأول الزغلامي، وكان تاريخ الزغالمة شديد الارتباط بسائر عروش ونيفة وخاصة أولاد بوغانم. انظر؛ محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 20.

[2]- **أولاد بوغانم**: احدى العروش الحدودية؛ يعتقد أن جدهم سيدي بوغانم من السلالة الشريفية، كان قد قدم عبر الساقية الحمراء قبيل انتصاب الدولة الحفصية، استقر في البداية في مرتفع جبلي مطل على فوسانة، وهبه يعقوب احدى إقطاعيي المنطقة أراضي شاسعة من باب التبرك، وهي الأراضي التي ستصبح فيما بعد المجال الترابي لأحفاد سيدي بوغانم وأتباعه. انظر؛ محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 19.

[3]- ادريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 75.

[4]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة قم: 90.**

[5]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم 52.**

[6]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقةرقم: 93.**

[7]- الجباري عثماني: **"العلاقات الاجتماعية بين واحتي سوف والجريد التونسي 1854-1914 -دراسة أرشيفية-"**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج3، العدد 01، جامعة يحي فارس، المدية، جانفي 2022، ص 10.

[8]- أحمد جدي: **المرجع السابق**، ص 21-22.

[9]- سالم لبيض: **عكارة في سوسيولوجيا القبيلة المغاربية**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ص 104.

[10]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 73.

الجاه والثروة والنفوذ، ففي فترات الخروج على السلطة يصحبها حراك إلى المناطق المحاذية من ذلك رحول عائلات فراشيش إلى عمالة **سوق أهراس**[1]، ولا تزال عشيرة من قبيلة الفراشيش التونسية تقطن جهة **تبسة**[2]. لقد كانت قبيلة الفراشيش بحكم موقعها في حراك دائم؛ لذلك فإن تركز ماجر والفراشيش بمواقع حدودية أو طرفية مكنهم من التمتع بهامش حرية كبير في التنقل بسهولة في فضاء تتحرك داخله هذه المجموعات؛ يمتد إلى كامل شرق البلاد الجزائرية خصوصا وأن اتفاقيات ترسيم الحدود لم تضبط حدود الفراشيش مع القبائل الجزائرية، هذه الخصوصية المجالية جعلت السلطة؛ تقبل بتمتيع هذه المجموعات كغيرها من القبائل الحدودية بهامش حرية؛ وبنوع من التخفيفات الجبائية لقاء حفاظ الفراشيش على الحدادة أو تراب السيادة، حيث شكلت فرق **الحوافظ والعسيلات وقماطة** حزاما بشريا قويا أمام محاولات قبائل النمامشة والحنانشة التوسع داخل مجال الفراشيش[3]، وكان **أولاد بوغانم** كثيرا ما يتجاوزون **واد سراط** إلى الغرب، وقبيلة **ورغة** التي عادة ما تتخذ المجالات التابعة للجزائر مقرا لإقامتها[4].

ويبدو أن انتهاك الخط الحدودي المتبادل بين الإيالتين الجزائرية والتونسية؛ لم يكن قاصرا على تنقلات القبائل وانما تعداه إلى حراك الأفراد، فقد كان سكان طبرقة في حالة سلم مع الجزائريين؛ ومع ذلك فإن أحد قراصنتهم أقدم على الاستيلاء على قارب صيد بحجة أن هذا القارب خرق الحدود المتفق عليها بين البلدين[5].

01- حركية التكتلات القبلية الجزائرية في الفضاءات التونسية.

من أبرز المجموعات القبلية التي لعبت دورا هاما وبارزا وأسهمت في توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين:

أ-النمامشة:

النمامشة فرع من العائلة البربرية الكبرى هوارة أو الشاوية، وهم يسكنون الإقليم الذي يحمل إسمهم، والذي يعتبر امتدادا طبيعيا للكتلة الأوراسية، ويعتبر سكانه من الشعب البربري الذي تذكره المصادر باسم **الموسولام** (**Musulamees**) أو **الموسولان**[6]، وقد أشار **العدواني** في مرويته أن كنفدرالية النمامشة التي تعود في أصولها إلى قبيلة الحراكتة تنضوي تحت سلطتها أربعين قبيلة، أولهم في جبل الملاح وآخرهم في نفزاوة بالجريد التونسي[7]، في حين يذهب **فيرو**"**Féraud**" بالقول أن قبيلة النمامشة بربرية هوارية، اختلطت بها مجموعات بدوية من بني هلال وبني سليم قدمت مع الزحف الهلالي على بلاد المغرب خلال القرن 11م[8]، وذكر **مارسيي Mercier** أن كل من قبيلة النمامشة والحنانشة والحراكتة وأولاد سيدي يحي بن طالب يعودون في أصولهم لقبيلة نفزاوة وهوارة[9]، وهناك من النسابة من يذكر أن بعض فروع النمامشة عربية الأصل حيث تنتمي إلى النمامشة بطريق الحلف أهمها أولاد رشاش بن أولاد وشاح بن توبة بن عبد

---

[1]- أحمد جدي: **المرجع السابق**، ص 44، 66.

[2]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 44.

[3]- عبد الكريم الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش، المرجع السابق**، ص 289-290.

[4]- Louis Frank et Marcel. J : **Op.cit,** P 46-47.

[5]-. هابسترايت(ج. أو): **المصدر السابق**، ص 91.

[6]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 298.

[7]- محمد العدواني: **تاريخ العدواني**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 303-304.

[8]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa**, In R.A, Vol 18, Paris, 1874, P 449.

[9]- Ernest Mercier : **Op.cit**, p 156.

الله بن دريد بن الأثبج بن أبي نهيك بن هلال بن عامر فهم عرب هلاليون[1]، ويرى الأستاذ **عثمان سعدي** أن قبيلة النمامشة أكبر قبيلة بربرية بالجزائر[2]، وقد كانت قبيلة النمامشة الأمازيغية البربرية العريقة التي يمتد مجالها في الفضاء التخومي بين الإيالتين؛ قبيلة امتزجت فيها الثقافات والأعراق؛إلا أن الأغلبية يتكلم الشاوية والأقلية منهم لا تتكلمها، وفي الأصل أنهم يتكلمون الشاوية إلا أن الزواج بالعربيات من القبائل المجاورة جعلهم يتقنون اللغة العربية [3].

يختلف الكثير حول تسميتها بهذا الاسم؛ حيث جاءت تسميتها عند **العدواني** باللمامشة[4]، وهناك من يقول أنها من تسمية الاستعمار الفرنسي لما ثارت عليه هذه القبيلة أيام الاحتلال وقبل الثورة وقد سماها بـ : **les mouches** أي الذباب لكثرة عددهم، والرأي الثالث لبعض المؤرخين فهم ينسبونها إلى جدها الأول موسى بن هوار بن كتام بن برنس بن بربر بن تلمي بن مازيغ جد الأمازيغ الأول، أما الرأي الرابع فيرجع الاسم إلى المفردة الفرنسية **Nementcha** أي رعاة الشاة[5]، ومهما اختلفت التسميات وتباينت التأويلات فمن الراجح فإننا نميل إلى القول أن البربر هم السكان الأول لهذه المنطقة ولا شك أن تسميتهم لازمتهم منذ وجودهم ولم ترتهن بالوجود الفرنسي، وقد كان لجدهم الأكبر محمد بن عثمان ثلاثة أبناء وهم: **رشاش، علوان، بريش،** وقد تفرعوا إلى عروش كثيرة؛ ومن نسلهم الكبير تكونت الفرق الكبرى للنمامشة[6]، حيث تشكلت كنفدرالية النمامشة من ثلاث فرق كبرى هي: **البرارشة، العلاونة، الرشايش** (أولاد رشاش)، والتي انقسمت حسب رواية المؤرخ التونسي **الحاج حمودة خلال** القرن 17م إلى صفين: صف **الأعشاش** وصف **أولاد خيار،** والذين لطالما تقاتلوا ضد بعضهم البعض بشكل متكرر[7].

يتمركز النمامشة في إقليم واسع يمتد ما بين خنشلة وتبسة، ويصلون في انتجاعهم إلى واحات سوف جنوبا [8]، وكانت ثروة النمامشة الرئيسية تتمثل في قطعان الماشية وخاصة من الجمال، فهم لا يولون كبير اهتمام بالزراعة، وتعتبر تبسة وقرية أوقاس المخازن المؤقتة لحبوبهم، ولأنهم كانوا رحلا فإنهم يطوون خيامهم عندما يشعرون بالخطر ويتوغلون في الصحراء فيفلتون من كل ملاحقة، وفي كل سنة من شهر اكتوبر حين يشتد البرد؛ ينتقل النمامشة من قدم "جبل الدير" ونواحي تبسة ويدخلون إلى بحيرة الأرانب، أين تزرع كل عائلة قطعة أرض تتناسب مع حاجياتها وامكانياتها، ثم يزحفون لما تنتهي أعشاب التل نحو الصحراء؛ بعضهم يتجه نحو الجريد وسوف والبعض الآخر نحو قصور خركان، نجرين وتامرزة[9]، حيث

---

[1]- صورية حصام: **العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012-2013، ص168.

[2]- عثمان سعدي: **البربر الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 194.

[3]- صورية حصام: **المرجع السابق**، ص 167.

[4]- ذلك أنه خلال الحكم التركي للجزائر وقعت معركة دامية بين قبيلة النمامشة وبين الأتراك العثمانيين، وكانت المعارك سجالا بينهم، فصار قائد جيش الأتراك يتساءل عن تباطئ أعدائه أي النمامشة في جمع بعضهم لبعض قائلا: خبروني تلموشي كي نمضي إليهم؟ ومن هنا جاءت تلك التسمية. انظر؛ العدواني: **المصدر السابق**، ص 306-307.

[5]- علي بن عمارة العزري: **الإلمام بعروش بني همام**، تح وتق: أسماء خوالدية، ط2، مطبعة قطيف شوقي، قفصة، تونس، 2014، ص 167، 168.

[6]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 170.

[7]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa**, Op.cit, P 451.

[8]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 174.

[9]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…**Op.cit, PP 454,455.

عاشوا في حراك دائم؛ فبالإضافة إلى نشاطهم الزراعي في الشمال ورعيهم في الجنوب فإنهم كانوا يبادلون القمح بالتمر في واحتي نقرين وفركان[1]؛ إذ يوجد سوقان في الدائرة: في تبسة وأولاد سيدي يحي بن طالب، وتشتمل التجارة الرئيسة على بيع الأحصنة، الحمير، البغال، الجمال، الثيران، الخرفان، المعز، الصوف، الأقمشة المختلفة، الحياك، البرانس، السجاجيد، الأفرشة، الجلود الخام، الزيت، والحبوب؛ وبالأخص في فترة قص القطعان التي توفر كميات كبيرة من الصوف الخام المجلوب من النمامشة، وكانت العديد من القوافل التونسية وبالأخص من قفصة تزود السوق بزيت الزيتون، البرتقال، الرمان، الأقمشة الصوفية، والفواكه المتنوعة[2]. وكانت قبيلة النمامشة تقيم بأرضها لأنها في الأصل من البدو الرحل[3]، ولعل الطابع البدوي للقبيلة هو ما دفع الدكتور **توماس شاو**"**Shaw Thomas**" إلى اعتبار النمامشة قبيلة كبيرة لكنها أقل تحضرا إذا ما قورنت بقبيلة الحنانشة[4]، وهو ما يذهب **لويس رين**" **Louis Rinn**" الذي يرى أن أغلب أبناء النمامشة قبل عام 1830م كانوا بدوا أكثر بكثير مما هم عليه خلال الفترة المشار إليها[5].

تعد قبيلة النمامشة من القبائل القوية بالشرق الجزائري، والتي امتد نفوذها امتد إلى المناطق الحدودية بين الإيالتين؛ وكان خضوعهم لبايات قسنطينة لا يتجاوز فترة تزودهم بالحبوب في الشمال[6]؛ إذ يشير **كاستال** أن باشا الجزائر أرسل إلى النمامشة حوالي سنة 1535م هدايا ووعدهم بإعانات مالية ووقع معهم معاهدة، ولتجنب ميلهم الغريزي للنهب اشترط عليهم ألا يقتربوا من المدن وأن يجتبوا التعرض للسكان[7]، حيث تعاونت النمامشة مع سلطة الأتراك، وبفضل دعمها تمكن باي قسنطينة من بسط نفوذه على مناطق التخوم التونسية[8]، ولم تتمكن السلطة التركية من بسط سيطرتها في هذه المنطقة التي استقلت تحت الحكم القبلي للنمامشة الذين لا يدفعون الضرائب ولا يخضعون لأي حكم مركزي، ويعود هذا إلى قوة القبيلة التي كان لها جيش من الفرسان قوامه: 2500 فارس و4000 من المشاة في استعداد دائم للحرب[9]، وقد تمكنت النمامشة من الاستقرار على ضفاف وادي بيقر عند حواف الأوراس، وهناك بنوا قرية لا تزال آثارها تحمل إسم قرية النمامشة، قاموا بتنظيم أنفسهم في النجع، ووسعت من مجالها إلى جبل محمل وملوسة وتمقرة عن طريق القوة، وأعادت دفع كل ما يعيق توسعها؛ فقمعت **دريد** أنصار الشابية من المراكز التي احتلتها في الصحراء، وأصبح النمامشة أسياد على المنطقة الواسعة الواقعة بين تبسة ونفطة وسوف[10].

لذلك عقدت معها الحنانشة تحالفا مع قبيلة النمامشة؛ كانت الغاية منه محاربة بايات قسنطينة[11]، وأصبح النمامشة– الذين لم يدفعوا الضريبة كاملة أبدا– تحت نفوذ أحرار الحنانشة ولم يتخلصوا منه إلا في عهد **صالح باي** حوالي القرن

---

[1]– بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 171.

[2] - Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…** Op.cit, P 442.

[3]– حصام صورية، **المرجع السابق**، ص 168.

[4] - Shaw (Thomas): **Op.cit**,, p 207.

[5]- Louis Rinn **: Le royaume D'Alger sous le dernier Dey**, Alger, 1900, P 125.

[6]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…** Op.cit**,** P 451**.**

[7]– بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 174.

[8]– احميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، المرجع السابق، ص 28.

[9]-Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa …** Op.cit**,** P 452**.**

[10]- Féraud (Ch): **IBID,** PP 450, 451**.**

[11]– احميده عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 28.

18م، ولما عين عليهم الأتراك القائد **العداسي** قتلوه؛ فساروا إليهم إلا أنهم فقدوا الكثير من الجند بالقرب من فج فكرون كما تقول الرواية المحلية[1]، وعندما تراجعت قوة الحنانشة أصبح النمامشة أكبر قوة في المنطقة، وامتد نفوذهم إلى **تبسة وجبل ششار وإلى الصحراء الواقعة ما بين الجريد وسوف والزاب الشرقي**[2]. ويبدو أن بعض أفراد قبيلة النمامشة كانوا يقومون بأعمال الحرابة والنهب وقطع الطريق؛ إذ يتحدث **الورثيلاني** في رحلته أواخر القرن 18م(1782م) عن اعتداءهم وأخذهم لقافلة ركب الحجيج المتجهة إلى مكة، حيث يصفهم بالكفرة الفجرة، ويشير بعدها إلى أحد أمراء الأتراك من البايات الذي أجلاهم عن مواطنهم إلى الأراضي التونسية[3]، وكان النمامشة في صراع مع جيرانهم الحراكتة والعمامرة والسواقة و**الهمامة** و**الفراشيش** ومع أولاد يحي بن طالب بصفة خاصة[4].

على خلاف بقية القبائل لم يترك النمامشة موطنهم الأصلي إلا نادرا، وقد تملكت هذه القبيلة رقعة ترابية كبيرة امتدت من جنوب سوق أهراس شمالا إلى وادي سوف جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى بسكرة وأم البواقي وباتنة غربا، كما كانت مدن **نفطة وتمعزة والسند وأم العرائش** تابعة لقبيلة النمامشة قبل القرن 19م[5]. إن المنطقة الواسعة التي يسيطر عليها النمامشة تجعلهم قادرين على اختيار المعركة كما يحلوا لهم، لهذا لم يخضعوا للأتراك خضوعا كاملا أبدا، وحين يسير إليهم المكلف بتحصيل الضريبة يجد نفسه أمام إحدى الحالتين: إما أنهم يمتنعون عن دفع الضريبة فيعتذرون له، وإما وهذه الحالة نادرة جدا أن يدفعوا إن كانوا يريدون بيع غنائمهم التي استولوا عليها أو بيع منتوج قطعانهم الضخمة أو يريدون التزود بالحبوب في التل، وفي هذه الحالة يتسلم الضرائب محصل الضريبة ضريبة من فرسان يمثلون العشائر[6].

يذهب الأستاذ **الأزهر الماجري** في دراسته إلى القول أن المجموعات السائرة في خط التماس الرابط بين الإيالتين على **عروش النمامشة** و**أولاد سيدي يحيى بن طالب** و**أولاد سيدي عبيد** خضعت لسلطة بايات تونس إلى حدود القرن 18م [7]؛ حيث ارتبطوا معها بمصاهرات لاستمالتها وكسب دعمها، وفي السياق ذاته تزوج **محمد الرشيد بابنة قائد قبيلة النمامشة**؛ وهي القبيلة التي تنحدر منها زوجة **حسين بن علي الأولى**، وللغرض ذاته أي كسب معاضدة النمامشة لحسين بن علي وأبنائه[8]؛ وهذا ما يفسر إيقاع **علي باشا** بالنمامشة عام 1146هـ/1750-1751م، ذلك أن هذه القبيلة تنقسم إلى فخذين: **أولاد خيار** وهم شيعة **علي باشا**، و**الأعشاش** وهم من شيعة الباي **حسين** وأبنائه، وقد كانت عليهم إتاوة من غنمهم يؤدونها لصاحب تونس لأجل تسوقهم **بلاد الجريد** وغيرها من عمله فمنعوها عليه سنين[9].

---

[1]- صالح عباد: **المرجع السابق**، ص 299.

[2]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 176.

[3]- محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، المصدر السابق، ص 242.

[4]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…** Op.cit, P 453.

[5]- علي بن عمارة العزري: **المرجع السابق**، ص ص 167، 168.

[6]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…**Op.cit, P 452.

[7]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 71.

[8]- سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص ص 269-270.

[9]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 132.

كانت قبيلة النمامشة من القبائل الممانعة لسلطة البايليك؛ والتي لطالما تأرجحت في ولائها تبعا للمصلحة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية، فقد سار **الوزناجي** إليهاسنة 1797م؛ عندما اتحدت النمامشة والحراكتة؛ وتمردوا على النظام المركزي، وأحرز عليهم عليهم انتصارا باهرا وأرغمهم على الخضوع ثم رجع إلى قسنطينة بغنائم وفيرة، وبعد ذلك بعامين تكررت العملية وتعرضت القبيلتان لنفس المصير[1]، وفي هذا السياق يتحدث **فايسات Vayssettees** عن حملة الباي **عصمان**(1803-1804م) ضد النمامشة الحدودية التابعة لإيالة تونس، وكانت الغنيمة التي غنمها (من الخيل والإبل..) كبيرة لم يسبق لأحد أن شهد مثلها[2]، ولعل هذا ما يفسر توالي الحملات العسكرية ضد القبيلة، فقد هاجمها الباي **محمد تشاكر** مرات عديدة في حوالي سنة 1815م؛ وفي ضاحية فج طراد عام 1817م، ومني بهزيمة نكراء[3]، كما جرد الباي **إبراهيم القريتلي** عام 1822 حملة ضد **النمامشة** الذين رفضوا دفع الضريبة، حيث سلبهم 60 ألف رأس ماشية، بيعت لاحقا لأعضاء المخزن وللقبائل ما حقق للخزينة مداخيل قدرت بنحو مائتي ألف فرنك[4].

يختار البايات مناسبة تخييم النمامشة صيفا في السهول الواقعة بين تبسة وجبال الأوراس للإغارة عليهم والحصول على الضرائب، حيث نظم الباي **أحمد** غارات عديدة ضدهم حين كان قائدا للعواسي، ولما أصبح بايا جند فرسان البايليك ضدهم وضد الحنانشة الذين انضموا إليهم في تمردهم، وحين يعلم النمامشة بمقدم الأتراك يمدون الحبل حول دواويرهم ليحولوا دون نفور جمالهم وخروجها عن نطاق الدفاع، وفي خط الدفاع هذا يفقد المهاجمون العديد من رجالهم، وفي وضعية الفوضى التي تحل بالعدو؛ ينقض فرسان النمامشة على المغيرين، ويفقدونهم مشاتهم فتصبح المعركة معركة فرسان؛ حتى نساء النمامشة يشاركن في الدفاع عن القبيلة، وقد ظل صراع النمامشة مع **أحمد باي** قائما إلى ما بعد 1830م[5].

ب-الحنانشة:

يعود نسب هذه القبيلة إلى بعرة بن حناش بن ونيفن بن ولهاتة بن هور[6]، وذكر **مارسيي Mercier** أن قبيلة الحنانشة التي شكلت إحدى التكتلات القوية -إلى جانب النمامشة والحراكتة- تعود في أصولها لقبيلة نفزاوة وهوارة[7]، فقد كانت المنطقة الممتدة من ضواحي تبسة إلى سهل مرماجنة بني ونيفان خاضعة لأعقاب المدعو **حناش**، والذي يبدو أنهم قد أعطوا اسمهم لقبيلة الحنانشة البالغة الأهمية منذ القرن 15م[8]، ويذهب **فيرو Féraud** بالقول أن القبيلة تتشكل في تركيبتها من فصائل متعددة تشملها ثلاث فروع رئيسية هي: الشاوية وهم بربر الأوراس والمناطق المجاورة، هوارة وإخوانهم أداسة اللذان ينحدران من العائلة الزناتية البربرية الكبيرة، وعرب بني هلال وبني سليم الذين قدموا مع الزحفة الهلالية خلال القرن 11م[9]، في حين يشير **العدواني** إلى أن شيوخ أحرار الحنانشة ينحدرون من نسل عمر بن الخطاب؛

---

[1]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، المرجع السابق، ص 26-27.

[2]-Eugéne Vayssettes: **Histoire de Constantine sous la domination Turque,** Op.cit, P 165.

[3]- Mouloud Gaid: **Chronique des beys de Constantine**, Op.cit, P 73.

[4]-Eugéne Vayssettees : **Histoire de Constantine sous la domination Turque**, Op.cit, P 219**.**

[5]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…** Op.cit**,** P 456**.**

[6]- ابن خلدون: **العبر**، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 189.

[7]-Enest Mercier : **Op.cit,** p156.

[8]- روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص 334.

[9]-Féraud (ch) : **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P 29.

من خلال شجرة نسب وضعوها تعيدهم إلى القائد حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وحسب رأي الأستاذة **جميلة معاشي** فإن أصل القبيلة هي التي تعرف **بأحرار الحنانشة** وأن بقية الفروع تسمى **بالحنانشة**، وإنما سميت كذلك سواء بالحلف أم بالموطن[2]، وفي المقابل ينفي الأستاذ **صالح عباد** انتماء أحرار الحنانشة إلى قبيلة الحنانشة[3]. أما **فيرو** في دراسته فقد ذهب بعيدا عندما قال أن الديانة اليهودية انتشرت في قبيلة الحنانشة، وأن فرعا من هذه القبيلة قدم مساعدات هامة للسلطة الفرنسية أثناء توسعها بقيادة فارس منهم يهودي الأصل[4]، وهو ما يشير إليه الباحث **حسن دردور** الذي يذكر وجود أقلية يهودية من أصول ليبية هي "**البحوسي**" استقرت في منطقة الزعرورية، وكان لها معبد تعقد فيه اجتماعاتها وهو كنيس كان بمثابة عاصمة صغيرة لها[5]، وفي هذا السياق يذكر **كاريت** "**Carette**" أن قبيلة الحنانشة كانت تضم ما لا يقل من 200 خيمة يهودية، كان قادتها يقاتلون على طريقة العرب ببنادق طويلة، لكن بعد الخلافات الداخلية التي نشأت في تلك الفترة؛ اضطرت 150 خيمة للهجرة والانسحاب إلى الواحات التونسية من بلاد الجريد[6].

تسيطر قبيلة الحنانشة منذ العهد الحفصي على الطريق بين تونس وقسنطينة، وترتحل سنويا موسميا بين التل وبلاد سوف وبلاد الجريد التونسي، فهي قبيلة متأمرة في المجال التخومي الذي تتحرك فيه ولها عليه حقوق موروثة منذ عهد خير الدين بربروس، تلك الحقوق التي لم يتمكن أصحاب بايلك قسنطينة ولا المخزن التونسي من تحويرها أو تعديلها فضلا عن التراجع عنها[7]، حيث هيمنت مجموعات الحنانشة على المجال الذي كان يدعى في العهد الحفصي وطن هوارة، التي كانت عبارة عن ائتلاف قبلي سيطر على مجال غطى المنطقة الواقعة بين بلاد إفريقية أو عمالة السلطان شرقا؛ وعمالة قسنطينة غربا وما بين عنابة شمالا ومنطقة تبسة جنوبا [8]، وإلى الشرق من النمامشة يوجد مجال قبيلة الحنانشة التي يتمركز قادتها في حصن بقلعة سنان، وقد أصبحوا قوة كبرى في المنطقة؛ فرضت سلطانها على البلاد الممتدة من قالمة إلى الكاف والسهول العليا غير بعيد عن الجبال الأوراسية،[9]، وعند قدوم الإسبان سنة 1535م أصبح فرع الحنانشة مهيمنا على هذا المجال، وكان على رأسهم شيخان: **مرداس بن نصر بن أحمد** ومحلته بناحية تبسة ويجند ألف(1000) فارس، و**عبد الله بن صولة** المجاور للسابق، وله نحو 500 فارس[10].

---

[1]- محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 203.

[2]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 46.

[3]- صالح عباد: **المرجع السابق**، ص 137.

[4]- Féraud (ch) : **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit**, P 30-32.**

[5]-H'sen Derdour: **Annaba 25 Siècles De Vie Quotidienne …** , Op.cit, T 02, P 59.

[6]-Rozet et Carette: **L'Algérie**, Op.cit, P 214.

[7]- محمد الحبيب عزيزي: **إشكالية الولاية وآلة الحرب والحكم المتجول في المغرب العربي الحديث**، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016، ص 187-188.

[8]- فاطة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-18881**، المرجع السابق، ص 94.

[9]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 174.

[10]- محمد محسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ص 210.

وقد زاد من نفوذ وقوة الحنانشة تحالفهم مع **الشابية**، الذين فروا من القيروان بعد حروبهم مع الحفصيين، وكونوا حلفا قويا ضم أغلب القبائل الحدودية الشرقية للمغرب الأوسط حتى الأوراس غربا، فكونوا بذلك دولة مستقلة قوية وقفت ضد كل من الحفصيين والعثمانيين بعد ذلك، وقد أطلق فيرو على هذه القبيلة (الدولة) التي كانت معظم قبائلها من الرحل اسم **الجمهورية الرعوية** "**Pastorale République**"[1]، وتفسر بعض الروايات سر التحالف الحاصل بين الشابية والحنانشة بما كان من علاقات تاريخية تعود إلى **عبد الصمد الشابي** الذي كان له نفوذ في قسنطينة[2]، وبذلك تمكنت هذه القبيلة خلال القرن 16م من فرض سلطتها على تخوم البلدين؛ وبالتالي على قبائل وفروع أخرى على غرار **خمير، شارن، وأولاد بوغانم، والفراشيش**، وإلى كل الجنوب من الزيبان إلى نفطة[3]، بالإضافة إلى سيطرتها على أسر موسعة أخرى مثل بني معمري وأولاد علي وبني زنداي وتوبسة وأولاد سلام وبني سقوال وبني منا الله؛ بجانب القبائل الأخرى الموالية لها والمتوطنة على الحدود التونسية مثل **وشتاتة وورغة**[4]. امتد النفوذ القوي لهذه القبيلة على رقعة غير قليلة من الأراضي تداخلت بين حدود البلدين تونس والجزائر؛من **تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى عنابة حتى قلعة سنان وإلى جبل مسيد ومنه إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلالة ودقمة وسلسلة كاف مسخوط وسلسلة الزعرورية وجبل تليس**[5]، حيث فرضت قبيلة الحنانشة هيمنتها مجاليا على حدود البلاد الممتدة من الشمال إلى الجنوب بين الجزائر وتونس، من **جبال الخمير إلى ما وراء تبسة نحو الصحرء**، أو بعبارة أخرى الفضاء الجغرافي الفسيح جدا المستقل في أراضي البدو الواقعة بين التل العالي والصحراء[6]، وكانت هذه الأراضي تتسع أحيانا وتتقلص أخرى حسب فترات قوة أو ضعف شيوخ الأسرة من جهة وفترات قوة أو ضعف الحكم المركزي من جهة ثانية، كما كان يحدد ذلك طابع العلاقة التي كانت تربط شيوخ الأسرة بالحاكم في كل من تونس وقسنطينة[7].

تعتبر مشيخة الحنانشة ارستقراطية قبلية قوية لا يتولاها شيخ خارج القبيلة؛ فهي من المشيخات الكبرى في البايلك التي ينضوي تحت لوائها 15 إلى 16 مجموعة قبلية تحت السيادة المطقة أو شبه المطلقة لأحرار الحنانشة[8]، وبفضلها استطاعت المشيخة فرض نفوذها على مناطق شاسعة، ونظرا لعظمة وقوة هذه القبيلة العسكري غالبا ما تعيش مستقلة ذاتيا عن السلطة المركزية، فقد منحها البايلك نفوذا على المناطق التي تستقر بها وعلى القبائل المجاورة لها[9]. يرأس قبيلة الحنانشة شيخها الذي تتفق المصادر على أنه صاحب **شأن عظيم وله سنجق وطبول وزمالة**، وهو لا يخضع إلا لباشا الجزائر مباشرة وما خضوعه لباي قسنطينة إلا مجرد خضوع إداري اقتضته العادة، فقبيلة الحنانشة **مثال لبايلك مصغر**

---

[1]– جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 49.

[2]– احميده عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 28.

[3] - Féraud (Ch) : **Les Harar seigneursdes Hanencha,** Op.cit, P 346.

[4]– احميدةعميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، المرجع السابق، ص 26.

[5]- Féraud (Ch): **Les Harar seigneurs des Hanencha,** Op.cit, P 30.

[6]-Sallah Alouani : **Tribus et marabouts ...** Op.cit, P 207.

[7]– جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 47.

[8] - Louis Rinn **: Le royaume D'Alger sous le dernier Dey**, Op.cit, P 117.

[9]– أحمد سيساوي: **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية من فالي إلى نابليون الثالث (1838–1871)**، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2017، ص 175.

مسيطر على التخوم وذو ولاء مزدوج بين الإيالتين[1]. وهذا على الرغم من أنه كان يقدم الضريبة عن طريق أمينه الخاص تارة لتونس وأحيانا لقسنطينة[2].

وهو ما يعكس طبيعة علاقاته مع البايات التي لم تكن إلا نوع من التحالف الظرفي اقتضته مصلحة الطرفين، لذلك سرعان ما يتعرض الوفاق القائم إلى إشهار للعداء من الجانبين، فقد كان الشيخ **خالد بن نصر** يسيطر على مساحة من الدولة تبلغ في محيطها زهاء 8000 ميل، تحتوي على 12000 خيمة دون الحديث عن المدن والأبراج، لذلك كان قادرا على توفير 1500 إلى 2000 فارس؛ بالإضافة إلى عدد لا يحصى من المشاة الذين يحملون حرابا ورماحا، كما كان للشيخ ست زوجات وأربعة عشر ابنا، وخيمتان من اليهود الذين أنيطت لهم مهمة سك العملة(ضرب النقود)، ومقابل ما يمكن أن تناله القبيلة نتيجة انحيازها لطرف على حساب آخر، فقد نجح ديوان تونس في استمالته شيخ الحنانشة **خالد بن نصر**؛ الذي تحالف مع التونسيين خلال الحرب التونسية الجزائرية 1628م نظير الوعود التي تلقاها حيث تسلم من الإيالة التونسية 6000 قفيز من القمح والشعير وكميات من البارود وعددا من المقذوفات مع أوامر بترصد العدو على الحدود، كما مكنه هذا التحالف من التملص من دفع الضريبة المقدرة بـ: 50000 ريال للسلطة الجزائرية [3].

لقد كان الشيخ **خالد بن نصر الحناشي** من أشهر العرب صيتا ومنعة، وكان يتعرض للمحلة التونسية؛ ولتفادي شره كانت تقدم له الهدايا، وهذا إلى أن تمكن **حمودة باشا المرادي** من هزمه نهائيا سنة 1054هـ/ 1644م، وصار أولاده من بعده خدام ركاب حمودة باشا[4]، وقد وصف **ابن أبي دينار** سطوة الشيخ **خالد بن نصر (خالد الصغير)** زعيم الأسرة في النصف الثاني من القرن 17م الذي سيطر على الحدود الشرقية، وضغط على حكام الإيالتين، – على عهد حمودة باشا المرادي– إذ يقول: " **ومن أشهر سعادته ممارسته لطاغية العرب في وقته الشيخ خالد بن نصر الحناشي، وكان خالد المذكور أشهرهم سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بأنفته على العمالة التونسية ويمتد في وطنها لأنه مجاور لها ويتعرض إلى محلتهم فيستكفون شره ويهادونه بالهدايا إلى أن قيض الله هذا البطل الهمام– حمودة باشا المرادي– فتمادى على ممارسته إلى أن هزمه سنة أربع وخمسين وألف بمكان يعرف بصراط، وهي واقعة مشهورة....ولم يمت الباشا حتى خدم ركابه بأولاد خالد المذكور ووقعوا ببابه واحتاجوا إليه**"[5]. ويبدو أن هذا التنفذ والهيلمان لازم جميع مشايخ الأسرة، فالشيخ **بوعزيز** شيخ الحنانشة–الذي قتل على أيام الباي **حسن بوحنك**(1736–1754)–كان داهية متلونا في أحواله لا يقدر عليه أحد، فتارة يوالي حاكم تونس ويعادي صاحب قسنطينة، وتارة يعادي صاحب تونس ويصالح صاحب قسنطينة، وكان ذا جرأة وقوة بناحية الحنانشة، فإذا خرج عامل قسنطينة إلى ناحيته لخلاص خراجه يبعث له بمطالبه مع خدمته ولا يطمئن إليه وهكذا شأنه[6]، ولطالما أقلق الشيخ **بوعزيز** شيخ الحنانشة باي تونس وقسنطينة على

---

[1]– محمد الحبيب عزيزي: **المرجع السابق**، ص 188.

[2] - Féraud (Ch) : **Les Harar seigneursdes Hanencha,** Op.cit, P 22.

[3]- Roy (B): **Op.cit**, PP 184,185.

[4]– محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج2، ص 101.

[5]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 260.

[6]– الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، 2011، ص 132–133.

حد سواء؛ وهو ما عرضه لهجوم هاتين القوتين، حيث كان باستطاعة السلطان **بوعزيز**-كما يسميه **بايسونال Peyssonenel**-أن يجند ثمانية آلاف فارس[1]؛ بل إن الشيخ كان على رأس الآلاف من فرسان القبيلة وسط ملك حقيقي، يعكس لنا شهرة هذه السلطة بين الزعماء المحليين[2]،حيث كان شيخ القبيلة يتحصل في كل موسم على القفطان المرسل إليه من دايات الجزائر علامة على التولية والتبعية [3]، ذلك أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب وبعده إلى شيخ الحنانشة، ويعرف وظيف العرب ووظيف الحنانشة بوظيف القفطان لأن ولايتها كولاية الباي[4].

لقد كان لشيخ الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي؛ إذ كان يحظى بامتيازات مثل ارتداء **قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي، بجانب ما كان له من حرية في جباية الضرائب والتصرف بها دون مراقب، مع حرية الإشراف الإداري وقت السلم ووقت الحرب**، وكانت لهذا الشيخ قوة عسكرية منها فرقة تسمى **المزارقية**[5]، وقد أطلقت المصادر على هذا الشيخ ألقابا عديدة، فبعضها أسماه **السلطان**[6]، والبعض الآخر **شيخ الحنانشة وزعيم العرب**[7]، وأيضا لقب **سيد الحنانشة**[8]؛ وهو ما يفسر مكانة ومنزلة شيخ القبيلة واستقلالية حكمه وتبعيته الشكلية للسلطة.

كانت سياسة المصاهرة من أبرز سمات سياسة بايات تونس تجاه أحرار الحنانشة، فقد عملوا على كسبها واحتوائها باعتبارها أقوى الأسر الحدودية، فمجالها يمتد إلى دواخل الأراضي التونسية إلى جانب تعمقهم في أراضي بايلك قسنطينة، لذلك عمل هؤلاء البايات على ربط مصير هذه الأسرة عن طريق المصاهرة، وإقحامها في صراعاتهم الداخلية والخارجية؛ خاصة وأنها كانت ترجح كفة النصر، لذلك كان بايات تونس يضطرون إلى مهادنة شيوخها بتقديم الهدايا والخضوع لمطالبهم[9]، **حيث لعبت المصاهرات دورا كبيرا في تلك الفترة من أجل كسب الأحلاف والصفوف وتدعيم الباي لنفوذه**، فقد تزوج **علي باي بن مراد بنت سلطان بن نصر الحناشي**[10]، وفي هذا الإطار تزوج **علي باشا** بابنة شيخ الحنانشة **أحمد الصغير** سنة 1735[11]، وارتبط ابنه **يونس** الآخر **ببنت من** بنات مشيخة القبيلة، إذ يقول **صاحب المشرع** في هذا المقام: "**لما وصل الباشا تل الحنانشة واجتمع بهم تزوج علي باشا بنت محمد الصغير من أولاد عمار، وزوج ولده يونس إما ابنته أو بنت ابن ولد بوعزيز، وطمعوا في ماله وهداياه ومملكته**

---

[1]-Peyssonenel et Desfontaine : **Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger**, T2, Paris, 1838, P 292-293.

[2]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…,** Op.cit, T 2, P 136.

[3]- محمد الحبيب عزيزي: **إشكالية الولاية وآلة الحرب والحكم المتجول في المغرب العربي الحديث**، المرجع السابق، ص 188.

[4]- الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 124.

[5]- احميدة عميراوي: علاقات **بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، المرجع السابق، ص 27.

[6]-Peyssonenel et Desfontaine: Voyage **dans la régence de Tunis et d'Alger,** Op.cit, P 292.

[7]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص 280.

[8]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 89.

[9]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 220، 221.

[10]- Feraud (ch**) : les Harrarsdes Hanencha,** Op.cit, P229.

[11]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 186.

فكافأهم بخيره وقواهم بماله"[1]، وهو الأمر الذي أغضب الباي **حسين بن علي** الذي لجأ إلى طلب **ابنة بوعزيز بن نصر**؛ إلا أن الأخير رفض تزويج الباي ابنته، وهو مادفعه إلى تحريض باي قسنطينة **قليان حسين** لحرمان **بوعزيز** من المشيخة، وفعلا انتزعت منه وأعطيت لأخيه **أحمد بن نصر** بمشاركة ابن عمه **محمد بوقفة**[2]، كما صاهر ابنه **علي باي بن حسين** شيخ قبيلة الحنانشة وتزوج بحفيدته **ميرة العكري** التي كانت حسب المصادر فائقة الجمال[3]، وذلك في إطار سعي **علي باي** لتمتين تحالفاتهم في مواجهتهم لابن عمهم **علي باشا**؛ ومنه كسب تأييد هذه القبيلة ذات الوزن الاستراتيجي الهام في هذه المعركة، لذلك كون الحنانشة العديد من علاقات المصاهرة مع بايات تونس وقسنطينة، بالإضافة إلى العديد من المصاهرات مع شيوخ القبائل الأخرى التي بلغت 14 مصاهرة[4].

وقد أشارت الباحثة **جميلة معاشي** في دراستها أن أسرة أحرار الحنانشة لم تحض بنفس الإقبال من الحكام العثمانيين بالجزائر وبايات قسنطينة على مصاهرتها، وأن المصادر والمراجع التي اطلعت عليها لم تذكر شيئا عن مصاهرة بايات قسنطينة لهذه الأسرة[5]؛ فقد ذكر **فيرو** مساعي **صالح باي** لمصاهرة الشيخ **إبراهيم بن بوعزيز بن نصر** بالزواج **من ابنته**؛ إلا أن طلبه قوبل بالرفض، فثارت ثائرة الباي الذي هاجم الشيخ ونزع منه المشيخة التي منحها لابنه **بوحفص**، وأجبره على الفرار من قبيلته إلى قلعة سنان التي كانت الملاذ الوحيد، وبعد أن أضحت المقاومة مستحيلة اضطر **إبراهيم** إلى طلب الأمان إلا أن **صالح باي** أودعه السجن، حيث بقي سجينا إلى توفي سنة 1186هـ/1773م [6]، ويبدو أن **الحاج أحمد باي** هو الباي الوحيد الذي صاهر أسرة الحنانشة؛ فمن بين زوجاته السبعة كانت واحدة منهن تدعى **الحناشية**، وهي أم ابنه **محمد** الذي كان يبلغ من العمر عند سقوط قسنطينة عام 1837م خمسة عشر عاما[7]. كما حاول المخزن التونسي من جهة أخرى استمالة القبيلة عن طريق العوايد والإحسانات التي كانت متبادلة، وفي هذا السياق يتحدث **العدواني** عن العلاقات المتميزة بين الحنانشة وحكام تونس التي يعكسها تبادل الهدايا، إذ يشير إلى هدية أرسلها شيخ الحنانشة إلى صاحب تونس والمتمثلة في كميات من **العسل، وبعض المواشي** إلى جانب **فرس**، حملها إلى الحاضرة التونسية رجل يدعى **عمارة الهرسي**، والذي حظي باستقبال ومعاملة حسنة من جانب الأمير التونسي[8]، ونجد في الوثائق التونسية أن ميعاد القبيلة وهو مجلس مشايخها وبرلمانها يقدم كل سنة هدايا لباي تونس تتمثل في **خيول مجهزة** علامة عن تبعية رمزية تقر بها القبيلة بكل فروعها لفائدة باي تونس[9]، وفي هذا السياق قدّم **الكبلوتي الحناشي** سيار

---

[1]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 86.

[2]- Féraud (Ch) **: Les Harar seigneurs des Hanencha,** Op.cit, P 230.

[3]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 131.

[4]– يعقوب خديجة: **شيوخ القبائل ومؤسسة المشيخة في بايلك الشرق الجزائري والوسط الغربي التونسي من 1700إلى 1860**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2، 2017-2018، ص 206.

[5]– جميلة معاشي: الإنكشارية **والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 119.

[6]- Féraud (ch) : **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit**,** P 357.

[7]-Abd Eljelil Temimi: **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837**, Tunis, 1978, P 61.

[8]–محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص ص 211، 212.

[9]– محمد الحبيب عزيزي: **المرجع السابق**، ص 188.

شيخ الحنانشة بمعية أفراد من قبيلته؛ **ثلاثة خيول هدية** من شيخهم لباي تونس **حمودة باشا** في 17 شعبان 1210هـ/26 فيفري 1796م، [1]، كما أن هذه القبيلة تساهم في محلة الجريد التونسية بفرقة من **المزارقية الحناشة**، يحصل أفرادها على رواتب قارة قدرتها الدفاتر عام 1712م في عهد **حسين بن علي** بـ: 1092 دينار دفعت إليهم في شكل حمولات من التمر، كما نجد عددا كبيرا من شيوخ فروع القبيلة كانوا يخرجون باستمرار في المحلة التونسية ويحصلون من الباي على عوائد قارة، ويتعاطون تجارة الرقيق أو يشتغلون في المبادلات بين التل الجنوبي والجريد التموري[2]، ويبدو أن هذه العوائد والحقوق التي أضحت امتيازات لمشايخها هي محاولة من البايات لاستقطاب هذه القبيلة التخومية العتيدة؛ التي اغتنت من التجارة مع تونس أو بالأحرى من الضرائب المستخلصة على القوافل، ومن زعماء قبائل منطقة القالة؛ مستفيدة بشكل كبير من الشركة الملكية الإفريقية وتجارة القمح التي تؤمنها [3].

وفي المقابل تلقت القبيلة من بايات تونس هدايا وعوايد متنوعة هامة ومعتبرة مست فرعي القبيلة، وكانت الإحسانات التي تلقاها **فرع نصر" حناشة الشيخ ابراهيم بن بوعزيز"** خلال حكم **محمد باي** (1756-1759) وأخيه **علي باي** (1759-1782) أبناء **حسين بن علي**؛ هي الأكبر حيث تحصل فرعه على مبلغ 28741.26 ريالا في الفترة الممتدة من 1170- 1190هـ/ 1756- 1776م، وهو مبلغ كبير جدا مقارنة بما أخذه فرع منصر" **حنانشة محمد سلطان**" الذي لم يتجاوز ما لحقه من إحسانات على عهد **علي باي** قيمة 6499.03 من الريالات في الفترة الممتدة من 1173- 1192هـ/ 1759-1778م [4]، حيث تلقى الشيخ **ابراهيم بن بوعزيز** (1755-1772م) شيخ **حنانشة نصر** بين 1174-1187هـ/ 1760- 1773م هدايا معتبرة (**ما بين سروج وبنادق وفضة وذهب، بالإضافة إلى مواد أخرى كالتمر والزيت والصابون** ...)؛ بلغت قيمتها 6518.09 ريالا، وهناك هدايا أخرى لم تحدد قيمتها (**صنادق مجلدة، قفاطن، وبرانس وسروج**...)، أما **محمد بن سلطان** شيخ **حنانشة منصر**، فقد تلقى هو الآخر وابنه هدية بقيمة 478 ريالا عام 1175هـ/ 1761م، واحسانا لأخيه عمار بن سلطان وابنه بقيمة 225 من الريالات[5]، وبوفاة الشيخ **إبراهيم بن بوعزيز** وانتقال مشيخة **حنانشة فرع نصر** إلى **الشيخ عثمان بن بوعزيز** الملقب بـ"**بوحفص**" استفاد هو الآخر من الإحسانات والهدايا والعوايد الموجهة له من قبل باي تونس باعتباره شيخا للحنانشة، وبالتالي ستتواصل العلاقات بين الطرفين، ففي سنة 1191هـ/ 1777م تم صرف 1099 ريالا كإحسان بحق 326 حمل تمر منهم 300 عادة الشيخ **بوحفص(عثمان)**، كما خص الشيخ **أبي حفص الحناشي بهدية** تتكون من ستارة موبر بالداير ودير وعذار بالصارمة"بالحرير" سقطة فجرة "أي فضة" وركاب مذهب "أي سرج من الطراز الرفيع"[6].

---

[1]- خليفة حماش: كشاف **وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، المرجع السابق، ص 390.

[2]- محمد الحبيب عزيزي: المرجع **السابق**، ص 188.

[3]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie …,** Op.cit, T 2, P 137.

[4]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 210-224.

[5]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 212-218، 221-223.

[6]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 168.

شاركت قبيلة الحنانشة مشاركة فعلية في الحرب الأهلية الأولى(1675-1686م)؛ حيث اختار كل شق الحليف الذي في إمكانه جزل العطاء والزيادة في الراتب والإعفاء من الكلف المخزنية؛ فكان أن انحاز شق من الحنانشة بزعامة **سلطان الحناشي** إلى **علي باي المرادي**، في حين التحق الشق الثاني **بمحمد باي**[1]، وتعمق الضعف أكثر في كنفدرالية الحنانشة بعد تفكك حلف الشابية، وتلاشي الجمهورية الرعوية سنة 1680م بعد معركة **وادي تاسة** (نوفمبر 1677م)، لتفقد الكنفدرالية عباءة صوفية دعمتها في فرض سلطانها على القبائل، ليتحول المشهد الوحدوي القبلي إلى تلاشي تدريجي على صعيد المشيخات الحليفة التي فضلت الاستقلالية من خلال البحث عن مجالات جديدة بنت من خلالها ثروتها وتموقعاتها[2].

وعلى عهد الدولة الحسينية عاد الصراع على الحكم من جديد بين الباي **حسين بن علي** وابن أخيه **علي باشا**، وكعادة أي طرفين متنازعين التجأ كل طرف إلى فرع من فرعي أسرة أحرار الحنانشة لإقحامها في الصراع والاستعانة بجيوشها لكسب المعركة ضد الخصم، وقد اعتمد **حسين بن علي** على فرع **نصر** وعلى رأسه **بوعزيز**، واعتمد **علي باشا** على فرع **منصر** وعلى رأسه **أحمد الصغير بن عمر** وأخيه **سلطان**[3]، كما أقحمت قبيلة الحنانشة في إخماد تمرد جبل وسلات الذي قاده **اسماعيل بن يونس** ضد **علي باي(1759-1782)**، ويتضح هذا من خلال الإحسان الذي تلقاه شيخ الحنانشة وأصحابه سنة 1176هـ/ 1762-1763م والمتمثل في تقديم كميات من التمر والزيت والصابون، وقد يكون هذا نظير مشاركة القبيلة في إخماد الثورة، وما يزيد الأمر تأكيدا منح 10 ريالات كإحسان **لمحمد بن عمار الحناشي** بل **بن مبارك المبشر بأخذ الوسالتية**[4] في رمضان عام 1762م.

سعى الأتراك إلى إضعاف هذا الكيان القبلي وتفتيته، حيث بدأت أولى بوادر ضعف كنفدرالية الحنانشة مع وفاة **خالد الصغير**، ويبدو أن انقسام الحنانشة يعود إلى بداية القرن السابع عشر 17م، عندما توصل الأتراك العثمانيون إلى تفكيك ائتلاف الحنانشة واحتواء عائلة الحرار بعد منحها ولاية الجهة الغربية للإيالة التونسية المجاورة للجزائر، والتدخل في تسيير شؤون القبيلة بتعيين الأخ الأصغر (**منصر**) شيخا للقبيلة عوضا عن أخيه الأكبر (**نصر**)، ومنح امتيازاتهم تباعا أحيانا للفرع الأكبر وأحيانا للفرع الأصغر؛ فنجحوا بذلك في إثارة العداوة بين أبناء البيت، فكان ذلك إيذانا بانقسام الحنانشة بين مناصر للأتراك ومناهض لهم[5]، وتجلى هذا الشرخ وأضحى واقعا نلمسه حتى في الدفاتر الجبائية التونسية؛ التي خصت كل من فرعي القبيلة باحسانات تحمل اسم المشيخة التي تنتمي إليها، إذ نجد فرع يسمى: **حنانشة إبراهيم** والآخر يعرف بـ: **حنانشة محمد بن سلطان** من فرع منصر[6]، ويبدو أن تباين قيمة الإحسانات الموجهة لفرعي القبيلة

---

[1]- فتحي المرزوقي:"**المخزن ومخزنة القبائل التونسية من أوائل العهد الحفصي إلى بدايات الحكم العثماني 1230-1686**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 79-80، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1985، ص 629.

[2]- توفيق بن زردة:"**التحولات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الخلفية لمدينة قسنطينة خلال القرن 19م مجال عامر الشراقة**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2018، ص 48.

[3]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 226.

[4]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 214، 222.

[5] - Féraud (ch) : **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P 203.

[6]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 210، 221.

كما تقدم على عهد **محمد باي** وأخيه **علي باي** هى وجه من وجوه السياسة المنتهجة الرامية إلى إضعاف قوة القبيلة والحد من نفوذها، والفت في عضدها عن طريق تغليب فرع على حساب الآخر، بل تجلى التمييز في قيمة الهدايا الممنوحة حتى على مستوى المشيخة، فقد بلغ قيمة الاحسانات التي تلاقاها **إبراهيم بن بوعزيز**- باستثناء الهدايا التي لم تحدد قيمتها- 6518.09 من الريالات بين 1760-1773م، في حين لا نجد شيخ فرع منصر **محمد بن سلطان** إلا في موضع خصصت له فيه هدية بلغت قيمتها 307 ريالا عام 1175هـ/1761م [1].

ويبدو أيضا أن هذه الإحسانات التي منحها البايات التونسيون لمشيخة الحنانشة بفرعيها (نصر ومنصر) منذ منتصف القرن 18م، والتي اتخذت طابعا إلزاميا جاءت في إطار سياسة هادفة لاحتواء وتحييد كل فريق وفق استراتيجية الإبقاء على الولاء وكسب الحليف وضمان الدعم كلما اقتضت الضرورة.

كانت كنفدرالية الحنانشة حتى نهاية القرن الثامن عشر تسيطر على التخوم التونسية الجزائرية، وقد اتحدت مع أولاد بوغانم للتصدي للقبائل الجزائرية الغربية[2]، والملاحظ أن قبيلة الحنانشة لم تكن قبيلة قوية وحربية فحسب؛ بل كانت على جانب كبير من التحضر، فالجزائريون مدينون لها بانتصاراتهم في العديد من الحروب التي خاضوها ضد التونسيين، كما أن فضاءها أكثر خصوبة واتساعا إذ لا يوجد فدان من الأرض في فضاء هذه القبيلة لا يسقيه نبع أو مجرى[3]، ومنه يتبين لنا أن الحنانشة كانت تحتل المرتبة الثالثة في المنطقة بعد قوة كل من باي قسنطينة والأسرة الحسينية في تونس، وهذه المكانة كانت محكومة بعوامل أساسية منها استغلال الموقع الحدودي بين الإيالتين اللتين تضاربت مصالحهما[4].

سادت الفوضى الكنفدرالية القديمة منذ 1826؛ حيث دخلت في صراع مفتوح ضد أحمد باي[5]، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت قبيلة أحرار الحنانشة إلى غاية 1830؛ صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية وهذا بمنطقة الحنانشة، ومن أبرز العائلات: **أولاد خليفة**، و**أولاد ناصر**، **أولاد سلطان**، **وأولاد بوعزيز**، **وأولاد إبراهيم**، ومنذ التاريخ المذكور أعلاه حلت محل الحرار عائلة (**الرزقي**) على رأس الحنانشة[6].

لعبت كنفدرالية الحنانشة كجماعة محاربة مستقلة مكتسحة لمجال الإيالتين -رغم ولائها المزدوج-لها وزن ديمغرافي اقتصادي عسكري؛ دورا بالغ الأهمية في الحراك البيني، وهذا في ظل سعي محموم من حكام البلدين لاحتواء هذه القوة، والظفر بدعمها وخدماتها في التنافس القائم؛ وما يتبعه من صراع وتحالفات قبلية محدودة أو موسعة.

ج-قبيلة طرود:

من عرب بني سليم؛ ينسبون إلى شيخهم وولي أمرهم **طرد بن دابس**، وهم من الأقوام الذين عمروا سوف بعد عدوان [7]، وطرود أحد عروش الشعانبة وينسبون إلى الوادي بالجنوب الشرقي الجزائري[8]، وقد عاشت قبيلة في أول الأمر مع بني

---

[1]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 212-218، 222.

[2]- Jean Ganiage : **Op.cit,** P 112.

[3]-Shaw (Thomas): **Op.cit**, p 205.

[4]- احميده عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 27.

[5]- Louis Rinn: **Le royaume D'Alger sous le dernier Dey**, Op.cit, P 117.

[6]- محمد الأمين بلغيث: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 138.

[7]- محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 86-87.

[8]- عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس(1831-1937)**، المرجع السابق، ص 114.

دلاج ثم اندمجت مع أولاد حكيم أحد فروع بني عوف التابعة لبني سليم[1]، إذ يشير **صاحب المروية** إلى رحيل طرود من نواحي باجة ومنها إلى قصور عدوان بداية القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي[2]، وهذا إذن رأي **العدواني** في تاريخ نزوح **طرود** من **إفريقية** إلى **سوف**، ويعزى سبب انتقال طرود من حياة الاستقرار وتعاطي الزراعة في سهول باجة إلى البداوة والترحال في صحاري وادي سوف إلى الفرار من هيمنة المخزن – الحفصي آنذاك-، بحثا عن عن الاستقلالية ورفضا لأي مظهر من مظاهر الخضوع لأي حكم مركزي، وهذا رغم معارضة بعض نشطاء القبيلة لهذا التغيير في نمط العيش ومجالات التنفذ[3]، بينما يذهب **برونشفيك** بالقول أنهم قد ذهبوا ضحية توسع **بني علي** (أحد عروش الفراشيش)، لذلك هاجر الطروديون بعضهم إلى الجنوب الجزائري؛ والبعض الآخر إلى المنطقة الشمالية من البلاد التونسية[4]، ومن الثابت أن عرش طرود ينتمي إلى العروش التي كانت مستقرة بواد سوف أي أنها تابعة للإيالة الجزائرية جغرافيا؛ ورغم ذلك فإنه كان مواليا للسلطة المركزية بتونس، وربما هذا يفسر بحلوله منذ أمد بعيد بالإيالة التونسية، واستقراره بحوض مجردة السفلى[5]، أما عن مجال سيطرة طرود فقد نجحوا في السيطرة على مجال شاسع يمتد من بلاد سوف إلى غربي القيروان وبلاد الجريد وهو مجال اقتسمته المجموعات المكونة للقبيلة أو كنفدرالية طرود بعد إقصاء المجموعات الأخرى والانفراد وحدها بالمجال[6].

ويبدو أن السلطة السياسية الممثلة في صاحب تونس حاولت فيما بعد تأطير المجموعات القبلية من خلال إبرام إتفاقية تحصلت بمقتضاها على المساعدة العسكرية من القبائل المحاربة على غرار طرود التي تمتعت تبعا لذلك بهبات وعطايا تمثلت في إقطاعات أرض، وهذا رغبة من مشايخ القبيلة في توسيع مجال نفوذهم وتعزيز مكانتهم في مزاحمة الآخرين، ويبرز هذا في قول صاحب **ترشيش** إلى **طرود**:" **غدا إن شاء الله يأتيكم صاحبي ويقسم لكم أرض إفريقية، كل قبيلة على حدتها منعزلة عن صاحبتها، ويفرض إليكم مؤونة إلى خيولكم وكسوتكم، ومن ماتت له فرس فعلي خلفها**.."[7]، وبمقتضى هذا التحالف تحصل طرود على مجال جغرافي مكنهم من الاستقرار وممارسة نشاطاتهم الرعوية، إذ يتحدث **العدواني** في موضع آخر على المجال الذي استقرت فيه المجموعة:" **وترعى إبلهم...وكانوا طرود من إفريقية، وكان لطرود سطوة عظيمة** "[8]. تلقت طرود حسب مروية **العدواني** عرضان مغريان أحدهما من السلطة السياسية المركزية الممثلة في صاحب تونس: الباي **المرادي مراد** الذي اقترح عليهم التحالف معه، وهو ما يظهر من خلال المقتطف:" **الرأي عندي أن نبعث إلى طرود، يأتينا كبيرهم ونتحدثوا معه ونعطوه شيئا من الحطام (أي المال) إما أن يرحلوا**

---

[1]- روبار برونشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ج1، المرجع السابق، ص 343.

[2]- محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 95-96.

[3]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص 410.

[4]- روبار برونشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصيمن القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ج1، المرجع السابق، ص 344.

[5]- عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس(1831-1937)**، المرجع السابق، ص 126.

[6]- نورة الوسلاتي: **المروية القبلية بين المعرفة التاريخية والدراسات التراثية"مراجعات في مرويات كتاب العدواني"**، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2020، ص 136.

[7]- محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 88.

[8]- محمد العدواني: **نفسه**، ص 88-89.

علينا وإلا يقاتلوا معنا (ضد الشابي طبعا)"[1]، و**العرض الثاني** من **الشابي** تقريبا بنفس المواصفات تقريبا، إذ كانت **الشابية** الطرف المقابل للسلطة السياسية التركية والمنافس العتيد القادر على ضرب استقرارها، إذ جاء في المروية:" **قال الشابي: ما عندي شيئا، قالوا طرود: نحن لا منك ولا منه وإنما نحن أصحاب دراهم ودنانير، إما تعطينا وإلا نرجعوا عليك إلى صاحب إفريقية، نحن الذين قهرناه عليك. قال لهم انصرفوا إليه إن شئتم. قالوا: والله لا خفنا منك ولا منه، نحن عباد الله راكبين على الخيل وإمامنا الإبل طوال الأعناق والسيقان**"[2]، ويبدو أيضا اختيار طرود في اتجاه المحافظة على مجال سيطرتها ذلك أن مجال سيطرة الشابية يتوسط مجال تنفذ طرود جنوبا ومجال السلطة المخزنية شمالا، وبالتالي فالتحالف مع الشابية ربما يندرج في إطار التحالف مع الأجوار قصد إضعاف نفوذ العدو المشترك؛ خاصة إذا علمنا أن الشابية تحالفت مع عديد القوى الفاعلة في ذلك المجال الحدودي بين إيالتي الجزائر وتونس؛ مثل الحنانشة وخمير وطرود وغيرهم[3].

يبدو أن الوضع قد تغير مع مرور الوقت من جهة السلطة السياسية؛ إذ لم تعد طرود القوة العسكرية الداعمة المرغوب فيها، حيث أصبحت هذه القبيلة تمثل مصدر فوضى كارثية في مجال إفريقية، وهو ما برز في تأفف الأهالي من تلك الممارسات وإلحاحهم في المطالبة على إقصاء طرود من مجالهم، ولعل هذا ما يفسر إقدام **مراد باي** على استصفاء أموال شيخ عرب طرود **الشيخ صالح** ونفيه فاضطر إلى العودة موطنه الأصلي بالإيالة الغربية، إذ يقول **ابن أبي دينار**:" **...وكذلك شيخ عرب طرود الشيخ صالح أخذه مثل ما أخذه غيره**"[4]، ولربما هذا ما دفع السلطة إلى مطالبتهم بدفع العادة المخزنية، وبالتالي تغير وضع القبيلة من حليف عسكري مقابل الحصول على امتيازات عقارية ومادية إلى قوة قبلية خاضعة جبائيا تدفع إتاوة للسلطة مقابل استقرارها داخل المجال...فجاءت ردود فعلها عنيفة، عقب انتقالها من نواحي **باجة** باتجاه **الجنوب**؛ من خلال القيام بمجموعة من عمليات الإغارة على مجالات المخزن، إذ يقول **العدواني**:" **ونزلوا على قفصة، فأخذوا جميع ما عندهم من متاع وأثاث الذي بقفصة وأخذوا جميع ما لهم من العادة المخزنية**" [5]، فقد كان لهم عامل خاص خلال القرن 18م؛ إلا أنه أصبح منصف القرن 19م تابعا مع قبيلة **سيلين**، فتعددت الدفاتر التي جمعت بين **طرود** و**سيلين** باعتبارهم تابعين لشيخ واحد، ويعزى ذلك إلى تزامن قدوم هذه القبائل ونزولها المنطقة الواقعة بالحوض السفلي لوادي مجردة بين تونس وبنزرت[6].

كان عرش **طرود** الذي سجل حضوره بالبلاد التونسية؛ من العروش التي فرضت عليها **المجبى** من طرف **حسين بن علي** (1725-1726)، وقد ناهز عددهم 573 نفرا يمثلون مختلف العروش؛ حيث تم إحصائهم (بيان عدد زمايل طرود: رجاله وبيوت أي زوجات) بنحو بنحو 309 نفر، على كل زمالة 06 ريالات وسبعة ناصرية مجبية في العام،

---

[1]- محمد العدواني: **المصدر نفسه**، ص 183.

[2]- محمد العدواني: **نفسه**، ص 185.

[3]- نورة الوسلاتي: **المروية القبلية بين المعرفة التاريخية والدراسات التراثية**، المرجع السابق، ص 138.

[4]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 261.

[5]- محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 172.

[6]- عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس(1831-1937)**، المرجع السابق، ص 114-115.

يمثلون زمايل[1] أعراش طرود **أولاد علي** (منهم: **أولاد كراع** 109 نفر، **السخيلة**: 31 نفر، **الجبور**: 69، **البكاكشة**: 29 نفر)، أما عرش **العطاطفة** و**أولاد توفيق** من طرود فقد قدر تعدادهم بنحو: 264 نفر زمالة، (منهم عرش **الخواتم**:68، عرش **العطاطفة**: 103، عرش **القبطان**: 38، عرش **البقاقرة**: 55)؛ على كل زمالة مجبى 517 في السنة دون حذف[2]، ويبدو من خلال هذا الدفتر الجبائي أن المجبى المفروض على أبناء طرود لم يستثن الفئة العازبة، إذ نجد في فرع العطاطفة أهم فرع من فروع طرود، إحصاء لثمانية وتسعون رجلا مدرجين من بينهم 31 غير متزوجين (عزاب)[3]، ولربما هذا دفع الأستاذ **عبد الكريم الماجري** إلى القول أنه يمكن احتساب عرش طرود في منتصف القرن 19م؛ ضمن الجزائريين الذين فقدوا كل صلة بموطنهم الأصلي عكس أولاد خيار الذين بقوا على صلة بأصولهم في إيالة الجزائر[4].

ويبدو أن أعداد أبناء طرود قد تناقص وتراجع، فمن 573 فرد على عهد **حسين بن علي** أضحى عدد الذكور البالغين الخاضعين للمجبى على عهد **المشير أبي عبد الله محمد باشا باي** يتراوح بين 240 و250 في سنوات 1856-1860م، حيث قدر عدد أنفار طرود بنحو 253 نفر في إحصاء عرش طرود سنة 1272-1275هـ/1856-1858م)[5]، أما في احصاء سكان عرش طرود 1276هـ/1859-1860م.)؛ فقد بلغ عددهم 244 نفر[6]، ويعزى هذا التراجع في أعدادهم إلى جملة من الأسباب ترتبط بتزايد قيمة المجبى أي التهرب من الالتزامات الضريبية، ومن جهة أخرى نجد أن الكثير من أبناء قبيلة طرود الذين انتقل عدد كبير منهم إلى تونس (العاصمة وبقية المدن..) للعمل؛ سرعان ما آثروا العودة إلى موطنهم الأصلي، فما إن يتحقق الهدف المأمول وهو تحصيل قدر معين من الثروة حتى يعاودوا الأوبة إلى سوف أين يقوم الواحد منهم ببناء منزل واقتناء بعض النخيل[7]، ويفسر التراجع نحو الجنوب برفض الخضوع للسلطة المخزنية وبالتالي تواصل الممانعة والبحث عن مجال بعيد عن سلطة الدولة، لذلك سعى المخزن الحسيني في إطار استراتيجية الاستلزام التي تم اتباعها منذ أواسط القرن 18م تجاه القبائل الطرفية والتخومية إلى محاولة احتواء طرود وكسب ولاء القبيلة، وذلك على عهد **حمودة باشا** (1782-1814) في ربيع الثاني 1228هـ/1813م من خلال تقديم رواتب سنوية لبعض وجهاء طرود على أنها عادة وفق شروط وضعتها كالقدوم على الباي التونسي، وقد قدرت قيمتها بنحو 590 ريال وثلاثة أربع ريال لعشرين نفرا كإحسان منهم أربعة مشايخ؛ يمثلون أربعة عروش من **طرود الزبدة** وهي **الأعشاش**، و**أولاد حمد** و**المصاعبة** و**الربايع**[8].

---

[1]- **الزمايل**: برهنت الدراسات التاريخية الحديثة أن كلمة زمالة كما تبدو من خلال الدفتر 620، استعملت في القرن 18م كقاعدة جبائية يقوم عليها نظام توزيع الضرائب بدمج العنصر البشري والاقتصادي معا. وعلى هذا الأساس يطلق لفظ زمالة على الرجل البالغ والمرأة المتزوجة والأراضي الزراعية والثروة الحيوانية. للمزيد انظر: عبد الحميد هنية: "**الملكية والأسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر**"، المرجع السابق، ص 174-175.

[2]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 620**.

[3]- Mohamed Hédi Chérif : **« Document relatif à des Tribus Tunisiennes des débuts du 18esiècle »**, In R.O.M, N° 33, 1982, P 76.

[4]- عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس(1831-1937)**، المرجع السابق، ص 126.

[5]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 673**.

[6]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 688**.

[7]-Charles Féraud: « **Ben-Djallab sultans de Tougourt**, **Notes historiques sur la provinces deConstantine-Le Souf**", Op.cit, P 50-51.

[8]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص 411-413.

02-الحراك القبلي التونسي نحو الغرب.

أ-قبيلة دريد التونسية عديلة الحنانشة: حراك قبلي وامتداد مجالي.

من قبائل الأثبج العربية التي وفدت على إفريقية أثناء الزحفة الهلالية، حيث تقلدت الزعامة القبلية واحتكرت الرئاسة على الهلاليين لكثرة بطونها[1]، وأضحت القبيلة المخزنية الأولى الأكثر شأنا في الإيالة التونسية؛ والتي سيطرت على كامل غرب البلاد وعلى طول التخوم مع الجزائر، استخدمها البايات التونسيون في مواجهة القبائل الجزائرية، وفي ضبط كامل سيادتهم تجاه الجزائر، وكانت قد ورثت عن الحفصيين حق احتكار التبادل التجاري في كامل الجهة الغربية للبلاد بين الجريد التموري والشمال الجنوبي، واعترف لهم **خير الدين بربروس** ثم **رمضان باي** من بعده بهذه الحقوق[2]، كما اعتمد المراديون وكذلك الحسينيون من بعد على هذه القبيلة لمواجهة التوسع الحناشي في الإيالة، ومن أبرز علامات السياسة التخومية لبايات تونس هي تركيزهم لقيادة حول مدينة الكاف خاصة لقبيلة دريد وسماحهم لها بالمحافظة على استقلالها الذاتي، وعلى أطرها الذاتية مثل **ديوان دريد** الموروث عن الحفصي الذي اعتبر بمثابة **مجلس المشايخ** أو **برلمان القبيلة**، إلا أن النظام الإداري الذي تخضع له القبيلة كان مختلفا عن النظام نظام المشيخة عند قبيلة الحنانشة، وهو متقارب مع نظام قيادة العواسي بالنسبة لقبيلة الحراكتة بباياك الشرق الجزائري؛ أو مع نظام قيادة **أولاد مختار** بالنسبة إلى بايلك الوسط أو نظام قبيلة **فليتة** بالنسبة إلى بايلك الغرب[3]، وقد تمتعت هذه القبيلة العربية المخزنية القوية بعلاقات طيبة مع الباي، حيث كانت توفر الفرسان الذين تستحقهم المحلة عند جمع الجباية بمنطقة الجريد، وكذلك حمل الحبوب التي تقدمها القبائل فيما يعرف بضريبة العشر[4] .

انتشرت فروع هذه القبيلة في بايلك الشرق الجزائري- مقاطعة قسنطينة- في النصف الأول من القرن 16م، وتطلق الوثائق على هذه الفروع تسمية **دريد الغرابة** على غرار: **أولاد مناع** و**أولاد رزق**[5]، وكانت من القبائل التي تحالفت مع الحركة الشابية واعتنقت طريقتها، وصار أبنائها من مريديها الذين أبدوا ولاء مطلقا لصاحبها(سيدي عرفة الشابي) يدفعون له الأموال"العادة"، ويمدونه بالرجال في حروبه ضد الحفصيين والعثمانيين إلى جانب القيام بالحراسة الشخصية لأفراد أسرة الشابية[6]، بل إن **عبد الصمد الشابي** استحكم فيهم وشاخ عليهم، ولذلك اعتبرهم صاحب المؤنس"**تلاميذ للشابية**"[7]، ولما هاجر الشابي في نهاية عهد الحفصيين إلى وطن قسنطينة بسط نفوذه على القبائل الحدودية من الجهتين: **دريد** و**الحنانشة** و**الحراكتة** و**النمامشة**، وكون كنفدرالية قبلية عاصمتها زاوية سيدي ناجي[8]؛ إلا أن دريد الداعم الأكبر للشابية، سرعان ما تعرضت لقمع واضطهاد وملاحقات المخزن التونسي، فتشتت في جميع الجهات بين الجزائر وتونس[9]،

---

[1]- ابن خلدون: **العبر، المصدر السابق**، ج6، ص 30، 31.

[2]- محمد الحبيب عزيزي: **المرجع السابق**، ص 189.

[3]-محمد الحبيب عزيزي: **المرجع نفسه**، ص 190.

[4]-Jean Ganiage : **Op.cit,** P 112.

[5]- Mahfoud Kaddache: **L'Algérie durant La période Ottomane**, O.P.U, Alger, 2002, P 55.

[6]- علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1982، ص 79.

[7]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 184.

[8]- محمد الحبيب عزيزي: **المرجع السابق**، ص 189.

[9]- Sallah Alouani : **Tribus et marabouts …**Op.cit**,** P 208.

حيث أضحت القبيلة موزعة في أماكن مختلفة، ففي أعقاب هزيمة الشابية ارتحلت **دريد** إلى مقاطعة **تبسة** سنة 1624م[1]، وفي هذا الفضاء التبسي أسس الدرايد قرية **أوكس**– نسبة إلى المرابط بووكس حسب الرواية الشعبية– على بعد 19كلم شمال غربي تبسة[2] حيث تختزن عشيرة دريد ما تمتلكه من متاع ومؤن[3].

ويذهب صاحب **الصروف** إلى أن أعراب دريد نزلت بالوادي (سوف)؛ واختلط قسما منها بأهل **الزقم**؛ وهذا في أعقاب هزيمة **عبد الصمد الشابي** أمام الباي **حمودة باشا المرادي** عام 1041هـ/1632م أو بعدها؛ وهذا بحكم العلاقات القديمة التي تجمعهم بطرود والتي تعود إلى أيام الزحفة الهلالية[4]، ولم ترجع أعداد من **دريد** إلا عندما أذن لها الباي المذكور بالعودة سنة 1647 ليستعين بفرسانها ضمن قواته المخزنية[5]، حيث استقرت بالسباسب الوسطى–بلاد المثاليث– أين أعاد **حمودة باشا** قبيل منتصف القرن 17م نشر فرقها في جهة التل بعد نزولها وإقامتها ما يربو عن نصف قرن قرب قسنطينة[6]، حيث رسم طائفة عظيمة منهم في ديوان الجند ليتقاضوا رواتب نقدية وعينية استعدادا للاعتضاد بهم في حروبه ضد القبائل، ويدخلوا بصفة رسمية في خدمة الدولة ويكتسبون الصفة المخزنية، وبانضمامهم فقدت الشابية أملها في إحياء إمارتها وإن ظلت تقاوم العثمانيين إلى حدود 1677م[7].

لقد أدت التقلبات السياسية خلال القرن 16 و17م إلى إحداث تحركات وتنقلات بشرية ترتبت عنها انقسامات لجماعات قبلية، حيث توغلت جموع من دريد مستهل القرن 18م إلى الأراضي الجزائرية عقب هزيمة الباي التونسي إبراهيم الشريف أمام الجزائريين عام 1705، فاستقرت أعداد منها بسوف، ففي بلدة الزقم اختلطت مع أهلها وتصاهرت معهم؛ وأصبحت منهم[8]، وقد حافظ بعض أعيان **دريد** على ممتلكاتهم في سوف حتى مطلع القرن 18م، إذ يذكر **صاحب الإتحاف** أن **عزوز بن عمارة بن دالية** كان له نخيل كثير بسوف أمر **علي باشا** ابنه **سليمان** بالتوجه إليه لقطعه، لأن مالكه من شيعة أولاد الباي حسين بن علي[9]، وقد أخطأت في الجانب الباحثة التونسية **فاطمة بن سليمان** عندما ذكرت –بناء على ما ورد في المشرع الملكي–إلى أن شيخ **دريد** المالك لهذه الواحات هو **عمارة بن دالية**[10]، ذلك أن **الصغير بن يوسف** لم يشر في مصنفه قط إلى هذا الأمر، وإنما اكتفى بذكر مقتل أحد مشايخ دريد "الشيخ **عمارة بن دالية**" شيخ **بني رزق** الذي كان من أتباع حسين باي في مواجهة مع حنانشة أولاد عمار وشيخهم **بوعزيز**[11].

---

[1]– مسعود الضاوي: **المرجع السابق**، ص 212.

[2]– بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 175.

[3]- Féraud (ch) : **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P 145.

[4]– ابراهيم محمد الساسي العوامر: **المرجع السابق**، ص ص 236-238.

[5]– مسعود الضاوي: **المرجع السابق**، ص 212.

[6]– مبروك الباهي: "**الحوز القبلي في سباسب إيالة تونس (القرن 16–القرن 19م) خطاب الأرض**"، مجلة بصمات، العدد 1، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2006، ص 174.

[7]– فتحي المرزوقي: **المرجع السابق**، ص 629.

[8]– ابراهيم محمد الساسي العوامر: **المرجع السابق**، ص ص 247، 403.

[9]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 133.

[10]– فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574–1881)**، المرجع السابق، ص 183.

[11]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 170.

شهد النصف االثاني من القرن 18م أيضا؛ هجرة ونزوحا لأبناء قبيلة **دريد** التونسية، حيث استقر جزء منها في وسط الإيالة التونسية، والقسم الآخر استوطن نواحي **قسنطينة**، والجزء الثالث شكل قبيلة بدوية عاشت في **بسكرة وواحات الزيبان**[1]، وهذا في أعقاب الأزمة الذي وقعت عام 1763م بين فرعين "**دريد جوين**" و"**دريد البادية**" حول تعيين شيخ القبيلة، ولما استفحل الخلاف أقدمت **دريد البادية** على الانتقال غربا نحو الأراضي الأراضي الجزائرية، حيث دخلت **دريد الغرابة** عقب انفصالها عن إخوانها تحت حكم **صالح باي** الذي أقطعها المكان المسمى" **عين الخيوطي**" **بالقرب من جبل الوحش ضاحية قسنطينة**[2]، وذلك لمدة تراوحت بين ثلاث إلى أربع سنوات كانت خلالها **دريد** عرضة سرقات عديدة (متكررة)، ما دفع أفرادها إلى التقدم من الآغا **الحاج مسعود بن زكري** طالبين منه منحهم ترخيص وإذن للاستقرار **بالبحيرة الطويلة بالقرب من فم العلايق**[3]، حيث عمد **صالح باي** إلى توطين هؤلاء المهاجرين على الأراضي المخصصة لهم في البحيرة الطويلة[4]، وبعد تنقل مجموعات **دريد** إلى هذه السهول؛ شكل منهم **صالح باي** نواة جماعة بشرية ينحصر دورها في رعاية وتربية قطعان البايلك، بعدما قسمهم إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى عرفت باسم " عزيب البل" تسهر على رعاية الإبل أو الجمال، والثانية عرفت باسم " عزل البقر" انحصرت مهمتها في السهر على حماية ثروة البقر، أما المجموعة الأخيرة فعرفت بـ "الجلابة" التي اقتصرت مهمتها على تربية ماشية البايلك، حيث شغلوا البلاد كملاك أصليين؛ مستغلين مساحات شاسعة مستخدمين في زراعتها نحو 260 محراث[5]، ويبدو أنهم ساحوا في شتى أرجاء البلاد الجزائرية، ومع غمرة الاستقرار النهائي الجديد على عهد **صالح باي** وانفصال دريد عن النواة الأصلية، اتجه قسم"فرع" منها إلى ناحية **عنابة** أين نجدهم إلى اليوم، وقسم آخر اتجه نحو الصحراء[6].

لم تحتفظ دريد سوى بذكريات مشوشة حول أصلها، وكانوا يزعمون أنهم جاءوا من الشمال أين استطاع آباءهم الرحالة احتلال قسم كبير من التل والساحل، أولئك الذين نجدهم في الزيبان، والذي قيل أنهم ينحدرون من جزء صغير جدا من عائلتهم العظيمة، وذاعت سيرتهم في الصحراء على أنهم اصحاب نفوذ وأصبحوا على درجة عالية من السلطة، ما دفعهم إلى القيام بالعديد من الحملات التي وصلت حتى **غدامس**[7]، حيث ساحت عشائر **دريد بالجنوب**، وآثرت مجموعات منها البقاء والاستقرار بالصحراء على غرار **الخنافسة** الذين يعودون في أصلهم إلى **دريد**[8]، الذين أضحوا يشكلون قبيلة جزائرية تسكن مع **أولاد ابن ناصر** مدينة **عين صالح** وضواحيها وتعيش في تنافس مستمر مع التوارق[9]، وشكلت **دريد** مخازنية للأتراك، إلا أنهم خسروا في وقت لاحق هذا الامتياز الذي ارتبط بهم نتيجة رفضهم تسليم أحد

---

[1]- Carette **: Origine et migrationdés principales tribus de l'Algérie,** Op.cit**,** P 429.
[2]-Féraud (Ch): **Notes historique sur Les tribus de La province de Constantine**, Op.cit, P 36.
[3]-Procès-verbal, **Tribu de BehiraThouila**, Exécution du Sénatus consult de 22 Avril 1863, N° 23, D.R.C.C, P 12-13.
[4]-Féraud (Ch): **Notes historique sur Les tribus de La province de Constantine**, Op.cit, P 36 .
[5]- Procès-verbal, **Tribu de BehiraThouila**, Op.cit**,** P13.
[6]- Féraud (Ch) : **Notes historique sur Les tribus de La province de Constantine**, Op.cit, P 36.
[7]-Dumas (De.M): **Sahara Algérien** ;étude Géographique, Statistique et Historique sur La région au sud des établissement Français, Paris, 1845, p 120.
[8]- بيار كاستال: **المرجع السابق**، ص 293.
[9]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، المرجع السابق، ص 161.

الأتراك الفارين، وعندما حصل **ابن قانة** على لقب **شيخ العرب**- مشيخة الصحراء- ظل أبناء **دريد** مرتبطين روحيا برؤسائهم القدامى، فتحملوا جراء ذلك مقدار من المضايقات لأن جزء من القبيلة فر واستقر بالجريد التونسي[1]، لذلك ظلت قبائل دريد في حراك دائم ذهابا وإيابا بين مضارب استقرارها في الجزائر ومنطقة الجريد بإيالة تونس؛ بسبب الضغوط التي كانت تتعرض لها من قبل الحكمين التونسي والجزائري، ويبدو أن دريد شيعة الشابية زاحمت قبيلة النمامشة التي امتد نفوذها إلى المنطقة، ما دفع هذه الأخيرة إلى دحر أبناء دريد وإبعادهم عن المراكز التي احتلوها في الصحراء [2].

أما عن دريد قبيلة البحيرة الطويلة فقد دخلت في صراع مع قبيلة **السقنية** على عهد قايدها **سي عبد الله ولد مامن**، حيث دارت العديد من المعارك انهزمت فيها دريد التي انسحبت إلى مشارف الخروب، أين رابطت أربعة أو خمسة سنوات، ثم عادت إلى مجالها السابق على عهد قائدها **علي با احمد**، ويبدو أن هذا الرجوع كان خلال فترة حكم الباي **مصطفى انجليز**(1798-1803) الملقب **بقايد دريد** الذي نقل أعداد من دريد إلى **بونة** و أعاد البقية إلى فم العلايق بالبحيرة الطويلة[3]، ولما أخفقت الحملة التونسية بقيادة **سليمان كاهية** على قسنطينة عام 1807م- على عهد **حسين باي** (1806-1807)، بقي أناس من دريد بنسائهم وأولادهم احتوت عليهم محلة قسنطينة وعربانها، ولم يقدروا على التخلص منهم، وأنزلهم باي قسنطينة أرضا تسمى **بحيرة دريد** وتملكوا بها إلى وقتنا هذا[4]، بل لا يزال إلى الآن عرش يضم عائلات تنحدر من أصول تونسية –بالبحيرة الطويلة- يطلق عليه اسم أولاد دريد؛ نسبة إلى قبيلة **دريد** التونسية.

وما يعكس لنا حضور العنصر الدريدي كأحد أبرز العناصر الوافدة إلى بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية؛ ورود أسماء العديد من أبناء قبيلة دريد التونسية في –عقود عدلية- سجلات المحاكم الشرعية في أزيد من 22 موضعا من 1787 إلى غاية 1790م، ونلمس هذا في عقود الزواج والطلاق وبعض المعاملات التجارية من بيع وشراء[5]، ويزداد هذا الحضور المتميز لدريد في العقود التي مسها الجرد؛ بأكثر من 95 عقدا لرجال ونساء القبيلة بقسنطينة في الفترة الممتدة من 1800-1825م[6]، وهو ما يعكس لنا مؤشر الاندماج الاجتماعي ومقدار التآلف والتعايش في الفضاء الجغرافي الجديد.

---

[1]- Dumas (De.M) : **Sahara Algérien…Op.cit,** P 120.
[2]-Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa…Op.cit,** P 451.
[3] - Procès-verbal, **Tribu de BehiraThouila**, **Op.cit,** P 13-14.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، مج3، ص 42.

[5]- تصاهر **أبناء دريد** مع العديد من العائلات القسنطينية كعائلة **العمراني، الطلحي، القرفي، المرداسي، المعمراتني وغيرها**؛ من ذلك زواج محمد بن ناصر الطلحي فاطمة بنت المبارك الدريدي في 04 رمضان 1202هـ،وزواج محمد الرياحي بن نصر الدين الدريدي أم هانئ بنت محمد بن عياش القرفي في 11 صفر 1203.وأحمد بن زهيرة الدريدي عائشة بنت محمد القرفي، كما عقد العربي بن سي عيسى الدريدي قرانه على تركية بنت بلقاسم المعمراتني 06صفر 1205هـ، وحضورهم كشهود من ذلك شهادة محمد بن سليمان الدريدي عن طلاق سي السعدي بن علي لسدراتي من فاطمة بنت رحال، كما أنهم شاركوا بحكم الاستقرار والقامة في عمليات البيع والشراء، فقد باع محمد الدريدي بن سليمان في 23 ربيع الثاني 1205هـ/ دار للسيد محمد بن علي بوسخونة التاجر بأربعمائة ريال و90 ريال سكة. كما ابتاع محمد بن سليمان الدريدي في 01 ربيع الثاني 1205هـ / دار بالقرب من باب القنطرة من المكرم مبارك بن سعيد الكواش صناعة بثلاثمائة ريال كبيرة الضرب.أ.**و. ق: س.م. ش، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م**، ص 41، 43، 213، 219، 230، 232.

[6]- فاطمة الزهراء قشي، سهام بودية: "**مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800-1825**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 49، جامعة قسنطينة 2، 2018، ص 43.

ب–أولاد شنوف من الكاف إلى بايلك الشرق:

يرجع الباحث **فيرو**"**Féraud**" أصول هذه الأسرة إلى الفرس، وذلك استنادا إلى ما جاء في وثيقة كتبت من طرف **مولاي إبراهيم** سلطان فاس بالمغرب الأقصى لفائدة زعيم الأسرة **الحاج الأشهل بوعلاق**، وقد نسب السلطان فيها هذا الزعيم إلى جعفر البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد[1]، وكانت الأسرة تحكم الكاف منذ زمن بعيد، حيث كانت تتمتع بنفوذ قوي بين قبائل المنطقة وتجبي الضرائب من الرعية، إذ يقول **صاحب المؤنس**:" **وكانت لهم سمعة في البلاد بين عرب إفريقية، وتحكموا في وطن الكاف مدة من الأعوام وجبوا الجبايات من الرعية**"[2]، وقدشكلوا جبهة ودرعا ضد زحف الأتراك ومنافسيهم أحرار الحنانشة من أجل تأمين المنطقة الحدودية التي تسكنها منذ وصول العثمانيين إلى المنطقة؛ حيث بدأت النزاعات بينهم وبين الأسرة[3]، واستمرت النزاعات والمعارك حتى بداية القرن 17م؛ حيث توجه **مراد باي** عام 1038هـ/1629م بمحلة إلى الكاف، وحاصر بني شنوف وضيق عليهم، ولم يستول عليها إلا بعد غص الريق[4]؛ وهذا لدعمها الدائم للجانب الجزائري في هجومه على تونس، كما حدث في موقعة السطارة 1037هـ/1628م التي دارت فيها الدائرة على التونسيين، فساس أمورها وفق مراده[5]، لذلك عمل بايات الأسرة المرادية على التخلص من شوكتهم، فشنوا هجومات عديدة على الكاف إلا أنهم أخفقوا في محاولاتهم؛ وهذا إلى أن تمكن **أبو محمد حمودة باشا**–الذي خلف والده **مراد باي** عام 1041هـ/1632م–من غزو **بني شنوف** المتغلبين على الكاف وجهاته، فأوهنهم واستأصلهم واستنقذ البلاد منهم، إذ يقول **ابن أبي دينار**:" **ثم تهيأ لأولاد شنوف، وقاومهم بالكفاح إلى أن أنزلهم من صياصيهم، وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصيهم. وما زال يتبع فلولهم واحد بعد واحد إلى أن أفناهم ولم يبق منهم بقية**"[6]، وهناك من يقول ان ابنه **محمد باشا** هو من نجح في طردهم بشكل نهائي، ومحا أثرهم من أوطان الكاف[7]، وبزوال إقطاعية **بني شنوف**؛ ترك المجال مفتوحا لأحرار الحنانشة أمراء قلعة سنان[8].

أدى مقتل شيخ الأسرة **الطيب بن شنوف** والعديد من المخلصين له؛ أن اضطر الباقي إلى الفرار والرحيل إلى من الكاف باللجوء إلى أبناء عمومتهم المستقرين بالجنوب القسنطيني منذ فترة، حيث أشار صاحب كتاب **الأعيان** أن أحد أبناء أسرة **بني شنوف** الذين وضعوا عصا التسيار بعاصمة بايلك الشرق؛ نجح في الحصول على **لقب الباي** بفضل حنكته عقب سقوط فرع الكاف، ومنذ تلك اللحظة حمل **أولاد شنوف** لقب: "**بلباي**" وهي اختصار **ابن الباي**[9]، ومع ذلك فإننا لا نجد أي باي ينتمي إلى هذه الأسرة ضمن قائمة بايات قسنطينة، ولربما يرتبط هذا الاستقرار بحراك تاريخي

---

[1]- Féraud (Charles) : **« Les descendant D'un personnage des mille et une nuits en Algérie »**, In R.A, 1875, P06.

[2]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 257.

[3]- Féraud (Charles) : **Les descendant D'un personnage …**Op.cit, P 13.

[4]– ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، المصدر السابق، ص 33.

[5]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 232.

[6]– ابن أبي دينار: **المصدر نفسه**، ص 257.

[7]- Gouvion(E), (M) :**« Les Ben chennouf Belbeys… », Kitab Ayane Elmaghariba**, Op.cit, P 13.

[8]- Sallah Alouani : **Tribus et marabouts …**Op.cit**,** P 209.

[9]- Féraud (Charles) : **« Les descendant D'un personnage … »**, Op.cit, P 13.

يعود إلى فترات زمنية بعيدة؛ فرضته المصالح المادية وأوجبته قرابة الدم واختلاط الأنساب بحكم المصاهرات، ذلك أن نجع الشيخ **أحمد بن منصور الشنوفي** كان يرتاد في أزيد من 1500 فارس برج الباستيون جهة القالة للتسوق[1].

عاش بني شنوف في بايلك الشرق حياة الرفاهية، إلا أنهم كانوا عرضة للتقلبات الحكومية؛ والصراع مع أقرانهم بالمنطقة في تلك الفترة، حيث استقروا في نهاية المطاف في قصور الطينة (قسنطينة) وما حولها محافظين على علاقاتهم الوثيقة مع إخوانهم في مجردة، ما مكنهم من فرض السيطرة على القبائل المجاورة؛ فقد اتحد أبناء **الطيب** و**بني شنوف قسنطينة** مع أهاليهم في **مجردة التونسية**، وجعلوا القيادة تحت راية العائلة أي تكريس لقب **بن شنوف** إلى الأبد، وآثروا التوجه إلى غزو الجنوب منتصف القرن 17م[2]، ومهما يكن فإن أسرة **بني شنوف** كانت من الأسر المتنفذة التي ساهمت في حكم جنوب بايلك قسنطينة، وقد كانت في بداية العهد العثماني تحكم مدينة **الكاف** التونسية قبل أن تطرد منها إثر حروب طويلة لتلتجئ إلى **قسنطينة** ومنها إلى الجنوب، حيث استقرت نهائيا **بالزاب الشرقي**[3]؛ واستنجدت بسلطان فاس **مولاي إبراهيم**[4]، ويبدو أن السلطان المغربي قد استجاب لنداء الاستغاثة الذي وجهه **أولاد شنوف** عقب ما حاق بهم من ظلم الأتراك، وما انجر عنه من فقدان للممتلكات حيث أرسل ظهيرا إلى زعيم الأسرة **الحاج الأشهل بوعلاق** يملكهم فيه كامل أراضي **الزاب الشرقي**، وهو ما جاء في إحدى الوثائق:" **لما قدم علينا ولدنا الأشهل بن علاق البرمكي من أجيد العرب من قصر طينة[5] قد أتى إلينا حين زعجوه الأتراك وفكوا له جميع ما تحت يده من الرعية والأملاك وشاكيا بما أصابه من الظلم فقبلنا شكوته ونصرناه على أعدايه...وتصدقنا عليه بجميع الزاب من دشرة فلاوش حتى زاوية الولي سيدي ناجي ...له ولأولاده من بعده...لأنه رجل عزيز قوم ونسله طيب من نسل جعفر البرمكي**

---

[1]- جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1987، ص 89.

[2]- Gouvion(E),(M) : « **Les BenchennoufBelbeys…..**», Op.cit, P 05.

[3]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص98.

[4]- قد يكون المقصود هنا **المولى إبراهيم بن أحمد الأمغاري** الملقب بـ" **طير الجبل**"(ت 1072هـ/1661م) المتمرد على المخزن السعدي الذي فر من ملاحقة السلطان زيدان بن أحمد إلى قمم الجبال...لأنه استقطب عناصر حضرية من مستويات دنيا وتحديدا من طبقة الحرفيين، واعتمادهم لتشكيل طائفة صوفية سماها بعض المؤرخين **طائفة المصلوحي**، وقد تزامنت ثورته مع حركات المتصوفة المناوئة للسعديين الرافضة للتعامل مع الأجانب خاصة مع تسليم مدينة العرائش؛ على غرار حركة ابن أبي محلي، وبفشلها انتقل مولاي إبراهيم إلى أعلى قمم الأطلس الكبير الغربي أين أسس زاوية "كيك" التي أعاد من خلالها تنظيم طائفته التي كان لها دور كبير في خلق دينامية بشرية واقتصادية في نطاق كيك الجبلي التي أضحت تستقطب الجموع من كل الجهات، ولم تكن بركة الإطعام البركة الوحيدة التي اشتهر بها فقد عرف عن المولى إبراهيم أيضا البذل والعطاء وهي سيرته على الدوام، لذلك لا نستبعد أن يكون هو صاحب الظهير المشار إليه.وهذا في ظل غياب سلطان سعدي يحمل اللقب المشار إليه خلال هذه الفترة . للمزيد: ينظر محمد المازوني: **دراسات في التصوف المغربي**، طباعة ونشر سوس، أغادير، المغرب، 2012، ص 42-56.

[5]- **قصر طينة**: يذهب **الشيخ صالح بن مهنا** (ت.1910م) بأن أصل الاسم؛ منسوب إلى إمرأة من الرومان اسمها **طينة** فأضيف إليها ثم دخله التصحيف والتحريف فقيل **قسمطينة** بالميم والنون، أما الأستاذ **سليمان الصيد** في كتابه "**نفح الأزهار عما في قسطينة من الأخبار**" أكد أن اسم المدينة مشتق مركب من كلمتي: **قصر** و**طينة** امتزجتا وصار بحكم النطق المتغير والتطور الزمني **قسنطينة**؛ بتبديل الصاد سينا والراء نونا، وهناك من يقول أن امرأة اسمها **تينا Tina** أسست مدينة في الشمال؛ بل بنت في الأصل قصرا؛ حمل اسم **قصر تينا**، وقد أنتج انزلاق بين البربرية والعربية كلمة **قسنطينة**، ثم أنتج انزلاق ثان الكلمة الفرنسية **Constantine**، في حين اعتبر الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** أن **قصر طينة** كذا يكتب **قسنطينة** أحيانا، وهو تعريب دارج على بعض الألسنة التي تستثقل الاسم الروماني. انظر؛ نذير طيار: **قسنطينة تاريخ اسم**، منشورات الوطن، العلمة، سطيف، 2018، ص 91-94، وانظر أيضا العدواني: **المصدرالسابق**، ص 138.

وزير هارون الرشيد...وتصدقنا عليه بجميع الزاب من ماء ونخيل"[1]. انتقل **أولاد شنوف** جنوبا ليستقروا في أراضيهم الجديدة **بالزاب الشرقي** الذي كان بيد قبيلتي **دريد** و**قرفة** التابعتين اسميا **لسيدي ناجي** حارس ضريح **سيدي عقبة**، والذي انسحب فيما بعد إلى **زريبة الوادي**[2]، ولعل تعامل الأسرة مع **أولاد صولة** المخلصين الأوفياء لزعامتها منذ بداية حكمها لمنطقة **الكاف**[3] هو ما جعل اسمها يرتبط بهؤلاء فأصبحت جزءا منهم، ومهما يكن فقد استطاع **بني شنوف** فرض أنفسهم على **الكاف** ثم على **الزاب الشرقي** بكل قوة[4]، حيث استطاعت الأسرة أن تحافظ على استقلالها بعيد عن السلطة المركزية جاعلة لها حكما خاصا، متخذة من **ليانة** عاصمة لها[5] والتي تعتبر كما يذكر **شاو** أغنى قرية بالزاب وبها يخفي العرب أموالهم وممتلكاتهم الثمينة[6]، ولتقوية نفوذها ارتبطت بتحالفات وعلاقات مصاهرة مع الأسر الصحراوية على غرار **أولاد بوعكاز الذواودة**[7].

ظل **أولاد شنوف** أمام كل التطورات في صمود مستمرين في عدائهم للأتراك، بل أنهم رفضوا لقب **شيخ العرب** الذي اقترحه عليهم بايات قسنطينة في مناسبات عديدة[8]، وبقوا بعيدين في علاقاتهم عن الحكام العثمانيين، وهذا إلى أن دخلت أسرة **بن قانة** الزاب أين بدأ الشقاق يعصف ببيت **بني شنوف**[9]، فرغم الوحدة التي كانت سمة عائلية لازمت مختلف فروع العائلة لفترات زمنية طويلة، فقد شهد البيت صعوبات داخلية، انتهت بانقسامه إلى إلى فرعين متناحرين: **أولاد بوضياف** الذين استأثروا بالامتيازات ولازمهم لقب **بني شنوف**؛ ناصروا "**بن قانة**"، وفرع **بوعبد الله بن فرحات** الذي وقف في وجه عمه **بوضياف**؛ والذي لجأ مع تزايد حدة الخلاف إلى **سيدي عقبة** منفصلا إلى الأبد عن بني عمومته؛ واقفا مع الخصوم أي مع عائلة **بوعكاز**[10]، حيث أقحموا في الصراع الذي نشب بين **آل بوعكاز** وأسرة **بن قانة**، فقد ساندت عرب الشراقة وأولاد عبد النور وأولاد سحنون و**بني شنوف-فرع بوعبد الله- آل بوعكاز**[11]، وقد حاول **أحمد باي بن شنوف** أحد زعامات هذا الفرع الذي كان يقود الزاب الشرقي عام 1830؛ الثأر من أسرة **بن قانة** التي قتلت والده[12]، وبذلك دب الضعف واستشرى الوهن في أوصال بيت **آل شنوف** إلى أن انتهى أمره وفقد نفوذه تدريجيا.

---

[1]-Féraud (Charles): «**Les descendant D'un personnage …**», Op.cit, P 06.

[2]- Féraud (Charles) : IBID, P 14.

[3]- Gouvion(E),(M) : « **Les Ben chennouf Belbeys…..**»,Op.cit, P : 04.

[4]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق..**، **المرجع السابق**، ص 99.

[5]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق..**، **المرجع نفسه**، ص 101.

[6]-Thomas Shaw: **Op.cit**, P 216.

[7]-Féraud (Charles): «**Les descendant D'un personnage …**»، Op.cit, P 14.

[8]- Gouvion(E), (M) : « **Les Ben chennouf Belbeys… »,** Op.cit, P 05.

[9]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق..**، **المرجع السابق**، ص 102.

[10]- Gouvion(E), (M) : « **Les Ben chennouf Belbeys… »,** Op.cit, PP 05,06.

[11]- محمد العربي حرز الله: **الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930**، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص 68.

[12]- صالح فركوس: **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871**، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص 297.

ج–أولاد بليل وأولاد سعيد:

عرف الشرق الجزائري حراكا بشريا تجلى في حلول العديد من القبائل والجماعات التي تجاوزت الحدود قادمة من الأراضي التونسية خلال هذه الفترة أو بزمن قصير أي قبل دخول العثمانيين المنطقة، حيث استقرت قبائل بالتراب الجزائري كانت مواطنها سابقا بالتراب التونسي[1]، ومن القبائل التي وضعت عصا التسيار شرق بايلك قسنطينة أولاد سعيد وأولاد بليل اللتان كانتا في صراع ومناوئة للحكم؛ ما عرضها للمطاردة من طرف سليل المتنافسين **محمد باشا** نتيجة الاضطرابات، فساحت في التراب الجزائري حيث استقرت في الجزء الشرقي من مقاطعة قسنطينة لمدة ناهزت نصف قرن؛ رافضين الانصياع للهدنة والمصالحة، ما أثر على الحركة التجارية حيث اضطر التجار إلى الاستعانة بحماية لتوفير أمنهم وسلامتهم لقاء مقابل مادي أثناء تنقلاتهم وحراكهم، ولم تعد إلى أراضيها إلا في القرن 18م[2].أما قبيلة **أولاد بليل** التي كانت تقطن طرابلس خلال القرن 14م (وبالضبط عام 1321م)، فقد انتقلت إلى تونس حيث استقرت خلال القرن 16م بالمرتفعات المحيطة بباجة[3]، والتي أعلنت الثورة من جديد ضد الأتراك عام 1640 بمعية حلفائها أولاد حمزة وأولاد صولة، فاضطرت القبيلة إلى الانتقال نحو الغرب والاستقرار في نهاية المطاف على الحدود الغربية لمقاطعة قسنطينة، وتمركزوا لاحقا **بسهل حمزة** فترة الاحتلال الفرنسي؛ حيث لا تزال من القبائل النيلة القوية بالجزائر[4].

أدت التغيرات الجغراسياسية بالمغرب الأوسط عام 1518 وما انجر عنها إلى إحداث تحركات وتنقلات بشرية متراكمة بحراك أعداد من القبائل؛ على غرار **أولاد سعيد** من أجل البحث عن تأجير لقدراتهم الحربية بعد اضطراب التبادلات التجارية بجنوب قسنطينة، ولعل بعضهم نجح في الحصول على ما يشبه الإقطاعات في بعض المناطق، وتمتعوا بمراكز نفوذ سلطوي داخلها، ما مكنهم من فرض أنفسهم على تلك الأقاليم عارضين على سكانها حمايتهم وعلى السلطة خدمتها[5]، ذلك أن قبيلة **أولاد سعيد** أقامت تفوقها على تنظيمها الحربي، فأفرادها محاربون بالسليقة؛ لذا عاشت هذه القبيلة من الحرب ومن المداخيل ذات الطبيعة السيادية التي فرضتها على السكان المسالمين[6]، فهم يخترقون فضاءات متعددة، ويوظفون الإتاوات على المناطق الحضرية والريفية[7]، وهو ما دفع البايات المراديون إلى تسخير قوة كبيرة لمطاردة هذه القبيلة؛ التي تمكنوا من كسر شوكتها في النهاية[8]، وأمام تزايد ضغوط المخزن التونسي فضلت التراجع من جديد إلى الأراضي الجزائرية منذ أواسط القرن 17م، إذ يشير **العدواني** الذي عاش في نفس الفترة إلى قدوم **أولاد سعيد** من الأراضي التونسية ونزولهم واستقرارهم بالأوراس عقب خروج عائلات أوراسية إلى السهل[9]، كما عرفت القبيلة حراكا بشريا

---

[1] -Carette(E) : **Origine et migration dés principales tribus de l'Algérie**, Op.cit, P 429-430.

[2]- Ernest Mercier : **Op.cit**, P 236.

[3]- Elie de primaudie (F): **« Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique 1505-1574 »,** In R.A, N° 21, 1877, P 216.

[4]- Carette(E) : **Origine et migration dés principales tribus**…Op.cit, P 430.

[5]– محمد التايب: **السلوك السياسي للقبيلة بتونس في العهد الحديث أولاد سعيد بين الولاء والمقاومة–عائلة الواعر نموذجا (1864–1881)**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2009، ص 69–70.

[6]- Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie …** Op.cit**,** T 1, P 60.

[7]– فاطمة بن سليمان: الأرض **والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574–1881)**، **المرجع السابق**، ص 147.

[8]- Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie … Op.cit,** T 1, P 60.

[9]– محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 336–337.

نحو الأراضي الجزائرية خلال القرن 18م والذي جاء في أعقاب هزيمة الباي **إبراهيم الشريف** أمام أتراك الجزائر في أفريل 1705، إذ يقول صاحب **الخلاصة النقية:" وحين تراءى الجمعان فرت عنه–ابراهيم الشريف– أولاد سعيد وكثير من الأعراب إلى الجزائريين"**[1]، وهناك من يتجاوز مسألة حراك القبيلة إلى جعل فرضية انحدار أولاد سعيد من طرود؛ احتمال قابل للتأكيد بحكم الحركية الكبيرة لهذه القبيلة؛ رابطا ذلك بمروية **العدواني** الذي تحدث انبثاق فصيل **أولاد سعود** عن كنفدرالية طرود، وهذا في سياق سرده للمواجهة التي وضعت وجها لوجه الشابية ضد طرود[2]، حيث تلتقي مروية **العدواني** في تحديد الجذور الإثنية لأولاد سعيد مع رواية شفوية لأحد شيوخ القوم من فرقة "**حكيم**" العربية السليمية، وتفيد هذه الرواية بأن "**سعيد**" كان له شقيقان "**يعقوب**" و"**حكيم**" اتجه الإخوة بعد خروجهم عن موطنهم ومن قبيلة طرود نحو بلاد الجريد، حيث قام **يعقوب** بتأسيس عرش **أولاد زيد**، أما **حكيم** و**سعيد** فقد انطلقا إلى جهة القيروان حيث استقرا هناك واكتسبا وجاهة وثراء، وأصبح **سعيد** شيخ إخوته **بالنفيظة**، ويتغلب أبناءه على أبناء أخيه بعد وفاتهما[3].

ونستطيع الاستدلال على وجود ارتباط مجالي ترابي لأولاد سعيد بنواتهم المجالية الأولى بالبلاد الجزائرية؛ بما تذكره وثيقة أرشيفية تونسية تعود إلى النصف الثاني من القرن 19م، عن سماح السلطات الفرنسية بالجزائر **لستة (06) بيوت من هذه العشيرة بالرجوع إلى وطنهم بأرض الجزائر، وقبولها للمطلب الذي قدموه** بالشرطين الآتيين: **الأول** أنهم لا يكونون معاقبين من الجنايات الخصوصية، **الثاني لما كانت أرضهم التي كانوا بها تحت الحجر فإنهم ينزلون بقدر ما أمكن من البعد على الحدادة بأرض تبسة**[4]، لذلك بقيت ازدواجية الولاء والحضور بالمجالين حاضرة في مخيال وذاكرة أولاد سعيد لفترت زمنية متأخرة.

د–الهمامة:

تنتسب قبيلة **الهمامة** لأصول هلالية رياحية، فهي من الأقوام التي جاءت **تونس** ضمن الزحف الهلالي خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وقد هاجرت من في البداية إلى **المغرب** ثم عادت إلى **تونس** في القرن 16م أي في فترة انتصاب الحكم العثماني بالإيالة[5]، وتنقسم قبيلة **الهمامة** – على ضوء ما هو مجمع عليه وثائقيا– إلى ثلاثة عروش كبرى هي: **أولاد عزيز، أولاد معمر، وأولاد رضوان** وبعض المجموعات القبلية الأخرى التي تعيش في إطارها منذ زمن بعيد مثل **القمامدة** و**الحوامد** و**أولاد سيدي بوزيد** و**أولاد سيدي سليمان**، ويشرف على هذه العروش ثلاث قياد [6]، ويذهب البعض بالقول أن أرض **بني همام** كانت قرب بلاد بسكرة من عمالة الجزائر، والمكان الذي قدموا منه هو السبب في تسميتهم بالهمامة[7]، ويشمل مجال الهمامة الجهة الشمالية الغربية من الجنوب والوسط للبلاد التونسية، ويبدأ هذا المجال

---

[1]– الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، المصدر السابق، ص 239.

[2]– محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 317

[3]– نورة الوسلاتي: **المروية القبلية بين المعرفة التاريخية والدراسات التراثية**، المرجع السابق، ص 143.

[4]– محمد التايب: **المرجع السابق**، ص 70.

[5]- Jean Ganiage : **Op.cit**, 115.

[6]– سالم لبيض: **مجتمع القبيلة وتحولاته في تونس**، المرجع السابق، ص 78.

[7]– علي الصالح بن عمارة العزري: **المرجع السابق**، ص 65.

من شرقي بلاد الجريد ويمتد شمالا إلى حدود ماجر والفراشيش؛ ثم يواصل شرقا حتى الحد مع جلاص؛ ثم يمتد جنوبا حتى الحد مع العيايشة ويلامس بني زيد في السباسب السفلى[1]، حيث تقيم على حدود الصحراء ما يفرض عليها نمطا من العيش قائما بدرجة كبيرة على أساس التنقل والترحال ويجعلها بالتالي بالنظر إلى تشتت أعضائها وعدم انصهارهم ضمن إطار جغرافي قار ومحدود؛ متشبثة بالجنيالوجيا القبلية ومحافظة عليها باعتبارها الرابطة الوحيدة المتبقية [2]، وتمتد أراضيهم في الجنوب الغربي للإيالة حول مدينة قفصة، تعيش من تربية الأغنام وزراعة الحبوب، وقد جبلت القبيلة على قيادة القوافل والتحكم بالمسالك المؤدية من القيروان وصفاقس إلى الواحات التونسية والجزائرية [3].

كان لتردي أوضاع الإيالة سواء القحط أوحملات البايات الدموية وشراسة القياد وتصاعد الفقر والخصاصة وقحالة الأرض التي لا تصلح في الغالب للمرعى أثر في حراك القبيلة كنتيجة حتمية بالهجرة إلى الجزائر وتحديدا **سوف**[4]، وهذه الظروف الاقتصادية لربما هي التي دفعت عروش الهمامة إلى الإغارة وقطع الطريق[5]، حيث يشير **بليسييه** "**Pellissier**" أن أعمال السرقة والنهب التي قام بها أبناء القبيلة وصلت إلى حدود ساحل صفاقس وحتى إلى سوسة[6]، لذلك كان الماء والكلأ ولقمة العيش قضية الهمامة الكبرى والحراك- تبعا لذلك- محددا لمصيرهم سواء كان حراكا محليا داخل أرضهم أو النزوح إلى إفريقية...أو حراكا خارجيا بالهجرة أحيانا إلى سوف[7]، وعلاقتهم بسوف على وجه الخصوص قديمة، إذ يشير **العدواني** في خضم حديثه عن استيلاء طرود على قصور عدوان إلى الهمامة؛ إذ نجده يتحدث في مرويته عن الدعم الذي قدمته الهمامة لعدوان في حربها مع طرود، حيث اعتبر بني همام منهم، ويعزى هذا حسب اعتقادنا إلى الأخوة وعلاقات القرابة بحكم المصاهرات القائمة بينهما، إذ يقول:" **حتى ظهرت لنا راية من نفطة، فانكشفت عن مائتين من الخيل وثلاثمائة راجل، والناس قد تعبوا. فلما نظرنا إليهم عرفناهم أنهم منا، وأنهم من نسل همام الحميري المعروفين بالهمامة. وقمنا بأجمعنا إليهم[إلى طرود طبعا]...**"[8].

وما يعكس لنا الاندماج وتداخل الأصول بحكم المصاهرات وتعدد الأعراق وتشابك الأنساب واختلاط الدماء نجد عرش **الخدمة** من **أولاد سالم بن محمد** أحد عروش **الهمامة**، قدم من بلد سوف الواقعة غربي نفطة إحدى واحات الجريد، وعرش **أولاد عيوني بن معمر بن منصور** الذين يعودون في أصولهم إلى عروش **النمامشة** التابعة لعمالة الجزائر[9]، كما كانت **سوف** قبلة لحراك **بني همام** لفترت عديدة، فقد استقبلت سوف أبناء الهمامة القادمين من نفطة والذين ناهز عددهم قرابة 500 أسرة، حيث دامت إقامتهم بالوادي وبعض قرى سوف قرابة الشهرين، وقد سمح لهم بالعودة إلى

---

[1]- مسعود الضاوي: **المرجع السابق**، ص 91-92.

[2]- الأخضر النصيري: "**القبيلة في الأبحاث التاريخية والأنتروبولوجية والسوسيولوجية**"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 190، تونس، فيراير 2008، ص 56.

[3]- خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 110.

[4]- علي الصالح بن عمارة العزري: **المرجع السابق**، ص 39-40.

[5]- سالم لبيض: **مجتمع القبيلة وتحولاته في تونس**، المرجع السابق، ص 78.

[6]- Pellissier. E : **Op.cit**, P129.

[7]- الضاوي خوالدية: **قبيلة الهمامة في النصف الأول من القرن العشرين (1881-1950) بين سندان الحسينيين ومطرقة الفرنسيين**، مطبعة دنيا برانت، سيدي بوزيد، تونس، 2010، ص 19، 20.

[8]- العدواني: **المصدر السابق**، ص 100.

[9]- علي الصالح بن عمارة العزري: **المرجع السابق**، ص ص157، 167.

مواطنهم أمام تدخل قنصل فرنسا بتونس الذي قبل الباي شفاعته فيهم،كما نجد سكان سوف لم يترددوا في الكثير من الأحيان في تقديم العون للهمامة أثناء ملاحقات المخزن التونسي، فرغم العداء الذي استفحل لفترات طويلة بين أهل سوف وبني همام إلا أنهم أغاثوهم وانجدوهم تاركين الأحقاد والضغائن جانبا بحكم ما تقتضيه الأعراف وما تستوجبه ثقافة طلب الإجارة؛ إذ يقول **صاحب الصروف:" إن الهمامة تعاصوا على باي تونس وأرادوا قتله؛ فوجه لهم الباي قوما أشداء تسلطوا عليهم...وفر الباقون إلى سوف فتتبعتهم المحلة...ودخلوا قرى سوف ولما وصلوا إلى الوادي أراد بعض الناس طردهم فمنعهم البعض الآخر قائلين: إنهم أتونا مستجيرين بنا ولا نخيب المستجير وإلا كنا من اللئام. فنزلوا بالصحن الغربي القبلي من ناحية أولاد أحمد ... بخيامهم وإبلهم وأمتعتهم"**[1].

جدول يمثل حراك قبلي مجالي من الأراضي التونسية إلى فضاءات بايلك الشرق[2]

القبائل	أصلها	مكان الاستقرار
قبائل دريد	من تونس	قسنطينة
ولهاصة	من الصحراء التونسية–الجنوب الشرقي التونسي.	دائرة عنابة
الشيابنة	الشمال الغربي لإيالة تونس	دائرة عنابة: جاءت من الإيالة التونسية واستقرت في مجال قبيلة قبيلة أبادها الطاعون (أتى عليها) عام 1816.
بنو مروان	قبيلة تونسية تنحدر في أصولها من **دريد**	دائرة عنابة
أولاد سنان	عرب قدموا من بلاد الجريد	شرق إيالة الجزائر
مرابطين	قبيلة عربية مرابطية أصلهم من بلاد الجريد	القالة
الحنانشة	من تونس	قسنطينة
أولاد بليل	مرتفعات باجة	قسنطينة
أولاد الشيخ	أصلهم من الإيالة التونسية–تونس–.	قسنطينة

ثالثا–مظاهر الاندماج والتماهي القبلي بالمناطق التخومية للإيالتين.

كانت المجموعات الحدودية من الجانبين، كما هو الشأن بالنسبة للعروش في الدواخل؛ توحدها جملة من الممارسات الاجتماعية لعل أبرزها **الإغارة والزيارات المتبادلة** بين الجانبين سواء في إطار المناسبات العائلية أو زيارة أضرحة الأولياء، فقد كانت الحروب والعمليات الإغارية من العادات المألوفة عند السكان التي ما تفتأ أن تتصالح دون اللجوء إلى السلط الحاكمة، كما مثلت **الأماكن المقدسة** مثل مقامات الأولياء والجوامع مناسبة للتزاور والاختلاط بين السكان من الجانبين[3]. لقد كان هذا المجال المشترك بمثابة إشعاع لتجمع بشري في فضاء تلتحم فيه الأرض بالنفوذ، والثروة،

[1]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 321.

[2]- Carette(E): **Origine et migration dés principales tribus**…Op.cit, PP 437,443-448,452.

[3]– فاطمة بن سليمان: الأرض والهوية: **نشوء الدولة الترابية في تونس (1874–1881)**، المرجع السابق، ص 310.

والقدسية[1]؛ فالمجموعات القبلية التخومية ما فتئت تعيش نوعا من التلاحم الاجتماعي والاقتصادي فرضه التداخل المجالي والخصائص المناخية؛ التي أفرزت وحدة المجال الجغرافي والطبيعي، وتشابه نمط العيش والتاريخ المشترك والانسجام الداخلي بين القبائل الحدودية[2]، حيث كانت نقاط التماس بين مفاصل التشكيلات السكانية الممتدة على الساحل التلي أو الصحراوي من الجزائر إلى تونس ثقافية واجتماعية أكثر منها سياسية[3]؛ بحكم الاندماج الذي يأخذ صور التوحد والانصهار الناتج عن الاتصال المباشر والتثاقف القائم على عمليات التأثير والتأثر؛ حيث غابت الخصوصيات وتلاقت الفروق القبلية؛ بحكم التشابه في نمط العيش والتقاسم المشترك للتمثلات المجالية، لذلك جسدت هذه التحركات البشرية البينية تجاذب تخومي بين الإيالتين، فقد كانت الكنفدرالية الصحراوية تضم: **بني زيد** و**الحمارنة** و**الحزم** و**الغرابة** و**النمامشة** و**أولاد سيدي عبيد** و**العيايشية**[4]، واتسمت **المناطق الشمالية الغربية للإيالة التونسية بالتنوع العرقي لكونها فضاء تفاعل مع الجهات الجزائرية الأخرى المتاخمة لها؛ إنها نتاج التلاقح بين الأصول البربرية والأصول العربية والعناصر الدخيلة في أوقات متأخرة من أندلسيين وجزائريين**[5]، كما أن هامش الحرية الذي تمتعت به قبيلة **نهد** كمجموعة تخومية جعلها تعيش على وقع خاص، حيث كان التبادل كثيفا ومتنوعا بينها وبين المجموعات الحدودية المجاورة لها في إيالة تونس مثل **خمير** و**بني مازن** التي تشترك معها في أنماط العيش والثقافة[6].

وما يثبت ثراء التخوم التونسية الجزائرية التركز العمراني الكثيف في المجالات الحدودية، بل التداخل الشديد في التركيبة الإثنوغرافية لتونس والجزائر، من ذلك **أولاد ميمون** و**أولاد يحيى** من القبائل العربية قرب الكاف وقع ترحيلهم من قبل **أولاد شنوف** إلى الجزائر، وفي ذات السياق كانت قبيلة **بجاوة** البربرية قد قدمت إلى تونس من مدينة **بجاية**، أما قبيلة **الحنانشة** فكانت تنتقل بين حدود البلدين، في حين نجد **فرق النمامشة** في حراك بين تبسة وشط الغرسة، **أما منطقة الرقبة ومقعد وخمير فكانت هي الأخرى موطنا لاستقرار الجزائريين**[7]، كما استقرت **بالجريد** عناصر بشرية خلال فترات تاريخية متلاحقة؛ استطاعت أن تسهم بلورة النسيج الاجتماعي والثقافي داخلها؛ مثل **المصاعبة** الذين يرجع أصلهم إلى **طرود**، وبحكم تقاليد التعامل مع **بلاد الجريد** والتواصل مع تلك المناطق؛ استوطنت عشيرة **زبدة طرود** بلاد **الجريد** حيث استقرت في كل من **توزر** و**نفطة** عام 1075هـ/1664م ما يدل على استقرار بعض مكونات **طرود** بهذه الواحات وبقاء باقي المكونات في **وادي سوف**[8]، واندمجت في فرقتي **زبدة** عائلات أخرى وردت من **نفزاوة** وغيرها من قبائل البربر[9].

---

[1]- جاك بيرك: **المغرب الكبير في فترة ما بين الحربين**، تر أحمد خواجة، ط1، معهد تونس للترجمة، تونس، 2022، ص 55.

[2]- إدريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 77.

[3]- احميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 47.

[4] - محمد الحماص: **المرجع السابق**، ص 38.

[5]- أحمد الحمروني: **المرجع السابق**، ص 20.

[6]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية-نشوء الدولة الترابية في تونس (1574-1881)**، المرجع السابق، ص 278.

[7]- عبد القادر سوداني: "**الجزائر والأزمات السياسية في تونس خلال القرنين 18و19م** "، مجلة جيل، العدد 11، لبنان،2017، ص 115.

[8]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص 413.

[9]- إبراهيم خريف: **المرجع السابق**، ص 144.

كان من الطبيعي أن تنتقل مختلف القبائل وفروعها إلى المنطقة حاملة ارثها الثقافي في مختلف تجلياته والذي سيتفاعل بالضرورة مع الإرث الأصلي للجهة خلال استقرار المجموعات البشرية الوافدة في عملية التلاقح العامة، وأن تتناقل الأجيال المتعاقبة حصيلة التراكمات خلال فترات تاريخية متلاحقة[1]، ومن هذه المجموعات عرش **الهوادف** الذي يرجعون لنسب **الهادف بن بلقاسم الفطناسي** الذي غادر الزاب أما ضغط الأتراك على عهد **حسن آغا** أين وضع عصار التسيار بعد حراك طويل بالكاف فالهمامة الذين صاهرهم، ليستقر في نهاية المطاف بتوزر قاعدة بلاد الجريد[2]، حيث أصبح حاكما عليها جاعلا من السلطة متوارثة في عقبه [3]؛ تاركا لهم أموالا وأملاكا متنوعة من دور وضيعات ونخيل ومنقولات، وأصبح لمشيخة الهوادف مكانة ووزن في الجهة[4]، حيث تخلل هذا الحراك تواصل أخوي عكسته صور لتلاحم وتآزر ودعم قبلي تخومي، فقد استقبلت سوف أبناء الهمامة القادمين من نفطة فرارا من ملاحقات المخزن التونسي والذين ناهز عددهم قرابة 500 أسرة، وقد دامت إقامتهم بالوادي وبعض قرى سوف قرابة الشهرين، حيث سمح لهم بالعودة إلى مواطنهم فيما بعد؛ فرغم العداء الذي استفحل لفترات طويلة بين **أهل سوف** و**بني همام** إلا أنهم أغاثوهم وانجدوهم تاركين الأحقاد والضغائن جانبا بحكم ما تقتضيه الأعراف وما تستوجبه ثقافة طلب الإجارة [5]؛ بحكم متانة الصلات الاجتماعية التي حافظت على استمراريتها ولم تنقطع عبر الفترات التاريخية، ولعل هذا ما دفع **شارل فيرو** إلى الإشارة أن أهل **وادي سوف** يعتبرون مدينة **نفطة** التونسية ملكا لهم[6]، وكانت قبيلة **أولاد رياح** من القبائل الهلالية التي اختلطت **بأولاد دريد** و**أولاد عيار** و**جلاص** و**الوسالتية** و**الموانسية** ليتعايش جميعهم في مجالات ترابية متلاصقة، وانضمت إليهم جماعات أخرى انفصلت عن قبائلها الأم؛ وكونوا شتاتا من **الهمامة والنمامشة وغيرهم**[7].

كما استقرت بعض فرق **ماجر** و**الفراشيش** مثل **الحوافظ** و**شقطمة** خارج البلاد التونسية؛ من ذلك أراضي **أولاد يحيى بن طالب** بجهة **تبسة**، وشمل استقرارهم كامل الشرق الجزائري كسوق أهراس وعين البيضاء وأم البواقي[8]، حيث كان المجال الحدودي الحيوي فضاء جغرافيا واجتماعيا أساسه وقوامه شبكة العلاقات القبلية التي ربطت القبائل التونسية **كالفراشيش وماجر والهمامة والزغالمة وأولاد بوغانم وأولاد يعقوب مع القبائل الجزائرية المتاخمة وخاصة أولاد سيدي يحيى بن طالب والنمامشة**، وكان المحدد في هذه العلاقات في أغلب الأحيان بهذا المحيط لا المناخ والتضاريس بل ميزان القوى الديمغرافي والصراع الاجتماعي والسياسي[9]؛ فحراك القبائل التونسية إلى المجال الجغرافي للبلاد الجزائرية واقع

---

[1]- محمد المصمودي: **أنثروبولوجيا الإيقاع في المجال الواحي"واحات الجريد التونسي نموذجا"**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2016، ص 54.

[2]- علي عبد الوهاب خليل: **توزر الجريد وتاريخها المجيد فسحة ثقافية وسياحية**، ط1، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، 2013، ص 58-77.

[3]- Féraud (Ch) **: « Kitab El Adouani ou les Sahara de Constantine et de Tunis »,** in R.S.A.C, Paris, 1868, P 11.

[4]- علي عبد الوهاب خليل: **المرجع السابق**، ص 58-77.

[5]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 321.

[6]-Féraud (Ch) : **« Notes historiques sur la province de Constantine- Les Ben-Djellab Sutlan de Tougort »,** In R.A, Vol 26, Alger, 1882, P 111.

[7]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، **المرجع السابق**، ص 22.

[8]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 64.

[9]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 37.

معيش كما هو الشأن في الجهة المقابلة؛ إذ نجد حراك قبليا عكسيا نحو الفضاء التونسي كتنقلات قبيلة **طرود** من **سوف** وقبيلة **نهد** القريبة من **القالة** إلى الأراضي التونسية، وقد نشأ عن هذا الحراك اختلاط حقيقي بين هذه القبائل المتصارعة حول المجالات الجغرافية التي تقطنها[1].

شكلت النزاعات القبلية شكلا من أشكال التبادل والتواصل بين المجموعات، ذلك أن العمليات الإغارية من العادات المألوفة عند السكان وتعد "**عادة جارية بين العربان من الزمان القديم**"، ويتعذر قطعها لأنها فيهم سجية [2]، حيث كانت الحرب وعمليات الإغارة واقعا معيشا عند السكان في الفضاءات القبلية التخومية، وكانت العروش تتصالح فيما دون اللجوء في الغالب إلى تحكيم السلط الحاكمة في الإيالتين[3]؛ شأنها شأن النزاعات المتواترة على الحدود بين القبائل المتعادية التي تؤدي إلى خلق نوع من الولاء لهذه الدولة أو تلك، فكثيرا ما كانت هذه القبائل تعترف للجزائر بالولاء عند رفض الأطراف الأخرى [4]، لذلك كان التصادم بين سكان مناطق التخوم من ميزات الحياة العادية لتلك الأعراش؛ مثلما كان يجري بين **النمامشة والحنانشة** في الجزائر؛ **وبين زيد والهمامة** في تونس، ويمكن الحكم على هذا اللون من الصراع بأنه كان محكوما إلى العصبية القبلية وإلى طبيعة الحياة القاسية، وإلى طبيعة النظام السياسي القائم في كلا البلدين، والذي كان مجال السيادة فيه ضعيفا[5].

ومن هذه المجموعات القبلية الحدودية التونسية نذكر؛ **أولاد علي، المراسن** و**وشتاتة** التي عرفت بعمليات الإغارة التي كانت تقوم بها ضد القبائل الجزائرية، وكذلك الهجرة إلى التراب الجزائري بمجرد اقتراب مجيء المحلة التي تجمع الجباية[6]؛ فقد جاء في رسالة من قائد تبسة إلى **إبراهيم باي** قسنطينة- بتاريخ 1242هـ/1826م- أن **الزغالمة** النازلين بالفضاء التبسي تقوم بأعمال السلب والنهب والقتل بحق رعيته التي تطالبه بالإسراع لنجدتها ودرء خطرهم مقرين بالعجز عن دفع مضرتهم[7]، وتكرر الأمر على عهد **الحاج أحمد باي باشا قسنطينة** الذي وجه هو الآخر رسالة إلى **سي صالح بن محمد بالضياف** قايد **الزغالمة** يعلمه فيها عن استيلاء الزغالمة على قافلة **أولاد سيدي يحيى** وتطاولهم على رعيته، طالبا منه كفهم عن ذلك وإن لم يفعل سيتدخل بنفسه لتسليط العقاب[8]، وفي رسالة أخرى من **الحاج أحمد** باي إلى قائد الزغالمة يخبره أن عرش **السراردية** سرقوا أربعة جمال وبغل لرعيته نازلين بالقرب منه تحت حمايته[9]، وجاء في رسالة من محمد باي **قسنطية** إلى **حسين باشا باي تونس–** مؤرخة في 09 ربيع الثاني 1241هـ/1825م- أن الهمامة التونسية قد تعدوا على دوارين من عزيب التباسة وقتلوا منهم 20 رجلا، وأنهم أسروا رجلا تبسيا وأتوا على جميع ماله وما احتوى

---

[1]- Berbrugger(A) : **« Des frontières de l'Algérie »**, In R.A, Vol 4, Alger, 1860, P 412.

[2]- إدريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 90.

[3]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574–1881)**، المرجع السابق، ص 310.

[4]- أندري برنيان وآخرون: **المرجع السابق**، ص 143.

[5]- احميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، المرجع السابق، ص 59.

[6]- سالم لبيض: **عكارة في سيوسيولوجيا القبيلة المغاربية**، المرجع السابق، ص 103.

[7]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 13.**

[8]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 78.**

[9]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 87.**

عليه بيته[1]، **والظاهر على ضوء ما تقدم أن عمليات الإغارة المتكررة كانت نمطا حياتيا مألوفا وعادة سائدة لدى ساكنة المناطق الحدودية والفضاءات التخومية؛ اقتضتها الحاجة في ظل الظرفية الطبيعية والحتمية الاقتصادية وتردي الأحوال الاجتماعية احيانا، حيث أضحت في العموم ملمحا من ملامح الانصهار والتماهي القبلي في صورته الأخرى.**

وبالرغم من وجود هذه النزاعات إلا أن الطابع العام المميز للعلاقات القائمة بين قاعدتي الهرم الاجتماعي في البلدين؛ الترابط **بالتحالف والمصاهرة، والمصالح الاقتصادية المتبادلة، والوضع السياسي والثقافي المتشابه بحكم الروابط الحضارية والثقافية وحتى العرقية؛ إذ أن هناك نوع من الانصهار التام، لأن الاختلاط الأسري كان كبيرا بين سكان المناطق الحدودية إلى درجة** القول **بأولاد** الذي يعني وطن هذه الأسرة أو تلك المنتشرة في البلدين، ومنهم **أولاد سيدي عبيد** و**أولاد يعقوب**، و**أولاد رضوان**، و**أولاد مومن**، و**بنو سليم**، و**وشتاتة** و**الجوامع** و**طرود**[2]، ومن علاقات المصاهرة الخارجية التي عقدها **أولاد تليل (بفريانة)** بعد وفاة **أحمد التليلي** نذكر علاقاتهم مع عائلة **صحراوي المرابطية** بجهة **بكارية** التي تعود إلى زمن تأسيس الزاوية؛ فقد تزوج **سي الحطاب التليلي** من ثلاث زوجات من بينهن شقيقتان من **عائلة صحراوي**، كما تزوج أخوه من فتاتين من نفس العائلة، وتندرج هذه المصاهرة **لأولاد تليل** من نساء صحراويات في إطار البحث عن إشعاع خارجي خصوصا بين **النمامشة** و**أولاد عبيد** رغبة في إرساء نوع من المزاوجة الدينية بين الزاويتين[3].

وقد تحولت قبيلة **أولاد سيدي عبيد** تدريجيا **عبر آلية الدمج والانصهار للمجموعات المتواجدة** حول جبل **قنتيس** أو الوافدة عليه، إلى قبيلة متوسطة الحجم؛ ذلك أن العلاقات الجماعية خلال المرحلة التأسيسية انبنت على عنصري القرابة الدموية والبعد التضامني[4]، كما ربطت قبيلة **الحنانشة** بمجال إفريقية علاقات تاريخية **وقرابة دموية مع عروش ونيفة وورغة**[5]، وعرفت القبائل التخومية **كالفراشيش** بالوسط الغربي للبلاد التونسية و**قبائل أولاد سيدي يحيى بن طالب** بالشرق الجزائري حالة من **التقارب** نتجت عنها في كثير من الأحيان حالات **تصاهر وقرابة دموية بين العرشين**، إذ تشير احدى المراسلات الإدارية أن " **أولاد يحيا من عمل تبسة مجاورين للفراشيش وبينهما النسب والاختلاط"**[6]، كما كان **لأهل سوف** علاقات **قرابة بأهل الجريد**، ذلك أن الفضاء الحدودي كان مفتوحا بين البلاد التونسية والجزائر، وكان يتميز بخصوصيات بشرية متداخلة بين القبائل، إذ أن تحرك القبائل في المجال الحدودي كان مرنا؛ ذلك أن الحدود العازلة لم تكن مطروحة بين متساكني هذه المجالات، **فقد كانت تربط العديد من القبائل الحدودية**

---

[1]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:50.**

[2]- أحميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال...**، المرجع السابق، ص 60-61.

[3]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 160-161.

[4]- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي 1830-1890 مسار التفكيك وآليات المقاومة**، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2013، ص 31.

[5]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1874-1881**، المرجع السابق، ص 96.

[6]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 471.

الجزائرية التونسية علاقات نسب[1]، وكان لعشيرة **مسغونة** الواقعة **غربي بني علي بنفطة الجريد** روابط دموية بسكان **سوف** من الجزائر[2]، كما انقسم **الزغالمة** و**أولادبوغانم** إلى قسمين؛ مجموعة تابعة للجزائر وأخرى تعيش على التراب التونسي، لأنها كانت تنتمي في السابق إلى مجموعة قبلية واحدة هي **الحنانشة** أو **هوارة** سابقا[3]، وكثيرة هي الأسر والعائلات التي تعود أصولها إلى الاتحاد الكائن بين القبائل الحدودية في البلدين بفعل الظاهرة، وقد قدم الشيخ **إبراهيم العوامر** شرحا وافيا وتفصيليا كافيا لمختلف العمائر والفصائل المكونة للنسيج الاجتماعي كانموذج فريد عن التلاحم البشري بمنطقة "**سوف**"، ومن أبرزها:

* **عميرة القشاشطة** من قبيلة القرافين التي تنسب إلى الرجل الصالح **أحمد بن قشوط**، وأصله من أبناء **عبيد الشريف ضواحي الجريد**؛ وقد أتى إلى **الوادي** متأخرا وانضم بالمصاهرة للزغابية ومن معهم، وتفرعت عنه الذرية الموجودة الآن بوادي **سوف**، ونجد أيضا **الأميهات**؛ وتنسب إلى محل يقال له **أميهة** قرب نفوسة من **أعمال قابس**، قدم جدهم الأميهي إلى أرض **سوف**، ولهذه العميرة خمسة فصائل أصليات، وخمسة ملحقات، منها **أولاد الميداني من أشراف البهيمة** الذين تعود أصولهم إلى نفطة.

* **عميرة الشراردة**: ينسبون إلى قبيلة **الشبابطة**، وهم ستة فصائل، وأصلهم من توزر التونسية[4]، وتتكون **قرية الجديدة** الجبلية في الفضاء التبسي على غرار بقية القرى المجاورة لقرية **سيدي عبيد** من **خليط قبلي غير متجانس**، يعود جزء كبير من سكان **الجديدة لأصول تونسية وتحديدا من قبائل دريد والشابية والهمامة**، بينما تنحدر أجزاء أخرى من **أولاد معافى** الذين ينحدرون من دائرة بسكرة الواقعة؛ فضلا عن مجموعات متنوعة من **النمامشة** و**أولاد سيدي عبيد** و**السوافة**، وقد ارتبطت هذه المجموعات عبر علاقات متعددة كالتحالف والمصاهرة والمصالح المشتركة[5].

كما شمل التواصل بين الطرفين الميدان الفلاحي، حيث يتداخل نمط العيش الذي يجمع بين الزراعة والرعي في حركية واندماج هذه القبائل التي ارتبطت مصالحها بممارسات اقتصادية في مجال عرف تموجات على أطرافه التخومية، فقد كان **الفراشيش** يحرثون الأرض بالمشاركة مع النمامشة ببكارية وبئر العاتر[6]، حيث تحولت هذه المناطق التخومية التي تتجاذبها أشكال المعاش البدوية إلى مجالات للتنقل والانتجاع، فقد كانت **ورغة التونسية** على حسب العادة والطريقة المعتادة هي الأخرى تقوم **باكتراء أراضي بمجال الحنانشة لحراثتها** لقاء تأدية ما يعرف **الحكر**"كراء سنوي محدد"[7]، وفي المقابل نجد دعم الجزائريين لإخوانهم التونسيين في فلاحة أراضيهم، حيث تشير وثيقة أرشيفية تعود بتاريخها إلى شهر شعبان من عام 1179هـ/ 1765م إلى مقبوض قدمه الجانب التونسي، وتسلمه **الحاج مسعود بن زكري** و**علي فريكح**

---

[1]- ادريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 24، 75.

[2]- النوري نور الدين: "**عشائر مدينة نفطة ومعالمها خلال العهد العثماني**"، مجلة الحوار التوسطي، مج9، العدد 3، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ديسمبر 2018، ص 272.

[3]- فاطمة بن سليمان: الأرض والهوية: **نشوء الدولة الترابية في تونس (1874-1881)**، المرجع السابق، ص 311.

[4]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص ص 346، 349، 355.

[5]- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي 1830-1890**، المرجع السابق، ص 133، 134.

[6]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 73.

[7]- أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:52**.

الجزائريين بلغت قيمته **3300 من الريالات**، وهذا لقاء حق **المائة** (**100**) **ثور** ؛ والتي كانت قد مشت شتاء العام المشار إليه **للحرث في القيروان**[1]، وكانت العروش الحدودية، تعزب في البر الغربي للجزائر، مثل **أنفار خمير** الذين يجعلون سعيهم تحت **نفر من نهد** في بر الجزائر، وكافة ميعاد كبار **بني مازن** الذي يقدمون بأبقارهم إلى **القالة** بحلول موعد الانتجاع، وكان رعي القطيع التونسي في بر الجزائر تقليدا منذ النصف الأول من القرن 19م[2].

كما تنتقل القبائل الصحراوية الجزائرية على غرار طرود للرعي؛ إلا أنها غالبا ما لا تغادر مناطق الجنوب متقاسمة "العرق الشرقي" مع القبائل التونسية والطرابلسية: "**الشعانبة**" و"**التوارق**"[3]، وكانت حاجة القبائل الجبلية في الشمال الغربي لإيالة تونس(**جبال خمير، ورغة**) إلى الأرض ملحة، الأمر الذي يدفعها إلى اكتراء فضاءات العروش التابعة للجزائر بقصد الحرث أو الرعي، كما كانت بعض العروش الجزائرية لا سيما **النمامشة** تنتقل إلى البلاد التونسية بحثا عن الكلأ والمراعي لأنعامها [4]، حيث كانت المنطقة شاهدة على تنقل فروع من **كنفدرالية النمامشة بالقطعان للرعي في مجالات متفق على تبعيتها للفراشيش**[5]، وكما هو الحال أيضا مع قطعان القبيلتين البدوتين **الهمامة التونسية** و**الربايع المرتبطة بواد سوف** في مناطق التماس التخومية[6]. **ويبدو أن هذا الحراك القبلي الحثيث الذي رافق حركة الانتجاع السنوي يعكس لنا غياب مفهوم الحواجز أو الحدود البشرية في المجال الخاص بالإيالتين**، ولربما هذا ما دفع **كاريت** إلى القول أن **أولاد سيدي عبيد**؛ ليسوا في الحقيقة جزائريين ولا تونسيين؛ وذلك لاتباعهم نظام الترحال السنوي على غرار قبائل الجنوب، إذ يقضون الشتاء والربيع بين قريتي **شبكة ونقرين** في سفح الأطلس بإيالة تونس، ثم ينتقلون إلى نواحي **تبسة** بإيالة الجزائر عند حلول فصل الصيف[7]، ومن ذلك عرش **الركاركة** الذي ينسب إلى **ركروك** الابن الأصغر لسيدي **الحمادي** أحد أولاد **سيدي عبيد الأخضر** الذين قدموا من الجزائر واجتمعوا بمناطق مختلفة من البلاد التونسية، ويعتبر **الركاركة** في الأصل من البدو؛ رعاة الإبل وآخر المستقرين **بتوزر الجريد**[8].

كما دفعت الكيالة **أولاد تليل** بفريانة إلى القيام بحراك نحو الشرق الجزائري؛ إذ يشير الشيخ أحمد التليلي في مناقبه أن أهله– أي أولاد تليل– كانوا يتجهون إلى بلاد الزاب بقصد كيل الطعام[9]، وتدين الكاف بازدهارها إلى حد كبير لمبادلاتها مع الجزائر، وكان **الحنانشة** يترددون على سوقها الكبير الذي كان ينتظم كل خميس، وكان تجار تونس يزودون تونس بالبضائع الجزائرية متجاهلين المشاكل الحدودية، وقد كان أهل الجريد ينتقلون في قوافل صغيرة (من 05 إلى 10 جمال)

---

[1]–أ.**و. ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 139**، ص 02.

[2]– صلاح الدين البرهومي: **المرجع السابق**، ص 252.

[3]– نورة الوسلاتي: **تمثل البداوة مقاربات في التاريخ الثقافي بين المغاربي والمحلي**، المرجع السابق، ص 74.

[4]– فاطمة بن سليمان: الأرض والهوية: **نشوء الدولة الترابية في تونس (1874–1881)**، المرجع السابق، ص 309–310.

[5]– عادل النفاتي: **المرجع السابق**، ص 68.

[6]-Rozet et carette : **L'Algérie**, Op.cit, P 01.

[7]– كاريت(إ): **الاستكشاف العلمي للجزائرخلال أعوام 1840، 1841، 1842**...، ج6، المرجع السابق، ص 14.

[8]- Nicolas Puig : **Bédouins Sédentarisés et société citadine à Tozour (Sud-ouest Tunisien),** Editions Karthala et IRMC, Paris, France, 2003, P 50-51.

[9]– محسن التليلي: **الدين والسلطة " بحث في تاريخ التدين الاجتماعي من خلال دراسة ظاهرة الزوايا والطرق والأولياء بالوسط الغربي التونسي"**، ط1، منشورات مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة، سوسة، تونس، جوان 2016، ص 44.

من الجريد إلى تونس وفي الاتجاه المعاكس مرورا بتبسة؛ **إذ يبدو أن الجزائر الشرقية (منطقة قسنطينة وخاصة جهتي تبسة وسوف) قد شكلت إلى حد ما جزءا من هذا الفضاء الاقتصادي التخومي من هذه المنطقة المتحدة**، ويعزى هذا الوضع إلى تقاليد ضاربة في القدم؛ عكستها شبكة القوافل التونسية الجزائرية، ونشاط مواقع التبادل الرئيسية، مثل الكاف وتبسة، وعديد المحطات الحدودية[1]، فقد استقطبت **تبسة** أهالي البلاد التونسية من **القصرين والجريد والفراشيش والهمامة** وكان لأهل الجريد محلات تجارية في المدينة، وفي المقابل كان لأهل **سوف** علاقة متينة **بأهل الجريد**، وكانت **أعراش الخمير** و**الرقبة** ترتاد أسواق **القالة** و**سوق أهراس** القريبة منهم، وبصفة عامة كانت المبادلات تتم في كامل المنطقة الحدودية في كنف الحرية التامة في ظل غياب تام في وعي السكان من الجانبين بوجود حواجز مانعة لتنقلاتهم[2]؛ ذلك أن المبادلات التجارية كانت نشطة في كامل المنطقة الحدودية؛ فقد كانت أسواق الإيالة الجزائرية وخاصة **سوق تبسة** قبلة يؤمها التجار التونسيون[3]، كما أن الجزائريون بدورهم كانوا يؤمون "**سوق الأربعاء بزاوية القصور**"، و**تالة وغيرها من الأسواق الحدودية**[4]، لذلك لم يرتبط حراك القبائل البدوية بالمجالات الترابية في أنماط عيشها؛ بقدر ما اقترن بشبكة التبادلات الاقتصادية القائمة بين مختلف منظومات الإنتاج المتكاملة فيما بينها، حيث قامت الأسواق بدور هام في نسج علاقات التبادل الاقتصادية وغير الاقتصادية، ومثلت نقاط استقطاب لأغلب المجموعات القبلية؛ وفي الآن نفسه زيارة الزوايا والأولياء؛ مع كل ما يكتنف ذلك من تبادل للمعرفة بين عالم القبائل من ناحية أخرى[5]، لذلك احتضن الحيز التخومي –بين الإيالتين– الممتد من طبرقة والقالة شمالا إلى شط الجريد ووادي سوف جنوبا؛ **ومنذ قرون أنشطة اقتصادية متنوعة ومشتركة بين عروش المنطقة الحدودية**؛ وخاصة زراعة الحبوب بالأراضي السهلية الخصبة في منطقة بكارية وبئر العاتر بجهة تبسة، ولم تفقد المنطقة دورها كوسيط تجاري بين سهول مجردة الحبوبية والشرق الجزائري[6].

ومنه يتضح أن الاندماج الاقتصادي يولد بالضرورة اندماجا ثقافيا يتجسد في إحلال قيم جديدة وتلاشي القيم التقليدية، دون إغفال التماهي الديني والذي يتجلى في زيارات الأتباع والمريدين للمشايخ والتبرك بأضرحة الصالحين، ودعمهم لبناء الزوايا وإرسالهم للإعانات والعطايا، فقد كان للعمل الديني المرن والمستجيب للحاجات الإنسانية الذي تولته الزوايا والطرق دور فاعل في جعل الأفراد والقبائل وغيرها من مستويات التركيبة الاجتماعية تنخرط في صلب الحياة الاجتماعية بكيفية إيجابية[7]، حيث ساهم الاشتراك الثقافي والروحي بين التكتلات القبلية، وانتشار الطرق الصوفية– الرحمانية على وجه الخصوص–، وجاذبية المزارات واستقطاب الصلحاء للزائرين والمريدين من الجانبين، في تنشيط الاحتفالات والمواسم الدينية التي لم تنقطع، ما أدخل

---

[1]– خليفة شاطر: **المرجع السابق**، ص 140-145.

[2]– فاطمة بن سليمان: الأرض والهوية: **نشوء الدولة الترابية في تونس (1874–1881)**، المرجع السابق، ص 309.

[3]– ادريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 151.

[4]– إدريس رائسي: **نفسه**، ص 79.

[5]– المنصف التايب: **المرجع السابق**، ص 24-26.

[6]– عادل النفاتي: **المرجع السابق**، ص 68.

[7]– محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 165.

حيوية روحية واجتماعية؛ آلت في الكثير من الأحيان إلى عقد زيجات وتقوية أواصر المصاهرة بين الجانبين، فالتشابك التاريخي والثقافي بين الطرفين الجزائري والتونسي جعل المسألة الحدودية هلامية يصعب ضبطها بخطوط حدودية فاصلة بين ساكنتها[1]، ففي سنة 1736م مر الشيخ **بوعزيز الحناشي** بفريانة في زيارة إلى زاوية الشيخ الولي **أحمد التليلي؛** تبركا ورغبة في الحصول على دعمه ضد حكام تونس، وقد أعقبت هذه الزيارة ولمدة طويلة مساعدات للزاوية، فقد ظل ابنه **إبراهيم** يحتفظ بعلاقات جيدة مع أحفاد الشيخ، ولم يتوقف طيلة فترة حكمه لقبيلة **الحنانشة،** عن إرسال التبرعات والهبات إلى زاوية الشيخ[2]؛ كمظهر من مظاهر الانخراط في الحراك الاجتماعي، وتتمثل هذه الهدايا السنوية المنتظمة التي خص بها **إبراهيم بوعزيز** زاوية **أولاد تليل** في 40 جملا إضافة إلى كميات هامة من الحبوب والمواشي، ويبدو أن هذه المساندة تأتي في إطار ضمان استمرارية النشاط التجاري للحنانشة مع الجهة الغربية للبلاد التونسية وخصوصا مع بلاد الجريد وقفصة[3]، كما أن هذا الدعم يفسر الاحترام الشرعي جدا، ذلك أن هؤلاء الأولياء تعتبرهم العامة محسنين حقيقيين، حيث كانوا يتدخلون في الصراعات بين القبائل الجزائرية والتونسية، فهم يمثلون الصلح والعدل والتسامح، ودائما ما تكون قراراتهم مسموعة ومحل احترام الأطراف المتنازعة لوقارهم وسمو مكانتهم[4]، كما حظيت الزاوية أيضا بأعطيات مشايخ قبائل الحدود على غرار **النمامشة** التي كانت ترسل هي الأخرى سنويا قوافل الحبوب والتمر وقطعان الأغنام والإبل للزاوية[5]، وقد استقطبت **الزاوية التليلية**-تأسست عام 1733م- أبناء المناطق البعيدة من ربوع الوسط الغربي التونسي، وشرق الجزائر، ومن بلاد الجريد، حيث تولت رعايتهم بينما يصرفون هم كل أوقاتهم في الدراسة والتحصيل[6]، وقد نجحت **الزاوية الرحمانية العزوزية** بقيادة **مصطفى بن عزوز** و**القادرية** بقيادة **محمد بن إبراهيم بن أحمد** بالجريد التونسي بتفعيل التواصل الروحي مع منطقة الجنوب الشرقي للجزائر من خلال تعليم وتخريج عدد كبير من المثقفين والمعلمين، وتعميق أواصر الأخوة والصداقة وحسن الجوار، فقد أسهم الحراك بحق في مد جسور العلاقات الاجتماعية بين الشعبين في هذا الفضاء التخومي[7].

لقد كان للزوايا مكانة لدى القبائل المجاورة فمثلا **زاوية التليلي** المشار إليها كانت تجمع حولها فضلا عن **عروش الفراشيش والهمامة وماجر قبائل النمامشة وأولاد سيدي عبيد،** أما في الطرف الشمالي من مجال الفراشيش فكانت **زاوية سيدي علي بن إبراهيم بحيدرة** تستقطب **عروش الحوافظ من الفراشيش والزغالمة وأولاد بوغانم،** وكذلك **قبائل أولاد سيدي يحيى بن طالب وأولاد خيار** من الحراكتة الجزائريين، كما تمثل **الجوانب الاحتفالية الموسمية** المعبر عنها **بالزردة** لحظات هامة في حياة القبائل الحدودية على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وذلك من

---

[1]- عادل النفاتي: **المرجع السابق،** ص 69.

[2]- Sallah Alouani : **Tribus et marabouts …Op.ci,** p 254.

[3]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،** المرجع السابق، ص 149.

[4]- Edmond Doutté : **Notes Sur L'Islam Maghrébin Les marabouts**, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1900, P : 83.

[5]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،** المرجع السابق، ص 152.

[6]- محسن التليلي: **المرجع السابق،** ص 99.

[7]- رضوان شافو: **انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس،** المرجع السابق، ص 10.

خلال تخفيف حدة النزاعات ونزول الإخوان والأتباع ومشاركتهم في إقامة الحضرات والأذكار في وئام وأخوة، فقد مثلت بحق مناسبة للالتقاء والتصالح والتسامح؛ وشكلت فضاء اجتماعيا وتجاريا متميزا، تعقد فيه الصفقات المرتبطة بالأرض أو العشابة، كما تعقد خلالها اتفاقيات المصاهرة[1]، ويصبح الحراك حلا ظرفيا لأن ما يربط رجل القبيلة بوطنه لا يقتصر على الأنشطة الاقتصادية للتمكن من ظروف العيش؛ بل على قبور الأجداد وأضرحة الأولياء في بعدها المعنوي والرمزي [2]، وهو ما يعكس لنا المكانة التي تحظى بها الزوايا في البيئة القبلية باعتبارها مؤسسة مستقلة عن السلطة المركزية تقوم بوظائف اجتماعية وثقافية لا غنى عنها، منها دور التحكيم والوساطة بين الأطراف المتنازعة، وتمتد هذه الوظيفة إلى إسداء التعليم والعلاج وتوفير الملجأ للمظلومين والملاحقين[3].

لقد كان للعمل الديني المرن والمستجيب للحاجات الإنسانية الذي تولته الزوايا والطرق دور فاعل في جعل الأفراد والقبائل وغيرها من مستويات التركيبة الاجتماعية تنخرط في صلب الحياة الاجتماعية بكيفية إيجابية، وفي المقابل لعب **أولاد سيدي عبيد** كمجموعة حدودية **دورا رئيسيا في ربط الصلة بين الإيالتين رغم توتر العلاقات في أغلب الأحيان بين أتراك تونس وأتراك الجزائر على امتداد القرن 17 و18م**، كما أدت القبيلة الولائية دور المصالحة وإصلاح ذات البين، بين قبائل التخوم ولا سيما **النمامشة والهمامة والفراشيش**، التي كانت تعيش حالة من الإغارات والنهب المتبادل[4]، **حيث أضحى اندماج الولي هيكليا واقع معاش في الولاء القبلي**، ورغم أن المجموعات القبلية الحدودية التونسية **كأولاد علي، المراسن ووشتاتة**؛ قد عرفت بالإغارة ضد القبائل الجزائرية؛ إلا أنها كانت في حراك إلى التراب الجزائري بمجرد اقتراب موعد مجيء المحلة [5]، **وفي ظل هذا الحراك القبلي على هامش النشاط التجاري المتنوع وفي صلبه يتم اللقاء والتعارف بين مختلف العائلات والقبائل والأصدقاء والمتعلمين والأميين وغيرهم، فيتم تبادل الأخبار والمعلومات عن شؤون الحياة ومشاغلها، وغالبا ما يصاحب ظاهرة الاجتماع بمناسبة الأسواق والقوافل نشاط المداحين والفداوي والرواة يتعرضون الحكايات والقصص والأشعار، واشتغال المطببين ميدانيا يطببون المرضى ويبيعون الأدوية العشبية وينشرون دعاويهم ونصائحهم**[6].

لقد أضحى فضاء التبادل الاقتصادي بين المجموعات القبلية مجالا للتناظر والتبارز في **الشعر البدوي والريفي والروايات والقصص القبلي**[7]، وتعقد الصفقات المرتبطة بحراثة الأرض أو "العشابة" كما تعقد خلالها اتفاقيات المصاهرة كما ذكرنا، وتصبح أيضا ساحة للتعبير عن المهارات كالفروسية" ويلعب فيها الخيل كعادة الناس" بإطلاق البارود؛ إذ

---

[1]- ادريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 85.

[2]- إبراهيم بن جمعة بلقاسم: **الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1864 إلى 1864م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002، ص 143.

[3]- نور الدين الدقي: **المرجع السيابق**، ص 33.

[4]- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي 1830-1890**، المرجع السابق، ص 23.

[5]- سالم لبض: **مجتمع القبيلة البناء الاجتماعي وتحولاته في تونس**، المرجع السابق، ص 74.

[6]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 45.

[7]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، المرجع السابق، ص 341.

يتنافس **أولاد تليل** و**الحوافظ** و**أولاد عسكر** و**الهمامة** و**النمامشة**[1]؛ دون أن ننسى **علاقات التكافل الاجتماعي والاقتصادي بين الأسر والقبائل والعشائر وحتى العروش** التي تعد من التقاليد الراسخة التي انبنت عليها العادات والتقاليد والأعراف، والتي أعطت لثقافة المجتمع الريفي في هذه المجالات أنساقا ومظاهر متميزة بنوعية فنونها وأنماط تعبيرها عن المشاعر والأحاسيس والأفكار غناء أو شعرا أو قصا؛ فانعكست هذه العادات والتقاليد والأعراف المجتمعية على مختلف مظاهر الثقافة في هذا الفضاء كما في القصص وفي محافل الغناء وغير ذلك؛ بما سيدعم تواصل تلك التقاليد وترسيخها في وجدان الأفراد والجماعات، وفي ذهنيتهم وسلوكهم[2]، وهذا كنتاج للتبدلات التي عرفتها هذه المجموعات على مستوى القوالب الجماعية والرموز الروحية والصيغ التنظيمية التي تقوم على التربية السلوكية والوجدان؛ في مجالات قبلية مفتوحة، **وعليه يمكن القول أن الجانب الثقافي سمح إلى حد ما بتجاوز المجموعة الشعورية القبلية في اتجاه محاولة بناء ما يمكن أن** تسميته "**المجموعة الشعورية الثقافية**"[3]،كما تمثل المواسم مناسبة لانتصاب أسواق نشيطة في الفضاءات القبلية؛ تتخللها ممارسات لأدوار اجتماعية مثل **الزواج والختان واحلال الصلح بين المتنازعين،** وتتم مختلف هذه الأنشطة في إطار طقوس احتفالية تلعب دورا هاما في تمتين العلاقات التضامنية بين المجموعات المحلية وغيرها، وتشكل في الآن ذاته احدى الركائز الهامة التي تبنى عليها ذاكرة المجموعة القبلية[4]. إن هذه الحركية تبرز لنا بما لا يدع مجالا للشك التفاعل الطويل مع البيئة القبلية ونمط الانتاج السائد الذي تحكمت فيه الضرورة الاقتصادية؛ والثقافة البدوية التي تجسمت بوضوح في نمط التفكير والسلوكيات العامة؛ وطبيعة العلاقات الاجتماعية، وهذا يعكس لنا بوضوح عمق التواصل ومتانة الروابط بين المجموعات القبلية في هذا الفضاء التخومي بين الإيالتين.

رابعا–القبيلة المرابطية الولائية "أولاد سيدي عبيد" انموذج الانصهار والانشطار القبلي:

إن قبيلة **أولاد سيدي عبيد** التي استقرت بالفضاء الجغرافي **للنمامشة؛** واحدة من هذه القبائل المرابطية الشريفية الولائية التي تشكلت في القرن 17م في ظل الانهيار العام الذي تمر به المنطقة وانتشار التصوف الشعبي، ويعود تأسيس القبيلة إلى **سيدي عبيد الشارف**[5]؛ الذي تشير شجرة النسب إلى أنه من شريف أصل هاشمي ينحدر من إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن إدريس مؤسس العائلة الإدريسية بالمغرب الأقصى، وينتهي نسبه إلى آل البيت[6]، وينسب **أولاد سيدي عبيد** أنفسهم إلى جدهم الأكبر **عبيد** الذي أتى من الشرق منذ حوالي 25 جيل، واستقر في الصحراء في سفح جبل **فوة،** وبفضل خصاله الحميدة وتأثيره الديني؛ استقرت حوله عائلات كثيرة والتي أصبحت في منعة من القبائل الأخرى التي كانت تسطو عليها، وقد استقر جزء من ذريته في نفس القرية التي دفن فيها؛ والتي يوجد بها ضريحه المعروف بـ" **ضريح سيدي عبيد**" وهو موجود داخل مسجد القرية التي تحمل اسم **سيدي عبيد،** أما الجزء الباقي من ذريته

---

[1]– إدريس رائسي: **المرجع السابق،** ص 85.

[2]– محسن التليلي: **المرجع السابق،** ص 45.

[3]– الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 226.

[4]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس(1574–1881)**، المرجع السابق، ص 341.

[5]– حفيظ طبابي: **من البداوة إلى المنجم**، ط1، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2012، ص 14–15.

[6]- Muratti (P): « **Le maraboutisme ou naissances d'une famille ethnique dans la région de Tébessa** », In R.A, Vol 80, Paris, 1937, P 264.

(**أحفاده من ابنه عبد الملك**) فقد نزح إلى الجهة الشرقية من جبل **فوة** وكون هناك مجموعة مستقلة عن الأولى، واتخذوا اسم **أولاد سيدي عبيد**[1].

استقر هذا الولي الذي ينسب إليه أولاد سيدي عبيد بالجنوب الشرقي للجزائر سنة 1050هـ/1633م بالقرب من هذا الجبل الذي يحمل اسمه أيضا، وقد مكنته خصاله من جذب عائلات كثيرة حوله بقيت لمدة زمنية في مأمن من عمليات الإغارة التي كانت تنظمها القبائل المجاورة فضلا عن إعفائها من الضرائب[2]، فقد كان له محيط ديني ونفوذ وسلطة روحية؛ دفعته في كثير الأحيان إلى قطع خلوته، والانتقال إلى **وادي ريغ** و**سوف** وصولا إلى **الجريد** مجتهدا في **نشر الدين والطريقة القادرية التي أخذها عن أبيه، فالتف حوله جمع كبير لصلاحه وتقواه ورحمته ومعاشرته للفقراء**، فكان الناس يقصدونه لنيل خيره والظفر ببركته؛ والحجيج ليأخذوا مناسك حجهم[3]، ففي حياة الولي **سيدي عبيد** في فترة يصعب تحديدها؛ تسارع إليه أبناء العشائر والقبائل المختلفة، ونخص بالذكر قبائل **دريد** جهة **نفطة**، و**الشابية** حول **قفصة** و**المعافة** من **سوف** الذين اجتمعوا حول **سيدي عبيد** لاتباع تعاليمه الدينية والاستماع لنصائحه الحكيمة[4].

ويتجلى الحراك الولائي في صراع قبلي وضع **سيدي عبيد** وجها لوجه؛ بين قبيلتي **بني زيد** و**الهمامة التونسيتين**، وقد كان لكل قبيلة وليها الناصر والداعم لها: **عبيد للهمامة** أخواله و**قناوة لبني زيد**، إذ تشير الرواية أن قذيفة هائلة من الحجر الجيري انطلقت من جبل **فوة** لتحطم زاوية الولي **قناوة** التي أضحت رمادا، فما كان من مرابط **بني زيد قناوة** إلا أن أسرع على الفور برفقة رعاياه، وانحنى عند قدمي سيدي عبيد معتذرا عن جرأته في منافسته[5]، **فكأن مشيخة القبيلة وقفت عاجزة أمام قدرة الشيخ الصوفي الولي سيدي عبيد**، وقد لعب **أولاد سيدي عبيد كمجموعة حدودية دورا رئيسيا في ربط الصلة بين الإيالتين، وقامت كقبيلة ولائية بمهام نبيلة؛ كالمصالحة وإصلاح ذات البين، بين قبائل التخوم ولا سيما النمامشة والهمامة والفراشيش، التي كانت تعيش حالة من الإغارات والنهب المتبادل**[6]، لذلك أولى الأتراك عناية كبيرة واهتماما خاصا بأولاد **سيدي عبيد** الذين أضحوا قبيلة مرابطية منعزلة في منطقة خطيرة تعج بالاضطرابات والقلاقل[7]، ولأهمية هذه القبيلة الولائية خصها البايات التونسيون بإحسانات سنوية مست كل الفئات من أبناء القبيلة بما في ذلك الخدم والرعاة والسيارة والمرابطين، حيث قدرت بعض الدفاتر الإدارية والجبائية قيمة ما تلقته على عهد **محمد باي** و**علي باي** أبناء **حسين بن علي** بـ: **1205 من الريالات** على فترات امتدت من 1170-1191هـ/ 1756-1777م تخللها انقطاع في سنوات، من ذلك إحسان قيمته **10 ريالات** خص به **المرابط عثمان**

---

[1]-Muratti (P): **IBID,** P 284.

[2]- حفيظ طبابي: **المرجع السابق**، ص 72.

[3]- علي محمد الناصر: **المشجر الفريد في نسب أولاد سيدي عبيد الشريف**، أدليس بلزمة للنشر والترجمة، باتنة، الجزائر، 2020، ص 15.

[4]-Muratti (P): **Op.cit,** P 281.

[5]- Féraud (Ch) : **Notes sur Tébessa**, **Op.cit**, P 467.

[6]- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي** ...، **المرجع السابق**، ص 23.

[7] - Leila Babes**: <u>Mythe D'Origine et Structures Tribales dans Le constantinois sous La domination Turque</u>**, Thèse Doctorat de 3eCycle, Etudes Politiques, Université d'Aix-Marseille, France, 1948, P 128.

بن صالح نقيب زاوية الشيخ سيدي عبيد ربيع 1175هـ/ 1761م[1]. لقد مرت قبيلة أولاد سيد عبيد بعدة مراحل انتهت بتشكيل القبيلة؛ بداية مع العزلة والتزهد الكامل والانقطاع عن الدنيا، فقد جعل الشيخ من **جبل فوة** مكانا للعبادة؛ حيث كان بحق موضع سياحته وانقطاعه، ويروي أحد شواشه **الشيخ محمد بن السوفي** انه انقطع للعبادة به مدة 16 سنة[2]، ثم دخل في علاقة مع سكان البلاد؛ وتعددت كرامات **سيدي عبيد** "علاج المرضى، تفجير العيون، علاج العواقر.."؛ فتجاوزت شهرته الآفاق، وأصبحت خلوته محل زيارة طالبي النصح والبركة مغدقين عليه الهبات والهدايا؛ ما أدى إلى نشأة دوار خلوة الولي، وبناء الزاوية، **وزواج الولي ومن ثمة نشأة عائلة دينية وستنتهي بها تفريعاتها إلى نشأة القبيلة الولائية**، وبوفاة سيدي عبيد حوالي 1080هـ/ 1683م تم بناء ضريح أصبح مزارا للقبيلة والنمامشة[3]، وتقدم ابن أخيه **عبد الملك** على رأس الزاوية ليواصل نشر طريق عمه وشيخه، وأنجب كما تقول الرواية تسعة عشر ولدا، **وبدأت عائلة المرابط عبيد تتشكل؛ ومع مرور الزمن تتشكل القبيلة المرابطية**[4].

لقد كان لسيدي عبيد ابن- وحيد- اسمه **دويب** المكنى **بـ "عبيد الأخضر"** من إمرأة زنجية من **الهمامة**، وقد آثر الاستقرار بعيدا عن **جبل فوة** على طول الحدود التونسية- **بتوزر الجريد**-، وتمتع بمكانة كبيرة من خلال المصاهرات والمعاشرة والتحالفات مع الأسر والبطون[5]، وتبعه في حراكه إلى **توزر** أغلب الأجانب أو الغرباء، وهو ما يفسر وجود عديد الفرق من أصول مختلفة لدى **أولاد سيدي لحمادي**، بينما يتركب أولاد **سيدي عبد الملك**– ابن سيدي **أحمد شقيق سيدي عبيد الشارف**- فقط من أعقاب العائلة الولائية، وبعد وفاة **عبيد الأخضر(دويب)** انتقل ابنه **لحمادي** إلى **نفطة** وجر معه جل المجموعة المقيمة **بتوزر** وستحمل المجموعة المقيمة حوله اسمه، وهكذا انقسم أولاد سيدي عبيد إلى مجموعتين: **أولاد سيدي لحمادي** و**أولاد سيدي عبد الملك**[6].

إن أحفاد سيدي عبيد الشارف تفرق شملهم بوفاته، فارتحل شق مع الابن **"عبيد الأخضر"** إلى **الجريد** قبل العودة إلى ربوع الشمال في طور لاحق تحت اسم **أولاد سيدي عبيد الحمادي**، وقد ظلوا دائما بمنأى عن الخصومات التي كانت تنشب بين الأجوار، وكانوا مع ذلك عرضة لغارات **الهمامة** و**الفراشيش** و**النمامشة**، أما الشق الثاني الذي ينسب إلى **عبد الملك** فهو يحمل **أولاد سيدي عبيد بن عبد الملك**، وقد انتهى بهم المطاف إلى الاستقرار بالإيالة الجزائرية[7]، **وعن طريق هؤلاء المنحدرين من سلالة** الولي **سيدي عبيد** في تراب الإيالتين: **عمارة، عبدالله، عبد الملك (أبناء أحمد بن خضير)، وذويب– ابن سيدي عبيد –** الذي ارتبط به **فرع لحمادي**؛ تشكلت **كنفدرالية أولاد سيدي**

---

[1]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 314-315.

[2]- علي محمد الناصر: **المرجع السابق**، ص 14-15.

[3]- حفيظ طبابي: **المرجع السابق**، ص 72.

[4]- صالح علواني:"**انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين 7-9هـ/15-16م**"، مجلة إنسانيات، العدد 60-61، CRASC، وهران، الجزائر، 2013، ص 7.

[5]-Muratti (P): **Op.cit,** PP 280, 281.

[6]- صالح علواني: **انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية**... المرجع السابق، ص 72.

[7]- محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 21.

عبيد[1].ويتحدث **الناصري** في رحلته أثناء مروره **بتوزر** التونسية عن أولاد سيدي عبيد بن خذير من **أولاد سيدي عبيد الشارف**، ويشير أن له ولذريته بالبلاد التونسية صيت، وذريته كبيرة تقدر بالآلاف، وأنهم محترمين عند الأمراء، ومن صلحائهم المقبورين بتوزر: **سيدي عبيد بن الذيب، سيدي عبد العاطي، سيدي علي الكموني، سيدي أحمد بن عثمان بن أبي القاسم بن الشريط وسيدي عبيد بن عبد المالك**[2]، وفي هذا المجال الجغرافي المحيط بمدينة **توزر** بنيت قبة عام 1738م على ضريح الشيخ **الولي سيدي عبيد الأشتر بن ذويب حفيد سيدي عبيد الأخضر** الذي ينحدر منه فرع ، وقد أضحى هذا الموضع محايد على كل من النمامشة والسوافة والهمامة المنقسمين بالحروب الدائمة، وتحول هذا الحرم المقدس إلى فضاء للتبادل في سلام بين هذه القبائل التي كانت تعرض منتوجاتها من تمور وحبوب[3]، كما أضحى قبر **ركروك –ولي الركاركة– أحد أحفاد سيدي عبيد الأخضر** في **توزر** الذي كان محل توقير وتبجيل هو الآخر؛ قبلة للزيارات العديدة طلبا للأماني ...وأيضا لحضور الزردة..وقد تحول الضريح إلى مزار حيث تقدم القرابين السنوية التي تقام في شهر أوت، ويشارك فيها غالبا أولاد سيدي عبيد الجزائر[4].

وعن أهمية زاوية **سيدي عبيد** يشير العقيد **لويس رين** أنها:"**المعقل الديني والسياسي لأولاد سيدي عبيد وتشمل طلبة الزاوية والرحل من أولاد سيدي عبيد وأنصارهم المتكونين جزئيا قبل 1830م من المهاجرين التونسيين المعروفين بالزغالمة ، زاوية سيدي عبيد بقنتيس..**"[5]، حيث أصبحت من أهم أماكن الحج التي يرتادها السكان في هذه المنطقة، سواء من قبل **التونسيين** أو **الجزائريين**[6]، فقد ساهمت زاوية **سيدي عبيد** الواقعة **بقنتيس** في إعادة تشكيل الفضاء الاجتماعي عبر استقطاب السكان الرحل أو الوافدين من بعيد، وتشكل حولها خليط بشري متنوع وغير متجانس، وفضلا عن السكان المستقرين منذ أزمنة بعيدة، انضافت مجموعات قبلية من **دريد** و**الشابية** و**الهمامة** و**السوافة** و**طرود** و**النمامشة** لما توفره الزاوية من أمن، فضلا عن الخصوبة النسبية للأرض ووفرة الماء، وهو ما ساعد على الاستقطاب الديموغرافي[7]، وقد شهدت الزاوية عديد الإصلاحات وأعيد ترميمها في عدة مناسبات؛ وكان أتراك الجزائر وتونس حريصين على ذلك، حيث أعيد بناء الزاوية سنة 1818 من قبل **شاكر باي قسنطينة**، كما أمر **باي تونس** بإعادة بنائها سنة 1834[8]، وهذا يعكس لنا مكانة الولي لدى السلط السياسية في كل من الجزائر وتونس، ولتاريخية علاقة القرابة بين المجموعات التي تحتل هذه هذه المناطق؛ تتوزع **قبيلة أولاد سيدي عبيد** على تراب الإيالتين وجذورها مشتركة، ولئن وجد ضريح الجد **سيدي عبيد جنوب تبسة** فإن جزءا هاما من القبيلة يتوزع داخل **مجال الفراشيش**[9]، وقد حاول **ركروك ابن سيدي لحمادي(من أحفاد ذويب)** – الذي ارتبط باسمه عرش **الركاركة**؛ آخر المستقرين **بتوزر**

---

[1]-Muratti (P): **Op.cit,** PP 280, 281.

[2]– محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة **الناصرية الكبرى**، ج1، المصدر السابق، ص 252.

[3]-Nicolas Puig: **Op.cit,** P 48-49.

[4]- Nicolas Puig: **Ibid,** P 50.

[5]- Louis Rinn: **Le royaume D'Alger sous le dernier deys**, Op.cit, P 125.

[6]-Trumlet (C): **Op.cit,** P 244.

[7]– الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي ...، المرجع السابق**، ص 63.

[8]– محمود براهم: **سيرة الشيخ سيدي عبيد الشريف والتأثير الديني والجهادي لزاويته**، الجزائر، 2005، ص 95.

[9]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 474.

الذين يعتبرون في الأصل من البدو-إعادة ربط المنحدرين من سلالته (الأبناء) بأرومتهم ومجالهم الأصلي في الجزائر أي بذرية الولي (سيدي عبيد)، وهذا من أجل كسب السلطة والهيبة، ذلك أن أراضي العرش شكلت نقطة هامة في هذا الفضاء المتقاطع؛ الذي دمجت فيه مدينة توزر في المجالات المقدسة قرابة القرنين[1].

يحتل أولاد سيدي عبيد المقيمين بالبلاد الجزائرية كامل المجال الواقع جنوب مدينة تبسة، ويضم هذا الفضاء قرية **قنتيس** التي تقع على حوالي 100 كلم غرب تبسة؛ حيث تتركز الزاوية الأم التي تحتضن ضريح الجد **سيدي عبيد الشارف وأحفاده**، وتعتبر مناطق **بئر العاتر** و**بكارية** و**الماء الأبيض** و**صفصاف الوسر** و**بئر أم علي** وهي مناطق حدودية أيضا ديارا لأولاد سيدي عبيد، وهي أكبر مساحة وأكثر كثافة سكانية من قنتيس، وفي البلاد التونسية أين يتجلى الفضاء الطرفي؛ يتوزع أولاد **سيدي عبيد** بين **شطي الغرسة** و**الجريد**، والواحات الجبلية المتمثلة **تمغزة** و**ميداس** و**الشبيكة**، وتعد **الرديف** المدينة المنجمية مقر استقرارهم الرئيس وعاصمتهم[2]، وتؤكد المصادر التي أرخت **لأولاد سيدي عبيد** أن أراضي القبيلة **حيادية وأرض تحكيم وصلح بين القبائل المتنازعة** ومنطقة تبادل سلع مختلف القبائل المتصارعة **كالنمامشة والفراشيش والهمامة والسوافة**؛ حيث تعرض أقمشتها وتمورها وحبوبها في أمن وسلام بمحاذاة حرم الولي، كما جلب الحج المتكرر للضريح المقدس مئات الحجيج، وفي محيطه تتم تسوية الخلافات بين الأفراد وبين العشائر من قبل أحفاد الولي سيدي عبيد الذين قاموا بتدوين الأحكام التي دونها سلفهم في حياته، والتي أضحت قانونا حقيقيا يحتكمون إليه[3]، وهذا لما يوفره المكان من ضمانة أخلاقية تمكن العشائر المتنازعة من الاجتماع، لأن ذلك يتم في مقر الزاوية قرب الضريح وما جاوره حرم لا يجوز التنازع داخله- فضريح الولي وقبره مزار يحرم فيه القتال-، لهذا السبب تشيد المخازن وتقام الأسواق وتمر المسالك بجوارها، وقد جعل هذا الحياد الزاوية فوق كل نزاع يؤهلها للقيام بالتحكيم...إن زاوية **سيدي عبيد** تقوم بوظيفة الفصل والحكم بين القبائل والعشائر لكونها نقطة حدودية تساعد سلطة القبلية المعنوية على إرساء المعاهدات التي تحدد قواعد الانتجاع، كما أن وجودها في مناطق الحدود يسهل كذلك المبادلات التجارية[4].

إن كنا لا نملك معطيات مفصلة ودقيقة عن عدد أفراد القبيلة بشقيها **التونسي**"**أولاد سيدي لحمادي**" و**الجزائري** "**أولاد سيدي عبد الملك**" ولا عن حجم ثروتها؛ فإن ما توفر لدينا من معلومات متناثرة تشير إلى الضعف العددي والأهمية النسبية للثروة؛ ما جعل القبيلة في سنوات المسغبة وفي ظل انخرام الأوضاع الأمنية وهيمنة الأحلاف القبلية؛ عرضة لعديد الغارات من والسلب والنهب، حيث خسرت القبيلة جزء من ثروتها بل ودفعت أحيانا ضريبة الدم للحفاظ عليها، وفي المقابل ستستفيد القبيلة من امتيازات قدمتها لها السلطة العثمانية بالجزائر وتونس؛ إذ تم إعفائها من دفع ضريبة **المجبى** و**الحكر** لأنها كانت دوما في خدمة الدولة العثمانية (الدعاء وقراءة الفاتحة)...وحتى بعد احتلال **تبسة** عام 1846م وفرار سيدي **عبد الملك** إلى الأراضي التونسية؛ فإن حكومة الباي ستمكنهم من هذا الإعفاء لأسباب سياسية[5].

---

[1]- Nicolas Puig : **Op.cit,** PP 51,52.

[2]- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي ...**، **المرجع السابق**، ص 22.

[3]- Muratti(P): « **Le maraboutisme ou naissances d'une famille ethnique ...** », Op.cit, P 283.

[4]- حفيظ طبابي: **المرجع السابق**، ص 75.

[5]- حفيظ طبابي: **المرجع نفسه**، ص 76-77.

يبدو أن الحراك الفيزيقي القبلي في الفضاءات الجغرافية للإيالتين؛ قد خلق تلاحما مجتمعيا وتلاقحا ثقافيا بين الساكنة؛ في ظل ضبابية بل عدمية الحدود الفاصلة في مخيال الجماعات والتكتلات القبلية الطرفية رغم محاولات المخزن تحييز المجالات واحتواء هذه القوى ذات الوزن الديمغرافي والاقتصادي الهام؛ ذلك أن التخوم كانت محددة بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا، كما أن الولاء الذي يضبط هويتها لم يكن ثابتا دائما لسلطة حاكمة بعينها، وهو ما أسهم في بلورة الخصائص المحلية للمجتمعات القبلية التخومية التي أسهمت في تحقيق الاندماج الاجتماعي والثقافي البيني.

الفصل الخامس: من صور الحراك الاجتماعي البيني "المصاهرات والإحسانات والاهتمام بالشؤون الاجتماعية "

أولا–المصاهرات.

ثانيا–الإحسانات والهدايا.

ثالثا–اهتمامات الحكام بالصلات الاجتماعية بين البلدين.

رابعا–الاشتراك والتشابه في العادات والتقاليد.

إن سكان الإيالتين توحدهم جملة من الممارسات الاجتماعية التي شكلت الحافز الأساسي للحراك القائم، من ذلك علاقات القربى التي ظلت حاضرة بين الأسر والعروش أو بحكم الأواصر التي كانت تنشأ عن التحالفات بين القبائل ضد بعضها البعض أو ضد الحكام، حيث ساهم القرب الجغرافي والتداخل الشديد في التركيبة الاثنوغرافية والتماثل في العاداات والتقاليد خلال الفترة العثمانية في ربط المجتمعين الجزائري والتونسي، ولم تكن مظاهر الاندماج والتفاعل الاجتماعي قاصرة على حركة السكان...بل جسدتها صلات وروابط الأخوة....التي عكستها تجليات عديدة لامست جوانب مختلفة... فما هي الصور والملامح التي جسدت لنا روح التواصل والتعاضد والتآزر والتضامن القائم بين أبناء الشعبين؟ وإلى أي مدى أسهم حكام البلدين في تقوية هذه الروابط الاجتماعية؟

أولا–المصاهرات:

تتولد عن الحراك ممارسات ثقافية تشهد على نحو أفضل جانبا من جوانب تجليات الحراك الاجتماعي، والتي تأخذ أشكالا منها المصاهرات؛ التي غالبا ما كانت منطلقا لارتباطات اقتصادية وسياسية مؤثرة؛ تعكس لنا درجة الانصهار واندماج المجتمعات من خلال التركيبات الاثنية التي حولت الانتماء الجغرافي إلى انتماء دمي؛ فتقاليد التصاهر الناتجة عن الحراك البشري تحمل لنا أحيانا أقوى دلالة على غياب الوعي بالحدود [1]، وفي ظل علاقات المصاهرة يتم التكافل وتتماهى التكتلات الاجتماعية المتقاطعة، ومنها يستمد الزواج طابعه الأساسي الذي ينتج عن وظيفته الاجتماعية أكثر من وظيفته الفردية، لأن الأولى سادت طويلا في التاريخ على حساب الثانية؛ إذ يحيل مفهوم المصاهرة إلى إقامة علاقات قرابة دموية بين الجماعات البشرية بهدف التقرب من بعضها البعض والالتحام بما يخدم أهدافا، وقد كان الزواج ولا يزال هو الطريقة الوحيدة التي تتبادل بها الجماعات النساء، لذا فإنه يعبر بالدرجة الأولى في هذا السياق عن علاقات قد تكون للمصاهرة أو الإقصاء، ويؤسس لعلاقات تكافل أخرى بل أكثر من ذلك، ويشكل تكتلات اجتماعية جديدة [2]، حيث تنشأ عن الزواج علاقات تقارب وقنوات اتصال بحكم اختلاط النسل والدم في الأجيال الناشئة عن هذه الروابط الزوجية...ويكون المستوى الاجتماعي غالبا محددا لنوعية العائلة التي يتم الاقتران بها، وتتم المصاهرات غالبا ما بين عائلات من مستوى اجتماعي متقارب من حيث الوجاهة والإمكانيات المادية والوسط المهني، وكذلك التجاور في الإقامة داخل المدينة والقرية...وهذا ما يجعل المجال مفتوحا على مستوى الخطاب والممارسة لاختيار الزواج خارج العائلة الموسعة وحتى خارج العرش، إذ يسمح الزواج الخارجي بانفتاح العائلات على أوساط أخرى لا ترتبط معها بعلاقات القرابة الدموية[3]، وإن وجود الزيجات الوافدات التي يعدن بأصولهن إلى مناطق خارجة عن البلاد سواء بالجزائر أو بتونس؛ يعتبر مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية داخل المدن الكبرى بالإيالتين، **ومن خلالها يمكن معرفة مستوى انفتاح كل بلد على محيطه المحلي والخارجي، ومعرفة المجالات الجغرافية التي تفاعل معها ثقافيا واجتماعيا**[4].

---

[1]– محمد سعيد: **المرجع السابق**، ص 38

[2]- Tayeb Chentouf**: Etudes d'histoire de l'Algérie 18e et 19e siecles,** O. P. U, Alger, 2010, p129-130.

[3]– مصطفى التليلي: **قفصة والقرى الواحية المجاورة حول الحياة الجماعوية (من بداية القرن 18 إلى 1881)**، نشر وتوزيع جمعية صيانة مدينة قفصة، المطبعة سنباكت، جوان 2009، ص ص 274، 277.

[4]– خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 105.

تعتبر المصاهرات أجلى صورة من صور الحراك الاجتماعي بين شعبي الإيالتين؛ التي وطدت الصلات وزادت في التقارب، حيث ارتبط الجزائريون والتونسيون بعلاقات نسب؛ تقلصت من خلالها الحواجز والمسافات بين العائلات بفعل المصاهرات بالخصوص، ولم يعد للتزاوج في محيط العائلة الضيق أي معنى، وبالتأمل في شبكة المصاهرات التي ربطت عائلات مدينة تونس في زمن كانت فيه الزيجات تخضع لاعتبارات الحسب والنسب، تظهر هذه الشبكة – لكثافتها وتداخلها- وكأنها غابة من الأغصان المتشابكة والفروع المتداخلة إلى حد منتصف القرن التاسع عشر، حيث جمعت شبكة المصاهرات عائلات؛ **النيفر** التي ارتبطت مع عائلات كعائلة **الطرودي والعنابي**، وعائلتي **الأخوة والجلولي** اللتان تصاهرتا مع **عائلة القسنطيني**، دون أن ننسى عائلة **الرصاع التلمسانية** التي ارتبطت في مصاهرة بعائلات تونسية **كالعصفوري، القفصي، التركي، المبزع، الزواري، الدرناوي، زروق، بن شعبان قلالو، كشير، الطبربي، الخلصي**[1].

وفي المقابل تزوج في **قسنطينة** بعض السكان الذين ينسبون إلى مناطق مختلفة بالبلاد التونسية؛ على غرار **صفاقس وقفصة والكاف** في تونس، أو إلى **قبائل تونسية** أو لها فروع في تونس مثل **ورغمة والهمامة ودريد** أو إلى مناطق مثل جبل **وسلات** الذي كان لأهله مواقف مساندة لعلي باشا ضد حسين بن علي وأبنائه من بعده [2]، حيث تم تسجيل نماذج لمصاهرات أخذت صبغة وطابعا تواصليا اجتماعيا بحتا، والتي عمقت وشائج القربى وحبال الصلات بين الشعبين، حيث أوردت سجلات المحاكم الشرعية بعض الوافدات من التونسيات اللائي تزوجن من جزائريين، ومن المناطق التي ثبت قدوم نساء تونسيات منها: **تونس، جربة، تطاوين**، وقد أورد الباحث **خليفة حماش** في دراسته المتعلقة بالأسرة نماذج عن الزوجات الوافدات على العاصمة من داخل الإيالة الجزائرية وخارجها على غرار **خديجة بنت...التونسي** التي تزوجت من **ابراهيم بن محمد المقايسي**، و**ارتبطت التطاونية بمحمد بن كسيمة**، و**خديجة بنت** السيد **محمد الغجلي التطاونية** التي تزوجت بالسيد **عبد الله بن محمد الغماري**[3]، وجاء في إحدى الوثائق التي ترجع بتاريخها إلى أوائل صفر عام 1074هـ/1663م ذكر للمكرم **يحيى بن عمر الجربي** المدعو **حواس** الذي توفي عن زوجه الولية **راضية بنت**...والذي أنجب منها: **محمد** و**نفسة**، ومن غيرها: **محمد** و**مومنة**[4]، كما سجلت بعض الوثائق الأرشيفية مصاهرات أخرى منها ما ورد في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1121هـ/1709م، والتي تحدثت عن ملكية الزوجين"...**أحمد بن صالح الجربي** والولية الحرة **جنات بنت الحاج أحمد بن معمر**...لدار بحومة المانيش[5]، وتزوج المكرم **علي الجربي ابن دحمان** الولية **نفوسة بنت بعزيز**، والذي حسب ما يبدو كان متزوجا قبلها من إمرأة أخرى أدركتها المنية انجبت له بنتين: **خديجة** و**سلمونة** حسب ما هو مؤرخ في وثيقة تعود بتاريخها إلى عام 1173هـ/ 1759م [6]، ومن نماذج الزوجات الوافدات إلى مدينة الجزائر من مناطق خارج الإيالة نجد **نفسة بنت الحاج محمد التونسي** التي كانت لها

---

[1]- علي الحباشي: **التونسيون–الأصول والألقاب–الحملة البورقيبة لتهذيب الألقاب**، المرجع السابق، ص 82-83.

[2]- فاطمة الزهراء قشي: **التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء**، المرجع السابق، ص 25-26.

[3]- خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص ص104-105، 106، 340.

[4]- **أ.و.ج: سجلات المحاكم الشرعية، العلبة 60، الوثيقة 21.**

[5]- **أ.و.ج: سجلات المحاكم الشرعية، العلبة 1/26، الوثيقة 8.**

[6]- **أ.و.ج: سجلات المحاكم الشرعية، العلبة 06، الوثيقة 7.**

بحيرة صغرى بالحامة لم يرد ذكر اسم زوجها وإنما جاء ذكر ولدها المسمى **علي** وولديه: **علي** و**هذبة**، وابنتها المسماة **يونة** وولديها: **أحمد** و**عائشة** في وثيقة تعود بتاريخها إلى عام 1155هـ/ 1742م.." **أشهدت الولية نفسة بنت الحاج محمد التونسي...البحيرة الصغرى...من الماء الكائنة بالحامة ابتداء على نفسها تنتفع بغلتها مدة حياتها مقلدة في ذلك أئمة مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ثم بعد وفاتها ترجع البحيرة المذكورة مع مائها على ابني ابنها وهما علي وهذبة وعلى ابني بنتها يونة وهما أحمد وعائشة...وذرية ذريتهم ما تناسلوا وتفرعت فروعهم في الإسلام...بتاريخ أوائل محرم الحرام فاتح شهور عام خمسة وخمسين ومائة وألف"**[1]، كما تصاهر الجزائريون مع أبناء مدينة **الكاف** التونسية، فقد كان **والد خليفة باي قسنطينة** زوجا **لأخت علي الكافي**، هذا الأخير الذي حظي بإحسان قيمته 160 ريالا لما حل نزيلا بالحاضرة التونسية في عام 1171هـ/1757م[2].

وقد وردت الإشارة إلى **بعض المصاهرات في عقود التحبيس** على أساس **قاعدة الميراث** حيث خص بعض الواقفين زوجاتهم بأسهم ، كما هو الحال مع السيد **أحمد بن وكميش** الذي حبس دارا بحومة باب الأقواس قرب مسجد العباد **بالمدية** على نفسه أولا، ثم لفائدة أولاده على الفرائض، أما زوجه **فاطمة بنت ابن التونسي** فقد تعين نصيبها بالثمن مسبقا بموجب قاعدة الميراث بما أن للمحبس أولاد[3]، وهناك حالة أشارت إليها الفرائض تؤيد ذلك الاحتمال وتتعلق بزوجة لم يذكر اسم والدها؛ الذي ترك مكانه فارغا؛ كما هو الحال في كثير من عقود المحكمة الشرعية التي غاب فيها ذكر الأسماء، وحافظت في المقابل على الانتماء الجغرافي بلفظة **"التونسي"** نسبة إلى مدينة تونس، وذكر أن تلك الزوجة كانت غائبة ببلدها لما توفي عنها زوجها في الجزائر، ويعني ذلك أنها كانت في زيارة لدى أسرتها في مدينة تونس، وجاءت الإشارة إليها على النحو الآتي" توفي **إبراهيم بن محمد المقايسي** عن زوجته **فاطمة بنت مهدي الشريف وخديجة بنت...التونسي** الغائبة ببلدها"[4]، لذلك شكلت علاقات المصاهرة بين الجزائريين والتونسيين إحدى ملامح التواصل الاجتماعي القائم؛ الذي عكس دينامية الحراك بين أبناء البلدين، ذلك أن بعض التونسيين الذين آثروا الاستقرار بالجزائر فضلوا بناء أسر وترك عقب لهم يحمل أسماؤهم، ومع ذلك فقد بقوا في ارتباط بانتماءاتم الجغرافية؛ وكانوا في حراك دائم إلى أوطانهم رغم بعد المسافات.

وفي المقابل وردت إشارات إلى مصاهرات جزائرية بالبلاد التونسية في العديد من المصادر، حيث جاء ذكر أبناء تلمسان في العديد من الوثائق، من ذلك **ابراهيم الندرومي** عرف **الأزرق** الذي استقر **بالإيالة التونسية وتزوج بها من تونسية**، وبقي بالحاضرة التونسية إلى أن أدركته المنية[5]، ولم تقتصر المصاهرات على جهة تونسية بعينها بل شملت أغلب مناطق استقرار الجالية الجزائرية، فقد تزوج **خضر بن كشريد** من أصحاب أولاد العدواني من عمل **ماطر عزيزة بنت علي بن سليمان العنابي**، التي ذبحها بعلها المذكور ففرضت عليه دية قدرت بـ 1000 دينار، كما كانت **عايشة بنت مسعود**

---

[1]- أ.و.ج: **سجلات المحاكم الشرعية، العلبة رقم: 1/19، الوثيقة رقم :38.**

[2]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 2144، ص 178.**

[3]- ودان بوغفالة: **المرجع السابق**، ص 307-308.

[4]- خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، صص 105، 109.

[5]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج1، ص 332.

البيزاوي زوجة **لمحمد بن بلقاسم البجاوي** التي وجدت معلقة بوصلة صوف بدارها، وذكر أنها علقت نفسها لما تزوج زوجها عليها برسم من عدول ماطر، وقد خبر بها قايد ماطر في أواخر شوال 1171هـ/ 1763م [1]، كما نجده في موضع آخر؛ نسخة رسم من **بنزرت** في أواخر رجب عام 986هـ/ أكتوبر 1578م يشير إلى أخذ **محمد ابن محمد اليسري** عرف **الدغار** من زوجه **أمة الرحمن ابنة ابراهيم الندرومي** عرف **الأزرق** حديدتين (سوارين) اثنتين فضة زنتهما سبع أواقي على وجه السلف الحال، بشهادة الشهود ولا يعلمون له براءة إلى أن توفي[2]، كما ارتبطت عروش بأسماء زعامات عقدت مصاهرات وخلفت أبناء وأحفادا تسمت باسمها بعد وفاتها، من ذلك **عرش الهوادف** الذي يرجعون لنسب **الهادف بن بلقاسم الفطناسي** الذي غادر **الزاب** أمام ضغط الأتراك على عهد **حسن آغا** أين وضع عصار التسيار بعد حراك طويل بالهمامة الذين صاهرهم؛ حيث تزوج بأجمل فتاة عندهم وهي **ابنة زغلوم** إحدى بنات العقلاء، وانجب منها ولديه **بلقاسم** و**علي**، ليستقر في نهاية المطاف بتوجيه من صاحب تونس **بتوزر** قاعدة بلاد الجريد؛ حيث تولوا حكم المنطقة، وقد تصاهر من بعده أبناءه مع سكان البلاد، فقد تزوج ابنه **علي الهادف بزينب ابنة علي بن حمد الغوث التي رزق منها ستة أبناء**، وأصبح لمشيخة الهوادف مكانة ووزن في الجهة[3]؛ وكانت **النساء التواتيات القليلة العدد بالبلاد التونسية؛ نتاج تزاوج الآباء التواتيون والأمهات التونسيات**[4]؛ ما يعكس بوضوح ما للمصاهرات—كوجه من وجوه الحراك- من دور في رفع المكانة والمنزلة الاجتماعية وتحقيق للاندماج في الوسط البيئي أو المجتمعي بين الإيالتين.

كما ارتبط أهل الصنائع والحرف بمصاهرات؛ غالبا ما جمعت أبناء التنظيمات الحرفية الواحدة، فقد وطد أبناء الجالية التونسية من أرباب المهن علاقات النسب والمصاهرة مع أقرانهم من أصحاب المجموعات الحرفية-مصاهرات مع حرفيين- كما هو الحال **بمدينة قسنطينة**، حيث تزوج **محمد بن عمار التونسي القلال عائشة بنت أسطى علي القلال**، وهذا حسب مشار إليه في عقد الطلاق المؤرخ في 12 ربيع الأول عام 1204هـ/ 1789م [5]، كما تزوج **محمد بن الحاج بوجمعة بن القناو الدباغ صناعة**-من عائلة **الدباغين- فاطمة بنت محمد الشريف التونسي** إلا أننا نجهل تاريخ البناء بها، في حين وردت الإشارة إلى هذا الرباط في عقد طلاقه منها المؤرخ في يوم 29 ربيع الثاني 1204هـ/1789)[6]، كما عقد المسمى **عبد الملك بن الحاج خلف الدباغ** قرانه على **التبر بنت أحمد بن سي الغرياني** في 25 صفر 1230هـ/ 1814م[7]، وتزوج **محمد بن عمار التونسي زينب بنت بلقاسم بن البراح**، وهذا ما يبدو من خلال رسم عقد الطلاق المؤرخ في أول جمادى 1202هـ/1787م [8]، ومنهم كان يقول **الشعر** على غرار

---

[1]- جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 162، 193.

[2]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج1، ص 332.

[3]- علي عبد الوهاب خليل: **المرجع السابق**، ص 58-77.

[4]- Marty (Germine): **Op. Cit**, P 325.

[5]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م، ص 144.**

[6]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م، ص 153.**

[7]-**أ.و. ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218-1233هـ/1803-1817م، ص 1004.**

[8]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م، ص 21.**

الحاج **أحمد باكير التونسي الشعار** الذي كان زوجا **لفطوم بنت الحاج محمد الزريبي**، والذي جاء ذكره هو الآخر في عقد طلاق بتاريخ 10 جمادى الأولى عام 1203هـ/ 1788م[1]، أما عن مهنة **الحياكة**، فقد كان **محمد الأخضر بن علي الحاكي** زوجا **لسعدانة بنت محمد سعدان القفصي** التي نجهل تاريخ البناء بها، والتي طلقها المذكور فيما بعد حسب ما هو مدون في عقد يعود بتاريخه إلى 18 رمضان 1205هـ/ 1790م [2]، وأيضا زواج عمار بن أحمد **الحوكي فاطمة بنت مسعود القيرواني** ثيبا منقضية العدة في 04 محرم عام 1228هـ/ 1813م [3].

وكما هو الحال مع المكرم **علي البليلي– من أبناء قبيلة أولاد بليل التونسية–**الذي راجع زوجه أمة الله **آمنة بنت عمار الحاكي** من طلقة أولى بعد البناء في الخامس من شعبان 1220هـ/ 1805م[4]، وبتاريخ 14 صفر 1206هـ/ م 1791م تزوج **فيالة بنت عبد الرحمن الكواش** بكرا مجبرة بصداق قدره مائة ريال مع ملحفة بثلاثين [5]، كما تزوج **الحاج عبد السلام الساحلي القفصي فاطمة بنت عبد الله** عتيقة **سي إبراهيم الحليمي** بصداق قدره ثلاثون مع قمجة زوجها منه معتقها المدور وهذا بتاريخ 21 ذي القعدة 1205هـ/ 1790م [6]، وارتبط **أحمد الوسلاتي الجزار** حرفة **بمباركة بنت عبد الله** عتيقة الحاج سليمان بصداق قدره 30 ريالا وقمجة، زوجها منه معتقها المذكور في الثاني من شهر شعبان 1215هـ/1800م [7]، وتزوج **محمد بن حسين الوسلاتي وريدة بنت الحركاتي الجزار** في 15 ربيع الثاني عام 1231هـ/ 1815م [8]، وتزوج **سليمان بن الحاج عبد القادر الصفاقسي** راضية بنت الحاج عبد القادر **الحمار** ثيبا مطلقة في 06 رجب 1223هـ/ 1808م [9]، كما عقد محمد بن حامد **الحداد** قرانه على **آمنة بنت محمد الوسلاتي** والتي طلقها طلقة أولى بعد البناء بها في ذي القعدة عام 1225هـ/ 1810م[10]، وارتبط المكرم **حسن بن محمد التونسي** بعقد قران مع المسماة **الزهراء بنت عمر المغازلي حرفة** بتاريخ أول محرم من العام 1234هـ/ 1799م[11].

نلحظ أن أغلب المصاهرات كانت مع أبناء الجهات الشرقية للإيالة، ومع ذلك فقد عثرنا على مصاهرات لأبناء الجالية التونسية مع عائلات من الغرب الجزائري، فقد تزوج **عمر الوسلاتي** أمة الله **تركية بنت سي بلقاسم التلمساني** بكرا على صداق قدره ثمانون ريالا وملحفة سكندراني حسب ما هو مسجل في عقد مؤرخ في 14 ربيع الثاني

---

[1]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 86.**

[2]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 266.**

[3]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 755.**

[4]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 163.**

[5]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الثاني 1205–1210هـ/ 1791–1796م، ص 298.**

[6]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 280.**

[7]- أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الثالث 1211–1218هـ/1796–1803م، ص 314.**

[8]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 1138.**

[9]- أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 339.**

[10]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 535.**

[11]– سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن 19م من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، المرجع السابق، ص 128.

1206هـ/ 1792م[1]، وتبرز لنا علاقات النسب توجه الوافدين من **الأرياف التونسية** في مصاهراتهم–**بايلك الشرق**– إلى **العناصر القبلية أساسا** مع اختلاف الاستراتيجيات تبعا لتمايز طبيعة التوافد وكثافة الحضور؛ حيث كان المجال أكثر انفتاحا لدى الوافدين من **وسلات ودريد**، وذلك لكثافتهم وطول استقرارهم **بقسنطينة**، ذلك أن انفتاح مدينة قسنطينة على مناطق جغرافية واسعة؛ جعل من العناصر المكونة لنسيجها الاجتماعي منفتحة أيضا في علاقاتها الاجتماعية، وفي مقدمتها علاقات المصاهرة؛ وإن تداخلت عوامل مختلفة في رسمها وتحديد مجالها منها كثافة الحضور وتباينه من منطقة إلى أخرى، إضافة إلى طبيعة التوافد وظروفه وقدم الاستقرار بالمدينة، وممارسة حرف ووظائف بها[2]، وقد أشارت بعض العقود إلى مصاهرات تتعلق ببعض أبناء الأسر التونسية الوافدة التي سعت إلى الحفاظ على رباط النسب داخل العائلة الواحدة؛ كما هو الحال مع **عائلة دحمان الجربي** بمدينة **الجزائر**، فقد كانت **نفوسة بنت بعزيز أمين جماعة الجرابة** زوجة **لعلي الجربي بن دحمان**، وشقيقة الأخير **سليمة** كانت تحت عصمة **الرقدال اليديسي** والتي أنجب منها أولاده: **سعيد عمر وشعبان ومهني وصالح وخديجة**، في وثيقة تعود بتاريخها إلى عام 1173هـ/ 1759م " ...**بتاريخ أوائل صفر من عام ثلاثة ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام...بعد أن توفي وصار إلى عفو ربه وغفرانه المكرم علي الجربي ابن دحمان المذكور عن زوجته الولية نفوسة بنت بعزيز وابنتيه من غيرها خديجة وسلمونة وعصبة شقيقته الولية سليمة لا غير.....ثم توفيت سليمة المذكورة عن أولادها وهم: سعيد عمر وشعبان ومهني وصالح وخديجة أولاد محمد الرقدال اليديسي....**"[3].

ومن العائلات التونسية الوافدة على **الحاضرة الجزائرية**، والتي انفتحت على كافة فئات المجتمع بمختلف طبقاته نجد؛ **عائلة علي التونسي** التي اندمجت في الوسط المديني، ودخلت في مصاهرات مع أبناء المجتمع بالعاصمة من حرفيين على غرار ممتهني **حرفة الخياطة**، كما ارتبطت العائلة أيضا **بالإنكشارية**، فقد كان رب الأسرة **علي التونسي ابن الحاج حسن** بعلا **للولية آمنة بنت محمد، ولامرأة** أخرى أنجب منها أولاده وهم السيد **محمد وحسن وعايشة**...بناء على وثيقة مؤرخة في أواسط ربيع الأول عام 1233هـ /18-25 جانفي1818م[4]، في حين كان الابن **محمد بن علي التونسي** زوجا **للولية موني بنت علي** التي أنجب منها أولاده **عبد الرحمان وحسن ووالي ومحمد وخيرة** ومن غيرها رزق **بروزة**....على ضوء وثيقة تعود بتاريخها إلى أوائل شعبان 1244هـ/ 5-14 فيفري 1829م"[5]، أما البنت **عائشة بنت محمد بن علي التونسي** فقد تزوجت من **محمد التركي البونباجي**...كما جاء في وثيقة مؤرخة في أوائل رمضان 1244هـ/ 6-15 مارس 1829م[6]، وكانت ابنة **الولية عائشة** المشار إليها–صاحبة الجنة الكائنة بفحص العناصر والقريبة من جنة علي خوجة– المسماة **سونة** زوجة **لعلي التركي الخياط**[7]، كما ارتبط بعض أبناء الجالية التونسية **في**

---

[1]– أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الثاني 1205–1210هـ/ 1791–1796م، ص 313.**

[2]– سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينةفي الربع الأول من القرن 19م**، المرجع السابق، ص 134، 136.

[3]– أ.و.ج: س. م. ش، **العلبة رقم: 06، الوثيقة رقم: 07.**

[4]– **الوثيقة رقم 21، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[5]– **الوثيقة رقم 32، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[6]– **الوثيقة رقم 32، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[7]– خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 102.

قسنطينة بمصاهرات مع **عائلات ذات أصول أندلسية**، من ذلك زواج **أحمد بن عمر الصفاقسي** من **البكر قمير بنت محمد الأندلسي** في ذي القعدة 1226هـ/ 1811م [1].

كانت عملية اختيار الزيجات بالنسبة **لتجار البلاط في تونس، تتم في دائرة محدودة النطاق وهي الدائرة المهنية في الأساس**، ثم تليها **دائرة الانتماء الجغرافي**، وهذه الزيجات تجمع في معظمها بين **عائلات أندلسية امتهنت حرفة الشاشية**، ويمكن للتاجر أن يعمل على توسيع شبكاته العلائقية إلى ما وراء دائرة صلاته العائلية والدينية والعرقية، والانفتاح على شريحة المخازنية مثل زواج **حسن الوزير(شواشي وتاجر) بشلبية بنت قاسم الرصاع التلمساني**، وما يمكن التأكيد عليه هو تنامي هذا الصنف من الزيجات بين أعيان المخزن والعائلات ذات الوجاهة المادية، ولا سيما العائلات الأندلسية وهي حالة **عائلة الرصاع التلمسانية**؛ التي صاهرت **عائلات عصفور وغربال والوزير**[2]، ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع القول؛ أن رجال المخزن لا يكتفون بزوجة واحدة، وأن الصيغة المثلى تنحو نحو التعدد، ومن العائلات المعنية بالظاهرة نجد **عائلة الرصاع**، ويكفي أن نذكر أن ثلاثة أبناء من هذه العائلة قد تزوجوا بثلاث زوجات، **فالمفتي علي بن أحمد بن أبي يحيى الرصاع الذي توفي سنة 1719–1720م**؛ تزوج ثلاث مرات **من كبورة القسنطينية وعائشة بن أحمد الرصاع وفاطمة بنت الحاج قاسم عصفور**، وإلى جانب هؤلاء الزوجات كانت له جارية مستولدة تسمى **جنات بنت عبد الله**، وهكذا فإن **رجال الإفتاء والقضاء يعمدون إلى تعديد زيجاتهم والانفتاح على عناصر اجتماعية متنوعة، ما يسمح لهم بتحقيق وتدعيم نفوذهم السياسي**[3].

إن المتأمل في شبكة المصاهرات يجد أن السعي وراء الثروة لم يكن هدفا بحد ذاته بقدر ما كان وسيلة لتحقيق الاعتبار أو المركز الاجتماعي، فالبرانية هم الذين كانوا يمثلون أسفل السلم الاجتماعي ويشغلون وظائف يتعفف عنها البلدية، ومن الأمثلة على ذلك نذكر حالة **سليمان بن صالح التونسي**؛ الذي كان متزوجا من **كريمة بنت حسن** التي سافرت معه إلى بلاده سنة 1189هـ/ 1775م، وخلفت أملاكا بمدينة الجزائر، أما أمين الجرابة **سليمان بن الحاج صالح** المتوفى سنة 1194هـ/1780م؛ فقدكان متزوجا من **الزهرة بنت عبد الرحمن الكبابطي**[4]. والملاحظ أيضا شيوع **ظاهرة زواج الأحرار بالإماء من المعتقات** والتي كانت ظاهرة موجودة في المجتمع خلال هذه الفترة؛ كما هو الحال مع المتوفاة **الحاجة جوهرة معتوقة الحاج بن يونس بن روح التونسي**، التي خلفت تركة قدرت بنحو 1465 ريالا، كان نصيب زوجها **الحاج محمد التونسي** بن أحمد ما قدره 727 ريالا، وهذا كما هو مدون بتاريخ 1133هـ/ 1720م [5]، وقد كان **حمودة باشا ابن الباشا علي باي (1782– 1814)** ابنا لجارية من أعلاج القرج اسمها **محبوبة**؛ تزوج بها أبوه في الجزائر[6]، كما نجد أيضا الزواج بشرط أو ما يعرف في تونس **بالزواج القيرواني** الذي يعتبر ملاذا للنساء وأوليائهم ضد

1– **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 628.**

2– المهدي جراد: **تجار البلاط بإيالة تونس أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر**، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، تونس، 2017م، ص 183،184.

3– المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705–1881**، المرجع السابق، ص 226.

4– نجوى طوبال: **الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية**، المرجع السابق، ص 469.

5– **أ.و.ت: سجلات بيت المال وبيت البايلك**، العلبة: 10، السجل: 52.

6– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 11.

تعسف الرجال في تكرار الزواج خاصة؛ وأسلوبا لتلطيف ظروف المعاشرة، وكان عدم الخروج من بلد العقد من بين الشروط المتكررة [1]، من ذلك زواج **محمد بن علي مسعودة بنت عبد القادر الكافي** ثيبا بصداق قيمته أربعون ريالا، والتي عقد نكاحها أخوها عبد الكريم بتوكيلها اياه، وقد اشترطت عليه السكنى ببلد العقد –**قسنطينة**– وإن أخرجها بدون رضاها فأمرها بيدها إلا إذا كان الانتقال إلى **بلد القيروان** فله ذلك، ولا يخرجها منه إلا برضاها وإلا فأمرها برضاها أيضا، وعرف بها **الطيب بن الحاج من أولاد سي عمر بن سلطان** لدى السيد **عبد الرحمن العلمي** والسيد **محمد بن سلطان** بتاريخ الثاني من ذي الحجة عام 1204هـ/ 1789م[2]. ورغم ارتباط عقد القران أحيانا بشروط وقيود تلزم الزوج بعدم مغادرة بلد العقد إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك؛ فقد عرف الحراك دينامية وحركية بين أبناء الايالتين دعمتها علاقات النسب، إذ تعتبر المصاهرات أحد الأسس التي قامت عليها العلاقات الاجتماعية بين الأسر، والتي كرست دعائم الانفتاح كوجه من وجوه الحياة الاجتماعية، كما هو الحال مع بعض الزيجات اللواتي آثرن السفر وعدم الاستقرار في مدينة الجزائر؛ على غرار **خديجة بنت...التونسي** التي توفي زوجها **إبراهيم المقايسي** وهي غائبة ببلدها[3].

والملاحظ أن مصاهرات العائلات الوافدة من المدن التونسية **لم تكن نخبوية في عمومها** سواء ما تعلق بزواج أبنائها أو بناتها، وذلك ربما يرجع للأصول الاجتماعية – الطبقة الاجتماعية المتوسطة– وهو ما كان سائدا في تونس حيث لعب الأصل الإثني دورا كبيرا في التمايز الاجتماعي بين مختلف الفئات المكونة للمجتمع التونسي[4]، ومع ذلك كانت هناك علاقات نسب جمعت بين **أعيان قسنطينة** وبعض الفئات التونسية العالمة، فقد تزوج السيد **أحمد بن المرحوم السيد إبراهيم النقاد شريفة بنت العالم الشيخ علي الغرياني** في ربيع الأول عام 1227هـ/ 1812م [5]، كما ارتبطت بعض الشخصيات السياسية كالبايات بعلاقات مصاهرة بالبلاد التونسية، ومن هؤلاء نجد **باي بايلك الغرب مصطفى قائد الذهب المسراتي**(1155هـ/1742-1743م) الذي فر إلى **تونس**؛ ومكث بها إلى أن مات وبها ضريحه[6]، ويروى أنه لما حل **بتونس** رفع الباي التونسي منزلته وأعلى شأنه وقربه إليه؛ جاعلا إياه من الخواص؛ فحصلت بينهما مودة الارتباط وتزوج قايد هنالك بامرأة وأتى معها ببنت[7]، وهذا دون إغفال مصاهرات الأشراف والعلماء والأسر المرابطية.

يؤدي الزواج دورا اجتماعيا بالغ الأهمية، ومن ثم فإن دراسة المصاهرات تسمح بقياس ومعرفة مكانة العائلات بالنسبة إلى مجمل شبكات العلاقات الاجتماعية، وباعتبار فئة العلماء والأشراف إحدى الشرائح ذات المنزلة الاجتماعية المتميزة، فقد أقام البعض منهم مصاهرات اتسمت بحراك اجتماعي صاعد عكسته المواقع التي شكلت مؤشرا على التراتبية الاجتماعية، فلا عجب أن تكون الأسر الكبرى هي التي تعقد لأبنائها وبناتها زيجات أكثر تشريفا، كجزء من الواجب

---

[1]– فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 330.

[2]– **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 205.**

[3]– خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 110-111.

[4]– سهام بودية: **دوائر المصاهراتفي مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن 19م**، المرجع السابق، ص 128.

[5]– **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218–1233هـ/1803–1817م، ص 655.**

[6]– محمد بن يوسف الزياني: **المصدر السابق**، ص 255.

[7]– الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود**، ج1، المصدر السابق، ص 300.

الاجتماعي حفاظا على الوجاهة والمنزلة، فقد ارتبطت **عائلة الفكون القسنطينية** التي تولت مشيخة الإسلام وقيادة ركب الحج بمصاهرات مع عائلات علمية ذات شهرة كبيرة بالبلاد التونسية، من ذلك الشيخ الجد **يحيى الفكون (ت.941هـ/1535م)** الذي انتقل لتونس لواقعة بل وقائع، وصاهر **الشيخ الزلديوي**؛ واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم، ثم استقل بالإمامة وتزوج بها حفيدة **الشيخ البرزلي** وولد له منها بنت، وقد سقط شهيدا بجامع الزيتونة وهو يروي البخاري بمعية صهره الشيخ **الزلديوي** في وقعة تونس مع الإسبان عام 1535م[1]، وترد الكثير من الإشارات عن هذه المصاهرات في كتاب **الأجوبة لابن عظوم**، ففي أحد مسائل الحبس التي يعود تاريخها إلى عام 1003هـ/1595م؛ يذكر أن **الكاتب محمد البجائي** كان **متزوجا من شقيقة عبد اللطيف ابن الفقيه محمد القلشاني** التي أنجب منها أولادا[2]، ودون أن ننسى الفقيه **الشيخ** سيدي **علي شعيب الباجي** (تزايد سنة 1109هـ/1698م) القاضي الكبير **لحسين باي**؛ الذي فر إلى الجزائر لما دخل **علي باشا** تونس عام 1735م، وبلغ عرش **نهد**؛ حيث صاهر شيخ القبيلة الذي زوجه ابنته التي أنجب منها صغيرا، ثم ارتحل منها واستوطن الشيخ **علي شعيب** مدينة الجزائر وتزوج فيها ببعض الحرائر، ولحقه من بلدة باجة كل من في قلبه حاجة وجعلهم أصهاره[3].

ومن العائلات التونسية التي ارتبطت بمصاهرات مع الأشراف والعلماء بالجزائر نجد **عائلة سعيد قدورة الجربية** التي توارثت الإفتاء المالكي، وكانت لها صلات نسب مع **عائلة المرتضى** (التي تولت الإفتاء ونقابة الأشراف)، فقد كان **أحمد بن عثمان سيدي سعيد قدورة خالا لعبد الرحمن**[4]، ذلك أن **بنت** الشيخ **سعيد قدورة** كانت زوجة **للشيخ المرتضى** الذي كان على رأس **نقابة أشراف الجزائر**، واتسعت الدائرة مع عقبه من أولاده نحو العائلات الأندلسية المنتمية إلى فئة النخبة الحضرية بالعاصمة على غرار عائلة **بوضربة** وعائلة **بن كمنجة**،كما ارتبط أحد أحفاد قدورة من ابنته وهو **عبد الرحمن المرتضى** الذي شغل منصب مفتي المالكية بالجزائر العاصمة لمرات عديدة خلال النصف الثاني من القرن 18م بعلاقات مصاهرة مع إحدى العائلات العلمية البارزة بمدينة الجزائر، حيث عقد قرانه على **بنت من عائلة المقري** والمسماة بـ: **"رقية بنت العالم عبد الله بن السيد محمد المقري"**، وهذا بموجب عقد يعود بتاريخه إلى عام 1087هـ/ جويلية 1676م، كما نجد أيضا **عائلة بيرم التونسية –ذات الأصول التركية**– والتي أنجبت **محمد بيرم** الذي كان معاصرا **لابن الحفاف**– التي ارتبطت بمصاهرات مع عائلات علمية بالحاضرة الجزائرية، فقد تزوجت سليلة الأشراف **أمينة بنت بيرم** المفتي الحنفي **حسين بن محمد بن العنابي**، وتم رصد هذه المصاهرة من خلال عقد لصفقة مؤرخة في 1148هـ/1735- 1150هـ/1738م، وكان من ثمار هذا القران المبارك أن قدم سليلا هو المفتي **محمد بن محمود بن محمد بن العنابي**؛ الذي أصبح مفتيا حنفيا بمدينة الجزائر في عام 1234هـ/ 1818م[5]، حيث جاء في الوثيقة ما نصه:"...**آمنة بنت بيرم** الولية الحرة الزكية الحسيبة الأصيلة الكريمة الجليلة بعلها **الشيخ الفقيه العالم العلامة**

---

[1]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 42، 43.

[2]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج3، ص 15.

[3]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 30-44.

[4]– عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830**، المرجع السابق، ص 353.

[5]-Fatiha Loualich: La **famille à Alger 18e et 19e siècles**, **Op.cit**, P 99-101.

النبيه مفتي الإسلام السيد حسين"[1]. ويبدو أن هذه المصاهرة حافظت على الصلات بين العائلتين، وهذا ما يفسر الحظوة التي نالها رائد التجديد الإسلامي **ابن العنابي** لما حل **بتونس** عام 1244هـ/1828م-1245هـ/1829م، ونزل عند أخواله من أسرة **بيرم** التي أكرمت وفادته، حيث أقام معززا مكرما، فقد أحاط به علماء الأسرة وكلهم أشادوا به واستجازوه- على غرار **محمد بيرم الرابع**- ونوهوا بعلمه ومدحوه بالنثر والشعر[2]، وأيضا من العائلات التونسية التركية الأصل التي كان لها حضور في الجزائر بحكم شهرتها كونها أسرة علمية نجد **العائلة البيرمية** التي أشرنا إليها، فقد انخرط بعض أفرادها في الوظيف، إذ تشير المصادر إلى مخلف تركة للمسمى **القايد بيرم** عن **زوجه** في أوائل جمادى الثانية عام 1230هـ/ 1814م [3]. ونلمس في هذا الصدد نمو علاقات نسب على مدى أجيال بين أسر علمية كما هو الحال مع عائلة **بيرم والعنابي**، وهو ما يعكس بوضوح رسوخ الموقع في السلم الاجتماعي والاقتصادي للنخب، كما يبرز بجلاء وجه الاستثمار في الزيجات من العلماء والشرفاء لربط الصلة بينها وبين المجتمع الحضري في الإيالتين.

ومن علاقات المصاهرة الخارجية بين الأسر المرابطية؛ تشير المصادر إلى أحد أبناء الجالية التلمسانية التي كان لها حضور بالبلاد التونسية منذ فترات بعيدة، إذ يتحدث الشيخ **إبراهيم خريف** في كتابه عن عرش **المواعدة** الذي يعود في الأصل إلى الجد الأول المرابط **الشريف سيدي حمد ميعاد** الذي ورد على نفطة قادما من تلمسان سنة 1527م، وقد استقر بالمنطقة يدرس الفقه والدين بزاوية لأحد المرابطين يسمى **محمد الوطاسي**، هذا الأخير لما رأى شهرته وعلمه وصلاحه ونسبه الشريف، رغب منه أن يصاهره على ابنته، فبنى عليها وأنجبت له ثلاثة أبناء: **حمود، عبد القادر، وعبد الرحمن**، ونشأ من صلبه أربع فرق وهم المعبر عنهم **بالمواعدة: أولاد سيدي حمود وأولاد سيدي علي ميعاد وأولاد سيدي عبد الرحمن وأولاد سيدي عبد القادر**[4]، وأيضا تلك العلاقات التي عقدها **أولاد تليل** (بفريانة) بعد وفاة أحمد التليلي مع **عائلة صحراوي** المرابطية بجهة **بكارية** التي تعود إلى زمن تأسيس الزاوية، فقد تزوج **سي الحطاب التليلي** من ثلاث زوجات من بينهن شقيقتان من **عائلة صحراوي**، كما تزوج **أخوه** من **فتاتين** من نفس العائلة، وتندرج هذه المصاهرة لأولاد تليل من نساء صحراويات في إطار البحث عن إشعاع خارجي خصوصا بين **النمامشة** و**أولاد سيدي عبيد** رغبة في إرساء نوع من المزاوجة الدينية بين الزاويتين[5]، وفي المقابل **تزوج سيدي خضير بن عبد العزيز** والد **سيدي عبيد** من **ابنة شيخ الهمامة** المسماة **هنية** في أعقاب عودتة من البقاع المقدسة لما توقف **بتوزر**؛ وأخذ في نشر الطريقة القادرية، وصار له الكثير من الأتباع والمريدين، فسمع به شيخ قبيلة الهمامة **عبد العزيز بن همام** وكانت له ابنة يحبها كثيرا وهي وحيدته، وكانت مريضة مرضا مزمننا عجز الأطباء عن علاجها، فذهب إليه وعاد به معه إلى ابنته وذكر له قصتها، فابتهل **سيدي خذير** وسأل ربه أن يشفيها فشفاها الله في حينها، ففرح الوالد كثيرا، وزوجها **لسيدي خذير** وأهدى له كل ما يحتاج، وأنجبت له ولدين وهم **سيدي عبيد** و**سيدي أحمد** وابنة هي **لالة غزالة**؛ وكان هذا في القرن

---

[1]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، المرجع السابق، ص 354.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775-1850**، المرجع السابق، ص 30.

[3]- **أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال**، العلبة: 03، السجل: 22.

[4]- إبراهيم خريف: **المرجع السابق**، ص 103-104.

[5]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 160-161.

الثامن الهجري[1]، أما **سيدي أحمد بن خضير** فقد تزوج **شابة تونسية** من **دريد**، رزق منها بولدين هما: **عمارة وعبد الله**؛ في حين صاهر **سيدي عبيد** قبيلة أمه الهمامة حيث تزوج زنجية أنجب منها ابنه الوحيد **ذويب** الذي آثر الاستقرار بعيدا على طول الحدود التونسية؛ أين تمتع بمكانة كبيرة اكتسبها هو الآخر من المصاهرات التي عقدها والمعاشرة والتحالفات بين مختلف البطون، ومنها تشكلت الأسرة المعروفة باسم **أولاد لحمادي** والتي انقسمت بدورها إلى عدة فروع[2]، ومن هذه المصاهرات نشأت القبيلة الولائية أولاد سيدي عبيد التي تشتت أبنائها بين تراب الإيالتين، ويشير **مارسيي** مؤرخ الخنقة أن أحد مشايخها المسمى **حسين بناصر** الذي ارتبط به اسم العائلة في النهاية؛ كان عالما وسياسيا وأكثر حركية، فقد تعددت رحلاته نحو قسنطينة والجزائر وتونس على وجه الخصوص التي تزوج فيها بامرأة منها، والذي تملك بالحاضرة التونسية بيتا جعله مستقرا لإقامته أثناء فترة المكوث[3]، وبسقوط الإمارة **الشابية** بالقيروان عام 1757م، وانتقال **عبد الصمد** (1551-1616م) مع أبيه **محمد بنور الشابي** وأسرته إلى **قسنطينة**؛ واستقراره بجبل **ششار**، توثقت صلته بالقبائل الموالية لأسرته **كالحنانشة** و**الحراكتة** و**بني بربار** و**النمامنشة** و**طرود**، و**صاهر كثيرا منها**[4]، كما تزوج المرابط **عمر التونسي أمة الله عايشة بنت على الصغير** الثيب **بقسنطينة** في العاشر من ذي الحجة عام 1204هـ/ 1789م[5].

ولا يمكن في هذا الصدد إغفال علاقات النسب والقرابة الدموية التي جمعت أبناء المراكز الواحية المتميزة في الإيالتين؛ حيث تتشابك المصالح وتتنوع علاقات التبعية المتبادلة وأهمية تأثير التجاور الذي ينمي لدى العائلات الاستعداد لتجاوز الانغلاق والبحث عن توسيع آفاق علاقاتهم؛ كما هو الحال بين مجتمع سوف والجريد، حيث جمعتهما روابط متينة؛ جعلت من السكان نسيجا اجتماعيا واحد يرفض الفصل والتباين، وتشكل علاقات المصاهرة إحدى وسائل هذا التوجه، فقد ارتبط سكان واد سوف بعلاقات قرابة ومصاهرة بأهل الجريد منذ زمن بعيد؛ إذ تداخلت العائلات وجمعت بينها المحبة والإخاء[6]، واستمرت المصاهرات التي تجمع عائلات من نفس المستوى الاجتماعي إلى فترات متأخرة محافظة على التقليد الذي سار عليه السلف، ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ إقدام السيد **تليلي بن محمد بن ابراهيم** من قرية لرطس الذي عاش في النصف الثاني من القرن 19م؛ على تزويج كبرى بناته لأحد أبناء عائلة مرابطية مقيمة **بواحة سوف**[7].

كما ارتبط أفراد الطائفة العسكرية بعلاقات مصاهرة-وإن كانت محدودة-مع فئة البرانية في كلا البلدين، فقد انفتحت عناصر **الجيش بمدينة الجزائر** على العائلات التونسية الوافدة؛ مثال ذلك زواج **حسن الإنكشاري البجاقجي بالزهرة بنت عياد الجربي**...وهذا في وثيقة مؤرخة في 1197هـ/1782م، وزواج **علي الجربي بن محمد بصوم بنفوسة بنت**

---

[1]- علي محمد الناصر: **المرجع السابق**، ص 14.

[2]-Muratti (P) : **Op.cit**, P 278-280.

[3]-- Gustave Mercier: **Op.cit**, P 160.

[4]- علي الشابي: **"العلاقات بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر"**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 17-18، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، جانفي 1980، ص70.

[5]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م، ص 200.**

[6]- الجباري عثماني: **المرجع السابق**، ص ص 9، 10.

[7]- مصطفى التليلي: **المرجع السابق**، ص ص 274، 277، 280.

محمد علي خوجة؛ كما هو مبين في عقد بيع يعود بتاريخه إلى عام 1180هـ/1766م، ويتعلق الأمر في هاتين الحالتين بمصاهرات أقيمت بين الكراغلة والجرابة؛ وهي على قلتها تعتبر أحد مظاهر الاندماج الاجتماعي[1].

ورغم انفتاح العائلات التونسية الوافدة على أغلب شرائح المجتمع إلا أن مصاهراتها مع الأتراك وأفراد الإنكشارية كانت قليلة جدا، ففي قسنطينة كانت مصاهرات العائلات التركية وموظفي الإنكشارية أقل حضورا فلم تظهر إلا عند **القيرواني**، حيث تزوجت **فاطمة بنت سي عمار القيرواني** من **علي بن محمد أزميرلي**؛ وكانت بكرا مجبرة بتاريخ أواسط ربيع االثاني 1235هـ/ 1819م، و**الصفاقسي** بزواج كل من **برنية بنت سي عمار الصفاقسي** من **عمر بن محمد بن كزدغلي** بتاريخ أواسط ربيع الأول 1228هـ/ 1813م، وأمة الله **خديجة بنت عمار الصفاقسي** التي ظهرت في عقد طلاق من المكرم **حسان بن مصطفى التركي** بتاريخ الأول من جمادى الثانية 1239هـ/ 1823م[2]، في حين برزت **الأمة** في عقد وحيد يخص **عائشة بنت محمد الوسلاتي** البكر المجبرة التي تزوجت **فرج بن علي الإنجشايري** بصداق قدره مائة ريال وقمجة وملحفة(قفطان) [3]، وأيضا زواج **عبد القادر بن عثمان الإنجشاري** من أمة الله البكر **خديجة بنت خنيش الصفاقسي** في 22 ذي الحجة عام 1230هـ/ 1814م بصداق قدره 80 ريالا وملحفة وقمجة منقودتين[4].

كما وردت في عقود قران أسماء نساء تونسيات ارتبطن باليولداش؛ منها عقدي زواج يخصان **فيالة بنت محمد البليلي** التي تزوجت من **محمد بن حسن الانجشايري** وكانت مطلقة منقضية العدة – أوائل شوال 1227هـ/اكتوبر 1812م، ثم ظهرت في عقد زواج جديد بعد حوالي ثلاثة أشهر؛ وكان زواجها هذه المرة من **علي بن حسن الانجشايري** ثيبا منقضية العدة-رجب 1230هـ/جوان 1815م[5]، والشيء الملاحظ هنا؛ ظاهرة زواج الإخوة من نفس الزيجة بعد وفاة أحدهما كما هو الحال مع ابني **حسن الانجشايري**؛ فلما مات **محمد** تزوج **علي حليلة** أخيه بعد انقضاء العدة وانتفاء الموانع الشرعية، وقد يكون ذلك حرصا منهم على لم شمل العائلة وضمان استقرارها وتربية الأبناء في كنف الوسط الأسري، وفي الجهة المقابلة ارتبط أفراد الإنكشارية بالبلاد التونسية بعلاقات مصاهرة أيضا مع عائلات جزائرية، فقد تزوج **المكرم والي بلكباشي بن ابراهيم التركي**- الذي ورد ذكره في احدى رسوم الأوقاف التي تعود بتاريخها إلى عام 1100هـ/1689م-من **عزيزة بنت عبد الواحد العنابي**[6]، وهو ما يعكس لنا مظهرا من مظاهر التقارب والاندماج الحاصل بين أفراد الإنكشارية والمجتمع المديني سواء في الجزائر أو في تونس، كما تصاهر أبناء **زواوة** الجزائريين-الذين استدعاهم البايات التونسيون للخدمة كجنود في جيوشهم-**مع إخوانهم التونسيين**-حيث توجد جماعة كبيرة من **قبائل زواوة** في **تونس**-، وأصبح للعديد منهم **ذرية في تونس**، وقد تراوحت أعدادهم بين **عشرة آلاف**

---

[1]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، المرجع السابق، ص 362.

[2]- سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن 19م**، المرجع السابق، ص 128.

[3]- سهام بودية-فاطمة الزهراء قشي: **"مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800-1825"**، المرجع السابق، ص 46.

[4]- **أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218-1233هـ/1803-1817م، ص 1106**.

[5]- سهام بودية: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن 19م**، المرجع السابق، ص 132.

[6]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، المرجع السابق، ص 192.

وعشرين ألف[1]. ومن المصاهرات ما اتخذ طابعا سياسيا أي توظيف مؤسسة الزواج في النسق السياسي باعتباره آلية ووسيلة فعالة من وسائل الحكم المتعددة التي تمت المراهنة عليها لتعزيز النفوذ وتعويض السند الديني، ومواجهة ظروف التشتت و ضمان الدعم و الحصول على الولاء وبسط السيطرة على المجال والساكنة...فقد أدى ارتباط عائلات المخزن بالعائلة الحاكمة التونسية على غرار (**بيرم، الرصاع، المرابط، الغزالي**)؛ إلى تعزيز مكانتها الإجتماعية، كما توجت هذه الأسر المتنفذة علاقاتها المبنية على الانفتاح عقب الانغلاق؛ بعقد مصاهرات مع عائلات ذات وجاهة مادية ولا سيما العائلات الأندلسية، وهي حالة عائلة **الرصاع التلمسانية** التي صاهرت عائلات تونسية على غرار؛ **عصفور وبن غربال والوزير**، ويذكر أن هذه العائلة الأخيرة قد صاهرت ثلاث عائلات مخزنية وهي الرصاع وبيرم والجلولي[2]، وتأكيدا على حرص هذه العائلات حول الالتفاف بالنظام الحاكم، كان أب الشيخ **أبي يحيى الرصاع التلمساني** المسمى **قاسما** وزيرا **للسلطان الحفصي أحمد**؛ أي انخرط في عالم السياسة، وكانت له عنده مكانة رفيعة توجت **بمصاهرة سياسية**، حيث أن الأمير أعطاه **بنتيه** لولديه **أبي يحيى وأخيه أبي الفضل**، فتزوج **أبو الفضل** بإحداهما وماتت المسماة **لأبي يحيى** قبل البناء بها[3]، وقد تواصل نفوذ نفوذ **آل الرصاع** بداية التواجد العثماني، ولعلهم قدموا الدعم اللازم لهم شأنهم شأن باقي النخب الحضرية، حيث أن أحد أبناء قاسم الرصاع المسمى **أبو الفضل**؛ قد مات **شهيدا** إلى جانب الأتراك العثمانيين بحلق الوادي سنة 1574م[4]، وتعتبر عائلة الرصاع من العائلات الجزائرية القليلة التي نجحت في الاندماج في المجتمع المحلي، وتقلد مناصب عليا في جهاز المخزن[5].

عمد حكام تونس إلى مصاهرة القبائل المحاربة بمجال إفريقيا، حيث تزوجوا بنات الأسر القوية خاصة أثناء فترات الاضطراب السياسي، حيث راهن الأمراء على الزواج من داخل الفضاءات القبلية؛ لذا كانوا حريصين على ضمان استمرار الروابط الزيجية مع القبائل الأكثر تأثيرا ونفوذا؛ كما هو الحال مع **أولاد سيدي يحيى بن طالب** القبيلة القوية بالفضاء التبسي المتحالفة مع السلطة الحفصية، وقد كان لبعض سلاطين بني حفص في القرن 16م؛ أم من هذه المجموعة البدوية[6]، وتبلورت ظاهرة صلات مصاهرة مع الطبقة الحاكمة منذ أيام البايات المراديين، ويبدو أن شيوخ البادية جندوا تلك المصاهرات لأنها ترفع من شأنهم سواء داخل قبيلتهم أو أمام المجموعات الأخرى، ولم يخفوا حرصهم على إعلان الخبر وإتمام ترتيب الزواج[7]، حيث كانت سياسة المصاهرة من أبرز سمات سياسة بايات تونس تجاه **أحرار الحنانشة والقبائل الحدودية**، فقد عمل هؤلاء على كسبها، ونخص بالذكر **قبيلة الحنانشة** بزعامة **أحرار الحنانشة** باعتبارها أقوى الأسر الحدودية؛ فمجالها يمتد إلى دواخل الأراضي التونسية إلى جانب تعمقهم في أراضي بايلك قسنطينة...لذلك

---

[1]- اندريه ريمون: **المرجع السابق**، ص 79.

[2]-المهدي جراد، **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص217،214.

[3]- حسين خوجة، **المصدر السابق**، ص186.

[4]-الوزير السراج: المصدر السابق، مج3، ص286.

[5]- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص274.

[6]-Sami Bargaoui: **«L'évolution d'un espace de médiation sociale: la zàwya de Kairouan à l'époque moderne»**, R.S.I, N° 86, Paris, France, 1997, P 111.

[7]-ابراهيم السعداوي:"**المخزن والمجال الجبلي التونسي بين 1630 ونهاية القرن الثامن عشر**"، العدد1، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2006، ص 61.

عمل بايات تونس على ربط مصير هذه الأسرة عن طريق المصاهرة، وإقحامها في صراعاتها الداخلية والخارجية، وكانوا يضطرون إلى مهادنة شيوخها بتقديم الهدايا والخضوع لمطالبهم[1]، فالثابت أن الأوساط الحاكمة بتونس خلال العهد العثماني قد عمدت إلى التقرب ومهادنة العناصر المحلية التي يمكن أن تعضدها في الحكم؛ فقد تزوج **علي باي بن مراد** بنت **سلطان بن نصر الحناشي**[2] شيخ أحرار الحنانشة، وكانت الغاية من عقد هذا القران كسبا لولاء أقوى شيخ بالمنطقة؛ الذي كان حاضرا بمعيته وهو يحاصر جبل وسلات، إذ يقول **ابن أبي دينار**:"...**وممن كان في نجدته ذلك اليوم صهره وظهيره شيخ العرب الشيخ سلطان بن منصور بن خالد..**"[3]، وقد أزهر بستان هذا الرباط **ببنت** أنجبت **مراد باي** سليل الحنانشة، والذي افتتح القرن الثامن عشر بصراع وحرب مع ايالة الجزائر؛ أثناء هجومه على قسنطينة[4] .

لئن سعت السلالة الحسينية لتفادي ربط المصاهرة مع السكان المحليين، فقد لاحظنا زواج بعض البايات ببعض النساء المنحدرة من أوساط قبلية؛ إلا أن ما ميز هذا الارتباط هو أنه كان في فترات الأزمات السياسية التي تشهد عادة حاجة الأمراء لمساندة القبائل الكبرى، وفي هذا الإطار تزوج **علي باشا** بابنة شيخ الحنانشة **محمد الصغير** سنة 1735[5]، وهي حفيدة **بوعزيز الحناشي** وابنة ابنه المكنى **طراد** الذي قتل في معركة فج مراح[6]، ودخل بها وجاء بها إلى باردو، وجعل لها بيتا وأخذ بخاطرها وراعاها[7]، وتندرج مصاهرة **علي باشا** لشيخ أسرة الحنانشة **سلطان بن منصر** في إطار كسب حليف لضمان إخلاص وولاء القبيلة[8]، ويبدو أن المصاهرة لم تكن قاصرة على **الباشا**، فقد تزوج إلى جانب الوالد الابن **يونس** هو الآخر **بنتا** من بنات مشيخة القبيلة، إذ يقول صاحب المشرع في هذا المقام: "**لما وصل الباشا تل الحنانشة واجتمع بهم تزوج علي باشا بنت محمد الصغير من أولاد عمار، وزوج ولده يونس إما ابنته أو بنت ابن ولد بوعزيز، وطمعوا في ماله وهداياه ومملكته فكافأهم بخيره وقواهم بماله** "[9]، وهي فترات تميزت بالصراع بين هذا الأخير وعمه **حسين بن علي** على الحكم، والهدف من هذا الارتباط ضمان مساندة قبيلة الحنانشة لعلي باشا، وبالفعل استطاع **علي باشا** الوصول إلى الحكم مع دخول العاصمة في 07 سبتمبر عام 1735م، حيث استعادت أسره الحنانشة عزها ونفوذها السياسي، وزيادة في إكرام أصهاره بنى علي باشا قصرا بتونس ينزلون به عند زيارتهم لابنتهم[10]، وهو الأمر الذي أغضب الباي **حسين بن علي** الذي لجأ إلى طلب ابنة **بوعزيز بن نصر**؛ إلا أن هذا الأخير رفض تزويج الباي ابنته، وهو مادفعه إلى تحريض باي قسنطينة **قليان حسين** لحرمان **بوعزيز** من المشيخة، وفعلا وفعلا انتزعت منه وأعطيت

---

[1]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 220، 221.

[2]- سلوى هويدي-المهدي جراد: **أعوان الدولة التونسية بتونس خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة: هيكل القياد**، المغربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 2019، ص 168.

[3]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 278.

[4]- Ernest Mercier **: Op.cit**, p 237.

[5]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 186.

[6]- Féraud (Ch) **: Les Harar seigneurs des Hanencha,** Op.cit, P 231.

[7]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 109.

[8]-Féraud (Ch) **: Les Harar seigneurs des Hanencha,** Op.cit, P228.

[9]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 86.

[10]- جميلة معاشي: **الأسرالمحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، المرجع السابق، ص 230.

لأخيه **أحمد بن نصر** بمشاركة ابن عمه **محمد بوقفة**[1]؛ ما اضطر الشيخ **بوعزير** إلى الفرار إلى الصحراء[2]، ومما يذكر في السياق ذاته–سعيا لاستمالة الزعامات القبلية– أن الباي **حسين بن علي** مؤسس الأسرة الحسينية، كان قد تزوج من إحدى بنات قبيلة **النمامشة**[3]، وتبعه الابن **محمد الرشيد** الذي تزوج بابنة قائد قبيلة النمامشة وهي القبيلة التي تنحدر منها زوجة والده الأولى، وذلك للغرض ذاته أي كسب معاضدة النمامشة لحسين بن علي وأبنائه[4]، وإلى جانب ذلك صاهر الابن الآخر **علي باي بن حسين** شيخ قبيلة **الحنانشة**، وتزوج بحفيدته **ميرة العكري** التي كانت حسب المصادر فائقة الجمال من قوة بياضها وصفاء دم وجهها[5]، وذلك في إطار سعي **علي باي** لتمتين تحالفاتهم في مواجهتهم لابن عمهم **علي باشا**، إذ سعى لكسب تأييد هذه القبيلة ذات الوزن الاستراتيجي الهام في هذه المعركة، كما كانت هذه الزيجة تلبية لرغبة شيخ الحنانشة الذي استغل هذه الظروف لتحقيق طموحه بعقد مصاهرة مع باي تونس بعد أن كان رفضها حسين بن علي في وقت سابق.

وعموما ارتبط بايات هذه الفترة بعلاقات مصاهرة مع أوساط بدوية في إطار ظروف سياسية مشحونة وهي علاقة مصلحة لذلك لم تعمر طويلا[6]، ومما ساعد قبيلة الحنانشة على زيادة نفوذها عامل المصاهرة خاصة مع بايات تونس، من ذلك أن الشيخ **سلطان بن منصر** زوج **ابنته لعلي باي**– كما تقدم–؛ فازدادت ثروته التي أصبح يضرب بها المثل[7]، وهذا يعكس البعد السياسي في بنية المجتمعات القبلية التي شكل الزواج عندها تعبيرا عن سياستها وأداة للمحافظة على هويتها، وإذا كانت المصاهرات تتيح الوصلة والالتحام وتعزيز روابط القرابة فإنها لا تخرج من جهة أخرى عن كونها وسيلة لتلافي الحروب وتكريس التحالف حيث كان الزواج من أنجع الوسائل لاصطناع رجال القبائل؛ ومنه التمكن من جلب الأتباع واختراق الجماعات البشرية.

لم نلحظ وجود مصاهرات بين أفراد العائلة الحاكمة في تونس مع عائلات حكام الجزائر باستثناء بعض اللاجئين إلى الجزائر من أبناء العائلة التونسية، فلما توفي **يونس بن علي باشا بقسنطينة** ربيع الثاني 1182هـ/أوت– سبتمبر 1768م؛ انتقل ابنه **اسماعيل** إلى الجزائر، وتزوج بها **بنت الخزناجي**، فأولدها ابنه **حسنا**، الذي قدم على الحاضرة التونسية على عهد **حمودة باشا** (1782–1814)، لكنه ما لبث أن قتل لبادرة بدرت منه في 1799، وبقي من آلهم: **مصطفى بن يونس، يوسف بن محمد**، وآخر منهم، ماتوا حتف أنوفهم بمحبسهم من باردو، في أزمان مختلفة[8]. وهذا يبرز لنا – رغم سيادة التوتر في العلاقات السياسية–قوة الصلات الاجتماعية التي بلغت درجة المصاهرة؛ وأرست أسس ودعائم جديدة قوامها رباط النسب.

---

[1]-Féraud (Ch) **: Les Harar seigneurs des Hanencha,** Op.cit, P 230.

[2]- Ernest Mercier **: Op.cit**. p 250.

[3]– محمد علي الحباشي: **عروش تونس**، المرجع السابق، ص 62.

[4]– سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية: الأفراد–المجموعات–شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص 269.

[5]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 131.

[6]– سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية: الأفراد–المجموعات–شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص 269–270.

[7]- Féraud (Ch) **: Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P205.

[8]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 142.

ويبدو أن علاقات التحالف عن طريق المصاهرة السياسية لم تكن قاصرة على منطقة معينة، فقد صاهر البايايات التونسيون حكام الإمارات المتنفذة على غرار إمارة **كوكو بزواوة**، فقد **تزوج الأمير عمر بن القاضي بوختوش** أهم سلاطين الأسرة-**الرابع في سلالة الملوك بكوكو**؛ الذي ظهر اسمه أواخر القرن **16م** واستمر في الحكم إلى غاية **1618م**-، امرأة من أسرة بايات تونس، إذ أن والديها من العائلة المالكة السابقة للحفصيين، وعند مقتل زوجها فرت أرملة **سي عمر** إلى **أهلها بتونس**، وكانت حامل إذ مالبثت أن وضعت ابنه المسمى **حند** أو **سي أحمد بن عمر القاضي بن ختوش** والمكنى أيضا **بأحمد التونسي** الذي سيعمد لاحقا إلى السعي لاستعادة ملك أبيه السليب وهذا بعد الحصول على الدعم المالي والسند العسكري؛ إذ دعمه أخواله بفرقة عسكرية عن طريقها استعاد الحكم عام 1632-1633م [1]، حيث كانت زواوة مركز استقطاب وجذب بمفهوم التحرك السكاني، وفق جدلية الأحداث تحديا واستجابة، وهذا ما حدث في إطار ما يمكن نعته تجاوزا إعادة قولبة البنيات السكانية بالطاقات الجديدة المكتسبة[2]. وكان من نتائج هذا التنويع في المصاهرات- التي ارتبطت في الغالب بالوظيفة- لدى الأسر والأفراد تشابك العلاقات الاجتماعية وزيادة الاندماج والوصل كحتمية فرضها الحراك الاجتماعي، وإذا كانت المصاهرات قد أخذت أحيانا صبغة سياسية كوسيلة من الوسائل المعتمدة للجم الصراع والتناحر وأداة لاصطناع الرجال وتعزيز التحالف كآلية ناجعة لكسب المزيد من الأحلاف، فإن أغلبها – أي المصاهرات- لم تكن لغايات سياسية بحتة بقدر ما شكلت وسيلة ناجعة فتحت الباب لفرص الترقي في السلم الاجتماعي، وأداة يزيد امتدادها من توسيع هامش الامتيازات خاصة تلك الروابط التي نسجها الحكام مع القبائل القوية –كالحنانشة- والعائلات الارستقراطية المتنفذة ذات الوجاهة على غرار الأسر العلمية والشريفية.

ثانيا-الهدايا والإحسانات:

شكل تبادل الهدايا تقليدا عريقا في تاريخ البشرية سواء في إطار العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل مجتمع ما أو بين الدول، فالهدايا والإحسانات لها حضورها في تاريخ العلاقات بين الجزائر وتونس وتأثيرها على أوجه الحياة الاجتماعية بارز؛ لإحياء وتجديد الروابط بين البلدين روحيا وحضاريا، حيث شكل الاستجداء أو الاستهداء أسلوبا مدرسا في بلاطات الملوك والأمراء؛ فالسلطة تعمل على تجميل وجهها القبيح عن طريق الهدايا والهبات، ذلك أن الهبات والأعطيات تمثل في حقيقة الأمر عملية إعادة توزيع لما صادره أو نهبه الأمير على أفراد معينين، لحثهم على الطاعة؛ وتأكيد الولاء وتجديده له، إذ تمدنا دفاتر الأرشيف بمعلومات عديدة وكثيرة حول أسماء الزوايا والمشرفين عليها والمناسبات التي توزع فيها، إضافة إلى ثبتها والغرض من تسليمها، كما نتبين أن هذا النوع من المنح لم ينقطع خلال القرن 18م؛ في فترة يشهد جل المؤرخين على الانتعاشة الاقتصادية التي عرفتها الإيالة التونسية خلالها[3]، وكانت الهدايا تحمل رموزا ودلالات معروفة، وتختلف في طبيعتها ونوعيتها، وعلى الرغم من ذلك فهي بمثابة الأساس الصلب لمد جسور العلاقات الاجتماعية التي ظلت قائمة بين الإيالتين.

---

[1] -Genevois. H: **Légende Des Rois de Koukou**, école second Dioc, El-Harrach, Alger, Algérie, 1974, P 16.

[2]- أحمد ساحي: **المرجع السابق**، ص 37.

[3]- المنصف الشريطي: «**الإحسانات الموزعة على الزوايا في القرن الثامن عشر: الدلالات السياسية والاجتماعية والدينية**» ، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 99-100، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ماي 2000، ص 551.

لكن ما يجب الانتباه إليه هو أن المصادر تصر على التمييز بين ما يقدم كإحسان من قبل الباي وما يقدم كعادة (التمييز بين الإحسان والعادة)، فالمحسن أي الباي هنا يتمتع بكامل الاستقلالية تجاه المحسن إليه فهو" يتفضل عليه" بما أراد ويمنع عنه ذلك متى أراد دون وجود أي شرط أو صيغة تعاقدية تلزم تقديم ذلك الإحسان وتحديد قيمته[1]؛ أي أن **الإحسان** هو بمثابة منحة أو هبة أو هدية؛ يوزع بغير مناسبة وبصفة غير منتظمة؛ على عكس **العوائد** وهي عطايا منتظمة مقتطعة من مداخيل الدولة، والهدية أو الهبة[2]، لذلك نجد ذلك أن مدلول العادة يحيل إلى وجود الصيغة التعاقدية وبالتالي بروز نوع من الاستحقاق لدى الطرف المستفيد ونوعا من الإلزام بالنسبة للطرف المقدم لهذه العادة ويعتبر احترام المقدار والموعد الزمني شرطا من شروط تواصل تلك الصيغة التعاقدية؛ هذا مع إمكانية تحول الإحسان إلى عادة بفعل التقادم لكن بإقرار من الطرفين أي من الطرف المقدم والطرف المستفيد [3].

ويبدو أن ظاهرة الإحسان والتهادي تقليد درج عليه حكام البلدين حفاظا على استمرارية العلاقات الاجتماعية وديمومتها، وتأكيدا على متانة الصلات ورسوخ دعائمها على مر الفترات وتعاقب الأزمنة، فمع استقرار الأخوين **عروج** و**خير الدين بربروس** بحلق الوادي، أرسل الأخير أي خير الدين إلى السلطان الحفصي بتونس في أعقاب عودته من إحدى غزواته هدية، تتمثل في 5000 دوقة بندقية وجاريتين وأربعة غلمان جنويين تتراوح أعمارهم جميعا بين خمس عشرة وستة عشرة سنة، وكانوا في غاية الجمال[4]، وتواصلت الهدايا بين حكام الإيالتين؛ من ذلك البعثة التي أرسلتها الجزائر إلى تونس على عهد الباي **إبراهيم الشريف**(1702-1705) لتوطيد السلام، والتي حملت رسائل ودية من داي الجزائر إلى جانب هدية تتألف **من حصانين، ومهرين؛ وجلود النمور وغير ذلك**، وقد حظي رسل الجزائر باستقبال الباي في محلته بكل أنواع التشريف، واحتفى بهم بالملابس من القماش الصوفي البندقي الناعم الفاخر، واستقبلهم بكل أنواع التشريف، كما أمر الباي للبحارة الجزائريين الذين رابطوا بسفنهم في ميناء غار الملح قرب تونس بكل ما يلزمهم ويكفيهم لمدة شهرين[5].

كان حكام تونس بدورهم يبعثون الهدايا إلى الجزائر، من ذلك ارسال كميات كبيرة من الزيت إلى الجزائر تقدر بحمولتين بحريتين بتعلة استصباح المساجد ومقامات الصالحين[6]، وهو ما يؤكده **جيمس ويلسون ستيفن** الذي يشير إلى الهدية السنوية التي ترسلها الإيالة التونسية والمتمثلة في حمولة من **الزبدة والزيت**[7]، والتي كانت مخصصة لإنارة مساجد مدينة الجزائر؛ إلى جانب هدايا قيمة، إذ يقول **الزهار** في هذا السياق:"**وقد كان ملوك تونس يبعثون مركبا محملا بالزيت، وبعض الهدايا الرفيعة كل سنة فقطعوها في قيامه**"[8]؛ أي أنهم أوقفوها على عهد **حمودة باشا**، ولربما هذا ما

---

[1]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص 391.

[2]- المنصف الشريطي: **المرجع السابق**، ص 551.

[3]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص 391.

[4]- خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 60-61.

[5]-Lucas (Paul): **Voyage du Sieur Paul Lucas**, Op.cit, T2, P 336.

[6]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص 194.

[7]- جيمس ويلسون ستيفن: **المرجع السابق**، ص 175.

[8]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 122.

دفع الباحث التونسي **عبد الحميد هنية** إلى القول أن علاقة البلاد التونسية في الفترة الممتدة من سنة 1756 إلى بداية القرن التاسع عشر علاقة الدولة التابعة والمهيمن عليها من قبل داي الجزائر[1].

لكن يبدو أن تلك الهدية "حمولة زيت زيتون" والتي خصصت للمساجد؛ كانت ذات صبغة اجتماعية دينية حافظت على نوع من الاحترام والأنفة والمحبة بين علماء ومشايخ تلك المؤسسات الدينية، وخلقت نوعا من أنواع الترابط الإسلامي، والتضامن في تقديم أي مساعدة لدولة الجهاد الإسلامي؛ أي أن المنطلقات التي تقوم عليها هذه الإعانات كانت في الغالب عقدية بالدرجة الأولى، فقد كانت إيالة تونس ترسل للجزائر الأموال والمساعدات في أوقات الأزمات، وهذا ما أشار إليه القنصل النرفيجي الدنماركي في رسالته الموجهة إلى الغرفة التجارية بالدنمارك قائلا:" ...**بعث باي تونس بشحنتين من الزيت كهدية لداي الجزائر مع بعض المجوهرات بناء على معلومات لديه بأن الحصاد يكاد أن يكون منعدما، ونتوقع من باي طرابلس هدية أخرى، وهي متواجدة مضمونة في تونس، ولذا فإنني سأرسل إلى سعادتكم التفاصيل بالضبط...**"[2]. وقد أصبحت تلك الهدايا السنوية من العوايد التي تدفعها تونس للجزائر بصورة منتظمة، ولا يمكن لها أن تتخلف عن دفعها، وقد كانت حسب **فانتور دوبارادي** (ق.18م) تتألف من **حمولة زيت للأوجاق" 250 جرة"، وكميات من الصابون، ومن عدة برانس وأغطية رأس من الصوف الناعم، وشالات جربية مطرزة، وعطور وورود**؛ والتي تعدل مبلغ مالي يصل نحو نحو 150.000 جنيه[3]، حيث أضحت هذه " الهدايا" السنوية التي كان يقدمها البايات دوريا إلى حكام الجزائر؛ إضافة إلى مجموعة من الامتيازات الأخرى نوعا من العلاقات الإستلزامية، فمنح حكام الجزائر تسويق بعض الإنتاج الحيواني في الأسواق التونسية وبأسعار يتم تحديدها سلفا يعكس المكانة الدونية لبايات تونس إزاء هؤلاء الحكام؛ إذ يقول **ابن أبي الضياف" صاحب الجزائر أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع في تونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة، والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تدعي رعاته أنه سرق منهم في أرض تونس، فيزاد في ثمنه على الثمن المطلوب"**[4]، وقد أصبحت تفد على الباي ومنذ 1795-1796 من **داي الجزائر**؛ أعداد وافرة من المواشي يبيعها ويبعث بثمنها إلى الداي كشكل من أشكال التبعية[5].

انتشرت خلال الفترة ظاهرة ملفتة للانتباه؛ وهي ثقافة التهادي بالغلمان والجواري التي كانت تقليدا قديما؛ سائدا حتى قبيل انتصاب حكم الأتراك العثمانيين بالجزائر، فقد أهدى **دولاتلي الجزائر** إلى **علي باشا** مملوك ينسب إلى نصارى الصبنيول (الاسبان)، وهو على دينه، فأسلم على يديه وقربه منه وأجله وجعله أحد خدامه وهو المسمى **عصمان آغا**، وكان مقدما عنده على جميع الفرسان، رقاه إلى أن جعله **آغا على وجق صبايحية الباجية**، وسيره إلى بلد باجة[6]، كما

---

[1]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 194.

[2]- يوسفي صرهودة: "**الهدايا التونسية لموظفي إيالة الجزائر 1756-1807**"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، العدد 03، الجزائر، 2020، ص 275.

[3]--Venture De Paradis : **Op.cit**, P 195.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 40.

[5]- عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، المرجع السابق، ص 194.

[6]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 210-211.

أهدى **محمد باي بن علي باشا** عقب وفاة باي قسنطينة **عشي حسن** وتولية **حسن باي** مكانه؛ هدية مرضية ومعها **مملوك صغير** لقبه: **قزق**، سار بها خدامه إلى أن دخلوا **قسنطينة**؛ وقبل المملوك يد **الباي حسن**، ثم بعث **بهدية** إلى **الخزناجي** واختصه بها دون **علي بوصبع** أي الداي، ثم بعث **محمد باي** هدية أخرى **للخزناجي**[1].

إن الإحسانات أو الهدايا تقليد ديبلوماسي تبناه المخزن التونسي في تعاملاته مع ما يتوزع من حوله من جماعات وبلدان وأوطان، وهو ما يفيد أن الإحسانات أخذت وجهة انطلقت من السلطة نحو الرعية، بعكس العرف السائد في التعامل الرأسي الذي يكون بين سلطتين حاكمتين أو أكثر[2]، حيث توزعت الصدقات والهدايا المقدمة على سكان أماكن البلاد وبعض الزوايا والبلدان المجاورة كالجزائر والصحراء خلال الفترة الممتدة من 1170-1192هـ/1756-1779م؛كما توضحه بعض الدفاتر"الدفتر2144، الدفتر 2145"[3]، وكان دافع هذه الإحسانات حرص بايات تونس على نسج شبكة من العلاقات مع الجزائر بعناوين ديبلوماسية أكثر تنوعا؛ من خلال تقديم **هدايا عينية** لكبار للموظفين بقصر الداي ولباي قسنطينة والمحيط المقرب منه إلى جانب باي التيطري، وشيوخ القبائل، وقائمة طويلة بأسماء أشخاص استقبلوا الهدايا والإحسانات؛ على مستوى الجماعات الريفية أو المراكز الحضرية والعمرانية [4].

وقد اتسمت هذه الإحسانات **بالشمولية وطول الأمد أي الاستمرارية والتراتبية الاجتماعية للمحسن إليه**، إذ يستفاد من السجلات التونسية الخاصة بمصاريف الدولة ومداخيلها، أن هدايا **الباي التونسي** كانت لا تشمل فقط الداي، وأرباب الدولة في الجزائر، وباي قسنطينة، **أي أنها لم تأخذ شكلا رأسيا بين أرباب السلط الحاكمة كما جرى عليه العرف، ولكنها امتدت لتشمل شخصيات حكومية وقبلية ودينية في مختلف أقاليم الجزائر**، ومقاطعاتها (بيالكها) بإذن من **محمد باي** وأخيه **علي باي** أبناء **حسين بن علي** في الفترة الممتدة من عام 1170هـ 1170هـ/1756م-1192هـ/ 1779م مثل **التيطري**[5]، و**قائد تبسة**[6]، **وشيوخ الحنانشة**[7]، و**النمامشة**[8]، و**الأوراس**[9]، وزواوة[10]، **وشيوخ زاوية قرومة**[11](ضواحي البويرة)، **زاوية عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة**[12]، **زاوية**

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المصدر نفسه**، مج4، ص 07-08.

[2]- توفيق بن زردة: "**إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/ 1756م-1192هـ/1779 من خلال الدفترين 2145، 2144 بالأرشيف التونسي**، مجلة الآداب والعلوم الأنسانية، مج 16، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2017، ص 1، 3.

[3]- منصف الفخفاخ: **موجز الدفاتر الإدارية والجبائية –الأرشيف الوطني التونسي–**تق: عبد الجليل التميمي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990، ص 284.

[4]- توفيق بن زردة: **الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال دفاتر الأرشيف التونسي**، ط1، منشورات ألفا للوثائق Alpha Doc، قسنطينة، الجزائر، 2021، ص 12، 15.

[5]-**أ.و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص249-250.**

[6]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية الدفتر 2144، ص .206.**

[7]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص .210-224.**

[8]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص .319-320.**

[9]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص .243.**

[10]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص 247-248.**

[11]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144، ص274-275. وانظر الدفتر رقم 2145، ص 224.**

[12]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 2144، ص 266.**

سيدي علي بن مبارك (القليعة)[1]، **وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة**[2]، **وخنقة سيدي ناجي**[3] **ولأهل سيدي عقبة**[4] **وأولادسيدي عبيد**[5] وغيرهم، حيث كانت الغاية من وراء تقديم هذه الإحسانات المخصصة للزوايا ومشايخها كسب تأييد القوى الدينية .

إن الهدايا التي تقدم سنويا لحكام الجزائر ضخمة ومتنوعة كما تبينها لنا المصادر؛ سواء من حيث تركيبة هذه الهدايا أو من حيث قيمة هذه الإحسانات والأطراف المستفيدة منها، وسنقتصر هنا على ذكر الهدايا التي قدمت إلى بايات قسنطينة أو بايات الغرب مع العلم أن لباي قسنطينة دورا فاعلا ومؤثرا في العلاقة بين الدولاتلي في الجزائر وحكام تونس؛ إضافة إلى الدور العسكري المؤثر عند حدوث الخلاف بين الطرفين، لذا خصه **حسين بن علي** بهدية سنوية مثله مثل الأطراف الفاعلة في مدينة الجزائر، والملاحظ أيضا أن حكام تونس بعد 1756م وجهوا هدايا إلى باي التيطري، وكذلك إلى بعض الفاعلين المحليين مثل **قائد تبسة**؛ إضافة إلى **شيوخ القبائل** ولا سيما **الحنانشة** بشقيهم والكثير من **المرابطين والصلحاء**، إلا أن هذه الهدايا وهذا الإحسان لم يكن متواصلا في الزمن مثلما هو الشأن بالنسبة لهدايا باي قسنطينة، وهدايا الدولاتلي وأعوانه بمدينة الجزائر. أما عن هدايا **باي قسنطينة** التي تم تقديمها دون انقطاع طيلة الفترة الزمنية؛ فقد وردت الإشارة إليها في بعض السجلات الإدارية على غرار الدفتر 2144 أي من سنة 1170هـ/1776-1777م، وسنعرض هنا مكونات الهدية التي خص بها في أول هذه الفترة أي سنة 1170هـ/1756-1757م ثم مكونات الهدية سنة 1189هـ/1775-1776م، فقد بلغت قيمة هدية **باي قسنطينة** الموجهة له في سنة 1170هـ/1756-1757م أي مباشرة إثر إعادة **أبناء حسين بن علي** إلى الحكم: 2819 ريال وربع، وتتمثل في المكونات التالية:" **سرج متموم من العالي بقبورهم، وأجرة 31 مثقال وعشرة نوايات ذهب للسويات والطوقات لمحزمة وبلاسكة، دون ذهب من سيدنا أي محمد باي، وركاب مذهب خد بخد، و19 طزينة شواشي وزوج كوامل أزرق ووردي حرير بالصارمة والانجاصات، وزوج برانس حرير مدورين بشريط الفضة، و9 برانس جريدي، دون 3 من سيدنا، و12 سفساري منهم 3 من المعظم سيدنا، وحق حجر رابين، و3 حجرات روبين، وحق فجرة للزنبراك وتذهيبه، ومرجانة وفجرة لبلاسكة الخليفة، وحق 12 مثقال ذهب لطوقات الكوامل، وحق زوج مقاطع لتغليفة الصنادق والمهمات للهدية المذكورة**"[6]، أما هدية سنة 1178هـ/ 1764-1765م فقد كانت من نصيب **أحمد القلي** باي قسنطينة (1756-1771) **وابنه** وتتمثل في **سرجين من النوع الرفيع مرصعين بالذهب والفضة، ومطرزين بالحرير ذوي ركاب من حديد تم تذهيبه وذوي ستارة من حرير صارمة**، كما تحتوي على **ساعة زنبراك مذهبة** تحتوي على **32 حجرة من الديامنت وبها سلسلة من الذهب**، وقد بلغت قيمة هذه الساعة لوحدها 453 ريال في حين بلغت

---

[1]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر **2144**، ص **277**. وانظر الدفتر رقم **2145**، ص **229**.

[2]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر **2144**، ص .**276**.

[3]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر **2144**، ص .**302-309**. وانظر الدفتر رقم **2145**، ص **248-251**.

[4]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر **2144**، ص **301**.

[5]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر **2144**، ص .**314-315**. وانظر الدفتر رقم **2145**، ص **258**.

[6]- أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: **2144**، ص177.

قيمة الهدية الموجهة **لأحمد باي** اجمالا: 6620.23 ريال[1]؛ أي حوالي ضعف قيمة هدية 1170هـ/1756-1757م، وقد تواصلت هذه الإحسانات وأخذت طابعا دوريا، حيث خص **صالح باي البايات** عام 1192هـ/ 1778م بهدية ضمت :" 40 **سفساري**، 20 **برنوس**، 4000 **ذراع ملف معهود**، 400 **ذراع كمخة**" [2]، ولم تكن الإحسانات قاصرة على الباي بل شمل العطاء حتى موظفيه، فقد حظي **الحاج مصطفى انجليز** خليفة باي قسنطينة **مصطفى الوزناجي**(1795-1798م)؛ بإحسان من الباي التونسي **حمودة باشا**(1782-1814م) بلغت قيمته 450 ريالا بتاريخ شعبان 1211هـ/ جانفي 1797م[3].

ومما لا شك فيه أن هذه الهدايا العرضية تبرز بكثير من الوضوح طبيعة العلاقة الاستلزامية التي يخضع لها بايات تونس إزاء حكام الجزائر، فقد ورد مصروف كهدية للجزائر عام 1171هـ/1756م على عهد **محمد باي بن حسين**(1756-1759) تم تخصصيها لموظفي دار السلطان بتراتبيتهم ومكانتهم الاجتماعية (**الخزناجي، الأغا، خوجة الخيل، بيت المال، محمد خوجة وكيل الحرج، السراج، قارة خوجة، خوجة النوباجية، باش سايس...**) بـ: 2725 سلطاني[4]، وما يؤكد البعد الاستغلالي للهدية القيمة المرتفعة التي كانت ترفع سنويا إلى **دولاتلي الجزائر وأعوانه**، ففي سنة 1170هـ/ 1756-1757م بلغت قيمة الهدية التي وجهت إلى الجزائر 4391.63 ريال **وثلاثة أرباع** ريال **مع ثلاثة سروج من النوع الرفيع للدولاتلي ولحفيده وللخزناجي وكذلك 03 محازم ببلاسكاتهم**[5].

ولم تقتصر الهدايا على الجانب المادي؛ بل شملت أيضا إرسال بعض الإماء من بنات النصارى، فقد جهز **محمد باي** عام 1756م بعض أصحابه لمدينة الجزائر ليأتيه بعياله وأولاده، وأمر **محمد باي** أمين نجارة القشاشين أن يضع له ركابتين لمن فيهما ساترتين؛ حيث أرسل لدولاتلي الجزائر **بنتين جميلتين من بنات نساء نصارى طبرقة**؛ كساهما وحلاهما وسارت بهما الخيل إلى أن دخلا مدينة الجزائر، وبعث الداي لرايس فرقاطة العسة، وأمره بالسير إلى **مرسى حلق الوادي** وتبليغ مكتوبه إلى ابني **حسين بن علي**، فرسي في مدينة **بنزرت** ومنها سار في البر إلى أن دخل **باردو** تونس، واجتمع بالأميرين وسلم لهما المكتوب، فقضى محمد باي ما بعث فيه الدولاتلي وأكرم الرايس، وأطلق لسانه بجليل النفائس وجهزه[6]، وقد حمل بعض موظفي البايلك الهدية السنوية المقررة **لدار السلطان**، فقد توجه بها **باش كاتب** بهدية إلى الجزائر قدرت إجمالا بـ **4399** من الريالات؛ وهذا في **محرم الحرام سنة 1171هـ/ 1757**م على عهد **محمد باي** (1756-1759)؛" **وخرج مصروف على هدية الجزائر الذي توجه بها باش كاتب**" [7]. إن هذه الهدية السنوية المرسلة إلى الجزائر -1170عام هـ/ 1756-1757م- على أهميتها ستتضاعف بعد سنتين لتبلغ في سنة

---

[1]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 189.

[2]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 182.

[3]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 221**، ص 95.

[4]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 41.

[5]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص252.

[6]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 116-117.

[7]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 88.

1172هـ/1758-1759م: 9645.12 ريال، وقد تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء؛ قسما موجها **للدولاتلي** وآخر **للأغا** وثالث **للخزناجي** أما القسم الرابع فقد وجه إلى **وكيل الحرج**[1]، **فالدولاتلي** تحصل على " 80000 **سلطاني ومنقالة ساعة ذهب بالأحجار، وسرج متموم سقطة فجرة فضة مذهب، وشال وردي و10 دزينات شاشية عمل الحداد، و2 كوامل صارمة حلقهم ذهب وسبحة عنبر معمرة وصندوق معمر بخيارات العطر و2 حكك طوابع عنبر و4 حياك حرير و4 برانس جريدي معمرين ومنطقة بالذهب والحجار لابنه وزوج خلاخل ذهب لابنه**"، **أما الآغا** فقد تحصل على:" **مسكة ذهب بالأحجار، ومحزمة بلاسكة عمايرهم ذهب وزوج شبور تركيبهم ذهب، وبرنوس تونسي حرير معمر بالذهب، وزوج برانس جربي، وخمسة دزينات شاشية عمل الحداد، وسبحة عنبر معمرة، وكامل صارمة حرير حلقة ذهب**"، في حين تحصل **الخزناجي** على **مقياس ذهب بالحجار وناصية ذهب الأحجار متمومة، ومحزمة وبلاسكة عمايرهم ذهب، وبرنوس حرير معمر بالذهب، وزوج برانس مختم، وخمسة دزينات شاشية عمل الحداد، وكامل بالصارمة حلق ذهب**"، وأخيرا تحصل **الحاج محمد وكيل الحرج** والذي حمل الهدية من تونس إلى الجزائر على:" **حصان، وسرج بالصارمة متموم، وزوج قبور، ورومي مملوك، وزوج كوامل مجبود حلقهم ذهب، وعشرة دزينات شاشية عمل الحداد، و4 برانس مختم، و2 برانس معمرين، و2 برانس حرير معمرين**"، ونجد أن الهدية التي أرسلت سنة 1176هـ/1762-1763م قد شملت أطرافا جديدة لم تذكر سابقا كما شملت مواد جديدة لم تكن مقدمة ضمن في الهدية في السابق، فالبنسبة للأطراف الجديدة علاوة على الدولاتلي والأغا والخزناجي ووكيل الحرج نجد **دار عيال الدولاتلي وخوجة الخيل** وخوجة **وكيل الحرج** وشقيقي **الباشا** و**الباش مقطاعجي** و**باش مفتي الجزائر**، أما بالنسبة للمواد المضافة للهدية علاوة على المواد السابقة الذكر نجد" **الزيت الزيتون الأبيض والأكحل والتمر والفستق وعظم الحوت**"، **إضافة إلى 47 طزينة شاشية و33 برنوس جربي**[2].

وقد جاء في هدية الجزائر عام 1191هـ/ 1777م على عهد الباي التونسي **علي باي**(1759-1782)، والتي خص بها **الداي ووكيل الحرج**، أما هدية **الدولاتلي** فقد ضمت:(**أربعة برانس جربي للدولاتلي في صندوق، أربعة برانس جريدي، أربعة سفاسر فرش، عشرة طزينات شواشي**)، والصندوق الثاني شمل:(**47 طزينة شاشية، 32 برنوس جربي، برنوس جريدي، 03 برانس حرير بالفضة، أربعة محازم لأربابهم، محزمة خامسة لحزمة دار الدولاتلي، سرج متموم سقطة بجرة، سبعة قزازات عطر**)، في حين ضمت هدية **وكيل الحرج**:(**كبوط ملف شناقلة فضة مذهبة، زوج برانس جريدي، 03 برانس جربي، 03 طزينات شواشي**)، وقد شملت هدية العام الموالي أي عام 1192هـ/ 1778م والتي خصصت بدورها للدولاتلي ووكيل الحرج، نفس المواد ونفس كمية التي ضمتها هدية العام المنصرم[3]، الملاحظ أن الهدايا الدورية أي السنوية الموجهة إلى الدولاتلي وأعوانه، قد أضحت عادة حافظت على نفس الكمية أو بزيادة دون أن يعتريها نقصان.

[1]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص257.

[2]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص261.

[3]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص209.

وعلى الرغم من أن منزلة باي التيطري لم ترق إلى مكانة باي قسنطينة بالنسبة للمخزن التونسي-بحكم بعده عن مسرح الأحداث-إلا أنه خص أيضا بنصيب من هذه الإحسانات، فقد تلقى عطاء قيمته 230 ريالا سنة 1171هـ/ 1757م حوى **سرج متموم**[1]، كما ضمت هدية **باي التيطري** عام 1190هـ/ 1776م: **سرج متموم سقطة فضة، زوج برانس حرير بالفضة، عشرة طزينات شاشية، تماق وريحية وشبور، محزمة وبلاسكه**[2].

وفي جاء في السجلات التونسية ذكر لأسماء **السيار**(المبعوثين) والمهمة التي جاءوا من أجلها، والإحسانات التي تلقوها من خزينة الباي من أموال وتحف، ولما تلقاه مرافقوهم من الحرس والخدم، وإلى غيرهم من الوافدين على تونس في مهام غير رسمية وكانوا محل اتحاف وإحسان، كرياس البحر، وبعض الأعيان، وبعض الحجاج الموفدين إلى المشرق أو العائدين منه، وقد بلغ ما أخرجه **علي باي** (1759-1782) في شكل هدايا وإحسانات للجزائريين-الذين حلوا بحاضرته في مهام رسمية وغير رسمية- خلال السبع سنوات الأولى من حكمه-وهي التي زامن فيها الداي علي بوصبع- وجد أنها أكثر من 750.000 من الريالات، دون احتساب قيم الزيت والفواكه والمرطبات[3]، من ذلك ما جاء في أحد الدفاتر الإدارية والجبائية عام 1171هـ/ 1757م أي على **عهد محمد باي** تونس، إذ نجد مدفوع لسي **محمد بن نعمون** كاتب باي قسنطينة في حق الإبل التي بيعت في تونس قيمته: 2600 ريال، ومدفوع **للحاج محمد الصفاقسي** وكيل باي قسنطينة في حق البقر التي باعها هو الآخر في تونس قيمته 101661 من الريالات، ومن الأمثلة الدالة على تعويض ما ضاع، ما جاء في نفس الدفتر خلال نفس العام، إذ نجد مدفوع لخدام الشيخ **إبراهيم بن بوعزيز** شيخ الحنانشة في حق البقر الذي ضاع لهم؛ وادعوا أن الهمامة أخذوها[4]، ومن إحسانات الباي التونسي **حمودة باشا** إقامة دار ضيافة تحت نظر وكيل الجزائر بتونس لإقامة الضيوف والوفود الجزائريين الذين يحلون بتونس وذلك بين 1794-1805[5]؛ حيث تقدم لهم الخدمات المعتادة من الضيافة والتكريم[6].

وقد شملت احسانات بايات تونس أفراد عائلات حكام الجزائر، فقد تم في شهر شعبان عام 1173هـ/1759م كراء 14 زايلة- بمبلغ 210 ريالا- لنقل أشياء وحاجيات **الحاج يوسف** أخ داي الجزائر[7]، كما قدم **محمد الرشيد باي** تونس **لمحمد خوجة** حفيد الدولاتلي سنة 1170هـ/ 1756-1757م " **منقالة ساعة ذهب، وكسوة ملف مكلفة وبرنوس هام ملف، وحصان من المراكيب، وسرج مكلف ستارته موبر، وحصان من خيل الباشا**"[8]، وخص **أحمد المليانى** خال باي قسنطينة بإحسان قيمته 100 ريال عام 1172هـ/ 1758م[9]، وإحسان أيضا للحاج **محمد خوجة**

---

[1]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 249.

[2]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص179.

[3]- عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ**، المرجع السابق، ص 221.

[4]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 36.

[5]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 83.

[6]- عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 12هـ**/18م، المرجع السابق، ص 274.

[7]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 94**، ص123.

[8]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص251.

[9]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص179.

حفيد باي قسنطينة–لما قدم على تونس- قيمته 1350 من الريالات عام 1195هـ/ 1780م[1]، كما خصصت مؤنة **لحفيد باي التيطري** المتوجه إلى الجزائر في 17 جمادى الثانية سنة 1179هـ/1765م، وقد حوت مواد ضرورية: (**قنطارين بشماط، نصف مطر زيت، سمن، ربع قنطار روز، ربع قنطار زيتون، نصف مطر خل**)[2]؛ بل شملت الإحسانات حتى خدم دايات وبايات الجزائر، كما هو مع عبيد وخدم باي قسنطينة، فقد حظي **خديم إبراهيم** ولد باي قسنطينة بإحسان قيمته 25 ريالا، في حين تم منح 100 من الأريلة لأربعة عبيد(وصفان) خدام باي قسنطينة، وهذا في شهر شعبان عام 1173هـ/1759م[3]. والملاحظ أن هذه الهدايا " التي تخرج بصفة دورية–مرة كل سنة–وبانتظام" تحمل أبعادا رمزية وهي الإقرار بتبعية بايات تونس إزاء حكام الجزائر، وتحمل بعدا استغلاليا نتيجة ضخامة كلفة هذه الهدايا فتعكس بذلك حاجة حكام الجزائر إلى مكونات هذه الهدايا وبالتالي إلى بايات تونس، ولكن مرة أخرى تبدو هذه التبعية غير متكافئة أي على حساب باي تونس.

ويبدو أن الهدايا التي كان يرسلها بايات تونس والتي يتولى حملها أحيانا رجال دين، كان بعضها لا يصل إلى حكام الإيالة بل كانت تتحول إلى **البايات** قبل أن تصل دار السلطان، ويورد **كاثكارت** أسير الداي في هذا الجانب قصة حدثت يوم 24 ماي 1788م في اجتماع للداي مع المرابط **الشيخ منصور** حضره رئيس الوزراء (الخزناجي) وبعض الضباط العسكريين؛ أين سأل الداي باي قسنطينة عن مبلغ من المال أرسله له الباي التونسي على سبيل الهدية، ووضعه في يده **الحاج منصور** الذي كلفه باي تونس بأن يسلمه إياه؛ أثناء مرور الحاج بتونس عائدا من الأماكن المقدسة[4].

والملاحظ أن الإحسانات كامتيازات مادية، يقدمها البايلك للأعيان والوافدين؛ قد أخذت وجهة عكسية لما هو متعارف عليه، حيث انطلقت من السلطة نحو الرعية؛ كما هو الحال مع العرف الديبلوماسي الذي درج عليه بايات تونس في تعاملاتهم مع هذه المجموعات الحدودية لدرء الخطر واستجلاب معها، وإشعارا بالتقدير والاحترام وتأكيدا للتحالف مع شيوخ الحنانشة وكسب ولائهم؛ حيث اتبعوا سياسة راقية في تدعيم أواصر الصداقة مع زعماء هذه القبيلة عن طريق تقديم هدايا ثمينة (عائدات واحسانات)، ورغم ذلك فقد بدا عنصر التفرقة واضحا في حجم توزيع هذه الإحسانات بين الفرعين، حيث كان في هذه المرحلة نصيب فرع **نصر** وشيخه **ابراهيم بن بوعزيز** أوفر من فرع **منصر** وشيخه **محمد بن سلطان**؛ كما أكد الدفتران على ذلك الحراك الاجتماعي الذي كان قائما بين الإيالتين من خلال تردد فئات الحنانشة على تونس قصد تلبية حاجياتهم مثل العلاج، واقتناء المستلزمات والقيام بزيارات لبعض الأضرحة، مما جعل هذه الجماعات بحكم بعدها الجغرافي ووضعها الحدودي عامل توافق اجتماعي بين الجزائر وتونس خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر[5]. لقد كان أعيان الحنانشة يحصلون حتى أواخر القرن 18م على عوائد واحسانات مثل حكام الجزائر، وهي عبارة عن مواد متنوعة كالسروج المطرزة والكساوي الثمينة[6]، حيث تلقى الشيخ **ابراهيم بن بوعزيز**

---

[1]- أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص184.

[2]– أ.و.ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 1046**، ص13.

[3]–أ.و. ت، **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 94**، ص123.

[4]- جيمس ليندر كاثكارت: **المصدر السابق**، ص 119.

[5]– توفيق بن زردة: "**إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/ 1756م–1192هـ/1779** ...، المرجع السابق، ص 1، 3.

[6]– فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574–1881**، المرجع السابق، ص 209–210.

(1755-1772م) شيخ حنانشة **نصر** بين 1174-1187هـ/ 1760- 1773م هدايا معتبرة (ما بين سروج وبنادق وفضة وذهب، بالإضافة إلى مواد أخرى كالتمر والزيت والصابون)؛ بلغت قيمتها 6518.09 ريالا، وهناك هدايا أخرى لم تحدد قيمتها (صنادق مجلدة، قفاطن، وبرانس وسروج)، أما **محمد بن سلطان** شيخ حنانشة **منصر**، فقد تلقى هو الآخر وابنه هدية بقيمة 478 ريالا عام 1175هـ/ 1761م، واحسانا لأخيه **عمار بن سلطان** وابنه بقيمة 225 من الريالات[1].

هذا ولم يقف الإحسان عند المناطق والجماعات المتاخمة مباشرة للإيالة التونسية بل طال أيضا بعض الفاعلين والمتنفذين في المناطق البعيدة نسبيا، حيث مست هذه الهبات والأعطيات التي جاد بها بايات تونس زعامات قبلية وشخصيات قيادية، **من** ذلك تقديم سرج بقيمة 115 ريالا للشيخ **إبراهيم بن قانة** شيخ تقرت على يد محمد الخوجة، وذلك في شوال 1208هـ/ ماي – جوان 1794م، وتقديم إحسان لبعض الرسل الذين قدموا برسالة من شيخ الأوراس[2]، وقد خص **محمد بن منصر بن مراد** شيخ أوراس بإحسان قيمته 100 ريال في 23 ربيع الأول عام 1193هـ/ 1779م[3]، كما وردت أيضا أسماء أبناء أسرة بني جلاب–تقرت-؛ كما هو الحال مع **محمد بن جلاب التقرتي** و**محمد بن مسعود** شيخ طواقة اللذين نالا عطاء قيمته 80 ريالا في ذي الحجة عام 1170هـ/ 1756م بإذن من الباي التونسي **محمد الرشيد** (1756-1759)[4]، وقد خص قايد تبسة بإحسان من **علي باي** (1759-1782) على يد خزندار قيمته 150 ريالا في شعبان سنة 1170هـ/1756م.[5].

ويبدو أن الإحسان أخذ طابعا استلزاميا؛ فأضحى عادة سنوية حافظت على نفس القيمة، فقد خص قايد تبسة **محمد طاطار** بإحسان قيمته 150 ريالا في جمادى الثانية عام 1195هـ/1781م[6]، وشمل عطاء البايات أبناء القايد، حيث نال **مصطفى** ولد قايد تبسة إحسانا قيمته 200 ريالا في شعبان 1194هـ/ 1780م [7]، وهو يؤكد السعي الدؤوب الذي ميز استراتيجية الإحسان والتي تهدف إلى توثيق العلاقات بين مختلف النشطاء والفاعلين المحليين في المناطق الشرقية لإيالة الجزائر، وبالتالي محاولة تفكيك العلاقات القائمة بين هؤلاء الفاعلين من جهة وباي قسنطينة وداي الجزائر من جهة أخرى؛ وهو ما تم فعلا بالنسبة لوجهاء طرود ويحي بن طالب[8]. والملاحظ أن الإحسانات التي أخذت وجهتها نحو الرعية لاستقطابها ومحاولة احتوائها؛ لم تستثن الشخصيات الدينية المتنفذة من العلماء والمرابطين، فقد ورد اسم المرابط **بن سيدي مبروك** الذي حظي بإحسان قيمته 50 ريال في ربيع الثاني عام 1197هـ/1782م**[9]**، والمرابط **محمد بن**

---

[1]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 212-218، 221-223.

[2]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، ص409.

[3]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 205.

[4]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 295.

[5]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 206.

[6]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 167.

[7]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 167.

[8]- حمادي دالي: **المرجع السابق**، صص409، 410.

[9]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 191.

العظيم بن ورتيلان من قسنطينة، الذي نال هو الآخر إحسانا قيمته 60 ريالا في 25 جمادى الأولى عام 1193هـ/1779م؛ وهي نفس القيمة التي حصل عليها في العام الموالي والعام الذي بعده، حيث تحول هذا الإحسان على ما يبدو إلى عادة، وأيضا المرابط **علي بوعكاز** وتلاميذه الذين قدموا من الحجاز حيث حصلوا على إحسان قيمته 10 ريالات عام 1173هـ/ 1759م[1]، وأيضا إحسان للمرابط **محمد بن الأكحل** سيار أولاد سيدي علي بن مبارك على يد الحاج محمد البواب قيمته 10 ريالات عام 1194هـ/ 1780م[2]، وإحسان للمرابط **بلقاسم الديلمي وعبدي البليلي** الذين قدما من المسيلة قيمته 40 ريالا في ربيع الثاني 1180هـ/ 1766م، وإحسان للمرابط **التواتي بن الشيخ علي** بن سلطان من وادي ريغ قيمته 20 ريالا عام 1188هـ/1774م[3]، وخص صلحاء جبل زواوة بإحسان قدرت قيمته بـ: 15607 من الريالات عام 1194هـ/1780م[4].

أما العلماء والصلحاء فتزاحمت أسماؤهم خاصة من **الخنقة** ، مثل الفقيه **محمد الخنقي**، سي **مبارك السايغ**، الفقيه الإمام **سي أحمد العمري**[5]، وسي **عبد الكريم بن محمد** الإمام بجامع سيدي عبد الحفيظ الذي حصل على 30 ريالا كإحسان عام 1191هـ/ 1777م[6]، وهبات لكل من الفقيه **محمد اليعلاوي** في رجب 1183هـ/ 1769م، والفقيه **محمد بن منصور الراشدي** في ربيع الأول عام 1183هـ/ 1769م[7].كما حظيت بعض العائلات العلمية الشريفية بنصيب من هذه الإحسانات؛ من ذلك أسرة الفكون بقسنطينة التي تولت مشيخة الإسلام ورئاسة ركب الحجيج، حيث وردت أسماء بعض أبنائها كالشيخ **بدر الدين وابنه عبد الكريم**؛ هذا الأخير الذي خص بإحسان لما آلت رئاسة الركب في رحلته إلى الحج قيمته 500 ريال في رجب عام 1177هـ/ 1763م، وبأوبته في إحدى رحلاته من البقاع المقدسة حظي بنفس قيمة الإحسان نظير الفرس الذي قدمه كهدية للباي التونسي **علي باي** في رمضان عام 1182هـ/ 1768م، وجعلت إحسانات لبعض أفراد العائلة على غرار **حسين الفقون القسنطيني** الذي حظي بإحسان قيمته 40 ريال عام 1176هـ/ 1762م[8]، بل أن الإحسانات نالت حتى خدم العائلة كما هو الحال مع خديم **عبد الكريم ولد سي بدر الدين** الذي نال مائة ريال عام 1175هـ/ 1761م[9]، كما كان لطلبة العلم نصيب من هذه الإحسانات فقد نال الطالب القسنطيني الذي قطعت يده إحسانا قيمته 100 ريال عام 1177هـ/ 1763م، وحظي طالب العلم المسمى **سي أحمد بن عمر** من أولاد سيدي المبارك بعطاء قيمته 30 ريالا في 18 رجب عام 1182/ 1768م[10]،

---

[1]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 181، 183.

[2]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 229.

[3]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 300، 297.

[4]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 207.

[5]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 303، 304، 307.

[6]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 248.

[7]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 195، 196.

[8]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 188، 195، 187.

[9]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 185.

[10]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 187، 304.

ومن النمامشة نجد الطالب **صالح النموشي** الذي حصل على 30 ريال كإحسان عام 1192هـ/ 1778م[1]. يستنتج أن الجهات التي شملها الإحسان ووصلتها الهبات والعطايا بشكل مباشر أو عن طريق مبعوثين؛ على عهدي الباي محمد وأخيه علي لم تكن قاصرة على الجهات الرسمية في الجزائر؛ بل كانت امتدت لتشمل جهات غير رسمية كثيرة، ولعل تلك الجهات كلها أو بعضها- التي ارتبط معها الأخوين بعلاقات لما كانا في منفاهما بالجزائر-كان لها الفضل في عودتهما إلى وطنهما، وتمكينهما من الملك؛ على غرار الحنانشة، وإذا كان الهدف من وراء تقديم الباي بانتظام هدايا إلى الداي وحكومته، وإلى باي قسنطينة، وإلى مبعوثيهم، هو كسب رضاهم، واتقاء نقمتهم عليه، فإن تقديم الهدايا إلى غيرهم من شيوخ القبائل ومشايخ الزوايا، ومقدميها كان فيما يبدو للوفاء بالجميل الذي أسدوه له ذات يوم، ولتحسين ذكره لديهم، ولنشر سمعته بواسطتهم في الآفاق[2].

إن ظاهرة التهادي كانت متبادلة بين حكام الإيالتين عبر مختلف الفترات؛ عكس الاعتقاد السائد والمتداول عند البعض من الباحثين الذي ينفي صفة التبادلية ويقر أن الهدايا والإحسانات كانت من طرف واحد؛ أي أن الهدايا مقدمة من دولة تونس إلى دولة الجزائر في كل سنة وفي مختلف المناسبات الاجتماعية، وأن معظم المصادر المهتمة بهذه الفترة التاريخية في تونس والجزائر على السواء تفند هذا الرأي؛ وتذهب عكس هذا الطرح، وتؤكد في المقابل إرسال هدايا من الدايات والبايات وبعض الشخصيات المتنفذة كأعيان بايلك الشرق إلى حكام تونس، وكانت الخيول جزء من هداياهم، كما هو الحال مع **القائد حسين** الذي أهدى الباي **محمد الرشيد** (1756-1759) **فرسا** لما قدم من قسنطينة قاصدا الحج عام 1170هـ/1756م، ونال نظير ذلك إحسانا قيمته 500 ريال، وقدم أيضا **محمد بن علي الزاوي حديد القائد حسين** حصانا هدية للباي المذكور في نفس العام(1170هـ/1756م)، ونال لقاء فعله إحسانا من **محمد باي** على يد **علي الجزائري** قايد الأعراض قيمته 30 ريالا[3]، وجاءت هدية باي قسنطينة على يد نفرين من أتباعه: **محمد بن زعنون وصاحبه** اللذين قدما للباي التونسي **محمد الرشيد** زوج من الخيل في حجة 1171هـ/1757م، ونالا جزاء ذلك إحسانا قيمته 100 ريال[4]، ومن العامة قدم **محمد السراج التلمساني** زوج سفاسر بالقلقولة للأميرين محمد وعلى أبناء الباي حسين بن علي في جمادى الثانية عام 1170هـ/1756م، ونظير هذا الفعل حظي بإحسان قيمته 150 ريالا[5].

حافظت سياسة التهادي بين الدايات والبايات على عهد الباي التونسي حمودة باشا الحسيني (1782-1814) على ديمومتها؛ وكانت ملمحا بارزا لاستمرارية الحراك الاجتماعي، حيث كانت علاقة **صالح باي** قسنطينة مع **حمودة باشا** باي تونس، حسنة، وكانت بينهما الهدايا العظيمة؛ الأمر الذي أدى إلى ازدهار التجارة بين تونس وقسنطينة، وبالتالي رفاهية المنطقة واستقرارها، بل كثيرا ما أنجده الباي التونسي بأموال طائلة عن طريق وزيره **الحاج مسعود بن زكري**

---

[1]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 262.

[2]- عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 12هـ/18م**، المرجع السابق، ص 207-208.

[3]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص176.

[4]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص179.

[5]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص279.

لتسديد الضريبة السنوية (الدنوش)، إذ يقول **النقاد:** " **وأما سيرته مع سلطان تونس فسيرة حسنة**، كانت **بينهما الهدايا العظيمة والمودات الكثيرة**، **وكان تجار قسنطينة يمشون إلى تونس بالسلع (من) حيوان وغيرهن(كذا) فيبعيونها هناك، ويشترون السلع من تونس ويأتون بها إلى قسنطينة فيبيعونها ويربحون فيها، والبيع والشراء والمهادنة التامة، وما ذاك إلا لصلاح الحال بين السيد صالح باي وسلطان تونس**..."[1]، وتجاوزت سياسة التقارب الهدايا والهبات المادية المرسلة إلى امتلاك محلات في البلد الآخر؛ كما هو الحال مع **صالح باي** الذي كانت له أملاك بالحاضرة التونسية، فقد امتلك مخزنا ووكالة بباب المنارة في تونس[2].

كما كانت علاقات باي الغرب الجزائري الباي **محمد الكبير** وباي تونس **حمودة باشا الحسيني** علاقات حسنة قوامها تبادل الهدايا، إذ يقول **ابن سحنون الراشدي** صاحب **الثغر الجماني** في هذا الصدد: "..**وهادته الأكابر من كل مكان...لا تنقطع عنه هداياه...وكذلك جميع الأمراء المعتد بهم كأمير قسنطينة وتيطري، وسلطان تونس**..."[3]، ونلمس مظاهر التآخي واستمرار التهادي في لجوء بعض البايات إلى جلب الغلمان والجواري من البلد المجاور، من ذلك الباي **محمد بن عثمان** ثالث بايات وهران الذي تولى سنة 1213 هـ/ 1798م بقي في المملكة ثلاث سنين...بعث مع بعض التجار إلى تونس مالا يشتري به بعض الجواري المغنيات، فجيء له بجاريتين بارعتي الجمال والغناء[4].

والظاهر أن تقديم ظاهرة تقديم الغلمان والجواري كهدايا للبايات والدايات من رجال الدولتين لم يكن قاصرة على الدوائر الرسمية بل كان لها حضور حتى على مستوى القاعدة الشعبية، إذ تشير إحدى الوثائق المؤرخة في عام 1179هـ/1765م إلى **مملوك** اسمه **عثمان بن نصيب**، كان قد اشتراه أحد الجزائريين من أبناء **بجاية** – الملقب **بالبجاوي**– المستقرين بالحاضرة التونسية، وقدمه كهدية للباي التونسي[5]، ولم تكن عملية التهادي بالغلمان والجواري قاصرة على البايات والدايات؛ فقد مست أيضا بعض الموظفين السامين للدولاتلي، على غرار **الحاج محمد وكيل الحرج** الذي حمل هدية باي تونس إلى الجزائر سنة 1172هـ/1758-1759م، وكان من الشخصيات التي مسها هذا الإحسان؛ حيث تحصل على **رومي مملوك** إلى جانب مواد ثمينة أخرى[6]، وقد امتد هذا النوع من التهادي حتى إلى وكلاء الجزائر بتونس المقربين إلى الباي، فقد أهدي لأحدهم – الوكيل **محمد البرادعي**– جارية حسناء تبين فيما بعد أنها كانت جاسوسة حمودة باشا[7].

---

[1]– محمد الطاهر بن أحمد النقاد: **ذكر طرف ولاية السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة، مخطوط** رقم 00263، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية، ص17، 18، 31-32.

[2]– فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، ميديا بلوس Média-Plus، قسنطينة، الجزائر، 2005، ص 117.

[3]– ابن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**: تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2013، ص 153.

[4]– محمد بن يوسف الزياني: **المصدر السابق**، ص 271. **انظر أيضا:** الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود**، المصدر السابق، ج1، ص 300، وانظر أيضا؛ مسلم بن عبد القادر: **المصدر السابق**، ص 67.

[5]–أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 139**، ص 08.

[6]– **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 257.

[7]– رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782–1814، المرجع السابق**، ص 414.

والملاحظ أن هذه الهدايا والإحسانات لم تستثن أبناء العائلات العريقة المتنفذة على غرار **عائلة النيقرو** ذات الأصول الأندلسية بمدينة الجزائر، فقد جاء في إحدى المراسلات مكتوب مؤرخ في أواسط جمادى الأولى عام 1217هـ/ 1817م من نفر يسمى **علي بن النيقرو** إلى **محمد العربي زروق خزندار** المحروسة تونس، يشكره فيه ويدعو له بخير عما تفضل به وأرسله إليه عن طريق **سليم خوجة**[1]، وقد كانت هذه الهدايا من دلائل التآخي التي تعكس متانة الروابط الاجتماعية، ففي إحدى المراسلات التي تعود بتاريخها إلى أواخر شهر رمضان سنة 1238هـ/ 1823م نجد الداي **حسين باشا** (1819-1830) يوجه شكره إلى الباي التونسي **حسين باشا** على هديته التي أرسلها له؛ والمتمثلة في **خمسة مماليك** على وجه الوداد والهدية[2]، كما أرسل الباي المذكور في نفس العام أي شوال سنة 1238هـ/ 1823م هدية مع خدامه الحوانب؛ والمتمثلة في **مملوكين** إلى **إبراهيم الكريتلي** باي قسنطينة (1822-1824)؛ والذي شكر بدوره الباي التونسي **حسين باشا** على جميل فضله[3]. مكنت ثقافة التهادي التي استمرت لفترات زمنية طويلة؛ من التقريب بين الأشخاص والحكام ، وأن تجسد بحق مدى متانة أواصر الصداقة والود والمحبة و الاحترام المتبادل؛ كنوع من أنواع الترابط الاجتماعي البيني، التي تعكس ماهية وواقع العلاقات الاجتماعية الراقية التي طبعها الإقرار بالفضل والعرفان بالجميل المتبادل بين أبناء الإيالتين من العامة والحكام على السواء؛ كوجه من وجوه الحراك الايجابي الفريد والمتميز للصلات بين شعبي البلدين، ويمكن القول على ضوء ما تقدم أن هذه العلاقات الاجتماعية بين حكام تونس وهذه القبائل وتلك الجهات؛ كان أساسها بطبيعة الحال الاحترام والزيارات، وهي علاقات لها مغزى سياسيا من وجهة نظر الحكومة التونسية لاستغلالها وقت الحاجة؛ ضمانا لاستقرار الحدود الغربية التونسية؛ وسعيا لاستقطاب واحتواء هذه المجموعات من الساكنة كما هو الحال مع قبيلة الحنانشة، ومع ذلك فإن ظاهرة التهادي كانت بينية بامتياز.

ثالثا–اهتمامات الحكام بالعلاقات الاجتماعية بين البلدين.

01–الالتفات إلى شؤون الرعية بالإيالتين (كلا مع رعايا البلد الآخر):

حرص حكام الإيالتين على الاهتمام بشؤون رعايا الطرف الآخر؛ من خلال قضاء المآرب وتسهيل الحصول على الحاجيات؛ إلى جانب توفير الأمن والسهر على راحتهم، ومن المواقف التي تدل وتؤكد على طبيعة العلاقات الحسنة التي كانت سائدة بين البلدين؛ سعى كل طرف إلى الالتفات بشؤون رعية الطرف الآخر، وهو ما نلمسه عند حكام تونس خاصة على عهد **علي باي** (1759-1782) الذي شرع أبواب المملكة للجزئريين وأجزل عليهم العطاء وغمرهم بجميل الفضل والإحسان، إذ يقول صاحب المشرع في هذا الصدد: **"من قوة وسعة باله أنه من حين تولى إلى يومنا هذا ما أوحش قادما من وجق الجزائر ولا قصر فيما يطلبونه"**[4]، وهذا ينم عن حلمه وحكمته وسعة كرمه وفضله مع الجزائريين الذين طرقوا بابه بالحاضرة التونسية؛ كما هو الحال مع الحنانشة الذين كانوا محل احترام وتبجيل وإحسان من البايات، فقد ذكر شيخ الحنانشة **ابن أبي عزيز بن نصر** لباي قسنطينة أن الرعايا من أبناء القبيلة استوطن أغلبهم مملكة

[1]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 07.**

[2]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 31.**

[3]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 32.**

[4]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 216، ص 26.

تونس[1]؛ ذلك أن العلاقات بين البايات والأفراد والجماعات كان قوامها الاحترام وتبادل الزيارات التي تعكسها الوفود، ومن شمائل وكرم الباي التونسي **حمودة باشا**(1782-1814) إقامة دار ضيافة تحت نظر وكيل الجزائر بتونس لإقامة الضيوف والوفود الجزائريين الذين يحلون بتونس وذلك بين 1794- 1805[2]، ومن هؤلاء الذين نالوا شرف الضيافة **حمدان خوجة** صحبة خاله عقب عودتهما من القسنطنطنية عام 1801؛ حيث استقبلهم **حمودة باشا** برعاية وحفاوة، وقد خصهما الباي بهدايا نفيسة لم يقبلوها؛ لأنهما لم يقدما له شيئا في مقدمهما عليه[3].

لقد ورد في رسالة من **محمد باي** قسنطينة إلى **محمود باشا** في 22 صفر 1234هـ/1818م أنه وجه رسول إلى **تونس**، حيث قام بقضاء حوائجه شاكرا الباي التونسي عنايته به؛ وأنه يريد أن يرجعه لقضاء مآرب أخرى؛ ويطلب من الأخير الالتفات إليه حتى يتيسر له إتمام مأموريته[4]، وجاء مكتوب من **إبراهيم باي** قسنطينة إلى **حسين باشا** تونس عام 1238هـ/1823م يخبره فيه أنه أرسل اثنين من رعيته: **بلقاسم** و**بوعمار** بسعي(ماشية) يبلغانه لأحد رعاياه بتونس والمسمى **سي عمر**[5]، وتضمنت رسالة من الحاج **أحمد باي** إلى الباي التونسي **حسين باشا**—المؤرخة في أواخر ذي الحجة 1243هـ/1827م- طلبا منه للالتفات إلى أحد أتباعه المسمى **علي بن عيسى** الذي وجهه إلى تونس لقضاء حوائج ومآرب له؛ ملتمسا منه أن يكون تحت نظره وعنايته[6]، كما وجه الحاج **أحمد باشا** باي قسنطينة مكتوبا آخر إلى **حسين باشا** تونس يخبره بقدوم أنفار من أتباعه قصد مقابلته؛ طالبا منه الالتفات إليهم إلى أن ينهوا قضاء مآربهم[7]، وهذا الالتفات من جانب الحكام لتسهيل قضاء الحاجيات يعكس لنا بحق صورة حية عن أواصر الأخوة والمودة وعمق العلاقات الاجتماعية بين البلدين الشقيقين ومدى اهتمام حكام الإيالتين بشؤون رعايا البلد المجاور.

كما التفت البايات التونسيون إلى رعايا الداي الذين ضاعت منهم أموالهم أو فقدوا متاعهم أو تعرضوا للسرقة أين غمروهم بإحسانهم وجود كرمهم؛ وعوضوهم جل ما فقدوه، من ذلك إحسان **للحاج أحمد** حفيد **الحاج يوسف الجزيري** قيمته 300 ريال كتعويض عن ما ضاع له في سوسة في صفر 1170هـ/ 1756م[8]، وإحسان **للقسنطيني** الذي تعرض للنشل بتونس في جمادى الثانية 1188هـ/ 1774م[9]، كما طالت الإحسانات طلبة القرآن- عددهم ستة أنفار- الذين كانوا يتلونه بتربة المرحوم محمود باي بقسنطينة ربيع الثاني 1177هـ/ جويلية 1763م[10]، ومن الأمثلة

---

[1]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 147.

[2]- محمد صالح بن مصطفى: **المرجع السابق**، ص 83.

[3]- حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 165-166.

[4]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:11.**

[5]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:26.**

[6]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:59.**

[7]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:97.**

[8]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص251.

[9]- **أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2070**، ص 105.

[10]- **أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2144**، ص 192.

الدالة على سعي الباي التونسي لرد المظالم والحقوق لأصحابها تذكرة إحسان **لشاريف محمد** صبايحي ترك من قسنطينة ونفرين معه جلبوا رسالة الباي في سعي التباسة التي أخذها **الزغالمة** عام **1179هـ/ 1765–1766م**[1]، وسعيا من الحكام في استرداد المظالم وحفظا للحقوق؛ نجد في بعض الأحيان أحكام شرعية تم استصدراها من العدول في هذا الجانب، ومن الحوادث التي تسترعي الانتباه في قسنطينة قضية **البغلة الزرقاء** التي كانت ملكا **لمحمد بن المبارك العنابي** الذي دفعها للسيد **فرحات بن أحمد الوسلاتي** لاستخدامها لقاء أجر؛ إلا أن الأخير فرط فيها حتى ضاعت، وبسبب هذا الإهمال والتقصير وقع الحكم على الأخير بأداء قيمتها لمالكها المذكور، وهذا في 10 جمادى الأولى عام 1205هـ/ 1790م [2].

وفي المقابل تستوقفنا إحدى الوثائق المؤرخة في 17 رمضان 1238هـ/ 1822م عند مراسلة من **إبراهيم باي** قسنطينة إلى الباي التونسي **حسين باشا** يعلمه أن أحد رعاياه عنده **بغل** و**حمار** استولى عليهما نفر بتونس يقال له؛ **عمار بن علي الحمار** أمسكهما وتصرف فيهما بوجه التعدي، وبأن السيد المتضرر سيشرح نازلته وقضيته أمام الباي التونسي، حيث طالبه بالالتفات إليه لرد متاعه الذي أخذ منه بغير وجه حق وإعانته على خلاصه منه[3]. وقد طالت طلبات الالتفات والنظر والرعاية من بايات تونس حتى نواب وممثلي الداي من الوكلاء وغيرهم، فقد طالب الداي **حسين باشا الجزائر** من **محمود باشا** محروسة تونس في رسالة مؤرخة في أوائل شهر رجب عام 1239هـ/ 1823م؛ الالتفات إلى المكرم السيد **محمود** وكيل الجزائر بتونس، وأن يكون في عونه في جميع أموره[4]، كما أسهم بعض الأولياء في معالجة بعض القضايا والشؤون العامة التي تخص الرعية، ويذكر صاحب **نور الأرماش** في هذاالصدد؛ أن أحد الجزائريين من أولاد **عيسى الدنيدني** أحد أولياء الشرق الجزائري[5]؛ قد نزل ضيفا على **الشيخ القشاش** بزاويته التي بقي بها مدة، ففقد منه 14 دينارا سلطانية، فوعده الشيخ أن يعطيه ما ضاع منه، ولما آيس وطال به الانتظار قرر العودة إلى الديار مصاحبا قافلة الشيخ التي كانت متجهة إلى الجريد للتمر كعادتها، ولما وصلت القيروان وعزم على مفارقتها، قدم له أحد فقراء الشيخ الدنانير التي ضاعت منه بالزاوية، فأخذها وانصرف شاكرا فضل الشيخ[6].

وفي المقابل يتحدث **صاحب الترجمانة** في رحلته عقب عودته من استانبول عن وقوع مركب كان متجها من **أزمير** إلى **الجزائر** يحمل بضائع وأرزاق التجار؛ بأيدي بحارة نابولي الذين أسروا من فيه، إلا أن أحد التونسيين الأسارى ادعى أنه اكترى المركب من **أزمير** وحمل فيه أرزاق التجار التونسيين فاستطاع أن يقنعهم بالحجة والدليل لوجود معاهدة بينهم وبين الإيالة التونسية، فسلموا بذلك ودفعوا إليه البضائع فاكترى مركبا واتجه به إلى تونس التي استراح بها يومين وبعدها قصد الجزائر، وما إن وصل مرساها حتى بلغ بضائع التجار(من حرير وأثاث وصناديق) كما هي لم ينقص منها شيئا،

---

[1]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 139، ص 18.**

[2]- أ.و.ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م، ص 238.**

[3]– أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 28.**

[4]–**أ.و. ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:39.**

[5]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية، المصدر السابق، ص 145.**

[6]– المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 266.

وهذا يعكس لنا احتراز وصدق المسلمين في الحفاظ على الأمانة بين أبناء القطرين[1]. ومظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي بين أبناء الإيالتين الحرص على تقديم العلاج الطبي لبعض الجزائريين بالحاضرة التونسية، حيث حظي تركي قدم من الجزائر مريض بعينيه بإحسان على يد **خليل الزايدي** قيمته 20 ريالا عام 1171هـ/1757م[2]، وكما هو الحال مع أربعة أتراك جزائريين مجاريح قدموا إلى حلق الوادي عام 1174هـ/ 1760م؛ وعالجهم طبيب حظي نظير فعله بإحسان قيمته: 03 ريالات[3]، كما حصل **محمد بن قويدر القسنطيني** الذي قدم بورقة ليداوي عينيه على عطاء من **علي باي** تونس؛ في ربيع الثاني 1178هـ/ 1764م[4]، وقد حظي بعض الأطباء الذين كانوا في حراك حثيث وتنقل دائم بين الإيالتين؛ بإحسانات من بايات تونس نظير العمل الإنساني **وتحمل** عناء السفر ومشقة الطريق لعلاج أشقائهم من المرضى الجزائريين، كما هو الحال مع الطبيب الذي داوى جريحين من عنابة هما **عبدي** و**قهواجي**، والذي صرف له إحسان قيمته 12 ريالا في 20 صفر عام 1192هـ/ 1778م [5].

وقد تضمنت العديد من رسائل الحكام طلبات الالتفات إلى الرعية وتسهيل مهماتها؛ من ذلك رسالة من **إبراهيم باي** قسنطينة إلى **حسين باشا** تونس مؤرخة في سنة 1238هـ/ 1823-1824م يطلب فيها من الأخير الوصاية والالتفات إلى أحد النفر من أتباعه المسمى **سي عمر** الذي وجهه إلى **تونس** لقضاء مآرب له، كما طلب منه أيضا إرسال طبيب ليعالج له مريضا[6]، وأيضا رسالة من **إبراهيم باي** قسنطينة إلى **حسين باشا** تونس مؤرخة في سنة 1238هـ/ 1823-1824م؛ يقول فيها للباي التونسي بأنه استلم الرسالة التي أرسلها إليه برفقة أعوانه الذين قدموا إلى قسنطينة وبرفقته الطبيب الذي طلبه منه لمعالجة أحد رجال الدولة، ولكن المريض توفي قبل وصوله، وأنه وعد هذا الأخير بالسماح له بالعودة إلى تونس؛ وأن يمكث لمدة حتى ينتهي من معالجة بعض المرضى الآخرين[7].

ومن مؤشرات الحراك الاجتماعي الحرص على تأمين القوافل التجارية من اللصوصية وتعويض بعض المتضررين، ونذكر في هذا المقام إحدى قوافل قسنطينة التي استولى عليها **أولاد مناع** أحد فروع قبيلة دريد في ربيع الأول عام 1173هـ/أوت 1759م[8]؛ فأخذوا تلك الشدايد والحمول والخيل والبغال وكل مالهم من الأموال ورجعوا إلى نجعهم، وأما أهل القافلة فساروا بأجمعهم إلى أن دخلوا باردو؛ وأخبروا **علي باي**، وأعلموه أن أولاد مناع أخذوهم ولا تركوا لهم شيئا[9]؛ فأرسل إليهم شيخهم **صميدة بن سليمان بن أحمد** ، فأدركهم وقد تجاوزوا قفصة ومعه كتاب الباي إليهم بالأمان إن رجعوا وردوا ما أخذوا لأهل قسنطينة؛ فلم يزل **الشيخ صميدة** يرغبهم ويرهبهم إلى أن أجابوه، ورجعوا معه؛ فوجدوا **علي**

---

[1]- أبو القاسم الزياني: **المصدر لسابق**، ص380.

[2]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص .178.

[3]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 258.

[4]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 189.

[5]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145**، ص 181.

[6]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:23.**

[7]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:27.**

[8]- **أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2144**، ص 181.

[9]- الصغير بن يوسف: المصدر السابق، مج4، صص181-182.

باي على القيروان، فردوا ما وجد عندهم بعينه من الأموال، وبقي مما لم يوجد ما قيمته ستون ألف (60.000) ريال؛ فأداها عنهم الباي من ماله جبرا للأمر، وتلافيا لما فرط[1]، ووردت في أحد الدفاتر الجبائية قيمة التعويض أو الإحسان الذي وهبه علي باي التونسي عن قافلة الغرابة عام 1173هـ/أوت 1759م والمقدر بـ: أربعة آلاف من الريالات، وزيادة في حق البرانس لأصحاب عمار أحد أفراد القافلة بـ: 60 ريالا[2]، ويبدو أن فروع قبيلة **دريد** تكررت غاراتهم على القوافل القسنطينية؛ فقد قدم الباي التونسي مدفوع **لسي محمد بن نعمون** كاتب باي قسنطينة في حق الإبل التي أخذها **بنو رزق**(من دريد) من حق دار **أرنووط** المفتي و**لرمضان بن حراث** (27ريال)، ومدفوع **للحاج محمد الصفاقسي** الوكيل في حق البقر الذي جاء بها من قسنطينة [3].

ومن الأشياء التي تعكس لنا عمق العلاقات الاجتماعية أيضا إلى جانب ما تمت الإشارة إليه، الحرص على إسناد الوظائف إلى رعايا الطرف الآخر، وهو ما نلمسه من الفرمان الصادر عن الباب العالي إلى حاكم الجزائر بتاريخ 10 محرم 979هـ/ 1571م، والذي يتضمن أمر بضرورة تقرير وظيفة لم تحدد طبيعتها في الوثيقة؛ لأحد أهالي تونس المدعو **السيد أبو الطيب**، ومما جاء فيه:" **جاء إلى سدة سعادتنا العبد الداعي** السيد **أبو الطيب وهو من أهالي تونس وأعرب عن عدم تلقيه أجرته (علونه) المقررة بموجب براتي الهمايونية وأفاد بأنك ضممت أجرته للميري اثر فتح تونس فآمرك بتقرير وظيفة المذكور وامرت: أن تدع أبا الطيب يتصرف بوظيفته بكامل قدرها بموجب براتي**" [4]، ويبدو أن الرعية التونسي الذي كان من الشخصيات الهامة وأعيان ولاية تونس قد تقررت له الوظيفة المشار إليها في بلد تونس عقب الفتح الأول وإلحاقها بالجزائر مع تعيين **القائد رمضان**، وهذا ما يظهر من خلال إحدى الفرمانات الموجهة إلى القائد رمضان بتاريخ 25 شوال 979هـ/ 1571م، وهذه مقتطفات مما جاء فيه: " **حكم إلى القائد رمضان قائم مقام ووكيل أمير أمراء الجزائر(جزر البحر المتوسط) على – دام اقباله– في صوصة(سوسة) والقروان(القيروان) ومناستر(منستير) وبلد جربت(كذا) وبكزرت(بنزرت) من نواحي تونس. بعث أبو الطيب وسائر أعيان ولاية تونس بخطابات يشيدون فيها بحسن استقامتك ومعاشرتك لأهالي الولاية من كل الوجوه، ويشهدون بكفائتك وبذل قدراتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الأمور الهمايونية وصيانة عرض ناموس الدين والدولة. وبما أن تلك الولاية مع نواحيها المذكورة قد ألحقت بأمره المشار إليه، وبناء على التماسه باحتفاظك بمنصب كقائم مقام له فيها فق تم تعيينك في المنصب المذكور عن جانب المشار إليه والسعي كما كنت عليه سابقا وأمرنال بضبط تلك النواحي على الوجه المناسب وأمرت: حال وصول الحكم، عليك بموجب أمري القيام بضبط تلك النواحي عن جانب المشار إليه والسعي لحفظها وحراستها وضبطها وصيانتها وعليك بالجد والحزم في ذلكلما فيه رفاهية واطمئنان الرعايا والبرايا وأمن وأمان البلاد والولاية....لقد أرسلت لك أحكام شريفة موجهة إلى أعيان الولاية المزبورة بغرض تسليمها لهم فعليك بتسليمهم اياها، والعمل على استمالتهم عن جناب جناب جلالتنا وكذلك**

---

[1]– الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص ص 68، 69.

[2]– أ. وت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2144**، ص 181.

[3]– أ. وت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 94**، ص 23.

[4]– أ.و.ج: **مهمة دفتري، صحيفة رقم 25، حكم رقم 37، بتاريخ 1/10/ 979**.

العمل على غيبهم بالمحافظة على الولاية كما ينبغي أن تظل معهم على حسن المعاشرة لحفظ الولاية والرعايا والبرايا وليكن بعلمك" [1].

ومن أجلى صور الالتفات إلى الرعية العلاقات المتميزة والفريدة التي جمعت **أسرة بن ناصر** في الخنقة وبايات تونس؛الذين وهبوا مشايخ خنقة سيدي ناجي (من أبناء الأسرة) **أراضي زراعية (حوالي 260 هكتار) بجهة جهة ماطر وبمنطقة بنزرت،** وهي الأراضي التي منحها **علي باشا** باي تونس **لأحمد بن ناصر** أحد مشايخ الخنقة، وذلك تعويضا عن الخسائر الكبرى التي لحقت الخنقة، واعترافا بالجميل الذي قدمه له أيام فراره من تونس؛ حيث التجأ إليها مع أفراد عائلته وحاشيته، فوجد كرم الضيافة ودعم السكان الذين وقفوا إلى جانبه، وبعد أن استرجع حكمه توطدت أكثر الصداقة التي كانت تربط الأسرة بباي تونس[2]، وهو ما يؤكده **مارسيي** الذي يذكر أن **علي باشا** منح شيخ الخنقة **أحمد بن ناصر** أرضا فلاحية من عمل ماطر، تقدر مساحتها بـ 26 محراث خشبي[3]، وفي المقابل جعل **علي باي الحسيني**(1759-1782م) **وقفا على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي، يتمثل في حبس أرض سقوية بولجة سيدي عبد الله بن موسى بخنقة سيدي ناجي محاذية للبلد** "**تسقى بالساقية ومأمونة السقي**"، وتشمل الأرض المحبسة أربع قطع تسميها الوثيقة حبال، وقع تحديد مكانها، ابتاعها الباي بثمن قدره **250 ريالامن الفضة كبيرة من ضرب الكفرة،** من **محمد بن عبد الرحمان اليملولي النابتي** من **أولاد نابت بن عبيد** ومن **بلقاسم بن الطاهر** من **أولاد سيدي عبد الله بن موسى،** وناب في شراء الأرض من أصحابها وكيل الباي بالخنقة الشيخ **أبو عبد الله محمد بن ناجي بن الطيب الناجي الخنقي** وذلك حسب رسم مؤرخ بـ 20 شوال 1187هـ/ 03 جانفي 1774م، شهوده مجموعة من فقهاء البلد، **ثم حبس الباي في مرحلة ثانية؛** بعد أن أقر قاضي باردو بصحة عقد البيع معتمدا في ذلك على شهادة الفقيهين **أحمد بن زروق بن بركات الخنقي وأحمد بن بلقاسم بن عبد الحفيظ الخنقي أيضا؛ جميع العقار المحدود المذكور بحقوقه ومنافعه وما عد منه، ونسب في القديم والحديث إليه، وسواقيه ومساقيه على زاوية الشيخ الولي سيدي عبد الحفيظ بن الطيب التي بها ضريحه، الكائنة بالمكان المذكور،** يصرف ما يتحصل من ريع العقار المذكور على الزاوية المذكورة ومسجدها من رم وبناء ومرتب إمام ومؤذن وطعام من يكون قاطنا به من الغرباء المتجولين، وغير ذلك مما يستحقه المسجد المذكور من جميع مصالحه وسائر الضروريات اللازمة له، ويعود تاريخ التحبيس إلى أواخر ذي القعدة 1187هـ/ 10 فيفري 1774م، أي أن إنشاء الوقف تم بعد تاريخ الشراء بشهر وبضعة أيام[4].

02-الاهتمام بالزوايا وأضرحة الأولياء وافتداء الأسرى:

خص حكام تونس الأولياء ومقامات الصالحين بعناية فائقة واهتمام بالغ، وهو ما يؤكده **صاحب الاتحاف** الذي قال أن ملوك تونس يبعثون كميات من الزيت لمقامات الصالحين بها، كما فعل **علي باي بن حسين** الذي وفى بنذره-

---

[1]- أ.و.ج: **مهمة دفتري، صحيفة رقم 54-1-543، حكم رقم 1037، بتاريخ 25/10/ 979.**

[2]- كريمة بن حسين: **المرجع السابق،** ص 104-105.

[3]-GustaveMercier: **Op.cit,** P 159.

[4]- أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم:2306،** ص 57-58.

بإرسال الزيت للصالحين- مدة حياته، ولما توفي انقطع النذر بوفاة الناذر، ولم يبعث ابنه عهد **حمودة باشا** شيئا من ذلك، فكاتبه الداي **أحمد باشا** في هذا الشأن وشكاه إلى الدولة العثمانية[1]، وهو ما يشير إليه **خوجة** في **مرآته** عندما تحدث عن تعهد إيالة تونس بإرسال حمولة سفينة من الزيت سنويا وعددا كبيرا من الهدايا التي تصنعها أو تستوردها[2]، حيث كانت تونس ترسل حمولة زيت باسم سيدي **عبد الرحمن الثعالبي**(المتوفى عام 873هـ)[3] لإنارة ضريح الشيخ العالم الصالح شيخ قبيلة الثعالبة[4]؛ الذي يعتبر ولي مدينة الجزائر وحاميها، وقد ظل الجامع (والضريح) محل احترام العثمانيين والفرنسيين، وكانت له أوقاف كانت تأتيه حتى من خارج الجزائر[5]، وإلى جانب ذلك كان بعض أفراد السلطة الروحية يتلقون مبالغ مالية من تونس حسب ما جاء في بعض الوثائق، حيث منح حاكم تونس إحسان قيمته 10 ريالات للمرابط **سي علي بوعكاز** وتلاميذه الذين قدموا من الحجاز عام 1173هـ/1759م[6]، وفي المقابل نجد أناس من أهل تبسة كان لهم جدار بقفصة أي جنانات وسواني منحوها للحاج **أحمد البرجي** مقدم **الزاوية القشاشية** بالمدينة المذكورة، لتستعين به زاوية الشيخ أبو الغيث القشاش لما لها من نفع كبير (طعام، تمر، زيتون)، وكان **محمد خنوس الأعور** والد **الحاج محمد خنوس** أحد فقراء الشيخ؛ شاهد عدالة [7]. وهذا يعكس لنا متانة العلاقات الروحية بين أبناء الشعبين، فقد كان للشيخ **القشاش** زاوية بوادي ريغ بالجزائر[8]، ولعلو منزلة الشيخ وسمو منزلته كانت الهدايا ترسل إليه من مختلف أنحاء الجزائر إجلالا ومحبة، من ذلك **الثور الأبقع** الذي أرسله **بوعلاق بن المداسي الحناشي** أحد فقراء الشيخ بنفسه لشيخه القشاش، فجعله الشيخ للحراثة[9].

ويبدو أن الجزائريين المستقرين بالبلاد التونسية كان لهم حضور في الأوقاف، فقد ورد في إحدى الوثائق التي تعود في تاريخها إلى 1173هـ/ 1773م اسم **الشاذلي بن عبد الرحمان العنابي** الذي كانت له **معصرة** بساحل بنزرت كائنة بحومة الشيخ الولي الصالح **سيدي قاسم** جعلها وقفا على جامع الخطبة بغار الملح بالمرسى(تونس)[10]، ولم تقتصر إحسانات السلطة الحاكمة مع نهاية حكم الباي **حسين بن علي** على الأولياء والمرابطين بل شملت أيضا الأتباع من المريدين والفقراء من ذلك أحد أحفاد **سيدي عبيد** المسمى **عمر بن الحاج** الذي حظي بإحسان قيمته: 10 **بياستر** ثمن الجبة[11]، كما تملك بعض الجزائريين في مهجرهم ومستقرهم الجديد عقارات وأراضي حصلوا عليها عن طريق المنح

---

[1]- ابن أبي الضياف: المرجع السابق، ج3، ص 76.

[2]- حمدان خوجة: **المرآة، المصدر السابق**، ص 163.

[3] - **Tableau De La situation des établissements Français dans Algérie,** de L'imprimerie royale, Paris, 1838, P 222.

[4]- **أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 143**، ص 32، 33.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، المرجع السابق، ص 506.

[6]- **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم:2144**، ص 181.

[7]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 427.

[8]-المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر نفسه**، ص 372.

[9]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر نفسه**، ص 318-319.

[10]- تفاحة مفتاح: **المرجع السابق**، ص 08.

[11]-Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie …,** T 2, **Op.cit,** p 110.

والعطاء، حيث خص بعض العلماء والمشايخ من الحكام بامتيازات نظير المكانة الاجتماعية السامية التي ارتقوا إليها؛ كما هو الحال مع مشيخة الخنقة التي منحتت أراضي جهة **ماطر**، وكان لبعض العلماء أملاك وعقارات بالبلاد التونسية؛ من ذلك الشيخ العالم **عبد القادر الراشدي** (ت.1194هـ/1780م) الذي كانت له أراضي بتونس؛ كما تبين من التركة التي خلفها لورثته على ضوء ما هو وارد في العقد المؤرخ بتاريخ 21 جمادى الثانية 1023هـ/ 1788م [1].

ومن ملامح الحراك الاجتماعي أيضا السعي لتحرير أسرى الإيالتين من أيدى النصارى عن طريق عمليات الافتداء،كما هو الحال مع بايات تونس الذين قاموا بأدوار هامة من أجل افتكاك الأسرى الجزائريين والإحسان إليهم، فمن مآثر **حمودة باشا المرادي** (**1631–1666**) وجميل صنيعه مع الأسرى الجزائريين؛ تسيير الركبان وافتكاكه المراكب التي أخذت للجزائريين من أيدي النصارى المرة بعد المرة بمال جزيل، وانعامه على المأسورين وكسوتهم والإحسان إليهم، وصرفهم إلى بلادهم، وعدة أسارى من سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم وأحسن إليهم[2]، ويتحدث **ابن لحية القفصي** في هذا الجانب عن المساعي التي كان يقوم بها الشيخ **أبو الغيث القشاش** لتحرير الأسرى من الجزائريين من ذلك **أم محمد المستغانمي** الذي خدم الشيخ مدة عام أو يزيد يقوم بشؤون الزاوية (تنظيف، خبز...) التي افتداها من النصارى بـ 150 دينار؛ والتي أتت لتونس وعاد معها لبلاده[3]، ويشير **صاحب الحلل** أن الشيخ **القشاش** فك المراكب التي أخذها النصارى من الجزائريين المرة بعد المرة بمال جزيل، وأنعم على المأسورين وكساهم وأحسن إليهم، وصرفهم إلى بلادهم[4].

واستمرت عمليات التحرير وافتداء الأسرى وأضحت تقليدا اجتماعيا سار عليه البايات الحسينيون، فقد حوت الدفاتر الأرشيفية عشرات الأسماء لجزائريين تم افتدائهم وأحسن إليهم وأعيدوا إلى ذويهم، فعلى عهد **علي باشا**(1735-1756) نجد إحسان قيمته خمسة عشر ريالا لخمسة أنفار أسارى جزائريين تم تحريرهم، لكل واحد منهم ثلاث ريالات عام 1153هـ/ 1739م[5]، وفي فترة حكم الباي **محمد الرشيد** (1756-1759) تم افتداء أسير جزائري والإحسان إليه سنة 1170هـ / 17 جانفي 1757م، وأيضا إلى أسير **مستغانمي** في شوال 1173هـ/1759م، وكثرت عمليات تحرير وافتداء الجزائريين على عهد خلفه **علي باي** (1759-1782)؛ من ذلك إحسان **لرمضان التلمساني** الأسير 27 رمضان 1182هـ/1768م، والأسيرين الرايس **أحمد الكرغلي العنابي** و**خليل التلمساني** أسيري مالطا في عام 1183هـ/1769م، كما تم افتداء **عمر المستغانمي** أسير إسبانيا في 04 ربيع الثاني 1184هـ/1770م، وإحسان للأسرى **أحمد لفوف العنابي** أسير قرطاجنة في و**الحاج محمد الجيجلي** أسير مالطة، و**الحسن بن إبراهيم البجائي** أسير مالطة عام 1187هـ/ 1773م، وإحسان **لرمضان العنابي** من جيجل أسير إسبانيا في 15 رجب 1188هـ/1774م و**إحسان لمصطفى الحنفي العنابي** أسير مالطة سنة 1188هـ/1774م، ونال

---

[1]-أ.**و. ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م**، ص 94.

[2]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 246.

[3]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 159.

[4]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 429.

[5]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 180**، ص ص 64، 94.

الإحسان الأسرى: **صالح بن محمد الغربي المستغانمي** أسير جنوة، ونفرين **قلي** و**جيجلي** من أسر قرطاجنة ، وإحسان **لمحمد الورديان** سنة 1189هـ/ 1775م، ولم تستثن عمليات الافتداء والإحسان حتى **النساء** كما هو الحال مع امرأة من **القل** أسيرة مالطا في 07 شعبان 1190هـ/1776م، و**فاطمة التلمسانية** أسيرة إسبانيا في ربيع الأول 1183هـ/1769م[1]، كما جاء ذكر اسمين لأسيرين جزائريين من تلمسان تم افتداؤهما والإحسان إليهما، الأسير **علي صادق التلمساني، ومصطفى التلمساني الحنفي** الأسير من مالطة سنة 1191هـ(1777-1778م)[2].

يستنتج أن الجزائريين الذين تم افتداؤهم كانوا من مختلف جهات البلاد الجزائرية (القل، عنابة، جيجل، مستغانم، تلمسان..)، ويعيد بعض الباحثين غايات بايات تونس من افتداء أسرى الجزائر؛ رغم توتر العلاقات السياسية إلى الرغبة في الحفاظ على حسن الجوار لتلافي الحرب، وتندرج هذه الإحسانات المقدمة لافتداء هؤلاء الجزائريين ضمن أشكال السعي التونسي الهادف إلى كسب مودة الجزائر وعطفها، ويغلب على الظن أنها كانت موجهة لشخصيات ذات مكانة في المجتمع الجزائري، وما الإحسانات التي خصصت لافتداء بعض الأسرى الجزائريين إلا جزء يسير من الخط العام الذي سلكه البايات التونسيون بالإحسان إلى الشخصيات ذات المكانة والمنزلة أو التي تمارس مهنة أو سلطة حساسة؛ دون إغفال عامل مهم وهو الاعتبارات الدينية بحكم الانتماء إلى الدائرة الإسلامية، إلى جانب قوة ومتانة الروابط الاجتماعية التي تعكس لنا مدى تماهي سكان الإيالتين بحكم العادات والتقاليد والتاريخ والوحدة البشرية والجغرافية[3] .

03-المراسلات الرسمية ودورها في تمتين الصلات الاجتماعية بين الإيالتين:

على الرغم من توتر العلاقات السياسية بين البلدين في أغلب الفترات، فإن قوة العلاقات الاجتماعية وصلت درجة المصاهرة في أعقاب لجوء أفراد من الأسرة الحاكمة في تونس، من ذلك زواج **إسماعيل بن يونس بن علي علي باشا** من **ابنة الخزناجي** في الجزائر التي أولدها ابنه حسنا، الذي قدم على الحاضرة التونسية على عهد **حمودة باشا**(1782-1814)، لكنه ما لبث أن قتل عام 1799[4]، وفيما يخص الرسائل المتبادلة بين الطرفين الحاكمين في تونس والجزائر في المناسبات الاجتماعية؛ رصدنا إحدى الرسائل الموجهة من قبل **حسين** داي الجزائر إلى **حسين باي** تونس وذلك عام 1239هـ/1824م؛ تتضمن تعزيته بوفاة والده المرحوم **محمود باي** وتهنئته بولاية حكم الإيالة التونسية، ومما جاء فيها:" **...أخينا ومحبنا وصديقنا السيد حسين باشا بلاد تونس المحمية...من أن صديقنا ومحبنا والدكم السيد محمود قد افترمته المنية وسار إلى رحمة المولى الكريم المعبود صبيحة يوم الأحد من شهر رجب شهر الله رب العالمين، فقد أساءنا يا نعم المحب ذالك...وأحزننا ...وكادت القلوب تنفطر والصدور أن تنفلق...فنسئله سبحانه الذي قضى بفراقه وحكم باحتساء كأسه ومذاقه أن يلهمكم الصبر على قضائه المقدور ويضاعف لكم الحسنات والأجور ويجعل لنا البركة فيكم...بعد أن أقاموا سيادتكم بذالك المقام الكريم المحمود والكرسي العظيم**

---

[1]- أ. وت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2144**، ص ص 176، 205، 279، 281.

[2]- أ. وت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2145**، ص 231.

[3]- عامر شرق، فاطمة درعي: "**إحسانات بايات تونس لافتداء الأسرى المغاربة في النصف الأخير من القرن 18م من خلال الدفاتر الجبائية بالأرشيف الوطني التونسي**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر ،2020، ص 23-24.

[4]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص 142.

المشهود ...فهنيئا لك يا نعم المحب ثم هنيئا ثم هنيئا وبشربزادك الله تعالى مهابة ورفعة وتعظيما وفخرا ومهدك البلاد وأصلح بك أحوال الرعية والعباد..."[1]. ولم تكن التعازي المقدمة قاصرة على الداي بل شملت أيضا رجال دولته الذين أدوا واجب العزاء، فهذا **إبراهيم باي قسنطينة** يقدم هو الآخر التعازي مواسيا أمام هذا المصاب والخطب الجلل، ومباركا ومهنيا **حسين باي** توليه حكم الإيالة التونسية " ...**محبنا السيد حسين باشا تونس المحمية أبقاه الله في عيشة هنية وسعادة سرمدية....هذا وقد بلغنا مكتوبكم الأعظم وخطابكم الأفخم صحبة حوانبكم المكرمين فتلقيناه بالإجلال والقبول وقرأناه في الخير فأفزعنا ما فيه مذكور وغيرنا وكررنا ما بداخله مسطور وذلك بانتقال أصلكم المعظم الأصيل الخير الأكمل الجليل سيدي محمود باشا إلى عفو الله ومغفرته وسعته ورحمته رحمه الله الملك المنان وأسكنه بحبوحة الجنان وجعله لكم خير سلف وأنتم أبقاكم الله منه خير خلف فإننا رعاكم الله يوحشنا ما يوحشكم ويسرنا ما يسركم إذ حالنا معكم حال واحد وأمر متحد إذ الأنفس جبلت على محبتكم وقلوبنا قد انطوت على مودتكم وقربكم وأن من اللائق بذاتك الزكية وهمتك العالية المرضية التسلي والصبر على ما قدر وقضى والتمسك بالرضى في القدر والشكر لأمر رب العالمين ونحن نعزوك لا انا على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين ثم نهنيك أيدك الله وأعانك على ما قدرك وأولاك...**"[2].

واستمر التقليد حتى بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830، حيث وردت رسائل مواساة وتعزية من الجانبين من ذلك المكتوب المؤرخ في صفر 1251هـ/1835م والذي وجهه **الحاج أحمد باشا** باي قسنطينة إلى **الباشا أبي النخبة مصطفى باي تونس**، يعزيه ويعظم له الأجر في وفاة أخيه المرحوم الباي **حسين باشا** الذي عاجلته المنية في 23 محرم 1251هـ/ 20 ماي 1835م، ويهنيه بالولاية وتقلد السلطنة عوضه ويدعو له بخير، وأن يجعلها إمارة مباركة حميدة، مما جاء فيها:" **الأمجد الأرشد السيد مصطفى باشا باي تونسالمحمية ...هو ما بلغنا وطرق سمعنا من وفاة المعظم الأمجد الصدر الأوحد المرحوم المنعم صنوكم وعوض أصلكم السني السيد حسين باي تغمده الله بالرحمة والرضوان** وأسكنه بحبوحة الجنان لقد أوحشنا نبأ اندلاجه وغمنا وكدرنا وأكربنا وكيف لا وقد جمعتنا الحقيقة البشرية وانفردنا بالأخوة المحمدية والملة الإسلامية...نرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يعظم أجركم ويمنحكم عن جد المصيبة جميل الصبر **وإن التعزية واحدة والمصيبة عامة غير أن لله ما أخذ وله ما أعطى ونسئله أن يجعله لكم خير سلف وأنتم يبقيكم الله خير خلف...ثم أنا نهنيكم ونحمد الله لكم على ما أنعم به عليكم من الولاية الكريمة والسلطنة الفخيمة...**"[3]، ولم تقتصر هذه الرسائل على التعازي والتهنئة بتقلد العرش أو السلطنة؛ بل امتدت إلى البشائر والأفراح وتقديم التهاني بازدياد مولود، فقد تلقى ثلاثة نفر سيارة دار السلطان وهم **عمار وسعيد وبلقاسم**؛ من الباي التونسي **محمد الرشيد إحسانا** قيمته 600 ريال(لكل واحد مائتي ريال)؛ وهذا حينما بشروه بمولود تزايد لدولاتلي الجزائر في قعدة سنة 1171هـ / سبتمبر 1757م[4]. إن معظم الرسائل المتبادلة بين الطرفين لم تخل من عبارات الاحترام والتجلة

[1]-أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: **223**، ملف رقم: **284**، الوثيقة رقم:**43**.

[2]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: **223**، ملف رقم: **284**، الوثيقة رقم: **42**.

[3]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: **223**، ملف رقم: **284**، الوثيقة رقم: **65**.

[4]- أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: **2145**، ص 178.

والتوقير والتشريف عدا بعض الفترات التي شابها التوتر، من ذلك الرسالة التي بعثها **باي قسنطينة حسن عشي** إلى **علي باشا** بخصوص الرعايا الجزائريين الذين دخلوا الأراضي التونسية طالبا منه دفعهم للعودة، ويبدو أن ما جاء فيها كان مستفزا إذ يقول صاحب المشرع:" **فوردت الفرسان إلى الباشا علي السلطان، ومدوا إليه المكاتيب ورجعوا ففتحهم وقراهم، فلما علم ما فيهم تغير وتكبر وتجبر وقال: عشت حتى يأمرني العشي الخديم**..."، فلما عاد السيارة بالجواب ونقلوا ما تلفظ به **الباشا** بحقه، أمر كاتبه أن يكتب **لعلي باشا** من جديد:(**وقد بلغنا جوابك، وفهمنا خطابك، وبلغنا ما تكلم به لسانك وأنت جالس في محكمتك ونحن كما قلت قلت وأكثر من ذلك والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**"[1]، وفي المقابل نجد فترة **حمودة باشا باي تونس**(1782-1814) الذي كان يحتج دائما على الصيغة التي يخاطب بها **صالح باي قسنطينة** باي الإيالة التونسية ويقلل من شأنه، وهذا في أعقاب فرار قبيلة تونسية استقرت بالشرق الجزائري، أين طالب **صالح باي** بتقديم تعويضات عن الأضرار التي حاقت بهم[2]. وازدادت الأوضاع تأزما مع اقدام **حمودة باشا** عن الامتناع إرسال كميات الزيت المعتادة، واستقباله **لمصطفى انجليز** باي قسنطينة الذي أكرم نزله وأعطاه بستانا في منوبة، ووعده بمساعدته في العودة إلى الحكم، ما أثار حفيظة داي الجزائر؛ الذي أضحى يوجه مراسلاته بصيغة صريحة فيها فظاظة على غير الأسلوب المعتاد منهم من لطف الخطاب وعبارات الوداد والمحبة، إذ يقول **ابن أبي الضياف" فأنف لذلك وامتلأ حوضه وضعف تجلده، وجمع رجال دولته وكلمهم في الأمر"**[3].

وقد صارت صيغ المخاطبة من حكام الجزائر مع أقرانهم ونظرائهم حكام تونس بعد مرحلة **حمودة باشا** أكثر توقيرا وتشريفا مع تلافي أسباب الخلاف، ونجدها تتفق في معظمها أولا في الديباجة متبوعة بالعبارات التي تمجد وتشرف الحكام، فقد تضمنت رسالة من داي الجزائر **حسين باشا** إلى الباي التونسي **محمود باشا** في أواخر رمضان 1238هـ/1822م جوابا عن مكتوبه؛ عبارات التمجيد والتبجيل والتشريف والتوقير والاحترام والأخوة والوداد، وهذا مقتطف مما جاء فيها:" **المقام الذي له المكارم الراضية والمنازل العالية والجلالة الراقية والأعمال الصالحة الباقية مقام من لا زالت روضة عزه ناضرة، وأعين التوفيق بالسعادة إليه ناظرة، ومحاسن أوصافه مملوة الخاطر والناظر...ذلك المعظم الأجل الزكي ألأفضل الخير الأشمل المرعي المبجل الأمجد الأنجد الوجيه الأسعد، أخونا ومحبنا وصديقنا السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس**..."[4]، وتضمنت رسالة أخرى مؤرخة في أوائل ربيع الثاني عام 1239هـ/ 1823م من داي الجزائر **حسين باشا** إلى **محمود باشا** باي تونس ابتهاجا بازدياد مولود للسلطان العثماني؛ عبارات المحبة والوداد، ومما جاء فيها:"...**المقام الذي له المكارم الراضية والجلالة الراقية والمكانة العالية والعزايم النافذة الماضية ...مقام المعظم الأجل الزكي الأفضل الخيل الأشمل المرعي المبجل الأحظى الأرضى الخلاصة المرتضى أخينا ومحبنا وصديقنا وأعز ما لدينا السيد محمود باشا بمحروسة بلاد تونس ...السؤال عن**

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، صص 13، 14.

[2] - Alphonse Rousseau: **les annales Tunisiennes**, **Op.cit**, P 216.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 40.

[4]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 29**.

حضرتكم البهية وعن أحوالكم الصالحات المرضية...وقد فرحنا يا نعم المحب بذالك غاية الفرح والسرور...كان بين الوجاقين تشيع راسخ فتأصل تأصل الشم الشوامخ وحب متين محكم الأساس معلوما ومشهورا كالشمس بين الناس ...ونحن معكم على المحبة والوداد وابراز مزاير الانفراد والاتحاد وذاتنا معكم واحدة وأمورنا أمور متحدة يبشرنا ما يبشركم ويسؤنا ما يسؤكم وقد اقتفينا نحن السلف الماضين وسرنا بسيرتهم في ذالك الحب المؤسس من الأقدمين..." [1]، ثم نجد في رسالة من داي الجزائر إلى باي تونس مؤرخة بسنة 1243هـ/ 1828م تفسيرا لإرسال المكتوب والخاص بشؤون الرعية أو الدولة، وقد تخللته عبارات التوقير والتبجيل والتشريف؛ والذي بدأه بالعبارة" **أولا حضرة ذو السعادة والمروءة والكرامة أيها الأخ العزيز الأكرم الباشا الجليل الشأن....** "[2]، وما يعكس حبل الود كواقع عملي لجوء بعض البايات إلى الحصول على الأموال عند الحاجة عن طريق الوزراء بل اللجوء في بعض الحالات إلى الاستدانة والاقتراض من حكام تونس عن طريق الوكلاء، ومن الأمثلة على ذلك أن **صالح باي** قسنطينة كان في حاجة ماسة إلى مال كثير يرسله إلى الجزائر (الضريبة السنوية أو الدنوش)، فما كان من وزيره **صالح باي مسعود بن زكري** إلا أن كتب في الحين كتابا أرسله مع بعض خدامه إلى السيد **حمودة باشا** صاحب **تونس**، فبلغ ذلك السفر إلى تونس ودفع بالكتاب فوجه مع الرسول مالا عظيما، وبعد أيام عاد الرسول إلى **الحاج مسعود** بذلك المال، فوضعه قدام **صالح باي**، وأخبره أنه من الباي **حمودة باشا**، فأرسله إلى باشا الجزائر؛ فبلغ به الحرمة التامة[3]، وتجاوزت سياسة التقارب الهدايا والهبات المادية المرسلة إلى امتلاك محلات في البلد الآخر؛ كما هو الحال مع صالح باي الذي كانت له أملاك بالحاضرة التونسية، فقد امتلك مخزنا ووكالة بباب المنارة في تونس[4]، ولعل هذا ما جعل **العطار يقول** أن **صالح باي** بايات قسنطينة: **"كانت له اليد العليا على صاحب تونس وغيره"**[5]، كما وجه **عثمان باي** قسنطينة (1803-1804) مكتوبا **للحاج مالك** وكيل الجزائر في تونس ليقترض له على يده مبلغ من المال وقدره 10 آلاف ريال دورو من تونس وقد جاء هذا في رسالة مؤرخة في ربيع الأنور عام 1218هـ/ 183م [6].

وكان الاحتفال بتقلد العرش العثماني وتزايد مولود لبني عثمان يحظى بمكانة كبيرة وهامة لدى السلط المركزية في الإيالتين؛ باعتباره مناسبة مميزة تحتفي بها السلطنة؛ وتقليد درج حكام الولايات العثمانية على المحافظة عليه، فقد جاء في مخطوط "**بيان ملوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور**"؛ حديث عن بعض الاحتفالات في الجزائر العثمانية، من ذلك احتفال أهل الجزائر بتولي السلطان العثماني **محمود الأول بن مصطفى الثاني** الذي جلس على الحكم عام 1134هـ/1761م، والاحتفال بمولد ابن السلطان العثماني **محمود الأول** عام 1175هـ/ 1761م، وجاء في المخطوط عبارة "**عمل الزينة**"؛ كتعبير للدلالة عن الاحتفالات في هذه المناسبات" **عام 1143هـ التمنية وتلتين عمل**

---

[1]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 34.**

[2]-أ.و. ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 55.**

[3]- محمد الطاهر بن أحمد النقاد: **ذكر طرف ولاية السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة، مخطوط** رقم 00263، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية، ص 31-32.

[4]- فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، المرجع السابق، ص 117.

[5]- الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 138.

[6]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 04.**

الزين خير السلطان محمود عام 1143..."، ومما جاء فيه: **"وفي ناسة في شهر العيد الكبير عام 1169هـ التسعة الستين ومایة وألف الزاد ولد عند السلطان عمل الزين عام 1175هـ الخمس وسبعين ومایة وألف "**[1]، وهو ما أشار إليه **الزهار** في مذكراته متحدثا عن ولادة نجل للسلطان؛ وأن البشارة جاءت من عند مولانا السلطان **مصطفى خان** (1757-1773م)؛ تزف خبر تزايد مولود اسمه **سليم**،- هو السلطان المسمى **سليم الثالث** 1203هـ/1789-1807)-، وقد استبشر الإسلام بذلك وبعث البشائر لجميع البلدان، وذلك في رمضان سنة 1175هـ/1761م، حيث أمر باشا الجزائر أهل البلاد بجعل الزينة بالأسواق سبعة أيام بزيتون الدكاكين بأنواع الفرش وأنواع التحف، واستعملوا الآلات الفاخرة، ووقع التنافس بين أهل الأسواق فبالغوا في الاحتفال واتوا بضروب الأمتعة الرفيعة من الستائر المذهبة وصنوف الديباج وكسوا بذلك الدكاكين والحيطان، وعلقوا المرايا وقناديل كثيرة وثريات، واستمر ذلك سبعة أيام بلياليها، وفي الجهة المقابلة علق أهل **تونس** قناديل الذهب والفضة، وكسوا البيوت المنسوجة بالذهب والفضة وأنواع اللعب والأمور الغريبة التي أتوا بها، وتباهوا في نفائس الأطعمة والاستكثار منها كل ليلة وتعظيم من يأتي إليهم من النظائر برسم الفرحة، ورتبوا في كل ليلة من أنواع الملاهي وآلات الطرب على اختلاف أنواعها وكانوا يستدعون أعيان الناس في كل ليلة ويبذلون كل نفيس، وصرفوا في ذلك أموالا جليلة وذلك سنة 1175هـ/1761م[2].

وقدم لنا **ابن عبد العزيز** صاحب **الكتاب الباشي** وصفا شيقا عن أنباء تزايد وليد للسلطان العثماني؛ إذ يقول:" **ورد على حضرة في شهر رمضان من هذه السنة 1175هـ قبجي باشا رسولا من الحضرة الخاقانية مبشرا بولادة ابن لمولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان رحمه الله. وأمر بزينة البلاد وإطلاق المدافع بشائر، وذلك لأنه مضت مدة طويلة ولم يولد لآل عثمان ولد ذكر، حتى وقع الإرجاف بأن نسلهم قد انقطع، فإن السلطان محمود بن السلطان مصطفى مات سنة ثمان وستين ولم يعقب، ولم يولد له أصلا، فتولى بعده أخوه السلطان عثمان ومات سنة اثنتين وسبعين ولم يولد له أيضا، فتولى بعده ابن عمه السلطان مصطفى هذا– رحمه الله– فلم يولد له إلا هذه السنة .فلما ولد له هذا الولد حصل له ولجميع مملكته سرور عظيم ببقاء هذا النسل المبارك، وأرسل إلى أقطار ممالكه بالبشائر والأمر بالزينة في إلى البلدان، وعمل المفرحات...ولما دخل شوال أمهل مولانا ريثما انقضت زينة العيد، ثم أمر بزينة البلد، وإطلاق المدافع أياما متوالية...**" [3].

وتواصلت الاحتفالات الخاصة بتزايد أبناء لسلاطين بني عثمان في الإيالات العثمانية؛ مع ورود الأنباء ووصول الفرمانات الديوانية في هذا الشأن؛ من ذلك الفرمان الوارد إلى **محمد باشا** الجزائر من جناب **السلطان مصطفى الثالث** أواسط شعبان 1180هـ/ 11-20 جانفي 1766م؛ مضمونه ولادة ابن لدى السلطان والأمر بإجراء مراسيم الاحتفال التقليدي بإطلاق المدافع والدعاء للولد الجديد من جانب العلماء والصلحاء بالصلاح وطول العمر؛ " **أمير الأمراء الكرام الكبير الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى داي جزائر الغرب محمد دام إقباله ...وبتريخ اليوم التاسع من شهر شعبان يوم السبت سنة ألف ومایة وثمانين**

[1]- مجهول: **مخطوط ملوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور، رقم: 1637**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية، ص 3-4.

[2]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 29-30.

[3]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص 85-86.

شجر بختي فاكهة حديقة دنيا...فظهر ألطاف رب الصمد شهرزاده جوان بختي السلطان محمد عمره الله بطول الأمد والاقبال ..أول مسرتنا بقرة العيون ...وقدوم شرف لزوم السعد بالاشتمال ووسيلة دوام نظام السلطنة ...ووجب التبشير بهذا النير السعيد ...دعؤكم بامتداد عمره ممن بدولتنكم من المشايخ والزهاد والصلحاء من العباد وساير المؤمنين بالجوامع والمساجد ...وبعده تفعلوا فعل المعتاد القديم تتكلم طلق المدافع والمكاحل من الحصون والقلاع لتشهير المهرجان وإظهارا لمسرتكم بالمولود..الفرمان واجب الاتباع ولازم الامتثال مضمونة طاعته ...في أواسط شعبان المعظم سنة ألف ومائة وثمانين " [1].

ولم يقتصر الأمر على إقامة الأفراح في الإيالات العثمانية ابتهاجا بتزايد أبناء لسلاطين بني عثمان؛ بل تجاوزتها إلى العطاء والإحسانات إلى الرسل المبشرين بالخبر؛ كما هو الحال مع **قبجي باشا** الذي قدم من **استانبول** مبشرا بزيادة مولود لدى السلطان، وتوجه إلى **الجزائر** يوم 09 رجب 1193هـ(02 أوت 1778)، ثم عاد منها إلى **تونس** يوم 27 شعبان 1193هـ (09 سبتمبر 1779)؛ حيث نال بها إحسانا وتذكرة شملت: لحم، سميد وخبز، أرز، سمن وعسل وزبيب، لوز، نشا، حمص، دجاج وحمام، بيض، ليمون، خضار وفواكه، سكر، قهوة [2]. كانت المراسلات سمة بارزة بين حكام الإيالتين في هذه المناسبات؛ التي تتضمن أنباء عن تزايد أبناء لسلاطين الدولة العلية؛ فيها دعوات من الطرفين لإقامة الأفراح، والدعاء لهؤلاء الولدان الجدد بدوام الصحة وطول العمر، من ذلك رسالة بعث بها الداي **حسين باشا** للباي التونسي **محمود باشا** جوابا عن مكتوبه يعلمه أنه ورد إلى تونس شاوش وبيده فرمان يعلم به بازدياد مولود للسلطان، وقد ورد له الشاوش المذكور وبيده الفرمان المذكور وأقام حتى استراح وطلب الرجوع إلى **تونس** على البر فاسعفه لمطلبه؛ في وثيقة ترجع بتاريخها إلى أوائل صفر 1232هـ/1816م" **المقام الذي زكت فروعه وأصوله وطابت أجناسه وفصوله...الوجيه الأسعد السيد محمود باشا محروسة تونس...فقد ورد علينا كتابكم الكريم وخطابكم الواضح الجسيم وما عرفتومونا فيه من أنه قد نزل عليكم شاوش من الحضرة العالية والدولة الخقانية ..وبيده فارمان كريم مضمنه ازدياد مولود كريملمولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم إلى آخر ما ذكرتم...كل ذلك فهمناه وقد ورد علينا الشاوش المذكور وبيده الفارمان السعيد المسطور وأقام عندنا حتى استراح وقد طلب منا أن يتوجه إلى بلادكم على طريق البر فقد أجبناه لذالك ...السيد حسين باشا أعطاه الله من خيري الدنيا والآخرة ما يشا آمين بتاريخ أوائل صفر الخير سنة 1232هـ"** [3].

كما وجه دولاتلي الجزائر **حسين باشا** رسالة إلى **محمود باشا** محروسة تونس؛ يعلمه بأنه ورد له رسول من جناب **السلطان محمود الثاني** وبيده فرمان مضمونه أن السلطان ازداد له مولود وسماه **عبد المجيد** ويعلمه أيضا أن الرسول المذكور قادم إلى تونس للخبر عن المولود المذكور." **الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم المقام الذي لا له المكارم الراضية والجلالة الراقية والمكانة العالية والعزايم النافذة...أخينا ومحبنا وصديقنا وأعز ما لدينا السيد محمود باشا بمحروسة تونس ... إن حامله المعظم الأجل الوجيه الأفضل**

[1]- رسالة رقم **13**، المجموعة: **3190**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

[2]- أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي، رقم **143**، ص **136**.

[3]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة **334**، الملف **223**، الوثيقة رقم: **10**.

السيد مصطفى شاوش المعظم قبطان باشا الذي وفد علينا وقدم إلى مقامنا بالفارمان السعيد المبارك الحميد من حضرة مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم السلطان محمود...المتضمن للبشارة بازدياد السيد المولود المسمى بـ عبد المجيد جعل الله طابعه مقترنا بسعد السعود ...وقد فرحنا يا نعم المحب بذالك غاية الفرح والسرور ...وقد أقمناه عندنا في الضيافة والإكرام والإحسان ...وانصرف من حضرتنا بعد التحية والسلام فها هو قادم إلى حضرتكم السعيدة المباركة الحميدة ... صحبة بعض الخدام والأنصار والأعوان...وهذا ما منا إليكم ولا زايد بحمد الله سوى حبكم ...السيد حسين باشا بمحروسة بلاد الجزائر أعطاه الله من الخيرات والمسرات ما يحب ويشاء آمين بتاريخ أوائل ربيع الثاني سنة 1239هـ.."[1].

لقد جاءت أغلب الفرمانات السلطانية إلى الولايات العثمانية حاملة دعوات صريحة بالمباشرة الفورية للاحتفالات وإقامة الأفراح، والدعوة لذرية سلاطين الدولة العلية في المساجد بطول العمر وامتداد السعد، فقد ورد فرمان من السلطان **محمود الثاني** إلى **حسين باشا** أواخر صفر 1240هـ/ 14-22 اكتوبر 1824م؛ فحواه ولادة ابن لدى السلطان والأمر بإجراء مراسيم الاحتفال التقليدية بالمناسبة؛ " **السلطان محمود الثاني** ....أمير الأمراء كبير الكبراء الفخام باي بيلار جزائر الغرب باشا التوقيع الرفيع من الباب العالي الواصل إليكم يكن في علمكم **أن شجرة روضة الخلافة بحديقة السلطنة في الثاني والعشرين من شهر صفر الخير يوم الجمعة في الليلة المباركة سنة ألف ومايتين وأربعين بزغت شمس قدرته الباهرة في فلك سلطنتي الزاهرة .....ولما شوهد في المهد ولاحت نجوم السعد سر القاطنون بذلك في دار سعادتي سرورا كثيرا وأجروا رسوم المسرة في محروسة اسلامبول في طلق المدافع ثلاثة أيام....ولأجل انتشار هذه النعمة في ممالكه المحروسة ...أصدرنا أوامر في الجليلة فإذا علمتم فبادروا في بسط كف الدعاء في المساجد...بدوام العمر والاقبال وامتداد السعد والاجلال وأثنوا عليه كما جرى في باب سعادتي من مبادرتكم...مثل الأعياد وأجروا الرسوم السلطانية بحسب المعتاد ...الفرمان واجب الاتباع ولازم الامتثال مضمونة طاعته مقرونة بالعمل ...أواخر صفر الخير سنة ألف ومايتين وأربعين** "[2]، في سنة 1240هـ/ 1824م قدم **قبجي باشي** من الحضرة العلية على الباشا ببشارة ولادة السلطان **عبد المجيد**؛ فأنزلوا قبجي باشي، ومن الغد قرأ مكتوب بشارة السلطان؛ ففرح جميع المسلمين ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد وللوليد الجديد بطول العمر وأن يكون خليفة لأبيه من بعده، وضربت المدافع سبعة أيام صباحا ومساء، وكتب البشارة للبايات ولجميع العمال[3].

وفي سنة 1241هـ/1825م قدم **قبجي باشي** من عند السلطان **محمود** ببشارة بنية ازدادت له وبعثت معه الخلعة والقلج للباشا، ويوم وصل مبعوث السلطان وقع مهرجان في باب الجهاد، ومن الغد أحضر الباشا العلماء ونقيب الأشراف، وكافة أهل الديوان، وأعيان البلد، ولبس الخلعة السلطانية، وضربت النوبة، وأطلقت المدافع صباحا ومساء من جميع الحصون سبعة أيام، وبعث البشائر لجميع البايات والقياد واستبشر كافة المسلمين، ودعوا للسلطان بالنصر، وكان

[1]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الملف 223، حافظة 334، الوثيقة رقم: 34.**

[2]- **رسالة رقم 34، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.**

[3]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 178.

الباشا قد بعث له قبل ذلك الباشكات[1]. إن هذه الاحتفالات والأفراح التي تقام في الولايات العثمانية ما إن يرزق أحد سلاطين بني عثمان بمولود؛ تعكس لنا ارتباط الإيالتين بالباب العالي؛ كما توحي المراسلات بين حكام الإيالتين في هذه المناسبات عن قوة ورسوخ الصلات الاجتماعية كمؤشر ايجابي للحراك الاجتماعي في ظل الانتماء للدائرة الإسلامية.

04-اهتمام الحكام بالحجاج وركب الحجيج:

شكل موسم الحج فرصة للتفاعل الاجتماعي بين الأهالي والحجاج الذين يمرون بمناطقهم، كما عمق أواصر الانتماء الإسلامي بين شعوب الإيالتين، وبما أن **تونس** تقع في طريق رحلات الحجاج الجزائريين فقد كان من الطبيعي الوقوف والاستراحة في الأراضي التونسية، والاختلاط بأبناء الإيالة التونسية والتعامل معهم والتعاون والتقارب بينهم، حيث كانت علاقات الأهالي في المدن والقرى مع الحجاج ودية وأخوية، فيبادر سكان القرية أو المدينة بإطعام الضيوف وإكرامهم واستضافتهم، كذلك كان على حجاج تونس مرافقة قافلة الحجيج الجزائر المارة بهم برا في كثير من الأحيان، وبذلك يكونون الصداقات والعلاقات الجيدة ذهابا وإيابا، لذلك تعد مواسم الحج بحق فرصة كبيرة للتعارف وتوثيق الصلات الاجتماعية بين أبناء الإيالتين.

وقد اهتم حكام الإيالتين بهذه المواسم، وكثيرا ما كان حكام الجزائر يبعثون برسائل إلى حكام تونس لمراعاة شؤون الحجاج الجزائريين المارين بدولتهم، وفي هذا السياق بعث **حسين داي** الجزائر إلى **محمود باي تونس** مكتوبا في شأن الوصايا على الحجاج القاصدين بيت الله الحرام عن طريق تونس، وأن يعمل على تيسير أمورهم-دون إخضاعهم للحجر الصحي- حتى تتم لهم سرعة المرور على الأراضي التونسية إلى مقصدهم وذلك عام 1238هـ/1822م "...**المرتضى السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس....لا يخفاكم أدام الله تعالى عزكم وعلاكم أن الملأ من الحجاج قاصدين بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام...أن تبادروا لهم بالمقصود وتعجلوا لهم بذلك من غير جعل كرنتينة لهم لأجل خاطرنا، وتراعوا فيهم أيضا وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم...بتاريخ أواسط شهر رجب الفرد الأصم سنة 1238هـ..**"[2]. وقد بعث **ابراهيم باي** قسنطينة برسالة إلى **حسين باي تونس** يعلمه أن نفرا من أحبابه (المقربين إليه) يسمى **محمد بن حسن البجادي** يريد السفر والحج إلى بيت الله الحرام برا عبر تونس وأنه تأخر عن قافلته، ويطلب منه ترحيله مع أي قافلة تونسية قاصدة الحجاز وذلك في نفس العام[3]، وتواصلت رسائل الالتفات إلى الحجيج من البايات حتى في أعقاب سقوط الجزائر تحت نير الاحتلال عام 1830، فقد جاء في رسالة من **أحمد باشا** باي قسنطينة إلى الباي التونسي **مصطفى باشا** يعلمه أن أنفارا من عمالته قاصدين حج بيت الله الحرام طالبا منه الإذن بمرورهم وقضاء حوائجهم خشية أن يلحقهم ضرر؛ تهدئة للنفوس وتسكينا للخواطر بعد إلقاء القبض على أحد رعاياه في تونس؛ و المسمى الشيخ **خليل بن لاز أغلي** الذي أرسله في وقت سابق لقضاء مآربه[4]. أحاط حكام تونس حجيج بيت الله الحرام بالرعاية والإحسان فأجزلوا لهم العطاء في الذهاب والأوبة، إذ نجد الكثير من

---

[1]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 195.

[2]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 384، الملف رقم 223، وثيقة رقم 24.**

[3]- **أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 384، الملف رقم 223، وثيقة رقم 22.**

[4]- **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:66.**

الأمثلة في هذا الجانب؛ من ذلك من ذلك الإحسان الذي حظي به شيخ الركب **عبد الكريم بن بدر الدين الفكون** لما قدم من الحج وجاء بفرس لعلي باي تونس في 29 رمضان 1182هـ/ماي 1768م[1]، وقدمت لشيخ الركب الشيخ **عبد الكريم** مؤنة عن 23 يوما في جمادى الثانية عام 1189هـ/ 1775م [2]، كما كان الجد **الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون** أمير ركب الجزائر وقسنطينة محافظا على سيرة والده من الحلم والتؤدة والوقار، فأحبته القلوب ومالت إليه النفوس في تلك النواحي[3]، ولم تقتصر الإحسانات على مشيخة الركب بل طالت أغلب الحجيج، ومن الأمثلة على ذلك: إحسان على عهد **علي باي** (1759-1782) **للحاج إسماعيل أغا صبايحية الترك** لما قدم من الحج وتوجه لعنابة عن سفر في البحر في موفى ربيع الأول سنة 1185هـ/ 14 جوان-13 جويلية 1771م عبارة عن مواد ضرورية يستعين بها في طريق أوبته، (قنطار ونصف بشماط أبيض، نصف قنطار روز، مطر زيت، فلفل، ربع قنطار زيتون، مائة بيضة، حمل خضرة، دقة، قهوة، 15 شمعة، حمل بياض، 300 حصر حلفة)[4]، واستمر التقليد على عهد **ابنه حمودة باشا** (1782-1814م)؛ من ذلك تذكرة بها ما خرج من المؤنة التي خصصت على يد **سليمان كاهية** لوكيل بيت المال **والحاج مهدي** رئيس وثلاثة عشر نفرا معهم لما قدموا من الحج متوجهين إلى **الجزائر** يوم الاثنين 27 رجب 1193هـ(10أوت 1797م)، وشملت: سمن، بشماط، زيت، زيتون، كباش، بيض...**وللحاج عصمان** أخ **الخزناجي** لما عاد من الحج ومعه 14 نفر متوجهون إلى الجزائر[5]، كما شمل الإحسان أيضا أبناء القبائل الجزائرية، من ذلك مؤنة لأنفار الحنانشة المسافرين إلى الحج عن 13 يوما كل يوم ثلاثة أرطال أي ما قيمته 39 رطل[6].

عمد حكام الإيالتين إلى حماية وتأمين ركب الحجيج لما له من حرمة و قداسة، ولما تعرض ركب الحجاج الفاسي سنة 1164هـ/ 1750-1751م لاعتداء **النمامشة** الذين عاثوا فيه، وأخذوا منه خيلا وإبلا وأحمالا وأموالا، وامتلأت أيديهم من أموال وفد بيت الله ومسكن رسوله، وتوزعوه بينهم، وأقبل المأخذون إلى تونس ورفعوا أمرهم إلى **علي باشا،** فوعدهم باسترداد أموالهم من النمامشة، واستدعى الشيخ **محمد ابن الحاج أحمد** شيخ **الخنقة**[7]، وهذا لعلو شأنه وذيوع صيته ورفعة مقامه، وهو في هذا السياق يتحدث **المجاجي** عن صاحب الخنقة فيقول: " **رئيس زمانه أبو الحسن بن ناجي صاحب الخنقة له في بلاد الزاب صيت ومحفل عظيم من الأعراب**"[8]، كما استعان **علي باشا** أيضا بالشيخ العالم الفقيه **أبو العباس أحمد التليلي** صاحب فريانة وغيرهما؛ ممن يشار إليه في تلك الجهة يومئذ، وأرسلهم إليهم ليردوا سلب وفد بيت الله وحرم رسوله، فحبسوهم وامتنعوا وأغلظوا في الرد، فكتبوا بذلك إلى **علي باشا،** فاستشاط غضبا وعزم على غزوهم، فخرج بمحلة عظيمة، واستوعب فيها المزارقية، ومحلة عسكر الترك عليها ابنه **سليمان،** وابنه

---

[1]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2144**، ص 195.

[2]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2070**، ص 122.

[3]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، مج2، ط1، تح وتع أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2011، ص 498.

[4]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 143**، ص 19.

[5]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 143**، ص 140.

[6]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2070**، ص 107.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 132، 133.

[8]- عبد الرحمن بن خروب المجاجي: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1564، ص 8.

يونس في محلة صغيرة، وسار لهم **الباشا** من توزر، وصبحهم قرب زريبة حامد من الزاب، فأخذهم واستاق أنعامهم ومواشيهم، وتوزعت أيدي النهب أمتعتهم، وتراجعوا أمامه إلى الخنقة، فاستأصلهم، ووجه ابنه **سليمان** إلى سوف، ونزل على **قمار** من بلدانها، وأمر بقطع نخيل **عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي** من أشياع الباي أولاد حسين، وفي ذلك يقول **أبو عبد الله الورغي** إمام البلاغة[1] :

هو العز في سمر القنا والقواضب وإلا، فما تغني صدور المراتب؟
وسيان أغمار الرجال وصيدها إذا لم يميز فضلها بالتجارب
هو الملك الداعي إلى الحق وحده وإن كثرت أهل الدواعي الكواذب.
وهش لدفع الضيم أول وهلة هشاشة من يدعى لأخذ الرغائب
وأعرض عما جاعلوه لنصرهم أنا عندكم، والجبن أخبث صاحب
وشردت أجلاف الفلا عن دياهم فراحوا على العميا بشر المذاهب.

ويبدو أن تأديبهم لم يقتصر على الحملة التي جردها **علي باشا**؛ بل أن باي قسنطينة هو الآخر خرج إليهم فشتت شملهم وفرق صفهم وشردهم في الآفاق، إذ نجد **الناصري** يتحدث عن النمامشة واصفا إياهم بالظلمة الفجرة، وأن الله أخذهم أخذا وبيلا بدعوات الركب النبوي المار عليهم ذهابا وإيابا، حيث سلط الله عليهم أمراء الترك وما انضاف إليهم من الأعراب، فأجلوهم إلى البلاد التونسية[2]. والظاهر أن الأفراد كانوا يسيرون أمورهم بأنفسهم بالتعاون والترحيب الذي يجدونه من الأهالي في تونس، فقد حظي الحجاج باحترام وتقدير كبيرين من السكان سواء في قدومهم إلى تونس ذهابا إلى الأماكن المقدسة في الحجاز أو عند رجوعهم إلى بلدهم مرورا بتونس، ولم يقتصر الاهتمام بركب الحجيج على الحكام بل إننا نجد الرعية قد أحاطت حجاج بيت الله الحرام بالتبجيل والتوقير والاحترام والاستقبال، فقد تحدث **الورثيلاني** في أوبته من حجته الأولى عام 1153هـ/ 1740م عن حجاج **توزر** وأكابرها من ذوي الرئاسة المرافقين للركب؛ الذين أكرموا وفادتهم واستقبلوهم في ديارهم، وأخرجوا لهم موائد الطعام؛ كل مائدة تكفي الجم الغفير والعدد الكثير، وبالقرب من **قابس** يشير أن الركب لقي توقيرا وترحيبا، وأن فضلاء فضلاء الحمارية فعلوا معهم خيرا عظيما، وردوا الجمال التي سرقت لأصحاب الركب[3]، ويتحدث **الورثيلاني** أيضا في طريق عودته من حجته الثانية عن **قابس** و**الحمارنة** الذين يراهم من أجود العرب، وفي الحاضرة التونسية حظي حجاج الحرم باستقبال واستضافة بالكسكس واللحم وأجزلوا لهم في العطاء والإكرام على المعتاد بشيء كثير[4].

والملاحظ أن الاهتمام بشؤون رحلات الحج كان قوامه الترابط الاجتماعي بين الحجيج الجزائريين والأهالي في تونس؛ والذي فرض نفسه كحتمية استجابة لروابط الدين والعروبة، فقد كانت الأمور تسير بتلقائية وعفوية؛ مما يدل على ذلك استمرار هذا التعاون والتسامح بينهم حتى في أوقات توتر العلاقات السياسية بين الإيالتين، فلم نجد ما يمنع من توافد

[1]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 132، 133.

[2]-محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، المصدر السابق، ص 242.

[3]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 262، 271.

[4]- الحسين الورثيلاني: **المصدر نفسه**، مج3، ص 298، 313.

الحجاج الجزائريين برا عبر تونس في طريقهم للحج سواء من الحكام أو الأهالي، ومن خلال ذلك يمكن القول أن العلاقات الاجتماعية المتجذرة بين الشعبين المتجاورين التي أخذت أشكالا عديدة؛ ظلت جيدة متصلة محافظة على ديمومتها؛ ولم تستطع السياسة التأثير فيها رغم التوتر والعداء والصدام أحيانا، ومن هنا يبرز دور الحج إلى الحرم الآمن في توثيق أواصر الأخوة، وتحقيق الوحدة والاجتماع بين أبناء الإيالتين.

05-تسوية بعض الشؤون والقضايا الاجتماعية الخاصة (استيفاء الدين، الخطية، مسائل المواريث والوفيات):

ومن مظاهر الحراك الاجتماعي التفات الحكام لمعالجة بعض الأمور والمسائل الاجتماعية العالقة التي تخض الرعية من أبناء الإيالتين، لذا سعى كل طرف إلى رد الحقوق والمظالم إلى أصحابها، وهوما يكشفه مكتوب من **إبراهيم** قائد العواسي بالجزائر إلى **حسين باشا** باي في تونس؛ مؤرخ في أواسط جمادى الثانية 1237هـ/ مارس 1822م؛ يخبره فيه أنه أرسل بعض رعاياه إلى تونس لبيع عدد من الأغنام بها، فاشتراها منهم شخص يدعى **عثمان جوبان** ولكنهم لم يستلموا منه ثمن المبيع، لذلك يطلب من الفضل أي الباي التونسي التدخل لاستخلاص حقوقهم منه[1]، ويبدو أن الدائنين لم يستعيدوا حقوقهم ولم يحصلوا على أموالهم، وأمام تماطل المدينين؛ وجه **أحمد باي** قسنطينة مكتوبا إلى **حسين باشا** باي تونس في أواخر جمادى الثانية من العام نفسه (1237هـ/1822) يطالب الأخير في السعي لاستعادة ديون على أنفار من تونس ماطلوا في خلاص رعاياه على غرار الحراكته وغيرهم الذين ترتبت لهم ديون على أناس من أهل تونس وتراخوا في أداء ما عليهم من دين، كما التمس منه ضرورة تنبيه المدينين والضغط عليهم بالخلاص، وفي المقابل إن كانت لرعايا تونس ديون على رعاياه فهو على أتم الاستعداد للوقوف عليها والسعي في خلاصها دون أن يكون هناك تقصير من الطرفين[2]، وبحث حاكم تونس في قضية الدين وراسل من جانبه باي قسنطينة في هذا الشأن، فجاء مكتوب آخر توضيحي من **أحمد باي** للباي التونسي **أحمد باشا** في ربيع الأول 1237هـ/ 1822م ردا عن مكتوبه الثاني في شأن الدين الذي على رعايا تونس لرعايا الجزائر وأن الدين المذكور لم يؤخذ إلا على رجل واحد اسمه **الشوبان** الذي ادعى أنه كتب تذاكر بخط يده، وطلب الأخير التذاكر التي بيد أرباب الدين، لذا فإنه عين من جانبه **شاوش** يجمع أرباب الدين والتذاكر التي بيدهم ويقدم بهم إلى تونس، إلا أنه يطلب من الباي التونسي دفع المال لتابعه **علي بن عاشور التباسي**؛ وهو بدوره يدفع تذاكر الغرامة للشوبان المدين، وألزمه بالحرص على الوقوف عليها لأن هذه الغرامة لأرباب الدين الذين لا زالت مطالبهم موقوفة؛ راجيا قبض المال المذكور وإعادته لأصحابه[3].

وسعيا لاستعادة حقوق الدائنين جاءت-رسالة أخرى- من **أمين خوجة** الخليفة بقسنطينة إلى **حسين باشا** تونس مؤرخة في 1237هـ/ 4 جوان 1822م يقول فيها أن **أحمد باي** قسنطينة؛ أرسل إليه قبل توجهه إلى الجزائر، قائمة برفقة أحد أعوانه **المدعو بن شعبان**، لاستخلاص المبالغ المالية التي تتضمنها القائمة والعودة بتلك المبالغ من تونس والالتحاق به في طريقه إلى الجزائر، وتتضمن تلك القائمة كما يفهم من الرسالة؛ مبالغ مالية للباي كانت في ذمة **قبيلة الجريان** التونسية، وأوصى **أمين خوجة** باي تونس بالاستجابة إلى ذلك الطلب، لأن باي قسنطينة أكد عليه قبيل

[1]- أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:14.

[2]- أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:16.

[3]- أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:17.

توجهه إلى الجزائر بالكتابة إليه ومطالبته باستخلاص تلك الأموال[1]. ورغم المساعي المبذولة من حكام البلدين لاستيفاء الديون ورد الحقوق للدائنين؛ إلا أن المدينين كثيرا ما قلبوا ظهر المجن وأبوا تسديد ما عليهم من مستحقات، كما هو الحال مع أبناء قبيلة الحراكتة الذين لم يستعيدوا سوى جزء من أموالهم المستحقة، وفي هذا الجانب كاتب الحاج **أحمد باي** السيد **حسين باشا** باي تونس من جديد في ذي القعدة 1240هـ/ 1824م بمكتوب حول دين لقبيلة الحراكتة الجزائرية في ذمة قبيلة الجوبان التونسية، وتكليف **الحاج عمار** وكيل الجزائر في تونس بتسوية مسألة ذلك الدين وأن يعمل صاحب الفضل أي الباي التونسي على تمكين الوكيل من خلاص المبلغ المتبقى[2]. وسعيا لاستعادة الحقوق وجه **الحاج أحمدباي** مكتوبا –دون تاريخ–إلى السيد **أحمد باشا** باي تونس يعلمه أن نفرا قسنطيني من خدامه اسمه **محمود أمين** كان وقافا على هنشير والدته وتحت يده جانب وافر من نعمه (نحو خمسة عشر ماية صاع قسنطيني ما بين القمح والشعير) باعها وجمع المال ثم فر بثمنها إلى تونس فأدركته المنية؛ فأقر إلى جيرانه بالمال(قيمة الزرع) المذكور وهو عند زوجته، وبلغه أن بيت المال أخذ المتروك (نحو ثلاثين دورو)، يطلب بكريم فضله وجزيل إحسانه الوقوف على الأمر لخلاص المال المذكور من تركة خادمه لأنه حق محقوق[3]، وهذا يعكس لنا بوضوح سعي حكام الإيالتين لتسوية بعض الشؤون الاجتماعية، وتسوية بعض القضايا العالقة كاستيفاء الديون المتعلقة برعايا البلدين.

كان للحكام دور هام أيضا في تسوية الكثير من الخلافات والنزاعات الناجمة عن قضايا السرقات والقتل؛ واستيفاء الدين ورد الحقوق والمظالم إلى أصحابها؛ حرص البايات على معالجة بعض القضايا والمسائل المتعلقة بالاعتداءات والتجاوزات–مسائل القتل أو القضايا الجنائية–؛ ففي عام 1170هـ/1756م دفع المسمى **الحسين البجاوي** مبلغ الخطية المقدرة بـ: 15770 ريال (لا يستبعد أنه عن جناية قتل)، ودفع **محمد بن الساهل** لخطية على الغرابة ما قيمته: 9333 ريال، ودفع **سي علي الجزيري** في مطالب بالأعراض عام 1170هـ/1756م؛ دية قدرت بـ: 79538 ريال، كما دفع الشيخ **حسين** شيخ طرود و**أحمد العجاب** دية **بلقاسم بن الخير البجاوي** الذي مات في قزعة البطوم[4]. ومن الأمثلة على الخطايا المرتكبة أيضا نجد؛ دية الرجل **الزواوي** الذي قتله الزوارع من نفزة وهو لاحق **بنوبة طبرقة**؛ والمقدرة بـ 1000 دينار؛ حسب ما أخبر به **حسين القزاز** وكيل طبرقة اواسط شوال 1183هـ/جانفي 1770م، ودية التركي التبسي الذي قتله **مبروك بن عرعار الزغلامي** و**ابن عمه علي** لما أغاروا عليهم وأخذوا لهم **ثلاثين** بقر وبندقيتين صغيرتين وعشرين ريال، والمخبر بذلك **مصطفى كردغلي التبسي** في غرة قعدة الحرام سنة 1185هـ/ 1772م، ولم تقتصر الخطايا على جرائم القتل بل طالت حتى المتسببين في إجهاض النساء؛ من ذلك دية الجنين الذي أسقطته **فاطمة بنت رمضان بن الحاج عبد الله العنابي** من سكان رأس الجبل على المتسبب في إسقاطه منها؛ وهي **فاطمة بنت عبد الله شقرون المالكي** لما رمت عليها حمل حطب على رأسها في أواخر جمادى الأولى 1184هـ/ أفريل 1770م[5]. وكثيرا ما

---

[1]– أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 384، الوثيقة رقم:21.**

[2]– **أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:63.**

[3]– أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:94.**

[4]– **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم:94**، ص 04، 06.

[5]– جمال بن طاهر: **المرجع السابق**، ص 75، 169.

اقترنت القضايا الجنائية بالسرقات نتيجة عمليات الإغارة؛ من ذلك رسالة من **محمد منماني باي** قسنطينة (1824-1826) إلى **حسين باشا** باي تونس بتاريخ 9 ربيع الثاني عام 1241هـ/ 1825م؛ بشأن اعتداء الهمامة على عزيب دوارين من عزيب التباسة وقتلهم عشرين رجلا منهم، وأخذهم لأحد التباسة يقال له **عبد الواحد**؛ كان قد خرج ببيته من **تبسة** للعزيب فأتوا على جميع ماله وما احتوى عليه بيته، حيث طلب منه باي قسنطينة الكتابة لهؤلاء الناس لرد ما أخذوه على الوفاء والتمام واتخاذ ما يراه مناسبا بحق الرقاب التي ضاعت من التباسة كون الهمامة رعايا تابعين له[1]. وهذا يعكس لنا حرص السلطة على متابعة الجناة، وتسليط العقوبة على الجاني لأن الدولة كانت شاعرة بتهرب الجناة من ردعها ومن مراقبتها بصفة عامة، وبالتالي لجأت إلى قطع كل الطرق المؤدية إلى ذلك؛ وهذا حفاظا على النظام الاجتماعي والسياسي، لذا وجب اللجوء إلى الردع بجميع الوسائل ولا سيما بالخطية أو الدية المخزنية.

ولم يقتصر حرص الحكام على فرض الخطية على الاعتداءات والتجاوزات بل نجدهم يلجأون إلى تسليط العقاب الذي يصل حد الموت أحيانا حرصا على سيادة الأخلاق؛ وقمع كل ما يتنافى وتعاليم الشرع الحكيم، فعلى عهد ولاية الداي **أحمد شلبي**؛ قدم مركبان من الجزائر بقصد الجهاد، فنزل بعض من جندها بفندق العطارين بتونس؛ ومر اثنان منهم فمسكا بعضا من أولاد المسلمين لما لا يرضي الله وسوله؛ ومن الغد توجها لمركبيهما لغار الملح، فلما بلغه ذلك أرسل خلفهما من مسكهما في الطريق وجيء بهما إليه، فلما اتصل بهما خنقهما وألقاهما بباب القصبة، وكاتب حاكم الجزائر **الحاج محمد ميزومورتو** معلما إياه بما ارتكبه جنده من اعتداء في حق أبناء المسلمين؛ والعقاب المسلط عليهم؛ وأنه كذلك إذا رأى موجبة من عسكره تستدعي ذلك؛ فلا يتأخر في تطبيق الشرع[2]، كما أشار **صاحب الإتحاف** إلى قصة مقتل أحد أبناء **سوف** من **الحمالين** بالعاصمة تونس يوم المولد النبوي من سنة 1239هـ .(سبتمبر 1823م) على عهد **حسين باي بن محمود** (1824-1835)، حيث ادعى عليه أنه حمل امرأة مسلمة على حماره إلى دار نصراني، فأمر بشنقه وقطع رأس النصراني وتغريق المرأة في البحيرة؛ بعد أن طيف بها وبالحمال في أسواق الحاضرة[3].

ولم يقتصر الأمر على حل مشاكل الرعية واستيفاء حقوقها؛ بل تعداه إلى سعي الحكام إلى ضمان مصالحهم وتسهيل قضاء مآرب تخصهم، فقد راسل في هذا الشأن السيد **أحمد المملوك** باي قسنطينة (1820-1822م)؛ باي الإيالة التونسية **حسين باشا** عام 1237هـ/1820م؛ بخصوص تمكينه من الحصول على مستحقاته المادية لضمان قيمة الدنوش من أحد رعاياه المسمى **علي بن عاشور**، والذي أوفده إلى تونس لبيع إبل وأبقار وأغنام (450 جمل، 100 ثور، 1000 كبش)؛ إلا أن الأخير اكتفى بإرسال جزء منها؛ وامتنع عن إكمال ما تبقى،حيث طالب حاكم تونس على إجباره على القدوم مع سيار الباي[4].

ومن الأمور التي لم يهملها الحكام سواء بأنفسهم أو بتوكيل غيرهم بها أمور وقضايا المواريث والوفيات المتعلقة بأبناء الجاليات، ومن المعروف أن الوكيل وجد فقط في تونس وهو الوكيل الجزائري الخاص بشؤون رعايا الجزائر في تونس، لكن

---

[1]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 50.**

[2]- الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج2، المصدر السابق، ص 503.

[3]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج5، المصدر السابق، ص 84.

[4]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 19.**

في العادة تتكفل بهذا الشأن (بيت مال المسلمين) عن طريق القاضي الشرعي، حيث كان يتم التحفظ على ممتلكات المتوفين إلى حين إبراز أحد الأشخاص قرابته للمتوفي، وهذا الأمر نسق معروف في جميع البلدان الإسلامية آنذاك، ولا غرو أن الإيالتين تابعتان لنفس النظام بحكم أنهما تحت مظلة الدولة العلية. ويبدو أن قضايا التركات والمواريث المرتبطة بالوفيات تعود إلى بدايات انتصاب الحكم العثماني، فقد وردت في أجوبة المفتي **ابن عظوم** مسألة – بتاريخ ثالث صفر الخير من عام 1007/ سبتمبر 1598م- تتعلق برجل من أصل جزائري استوطن بنزرت وتوفي بها؛ تاركا دراهم عند صاحب الدار أي حاكم المدينة، وبعد مدة يسيرة قدم وكيل ورثة المتوفى المذكور من الجزائر، لتحصيل المخلف"الدراهم"، فأعطاه صاحب الدار بعضها وأخبره أن الباقي أعطاه للباشا، وما إن ترامت الأخبار إلى مسامع الأخير بمقدم الوكيل حتى سارع بوضعها عند رجل أمين؛ فتم بذلك استيفاء ما تبقى من المبلغ بعد مدة[1]، وقد أفادتنا في هذا السياق بعض الوثائق التي كانت في مجملها رسائل موجهة من الجهات المسؤولة في الجزائر إلى حكام تونس بخصوص إجراءات متوفين جزائريين في تونس، فقد كان الوكيل الجزائري بتونس يتابع ويشرف على كل القضايا والشؤون المتعلقة بالوفيات خصوصا في مدينة تونس بحكم وجوده في الحاضرة، لذلك انتقل بعض الجزائريين إلى البلاد التونسية لتحصيل مخلفات تركة أقاربهم الذين أدركتهم المنية بتونس ورثتهم، كما هو الحال مع **شاريف الجزائري** الذي قدم عام 1173هـ/ 1759م للمطالبة بمخلف أخيه الذي مات أيام **علي باشا**(1735-1756م)، وقد حظي بإحسان قيمته 50 ريالا[2]؛ ما يعكس لنا بوضوح التفات الجهات بتونس وسعيها لقضاء المآرب، وتسهيل إجراءات حصول الورثة الشرعيين على مخلفات أو تركات الأشخاص المتوفين، كما أن أموال الغائب يتم إحضارها من بلدان مختلفة سواء من الجزائر، وفي حالات يتم إحضار التركة من تونس؛ كما هو الحال مع **حمدان بيراز** المتوفى بتونس—بعيدا عن وطنه الجزائر-الذي تم تحصيل مخلفه عن طريق وكيل الجزائر بتونس، ووضع قسم من تركة الورثة بيد **حمدان بن عثمان خوجة** وبعضها الآخر على **يد حسن قلالجي** ليصل إلى مستحقيه من الورثة الشرعيين بالجزائر[3].

ويبدو أن البعض ترك أملاكا في البلدين، فالسيد **أحمد بن إبراهيم** الغائب بتونس، كانت له شراكة في ملكية دار مع زوجة **الحاج محمد النجار** شاوش بيت المال...وأمام طول الأوبة عمد الطرف الثاني إلى تحصيل حقه في التركة وكان ذلك عام 1225هـ/1810م[4]، والظاهر أن الغائب آثر الاستقرار بتونس إلى أن أدركته المنية، ولا يستبعد في المقابل أن تكون له مخلفات وأملاك بالبلاد التونسية. سعى حكام البلدين إلى الاهتمام بشؤون الرعية الخاصة بالتركات والمواريث للأشخاص الذين تخطفتهم المنية؛ وهذا ما نلمسه من المراسلات الكثيرة بين حكام البلدين، فقد طالب الداي **حسين باشا الجزائر** في رسالة إلى الباي التونسي **محمود باشا** مؤرخة في شعبان عام 1234هـ/ 1818م؛ **بمخلف نفرين** من رعاياه **توفيا بتونس** أحدهما يقال له **حمدان بن بويران** والآخر يقال له **سي أحمد العاجل** ولهم ورثة بالجزائر، وأن بيت

---

[1]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج2، ص 32-33.

[2]- **أ.و.ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 258.

[3]- صبرينة بولنوار: **مؤسسة بيت المال ودورها الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني**: مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 209، 201، ص 79، 80.

[4]- **سجلات بيت البايلك وبيت المال: العلبة: 01، السجل: 02.**

المال بتونس استولى على مخلفهما، والحال أن بيد كل منهما مال للتجارة وبضائع لأناس من أهل البلاد- الجزائر- على وجه القراض والمضاربة ولكل ورثة وذرية، لذا فالواجب قيام صاحب بيت المال بتسليم متروك الهالكين لوكيل دولة الجزائر بتونس ليبلغه بدوره لمستحقيه من الورثة[1].

كما كان للبايات اهتمام بمتابعة قضايا ومسائل رعاياهم بالإيالة التونسية؛ فقد جاء في رسالة من **محمد باي الميلي** باي قسنطينة (1818-1819م) إلى **حسين باي تونس** مؤرخة في جمادى الثانية 1234هـ/1818م؛ أن شخصا من رعاياه يدعى **بلقاسم المزهود** متوجه إلى **تونس**، وقد أثبت قرابته لأحد المتوفين بتونس ليعصبه لدى حاكم الشرع، وقد أثبت ذلك لدى القاضي بوثيقة شرعية تثبت ذلك، ويطلب منه تيسير أمور هذا الشخص والالتفات إليه للقيام بواجباته تجاه قريبه وتسليم متروكاته له، وهذه مقتطفات منها: " **الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مقام المعظم الأفخم الأسعد الأوحد الأكمل الأجمل الأبجل أخانا السيد حسين باي حفظه الله سر السور والأي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.... وثانيا أن حاملها لحضرتكم المجيدة ابننا وخديمنا سي بلقاسم بن المزهود قد مات له قريب ببلدكم تونس المحمية وقد أثبت المذكور قرابته له ليعصبه لدى حاكم الشرع ببلدنا والرسم المتضمن الثبوت بيده ونظركم في أمره.... عبده محمد باي الإيالة الشرقية رفعه الله في 28 جمادى الثانية 1234هـ**"[2].

ومن تلك الرسائل خطاب موجه من **حسين** داي الجزائر إلى **حسين باي** تونس مؤرخ في أواخر جمادى الأولى سنة 1239هـ/1825م فحواه أن **الرئيس يحيى بن أحمد الجيجلي** الجزائري توفي في تونس، وله **زوجة** و**أخت** موجودتين في **الجزائر**، وهما الوارثان الشرعيان له، وأن حامل الرسالة المدعو **علي الجيجلي بن محمد الأزعر**، هو الموكل من غير منازع لقبض أموال هذا الشخص التي تم حفظها في بيت مال المسلمين في تونس، ويطلب منه تسهيل مهمة هذا الشخص لاستلام مخلفاته، وهذا مقتطف مما جاء فيها " **مكتوب من دولاتلي حسين باشا الجزاير أن نفرا يسمى يحيى بن أحمد الجيجلي توفي بتونس وله زوجة وأخت...يطلب من الفضل تمكين مخلفه بيد نفر موجه من الجزائر يسمى علي الجيجلي بن محمد بن الأزعر... فإنه موكل على ذلك....وعاصبه صاحب بيت المال المسلمين في ذلك ولم يكن له وارث سوى من ذكر هنالك. هذا ثم المراد منكم والموكل به منا عليكم أن متروك الهالك المذكور الذي خلفه في بلادكم ومحفوظا تحت السديد قطركم أعطوه ومكنوه بيد حامل مكتوبنا هذا إليكم المكرم علي الجيجلي ابن محمد الأزعر الوارد به إلى السعيدة حضرتكم...أواخر جمادى الأولى الذي هو من سنة 1239هـ** "[3].

والملاحظ أن عمليات تحصيل تركات الأشخاص المتوفين الجزائريين بتونس ارتبطت أحيانا بعقبات؛ دفعت مستحقيها من الورثة الشرعيين إلى رفع شكاوى إلى **بيت المالجي** (المكلف بتسجيل العقود والمواريث)، فقد رفعت شكوى إلى **بيت المالجي** بالجزائر في أوائل قعدة 1244هـ (من 05 إلى 14 ماي 1828) ضد حاكم **البليدة** الذي أخذ متروك

[1]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 334، الملف 223، الوثيقة رقم: 33.

[2]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 334، الملف 223، الوثيقة رقم: 12.

[3]- أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة 334، الملف 223، الوثيقة رقم: 36.

رجل من البليدة توفي في تونس؛ فأحضر الحاكم أخويه وأخذ متروكه وتصرف فيه وباعه على يده بقيمة تزيد عن 200 ريال صحيحة[1]. ولم يقتصر الأمر على معالجة وتسوية قضايا التركات لضمان حقوق أبناء البلدين؛ بل تعدتها إلى حرص الحكام على تأدية الأمانات لأصحابها، وهو ما توضحه رسالة **محمد باي** قسنطينة للسيد **محمود باشا باي** تونس والمؤرخة في 23 محرم 1232هـ/ 1816م؛ التي يذكر فيها أنه كلف أحد رعاياه المسمى **بلقاسم بن صالح** التاجر القسنطيني بتبليغ أمانة إلى السيد **مصطفى التركي** القاطن بالبلاد التونسية، طالبا منه توجيه خدم معه كمرافقين لتبليغة إلى القيروان مقر سكنى **مصطفى التركي** ...وهذا تيسيرا لقضاء حوائجه وأنه تحت نظره السديد ووصايته [2]. وقد أورد **الباي التونسي حسين باشا** في إحدى رسائله-دون تاريخ- إلى داي الجزائر **حسين باشا** أن إحدى المراكب الجزائرية التي قدمت بمحصول بيت المال أرست بإحدى الموانئ التونسية، حيث مكثت **ببنزرت** ثلاثة أيام تحت الحماية دون أن يتعرض لها أحد حرصا على الحفاظ على أموال المسلمين، وأن خاله المرحوم سيدي **حمودة باشا** كان قد أخذ مركبا بها بضائع كثيرة ومالا لتجار من الجزائر وقت الفتنة بين البلدين، إلا أنه أبقاها بما فيها في **الجمرك أمانة مدة سنتين** ثم رد جميع ما فيها لأربابه من جملتهم المسمى **سعيد شاوش**[3]؛ وفي حالات أخرى قد يأتي الأجل على المستدين، فيتوفاه الله قبل أن يتمكن من تسديد ما عليه من دين، وفي هذه الحالة فإن من ينوب عنه يقوم بالتسديد، فلقد اقترض شخص يدعى **سعيد بن بوزيد** من السيد **حمدان بن الحاج بوزيد بتونس** مبلغا ماليا قدره " **إثني عشر ريالا ونصف الريال**" من العملة التونسية غير أن **سعيد** توفي قبل أن يقضي ما عليه من دين، فقام أخوه **قاسم بن مسعود** بتوكيل المدعو **القايد سالم بن المرحوم سعيد بن الشيخ بوعزيز** ليسدد قيمة الدين لصاحبه، ويظهر أن عملية التوكيل تمت لعدم تمكن أخ المتوفى من السفر بنفسه من الجزائر إلى تونس[4]، وفي رسالة أخرى -تعود إلى بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر- من **الحاج أحمد باي** قسنطينة إلى **أحمد باشا باي** تونس (دون تاريخ) يطلب فيها ضرورة إعادة أموال أحد أعوانه ورعاياه الذي أدركته المنية بتونس[5].

06-التضامن والتعاون الاجتماعي ضد الأوربيين "في المجال البحري":

أهمل الكتاب الغربيون جانبا هاما جدير بالعناية؛ ألا وهو العلائق بين الإيالات المغاربية أي بين الجزائر وتونس على وجه الخصوص، ورغم تشعبها وما اعتراها من تغييرات وتبديلات على مر السنين؛ فهي علائق مودة وتضامن ضد الأوروبيين[6]، والواقع أن وضع هاتين الولايتين يمتاز بخصوصية وتفرد بالمقارنة مع بقية الولايات العثمانية، ويقول **فردريك لاين** في هذا السياق: " **إن تونس والجزائر لا تعترفان بالعهود والمواثيق التي عقدها السلطان مع الدول الغربية**

---

[1]- المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 270، 279.

[2]- أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:09**.

[3]- أ. و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم:02**.

[4]- محمد بوشنافي: **القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007-2008م، ص 332.

[5]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، المرجع السابق، ص 254.

[6]- سلفاتور بيونو:"**تاريخ المغرب الكبير قبل الاستعمارمن القرن 15م إلى القرن 19م** "، محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، مج 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م، **ص 53**.

ويعتبر أن كل دولة لم تتعاقد معهما رأسا دولة عدوة يجوز السطو على سفنها والغارة على بلادها"[1]، **ومن مظاهر هذا التضامن الاجتماعي** خروج سفن الإيالتين مع بعضها البعض للقيام بأعمال الجهاد البحري، وكثيرا ماتجمعت التونسية ومثيلاتها الجزائرية في حملة مشتركة؛ فقد خرجت ست غليوطات من الجزائر وسبع من تونس وتوجهت نحو الساحل الدلماشي(كرواتيا حاليا)، وهجم ركابها وعددهم يتجاوز الألفين؛ على قرية **براسطو** صبيحة يوم 22 جوان 1624 وأسروا 450 نفرا من رجال ونساء وأطفال، ورفعوا معهم من الغنائم والمتاع ما قدر بأكثر من مائة ألف دوقة، وتعرضوا في طريق عودتهم إلى خمس سفن راسية بميناء **رودس** فنهبوها، وتحولوا من هناك إلى البحر الأيوني حيث هجموا على بعض جزره ومنها إلى جزيرة "**تياكي**" بعد أن انضمت خمس سفن تركية إليهم، وتواصلت هذه الحملة إلى أواخر شهر جويلية[2]، وتحدث القنصل الفرنسي بالجزائر في رسالة إلى حكومته مؤرخة في 29 ماي 1720م عن؛ رسو سفينة تونسية بميناء بجاية مضطرة فرارا من الملاحقة الشديدة للسفن المالطية لها، فبعد أن دافعت عنها حامية بجاية؛ أقدم الداي على تمويلها بكل ما يلزمها من الحبال والبارود وكرات المدافع وبعض الصواري...[3].

ومن مظاهر التقارب أيضا مشاركة الأسطولين الجزائري والتونسي في حروب الدولة العثمانية منذ معركة ليبانت عام 1571م، وقد لبى بكلر بك الجزائر **الحاج حسين** النداء على إثر صدور الأمر السلطاني الذي وجه إليه بقيادة الأسطول وأيضا بالتحاق سفن أوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس ومجاهديها بالأسطول العثماني والمحاربة معا من أجل الدين، وذلك في الحملة المزمع إعدادها؛ كما هو مبين في وثيقة تعود بتاريخها إلى 22 ديسمبر 1689م[4]، وبعث السلطان **مصطفى** ابن السلطان أحمد العثماني بطلب إلى المراكب الجهادية الإسلامية من الجزائر إلى استانبول، وطلب كذلك مراكب تونس، وذلك سنة 1183هـ/ 1769م؛ فامتثل **الباشا** لأمر السلطان وأمر بإصلاح خمسة مراكب، وأعطاها ما تحتاجه؛ وكانت تحت قيادة القبطان **ابن يونس**، فأقاموا هنالك خمسة أعوام ثم رجعوا إلى للجزائر، وكان رجوعهم بفضل قبطان باشا في ذلك الوقت وهو **حسن باشا** الجزائري[5]، وعندما كان الصراع على أشده بين تونس والجزائر؛ كانت الدولة العثمانية في حالة حرب مع روسيا، وقد دأب السلطان العثماني على إرسال الفرمانات الهمايونية إلى تونس والجزائر، يأمرهم بضبط النفس وإنهاء النزاعات والخلافات القائمة بينهما، كونهما مخالفة للشرع الشريف ومغايرة لرضى الدولة العثمانية، وكانت الفرمانات تؤكد على ضرورة حل النزاع وإنزال سفنهما إلى البحر للعمل سوية متحدين من أجل أسر وإغراق سفن العدو[6]، وامتثلت إيالتي الجزائر وتونس لأوامر الباب العالي، وشاركت في حربها مع الإمبراطورية الروسية سنتي 1771 و 1788[7]، كما اتحدت سفن الجزائر وتونس وطرابلس الغرب مع قطع الأسطول الهمايوني في

---

[1]- خليل الساحلي:"**الصراع بين قراصنة تونس والجزائر والبندقية في القرن السابع عشر**"، المجلة التاريخية المغربية"، العدد 04، زغوان، تونس، 1975، ص 106.

[2]- توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس 1591–1675**، المرجع السابق، ص 85.

[3]- De Grammont.D **: Correspondances Des Consuls De France à Alger...**Op.cit, P 162.

[4]- مصطفى بوداق وآخرون: **المرجع السابق**، ص 26.

[5]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 45.

[6]- عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 592.

[7] - Canard M: « **Une Description de la cote Barbaresque au 18e siècle par un officier de la marine Russe »**, In R.A, Vol 95, Alger, 1951, P127.

سنة 1196هـ/1782م بقيادة القبطان **مصطفى باشا**، والذي أمرهم بعدم الانفصال لأنهم سيتحركون بالوقت المناسب، وما إن صدرت أوامر الديوان الهمايوني المستعجلة إلى قباطنة الأوجاقات في شوال 1196هـ حتى أخذت بالتحرك السريع والاتجاه المباشر إلى سواحل جزيرة المورة من أجل احتلالها وقصف قلاعها دون إهمال أو تأخير، والاتصال مع قبطان **دريا مصطفى باشا** لإعلامه بالزمن المناسب للتحرك[1].

لقد تواصل تقصي حكام الإيالتين أخبار السلطنة العثمانية والوقوف على أحوالها والدعوة لسلطانها بالنصرة على أعدائه، ففي رسالة من داي الجزائر **حسين باشا إلى** الباي التونسي **محمود باشا** في أواخر رمضان 1238هـ/1822م جوابا عن مكتوبه يعلمه بأنه بلغه ما أخبره به عن أحوال استانبول وأحوال جزيرة المورة (اليونان) على التفصيل ويدعو لجناب السلطان والمسلمين بالنصر والتأييد، وهذا مقتطف مما جاء فيها:" **المقام الذي له المكارم الراضية والمنازل العالية ... أخونا ومحبنا وصديقنا السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس...وثانيا ما عرفتومونا فيه أسعدكم الرحمان، وأدام لكم الفضل والجود والإحسان، من أن ولدكم باش داي قد قدم إلى حضرتكم السعيدة المباركة الحميدة من بلاد أزمير بمركب عسكر وقد سيره عشرة أيام، فأخبركم عن أحوال الإسلام بول ... وإنكم أيدكم الله قد أعلمتونا بما طرق مسامعكم من تلك الأحوال والأمور...ومن أخبار المورة وأحوالها بتفصيلها وإجمالها، كل ذالك يا نعم المحب فهمناه، وتفهمناه وعلمناه... بارك الله لنا فيكم ووقى الله الجميع من كل ضر وبؤس... هذا والمطلوب من الله تعالى الكريم رب العرش العظيم أن ينصر مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم**، ويعز **شانه، ويشيد بنيانه، ويبلغه مقصوده ومراده، في كل من طغى وكفر، وخرج عن الطاعة وعتى في الأرض الفساد واستكبر، وأن ينصر جيوش المسلمين، وعساكر الموحدين على القوم الكافرين في كل وقت وحين بجاه سيد الأولين والآخرين...وكتب عن إذن المعظم الأرفع الهمام الأنفع، مولانا الدولاتلي حسين باشا بمحروسة بلاد الجزاير ...بتاريخ أواخر شهر رمضان ...سنة 1238هـ**" [2]، كما شاركت القوات البحرية الإسلامية الجزائرية والتونسية إلى جانب أسطول الدولة العلية في حربها ضد القوى المسيحية الغربية في **معركة نفارين**[3] 20 اكتوبر 1827م؛ التي تحطمت فيها أغلب قطع البحرية الإسلامية[4].

لم يقتصر الأمر على هذا الجانب فحسب، بل تعداه إلى تبادل التهاني والبشارات في أعقاب الانتصارات على الأعداء، كما حدث مع تحرير وهران من أيدي عام 1708م على يد الباشا **محمد بكداش**(1707-1710)، **حيث**

---

[1]- عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 450.

[2]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 29**.

[3]- استبعد الأستاذ **خليفة حماش** في دراسة قيمة مشاركة الأسطول الجزائري إلى جانب الدولة العلية في حربها في معركة **نفارين** وتحطم معظم قطعه؛ وأن الظروف التي كانت تمر بها البلاد لم تسمح بذلك، بناء على مادة وثائقية تعود إلى الفترة، من بينها رسالة من الداي **حسين** مؤرخة في ديسمبر 1827؛ يعتذر فيها فيها للباب العالي عن عدم استطاعته ارسال السفن، ذلك أن ميناء العاصمة كان محاصرا من القوات الفرنسية، وأن شدة الحصار المضروب؛ حالت دون عودة سفينتين جزائريتين كانتا مرابطتين بميناء الإسكندرية منذ ربيع 1827؛ بسبب مطاردة السفن الفرنسية لهما في عرض البحر. للمزيد انظر خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821-1827م قراءة جديدة في رواية مشاركة الأسطول الجزائري وتحطمه في معركة نفارين 20 أكتوبر 1827**، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2021م.

[4]- Moulay Belhamissi **: Histoire de la marine algérienne (1516-1830)**, Op.cit, P 142.

كتب إلى حاكم تونس يعلمه بالنصر المبين؛ أين قابل المسلمون هذا الخبر بالأفراح العظيمة[1]، وعلى عهد الداي **أحمد** الذي أخذ على عاتقه مهمة استرجاع وهران من أيدي الإسبان؛ والذي خاض حروبا حتى استعادها، وقد أبلى في حربها البلاء الحسن بعض خواص أولاد الباي **حسين بن علي**: **الحسين أبو الحسن علي الجزيري**، و**أبو عبد الله بوطغان** وغيرهما[2]، كما أننا نجد صدى جهاد الداي **محمد بن عثمان**(1766-1791) لوهران بسوسة والمنستير وصفاقس وعند أهل جربة وأهل تونس أيضا، وهو الحصار الذي انتهى بفتح وهران عام 1792 على عهد **الداي حسن** (1791-1798)[3]. كما سارع حاكم تونس **أبي الثناء محمود باشا** (1814-1824م) إلى إرسال قوارب وسفن ولوازم عمارات لتجديد قطع الأسطول الجزائري عقب الحملة الانجليزية على الجزائر التي قادها اللورد **اكسماوث** عام 1816م[4]. وتواصلت العلاقات الأخوية بين حكام الإيالتين؛ ففي أعقاب الحملة الإنجليزية على الجزائر عام 1824م وجه **حسين باشا** دولاتلي الجزائر مكتوبا إلى باي تونس **حسين باشا** بتاريخ ذي الحجة 1239هـ/ جوان-جويلية 1824م؛ يعلمه فيه بانبرام الصلح بين دولة الجزائر والإنجليز[5]، ومما تجدر الإشارة إليه أن إسبانيا طلبت وساطة الجزائر مع تونس، وهو ما تضمنته الرسائل التي تم تبادلها بين الساسة الاسبان والجزائريين خلال عامي 1786، ومطلع عام 1787م؛ لمكانتها في المنطقة ووزنها الثقيل لدى الأمم الأوربية والإفريقية[6]، وهو ما يجزم بما لايدع مجالا للشك عن عمق الصلات الاجتماعية القائمة بين شعبي البلدين.

رابعا-الاشتراك والتشابه في العادات والتقاليد:

استطاع المجتمعان الجزائري والتونسي تلافي الخلافات التي عكستها المواجهات العسكرية، وذلك عن طريق إحياء المناسبات والاحتفال بالأعياد خاصة منها الدينية والمحلية، فقد اتسم المجتمع التونسي-الجزائري بخصائص ميزته عن باقي الشعوب العربية الأخرى، من ذلك نعمة الدين الإسلامي الذي زاد في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية؛ دون إغفال الارتباط بالباب العالي، فإذا كانت السياسة قد فرقت بينهما أحيانا؛ فإن العادات والتقاليد المتشابهة كانت لحمة ورباطا جامعا بينهما. تشابهت الاحتفالات بدرجة كبيرة بين الايالتين، فقد انتهج الجزائريون والتونسيون بعض المظاهر التي أصبحت على مر الأجيال عرفا وتقليدا يداول عليه السكان؛ بحكم الموقع حتما بل من المؤكد وجود احتكاكات على مر العقود ومضي السنون[7]، ومن هذه الأعياد يوم **عاشوراء** الذي يصادف يوم العاشر من المحرم؛ ذكرى وفاة الحسين بن علي بن أبي طالب عام 61هـ، وفي هذا الشهر تتجلى حماسة المسلمين بشكل خاص[8]، ومن مظاهر التباهي في

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 259.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 146.

[3]- أبو راس محمد الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح محمد غالم، ج2، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2008، ص 106.

[4]- عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي الجزائري: **الرحلة إلى الجزائر العاصمة**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 228.

[5]- أ.و.ت: **السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، الوثيقة رقم: 117**.

[6]- يحي بوعزيز: **"اسبانيا توسط الجزائر لابرام صلح مع تونس"**، مجلة الدراسات التاريخية، مج 3، العدد 01، جامعة الجزائر، 1988، ص 60.

[7]- حصام صورية، **العلاقات بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، جوان 2013، ص 171.

[8]- Henry Dunant **: la régence de Tunis**, société Tunisienne de diffusion, Tunis, 1975**,** P 146.

الاحتفال بهذا اليوم الأغر؛ ما أورده صاحب **المؤنس** من أن رجلين تفاخرا بالحاضرة التونسية، أحدهما من الجزائر والآخر من تونس، فقال التونسي للجزائري: وددت أن هذه الحوانيت يعني بها الفواكه في يوم عاشوراء ترفع ليلا وتحط في الجزائر؛ فإذا أصبح أهل الجزائر ورأوها على هذه الحالة ثم أعيدت ليلا إلى مكانها أظن أن نساؤكم يطلقنكم ويأتين إلى بلدنا، لذلك اعتبره من الأيام المشهورة عند أهل تونس؛ والذي تباع فيه آلات الطرب والملاهي[1].

يعتبر المولد النبوي الشريف أكبر الأعياد الدينية التي تحتفل بها الإيالتين، (ذكرى مولد أشرف البرية محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم)، وأول من اعتنى به في البلاد العربية وأظهر فيه شعائر الولاية المحمدية **أبو عنان المريني**، ثم اقتدى به بنو حفص في الديار التونسية؛ وأولهم السلطان **أبو فارس عبد العزيز** وكان في أول المائة الثامنة، حيث تنشد فيه الأبيات الشعرية التي تتضمن مدائح خير البرية، وتوقد القناديل وتسرج الشموع؛ وتصنع الأطعمة الفاخرة[2]، وعلى قياس الاعتناء بالمولد النبوي جرى عمل الأمراء المراديين، ولا سيما واسطة عقدهم **محمد**، ويدعى **حمودة باشا** صاحب الجامع المجاور للزاوية العروسية، ومثله حفيده **محمد باشا المرادي** صاحب الجامع المواجه للزاوية المحرزية[3]، وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الأشراف يحضرها الأجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع فيه السماع والأناشيد بالمدائح الدينية، ولنقيب الأشراف عادة يأخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج إليه؛ وهذه العادة جارية من زمن بني حفص وداومت هذه الدولة عليها، وفي بعض الزوايا المشهورة **كالقشاشية** و**البكرية** تدوم الزينة بهما خمسة عشر يوما لا تخليان من المدائح، ويجتمع رجال الحكم والعلماء من جهتهم في بيت نقيب الأشراف؛ وتقدم له الهدايا وتعود هذه العادة إلى العهد الحفصي، حيث تكتظ الزوايا وتعمر المساجد بالمسلمين؛ ويكثر من الذكر وتلاوة القرآن الكريم؛ والتغني بولادة الرسول (صلى الله عيه وسلم)، وكان الاحتفال يدوم خمسة عشر يوما[4].

وعلى قدم أمراء الدولة المرادية نسج أمراء الدولة الحسينية، وكانوا يكثرون الصدقات في شهر المولد، ناهيك أن المولى **حسين بن علي** كانت صدقاته تتجاوز حدود بلاده، حيث تصيب القريب والبعيد حتى أسارى المسلمين بمالطة وبغيرها من بلاد النصارى، وكان يبعث لهم الزيت لإنارة مساجدهم هنالك، ويزودهم بالأكفان لإدراج موتاهم[5]، ومن الأطعمة التي تستهلك هذا اليوم بالبلاد التونسية طهي عصيدة ترش بالعسل والزبدة الذائبة[6]، هذا وقد جرت عادة أهل الجزائر أنه إذا دخل شهر ربيع الأول انبرى عدد من أدبائها وشعرائها إلى نظم القصائد والموشحات النبوية ويلحنونها عن طريق الموسيقى ويقرؤونها بالأصوات الطربة ويصعدون بها في المحافل العظيمة؛ احتفاء بميلاد سيد المرسلين، وفي هذا السياق يتحدث **ابن عمار** في رحلته الحجازية عام 1166هـ/1752م عن احتفال أهالي الجزائر بهذا اليوم العظيم، إذ يقول: " **...من احتفال أهل بلدنا بموسم مولده صلى الله عليه وسلم واتخاذه عيدا من أعياد الإسلام، تشريفا وتعظيما لليوم...ولم يزل ملوك الوقت من آل عثمان يعتنون بذلك الاعتناء التام ويبذلون فيه البذل التام وعينوا في أكثر**

---

[1]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 333.

[2]- ابن أبي دينار: **المصدر نفسه**، ص 334.

[3]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 237.

[4] - ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 334.

[5]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 237-238.

[6]- Henry Dunant **: la régence de Tunis, Op.cit**, P 147.

البلاد مصاريف لذلك كما هو معلوم مشاهد..."[1]. وتحدث **ابن حمادوش** عن طريقة الاحتفال **بالمولد النبوي**؛ عند زيارته للشيخ **أحمد بن المبارك السلجماسي** بفاس، حيث أشار إلى عادة الاحتفال بالمولد النبوي في **فاس** و**الجزائر**؛ بقوله: " **لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرف كلها في الوفد، ذاهبين بأربع قباب من شمع كل واحدة من لون أحدهما خضراء وأخرى بيضاء وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها أخف مما يجعل في الجزائر**"[2]، ويعتبر **فندلين شلوصر** المولد النبوي الشريف عيد كبير بالنسبة للأطفال، حيث المدارس كلها مزينة بالأعلام والأزهار، والتلاميذ وقوف أمامها؛ وبأيديهم مسدسات يسددونها نحو كل مار، فيدفع لهم النقود هدية، ويعترض الأطفال طريق المارة ويرشون وجوههم بالماء المعطر، وينتظرون منهم أيضا أن يقدموا لهم هدية[3].

أيضا كانت تخص ليلتي النصف والسابع والعشرون من شهر رجب حقها من الفرحة والابتهاج، وكذا ليلة النصف من شعبان، حيث ذكر **ابن أبي دينار** أن كل منطقة شمال إفريقيا تشارك في الاحتفال بهذه الأيام؛ إلا أن تعظيم الحاضرة التونسية أعظم، أما عن الشهر المعظم؛ شهر رمضان يحتفلون فيه غاية الاحتفال، ويقومون بواجبه وواجب حقه أتم قيام، ويختمون في غالب المساجد القرآن العظيم في صلاة التراويح إلا فيما قل من المساجد، وتزين فيه أبواب المساجد وتضاء الشوارع لمدة ثلاثين يوما، حيث يختم القرآن في مساجد الإيالتين، أما عن صلاة التراويح فكانت من أعظم وأجمل مراسيم الشهر الفضيل[4]، وقد التزم الجزائريون كأشقائهم التونسيين بهذا الجانب الديني الآخر المتمثل في ختم صحيح البخاري في المساجد ، وإضاءة الشموع فيها، ويتم ختمه في ليله القدر؛ إذ يذكر **ابن حمادوش** أنه يتم السرد من طرف المملي وبعد ختم صحيح البخاري في 26 رمضان يقومون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي كالآتي : " **اللهم صلي أفضل الصلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون** " [5]، وهو ما نجده بالإيالة التونسية التي اعتنى سكانها بختم المسند الصحيح للإمام البخاري وبقية الأسانيد الستة، إلا أن البخاري عندهم أشهر وروايته أظهر، وأهل تونس لهم ولع بالرواية ولكن المشاهير من علمائهم وغيرهم مولع بالختم لا غير[6]، أما عن عادة الاحتفال بليلة القدر التي تصادف ليلة السابع والعشرون من رمضان؛ حيث يرش الخدم الناس بماء الورد طيب الرائحة، أما الأغنياء يقومون بالتصدق على الفقراء والمساكين، وترفع الأصوات بالتسابيح والصلاة على النبي المختار؛ وتشعل القناديل والقوارير في المساجد، ويحيي الناس الليل كله إلى الفجر، ومن عادة أهل مدينة الجزائر الذهاب خارج باب الواد؛ لزيارة ضريح **سيدي عبد الرحمان الثعالبي**؛ يتبركون به، ويحضرون ختم البخاري أيضا؛ ثم يتهيأون بعد ذلك للعيد[7].

---

[1]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، تح وتع عبد الله حمادي، ط1، منشورات نوميديا، قسنطينة، الجزائر، 2023، ص 188-189.

[2]- عبد الرزاق ابن حمادوش: **المصدر السابق**، ص84.

[3]- فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 86.

[4] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص340-341.

[5]- عبد الرزاق ابن حمادوش: **المصدر السابق**، ص 122-125.

[6]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 341.

[7]- عبد الرزاق ابن حمادوش: **المصدر السابق**، ص 125-126.

علاوة على ذلك فإن– المسلمين عموما وساكنة الإيالتين خصوصا– لديهم عيدين (**الفطر والأضحى**) يحتفلون بهما، فبعد احتفالات رمضان يحتفل المسلمون **بعيد الفطر** الذي يصادف اليوم الأول من شوال؛ والذي يسميه **حمدان خوجة** عيد **البيرم**[1]، حيث كانت الأعياد الجزائرية تدعى **بيرامات Bayrams** المأخوذة من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية[2]، وعيد الفطر الذي يتوج شهر رمضان عند المسلمين؛ مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية ويطلق المسلمون فيه العنان للفرح والسرور، وفي هذه الأعياد توجه دعوة إلى القناصل ليشتركوا في الاحتفالات، ولكن ليس بوصفهم ممثلين لدولة أجنبية، وإنما يدعون لكي يقدموا تحياتهم إلى الداي ويلهجوا بالمدح والثناء على قوته وعظمته[3]، والعيد الصغير هو عيد البهجة والمغفرة؛ يستسلم المسلم فيه إلى مسراته في أوقات النهار، فيستيقظ الناس في الصباح على أنغام الموسيقى التي يعزفها السود، وهم يرتدون أجمل ما عندهم من الثياب، وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية، وموسيقاهم ذات إيقاع همجي، وتصاحبها حركات الفنانين السود وتمثيلهم الصامت واهتزازات أجسادهم، طالبين من الأجنبي ثمنا لهذه التسلية التي قدموها له، وهؤلاء هم الذين يوقظون الداي من نومه صبيحة العيد، ويعزفون موسيقاهم في قصر القصبة، ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الذين يرتدون في هذه الأيام الثياب المطرزة بالذهب والفضة، والسراويل المصنوعة من الصوف والقطن، ويعانق الرجال في الشوارع معارفهم، ويرش الأطفال الأوربيين بماء الورد تحية لهم، أما أبناء الأغنياء يجلسون في عربات يقودها الزنوج أو البسكريون[4].

ويصف لنا **فندلين شلوصر** الاحتفالات في بايلك الشرق يوم عيد الفطر حيث تعم الفرحة؛ وينظم الباي ليلة العيد حفلة عشاء، تعزف خلالها الموسيقى، ويجلس الباي خارج المدينة فوق مخدة في رحبة، ويبدأ سباق الخيل الذي تصحبه أنغام الموسيقى، ويمر كل قائد مع فرقته أمام الباي، ويطلقون النار كلهم، أما الأطفال تقام لهم أراجيح وخيام، يتناولون فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا، ويصدر الباي عادة العفو عن الأسرى الذين شفع فيهم، ويدوم ثلاثة أيام[5]، وهو الشيء الذي نجده بالإيالة التونسية حيث تطلق طلقات المدافع في العيد الصغير، وفيه ويلبس المسلمون ثياب العيد، ويتزاورون ويسلمون على بعضهم ويتعانقون، وتعم الفرحة والسرور؛ فهذا اليوم مخصص للبهجة والملذات، وعبارات الحزن والكآبة البادية على الوجه تستبدل بفرح[6]، ويأتي عيد الأضحى بعد عيد الفطر بشهرين وعشرة أيام[7]، ويعرف الاحتفال **بقربان بيرام**[8] أو **قربان بيرامي Kurban Bayrami** أو **كيوك بيرامي Kuyuk Bayrami** (عيد المسلم؛ الكبير)؛ وهو العيد الكبير، ويحتفي فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل **إبراهيم** بكبش بدل ابنه **إسماعيل**[9]، وفيه يذبح

---

[1]– حمدان خوجة: **المرآة، المصدر السابق**، ص 180.

[2]– جيمس ليندر كاثكارت: **المصدر السابق**، ص 31.

[3]– وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816–1824)**، المصدر السابق، ص 67.

[4]–أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات في مؤلفات الرحالة الألمان (1830–1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 69–70.

[5]– فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 86.

[6]- Henry Dunant**: la régence de Tunis, Op.cit,** P 149.

[7]– وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، المصدر السابق**، ص 67.

[8]– سيمون بفايفر: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تق وتع أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص75.

[9]– وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 120.

رب العائلة خروفا يأكل من لحمه مدة ثلاثة أيام كاملة[1]، ويتم الاحتفال بعيد **البيرم الأكبر** باحترام كبير؛ يستمر 40 يوما يتم خلالها التضحية بعدد كبير من الأغنام إلى الله [2]؛ فحينما يقر مفتي الجزائر (القاضي) من خلال المقارنة التي يجريها بين الخط الأبيض والأسود أن اليوم قد أشرق فجره تطلق نيران البنادق بكثرة، ويعمد الداي الحاكم إلى تاجه من جلد الأسد ليستقبل تهاني وهدايا أعضاء حكومته؛ وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في العاصمة، ثم يقود ذهابا الوجهاء وسكان المدينة وأعضاء الأوجاق إلى جامع الحواتين، حيث يقع ذبح الأضحيات وأثناء ذلك تكون طلقات البنادق على أشدها والفرقة العسكرية للموسيقى تعزف الموسيقى الحربية، وعند انتهاء الصلاة الرسمية تفتح أبواب قصر الداي على مصراعيها للعامة فيقدم الكسكسي المطبوخ بعناية لكل من حضر[3]، ويحتفل بعيد الأضحى في قصر الداي بالمآدب والموسيقى ومباريات المصارعة والصواريخ والمفرقعات الرديئة الصنع والتي تشعل عند الباب الخارجي للقصر، ويرفع العلم التركي صبيحة الأول مع إطلاق نيران المدافع، واليوم الثاني هو يوم عطلة للعبيد، واليوم الثالث يحتفل به مثل اليوم الأول[4]، وأثناء هذين العيدين (عيدي الفطر والأضحى) يسمح للأسرى بمغادرة مدينة الجزائر إن شاءوا، وعلى وجه الخصوص أسرى الداي والمسؤولين الكبار الذين كانوا يحصلون على الهدايا، وأما الأسرى المقيمون في الحمامات **Les Bagnes** فلم يكن لهم الحق في مغادرة المدينة، وفيه يحظى العبيد بالمعاملة الحسنة ويكونون سعداء ويلقي عليهم الناس التحية في شوارع المدينة، ويحسنون سلوكهم معهم، وجرت العادة في مدينة الجزائر أنهم كانوا يرفعون علما مصنوعا من الحرير الأحمر أو الأخضر على قصر الداي خلال موسم الأعياد؛ وكذلك أيام الجمعة[5].

من أوجه التربط الاجتماعي **التشابه في اللهجات**، فمن العبارات المتداولة بين سكان الإيالتين، نجد عبارة "**أدام الله في عمرك**" أو "**زاد الله في عمرك**" وأيضا عبارة "**أتمنى أن تكون على الطريق الصحيح**"[6]، ومن العبارات التي يرددها أبناء الإيالتين والمرتبطة كثيرا بعباداتهم؛ العبارة المقدسة " **لا إله إلا الله**"، وعند يتعرضون للكربات؛ يقولون: " **الله كريم**"، " **الله أكبر**"[7]، وحتى في **الجنائز** كثيرا ما نجد بعض الصلحاء يمشون مع الميت وهم يرددون العبارة الشهيرة: "**الله الله وحده**"[8]وغيرها من العبارات المكتسبة من ديننا الحنيف، لكن التشابه الكبير في طريقة النطق، تدفع إلى الحسم في وجود احتكاك كبير بين المجتمعين، لأنه لولا التشابه في النطق واللهجات لما وجدت صلات ثقافية ومبادلات تجارية، حيث كان التجار يمكثون عدة أشهر في الأسواق من أجل عرض السلع، وبالتالي كانت ولا زالت اللغة الرابط الأساسي بين شعبي الإيالتين، كما يتضح التشابه في اللباس وطريقة العمران[9]، ومن تمظهرات هذا الحراك الايجابي التشابه في **الملبس والأطعمة** نتيجة الاحتكاك بين سكان الإيالتين، أما بالنسبة للأطعمة نجد على سبيل المثال لا الحصر؛ وجبة

---

[1]- فندلين شلوصر: **المصدر السابق**، ص 86.

[2]- Henry Dunant**: la régence de Tunis, Op.cit,** P 150.

[3]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 120-121.

[4]- جيمس ليندر كاثكارت: **المصدر السابق**، ص 31-32.

[5]- نيلز نيلسون موسى: **المصدر السابق**، ص 114-115.

[6]-Shaw (Thomas)**: Voyage Dans La Régence**, **Op.cit**, P 105.

[7]- Henry Dunant**: la régence de Tunis, Op.cit,** P 181, 183.

[8]- Venture De Paradis : **Op.cit,** P 207.

[9] - حصام صورية، **المرجع السابق**، ص 173

الكسكسي؛ وإن كان هذا اللون الغذائي يشاركهما فيه المغرب الأقصى، ويعتبر من أشهر المأكولات في المغرب العربي ككل، وهو أغلب قوتهم؛ وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره[1]، ويصنع الكسكسي كما يذكر **بايسونال** من السميد أو الدقيق، وهو الجزء الأكثر دسامة من القمح، ويقع طهيه في صحن مثقوب في حمام من البخار وبخار القدر أيضا؛ ثم يخلطونة بالسمن والزبدة ويتممون طهيه باستعمال البخار، ويزينون الصحن بقطع من اللحم الطازج؛ ويأكلونها بكل نظافة بأصابعم، ويصنعون منها كويرات في أيديهم ويبتلعون هذه الكويرات، ويحركون أيديهم وما تبقى في الصحن، وعندما يقدمون الكسكسي يجلسون القرفصاء حول القصعة؛ ويأكلون ما يقدرون عليه بسرعة فائقة، ثم ينسحبون دون انتظار الآخرين[2].

كما نجد التشابه في الملبس؛ سواء من حيث التسميات أو مواد صنع هاته الألبسة، فالنسبة للملابس الرجالية نجد: **الشاشية** سواء للأنف أو قبعة حمراء و**العراقية** وهي قبعة صغيرة بيضاء من قماش قطني غالبا ما توضع تحت الشاشية[3]، وفي هذا السياق يذكر **هايدو** أن كل الجزائريين كانوا يضعون على رؤوسهم قبعة تسمى **العراقية[4]**، والحزام والسروال والريحية والقفطان والعباءة والجمالة أو العمامة[5] والتي غالبا ما تكون بيضاء، و**البرانس** بنوعيها؛ السوداء التي يلبسها في الغالب البلكباشية في المناسبات[6] و**البرانس البيضاء** ، وما يعرف أيضا **بالتفارة** أو ما يعرف **بالبرنوس الصغير** من الصوف الناعم[7]، وكانت البرانس بمثابة معاطف للجزائريين تنسج في الدواوير، وتصنع أيضا في غالبية المدن والقرى، بالإضافة إلى **الجلابة** كسترة بأذرع ومن دون أذرع[8]؛ ذلك أن اللباس التقليدي لرجل شمال إفريقيا هو ثوب فصفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام وقلنسوة أحيانا يدعى **جلابة** بالمغرب الأقصى، ويدعى **جبة** في تونس و**برنوس** في الجزائر، ويضاف إليه ألبسة تحتية مهذبة[9]. أما عن ملابس االنساء فنذكر **الجبة** و**القندورة** والسروال المذهب من الركبة إلى أخمص القدمين، و**الكوفية** وهي نوع من القبعة المطرزة بالذهب أو الفضة التي تشكل ذيلا خلف الرأس يصل إلى الخسر[10]؛ يقابلها في الجزائر ما يعرف **بالصرمة** المطرزة بالذهب أو الفضة التي توضع فوق الرأس؛ دون إغفال **الحايك** الذي يغطي جسم المرأة أو الفتاة[11]؛ وهو المعروف في تونس **بالسفساري** أو **حايك النساء[12]**، وهو نوع من الأقمشة الصوفية والحريرية التي تستخدمها النساء[13]، و**القفطان الذهبي** الذي يغطي أسفل القدمين، و**الأساور** (المسايس)[14]. بالإضافة

---

[1]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 93.

[2]- Peyssonnel et Desfontaines**: Voyages dans les régences de Tunis et D'Alger**, T1, **Op.cit,** P 70-71.

[3]- Henry Dunant**: la régence de Tunis, Op.cit,** P 186.

[4]- Haëdo: **Topographie et histoire générale d'Alger**, Op.cit**,** P 145.

[5] -Henry Dunant: la **régence de Tunis, Op.cit,** P 186.

[6]- Venture De Paradis: **Op.cit,** P 65.

[7]- Henry Dunant**: la régence de Tunis, Op.cit,** P 187.

[8]- Shaw (Thomas)**: Voyage Dans La Régence**, **Op.cit**., P 96-97.

[9]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 103.

[10]- Henry Dunant **: la régence de Tunis, Op.cit,** P 188.

[11]- Venture De Paradis : **la régence de Tunis, Op.cit,** P 66.

[12]- Henry Dunant: la **régence de Tunis, Op.cit,** P 188.

[13]-Haëdo: **Topographie et histoire générale d'Alger**, Op.cit**,** P 147.

[14]- Venture De Paradis: **Op.cit,** P 63-64.

إلى ذلك؛ فالنساء لهن كمية من **الحلقات** حول الأذرع؛ والساقين وفي الأذنين والرأس[1]، ولم تشذ المجموعات القبلية بالإيالتين في لباسها عن غيرها من لباس المجموعات الأخرى من أهل البوادي والأرياف، أما عن أدوات الزينة؛ فكانت النسوة يستعملن السواك والكحل، وكذلك الوشم الذي كان بدوره مشتركا بين الجنسين[2].

تبين لنا في نهاية هذا الباب أن الحراك الاجتماعي بين البلدين الشقيقين كان قويا وحثيثا، ومما ساعد علي ديناميته التجاور والقرب الجغرافي والانتماء العربي والإسلامي والتشابه والتداخل في الكثير من العادات والتقاليد، وقد زادت تنقلات الأفراد والجماعات وحراك القبائل في توطيد العلاقات واندماج الفئات الجديدة المهاجرة داخل البيئة المجتمعية في هذا البلد أو ذاك، حيث استطاعت تلك الجاليات الانصهار في ذلك الوسط المجتمعي الذي قدمت إليه وأثرت وتأثرت به، وهو ما عكسته المواقع الاجتماعية وطبيعة الأنشطة الاقتصادية الممارسة، وروابط النسب نتيجة المصاهرات التي قوت اللحمة؛ وكرست روح التضامن والتآخي بين شعبي البلدين.

ورغم أن علاقات الحكام الاجتماعية في البلدين لم تكن في مستوى علاقات أبناء الشعبين؛ نتيجة التوترات السياسية التي طبعت الفترة، وكانت سببا في ضعف علاقاتهم الاجتماعية البينية، فقد استطاع الحكام التواصل مع رعايا البلد الآخر من خلال الهبات والإحسانات الممنوحة والالتفات لقضاء المآرب وتلبية الحاجيات والسعي لتسوية بعض القضايا والمسائل الاجتماعية العالقة، فقد ربطت حكام تونس علاقات اجتماعية متميزة مع القبائل الجزائرية التخومية على غرار قبيلة الحنانشة، بينما كانت علاقات حكام الجزائر مع رعايا تونس بسيطة؛ ويعزى هذا حسب اعتقادنا إلى ضعف الحضور الجالياتي التونسي بالبلاد. ورغم ذلك فإن هذه الملامح تؤكد أن الصلات الاجتماعية بين ساكنة البلدين كانت قوية...ومن هنا تتجلى أهمية الحراك البيني للأفراد والجماعات؛ في قيام علاقات اجتماعية وثقافية بين مختلف فئات مجتمعي البلدين واستمرارها، وفي توطيد أواصر الصداقة والأخوة بينهما، وتحقيق مزيد من الاندماج والتجانس في العادات والتقاليد... ومنه تجسيد نوع من التماهي المجتمعي.

[1]- Peyssonnel et Desfontaines **: Voyages dans les régences de Tunis et D'Alger**, T1, **Op.cit,** P 68.

[2]- ادريس رائسي: **المرجع السابق**، ص 159.

الباب الثاني:

الحراك الفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

" ملامح وتجليات"

الفصل الأول: الأوضاع الثقافية في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

أولا–الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

01–واقع الثقافة على بعض ضوء الكتابات المحلية والمصادر الأجنبية .

02–جهود بعض الحكام وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية.

03–طبيعة النتاج العلمي والأدبي.

04–المؤسسات التعليمية والثقافية بالجزائر العثمانية.

05–المراكز العلمية المستقطبة للتونسيين خلال العهد العثماني.

ثانيا–الأوضاع الثقافية في تونس خلال العهد العثماني.

01–واقع الثقافة على ضوء بعض الكتابات والمصادر المحلية .

02–مميزات الوضع الثقافي في تونس .

03–جهود بعض البايات المراديين والحسينيين وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية .

04–طبيعة النتاج الفكري والعلمي.

05–المؤسسات الثقافية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني

تذهب أغلب الدراسات الغربية إلى أن الإيالتين الجزائرية والتونسية خلال العهد العثماني كانت تفتقر إلى مظاهر التمدن والتحضر والتي يدرك من سياقها التسليم بواقع العقم أو الفراغ الثقافي والحضاري؛ الذي ساد العالم الإسلامي بأسره خلال الفترة الحديثة، وهذا في ظل التمازج بين الموروث الثقافي المحلي والوافد الثقافي الخارجي.... وفي الجهة المقابلة كان فيه الأوربيون يعيشون ثورة حقيقية في ميدان العلوم والمعارف والأبحاث في مختلف المجالات...وهذا ما يجعلنا أمام مجموعة من التساؤلات: ما هي أبرز التيارات التي أثرت في الحياة الثقافية بالإيالتين؟ كيف كانت صورة الواقع الثقافي على ضوء المصادر المحلية والأجنبية؟ ما هي الميادين التي شملتها العلوم والفنون والمعارف؟ ما طبيعة وخصائص الثقافة السائدة خلال الفترة؟ فيم تجلى النتاج الفكري والأدبي للنخب العالمة؟ ما مدى مساهمات المؤسسات الثقافية والدينية في الحياة الثقافية بالإيالتين؟ هل أسهم حكام الإيالتين في ترقية الحياة العلمية؟ أليس من الظلم مطالبة النخب بالتجديد في فترة أصبحت فيها عملية هضم الموروث ثورة في حد ذاتها على حد تعبير الأستاذ عبد الله العروي؟

أولا–الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني:

لقد شهد المجتمع الجزائري أوائل العهد العثماني؛ حالة من الانحلال الفكري وانتشار العادات السيئة التي ألصقت بالدين، حيث كثر أدعياء العلم وانتشر الفكر الخرافي؛ حتى كاد المجتمع يصبح زاوية صوفية؛ فيها الحضرة والرقص العصبي والإيمان بالغيبيات والروحانيات[1]، فقد أصبحت الثقافة رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير؛ حيث كانت معظم القرى والمداشر إبان الحكم التركي، تتخبط في جهل دامس وتتردد في عقائد فوضوية، ودين طغت عليه الخرافات الدالة على جمود الفكر وتخدير الشعور، ما يفسر عدم شهرة مراكزها وقلة رجالها، وندرة نتاج أصحابها، فليس في الجزائر من مراكز الثقافة ما يوازي الزيتونة أو القرويين أو الأزهر أو الجامع الأموي، بل لا تعدو أن تكون هذه المؤسسات مساجد وزوايا؛ وكتاتيب للقرآن ومنازل بعض العلماء، أمّا رجال الثقافة فإنهم أقل من قليل مقارنة بأقرانهم في المغرب الأقصى والمشرق، وأما نتاج علماء الجزائر وأدباءها فقد كان يفقد قيمته العلمية والأدبية، زيادة على ضآلته بالنسبة لنتاج علماء المغرب والمشرق[2]، فلم تكن هناك حركات تجديدية ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوربية، ومع ذلك فإن نبراس الثقافة لم يخب كلية؛ حتى بعد فتورها خلال فترة الانحطاط والانحسار، حيث أثرت فيها تيارات ثقافية قوية وافدة؛ مكنتها من الصمود والاستمرار؛ يمكن حصرها في:

أ–التأثير الأوربي:

جعل الموقع الجغرافي من الجزائر نقطة التقاء لمجموعة من المؤثرات الحضارية، وأمّها منذ القديم وافدون من بلدان المشرق وأوربا حيث قدمت إلى البلاد أثناء فترة الأتراك العثمانيين أجناس أوربية مختلفة من أسبان وبرتغاليين وفرنسيين وبوسنيين وإيطاليين وغيرهم بينهم تجار وبحارة ورحالة ومبعوثون؛ استقر أغلبهم في المدن الكبرى مثل الجزائر وتلمسان، أتى بعضهم في مهام سياسية وأخرى دينية وعلمية وانخرط بعض الوافدين في سلك الجندية وآخرون تولوا مناصب إدارية، وامتهن عدد كبير منهم القرصنة، وحمل هؤلاء الوافدين معهم مدنيتهم، ونقلوا إلى الجزائر عادات وتقاليد مجتمعاتهم في الحياة، ما جعل من حضارة البلد مزيج من مؤثرات عربية إسلامية وأوربية وإفريقية، وتجلى التأثير الأوربي على مستوى اللغات، حيث

[1]– حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 229.

[2]– محمد بن عبد الكريم: **المقري وكتابه نفح الطيب**، (د.ط)، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص40، 41.

انتشر استعمال اللغتين الإسبانية والبرتغالية في المدن الكبرى التي استقر بها المهاجرون مثل الجزائر وتلمسان[1]، ونتج عن هذا التمازج فيها ظهور لغة خاصة في الجزائر تدعى اللغة الإفرنجية وهي خليط من الفرنسية والإسبانية والإيطالية[2]، وبعض اليونانية الدارجة، وتعرف أيضا باللغة الفرنكية، التي تعتبرها أغلب القواميس لغة لاتينية استعملت في العصر الوسيط في أوربا وخصوصا في فرنسا[3]، ويشير **شوفاليه دارفيو Chevalier D'Arvieux** قنصل فرنسا في الجزائر (1673-1674) أن هذه اللغة المركبة المشتركة جاءت نتاج تنوع الأمم المسيحية في مدينة الجزائر؛ وكان يستخدمها بشكل رئيسي الأسياد حتى يتمكنوا من فهم عبيدهم[4]، وفي هذا السياق يقول سبسنسر:" **أدى تواجد المرتزقة والأسرى بأعداد كبيرة وكذلك التجار الأوربيين المقيمين إلى وجود لغة عمل Lingua Franca تدعى فرانكو Franco أو سبير Sabir؛ وهي خليط من العربية والإسبانية والتركية والإيطالية والتعابير البروفنسالية وقد كانت هي واسطة الاتصال في مدينة الجزائر**"[5]، وكانوا يسمونها أيضا اللغة الأفرنجية[6]، لقد كانت لغة ثانية خدمت الجميع كونها مزيج من عدة لهجات أوربية؛ ناهيك عن القليل من اللغة العربية، حيث توجد الفرانكا حتى في أسماء المواقع الجغرافية في مدينة الجزائر على سبيل المثال في اسم باب **بيسكاردي** (تعني باب الصيادين)، وهذا دون إغفال أثر تدفق سكان الشمال مع نهاية القرن 16م من انجليز وفلاماند أو هولنديين، فهم من علم الجزائريين الإبحار في المحيط الأطلسي، وعلموهم كذلك استخدام السفن المستديرة ذات الأسطح المرتفعة بدلا من سفن الغالير المتوسطية[7].

ب-التأثير الأندلسي:

بدأ تدفق الأندلسيين إلى الجزائر قبل سقوط غرناطة، واستمر تدفقهم إلى البلاد، وقد كان لذلك التدفق أثره الواضح في مختلف جوانب الحياة بين الإيالة، وفي العلاقات الاجتماعية والثقافية مع دول الجوار، ويتجلى ذلك في دور أولئك المهاجرين في بعث بعض المدن، وتعمير أخرى وتنشيطها مثل **شرشال، مستغانم، والقليعة والبليدة** وغيرها بالجزائر، بحيث أصبحت تلك المدن مراكز عمرانية، وثقافية هامة، مقصودة من قبل العلماء والطلبة، إما لطلب العلم أو نشره فيها، مما جعلها بؤرا مشعة للتبادل الفكري، وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية [8]. فارتقت بوجودهم في الجزائر العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتب، كما أنشأوا لهم أحباسا خاصة تعرف بأوقاف الأندلسيين يستفيد منها فقراؤهم، وهكذا أصبح الأندلسيون على مر السنين يشكلون

---

[1]- زهراء النظام: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، ط1**، منشورات دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2015، ص 383-384.

[2]- عبد الحميد بن اشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص 94.

[3]- فارس كعوان: **"من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر العثمانية: لغة الفرانكا انموذجا"**، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد 02، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، جوان 2020، ص 216.

[4]- شوفاليه دارفيو: **المصدر السابق**، ص 126.

[5]- وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 102.

[6]- عبد الحميد بن اشنهو: **المرجع السابق**، ص 94.

[7]- جواو كرفالو ماسكاريناس: **المصدر السابق**، ص 215.

[8]- عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2008، ص 103.

عنصرا بارزا مؤثرا بذكائهم وعلمهم وصنائعهم ومهاراتهم في البحر، وقد طبعوا المدن الجزائرية، وخاصة الساحلية بطابعهم العمراني[1]، ونظرا لما كان يتسم به هؤلاء الأندلسيين من حضارة وثقافة واسعة مكتسبة؛ استطاعوا أن يؤثروا ايجابيا في تقاليد وأعراف المنطقة، فلعبوا دورا هاما في انتشار التصوف، كما عكفوا على العناية بالجانب التعليمي والتثقيفي للمجتمع [2]، وقد بنى احد المهاجرين الأندلسيين المسمى **محمد بن الشارف البولداوي**؛ مدرسة مازونة الشهيرة التي تخرج منها عدد من الفقهاء خلال العهد العثماني[3]، وقد واختلفت الفئات القادمة من حيث الثروة والثقافة والجاه، وكان بينها علماء وقضاة وكتاب وشعراء وأدباء وفقهاء وأطباء وأصحاب صنائع ، جلبوا معهم من التراث الأندلسي مختلف أنواع المعرفة، من علوم وآداب وفنون، ما مكنهم من المساهمة في إغناء الخزائن العلمية، وإثراء الحياة الأدبية والعلمية، وحملوا معهم عوائدهم وتجربتهم في الحياة الحضرية؛ فارتقت بوجودهم الحياة الثقافية، وشارك عدد منهم في مجال **التأليف، واحتلوا مكانة الصدارة في ميدان التدريس، ولمع بينهم أساتذة مبرزون في مجالات علمية مختلفة، خاصة في النحو والأدب والعلوم، واشتهر منهم موسيقيون مهرة كان لهم الفضل في نشر الموسيقى الأندلسية، وظهر لبعضهم تميز في المجالين السياسي والإداري، واشتغل آخرون منهم إلى جانب الحكام ككتاب وأصحاب مشورة**[4].

ج–التأثير العثماني:

نقل الأتراك العثمانيون إلى الجزائر تأثيرات حضارية وثقافية واجتماعية عديدة كاللغة التركية العثمانية، والمذهب الحنفي، والتنظيمات الإدارية والعسكرية، والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية[5]، حيث تأثر المجتمع الجزائري بكل المؤثرات العثمانية والتركية الأناضولية وذلك في عديد من الطرق، فقد كانت اللغة الرسمية للإيالة هي التركية العصمانلية، وهي بذاتها خليط من الكلمات العربية والفارسية والتركية والتي تكتب بالخط العربي[6]، وأثر العثمانيون بدورهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر؛ وأول هذا التأثير هو ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي– فقد جاء العثمانيون بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد، ورغم قلة نساؤهم إلا أنهن قد نشرن أشياء لا عهد للمجتمع الجزائري بها، كما أن العثمانيين قد أدخلوا **المذهب الحنفي** إلى الجزائر، حيث استطاع أن يعبر الحدود مع الجنود والعلماء وأن تعتنقه طائفة من العثمانيين الواردين؛ قبل أن يصبح مذهب فئة من الجزائريين الحضريين المنحدرين من عثمانيين وجزائريات[7]، وجاءوا معهم بطرق صوفية لم تكن معروفة أو على الأقل لم تكن منتشرة بين السكان[8]؛ فقد انتشرت مع التواجد العثماني بالبلاد الطرق الصوفية **كالبكداشية والمولوية** بين النخب العربية بالرغم من

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص 148–149.

[2]– الشريف كمال دحومان الهاشمي: **المرجع السابق**، ص 189.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص 183.

[4]– زهراء النظام: **المرجع السابق**، ص 385.

[5]– عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص 105.

[6]– وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 102.

[7]– أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، المرجع السابق، ص 201.

[8]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص 149.

أصلها الأناضولي[1]، ومن جهة أخرى أثروا في العمارة كالمساجد والأضرحة، وفي الموسيقى والخط، والمنشآت العسكرية والبحرية، وفي اللغة والملابس ونحو ذلك، وقد أنشأوا هم أيضا الأحباس التي تخدم جميع الأغراض الاجتماعية والعلمية، وما دام العثمانيون مدينون حضاريا لحضارات أخرى كالعربية والفارسية والبيزنطية، بالإضافة إلى تراثهم الخاص، منه يمكن القول بأن الجزائر العثمانية قد ذاقت من كل هذه الحضارات خلال العهد العثماني[2]، ويتوقف **وليم سبسر** واصفا التأثير العثماني على الجزائر؛ إذ يقول:"..**كما قامت المدينة بدور مماثل كمركز لإدخال العادات وأنماط الألبسة والتقاليد التركية إلى شمال إفريقيا. وقد جلبت غزوات القرصان الغنى الاقتصادي والثقافي بصورة مباشرة لمدينة الجزائر هذا على الرغم من أن قاعدتها التركية من حيث الهيكل لم يطرأ عليها أي تغيير خلال ثلاثة قرون لوجودها...وأدى كل من توارد الموظفين من الأناضول والارتباط بالباب العالي إلى إدخال عناصر كثيرة من محتويات الحضارة العثمانية ...نتج عن معارك القراصنة امتزاج الأسلوب العثماني مع المغربي...والأوربي، سواء فيما يتعلق بالأنماط الاجتماعية أو الهندسة المعمارية أو المهارات اليدوية وما إليها ...**"[3].

د–التأثير اليهودي:

قدم إلى جانب هؤلاء الوافدين من الأندلسيين؛ عدد من المهاجرين اليهود إلى الجزائر ممن لهم معرفة باللغات الإسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية، واشتغلوا مترجمين ووسطاء تجاريين، وأنيطت ببعضهم مهام دبلوماسية، وساهموا إلى جانب العلماء الأندلسيين في ترجمة عدد من المؤلفات في مختلف العلوم، من طب وهندسة وصيدلة وفلك وفنون حربية وغيرها، من الإسبانية إلى اللغة العربية، فكان نشاطهم العلمي مقدمة للحركة العقلية الكبرى التي انتشرت في الجزائر انطلاقا من القرن 16م[4].

لعب اليهود دورا هاما في تنشيط الحياة الثقافية والاجتماعية، وكان منهم من يعمل في الترجمة بالديوان، أو في بيت المال لاختيار العملة[5]، ومن هؤلاء المثقفين والعلماء اليهود نذكر الفلكي والمؤرخ والحاخام **ابراهام زخوت** الذي وضع عصا التسيار بالجزائر العاصمة؛ مع موجة الهجرة اليهودية التي جاءت في أعقاب سقوط غرناطة عام 1492[6]، كما أن الغناء اليهودي الذي نشأ من صلب الاهتمام بالتراث الموسيقي الأندلسي...**طرب المالوف** الذي نجده ينطلق من قسنطينة نحو تونس فالقيروان ثم ليبيا[7]، وإذا كانت اللغة العبرية في الأصل تمثل أقوى الروابط بين يهود شمال إفريقيا كونها لغة التوراة المقدسة فمن الخطأ الفادح الاستنتاج أن هؤلاء اليهود يتكلمون لغة مشتركة، فكما هو الشأن بالنسبة للعربية،

---

[1]– بروس ماسترز: **عرب الإمبراطورية العثمانية تاريخ ثقافي واجتماعي (1516–1918)**، تر: عبد الحكيم ياسين، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018، ص 146.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص 149–150.

[3]– وليم سبنسر: **المرجع السابق**، ص 14–15.

[4]- زهراء النظام: **المرجع السابق**، ص 385.

[5]- محمد بن جبور: **صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م**، مذكرة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، جامعة وهران، 2002–2003، ص 121.

[6]– أحمد البهنسي: **"يهود الجزائر في الفكرين الاستشراقي والسياسي الإسرائيلي"**، مجلة دراسات استشراقية، العدد 14، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2018، ص 21.

[7]– خيرية قاسمية: **يهود البلاد العربية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015، ص .102.

هناك تعايش بين حقب جغرافية ولغوية (الإسبانية والعربية، والبربرية) ومختلف اللهجات بالجزائر والمغرب وتونس[1]، ورغم أن اليهود كانوا يعيشون كأهل ذمة لهم حدودهم الدينية والسياسية؛ فإنهم من الوجهة الاجتماعية كانوا يلعبون دورا هاما في المجتمع الجزائري، ولم يكن تأثيرهم قاصرا على العاصمة وحدها بل امتد إلى المدن الأخرى كقسنطينة على وجه التخصيص[2].

01-واقع الثقافة على ضوء بعض الكتابات المحلية والمصادر الأجنبية:

كانت الحياة الثقافية إذ ذاك؛ تتركز في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وكان المذهب الفقهي السائد هو المذهب المالكي، الذي عزز بالمذهب الحنفي بارتباط الجزائر بالدولة العثمانية[3]، وكانت الحركة العلمية تمت إلى العلم الظاهر والصوفية تمت إلى العلم الباطن، بيد أنّ كلتيهما ضئيلتان جدا في القطر الجزائري، فالدين الظاهر أصبح تقليدا أعمى معتمدا على اللفظ الجاف للنصوص الفقهية، وكان جلّ علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل بل ينحون نحو التسليم بمن سبقهم من رجال التقليد، ويرون الأخذ بالمنقول هو الأصح منهجا، أمّا التصوف فقد تحول إلى حركة دروشة تتبلور في التوسلات بالأضرحة والقبور، والركون إلى البدع والخرافات الخيالية[4]، وقد ارتبطت حركة التعليم بالتصوف الذي أصبح ظاهرة في تلك الفترة، حيث انتشر المتصوفة شرقا وغربا ينذرون بقرب الساعة، ويطلبون النجاة من شرور زمانهم ومجتمعهم، فساعدوا بذلك على الضعف السياسي والانحلال الاجتماعي والتخلف الفكري[5]، وهو ما يذهب إليه **فرنان برودويل Fernand Braudel**؛ إذ يقول:« ابتداء من القرن 15م نشاهد بكل وضوح تحديدا للإسلام المغربي وتجمعا للمجتمع الإسلامي حول **إكليروس الطرق**»[6]، وهو الشيء الذي ساهم في ذلك الانطواء على الذات بالنسبة لسكان المغرب؛ الذين لم تكن لهم القدرة على مجابهة ومواجهة التحرشات الإسبانية والبرتغالية، فلم يجدوا العزاء إلاّ في رجال الدّين من المتصوفة؛ الذين نشروا فكرة التوكل على الله التي لم تقتصر على إلغاء الحرية والاختيار، بل إنّ " المكتوب" كما يسمي العامة التوكل؛ قد نفذ في كل الأوساط المتعلمة والجاهلة على السواء، وكانت النتيجة لهذه القدرية الماحقة أن أدت إلى انحطاط الدراسة والعلوم والفنون، وبالجملة إلى انحطاط الحضارة الإسلامية[7]، ووصل التخلف الفكري لدرجة الاعتقاد في بركة لعاب الصوفي؛ الذي بمجرد أن يبصق في فم الذي لا يعيش له خلف-أولاد- حتى يرزق أولادا أصحاء[8]، وأمام زحف التصوف على الحياة العقلية بل إلى الحياة الاجتماعية؛ انحط من فلسفة إلى دروشة؛ حتى أن بعض العلماء قد آمنوا بالأولياء؛ فانحط مستواهم الفكري إلى مستوى العامة من الاعتماد على قراءة أدب الكرامات والطقوس الصوفية[9]، فابتعد

---

[1]- عيسى شنتوف: **المرجع السابق**، ص 59.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 152.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المرجع السابق، ص 126.

[4]- محمد بن ميمون: **المصدر السابق**، ص ص 47، 48، 49.

[5]- صباح بعارسية: **حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 16**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2005-2006، ص 29.

[6]- Fernand Braudel **:" l'espagnols en Afrique du Nord de (1492-1577)"**, in.R. A, Volume 69, paris, 1928, p : 218.

[7]- ألفرد بل: **المرجع السابق**، ص 409.

[8]- صباح بعارسية: **المرجع السابق**، ص 30.

[9]- علي علي أبو شامي: **التصوف والطرق الصوفية في العصر العثماني المتأخر**، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2017، ص 317.

التصوف عن مفهومه الذي يعني الصلاح والتقشف، واتجه نحو الدروشة حتى أنه شاع بين الفقهاء اهتمامهم بالتصوف؛ ومال الولاة نحو رجال الطرق الصوفية، ويرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنّ التدهور الثقافي والتصوف المنحرف؛ قد أعانا على ظهور الأتراك، كما أنّ سياستهم قد ساعدت بعد ذلك على نشر التصوف الخرافي؛ والانحطاط الثقافي[1]، وقد انحصرت حركة التعليم في الحواضر الكبرى؛ كتلمسان وبجاية وقسنطينة؛ في حين ظل الريف يرسف في أغلال الجهل ولم يأخذ حظه من التعليم وكانت الأمية متفشية بين سكانه[2]، ولعل ما يؤيد هذا ما سجله **الوزان** أثناء مروره ببلاد الجزائر عام 1515م متجها إلى الشرق؛ فقد وصف بلدة المدية بالغرب الجزائري بقوله: « **لأنّ الغريب إذا مر بالمدية يكاد سكانها يحبسونه بالقوة طالبين منه بتوسل وابتهال أن يفصل في قضاياهم ويحرر عقودهم ويفتيهم في نوازلهم**»[3].

والواقع أنّ بداية القرن 16م اتسمت في عمومها بظاهرتين؛ اهتمام القبائل في الريف بالتعليم؛ وهجرة عدد من العلماء إلى داخل البلاد وتأسيسهم للزوايا[4]، وقد كان يحث على الهجرة علماء أجلاء أمثال **أحمد البجاوي**؛ الذي دعا إلى الفرار بالنفس من الفتنة في أرض الله الواسعة؛ بعد أن سدت المسالك وغاب المعلم الناصح والصبر الجميل[5]، ويتحدث **اليوسي** عند هذا التراجع الفكري عند حلوله **ببسكرة** عاصمة الزاب في 04 ماي 1690 بقوله" **وهي بلدة حكمها الخراب واستولى عليها الدثور...وما رأينا بها من يقرأ ولا يقرئ، ولا من يضيف ولا يقري ..وفيها مسجد عظيم إلا أنه خال** ..."[6]، ويقدم لنا **أبي راس الناصر** وصفا دقيقا وصورة قاتمة للمشهد الفكري تعتبر مرآة عاكسة لواقع الحالة العلمية بها؛ التي ميزها اندراس العلم وسيادة الجهل وتفشي الخمول بقوله: " **في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان واستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون عن اندراس العلم والفضائل ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل...**"[7]، وقد أشار **أبو سالم العياشي** في رحلته إلى البقاع المقدسة عام 1072هـ/ 1661م عند دخوله ورقلة؛ إلى واقع الحالة الثقافية واصفا ما آلت إليه؛ في ظل الجمود والركود والتراجع الفكري وحالة الخمول مع ذهاب العلم وغياب التعلم في هذا العهد، حيث قدم انموذجا حيا لظلمة الجهل الذي استشرى وعشعش؛ من خلال حديثه عن أحد الأئمة الذي قدم خطبة جمعة ربما تعود للعهد الموحدي–دون وعي وإدراك– حيث دعا فيها للمهدي الذي قد يقصد به **ابن تومرت**، أما عن صلاته فقد أكثر فيها الخطأ التحريف واللحن والتقديم والتأخير؛ إذ يقول: (**وكان دخولنا لمدينة ورجلان عشية الخميس وأقمنا يوم الجمعة، وصلينا بجامع المالكية وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير**

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص185، 272.

[2]– العيد مسعود: "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، العدد 03، جامعة قسنطينة، ماي 1980، ص58.

[3]– الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، المصدر السابق، ص41.

[4]– العيد مسعود: **حركة التعليم خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 60.

[5]– ابن عسكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، ط2، الرباط، المغرب، 1977، ص 127.

[6]- محمد اليوسي: **رحلة اليوسي (1101–1102هـ/ 1690–1691م)**، تح: أحمد الباهي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2018، ص 83.

[7]– أبو راس محمد الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح: محمد غالم، ج1، منشورات CRASC، وهران، 2005، ص 53.

مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة، فكنت أتخوف أن لا تصح لنا معه الجمعة– إن كانت صلاته كخطبته–...ودعا في خطبيه للإمام المهدي، ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم محمد بن إبراهيم بن مراد، ثم لسلطان بلده مولاي علاهم. فلما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة أهو المنتظر أم أحد المنتحلين ذلك ممن مضى، فسأله عن ذلك، فإذا هو لا يفقه شيئا من ذلك، وقال: أظنه النبي صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه إنما وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة عنده، فحفظها كما وجدها إلا أنه لم يحرر حفظها ونقلها، ولعلها من خطب من كان في أيام المهدي بن تومرت، زاد فيها الدعاء للإمامين الذين في عصره)[1]. إن كلام العياشي دليل يعكس بوضوح مدى ما وصلت إليه الأوضاع الثقافية في بعض المراكز التي توغل فيها الجهل حتى شمل أمور الدين؛ إلى جانب عدم الإلمام بقواعد اللغة العربية خلال الفترة؛ مع أن مدينة ورجلان كانت في الماضي حاضرة من حواضر الفكر.

ويتحدث **الورثيلاني** في رحلته واصفا الانحطاط الثقافي والتراجع الفكري لدى علماء القرن؛ عند دخوله مسجد بسكرة عاصمة الزاب التي كانت قبلة للعلماء الأجانب و محطة من محطات ركب الحجيج، مقرا هو الآخر باندراس العلم وأهله في زمانه، إذ لا يكاد يوجد طالب يقرأ القرآن أو يتعلم مسألة من العلم، إذ يقول بهذا الصدد: " ..**ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد، متى يقرأ لوحه وهو ملقى أمامه يقرأه على غير أدب ولا استقامة، اخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد صحيح البخاري وحده...**"[2]، وهو ما يشير إليه **الإسحاقي** في رحلته الحجازية، إذ نجده يتكلم عند دخوله بلدة **عين ماضي** عن تفشي الجهل، ولقائه بفقيه القرية الذي كان –كما وصفه–قبرا من قبور الجهل وأنه لا يفرق بين الماضي والمستقبل، وأنه يحفظ متن مختصر خليل مع تصحيف فيه فادح، ويؤكد سيادة الظاهرة في مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب عند دخول جامعها الكبير، إذ يقول:"**وما لقينا به طالب علم ولا رأينا به من يدرسه ولا من يؤمن به، خلت الديار (فلا) كريم البيت...**" [3]، وقد تحصر الشيخ **ابن زاكور** في القرن 12هـ/18م عن الوضع الذي انتهت إليه الحركة العلمية في ظل غياب الاهتمام والعناية بالعلم واحتضان المشايخ والعلماء، بقوله:" **واليوم تشتت البال، وتبدلت الأحوال...وخلت الديار فسدت غير مسود**"[4]، ولم تسلم حتى الحواضر الكبرى على غرار تلمسان من ظاهرة تراجع وتدهور الحياة الثقافية ، حيث يصف **أبو القاسم الزياني** ذلك الواقع الثقافي المتردي بعاصمة الزيانيين في النصف الثاني من القرن 18م؛ بقوله:" **وهؤلاء طلبة تلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية، والأحاديث النبوية...**"[5]، وإذا كان هذا هو واقع الحال بتلمسان؛ فإن الوضع بالضرورة أشد وطأة وأكثر خطورة في بقية الحواضر الأقل شأنا والأدنى مكانة.

---

[1]– أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج1، ص 70-71.

[2]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 211، 239.

[3]– أبي محمد الشرفي الإسحاقي: **المصدر السابق**، ج1، ص 273، 290.

[4]– ابن زاكور: **نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 23.

[5]– أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 144.

أما المصادر الأجنبية؛ فنجد أسير الداي الأمريكي **كاثكارت** يتحدث عن ظاهرة تفشي الجهل أثناء تواجده بالإيالة (1776-1796)، وأنه لم يجد من يستطيع حساب وقت خسوف القمر وكسوف الشمس، وأن بحارة البلاد لا يقدرون أن يحسبوا أكثر من استخراج خط دائرة الزوال وارتفاع الشمس، وأنهم كانوا يستعينون بخرائط بسيطة في تحديد اتجاه سير سفنهم[1]، وفي هذا السياق يصف **شالر** حالة العلوم في عبارته:(**ومما لا جدوى فيه الحديث عنها، فالعلوم غير موجودة ومحتقرة بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، وهذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز**)[2]، وهو ما يؤكده الألماني **فيلهلم شيمبر**(1804-1878)–الذي زار الجزائر في ديسمبر عام 1831- من أن الطب يكاد غير معروف في الجزائر، وأنه لا يوجد في المدينة على كبرها سوى طبيب عربي واحد وهو صيدلي كسول وجاهل في نفس الوقت [3]، لأن المجتمع الجزائري ظل خلال هذا العهد مجتمعا إسلاميا شرقيا منغلقا على نفسه، فالأفكار الأوربية قلما تسربت إليه، وإذا حدث شيء من ذلك عد من إنتاج الكفار[4].

نجد الدكتور **شاو** (**Shaw**) -الذي زار الجزائر في النصف الأول من القرن 18م؛ وعاش فيها مدة طويلة- يخصص فصلا كاملا في كتابه لوصف العلوم والفنون والمعمار والأزياء وغيرها من المظاهر الثقافية للمجتمع الجزائري في تلك الفترة؛ فقد حكم على العثمانيين بأنهم لم يبلغوا بالتعليم ولم يساعدوا على ترقيته؛ بل عرف عنهم إهمالهم لمختلف العلوم والفنون، فالفلسفة والحساب والطبيعيات والعلوم الطبية التي اشتهر بها العرب قديما قد أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء، وقد أرجع هذا الجفاف الفكري وعقم الإنتاج الذي طبع العهد؛ إلى عدم الاستقرار واهتمام الأتراك بمسائل التجارة والأمور المالية أي مختلف الوسائل الموصلة إلى تحصيل المال وتحقيق الثروة[5]، فضلا عن الطابع الحربي؛ ذلك أن الظروف اقتضت أن تولي الدولة أهمية للقوة الحربية؛ إلى درجة أن أصبح العمل العسكري ظاهرة تميز بها حكمها، إلى جانب تعصب الأتراك لجنسهم فحرموا أبناءهم الكراغلة والجزائريين من تولي مناصب إدارية؛ ومن المساهمة بشكل رسمي في بعث الثقافة العلمية بالجزائر[6]، ويعزى هذا إلى شدة إعجاب الأتراك واعتدادهم بأنفسهم، ذلك أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم من جنس أشرف من العرب والبربر، وبالغوا في التمييز والعنصرية حتى أنهم كانوا يعتبرون الكراغلة أحرار من الدرجة الثانية[7]، وأنهم لم يكونوا يتكلمون لغة البلاد، ولا يتذوقون أدبها ولا يقرأون كتبها، ولا يتصلون بعلمائها اتصالا عاطفيا كما فعل سلاطين المغرب أو بايات تونس، لذلك لم يعنوا بالمفكرين والمثقفين عناية تذكر، ولم يعمدوا إلى تأسيس جامعة كالزيتونة أو الأزهر؛ فلم يعقدوا المجالس العلمية والمناظرات كما كان يفعل قبلهم أمراء بني زيان وبني حفص[8].

---

[1]- جيمس ليندر كاثكارت: **المصدر السابق**، ص 99.

[2]- وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، المصدر السابق، ص 81.

[3]- أبو العيد دودو: **المرجع السابق**، ص 14.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 164.

[5] - Shaw (Thomas): **Op.cit**, p 77.

[6]- أحميدة عميراوي: **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري**، المرجع السابق، ص 30.

[7]- عبد الحميد بن اشنهو: **المرجع السابق**، ص 221.

[8]- أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 70.

يرجع هذا الركود والخمول أيضا إلى الفوضى السياسية التي نتجت عنها انقلابات وتوترات، إضافة إلى أن العثمانيون انصب انشغالهم على التجارة وجمع الأموال وليس على العلوم، كما تركز اهتمامهم على القرصنة التي أخذت الجانب الأوفر لما لها من فوائد مادية، إضافة إلى جهلهم اللغة العربية الذي حال دون اهتمامهم بالأدباء والشعراء[1]، وهو ما يشير إليه الرحالة الألماني **ريهبندر Rehbinder** الذي زار الجزائر في القرن 18م؛ وذكر أن التجارة كانت محتكرة من الطبقة الحاكمة التي كانت تحول دون حدوث أي تقدم[2]، أي أن جهودهم كلها كانت متجهة إلى حركة الجهاد، والتجارة والكسب البحري، فقد كانت مداخيل الدولة لا توظف في نشر العلم وتطوير الحياة الثقافية وإنعاشها، وإنما كانت تصرف على أفراد الجيش وموظفي الدولة[3].

إن أتراك الجزائر كما في استانبول لم يشجعوا الثقافة والتقدم الفكري والفني لأن ذلك خارج نطاق العصر بالنسبة إليهم، ومطالبتهم به كمن يطالب من لم يخلق لهذا الشأن[4]، ذلك أن الولاة الأتراك وأجهزتهم الإدارية التركية لم يكن لهم تكوين ثقافي سابق باستثناء العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم[5]، وهو يذهب إليه بعض المؤرخين الغربيين على غرار **هربرت فيشر** و**غوستاف لوبون** بالقول أن الأتراك ليس لهم رصيد وتراث حضاري متفوق يقدمونه للشعوب التي خضعت لحكمهم وانضوت تحت لوائهم[6]، ولربما هذا ما دفع البعض من الباحثين إلى القول أن الدولة العلية أداة استهلاك لا أداة إنتاج[7]، ذلك أن الحكام العثمانيين كانوا يميلون إلى أمور الجهاد والحرب أكثر من ميلهم إلى الثقافة والعلم[8]، وأن أغلبيتهم كانوا منعدمي الثقافة[9]؛ حيث كانوا في أغلب الأحيان من الجهلة لا يعرفون القراءة والكتابة، كما كانوا من المغامرين الذين لا هم لهم إلا جمع المال والتسلط، والاعتداء على حرمات الأوقاف وأموال العجزة واليتامى[10]، فقد كان الأتراك أكثر ارتباطا وتعاملا مع السيف لا مع القلم[11]، وأن الخط الذي خطته الدولة العلية منذ القرن 16م لم يكن مواكبا لحركة التجديد ولا مشجعا لها، فقد كانت النخب العلمية تدعو للتمسك بالعلوم الموروثة والثقافة المكتسبة، وفي ظل هذا الجمود الفكري رست قواعد التقليد الأعمى في شتى مناحي الحياة المختلفة[12]. بالإضافة إلى تعدي البعض من الحكام الأتراك على مخصصات الأوقاف؛ إحدى مصادر التمويل الرئيسية للتعليم، و وهو ما يشير إليه **الورثيلاني** في

---

[1]– ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 56–57.

[2]- Ann Thomson: **« Un Allemand A Alger »**, Colloque International à Aix-en-Provence, Septembre 1985 ; Publication- Diffusion ; Université de province, France, 1987, P 279.

[3]– محمد بن جبور: **المرجع السابق**، ص 129.

[4]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص 192.

[5]– يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 67.

[6]– عمر عبد العزيز عمر: **في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 53.

[7]– محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 54.

[8]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 113.

[9]- إبراهيم حنابي، **المرجع السابق**، ص 37.

[10]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 14.

[11]-EugéneVayssettes: **Histoire Des Derniers Beys de Constantine,** Op.cit, p 107.

[12]– محمد أوجرتني: **"قضايا الغلو والتكفير في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها–بوشقرون الوهراني نموذجا–"**، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة حمة لخضر، الوادي، جوان 2017م، ص 466.

معرض حديثه عن جامع بسكرة ومئذنته؛ حيث توقف عند ظلم وجور الأتراك وتعديهم على الأحباس التي كانت سببا في اندراس العلم؛ إذ يقول:(**غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما، وما كان من المدارس والأحباس التي لم توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها، وينتفعون بها أتم الانتفاع كالأملاك الحقيقية المباحة؛ بل هي ليست لهم، ولا أنهم من أهلها، بل تمردوا وطغوا، جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا، وهذا سبب اندراس العلم وأهله**)[1]، ورغم أن الأتراك العثمانيين لم يكونوا حاملي مشروع حضاري؛ إلا أنهم لم يشكلوا عائقا في استمرار الفعل الثقافي والحراك الفكري، حيث بقي الجزائريون مرتبطين بالدين الإسلامي والثقافة الدينية، يبنون المساجد ويتنافسون في إلحاق المدارس القرآنية بها؛ ويوقفون الأحباس للعلم ومؤسساته، والتفاخر في ترسيم العلماء الأفذاذ فيها؛ في ظل تيار الروح الدينية التي سلبت مشاعرهم[2]، فالعثمانيون لم يهتموا بالأمداح واستقبال الشعراء وتقريب العلماء بقدر ما ساهموا في دفع التعليم برصد الأوقاف التي تتخذ عندهم طابعا دينيا كمساعدة الطلبة والغرباء وصيانة المساجد وإرضاء رجال الدين[3]. ويبدو أن تشييد المؤسسات التعليمية الدينية كان قاصرا على الحواضر العربية الكبرى، إذ يذهب بعض الباحثين بالقول أن سلاطين وحكام بني عثمان استمروا بممارسة بناء وإنشاء المدارس الدينية في مدن الولايات العربية الرئيسية[4]؛ شأن مدينة الجزائر، قسنطينة التي كانت في عهد الأتراك عاصمة دينية؛ يتمتع فيها العلماء بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يتفرقون من مختلف أنحاء القطر، حيث كانت مبعث نور الجزائر[5]، ولربما هذا ما دفع الأستاذ **سعد الله** إلى القول أن تدهور الثقافة الإسلامية قد بدأ قبل استيلاء العثمانيين على السلطة بقرون، كما أن ظاهرة الطرق الصوفية، الذي كان ظاهرة متصلة بتدهور الثقافة، كان قبل توليهم السلطة أيضا، فالأتراك ليسوا حينئذ مسؤولين عن تدهور الثقافة[6]، فالتخلف والتقهقر كان في هياكل الدولة العلية نفسها وفي سياستها العامة والخاصة وفي نمط سلوكاتها المختلفة، وفي عدم مسايرتها وتأقلمها مع العصور التي كانت تعيشها، ذلك أنها طيلة سبعة قرون وربع لم تخرج من تقليديتها في كل المجالات؛ فلم يكن بوسع أقطار بلاد المغارب إلا أن تحذو حذوها في سياستها العريضة، بل حتى في كنف سياسة العصور الانحطاطية التي فعلت فعلتها في العالم الإسلامي، بحيث حالت دون تقدمه ومسايرته للحركة النهضوية التي نشأت وتطورت على حسابه[7].

امتاز العصر الحديث في الجزائر—كما هو الحال في العالم الإسلامي كله- بأمرين كبيري الأهمية: أولهما الجمود الفكري، بحيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا، وثاني الأمرين اشتداد نفوذ المرابطين

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 241.

[2]- أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 41.

[3]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 174.

[4]- بروس ماسترز: **المرجع السابق**، ص 143.

[5]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 52.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 185.

[7]- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 56-57.

وانتشار أمر الولاية والزهد والتصوف[1]؛ ما أثر على الحياة الثقافية ، وقد ترجم هذا الإهمال في عدم تخصيص أي وظيفة رسمية تعنى بالتعليم في الجزائر خلال الفترة فلم يكن عندئذ وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية، ولعل الصحيح في هذا الصدد القول أن السلطة كانت لها سياسة عدم التدخل في شؤون التعليم[2]، وبهذا تكون الثقافة التعليمية اعتمدت على ذاتيتها وعلى اهتمام المجتمع الجزائري بها انطلاقا من الزوايا، ونتج عن ذلك ازدياد نشاط الطرق الصوفية[3]؛ أي أن العامة هي التي احتضنت التعليم ومولته في حين كان حجم الدولة محدودا في هذا الجانب، فقد أعطت الحماسة الدينية للتعليم والعبادة موارد هامة اعتمدت في الأساس على الحبوس، فالتعليم لم يكن خدمة عمومة أنيطت بمهام الدولة [4]؛ ومعنى هذا أن التعليم كان مسألة خاصة تقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية؛ اللهم إذا استثنينا محاولة بعض البايات مثل محمد الكبير وصالح باي، ولكن هذه المحاولة كانت أولا فردية ولا تقوم على خطة مدروسة من ناحية؛ وكانت من جهة أخرى لا تخرج في محتواها من تبعية التعليم للدين، فالمدارس التي أسساها كانت تابعة للمساجد والكتب التي حبساها كانت تلبية للشعور الديني عندهما وليس للشعور العلمي[5].

وقد اقتصر التعليم في عمومه تقريبا على التعليم الديني؛ المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والإنشاء وحفظ المتون الفقهية والنحوية والعروضية والفرضية، وهذا المستوى من التعليم الذي كان منتشرا بشكل ملحوظ بين الجزائريين فهو تعليم ديني بالدرجة الأولى كان الهدف منه فهم تعاليم الدين، ورفع الأمية في الأدب والإنشاء، أما التعليم العالي فكان ينظر على أنه من الكماليات التي لا تهم إلا فئة نادرة من الطلاب، وكانت هذه الفئة تروي ظمأها في بعض المساجد الكبيرة والمدارس التعليمية والزوايا في معسكر ومازونة وقسنطينة والعاصمة أو في زوايا مجاجة وزواوة والخنقة[6].

كانت المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، مهتمة بالتعليم أكثر ماهي مهتمة بالثقافة[7]؛ إذ نلاحظ أنّ الأتراك لم يولوا الثقافة ما تستحقه من عناية واهتمام، ولهذا غلب على عهدهم طابع الجفاف الفكري[8]؛ ومنه يمكن الحكم على الفترة أنها تمثل مرحلة جمود فكري وثقافي، نتيجة استفحال الصراع الداخلي والخارجي، والهيمنة العسكرية العثمانية وهجرة خيرة العلماء من بلدانهم خاصة من الجزائر[9]، كما أنّ دولة الأتراك العثمانيين كانت أعجمية اللسان، وتوجهها العلمي كان دينيا أكثر منه أدبيا[10]، لذلك يقول البعض أنّ النهضة الثقافية انطلقت خلال القرن 07هـ/13م، وازدهرت في القرن 08هـ/14م؛ ثم دخلت خلال القرن 09هـ/15م فترة استقرار نسبي، تلاه في القرن 10هـ/16م اتجاه

---

[1]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المرجع السابق، ص 114-115.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 314.

[3]- أحميدة عميراوي: **جوانب من السياسة الفرنسية...**، المرجع السابق، ص 31.

[4]-Emrit (Marcel**): L'Algérie a L'époque D'Abd-El-kader**, Editions Larose, Paris, 1951, P 199.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 314.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 174.

[7]- أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 11.

[8]- محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 255.

[9]- محمد بن محمد المغربي: **بغية الطالبين بما تضمنته أم البراهين**، تحقيق: أحميدة عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 28.

[10]- محمد بن ميمون: **المصدر السابق**، ص .43

نحو التقليد في كثير من المجالات الثقافية[1]، وقد حاول بعض المثقفين في هذا الجو المثبط لكل إنتاج علمي؛ أن يمزجوا بين ثقافة العصر وثقافة الأوائل من علماء المسلمين المتأخرين؛ دون وعي ودون إضافة أو تطبيق بعيدا عن الإبداع والاستقلال بالرأي والربط بين الحياة والعلم[2]، حيث أضحى التقليد والتكرار والحفظ ظاهرة منتشرة في العهد العثماني، وكان أغلب الفقهاء يعتمدون ويقلدون سابقيهم تقليدا يكاد يكون أعمى، ويرددون أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظا سطحيا، ويسردون المسائل كما هي في الكتب دون تحكيم للعقل فيما تضمنته، وقد حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار كما هو الحال مع **عبد الكريم الفكون** (ق17م) الذي أعلن ثورة على الجمود العقلي لدى فقهاء عصره الذين طغت عليهم ظاهرة الحفظ التي لم يسلم منها حتى صديقه الشيخ **أبو العباس أحمد المقري**[3]، حيث استدل وهو ينعي الأخير عدم دقته العلمية واعتماده على الحفظ بقول **ابن عربي** في ذلك؛ من " **أن العلم ليس بكثرة الرواية (سرد الروايات وحفظ الألفاظ) وإنما هو ما يظهر عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية...فأما السرد للمعلومات فإنما حدث عند فساد القلوب بطلب الظهور والتعالي عن الأقران وكثرة الرياء في الأعمال**"[4].

إن الجفاف الفكري لا يعني بحال من الأحوال خلو القطر الجزائري في ذلك العهد من العلم والأدب، وهو ما يشير اليه **الوزان** عندما نزل ضيفا على سفير صاحب الجزائر إذ يقول: « **إذ كنت على سفر من فاس إلى تونس، ونزلت ضيفا عند السفير الذي بعث به إلى إسبانيا وعاد حاملا معه زهاء ثلاثة آلاف مخطوط عربي اشتراها من شاطبة، إحدى مدن مملكة بلنسية**»[5]، كما أشار **التمجروتي** الذي زار الجزائر أواخر القرن 16م؛ أنّ طلبة العلم لا بأس بهم إلاّ إنّ حبّ الدنيا والافتتان بها غلب عليهم، وأن الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية خاصة كتب الأندلس[6]، ولا ننكر من ناحية أخرى بأن مدنا مثل بجاية وتلمسان ومازونة وقسنطينة قد حافظت على التراث الفكري والثقافي الذي ورثته، وواصلت سيرها في هذا النهج ونبغ فيها علماء وشعراء ومثقفون، كما أن مدينة الجزائر التي انتقل إليها المركز السياسي في هذا العهد نمت فيها الحركة الفكرية وتطورت، واتسع أفق الكثير من أبنائها حتى أصبحوا حجة في كثير من الفنون الأدبية والعقلية واللغوية[7]، وهو ما يذهب إليه **الورثيلاني** الذي يستدرك في موضع آخر من رحلته مشيرا أن البلاد لم تعدم من العلماء، " **ومع ذلك فإن أهل وطننا لم يعدموا علماء، ولا إفادة في كل العلوم أو أجلها: قراءة تحقيق وبحث، غير أن النفع مقصور على الإذعان–أي الامتثال–...**"[8]. وقد شهدت بعض المناطق الحضرية كدار السلطان بروز علماء أجلاء في علوم شتى، ومن هذه الشهادات شهادة للعالم المغربي **أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور** في

---

[9]–عبد الحميد حاجيات: "**الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي**"، مجلة الثقافة، العدد 14، الجزائر، 1987، ص 26.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، المرجع السابق، ص 187.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ **الجزائر الثقافي 1515–1830**، ج2، المرجع السابق، ص 9–10.

[4]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 233.

[5]– الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص39.

[6]– علي بن محمد التمجروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحابي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988، ص 90.

[7]– يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 67.

[8]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 242.

رحلته؛ التي يصف فيها مدينة الجزائر؛ حيث تحدث عن شيوخه من علماء الجزائر والإجازات التي منحت له من طرفهم سنة 1094هـ/1682-1683م، ومما جاء على لسانه وصفا للجزائر وتنويها بعلمائها:" **بدخول مدينة الجزائر...ذات الجمال الباهر...غرر أعلام ينجلي بهم الإظلام، وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال، وأحبار كالأقمار...فاهتديت بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنية، ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت...فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار**"[1]، ولربما هذا ما دفع **خوجة** إلى القول أن الجزائر كانت كغيرها من البلاد العربية، وأن المعاهد العليا بها كانت تدرس إلى جانب العلوم الفقهية واللغوية وأصول الشريعة وعلم الكلام؛ الرياضيات والهندسة والفلك، واشتهر كثير من المعاهد في مدن الجزائر وبجاية وقسنطينة وسيدي عقبة وميزاب وجرجرة، وأن الجزائريين يعتنون كذلك بالعلوم والآداب، ففيهم الشعراء والأدباء وأساتذة التاريخ والمشرعون[2]، ويذهب الأستاذ **أحمد توفيق المدني** إلى أبعد من ذلك حين يذكر أن الحركة العلمية لم تخمد في هذا العصر ولم يقف دولاب العلم والتعليم في أي ناحية من نواحي البلاد، بل كان الكثير من فضلاء الأتراك وأعيانهم ينشطون العلم والمتعلمين بما حبسوه على تلك المشاريع من الأوقاف الغنية ذات الريع[3]، وهذا لا يعني خلوالقطر الجزائري في ذلك العهد من العلم والأدب؛ فقد أكدت بعض وثائق الأرشيف الفرنسي – على ضوء ما ذهب إليه أحد الباحثين- عن تخصيص بعض من حصص الأوقاف لتمويل التعليم والمعلمين، وكانت الرواتب السنوية تتراوح ما بين مائة إلى مائتي فرنك سنويا[4]، ويتحدث الأستاذ **توفيق المدني** في موضع آخر عن بعض المزايا والانجازات التي عرفتها الإيالة في ظل ارتباطها بالباب العالي؛ إذ يقول:" **الدور البطولي الذي قاموا به خلال عصر الانحلال والتدهور والغزو المسيحي في قيادة الشعب وشد أزره ضد العدو المهاجم، وما اضطلعوا به تحقيقا لرغبة الشعب من تأسيس الدولة بمعناها الوطني الحديث، ومقاومة المهاجم إلى أن أبعد نهائيا عن أرض الوطن، وجمع الوحدة الوطنية الجزائرية الإسلامية ضمن دولة واحدة، وحول عاصمة واحدة، وتحت راية واحدة رغم أنف الإقطاعية الطاغية، وضد المصالح الخاصة القبلية والطائفية، فإذا ما نحن ذكرنا الدولة الجزائرية، وإذا ما نحن ذكرنا الوطن الجزائري، فقد ذكرنا الأتراك العثمانيين سواء أكنا من المعترفين أو الجاحدين**"[5].

إن الانحطاط والتدهور الذي شهدته الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ لم يمنع بعض الحواضر من البروز الديني والثقافي، كمدينة الجزائر التي كانت مركز مسقط الطلبة من الداخل أو الخارج، حيث يقول سعد الله: (**فإن دروسها كانت تفوق أحيانا مساجد المشرق**)[6]، ورغم أنها تفتقر إلى معهد رئيسي يضاهي القرويين والأزهر والزيتونة، فقد كان تأثيرها واضحا على مراكز الجزائر وعلمائها، وهو ما يؤكده الأديب الكاتب **عبد الرحمن الجامعي الفاسي** في معرض حديثه عن مدينة

---

[1]- ابن زاكور: **المصدر السابق**، ص40، 41.

[2]- حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 105.

[3]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المرجع السابق، ص 114.

[4]- محمد بن جبور: **المرجع السابق**، ص 132.

[5]- أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، ط1، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007، ص 9.

[6]- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، **المرجع السابق**، ص 273.

الجزائر(**فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل...وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة مشهورة**)[1]، وعن علمائها وأدبائها يقول **الجامعي** في موضع آخر من رحلته: " **وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل ما فارقت من أدباء بلدي، وبها تذكرت ما نسيه خلدي**"[2]، ورغم ذلك فإن الجزائر-كما يقول المدني- لم تكن أيام العهد العثماني آخذة بأسباب التقدم العلمي، ولم تكن سائرة بخطى حثيثة في مضمار العمران، وإنما كان شأنها في ذلك شأن بقية العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها[3]؛ ذلك أن الثقافة في ذلك العصر كانت متأثرة إلى حد بعيد بما كانت عليه في كل البلاد العربية الأخرى من تقلص وانطواء.

02-جهود بعض الحكام وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية:

إن ذاتية الثقافة التي نشأت عنها فئة محافظة من الجزائريين أصحاب الثقافة التقليدية؛ لا يعني بحال من الأحوال أن رجال السلطة العثمانية لم يقدموا للجزائر من الخدمات الجليلة في هذا الشأن، وإنما يعود الفضل لبعض الدايات والبايات في أنهم أولوا عناية كبيرة لجانب الثقافة التعليمية، حيث شجعوا التعليم وزادوا في مؤسساته[4]، وإن الدايات، وإن لم يفعلوا الكثير في مجال الثقافي لانشغالهم بالدفاع عن البلاد أمام التيار الامبريالي المبكر، والمد الصليبي الجارف، إلا أنهم لم يهملوا إطلاقا قطاع التعليم والتكوين، وإن تركوا العبء فيه على الشعب بمؤسساته الوقفية، التي كانوا يعززونها ويسهرون عليها، بل ويشاركون فيها مباشرة، لا في تأسيس الجوامع الكبرى فقط؛ التي كانت بمثابة جامعات، ولكن أيضا بإقامة مؤسسات علمية مخصصة لذلك أصلا ومنشأ؛ على غرار ما قام به الداي **محمد بكداش**– محرر وهران للمرة الأولى سنة 1119هـ/1708م- لفائدة وقف للشيخ **الكتروسي** في مازونة، وهو معهد علم علم، كانت له فيما بعد فعاليته الكبرى؛ لا بالنسبة للجزائر وحدها بل تجاوز صداه حدود البلاد، حتى أنه أضحى مقصد كثير من الطلبة المغاربة للدراسة فيه[5]، كما اهتم بعض الدايات بالمؤسسات التعليمية والدينية...ويذكر **أحمد الشريف الزهار** في هذا السياق؛ أن في سنة 1244هـ/1828م هدم الداي **حسين** مسجد **السفير** وأعاد بناءه في نفس السنة؛ وجعل فيه درسا لصحيح البخاري كل يوم، وكذلك بجامع **خضر باشا** على أن يختم كل شهر، ثم جعل حزبا بالجامع الأعظم وفيه أربعون طالبا يقرؤون سورة "**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**" كل يوم وقت الزوال[6].

حاول الباي **محمد الكبير** اختراق الطوق المضروب على الثقافة ببايلكه بعزمه على تكوين نخبة مثقفة واعية؛ تضطلع بمهمة بناء الفرد الصالح، وإعداد أجيال تحمل مشعل العلم والمعرفة، وتواجه معضلات الدولة العثمانية بالجزائر وتحاول

---

[1]- عبد القادر نورالدين: **المرجع السابق**، ص 203.

[2]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 170.

[3]- أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر"1766-1791"؛ سيرته، حروبه، أعماله**، نظام الدولة والحياة في عهده، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 11.

[4]- أحميدة عميراوي: **جوانب من السياسة الفرنسية**..، المرجع السابق، ص 31.

[5]- مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العلمية قبل سنة 1830**، ج2، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1985، ص 323.

[6]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 166.

مسايرة التطورات الحاصلة في الخارج، وفعلا كان العلماء والطلبة وراء نجاح استرداد وهران، والمرسى الكبير للمرة الثانية من قبضة الإسبان، وكان طموح الباي الحضاري قد أخذ يتشكل تدريجيا؛ حيث عمد الباي محمد الكبير في سبيل ترقية الثقافة إلى تبني استراتيجية، يظهر أنها ابتدأت بكبريات حواضر البايليك الغربي واقتصرت على إصلاح بعض الحمود الثقافي، حيث عمل على تكثير عدد المساجد والجوامع ذات الوظيفة الدينية والتعليمية والتربوية في كل من معسكر، وقرية البرج المجاورة لها ووهران بعد فتحها[1].

لقد كان شديد العناية بالثقافة؛ محبا للمثقفين، لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن، وهيأ لهم الوسائل التي تساعدهم على المضي في طلب العلم واكتنازه[2]، فقد كان رجلا محبا للعلماء والصلحاء والأدباء؛ إذ يقول **المزاري** في مصنفه **طلوع سعد السعود: "وكان محبا للطلبة، ولذلك بنا(كذا) لهم المدرستين: الأولى بالمعسكر والثانية بوهران"**[3]، كما جدد المدرستين القديمتين بتلمسان، ومن أعظم مآثره أنه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس؛ فاتسعت بذلك حال العلماء، ومن فرط اهتمام الباي بالتأليف وتشجيع المؤلفين؛ أنه كان يغدق بالعطايا والهبات على الأدباء والكتاب، فقد منح **أحمد بن سحنون** مائة دينار ذهبا عندما اختصر كتاب "**الأغاني للأصفهاني**، ووهبه خمسين دينارا ذهبا جزاء انتخاب ألفاظ طبية من القواميس جعلها في مصنف بديع، إذ يقول **صاحب الثغر الجماني:" وأما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء فقد شاع منه ما يغني عن الأخبار، وكم تأليف نشأ بأمره، ونال مؤلفه به وافر بره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة سالفا بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك فجمع له من ذلك رسالة أثابه عليها بسبعين دينارا وجمع له بين كلام شارح(السلوانة) في البازي، وصاحب (التذكرة) في أقل من كراسة، فأجازه بما يليق بمنصبه، ثم أمرني باختصار (الأغاني) فاختصرته في نحو الثمانين كراسة فأثابني عنه بخمسين سلطانيا، ثم أمرني بجمع طب (القاموس) فضممته، وزدت عليه من كلام الأطباء ما صار به تأليفا بديعا حسن الترتيب، فأثابني عنه بخمسين سلطانيا...وفي أيامه السعيدة شرحت (العقيقة) شرحا ضخما عجيبا"**[4].

وقد جعل هذا الباي للعلماء والمدرسين مرتبات زيادة على الهدايا التي يتلقونها في الأعياد والأفراح، ويكفينا دليلا على ذلك ما ألفه علماء عصره من كتب نفيسة في أخلاقه المرضية، وسيرته المحمودة، مثل كتاب: "**عجائب الأسفار" لمحمد أبي راس المعسكري**، وكتاب" **الثغر الجماني" لأحمد بن علي بن سحنون**، و"**كتاب الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" لمصطفى بن عبد الله بن زرفة**، وغير ذلك من التآليف التي تدل على إحسانه المستمر، وكان يجمع العلماء ويشاورهم في الأمر وينزل عند رغبتهم، ويجازي الشعراء ويجزل لهم العطاء، من ذلك أنه أهدى **الحاج أحمد القرومي** مائة محبوب ذهبا، وأعطاه ألبسة تساوي خمسين محبوبا عندما مدحه بقصيدتين[5]، ولم يقتصر على تشجيع الحركة العلمية

---

[1]- بلبراوت بن عتو: **الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 329-330.

[2]- أحمد بن هطال التلمساني: **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1875**، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص 25.

[3]- الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود**، المصدر السابق، ص 296.

[4]- ابن سحنون: **المصدر السابق**، ص 141، 143، 155.

[5]- أحمد بن هطال التلمساني: **المصدر السابق**، ص 26.

داخل البلاد فقط، بل كان يمد طلبة العلم الملتحقين بالأزهر، ويبعث لهم سنويا إعانات ضمن الهدية التي التزم بها لشيخ الإسلام **مرتضى الزبيدي** (صاحب تاج العروس)، وقد تبادل معه بعض الرسائل[1]، وكان مولعا بالمطالعة وقت فراغه، يبذل الأموال الطائلة في المخطوطات النفيسة؛ فيشتريها ويضعها في خزانة القصر أو يحبسها على طلبة المدارس وعلماء المساجد، وكان يبحث عن العلماء حيثما كانوا، ويتقفى آثار المثقفين أينما ظهروا[2]، إذ يقول **ابن سحنون:**" **ولمحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها، ويستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه، وكثيرا ما كان يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه وإذا انفض الناس انفرد بها فكانت له نعم الأنيس...**"[3] ، فقد كان بحق مثقفا عالما- فقيها وأديبا- مطلعا على تاريخ العرب وأيامهم، وكانت له اليد الطولى والمرتبة العليا في الطب على حد تعبير صاحب **الثغر الجماني**، وكان يصف الأدوية لمعالجة الفقراء والمساكين بنفسه[4]، ومع دخول الباي **محمد بن عثمان** وهران يوم 22 فيفري 1792م في أعقاب انسحاب الإسبان؛ عمد إلى تعميرها وإعادة الحيوية إليها، وحتى يعيد إليها الطابع العربي الإسلامي؛ أسس عدة مساجد ومدارس منها: **مسجد بناصف، وجامع الباشا** الذي شيده المهندس **محمد الشرشالي**، ومسجد ومدرسة **خنق النطاح** (جامع الباي حاليا)، كما بنى **الجامع الأعظم** بحي عين البيضاء بمعسكر، و**جامع الكرط**، و**الجامع الأعظم** بالبرج [5].

ومن بايات الشرق الذين اهتموا بالجانب الثقافي وأولوا عناية كبيرة للمؤسسات التعليمية والدينية، وتشجيعا للعلم ورعاية للعلماء؛ نجد **صالح باي** باي البايات(1771-1792) في قسنطينة؛ الذي قام بإنشاء **جامع سيدي الكتاني** و**المدرسة** التي تشكل لاحقة له عام **1189هـ/1775م**.... وقد قام أيضا عام 1789م ببناء مدرسة أخرى بالقرب من **مسجد سيدي لخضر** وأصبحت لاحقة له، وكما هو الشأن بالنسبة لمدرسة **سيدي الكتاني**؛كان الأساتذة يعينون من طرف قائد الإقليم، ويقبضون أجورهم من ميزانية المساجد، ويدرسون النحو والفقه، وتفسير القرآن، وعقيدة التوحيد، وعلوم الحديث أو السيرة المحمدية، أما ما يتعلق بالتعليم، فقد كان النظام المتبع في عهد صالح باي داخل مؤسسات التعليم العام دقيقا وصارما؛ ينم عن حس ووعي كبيرين، فقد ذكر **فايسات** أنه إذا ما قورن مع ذلك الذي كان مطبقا في تلك الفترة في مدارس فرنسا؛ فإنه لم يكن أقل منه مستوى، ورغم أنه كان موجها لمدرسة خاصة؛ كان تقريبا نفسه في جميع المدارس؛ لأنه لم ينجز إلا بموافقة صالح باي والأعضاء المشكلين آنذاك للمجلس[6]، لقد كان التعليم على العموم واحدا من اهتماماته الدائمة، وقد وجد من يشاطره في رؤاه؛ وهم ثلاثة من الراسخين في العلم: **الشيخ عبد القادر الراشدي؛ المفتي الحنفي، وشعبان بن جلول؛ القاضي الحنفي، والعباسي؛ القاضي المالكي**؛ الذين وحدوا جهودهم مع جهوده من أجل رفع ذوق الدراسات العميقة والآداب الجميلة التي كانت تتقهقر يوما بعد يوم [7]، وفي هذا

---

[1]- ابن سحنون: **المصدر السابق**، ص 72.

[2]- أحمد بن هطال التلمساني: **المصدر السابق**، ص 27.

[3]- ابن سحنون: الثغر **الجماني**، **المصدر السابق**، ص 155.

[4]- ابن سحنون: **الثغر الجماني**، **المصدر نفسه** ص 156.

[5]- يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ**، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 64.

[6] -Eugéne Vayssettes : **Histoire de Constantine, Op.cit**, p134-135.

[7] - **IBID**, P 137.

السياق يقول **الزهار** في **مذكراته" ومما يحكى عن صالح باي...محبا للعلماء والصالحين...وبنى مسجدا بقسنطينة، صرف عليها أموالا قل نظيرها، وجعل له أوقافا كثيرة، وبنى مسجدا بعنابة، وكلها للخطبة..."** [1].

03-طبيعة النتاج العلمي والأدبي:

لقد انصب اهتمام العلماء على الفقه الذي حافظ على مكانته المرموقة بين العلوم؛ أما المعارف الأخرى فكانت تشمل التصوف والتفسير والحديث والدراسات اللسانية من نحو وبيان ولغة، لذلك نرى أن الثقافة في الجزائر؛ كانت دينية أكثر منها أدبية أي أن الحياة العلمية والتعليمية في المجتمع الجزائري كانت إسلامية، وأن البرامج والمناهج على مستوى العلوم لم تشهد أي تغيير يذكر على مدى قرون [2]، أما فيما يتصل بعلم **التاريخ**؛ فقد سجل أحد المؤرخين الفرنسيين غياب حتى من يؤرخ للأحداث المهمة في الجزائر، حتى إذا تعلق الأمر بحدث بحجم اغتيال الباشا وغيره من الأحداث التي بقي الغموض يكتنفها في غياب من يقيد تفاصيلها وتاريخ حدوثها؛ من ذلك الباشا **محمد تيكولرلي** (1556-افريل 1557م) الذي قتل نهاية أفريل 1557، ومع ذلك لا يوجد ذكر لهذا الباشا لا بين المؤرخين الأسبان ولا في المصادر المحلية[3]، وهذا في الوقت الذي اعتكف فيه العلماء والمتعلمون على النقل؛ تاركين العقل جانبا[4]، حيث كانت العلوم العقلية ثانوية، وإذا ما درست فإن دراستها تكاد تكون تعبدية فردية أو لأنها تساعد على فهم العلوم الأولى فقط؛ أو هي علوم آلية كما يطلق عليها البعض"علوم الآلة"، وهكذا فإن الحساب كان يدرس فقط لفهم العمليات الفرضية، **والطب** لا يدرس إلا لفهم الأحاديث النبوية الدالة على علم الأبدان، ولا يدرس **الفلك** إلا لتحديد أوقات الصلاة، أما **الصيدلة** فقد اختلطت بالفضول الإنساني...وهكذا، أما العامة فكانت تلجأ إلى الطب الشعبي الذي تختلط فيه الخرافة بالعلم[5]، وهذا ما أدى إلى انحطاط العلوم وضعف التعليم بالجزائر.

أما الإنتاج العلمي والثقافي عموما في هذه المرحلة؛ فقد طبعه التقليد، فلم يخرج في معظمه عن المتون والشروح والحواشي على أعمال المتقدمين أي سيادة العقل النقلي، فقد قلت الآثار المبتدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشة والتخلف السياسي، فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين وعكفوا عليها يشرحونها ويحشون عليها ويكررونها دون تجديد، وقد شمل ذلك كتب الفقه والنحو والتصوف والسيرة والتوحيد والمنطق [6]، لذلك ندر نبوغ المفكرين، واقتصر عمل المؤلفين على شرح الكتب شروحا لفظية تعج بالجدل العقيم، وبعضهم جعل للشروح حاشية، وثالث جعل للحاشية تقريرا؛ لهذا اشتهر العصر بعصر الحواشي والشروح، وكثر التأليف بلا نظام وانحط الأسلوب، وكان المثل الأعلى للعلم لا يتجاوز الدين وعلومه النقلية[7]، ويلخص لنا المستشرق الألماني **كارل بروكلمان** هذا

---

[1]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 88.

[2]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 57.

[3]-Watbled (E): « **Documents Inédits Sur L'Assassinat Du Pacha Tekelerli 1856-1857** », In: R.A, N: 15, 1871, P 340.

[4]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المرجع السابق، ص 90.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، المرجع السابق، ص 187.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 21.

[7]- علي علي أبو شامي: **المرجع السابق**، ص 317.

الخط العام الذي نحى نحو الحفاظ على التقليد واجترار آثار الماضين من السلف؛ بقوله:" **كانت حياة العثمانيين العلمية خلوا أو تكاد، من الأصالة والإبداع، فهي تتخذ من سبيلها في مجاري التقليد والإتباع الثابتة؛ ذلك أن العلم لم يكن يعني عند المسلم، اكتساب معرفة جديدة بل التمكن أقصى حد ممكن من المادة التي أنتجتها الأجيال السابقة**"[1]، وظلت العلوم في هذه الفترة **إلهية مقدسة لا يكون التعامل معها إلا بالحفظ**، ولما كان الإنتاج العلمي في الشرعيات غزيرا؛ فإن الإبداع والجدة فيه كان معدوما، بل كل محاولة للخروج عن طوق التقليد وتقديس الموروث كان يعتبر مغامرة كثيرا ما حملت أصحابها إلى الموت المؤكد، وكثيرا ما استعملت هذه القضية لأغراض سياسية أو للتخلص من الخصوم[2]، فقد ذكر **الورثيلاني** الصراع الشديد الذي قام بين الشيخ **عبد القادر الراشدي**[3]–الذي كان متبحرا في علمي الأصول والكلام– وبين طلبة قسنطينة، فقد وقعت مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة حتى رموه بالتجسيم، بل بعضهم كفره ومن الإسلام أخرجه، فقال:" **وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة، ومنازعة كبيرة حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره ومن الإسلام أخرجه، وذلك أمر عظيم في الدين...وإنما هو تحامل عليه سببه الحسد والبغض والتنافس، أو إنما رموه بذلك بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم، بل وقد نسبوا له كثرة الرشوة وغير ذلك مما لا يناسبه...فقد بالغوا في تضليله إلى أن أرادو الفتك به عند السلطان، فسلم والحمد لله ونجا من شرهم، غير أنهم أخرجوه من الموضع المعد له من القضاء، وصيروه لأنفسهم**"[4]، وربما يرجع ذلك إلى ظروف العصر وتراجع العلوم العقلية أمام العلوم النقلية.

وما دامت الثقافة الدينية هي الثقافة السائدة بالجزائر خلال العهد العثماني، فقد أدى ذلك إلى انتشار ظاهرة التصوف وسيطرتها على توجيه مسار الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية وحتى العلمية منها بوجه لم يسبق له مثيل بالبلاد، وذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يعتقدون في الطرقية، فكثر الإنتاج في هذا الميدان، وتنوعت الكتب والرسائل والمنظومات التي تتناول التصوف من قريب أو بعيد، كالأذكار والأوراد والردود والمناقب والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية، والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام نظرة صوفية روحانية[5]. لقد أصبح الإنتاج الثقافي في القطر الجزائري خلال القرنين 17م و18م ضئيلا بالنسبة للأقطار الإسلامية الأخرى؛ فالإنتاج العلمي غالبا محصور في بعض التفاسير التي جلها لم يكمل، وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دون

---

[1]– كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين–فارس–منير البعلبكي، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1949، ص 105.

[2]– أحمد بحري: "**ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج8، العدد 9، جامعة وهران، 2012، ص 257.

[3]–**عبد القادر الراشدي(ت.1194هـ/1780م)**: العلامة المحقق المجتهد الأصولي، المحدث الصوفي، قرأ على يد والده، ثم ورد إلى تونس والجزائر، وعاد إلى بلده؛ فدرس ونفع الطلبة، تولى القضاء والفتيا بقسنطينة مرارا، وتولى مهنة التدريس بالمدرسة الكتانية، اختلفت آراء الباحثين في مذهبه بين من يرى أنه مالكي وبين قائل أنه حنفي، خلف العديد من المؤلفات التي تبرهن عن أصالة فكره، وتبحره في علمي الكلام والأصول، من بينها: رسالة في تحريم الدخان بعنوان؛ "**تحفة الإخوان في تحريم الدخان**"، وفتاوى وتعليقات جمة، ورسائل ابتكارية جليلة. انظر: عبد القادر الراشدي: **فهرسة الشيخ عبد القادر الراشدي**، تع وتح نصيرة عزرودي، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2011، ص 11–23.

[4]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 371–373.

[5]– دهيبة بوشيبة:"**العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 03، العدد: 01، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص 128.

مصنفاتها القدامى أو المعاصرون لهم في غير قطرهم، وقد بادر علماء الجزائر إلى حذو من تقدمهم في فن التصنيف أيضا، وكان مضمون النتاج يغلب عليه طابع التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى لا سيما أهل فاس، وتارة لعلماء المشرق العربي بما فيها تونس، وتارة لعلماء بجاية أو تلمسان أو الأندلس؛ يوم أن كانت هذه الأماكن الثلاثة في غضارة وريعان علمها وأوج أدبها[1]، وإذا عدنا إلى دراسة **الإنتاج العلمي** وجدنا منه كمية ضئيلة خلال العهد العثماني، ولولا بعض الأعمال التي كتبها **عبد الرحمن الأخضري** و**سحنون بن عثمان الونشريسي** و**ابن حمادوش** لخلا هذا العهد أو كاد من التآليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها، ومع ذلك فإن هؤلاء كانوا يستمدون موادهم من تراث الحباك والسنوسي وابن القنفذ والقلصادي، وكأن العقول قد تحجرت فلم تعد تنتج وإنما تستوحي من أعمال السابقين ما تحتاج إليه من غذاء[2]؛ باستثناء بعض العلماء على قلتهم ممن طرق هذا الباب من العلوم؛ كما هو الحال مع عالم الرياضيات؛ **علي والي بن حمزة الجزائري**(كان حيا عام 999هـ /1590م)؛ الذي أقام مدة في استانبول درس العلم، ثم عاد إلى بلاده ومنها توجه إلى الحجاز لآداء فريضة الحج؛ وبقي مجاورا إلى أن أدركته المنية؛ من مؤلفاته "**تحفة الأعداد لذوي الرشد والسواد**" في **الحساب**"[3]، و**ابن حمادوش** الذي شاع لدى علماء عصره، **ويغلب على مؤلفاته الطابع العلمي أكثر من الطابع الفقهي أو الأدبي**، ومن مؤلفاته في هذا الميدان: **شرح على قصيدة الربع على كردفر، تأليف على الروزنامة**، تأليف في الأعشاب لعله "**كشف الرموز**"، **تأليف في علم الفلك، تأليف في الربع الإسطرلاب والربع المقنطر، تأيف في القوس لرصد الشمس، تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب، تأليف في صورة الكرة الأرضية، تأليف في علم البلوط"معرفة الطرق البحرية"، الجوهر المكنون في الطب، بغية الأديب في علم التكعيب، تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج، تأليف في الطاعون**[4]، ومع ذلك فقد أدى إهمال قضايا الثقافة لفترات طويلة إلى تقلص المعارف ونزول مستواها؛ لأن من عيوب الثقافات التي تتبناها الشعوب في فترة غفلة الدولة عن الاهتمام بالميدان؛ هو اللجوء إلى التقليد والجمود والابتعاد الاجتهاد؛ وكل ما له علاقة بالعلوم العقلية، وتخزين المعارف الموروثة دون اكتراث بالبحث والنقد والتحليل[5]؛ أي التركيز بصفة مطلقة على علوم الدين دون علوم الدنيا.

لقد استمر التأليف طيلة ثلاثة قرون علة نمط واحد، ومع ذلك فإن الدراسات القرآنية ساهمت في نشر اللغة العربية بين مختلف الأوساط الشعبية والعلمية الأعجمية، كما ساهمت في ظهور وانتشار الثقافات الشفوية والمقروءة، وذلك لاعتبار أن هذه الثقافات لا تعتمد أساسا إلا على الذاكرة؛ فحمولتها سهلة وطريقة نشرها أسهل، كما طبع هذا النوع من الثقافات الحياة الأدبية؛ التي يعود فضلها إلى الظاهرة القرآنية وبعدها الروائي القصصي، وإذا كانت الدراسات الحديثية قد فقدت معناها العلمي؛ فإن علماء الوقت قد أثروا من حيث لا يشعرون ميادين علمية أخرى، حيث استفاد علم

---

[1]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 61-62.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، المرجع السابق، ص 304.

[3]- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 124.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 226-227.

[5]- أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002، ص 105.

الفقه والتراجم بشكل كبير من كتب الحديث التي طبعت الثقافة التاريخية المحلية، في حين كان الإنتاج الفقهي مسكونا بروح العصر التي جعلت من التقليد تأليفا؛ بما في ذلك أعمال كبار فقهاء الفترة **كالونشريسي** و**الوزان** و**المسبح** و**الأخضري**، حيث ظل مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل عمدة الدراسات الفقهية طيلة العهد العثماني، مما يدل على حجم الجمود الفقهي الذي أصاب هذا العلم، كما كان لاستمرار النمط التقليدي الذي طبع الحياة الاقتصادية والاجتماعية تأثيره المباشر على نوعية المصنفات الفقهية التي تميزت بالتكرار، ولم يكن يحتاج إلا إلى استعارات فقهية من عصور سابقة، وحتى **الفقه الحنفي** الذي دخل متأخرا لم يكن بعيدا عما أصاب الفقه المالكي؛ إذ لم يشهد اهتماما كبيرا لا من حيث الكم ولا الكيف، أما عن المصنفات التي تندرج في إطار ما يعرف بالدراسات العقدية- أصبحت العقيدة الصغرى والوسطى والكبرى للسنوسي مرجعا-، فقد خصت هي الأخرى بالشرح والتحشية، وأهمها شرح قدورة والوزان على الصغرى، وشرح يحي الشاوي وابن حمادوش على الكبرى [1].

وكانت **العلوم الحربية** وحدها؛ من العلوم العقلية التي حضيت بالاهتمام لعلاقتها بالجهاد ميدان العثمانيين؛ من ذلك ما كتبه الرايس **إبراهيم زكريا الأندلسي** حول المدافع وفنون صنعها واستخدامها[2]، وتأليف في **علم البونبة** لعبد الرزاق بن حمادوش[3]، وكتاب في الصناعة الحربية والعسكرية لا يزل مخطوطا بخزانة الزاوية العثمانية بطولقة والموسوم بـ:" **عون الأفكار الحفظية في علم المدافع والطبجية**"؛ الذي ألفه **أحمد علي اللنبيري** بقسنطينة عام 1266هـ/1849م[4]، وألف في هذا الجانب أيضا **ابن العنابي** كتابه " **السعي المحمود في نظام الجنود**" عام 1826؛ والذي يعتبر دعوة للنهوض الإسلامي؛ فهو من أوائل الكتب التي طرحت مفهوم التجديد في النظم الإسلامية عامة والنظام العسكري خاصة، حيث نادى بعدم الانغلاق أمام الحضارات المعاصرة، ودعا إلى تحديث الجيش وإتباع العدل والشورى، وتوفير المال، والتمسك بالأخلاق الكريمة...كأساس لقوة وكرامة الأمة الإسلامية[5]. أما **النتاج الأدبي** فقد كان محصورا في بعض **المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية ومرثيات** بعض العلماء وفي قليل من الأشعار الغزلية والمقامات والأسجاع النثرية، وكان جل النتاج وليد المناسبات مثل القصائد التي قيلت بمناسبة فتح وهران ومن أجل التحريض على فتحها أيضا[6]، ذلك أن الشعر كان شائعا، وحظي بتقدير كبير على الرغم من حالة البلاد المضطربة[7]، ذلك أن غياب الرعاية المستمرة المشجعة على الإبداع؛ ترك النتاج الأدبي وخصوصا الشعري منه بشكل كبير للهواة [8]،

---

[1]- محفوظ رموم: **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م دراسة تاريخية أنثروبولوجية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م، ص 134-138.

[2]- أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830**، المرجع السابق، ص 110.

[3]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 227.

[4]- عباس كحول: **"التراث العربي المخطوط بخزانة زاوية طولقة-مخطوط عون الأفكار الحفظية في علم المدافع والطبجية"**، الملتقى الدولي الأول: العمارة والفنون من خلال التراث العربي المخطوط، جامعة الجزائر 02، 2016/02/24، ص 2-3.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 57-84.

[6]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 62.

[7]-Faure-Biguet(G): **« Notice sur le cheikh Mohamed Abou Ras en Nasri de Mascara »**, J.A, 9eSerie, T 14, 1899, P 419.

[8]- بروس ماسترز: **المرجع السابق**، ص 141.

حيث كانت القرون الثلاثة التي سبقت الاحتلال الفرنسي؛ من الناحية الأدبية والفنية؛ تكاد تكون عقيمة[1]. لذلك كانت الحركة الأدبية أشد ضآلة وأندر وجودا، ذلك أن الأدب الممتاز قد أصبح شاذا وأشد شذوذا النبغاء فيه، وعلى رأس هؤلاء نجد **أبو العباس أحمد المقري** صاحب "**نفح الطيب**"، و**الحاج أحمد بن عمار الجزائري** صاحب " **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**"؛ كونهما قد جمعا علما غزيرا ودراية واسعة النطاق، وموهبة وقادة، وشهامة فذة[2]، بالإضافة إلى الشيخ **أحمد بن قاسم البوني** صاحب "**الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**"؛ الذي كتب في فن المقامات؛ ومن أعماله مقامته الموسومة بـ:"**إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار**" التي دونها عام 1106هـ/1694م؛ وبعث بها إلى صديقه في مدينة الجزائر **مصطفى العنابي**؛ شاكيا فيها من أزمة حلت به وبصديقه جراء وشاية البعض بهما إلى الباشا؛ مستجدا بصديقه للتدخل في صالحه لدى الداي[3]، و**لأبي راس الناصري**(1735-1822م) عدة شروح أدبية منها شرحه على مقامات الحريري الذي سماه" **الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية**"[4]، وله في الشعر الملحون شرحا سماه" **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**"؛ التي جعل لها سبع شروح أولهم:"**الدرة الأنيقة**"[5]، دون أن نغفل عن ذكر مفتي السادة المالكية الشاعر **أحمد بن عمار**(1119- 1206هـ/1707م-1791)؛ صاحب "**نحلة اللبيب**"، الذي كان من بين الشعراء الذين اشتهروا بنظم الموشحات والقصائد المديحية، حيث كان لابن عمار ديوان في المدائح النبوية بعضه موشحات وبعضه قريض(**شعر موزون مقفى**)[6]، وقد عاصر ابن عمار العالم الأديب بعاصمة الجزائر الشيخ **محمد بن محمد بن سيدي بن علي**، وكانت بينهما مودة خالصة؛ حيث وصفه بخاتمة الشعراء العظام في الصقع[7]، وبالأديب البارع، أديب العلماء وعالم الأدباء محيي طريقة لسان الدين ابن لخطيب[8].كما أن مقاومة الاحتلال الإسباني طيلة قرون؛ شحذت قرائح الكتاب والشعراء الجزائريين؛ الذين تسابقوا إلى تخصيص فتح وهران بعدة تآليف؛ حيث خصوا الفتح الأول الذي وقع سنة 1119هـ/ 1708م في عهد باشا الجزائر محمد بكداش؛ وخليفته الباي **مصطفى بوشلاغم**؛ بعدة تآليف وملاحم منها "**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**" لمحمد بن ميمون، وكتاب "**بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر**" للشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، أما الكتاب الذين خصصوا تآليفهم للفتح النهائي عام 1206هـ/ 1792م على عهد محمد بن عثمان؛ نجد المؤرخ محمد أبي راس الناصر في تأليفه "**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**"، ومحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي في "**الرحـلة القمرية في السيرة المحمدية**"، وأحمد بن سحنون في "**الثغـر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**"[9].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **دراسات في الأدب الجزائري الحديث**، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 32.

[2]- محمد بن عبد الكريم: **المقري وكتابه نفح الطيب**، المرجع السابق، ص 42-44.

[3]- أبو القاسم سعد الله:"**إعلام الأحبار مقامة لأحمد البوني**"، مجلة الثقافة، العدد 58، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، أوت1980، ص 35-43.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، المرجع السابق، ص 177.

[5]- أبو راس محمد الناصر: **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، تح وتق أحمد أمين دلاي، CRASC، وهران، الجزائر، 2007، ص 03.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، المرجع السابق، ص 247.

[7]- عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق**، ص 201.

[8]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 126، 170.

[9]- أحمد بن سحنون الراشدي: **المصدر السابق**، ص 13-14.

إن ظاهرة التقليد هذه جعلت الإنتاج العلمي يختلف من علم لآخر، فالعلوم التي تحتفظ على الحفظ كان إنتاجها غزيرا؛ أما العلوم التي تحتاج إلى سعة أفق واطلاع ثقافي واسع، واستقلال عقلي كبير مثل التفسير، فقد ندر فيها الإنتاج، ومع ذلك فقد اشتهر عدد من العلماء في التفسير ذلك العصر؛ مثل **عبد القادر الراشدي القسنطيني، ومحمد الزجاي وشيخه ابن لؤلؤ**[1]؛ بيد أن أعمال هؤلاء المشايخ في ميدان التفسير لم تكن في الواقع سوى شروح لسابقيهم؛ ذلك أن الغالبية اشتهرت بتدريسه لا أكثر، فقد كان الشيخ **مصطفى بن عبد الله البوني** يدرس في حلقته تفسير " **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**" للشيخ عبد الرحمن الثعالبي[2]، وحتى الذين اشتهروا بالتأليف **كأبي راس**؛ فإن تآليفهم لم تتعد كونها منقولات عن شيوخ سبقوهم إما مشافهة أو من تقاييدهم[3].

وقد حاول بعض الفقهاء تكسير هذا الجمود الفكري، ونشطوا في ميدان التأليف والعمل على الاجتهاد في استنباط الأحكام القضائية، وشرح الأصول القضائية على غرار **أبو العباس أحمد الغربي** الذي ألف شرحا لرسالة الخليفة "عمر بن الخطاب" والتي سماها:"**فتح الملك الوهاب بشرح رسالة عمر بن الخطاب**"، وعمل فقهاء آخرون على عدم الاكتفاء بالعمل بمذهب واحد كعبد الكريم "**الفكون**" و"**أحمد المقري**"و"**يحيى الشاوي**"و "**أحمد بن عمار**"و"**عبد القادر الراشدي**"و"**ابن العنابي**"، وكان بعضهم حريصا على طلب الجديد في العلوم والمعرفة الدينية وما بلغه العلماء في الأمصار المجاورة[4]، وهناك من أرجع سبب قلة إنتاج الجزائريين، إلى أن عددا من العلماء الجزائريين فضلوا الاستقرار في الدول الإسلامية، وعدم العودة إلى بلدهم، مما حرم أبناء وطنهم من الاستفادة من معارفهم والانتفاع بها[5]، ومن هؤلاء الذين آثروا الاستقرار في ديار الغربة خاصة بالمشرق كمصر والحجاز والشام؛ نجد **أحمد المقري** صاحب نفح الطيب، **ويحيى الشاوي، وعيسى الثعالبي** وغيرهم، وقد تركت هذه النخب العلمية بهجرتها فجوة عميقة[6]؛ أدت إلى تردي الحياة الثقافية والدينية في الجزائر خلال العهد العثماني. والملاحظ أن العلوم السائدة بالجزائر في هذا العهد؛ لا تتجاوز نطاق الشرعيات وعلوم اللغة؛ أي علوم الدين والتصوف، وعموما فإن العهد العثماني في الجزائر عرف الركود الثقافي شأنه شأن بقية البلاد العربية، فلم تكن هناك حركات تجديد فكرية ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوربية[7]؛ نتيجة عدم أخذ الدولة العلية بأسباب التطور والتقدم الحضاري؛ رغم نداءات العديد من العلماء في العالم العربي والإسلامي[8]، كما أن تقلص الحياة العلمية وعدم اهتمام بعض الحكام بالعلماء؛ عائد إلى غلبة روح التصوف على الحركة الثقافية التي صاحبها تغييب العقل؛ وشيوع التقليد والمختصرات والشروح على الحواشي واجترار ما أنتجه الأولون من مصنفات؛

---

[1]- أحمد بحري: "**ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني**"، المرجع السابق، ص 257-258.

[2]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 235.

[3]- أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830**، المرجع السابق، ص 109.

[4]- محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014-2015، ص 270.

[5]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، المرجع السابق، ص 437.

[6]- محمد أوجرتني: **المرجع السابق**، ص 350.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 159.

[8]- لخضر بوطبة: **محاضرات في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2023، ص 107.

كسمة تميز العهد العثماني، وهو ما أدى إلى هجرة هؤلاء الأعلام إلى المشرق ومختلف الحواضر العلمية في كل من المغرب وتونس[1]، حيث توافدوا على المراكز التعليمية المختلفة.

04-المؤسسات التعليمية والثقافية بالجزائر العثمانية:

على الرغم من الاختلاف الذي طبع مواقف الباحثين حول سياسة البايلك الثقافية خلال الفترة العثمانية والتي انطبعت إجمالا باللامبالاة، وعدم الاهتمام بمناحي التعليم في مختلف مراحله؛ إلا أننا لا نعدم وجود مؤسسات ثقافية وهيكل تنظيمي للمنشآت العلمية، موارد وقفية لتسييرها، كان وراءها جهد الأهالي الذين عملوا وفق إمكاناتهم على توفير حد من التعليم[2]، وتنوعت المؤسسات الثقافية؛ انطلاقا من الوظيفة التي أسندت إليها، وحسبما تتطلبه الظروف وتقتضيه عوائد السكان، وتمثلت هذه المؤسسات في:

أ-الكتاتيب:

تمثل الكتاتيب وحدة من وحدات التعليم الابتدائي، حيث كانت منتشرة في القرى والمدن، وفي جميع الأحياء[3]، حيث بلغ عدد الكتاتيب القرآنية بالقطر الجزائري خلال الفترة نحو ثلاثة آلاف كتاب قرآني أو "مسيد" كما يسمى في اللهجة الجزائرية[4]؛ يرتادها الأطفال في سن السادسة؛ حيث يتعلمون القراءة والكتابة، ولا يستخدمون الورق للكتابة، ولكنهم يستخدمون لوحا صغيرا أو رقيقا مربع، ويمكن مسح ما تمت تدوينه عليه بسهولة[5]، وقد خصصت في الأصل لاستظهار كتاب الله، وهي أول وسيلة يتلقى فيها الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي، وغالبا ما تكون هذه الكتاتيب في أضرحة الأولياء والمساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس[6]، ووظيفتها تحفيظ القرآن للأطفال وترتيله لهم، وقد دعت الحاجة إلى تأسيسها من أجل تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم، والاحتفاظ بنقاوتها وطهارتها ووقارها، ليجد فيه المصلون والمتعبدون جو الخشوع المطلوب في العبادة، وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة، وأحيانا مجمعات من البيوت، والأغلبية من تأسيس حفظة القرآن الكريم؛ يزدحم عليها الأطفال ذكورا وإناثا من مختلف الأعمار، يفترشون الحصائر والسجاجيد على الأرض وهي موجودة في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة، ويطلق عليها في الجزائر الوسطى اسم " **المسيد**"[7]؛ هذا بالنسبة للحضري، أما البدوي فيسميها " **الشريعة**" أي محل تعليم الشريعة، وهو عبارة عن خيمة ممتازة وسط الحي البدوي تخصص للتعليم، وتتمثل مهمة الكتاب في تحفيظ القرآن كما تقدم، إلى جانب تعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، وعادة ما يتراوح عدد مريديه ما بين 15 و20 طفلا يواصلون الدراسة به من 3 إلى 4 سنوات، ومن يرغب في مواصلة الدراسة يبقى لسنوات أخرى من أجل تعلم وحفظ القرآن عن ظهر قلب، أما طريقة التعليم المتداولة فلا تعدو أن تكون تمرين للذاكرة على الحفظ وشحذ حاستي السمع والبصر، والتدريب على

---

[1]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 57.

[2]- محفوظ رموم:**"حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830"**، مجلة الحقيقة، العدد 27، جامعة أدرار، الجزائر، ديسمبر 2013، ص 203.

[3]- أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 18.

[4]- محمد المختار اسكندر: **المدية بين القديم والحديث**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007 ص 43-44.

[5] - Shaw (Thomas): **Op.cit**, P 77.

[6]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 58.

[7]- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 199.

صناعة الخط والزخرفة[1]، فالكتاتيب القرآنية كانت تعد شعبا متعلما محصنا ومحافظا على خصوصيته العربية الإسلامية ومقاوما لسياسة التمسيح المسلطة على الشعوب الإسلامية في العصر الحديث[2]، وقد تفاجأ **الأب بواريه L'Abbé Poiret** الذي قدم إلى الجزائر عام 1785م؛ عندما وجد في أحد **الدواويير بالشرق الجزائري جهة القالة؛ مدرسة، وازداد عجبا عندما وجد المعلم رجلا ضريرا، وفي خيمة هذا الأخير يجتمع مجموعة من الأطفال من كلا الجنسين يتعلمون القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ووازدادت حيرته عندما رأى هذا المعلم يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب**[3].

ب–المساجد:

تعتبر مظهرا من مظاهر الثقافة، فإلى جانب كونها أماكن للعبادة فإنها ملتقى لحلقات الدرس والعلم وتبادل المعرفة وتدريس العلوم الدينية كالفقه والعقيدة والأصول والتفسير والحديث؛ بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية التقليدية المرتبطة بتأدية الصلوات وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية، وتعريف شؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية[4]، وقد اختلفت أهمية المساجد بحسب جغرافية وجودها؛ وأهمية أحباسها، وقد استحوذت مساجد المدن الكبرى على هذا الدور، لذلك فإن الجوامع الكبرى في عواصم البايليكات استحوذت على الأدوار الرئيسية دينيا وعلميا وتنظيميا، حيث اتخذت مقرا للمجالس الشرعية، ومقرا للإفتاء المالكي والحنفي، ومركزا للمناظرات الدينية والحلقات العلمية لكبار المدرسين[5].

وعن دور المسجد يقول الأستاذ **أبو القاسم سعد الله:" المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب. وكان المسجد أيضا هو الرابط بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون جميعا في بنائه كما كانوا جميع يشتركون في أداء الوظائف فيه"**، وينقل الشيخ **عبد الرحمن الجامعي** في رحلته المسماة " **التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق**" صورة عن الحركة العلمية بمدينة الجزائر خلال القرن 18م، إذ يقول: "...**مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة...**"[6]، وكانت أغلب المساجد تتوفر على مكتبات موقوفة على طلبة العلم والأساتذة؛ تحتوي على مضان في مختلف الفنون؛ وشتى صنوف المعارف؛ من ذلك **مسجد الشيخ محمد السنوسي** بتلمسان، الذي خص بمكتبة وقفية تضم: **نسختين من صحيح البخاري**، وأربعة أسفار من كتاب **الشيخ إبراهيم الشبرخيتي** في الحديث، وسفر من **كتاب الخرشي** وهو شرح على مختصر خليل في الفقه المالكي، وكتاب **التنبيه الكبير في سفرين** "في اللغة"، ومؤلف **سيدي الملالي** في العقيدة "**شرح الملالي على**

---

[1]– العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 62.

[2]– أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 19.

[3]- L'Abbé Poiret **: Voyage en Barbarie**, T1, Op. Cit, P 63.

[4]– يحيى بوعزيز: **"أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"**، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 7، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، جوان 2005، ص 43.

[5]- محفوظ رموم: **حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500–1830**، المرجع السابق، ص 208.

[6]– ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 55.

عقيدة السنوسي"، وسفرين من كتاب **سيدي العروسي** في التصوف[1]، ويتحدث البرتغالي **ماسكارياس** الأسير في مدينة الجزائر 1621-1627م؛ عن العاصمة التي كانت تضم أكثر من 110 مسجدا، جميعها جيدة البناء ونظيفة...يوجد من بينها ثمانية مساجد كبيرة بمنارات عاية؛ على عكس المساجد الصغيرة التي لا تحتوي على منارات[2]، ويذكر **فونتير دوبارادي Venture de Paradis**؛ أنه يوجد بمدينة الجزائر لوحدها خلال القرن 18م اثني عشرة جامعا وعدد من المساجد الصغيرة، أشهرها الجامع الكبير المالكي، والذي يضم مفتيان وقاضيان أحدهما مالكي والآخر حنفي؛ يجتمعون كل يوم خميس للبت في القضايا الهامة التي تعرض عليهم والتي لا يمكن الفصل فيها في المحاكم، ويتقاسمون الإرث، وهذا الاجتماع-التجمع-يعرف باسم المجلس الشريف[3]؛ في حين أشار **ديفولكس** أنه يوجد في مدينة الجزائر عشية الاحتلال عام 1246هـ/1830م **ثلاثة عشر جامعا كبيرا ومائة وتسعة مسجدا، واثنتان وثلاثون قبة واثنا عشر زاوية، فمجموع ما فيها من المؤسسات الدينية بناء على ما ذهب إليه 176 مؤسسة مخصصة للعبادة**[4].

أما في قسنطينة؛ فقد تحدث **الورثيلاني** الذي زار قسنطينة في القرن 18م، عن مساجدها؛ فذكر أنه فيها نحو خمسة جوامع خطبة وأن بعضها كان متقن البناء"**ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان**..."[5]، وفي عنابة أيضا التي كانت فيها 37 مسجدا[6]، أشهرها جامع **سيدي أبي مروان** وهو أقدمها (شيد في القرن 11م)؛ يمثل المذهب المالكي، و**الجامع الجديد** الذي يمثل المذهب الحنفي أي المذهب الرسمي؛ وقد شيده **صالح باي** بقلب المدينة الجغرافي سنة 1792[7]، كما اشتهرت بجاية بمساجدها القديمة والحديثة؛ على غرار **الجامع الكبير** الذي أمر ببنائه **مصطفى باشا** سنة 1212هـ/1797م، أما في تقرت فقد بنى **إبراهيم بن أحمد بن جلاب** سنة 1220هـ/1805م جامعا واسعا جلب له الرخام من **تونس**[8]، ويعد مسجد **سيدي المبارك** المعروف كذلك **بالجامع الكبير** و" **جامع الجمعة**" في خنقة سيدي ناجي الذي بناه الشيخ **محمد بن الطيب** من أهم المراكز العلمية بالمنطقة، يعود تأسيسه إلى سنة 1147هـ/ 1734م[9]، بالإضافة إلى ما كان من المساجد في وسط وغرب البلاد، حيث يذكر **مارسيل امريت** أنه كان بتلمسان في آخر العهد العثماني خمسون مسجدا أغلبها صغيرة جدا[10]، ومنه تتبين لنا أهمية المساجد البالغة كأماكن لها حرمة وقداسة في الوسط المجتمعي؛ حيث أضحت تؤدي ادورا مختلفة، فإلى جانب كونها فضاءات للعبادة-ممارسة الشعائر- كانت منارات للتربية والتعليم والتوجيه؛ والنصح والإرشاد.

---

[1]-Brosselard (Ch): **«Les inscriptions arabes de Tlemcen»**, In. R.A, Vol 05, Alger, 1861, P 323.

[2]- جواو كرفالو ماسكارياس: **المصدر السابق**، ص 82.

[3]- Venture de Paradis : **Op.cit**, P 215-216.

[4]-Albert Devoulx : **« Les édifices religieux de L'ancien Alger »**, In R.A, Vol 06, Constantine, 1862, P 372.

[5]- الحسين الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج3، المصدر السابق، ص 353.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 249.

[7]- سعيد دحماني: **عنابة فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 1983، ص 73-74.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 249.

[9]- كريمة بن حسين: **المرجع السابق**، ص 106.

[10]-Mercel Emerit: **L'Algérie à L'époque D'Abd-El-Kader**, Editions Larose, Paris, 1951, P 82.

ج–الزوايا:

تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة، حيث أنيطت بمهمة تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين إلى معرفة العلم والمعرفة؛ خاصة بالأرياف، وهذا ما سمح لها بالقيام بوظيفة تعليمية؛ إضافة إلى وظيفتها الدينية[1]، ومنها الحرة التي لا تنتسب إلى ولي أو إلى طريقة؛ ومنها التي تنتسب إلى ولي فيكون بها ضريحه في الغالب، ومنها التي تنتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية كالرحمانية والطريقة القادرية، وقد انتشرت الزوايا في بداية العهد التركي في الريف، بالإضافة إلى الزوايا التي كانت قائمة في المدن؛ والتي استحدثت بها خلال هذا العهد، ولكن زوايا المدن لم تكن لها أهمية زوايا الريف[2]، ولربما هذا ما دفع البعض إلى القول أن الزوايا انتشرت في الأرياف؛ في مقابل انتشار المساجد والكتاتيب في المدن، وقد اختلفت المصادر في الأرقام المقدمة حول عدد الزوايا، والسبب في ذلك يعود إلى التداخل بين مفهوم الزاوية والضريح والرباط [3]، وكانت الزاوية المرابطية تتمتع بحصانة ضد اللصوص وغارات البدو مما جعل المسافرين يأوون إليه؛ا ويأتمنون شيوخها على أموالهم، والزاوية بالجزائر كانت تقوم بعدة وظائف، أبرزها: العبادة، والتعليم، وإيواء الطلاب الفقراء والأغراب، وكذا المسافرين وعابري السبيل[4]، والعاصمة مثلا كانت تضم عددا من الزوايا القديمة والحديثة؛ كزاوية سيدي **أحمد بن عبد الله الزواوي**، وزاوية سيدي **عبد الرحمان الثعالبي**، و**زاوية الأندلسي**، وكانت **العاصمة** تضم مراكز للتعليم العالي؛ وصفها "**لوبوشو**" بالزوايا، وكان الطلاب يفدون إليها من شرق القطر الجزائري ومن غربه، بالإضافة إلى طلاب مدينة الجزائر[5]، دون أن ننسى **زاوية القشاش** التي تأسست عام 1162هـ/1768-1769م، والتي كانت بمثابة مؤسسة دينية متميزة يشرف عليها وكيل، حيث كانت مأوى للعلماء والطلبة، وأحيانا ملاذا للفارين، ومدرسة عليا؛ وقد كان لهذه المؤسسة أستاذ مكلف بإعطاء دروس في الشريعة، بالإضافة إلى عشرة قراء للقيام ببعض القراءات المنصوص عليها– كأوراد– التي تندرج في إطار الأسس الدينية التي تقوم عليها الزاوية[6].

وتعتبر زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية؛ ومن أهمها في ميدان التعليم ونشر التعليم: زاوية **سيدي راشد** التي يقصدها الطلاب من النواحي المجاورة والبعيدة، وزاوية **الشيخ محمد التواتي** ببجاية التي خرجت أجيالا من المتعلمين، وكانت تضم أكثر من مائتي طالب، وزاوية **الأزهري بآيت اسماعيل** التي اشتهرت بنشر التعليم، و**زاوية ابن علي الشريف بأقبو**، وكذلك **سيدي منصور بآيت جناد**؛ دون أن ننسى زوايا **عبد الرحمان اليلولي**، و**أبي القاسم بوجليل**، و**ابن أبي داود**، و**محمد السعدي** الواقعة نواحي دلس[7]، وكان في تلمسان وضواحيها أكثر من **30 زاوية** في أواخر العهد العثماني؛ أشهرها زاوية **عين الحوت**[8]، وزاوية **مجاجة** ذات الشهرة، وعن أهمية زاوية

---

[1]– ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 58.

[2]– العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 63.

[3]- محفوظ رموم: **حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500–1830**، المرجع السابق، ص 211.

[4]– العيد مسعود:"**المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، العدد 10، جامعة قسنطينة، أفريل 1988م، ص 07.

[5]– العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 63.

[6] - Devoulx (Albert): « **Les édifices religieux de L'ancien Alger** », In R.A, N° 10, OPU, Alger, 1866, P 53.

[7]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** (**1500–1830**)، ج1، المرجع السابق، ص 265-266.

[8] -Mercel Emerit: **Op.cit**, P 13.

الشيخ محمد بن علي المجاجي؛ يقول **أبو حامد العربي المشرفي**:" **كانت زاوية الشيخ سيدي محمد بن علي معدة لإقراء الضيفان ولمن يجاهد في سبيل الله....فمجاجة دار علم وعمل تصيح على العلماء وأهل الخير صياح البقرة على عجلها، تجبى إليها نفائس السلع أهلها مهذبة أخلاقهم، كثيرة أقواتهم وأرزاقهم، إحسانهم غطى على إساءتهم...**" [1]، ونجد في قسنطينة على عهد **صالح باي 13 زاوية**[2]، وبلغت حسب بعض الإحصاءات **16 زاوية** منها ما كان تابعا للعائلات الكبيرة بالمدينة مثل: زاوية **أولاد الفكون** وزاوية **ابن نعمون** وزاوية **أولاد جلول**[3]، في حين يذهب الباحث **قايد Gaid** بالقول أن بها من المؤسسات الدينية قرابة المائة (100) مركز ما بين مسجد وزاوية وجامع ومدرسة[4]، وكانت **الزاوية الناصرية** بالخنقة؛ بجامعها الكبير ومدرستها، هي التي أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد، وكانت موئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزواوة بل وتونس وطرابلس أيضا[5]، وغيرها من الزوايا التي أدت أدورا هامة في ميدان التعليم ونشر الدين وتوطيد العلاقات الاجتماعية، والملاحظ أن النظام الداخلي للزاوية– الذي فاق نظم المدارس الداخلية الحديثة– وضع لكل مقام آدابا وقواعد تحكمه، كما حدد العلاقات بين الطلبة بعضهم ببعض، وبينهم وبين المشرفين عليهم؛ أو الأجانب عن الزاوية، هذا بالإضافة إلى أنه حرص على تحديد العقوبة لكل نوع من أنواع المخالفات[6]؛ وهذا النظام الداخلي يعكس لنا مقدار الجدية والصرامة للحفاظ على حرمة هذه الأماكن؛ وتحديد المسؤوليات وطبيعة العلاقات.

والحقيقة أن معظم الزوايا في عصر الانحطاط غلب عليها طابع الزهد، وأخذت منحى تعبديا صوفيا؛ فزادت عزلتها وانغلقت على تراثها الذي أصبح يتوالد داخليا، واكتفت بالبساطة في الأداء والسطحية في التفكير، كما أن شهرة الزوايا التعليمية ارتبطت بشهرة مدرسيها، وإقبال طلبة العلم عليها من الداخل والخارج[7]، ومع ذلك لعبت الزوايا الدينية بمختلف أشكالها وأنواعها أدورا كبيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، فقد اهتمت بتحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة، واحتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتها بشكل واسع ومكثف، كما عملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع، وإزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة؛ فقربت بين الأغنياء والفقراء والعلماء والأميين، ولعبت دورا بارزا في إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية بفضل مركز شيوخها ومقدميها ووكلائها، وكانت بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم والنسخ والنقل والتأليف[8]، فأصبحت الزاوية بهذه المواصفات بمثابة

---

[1]– أبو حامد العربي المشرفي: **ياقوتة النسب الوهاجة**، دراسة وتح بن عمر حمدادو–العربي بوعمامة، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 323.

[2]-Berbrugugger(A): **«Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine»**, In R.A, N° 12, O.P.U, Alger, 1868, P 130.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 264–265.

[4]-Mouloud Gaid: **chroniques des Beys de Constantine**, Op.cit, P 131.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 271.

[6]– العيد مسعود: **المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 25.

[7]– محفوظ رموم: **حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500–1830**، المرجع السابق، ص 212.

[8]– يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، المرجع السابق، ص 203–204.

مجمع متعدد الخدمات، فهي المسجد والمدرسة والملجأ والمأوى والمزار، الأمر الذي جعلها محور الحياة الروحية والثقافية وحتى الاجتماعية في الوسط الريفي[1].

د–المدارس:

هي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس، ولا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية مثل: قسنطينة، الجزائر، بجاية، وهران، تلمسان، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة المسافرون[2]، وفي هذا السياق نجد العلامة **أبي راس الناصر** يعرف المدرسة؛ في معرض حديثه عن المؤسسات التي بناها الباي محمد بن عثمان؛ إذ يقول:"**المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه...ومدرستي إبني الإمام...والقشاشية في الجزائر والمحمدية بأم عسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران والمؤلف في مسيرة فتحه لها هذا الكتاب**"[3]، ومن أشهر المدارس التي أسسها الباي **محمد بن عثمان** بالغرب الجزائري؛ **المدرسة المحمدية** والتي كان لها صدى واسع في العالم العربي والإسلامي؛ والتي تعتبر أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد، وهي التي حلاها **ابن سحنون الراشدي** بقوله:" **المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها...**"[4]، كما أسس **صالح باي** في قسنطينة مدرسة **سيدي الأخضر** الملاصقة للمسجد المسمى بهذا الاسم عام 1193هـ/1779م، كما شيد مدرسة **سيدي الكتاني** سنة 1190هـ/ 1776م لتعليم مختلف الفنون، وجعل لمدرسة **سيدي لخضر** نظاما خاصا محكما[5]، دون إغفال مدرسة **مازونة** التي تأسست في القرن 11هـ/17م التي اكتسبت شهرة علمية، ولعبت دورا رائدا في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية، حيث كانت قبلة لطلبة العلم؛ وفي هذا يقول **أبو راس الناصري:" ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها سافرت إليها" [6].**

وقد تحدث **فونتير دوبارادي Venture de Paradis** في القرن 18م عن وجود ثلاث جامعات لتعليم الفقه المالكي بالجزائر العاصمة لوحدها [7]، ورغم أن الجزائر لم يكن بها "**جامعة**" إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة؛ غير أن دروس جوامعها كانت تضاهي؛ بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين للتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم[8]، وتلعب المدارس في المدينة نفس الدور الذي تلعبه الزوايا في الريف، ويختلف التلاميذ إلى عدد منها لاستكمال دراستهم، وهي تزود الدولة بما تحتاج إليه من قضاة ومفتين وغيرهم من الموظفين، ويعين المدرسون فيها من طرف الداي باقتراح من مدير الأوقاف، والكثيرون منهم يجمعون بين وظيفة التدريس

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **في الهوية والانتماء الحضاري**، طبعة خاصة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 128.

[2]– ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 59.

[3]– أبو راس الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المصدر السابق، ج1، ص 188.

[4]– ابن سحنون: **المصدر السابق**، ص 136.

[5]– عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق**، ص 219.

[6]–أبو راس محمد الناصر: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 43.

[7]- Venture de Paradis : **OP.cit**, P 216.

[8]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 273.

والإفتاء والقضاء، ولا يختلف التعليم في المدارس عن التعليم في الزوايا، ولا يختلف منهاج الدراسة في الزاوية عنه في المدرسة أو المسجد، فقد كان طلاب هذه المؤسسات يدرسون علوم القرآن، والحديث، والنحو، واللغة، والفقه، والتوحيد، ويستكملون هذه الدراسات بتعلم الحساب، وقراءة المؤلفات الطبية لابن سينا [1]، ويقر الشيخ **المهدي البوعبدلي** أن التعليم كان منتشرا في المدن والقرى، وهو وإن لم يكن يخضع لقوانين رسمية؛ فإنه يخضع للعادات والتقاليد، وكل طالب ذي كفاءة يمكنه أن ينتصب للتدريس؛ فيجمع عددا من الطلبة ببعض المساجد أو المساكن؛ يتولى تموينهم السكان، ويعقد سنويا ختما يدعى لحضوره أعيان السكان وفي طليعتهم الفقهاء[2]، وقد اشتهرت بعض المدارس بعلوم معينة، فقد عرفت مدرسة مازونة بالفقه، وبعض زوايا زواوة بالقراءات ومدرسة قسنطينة والخنقة بالنحو[3].

ومع ذلك نجد أن التعليم في عمومه ارتكز على الحفظ الاجتراري لعدد معين من المتون صيغ معظمها في شكل منظومات لتسهيل عملية الاستظهار، ورغم ذاتية الثقافة وانتشار التعليم التقليدي في المدن والقرى كما يذهب إليه **الشيخ البوعبدلي**؛ إلا أن طرق التعليم لم تتطور وكانت تفتقد إلى الوسائل التعليمية العلمية[4]، ولعل هذا الانتشار؛ هو ما دفع السيد **ميشال هبار** " **Michel Habar**" إلى القول في كتابه "**تاريخ نكث العهد**"؛ أن غالبية الجزائريين والجزائريات كانوا عشية الاحتلال الفرنسي للبلاد عام 1830؛ يجيدون القراءة والكتابة[5]، ويعود الفضل في ذلك إلى بقاء التعليم حرا بعيدا عن سيطرة الدولة وسطوة الحكام، حيث كان سكان كل قرية ينظمون بطرائقهم الخاصة ووسائلهم الذاتية تعليم القرآن الكريم والحديث والعلوم العربية الإسلامية، لأن دراسة هذه العلوم هي السبيل الوحيد إلى معرفة جوهر الدين وفهم الكتاب والسنة[6]، وفي هذا السياق يتوقف **عبد اللطيف بن اشنهو** عند الجهاز الايديولوجي المدرسي عند احتلال البلاد؛ مشيرا أن للقبائل وفي المدن نظام مدرسي مستقل عن الرقابة التركية تدير شؤونه أوقاف التنظيمات الدينية "الزوايا"، وكان هذا النظام يتمتع بفعالية ملحوظة، وأن عدد التلاميذ الذين يتابعون الدروس السنوية وصل إلى **2000–3000 تلميذ**؛ في حين بلغ عدد من يتابع دروس **القانون** أو **الدين** ما بين **600–800 طالب**[7].

هـ–المكتبات:

كانت المكتبات على نوعان عامة وخاصة؛ **أما العامة** فهي المكتبات الملحقة بالمؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم لجميع قراء المسلمين، فقد كانت الجوامع؛ وخصوصا جوامع الخطبة تحتوي على خزائن الكتب الموقوفة على الطلبة والعلماء، ويذهب الشيخ **البوعبدلي** أن خزائن الكتب بالجزائر تضاهي أعظم وأشهر خزائن العالم الإسلامي[8]، ويشير المؤرخ **أبو القاسم الزياني** في **الترجمانة** أنه لما نزل بتلمسان عثر

---

[1]– العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 65.

[2]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المرجع السابق، 204–205.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 350.

[4]– لخضر بوطبة: **المرجع السابق**، ص 108.

[5] - Michel Habart: **Histoire d'un parjure**, les éditions de minuit, Paris, France, 1960, P 54.

[6]– بسام العسلي: **الجزائر والحملات الصليبية**، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص 165.

[7]– عبد اللطيف بن اشنهو: **تكون التخلف في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 39–40.

[8]– ابن سحنون: **المصدر السابق**، ص 61.

فيها على تآليف منها **تاريخ البلاذري** في ستة أسفار، وتاريخ **سليمان بن إسحاق المطماطي**، و**هاني بن يصدور القوصي**، و**كهلان بن أبي لؤي الأوربي**، وكلها في تاريخ وأنساب البربر، و**تاريخ العقباني** في دولة بني زيان، و**تاريخ ابن مرزوق**، وكتاب **واسطة السلوك في سياسة الملوك** الذي ألفه السلطان أبو حمو موسى الزياني[1]، ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة **الجامع الكبير بالعاصمة**، ومكتبة **المدرسة الكتانية** التي أسسها **صالح باي** بقسنطينة، ومكتبة **المدرسة المحمدية** التي أسسها الباي **محمد الكبير** في معسكر[2]، حيث كانت مكتبة ضخمة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات، وكان لا يكتفي بالمخطوطة الواحدة في خزانته، بل يأمر بنسخ عدة منها لتكون في متناول أيدي المثقفين [3].

لقد كان السعي حثيثا لزيادة رصيد المكتبات بمختلف عناوين المظان والمصنفات، حيث حفظت لنا وثيقة تعود بتاريخها إلى عام 1052هـ/1642م قيمة الكتب التي اشتراها متولي أوقاف الجامع الأعظم الشيخ **سعيد قدورة** والمقدرة بستمائة دينار، وأيضا نسخة من **صحيح البخاري الخروبية** ابتاعها من تركة المرحوم **محمد بن علي الخروبي** في عشرين سفرا مكتوبة بالذهب بسبعمائة دينار، وهذا من جملة أموال محبسة على الجامع المذكور استغلها المشار إليه في شراء كتب وأملاك وإقامة بناء بعض الأماكن وقد بلغت التكاليف في مجموعها: 15 ألف دينار[4]، وفي الجنوب يتحدث **عبد الرحمن التنلاني**(ت.1817م) عن خزائن **كتب الإباضية** التي رآها **بوادي ميزاب** في طريق رحلته إلى الجزائر العاصمة عام 1816م، إذ يقول:" **وعندهم خزائن من كتب علمهم، طالعت البعض منها**"[5]، ويقول **بول قافاريل**"**Paul Garffarel**" أن أهل قسنطينة كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات حيثما وجدت، وقد وجدت فرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة عام 1837م نحو 17 مكتبة خاصة تحتوي على 14000 مجلد[6]، أما عن **الخاصة** فيبدو أنها كثيرة؛ يعود أغلبها إلى البيوتات العلمية ذات الشهرة، فقد تحدث أحد الباحثين عن وجود كتب كثيرة في الزاوية **البكرية بتوات**[7]، وأيضا مكتبة **ابن العنابي** بمدينة الجزائر، وهي مكتبة ضخمة ورثها عن آبائه وأضاف إليها مقتنيات من عنده، وكان يعلق على الكتب التي يملكها ويكتب حواشي في أطراف الصفحات منبها أو ناقدا أو مصححا[8]، ومن أشهر **المكتبات الخاصة** بقسنطينة مكتبة الشيخ **سيدي حمودة** أحد أبناء **عائلة الفكون** المتأخرين؛ التي كانت تضم 2500 مجلد، أما مكتبة **باش تارزي** فكانت تحوي نحو 500 مجلد[9]، كما احتفظ رجال

---

[1]- أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 144.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م**، ج1، المرجع السابق، ص 296.

[3]- أحمد بن هطال التلمساني: **المصدر السابق**، ص 27.

[4]- **أ.و.ج: سجلات المحاكم الشرعية، العلبة: 123، الوثيقة رقم: 26.**

[5]- عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي الجزائري: **الرحلة إلى الجزائر العاصمة**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 240.

[6]- Paul Garffarel **: l'Algérie**, Imprimerie De L'institut, Paris, France, 1883, P 123.

[7]- محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 108.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775-1850**، المرجع السابق، 24.

[9]-Français Laloé : **A propos de L'incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les arabes « les manuscrits arabes de Constantine ».** In R.A, N° : 66, Constantine, 1925, P 106.

العلم والأمراء بالكتب أكثر مما يحتفظون بغيرها، حيث وقف **العياشي** في طريق رحلته الحجازية عام 1072هـ/ 1661م على **خزانة أمير ورقلة** الذي لا يمنع من أراد الدخول إليها؛ فدخلها العياشي ووجد بها نحو أربعين سفرا، من جملتها " **التوضيح**" " **التتائي**" و" **بهرام**" وحواشي على **صغرى السنوسي**[1]، كما تحدث **الورثيلاني** عن مكتبة جده "...**وكانت عنده خزانة عظيمة، بحيث لا توجد عند غيره، ولما سلط عليهم الوباء ولم يبق إلا ولدان صغيران ضاعت الكتب**"[2]، وكانت **لأبي راس** مكتبة كبيرة حبسها عليه أحد بايات وهران وسماها " **بيت المذاهب الأربعة**" [3].

05-المراكز العلمية المستقطبة للتونسيين خلال العهد العثماني:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تراجعا في المستوى الثقافي، غير أن ذلك لم يمنع التونسيين من التنقل إلى الجزائر والنهل من المراكز العلمية المنتشرة بها والاحتكاك بالعلماء، وقد شهدت هذه المراكز تبادلا ثقافيا بين الجزائريين والقادمين إليها من تونس، ومن هذه الحواضر العلمية نذكر:

*** تلمسان:**

حظيت تلمسان بأهمية كبيرة كمركز ثقافي بالجزائر خلال العهد الزياني، حيث كانت محط أنظار العلماء والمفكرين وطلاب العلم والمعرفة؛ للتعلم والتعليم في مدارسها الناهضة ومساجدها الجامعة، حيث استقطبت مدارسها العلمية؛ عددا لا يحصى من عمالقة الفكر والأدب والثقافة والمعرفة[4]، ويبدو أن الحاضرة عرفت تراجعا كبيرا خلال العهد العثماني في المجال الثقافي بسبب اضطراب الأوضاع السياسية- النزاع الإسباني العثماني؛ ثم العثماني الزياني- التي غيرت الكثير من الأمور بالحاضرة نظرا لهجرة العلماء منها وتراجع عدد الداخلين إليها والطالبين للعلم به[5]، فقد عرفت تلمسان خلال القرن 10هـ/16م تدهورا اجتماعيا وثقافيا؛ دفع العديد من عائلاتها العلمية إلى الهجرة كما هو الحال مع عائلتي الونشريسي والمقري، ولم تستعد المدينة نظارتها العلمية التي كانت تتمتع بها خلال القرنين 14و15م؛ حيث ظلت خلال العهد العثماني مهزومة تعاني التذمر والفقر[6].

*** الجزائر:**

عرفت المدينة أجمل أيامها خلال العثماني، وبلغت مستوى من التحضر نتيجة لامتزاج المدنيات التي انتقلت إليها مع مختلف الأجناس التي سكنتها، وشهدت إبان هذا العهد أكبر اتساع عمراني، وامتازت بكثرة طلابها وغنى مكتباتها[7]، حيث أصبحت مهوى أفئدة العلماء والصالحين والدراويش من كل صنف رغبة في العلم والجاه والمال والوظيفة[8]، فقد لقبها **التمجروتي** في النفحة؛ **باستانبول الصغرى**؛ إذ يقول:" **مدينة عامرة كثيرة الأسواق...فيها المسجد الجامع**

---

[1]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج1، ص 72.

[2]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 180.

[3]- أبو القاسم **سعد الله**، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص297.

[4]- يحي بوعزيز: **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، وزارة الثقافة-بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 7-08.

[5]- عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص 158-159.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 176-177.

[7]- زهراء النظام: **المرجع السابق**، ص 391.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، المرجع السابق، ص 201.

واسع إمامه مالكي وفيها ثلاث خطب أحدها للترك إمامهم حنفي...أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اسطنبول الصغرى وطلبة العلم لا بأس بهم إلا أن حب الدنيا وايثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم كثيرا والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا"[1]، وحلاها الأديب **أحمد ابن عمار**(1709-1791م) مفتي السادة المالكية بالجزائر في رحلته الحجازية بقوله :" **محروسة الجزائر التي هي ريحانة القاطن وسلوانة الزائر...**"[2]، وقد تحدث **عبد الرحمان الجامعي الفاسي** الذي زار الجزائر خلال القرن هـ11/ 17م عن مدينة الجزائر في رحلته وما حوته من علماء؛ شبههم بأدباء المغرب، وقال أن مشايخها متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث وإحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث[3]، حيث أضحت الجزائر بشهرتها؛ وكثرة علمائها مزارا للطلبة وقبلة لناهلي للعلم.

إلى جانب الأهمية السياسية التي تكتسيها الجزائر كحاضرة خلال العهد العثماني؛ فقد كان لها حضور كمركز ثقافي، ومن المحفزات التي أهلتها لذلك وجود حوالي عشرين جامعا ومسجدا بالمدينة نهاية القرن العاشر (16م)، وذلك عدا الزوايا والقباب، ومعظم هذه الجوامع والمساجد بني منذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، منها: **جامع السيدة، جامع القشاش، الجامع الأعظم** الذي يرجع إلى العهد المرابطي وهو مقر المفتي المالكي...وغيرها [4]، ويشير **فانتور دوبارادي** في هذا السياق – في خضم حديثه عن مدينة الجزائر خلال القرن 18م- إلى وجود مساجد كبرى، منها 12 جامعا بها منابر ومآذن؛ والعديد من المساجد؛ أهمها **الجامع الكبير المالكي**، بالإضافة إلى ثلاث جامعات تدرس الفقه المالكي[5]، وفي مستهل القرن 19م كانت مدينة الجزائر تضم 100 كتاب (مدرسة ابتدائية)، وكان علماؤها يعيشون في يسر مادي ويتمتعون باحترام الناس، أما منطقتها فقد كانت تنتشر فيها 299 مدرسة يتلقى التعليم فيها حوالي 5583 طالب، أما البليدة فيوجد بها 24 زاوية[6].

***زواوة:**

كانت منطقة زواوة مركز إشعاع للعلم والمعرفة، ومنبعا ثريا للعلوم الإسلامية، ويرجع السبب في ذلك إلى ازدهار الحضارة بشمال إفريقيا عموما وفي منطقة الزواوة خصوصا، وقد ساعد على ذلك أيضا وجود بجاية الشهيرة بمعاهدها ومدارسها بالمنطقة، وازدهار العلوم خاصة الدينية منها على أيدي العلماء المصلحين أمثال الشيخ **محمد بن عبد الرحمان القشتولي** مؤسس الطريقة الرحمانية، و**عبد الرحمان اليلولي** والشيخ **أعراب** والشيخ **أحمد أومالك** و**سيدي منصور الجنادي**..وكان اهتمام هؤلاء العلماء وأمثالهم كبيرا بإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على العقيدة الإسلامية بالدفاع عنها، وبناء المساجد والأضرحة والزوايا وتحبيس الأحباس التي تخدم هذه الأغراض، وبنوا لذلك الكتاتيب وغيرها من المؤسسات الدينية، وركزوا في تعليمهم على القرآن الكريم حفظا وتفسيرا، وتخرج على أيديهم طلبة كثيرون من سكان

---

[1]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 90.

[2]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 90.

[3]- عبد القادر نورالدين: **المرجع السابق**، ص ص202-203.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، المرجع السابق، ص 504.

[5]- Venture De Paradis : **Op.cit,** P 215-216.

[6]- أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات**، المرجع السابق، ص 119.

المنطقة وغيرهم من الطلبة والوافدين إليها من المناطق الأخرى طلبا للعلم[1]، كما اشتهرت منطقة زواوة كذلك بتدريس القراءات وعرفت بالحذق في هذه المادة حتى أنها كانت مقصودة للعلماء للإتقان والبراعة[2]، لذا حظيت زواوة بأهمية كبيرة كمركز ثقافي خلال العهد العثماني، وقد ساعد انتشار الزوايا في الجبال والقرى بمنطقة القبائل بأن جعلها مقصدا لكل متعطش إلى العلم قبل العهد العثماني وأثناءه[3]، حيث كانت مقصد الطلبة ليس من مناطق الجزائر فقط؛ بل حتى من تونس وطرابلس والمغرب الأقصى ومصر [4]، وقد تحدث **عبد الحي الكتاني** عن أهمية إحدى الزوايا المتواجدة بالمنطقة وهي **زاوية أقبو** بقوله:"...**هي من أهم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زواوة وما والاها**"[5]، حيث عرفت بلاد القبائل بثلاث مراكز علمية شهيرة لقرون، وقد امتاز بعضها بالتخصص في القراءات؛ حيث كان كثير من العلماء يشدون الرحال إلى بلاد القبائل لأخذ علم القراءات[6].

*** قسنطينة:**

اكتسبت قسنطينة شهرة واسعة في المجال الفكري منذ العهد الحفصي، فقد ذكر **ابن قنفذ** أن الأمراء كانوا يقدرون العائلات العريقة والعلماء ووجهاء القوم ويحترمونهم[7]، وتواصلت هذه الأهمية على العهد التركي مع توفر للمدارس والكتب والمكتبات؛ حيث أضحت المدينة قبلة لطلاب العلم داخل البلد وخارجه، وخاصة من بلد زواوة والجزائر العاصمة وميلة، ومن المغرب الأقصى وتونس يرتادون الزوايا ويأخذون العلم عن مشايخ قسنطينة[8]، وما زاد في ذيوع شهرتها كحاضرة فكرية؛ اشتهار هيئتها العلمية بين المغاربة؛ حيث ذاع صيت بعض علماء قسنطينة خارج حدود الجزائر، ومن هذه الشخصيات عمر الوزان، عبد اللطيف المسبح، أحمد المسبح، عبد الكريم الفكون وغيرهم من العلماء[9]. لقد كانت المدينة خلال الفترة العثمانية منارة علمية تشع بمجالسها ومراكزها العلمية والتعليمية، وكانت الزوايا والمساجد الأعظم على وجه الخصوص؛ بالإضافة إلى بيوت الأعيان التي تجتمع بها مجالس العلم والتصوف؛ أهم المؤسسات التعليمية، والملاحظ أن الثقافة العلمية التي كانت تحظى بها جعلت منها مشكاة جاذبة للهجرة العلمية كانت محلية، ولم يغترب أحد من العلماء من أجلها إلى الخارج؛ بالعكس كانوا يذهبون إلى مصر والقدس وبلاد الشام والحجاز للتدريس، ويؤسسون بها مجالس[10]،

---

[1]- محمد سي يوسف: "**نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني**"، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ص 196.

[2]- أبو القاسم **سعد الله**، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص20.

[3]- محند آكلي آيت سوكي، **تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها في مختلف الجوانب الحياتية-من القرن 10-13هـ/16-19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2006-2007، ص23.

[4]- Mahfoud Kaddache**: Op.cit,** P 178.

[5]- الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1982، ص1001.

[6]- المهدي البوعبدلي: **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 521.

[7]- ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تق وتح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 165.

[8]- حسين بوخلوة: **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988-1073هـ، / 1580-1663)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008-2009، ص 49.

[9]- عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص161-162.

[10]- كمال فيلالي:"**الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفكون علامة العصر**"، أعمال الملتقى العلمي الأول حول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، ماي 2008م، ص 17-18.

لقد ظلت قسنطينة على عهد الأتراك؛ كما يذكر **بول قافاريل Paul Garffarel** عاصمة دينية وأدبية، وكانت فئة العلماء تتمتع بالسيادة والنفوذ التام، كما أنها كانت عاصمة تعج بعدد كبير من الطلبة يغترفون العلوم من خمسة وعشرين مدرسة...حقا كانت مبعث نور الجزائر، تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم[1]، وكانت الحياة الثقافية مزدهرة حيث بلغ عدد المساجد الكبرى بالمدينة خمسة والجوامع الصغيرة 70، بالإضافة إلى 13 مدرسة قرآنية؛ استحدث لها الأتراك نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة، ويخضع له العاملون بأماكن الدرس والعبادة حتى تؤدي دورها الثقافي والتعليمي على أحسن وجه، كما يعود لهم الفضل في تنظيم إدارة الأحباس ورعاية الأوقاف العامة[2]، أما ضواحيها كانت هناك عشرات المؤسسات العلمية الجادة، كما انتشرت مجموعة من الزوايا يديرها مربطون ذوو نفوذ أشهرها زاوية **مولاي طرفة** وزاوية **بن علي الشريف**[3].

*** معسكر:**

تمثل معسكر إحدى قلاع العلم والثقافة والجهاد في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وشيدت في المنطقة التي تدعى بالوطن الراشدي لسهل غريس الكبير، والتي كانت تعرف سابقا بقلعة هوارة وهو الاسم القديم لقلعة بني راشد[4]، حيث تبوأت— بعد أن أضحت الراشدية منارة علمية خلفا لتلمسان– مكانة اعترف لها بها علماء بلاد المغارب، حيث كانت منبع علم التوحيد أيضا؛ باعتراف كل من ألف في الفن المذكور من علماء تلمسان والمغرب الأقصى من بينهم **أحمد المقري التلمساني**[5]، وقد استقطبت عددا كبيرا من العلماء والفقهاء وقادة الجهاد وكبار المقاومين ضد الاحتلال الإسباني لوهران، وبرز بها كتاب وشعراء وأئمة في التشريع وأدباء ومحدثون سخروا كل امكاناتهم؛ وجهودهم الفكرية للحث على الجهاد، وعائلات توارثت العلم والوظائف العلمية كالقضاء، والإفتاء، والإمامة، والخطابة، والتدريس، ومن بينها؛ **عائلة الخروبي، عائلة المشارف، عائلة أبي راس الناصر، عائلة الشيخ مصطفى** وابنه **محيي الدين** ...وغيرها، وفي هذا الوطن الراشدي من العلماء من العلماء والصلحاء ما لا يعلمه إلا الله[6]، وقد زاحمت البوادي المدن وقمم الجبال المدن العلمية، وكان كثير من علماء العواصم يلتحقون بمعاهد البوادي مثل علماء الجزائر؛ بالنسبة لمعهد **مجاجة (بالشلف حاليا)** الذي تخرج منه **سعيد قدورة** المفتي المالكي المشهور بالعاصمة، وشيخه المفتي المطماطي الذي سبقه في ولاية الإفتاء بالعاصمة،كما اشتهرت معاهد خاصة بالقراءات في وادي بجاية كان كثيرا ما يلتحق بها الطلاب من قسنطينة، وحتى من تونس كمعهد **ايصولا** الذي تخرج منه العالم **أحمد برناز** التركي أستاذ القراءات بالزيتونة، كما امتازت الجزائر بظهور مدرسة فقهية نالت شهرة والتحق بها الطلاب من بلاد المغرب وبالخصوص من فاس، وهذه المدرسة هي **مدرسة مازونة** التي لا تزال تحتفظ ببيوت طلبتها ومسجدها بعد الاحتلال، وقد لفظت أنفاسها في أوائل الحرب

---

[1]- Paul Garffarel: **Op.cit**, P 123.

[2]– محمد الهادي العروق: **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 81.

[3]– أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات**، المرجع السابق، ص 119.

[4]– علي بن العيفاوي: **مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2008-2009، ص 108. البوعبدلي: ص 138.

[5]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 170.

[6]– يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 228-229.

العالمية الثانية[1]. لقد كانت تلمسان، معسكر، مازونة من المراكز العلمية الهامة التي استقطبت الكثير من الطلاب الذين أظهروا ميلا كبيرا للدراسة بها [2]، حيث كانت **مازونة** مركزا حضاريا ومعلما ثقافيا لقرون، فهي من المدارس التربوية التي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء خلال العهد العثماني، لخاصيتها القائمة على تدريس الفقه الملكي ومجموعة من العلوم الدينية والدنيوية المختلفة، فكانت تقارن حسب بعضهم بالمعاهد العليا في فاس وتونس ومصر والشام والحجاز؛ لما كانت تزخر به من علماء وأساتذة ذاع صيتهم في المغرب والمشرق، كما ساهمت في بعث الحركة العلمية في الغرب الجزائري لشهرتها التي بلغت عنان السماء؛ فكانت مقصد العديد من الطلاب، ويعزى هذا إلى كثرة المؤسسات الثقافية والدينية المنتشرة بها كالمساجد والجوامع والمدارس والزوايا، وهو ما جعلها مركز إشعاع علمي، وقد اكتسبت **مازونة** شهرة علمية منذ تأسيسها، ولعبت دورا رئيسيا في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ليس على الصعيد المحلي فحسب؛ بل على نطاق واسع من القطاع الوهراني وأحوازه، حيث أنها استقطبت لمدة طويلة عددا كبيرا من الطلبة الذين جاءوا إليها من مختلف قرى ومدن الغرب الجزائري؛ وحتى من المغرب الأقصى طلبا للعلم[3].

*** خنقة سيدي ناجي:**

أصبحت الخنقة مع نهاية الحكم العثماني مركزا ثقافيا نشيطا وقلعة من قلاع العلم والمعرفة، يؤمها الطلبة من كل حدب وصوب؛ تتحلق فيها حلقات الدروس من شيوخ وعلماء أجلاء؛ وما زاد في سمعتها علو شأن مشيختها وذيوع صيتها ورفعة مقامها، وهو في هذا السياق يتحدث **المجاجي** في رحلته الحجازية عن صاحب الخنقة؛ إذ يقول: " **رئيس زمانه أبو الحسن بن ناجي صاحب الخنقة له في بلاد الزاب صيت ومحفل عظيم من الأعراب**"[4]، وقد أشاد **محمد الطيب الفاسي** في رحلته بمشايخها على غرار الشيخ البركة **أبو محمد عبد الحفيظ بن الطيب** وأخيه الفقيه المشارك **أبو عبد الله محمد**، وجماعة من أولاد الشيخ عبد الحفيظ وجملة وافرة من أهل جواره، وقال عن زاويتها: " **زاوية سيدي ناجي المشهودة في تلك الأرض بين هؤلاء الأعراب**"[5]، وقد تحدث **الناصري** عن خنقة سيدي ناجي وزاوية ابنه سيدي عبد الحفيظ مريد الشيخ ابن ناصر ومحبه؛ التي لا زال أهل زاويته يقرؤون إثر الحزب **سيف النصر** (على كل ذي بغي ومكر للشيخ **محمد بن ناصر** ؛(وهي قصيدة من 58 بيتا)[6]، ويذكر **الإسحاقي** أن بعض طلبتها لهم مشاركة في العلم ولا سيما الفقه[7]، وقد وصفها **الورثيلاني** بأنها قرية طيبة مباركة، لها فضل عظيم في إظهار العلم، اشتهرت بالنحو والفقه والحديث خصوصا مختصر البخاري، ولكن أهلها ابتعدوا عن دراسة علم الكلام (التوحيد والمنطق)؛ " **أولاد سيدي ناجي، قد حازوا المعالي من قديم الزمان، وقد وجدت كثيرا من الفضلاء منهم في محلهم، كسيدي**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهديالبوعبدلي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 191.

[2]-Faure-Biguet(G): **Op.cit,** P 419.

[3]- جلول دواجي عبد القادر:"**أضواء على مدينة مازونة الجزائرية ومدرستها خلال العهد العثماني في الجزائر**"، مجلة جيل العوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: 70، مركز جيل البحث العلمي، لبنان، 2020، ص 40-47.

[4]- عبد الرحمن بن خروب المجاجي: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1564، ص 8.

[5]- محمد الطيب الفاسي: **رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، دمشق، سوريا، 2014، ص 102.

[6]-محمد بن عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص 241.

[7]- أبي محمد الشرفي الإسحاقي: **المصدر السابق**، ج1، ص 295.

محمد بن الطيب...فإن النحو عندهم يعتني به الكبير والصغير؛ حتى اشتهروا به اشتهارا بينا. وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة"[1]؛ إلى جانب بعض الحواضر الصحراوية على غرار **بسكرة** ونواحيها والتي اشتهرت بجامع **سيدي عقبة** التاريخي و**بضريخ خالد بن سنان**[2]، بالإضافة إلى 56 زاوية يؤمها مئات من التلاميذ؛ زيادة على معاهد بسكرة وسيدي عقبة وطولقة التي كانت على جانب من الأهمية[3]، و**عين ماضي**(الأغواط) التي كان أهلها جميعا طلبة أي أنهم من المشتغلين بالعلم، كما تجدر الإشارة إلى **ميزاب** وأهلها الذين ظلوا محافظين على طابع مدينتهم الإسلامية العتيقة؛ وعلى مذهبهم الإباضي رغم وجود بني جلاب **بتقرت**؛ المعروفة **بجامع تماسين**[4].

ثانيا–الأوضاع الثقافية في تونس خلال العهد العثماني

إن التقهقر الذي عم كل شيء في آخر الدولة الحفصية قد أصاب في جملة ما أصاب؛ الحياة الفكرية والمؤسسات التي تستند إليها، ومن مظاهر عقم النشاط الفكري في تلك الفترة إعراض الناس عن العلوم غير الدينية وإحجامهم في العلوم الدينية عن الاجتهاد، واستفحال أمر الطرق وسيطرتها على الناس سيطرة لا تتطلب إلا مستوى متواضعا من الحياة الفكرية [5]، ويعزى هذا الركود والتراجع في الحياة الثقافية إلى الصراع الدائر بين الإسبان من جهة والأتراك من جهة أخرى، وما سبقه من صراع بين أفراد الأسرة الحفصية؛ ما كان له الأثر الكبير على الحياة الفكرية، فقد طمست الحروب معاهد العلم والأدب؛ وشردت العلماء والأدباء فتفرقوا في الآفاق[6]، وتحول هذا التراجع الذي سببته الفتن وتدهور الحياة السياسية والاقتصادية إلى نكسة مع الاحتلال الصليبي، فقد زاد التدخل الإسباني المسيحي في البلاد في تأزم الفكر التونسي، إذ أتى الاحتلال الإسباني على الأخضر واليابس حيث نتج عنه:

♦ القضاء على كثير من معالم المدينة الحضارية بتقويض القصور وهدم البناءات والدور وحمل الذخائر والكنوز مثل سواري جامع الزيتونة.

♦ حرق المخطوطات والمؤلفات المحفوظة بجامع الزيتونة وإتلافها والعبث بها، اذ اصطبغت هذه الغزوة بروح عنصرية وكراهية شديدة للمسلمين؛ ورغبة تنصير أهالي البلاد[7]، إذ جاء في **مذكرات خير الدين** واصفا الآثار المترتبة– من حرق لخزائن الكتب وإتلاف للمصنفات وتخريب لمراكز العلم– عن الاحتلال الإسباني لتونس عام 1535م ؛ قوله: « **عندما اقتحمها الصليبيون...خربوا المساجد والمدارس والمقابر ونهبوا محتويات القصور، كما قاموا بحرق آلاف المخطوطات والكتب التي كانت تزخر بها مكتبات تونس، فقضوا بذلك على شتى أنواع العلوم والفنون**

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 251-255.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 181.

[3]– أحمد بحري: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات**، المرجع السابق، ص 119. ص 119.

[4]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 181-182.

[5]– أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17م و18 و19م**، تر: أحمد عبد السلام، عبد الرزاق الحليوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، قرطاج، تونس، 1993م، ص 22.

[6]– أحمد بن القاضي: **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1986، ص 204.

[7]– أحمد الطويلي: **في الحضارة العربية التونسية**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1988، ص 07.

النادرة»[1]، حيث قام الإسبان بتهديم المدارس والمساجد والجوامع ومزقوا وأحرقوا الكتب القيمة والنادرة[2]، فقد بددوا ما كان يوجد من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية التي أصبحت أثرا بعد عين، وتجددت عمليات التخريب والنهب مع كل حملة، ففي أعقاب موقعة 1573م ودخول محمد بن الحسن إلى القصبة رفقة الإسبان؛ عاث الجنود في البلاد، إذ يقول ابن أبي الضياف: « **وربطوا خيولهم بجامع الزيتونة واستباحوا ما به من المدارس العلمية ومن الكتب وألقوها في الطرقات يدوسها العسكر بخيولهم وهذا السبب في قلة تآليف الفحول من هذا القطر، فإنها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة** »[3]، وهو ما يشير إليه ابن أبي دينار بقوله:« **في تلك الأيام أهين المسجد الأعظم، نهبت الكتب التي به، وديست بأرجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين وتبددت في الشوارع حتى قيل إنّ المار شرقي الجامع – حيث النواوريين الآن– إنما يمر على الكتب المطروحة هناك** »[4]، فبادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع الأعظم إلا بعض نسخ من صحيح الإمام البخاري، وأمسى العلم بتونس كشمس على مغيب[5]. لقد اتسمت هذه المرحلة –كما يشير الأستاذ **الحبيب الهيلة** في مقدمة **كتاب الأجوبة**–بالاضطراب مع تجدد الهجمة النصرانية الإسبانية، حيث عرفت البلاد ضعفا في المد الحضاري، وانكماشا في العلم وإنتاجه، حيث قل عدد العلماء والمثقفين ولم يبق من علماء البلاد الإفريقية إلا العدد النزر من الطبقة الرابعة من تلاميذ المدرسة الفكرية والفقهية التونسية التي لمعت فيها نجوم ابن خلدون وابن عرفة والبرزلي والأبي، وذهب مجد هذه المدرسة وانطفأ نورها، ولم يبق منها غير شمعات معدودة تحاول مصارعة الزمن وظلماته بدخول شارلكان لجامع الزيتونة وتبديد مكتبات، ومن بين الشمعات المشعة في المجتمع التونسي نجد أسماء أعلام منهم: **أحمد العيسى** و**أبو الفضل البرشكي** و**محمد بن منصور الجبالي** و**أبو الحسن النفاتي**، وأشهرهم **أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عظوم** مؤلف كتاب الأجوبة[6].

وقد نجم عن ذلك أيضا تفرق العلماء والأدباء والشعراء وهجرة البعض منهم إلى المدن الداخلية أو إلى خارج البلاد صوب المشرق والمغرب؛ منهم **جار الله أبا عبد الله بن خروف** و **أبا الفتح بن عبد السلام الخروبي** وهم من ألمع شعراء عصرهم، فانجر عن ذلك ضياع الثقافة التونسية وأفول نجم الآداب بتونس[7]، وأشار **الشيخ النيفر** بأن القرن **16م** امتاز بتقهقر العلم وضعف شأنه، حيث امتحن كثير من أهل العلم بالنفي والإبعاد[8]، ومن هؤلاء العالم **محمد مغوش** الذي نفاه خير الدين لخوفه منه لما ملك تونس[9]، والشيخ **أحمد العيسى** الذي نفي إلى طرابلس الغرب ومات بها سجينا، لذلك قلّ في هذا القرن التفنن والتخصص في العلوم، وقلت التآليف العلمية؛ ولم يكن فيه اعتناء بتدريس الكتب العالية

---

[1]– خير الدين بربروس: **مذكرات**، المصدر السابق، ص 178.

[2]– عزيز سامح الترّ: **المرجع السابق**، ص 118

3 ـ ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، المصدر السابق، ص 21.

4 ـ ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 166.

[5]– محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 299

[6]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، ج1، المصدر السابق، ص 08.

[7]– أحمد الطويلي: **المرجع السابق**، ص 20.

[8]– محمد البشير النيفر: "**تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة**"، المجلة الزيتونية، مج1، ج1، تونس، سبتمبر 1936 م، ص 554.

[9]– ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 154.

بل كاد العلم ينقطع من البلاد[1]، وهذا ما دفع الكثير من المراقبين أمام تراجع المؤسسات العامة والدينية؛ وانحطاط مستويات التعليم؛ إلى القول أن تونس أضحت خالية من كل ملامح الثقافة[2]، ومع ذلك فإن الثقافة التونسية في عمومها ستعرف انتعاشا؛ خلال الفترة المرادية والحسينية؛ متأثرة في ذلك بثلاث تيارات رئيسية هي:

أ-التيار التونسي (المحلي):

إن دخول العنصر الأندلسي إلى إلى تونس جعلها وارثة العلوم الأندلسية؛ غير أنه لم يثبت فيها من علومهم إلا ما ناسب حالة المدينة في هذه الأقطار[3]، وقد ارتبط التيار الأندلسي بالأسر العلمية العريقة التي اشتهرت ببيوتات العلم بالإيالة التونسية، إذ يكفي أن يشتهر عالم من علمائها ليكسب لنفسه ولعائلته الحظوة والمكانة لدى السلط الحاكمة، ولدى الأوساط الشعبية؛ وتستمر عقب ذلك الشهرة مدة على حساب المنزلة العامة، وقد مثل هذا التيار التونسي الأصيل عائلات[4] نذكر منها؛ عائلة الرصاع التلمسانية التي تعد من أعرق عائلات الحاضرة التونسية، التي احتكرت مناصب دينية ردحا من الزمن، حيث توارث الأبناء والأحفاد الإرث العلمي النفيس عن الأجداد، ونبع من هذه النخبة علماء أفذاذ لهم قدم راسخة في المعارف، فتربعت العائلة على عرش العلم والفقه والقضاء بتونس لعدة قرون طيلة الفترة الحديثة، و قال عنها ابن أبي الضياف:"**ولبيت الرصاع في هذه الحاضرة مجد أصيل وفخر أثيل**"[5]، وقد وصفها **حسين خوجة** بقوله "**وهم دار كبيرة**"[6]، وقال عنها أحمد برناز في مؤلفه "**أهل بيت قديم ببلدنا**"[7]، أما المؤرخ الشيخ الصغير بن يوسف فقد نعتها بـ" **بيت كبير**"[8]، وقد تناوب أفراد هذه العائلة إمامة جامع الزيتونة مدة طويلة ومن أشهر علمائها **أحمد الرصاع**، وكذلك **محمد حمودة الرصاع** الذي درس بجامع الزيتونة وتولى النيابة بالمحكمة الشرعية، وقد خلفت عائلة الرصاع **عائلة البكري** التي قامت بنفس الدور[9]، حيث اشتهرت بإسناد إمامة الجامع الأعظم إليها لمؤسسها **تاج العارفين** صهر الشيخ **أبي الغيث القشاش** الذي اشتهر بالعلم والذي تولاها عام 1034هـ/ 1624م، وعائلة **فتاتة** وعميدها الشيخ **فتاتة** الذي أرجع للإفتاء المالكي مكانته في العهد المرادي[10]، وعائلة **الشريف** التي جمعت بين شرف الانتساب والعلم والفضل والصلاح؛ ومن أشهر أبنائها: العالم الشريف **أبو العباس أحمد الشريف(ت. 1092هـ/ 1681م)** خامس إمام من عائلته بجامع دار الباشا[11]، واشتهرت عائلات أخرى كعائلة **العامري، والغماد والسويسي،**

---

(1). محمد البشير النيفر: **المرجع السابق**، ص 554.

2- E. Guellouz et autres **: Op.cit,** P 117.

3- محمد الطاهر بن عاشور: **أليس الصبح بقريب، أليس الصبح بقريب**، ط2، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2007، ص 75.

4- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 39.

5- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 168.

6-حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 221.

7- أحمد برناز: **الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة**، تقديم وتحقيق الطاهر المعموري، ط1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1990، ص 182.

8-الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 230.

9- محمد الأزهر الغربي: **المجال في المغارب بين التاريخ والذاكرة**، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2015، ص 30.

10- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 40.

11- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 55.

والمصراتي والنفاتي، كما برز علماء في عدة ميادين نخص بالذكر منهم: **محمد قويسم** صاحب " **سمط اللال**"، **ومحمد سعادة** مؤلف "**قرة العين**"، **ومحمد زيتونة محشي تفسير أبي السعود**[1]، ومن العائلات التي توارثت المناصب الدينية والعلمية في مدن الإيالة نجد؛ القلشاني بتونس، عائلة عظوم بالقيروان، البوراوي في سوسة، الفراتي، النوري بصفاقس...حيث أصبح لكل منطقة تتواجد بها أماكن للعبادة ومراكز التعليم أن تتباهى بوجود هذا العدد القليل من العائلات المتخصصة في هذا الميدان، والتي جمعت بين الجاه والوجاهة والعلم[2].

ب–التيار التركي العثماني:

وفد على البلاد التونسية إثر الفتح التركي؛ مع قدوم سنان باشا من الآستانة؛ وانتصاب الحكم العثماني بالإيالة عام 1574، لقد كان لهذا التيار أكبر الأثر في تلقيح الثقافة التونسية؛ حيث كانت أولى نتائج التيار الجديد هي محاولة نشر المذهب الحنفي في البلاد، لذلك استقدم الأتراك معهم عددا كبيرا من العلماء لمحاولة إدخال المذهب الجديد مؤيدين في ذلك من طرف الدايات والبايات؛ إلا أنها فشلت لضعف العلماء الأتراك القادمين، وتغلب النزعة العسكرية عليهم، وعدم وجود مراكز إشعاع لتدريس المذهب الحنفي، وهذا ما دفع يوسف داي لتأسيس مدرسته بالقرب من الجامع وإقرار رمضان أفندي مدرسا بها، ومن أشهر العلماء الأتراك خلال هذه الفترة: المولى **أحمد أفندي، أبو الحسن علي أفندي، رمضان أفندي** أول خطيب بجامع يوسف داي زيادة على توليه منصبي القضاء والإفتاء في المذهب الحنفي [3]، ومن الأسر التركية التي ذاع صيتها في سماء الحياة العلمية والإدارية، **أسرة البيارمة** التي قدمت مع سنان باشا، والتي ساهمت مساهمة فعالة في إحياء الحياة الثقافية والفكرية بعد ركود دام قرون، وأصبحت لها الحظوة والمكانة عند البايات وعين أفرادها مستشارين في المهات الصعبة والدقيقة، وقد تدخلوا في سلك الأشراف رغم أصلهم التركي، وكانت مصاهرة أفرادها للبايات سببا رئيسيا لنيلهم الجاه وتقلدهم أسمى المناصب الإدارية والتدريس بأهم المدارس والمساجد، ومن علمائها الذين ساهموا مساهمة فعالة في الحقل العلمي نجد؛ محمد بيرم الأول (ت 1800) صاحب **بغية السائل في أنفع الوسائل في تحرير المسائل**، ومحمد بيرم الثاني (ت.1831م) حجة المذهب الحنفي صاحب **الشرح على النظم في المفتين الحنفية بتونس**، وابنه الفقيه المؤرخ الشاعر محمد بيرم الثالث (ت. 1843م)، وحفيده محمد بيرم الرابع الذي تقلد خطة التدريس في الثامنة عشر سنة، وتولى رئاسة الفتوى الحنفية، ونقابة الأشراف والخطابة في عدة جوامع كجامع صاحب الطابع والجامع اليوسفي[4]. وتجدر الإشارة إلى أن التأثير العثماني لم يكن قاصرا على الإدارة والتنظيم العسكري بل تعداهما إلى ميادين أخرى من حياة الناس اليومية كالهندسة المعمارية والموسيقى والزخرفة واللباس والطبخ، وتجلى أيضا في العلوم الدينية؛ فأصبحت كتب العجم التي ألفها علماء بلاد الروم أي تركيا الحالية وعلماء الأقطار غير العربية من العالم الإسلامي معروفة في تونس تقرأ بها وتدرس، وأصبح للمذهب الحنفي منزلة كبيرة في إقامة الشعائر الدينية وفي التعليم[5]،

---

[1]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص41.

[2]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie...,** T 1, **Op.cit,** P 38.

[3]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 41.

[4]– بيرم الثاني: **شرح الشيخ بيرم الثاني على نظمه في المفتين الحنفية بتونس**، تق وتح: محمد الزاهي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص 9-39.

[5]– أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 61.

وقد أدى انتشار المذهب الحنفي إلى إحداث مؤسسات دينية تتبع المذهب الرسمي للسلطة العثمانية من جوامع ومساجد ومدارس، كما لعبت مرونة المذهب الحنفي في الوقف دورا فعالا في تسهيل اعتماد الحبس؛ لدعم حركة التعمير والبناء[1]، وكان لتأثيرهم الفني والمعماري أهمية لا تقل عن تأثيرهم الثقافي والمذهبي؛ مما أعطى صبغة جديدة لفن البلاد ومعمارها، وقد تجلت هذه التأثيرات بوضوح في العمارة الدينية المتمثلة في الجوامع[2]؛ على غرار أجمل معالم تونس وأبهاها؛ **جامع يوسف داي، وجامع يوسف صاحب الطابع**، كما أحدث العثمانيون بعض الإصلاحات والتعديلات المرتبطة بممارسة الشعائر وفق المذهب الحنفي، منها خاصة تعويض المنبر الخشبي بآخر رخامي، وإقامة محفل للخواجات أو المؤذنين الأتراك[3].

ج–التيار الأندلسي:

لم يكن الحضور الأندلسي جديدا على البلاد التونسية، فقد كانت هجرة الأندلسيين في تواريخ مختلفة، حيث تسرب التيار الأندلسي منذ العهد الحفصي، وشجعه وسهله أبو زكريا الحفصي الذي جلب العديد منهم لمحاولة زرع شخصية إفريقية مناوئة للتأثير المغربي[4]، فتكونت بها من أيام الحفصيين جالية أندلسية امتازت بثقافة أفرادها من جهة وبإتقان عدد من الصنعات الحضرية الرفيعة من جهة أخرى[5]، أما بالنسبة للهجرة الثانية التي وقعت في العهد التركي مع صدور قرار الطرد عام 1609م، وقد حرص معظم المهاجرين على الابتعاد عن السياسة، وانصرفوا إلى العلم، حيث برز منهم الكثير من العلماء: أمثال **محمد الحجيج، سليمان الكفيف**، والمتصوف **منصور النشار**، والنحوي **أبو ربيع سليمان**، والشيخان **محمد** وابنه **عبد القادر ابن عاشور**[6]، حيث شارك العنصر الأندلسي في النشاط الثقافي بالبلاد التونسية وقوي دورهم فيه ونصيبهم منه، ولذلك نجد النسبة الأندلسية مذكورة في العديد من تراجم فقهاء الفترة[7]، وقد تعاون الوافدون الجدد مع النخب الثقافية الموريسكية مزدوجة اللغة التي كانت قادرة على الإنتاج الثقافي باللغتين العربية والإسبانية؛ وأيضا **"الأعجمية"** أو **الآلخميادو** على حد سواء، حيث ألفت الكتب باللغتين العربية والإسبانية وترجمت مؤلفات إلى اللغتين ذاتها أيضا وفي عدة مجالات؛ من بينها الدينية والعلمية والعسكرية، ومن أشهر هؤلاء الأشراف الأندلسيين **عبد الرفيع بن محمد الشريف الحسيني الجعفري المرسي الأندلسي** الذي وضع تأليفا في مهجره بتونس حول آل البيت ونسلهم سماه" **الأنوار النبوية في آباء خير البرية** "[8]، وتحت تأثير الموريسكيين الأندلسيين فإن الإيالات

---

[1]– أحمد السعداوي: "**جوامع عثمانية في بلاد المغارب دراسة في صلة المركز بالأطراف في مجالي العمارة والفنون**"، مجلة السبيل، العدد 03، تونس، 2017، ص 02.

[2]– محمد بن مامي: "**جوامع مدينة تونس في العهد العثماني دراسة تاريخية وفنية ومعمارية**"، المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب، مج1، العدد 1، جامعة القاهرة، مصر، 2000، ص 105.

[3]– أحمد السعداوي: "**العمارة والفنون في العصر الحديث**"، من كتاب: **تونس عبر التاريخ** لمجموعة مؤلفين، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 243.

[4]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 41.

[5]– أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 37.

[6]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 42.

[7]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون**، المرجع السابق، ص 39.

[8]– فوزي سعد الله: **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، ج1، المرجع السابق، ص 296-297.

العثمانية قد عرفت ابتداء من القرن 17م؛ قوة دفع فلاحية ذات أهمية خاصة، وقد أكد الرحالة الأوربيون الذين جابوا القرى والمدن الأندلسية هذا التأثير؛ ونوهوا بجمال وروعة بساتين وحقول الفاكهة والخضروات، كما نوهوا بصفة خاصة بعبقرية توزيع المياه وإقامة الجسور في المناطق التي تكثر فيها الأمطار وتحبيسها وتوزيعها في فضاء مجردة بشكل خاص، وكمثال على هذا الاختراق الاقتصادي فإن صناعة الشاشية التي أدخلها الموريسكيون الأندلسيون إلى إيالة تونس؛ عرفت تطورا مدهشا جدا في هذه الفترة الزمنية، وهذا إلى درجة أن علماء الحملة الفرنسية بقيادة نابليون الأول؛ قد انتبهوا إلى هذه التجارة المربحة للشاشية التونسية بمصر العثمانية[1]، لقد استطاع الحضور الأندلسي أن يفرض نفوذه في **البلاط والإدارة، وأن يغير وجه البلاد في بعض الأحيان بصفة حاسمة في الكثير من الميادين؛ خصوصا في المجال الثقافي عامة، حيث كان تأثير هذه الجالية في هذا المجال أهم وأشمل مما كان عليه في المجال السياسي**[2]، وإلى جانب هذه التيارات هناك تيارات أخرى: **التيار المشرقي** الذي استجلبه العلماء التونسيون عند سفرهم للمشرق من أجل الحج أو طلب العلم، وهناك تيار **مغربي تصوفي**، وأغلب الذين استقروا بتونس وحملوا حملها حسب عباراتهم أصلهم من المغرب، تجولوا في كثير من الأصقاع، وأخيرا استقر بهم المقام في تونس[3].

01-واقع الثقافة على بعض ضوء الكتابات والمصادر المحلية:

تردت الحياة الفكرية وأضحت في حالة من الجمود والسبات خلال القرن **16م**، هذا الوضع يعني أن الفراغ السياسي والفكري والذي تبلور في شكل قطيعة بين السلطة ودعائمها من جهة والمجتمع من جهة أخرى؛ قد سد بنمو الفكر الطرقي والالتفات حول الزوايا والتمسك بها في ظل غياب مرجعية فكرية وثقافية دينية أخرى؛ خاصة وأن دين النخبة كان معقدا وليس في متناول العامة، إن هذا الشكل الفكري – الديني البسيط يعكس لنا تدهور المجتمع في اتجاه البداوة[4]، ويتحدث **التمجروتي** في هذا السياق عن هذا الإهمال على عهد الدايات أواخر القرن 16م؛ أثناء حلوله بالحاضرة التونسية وزيارته للجامع الأعظم بها، إذ يقول:" **وليس في البلد من تقبل عليه النفس ويرتضيه العقل غيره**"[5]، ويصور لنا **صاحب الذيل** واقع الحياة العلمية بالبلاد التونسية في معرض حديثه عن قدوم أحد المشايخ الأعلام الحنفية **المولى أحمد أفندي** وهذا على أيام **عثمان داي**، فيقول:"...**وجد تونس إذ ذاك خاوية من العلم، فأخذ عنه جماعة منهم الشيخ محمد الغماد الكبير، والشيخ أبو يحيى الرصاع...**"[6]، أما رحّالة تونس **محمود مقديش** فيشير إلى تدهور الحياة التعليمية والعلمية؛ نتيجة إقبال الناس على الدنيا وتشبثهم بها؛ نتيجة تأثر الحياة الثقافية بالأحوال المضطربة آنذاك، وانصراف الناس عنها وانشغالهم بأمور أخرى؛ إذ يقول: « **وأحرى وأنا في بلد مطروح في زوايا الإهمال لإقبال أهله**

---

[1]- عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص 171، 197.

[2]- عبد الله إنبية المعلول: **التواصل الثقافي بين مدن إفريقية خلال الدولة الحفصية في الفترة ما بين 634-1236هـ/981-1573م**، ط1، المركز الوطني للدراسات والمحفوظات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2010، ص 125.

[3]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 41-42.

[4]- دلندة الأرقش: "**جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية في الإيالة التونسية في العهد العثماني**"، من كتاب: الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ص 86.

[5]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 27.

[6]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 167.

على تحصيل الدينار والدرهم والسعي على العيال»[1]. من الطبيعي أن يتراجع العلم وأن تفقد الحركة الفكرية نشاطها نظير ما عرفته البلاد من اضطرابات وأزمات، ولم تستعد البلاد نظارتها العلمية بارتباط تونس بالباب العالي لأسباب؛ أهمها أعجمية الأتراك الذين لم يكن لهم الحظ في تذوق الأدب العربي، وكانت استانبول عاصمة الخلافة تركية اللغة؛ بعيدة عن تذوق العربية، ما جعل الإيالة التونسية تظل ما يقرب من قرن ونصف خالية من الحياة الأدبية، ولم يقتصر الأمر على هذه الناحية بل تعداه إلى الناحية الدينية[2]، كما اتسم العهد التركي بالطابع العسكري الذي تجلى في طبقات من الجند لا صلة بينها وبين العلم؛ فكانت ضغثا على إبالة (أي بلية على أخرى)، **فذوت شجرة العلم وصار ضئيلا**، ولعل هذا ما دفع الباحث التونسي **محمد ماضور** إلى القول:" **كانت تونس قبل كارثة الاحتلال الإسباني دار علم وفقه ورثت عن فقهاء القيروان وأخلاقهم طرق استنباط الأحكام وموازنة الأدلة وضبط النصوص وتطبيقها، واختصت بطريقة في التعليم تجمع بين الفقه والتفقه انتقلت عن المازري إلى ابن عبد السلام فابن عرفة وتلاميذه...ثم انعدم العلم منها تماما عند الاحتلال الإسباني الذي استباح معاهدها وأتلف كتبها واستلحم ما بقي من أعلامها، ثم جاء الحكم التركي ممثلا في طبقات من الجند لا صلة بينها وبين العلم فكانت ضغثا على إبالة...**"[3].

ويعزى هذا التراجع أيضا إلى الوباء الجارف؛ من ذلك الفناء الأعظم سنة 1053هـ/1643-1644م **الذي استمر سبع سنين**؛ والمعروف عند أهل تونس **بوباء أحمد خوجة**، والذي أدى إلى انقطاع العلم من مدينة تونس حتى تراجعت بركته بالأمة المحمدية كما يذكر صاحب الحلل[4]، كما استأصل وباء 1100هـ/ 1688م بقية أهل العلم، بالإضافة إهمال الدولة وتحكم الجهلة الموجهين من البلاد التركية؛ ذلك أن الاستبداد بالسلطة وإهمال الدولة لجانب العلم وشدة المظالم التي غلت العقول؛ كلها كانت أسبابا لموت العلم، فقد ذكر الشيخ **محمد زيتونة** في" **حاشيته على تفسير أبي السعود**" أن جامع الزيتونة قد عطل عن إقراء العلم في أيام البكريين (أئمة الجامع) حتى كان لا يعين للإقراء إلا بعض أفراد-في بعض أوقات- بإذنهم أي البكريين[5]، بالإضافة إلى الانشغال التركي بالتنظيم السياسي والعسكري والاقتصادي دون الاهتمام بالعلم ولا بشؤونه؛ بحكم تكوين الأتراك وميولاتهم العسكرية التي لا تبعثهم على العناية بالحركة العلمية والفكرية[6]، لذلك كانت الحياة الثقافية والفكرية متخلفة للغاية في ظل غياب العناية بتعليم الشعب وتثقيفه؛ حتى أن المدارس الموجودة لا تعدو أن تكون مدارس دينية؛ تعتمد أسلوبا دغمائيا متخلفا للغاية؛ ينبني على الاجترار أو الحفظ الأعمى، ومعاداة التفكير الحر والنقد، ولم تكن الحياة الثقافية بأحسن من الحياة التعليمية؛ إذ أن انتشار الجهل ترك العلوم، والأدب والفن في حالة من التخلف[7].

---

[1]. محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج1، ص 12.

[2]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 167.

[3]- الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 13، 14.

[4]- الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج2، المصدر السابق، ص 407.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: **المرجع السابق**، ص 83-84.

[6]- علي بن محمد الصفاقسي: **العقيدة النورية في معتقدات السادات الأشعرية**، دراسة وتح: الحبيب بن طاهر، دار اليمامة للنشر والطباعة والتوزيع، تونس، 2007، ص 08.

[7]- حمة الهمامي: **المجتمع التونسي دراسة اقتصادية اجتماعية**، ط1، صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 1989م، ص 22-23.

لقد حاول الأتراك نشر المذهب الحنفي في البلاد، لذلك استقدموا عددا كبيرا من العلماء؛ سعيا منهم في إعادة بعث النشاط الثقافي من خلال المساعدة على تثبيت استقرار العلماء الأتراك بالإيالة[1]، والعمل على تسيير شؤون البلاد العامة اعتمادا على المذهب الرسمي الوافد؛ بل بلغ الأمر إلى الاعتماد عليه في رؤية الأهلة على حساب المذهب المالكي؛ حتى أن العلماء المالكية كانوا يصومون أو يفطرون سرا تلافيا مشقة تقليد المذهب الحنفي، واستمر الأمر على هذا النحو إلى عهد **حمودة باشا**(1782-1814)؛ الذي حكّم المذهب المالكي في ثبوت أهلة الشهور؛ حيث قال:" **كلهم على هدى من ربهم ورحمة، ويسعنا تقليد امام دار الهجرة، لا سيما وأهل مذهبه أكثر أهل المملكة**"[2]؛ إلاّ إن محاولة تركيز المذهب الحنفي من خلال تثبيت فئة مثقفة حنفية؛ لتعيد للفكر والعلم نشاطه في البلاد مع **سنان باشا** وإبراز رموز جديدة؛ كان يسمح بإزاحة ما تبقى من رموز العلم المحليين؛ كانت محدودة النتائج، وآلت إلى الإخفاق بسبب ضعف المستوى التعليمي لتلك المجموعة التي كانت تطغى عليها النزعة العسكرية، وأيضا بسبب عدم وجود مراكز لتدريس المذهب الحنفي[3]، وأيضا لتعلق السكان بالمذهب المالكي؛ فترتب عن ذلك إهمالهم للمراكز الدينية، على اعتبار أنها تقوم على المذهب المالكي؛ ومن ضمنها جامع الزيتونة الذي كان مركز إشعاع جاذب، فكان من مظاهر ذلك قلة العناية ببناء المؤسسات العلمية وضعف انتشار التعليم.

يمكن رصد بداية بعث متواضعة للحياة العلمية وإنهاض مرن لها من ركودها مع نهاية القرن 16م؛ بعد أن دخلت البلاد مرحلة جديدة من الاستقرار النسبي؛ من خلال السعي لنشر العلم وتيسير السبل لطالبيه في نطاق محدود جدا، فأسست مدارس؛ اقتصرت في غالبها على تعليم القرآن ومبادئ العلوم الشرعية، وكان عدد الطلبة في حدود العشرين، يتقاضى كل واحد منهم ريالين شهريا[4]؛ إلا أن البلاد سرعان ما عرفت انتعاشا واضحا للحياة العلمية والثقافية مع أوبة علماء تونس الأصليين وحراكهم إلى جانب التدفق الأندلسي على المدن الساحلية التونسية؛ مع مقدم نخب الأندلس التي وضعت عصا التسيار بالبلاد بداية القرن 17م مع صدور قرار النفي، بالإضافة إلى تشجيع الدايات والبايات بصفة رسمية التعليم والدراسات الشرعية، وبناء العديد من المراكز الدينية والثقافية كالمساجد والمدارس[5]، ومازال الأمر كذلك إلى أن هيأ الله بذرة التجديد العلمي مع الشيخ **أحمد الشريف الأندلسي**، فأخذت عنه طبقة معدودة الأفراد محدودة المواد، ولم يأت العصر الموالي حتى تعددت الطبقات، وتوفر الإنتاج، وتلاحقت الأعلام الذين أخذ عنهم **الوزير حمودة** صاحب الكتاب الباشي وتخرج بهم، والذي تحدث عن ترتيب تلك الطبقات وطرائف التعليم وشيوع العلم والأدب في عصره بإفادات جامعة[6].

بدأت الحركة العلمية تعرف نشاطا أيضا بحلول بعض علماء الروم، ففي سنة 111هـ/1699م قدم من الأستانة الشيخ **أحمد أفندي** المشهور **بمنلا أحمد**، وبث في تونس علوم التفسير والفقه والعلوم العربية بعد أن وجدها خاوية من

---

[1]- E. Guellouz et autres **: Op.cit,** P 117.

[2]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، المصدر السابق، 87-88.

[3]- دلندة الأرقش: "**جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية في الإيالة التونسية في العهد العثماني**"، المرجع السابق، ص 88.

[4]- علي النوري الصفاقسي: **المصدر السابق**، ص 80.

[5] - E. Guellouz et autres **: Op.cit,** P 117.

[6]- الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 14.

العلم، ومن أشهر تلاميذه **محمد الغماد الكبير**، و**أبو يحيى الرصاع**، و**محمد براو**، و**أبو القاسم البجائي**، وخلق كثير[1]، وانبعثت على يد هؤلاء العلماء حركة علمية نشيطة أنتجت طبقة من أجلة العلماء المتبحرين في العلوم المتعارفة في ذلك العصر، ومن أشهرهم **أبو عبد الله محمد زيتونة**" حافظ المغرب"، و**قاسم عظوم** صاحب المذهب المالكي، و**محمد الخضراوي** عالم إفريقيا، والشيخ **سعيد الشريف** و**أحمد الشريف**، و**محمد سعادة** و**محمد الشرفي**، **وحمودة الريكلي** مسامر علي باشا، و**علي النوري وأحمد الماكودي** و**أبو عبد الله السوسي**، وعالم الحنفية **محمد بن حسين بيرم** و**محمد بن علي الغرياني**، والعالم الرياضي **محمد الشحمي** مسامر علي باشا الثاني، وعلى يد هذه الطبقة من الشيوخ ازدهرت الحركة العلمية، فعمرت الجوامع والمساجد، وأصبح جامع الزيتونة قبلة المتعلمين في العالم الإسلامي بفضل جهود أولئك العلماء، ووصل تلامذة الشيوخ المتقدمين درجة الاجتهاد[2]. انتعشت الحياة الثقافية وخرجت شيئا فشيئا من حالة الجمود والسبات التي أردتها فيها أزمة القرن السادس عشر؛ فنشطت الدراسات الدينية بتونس وبمختلف جهات البلاد كالقيروان وسوسة وصفاقس، وكثر عدد العلماء من مالكية محليين أو من منتمين إلى المذهب الحنفي الذي دخل افريقية مع الأتراك، ثم سهر عليه أبناؤهم الذين اختاروا سبيل العلم والخطط الدينية[3]، ويبدو هذا القرن 17م من ناحية الإنتاج الكمي أكثر خصوبة من القرن الذي سبقه، حيث استعادت الحواضر نشاطها الفكري بعد مدة طويلة من الجفاف؛ تسببت في حصوله الأحداث الجسيمة التي عاشتها الأقطار الثلاثة، نتيجة الضغوط الخارجية وكذلك الفوضى التي عقبت انهيار الأنظمة التقليدية[4]، ومن أشهر الكتب التي كانت تدرس على يد هؤلاء المشايخ؛ مختصر خليل، وكتاب البخاري، وألفية بن مالك، وكتب الفرائض، وعرفت الحركة العلمية استمرارية في نشاطها؛ مستهل القرن 12هـ/18م، دلت عليها الآثار الكثيرة لأمراء تونس في ذلك العهد؛ الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إحياء العلم وتهيئة وسائله[5].

لقد حافظ التعليم في العهد التركي على نفس المراحل التي كانت موجودة منذ العهد الحفصي؛ بداية بالكتاب أين يتعلم الطفل مبادئ الكتابة وقراءة القرآن الكريم، وشيئا من العلوم الشرعية، وعندما يحفظ الطفل القرآن العظيم يبارح الكتاب لمتابعة دروس الجامع والمدارس، وكانت العائلات الغنية تستعين بشيخ ليحسن توجيه الطفل حتى يتابع بسهولة دروس المؤسسات العلمية، أما الفقراء فيجتهدون بمفردهم؛ أو بإعانة زميل نحو الدروس التي تعج بها الجوامع والمساجد ومدارس العلم، صحيح أن المواد التي كانت تدرس في المعاهد الجديدة؛ الحسينية أو مدرسة النخلة؛ كلها تتسم بالتقليد[6].

02-مميزات الوضع الثقافي في تونس:

إذا ما أردنا أن نصف بإيجاز ثقافة التونسيين الذين عاشوا في القرن 18م وفي أوائل القرن 19م وجب أن نبرز أوصافا ثلاثة اتصف بها التكوين الذي كانوا تلقونه، وهذا الوصف يتلخص في المحافظة وفي التقليد اللذين كانا يخيمان على

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 167.

[2]- الهادي حمودة الغزي: **الأدب التونسي في العصر الحسيني الأول 1705-1881**، ط1، عليسة للنشر والتوزيع، تونس، 2012، ص 27-28.

[3]- محمد الهادي الشريف: **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 76.

[4]- لطفي عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 89.

[5]- محمد الخضر حسين: **تونس وجامع الزيتونة**، تح علي الرضا التونسي، ط1، دار النوادر، دمشق، سوريا، 2010، ص 26.

[6]- عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 485.

التعليم وعلى العقول التي يكونها ذلك التعليم؛ هذا التكوين الذي يخلو من العمق والشمول[1]؛ حتى أن الطالب الذي كان يفتش عن العلوم في سائر أنحاء العالم الإسلامي، ويختار بنفسه مواد الدراسة، ويتصل بأعظم العلماء للأخذ منهم، ومساجلتهم وطلب الإجازة منهم؛ أصبح يكتفي بما هو موجود في المساجد والزوايا، ويقتصر على أخذ بعض كتب معروفة عن شيوخ تقليديين[2]، فقد كانت تونس في مطلع القرن 18م وأول العصر الحسيني لا تختلف عن سائر الولايات العثمانية في الجمود والركود الفكري والكساد الأدبي، وما يوجد فيها من المعارف ظل قديما، تطور الزمن وبقي هو على حاله؛ وكان لا يتعدى الدراسات الفقهية واللغوية وحواشي الكتب القديمة وما عليها من الشروح[3].

إن الإنتاج لم يعبر على مستوى الكيف أي عن أي تجديد، فقد سيطر الخط المحافظ على أطروحاته، وبقي أسيرا للقوالب المعروفة، تلك التي يعود بروزها إلى القرن الثالث عشر وحتى إلى ما قبل ذلك بكثير؛ كما أن تبويب المادة المؤلفة حسب الاهتمامات يعطي النصيب الأوفر إلى الحواشي الفقهية والفتاوى، وكذلك الأدب الصوفي بجميع أنواعه التي نذكر من بينها الشروح الخاصة بالطرق(بالأساس الشاذلية والزروقية) وجميع الوظائف والأذكار، وكتب المناقب والكرامات، وعلى العموم فقد سادت مناهج السلف على الإنتاج الفكري و"الإبداعي" وأصبحت عملية استعادة الموروث هدفا للنشاط الذهني والثقافي؛ فانعدمت القدرة على الإضافة، وأبدت النخب عدائية صريحة تجاه التجديد بدعوى الخوف من المروق عن السنة، ولم تنج الكتابة التاريخية التي عاينت نوعا من البروز منذ نهاية العصور الوسطى من هذه السمات الدالة على التراجع، فقد شاعت مصنفات التراجم؛ واهتم عدد من المؤلفين بتذييل مؤلفاتهم وتخصيص الفصول أو الأجزاء الأخيرة منها لجرد أسماء العلماء وكذا الأولياء والصلحاء، ومن المحتمل جدا أن يكون هذا الاتجاه الفكري المحافظ وراء هذه الظاهرة أيضا، كما لا يفوتنا أن نشير إلى رواج السير والآداب الشعبية التي تخاطب الوجدان وتمثل تعبيرا رمزيا عما كان يعتمل من استفسارات لدى عامة الناس؛ ولا تجد لدى النخبة والحكام أي إجابة لها، ويضم هذا الفضاء الوجداني كتب المرائي النبوية ومعارج الأولياء والأنبياء، وقد لعبت هذه الأدبيات دورا ايديولوجيا هاما في دعم الاعتقاد في المعجزات، وساعدت على انتشار القيم القدرية الداعية إلى الخنوع والتسليم[4]، ولا تختلف بنية التفكير في البلاد التونسية في الفترة الحديثة على نمط التفكير السائد داخل أجزاء العالم الإسلامي، ذلك أن العلاقات بين مختلف الشرائح الاجتماعية ذات المصالح المتناقضة تبقى في معظمها خاضعة لمنابع الثقافة العربية الإسلامية المهيمنة، والواضح أن حقيقة الضمور والتدهور التي عاينتها هذه الثقافة مع أواخر القرن 14م والتي انجر عنها غلق أبواب الاجتهاد وضرب التنوع الفكري؛ قد أفسحت المجال للتكلس المذهبي والتعصب الديني ودعم الفكر السلفي المتقوقع الرافض للتجديد، والذي يعتبر أن مهمة العلماء تتمثل رأسا في اجترار الموروث واستلهام الزاد العقدي الثقافي؛ كمنظومة مغلقة وغير خاضعة لضغوط الزمن أو التاريخ.

وعلى هذا الأساس فإن هذه الثقافة قد اقتصرت على شرح مسطح للمتون، وشرعت مبدأ الاستقالة والانزواء منفصلة عن الواقع الاجتماعي المتحرك؛ حيث دخلت بشكل كامل ضمن بوتقة الذوبان، وبدأت تبرز عليها علامات العصاب

---

[1]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 92.

[2]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 51.

[3]- الهادي حمودة الغزي: **المرجع السابق**، ص 29.

[4]- لطفي عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، المرجع السابق، ص 89، 90.

تلك المتمثلة في سيطرة النموذج الثقافي والاجتماعي السلفي على حياة الفرد قصد إقصائه عن التفكير الحر، وإلجام حرية القول والتعبير لفائدة ما تم قوله سالفا، فهي في كلمة سيطرة السلف على الحاضر والمستقبل معا وقمع كل إرادة فيها بنية تعويد الجماعة على الاتباعية ونبذ التجديد؛ ذلك أن واقع الفوضى الذي عرفته البلاد التونسية مع بداية النصف الثاني من القرن 16م سيؤثر سلبا على النشاط الفكري، وهو ما سيسمح قطعا بانتعاش الطرقية كمنظومة فكرية، لا تتطلب سوى حدا باهتا من التكوين المعرفي عامة والديني على وجه التخصيص، وإذا أمعنا النظر في محتوى المادة الفكرية والتعليمية الرائجة، عند أواخر القرن 16 وبداية القرن 17م؛ فقد اقتصر التدريس على القراءات ولم يتجاوز إملاء وترديد بعض التصنيفات التي سحبت عليها هالة القداسة؛ فأضحت مصدر تبرك لا منبع إلهام وتمحيص[1].

ومن ناحية أخرى نجد أن علماء تونس لم يولوا العناية والاهتمام لدراسة تاريخ المذاهب الإسلامية، كما أنهم لم يعتمدوا في دراساتهم على أمهات كتب الدراسات الإسلامية مثل كتب **ابن تيمية**، بل اقتصروا في دراساتهم على التصانيف المتأخرة، وكانت في غالبيتها شروح، وحواشي مثل **شرح السعد للعقائد النسفية، وشرح القسطلاني لصحيح البخاري** وغيرها [2]، كما شهدت فترة حكم المشير **أحمد باي**(1837-1855) محاولات تحديثية كجزء من مسؤولية تحويل البلاد التونسية ودفعها نحو الإصلاح كوجه من وجوه التحدي الثقافي للغرب ومسايرته؛ إلا الشعب أن ظل متخلفا؛ بعيدا عن تيارات العصرنة متشبثا بثقافته وتقاليده[3]، حيث التقت هذه العقلية الرافضة للمشروع التحديثي على النمط الأوربي مع إيديولوجية التوحيد الإسلامي التي أطرتها الذهنية التركية، فدخلت البلاد من هذا الجانب في هدنة طويلة؛ ريثما تستوفي أوربا ثورتها الصناعية[4]، ورغم ذلك فقد شهد النصف الثاني من القرن 19م ظهور فكر سياسي جديد استغل الإرث الثقافي لتحقيق التكامل، وإضفاء نوع من الشرعية على التحديث السياسي المنشود، فكان ذلك ايذانا ببداية إصلاح الدولة[5].

03-جهود بعض البايات المراديين والحسينيين وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية:

شجع الدايات الأوائل والبايات المراديون طوال القرن السابع عشر العلوم والفنون، وشيدوا مثل سلاطين اسطنبول الجوامع والمدارس والأسواق والحمامات، وخلال هذا العهد غدت مدينة تونس من جديد من أهم حواضر المغرب الإسلامي ومركز إشعاع في الأقطار المجاورة تفخر بالكثير من الانجازات الفنية الراقية مثل **جامع يوسف داي** و**جامع حمودة باشا** و**جامع محمد باي** أو قصر **عثمان داي** أو **مدرسة مراد الثاني** وغيرها، وبداية من عهد **يوسف داي** أنشأت المدارس الجديدة؛ وأولها المدرسة التي بناها هذا الداي وألحقها بمجمعه المعماري، وقام الحكام الأتراك بتوظيف هذه المدارس المحدثة أو المجددة لنشر **المذهب الحنفي**، حيث عينوا للتدريس بها شيوخا من **الحنفية** استقدموهم من استانبول ومن طرابلس الغرب ومصر، وفي نفس الوقت تواصل سير المدارس المالكية؛ بل إن البايات ساهموا في إنشاء

---

[1]- لطفي عيسى: **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 17، 18.

[2]- نورة معجب سعيد الحامد: **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز**، دارة الملك عبد العزيز للطبع والنشر، الرياض، السعودية، 1424هـ، ص 87.

[3]- Asma Larif- Béatrix « **Edification étatique et environnement culturel en Tunisie** », Arabica, T33, centre nationale de la recherche scientifique de France, Novembre 1986, P 314.

[4]- لطفي عيسى: **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، المرجع السابق، ص 45.

[5]- Asma Larif- Béatrix : **Op.cit,** P 314.

بعضها بداية من **مراد الثاني**(1666-1675) الذي بنى **المدرسة المرادية** وحبسها على طلبة المذهب المالكي القادمين من الآفاق، كذلك شيد **المراديون** الكثير من المدارس في العديد من مدن الإيالة مثل: بنزرت وباجة والكاف والقيروان وسوسة وصفاقس وقابس وجربة وتوزر[1].

لقد اعتنى المراديون بإنشاء الجوامع وجعلوها على غرار الزيتونة لما توفر عدد من الأساتذة وازداد رقم الطلبة؛ كما هو الحال مع **جامع الصباغين** الذي أسسه **عثمان داي**، و**جامع يوسف داي** الذي أضحى مجموعة ثقافية "**كتاب ومدرسة وجامع**"، وأيضا **جامع حمودة باشا المرادي** بالقصبة، وجامع **أبو محمد المرادي** الذي أسسه أمام **ضريح محرز بن خلف** بربض باب السويقة، وكل هذه الجوامع معاهد تدريس انتخب لها علية المدرسين، وبذلت الدولة المرادية في بحر قرن مجهودا كبيرا لإقرار التعليم وترتيب برامجه وإيجاد إطاره وإقرار مناهجه، وقد ساعدها على ذلك ما وجدته من أساتذة من مهاجري الأندلس أوقدماء المهاجرين، ومن نبوغ البعثات الطلابية إلى مصر، ومن حرص التونسيين على النهوض بمعاهدهم العلمية، أما التعليم الحنفي فقد كان موكولا إلى الجوامع والمدارس الحنفية ولم يدخل الزيتونة نفسها إلا على معنى نبوغ الأساتذة، وبفضل هذا المجهود الكريم أصبح العهد المرادي عهد رقي ثقافي[2]، حيث أعادت العناية التي أبداها بايات **بني مراد** الازدهار إلى عدة مدن؛ فأصبحت من جديد مراكز للإشعاع الثقافي، وقد أثر بناء المساجد والمدارس أو ترميمها بصورة خاصة في إنعاش التعليم الذي ظهرت آثاره بصورة أوضح على عهد الدولة الحسينية، وترتب عن ذلك ظهور أسر علمية ترددت في كتب التراجم **كآل عظوم** و**آل الصدام** و**آل الزوابي** و**آل العواني الأشراف** وغيرهم[3].

إن هذه النهضة الثقافية تحققت داخل الحدود الضيقة التي فرضت على التفكير الإسلامي منذ قرون، فاقتصرت على العلوم وخاصة الدينية منها؛ كالاعتماد على النقل وتكرار ما أتى به الأولون غير محددة طرقها ولا موسعة ميادين اهتمامها[4]، لذلك انتقصت العلوم العقلية في عصر المراديين فلم يبق إلا الميقات وبعض الطب كان يدرسه الحجيج[5]، حيث كان الإنتاج الفكري في عمومه أيام الحكم المرادي متصلا أشد الاتصال بالصبغة التقليدية التي أناخت بكلكلها على سماء الثقافة خلال الحقبة بعيدة عن أي تجديد سائرة على منحى الأخذ بما تركه السلف موثرة الاجترار والعزلة والتقوقع، فالثقافة التونسية؛ وإن أعادت الصلة بماضيها في القرن السابع عشر؛ فإن التكوين العلمي بقي يشكو نقصا واضحا، كما أن الصلات بالمشرق العربي من ناحية أخرى لم تحدث انقلابا في التفكير في ظل طغيان الصبغة الرجعية التي اصطبغت بها الثقافة في عموم العالم العربي، فلم يحدث في تونس سوى انتعاش التعليم وتنشيط حلقاته[6]. إن ما بذله الولاة العثمانيون من العناية في سبيل تقدم القطر لم يظهر تأثيره إلا زمن الدولة الحسينية، ذلك أن الحسينيين استمروا على

---

[1]- أحمد السعداوي، **المدينة والوقف في تونس القرن السابع عشر من خلال وثائق الأوقاف**، من كتاب: **العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية**، تنسيق عبد الرحمن المودن-عبد الرحيم بنحادة، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2005، ص 102-103.

[2]- عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، معهد الدرسات العربية العالية، القاهرة، مصر، 1958، ص 102-103.

[3]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 46.

[4]- محمد الهادي الشريف، **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، المرجع السابق، ص 76.

[5]- عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 104.

[6]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 55.

نهج **المراديين** في الاهتمام بالحياة العلمية منذ ان انتقلت السلطة إليهم، فرغم الوضع السياسي على عهدهم الذي تخللته الاضطرابات إلا أن سياستهم الثقافية اتصفت بالاستقرار، إذ أنشأوا الكثير من المباني ورمموها لإقامة الشعائر الدينية ونشر التعليم أيضا، وقد نتج عن اهتمام الحسينيين بالجانب الديني والعلمي أن ظهرت حركة علمية نشيطة بتونس خلال الفترة الحديثة، فكثرت المؤسسات العلمية والتعليمية سيما المدارس؛ التي استقطبت العلماء وطلبة العلم على السواء، وتعددت الحواضر العلمية بها[1]، حيث عنى أفراد من أمراء هذه الأسرة وأعيان رجالها بالإكثار من عدد المدارس والكتاتيب ونشر المعارف، ونبغ بفضلها كتاب حظوا بمنزلة رفيعة في الدولة؛ فقد ظهر أدباء كثيرون تختلف درجتهم في الشاعرية وإجادة القول[2]، وما يؤكد حرص بايات تونس واهتمامهم بالعلم والعلماء؛ ما أورده **الورثيلاني** في رحلته؛ إذ يقول:" **إن سلاطين تونس وأمراءها وأصحاب الدولة فيها صرفوا همهم إلى العلم وأقاموا منائر عزة، وأوقفوا الأحباس، وأعزو العلماء وأغنوا للدرس الجلاس فأسهموا كلا على قدر همته واشتغاله، فإذا كان كل شيء على أصله وفصله ومنواله، فمن لم يصبه منهم كثير، وصل إليه نزر قليل لمثل العلم**"[3]، وهناك عدة دوافع لاهتمام البايات الحسينيين بالثقافة والتعليم؛ منها أنهم هم أنفسهم كانوا من النخب المثقفة، ومن رجال العلم والأدب، ولذلك أظهروا حرصا كبيرا على نشر العلم وعلى الاعتناء بالعلماء، وللدافع الديني أيضا أثره القوي في اهتمام هؤلاء البايات بالحياة العلمية؛ لأن الثقافة في ذلك العصر كانت ثقافة دينية، فقد كان التعليم يخدم الدين بالدرجة الأولى[4].

وفي العهد الحسيني اهتم **حسين بن علي** (1705-1735) مؤسس الدولة الحسينية؛ ومن توارث بعده العرش اهتماما بالغا بشؤون الدين والعلم؛ فاقوا في ذلك كل من سبقهم منذ الفتح العثماني؛ وكأنهم أرادو بعملهم هذا إحياء سنن الدولة الحفصية في عنفوانها، حيث عقد حسين بن علي العزم على الرفع من شأن العلم ورجاله، فبنى المدارس لسكنى الطلبة وللتدريس وأجرى المرتبات للمدرسين من مال الجزية وريع الأوقاف[5]، وقد صرف مؤسس الأسرة همه لإصلاح شؤون الدولة عامة وإلى إصلاح التعليم خاصة، ووجد من الشيخ زيتونة المنستيري خير معين له على هذا الإصلاح؛ فقد درس الشيخ زيتونة بمصر وتخرج أحسن تخرج؛ فأصلح التعليم بالزيتونة[6]، وعن حرصه للعلم وتقدير العلماء يقول صاحب **الذيل:" وله شغف بإحياء الدروس، خشية الإغماء والدُروس. وعظم جناب العلماء، حتى صار على ذرى المعروف علما، وأصلح مقامات الصالحين، وأخلص ذلك حسبة لله رب العالمين...**"[7]، وبذلك انتهج حسين بن علي هذه السياسية التي سلكها جل بايات الدولة الحسينية من بعده؛ والمتمثلة في تحالف النظام البايلكي مع المرابطين، وتقريب العلماء والاعتماد عليهم في سياسة البلاد والعباد، حيث انخرطوا في سلك الدولة وانضووا فيما اسماه

---

[1]- فوزية لزغم: "**بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية، مج3، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، سبمبر 2020، ص 209.

[2] - حسن حسني عبد الوهاب: **المنتخب المدرسي من الأدب التونسي**، المطبعة الأميرية، وزارة المعارف العمومية المصرية، القاهرة،1944، ص 123.

[3]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 316، 317.

[4]- فوزية لزغم: **بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية**، المرجع السابق، ص 211.

[5]- محمد العزيز ابن عاشور: **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص 39، 89.

[6]- عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع**، المرجع السابق، ص 102.

[7]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 112.

أرنولد قرين " **مجمع أمير العلماء**"؛ حيث خصوا بامتيازات منحت لهم جانبا من النفوذ لدى السلطة الحاكمة، وذلك لاحتواء هذه الفئة من ناحية ولإضفاء صبغة الشرعية على سلطته وسياسته من ناحية ثانية[1]، وقد استجاب لهذه العملية وتقرب للسلطة علماء الحنفية بينما كانت مواقف علماء المالكية فيها شيء من الحذر في التعامل مع الدولة[2]، ومن ثمرات سياسته الحكيمة أن أكرم جناب الأولياء والعلماء، وتفقد الدروس والمدارس، وأحيي الزوايا والمساجد بعد الاضمحلال والدروس، ومن صنيع اهتمامه البالغ بالجامع الأعظم أن تجاوز عدد المدرسين الأربعين؛ عدا ما لبعضهم من مجالس مكررة، وهذا دون إغفال ما يصل هؤلاء من نعمة ومرتبات وجرايات، ما أدى إلى انتشار العلم وعمومه أنحاء البلاد؛ إذ يقول **الوزير السراج** في **الحلل**:" **فأصبح أرج العلم الشريف بنفحات نوال هذا الأمير المؤيد في ازدياد، حتى عم البلاد، وجعل في تعاطيه رزقا للعباد**"[3].

أما **علي باشا**(1735-1756م) فقد كان عالما شجاعا مهيبا، شغوفا بالعلم والانخراط في أهله، مشاركا في غير ما فن محبا لأهل المعرفة والأدب؛ ولا عجب فإنه درس كثيرا في صغره وتلقى علوم العربية والبيان على أعلام عصره منهم الشيخ **محمد الخضراوي** (ت.1731م)، وكان بلاطه يعج بالأدباء الأجلاء على غرار الشاعر اللطيف **علي الغراب الصفاقسي**(ت.1769م)[4]، صاحب التوريات الرقيقة، والأديب البليغ **محمد الورغي**(ت.1776م)، المشهور بالقصائد الفخرية الجيدة و**محمد العياضي** المترجم لعلماء عصره وغيرهم[5]، فبرع في سائر المعلومات الرائجة من عقلية ونقلية، ومن آثاره **شرح مطول بديع** على كتاب "**التسهيل**" في النحو لابن مالك، وهو شرح مفيد،؛ كثيرا ما كان يقرأ بمحضره في حلق جامع الزيتونة، ومن مخلفاته التي نذكر المكتبة النادرة الموجودة في قصر باردو، كما كان مولعا بالبناءات البديعة الطراز، علاوة على المدارس، ومنها المحكمة العجيبة بقصر **باردو** (بيت الباشا) المنسوبة إليه وغير ذلك من الدواوين[6]، ويتحدث صاحب **المشرع الملكي** في هذا السياق عن علم **علي باشا** وهو في غربته بالجزائر؛ إذ يقول" **اشتهر عندهم بالعلم والعمل وكان من طبيعته لما حل بالجزائر؛ أن جمع أصحابه الذين ساروا معه واختار منهم رجالا وأمرهم أن يشهروه في المجالس والمجامع ويتحدثوا بعلمه وفضله وأنه قطب زمانه**"[7]، ومن خواص ندمائه الأديب الشاعر **علي الغراب الصفاقسي**(ت. 1798/1185م)؛ الذي كانت له مشاركة في علوم عدة من رياضيات ومنطق، وبلاغة وتاريخ، واشتهر بقول الشعر[8]، حيث كان أبلغ وأخصب شعراء العصر، واشتهر بالهجاء اللاذع إلى جانب قرض الشعر

---

[1]- Asma Larif-Béatrix: **Op.cit,** P 308-309.

[2]- محمد الأزهر الغربي: **المرجع السابق**، ص 31-32.

[3]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 132، 133.

[4]- **الشاعر أبو الحسن علي بن محمد الشهير باسم "االغراب الصفاقسي"**، كانت له معرفة بالفقه والعربية مع وافر من علوم الحساب والميقات والمنطق، ودراية واسعة بعلوم التاريخ، نبغ في الشعر واشتهر بتورياته وتشبيهاته واستعاراته؛ ما يدل على ثقافة عالية في شتى مناحي حياة الثقافة الإسلامية، اشتغل بالعدلية، توفي عام 1183هـ/1769م. انظر؛ حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمرفي المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج1، المرجع السابق، ص 310-311.

[5]- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 128، 129.

[6]- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ج2، المرجع السابق، ص 242-243.

[7]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 287.

[8]- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984، ص 449.

في المدح، والغزل والإخوانيات، وله رسائل نثرية سماها **مقامات**[1]. لقد أحسن **علي باشا** إلى العلماء وأجزل عليهم العطاء، حيث كان يظهر تعظيما لأهل العلم ويرغب الناس في تعليمه والحث عليه، وفي المقابل كان العلماء لا يتخلفون عن مجلسه وهو يوسعهم برا وكرما، ومن توقيره الكبير لهم أنه لم يشرب الدخان في مجلس اجتماعهم[2]، ويذكر **الورثيلاني** في نزهته أن **علي باشا** إذا اغتاظ وضاق على أحد من العلماء حبسه في المسجد للتدريس، وأجرى عليه النفقة وما يستحقه، وإن كان صالحا أو عابدا جعله في دار أو خلوة للعبادة، وهذا ما فعله مع الشيخ **العلامة الهادي** الذي حبسه في جامع الزيتونة؛ حتى أن الأخير كانت لا تبدو عليه ملامح السجن[3].

ومن آثاره بناؤه المدرسة التي بحوانيت عاشور بمدينة تونس، وصرف عليها أموالا عظيمة وحبسها على طلبة المالكية، واشترى لها أملاكا وعقارات قيمة، والتي جعل فيها الشيخ **عبد الله السوسي** مدرسا وجعل له راتبا كل شهر وكذلك لطلبتها، وأيضا بناؤه للمدرسة في المدينة قرب **دار رمضان باي** على **ممر** ثنية دار الباشا التي حبسها على طلبة المالكية، وجعل لها العالم **محمد الشحمي**، ثم خلفه عليها الشيخ **مسعود المغراوي**، ومن آثاره الأخروية التربة والمدرسة والجامع، أما التربة فهي مجاورة للمدرسة بقرب جامع الزيتونة، أما المدرسة والجامع؛ فقد حبسها على طلبة الحنفية، وجعل لها شيخ حنفي دائم يدرس فيها مذهب أبي حنيفة برواتب كثيرة من أملاك غزيرة، وجعل الباشا رواتب وصدقات للقراء الذين يقرؤون في التربة والمدرسة، وأمر الباشا علي ببناء مدرسة أخرى وسماها ونسبها لولده **سليمان** "**المدرسة السليمانية**" ملاصقة لتربته وحبسها على طلبة المالكية، واتخذ لها شيخا الشيخ **محمد الغرياني**، وجاءت هذه المدرسة من أبهى المدارس، وحبس عليها أملاكا وعقارات ما يكفيها ويكفي شيخها وطلبتها[4].

أما عن اهتمامه بالتصانيف؛ فقد جمع من غرائب المؤلفات ما لم يجتمع لغيره من أمراء تونس[5]؛ حتى أنه لما عثر على خزانة عمه حسين بن علي لم يلتفت إليها وهو في حاجة إليها، فإذا اعترضته مسألة أو مشكلة أوعز إلى بعض أصحاب التصانيف المشهورة والكتب الملوكية سأل عنها فإن وجدها في مملكته بعث إليها؛ فإذا وصلت إليه أمر بنسخها، وله بمدينة تونس نساخ كثيرة لا يرتاحون من نسخ كتبه مدة حياته، وحين لم يقنع بأسفار تونس بعث إلى اسطنبول فأتوه بمسفرين من مسفري السلاطين العثمانية لم يكن لهما نظير في صنعتهما، واشتغلا بتسفير الكتب المزوقة بالذهب، وخصوصا علم التفسير والحديث وعلم اللغة، وبعث بالرجال إلى مصر فجاؤوه بالكتب الغريبة الملوكية التي لا توجد إلا في خزائن الملوك، فإذا لم يجدها للشراء بعث الرجال بالهدايا إلى من له قدرة على الوصول إلى ذلك الكتاب فيستعيره له وينسخونه ويأتونه بها[6]، لقد كان له ولوع بجمع الكتب حتى أنه حجر بيعها قبل عرضها عليه، ووجه أحد فقهاء الحنفية **الحاج حسن البارودي**–شقسق العالم أبي عبد الله حسين البارودي– لنسخ "**حاشية السعد على الكشاف**" **لسعد**

---

[1]– علي الزواري: "**الزاوية النورية وتأثيرها على الحركة التعليمية والعلمية خلال القرن الثامن عشر**"، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، تق عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ص 275.

[2]– محمد بن عثمان السنوسي: **المصدر السابق**، ج1، ص 113.

[3]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 310.

[4]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 34–38.

[5]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 121.

[6]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 49–50.

الدين التفتزاني من **آيا صوفيا**[1]، حيث صرف **البارودي** مالا على نساخة هذه الحاشية وجاء بها، واشترى له كتبا كثيرة بأموال عظيمة، وكان للباشا رجال يقصدونه بالكتب الغريبة من كل البلاد فيعطيهم المال الكثير؛ يرسلهم إلى فاس ومراكش ومكناس يشترون له الكتب ويأتونه بها، وبعث إلى بر النصارى فجاؤوه بمعلم نجار فصنع له خزائن ملوكية قل أن توجد عند ملك، ولما كان له اهتمام بعلم **التاريخ** بعث رجلا إلى فاس المغرب فجاءه **بتاريخ ابن خلدون في ثلاثة عشر سفرا** وصرف على جلبه مالا كثيرا، وكان له اعتناء زايد بالنظر في الكتب دائما، وعنده ولوع زايد بكتاب **القاموس المحيط** في اللغة **للفيروز ابادي**؛ ولم يقنع بما جمعه منه، وبقي علي باشا جماعا بالشراء والتنسيخ والجلب للكتب؛ فامتلأت خزائنه بالكتب في كل مذهب، ولا يبالي بصرف الأموال؛ ولو بلغ الكتاب ألف ريال[2]، فقد أتاه ما لم يصل إلى المغرب من تآليف علمائها وعلماء العجم وغيرها[3]، وحين قامت الفتنة جمع ما عز عليه من تلك الكتب ودخل بها إلى القصبة وظن في نفسه أنه بلغ حد المنعة، فوقع له ما هو مشهور عام 1756م بعودة أبناء حسين بن علي؛ فتمزقت تلك الكتب ، ونهبت وبيعت بأبخس الأثمان؛ وما عرفوا قدرها ولا كم ثمنها.

أما عن البايات أبناء حسين بن علي؛ فلم يكن همهم الوحيد هو البقاء على العرش؛ بل أيضا ضمان وفاء الرعية، ومن بين الوسائل المعتمدة في ذلك اعترافهم العلني بمركز العلماء الاجتماعي، وبناء المساجد والمدارس مع منحها الهبات والأوقاف[4]، كما هو الحال مع **الباي محمد الرشيد** (1756-1759) الذي كان يحترم العلم والعلماء، ويملأ أوقات فراغه بإقامة مجالس الأدب والموسيقى، وأحاط به جمع من الشعراء والمغرمين بالألحان[5]، وهو الذي رتب الأغاني الشعبية الأندلسية منها والتونسية المعروف جميعها باسم "**المالوف**" وتسمى في بقية المغرب **بالغرناطي**[6]، حيث أدخل الرشيد عليها جانبا من الألحان التركية واليونانية مثل البشرف أي الافتتاح والاستهلال في الموسيقى العربية، كما أنشأ **الجمعية الرشيدية** التي تسمت باسمه؛ والتي تعتبر بمثابة أول معهد لفن التلحين بالبلاد التونسية[7]، وكانت له اليد الطولى في الأدب، والذهن الثاقب في حل مشكلات الكتب، وكل شاعر يدعي أنه شاعر يقصده بمدحه في قصيدة فيعطيه عطاء من لا يخشى الفقر، وهو في نفسه فريد عصره في علم العروض، ونظم قصيدة فريدة تعجز عن مثلها فحول الشعراء لما كان في مدينة الجزائر؛ تسمى" **شرح السواكن إلى أشرف الأماكن**"، واعتنى بشرحها جماعة، وجعل لها شرحا متوسطا الشيخ **الشافعي الشريف الباجي** الذي كان فريد عصره في النظم والنثر، ووصلت قصيدته إلى تونس فقل من ينسج نسجها، حيث اعتبره الشعراء متنبي الزمان وهرعوا إليه بالقصائد، فأغدق عليهم بالعوائد[8]، وقد خلف الأمير **محمد**

---

[1]- محمد الباجي المسعودي: **عقد الفرائد في تذييل الخلاصة وفوائد الرائد**، تق وتح أحمد الطويلي، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018، ص 208.

[2]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص50-52.

[3]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص 121.

[4]- د. أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 77.

[5]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المرجع السابق، ص 69.

[6]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج1، المرجع السابق، ص 303.

[7]- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية**، مج2، المرجع السابق، ص 244-245.

[8]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 115، 129، 130.

الرشيد ديوان شعر نظمه بمنفاه بالجزائر من سنة 1740 إلى جوان 1756، وحرره بعودته إلى تونس كاتب صفاقسي؛ واضعا عليه عنوان:" **ديوان محمد باي التونسي أمير المؤمنين قدس الله روحه الطاهرة**"، وجاءت هذه الأشعار صورة معبرة عن حالته النفسية؛ وحقده الدفين على ابن عمه، والآمال العريضة التي تخالجه في الرجوع إلى موطنه[1].

ولما اعتلى **علي باي** (1759-1782) العرش بعد صراع عليه وحرب أهلية؛ أنفق المبالغ الطائلة على العلم والعلماء؛ الذين كان نفوذهم يتعاظم في فترات الأزمات، إذ أنهم يضطلعون بدور الوسيط بين الحكام والمحكومين[2]، حيث شهدت تونس اهتماما واضحا بالناحية العلمية على عهد علي باي الذي اهتم ببناء المدارس، وخصص للمدرسين رواتب معينة، ومنح الطلبة إعانات كثيرة، إذ يقول **صاحب الإتحاف** في هذا السياق:" **وهو الذي أحيا رسوم العلم بعد عفائها، وأيقظ أجفان طلبته بعد اغفائها، بالتفاته إلى أهل العلم بالصلات المتوالية، والإكرام والتعظيم والمجالسة والمسامرة، بحيث لا يخلو مجلسه منهم. واكتسب بذلك ملكة ومشاركة، لا سيما في الحديث والفقه والتاريخ. ووزع دخل الجزية بتمامه بين المدرسين والمتأهلين من الطلبة، وقدم لها وكيلا مخصوصا من أهل العلم، وزادهم من فواضل الأوقاف في طريق البر، واعتمد ما جرى به العمل عند المالكية، من الفتوى بجواز ذلك، بحيث لم ينقطع عمل المحبسين بعد موتهم**"[3].

ومن فرط محبته لأهل العلم وتعظيم أهله وإكرامهم؛ أن قرب العلماء واصطنعهم وأعلى مراتبهم؛ ورفع منازلهم، وأجزل لهم العطاء؛ واعتنى بالمذاكرة والتدريس بمجلسه العالي، وأكثر الاعتناء بالحديث الشريف؛ رغم تحمله أعباء السلطنة وقيامه بجميع مصالح الرعية[4]، فقد تفضل على على الفقهاء وطلبة العلم بمال الجزية كله في جميع عمله على كثرته، وزادهم على ذلك ما يقاربه أو يساويه حتى حصل النفع لجميعهم[5]، وقد بلغ من اهتمامه بالتعليم وعلمائه إلى حد إعفائه الطلبة من الخدمة العسكرية، وإكرامه للعلماء ومجالستهم [6]، وهذا الأمير هو الذي أحيا **المجلس الشرعي** ببارد المعمور وأعطى الجزية وبعض الأوقاف للعلماء والمدرسين والمتأهلين[7]، ولما رأى طلاب العلم ومن فيه أهلية التعلم كرم إحسانه المتتابع على الفقهاء وتعظيمه إياهم والتفاته إلى جانبهم؛ رغبوا في تعلم العلم وانكبوا عليه؛ فكثر طلاب العلم وعمر الجامع الأعظم بالدروس في جميع الفنون المتداولة، فصرف إليهم علي باي وجه عنايته، فأطلق لهم المرتبات الواسعة والوظائف النافعة، واستمر على هذا النهج إلى أن تكاملت عمارة جامع الزيتونة بالدروس؛ وتوافرت المدرسون والطلبة، فاقتضى نظره السديد أن يشملهم بإحسانه، ويفيض عليهم بإكرامه[8]، ومن رجال دولته وبطانته ذوي الشهرة **الوزير حمودة بن عبد العزيز** الذي تولى الإنشاء على عهده، حيث عهد إليه مهمة تدوين أخبار الدولة الحسينية والباي علي؛

---

[1]- أحمد الطويلي: **في الحضارة العربية التونسية**، المرجع السابق، ص 138-139.

[2]- د. أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 77.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج 2، ص 171-172.

[4]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر السابق**، ص 190-191.

[5]- الوزير الحاج حمودة: **المصدر نفسه**، ص 296.

[6]- نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 85.

[7]-محمد الباجي المسعودي: **عقد الفرائد في تذييل الخلاصة وفوائد الرائد**، المصدر السابق، ص 209.

[8]- الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 296، 299، 302.

فألف **الكتاب الباشي**؛ الذي عرض فيه أفكارا هامة كالدعوة إلى الانفتاح على التجارة الخارجية؛ والأخذ بأسباب التقدم المادي، وهو أول مفكر طرح هذه الأفكار الرامية إلى التجديد وإلى ايديولوجيا تقدمية[1].

وكان **حمودة باشا**(1782-1814) مثل والده؛ يظهر احترامه للعلماء ويحسن معاملتهم ويقضي حوائجهم ويجالسهم ويشارك في مناقشتهم، إذ يقول **ابن أبي الضياف**:" **وكان الأمير...يحب محادثة أهل المجلس... وكان يقول: أقوى الأسباب في تفقهي الشيخ منصور المنزلي...وكان الباي حمودة باشا يعطل المجلس إذا كان لهذا الشيخ عذر يقتضي تخلفه**"[2]، ومن هذا الباب استثنى **أهل المجلس الشرعي**-وهو مجلس يضم عددا من المفتين والقضاة والعلماء- سنة 1806 **من الأداء الضريبي**-دفع أعشار الحبوب- الذي ألزم به سائر الناس أثناء استعداده لحرب الجزائر[3]، ومع ذلك يذهب الباحث **رشاد الإمام** إلى أنه ليس هناك ما يدل على أن حمودة باشا قد بنى مدارس جديدة أو استحدث إصلاح جديد في هذا المجال[4]، ومن المنشآت الدينية القليلة المنسوبة لحمودة باشا بناؤه **لمسجد** قرب القصبة، وهو مسجد صغير عرف باسمه"**مسجد حمودة باشا الحسيني**"، وأوقف عليه أوقافا وأقام به الأحزاب الجارية[5]، وسعيا للحفاظ على السياسية التعلمية التي خطها والده؛ من تقديم الإعانة لطلبة العلم أدرك أن الرواتب التي تصرف للعلماء والطلبة غير كافية فزاد فيها، غير أن من الجدير بالذكر أن وزيره **صاحب الطابع** هو الذي تصدى في هذا العهد لبناء المدارس والكتاتيب العديدة وأجرى الجرايات الوافرة على أهل العلم وعلى الطلبة والتلاميذ، وبنى جامعا لا يضاهيه في حلقات الدروس التي تلقى فيه إلا جامع الزيتونة[6]، وجعل إلى جانب جامعه الحافل البديع **بالحلفاويين** الذي استغرق في بنائه زهاء الست سنوات؛ الزاوية لتعليم القرآن، والمدرسة للعلم، وكانت أول صلاة به أقيمت به 04 مارس عام1814م، وكان شيخ الإسلام العلامة **أبو عبد الله محمد بيرم الثالث** أول خطيب به، وجعل به أربع خزائن مملوءة محبسة بالكتب العلمية، كما أعاد هذا الوزير بناء الجامع المعروف **بجامع العبيدي، بمحج الزاوية البكرية**، وأول إمام به الشيخ **محمد العذاري**، وأحيا سائر ما اندرس من **الكتاتيب القرآنية**[7].

كما كانت تونس في عهده على صلة بالفكر الحديث، حيث استفادت من بعض مبادئ الثورة الفرنسية والحكم النابليوني، فقد نظم **حمودة باشا القضاء والمحاكم الشرعية**، ونقل **المطبعة الحديثة** لتونس بدلا من المطبعة الحجرية[8]؛ في حين يرى الباحث **خليفة حماش** أن الطباعة لم تؤسس في تونس إلا سنة 1277هـ/1860م[9]، وبفضل

---

[1]- محمد الهادي الشريف: "**حمودة بن عبد العزيز وأفكاره التقدمية**"، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، تق عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ص 218.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج 7، ص 152.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج 3، ص 39.

[4]- رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-814**، المرجع السابق، ص 355.

[5]- محمد السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج1، المصدر السابق، ص 122.

[6]- رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، المرجع السابق، ص 255.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج 7، ص 91-94.

[8]- عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 352.

[9]- خليفة حماش: "**وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا عام 1256هـ/1840م نموذجا**"، مجلة أوقاف، العدد 22، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2012، ص 72.

سياسته؛ تفتحت تونس والتونسيون على بعض مظاهر الحضارة الغربية وانجازاتها المتقدمة بطرق عديدة ومختلفة؛ منها جلب حمودة باشا للخبراء والاختصاصيين والأطباء والمهندسين وغيرهم للخدمة في تونس[1]، أما بالنسبة للطرق التعليمية الجديدة على عهده، فقد استحدث العالم **إبراهيم الرياحي** (ت. 1850م) طريقة التدريس لم يسبقه إليها أحد؛ اتخذها فحول العلماء من بعده، وكانت على النحو الآتي:

* ينقل الدرس كما ورد في الكتاب المقرر ويمليه من حفظه.

* بعد ذلك يقرر ما يظهر له ثم يسرد كلام المصنف على كيفية تبعث النشاط في النفس[2].

واشتهر إبراهيم الرياحي وطريقته الجديدة في التدريس حتى بلغ صيته البلاد المصرية، فوفد عليه بالحاضرة الشيخ **أبو العباس أحمد السناري** ابن أخي **سنار** من أرض الحبشة طالبا للعلم، بعد أن تاقت نفسه إلى كيفية التدريس بتونس، وملأ سمعه خبر الشيخ **إبراهيم الرياحي** فأتاه من مصر مع حرمه، وقال له:" **ما قادني إلى هذه الحاضرة إلا اسمك، فاختر لي من طلبتك من يؤنس غربتي...**"[3]، وفيما يتعلق بالمواد الحديثة التي كانت تدرس في عهد **حمودة باشا** فهي **علم الفلك** و**الطبيعة** و**الموسيقى**، ومعظمها يعلمها العلامة **إبراهيم الرياحي** بجامع الزيتونة [4]؛ في حين درس الشيخ **أبو عبد الله محمد الفاسي**(ت. 1817)- الذي نال تعظيما وإجلالا في تونس- بالجامع الأعظم أيضا، مواد **علوم المساحة والهندسة** ، وذلك بعد أن ارتحل هذا المدرس عن مسقط رأسه فاس بالمغرب الأقصى واستقر بتونس العاصمة[5]، كما طلب من شيخ الإسلام أبي عبد الله **محمد بن حسين بيرم** أن يؤلف له كتب في **السياسات الشرعية**، فألف له رسالته المشهورة[6]، وإلى جانب هذه المواد العلمية المستحدثة؛ واصل جامع الزيتونة تقديم برامجه الكلاسيكية الممثلة في العلوم الشرعية كتعليم القرآن والتفسير والحديث وأصول الفقه، واستمر التعليم في الجوامع، وبقيت الكتاتيب منتشرة في سائر أنحاء البلاد[7]، في حين يعتقد البعض من أن **الطب** كان لا يدرس بالجامع الأعظم كون أغلب أطباء تونس؛ وخصوصا أطباء البلاط من الجالية الإيطالية [8]، ذلك أن المجتمع التونسي كان الغالب لديه القراءة النظرية على العلوم الشرعية واللغة والآداب، أما القراءة التطبيقية القائمة على علوم الطبيعة والحساب؛ فكانت ضئيلة؛ بحيث لا تصل إلى المستوى الذي يجعلها مؤثرة في حياة المجتمع؛ وقادرة على إحداث تقدم حضاري ملموس[9]. سيطرت الاتجاهات الدينية ذات النزعة المذهبية على التوجه التعليمي[10]، لكن إذا تذكرنا المستوى الذي انحطت إليه الأوضاع أثناء الفترة؛ إذ

---

[1]- رشاد الإمام: "**سياسة حمودة باشا الحسيني 1782-1814**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس، جويلية 1976، ص 115.

[2]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 7، المصدر السابق، ص 74.

[3]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 7، المصدر نفسه، ص 124.

[4]- رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، المرجع السابق، ص 357.

[5]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 7، المصدر السابق، ص 102.

[6]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، المصدر نفسه، ص 82.

[7]- ليلى غويني: **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 124.

[8]- عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 104.

[9]- خليفة حماش: **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا**، المرجع السابق، ص 74.

[10]- عثمان البرهومي: **المرجع السابق**، ص 285.

لم تظهر حركة تثقيفية شعبية في إطار الزوايا؛ فهمنا أن هذا الإحياء هو تحصيل حاصل، وكان بمثابة تمهيد ضروري لكل نهضة متوقعة، ومما يدل على أن تونس استرجعت مستواها الثقافي هو عدم استجابتها للدعوة الوهابية؛ رغم أن هذا الموقف قد يفسر جزئيا بالتبعية للدولة العثمانية، ومع هذا كان لمعارضة علماء تونس دوافع ثقافية نلمحها من خلال ملاحظات ابن أبي الضياف[1].

04-طبيعة النتاج الفكري والعلمي:

أمّا الإنتاج الثقافي في عمومه؛ فقد كانت تغلب عليه التبعية والتقليد كانعكاس للمناخ الفكري والثقافي السائد خلال الفترة، فقد عكف الناس على المختصرات الفقهية يشرحونها ويعلقون عليها، حتى أصبحت دراسة الكتب هي الهدف وضاع العلم واختفى الاجتهاد[2]، حيث تعذر على رجال الدين بلوغ ما يتطلبه الاجتهاد من اطمئنان وتصرف في العلم، وهو اجتهاد ينبني على تأويل محدود للنصوص الدينية، واضطر أصحاب الخطط الدينية بتونس في القرنين 16 و17م إلى الاقتصار على كتب سابقيهم وشروحهم وحواشيهم عن الأجوبة الملائمة للأسئلة التي كانت تلقى عليهم، واقتصر التعليم حسب ما يظهر على قراءة كتب السلف والتعليق عليها بما لا يختلف كثيرا عن نصها[3]، لذلك سادت ثقافة المتون والشروح أو كما يسميها الباحث التونسي **لطفي عيسى "الثقافة العصابية"**؛ فانتحت مجمل الأنشطة الفكرية والثقافية بالبلاد اتجاه التلقين واختزال مصادر المعرفة وضرب التنوع بحجة درء البدعة وانتهاج الطريق الصحيح للسنة المالكية[4]، وتلك هي الحال التي وجد عليها القاضي **مولانا أحمد** التعليم في تونس، بعد الفتح العثماني بعشرات السنين، وقد أصبحت الكتب القديمة غير مفهومة حق الفهم؛ فصحيح البخاري مثلا لم يزل يقرأ ولكن قراءته لم تكن إلا للتبرك، فمن الجلي أن النشاط الفكري بتونس في ذلك القرن كان أضعف من أن تشتهر آثاره خارج القطر التونسي، لكن النشاط العلمي عاد إلى الظهور في النصف الثاني من القرن 17م أقوى مما كان عليه في النصف الأول منه، وبصورة عامة قد كان تلافي آثار الأزمات في ذلك القرن سريعا، وقد أصبحت فيه حال البلاد أحسن مما كانت عليه في القرن 16م، وهو أمر لا نستغربه لأننا نعلم أن الخروج من الفوضى إلى استتاب الحكم ينعش الاقتصاد؛ أضف إلى ذلك هجرة الأندلسيين إلى تونس؛ الذين جلبوا معهم الأموال والصنائع، وكانوا حريصين على أن يعيشوا حياة كريمة في وطنهم الجديد[5].

لقد اتسمت حركة التأليف في القرنين 11-12هـ/ 17-18م بغزارة الإنتاج في الشروح والحواشي؛ بل من الأمهات السابقة مما لم ينل نصيبه من الشرح والتحليل، وإن كان بعض الناس يقللون من قيمة هذا النوع من العمل فإن الأستاذ **فرحات الجعبيري** يرى أنه لا يقل أهمية عن التآليف الأصلية، ذلك أن اختيار المرء جزء من كيانه، كما أن المحشي ييسر على القارئ الفهم، ويمكنه من نصوص شتى في نفس الوقت، وأن كثير من هذه الشروح قد جاءت أقرب ما يكون إلى التحقيق المعاصر لا ينقصها عنه إلا حسن العرض والإحالة المدققة[6]، كما نلحظ واقعا لغويا بارزا كانت تعيشه البلاد

---

[1]- عبد الله العروي: **المرجع السابق**، ص 485.

[2]. أحمد بن القاضي: **المنتقى المقصور**، ج1، المصدر السابق، ص 205.

[3]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المرجع السابق، ص 23.

[4]- لطفي عيسى: **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، المرجع السابق، 17-23.

[5]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المرجع السابق، ص 27، 33-34.

[6]- فرحات الجعبيري: **دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2017، ص 51-52.

التونسية؛ يعكسه توزيع الكتب المخصصة للمذهبين واللغة التي كتبت بها هذه المصنفات خلال الفترة، فرغم كون التركية لغة العنصر التركي؛ فإنها لم تكن لغة للتعليم في المدارس، ولا لغة للتأليف لدى العلماء إلا في حالات نادرة، في حين كانت **اللغة العربية** لغة السكان المحليين؛ وهي اللغة المستخدمة بدلا منها، ذلك أن أغلب المصنفات دونت بشكل مطلق باللغة العربية؛ مقارنة بالمؤلفات التي دونت باللغة التركية؛ لغة الحديث والإدارة في الأجهزة الحكومية[1].

ومع هذا فقد وجد إنتاج ثقافي متنوع يتصل بوجوه الثقافة التقليدية التي كانت سمة العصر، ومن أشهر المؤلفات في التاريخ والفقه والحديث نذكر؛ في**التاريخ**: كتاب "**المؤنس في أخبار إفريقية تونس**"**لابن أبي دينار** الذي انتهى منه عام 1092هـ/1681م، و"**قرة العين بنشر فضائل الملك حسين وقمع ذي المين**" **لمحمد ابن الحاج عمر بن إبراهيم بن عمر بن قاسم سعادة المنستيري**، الذي أشار فيه إلى سيرة **حسين بن علي**، و"**الحلل السندسية في الأخبار التونسية**" **للوزير السراج** الذي أتمه سنة 1144هـ/1731م، و"**الشهب المخرقة فيمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة**" **لأبي العباس أحمد بن مصطفى برناز** الذي ألفه سنة 1124هـ/1712، و"**المشرع الملكي في سلطنة أولاد حسين بن علي تركي**"**لمحمد بن محمد بن يوسف** الملقب بالحاج الصغير الباجي؛ الذي ألف كتابه سنة 1177هـ/1773م، **وفي الفقه**؛ فقد جعل فقهاء العصر لكتب الفقه الأصلية؛ **مختصرات** ووضعوا عليها حواشي؛ منها **مختصر خليل**، ومن أشهر كتب الفقه في هذا العصر **أجوبة أبي الفضل قاسم بن محمد عظوم المرادي القيرواني**، وهو عبارة عن مسائل فقهية، **وفي الحديث**؛ اعتنى الناس **بالكتب الستة** وخاصة **صحيح البخاري**، والملاحظ أن علم الحديث لم يقع الاعتناء به إلا في نطاق حلقات الجامع الأعظم؛ ومدراس العلم المنتشرة، ومن المؤلفات نجد "**سمط اللآل فيما بالشفاء من الرجال**" **لأبي عبد الله محمد بن قويسم**(ت. 1702م)؛ وقد ألف في رجال كتب الحديث، إلى جانب بعض مصنفات **التراجم**؛ من ذلك "**ذيل بشائر أهل الإيمان**" **لحسين خوجة**، بالإضافة إلى علماء آخرين اشتهروا بحلقات دروسهم وتآليفهم، ومن أشهرهم؛ الشيخ **محمد الحجيج الأندلسي**، و**محمد زيتونة**[2].

06–المؤسسات الثقافية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني:

يمكن حصر نشاط المراكز الثقافية بتونس خلال الفترة العثمانية فيما يلي:

أ–الكتاتيب:

الكتاتيب هي بيوت مختصة بتعليم القرآن[3]؛ يرتادها في الغالب الأطفال البالغين ست سنوات، حيث يجلسون أمام مؤدب؛ في كتاب كائن بحومتهم أو قريب من محل سكناهم[4]، ومن حيث المكان مسجدي أي ملحق بمسجد أو جزء منه ومستقل، وينقسم إلى حضري وهو مدني أو قروي وإلى ريفي أو بدوي وهو ما نستطيع أن نسمية الكتاب القربي أو بلغة أصح الكتب الكوخي[5]، وبقيت الكتاتيب منتشرة في البلاد، وقد بلغ عددها في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع

---

[1]– خليفة حماش: **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا**، المرجع السابق، ص 77.

[2]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 50-57.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: **المرجع السابق**، ص 68.

[4]– محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 85.

[5]– عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب**، المرجع السابق، ص 93-94.

عشر الميلادي ما يقرب من **ثلاث مائة كتاب**، وكانت تركز على تعليم الصبيان القراءة والكتابة[1]. إن برنامج التعليم بالكتاتيب ديني وأدبي وفني؛ يعتمد على الحفظ من ناحية الذاكرة ومن ناحية أخرى على الملاحظة والأشغال اليدوية، وقد أولى الأمراء المراديون والحسينيون والوزراء عناية فائقة بها، فبنوا الكتاتيب الأنيقة في قصورهم وجلبوا إليها المؤدبين الممتازين، وأرسلوا إليهم أبناءهم وبناتهم[2]، ففي أواخر القرن 18م أسس الوزير الشهير المصلح **أبو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع(ت.1230هـ/1815م)** مجموعة من الكتاتيب؛ إذ يقول **بن أبي الضياف** أنه أحيا سائر ما اندرس أو تداعى من الكتاتيب القرآنية بالحاضرة[3]، حيث تزايد انتشار الكتاتيب على العهد الحسيني، إذ يقول **ارنولد قرين** في هذا السياق:" **وكان لكل حي كتابه الذي يشغل غرفة شاغرة أو جزءا من مسجد أو زاوية، وقد تجاوز عدد الكتاتيب في البلاد الألف**"[4]، ولا يعد معلمي الصبيان (الكتاتيب) من طبقة العلماء، كذلك فإن تلاميذ الكتاتيب لا يمكن أن يكونوا مؤهلين لأن أن يسموا علماء إلا إذا أنهوا تعليمهم في جامع الزيتونة أو ما يوازيه، بالإضافة إلى ضرورة حصولهم على التدريب الدقيق، ذلك أن الخلفية العلمية للعالم لها أهمية بالغة جدا [5].

ب–المدارس:

انتشرت بالبلاد التونسية العديد من المدارس التي تميزت بمستواها العلمي وببرامجها الراقية لمحافظتها على التقاليد الحفصية والأندلسية ولاتصالها الوثيق بالمشرق، وكذلك لاهتمام الحكام بها ورعايتهم للقائمين عليها، فاشتهرت مدينة تونس بمدارسها الكثيرة وفي مقدمتها الجامع الأعظم (الزيتونة) الذي استطاع أن يحافظ على مكانته المميزة أمام منافسة المدارس والزوايا التي أنشأها الحكام[6]، ولم تقتصر مجهودات إنشاء المدارس على الأمراء فحسب، بل سعى رجال العلم وأهل الصلاح في تأسيس عدة مدارس لتكون رباط لطلبة العلم، ولهذا تعددت مدارس العلم في القرون الثلاثة التي عاشتها الدولة الحفصية، ولكن القرن السابع استأثر بالنصيب الوافر، فتأسست فيه الشماعية والتوفيقية والعصفورية والمغربية والمرجانية، وتأسست في القرن الثامن العنقية ومدرسة سيدي يحي، ومدرسة ابن تافراجين، أما القرن التاسع فتأسست المنتصرية وغيرها[7]، وقد اقتفى أثر أبي زكرياء الأول الحفصي في إنشاء المدارس للتعليم ولسكنى الطلبة؛ جملة من الأمراء الحفصيين إلى آخر عهدهم، ثم جاء من بعدهم الأتراك ثم المراديون ثم الحسينيون فتزاحم أمراؤهم على إحداث مثل تلك المعاهد، وانتشر اتخاذ المدارس في الحاضرة وفي غيرها من المدائن التونسية، ولله در من قال: "**وواضع حجرا في أس مدرسة أبقى على قومه من شاهق الهرم**"[8]. ولما قدم الأتراك في القرن 10هـ/16م؛ اتبعوا نفس الخطة التي سار عليها الحفصيون، واعتبروا أن نشر **المذهب الحنفي** لا يكون إلا عن طريق المدارس التي يعين فيها أستاذ بمرتب لتدريس

---

[1]– نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 86–87.

[2]– عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب**، المرجع السابق، ص 96.

[3]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 94.

[4]– ارنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 44.

[5]– نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 86–87.

[6]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، المرجع السابق، ص 143.

[7]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 47، 48.

[8]– حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ج2، المرجع السابق، ص 78.

مذهب من المذاهب، ويعين له الاتجاه بخلاف المساجد فهي حرة لكل احد؛ وهي صالحة لنشر العلم بصورة عامة لا لمذهب معين[1]، وإلى جانب المدارس المالكية تم تشييد بعض المدارس الحنفية، فقد بنى **يوسف داي** (1610-1637م) مدرسة تعرف باسمه؛ وفيها عدة بيوت للقاطنين بها ومدرس على مذهب **الإمام أبي حنيفة** وجعل مرتبا للقاطنين بها والخدمة؛ وأوقف عليهم أرغفة من الخبز لكل من المؤذنين والإمام والطلبة [2]؛ غربي مسجده، وأول مدرس بها **رمضان أفندي الخطيب**؛ وهو أول مفت حنفي بتونس[3]، و**مدرسة الزاوية البكرية** التي امتزجت مع **زاوية العائلة البكرية**، والتي ازدادت سمعتها **أوائل القرن 11هـ،/17م** على عهد الشيخ **تاج العارفين البكري** إمام جامع الزيتونة، و**المدرسة المرادية** التي أسسها **مراد باي الثاني** سنة 1673م[4]، والتي يسميها البعض مدرسة **التوبة**؛ والتي جعلها للعلم وتلاوة كتاب الله؛ وخصها بإمام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها، ولهم مرتبات وأوقف عليها عدة حوانيت بإزائها[5]، و**المدرسة المرادية بقابس** التي بنيت في عهد **محمد المرادي** عام 1086هـ/1675م؛ لغرض تدريس العلوم الدينية والقرآن الكريم، حيث عين لها هذا الأمير فقيها يتقاضى راتبا شهريا؛ كما عين لها 20 طالبا تدفع رواتبهم من إدارة الأوقاف؛ وهي الأملاك المحبسة على الصحابي أبي لبابة[6]، ومدرسة **القائد مراد** أحد مماليك الأمراء المراديين المعروفة بمدرسة **السواري** سموها كذلك لوقوعها بزقاق السواري من **حومة حوانيت عاشور**؛ وكانت من المدارس الخاصة بسكنى الحنفية؛ أحدثها سنة 1093هـ/1682م[7]، و**المدرسة الجمنية** (نسبة إلى إبراهيم الجمني) بجزيرة **جربة** التي بناها **مراد باي بن علي باي بن مراد بن حمودة باشا** سنة 1113هـ/ 1701م[8].

وعلى العهد الحسيني بنى مؤسس الأسرة **حسين بن علي**(1705-1735) المدارس في **العاصمة وعدد من المدن التونسية، ورمم المدارس التي شيدها المراديون بالكاف وقفصة وتوزر وجربة**، ثم شرع بعدها في **إنشاء المدارس الجديدة**[9]، فبنى المدرسة **الحسينية الكبرى** قرب جامع الزيتونة؛ وجعلها للعلم وتلاوة كتاب الله ورواية الحديث الشريف، وانتخب لها المدرس العلامة **أبو عبد الله محمد بن محمد الخضراوي**، وقدر لذلك أرزاقا جارية من ريع الوقف (السوق المعد لتجار الجرابة والوكالات الثلاث)[10]؛ وذلك في سنة 1126هـ/1714م، وهي المدرسة المعروفة باسم **مدرسة النخلة**، و**المدرسة الحسينية الصغرى** التي أحدثها سنة 1715م[11]، ومدرسة **الجامع الجديد**، ثم مدرسة **جامع**

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 48.

[2]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 229-230.

[3]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 353.

[4]- محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، المرجع السابق، ص 298-299.

[5]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 272.

[6]- بلقاسم بن محمد بن جراد: **المرجع السابق**، ص 144.

[7]- محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، المرجع السابق، ص 303-304.

[8]- محمد أبو راس الجربي: **المصدر السابق**، ص 99.

[9]- الشيباني بن بلغيث: **التعليم والأوقاف في المدارس التونسية خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، ج1، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2018، ص 89.

[10]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 167-169.

[11]- محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، المرجع السابق، ص ص 307، 309.

باردو[1]، ومن مآثره إحياؤه المدرسة المعروفة **بالكيلانية** بمدينة **سوسة**، كما أنشأ مدرسة ببلد نفطة سماها الكيلانية، وأخرى **بصفاقس**[2]، ومدرسة **بالقيروان** وبنى بها سوقين أوقفهما على المدرسة، كما رتب بجامع الزيتونة حزبا لقراءة القرآن، ودرسا للتجويد وغيرها[3]، ويندر أن نجد مركزا من المراكز الثقافية بإفريقية لم تشمله عناية هذا الأمير، وكانت المدارس بمدينة تونس لوحدها قادرة على استيعاب حوالي خمسمائة طالب من جميع المناطق[4]، وقد وقع تعيين أكابر العلماء للتدريس في هذه المراكز مع مرتبات ومنح سنوية وأحباس للإنفاق عليها المدة الطويلة، وتطورت مهمة شيخ المدرسة فأصبحت تجري المناظرات لاختيار شيخها كالمناظرة التي جرت حول المرادية بين الخضراوي ومحمد زيتونة، وفاز فيها الأخير[5].

كما اعتنى **علي باشا** كثيرا ببناء المدارس فبنى أولا مدرسة **بحومة حوانيت عاشور** بمدينة تونس، وجعل فيها الشيخ **أبو محمد سيدي عبد الله السوسي** مدرسا، وأخرى **ببئر الحجار** وهما معا **للمالكية**، ثم زاد **ثالثة بالقشاشين** قرب جامع الزيتونة وهي **للحنفية**، ورابعة بالقرب منها للمالكية" **المدرسة السليمانية**"؛ وجعل شيخها الشيخ **أبا عبد الله محمد الغرياني**، وجعل بكل مدرسة خزانة كتب، وجعل لها مرتبات من الخبز والدراهم إعانة لطلبة العلم[6]، ومن حسنات **علي باي(1859–1882)** الذي أولى عنايته للعمران ونشر العلم؛ المدرسة **الحسينية الكبرى** التي أحدثها بين 1758–1776م، وتعتبر من أفخم المدارس وأبدعها، ورتب بها شيخا مالكيا، وأسند النظر في أمرها، وجعل له إمامة المدرسة، وجعل بها أيضا شيخا حنفيا يقرأ بها درس فقه العبادات والمعاملات، وثمانية طلبة من الحنفية يقرأون عليه الدرس المذكور، ورتب بها شيخا ثالثا مالكيا يقرئ درسا في العربية أو الأصول أو الكلام أو المنطق، ورابع يقرئ درسا من التجويد، وثمانية مؤذنين للآذان، وأسكن بها ثلاثين طالبا[7]، وهي المدرسة المعروفة أيضا باسم:" **المدرسة الجديدة**" الكائنة قرب تربة أبيه، ومنها إنشاؤه لملجأ الضعفاء والعجزة المعروفة بالتكية[8].

وعلى عهد حمودة باشا نجد مدرستي الوزير **يوسف خوجة صاحب الطابع** التي بناهما بالحلفاويين لطلبة العلم عام 1229هـ،/1813م؛ إحداهما لقراءة العلوم والأخرى للتجويد، ووقف عليهما أوقافا كافية[9]؛ من ذلك أربعة خزائن من الكتب العلمية إثنتان لنظر الإمام، واثنتان لنظر شيخ المدرسة[10]، و**المدرسة البشيرية** التي بناها **حسين باي** (1824–1835) بربض باب الجزيرة؛ لسكنى الشيخ الولي **سيدي محمد البشير الزواوي**؛ وجعلها وقفا عليه في حدود سنة 1240هـ/1824م، وكانت هذه المدرسة سكنى طلبة العلم من أبناء أشراف زواوة أتباع الطريقة الرحمانية، ومسجدها

---

[1]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 49.

[2]– الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج3، المصدر السابق، ص 228–230.

[3]– ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان**، ج2، المصدر السابق، ص 100–101.

[4]– عثمان البرهومي: **المرجع السابق**، ص 285.

[5]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 49.

[6]– محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 162–163.

[7]– الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 299.

[8]– حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 130.

[9]–محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، المرجع السابق، ص 325.

[10]– الشيباني بن بلغيث: **التعليم والأوقاف في المدارس التونسية خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، ج1، المرجع السابق، ص 132.

حافل بالدروس، واستمر نظام المدرسة على ما كانت عليه من إسكان الطلبة و إطعامهم في عهد **الشيخ العربي البشير** نقيب السادة الأشراف وعلى منواله كان عمل أبناءه[1]، وهذا دون أن ننسى مدارس الأقاليم بصفاقس وسوسة والقيروان والمهدية ونابل وقابس وقفصة وتوزر والكاف وباجة وتستور وسليمان[2]. ولم يكن بناء المدارس قاصرا على الحكام من البايات والوزراء، فقد كان لبعض الشخصيات الدينية ذات الصيت الكبير دور هام في هذا الشأن؛ من ذلك نجد الولي الصالح الشيخ **أبو الغيث غالب القشاش التونسي**(ت. 1031هـ/ 1622م) الذي كانت له اليد البيضاء في تشييد المدارس بالحاضرة التونسية، وفي هذا يقول **صاحب الدرة:" أبو الغيث غالب القشاش الولي الصالح...وهو منشئ المدارس اليوم بتونس المحروسة بنى مدارس لا يقدر على بنائها على تلك الصفة إلا أكابر الملوك وزوايا بتونس واستخلص جمعا غفيرا من أسارى المسلمين من يد العدو الكافر..."**[3].

ج–الزوايا:

انتشرت الزوايا خلال العهد العثماني في تونس وازدادت مبانيها في المدن والأرياف مع توسع الطرق الصوفية، وكان عدد هذه الزوايا كبيرا، وتتعدد الوظائف التي تقوم بها؛ منها التعليم، إذ كانت تأوي الطلبة الذين يتلقون بها دروس العلم، إضافة إلى ذلك تقوم الزاوية بإطعام الفقراء والغرباء على يد شيخ الزاوية[4]، وقدأصبحت الزوايا في هذا العصر مركزا من مراكز التأثير الروحي، ينتصب فيها الشيخ؛ يحيط به المريدون الذين يخضعون لخطته ويأتمرون بأوامره، وبهذا الاعتبار استقطبت هذه الزوايا مريدين من كل مكان ينشدون الحقيقة، وانتصب الشيخ هاديا لحيرتهم، ومفرجا لكربتهم، ورجال التصوف والزوايا في هذا العصر أميون في الغالب وعلمهم ملهم، استطاعوا استغلال مراكز التأثير في الشعب، فانجذب الشعب إليهم؛ وتبعهم العلماء أيضا نظرا لمكانتهم وعلو مقامهم، وسار رجال الدولة على نفس النهج فبنوا لهم الزوايا، وخطبوا عطفهم، واحترموا حرمتهم، وأصبح الانضمام للطريقة من مكملات شخصية العالم، وأضحت الزوايا ملاذا للمظلومين، يستجيرون بها عندما تسطو عليهم عصا المظالم، والأمراء يحترمون من استجار بهم، وبهذا أصبحت الزوايا مركزا من مراكز العلم تدرس فيها العلوم المختلفة، وينتصب فيها المشايخ للإقراء، وتخصص لهم المرتبات[5].

لقد بنى حكام الدولة المرادية (1631–1702) عددا هاما من الزوايا وأوقفوا عليها أملاكا ذات بال خصص محصولها للطلبة والمدرسين؛ خاصة الطلبة الغرباء عن العاصمة[6]، ومن أشهر الزوايا بالبلاد التونسية؛ زاوية **الشيخ سيدي علي عزوز الفاسي** المشهورة به **بزغوان**؛ وهي زاوية عظيمة عامرة، تقوم بالوظائف وتقدم الطعام للصادر والوارد من السالكين طريقته، وقد كان للشيخ تلامذة وزوايا في كثير من بلاد إفريقية، منها واحدة في **رأس الجبل** وأخرى **بتستور**، وأخرى بمدينة **تونس**، وأخرى ببلد **نابل** عامرة وغيرها[7]، **وزاوية الشيخ أبي الحسن علي النوري**(ت. 1118هـ/

---

[1]– محمد الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والحديث**، المرجع السابق، ص ص 325،326.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية**، المرجع السابق، ص 143.

[3]– ابن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، مج3، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص 261–262.

[4]– الشيباني بن بلغيث: **التعليم والأوقاف في المدارس التونسية خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص 53.

[5]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 49، 50.

[6]– الشيباني بن بلغيث: **التعليم والأوقاف في المدارس التونسية خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص 53.

[7]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 289.

1706م) **بصفاقس**، التي تولى القيام بها بعد وفاته نجله **أبي العباس أحمد النوري**؛ والتي كانت مركزا من مراكز التأثير الروحي والعلمي؛ حيث تخرج منها مشاهير التلاميذ الذين نهلوا العلم بين يديه وعلموه الناس بعده[1]، **وزاوية سيدي إبراهيم الجمني**(ت. 1143هـ/ 1722م) بجربة التي كانت مخصصة لدراسة الفقه المالكي في وسط يسوده المذهب الإباضي، مما جعلها مقصد طلبة إقليم الساحل[2]، وكان تدريس الشيخ **إبراهيم الجمني** بهذه الزاوية مرتكزا أساسا على مختصر خليل وعلى الأحاديث النبوية؛ فتخرج عليه عدد كبير من الطلبة الذين نشروا المذهب المالكي وأضعفوا المذهب الإباضي في تلك الجهة[3]، وقد بنى الشيخ **أبو الغيث القشاش**(ت. 1031هـ/فيفري 1622م) زوايا عديدة بتونس؛ ومن أشهر زواياه زاويته المعروفة باسمه"**الزاوية القشاشية**" قرب جامع الزيتونة[4]، **وزاوية الشيخ أحمد التليلي** التي تأسست عام 1733م **بفريانة** في فضاء الفراشيش؛ التي أضحت دار علم ونقطة إطعام، وفيها يتم الصلح بين المجموعات وإيداع الأمانات؛ فقد أضفى الاعتقاد في بركة الشيخ نوعا من الأنسنة على إحدى مجالات التخوم الساخنة[5].

وهذا دون إغفال مقامات الأولياء الشهيرة؛ التي أضحت مزارات يتهافت عليها الناس من كل حدب وصوب؛ **كالمقام الشاذلي** الذي كان بيتا للصلاة؛ مشهورا بالفضل، ولأهالي تونس اعتناء عظيم، ورغبة في زيارة هذا المقام لتلاوة القرآن وسرد أحزاب الشيخ الشاذلي وذكر الله العظيم، والتوسل بالشيخ الشاذلي والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم، والابتهال إلى الله، ومقام الصالحة الجليلة المشهورة بالبركات والكرامات؛ **السيدة عائشة المنوبية** الموجود خارج باب القرجاني من مدينة تونس، ومقام أحد أصحاب أبي الحسن الشاذلي؛ **سيدي علي الحطاب**، ولأهالي تونس اعتناء كبير بزيارته؛ وهو على مسافة 18 ميلا من تونس، ومقام **سيدي عبد الله الشريف** خارج باب سيدي عبد الله من تونس، كثيرا ما تزوره النساء يوم الخميس من كل أسبوع، وأيضا مقام **سيدي سعد الشوشان** الكائن بالمرناق على مسافة أميال من الحاضرة من الجهة القبلية الجنوبية؛ له زيارة معلومة في كل سنة تدوم أربعة أشهر في السنة، ومبدؤها أول شهر من الخريف، وزيارته ثلاث أيام من كل جمعة وأغلب من يزوره العبيد[6].

د–المساجد:

كانت المساجد وما تزال الركيزة الأولى للتعليم وأهم المنافذ الثقافية والعلمية، فإلى جانب ما تقدمه هذه المؤسسات من خدمات في الجانب الديني باعتبارها مؤسسة شعائرية؛ فإن لها دور تعليمي تثقيفي رائد، حيث أضحت هذه المؤسسات الدينية مع مرور الوقت جامعات ومراكز إشعاع، ومنارة لتلقي مختلف العلوم والفنون من داخل وخارج البلاد[7]، إذ تتوافر مدينة تونس عاصمة الإيالة على العديد من المساجد بعضها جميل نسبيا؛ والملاحظ أن بعضها لا يثير انتباه المسافرين

---

[1]– محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج2، ص 363.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية**، المرجع السابق، ص 143.

[3]– أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المرجع السابق، ص 49.

[4]– ابن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، مج3، المصدر السابق، ص 262.

[5]– الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 166.

[6]– محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 209–212.

[7]– رزيقة محمدي: **النظام التعليمي في تونس خلال الفترة الحسينية 1117–1298هـ/1705–1881**)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2019–2020، ص 53.

كما يذكر **بايسونال** في رحلته إلى تونس عام 1724م[1]، ومع تعدد الجوامع بتونس وكثرتها ووفرة العناية بها، يبقى **جامع الزينونة** ذا مكانة خاصة؛ فهو أشهر وأقدم المعاهد العربية الثلاثة الموجودة بشمال إفريقيا إلى جانب القرويين والأزهر، وأفخر مؤسسة إسلامية تونسية عمت سمعتها المشرق والمغرب، فقد كان بحق كلية جامعة لتعليم علوم الدين واللغة العربية[2]، ولمنزلته يقول **التمجروتي** في النفحة:" ...**جامع الزيتونة وما أدراك ما الجامع جامع عظيم البركة يعلوه نور ومهابة وانشراح من أثر من سلكه من العلماء والصالحين ينبسط فيه القلب وينشرح فيه الخاطر لا يحب داخله أن يخرج منه** ..."[3]، ويشير **المكناسي** في رحلته عام 1785م أيضا **لمكانة جامع الزيتونة**؛ بقوله: (**وجامعها معمور بقراءة القرآن والتدريس متصلا ذلك بياض النهار**)[4]، ويتحدث **ابن مخلوف** عن الدور الرائد الذي يضطلع به الجامع الأعظم؛ إذ يقول:" ...**أن جامع الزيتونة أدام الله عمرانه هو الكلية الوحيدة بإفريقية والكعبة التي يؤمها طلبة العلم من الجهات ومنها يتخرج الفحول من العلماء والمدرسون به هم الذين يبثون في الأمة روح الشرع العزيز وقواعد الدين الحنيف والتمكين من اللغة العربية الفصيحة التي أصلها مكين وموردها عذب معين**..."[5].

لقد كان الجامع الأعظم إلى جانب الأزهر والقرويين؛ واسطة العقد من حيث موقعه الجغرافي، ومنزلته السامية في جميع العلوم التي قام بتدريسها في القرون الطويلة، وما قدمه للأمة من فحول العلماء الذين لا يشق غبارهم، ومن غرائب تصانيفهم التي لم ينسج على منوالها[6]، حيث برزت معالم نشاط تدريسي بالجامع الأعظم؛ الذي استقطب جل العلماء الذين نشأوا بتونس أو هاجروا إليها، فمكانة جامع الزينونة العلمية والدينية هي التي جعلته هدفا لهجومات الإسبان، ومع ذلك فقد استرجع قواه، ورتب العلماء دروسهم، وانتخب الأمراء من علمائه شيوخا لمدارسهم التي أحدثوها، وبمجيء **حسين بن علي** رتب به شيوخا يقرؤون القرآن، وطلبة للتجويد، وأساتذة لتدريس العلوم المختلفة، بلغ عددهم الثلاثين هذا زيادة عن مدرسي الأحباس والمتطوعين[7].

ويذهب البعض من الدارسين بالقول أن طريقة التعليم بالزيتونة اتسمت بحشو الأدمغة بالمعارف التعليمية التي يتوجب حفظها دون بحث أو تمحيص؛ مع أن قائمة العلوم المقررة على الطلاب كانت ضخمة، وكان هؤلاء الطلاب يفتقرون إلى الوقوف عند المسائل ومناقشتها، وأهم العلوم التي كانت تدرس في الجامع الأعظم: العلوم الدينية كالقرآن، والتفسير والحديث، وأصول الفقه وغيرها، هذا بالإضافة إلى تدريس النحو، والصرف، والأدب والتاريخ، والحساب، ويقوم بالتدريس في هذا الجامع العلماء؛ وهم الذين تعلموا العلوم الدينية ومارسوا دراستهم عمليا [8]، أما عن مدينة **القيروان**؛ فقد أصبح فيها **ما ينيف عن الخمسين مسجدا**؛ جعل فيها **حسين بن علي** دروسا يقوم بها أشهر الأساتذة بمرتبات

---

[1]-Peyssonenel et Desfontaine: **Op.cit,** P 24.

[2]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 288.

[3]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 27.

[4]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **المصدر السابق**، ص 325.

[5]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج2، ص 199.

[6]- محمد بن عثمان الحشائشي: **تاريخ جامع الزيتونة**، تح علي بن أحمد العلايمي، ط1، دار المازري للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 59.

[7]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 46-47.

[8]- نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 86.

حسب كفاءتهم[1]، ومنها أيضا اتمام سور القيروان وأبوابها وبرجها، ومنها ما أوقفه على حزب السبع بالجامع الأعظم جامع الزيتونة، وما أوقفه على قائمي الليل بالصوامع، وما أوقفه على المدرسة التوفيقية وإقامتها [2]، ومن أهم مساجد القيروان التي يلقن فيها أصناف المعرفة **جامعها الأعظم** الذي بناه عقبة بن نافع؛ الذي يتوافد عليه طلاب العلم من كل أنحاء إفريقيا؛ الذين يشبههم المؤرخ **"مارمول"** الذي عاش في القرن 10هـ/ 16م بالطلبة الفرنسيين الذين يحجون إلى باريس أو الطلاب الإسبان الذي يقصدون جامعة سلامانكا[3]، والشيء الملاحظ أن لكل مدينة من المدن الكبرى جامعها الأعظم الخاص بها يمثل معهدا للتعليم؛ مثل الجامع الأعظم بصفاقس وجربة وزغوان وباجة[4]، فقد ذكر **الورثيلاني** أن بمدينة صفاقس مسجدا عظيما تجتمع فيه القراء والعلماء للتدريس؛ وهذا في طريق أوبته من الحج عام 1179هـ/1765م[5]، وإذا كان عدد المساجد ينيف عن الخمسين بالقيروان؛ فإن عددها بالحاضرة التونسية على عهد **محمود باي** سنة 1235هـ/1819م؛ ناهز 294 مسجد[6]، حيث أشار **فيليب دوماس** مبعوث وزير الحربية الفرنسي إلى تونس عام 1850؛ أن مدينة تونس كانت تحتوي على عدد لا يحصى من المرابطين والمساجد؛ من بينها **تسعة مساجد** تقام فيها الخطبة، **خمسة منها مالكية وأربعة حنفية**[7].

وإلى جانب المساجد المالكية؛ توجد بالإيالة جوامع حنفية؛ من ذلك **جامع يوسف داي** (1610-1637م) أول جامع حنفي برأس سوق الترك بالحاضرة التونسية؛ والذي أتم بناؤه سنة 1020هـ/1612م[8]، ويسميه البعض **جامع البشامقية**[9]، وقد جعل إمامه من الطائفة الحنفية- **أحمد أفندي**- وجعل له أوقافا للمؤذنين والقراء والخدمة، وبنى بإزائه **مدرسة** تعرف به أيضا وفيها عدة بيوت للقاطنين بها؛ ومدرس على مذهب الإمام أبي حنيفة، وجعل مرتبا للقاطنين بها والخدمة؛ وأوقف عليهم أرغفة من الخبز لكل من المؤذنين والإمام والطلبة[10]، وكذلك الجامع الذي أنشأه **حمودة باشا المرادي**(1631-1662) عام 1655م؛ وألحق به ميضأة والتربة التي دفن بها أفراد العائلة المرادية، وحبس المؤسس على الجامع والميضأة والتربة أسواقا وحوانيت وحمامات وفنادق[11]؛ فجاء كما قال **صاحب المؤنس:" في غاية الحسن والضخامة بحيث لم ير في المغرب أسر منه"**[12]، كما قام **محمد باي المرادي** (1695-1696) ببناء الجامع المعروف باسم جامع **سيدي محرز** لوقوعه تجاه الزاوية المحرزية؛ وكانوا يسمونه **بالجامع الجديد**؛ حيث شرع في بنائه سنة

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 43.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 171، 172، 175.

[3]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 97-98.

[4]- رزيقة محمدي: **المرجع السابق**، ص 28.

[5]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 307.

[6]- ابن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد**، المصدر السابق، ص 239.

[7]- Philippe Daumas : **Quatre ans à Tunis, Alger**, Hachette Livre, BNF, France, 1887, P 55.

[8]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 352.

[9]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 177.

[10]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 229-230.

[11]- أحمد السعداوي: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، المرجع السابق، ص 13.

[12]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 264.

1104هـ/ 1692م، لكنه توفي قبل إتمامه سنة 1108هـ/1696م؛ فأكمله أخوه **رمضان باي**[1]. ونهج البايات الحسينيون نهج المراديين في العناية بالمساجد؛ وبنائها وتجديدها، فقد قام مؤسس الأسرة **حسين بن علي** ببناء جامعه المعروف **بالجامع الجديد**، وأقيمت به أول صلاة في 14 من شعبان 1139هـ/ 1714م، وأول خطيب به العالم الفقيه **أبو العباس أحمد بن مصطفى الحنفي**، ورتب به أربعة دروس[2]، **وسابع** الجوامع الحنفية وآخرها عهدا؛ جامع **صاحب الطابع** الذي أسسه الوزير **أبو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع**[3]، وقد استغرق في بناء هذا الجامع الحافل البديع **قرابة ست سنوات**(20 فيفري 1808-04 مارس 1814م)، وأول خطيب به شيخ الإسلام العلامة **أبو عبد الله محمد بيرم الثالث**، وأول إمام فيه للصلوات الخمس الشيخ **أبو العباس أحمد الأبي**، وأول المدرسين به الشيخ **أبو عبد الله محمد الفاسي**، وخصه بأربع خزائن مملؤة بالكتب العلمية[4]، **أما حمودة باشا** فينسب إليه **مسجد صغير قرب القصبة**؛ عرف باسمه"**مسجد حمودة باشا الحسيني**"، وقد أوقف عليه أوقافا ورتب به أحزابا[5].

هـ-المكتبات:

من أشهر المكتبات التي تعود إلى العهد الحفصي؛ **نذكر المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة، والتي أسسها أبو عبد الله الحسن الحفصي (1493-1525م)؛ وقد استمر عطائها زمنا طويلا إلى أن تعرضت للتلف والضياع بعد نهب الإسبان مدينة تونس عام 1573م**[6]، حيث كانت بها من الكتب العتيقة النفيسة والمذهبة البهيجة نحو ثلاثون ألفا تلاشت بعد ذلك؛ إلى أن جددها المشير الأول **أحمد باشا باي** في حدود سنة 1256هـ/1840م[7]؛ الذي أوقف مكتبة تراثية ضخمة على المؤسسة العلمية "الجامع الأعظم" كعمل خيري تجاه طلبة العلم بين 1840-1842، ويكون بذلك العمل قد وضع اللبنة الأولى لمشروع مكتبة عمومية كبرى؛ ما يعني أن الباي قد وضع النواة الأولى للمكتبة الوطنية التونسية[8]، وهذا يعكس لنا التوجه السياسي القوي الذي كان ينتابه نحو الإصلاح العام؛ ومنه نشر التعليم في المجتمع التونسي.

وقد توجهت عناية **البيت الحسيني** بنسخ الكتب وشرائها، حيث اجتهد رأس الأسرة **حسين بن علي** في ذلك لحد تكوين خزانة معتبرة؛ أوقفها على المحكمة الشرعية بتونس؛ إلا أن ابن أخيه العالم الأمير **علي باشا** صاحب النهضة العلمية فاقه في هذا الميدان؛ إذ أرسل للأستانة مفتي دولته الشيخ **حسين البارودي**؛ لشراء أكثر ما يمكن اقتناؤه من أحسن الكتب وأبدعها خطا وتزويقا وتذهيبا، جمعها بمكتبته التي جعلها بمسجد **بيت الباشا بباردو**، وكان في جملتها الكتب النادرة من بينها **حواشي الكشاف** التي لم تكن موجودة قبل ذلك بين أهل العلم بتونس؛ إلا أن كتبه تلاشى

---

[1]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 185.

[2]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، المصدر السابق، ص 100.

[3]- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 214.

[4]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، المصدر السابق، ص 91.

[5]- محمد السنوسي، **مسامرات الضريف بحسن التعريف**، ج1، المصدر السابق، ص 122.

[6]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، المصدر السابق، ص 21.

[7]- محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 95.

[8]- خليفة حماش: **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا**، المرجع السابق ص 57.

الكثير منها بامتداد يد النهب مع عودة أبناء **حسين بن علي** إلى الحكم[1]، حيث أتلف الجيش المهاجم هذه المكتبة الجليلة جدا الغنية بالمخطوطات النادرة، ولم يزل بعضها موجودا في خزائن جامع الزيتونة وفي المكتبات العمومية[2]، وكان **الباشا** حريصا على استنساخ الغريب من المصنفات، وقد أوقف جانبا مهما من الكتب على المدارس العلمية التي ابتناها في الحاضرة مثل **السليمانية** ومدرسة **بير الأحجار** ومدرسة **حوانيت عاشور**[3]، ويستفاد من فهرس قديم موجود بمحفوظات الدولة التونسية، أن الكتب التي كانت بمسجد **بيت الباشا** بقصر **باردو** عند صعود المرحوم **محمود باي إلى** الحكم سنة 1230هـ/1814م كانت في جملتها 2726 مجلدا، وكان الأمراء يتفاخرون بها بين أهل العلم، فقد كان الباي **حسين بن محمود** وأخوه **مصطفى باي** بدوره؛ يشيران على شيوخ المجلس الشرعي عند اجتماعهم بمجلس الباي في قصر باردو، بمراجعة ما شذ من كتب الفقه لديهم بمكتبة مسجد بيت الباشا عند حصول خلاف بين الشيوخ؛ أو عند الحاجة للوقوف على عبارة نص بعينه، كما اقتدى بصنيع بايات البيت الحسيني الوزير **أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع**، فقد أحدث مع جامعه بالحلفاويين خزانة عامرة بأنفس الكتب في شتى العلوم[4]، أما الشيخ **الحشائشي التونسي** فقد ذكر أربع خزائن من نفائس الكتب العلمية؛ جعلها الوزير خدمة لجامعه المذكور[5]. إلى جانب المكتبات العامة نجد بعض المكتبات الخاصة، من ذلك مكتبة الشيخ **أبو الغيث القشاش** (ت.1031هـ/1622م) الذي جمع فيها من نظائر الكتب ما لا يعد كثرة ومن جملة ما وجد بخزئن كتبه نحو ألف نسخة من البخاري[6]، وخزانة كتب الشيخ المحدث النحوي العروضي **أبي عبد الله محمد برناز** الشهير **بقارة خوجة** (ت.1084هـ/1673م) التي كانت تنيف عن الأربعة آلاف[7]، و**مكتبة الشيخ أبي الحسن علي النوري** (1117هـ/1706م) الضخمة النفيسة **بصفاقس**؛ التي أكملها وطعمها نجله **أبي العباس أحمد النوري** (ت. 1151هـ/1738م) بعد وفاته بكتب كثيرة عقب عودته من الحجاز؛ خاصة كتب **الأدب** التي أكثر منها لأنها كانت مطمحه[8]، وعن مكتبة الشيخ **علي النوري** ونهمه وسعيه الحثيث للحصول على المصنفات؛ يقول **الوزير السراج:" وجمع كتبا عديدة، ما أعلم أحدا جمع ما جمع هو بحيث أطلق يد شركائه في بر المشرق مهما رأوا كتبا بلغت الكراسة منه أربعة نواصر يأخذونه، ولو كان مكررا، فيمسك الطيب من المكررين"**[9]، كما أسس الشيخ **أحمد التليلي** مكتبة زاويته **بفريانة**؛ بعد أن أسس المدرسة القرآنية سنة 1146هـ/1733م؛ وعمل على تنمية رصيدها من المخطوطات، سواء عن طريق الشراء، أو النسخ والتأليف[10].

---

[1]-محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 299.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 128-129.

[3]-حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ج2، المرجع السابق، ص 242-243.

[4]-محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 300.

[5]- محمد بن عثمان الحشائشي: **تاريخ جامع الزيتونة**، المرجع السابق، ص 86.

[6]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج 1، ص 424.

[7]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 400-402.

[8]-محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج2، ص 368.

[9]- الوزير السراج: المصدر السابق، مج3، ص 125.

[10]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 200.

06-المراكز الثقافية المستقطبة للجزائريين خلال العهد العثماني.

*** تونس (الحاضرة):**

اشتهرت تونس كحاضرة فكرية ومركز إشعاع مع انتقال مركز الثقل العلمي إليها منذ العهد الحفصي وما تلاه من احتفاء بالعلماء؛ وإنشاء للجوامع المدارس، وترتيب للقوانين اختصرت طرق الرحلة العلمية إليها[1]، فقد كانت تونس تمثل في تلك الفترة المركزية العلمية لوجود عدد كبير من المدارس وعلى رأسها الجامع الكبير"جامع الزيتونة"؛ إلا أن المدد الحقيقي كان يأتيها من داخل البلاد، فيهاجر الناس إلى تونس لاستكمال المعلومات، والتتلمذ على كبار الأساتذة، ثم يرجعون إلى بلدانهم إلا إذا عرض عليهم منصب علمي[2]، ولأهميتها كحاضرة ومركز إشعاع حلاها **التمجروتي** بقوله:" **مدينة عظيمة آهلة، دار علم وعمل وتجارة وفضل وهي كرسي مملكة إفريقية بعد القيروان، فيها مساجد عامرة بذكر الله وأسواق عامرة بفضل الله مفيدة ...**"[3]، حيث صارت تونس خلال العهد العثماني من جديد من أهم حواضر الغرب الإسلامي، وأصبحت مركز إشعاع على الأقطار المجاورة؛ تزخر بالكثير من الإنجازات الفنية الراقية[4].

*** القيروان:**

تعتبر القيروان واحدة من أهم مدن بالبلاد التونسية[5]، إذ تحظى هذه المدينة ذات الطابع الجهادي بمكانة مقدسة، فقد كانت عاصمة العلم منذ الفتح العربي، وأول مركز إسلامي شيد بإفريقية، وشكلت منطلقا للانتشار الديني والسياسي للمسلمين في بلاد المغرب؛ وقاعدة للشابية التي كانت في منافسة مع الزاوية الغريانية بالمدينة[6]، فقد اشتهرت في الذاكرة الجمعية بالصلاح، حيث اصطبغت بالقداسة ما جعلها محل تقدير وجعلها أرض بركة او بلاد الصالحين وأولياء الله، فحضور مقامات الأولياء أضفى على المدينة مسحة من القداسة متأتية من الاعتقاد في أن تلك الشخصيات من أولياء الله تظل حاضرة ببركتها، وحضورها بالمدينة سواء كانوا أحياء أو أمواتا من هنا تترسخ عادة زيارة تلك المقامات والتبرك بها، إلى جانب الجوامع والمساجد التي تشكل احدى مقومات التاريخ العمراني للمدينة الإسلامية فهي مدينة عقبة بن نافع التي اضطلعت بدور بارز خلال العصر الوسيط ضمن عمليات الأسلمة والتعريب كمركز ديني وسياسي وحضاري[7]؛ ذلك أن المدينة تبوأت منزلة روحية جعلتها تستثمر رصيدها العلمي والتاريخي من قداسة المكان وقداسة من دفن فيها من العلماء والصالحين والأعيان، فهذا **أبو راس الناصر** الذي زارها نهاية القرن 18م يقول:" **وإني قصدتها للزيارة سنة أربعة عشر ومائتين وألف "1214هـ/1799م" من المغرب الأوسط لأنها درة الصدف، وواسطة السفط، فدخلتها في سابع عشر شعبان**"[8]، هذا الرصيد الرمزي الذي اكتسبته القيروان جعلها تقوم بدور الواجهة البراقة والبؤرة

---

[1]- محمد صالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007، ص 25.

[2]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 43.

[3]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 26.

[4]- أحمد السعداوي: **العمارة والفنون في العصر الحديث**، المرجع السابق، ص 143.

[5]- Peyssonenel et Desfontaine : **Op.cit,** P 113.

[6]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية 1574-1881**، المرجع السابق، ص 40.

[7]- آمال المحفوظي: **المرجع السابق**، ص 112-113.

[8]- أبو راس الناصري: **نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، المصدر السابق، ص 82.

المشعة التي ساهم ألقها الحضاري في استقطاب بقية المجال المغاربي وشد الرحال إليها[1]، لذلك توافد طلاب المعرفة على القيروان من كل مناطق إفريقيا لاغتراف العلم[2]. كانت القيروان من الحواضر العلمية التي لعبت دورا مؤثرا في استقطاب نخبة من العلماء الجزائريين في فترات مبكرة، والتي جعلوها قبلة لهم للاستزادة من مختلف العلوم وشتى صنوف المعارف على غرار الفقيه العظيم **أحمد بن نصر الدوادي المسيلي** (ت.1011م) الذي درس بالقيروان ودرس بتلمسان[3]، فلطالما شدت أنظار العلماء الجزائريين واستهوت الكثير منهم وأغرتهم للقاء علمائها؛ لاشتهارها كعاصمة علمية وإسلامية، ومركز حضاري وسياسي، فألفوا سماء القيروان وهواءها، وعاشوا بين أحضانها ردحا من الزمن[4]، حيث عرفت حركة علمية نشطة وخاصة في العهد الحسيني، فقد بنى **حسين بن علي** المدينة بعد هدمها من طرف **مراد الثالث**، وأصبح بها ما **ينيف على الخمسين مسجدا**، وعين في هذه المساجد دروسا يقوم بها أشهر الأساتذة بمرتبات حسب كفاءتهم، وهذا يعكس لنا مدى تطور الحركة العلمية بالمدينة، وقد اشتهر من علمائها **آل عظوم والزوابيان وأحمد صدام** وغيرهم[5].

***جربة:**

أهم الحواضر العلمية التونسية من حيث تنوع العمران والسكان والعقيدة والمذهب، هذا التمايز والخصوصية يعكس لنا الحراك الاجتماعي والممارسات الثقافية بالجزيرة؛ ما أكسبها اندماجا ثقافيا معياريا تجلى في وحدة القيم والمعايير العقائدية والدينية والثقافية والاجتماعية من حيث المذهب العقائدي[6]، وقد حلاها **التيجاني** في رحلته بقوله:"**جربة من أعظم الجزائر خطرا، وأشهرها في سالف الزمن عمارة وذكرا**"[7]، فقد كانت الجزيرة مركزا علميا ودينيا وسياسيا للإباضية، وعلى خلاف ذلك الفكر السني ولا سيما الفكر المالكي حديث العهد نسبيا، ورغم ذلك تمكن علماء الدين المنسبين إلى المذهب المالكي من أن يجعلوا جربة مركزا علميا[8]، ومن أشهر مشايخ الجزيرة العالم الصالح الشيخ **الجمني** الذي استطاع أن يجمع حوله حركة علمية مباركة تمثلت في إرساله لتلاميذه إلى الجبال النائية لتثقيف الناس وتنوير ظلمة جهلهم بسراج الدين[9]، حيث أصبحت جربة مركزا للتعليم ولنشر المذهب المالكي بفضل المجهود الذي قام به **الشيخ إبراهيم الجمني**[10]، أما **صفاقس** فقد ظهر فيها كثير من العلماء الأعلام في مقدمتهم؛ **علي النوري** المولود **بصفاقس** سنة 1053هـ/ 1644م، الذي استطاع أن يكون حوله حركة علمية مزدهرة زيادة على إنشائه **لزاوية** وتموينه الجيوش لدفع

---

[1]- لطفي عيسى: **مغرب المتصوفة**، المرجع السابق، ص 62.

[2]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 98.

[3]- Ismail Warscheid: **Droit musulman et Société au Sahara Prémoderne, la justice islamique dans les oasis du grand Touat (Algérie) au 17e- 19e siècles**, Brill-France, 2017, P 178.

[4]- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين**، المرجع السابق، ص 49.

[5]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 43.

[6]- مبروك المشيري: **المرجع السابق**، ص 111.

[7]- أبو محمد عبد الله التجاني: **رحلة التجاني**، تق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص 121.

[8]- محمد المرمي: **المرجع السابق**، ص 308.

[9]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 43.

[10]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المرجع السابق، ص 49.

ضرر النصارى[1]، وأيضا **باجة** التي ازدهرت فيها الثقافة بحكم مركزها، وأهميتها العسكرية والاقتصادية، واشتهر من علمائها **محمد المغربي البصير** الذي كان يحفظ اثني عشر ألفية ومختصر خليل، بالإضافة لمدينة **سوسة** و**جهة الجريد**، ومما قدمنا يتضح أن المراكز العلمية بإفريقية كانت متفاوتة الأهمية، وأعلاها درجة وأرفعها شأوا وشهرة ومكانة مدينة تونس التي كانت معقلا للعلم لما توفرت عليه من مدارس ومساجد أعظمها جامع الزيتونة[2]، وقد أدى عدد من المثقفين من خريجي الجامع الأعظم دورا مهما في التأثير في الرأي العام نظرا لمكانتهم الاجتماعية البارزة في المجتمع التونسي، ومع أن ثقافتهم في مجملها كانت ثقافة تقليدية يغلب عليها طابع ثقافة الوسط الزيتوني؛ إلا أنه وجد من بين صفوف هؤلاء الخريجين من تأثر بثقافة العصر، واطلع على الحياة الثقافية من المناطق المجاورة مثل مصر من خلال الكتب التي كانت تصل إلى تونس من تلك المناطق[3]، وعلى الرغم من انتشار الحواضر العلمية بمختلف أرجاء الإيالة التونسية؛ تبقى **مدينة القيروان** و**صفاقس** و**جربة** و**سوسة** من أهم مراكز الإشعاع العلمي والفكري، لقد كانت هذه المراكز بحق قاعدة للنهوض بالبلاد وتطويرها؛ خاصة مع النهضة الثقافية التي عرفتها الإيالة أيام العهد الحسيني الذي بلغ فيه الاهتمام بالعلوم والثقافة درجة عالية[4]، حيث اشتهرت بالبلاد التونسية بيوتات عرفت بإقبال أبنائها على العلم، وتوليهم للمناصب الشرعية؛ **كآل الرصاع وآل النيفر**، و**آل عاشور** بين فقهاء المالكية، و**آل بيرم**، و**آل أبي الخوجة** بين الفقهاء الحنفية[5].

اصطبغت الحياة الثقافية في عمومها بالصبغة الدينية الذاتية في الغالب أي أنها كانت ثقافة إحالية نصية قوامها العقل النقلي؛ فقد نحت النخب منحى التقليد في كلا الإيالتين؛ وقامت في أساسها على المتون والشروح والحواشي؛ وظلت الفنون والعلوم إلهية لا يكون التعامل معها إلا بالحفظ، وأن تصبح عالما من الضرورة أن تكون حافظا للمتون وقارئا للحواشي؛ فمناهج التعليم قائمة على الطرق التقليدية التي تتعامل مع العملية التعليمية؛ باعتبارها عملية تقوم على الحفظ والتلقين، لذلك رفضت أغلب النخب الدينية العلوم العقلية والعقل النقدي؛ وناصبته العداء كما حصل مع الشيح الورثيلاني، وغلقت باب الاجتهاد وتمترست خلف التقليد...فكان النتاج الفكري والأدبي تغلب عليه صبغة التبعية والتقليد أي اجترار مؤلفات السلف؛ وهذا رغم وجود حواضر ومراكز إشعاع فكري؛ وجهود ومساعي بعض الحكام لترقيتها خاصة في تونس سواء على العهد المرادي أو الحسيني أو في الجزائر مع صالح باي البايات بقسنطينة ومع الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري بالغرب الجزائري، ومع ذلك برزت نخب علمية؛ ومن هؤلاء الأعلام نذكر؛ عبد الكريم الفكون، الورثيلاني وأبي راس الناصر وإبراهيم الجمني وأحمد برناز وإبراهيم الرياحي...وبزغ نجم أسر علمية كانت لها الأيادي البيضاء في سماء الحياة الثقافية كآل قدورة الجربيين في الجزائر، وآل الرصاع التلمسانيين وآل بيرم الأتراك في تونس؛ وهي التي أعطت للحراك النخبوي البيني أبعاده وتجلياته التي تبلورت وتمظهرت في ملامح وصور عديدة ومتنوعة.

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 43.

[2]-حسين خوجة: **المصدر نفسه**، ص 44.

[3]- نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 89-90.

[4]- حفيظة بوتوقوماس: **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835م**، المرجع السابق، ص 41.

[5]- محمد الخضر حسين: **المرجع السابق**، ص 11.

الفصل الثاني: عوامل حراك النخب العالمة بين البلدين ونشاطها السياسي

أولا–دوافع حراك النخب العالمة بين الإيالتين.

1– العامل السياسي.

02–العامل المعرفي"طلب العلم".

03–العامل الديني" آداء الفريضة الحج".

04–زيارة الأولياء والمشايخ والأماكن المقدسة

05–العامل الاقتصادي" فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية والتجارية...".

06–العامل الاجتماعي " الأمراض والأوبئة، المجاعات، الفقر...).

07–الدواعي الديبلوماسية.

08–العامل الجغرافي.

ثانيا–الحراك الديبلوماسي للنخب العالمة وأثره على العلاقات بين الإيالتين.

تمهيد:

إن الحراك الفكري يرتبط في الأساس بتبادل الثقافات؛ كنتاج اتصال يعكسه التحاور والتعارف والتلاقح، وقد يأخذ هذا الحراك شكلا أفقيا بين ثقافات متزامنة أو بين أقاليم ثقافة معينة، وقد يكون حراكا رأسيا يتم بين الأجيال المتعاقبة أو بين فئاتها، وتتجلى ملامحه في أغلب الحالات في التراتبية القائمة بينها، ويعزز الحراك الفكري نمو الثقافة وتطورها وتجددها من خلال تبادل الأفكار وتشجيع الإبداع، ويعود هذا الحراك على المجتمع بفوائد عدة على غرار تعزيز المشترك الثقافي بين الأطراف المشاركة وهو يساهم في تقوية المجتمع والحفاظ على وحدته، وزيادة تقارب المجتمعات المتواصلة ثقافيا وتعارفها، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى تعزيز التواصل العام في جميع الميادين، ولا يكون التأثير والتأثر بالغا وواضحا بين بلدين إلا إذا كانت هناك علاقات وروابط ثقافية بينها ولا يمكن أن تكون هذه الروابط متينة إلا إذا تعددت مظاهرها وتنوعت قنواتها الاتصالية، وتوفرت عوامل تواصلها واستمراريتها، وحرص كل منها على تنميتها وتعاونهما مع تجنب ما يفسدها أو يؤدي إلى توقفها وانقطاعها وإدراكهما لأهمية وضرورة بقائها[1]، وهو الحراك الذي أسهم في صهر هوية أبناء الإيالتين في بوتقة واحدة؛ ذلك أن الحركة السكانية التي يتم فيها انتقال الأفراد والجماعات من مواطنهم الأصلية إلى أوطان جديدة، هي في الأصل انتقال للمعارف والأفكار والعادات والتقاليد والثقافات وغيرها، فهي في عمومها جملة تأثيرات متعددة ومختلفة تجتاح جميع المجالات، وقد يأخذ هذا الحراك النخبوي مظاهر عدة، ومن أهمها؛ الحراك الذي يتم عن طريق الهجرات والرحلات التي يقوم بها العلماء أو طلبة العلم، الذين يرتادون مختلف المراكز العلمية لفترات قد تقصر أو تطول، وعن طريق المراسلات، والإجازات، والتدريس والمجالسة والمجاورة[2]، وتبادل التآليف وانتقال الفتاوى والآراء في مختلف المسائل الفقهية والقضايا الكلامية المتنوعة.

إن حراك النخب العالمة بين بلدان أقطار المغارب ظاهرة قديمة وحتمية تاريخية ليست مرتبطة بعصر دون الآخر، فالعالم كان يقدم على الدوام انموذجا فريدا عن دور الثقافة في تمتين العلاقات الفكرية بين الأمم والشعوب؛ كواقع مألوف ترك بصماته في شتى مناحي الحياة، و قد كان لهذا الحراك النخبوي تأثير بالغ الأهمية في عصر ضمرت فيه الحركة الفكرية، حيث كان العلماء حماة للدّين ومصابيح للظلام؛ وقناديل مضيئة سطعت ولاحت بأنوارها وبريقها في عصر طغى عليه الانحطاط العلمي، وانتشر فيه الإيمان بالغيبيات؛ واستشرى فيه الفساد؛ واشتدّت فيه وطأة الخطر الغربي الداهم، فكان لزاما على هذه الفئة المثقفة أن تؤدي أدوارها وأن تستمر في تأدية رسالتها العلمية، وأن تحافظ على عرى وحبال التواصل وأن تكون إحدى الجسور والقنوات المعرفية التي؛ أبقت وحافظت على استمرارية حركية الصلات العلمية بين القطرين الجزائري والتونسي خلال الفترة العثمانية، إذ نلاحظ ارتباط علماء الجزائر بصلات ثقافية وثيقة مع أقرانهم في تونس؛ في وقت لم تكن الحدود السياسية تتحكم في حركة الأفراد وتنقلات الجماعات، وقد كان تنقل هؤلاء العلماء بين البلدين تمتينا لذلك التواصل الفكري. فما هي أبرز وأهم الحوافز التي كانت وراء حراك النخب العالمة بين الإيالتين؟ وهل كان للصفوة حضور في النشاط الديبلوماسي بين البلدين؟

---

[1]- عبد الكريم مغاوري: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى ومصر خلال العصر الحديث 1492-1822**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 80.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 424.

أولا–دوافع حراك النخب العالمة بين الإيالتين:

لقد تنوعت دوافع وبواعث حراك علماء ومثقفي الجزائر وتونس بين البلدين، ومع ذلك يمكن حصر أهمها في:

01–العامل السياسي:

إن تبني واتباع بعض الحكام العثمانيين لسياسة القسوة واللجوء إلى العنف والاضطهاد في حل بعض القضايا وكذا معاملة العامة؛ تمثل أحد الأسباب الرئيسية للهجرة [1]، حيث حكموا كفئة متميزة واحتكروا السلطة في أيديهم، واستبدوا بالحكم واستذلوا السكان واستعلوا عليهم وأساءوا التصرف، وعاملوهم معاملة الحاكم للمحكوم والمنتصر للمهزوم، فقد اشتهرت خطب بعض أهل العلم والدين وجمعت في تآليف مستقلة، خاصة أولئك الذين كانوا مدعومين بشعبيتهم والتي غالبا ما شكلت خطرا على السلطة، فلجأت كرد فعل منها إلى نقل أو تهجير بعضهم[2]، وربما كان السبب الأول هو عدم الانسجام وفهم رسالتهم في البلاد في بادئ الأمر، وقد يكون السبب الآخر عسكرة النظام وإبعاد أهل العلم والدين من النفوذ[3]، وكانت المضايقات السياسية دافعا من الدوافع التي ساهمت في رحلة العلماء، فهي رحلات لاإرادية يتوخى صاحبها الفرار مما يحيط أو يتربص به إلى ملاذ آمن[4]، فكلما ضاقت بهم السبل في بلدانهم، انتقلوا إلى إحدى الدول التي توفر الأمن والاستقرار، كما هو حال بعض العلماء والمثقفين التونسيين و الجزائريين الذين اضطروا إلى ترك أوطانهم، للاستقرار بإحدى الأقطار العربية الإسلامية نتيجة معارضتهم لسياسة الحكام العثمانيين، وما ترتب عنها من اضطرابات، حيث شد كثير من الجزائريين الرحال بسبب السياسة المعتمدة من قبل الحكام الأتراك في الجزائر خاصة بالمنطقة الغربية أي تلمسان ونواحيها[5].

لما كثر الظلم والاستبداد وطغى الأتراك، وانتشرت الفوضى اضطر الكثير من أهل العلم والدين إلى الهروب بعد أن ضاقوا ذرعا من محاصرة العثمانيين لهم، وما كانوا يرونه من ظلم وجور فاتخذوا لهم وجهات مختلفة[6]، ذلك أن تشديد الرقابة على العلماء ورجال التصوف المعارضين لسياستهم؛ دفع بالكثير من العلماء والمتصوفة الحقيقيين إلى النفور والهروب إلى عواصم العلم ومقاصد الحكمة[7]؛ فعلاقة العلماء برجال الحكم التي لم تكن حسنة في أغلب الفترات، لأن البلاد عرفت صراعات سياسية متتالية كان لها وقع على العلماء ومكتباتهم[8]، من ذلك القاضي **علي أفندي الجزائري** الذي فر

---

[1]– سعاد لبصير: "**دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516–1830**"، الملتقى العلمي:"**سوسيولوجية الهجرة الجزائرية بين الماضي والحاضر**"، مخبر الدراسات السوسيوتاريخية حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2008، ص 49.

[2]– سعاد لبصير: **هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516–1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007–2008، ص 153.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص183.

[4]– عبد القادر صحراوي: **المرجع السابق**، ص 182.

[5]– بوسلامة محمد: "**هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني 1518–1830**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، العدد 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، جانفي 2019، ص 329.

[6]– سعاد لبصير: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني**...، المرجع السابق، ص 55.

[7]– كمال فيلالي:"**هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد 03، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، أفريل 2010، ص 19.

[8]– احميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005، ص 56.

من الجزائر، وانتصب للقضاء بأمر سلطاني في إيالة تونس، وهو ما أشار إليه مؤرخ الحنفية **حسين خوجة**؛ الذي ذكّر بأصله الجزائري، واكتفى بالإشارة إلى إكراهه **لساسي نوينة** على تولي خطة النيابة، وكانت نهايته مقتله على يد أحد مماليكه ببنزرت [1].

كما ارتبط حراك العلماء بتورط بعضهم في المشاكل السياسية المحلية، وقد حدث هذا مع **عيسى الثعالبي** (ت.1080-1669م) محظي **يوسف باشا**؛ الذي جعل من البقاع المقدسة لتأدية المناسك مقصدا كوسيلة للخروج أو الهروب من الجزائر[2]؛ في ظروف أمنية وسياسية قاسية؛ في أعقاب ثورة **أحمد بن الصخري** زعيم قبيلة الذواودة التي استمرت زهاء عشر سنوات (1637-1647م)؛ والتي امتحن فيها الشيخ **عيسى الثعالبي** وبعض العلماء والمرابطين، وقد كانت لها عواقب وخيمة على الناس والاقتصاد[3]، وهو ما حدث أيضا مع الشيخ **يحيى الشاوي** و**علي بن محمد الجزائري** المعروف **بابن الترجمان**؛ الذين شد الرحال نحو المشرق[4]، و**عاشور القسنطيني** المعروف **بالفكيرين** الذي تولى وظائف التدريس في تونس، وبعودته إلى قسنطينة صادف مظلمة دفعته إلى الخروج من جديد؛ دون أن ننسى **أحمد بن عمار** و**ابن حمادوش** الذين تنقلا بين المغرب وتونس ومصر والحجاز، ويعتقد أنهما ماتا في المهجر ولم يعودا إلى الجزائر[5]، وهو الشيء الذي تعرض له مفتي الجزائر ورائد التجديد الإسلامي **محمد بن محمود العنابي**(1775-1850) الذي تقلد زمنه وظيفة القضاء الحنفي عهد الداي **حسين**، حيث قضى زهاء **عشر سنوات** بالمشرق –من 1235-1244هـ- لأنه كان منفيا لأسباب سياسية؛ إذ يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله؛ أنه قد يكون مغضوبا عليه سياسيا في بلاده فاختار العيش في المشرق فترة من الوقت[6].

إن الفساد والشعور بالإحباط والحسرة من عسف العثمانيين وطغيانهم في أوائل حكمهم، وسياسة العنف التي لجأوا إليها؛ هي التي جعلت العلماء يجأرون منهم بالشكوى ويتمنون خروجهم، ونجد مثلا في ذلك دعوة الأولياء [7]، كما هو الحال مع أحد المرابطين **الشيخ عبد الرحمن اليعقوبي** صاحب الزاوية المعروفة باسمه في**ندرومة**، والذي زار تلمسان وتوجه إلى قبر **الشيخ أبي مدين شعيب** يسأله إبدال دولة الأتراك من آل يافث لكثرة جورهم، إذ يقول يقول صاحب **كعبة الطائفين**:" **الشيخ سيدي عبد الرحمن ونسبه إلى قبيلة أولا يعقوب بن طلحة انقاد وهو مدفون بزاويته حذو ندرومة بساحل تلمسان حكي أن هذا الشيخ زار أبا مدين وترك خديمه عند باب الروضة ودخل عند الغوث فتكلم معه وسأله إبدال دولة الأتراك من آل يافث لكثرة جورهم فكلمه من قبره وقال له إن قبلتها يا عبد الرحمن نعطها لك فأبى فقال له اصبر في هذا الوقت لم نجد من يصلح لها ويتكفل بها وسيأتي الفرج**"[8]. وامتدت أيديهم

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 169.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 54

[3]- أبو القاسم سعد الله: **على خطى المسلمين حراك في التناقض**، المرجع السابق، ص 212.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 430.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع نفسه، ص 428-431.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **رائدالتجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، المرجع السابق، ص 36-37.

[7]- العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص58.

[8]- محمد بن سليمان الصايم: **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**، ج3، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601، ص 286.

إلى النخب؛ فقد وصفهم **محمد بن سليمان التلمساني** في موضع آخر من مصنفه **بالعجم**؛ بعد أن أقدموا على قتل شخص بتلمسان ظلما وعدوانا؛ وهو الفقيه المحدث **عبد العزيز بن الموفق بن عبد الرحمن بن موسى**؛ الذي رثاه والده بقصيدة دعى فيها على قاتليه:" **وحين قتل العجم ولده الفقيه المحدث أخانا وصفينا سيدي عبد العزيز أعزه الله رثاه بقصيدة ودعى فيها على من قتله صبرا على كلمة الحق فزلزل الله بهم دار ملكهم واحترق منها ما لا يحصى وأعزى فيهم العداوة ولا زالوا منكلين إلى الآن**"[1].

ومن الأشياء التي دفعتهم أكثر على الحراك أن كان بعض الحكام يستدعون العلماء المضطهدين في دولهم، ليوظفوهم ضد خصومهم داخليا وخارجيا[2]، فقد انتقل **الفقيه المتصوف أبو العباس أحمد التجاني** إلى فاس واستوطنها عام 1211هـ/1798م؛ حيث بعث رسوله بكتابه إلى **المولى سليمان** يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم[3]؛ وهو ما يؤكده **الناصري** في رحلته بقوله:" **وقدومه الآن كان من تلمسان مرغما من بعض أمراء الترك بها**"[4]، فقد سجنه ونفاه باي الغرب الجزائري **محمد بن عثمان** (1779-1797)؛ وأقسم أنه لن يستوطن إيالته ببلد من البلدان؛ لذلك أحاطه **السلطان المغربي** بعناية خاصة وأعطاه دارا معتبرة وأنعم عليه بصلة منتظمة لتغطية حاجياته، وفي هذا السياق يقول صاحب الترجمانة:" **فلما علم به أمير البلاد وهو الباي محمد بن عثمان ضربه وسجنه ونفاه عن تلمسان وأقسم له أن لا يستوطن إيالته ببلد من البلدان، فسار ينتقل من محل لآخر شريدا...وقصد مدينة فاس ...وكتب لأمير المؤمنين يتلطف...فأنزله وأكرم وفادته...ولما استقرت به الدار، اجتمعت عليه طائفة...ولازم بيتا في أحد المساجد**"[5]، وهو حال أهالي تونس الذين كانوا يعيشون الظلم والعسف في ظل حكمهم؛ لدرجة أنهم تمنوا لو وجدوا سبيلا إلى الخلاص والفرج لتخلوا لأجله عن كل ما يملكون نظير الانتقال إلى قطر مجاور؛ وهو ما أشار إليه **التمجروتي** في **نفحته** أثناء سفارته أواخر القرن 16م؛ بقوله: " **والترك جاروا على أهل تلك البلاد كثيرا وأفسدوها وضيقوا على أهلها في أرضهم وديارهم وأموالهم حتى استباحوا حريم المسلمين...إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم. هكذا أهل إفريقيا كلهم فأوجب ذلك استماعهم لكل ناعق وإتباعهم لكل قائم رجاء أن يجدوا الفرج معه. وقد رأينا منهم العجاب في كثرة اشتياقهم وحنينهم إلى حكم موالينا الشرفاء وما كان فيه أهل المغرب معهم من الراحة والعدل والرفق والنعمة...ويودون لو وجدوا سبيلا إلى الانتقال إلى المغرب والتخلص إليه لاشتروه بالدنيا وما فيها...**"[6]، فكلما ضاقت بهم السبل في بلدهم، تراهم في حراك إلى إحدى الدول التي توفر لهم الأمن والاستقرار[7]؛ في ظل معارضتهم للنظم السائدة في بلدانهم، مما كان يعرضهم للمضايقات والاضطهاد، ومن العلماء الذين

---

[1]- محمد بن سليمان الصايم: **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**، ج3، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601، ص 18.

[2]- عبد القادر صحراوي: **المرجع السابق**، ص 182.

[3]- أحمد الناصري: **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج8، ص 105.

[4]- محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص 194.

[5]- أبو القاسم الزياني: **المصدر السابق**، ص 460-466.

[6]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 53.

[7]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، المرجع السابق، ص 474.

وفدوا على الغرب-الجزائر- على عهد الداي الحاج **مصطفى لاز** نذكر **الشيخ مصطفى الأندلسي** الذي استصفيت أمواله وهرب إلى وطن الجزائر التي استقر بها إلى أن أدركته المنية، لأن الباي **حمودة باشا المرادي** (1631-1666) كان حاقدا عليه لأمور بدت منه، وكذلك **الشيخ صالح** شيخ عرب طرود الذي فعل به ما فعل بغيره[1]، وكما حصل مع **المولى علي** القاضي الذي انتقل إلى الجزائر وأقام بها، وتزوج بها، وصار له شهرة وصيت عظيم، واستقل أياما بالإمارة، ثم أنه امتحن؛ ونفاه العسكر من الجزائر، وأخرجوه عن أهله وماله **ومات طريدا بتونس**[2]، ونجد أيضا **الشيخ أحمد بن مصطفى برناز** (1074-1138هـ/1663-1726م) الذي خرج من تونس مغاضبا بعد مدة يسيرة من أوبته من الحج؛ فتوجه نحو الغرب"الجزائر"[3]، والمرجح أنه فر هاربا من اضطهاد الباي **طاطار**، الذي اضطهد العلماء، وفتك بالعالم **مصطفى بن عبد الله الكريم** سنة 1106هـ/1694م، فتوجه **برناز** بعد ذلك إلى بلد العناب، ثم دخل قسنطينة، ومنها واصل سيره نحو مدينة الجزائر وبلاد زواوة عام 1107هـ/1695م[4].

كانت النتيجة المنطقية لسياسة التهميش والإكراه والضغوط المختلفة التي تمارسها السلطة التركية وضعف المعين الفكري والفقهي للجزائريين هجرة أعداد كبيرة منهم إلى الخارج، وفرارهم من الظلم والطغيان وجور السلطان[5]، وقد لاحظ الزياني أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم، فأخذ العلماء يهجونهم وستنكرون ظلمهم في نظمهم، من ذلك الشاعر **أبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني**؛ الذي يعتبر من أبرز الشعراء المهاجرين إلى المغرب لأسباب سياسية-في نونيته:

بنى السد ذو القرنين للناس رحمة فيا ليته من شوكة الترك هنانا

وقول الشاعر **مسلم بن عبد القادر** في رجزه:

صناديد لولا الفساد في الورى لقلنا قل مثلهم فوق الثرى

عاتوا عتوا على الخلق وجاروا فكانوا أكثر العبد وباروا[6]

ترتبط الهجرة المتواصلة للعلماء أيضا بانعدام الاستقرار السياسي والتهديدات الأجنبية المتكررة على البلاد[7]، إذ يعد الاضطراب السياسي من أهم عوامل حراك النخب الفكرية، فقد كانت الحروب والغزوات من أسباب الهجرات القسرية الفردية والجماعية للفئات العالمة [8]، ذلك أن كثرة الفتن والثورات؛ تؤدي إلى انعدام الأمن واستقرار الأمور التي تتطلبها الحركة الفكرية، إضافة إلى ما يسببه العدوان الصليبي على أمصار بلاد المغارب من خراب يحمل كافة الوجوه؛ ما يدفع إلى

---

[1]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 237.

[2]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 227.

[3]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 231.

[4]- أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص 09.

[5]- محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، المرجع السابق، ص 348.

[6]- محمد بن يوسف الزياني: **المصدر السابق**، ص 157.

[7]- عبد القادر صحراوي: **المرجع السابق**، ص 182.

[8]- كمال فيلالي: **هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر**، المرجع السابق، ص 18.

حراك كوكبة من خيرة العلماء إلى مدن العالم الإسلامي[1]، حيث عرفت بلدان المغرب العربي منذ مطلع القرن 16م الاضطرابات والتقلبات السياسية؛ كنتيجة لكثرة الفتن والثورات وتوالي العديد من الحكام؛ ما أدّى إلى انعدام حالة الاستقرار، حيث كان للهجمة الإسبانية الشرسة التي أعقبت سقوط غرناطة 1492م الأثر الكبير على المدن الساحلية المغاربية؛ التي سقطت تحت نير الاحتلال الإسباني، وهو ما تجلى في ارتفاع عدد العلماء الذين غادروا بلادهم نحو البلدان الشقيقة سواء نحو المغرب أو المشرق، وهو ما يشير إليه الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** بقوله:" ..**بالإضافة إلى التدهور الاقتصادي والسياسي شهدت تلمسان تدهورا اجتماعيا وثقافيا؛ فقد هاجر عدد من عائلاتها الغنية والعلمية إلى المغرب الأقصى فرارا من الإسبان الذين تدخلوا في شؤون دولة بني زيان عند ضعفها السياسي، ثم فرارا من حكم العثمانيين عند استيلائهم بالقوة على تلمسان** "[2].

لقد أدت هذه الظروف السياسية المتوترة التي عرفتها البلاد بدايات القرن السادس عشر نتيجة الغزوات الإسبانية الصليبية الشرسة إلى فقدان الوحدة السياسية لبلاد المغارب؛ وترتب عنها أيضا تدهور الحياة الاقتصادية؛ وخراب المنشآت نتيجة الحروب سواء في المدن الساحلية والمدن الواقعة فيها أو في المناطق الداخلية التي تأثرت بها؛ ما دفع بالكثير من السكان على رأسهم العلماء والمشايخ إلى الهجرة صوب البلدان الإسلامية[3]؛ حيث الاستقرار والأمن في مجال الفكر، لذلك ارتفع عدد العلماء الذين غادروا أوطانهم نحو البلدان الشقيقة مغربا ومشرقا[4]؛ وهو ما يؤكده **الكتاني** إذ يقول **أنّ هجرة المغراويين التلمسانيين لفاس بدأت بدخول الإسبان وهران** [(5)]، ومن أكثر المدن التي تعرضت إلى هذا النزيف البشري من الطلبة والعلماء إلى جانب **تلمسان**؛ نذكر منها **وهران ومناطق أخرى من الغرب الجزائري**، أما في الجهة الشرقية من البلاد فكانت **بجاية**[6].

ومن هذه النخب التي ارتبط حراكها بالفتن والاضطرابات السياسية نذكر؛ الشيخ الجد **يحيى الفكون**(ت. 941هـ/1534م) أحد فقهاء قسنطينة وممن تصدر الإفتاء بالمدينة، فقد التجأ إلى تونس نتيجة الاضطرابات التي حدثت في بلاده، وهو ما يؤكده شيخ الإسلام **عبد الكريم الفكون**:" **وانتقل الجد لتونس لواقعة بل لوقائع، فاستعظم سكناه ببلد يخرج إليها دون ما يخرج منها فصاهر الشيخ الزلديوي...**"[7]، وفي المقابل عرفت **تونس** مع تدهور الدولة الحفصية؛ تراجعا في الحياة الفكرية نتيجة ما اعترى البلاد من اضطرابات وفتن وهجمات خارجية[8]؛ دفعت الكثير

---

[1]- عبد الله أنبية المعلول: "**هجرة بعض العلماء الليبيين في العهد الحفصي الأسباب والنتائج**"، مجلة الجامعة المغاربية، العدد 01، طرابلس، ليبيا، 2007، ص 17-18.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 176-177.

[3]- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798**، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1882، ص 21.

[4]- عبد القادرفكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 260.

[(5)]. كمال فيلالي: **هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس**، المرجع السابق، ص 20.

[6]- عبد القادرفكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830**، المرجع السابق، ص 261.

[7]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 43-44.

[8]- أحمد قاسم: **إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600)**، المرجع السابق، ص 273.

من العلماء التونسيين إلى الفرار من العاصمة ومن سائر نواحي الإيالة[1]، وهو ما أدى إلى هجرة كوكبة من خيرة علمائها إلى العديد من عواصم ومن مدن العالم الإسلامي، فقد نجم عن الاحتلال الإسباني لتونس عام 1535م؛ أن تفرق العلماء والأدباء والشعراء، وهاجر البعض منهم إلى المدن الداخلية أو إلى خارج البلاد صوب المشرق والمغرب، منهم **جار الله أبا عبد الله بن خروف** و **أبا الفتح بن عبد السلام الخروبي** وهم من ألمع شعرا ء عصرهم، فانجر عن ذلك ضياع الثقافة التونسية وأفول نجم الآداب بتونس[2].

لقد كان لهذه الأوضاع السياسية أن لعبت دورها في مسيرة المراكز الثقافية المتعددة، وكان لها تأثير على علمائها، فكثيرا ما تعرض بعض هؤلاء العلماء للشر والأذى والاضطهاد؛ الذي وصل حد القتل، مادفع بهم إلى البحث عن مكان آمن يزاولون فيه نشاطهم العلمي والفكري[3]، فقد انتقل العلم إلى **القيروان** بعد أن فقدت تونس مكانتها العلمية؛ نتيجة الحروب وما تبعها من مآسٍ، ما يفسر قلة علماء المدينة ونقص بضاعتهم العلمية، وهي أوضاع تركت فراغا لم يسده إلاّ علماء القيروان، وخاصة **العظاظمة** مثل **المفتي بلقاسم وبعض إخوته وأبنائه**، لذلك يتتبع المتعلم العلم حيث ارتحل؛ وهذا ما يفسر نزوح السكان إليها[4].

02–العامل المعرفي" طلب العلم":

إن الحراك في طلب العلوم ولقاء المشيخة؛ مزيد كمال في التعليم، وهو الأمر الذي يؤكده العلامة **ابن خلدون** في مقدمته، إذ يرى أن الرحلة لا بد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[5]، وفي هذا السياق يقول الإمام **الشافعي** مبرزا فوائد الأسفار:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ******وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم، واكتساب معيشة **** وعلم، وآداب، وصحبـة ماجد[6].**

كان طلب العلم أهم مقصد للعديد من العلماء المغاربة، خاصة وأن الحركة العلمية والثقافية؛ عرفت نوعا من الجمود واقتصرت على التقليد والأخذ بما تركه السلف، وهو ما عبر عنه **الأخضري** دفين **بنطيوس** عندما وصف عصره في نظم "**السلم**" قائلا:

لاسيما في عاشر القرون****ذي الجهل والفساد والفتون[7]

إن الجفاف الفكري الذي غلب على العهد التركي من جانب آخر؛ هو الذي دفع الكثير من العلماء إلى التنقل والاتصال بعلماء وأدباء الأقطار الأخرى[8]، كون الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية؛ وعن تاريخ

---

[1] - E. Guellouz et autres **: Op.cit,** P 117.

[2]–أحمد الطويلي: **في الحضارة العربية التونسية**، المرجع السابق، ص 20.

[3]- عبد الرحيم بن عبد الرحمن رحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517–1798)**، المرجع السابق، ص 25

[4]– أحمد قاسم: **إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574–1600)**، المرجع السابق، ص 275.

[5]– ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 618.

[6]– محمد بن إدريس: **ديوان الإمام الشافعي**، تع وتق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 1988، ص 61.

[7]–المهدي البوعبدلي: "**الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها**"، مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر، 1974، ص 146.

[8]– محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص 255.

الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي، ولهذا لا غرابة في عدم تلقي علماء الجزائر؛ العناية الكافية من رجال السلطنة العثمانية، الأمر الذي جعل أهل العلم يهجرون البلاد[1]، وقد عبّر **الورثيلاني** أحسن تعبير عن هذا البعد والإهمال في رحلته الحجازية قائلا: « **وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث، ولا مهدما قد جدد، أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه، إن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين**»[2].

إن تهميش الحياة الثقافية من الجهات الرسمية، وعدم الاستقرار الذي عرفه نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م جعل أهل العلم يهجرون الجزائر، ومن بقي منهم لم يعد يجد بلاطات يقدم إليها إنتاجه ولا جمهورا متعلما يعرض عليه بضاعته، وازداد الوضع سوءا في العهد العثماني، حيث فُقدت المؤسسات العلمية المركزية فلم يكن في الجزائر أمثال الأزهر والزيتونة، بل شاعت الطرق الصوفية وتحولت الزاوية من مركز جهادي وثقافي إلى موضع للخرافة والانزواء والابتعاد عن شؤون الحياة[3]، ويرى **الورثيلاني** أنّ انتشار الجهل والجهّال في منطقة كافيا لهجرة العالم، حيث تحدث صاحب **النزهة** في هذا السياق عن خراب **بسكرة** التي انجلى عنها أهلها أمام تراجع العلم والولاية بها؛ بقوله: «.. **في زماننا، لاندراس العلم وأهله إذ لا تجد طالبا يقرأ القرآن أو يتعلم مسألة من العلم...فلما خربت وانجلى أهلها من جواره انعدم ذلك منه**»[4]، لذلك فإنّ تراجع حركة التعليم وبدائيته؛ وقلة التآليف وعدم وجود مدن علمية زاهرة، أدّى إلى هجرة الراغبين في طلب العلم[5]، فانعدام المؤسسات الثقافية الكبيرة-عدم وجود جامعة علمية-، خلال الفترة العثمانية؛ بسبب عدم اهتمام الولاة بالحركة العلمية؛ شجع العلماء على الهجرة[6]؛ والتنقل للاستزادة من العلم إلى مراكز الإشعاع والثقافة في ذلك العصر؛ كالزيتونة في تونس والأزهر في مصر، وقد كان استقرار الأوضاع والجو العلمي في تلك البلدان مغريا لهم بالبقاء فيها[7].

ويبدو أن جامع الزيتونة الذي كان جامعة علمية ومنبعا للثقافة الدينية بالبلاد التونسية قد جذب إليه أعدادا هامة من العلماء الجزائريين للأخذ عن مشايخه؛ وبالتالي قلص من ترددهم على المغرب الأقصى[8]، لذلك شدت النخب العلمية في ظل حراكها الرحال إلى الحواضر العلمية الكبرى؛ للاتصال بالعلماء والمشايخ قصد الاستزادة من المعارف وإثرائها وتحصيل مختلف الفنون، ومنه الظفر بالمأمول مع نيل الإجازات العلمية؛ والرواية عنهم، ومنه التتويج بالمشيخة العلمية مع الإذن بالتدريس، وعليه فقد كانت الرغبة في الاستزادة العلمية ولقاء المشايخ من العوامل التي دفعت طلبة العلم إلى شد الرحال إلى الحواضر العلمية التي تتوافر بها المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية المزدهرة؛ بالنسبة للحياة الفكرية التي تزخر

---

[1]- أحميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 57.

[2]-الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج2، ص 53.

[3]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، المرجع السابق، ص 186.

[4]-الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 239.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراءفي تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 178.

[6]- عبد الله أنبية: **هجرة العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي**، المرجع السابق، ص 20.

[7]-علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 594.

[8]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 303.

بمجموعة من كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة؛ الذين رغبوا العلماء وطلاب العلم في الجلوس إليهم، والتتلمذ على أيديهم[1]، ذلك أن تراجع حركة التعليم وغياب مراكز علمية معروفة كالأزهر، القرويين والزينونة والحرمين الشريفين، جعلت الجزائريين يتحملون عناء السفر والترحال رغبة في الجلوس إلى أهل العلم والأخذ عنهم؛ والظفر في مقابل ذلك بالإجازات العلمية.

إن حب أهل الجزائر وتونس للعلم، والحرص على استيقائه من مختلف مظانه، هو من العوامل الثابتة في حركة الهجرة خلال الفترة الحديثة، والملاحظ أنه من العسير فصم هذا العامل الفكري عن العوامل الدينية لتلاحمهما، حيث كان المغاربة حريصون على تنفيذ تعاليم الدين؛ والمشرق بصفته مبعث الرسالة، ومنطلق القرآن، ومهد العربية، فقد كان القبلة التي تيمم إليها وجوههم، وبها تتعلق أفكارهم، ولاسيما في ميدان العلوم الدينية واللغوية[2]، فالرغبة في الاستزادة العلمية ولقاء المشايخ من الحوافر التي دفعت الكثير إلى شد الرحال إلى العواصم العلمية الكبرى، رغبة في تحصيل أكبر قدر من الفنون وشتى صنوف المعارف، ونيل الإجازات العلمية؛ لذا كان هذا الحراك الفكري لزاما لاستكمال سنوات التحصيل في الداخل، وقد يتمحور سبب الحراك في طبيعة التركيبة السكانية في مرحلة معينة لبعض سكان المدن والحواضر غير القابلين للتأثر بالعلوم والاستزادة فيها، لسيطرة الدوائر التقليدية والصوفية عليها[3].

لقد ظل جاذب العلم تقليدا قويا في نفوس المغاربة خلال العصر الحديث، على الرغم من بعض الوهن الذي أصاب العلم في ظل الحكم العثماني، لذلك كانت الدراسة والتدريس في الحواضر الكبرى ومراكز الإشعاع الفكري في العالم الإسلامي حلما يدغدغ العلماء المغاربة المتلهفين على العلم[4]، وعليه فإنّ توفر المراكز الثقافية المزدهرة يعد عامل جذب لهؤلاء العلماء؛ على غرار الأزهر الذي كان يزخر بمجموعة من كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة، والذين رغّبوا أبناء المغرب في الجلوس إليهم، وأجازوهم وفتحوا باب المناصب العلمية أمامهم[5]، وإن ما تميز به العلماء والمثقفون المغاربة عامة؛ التنقل إلى منابع الثقافة لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم، لذلك اتجهوا صوب الأقطار العربية الإسلامية مشرقا و مغربا؛ لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية؛ ومجالسة مشاهير المشايخ والعلماء في مختلف النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي[6]، كما هو الحال مع **ابن حمادوش** الذي قام برحلة إلى المغرب وأقطار العالم الإسلامي؛ والتي لم يكن هدفها التجارة بقدر ما كانت حركة علمية؛ التقى من خلالها بعدد من العلماء وأخذ عنهم وأجازوه في عدة علوم، فرجع برصيد علمي كبير إلى الجزائر؛ ساهم به في تطوير وتنشيط الحياة العلمية في بلاده من خلال الدروس والمناقشات التي حدثت بينه وبين العلماء المعاصرين له[7]؛ غير أن هذا لا يعني أبدا أن كل من آثر الهجرة كان هدفه الاغتراف من مناهل

---

[1]- عبد الرحيم بن عبد الرحمن رحيم: **المرجع السابق**، ص 26.

[2]- ليلى الصباغ:"**الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8، تونس، جانفي 1977، ص 82.

[3]- محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، المرجع السابق، ص 349.

[4]- ليلى الصباغ: **المرجع السابق**، ص 83.

[5]- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المرجع السابق**، ص 26.

[6]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)**، المرجع السابق، ص 471.

[7]- حبيب خنفار: "**دور العامل الاجتماعي في الحركة العلمية لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ديسمبر 2014، ص 176.

العلم، بل هناك من المشايخ من ارتحل وانتقل إلى الخارج قصد تدريس العلم وتلقينه[1]، ومن هؤلاء نذكر؛ **محمد بن شقرون** الذي تولى الإفتاء في **مراكش**(ت.983هـ)، و**الونشريسي**[2]، والشيخ **أحمد المقري التلمساني** (ت.1631م) و**يحيى الشاوي** (ت. 1685م) وغيرهم كثيرون[3].

ومهما كانت الغاية سواء لأخذ العلم من مناهله أو التدريس، فإنّه في كلتا الحالتين يحدث التأثير والتأثر، في ظل الجو العلمي والمناخ الفكري السائد؛ كما أنّ من دواعي حراك هذه النخب حدوث فائض من العلماء يزيد عن حاجة الحواضر؛ التي تركز فيها التعليم سيّما مدينة **تلمسان**، التي تكونت بها أسر علمية كبيرة على غرار **ابن مرزوق** و**المقري**؛ و**العقباني** و**السنوسي** و**ابن زاغو** و**ابن زكري** التي **أحدثت حركة علمية؛ كان من ثمارها تخريج عدد ضخم من العلماء، الذين آثروا التنقل إلى حواضر العالم العربي كفاس وتونس والقاهرة وغيرها**[4]، ومن الحوافز التي دفعت العلماء للرحلة وتحمل مشاق السفر؛ هو البحث عن نوادر المخطوطات والكتب النفيسة وإعادة نسخها[5]، وخير شاهد على ذلك مانراه من مخطوطات متشابهة ومختلفة في المكتبات بالمدن المغاربية [6] .

إن البلاد التونسية التي تعد معبرا هاما إلى المشرق والبقاع المقدسة؛ كانت بحق قطبا جاذبا وقبلة لتحصيل العلم والاستزادة من المعارف، خاصة مع وجود جامع الزيتونة، ووجود حياة فيها استقرار ورخاء ونظام حكم وشعب يرحبون بالعلماء، ناهيك عن مشايخها وعلمائها، وحاضرتها التي تمثل إحدى المدن والقلاع العلمية الزاهرة، لهذا كانت أهم المحطات العلمية التي قصدها الجزائريون[7]، إذ يقول **الورتيلاني**"...**فإن تونس قاعدة من قواعد العلم ومدينة من مدن الفهم**"[8]. وقد أشاد الشيخ **أبو راس الناصر المعسكري**(ت.1239هـ/ 1823م) بأهمية البلاد التونسية ومكانة مشايخها وعلمائها؛ بقوله:" **ثم ذهبت إلى تونس أم البلاد، ومثوى الطارق والتلاد...المصر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمل، ذات المناهي والمبادي، يقضي منها نفثه العاكف والبادي، والرائح والغادي...واجتمعت بعلمائها واجلة فقهائها**"[9]، فقد أولى البايات **المراديون** و**الحسينيون** عناية كبيرة بالحياة الدينية والعلمية، وهذا ما أدى إلى كثرة المدارس ومختلف المؤسسات الثقافية بتونس، وكثرة الأوقاف التي تنفق على تلك المؤسسات وعلى المعلمين والمتعلمين؛ وقد كان الجزائريون يدركون تفوق الحركة العلمية بها عن الحركة العلمية بالجزائر[10]، وهو ما عبر عنه بصراحة

---

[1]– محمد بوشنافي: "**هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 04، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، 2009، ص 100.

[2]– أحميدة عميراوي: **مواقف نضالية وإصلاحية**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 62.

[3]– محمد بوشنافي: **هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 100.

[4]– العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 59.

[5]– عبد الله انبية المعلول: **هجرة العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي**، المرجع السابق، ص 20.

[6]– عبد الله أنبية: **هجرة العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي**، المرجع السابق، ص 20.

[7]– احميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 58-60.

[8]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج 3، ص 327.

[9]– أبو راس الناصري: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، المصدر السابق، ص 108-109.

[10]– فوزية لزغم: "**العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671–1830 ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**"، مجلة الخلدونية، مج12، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020، ص 95.

الورثيلاني عندما قال:" **إن سلاطين تونس وأمرائها وأصحاب الدولة فيها صرفوا همهم إلى العلم، وأقاموا منائر عزه، فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس، وأعزوا العلماء، فأسهموا كل على قدر همته واشتغاله...فمن تمكن من تونس ووجد معينا على العلم تعليما وتعلما بأن ساعده الزمان والإقبال فرجع من غير قضاء وطره فذلك محروم...وكان محققا للعلوم ومدققا للفهوم، ناصحا للضعفاء من الطلب، فليشد يده عليه من غير عجلة، بل لا يتوانى حتى تحصل له الملكة القوية من العلوم. حاصلة تونس نعمة لمن أقبل على الله واشتغل بما يعينه علما وعملا وحالا...**"[1]، لذلك كان بلاط هؤلاء تهوى إليه أفئدة هؤلاء الأعلام والمشايخ المنهومون بالعلم؛ وهو ما يساعدهم على مزيد من النبوغ والإبداع والإنتاج؛ فاتخذوا طريقهم في ظل حراكهم إلى مواطن العلم.

إن هذه السياسة المتبعة من حكام تونس كان لها الأثر البارز في استقطاب العلماء والطلبة الجزائريين للاغتراف من مناهل العلم، ونيل الحظوة والمكانة والظفر بالامتيازات، حيث كانت تونس موطن استقرار النخب العلمية الجزائرية في ظل وجود جامعة الزيتونة؛ ورخاء ونظام حكم وشعب يرحبون بالعلماء[2]، وهو ما يقره الشيخ **محمد بن سليمان الصايم التلمساني** الذي عاش خلال القرن السابع عشر؛ عندما قال في مصنفه:" **منها تونس الخضراء...مدينة عظيمة بساحل البحر هي مستقر أكابر العلماء كابن عبد السلام وابن هارون وابن عرفة وأمثالهم...ومما وجدته مفيدا أن جامعها الأعظم بناه طوالع عثمان بن عفان والدعاء فيه مستجاب**" [3]، ولعل هذا ما جعل التونسي **محمد الطاهر بن عاشور** يقول أن حال الجزائر أقل وأضعف في العلم خلال الفترة، وأن تونس كانت في كل عصر غرة الجميع، وأن أهلها أقرب إلى التحقيق وإلى التقدم السريع[4]، وفي المقابل أهمل حكام الجزائر الاهتمام بالمؤسسات العلمية والدينية كالمدارس والمساجد والمكتبات؛ وتشجيع العلماء ماديا ومعنويا؛ ومحدودية الأوقاف؛ بالإضافة إلى غلق البلاطات في وجه أهل العلم وغياب الجمهور المتعلم، ففقدت المؤسسات المركزية[5]؛ إذ يقول **ابن ميمون** صاحب **التحفة المرضية** عن تهميش الجهات الرسمية للحياة الثقافية في معرض حديث عن الداي **مصطفى أهجي**(تولى الحكم عام 1112هـ/1700م):" **واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل، وصار الشرع سواء النبيل فيه والخامل...**"[6]، وهو ما يقره **الورثيلاني** " ...**فولاتها لم يشتغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس، لما علمت أنها ضيقة وملكها ليس كملك تونس**"[7]، ولهذا لا غرابة في عدم تلقي علماء الجزائر العناية الكافية من رجال السلطة العثمانية، لأن الحياة الثقافية لم تحظ هي الأخرى بعنايتهم؛ الأمر الذي جعل أهل العلم يهجرون الجزائر، ومن بقي منهم لم يجد من يقدر علمه[8]، وفي هذا السياق يستعرض لنا **العياشي** في القرن 11هـ /17م قلة التحصيل وغياب الشيخ العالم؛ والمربي

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج 3، ص 316-317.

[2]- احميده عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 60.

[3]- محمد بن سليمان الصايم: **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**، ج1، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601، ص 33.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور: **المرجع السابق**، ص 92.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، المرجع السابق، ص 186.

[6]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 123.

[7]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج 3، ص 354.

[8]- احميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 57.

الناصح على الرغم توافر نية التعلم عند البعض كما هو الحال في **بلاد الزاب**، إذ يقول **أبو سالم** في معرض حديثه عن أهل **الخنقة** وطلبتها:" **وسألوا عن مسائل في أمر دينهم، وهم أهل خير وبركة، لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلا أنهم في بلاد قل فيها أهل التحصيل**"[1]، وهذه من الاعتبارات التي دفعت النخب إلى مغادرة البلاد، ومع ذلك نجد استثناء في الجانب الآخر-حول مسألة التعليم- حيث أباح الحكام الأتراك لعلماء غير جزائريين باستيطان الجزائر والتدريس بها، كما أتاحوا الفرصة لطلبة الجزائر للسفر إلى المشرق لتلقي العلم والمعرفة[2].

والملاحظ أن هناك من العلماء من آثر البقاء والاستقرار في إحدى الدول الشقيقة، ليتقلد بها منصبا معينا مثل التدريس، والإفتاء، والقضاء وغيرها على غرار **علي عبد الواحد الأنصاري** الذي استقر بالجزائر، حيث مارس التدريس؛ وتصدى لإفادة الطلبة[3]، في حين كانت غاية بعض المفكرين ورجال الدين الذي شدوا الرحال إلى مراكز الإشعاع ومنابع الحكمة في سائر الحواضر الفكرية؛ للتزود من علمائها بزاد المعرفة وعلوم الدين؛ تتمثل في إعداد أنفسهم-بعد التحصيل، والعودة إلى أوطانهم- للقيام بدورهم في نشر علمهم ومعارفهم ومحاولات إصلاح حال بلادهم وحمايتها مما حاق بها[4]، ولا شك أن اتخاذ السلط الحاكمة العثمانية المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها قد أسهم في انتشار المذهب بالإيالتين؛ ما عزز عملية التبادل الثقافي بين أتباع المذهب الحنفي في الجزائر وتونس.

03-العامل الديني "آداء فريضة الحج".

لقد كان الإنسان المغربي يحسّ أنّ الفضاء الذي يعيش فيه؛ لم يكن كافيا لإرضاء كل رغباته، لذلك فإنّ الواجب يقتضي عليه السعي لرؤية العالم الآخر؛ عالم المشرق[5] الذي كان مصدر سعادته، خاصة أنّ علماء المغرب كانوا يرون أنّ شخصياتهم لا تكتمل إلاّ برحلتهم إلى المشرق، وكان العالم يعرّف في كتب التراجم والأعلام والمناقب بأن له رحلة أو أكثر إلى الحجاز، فهي رحلة يتمناها كل مسلم على وجه الأرض لأنها تكتسي الصبغة القدسية، وكان للحكام والسلاطين فضل في تيسيرها؛ بتوفيرهم للزاد والضيافة والأمن في الطريق، وأشهر الرحلات في هذا الجانب رحلة ابن بطوطة، وابن جبير والعبدري[6].

لقد غدا المشرق العربي الإسلامي قبلة أنظار أهله، ومهوى أفئدتهم: ففيه حجهم، وفيه الكعبة المشرفة، وقبر النبي، والمزارات الكبرى، وكل المواقع التي عاشتها الرسالة الإسلامية، وكان التماس جوار الرسول من كبرى أمنيات الجزائريين؛ ولو كانت تلك المجاورة لفترة محدودة من الزمن، وهذا رغم وعثاء السفر؛ ومشاق وصعوبات الطريق؛ لذا كانت حرمة البلاد الدينية وقدستها؛ إلى جانب تواجد قبور الأنبياء والصالحين من عوامل الجذب[7]؛ وكان العلماء المغاربة أشد شوقا ورغبة من عامة المسلمين؛ لمعرفتهم بأهمية الفريضة التي تمكنهم من الالتقاء بغيرهم من علماء الأمة ومفكريها؛ حيث يتم من

---

[1]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، ج2، ص 521.

[2]- محمد بن جبور: **المرجع السابق**، ص 131.

[3]- عبد القادر نورالدين: **المرجع السابق**، ص 196.

[4]- عبد الرحيم بن عبد الرحمن رحيم: **المرجع السابق**، ص 24.

[5]- عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات**، ج1، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، السعودية، 2005، ص 25.

[6]. سميرة أنساعد: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، (د.ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 27-28.

[7]- ليلى الصباغ: **المرجع السابق**، ص 80-81.

خلالها التعارف والإطلاع على المؤلفات وأخذ الإجازات العلمية فيما بينهم[1]؛ إلى جانب المسلسلات والمشيخات؛ وبالتالي جمع الفهارس، وتجديد العهد عن طريق التصوف، لأن الرحلة الحجازية المغربية كانت دينية وعلمية بالأساس؛ إذ لا نكاد نميز بين ما هو رحلة وما يرتبط بعمل الفهرسة والبرنامج العلمي[2]، بالإصافة إلى ما تتيحه زيارة بيت الله الحرام من فرصة للقاء والتعارف بين العلماء والتلقي عنهم؛ لذلك اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية شعبية نالت اهتمام الشيوخ من مختلف البلدان الإسلامية[3] أي أن من أعظم بواعث العلماء على الحج؛ طلب العلم والاجتماع بالعلماء، لأن هذه الرحلة تمثل بحق حقلا معرفيا يضم أصنافا متعددة من الفنون والمعارف التي تعكس لنا جانبا من جوانب الحراك المجتمعي بين أبناء بلاد المغارب. وتمثل قافلة الحجيج المغاربة الذين يتحولون كل سنة إلى البقاع المقدسة أهم قافلة، حيث تنتقل من المغرب الأقصى أين يتجمع الحجيج في تازة؛ ثم تعبر الجزائر سواء عن طريق الجريد أو عن طريق مدينة تونس، وتتضخم بحجاج البلدين ثم تصل إلى طرابلس؛ بعد رحلة تدوم أكثر من شهرين، وهناك يستعيد الحجاج قواهم ثم يستأنفون الرحلة إلى أن يصلوا الإسكندرية بعد 40 أو 50 يوما، وأخيرا يصلون إلى مكة للمساهمة في موسم الحج الأعظم[4]، وتمثل هذه الرحلة ملتقى للمثقفين القادمين من سائر الأقطار، ذلك أنّ حج بيت الله الحرام هو عبارة عن "**مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي**" على حد تعبير **أندري ريمون**، وفي نفس الوقت تعد القاهرة التي يؤمها الحجيج في طريقهم إلى البقاع المقدسة العاصمة الإسلامية الثقافية، حيث كان المغاربة يسعون أثناء إقامتهم؛ إلى البحث عن المخطوطات النادرة لجلبها إلى بلادهم أو استكمال معارفهم[5]، وكثيرا ما استقر المقام لبعض العلماء المغاربة بالأزهر؛ أو في المدن المصرية والتتلمذ على يد علماء الأزهر ورجال الطرق الصوفية من المصريين[6].

ويرى الأستاذ سعد الله أنّ الذين توجهوا إلى الجزيرة العربية لم يتوجهوا كجغرافيين؛ أو مؤرخين أو سواح، وإنما توجهوا إليها حجّاجا لتأدية فريضة الحج وزيارة الحرم الآمن: « **لذلك كانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم وخيالهم يتجاوز مرمى أبصارهم وأشواقهم إليها تنسيهم آلام الطريق وعناء السفر**»[7]، وكان المغاربة يهتمون بلقب الحاج خاصة غير المنتسبين لآل البيت (الأشراف)؛ لأن هؤلاء لا يحتاجون لهذا اللقب، بل أصبح لقب الحاج يعوض اللقب السابق المقترن بالمهنة أوالعائلة أو الرقعة الجغرافية[8]، فكانت الرغبة في زيارة الأماكن المقدسة لآداء الفريضة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ من أكثر الأماكن التي يتمناها كل مغاربي، فكانوا يحرصون على آدائها ولو مرة واحدة في

---

[1]- عبد العزيز صالح الغامدي: "**دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين والعلماء المغاربة**"، مجلة ميقات الحج، مج 21، العدد 42، طهران، إيران، يناير 2016، ص 186.

[2]- محمد الكبير فقيقي:"**التواصل العلمي بين أعلام المغرب ومصر أثناء القرنين 17 و18م من خلال رحلات المغاربة الحجازية**"، مجلة الفسطاط التاريخية، مصر، ماي 2011، ص 03.

[3]- أسماء خوالدية: "**الوظائف التعليمية لزوايا الجنوب الغربي بالبلاد التونسية خلال العصر الحديث**"، أعمال الندوة العلمية الدولية "حركة المعارف والمؤسسات التعليمية بالمجال العربي المتوسطي" أيام 28-30 نوفمبر 2014، الحمامات، تونس، 2017، ص 375.

[4]- لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، المرجع السابق، ص 75.

[5]- لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، المرجع نفسه، ص 116.

[6]-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المرجع السابق**، ص 26.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراءفي تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 177.

[8]- عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص 24.

العمر وكان الكثير منهم لا يكتفي بزيارة واحدة بل يكررها لمرات عديدة، ومن هؤلاء **الورثيلاني** الذي حج **ثلاث مرات، وعبد الكريم الفكون** الذي تولى إمارة ركب الحجيج؛ أي أنه كان يحج سنويا[1]، حيث اختار العلماء تحمل عناء السفر من أجل ملاقاة العلماء والأخذ عنهم، ولما كان المسجد الحرام من أعظم جامعات العالم الإسلامي استقطابا للمشايخ والطلبة؛ فقد أصبح قبلة ومنارة للعلم[2].

لذلك لاحظنا أن معظم العلماء الذين كانوا يتوجهون إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج؛ **يجعلون تلك الرحلة فرصة للاحتكاك بالعلماء المسلمين الوافدين؛ وكان يحدث تبادل ثقافي وتلاقح علمي فيما بينهم، وكانوا يتوقفون بالعواصم الفكرية لأخذ العلم وإعطائه مثل الزيتونة، طرابلس، الإسكندرية، القاهرة، دمشق، بغداد، مكة**؛ وغالبا ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات تعرف باسم **الرحلات الحجازية**[3]، والتي تحتوي على المسالك والمحطات التي مر بها صاحبها، والعلماء والصالحين، الذين التقى بهم أو زار أضرحتهم أو زواياهم، وتفيد الرحلات المسجلة في معرفة بعض جوانب الحياة السياسية والاقتصادية و الثقافية والجغرافية لمعظم الأقطار التي توقف عندها صاحب الرحلة[4]؛ ذلك أن نسبة من الحجيج كانت تكرس جهودها للاستفادة من مختلف المراكز العلمية الواقعة على طريق الحج أو عن طريق شراء الكتب والمخطوطات للاستفادة منها أو الاتجار بها، وذلك فضلا عن ربط الصداقات والاتصال المباشر بين مختلف العلماء أو مشايخ الطرق الصوفية والمريدين من الحجيج [5]، إذ يُسهِم ركب الحجيج المغاربي في توثيق العلاقات والصلات بين العلماء، وفسح المجال لزيارة الأولياء وكبار مشايخ الصوفية وأضرحتهم للتبرك بهم[6].

كان للحج دور كبير في تدعيم الروابط الثقافية بين الجزائر وتونس؛ فقد كانت البلاد التونسية مسلكا يمر من خلاله الحجيج؛ وحافزا للتوقف بها ولقاء علمائها وخوض مناظرات علمية معهم، وزيارة مساجدها الشهيرة وقبور أوليائها وصلحائها في بعض مدنها؛ كما هو الحال مع أبي راس الناصري[7]، ففي ظل ركب الحجيج يتم تبادل الآراء والمناقشات في مختلف المجالات، وتناقل المعلومات والمعارف التي يحملها الحاج، وانتهاز فرصة الحج للإفادة العلمية والاستفادة؛ وملاقاة كبار العلماء التي تتيح للعالم فرصة التعرف على عدد كبير من الشخصيات من ذوي المكانة العلمية، وهو أمر يغني ذخيرته العلمية، كما أن موسم الحج يمكن العلماء من الاطلاع على الإنتاج الفكري لعلماء القطر المجاور[8]، وهذا من خلال تبادل النقاش والأفكار والفتاوى والمصنفات الجديدة في أغلب ضروب العلم والفقه[9]؛ أي عرض الإنتاج الأدبي

---

[1]- محمد بوشنافي: **هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 100.

[2]. سعاد لبصير:"**المدينة المنورة مركز استقطاب العلماء الجزائريين**"، ملتقى الهجرة، الحراك والمعالم الحضرية في الجزائر، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، الجزائر، جوان 2009، ص 157.

[3]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته**، المرجع السابق، ص 372-373.

[4]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 18.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 291.

[6]- عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص 116.

[7]- صالح بوسليم-محمة عائشة: "**من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني 1519-1830**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج4، العدد 05، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، 10 جويلية 2018، ص 209.

[8]- نورة معجب سعيد الحامد: **المرجع السابق**، ص 152-155.

[9]- محمد أوجرتني: الفقهاء **والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، المرجع السابق، ص 270.

والديني والتجارب السياسية والاجتماعية للنخب العلمية؛ بمعنى الإفادة والاستفادة العلمية في رحاب النفحات الإيمانية. وعليه فإنّ نسبة كبيرة من الحجيج تكرس جهودها للاستفادة العلمية؛ **عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية الواقعة على طريق الحج، أو عن طريق شراء الكتب والمخطوطات للاستفادة منها أو الاتجار بها، فضلا عن ربط صداقات والاتصال المباشر بين مختلف العلماء؛ أو مشايخ الطرق الصوفية أو المريدين من الحجيج[1]، وكذلك نجد أن بعض العلماء الجزائريين قد جمعوا في حراكهم نحو الحجاز بين آداء الشعيرة وممارسة التجارة[2]؛ فالفائدة كبيرة في ظل هذا الحراك، لأن كل من الشيخ والعالم يستفيد جغرافيا بوقوفه على مناطق جديدة؛ وعلميا بمكة نظير احتكاكه بمختلف العلماء؛ واقتصاديا بممارسة التجارة**، وهذا ما نصح به **الورثيلاني** قائلا بأن الرحّالة يجوز له البيع والشراء في طريق الحج[3]، لذلك كانت الثقافة المغاربية مدينة في الكثير من جوانبها للتبادلات التجارية والشبكات الاقتصادية المرتبطة بمواسم العبادات؛ في خضم هذا الحراك الذي تقوم به النخب العلمية.

وهناك من العلماء من جمع بين الرحلة في طلب العلم وتأدية المناسك؛ وبين الجهاد في سبيل الله؛ كما هو حال الشيخ **ابن الترجمان علي بن محمد الجزائري** المعروف **بابن الترجمان** (1718-1771م) الذي تعلم بمدينة الجزائر، ثم شد الرحال إلى مدينة القاهرة، ودرس باستانبول، وما أن اندلعت الحرب العثمانية- الروسية عام 1771م حتى شارك **ابن الترجمان** في الجهاد على عهد السلطان مصطفى؛ إلا أنه مع هزيمة الجيش العثماني وقع في الأسر، وذهب به إلى **موسكو** التي بقي بها سجينا دون خلاص؛ إلى أن عاجلته المنية عام 1771م [4]، وإذا كان بعض هؤلاء العلماء الجزائريين يفضل العودة إلى بلاده بمجرد إتمامه لمناسك الحج، فإن البعض الآخر منهم كان يوثر الاستقرار ومجاورة الحرم الآمن إلى أن تدركه الوفاة[5]، ومن هؤلاء نجد: **محمد بن عبد الرحمن البوني**(ت. 1018هـ/ 1609م) الذي وقف في مرض موته؛ بعض الأماكن على البيمارستان [6]، وأيضا عالم الرياضيات **علي والي بن حمزة الجزائري**(كان حيا عام 999هـ،/1590م)؛ الذي أدركته المنية هو الآخر بالحجاز[7].

04-زيارة الأولياء والمشايخ والأماكن المقدسة طلبا للبركة والتماس الدعاء والانخراط في سلك الطريقة:

لم يقتصر حراك النخب العلمية والدينية على طلب السند الصوفي فحسب، فقد كانت وجهة الكثير من العلماء والمشايخ لزيارة الأولياء وطلب الدعاء لهم والتبرك بأضرحة المتوفين منهم، ففي رحاب ركب الحجيج كانت تنطلق الزيارات للأولياء والصلحاء الأحياء منهم والأموات طلبا للدعاء؛ إذ يستهدف الحراك النخبوي الاتصال بالشيوخ المتصوفة

---

[1]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 291.

[2]- سعاد لبصير: **المدينة المنورة مركز استقطاب العلماء الجزائريين**، المرجع السابق، ص157-158.

[3]-الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، مج1، ص 293.

[4]- عبد الرحمن الجبرتي: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997، ص 579.

[5]- محمد بوشنافي: **هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 100.

[6]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: خير الدين شترة، ج2، ط1، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2012، ص 411-413.

[7]- عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص 124.

من أجل التبرك بلقائهم؛ والفوز بدعواتهم الصالحة ومصاحبتهم، والتعبد إلى جانبهم والاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم[1]؛ لذلك كانت المداومة على صلة الأولياء ولقاء الصلحاء والمشايخ والإقبال على زيارة الزوايا والأضرحة والتصديق بالكرامات؛ والظفر بالإجازات السلوكية كالمصافحة والمشافهة والمناولة على الأسودين ولبس الخرقة و المشابكة ومناولة السبحة والبصق في فم المريد وغيرها؛ من الاعتبارات الهامة[2]، **فالسياحة الصوفية تكسب المريد ذوقا وعلما، حيث أصبحت لهذه الطقوس مرجعية شرعية متواترة استندت على بعض الأحاديث ومرائي الصوفية**؛ كما هو الحال مع **عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي في رحلته الحجازية** خلال القرن 11هـ/17م، فقد وضع عصا التسيار **بتونس** التي زار بها بعض الأئمة ومقامات العديد من الأولياء قصد التبرك وطلب الدعاء؛ حيث توقف عند مقام الصحابي **أبي لبابة الأنصاري** في مدينة **قابس**؛ ثم نزل في موضع آخر بتونس (**الحمارنة**) عند مقام **ولي حمروني**؛ يسمى **عبد الله**، وعند نزوله **بقفصة** قام بزيارة بعض **الأئمة**[3].

ولم يكن التبرك مقتصرا على الحجيج فقط، فلنا أمثلة عن التنقل بين البلدين خارج إطار الركب، وكان هذا حال بعض العلماء والمشايخ الذين قاموا بسياحات بحثا عن السند الصوفي؛ قصد الظفر بمرجعية صوفية متواترة تستند في الغالب بعض الأحاديث والمرائي، من ذلك الشيخ **أحمد النوري التونسي (ت.بعد 1150هـ/1737م)** تجول في كل من تونس، الجزائر، تلمسان، وفاس ليلقى الرجال وليتبرك بالصلحاء راغبا في المجاورة[4]، وكان **سيدي علي عزوز** أشهر الأولياء الذين عاشوا في آخر القرن 17م؛ والبايات من بني مراد والكبراء والعلماء والرجال والنساء من كامل القطر التونسي وحتى من الجزائر يفدون عليه للتبرك بملاقاته[5]، وهو ما دفع **الشيخ أبو القاسم بن ساسي البوني**؛ سند العلماء والصالحين من أكابر بلد بونة، إلى القيام بزيارة قاصدا الشيخ **سيدي علي عزوز**(ت.1710)، فركب هو وخدامه وأتباعه وأبناء عمه- في موكب من الفرسان والأعيان والأولاد- وأصحابه يشيعونه، ثم إنهم جدوا في السير إلى أن بلغوا بلد **زغوان**، واجتمعوا بالشيخ[6] للتبرك وأخذ الطريقة عن **سيدي علي عزوز**؛ الذي بلغ من الشهرة ومن الإشعاع ما حمل صيته إلى **عنابة**[7].

وفي المقابل نجد **الورثيلاني** في رحلته الحجازية يذكر أنه كانت له زيارات للصلحاء ووقفات مع مزارات كثيرة بتونس، فقد زار الولي **سيدي عبد الحق** وتوقف عند قبر الصحابي **أبي لبابة** بتوزر لمرات عديدة[8]، ومن بين المعطيات التي كانت حافزا وراء **زيارة أبي راس الناصر** للقيروان وجود العلماء والصلحاء والأولياء المدفونين بها بحثا عن الاستمدادات والتجليات الإيمانية، وطلبا للبركة التي أضحت تقليدا مترسخا في العادات الثقافية والاعتقادات الشعائرية؛ من ذلك زيارته

---

[1]- نعيمة بوكريديمي: **"دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي"**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، جوان 2016، ص 34.

[2]- لطفي عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، المرجع السابق، ص 81.

[3]- عبد الرحمن المجاجي: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 1564، ص 06-07.

[4]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 368.

[5]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 53.

[6]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 289-290.

[7]- أبو القاسم محمد كرو: **دراسات في التاريخ والتراث**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1991، ص 170.

[8]- الحسين الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، المصدر السابق، ص 256، 268.

لجامع الأنصاري الذي بناه **رويفع بن ثابت الأنصاري ومقام أبي زمعة البلوي وغيرهم من الصلحاء**، ويقول **أبو راس** في هذا السياق:" ...**وقد زرت ضريحه–أبو الفضل قاسم بن خلف المسراتي– ضحوة الجمعة في الموفى عشرين من شعبان، وزرت في ذلك اليوم المبارك سائر الأولياء الذين بداخل السور نفعنا الله بهم**"[1]؛ أي **أن شغل الشيخ الشاغل التبرك بالمكان عبر تلمس آثار الصلاح والولاية؛ فالقيروان مدينة الأولياء، أي مدينة المقدس بامتياز، ذلك أن المقدس المشترك بين المكان والفضاء؛ لا يستمد قوته إلا من مواقع وجود الأولياء**[2]، حيث أدرج مشايخ الصوفية أماكن خاصة على غرار **ضريح أبي زمعة البلوي بالقيروان**؛ في سياحاتهم الروحية ورحلات حجهم إلى الأماكن المقدسة[3]، لذلك كان الحرص على نيل البركة تقليدا مترسخا في المجال القيرواني عند نخب العلماء، وأساطين الأولياء، والكثيرين من أبناء العامة.

والملاحظ أن الكثير من العلماء لا يكتفون بزيارة الزوايا، بل يصبحون شيوخا لها أو مقدمين عليها، ذلك أن الكثير من زعماء الإسلام السني هم أنفسهم زعماء الإسلام الشعبي[4]، وهذا الشيخ **محمد بن سعيد الهبري المستغانمي** صاحب" **أجوبة ورسائل ونصائح وتفسير بعض كلام الأيمة وتفسير ما أشكل من كلام أهل الحقيقة**"؛ كان قد رحل إلى المغرب و**تونس** وطرابلس بحثا عن صاحب الوقت، وأدركته الوفاة بطرابلس سنة 1093هـ/ 1682م، والظاهر أن **الهبري** في حراكه كان يبحث عن ضالته الصوفية خارج الجزائر[5]، وفي الجهة المقابلة نجد **الشيخ أبي اسحاق ابراهيم الجمني(ت. عام 1134هـ/1722م)**؛ (نسبة إلى جمنة من قرى نفزاوة ببلاد الجريد) من علماء جربة؛ الذي كانت له سياحة روحية إلى **الجزائر**...حيث أخذ بعض العلوم عن الشيخ العارف بالله **سيدي عبد الله بن بلقاسم الجلالي** بزاوية **خنقة سيدي ناجي** المعروفة، انتقل بعدها إلى بلاد **زواوة** لطلب العلم[6]، ويبدو أن مجيء الشيخ كان من أجل تحصيل العلم اللدني بملاقاة الأولياء والمشايخ من أهل الطريق، وهو ما يذهب إليه بعض بالباحثين الذي أشار **أنه كانت لإبراهيم الجمني** رغبة في الحصول على علم أهل التصوف الذي شاع في عصره، وتعلق به الناس كثيرا فغادر **القيروان** إلى بلاد **زواوة** بمنطقة القبائل بالمغرب الأوسط التي ذاع فيها صيت الولي الصالح **سيدي عبد الله بن أبي القاسم الجلالي**؛ إلا أن الشيخ لم يحصل على مراده في التزود بالتعاليم الصوفية كما يجب ولم يكتف بما انتفع من الشيخ الجلالي؛ لذلك عزم على التوجه إلى طرابلس لتحصيل المزيد من التعاليم الصوفية[7]، كما قام الطالب **أحمد التليلي**(1709-1763م) بسياحة صوفية بالشرق الجزائري؛ لما رأى مدارس الجريد ومشايخها غير قادرين على توفير المخزون المعرفي والديني والصوفي، حيث وضع عصا التسيار **بخنقة سيدي ناجي** التي درس بزاويتها سبع (07) سنوات، وتلقى عن مشايخها تعاليم الطريقة

---

[1]– أبو راس الناصري: **نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، المصدر السابق، ص 141.

[2]– عبد الرحيم مؤدن: **الرحلة في الأدب المغربي**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 103.

[3] - Sami Bargaoui: **Op.cit**, P 108.

[4]- د. أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 82.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج2، المرجع السابق، ص 145، 146.

[6]– حسين خوجة: المصدر **السابق**، ص 130-131.

[7]– البشير التليلي: **جربة ومحيطها البحري والقاري**، بحوث في التاريخ والجغرافيا والحضارة، أعمال الدورة 12 والدورة 13، تق: الميخي بورقو، تونس، 2016، ص 204.

الرحمانية[1]، وبمدينة الجزائر كذلك اشتهر ولي تونسي هو سيدي علي الجربي المتوفى خلال القرن 10هـ/16م، ويرجح أن يكون الجامع الذي بني حول الضريح قد شيد بعد نزول الأتراك"، وقد استبدل اسم الجامع الذي دفن به من جامع **سيدي الجربي** إلى **جامع ابن فارس** ذلك **أن الحاج علي بن الفارس** ابتاع دارا خلال النصف الثاني من القرن 17م/11هـ، فتناسى الناس اسم جامع **سيدي الجربي**؛ وبذلك سمي النهج بزنقة ابن فارس[2]، لذلك تبقى زيارة الأولياء والصلحاء والوقوف على مقاماتهم، والتعرف على آثارهم من أسباب الخروج عن الأوطان والسياحة في شتى البلدان.

05-العامل الاقتصادي "فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية والتجارية...".

إنّ من بين دوافع حراك النخب العلمية بين الإيالتين؛ الفوضى الاقتصادية وفقر البلاد؛ وقلة مواردها وسنوات القحط[3]، وما يترتب عنها من انعكاسات سلبية تؤثر بصورة كبيرة على الواقع الاجتماعي للصفوة على وجه الخصوص؛ ما يدفعها إلى الهجرة والانتقال بحثا عن عالم آخر تتوافر فيه ظروف عيش أرقى ومنزلة اجتماعية أسمى في ظل ممارسة وتقلد وظائف إدارية وعلمية ودينية ذات قيمة ومنزلة مجتمعية، من ذلك بعض العلماء التونسيين؛ وخاصة من كان على المذهب الحنفي، الذين لم تعد الجزائر بالنسبة إليهم نقطة عبور فقط؛ إنما تحولت إلى موطن لطلب العلم والوظائف[4]، لقد كان الصراع على المناصب بين العلماء الرسميين والرغبة في نيل الحظوة لدى النخب الحاكمة، والسعي إلى إبعاد كل المنافسين، واستخدام كل الوسائل لتحقيق الأهداف؛ من دواعي كثرة الترحال، حيث كانت نوعية المناصب محط أنظار الغالبية من العلماء الوافدين، وكانت الدافع المحرك لهم قصد تحقيق الثراء المادي[5].

لقد استقبل الحكام العثمانيون بالجزائر بالإضافة إلى علماء استانبول؛ علماء من تونس الذين ولوهم وظائف التدريس والقضاء وإدارة الأوقاف ونظارة المدارس وشؤون المساجد، ومن أبرز الأسماء في هذا المجال **سعيد قدورة** الذي جاء من تونس واستطاع بعلمه أن يفرض نفسه باعتباره العالم غير المنازع في العاصمة، كما استطاع من هذا المكان أن يورث منصبه[6]، كما أنّ إهمال العثمانيين للاقتصاد واحتكارهم للمواد الأولية الزراعية؛ والصناعية وحظر تصدير المنتجات المحلية إلى الخارج؛ أدّى إلى خراب التجارة وقضى على الزراعة في البلد[7]؛ ما أدّى إلى هجرة وتنقل الكثير من العلماء بين أقطار بلاد المغارب؛ بحثا عن ظروف معيشية أحسن ومواطن أفضل، لذلك فإن العامل الاقتصادي له إسهام فاعل في حركية هذه النخبة؛ ذلك أن الدوافع المادية للحراك النخبوي من الأمور التي لم يطرأ عليها تبديل في العصر الحديث عما كان عليه في فترات سابقة؛ حيث كان خروج المغاربة إلى البلاد الإسلامية التماسا للزرق بممارسة مختلف الأنشطة التجارية، أين شكلوا في بعض الأمصار **جالية تجارية غنية لها أعيانها**[8]، ذلك أن الحياة الاقتصادية اضطرت عددا من خيرة

---

[1]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 136-137.

[2]- عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق**، ص236.

[3]- علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 592.

[4]- دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 301.

[5]- حبيب خنفار: **المرجع السابق**، ص 174.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 174.

[7]- سعاد لبصير: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 68.

[8]- ليلى الصباغ: **المرجع السابق**، ص 91-92.

الطلبة والأساتذة إلى الهجرة إما لطلب المزيد من العلم وإما لطلب العيش في ظروف أفضل، وكان ضيق مجال العمل أمام المتعلمين سببا آخر في نفور المعلمين من البقاء في الجزائر[1].

لقد كان للدوافع التجارية والعائلية تأثير بارز في حراك النخب العلمية؛ حيث كانت القوافل التجارية تتردد بين إيالتي الجزائر تونس خلال العهد العثماني، فكان بعض رجال العلم من التجار الجزائريين؛ يستغلون تلك الفرصة لزيارة مختلف المؤسسات العلمية والدينية بالبلاد التونسية، ويتواصلون مع المشايخ والعلماء، وكان بعض الفقهاء يستغلون الزيارات العائلية التي تقودهم إلى تونس وذلك لاستقرار بعض العائلات الجزائرية بها؛ ويتواصلون مع علمائها[2]، ومن هؤلاء الشيخ **الحاج أحمد بن المبارك العطار**(1790-1870) الذي تعاطى التجارة منذ شبابه؛ حيث كان يرتاد تونس لشراء عمائم الحرير وأنواع العطور ثم يعود بها لبيعها بقسنطينة، وقد ساعده تردده على الحاضرة التونسية أن يحضر حلقات جامع الزيتونة[3]، ذلك أن بعض العلماء عندما وجدوا باب التوظيف مسدودا أو غير أخلاقي؛ ظلوا في الجزائر ولكنهم اختاروا التجارة وغيرها من الأمور غير العلمية[4]، فلا شك أن انتقال المواد والبضائع كان يواكبه انتقال الكتب والمخطوطات والأفكار[5].

والملاحظ أن بعض العلماء الذين غادروا أوطانهم لأسباب عديدة؛ كان بعضهم يعود إلى وطنه **كحمودة المقايسي** و**الحسين الورتيلاني** و**أبي راس محمد الزجاي**، وبعضهم يظل في مهجره[6] دون أوبة؛ حيث كان وضع هؤلاء العلماء- الذين آثروا الاستقرار-الاجتماعي والمادي أحسن بكثير؛ وفي أغلب الحالات مع ما يصاحب ذلك من تقدير وإجلال واعتراف بالمكانة العلمية؛ كما هو الحال مع **أبو عبد الله بن أحمد القسنطيني** المعروف **بابن الكماد**؛ الذي ينتسب أهل بيته إلى الشرف[7].

06-العامل الاجتماعي " الأمراض، الأوبئة، المجاعات والفقر...".

من بين دواعي حراك العلماء المغاربة تردي المستوى المعيشي نتيجة انتشار الأوبئة والنكبات الطبيعية (الأمراض والأوبئة والمجاعات والفقر)؛ التي تصيب كل المجتمع؛ إلاّ أنها بلا شك تترك آثارا أخطر على فئة العلماء، والتي يضطرها هذا الواقع الموبوء إلى الهجرة والانتقال بحثا عن عالم آخر تتوافر فيه ظروف الحياة الكريمة فرارا من الموت، وتتحدث كتب التراجم عن العلماء الذين أودى بحياتهم الطاعون؛ فصاحب **البستان** يذكر أنّ الطاعون الذي حدث سنة 981هـ/1573م كانت له وفيات من العلماء، الذين كانوا ضحية له أمثال **محمد أبو السادات**؛ و**محمد الجادري** و**محمد بن موسى الوجديجي**[8]، وهذا **صاحب الدوحة** قد تحدث عن وفاة الشيخ **أبي الحسن علي المعروف بالفحل بتطوان** (964

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 350.

[2]- فوزية لزغم: **العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671-1830**، المرجع السابق، ص 96.

[3]- الحاج أحمد العطار: **المصدر السابق**، ص 67.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 409.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 304.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 133-434.

[7]- حبيب خنفار: **المرجع السابق**، ص 176.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 432.

هـ/1556م) في الطاعون الذي عرفته المنطقة[1]، ويرصد الشيخ **عبد الكريم الفكون** في منشوره وباء عام 1031هـ/1622م؛ الذي أتى على عدد من على عدد من العلماء؛ أمثال **الشيخ التواتي** الذي تخطفته المنية به في **باجة**؛ بقوله:" **ورجع بعد مدة صاحبنا أبو عبد الله محمد البهلولي بعد مدة أعوام قبل سنة الطاعون الواقع في أحد وثلاثين بعام قاصدا الشيخ التواتي للقراءة، فقصده وبقي عنده إلى أن مات بالطاعون**"[2]، ويذكر **محمود مقديش** أنّ الطاعون الجارف في **تونس**، أخذ من المؤدبين والمدرسين ومن بقية العلماء عددا وافرا[3]، ومن الأمثلة الدالة على تأثيرات الأوبئة والجوائح على الفئات العالمة؛ ذلك الوباء الذي أصاب **تلمسان** سنة 1058هـ/ 1648م الذي هلك جراءه علماء كثيرون، وقد نظم **محمد بن سليمان الصايم التلمساني** صاحب **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**؛ قصيدة سجل فيها أسماء العلماء وغيرهم؛ من الذين كانوا ضحايا هذه الجائحة[4]، ومما جاء فيها :

ذهب الخيار وغاب عني خيارهم...وبقيت في خلف نراهم يخلفوا

فرق الوباء عصابة فتفرقوا ..... وتلاحقوا وتحققوا ما أسلفوا.

شهدت عليه شهدة في شهادة..... بمفازة ورزانة ما طففوا

ويتحدث **العياشي** في رحلته عن الطاعون الذي طرق ناحية **بسكرة** في أوبته من الحج عام 1060هـ/1650م؛ وهو الذي مات فيه **الشيخ التواتي بن ناجي** أحد مشايخ **الخنقة**؛ الذي لازمه الشيخ **أبي مهدي**؛ في الوقت الذي فر فيه غالب من كان معه، مشيرا أيضا إلى وفاة أحد الصلحاء الذين التقى بهم في طريقه لتأدية المناسك جراء الوباء الجارف؛بقوله" **وبقي معه إلى أن طرق الوباء تلك الناحية في حدود الستين وألف، وفر غالب من كان مع الشيخ التواتي، وبقي معه الشيخ أبو مهدي صابرا محتسبا إلى أن طعن الشيخ التواتي...وقد لقيت سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين، ممن جمع بين العلم والعمل...اسمه سيدي بوطيب نصير...ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة**"[5]، ويرصد **مسلم بن عبد القادر** الطاعون الجارف الذي أتى على العديد من رجال العلم أيام باي الغرب الجزائري **محمد عثمان** (1798-1800م) بقوله:"**وحدث في أيامه الطاعون الجارف الذي مات به جل الناس، وكثير من الشخصيات العلمية كالسيد عبد القادر بن السنوسي بن دحو بن زرفة، والسيد الهاشمي وابن عمهما الفقيه مؤلف الرسالة القمرية مصطفى بن عبد الله وغيرهم من الأعيان**"[6].

وقد جاء في إحدى رسائل الشيخ **محمد بن يوسف المصعبي** في معرض حديثه عن بعض الأحداث التي عرفتها جزيرة **جربة**؛ ذكر للطاعون الذي عرفته البلاد التونسية عام 1198هـ/1783م والذي انتشر في جهات الجزيرة، والذي

---

[1] - ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص42.

[2]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 205.

[3]. محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج1، ص 12.

[4]- محمد بن سليمانالصايم: **كعبة الطائفين وبهجة العارفين**، ج2، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601، ص 223.

[5]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج2، ص 221-224.

[6]- مسلم بن عبد القادر: **المصدر السابق**، ص 26.

أتى على أغلب الأعيان والفضلاء من التجار والفقهاء وحملة القرآن والعلماء وطلبة العلم، ولم يبق إلا القليل منهم؛ وعم الجهل سائر البلاد، وتكرر الطاعون في العام الموالي أي عام 1199هـ/ 1784م؛ فأفنى العلماء وخلت به البلاد، واجتمع في ذلك العام الموت وغلت الأسعار وصارت الناس تطعم في أيام المآتم التمر والحشيش[1]، ولم تقتصر الجوائح على الوباء الذي انتشرت عدواه من الأقطار المجاورة نتيجة صلة المغاربة بعالم البحر الأبيض المتوسط؛ وانفتاحها على أقاليم السودان، بل يضاف إليها الزلزال والجفاف والمجاعات[2].

من الدوافع الهامة المرتبطة بحراك النخب العلمية؛ انتشار المعاصي والمنكرات والانحرافات بالمجتمع وتغييب العمل بأحكام الشريعة الإسلامية؛ في ظل غياب المعلم الناصح، هذه الاعتبارات تدفع العلماء والمشايخ وطلبة العلم إلى الهجرة ومغادرة الأوطان، فقد راسل عالم من علماء بجاية **أبو العباس أحمد البجائي الشريف** أحد شيوخ تلمسان **أحمد بن الحاج البيدري** يستفتيه حول الهجرة؛ فقال: « **ما جوابكم في موضع كثر فيه الظلم والأشرار، وانتشر فيه الباطل والسُكْرُ كل انتشار، وذلّ فيه المسلمون وعزَّ فيه الكفار،واتّضع فيه أهل المعرفة والعلم، تمكس فيه جلّ المبيعات على المسلمين، وأشكل الأمر على المسترشدين..**»[3]، ويقدم لنا صاحب **كعبة الطائفين** في صورة قاتمة الواقع المجتمعي ووضعية نخبه؛ بقوله:"**بل لم نجد نحن في هذا الأخير من القرن الحادي عشر إلا العقارب واللفاع والشقاق والنزاع، وظهور الهمج الرعاع المؤثرين سبل الشر والابتداع**"[4]، وقد صور لنا **عبد الكريم الفكون** في **منشوره**؛ ما كان سائدا من جهالة وذائعا من مناكر وبدع؛ بقوله:" **فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أظلت، وأسواق العلم قد كسدت...وصاحب الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة**"[5]، ويرى **الورثيلاني** أنّ **المعاصي** إذا كثرت في موضع وقلّت في آخر؛ **أضحت الهجرة واجبا شرعيا حفاظا على الدين**، حيث يتوجب على العبد أن يغادر إلى الفضاء الذي تسري فيه أحكام الشريعة؛ حيث يجد الأمان والاستقرار "...**أن المعاصي إذا كثرت في موضع وقلت في آخر، على العبد أن ينتقل لمحل قل فيه ذلك**..."[6]. لذلك فإنّ العوامل الطبيعية والظروف الاجتماعية؛ تعد من أسباب حركية النخب العلمية؛ فرارا من الجوائح، وبحثا عن حياة أفضل ومستوى معيشي أرقى؛ فالنهضات العلمية تزكو إلى البيئات التي تتوافر فيها شروط الاستقرار؛ حيث تأنس الأنفس في الأوساط التي تتوافر بها فرص العيش الكريم والعمل؛ في ظل الهدوء والسكينة وسيادة الأمن والسلم.

07-الدواعي الديبلوماسية (الرسمية).

تتمثل في التكليفات الإدارية والسفارية، والتي غالبا ما تسند إلى المشايخ والعلماء؛ أصحاب الدراية والشهرة العلمية والحنكة السياسية، وقد تكون بهدف التجسس أو المبايعة أو الإصلاح بين الدول والقبائل، لذلك كان من مثقفي الجزائر

---

[1]- سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي: **المصدر السابق**، ص 100-102.

[2]. سعاد لبصير: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 71.

[3]. ابن مريم: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 70.

[4]- محمد بن سليمانالصايم: **كعبة الطائفين وبهجة العارفين**، ج1، المصدر السابق، ص 78.

[5]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 31-32.

[6]-الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 153.

من يذهب إلى تونس؛ ومن مثقفي وتونس إلى الجزائر لأداء مهمة معينة، وقد استقبلت الجزائر في هذا الإطار عددا من علماء تونس؛ ومن هؤلاء **القاضي الحنفي التركي** المرسل من الآستانة **رمضان أفندي** ممثل الشرعية العثمانية، والحضور المالكي الذي جسده قسم يمثل العناصر الأهلية المحلية؛ من علماء البلاد من المالكية؛ على غرار : الفقيه التونسي **أبو سيدي قاسم البرشكي** والمفتي المنستيري **سيدي محمد بن أبي الربيع**[1]؛ وهذا لتسوية الخلاف الحدودي بين الإيالتين عام 1614م، ويتجدد الحضور الديبلوماسي النخبوي في أعقاب المواجهة العسكرية بين الإيالتين عام 1628م؛ التي انتهت بترسيم الحدود، حيث نزل الوفد المرسل من تونس بالقرب من **قصر جابر** (عنابة)، وكان أكثر تنوعا وتوازنا حيث ضم إلى جانب الشخصيات السياسية والعسكرية، شخصيات ذات وظائف دينية ممثلة في كوكبة من العلماء والمشايخ، ثلاثة منهم يمثلون المذهب المالكي: **تاج العارفين البكري** إمام جامع الزيتونة، والمفتيين: **إبراهيم الغرياني** و**إبراهيم الجديدي** اللذان ينسبان إلى الزاوية الغريانية بالقيروان، أما ممثلي المذهب الحنفي: الشيخ **رمضان أفندي** خطيب جامع **يوسف داي** وهو ذات الشخص الذي شارك في صلح 1614م، والشيخ **أحمد خوجة** جد الإمام عبد النبي؛ خطيب جامع القصر، كما شمل وفد الصلح **الشيخ مصطفى** شيخ الأندلس[2]، ولتلافي أزمة سياسية بين البلدين وردت على الجزائر على عهد الداي **شعبان خوجة** (1688-1695) عام 1694م؛ جماعة من فضلاء البلاد التونسية وأعيان الديوان من العلماء والأئمة والخطباء ونخبة من العسكر منهم: الشيخ **أبو الغيث البكري** إمام جامع الزيتونة وخطيبه، والشيخ البركة الولي **أبو الحسن سيدي علي عزوز**، والشيخ العلامة المفتي **محمد فتاتة**، و**محمد خوجة** كاتب الديوان؛ الذين ركبوا البحر وبلغوا الجزائر، وكلموا حاكمها **شعبان خوجة** في الصلح[3]، ومن الشخصيات التي لعبت دورا ديبلوماسيا؛ **الوزير حمودة بن عبد العزيز(ت.1202هـ/1788)** أحد خواص **علي باي الحسيني** الذي قلده **قلم الإنشاء**، حيث استعان به في تدبير دولته، وبعثه سفيرا عنه إلى قسنطينة والجزائر، في بعض الأغراض السياسية[4]، وهذا يعكس لنا مسألة في غاية الأهمية هي تحميل النخب العلمية والدينية مسؤولية الحراك الديبلوماسي لإيجاد حلول ملائمة، وهو ما يمثل اعترافا واضحا من السلطة بقدرة العلماء على صياغة حلول قانونية للمسائل السياسية بين البلدين[5].

08-العامل الجغرافي:

إذا كانت العوامل الدينية والعلمية من الثوابت التي دفعت النخب العلمية إلى الحراك؛ فإن العوامل الجغرافية الطبيعية من الثوابت الأخرى تشجع العلماء على ذلك الانتقال، فالتشابه في الطبيعة والمناخ بين الصقعين تجعل الجزائري لا يشعر بالوحدة والغربة[6]؛ في ظل غياب العراقيل السياسية التي تقف حائلا أمام حراك النخب، ذلك أن السلطات لم تتدخل في مسألة التنقل، ما شجع كل من له رغبة في الارتحال إلى المسارعة بسهولة إلى وجهته لتحقيق مراميه والوصول إلى أهدافه،

---

[1]- أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1.

[2]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 359-364.

[3]- الوزير السراج: **المصدر نفسه**، مج2، ص 579.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 22.

[5]- محمد العادل: **المرجع السابق**، ص211.

[6]- ليلى الصباغ: **المرجع السابق**، ص 81.

ومنه عموم الفائدة مع نيل المراد[1]، وقد أشار الشيخ **أبو العباس أحمد المقري** إلى هذه الناحية الجغرافية الهامة؛ مستعرضا العبء العاطفي الذي يثقل على المهاجر في حراكه من مكان إلى آخر؛ عندما قال:" **وقد تذكرت بلادي النائية، بذلك المرمى.. عند رؤيتي لتلك الأقطار، الجليلة الأوصاف، العظيمة الأخطار، تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار، ذات العرف المعطار...**"[2].

ونظرا للقرب الجغرافي؛ فقد كان إقليم الشرق الجزائري ينفرد بمميزات وخصائص حدوده؛ التي جعلته فضاء مفتوحا على الغرب التونسي[3]، **لذلك تنقل معظم العلماء والطلبة الجزائريين القاطنين على طول الشريط الحدودي مع تونس على غرار أبناء (عنابة، زواوة، قسنطينة، بلاد الزاب، سوف، ميزاب) إلى تونس طلبا للعلم أو طمعا في الوظيفة، لأن تونس أقرب جغرافيا للمناطق الشرقية الجزائرية مقارنة بمدينة الجزائر، ومن جهة أخرى نجد الجهات الشرقية (عنابة، قسنطينة، جيجل، تقرت..) تاريخيا كانت خاضعة للنفوذ الحفصي**[4]، ويدخل في التماثل المناخ والطبيعة توافق المناخ الإنساني من وحدة العقيدة واللغة، والتقارب في كثير من العادات والتقاليد[5]؛ إلى جانب **الوحدة المذهبية "المذهب المالكي"** الذي ساعد على تبادل الآراء في القضايا والنوازل الفقهية بين حواضر الإيالتين، كما أن الوحدة الدينية المذهبية سهلت على بعض العلماء في حراكهم تبوأ مقاعد للتدريس والإفتاء في ظل تقارب مناهج التعليم والثقافة المتشابهة والمتكاملة بين دول الجوار؛ إلى جانب انتشار الطرق الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا؛ **حيث قامت بدور فعال من خلال نشاط مشايخها وزواياها في التواصل وتعزيز الروابط ووحدة الانتماء وخلق صلات روحية بين سكان الإيالتين** [6]، **إذ تعتبر الزوايا الصوفية التي تنتشر في البلاد التونسية بشكل لافت؛ باعتبارها أرضا للفكر الصوفي منذ القدم؛ مصدر جذب لفئة من التونسيين وغيرهم من المريدين وأتباع هذه الطريقة أو تلك**[7]؛ **باعتبارها مراكز تنويرية توعوية وأماكن لتربية القلوب على فضائل الأخلاق، ويبدو مما تقدم أن العامل السياسي غالبا ما يخفي وراءه الدافع الحقيقي لحراك العالم من بلده الأصلي إلى قطر آخر**، مثلما هو الحال مع **علماء أسرة المقري** التي نالت حظوة ومكانة كبيرة في تلمسان قبل ومع ومجيء الأتراك العثمانيين، ورغم أن الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** يشير أن الفتن التي كانت دواليك بين سكان تلمسان والعثمانيين هي التي دفعت **أبو العباس أحمد المقري**(1578-1631) إلى مغادرة **تلمسان** بصفة نهائية إلى **فاس**[8]؛ فإننا نجد الشيخ **سعيد المقري** العم والمعلم (ولد

---

[1]- عبد القادر خليفي: "**الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية**"، مجلة المواقف، العدد 04، منشورات جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009، ص115.

[2]- أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح احسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988، ص 65-66.

[3]- احميده عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 12.

[4]- فاطمة الزهراء صولي-أرزقي شويتام: "**هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن 18م ومطلع القرن 19 الأسباب والنتائج**"، مجلة عصور، مج21، العدد 01، جامعة وهران، الجزائر، جويلية 2022، ص 193.

[5]- ليلى الصباغ: **المرجع السابق**، ص 82.

[6]- سالم بوتدارة: "**التواصل الثقافي بين الإيالات المغاربية العثمانية**"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 09، جامعة أم البواقي، الجزائر، جوان 2018، 188-189.

[7]- روعة قاسم:"**المعالم الدينية والزوايا الصوفية مقصد السياحة الروحية في تونس**"، صحيفة القدس العربي، لندن، 12 ماي 2018، ص 02.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 213.

عام 928هـ/1522) خطيب ومفتي الجامع الأعظم بتلمسان قد ظل ثابتا كالطود في وظيفته خمسا وأربعين سنة في زمن الفتن والأهواء والاضطرابات[1].

لذلك فإننا نميل إلى أن هجرة **أبو العباس أحمد المقري** كانت لدواعي علمية بحتة للاستزادة من التحصيل على المشايخ؛ ونيل الحظوة والمكانة بين أقرانه، حيث ارتحل إلى **فاس** عام 1013هـ/1600م؛ ونزل بدار قاضي **فاس أبي محمد عبد الوهاب ابن القاضي**، وحضر مجلس الشيخ **علي بن عمران السلاسي** وناقشه في بعض المسائل الفقهية التي أشكلت عليه[2]؛ إلى جانب الحظوة والمنزلة مع ما يرتبط بها من امتيازات أي مغريات مادية قد تطاله من سلاطين المغرب السعديين؛ الذين قربوا إليهم العلماء وأحاطوهم بالتجلة والاحترام وأغدقوا عليهم بالأعطيات والهبات؛ كما هو الحال مع سابقيه الشيخ **أحمد العبادي** وجملة فقهاء تلمسان الذين وفدوا على فاس عام 968هـ/ 1560م؛ **فوصلهم السلطان السعدي الغالب كل على قدر حاله، وخصه أي العبادي بألف مثقال ذهبا وأمر له بكساء وإقامة جليلة**[3]، وهو طموح **المقري** الذي حظي بالتوقير ونال المنزلة الرفيعة والشأو الكبير، **فقد تولى الوظائف السامية بالمغرب؛ مدة إقامته التي ناهزت خمسة عشر عاما؛** في ظل حكم السلطان السعدي **أحمد المنصور**؛ الذي حباه برعايته وجعله من المقربين، حيث تقلد الخطط الثلاث (الإمامة والخطابة والفتوى) لمدة 13 سنة، حيث يقول **صاحب النفح:" وارتحلت منها إلى فاس حيث ملك الأشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها"**[4]، لذلك فضل علماء الجزائر الاستقرار بالمغرب نظير إكرام وعطاء ملوكهم، وللظفر بأرقى المناصب الدينية كالفتوى المالكية بفاس، والخطابة بجامع القرويين، وهو الأمر الذي لن ينالوه في البلاد أخرى التي يعمد حكامها على تقديم العلماء الأحناف على حساب النخب المالكية تماشيا مع مذهبهم كما هو الحال في تونس[5].

ومنه يتراءى لنا أن عوامل حراك النخب العلمية-الذين كانوا همزة الوصل وحلقة الربط في وقت انعدمت فيه وسائل المواصلات الحديثة بين الإيالتين-تماهت فيها عوامل السياسة والاقتصاد والدين والعلم، ونستشف أيضا أنّ معاملة الأتراك ليست هي السبب المباشر لحراك الصفوة في ظل القطيعة بين العلماء والحكام في أغلب الفترات؛ بل هناك دواعي عديدة تحكمت في تنقلاتهم من ذلك العامل المادي وما يتبعه من نيل الحظوة وعلو المقام ورفعة المنزلة.

إن حراك بعض المشايخ كان حراكا مؤقتا ينقضي بالعودة إلى الأوطان بمجرد نيل المقصد وقضاء المأرب، والبعض الآخر كان حراكهم دائما واستقروا بصفة نهائية حيث وضعوا عصا التسيار في البلاد المهاجر إليها؛ لتوافر شروط الاستقرار من أمن وضمان مورد عيش؛ ونهل علم ومجاورة مقدس، ومع ذلك فقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى تفجير طاقات عقلية وفنية؛ ومواهب حيث وضعوا عصا التسيار؛ فبرز الموهوبون الخلاقون المبدعون؛ الذين أخذ بعض الحكام بيدهم وأجزلوا لهم العطاء؛ خاصة وأن النهضات العلمية تزكوا إذا توافر لها الأمن والهدوء وأسباب الرخاء والسلم.

---

[1]- محمد خيط: **المقري أبو العباس أحمد بن محمد986-1041هـ/1578-1631م**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 70.

[2]- أحمد المقري: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تح محمد سالم هاشم، طبعة خاصة المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 06.

[3]- ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 107.

[4]- أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 06.

[5]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص 259.

ثانيا–الحراك الديبلوماسي للنخب العالمة وأثره على العلاقات بين الإيالتين.

قامت النخب العلمية –إلى جانب اهتماماتها الفكرية ونشاطاتها الثقافية– بحراك ديبلوماسي فاعل، فهنالك من المشايخ والعلماء من كلف من طرف السلط الحاكمة ببعض المهام ذات الطابع السياسي، والتي تتعلق في كثير من الأحيان بتسوية الخلافات وتلافي النزاعات القائمة، أو إرسالهم على رأس سفارات لتسوية قضايا أو السعي لقضاء جاجيات...ويتجلى حضور علماء المالكية في هذا الفترة في تلك القضية التي طرحت على المفتي **ابن عظوم** سنة 1589م، والمتعلقة بالنزاع بين عسكر تونس وقسنطينة وعنابة، عندما بحث الحكام في ذلك الظرف عن حل للمشاكل الحدودية لدى فقهاء المالكية، وقدأورد **ابن عظوم** في **أجوبته** هذه نازلة التي عرضت عليه أواخر محرم 988هـ/ 9 ديسمبر 1589م تتضمن توسع عسكر تونس في المناطق الداخلية الغربية من أجل جمع الضرائب والمجابي في ظرفية تميزت بانعدام الوضوح المجالي"...**جوابكم عن مسألة عسكر خرج من تونس في محلة لاستخلاص حقوق مخزنية من وطنهم المعروف بهم، معهم طائفة يقال لهم التلمود، ولطائفة التلمود رعايا وطن لهم عليهم حقوق عادية أيضا تمنعوا من أدائها إليهم بطائفة يقال لهم الحنانشة. وخرج أيضا عسكر قسنطينة وبلد العناب مع الحنانشة دون حضور عسكر تونس، فوقع موت أناس من جانب عسكر قسنطينة ولم يتعين قاتلهم...**"[1].

وتشير الوثائق أن تدخل شخصيات دينية حال دون وقع الحرب بين الجزائر وتونس، ومن ثم التوصل إلى حل سلمي؛ من ذلك صلح 1614م الذي جسمه اتفاق مكتوب يقوم على اعتبار **واد سراط** حاجزا بين الإيالتين، والذي تم إبرامه بعد مفاوضات بين ممثلي الإيالتين؛ شاركت فيها إلى جانب الرموز السياسية والعسكرية من الطرفين؛ **نخبة فكرية دينية**، فمن الجانب التونسي نجد **القاضي الحنفي التركي** المرسل من الآستانة **رمضان أفندي** ممثل الشرعية العثمانية، والحضور المالكي الذي جسده قسم يمثل العناصر الأهلية المحلية؛ من علماء البلاد من المالكية؛ على غرار : الفقيه التونسي **أبو سيدي قاسم البرشكي** والمفتي المنستيري **سيدي محمد بن أبي الربيع**[2].

وهذا يعكس لنا مسألة في غاية الأهمية هي تحميل الأتراك النخب العلمية والدينية مسؤولية الحراك الديبلوماسي لإيجاد حلول ملائمة لطموحاتهم، من خلال إشراك العلماء المحليين إلى جانب العناصر العثمانية الممثلة للشرعية في البلاد، وهو ما يمثل اعترافا واضحا من السلطة بقدرة العلماء المحليين على صياغة حلول قانونية للمسائل الحدودية مع الجارة الغربية الجزائر[3].

تجدد الحضور الديبلوماسي النخبوي في أعقاب المواجهة العسكرية بين الإيالتين عام 1628م؛ التي انتهت بتفوق الطرف الجزائري، وأسفرت المفاوضات بين الطرفين من جديد على اتفاق مكتوب برسم الحدود بين الإيالتين بما يضمن المصالح الترابية للطرفين، حيث تم التأكيد فيه مرة أخرى على اعتبار **واد سراط** حدا جبائيا وبشريا بين العمالتين، أما الوفد الجزائري المفاوض فقد ضم إلى جانب العناصر العسكرية؛ شخصيات دينية من ذلك الشيخ العالم **أبي العباس أحمد بن الحاجة**، من أصحاب الشيخ **عبد الكريم الفكون** وتلامذته، كان ذا فكر ودراية، تولى النيابة عن القضاة ببلد

---

[1]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، ج6، ص 275–276.

[2]– أ. **وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1.

[3]– محمد العادل: **المرجع السابق**، ص211.

ميلة"باش عدل" في أول أمره، ثم تولى نيابة بلد قسنطينة[1]، أما الوفد المرسل من تونس، فقد كان أكثر تنوعا وتوازنا حيث ضم إلى جانب الشخصيات السياسية والعسكرية، شخصيات ذات وظائف دينية ممثلة في كوكبة من العلماء والمشايخ، ثلاثة منهم يمثلون المذهب المالكي: **تاج العارفين البكري** إمام جامع الزيتونة صهر **أبي الغيث القشاش** الذي كان يمثل أحدى العائلات العريقة في تونس، والمفتيين: **إبراهيم الغرياني** و**إبراهيم الجديدي** اللذان ينسبان إلى الزاوية الغريانية بالقيروان، أما ممثلي المذهب الحنفي: الشيخ **رمضان أفندي** خطيب جامع يوسف داي وهو ذات الشخص الذي شارك في صلح 1614م، والشيخ **أحمد خوجة** جد الإمام عبد النبي؛ خطيب جامع القصر، كما شمل وفد الصلح **الشيخ مصطفى** شيخ الأندلس[2]. ويتبين من خلال المصادر الدور الذي قام به العلماء في إحلال السلم بين الطرفين وإقرار التوازن بين طموحات كل منهما، وفي التأثير على الأطراف العسكرية المتقابلة ولا سيما الطرف الجزائري المنتصر في الحرب، ويمكن قراءة هذا التأثير على مستوى الخطاب الوعظي المتمثل في محاولة التوفيق بين الطرفين اعتمادا على الثقافة والموروث الديني الذي كان له وقعه على الحاضرين[3]، وقد أشار صاحب الحلل إلى وقع خطاب **تاج العارفين** على الفريقين؛ بقوله: "...**ولما عرفوه في المعارف تاجا نادوه تاج العارفين؛ قام على منبر النصيحة ووعظ، وبما يشغل قلوب المسعفين لفظ، واتخذ في استجلاب الرضى طريقا وسطا، لا دنوا ممتزجا ولا شططا.وكان في تعاطيه سلاف الإصلاح لا راهبا مهينا ولا راغبا نهما، بل جس نبض الخواطر بأنامل قانون سياسته، وداوى بشراب "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"؛ وصقل قلوب الفرقتين، وغدا بمثابة من يصلح الله به بين فئتين عظيمتين، فأجابوه لما سماه خيرا وكفى الله**"[4].

ويتجلى الحراك السياسي للنخب العلمية أيضا في محاولات الصلح التي أعقبت هزيمة **محمد باي بن مراد باي بن حمودة باشا** أمام حاكم الجزائر الداي **شعبان خوجة** (1688-1695) عام 1694م؛ والتي انتهت بتنصيب **محمد شكر** حاكما على البلاد التونسية؛ كرد فعل على الاعتداءات المتكررة للتونسيين على بايلك قسنطينة في فترات الأزمات التي تواجه الإيالة[5]، وقام هذا الأخير بدوره بتعيين **محمد طاطار** دايا؛ إلا أن **محمد باي** سرعان ما عاد على رأس أنصاره؛ وألحق الهزيمة **بابن شكر بمرق الليل** قرب **القيروان** في رمضان 1106هـ/16 أفريل 1695م، ولما كان **شعبان خوجة**؛ قد أعطى العهد **لمحمد بن شكر** والداي **طاطار** بإعانتهما في حال تحرك لهما **محمد باي** المرادي؛ وخشي الأخير أن يوفي لهما[6]؛ فبادر بإرسال جماعة من فضلاء البلاد وأعيان الديوان من العلماء والأئمة والخطباء ونخبة من العسكر منهم: الشيخ **أبو الغيث البكري** إمام جامع الزيتونة وخطيبه، والشيخ البركة الولي **أبو الحسن سيدي علي عزوز**، والشيخ العلامة المفتي **محمد فتاتة**، و**محمد خوجة** كاتب الديوان؛ فركبوا البحر وبلغوا الجزائر، وكلموا حاكمها

---

[1]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 213.

[2]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 359-364.

[3]- فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس1574-1881**، المرجع السابق، ص 123-124.

[4]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 263.

[5]- Henri-Delmas de Grammont : **Histoire D'Alger sos la domination Turque …**, Op.cit, P 216.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 64-66.

الداي **شعبان خوجة** في الصلح [1] الواجب بين المسلمين؛ وذكروه سطوة الله تعالى على من دعي إلى الصلح فلم يستجب؛ فازداد عتوا واستكبارا؛ وعاملهم بقبح الرد وأمرهم بالمغادرة فورا؛ وأنه منجد الداي **طاطار** لا محالة، ولما عادوا أدراجهم وقاربوا تونس؛ ظهرت كرامة من كرامات الشيخ **سيدي علي عزوز** الذي قال لهم" **والله لا ندخل بلادنا إلا إذا أكلت من طعام موته**"[2]، وتجلى برهانه؛ بأن هاجت عليهم ريح شديدة أعادتهم قسرا إلى **مرسى الجزائر**، أين وجدوا الجند قد ثار على **شعبان خوجة** وقتله؛ ونصبوا غيره مكانه؛ فعقد الداي الجديد **أحمد أعجي** (1695-1688) معهم الصلح[3] بعد أن رحب بهم وأكرم نزلهم، وعادوا إلى تونس مسرورين[4]، حيث انفصلوا على الرضا والصفاء والعافية كما يقول صاحب الحلل[5].

ومنهم من قام بمهام ديبلوماسية، نظير الحظوة التي نالها من حكام الإيالة؛ على غرار **محمد التلمساني** الذي أرسله الباي التونسي **حسين بن علي** (1705-1735) على رأس سفارة إلى لندن عام 1732م لجلب المواد الضرورية اللازمة لبناء سفينته قيد الإنشاء، وعلى الرغم من تردد الحكومة الانجليزية إلا أنه من المرجح جدا أن التلمساني نجح في مهمته مع استجابة الانجليز لرغبة الباي الذي حصل على ما هو بحاجة إليه لقاء قدر من المال[6]، ولما تعرض **ركب الحجاج الفاسي** سنة 1164هـ/ 1750-1751م لاعتداء النمامشة الذين عاثوا فيه، وأخذوا منه خيلا وإبلا وأحمالا وأموالا، وامتلأت أيديهم من أموال وفد بيت الله ومسكن رسوله، وتوزعوه بينهم، أقبل المأخذون إلى تونس ورفعوا أمرهم إلى **علي باشا**، فوعدهم باسترداد أموالهم من النمامشة، واستدعى الشيخ **محمد ابن الحاج أحمد** شيخ **الخنقة**[7]، وهذا لعلو شأنه وذيوع صيته ورفعة مقامه، وهو في هذا السياق يتحدث **المجاجي** عن صاحب الخنقة فيقول:"**رئيس زمانه أبو الحسن بن ناجي صاحب الخنقة له في بلاد الزاب صيت ومحفل عظيم من الأعراب**"[8]، إذ وفرت زواية أولاد سيد ناجي بالخنقة وسطاء ديبلوماسيين من الطراز الرفيع كانوا بمثابة صلة الوصل بين حكام تونس وبايات قسنطينة[9]، وكثيرا ما قام **أولاد ناصر** بالخنقة بدور الوساطة بين بايلك الشرق وإيالة تونس لتلافي الخلافات، حيث كانوا يختارون للاضطلاع بهذه المهام لما لهم من خبرة وحنكة ديبلوماسية [10]، لتحقيق الوفاق بين الإيالتين؛ كتدخل شيخها لإطفاء نار فتنة وقعت سنة 1157هـ/1744م بين داي الجزائر وباشا تونس[11]. ومن الشخصيات التي لعبت دورا ديبلوماسيا؛ **الوزير حمودة بن عبد العزيز**(ت.1202هـ/1787-1788) الذي قلده **علي باي الحسيني** قلم الإنشاء، وأحسن إليه وجعله من

---

[1]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 579.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 66-67.

[3]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 579.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 67.

[5]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 579.

[6]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie ...** T 2, Op.cit, P 91.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 133.

[8]- عبد الرحمن بن خروب المجاجي: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1564، ص 8.

[9]- Kamel Filali: **L'Algérie mystique…**Op.cit, P 117.

[10]- Gouvion(E) (M): **Kitab Ayane El Maghariba**, Op.cit, P 42.

[11]- كريمة بن حسين: **المرجع السابق**، ص 104.

خواصه؛ واستعان به في تدبير دولته، وبعثه سفيرا عنه إلى قسنطينة والجزائر في بعض الأغراض السياسية[1]، وهو ما يشير إليه الشيخ **محمد النيفر** في مؤلفه **عنوان الأريب**؛ الذي قال أن صاحب **الكتاب الباشي** كان خليقا بالرئاسة؛ لذا بعثه الأمير **علي** سفيرا عنه لدار الخلافة العثمانية وللجزائر[2]، وهذا أثناء تأزم العلاقات السياسية بين الإيالتين عام 1787م؛ مع استقبال الباي التونسي **حمودة باشا الحسيني** قبائل وعشائر جزائرية من رعايا **صالح** باي قسنطينة؛ الذي كاتب الباي التونسي ولامه على ذلك، وطالبه بتعويضات، فاضطر الأخير أمام الضغط وإلحاح مقربيه إلى الرضوخ للشروط القاسية وأن يدفع من جديد[3]؛ مبالغ هامة كتعويضات مطلوبة، حيث أوفد في هذا الشأن كاتبه الخاص **حمودة بن عبد العزيز**؛ الذي التقى **صالح باي** وتفاوض معه وانتهى الأمر بتسوية انتفت معها أسباب الخلاف ودواعي المجابهة؛ وقد وصف أحد المؤرخين القسنطينيين المتأخرين" **النقاد**" هذه الأحداث بقوله:" **ولما انتهى إلى باي تونس بأن صالح باي نزل حيدرة مريدا استرجاع من فر من وطنه إلى تونس عظم عليه الأمر وخشي على نفسه فوجه إليه كاتبه ابن عبد العزيز في جملة من الحوانب ...ثم بعد ذلك اجتمع مع صالح باي وتحدث معه ووعده بمال جزيل وأمره صالح باي أن يبلغ مكتوبه لباي تونس ...ثم أن صالح باي بعد انفصال عبد العزيز من عنده وجه قريبه محمد خوجة العجمي لاسترجع الفارين من بلد تونس فتوجه هو كافة من كبراء الفرسان إلى بلد تونس ...فدخل محمد خوجة إلى بيت معدة له فنزلوا بدار هيأها له باي تونس...فمكث هناك أياما واستحضروا من أراد استرجاعه...**"[4].

ويذكر **حمدان بن عثمان خوجة** في كتابه **المرآة** أنه كان رفقة رفقة خاله الذي كان له منصب في الدولة؛ وهذا في طريق أوبته من القسطنطينية عام 1801م حيث وضعا عصا التسيار **بتونس** ونزلا في ضيافة حاكمها الذي أكرم وفادتهما مدة أسبوع؛ حيث طلب الباي التونسي **حمودة باشا** (1782-1814) من **خوجة** أن ينقل له إلى داي الجزائر تجاوزات **وكيل قسنطينة** و**وكيل الجزائر** بالحاضرة التونسية؛ مبديا خوفه من أن يؤدي تهاون حكومة الجزائر وقلة مراعاتها لتونس إلى حرب تندلع حتما بسبب الخلاف الذي كان قائما بين الحكومتين[5]، ويعزى تكليف **خوجة** بحمل رسالة **حمودة باشا** إلى حاكم الجزائر إلى؛ علو مقامه وسمو مكانته ومنزلته لدى الباي التونسي ولدى حكومة بلاده، ويذكر الأستاذ **عبد الجليل التميمي** أن **حمدان خوجة** يعد الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا؛ إذ يعد عالما كبيرا في الجزائر العاصمة؛ له طلاقة ووضوح في الرأي وتلاعب بمترادفات الكلام والأفكار، يضاف إلى ذلك خط شرقي جميل[6]. وفي الشأن نجد أيضا رائد التجديد الإسلامي **محمد ابن محمود العنابي** (**1775-1850**) الذي تقلد وظيفة القضاء والإفتاء والكتابة إلى **باي تونس**؛ فقد جاء في **مذكرات احمد الزهار** أن **الداي أحمد باشا**(**1805-1808**) قد أمر " **الفقيه محمد بن العنابي، قاضي الحنفية، أن يكتب كتابا إلى**

---

[1]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 22.

[2]- محمد النيفر: **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1966، ص 624.

[3]- Ernest Mercier: **Op.cit**, P 278.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **الشرق الجزائري"بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال"**، المرجع السابق، ص 67.

[5]- حمدان خوجة: **المرآة، المصدر السابق**، ص 165.

[6]- عبد الجليل التميمي: **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871**، ط2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985، ص 34.

حمودة باشا (باي تونس). فكتب الكتاب وبعثوا به"[1]، وهذا التكليف تشريف يعكس منزلة **ابن العنابي** لدى الداي **أحمد، ولولا ذلك لاستكتب الداي كتابه الرسميين (أو الخوجات) لنفس الغرض؛ إذ المعروف أن قاضي الحنفية (أو القاضي عامة) لا يقوم بهذه المهمة**[2].

[1]– أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 125.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، المرجع السابق، ص 34.

الفصل الثالث: تجليات التواصل الفكري لحراك الصفوة بين الإيالتين

أولا–الإجازات.

ثانيا–المراسلات.

ثالثا–المجالس والمناظرات العلمية.

رابعا–انتقال المصنفات العلمية.

خامسا–الفتاوى والردود.

سادسا–حراك النخب في رحاب ركب الحج.

لقد نسج التاريخ والجغرافيا وشائج قربى وروابط اتصال وثيقة متعددة الأوجه بين الجزائر وتونس بوجه عام، ولا سيما على الصعيدين الثقافي والروحي، فقد استمرت الصلات الثقافية والعلمية بين الإيالتين مع تنقلات طلبة العلم بين الحواضر الفكرية ومراكز الإشعاع العلمي، كما كان لحراك الصفوة دورا بارزا في تمازج الأفكار والثقافات وتلاقحها، فقد ظلت مشاركتهم نشيطة وفعالة الأمر الذي شكل منهما عاملان مهمان من عوامل التجانس الفكري والديني بين أهل العلم في هذا القطر وذاك؛ بحكم الإرث الثقافي والتاريخي بين الشعبين الذي عكسته المثاقفات أي التفاعلات والتآثرات الثقافية في ظل الامتزاج الحر المتساوي المحافظ على خصوصيات ومميزات الآخر، فقد كان لتنقلات النخب العالمة بحثا عن جو ملائم للعطاء الفكري دور ايجابي في توثيق الصلات الثقافية بين الإيالتين التي تماهت في صور فكرية عديدة. فما هي أبرز وأهم التجليات التي اتخذها الحراك النخبوي البيني؟ وإلى أي مدى أسهم حراك النخب العالمة في توطيد عرى العلاقات الثقافية بين أبناء البلدين؟

أولا–الإجازات:

تعتبر الإجازة في ذلك الوقت شهادة يمنحها الشيخ للطالب؛ يأذن له من خلالها أن يروى عنه كتبه ومروياته، ونظرا لأهميتها اهتم أهل العلم بالحصول عليها من العلماء ذوي الشهرة الكبيرة والعلم الوافر[1]، والإجازات عادة ما تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، ولكن صيغتها رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريبا؛ كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي[2]، فهي ما يقابل اليوم شهادات الكفاءة التي تؤهل حاملها لتدريس الفقه أو المنطق أو علم من العلوم الكثيرة أو تخوله حق الرواية وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها[3]. لذلك كانت هجرة العلماء وتنقلاتهم بحثا عن الهدوء والاستقرار، وتولّي المناصب العلمية الرفيعة مجالا لعقد حلقات التدريس التي أقبل عليها المغاربة فقرأوا عليهم واستجازوهم[4]، ويذكر **البوني** في ثبته أن الشيخ **أبو عثمان سعيد المقري** (1522-1611) أجاز تلميذه الشيخ **سعيد قدورة التونسي**(ت.1066هـ/1655م) إجازة سلوكية بالمصافحة تأكيدا للصحبة والاقتداء، إذ يقول:" قال شيخنا سليمان رحمه الله تعالى: **صافحه شيخه أبو عثمان سيدي سعيد قدورة الجزائري رضي الله عنه وشد على يده...**" [5]، وكان الشيخ **محمد بن عبد الكريم الجزائري** قد رحل إلى المشرق، ودرس على العلماء به **وأجازوه**، ومنهم الشيخ **أبي الغيث القشاش التونسي** (ت 1031هـ/1622). [6]. والملاحظ أن الشيخ **أبو العباس أحمد المقري** (1578-1631م) لم تكن له صلات كبيرة بعلماء تونس كما هو الحال مع نخب المغرب الأقصى، ولذلك لم يجز إلا لعدد قليل منهم، فأثناء رحلته إلى المشرق عرجت به السفينة على الديار التونسية في طريقه إلى الإسكندرية[7]، ويبدو أن

---

[1]– ليلى غويني: "**التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 215.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج2، السابق، ص 183.

[3]– مولاي بالحمبسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 34.

[4]– فوزية لزعم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائرية العثمانية (1518–1830)**، المرجع السابق، ص 100.

[5]– أحمد بن قاسم البوني: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، تحقيق: محمد شايب شريف، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2013، ص 79.

[6]– عبد الرحمن الجبرتي: **عجائب الاثار في التراجم والأخبار**، ج1، ص 122.

[7]– أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق، مج1، ص 08.

المقري توقف أولا **بالحاضرة التونسية** عكس ما يعتقده الكثير من الباحثين، إذ يشير صاحب **نور الأرماش** إلى نزوله بها عام 1028هـ/1618م، **واضطراب علماء تونس منه؛ والذين لم يتمالكهم الصبر حتى ناظروه في العلم**[1]، ومنها انتقل إلى **سوسة**، واستقر بها مدة، فاستجازه الشيخ **محمد تاج العارفين**؛ وهو حينئذ من كبار علماء تونس مكاتبة من مدينة تونس، فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتا منها :

أجزتك تاج العارفين جميع ما رويت ****** عن أعلام الهدى قلا أو كثرا

مجازا ومقروءا وإذنا بشرطه ****** وكل الذي لفقته نظما ونثرا[2]

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل نجد الشيخ **المقري** يشكر **تاج العارفين** على **هديته**، في قصيدة من 28 بيتا، ما يعكس لنا الصلات الثقافية والروابط الاجتماعية، إذ يقول:

وبعثت أمس هدية ****** جازاك عنها خير شاكر

واليوم قد عززتها ****** بنظيرها والعبد ذاكر

وإليك تاج العارفين****** قصيدة تحي تماضر [3]

وأجاز المقري بتونس أيضا الشيخ **أبي القاسم بن جمال الدين المسراتي القيرواني** جميع مؤلفاته ومروياته في قصيدة نظمها له في ثمانية أبيات، وهذه مقتطفات منها:

أقول وحمد الله قدمته رعيا ****** لما جاء فيه قد أجزت بلا ثنيا

أبا القاسم نجل الجمال الذي سمت ****** بأرجاء قطر القيروان به الفتيا

جميع الذي أرويه عمن لقيته ****** من العلماء العارفين ذوي العليا

وكل تصانيفي ونثري وإن وهي ****** ونظمي وإن حاز الفهتامةوالعيا[4].

إن ما عرفته علاقات الجزائريين الثقافية بالمغاربة من حيوية خلال العهد العثماني؛ ما هي إلا امتداد لذلك التواصل الفكري الذي شهدته العهود السابقة، وأثناء رحلة الشيخ **عيسى الثعالبي** إلى المشرق (سنة 1061هـ/1650م)، نزل بمدينة **تونس**، وأخذ عمن بها من أجلائها كالشيخ **زين العابدين**[5]، والشيخ **أبي بكر تاج العارفين البكري** (ت1072) وغيرهما من علماء تونس الذين أجازوه، وهو ما يقره **ابن مخلوف** قائلا: " **وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهله**"[6]، وهذا دون أن يخصص من أجازه منهم، وقد حصل تواصل علمي وتآصر فكري بين علماء الجزائر وتونس بعيدا عن الديار، فقد درس بعض علماء تونس على الشيخ الأستاذ الإمام **يحيى الشاوي(ت.1096هـ/1684م)** بالمشرق، من ذلك

---

[1]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 470.

[2]- أحمد المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد معمر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 135-154.

[3]- أحمد المقري: **المصدر نفسه**، ص 154-155.

[4]- أحمدالمقري: **المصدر نفسه**، ص 176، أنظر أيضا **شجرة النور الزكية** لابن مخلوف، المرجع السابق، ج2، ص 442.

[5]- المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج3، طبعة مصر، 1284هـ/1867م، ص241.

[6]- ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المرجع السابق، ج2، ص 451.

الشيخ **عبد العزيز الفراتي** والشيخ **أبي الحسن علي النوري الصفاقسي**(1644-1706م)[1]؛ الذي قرأ عليه بالجامع الأزهر[2]، ومن جملة ما قرأ عليه **شرح المرادي على الألفية، وقد أجازه في سنة 1078هـ/ 1667م بما رواه عن مشايخه المغاربة** من مؤلفات: **الموطأ** و**الشفا** و**الصحيحان**، و**حزب البحر للشاذلي**، و**كتب الشيخ السنوسي** وغير ذلك[3]، وقد أشاد الشيخ **علي النوري** في فهرسته- بذكاء شيخه الذي حلاه **بأشعري الزمان؛ وسيبويه الأوان**، وأنه لم ير أسرع منه نظما، حيث قال:" **ولما كتب لي الإجازة قال: مؤرخة بمجموع الاسم واللقب، فعددت حروف يحيى الشاوي، فوجدتها ثمانية وسبعين وألف، وذلك هو التاريخ، فتعجبت من شدة فطانته**"[4]، وقيل لما فتح الله على الشيخ **أبو الحسن علي النوري** بما قسم الله من العلم عرض عليه بعض أغنياء التجار التزويج ببعض بناته، فاستشار الشيخ **سيدي يحيى الشاوي** في ذلك، فقال له: "**يا علي يا نوري: اذهب نور المغرب، فمن ذلك الوقت اشتهر بالنوري**"، فامتثل ما أمره به ورجع إلى المغرب بعدما أخذ **الإجازات** من المشايخ المتقدمين، وانتظم في سلكهم فقدم على **صفاقس** بما معه من علوم الدين، فعلم المسلمين بنصح، وبذل جهده ومهجته[5]، كما أجازه أيضا الشيخ **أحمد العنابي**؛ الذي لازمه **علي النوري الصفاقسي** مدة طويلة وحضر مجالسه[6].

أما الشيخ **أحمد بن مصطفى برناز** (1074-1138هـ/1663-1726م) الذي قدم إلى البلاد الجزائرية عام 1107هـ/1695م، فقد وضع عصا التسيار ببلاد **زواوة**، وأخذ عن علمائها كالشيخ سيدي **أحمد البصير البرغوثي** الذي ناف على المائة، **وأجازه في أوراد لقنه إياها**، وقال له:" **أنت لحمة مني**"[7]، وحظي الشيخ **أحمد التليلي**- مؤسس السلالة المرابطية بفريانة- في سياحته الصحراوية إلى **الزاب** والتي قادته إلى زاوية سيدي ناجي بالخنقة-التي درس بها 07 سنوات- بإجازة سلوكية مطلقة في طريق القوم مكتوبة بخط يد شيخه **سيدي عبد الحفيظ** عام 1732م، ونظير ذلك أهدى لشيخه **فرسا** كلفته 60 ريالا[8]، كما **أجاز** الشيخ **أحمد الزروق**(ت.1194هـ/1780م) نجل قاسم البوني الشيخ **محمد بوعتور** أحد كبار علماء تونس؛ إجازة مطولة عام 1159هـ/1746م[9]، وفي المقابل نجد إجازات مشايخ جزائريين لحكام من تونس وفدوا على الجزائر في فترة الفتنة الباشية الحسينية، إذ يورد صاحب **الكتاب الباشي** إجازة سلوكية منحها شيخ من مشايخ الخنقة لأحد بايات تونس من أبناء الأسرة الحسينية، وهذا أثناء سنوات تشرد **علي باي بن حسين باي تونس** لما كان طريدا بالجزائر في الفترة التي سبقت وصوله إلى الحكم (1759-1782)، فاستضافه شيخ زاوية خنقة سيدي ناجي **أحمد بناصر**، وأجازه عمه الشيخ **عبد الحفيظ الخنقي** ورد الطريقة الناصرية- لقنه

---

[1]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج2، ص 458.

[2]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، ج2، ص 360.

[3]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائرالعثمانية**، المرجع السابق، ص 223.

[4]- عبد الحي الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، المرجع السابق، ص 1133.

[5]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 360-361.

[6]- ابن مخلوف: المرجع السابق، مج1، ص 465.

[7]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 231-232.

[8]-Sallah Alouani: **Tribus et marabouts …**Op.cit**,** P 182.

[9]- يوسفي الطيب: **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 162.

مبادئ الطريقة الناصرية-، فقد كان للباي تعظيم وتوقير لجانب الإمام العلامة سيدي **أحمد بن ناصر الدرعي** واعتناء بكل من هو منتم إلى طريقته وداخل في دائرته[1]، وقد أجاز الشيخ **محمد زيتونة المنستيري** الشيخ **عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري** (1695م/ت.1783-1785م) إجازة عامة بالإسكندرية، إذ يقول:" **وأما تفسير الإمام المحقق مفتي السلطان الولى أبي السعود فقرأت الثمن الأخير من سورة... دراية على العلامة المحقق في الإسكندرية، وأجازني بباقيه وبما كتبه عليه في إجازته العامة** " [2].

ويتحدث **الناصري** في رحلته أواخر القرن 18م عن بعض مشايخ الزاب الذين نهلوا العلوم والفنون بالبلاد التونسية وخصوا بإجازات من أشياخهم، من ذلك الفقيه الشريف **سيدي الخضر بن محمد بن عطية** أحد أتباع الطريقة الناصرية الذي تخرج من تونس **وله إجازة من شيوخه**، حيث اجتمع به في بلدة خالد (بسكرة)، وتذاكر معه قي مسائل علمية، كما التقى في بسكرة بمفتي البلد **أبي عبد الله محمد الهادي بن أحمد بن سليمان المصمودي** الذي قرأ **بقفصة وأجازه علماؤها كالتاودي** لما مر بها حاجا[3]، وإذا كان حراك العلماء الجزائريين إلى تونس ضعيفا بالمقارنة مع تنقلاتهم إلى المغرب الأقصى؛ فإنهم كانوا أمام حتمية أداء المناسك والرغبة في الاستزادة من المعارف ولقاء المشايخ؛ مضطرين إلى الارتحال إلى المشرق مرورا بالبلاد التونسية التي كانت موطأ قدم وموضع نزول هؤلاء الذي كانوا على اتصال بنخبها من جهة، ومن ناحية أخرى كان ورود بعض هذه الشخصيات العلمية فرصة لطلبة العلم الذين يسارعون لاغتنامها بالاحتكاك بها والجلوس بين يديها للظفر بمزيد من التحصيل، ومن هؤلاء المشايخ مفتي السادة المالكية بالجزائر الشيخ **أحمد بن عمار**(1707-1791) الذي حل بتونس بقصد الاستيطان سنة 1195هـ/1780م إلا أن بقاءه لم يدم طويلا لأحداث جعلته يغادرها نحو المشرق، ومع ذلك فقد ربط علاقات متينة مع أقرانه، **وتبادل معهم الإجازات والتقاريظ** ، ومن أشهر تلامذته بها **الشيخ إبراهيم بن عبد الله السيالة الصفاقسي**؛ الذي جمع ثبتا في أسانيد شيخه يبلغ نحو الكراستين سماه"**منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء و المسانيد**"[4]، فأجازه به سنة 1204هـ/1789م، ووضع عليه خطه وختمه[5]، وقد أشار الكتاني في معرض حديثه عن ثبت ابن عمار إلى هذه الإجازة" **عندي نسخة منه عليها خط المترجم مجيزا بها لإبراهيم السيالة المذكورة بتاريخ سنة 1204هـ**"[6]، ويبدو أن الشيخ **أحمد بن عمار أجاز** أيضا **الوزير حمودة بن عبد العزيز** أثناء الزيارة التي قادته إلى **تونس**[7].

كما نزل الشيخ **أبو راس بتونس** مرات عديدة منها سنة 1205هـ/1790م، فأكرمه الباي التونسي **حمودة باشا**(1782-1814م)، واجتمع بعلمائها، وأجلة فقهائها كمفتي الحنفية بها السيد **محمد بيرم** الذي قرأ عليه **مختصر الكنز** في الفقه الحنفي، والشيخ **أحمد بن عبد الله السوسي التونسي الدار**، وقد خاطبه أبو راس قائلا:" **أحببت أن**

---

[1]- الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 206، 207.

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش: **المصدر السابق**، ص 278.

[3]- محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص ص 215، 216، 222.

[4]- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، ص 95.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ **الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 35.

[6]- عبد الحي الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج1، المرجع السابق، ص 122.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 204.

أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلا فيكون ذلك منك لنا وبلا، كي تهب علي نفحاتكم، وسناء بركاتكم"، فأجازه في جميع ما يتعلق بالدين ووصائله، وفروعه وأصوله ومسائله، وكتب له بخط يده؛ **فكانت أول إجازة له، أما إجازته الثانية** فكانت على يد **محمد بيرم** (1718-1800م) شيخ الإسلام مفتي الحنفية وقد قرأ عليه فقه أبي حنيفة بـ"**مختصر الكنز**"، والجدير بالملاحظة أن أبي راس كان يذهب إلى **داره ومقره** [1].

وقد أجاز الشيخ **أحمد التجاني** مفتي الديار التونسية **إبراهيم الرياحي**(ت.1850م) إجازة سلوكية تامة شريطة الالتزام بنهج الطريقة وعدم التبديل أو التغيير، وهذا في رسالة من الشيخ لما طلب منه الرياحي الإذن في الطريقة المحمدية، ومما جاء فيها: " **بعد البسملة والحمدلة والصلاة على على النبي صلى الله عليه وسلم إلى حبيبنا الفقيه الأنبل النبيه الأفضل أبي إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي بتونس...فقد أجزتك وأذنتك في ذكر الورد الكريم المبارك، فشد حيازمك فيما أنت بصدده ...ثم أذنت لك إذنا كليا كافيا من الآن إلى الأبد بلا تبديل ولا تعديل ولا تحويل** ..."[2]، والشيخ العلامة **أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي**(ت.122هـ/1826م)، الفقيه النحوي؛ الذي قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس[3].

وقد منح المفتي الجزائري الشيخ **محمد بن محمود العنابي** رائد التجديد الإسلامي؛ إجازة لعدد من العلماء التونسيين الذين التجأوا إليه وطلبوا منه ذلك ذلك نثرا وشعرا[4]، من ذلك إجازاته لبعض علماء أسرة **بيرم**[5] التونسية تركية الأصل، التي دخل أول أفرادها تونس أثناء الفتح العثماني لها[6]، والتي بزغت شهرتها العلمية فأنجبت العديد من المشايخ، الذين توارثوا الخطط الدينية الرفيعة، وفي مقدمتها القضاء والإفتاء الحنفيين؛ ومن هؤلاء الشيخ **محمد بيرم الرابع** الذي جمعته بالشيخ **العنابي** مودة كبيرة تشهد عليها المراسلات المتبادلة بينهما، حيث تلقى **إجازتين** على الأقل من **الشيخ ابن العنابي** إحداهما **إجازة علمية كتابية** عدد فيها طرق تلقيه لكتب الحديث الشريف والفقه وكتاب فضائل القرآن؛ كما تلقاها عن أشياخه قدوة بشيخه الإمام أبي الحسن علي بن عبد القادر بن الأمين:" **وقد أجزت بهذا وبكل ما أجازني به مشايخي الشاب الفاضل اللوذعي الكامل أبا عبد الله محمد بن شيخ الإسلام محمد بن شيخ الإسلام محمد الشهير ببيرم–حفظه الله– إجازة عامة بشرطها المعلوم لأهله..**"، **والإجازة الثانية** التي تلقاها الشيخ **بيرم** عن شيخه العنابي حامل لواء المذهب الحنفي بقطر الجزائر؛ **كانت إجازة سلوكية مشافهة تتعلق بأحزاب الشاذلي**[7]، واجاز ابن

---

[1]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 50،51، 52.

[2]- أحمد سكيرج: **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، (د.ن)، 1961، ص 146-148.

[3]- محمد الخفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، المرجع السابق، ص 517.

[4]- أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775–1850**، المرجع السابق، ص 37.

[5]- **البيارمة:** أسرة تركية الأصل، سطع نجمها في سماء الحياة العلمية والإدارية وأصبحت لهم الحظوة والمكانة عند البايات، وعين بعض أفرادها مستشارين في المهمات الصعبة والدقيقة. كما تقلدوا نقابة الأشراف من 1791 إلى حدود 1861(وهو تاريخ وفاة بيرم الرابع). كان جدهم الأعلى بيرم من عساكر الترك الذين حلوا بتونس مع سنان باشا لإجلاء الإسبان. وإثر الحملة آثر بيرم الاستقرار بتونس وتزوج بها بابنة ابن الأبار أحد أدباء الأندلس المهاجرين إلى تونس. انظر: بيرم الثاني: **المصدر السابق**، ص 9-10، أنظر أيضا محمد بيرم: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج1، **المصدر السابق**، 94/1.

[6]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، المرجع السابق، ص 130.

[7]- أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775–1850**، المرجع السابق، ص 117-119.

العنابي أيضا عددا من العلماء التونسيين؛ لما حل بتونس سنة 1244-1245هـ/1828-1829م، ومن هؤلاء أحد علماء أسرة البيارمة الشيخ **مصطفى بيرم** عم **محمد بيرم الرابع** السابق الذكر، الذي طلب منه الإجازة بقصيدة تتألف من من أربعة عشرا بيتا؛ ومما قاله ناظمها[1]:

ولست الذي يراد بالمدح قدره ******* فقدرك معلوم ومجدك واضح

واطلب من علياك نيل إجازة *******بفضلك لا أني لذلك صالح

وتذهب الباحثة **فوزية لزغم** بالقول أن التاريخ الحقيقي لهذه الإجازات التي حظي بها مشايخ أسرة **البيارمة** كان خلال فترة انتقاله إلى المشرق بين سنتي 1236و1245هـ، والمحتمل أن يكون أجاز هؤلاء العلماء بالمشرق أو في **تونس** أثناء نزوله بها[2]، وقد استندت في هذا الرأي على ما أورده **عبد الحميد بيك** في كتابه، الذي أشار فيه إلى عزم مفتي الجزائر الحج بمعية والده و**محمد أفندي** أخ **حسين باشا** داي الجزائر عام 1236، وأثناء الطريق حصلت لهما شحناء ومخاصمة مع أخ الباشا المذكور؛ فآثرا الشيخ البقاء مع أبيه بالإسكندرية، وبعد مدة توجه إلى الأزهر وأقام به يدرس ويفيد مدة تسع سنوات[3]، أي إلى غاية عام 1245هـ/1829م.

إن الحضور اللافت **في تبادل الإجازات العديدة والمتنوعة التي جمعت بين السلوكية والعلمية، يعكس متانة الصلات الوثيقة التي ربطت بين بين نخب الإيالتين وحراك علماء الجزائر وأقرانهم في تونس الخضراء**، وعلى الرغم من ذلك فإن الإجازات المتنوعة بين الجزائريين وأقرانهم التونسين كانت أقل حجما إذا ما قورنت بإجازاتهم مع نظرائهم في المغرب الأقصى، ويعزى ذلك إلى:

* قرب البلاد التونسية من مصر حيث الجامع الأزهر، ولهذا كان مشايخ وعلماء تونس الراغبين في الاستزادة من العلم يفدون إليها فيأخذون عن علمائها، وعن العلماء المجاورين به الوافدين من مختلف مناطق العالم الإسلامي.

* لم تكن الجزائر تقدم لعلماء تونس أكثر مما في بلادهم لازدهار حلقات الدروس من المستوى العالي بتونس؛ نتيجة لجهود حكامها الذين شيدوا المؤسسات العلمية، وأوقفوا عليها الأوقاف وشجعوا العلماء؛ خاصة بجامع الزيتونة[4].

تعتبرالإجازات مرآة عاكسة لواقع الحياة الفكرية السائدة، والتي ترصد في ثناياها مدى ارتباط العلماء الجزائريين بأقرانهم في تونس في ظل حراكهم الفكري، فقد ترتب عن الإجازات والاستجازات التي حصل عليها المشايخ أو التي منحوها لطلاب العلم؛ تيار فكري وثقافي استثار الدينامية الثقافية بين الإيالتين من خلال تبادل عدد كبير من العلوم والفنون، وما أعقبها من انتشار المواد الثقافية التي مثلت أحد سمات الحياة الفكرية خارج حدود المجتمع المحلي؛ فأضحت تعبر عن إضافات حضارية جلبت عن طريق الانتشار والاتصال الحضاري؛ الأمر الذي نتج عنه بصورة حتمية مثاقفة علمية وفكرية[5]، حيث جسدت الإجازات إحدى دلائل الأخذ والعطاء؛ أو التلقي المعرفي والعلمي في ظل التأثر والتأثير

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775-1850**، المرجع نفسه، ص 129.

[2]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، المرجع السابق، ص 251.

[3]- عبد الحميد بيك، **أعيان من المشارقة والمغاربة**، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 187-188.

[4]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، المرجع السابق، ص 259.

[5]- سعاد لبصير:"**التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 08، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2017، ص 98-99.

الحاصل بين النخب أو الطالب وشيخه، وكانت بحق شكلا من أشكال الحراك الفكري القائم بين علماء الإيالتين، وحلقة من حلقات التواصل الثقافي النخبوي الجزائري التونسي.

ثانيا–المراسلات:

كانت المراسلات بين العلماء من أهم وسائل الاتصال بينهم؛ فمن خلالها يتم تبادل المعلومات والآراء والأفكار والمعارف والتأثيرات المختلفة، وحفظ العلائق الودية ووضوح المسائل العلمية الغامضة[1]؛ ما أسهم في دعم الروابط وتمتينها، وهو ما تعكسه الوحدة المذهبية والطرقية واللغوية والمذهبية، لذلك تعتبر حجر الزاوية في دفع العلاقات العلمية والفكرية وتوسيع رقعتها وتعميقها، وتتنوع الرسائل حسب الغرض المقصود من كتابتها؛ من فكرية ودينية وأدبية بين المشايخ والطلبة وبين كبار المتصوفة وأتباعم ومريديهم، وتعد المراسلات لغرض التقريظ من أهم الصور المعبرة عن التواصل الفعلي بين أهالي العلم، بحيث يعبر المقرظ عن اهتمامه بأعمال غيره من العلماء، ويلعب هذا الأمر دورا هاما في التعريف بأعمال المقرظ له، ونجد أيضا مراسلات لغرض علمي، ومراسلات لغرض التلغيز باعتباره أسلوب ترفيه، وصورة من صور الاجتهاد الفكري والأدبي لإبراز الذكاء والحنكة؛ أي أنه رياضة فكرية كان العلماء يقضون فيها وقتهم لحل مسائل الميراث والمجادلة في جزئيات التوحيد والفقه والإعراب، ولعل أبرز ما كان يجمعهم على الرياضة الفكرية والتسلية حل الألغاز، فقد شاعت بينهم ويتبادلونها ويتراسلون بها ويتحدون إلى بعضهم البعض بها ويقضون في حلها الساعات الطوال[2]، بالإضافة إلى المراسلات العامة التي نعني بها الرسائل الإخوانية المتبادلة بين العلماء قصد التهنئة أو التوديع أو المجاملة، ومع أن هذه الرسائل تعتبر شخصية إلا أنها تعبير صادق للتواصل الفعلي والعفوي، كما أنها تحمل تفاصيل هامة ليس فقط حول العلاقات بين الأفراد؛ بل انها تقدم صورة واضحة عن قضايا اجتماعية وسياسية[3].

ومن تجليات الحراك الفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني؛ أن ربط الكثير من العلماء التونسيين صلات ثقافية مع علماء الجزائر عن طريق المراسلة؛ التي دارت حول مواضيع شغلت بال نخب الفترة، وهي لا تعدو عن مناقشة بعض المسائل الأدبية؛ أو مدح متبادل بين العلماء، فقد كانت للشيخ **عبد الكريم الفكون** مراسلات مع بعض **علماء تونس** خلال القرن 11هـ/17م ؛ والتي تدخل في إطار تمتين أواصر العلاقات بين العلماء، وعلى رأس هؤلاء صديقه الشيخ **أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني التونسي**[4]؛ الذي كان بينهما **تراسل يدل على فضل ونبل**[5]، وأيضا مع الشيخ **إبراهيم الغرياني القيرواني**[6]. ويبدو أن أول مراسلة بين **الفكون** وكل من **تاج العارفين** والشيخ **أبو ابراهيم**

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص 401.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع نفسه، ص 453.

[3]– ليلى غويني: **"التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث"**، المرجع السابق، ص 222–224.

[4]– **الشيخ أبو الحسن تاج العارفين البكري**: العالم المحقق المدرس، كان من أهل الفضل والدين تزوج ابنة الشيخ الولي أبي الغيث القشاش، ومنه انجر إليهم غالب الأملاك التي بأيديهم. ولي إمامة الجامع الأعظم وخطبته—على عهد دولة يوسف داي–بإشارة من الشيخ أبي يحي الرصاع، الذي وصفه بـ"جوهرة ما مستها يدان"، وكان هذا عام 1034هـ/1624م.ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج7، ص 67.

[5]– ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 425.

[6]– **الشيخ أبي اسحاق إبراهيم الغرياني(ق.11هـ/17م)**: من بيوتات القيروان وأكابرها، ولهم ولأسلافهم صيت عظيم بتلك الناحية، ولهم زاوية يطعم بها الغرباء والواردون. عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 214.

الغرياني القيرواني كانت سنة 1037هـ/1628م أثناء مجيء الوفد التونسي إلى **قصر جابر** (قرب عنابة) لإبرام معاهدة الصلح؛ إثر الأحداث التي وقعت بين الجيش الجزائري والجيش التونسي، وفي مدة إقامتهما بقصر جابر اجتمعا بالوفد الجزائري الذي كان من بين أفراده العالم الجزائري **أبو العباس أحمد بن الحاجة**[1] تلميذ وصديق الشيخ **الفكون**، فحملاه **إجازتين** لشيخه المذكور، وهما قطعتان من النثر الفني أثبتهما المؤلف، وهذان الالتماسان زيادة على قيمتهما الأدبية والتاريخية؛ فيهما دلالة واضحة على أن الوحدة الثقافية والرابطة الإسلامية بين العلماء المسلمين كانت حقيقية، وأنه رغم الخلافات السياسية والظروف التي ورد فيها العالمان للحدود الجزائرية؛ فإنهما حمّلا لزميلهم الجزائري الاستجازة لهما من أستاذه الفكون[2]، ولعل الفضل في فتح هذه المراسلة يعود إلى **ابن الحاجة** نفسه الذي كان يقدر **الفكون** ويجله، فهو الذي حدث أعضاء الوفد التونسي عن علمه وصلاحه وقيمته في بلده، فما كان منهما إلا أن كتبا رسالتين ومعهما قصيدتين على علماء ذلك الوقت، وكلاهما نوه بدور **ابن الحاجة**؛ وأنه هو الذي كان وراء المكاتبة، ويقر **الفكون** أن صاحبي الرسالتين أتقنا فنون الفصاحة والبلاغة، ولشدة حرص الفكون على ما جاء فيهما؛ ضمنهما في كتابه "**منشور الهداية**"[3].

وقد أورد **أحمد برناز** في **الشهب** رسالة **تاج العارفين** إلى الشيخ **عبد الكريم الفكون**؛ أما عن تفصيل –ما أوجزنا على ضوء– ما تضمنته وحوته؛ فقد استهلها تاج العارفين بالإطراء ومدح الشيخ الفكون؛ مبرزا منزلته ومكانته في الجهة الغربية "الجزائر"؛ مشيدا بمآثره وخصاله وسعة معرفته؛ التي يعكسها جمعه شتات العلوم ومختلف صنوف الفنون، وبعد السلام والتحية العطرة؛ عدد الأوصاف الجميلة التي حلاه بها:" **العالم العلم النزيه، النحرير المتفنن الوجيه...**"، والتي تبين بحق عمق الصلات ومتانتها بين النخب العلمية في الإيالتين، ثم أظهر الراحة والطمأنينة مع إبرام الصلح بين البلدين(1037هـ/1628م)؛ مبديا تفاؤله من المكان الذي انعقد فيه" **جابر**"، كما أثنى على الدور الذي لعبته النخب العلمية في هذا الجانب، ثم أشار إلى ما بلغ مسامعه من محاسن ومكانة وعلم الفكون عن طريق الفقيه **أبو العباس أحمد بن الحاجة**؛ ومن معه من الفقهاء الأعيان، ليعبر بعدها عن لواعج الشوق؛ والرغبة في تمتين عرى الصداقة الود والتحابب في الله؛ طالبا منه الدعاء في ظهر الغيب؛ مؤكدا على عدم إغفال المكاتبات وضرورة المحافظة على المراسلات؛ مبلغا له سلام السادة الفقهاء التونسيين؛ الذين يطلبون بدورهم منه صالح الدعاء، وهم: **سيدي محمد العامري، سيدي علي الشرقي، سيدي محمد الأندلسي، سيدي الحاج عون الله**، وهذه مقتطفات من الرسالة المشار إليها: " **الحمد لله الذي اطلع شمس الطلعة الفكونية من الأفق المغربي ويا عجبا من طلوعها أمانا للعالم... السيد الفقيه، العالم العلم النزيه، النحرير المتفنن الوجيه من لنا إلى حبه ركون سيدي عبد الكريم الفكون... وقد تفاءلنا باسمه جابر،**

---

[1]– **الشيخ أبو العباس أحمد بن الحاجة**: من أصحاب الشيخ عبد الكريم الفكون وتلامذته، كان ذا فكر وذهن ثاقب، وخلق ودراية، تولى النيابة عن القضاة ببلد ميلة"باش عدل" في أول أمره، ثم تولى نيابة بلد قسنطينة. كانت له مراسلات ومشافهات مع شيخه الفكون؛ عما استشكل عليه من مسائل. عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 213.

[2]– المهدي البوعبدلي:"**عبد الكريم بن الفقون القسنطيني والتعريف بتأليفه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**"، مجلة الأصالة، العدد 51، السنة:6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ذو القعدة 1397هـ/ نوفمبر 1977، ص 17–32.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 105–106.

وقد طاب منه مشربه الرائق الزاهر، منزل جبر الله فيه القلوب، ويسر الله فيه كل مرغوب ومطلوب، من إصلاح الله سبحانه بين عباده ورد سيف المعاند والكائد في أغماده...إن السيد الفقيه المشارك الوجيه أب العباس أحمد بن الحاجة...ومن معه من السادة الفقهاء الأعيان، شنفوا أسماع الفقير...لا جرم كاتبناكم وأيدي الأشواق تتلقف حبات القلوب...وأعلمكم أني لا أنساكم من الدعاء كما أني أطلب منكم...ولا تنسنا من مكاتبتكم مع الواردين، كما أنها ترد إليكم منا مع الصادرين...ومن معنا من الجماعة وهم سيدي محمد العامري...يهدون إليكم أطيب السلام...ويطلبون دعواتكم في خلواتكم وجلواتكم..."[1].

جاءت المراسلة الثانية من **الشيخ إبراهيم الغرياني** إلى الشيخ **عبد الكريم الفكون** في نفس السنة (1037هـ/1628م)- أوردها في كتابه "**منشور الهداية**"- ، وهي رسالة طويلة لم تخرج هي الأخرى عن إطار بث الوداد والتعبير عن الشوق، وطلب الدعاء له شخصيا ولأولاده؛ عبر فيها الغرياني عن حبه وشوقه إلى صديقه الفكون؛ لما ألهمه به الشيخ **أحمد بن الحاجة**، وأنه خديم الزاوية الشريفة بالقيروان، مشيرا إلى الصلح الذي تم بين الفريقين في قصر جابر؛ وفي ذلك يقول: **"لما دعاني داعي الحب والتودد إلى سيدي عبد الكريم الفقون، وطلب الدعاء منه لي ولأولادي...وذلك بعد أن ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق سيدي أحمد بن الحاجة...إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني القيرواني، خديم الزاوية الشريفة...بمكان يقال له قصر جابر، حين قدومنا للصلح..."**، ثم يورد مدحا مطولا في صديقه الفكون؛ يبين الرغبة الشديدة في تقوية الصلة بين العالمين من جهة والاعتراف بمكانة الشيخ عبد الكريم الفكون من جهة ثانية إذ يقول:" **الإمام العالم العلم، العدل الصالح المكرم، الأمر الممدوح المسلم، مسيل أهل الحلل والحلا، وكمال أهل الكمال والعلا، مادحكم صار مسامرا للسها، وعلى عهدكم ما كل ولا سها.."**، كما ضمن هذه الرسالة قصيدة لامية مدح فيه الفكون؛ بلغ عدد أبياتها ثلاثة وأربعون بيتا، ومما جاء فيها[2]:

هل لي رجاء لوصل منك ينعشني ****** وإن نفرت فلي مولى له أملي
شيخ فقيه ولي عالم علم ****** به افتخاري وعهدي عنه لم يحل
سألته ينظرن دهرا فهولني******عسى بذا دائماأبدي له كسلي
ربي ينيل مرادي إنني لهج ****** في قربه ومرادي نلتقي أملي
لأنه فاضل فاق المناظر في ****** كل المكارم من جار ومرتحل
في دهرنا هو عز اللائذين به ****** ولم يعول بدنياه عن رجل

وقد استمرت المراسلة بين الشيخ **تاج العارفين** والشيخ **عبد الكريم الفكون** بعد ذلك أيضا، إذ عثرنا على رد الفكون على رسالة تاج العارفين ولكنه بدون تاريخ، ومما يذكر أن الفكون أشار في رسالته هذه إلى الصلات الوطيدة التي تربط بين عائلته وعائلة تاج العارفين، فقد ذكر أن والده **أبي عبد الله سيدي محمد الفكون**[3]؛ كان يتراسل مع جد **تاج**

---

[1]- أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص 131-133.

[2]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 218-223.

[3]- **الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد الفكون**: كان فقيها صوفيا، وممن يرجع إليه في المسائل والإفتاء، ذا سمت وتفف، تولى الخطبة والإمامة بالجامع الأعظم بقسنطينة، توفي في أعقاب عودته من الحج عام 1045هـ/1635م، ودفن بالمويلح بين مكة والمدينة ومصر. عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، ص 52.

العارفين، وهو المعروف **بأبي بكر** والذي كان خطيب جامع الزيتونة، كما كانت بينه وبين الشيخ **أبي الغيث القشاش** صهر تاج العارفين مراسلة وصداقة؛ إذ يقول صاحب منشور الهداية:" **ولنا به صحبة عن بعد الدار تضمنها الرسائل من الجانبين**"[1]، وقد افتتح الفكون رسالته بالحمد مشيرا إلى النسب الشريف لتاج العارفين الذي ينتهي للخليفة أبي بكر الصديق، ثم أتبعها بتحية طيبة عطرة إلى صديقه؛ حلاه فيها بأجلى الأوصاف وأرقى الخلال وأسمى الخصال" **اللوذعي النبيه، العالم الوجيه، نحرير الزمان**..."، معبرا عن لواعج الوجد الخامدة؛ ووهج الحب في الله؛ الذي لا تحييه إلا رسائل الوداد التي تبعث الوصال رغم بعد المسافات؛ بقوله:

أهدي إليك تحية********أزكى من الورد رائح

تلقاك في كل ناد ******** وأنت غاد ورائح.

ليعبر بعدها عن شكره؛ عما تضمنته رسالته السابقة؛ من درر تعكس براعة النظم وفصاحة الخطاب؛ ليؤكد أن الإتحاف الحقيقي هو القائم على اقتناص الأخوة بالنية الصالحة، وأن صلات المحبة هي ثمرة علائق أخوية ورسائل ودية سابقة؛ تندرج في إطار الحرص والمحافظة على خط استمرارية مراسلات السلف من الآباء والأجداد؛ من ذلك علاقات الوداد والمكاتبة التي جمعت الفكون وصهر **محمد تاج العارفين**؛ الشيخ سيدي **أبي الغيث القشاش**[2]؛ " **وكان بيني وبين صهركم الشيخ سيدي أبي الغيث وإن كان هو يكتب بلغيث ...من الإخاء والمحبة فيه ما أرجو أن نكون بها في القيامة من الفائزين**"، ثم يعرج على المراسلات وصلات المودة التي جمعت والده **أبي عبد الله سيدي محمد الفكون** وجده الشيخ **أبي بكر**؛ إذ يقول:" **ولعلك تصغر أو تشعر بما كان بين جدكم الشيخ أبي بكر وبين الوالد من تكرار الود بالمراسلات والحث من الجانبين على صالح الدعا في الخلوات والجلوات، فوصلت الآن ما انقطع بموت الجد واستصرم**.."، وقبل أن يختم رسالته التمس منه تبليغ السلام على السادة الفقهاء الأخيار بأسمائهم (فلان وفلان...)؛ طالبا منهم صالح الدعاء [3].

ومن الجزائر أيضا تراسل **عبد الكريم الفكون** مع الشيخ العالم الخطيب أبو عثمان سعيد بن ابرهيم الملقب **بقدورة التونسي**(ت.1066هـ/1655م)؛ الذي تولى الإفتاء والخطابة بالجامع الأعظم في الجزائر المحروسة[4]، وهو ما يشير إليه الشيخ الفكون في كتابه "منشور الهداية"؛ بقوله: "**وبيني وبينه محبة ورسائل**"[5]، ولم تكن الرسائل قاصرة على علماء

---

[1]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص200.

[2]- **الشيخ أبو الغيث غالب محمد القشاش التونسي (958-1031هـ/1551-1622م**: الولي الصالح المحقق؛ العالم الكبير القدر الشهير الذكر، صاحب الكرامات المأثورة، ينتسب إلى بيت من بيوتات تونس العريقة، مهر في علم التفسير والحديث والأصول، وجد بخزائنه نحو ألف نسخة من صحيح البخاري، منشئ المدارس والزوايا بتونس المحروسة، ومخلص الأسرى المسلمين من أيدي النصارى، صاحب الزاوية المشهورة القريبة من جامع الزيتونة، توفي بالفناء الأعظم الذي يسميه أهل تونس وباء سيدي بلغيث في رجب سنة 1031هـ/1622م، ودفن بزاويته. أحمد بن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، مج3، المصدر السابق، ص 261-262، وانظر أيضا **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لابن مخلوف، مج1، المرجع السابق، ص 424.

[3]-خليل بن مصطفى الطواخي الحنفي: **كناش الطواخي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، تونس، رقم 16647، ص11-13. انظر أيضا: **الشهب المخرقة** لأحمد برناز، ص 128-131.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، المرجع السابق، ص 103.

[5]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 223.

البلدين فحسب بل نجد أحيانا مراسلات بين أفراد أسر علمية فرقت بينهم الأسباب من ذلك تلك المراسلات التي كانت بين الشيخ **يحيى الفكون** المقيم **بتونس** وابنه **قاسم** المستقر بمدينة **قسنطينة**؛ كما هو مؤرخ بإحدى المخطوطات في جمادى الأولى 1044هـ/ نوفمبر 1634م[1].

كانت للشيخ **محمد بن علي بن سعيد الأشموني** (ت. 1199هـ/ 1784م) مكاتبات علمية مع العلامة سيدي **أبي المكارم عمار الشريف القسنطيني**-ممن حصل بجامع العلوم الزيتونة، ثم رجع إلى بلده لبثها-، ووقعت بينهما مباحثة في مسألة الاستدلال على عرضية العقل؛ وأنه ضعيف بينهما، وتكررت بينهما في ذلك المراسلات[2]، ولطالما تبادل مشايخ وعلماء **خنقة سيدي ناجي** الرسائل والأجوبة في مختلف قضايا العلم مع علماء تونس[3]، كما كانت للشيخ **قاسم بن محمد ساسي البوني** مراسلات وزيارات إلى الشيخ **سيدي علي عزوز** في **زغوان**، إذ يشير الشيخ **قاسم** في مقدمة أحد تصانيفه إلى علاقات المودة والوصال التي جمعت بينهما قبل 1084هـ/1673م والتي كان قوامها تبادل الزيارات والمراسلات، إذ تؤكد مقدمة مؤلف **البوني** أنه قد وضعه جوابا عن رسالة كتبها إليه **سيدي عزوز**، وأن هذه الرسالة قد دونت عقب دعوة منه لسيدي علي عزوز لزيارة عنابة بل إن مقدمة الكتاب تؤكد أن الشيخ عزوز قد لبى الدعوة فعلا وقصد في موكب كبير زيارة عنابة...وأن وفد الدعوة الذي أرسله الشيخ قاسم كان بقيادة أحد أبنائه، ولأمر ما تراجع الشيخ عزوز عن إتمام الرحلة وعاد إلى زغوان بعد أن اقترب من الحدود، وقد تأثر قاسم من هذه العودة والتراجع، وخشي أن تفسر عند العامة؛ بما يضر سمعته ومكانته العلمية [4].

وعادة ما تأخذ المراسلات طابعا أدبيا كمناقشة بعض الأمور التي تخص الأدب بصفة عامة، وكذا تبادل القصائد، وهناك مراسلات لغرض التلغيز بين أهل العلم؛ ومن الألغاز التي شاعت بين علماء الجزائر لغز "**هاج الصنبر**" الذين امتحن فيه الشيخ **الفقيه المفتي سعيد قدورة التونسي** زميله **أحمد المقري** عندما حل (المقري) بمدينة الجزائر قادما إليها من فاس، وقد عاب على المقري أنه لم يفهم الجواب من المرة الأولى، ولذلك أعاد عليه **قدورة** السؤال[5]:

أبدرا بدا من غربنا بجزائر *******وبحرا عبابا من نفيس جواهر
أحاجيك يا فخر الزمان بلفظة******* أتت في مقام الرفع دون محاذر
فأبدل بالخفض المغير وصفه *******ولا سبب يبدو لؤية ناظر
فليس مضاف أو بحرف يجره*******ولا اتبع المخفوض أو بمجاور
وليس للحكي فيه قبل جره فرد*******فأنت اليوم ين المحاجر

فكان جواب المقري الأول كما ذكر وهو شارد البال غافلا بقوله:

أتاني نظام من وحيد الجزائر******* تعظمته إذ كان أكرم زائر

---

[1]- **مخطوط دفتر حبوس قسنطينة، رقم المخطوط: 3568**، المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة الحفظ والمخطوطات، ص 35.

[2]- محمد النيفر: **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**، ج1، ص 549.

[3]- أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المرجع السابق، ص 272.

[4]- أبو القاسم محمد كرو: **المرجع السابق**، ص 171-177.

[5]- أحمد المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، المصدر السابق، ص 75.

يشير به فيما أظن للفظة*******عراها من الأتباع حكم مغاير
وذاك مثل الحمد لله دائما******* فكسرك دال الحمد ليس بضائر
وما كان تأخيري جوابكم قلى*******وقد يترك المطلوب عند الضرائر
وعذرا فإن الشجو شتت فكرتي******* ولله أشكو ما تكن ضمائري

فراجعه سعيد قدورة بالأبيات لعدم إدراكه الجواب بما نصه:

رأيت جواب الحبر خير مؤازر ******* وعيبة أسرار ومنية ناظري
ولكنه عن صوب تصدى مباين******* لقولي في نظمي ولا بمجاور
ولا فرق بين تابع ومجاور ******* بنص الدماميني صدر الأكابر
وحصرهم التحريك في عد ستة *******يدل على الأرداف يا ذا المآثر.

فراجعه المقري بإجابته من جديد:

حبا بسلوك من نفيس الجواهر*******إمام بدا من نظمه كل باهر
يؤمل تجديد الجواب لأنه******* تقدم قول فيه ليس بظاهر
فقلنا أردت الصنبر وهي لفظة أتت *******بعد حين هاج في شعر ماهر
ومن يتوهم فليقف مع نقله******* ويبدل بخفض الظرف رفع المظاهر
ونبه للتحقيق من كان ذاهلا******* عن القصد حتى صار أوح زاهر
فهذا جواب العبد واعذره إذ******* غدا فؤاده وطرفة بين ساه ساهر.

وقد قال **ابن حمادوش** الذي أورد اللغز في رحلته:" **فتداولناه بيننا (يعني علماء الجزائر) حتى بلغ كل عالم وأديب في البلد فلم يفتض بكرته ولم نجد علما عند أحد به**"، واشترك في محاولة حل اللغز علماء الوقت أمثال بركات بن باديس ويحي الشاوي وبعض علماء تونس كالأديب **محمد الشافعي الباجي** رفيق **محمد باي بن حسين بن علي** إلى الجزائر، الذي كان له رأي في اللغز علق عليه ابن حمادوش في رحلته، ومع ذلك لم يهتد أحد منهم لحله الحقيقي[1]، أما بالنسبة لتبادل القصائد؛ فتنسب إلى **محمد القوجيلي** عدة قصائد في المزاح ونحوه؛ من ذلك الشعر الذي تبادله مع الأديب التونسي **محمد بن عثمان ضاي** ومع **الشريف السوسي** حول السماع الموسيقي[2].

ويبدو أن علماء البلدين حافظوا على صداقاتهم في ظل هذا الحراك الفكري النخبوي؛ والذي غالبا ما تم حتى خارج مجال الإيالتين، فقد راسل الشيخ **إبراهيم الرياحي** (ت.1850م) صديقه وصاحبه الشيخ **ابن شقرون الوهراني** الذي كان من أعيان الدولة بالمغرب الأقصى؛ بأمر من الباي التونسي **حمودة باشا** (1782-1814) الذي كلفه على رأس وفد لابتياع الميرة من المغرب الأقصى عقب المسغبة التي عرفتها البلاد نتيجة توالي سنين القحط، ليكون واسطة بينهم وبين السلطان المغربي، وبالفعل حصل على المأمول[3].

---

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش: **المصدر السابق**، ص ص 130-135.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 270.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 53.

كما كان الشيخ سيدي **أحمد التجاني** يتبادل الرسائل مع مفتي الديار التونسية وناشر الطريقة التجانية **إبراهيم الرياحي**، حيث كان الشيخ حريصا على توجيه هذا العلم والأخذ بيده للالتزام حفاظا على تعاليم الطريقة وضمان استمراريتها، ومن ذلك ما كاتبه به في إحدى رسائله:" **بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى حبيبنا الفقيه الأنبل النبيه الأفضل أبي إسحاق سيدي ابراهيم الرياحي بتونس، سلام وتحيته ورحمته وبركاته ...أما بعد فقد وصلنا كتابك الكريم وخطابك السليم... وأوصيك بتقوى الله في السر والعلانية واتباع السنة في كل قاصية ودانية وشاذة وفاذة في الأقوال والأفعال، والرضى عن الله في الإقلال والإكثار والإقبال على الله في مراقبته في جميع الأحوال والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار وتحكيم السنة على جميع الخطرات، وعليكم بالاستقامة في جميع الحركات والسكنات، وأوصيكم بالصبر ومصاحبة الذكر والجثوم إلى الله بكليتكم بشرط ترك الفضول، والبر على الأذى أقرب للسلامة وأحمد في العاقبة، وأسأله تعالى أن يرزقكم تسديده وتوفيقه وتأييده...**"[1]، كما كانت للشيخ المفتي **إبراهيم الرياحي** مراسلات مع **أهل سوف** من **أتباع الطريقة التيجانية**؛ من ذلك رسالته إلى **محمد الصادق القماري**، والتي تمثل تعبيرا صادقا عن شدة تعلق الفقيه بمشيخة الطريقة المحمدية[2].

ولا يفوتنا أن نشير إلى المراسلات التي كانت تتم بين **إباضية جربة** و**إباضية مزاب**، والتي كانت تحمل أسئلة يطلب فيها صاحبها فتاوى، وتكثر هذه الرسائل خاصة إذا وقع خلاف حول مسألة ما فيتم الاتصال بأغلب وجوه الإباضية[3]، كما هو الحال مع الشيخ **أبو النجاة يونس بن سعيد بن يحيى ابن تعاريت الصدغياني الجربي** (ت. 917هـ/1511-1512) الذي كان من العلماء الذين جازت فيهم نسبة الدين إلى الأوطان الثلاثة ليبيا والجزائر وتونس، وكان الشيخ **يونس** حلقة اتصال بين مواطن الإباضية في الشمال الإفريقي[4]، حيث كان التواصل الثقافي كبيرا مع تبادل الزيارات واستمرارية المراسلات، ومن المراسلات العلمية المفيدة في هذا الشأن مراسلات الشيخ العالم الجليل **موسى بن أبي سحابة المزابي** مع الشيخ **محمد بن أبي عمر أبي ستة المحشي الجربي** (ت.1088هـ/1677م) في القرن 11هـ/17م[5]، ولما كان الشيخ المفتي **محمد بن محمود العنابي**(1775-1850م) يمر **بتونس** أثناء تردده على المشرق، فقد ربطته علاقات ودية مع بعض علمائها، ولاسيما مشايخ أسرة **بيرم**، حيث جمعته بهم مودة كبيرة؛ **تشهد عليها الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ محمد بيرم الرابع**، من ذلك إحدى الوثائق التي تتحدث عن أن **ابن العنابي** كتب كتابا ضمنه السلام على **آل بيرم**، وجعل في الكتاب أبياتا نظمها:

بني بيرم زان البسيطة ذكرهم******* فما لهم في المشرقين نظير

---

[1]- أحمد سكيرج: **المرجع السابق**، ص 146-148.

[2]- أحمد بن تيشة: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني الجزائر وتونس انموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015، ص 136.

[3]- مسعود مزهودي: "**العلاقات الثقافية بين أباضية جربة وأباضية المغرب الأوسط في القرنين الرابع والخامس للهجرة**"، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 39، تونس، 1995، ص 314.

[4]- يوسف بن محمد الباروني: **جزيرة جربة في موكب التاريخ**، تح سعيد بن يوسف الباروني، تونس، 1998، ص 130.

[5]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص 428.

هم أحرزوا فضل المعارف والتقى******* ولا سيما صدر إليه أشير

وقد رد **محمد بيرم الرابع** على هذا الكتاب بكتاب مثله وعلى الأبيات بأبيات تماثلها في القافية:

همام حول السماطين منزل ******* امام بتحقيق العلوم خبير

به كسى الإسلام حلة مجده ******* وأضحى له فخر به وسرور

ويبدو أن هذه المراسلات قد استمرت بين الرجلين حتى بعد غربة **ابن العنابي** في مصر ونفيه من الجزائر[1]، وهذا ما نجده في رسالة بعث بها **بيرم** إلى صديقه بالإسكندرية يذكره بالعهد، ويجدد فيها المودة، ويوصيه خيرا بأحد الفضلاء المغاربة ليتدخل ويساعده على قضاء مآربه، ومما جاء فيها قوله:" **فقد كتبنا إليكم من ...خضراء تونس...تجديدا لعهود المودة القديمة وجريا على طريقة الجد المستقيمة. فانا لم نزل بحبلها متمسكين...وهي خالصة لوجه الله...ثم الملتمس من نفيس أنفاسكم الدعاء الذي نرجو قبوله...ولكم مثل ذلك علينا...وحامله إليكم الخير العفيف أبو عبد الله الحاج محمد بن عبد الله المغربي...تاقت نفسه إلى معاودة الالمام بالأماكن الشريفة...فلا بأس بالتفات همتكم إليه بوصاية تنفعه أو مكتوب فيما يكسبه...والله سبحانه بصلاح الأحوال الكفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام** "[2].

اتخذت بعض المراسلات شكل ردود على المناوئين أو الخصوم أحيانا، من ذلك مؤلفات الفقيه **أبو حفص عمر بن محمد الكماد القسنطيني** المعروف **بالوزان**(ت. 956هـ/1557م)؛ التي نجد منها واحدا في الرّد على زعيم الطائفة الشابية **عرفة القيرواني** الذي ثار على الأمير الحفصي[(3)] أسماه:" **الرد على الشابية: المرابط عرفة وصحبه**"[4]، وهو ما يؤكده **ابن القاضي** في **درته**؛ الذي أشار أن **للوزان** كتاب رد فيه على **الشبوبية**[5]، وقد قال فيه صاحب **نيل الابتهاج**:" **...له تآليف منها الرد على الشبوبية المرابط عرفة القيرواني وصحبه كتاب حفيل مد فيه النفس فما يعلم أنه من أهل التصوف**"[6]، وألف الشيخ **أبو عثمان سعيد قدورة التونسي** (ت. 1066هـ/م) مفتي المالكية بالجزائر؛ **رسالة** رد فيها على الشيخ **عبد القادر بوسماحة** المعروف **بسيدي الشيخ**، وقد اشتملت على عدة كراريس؛ وافق فيها الشيخ **ابن أحمد أبي محلي** في ضلاله[7]، وألف الشيخ **أبو اسحاق إبراهيم الرياحي**(ت.1180هـ/1850م) رسالة في الرد على المنكرين على الطريقة التجانية سماها "**المبرد**"؛ انتصر فيها لأستاذه أحمد التجاني[8].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1775-1850**، المرجع السابق، ص 45-46.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **نفسه**، ص 127- 128.

[(3)]. أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، المرجع السابق، ص 30.

[(*)]. **مخلوف بن علي البلبالي**: الفقيه العالم الرحالة القاضي، أخذ عن الشيخ ابن غازي وعبد الله بن عمر أقيت، دخل السودان وتنبكتو ومراكش وأقرأ العلوم هناك، توفي في حدود 950هـ، انظر **الجذوة** لابن القاضي، ج1، ص344، **وشجرة النور** لابن مخلوف، ج1، ص278.

[4]- علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، المرجع السابق، ص 21.

[5]- أحمد بن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، المصدر السابق، مج3، ص 205.

[6]- أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 308.

[7]- محمد الإفراني: **صفوة من نتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، ص 223.

[8]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 556.

وتعتبر التقاريظ من أهم الصور التي تعبر عن التواصل الفعلي بين أهل العلم، بحيث يعبر المقرظ عن اهتمامه بأعمال غيره من العلماء، ويلعب هذا الأمر دورا هاما في التعريف بأعمال المقرظ له[1]، وقد أسهمت التقاريظ هي الأخرى في توطيد الوشائج و الحفاظ على التقارب والتواصل بين علماء القطرين، للدلالة على مدح شخص ما لكتاب أو لمؤلفه أو لهما معا، والتقريظ من الفنون الأدبية التي انتشرت في العهد العثماني، حيث كان الأدباء الجزائريون في هذه الفترة إذا اطلعوا على إنتاج غيرهم اتبعوه بجميل الكلام وبينوا فضله ومحاسنه، والتقريظ مثل الإجازة يكون في الغالب نثرا وأحيانا يأتي شعرا[2]، ومن النماذج تقريظ المفتي الحنفي الأديب **أحمد بن عمار الجزائري**(1707-1791) الذي عاش في القرن 18م لأحد مؤلفات الشيخ **حمودة بن عبد العزيز التونسي** المالكي صاحب " **الكتاب الباشي**؛ بعد اطلاعه على رسالته، وقد جمع أساليب البلاغة الموروثة عن المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب وهي المدرسة التي كان **ابن عمار** من أواخر روادها في الجزائر، وفي تقريظه مدح ابن عمار تأليف (رسالة) **حمودة بن عبد العزيز** وهو لا يخرج عن **علم الكلام**، ويبدو أن المؤلف هو الذي طلب من ابن عمار تقريظ الرسالة؛ وكان ذلك في شهر صفر 1196هـ/1781م، وفيه إشارة أن ابن عمار أقام بتونس بضعة أشهر، ويدل على أن **ابن عبد العزيز** كان في قمة نفوده، وهي أيضا فترة مرض **علي باي** الذي دعا له **ابن عمار** بالشفاء[3]، وقد اقتطفنا منه جملا للدلالة على التجاوب العلمي بين القطرين الشقيقين في ذلك العصر: " **وقد أطلعني... على الرسالة المحبرة، المنقحة المحررة، التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق والتدقيق ما أولاها، وضمنها أجوبة عن أسئلة كلامية وردت –كما ذكر– أعزه الله– على الحضرة...فرأيتها قد حازت قصب السبق في مضمار الإجادة وميدان الإصابة، وانتظمت هي ومؤلفها مع شيوخ أهل السنة ومؤلفاتهم المحررة...وشهدت له برسوخ القدم في المعارف وسعة الإطلاع، وكال التملي من العلوم– خصوصا الأصلين وما يتعلق بهما– وقوة الاضطلاع...فإن مثله لخليق أن يباهى به وأين مثله حتى يباهى به ويفتخر؟...إيه أيها الساري ولا رفيق، إلا التوفيق...وافخر وجر رداء العز والسؤدد فأنت زينة المصر بل العصر، واهصر أغصان الرئاسة بالدولة الحسينية واجن ثمارها فأنت أهل لذلك الهصر**" [4].

ومن النماذج الفريدة أيضا نجد تقريظ الشيخ **محمد بيرم الرابع** التونسي لكتاب "**شرح الدرر المختار**" **للشيخ محمد بن محمود العنابي** رائد التجديد الإسلامي الذي ضمنه أجوبة وفتاوى فقهية، وكان بطلب من المؤلف؛ وتاريخ التقريظ هو سنة 1245هـ/1829م، حيث عده الشيخ بيرم من بدائع الشروح التي ألفت، وقد خطا فيه خطوات موفقة؛ جمع فيها ابن العنابي شتى أساليب البلاغة، حيث نوه بالجزء الذي اطلع عليه من شرح الدرر ومدح تبويبه وعمقه وطريقته التي اتسمت بالترتيب والإيجاز البسيط حيث جاءت آراؤه معللة بأدلة وبراهين مستوحاة من الكتاب والسنة، تنم عن سعة علم الرجل وقوة فكره وعمق فهمه، لذلك نجده يحظى بالإشادة من المقرظ الذي اعتبره " **العلم الأوحد والطود**

---

[1]- ليلى غويني، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية**، المرجع السابق، ص 133.

[2]- مصطفى عتيقة:"**مساهمة التقاريظ والرسائل في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج4، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2021، ص 582.

[3]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث **وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 201-209.

[4]- الوزير حمودة بن عبد العزيز: **المصدر السابق**، ص 19، 20.

المفرد..."، كما وصف بيت **آل العنابي** بأنه " **بيت علم دعائمه أعز وأطول وأساسه أحكم وأكمل**". وهذه مقتطفات من هذا التقريظ:" **الحمد لله، يقول كاتبه الفقير إلى ربه محمد بيرم قد أطلعني صاحب هذه الأجوبة على قطعة من شرح له على الدرر المختار ...والتمس مني كتابة تقريظ عليه...فقد أجلت الفكر في بدائع هذا الشرح الشريف، المنعوت بحسن الترتيب والتأليف، فوقفت على ساحل البحر المحيط، وخلاصة كل وجيز وبسيط...طروس سطوره بنفائس الدرر مكللة، ومحكم أحكامه بأدلة الكتاب والسنة معللة، فهو الجامع الكبير...نتيجة فكر العالم النحرير، رضيع لبان العلم والتحرير، ومجمع بحري المعقول والنقول...أخينا أبي عبد الله سيدي محمد بن محمود بن محمد بن حسين الحنفي الجزائري...العلم الأوحد، والطود المفرد...من بيت علم دعائمه أعز وأطول،وأساسه أحكم وأكمل... أدام الله تعالى نفعه وأنفع به ومنحه الحسنى بمنه...بتاريخ موفى عشرين محرم فاتح شهور سنة 1245هـ**"[1]. ولم يكتف بيرم بتقريظ الكتاب نثرا بل قرضه شعرا، فقد حلاه بأبيات يقول في مطلعها:

يا منصفا ومزايا الفضل ديدنه ****** طروس شرح غدا في الفقه معتمدا

تلك البدائع آيات بها ظهرت ****** وبارق الصدق في أرجائها أطردا

من أمها نال من تحقيقها أربا ****** ومن أناخ بمرعاها فقد سعدا

قد صاغها علم التحقيق أوحده ****** من قد غدى بعلوم الدين منفردا.

إن المراسلات لم تكن قاصرة على النخب العالمة المسلمة؛ بل شملت أيضا الصفوة اليهودية التي كان لها دور في تمتين الصلات الثقافية والدينية بين الإيالتين، إذ لم يشكل اليهود الجزائريين عبر تاريخهم وحدة ثقافية متكاملة؛ بل إنهم كانوا عبارة عن فرق مذهبية وعرقية متنافسة من أجل السيطرة على الجالية ككل، وقد أخذ هذا التنافس طابع الصراع والصدام في الكثير من الأحيان نتيجة اختلاف الرؤى المذهبية في الثقافة اليهودية التي كانت امتدادات فكرية لهذه الفرق[2]، وكان أبناء الجالية اليهودية بالجزائر على تواصل وثيق وتام ببقية الجاليات اليهودية في المغرب وتونس[3]؛ فقد حافظ يهود الجزائر على علاقاتهم مع إخوانهم بالأقطار المجاورة، على غرار يهود المغرب الأدنى، ويعود ذلك إلى قلة عدد المهاجرين الإسبان الذين استقروا به خلال القرن التاسع الهجري(15م)، ويتأكد هذا الأمر من خلال مراسلات حاخامات المغرب الأدنى إلى حاخامات المغرب الأوسط للاستفسار عن بعض الأمور الدينية، وهذا يفسر تفوق الثقافة الدينية ليهود الميغوراشيم (الوافدين) على ثقافة اليهود الأهالي[4]. لقد راسل يهود تونس في النصف الثاني من القرن 15م الحاخام **دوران الصغير** الذي تولى زعامة الطائفة اليهودية بالجزائر العاصمة، حيث وجهوا لهذا الأخير مجموعة من الأسئلة القانونية والشعائرية لإيجاد حلول لها بتوضيحها وشرح وتفسير الغامض منها، فأجاب دوران[5] على كل هذه الطلبات التي دونها في كتاباته

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1775-1850**، المرجع السابق، ص 125-126.

[2]- عبد الله لصهب: **يهود الجزائر- التكوين الثقافي للطائفة-**، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020، ص 47.

[3]- أحمد البهنسي: **المرجع السابق**، ص 21.

[4]- فاطمة بوعمامة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9هـ/13-15م**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 57.

[5]- **عائلة دوران:** من أكبر العائلات اليهودية بمدينة الجزائر، تولت زعامة الطائفة اليهودية 71 سنة بداية من 1442م، حيث ظلت الرئاسة في آل دوران حتى انتقلت إلى آل بوشعرة عام 1735م، للمزيد انظر: نجوى طوبال: **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر**، المرجع السابق، ص 130.

وكذلك في إجاباته[1]، ذلك أن الدراسات العبرية ظلت مهملة **بتونس** حيث تم نسيان العقائد الكتابية بالكامل، ونرى من الأسئلة التي طرحت على حاخامات الجزائر إلى أي مدى أصبحت المجتمعات التي كانت مزدهرة في السابق؛ في جهل بأهم الأشياء الأكثر بدائية في القانون اليهودي سواء ما تعلق بشكل الطقوس أو التغييرات المرتبطة بالمناسبات كالأعياد[2].

إن الأجوبة التي كتبها الربيون–الأحبار– على تساؤلات اليهود في الأمور الحياتية والمستجدات الفقهية التي تعرض لهم في كل مرة؛ أصبحت بذلك تشريعا قائما بذاته[3]، وقد تجلى الاختلاف الشعائري بين يهود الجزائر في القرن 18م خصوصا في مدينة الجزائر (مقر الحاخامية العبرية) بخصوص صلاة "**شيموني عزري**" **Chemoné ésre** ذات الأهمية في الشعائر اليهودية؛ وهذا في كيفية أدائها مع الأشعار الدينية (البيوتيم) حسب القواعد التي وضعها لها **توبيانا**، وهو ما أدى إلى حدوث خلافات دينية داخل المعابد اليهودية، فالقباليون " **المتصوفة اليهود**" يرون بوجوب البداية بالصلاة وإتمامها ثم الانتقال إلى ترديد الأشعار الدينية، وتزعم هذا الفريق كل من **ابراهام توبيانا هارون، موات، يشوع صيدون، جوزيف أبولكر**، الذين طبقوا هذا الطرح في المعابد التي كانوا يشرفون عليها بصفتهم رجال الدين، **بينما يعتقد الفريق الثاني** بوجوب البدء بالصلاة جماعيا مع ترديد المجود لها، ثم التوقف عن الصلاة بطريقة منتظمة لتلاوة بعض الأشعار ثم مواصلة الصلاة ثم **البيوتيم** وهكذا حتى نهايتها[4].

انقسم اليهود بموجبها إلى فئتين الأولى تدعى "**الباشتانيم**" المؤيدة للطريقة التقليدية حسب قواعد **ريباش** و**ريشباش**، والثانية (**مقوباليم**) وهي طريقة جديدة في ممارسة هذه الصلاة وفق إضافات وتعديلات **توبيانا** تبنتها عدة معابد بالإيالة؛ اقتداء بزعيمها الروحي **Arile Lion** أو **اسحاق لورية Isaac Louria**[5]، وكان لهذه الخلافات المذهبية أثر عميق على تماسك الجالية اليهودية بالجزائر، وشكلت تهديدا خطيرا لوحدتها، **حيث تطور الصراع بين الأطراف المختلفة والذي امتد لمدة عامين، ليتحول من مجرد جدل إلى اضطرابات بين الفريقين**، فقرر مجلس البيعة عقد اجتماع لدراسة الوضع والتوصل إلى حل للنزاع حوالي 1758م وتوصلوا إلى اتفاق يقضي بعرض القضية على طرف حياد خارجي؛ بعد أن أصرت الأطراف المختلفة على موقفها، وعرضت القضية على حاخام تونس **مسعود رفائيل الفاسي**[6] الذي تدخل للفصل في هذا الخلاف الديني اليهودي– اليهودي، والحيلولة دون تحوله إلى مواجهات وانشقاقات، فرأى أن يتحفظ كل فريق بطقوسه الخاصة وأن يحترم كل منهما مذهب الآخر[7]، ولم يكن الخلاف المشار إليه الوحيد بين القباليين (المتصوفة اليهود) وغيرهم من المذاهب الدينية، ذلك أنهم لم يكونوا على وفاق مع المؤسسة الدينية الرسمية (الحاخامية

---

[1]- D. Cazés : **Essai Sur L'histoire Des Israélites De Tunis**, Librairie Armand Durlacher, Paris, 1889, P 88.

[2] - **Ibid**., P 95.

[3]– عبد الصمد حمزة: **أهل الذمة في الدولة الزيانية (1235–1554)**، أطروحة دكتوراة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، 2016–2017، ص 216.

[4] -MauriceEisenbeth.M: **Les juifs en Algérie et en Tunisie…, Op.cit**, pp 167-168.

[5]– ذهيبة بوشيبة: **اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس–سيدي بلعباس، ص 167–168.

[6]- **مسعود رفائيل الفاسي**: حاخام تونس الأكبر، توفي عام 1775. أنظر:

Maurice.Eseinbeth: **Les juifs de l'Afrique du Nord, Op.cit**, P 125.

[7]-Eisenbeth.M: **Les juifs en Algérie et en Tunisie…,Op.cit**, P 168.

التقليدية)، إذ كثير ما شب الصراع بين الطائفتين بخصوص ممارسة الشعائر المقدسة وتأويل النصوص في الديانة اليهودية[1]، ومع هذا نجد أن اليهود ظلوا على تواصل مع إخوانهم، حيث كانوا يتراسلون مع يهود آخرين يقيمون في الخارج، وهم الطائفة الوحيدة التي لها معرفة صحيحة بالشؤون الخارجية[2].

لقد كشفت المراسلات عن عمق ومتانة صلات المحبة والوداد كثمرة من ثمار علائق الأخوية بين نخب البلدين، وفسحت فضاءا رحبا للنقاش والجدل تمّ في ظله طرح الأفكار وتبادل الرؤى بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة بين النخب العلمية سواء من خلال التلغيز أو الردود أو التقاريظ أو حتى تفسير بعض المسائل الدينية، لذلك كانت ملمحا من ملامح الحراك الثقافي، وكانت إحدى الدعائم والآليات التي حافظت على استمراريته الصلات بين الإيالتين، ونلحظ من ناحية أخرى أن النخب الدينية اليهودية كان لها حضور مميز في هذا الحراك القائم.

ثالثا–المجالس والمناظرات العلمية:

تعتبر المجالس والمناظرات العلمية من أهم المظاهر الإيجابية التي ساهمت في إثراء الحركة الثقافية؛ باعتبارها ضربا من ضروب التواصل العلمي بين النخب على اختلاف مذاهبها وتباعد أمصارها، فقد ساعدت على امتزاج عناصر المجتمع باحتكاك الأدباء وفقهاء العصر، حيث كانت بحق حافزا على زيادة المعارف وضبطها، لذلك امتد تأثيرها إلى معالم الحياة كلها؛ بما فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لتنوع موضوعاتها واتساع دائرة المناقشات حول مسائل الأمة؛ لتقدم لنا لوحة فنية عن الحراك العلمي الذي تصنعه النخب؛ في فضاء تزول فيه الحواجز؛ وتتماهى في ظله الأصقاع.

إن من عوارض العلم المناظرة فيه، وهي مباحثة بين متنازعين فأكثر لتحقيق حق أو إبطال باطل؛ أو تغليب ظن وتسمى أيضا المجادلة والمحاجّة؛ لأن كلاّ من الخصمين يفاوض الآخر بالنظر والجدال والحجة؛ وتجرى في القطعيات أو الظنيات [3]، فالمناظرات والمجالس تشحذ المواهب وتصقلها؛ وفي ظلها يتنافس العلماء وتبرز القضايا الفكرية والمسائل العلمية والخلافات الدينية المذهبية، لذلك تعتبر من أهم ملامح التواصل التي تسهم في إثراء وإنعاش الحركة الثقافية وتساعد على امتزاج عناصر المجتمع، باحتكاك الأدباء وفقهاء العصر وامتداد تأثيرها إلى معالم الحياة المختلفة [4]، لذلك فهي احدى تجليات الحراك الفكري للنخب العالمة التي أسهمت في زيادة الدينامية الثقافية بين أهل العلم في الإيالتين؛ بحكم التشابه والتماثل في التكوين من حيث مواد الدراسة والكتب الدراسية وطرائق التدريس السائدة، والتي لم تمنع اختلاف وجهات النظر عند صفوة البلدين في بعض المسائل الفكرية والقضايا الدينية وقيام عديد المناقشات والمساجلات والمناظرات في شأنها بينها.

يشير الشيخ **الفكون** في منشوره إلى أحد مشايخ قسنطينة المعاصرين للشيخ الوزان والمسمى؛ الشيخ أبي **عبد الله محمد العطار**(ق.16م)، وكان ذا مال وتجارة خرج بسببها إلى **تونس**، جلس في حلقة إمام جامعها الأعظم ومفتيها؛

---

[1]- عبد الله لصهب: **المرجع السابق**، ص 52.

[2]– وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)**، المصدر السابق، ص 90.

[3]. أبي الحسن علي بن مسعود اليوسي: **فهرسة اليوسي**، ت: زكرياء الخثيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، (د.ط)، الرباط، المغرب، 2004، ص 41.

[4]. ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، المرجع السابق، ص 216.

فوقع بين الأخير وطلبته نقاش في مسألة عقلية، فأجاب الشيخ **العطار** عنها بتلطف، فرحب به الإمام وأكرمه وأتحفه بالجلوس إلى جانبه، وقال له: "**مثلك إنما يجلس هنا**"[1]، ويتحدث صاحب **نور الأرماش** في هذا السياق عن نزول مفتي المغرب الشيخ أبو العباس **أحمد المقري** (1578-1631م) بتونس عام 1028هـ/1618م في رحلته إلى الشرق لحج بيت الله الحرام، ولما دخل حاضرتها اضطربت منه علماء تونس ولم يتمالكهم الصبر حتى ناظروه في العلم فوجدوه أعلم أهل زمانه، فأحسن إليه كبرائهم، ودخل زاوية الشيخ **أبي الغيث القشاش** الذي أحسن إليه، وأمر له بالدخول إلى دار **حسن آغة** التي قضى بها ليلة[2]، وفي المقابل نجد الفقيه **أبي إسحاق إبراهيم الفلاري التونسي**(ت.1039هـ/1629م)[3]، الذي حل **بقسنطينة**، و نزل على بعض خواصها وبيوتاتها منهم الشيخ **أبو زكرياء يحيى بن محجوبة**، **وكان يدعي معرفة النحو**، واستطال به على أهل البلد، وكان يستصغر جانب الشيخ **التواتي** في النحو ويرى لنفسه التقدم والصدارة، ووقع بينه وبين الشيخ **عبد الكريم الفكون** شبه تحد في مسائل نحوية، فقد امتحن **الفلاري** الشيخ **الفكون**؛ بعدما كان عائدا من الكتاب إلى داره، فقال له ما الجامع بين قوله تعالى:﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**﴾ وبين قول الشاعر:

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ******** من العبيد وثلث من مواليها

فسكت **الفكون** واشتد به الخجل، ثم اشتدت قريحته في الطلب اشتدادا عظيما، وبحث في **مغنى اللبيب** في **النحو** **لابن هشام** فرأى بيتا من الشعر فسَّره المؤلف وأوضح معناه وإعرابه، فلما أعاد **الفلاري** استفزازه بخطاب فيه نوع من السخرية والاستهزاء؛ رد عليه هو الآخر طالبا منه إعراب وشرح قول الشاعر:

إن هند المليحة الحسناء ******** وأي ما أضمرت لخل وفاء

فأفحمه الفكون ووقف الفلاري عاجزا، ليقوم الأخير بعدها بزيارة للشيخ الفكون شاكرا له، ومقرا له بأنه أحسن فقهاء بلده، واعترف له أنه ما فعل ذلك إلا لأجل إدراك مقدرته وكنه عقله، وقد أجاب في النهاية كل منهما على ما أشكل على الآخر، وبعد مدة عاد الفلاري إلى بلده أين تفرغ للتدريس[4]، وتذاكر الشيخ **ابن حمادوش** مع العالم التونسي الشيخ **محمد الشافعي الباجي** في **عدة مسائل بالجزائر**؛ منها لغز **أحمد البوني** المشهور عام 1159هـ/1746م وأورد الطبيب **ابن حمادوش** رأي **الشافعي** في اللغز شعرا ونثرا وعلّق عليه[5]، واستغل الشيخ **الورثيلاني** فرصة وجود بعض فضلاء **جربة** في المدينة- **قابس**- من نجباء **أولاد الجمني** في مناقشة بعض القضايا والمسائل العلمية؛ حيث كانت الاستفادة كبيرة، إذ يقول في هذا السياق:" **وقد اجتمعت أيضا هناك مع جماعة من الفضلاء وجم من النجباء أولاد الجمني الذين هم في نفزاوة، فاستفادوا منا واستفدنا منهم**"[6]، وقد طرح أحد باعة

---

[1]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص38.

[2]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 470.

[3]- **إبراهيم الفلاري**: من علماء تونس المشهورين، تولى فتية المالكية والتدريس بجامع الزيتونة، وكان منشغلا بالنحو، توفي سنة (ت.1039هـ/1630م) بتونس، أنظر؛ الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج 2، ص 364، وأيضا **ذيل بشائر أهل الإيمان** لحسين خوجة، ص 192.

[4]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 110ن111، 112.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري حياته وآثاره**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 65.

[6]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، ج3، ص 302.

العلم على الشيخ **الورثيلاني** سؤالا في **النحو** رآه في حواشي البيضاوي عن إعراب"**مالك يوم الدين**"، وهي مسألة غامضة قصد من ذلك التعجيز والعناد وإزالة ما وقع له من البحث مع طلبة **صفاقس**، فطلب منه التريث ليسمع العلم فيستفيد منه، ثم بين له بعض وجوه إعرابه فرآه حقا، وقد وقف **الورثيلاني** بجميع أنواعه مع تمام البيان؛ حيث قال: "**فكنت على ذروة من علمه وشرافة بيانه**"[1].

أما الأديب **أحمد بن عمار الجزائري** مفتي السادة المالكية (1707-1791) الذي عاش في القرن 18م، والذي جاء تونس قادما من الجزائر عام 1195هـ/1780م؛ بقصد الاستيطان إلا أن المقام لم يطب له فغادرها، ومع كبر سنه نجده يناظر علماء تونس ويؤلف عملين بها[2]، ذلك أن **الشيخ أحمد بن عمار** كانت عند حلوله بالحاضرة التونسية– التي تمتع فيها بمكانة كبيرة بين ساستها وعلمائها – مناظرات مع أقرانه من العلماء التونسيين، من ذلك مناقشاته في قضايا كثيرة مع الفقيه اللوذعي **المورسي أبو محمد حسونة بن خليل الحنفي**؛ منها مسألة في التفسير تتعلق بقوله تعالى:" **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك**" ما المراد بالإثمين؟ فكتب رسالة يخاطب فيها **علي باي التونسي**؛ في هذه القضية بأسلوب أدبي فريد موجها لخاصة الخاصة من أدباء وفقهاء مستثنيا به العوام[3].

أما أبو راس **محمد أبو راس الناصر**(1751-1853م) فهو من العلماء المحققين والمؤرخين الأثبات الذي كان يتمتع بثقافة واسعة، فقد عرف بغزارة معارفه وسعة اطلاعه، حيث دخل تونس؛ واجتمع بعلمائها الذين تذاكر معهم في مسائل العلم؛ وقد نقل إلينا العديد من المناظرات والمحاورات التي دارت بينه وبين نخبها في مختلف الفنون، فقال:"...**واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم، فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل الخفية...**"[4]، ويروي **أبوراس** في بعض مجالسه بالعاصمة التونسية اعتداده برأيه ومناقشته لمشايخه من ذلك دفاعه عن **ابن خلدون** و**البرزلي** و**ابن ناجي**؛ حين ذمهم شيخه **محمد المحجوب**، كما وردت إشارات في رحلة **أبي راس** تفيد أن الأخير كانت له مناظرات مع عالم تونس وشيخها **إبراهيم الرياحي**(ت.1850هـ)، ويبدو أنه لقي إعجاب من ناظره فأنصفه معترفا له بالفضل والرسوخ العلمي، فحلاه **أبي راس** بمختلف الأوصاف؛ واعتبره عالم الدنيا على الإطلاق ومفخرة القطر التونسي، بل تعداه إلى تقديم جانب من بضاعته العلمية ممثلة في بعض مصنفاته التي نالت ثناء وإشادة وإعجاب الشيخ **الرياحي**، الذي أنشد عليها قصائد حسان:" **واجتمعت بعالم الدنيا على الإطلاق...فريد العصر وتحفة الدهر، وفخر ذلك القطر...كريم المعاشرة، منصف في المناظرة...ولما رأى تآليفي وطالعها استحسنها غاية الاستحسان، وأنشد عليها قصائد حسان...**"[5]، وفي المقابل نجد بعض **مشايخ تونس** الذين قدموا تصويبات لأقرانهم الجزائريين؛ من ذلك الشيخ **أبي راس الناصر** الذي وقع في خطأ لغوي قام مفتي الحنفية

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر نفسه**، مج3، ص 307-308.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 226.

[3]- الطيب يوسفي: **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي انموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020م، ص 148-149.

[4]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 115، 155-158.

[5]- أبوراس الناصر: **المصدر نفسه**، ص 110.

بتونس الشيخ **محمد بيرم** بتصويبه، وفي هذا السياق يقول أبي راس:"...**وذكرت فيها البدو كهذه وكنت كسرت واو به ونونته في ظني أنه منقوص، فقال لي أنصبه فليس هو من الأسماء المنقوصة، فقلت له رأيته مرات بالياء فقال لي لعل الياء التي رأيتها فيها جيء بها للنسب فتنبهت للغفلة عن هذا الأمر المعلوم كانتباهي من النوم** "[1].

كانت مجالس العلم فضاء للتلقي والأخذ والعطاء المعرفي؛ فقد وصف **الشيخ قاسم البوني** في أحد تصانيفه **الموسوم بـ"شرح البوني على كلام سيدي عزوز** "حنينه إلى مجالس شيخه الذي أخذ عنه الطريقة بزغوان[2]. وتحدث الشيخ **أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي** أيضا عن المجالس العلمية لمشايخه من الجزائريين في مصر على غرار الشيخ **يحيى الشاوي** والشيخ **أحمد العنابي**، والتي نهل منها؛ إذ يقول في هذا الجانب:" **وقد اجتمعت بهم ولازمتهم مدة طويلة وحضرت مجالسهم الخاصة والعامة**..."[3]، وفي هذا السياق ظل الجامع الأعظم بالبلاد التونسية على مر العصور يلعب دورا كبيرا في تقوية العلاقات الثقافية بين أهل المغارب، ويقدم **الورثيلاني** شهادته حول النموذج الفريد **للمجلس العلمي الزيتوني** وأثره الفكري والديني، إذ يقول:" ...**وكذا المجتمعون في جامع الزيتونة للإقراء والتدريس، فتقصر العبارة عنهم وعن عدهم...فإن الجامع المذكور قد انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء، والمعارف والعلوم والأذكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم، فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين، فشمس أنوار الافهوم فيه مشرقة، وفوائده وعوائده محققة ومدققة، فهو جنة العارفين، وخلوة للمتعبدين الناسكين، ومزارة للراغبين المشتاقين**..."[4]، ومنه يتراءى لنا أن مجلس الجامع الأعظم كان يغص بالحاضرين من أهل العلم ورجال السلطة، فقد أشار **أبي راس** أثناء حلوله بالديار التونسية اجتماعه فيه بأجلة علماء القطر إلى جانب حاكم البلاد **حمودة باشا(1782-1814)** الذي كان من بين الحضور، وقد اتسم مجلس الجامع الأعظم أيضا باتساع دائرة النقاش وحدته في مختلف الفنون الدقيقة وشتى المسائل الغامضة[5]. ومن جهة أخرى نلحظ أن **الورثيلاني** الذي زار العديد من المدن التونسية، وتوقف بمؤسساتها العلمية وتفاعل مع نخبها؛ قد تحدث عن مدرسيها وفقهائها وعلمائها وما وقع له من مناظرات ومجالس معهم، حيث أشار في حجته الأولى عام 1153هـ/1740م؛ إلى أحد **مجالس التفسير** بمدينة **توزر**، وهذا في معرض حديثه عن الشيخ **عبد القادر الفاسي** الذي التقى به، وهو مدرس مادة التفسير، حيث قال عنه:" ...**الكامل عبد القادر الفاسي يقرأ في مسجد توزر في التفسير...حافظا للروايات، ناقلا مذاهب العلماء، فصيح اللسان حلو الكلام**"[6]، أما عن مدينة **صفاقس** ومجالسها العلمية الكثيرة، فقد تحدث عن أحد مساجدها العظيمة الذي كان مجلسا علميا مخصصا للتدريس؛ يجتمع فيه القراء والعلماء، وقد أبدى **الورثيلاني** عدم رضاه عن المستوى الدراسي لعلم الكلام والفقه والنحو في مجالس المدينة، حيث باحث أحد المدرسين في **علم الكلام**؛

---

[1]- أبو راس الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المصدر السابق، ج1، ص 81.

[2]- أبو القاسم محمد كرو: **المرجع السابق**، ص 177-179.

[3]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 465.

[4]- الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، مج3، ص 315-316.

[5]- أبوراس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 115.

[6]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص263.

فوجده جاهلا لم يستطع فهم الإشكال فضلا عن الجواب، وهو ما حصل له في **مجلس آخر للفقه**؛ والذي أقر فيه صاحبه بالعجز والتقصير، أما **مجلس النحو**؛ فقد أظهر صاحبه الأدب والتواضع معه وهو يقرأ ويسأل ويسمع منه، وهذا إلى أن شاع أمر الورثيلاني في مدينة صفاقس[1]، أما عن مدينة **تونس** التي قضى فيها نحو **خمسة أشهر ونيف** وهو في تعمير الأوقات بتدريس الفنون وضبط القواعد من العلوم، فقد أكد **الورثيلاني** في معرض حديثه عن مجالسها العلمية؛ عدم قدرته على استقصاء ما فيها من النجباء والفضلاء والصلحاء، لأنها قاعدة من قواعد العلم ومدينة من مدن الفهم[2].

كانت المجالس العلمية التي حضرها **محمد أبي راس** بالبلاد التونسية كثيرة متنوعة المواضيع، وقد تخللتها بعض النكت المنيفة والفوائد الظريفة والأدبيات المستظرفة التي جرت في ثنايا الأخذ والعطاء، وكان يعتد برأيه ويناقش مشايخه، وقد أبلى في ذلك البلاء الحسن، ولم تكن مناقشاته قاصرة على المجالس العلمية المنعقدة بالجامع الأعظم حيث تناقش مختلف الفنون وتدرس شتى صنوف المعارف، بل نجده يلج مجالس **الفقه الحنفي** حيث لزم **محمد بيرم االأول (1718–1800)** مفتي الحنفية بتونس وقرأ عليه مختصر الكنز وغيره[3].

كما طرق **أبو راس الناصر** باب **مجالس التفسير** لما نزل عند **ابن مالك الصغير** شيخ تونس ومفتيها **محمد بن المحجوب**، كما تحدث عن حضوره **مجلس القضاء** بين يدي الشيخ **محمد بن المحجوب** وأسفر هذا عن مشاركته في حل بعض المسائل؛ منها قضية الخصمان في حضانة، ولما أثبت الرحالة قدرته في حلها؛ أنصفه وأشاع ذكره وصار القاضي **بن المحجوب** يشاوره في النوازل المرفوعة إلى مجلسه؛ إذ يقول **أبي راس" كنت جالسا معه، فأتى خصمان في حضانة....فرجع إلى قولي...وصار يشاورني في نوازل ترفع إليه، وبث شكري في تونس يفوق ما استحقه"**[4]، لينتقل بعدها إلى **مجالس المعقول والأصول والبيان** مع مجلس الشيخ العلامة **صالح الكواش** (ت.1218هـ/1804م)، وسمع درسه حول الأئمة كابن خلكان والبرزلي وابن ناجي، وقد عارض فيه شيخه المذكور لما وقع في بعض الأئمة، فوقف أبي راس منافحا مدافعا عن هؤلاء الأئمة بأدب رفيع وبلطف وسمت حسن، من ذلك **البرزلي** حافظ المذهب، شارح "المدونة" و" الرسالة"، و**ابن خلدون** الذي أثنى عليه أبي راس علما ودينا، وقال فيه:" **وكفى بابن خلدون مزية أن عالم الدنيا ابن مرزوق الحفيد تلميذه**"[5]، ولم يكتف **أبي راس** من ارتياد المجالس العلمية؛ بل عمل على الإفادة والاستفادة بحضوره المجالس الخاصة للاستزادة من طلب العلوم، فقد ذكر في رحلته حضوره مجلس حاكم البلاد الباي **حمودة باشا** الذي دعاه إلى مجلسه الخاص فأجابه، حيث حظي بالتجلة والتوقير وإكرام الوفادة، وطلب منه تفسيرات عن "**قصر الأجم**"، وعن أصل تسمية قسنطينة ومدينة القيروان، والمعلقات والحنايا، وعن مسائل وأشياء عديدة، وقد استحسن إجابات أبي راس كثيرا وأكرمه[6]. إن ثقل الحضور العلمي **لأبي راس** بين النخب التونسية؛

---

[1]– الحسين الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج3، المصدر نفسه، ص 307.

[2]- الحسين الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج3، المصدر نفسه، صص315-317، 327.

[3]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 52.

[4]– أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر نفسه، ص 109.

[5]– أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر نفسه، ص 110.

[6]-أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر نفسه، ص 115.

إلى جانب التكريم والحظوة والمنزلة التي نالها عند حاكم البلاد الباي التونسي **حمودة باشا** أشعرته بالرضا التام من جانب، وأثارت عقارب البغضاء وغيرة وحسد أقرانه من العلماء [1]، وقد أشار الرحالة إلى هذه الظاهرة في رحلته بقوله:(...**ثم إن بعض العلماء لما سمعوا بإكرامه لي اعتراهم الحسد والكمد والمكر، وقد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر**)[2]، وهو الشيء الذي حدث مع الشيخ **الورثيلاني** الذي اشتكى هو الآخر من إنكارهم للغريب وحسدهم ومنافستهم وبغضهم للأجنبي، حيث قال:" **غير أن أهلها ينكرون البراني، بلغ ما بلغ من القرب والتداني...من التنافس والحسد والبغض وحب الرياسة وعلو الصيت**..."[3]. لقد تمكن كل من الورثيلاني وأبي راس من خلال إقامتهما في تونس من ترك مادة هامة تخص البلاد التونسية في رحلتيهما، حيث حفلت شهادتهما بشتى الأخبار وأنواع الثقافة وأسماء الأعلام في أغلب المدن التي توقف عندها الرحالة؛ ذهابا وأوبة، ولا شك أن جهودهما هذه كان لها تأثيرها الكبير في إبداء ملاحظات هامة عن الواقع الثقافي السائد، **كما** جسد هذا الحراك مثالا فريدا للتعاون الثقافي المشترك بين الجزائر وتونس؛ الذي كان يتم بصورة عفوية بين الرحالة الجزائري والعالم التونسي، وهوما أثمر رصيدا فكريا هاما[4]، وهذا في ظل التعليم الحواري والنقاش الهادئ الذي تقوم به هذه العقول الإيجابية المنفتحة والفعالة.

إن زيارات العلماء لبعضهم البعض في المناسبات كثيرا ما تنتج رصيدا فكريا مميزا يتجسد في المناقشات العلمية والمداعبات الأدبية التي تمثل الصورة الحقيقية لثقافة العصر، إذ لم يقتصر حراك النخب على ذكر المجالس والمباحثات العلمية والمناظرات الفكرية فحسب، بل كثيرا ما قدم لنا الحراك نماذجا حية عن علاقات الوداد التي جمعت بين هؤلاء المشايخ، والتي جسمها تبادل الزيارات؛ وتكرار اللقاءات، من ذلك الشيخ **قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني** الذي كانت له مودة ووصال ومراسلات وزيارات في مواكب من الفرسان والأعيان ومن الأهل والأولاد لشيخه سيدي **علي عزوز**(ت.1710م) **بزغوان**[5]، أما **أبو راس** فقد كانت له هو الآخر لقاءات ودية جمعته مع بعض علماء تونس الذين استضافوه في بيوتهم؛ على غرار الشيخ **صالح الكواش**(ت.1218هـ/1804م)[6]، وأيضا شيخ الإسلام ومفتي الحنفية بتونس الشيخ **محمد بيرم** الذي كان يذهب إليه في داره ويأخذ عنه، ومنهم الشيخ أيضا المفتي **محمد بن المحجوب**(ت.1243هـ/1827) الذي دعاه إلى بستانه في قرية الغوث الشيخ **أبى سعيد الباجي** (ت.1265م/628هـ) بناحية منوبة من ضواحي تونس الحاضرة[7].

ويتحدث **الورثيلاني** أيضا عن أحد رجال الصلاح بمدينة **توزر** الذي استضافه في بيته، وأطعمه من طعام أهله[8]، وهو ما حصل مع الشيخ **الورثيلاني** أيضا وأصحابه بالحاضرة التونسية، أين خصوا بترحيب وإكرام أكثر العلماء

---

[1] - Faure-Biguet(G) : **OP.cit,** P 396.

[2]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 115.

[3]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 327.

[4]- ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة خلال العصر الحديث**، المرجع السابق، ص 213.

[5]- أبو القاسم محمد كرو: **المرجع السابق**، ص 177-179.

[6]- أبو راس الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المصدر السابق، ج1، ص 134

[7]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 52، 109.

[8]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 362-363.

والصلحاء في بيوتهم، ومن هؤلاء الويز **الحاج حمودة بن عبد العزيز**(ت.1202هـ/1788م)، وفي هذا يقول:" ...**ثم إن أكثر العلماء والصلحاء...يذهبون بنا إلى بيوتهم قصد نزول البركة في محالهم من جميع من فيها...وممن اجتمعنا به أيضا...سيدي حمودة بن عبد العزيز، وقد أكرمنا أيضا...**"[1]، كما نزل الشيخ المفتي **محمد ابن محمود العنابي**(1775-1850) رائد التجديد الجزائري- لما حط الرحال بالحاضرة التونسية عام 1244هـ/1828م- عند **أسرة بيرم** الذين أكرموا وفادته، وأحاطوه بالتجلة والتعظيم، واستجازوه ونوهوا بعلمه ومدحوه بالشعر والنثر[2].

ومنه يتراءى لنا أن المناظرات والمجالس العلمية كرافد من روافد الفكر تعد بحق أداة من أدوات التواصل الفكري والعلمي بين نخب البلدين؛ في ظل جو من التلقي المعرفي والنقاش الهادئ؛ الذي يتخلله الجدل وتعتريه المحاججة في الكثير من الأحيان، وبذلك تكون هذه الحلقات المعرفية النخبوية قد أسهمت في فتح باب الجدال وتوسيع دائرة المناقشات؛ وتبادل الآراء وانتشار الأفكار كملمح من ملامح الحراك الفكري للنخب العلمية المغاربية التي أرست دعائم لعلاقات ثقافية قوامها التواصل، والملاحظ أن هذا الحضور الفكري الذي يعكس مدى قوة الاحتكاك والعطاء المعرفي بين نخب الإيالتين يتخلله تباين واضح في أثر هذا التفاعل القائم بين الطرفين، كما جسدت هذه اللقاءات من جانب آخر ملمحا يعكس واقع الحياة الثقافية في كل من الجزائر وتونس من خلال إبراز أشكال المجالس العلمية التي يرتادها العلماء على اختلاف مشاربهم، والمنعقدة في المساجد والمدارس، وبيوت الفضلاء من المشايخ والأعيان، إلى جانب المجالس الخاصة التي عادة ما تكون تحت رعاية الحكام، أما عن المواضيع المطروحة في هذه المجالس على اختلافها؛ لم تكن في مجملها تخرج عن دائرة العلوم الشرعية.

رابعا-انتقال المصنفات العلمية:

تحولت الكتب إلى مفاصل أو جسور حضارية أرست دعائم لعلاقة ثقافية بين الإيالتين؛ حيث لعبت دورا رائدا في ربط بعضها ببعض؛ من خلال ما ينتج عنها تحولات علمية أو أدبية أو فكرية، إذ يعد الكتاب أهم ركيزة يقوم عليها التقدم الحضاري للمجتمعات، إذ هو السجل الذي يدون فيه رجال العلم والفكر والأدب معارفهم، والوعاء الذي تحفظ فيه تلك المعارف في المكتبات، فلا غرابة أن اهتم المسلمون بالكتاب وعملوا على توفيره بشتى السبل، فكان منهم من اهتم بتأليفه ومنهم من اهتم بنسخه، ومنهم من اهتم ببيعه، ومنهم من اهتم بشرائه، ومنهم من اهتم بوقفه ليوفره للمكتبات التي كانت تؤسس مرفقة بالمساجد والمدارس[3]، أما الكتب المتداولة في المغارب عموما وبين أيدي علماء الإيالتين خصوصا، فهي كثيرة ومتنوعة يتم الحصول عليها عن طريق النسخ أو الشراء، ونظرا لأهمية المؤلفات، كان بعض الشيوخ يقول: « **آلة تحصيل الطالب: كتب صحاح وشيخ فتّاح ومداومة وإلحاح**» [(4)]، ونذكر على سبيل الاستشهاد أهم المؤلفات، التي حظيت بإقبال المغاربة على اقتنائها؛ والتي شكلت مراجع هامة بالنسبة إليهم ومنها؛

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر نفسه**، مج3، ص 313-314.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري 1775-1850**، المرجع السابق، ص30.

[3]- خليفة حماش: **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا**، المرجع السابق، ص ص 49، 50.

[(4)]. أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 65.

صحيح البخاري والرسالة لأبي زيد القيرواني، ومختصر خليل في الفقه ومختصر ابن الحاجب، وجمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه [1]، وفي **علوم القرآن**؛ الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الط بري، وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي عبد الحق بن عطية الأندلسي[2]، **وعقائد السنوسي في التوحيد، وألفية ابن مالك والأجرومية في النحو، والجوهر المكنون في البلاغة والخزرجية في العروض، والتلمسانية في الفرائض، والشاطبيتان الكبرى والصغرى في القراءات وتلخيص البناء في الحساب، والسلم المرونق للأخضري في المنطق** [3]، **أما المصنفات الصوفية** فقد ظلت نفس المؤلفات السابقة المتداولة، التي انتقلت من المشرق إلى المغرب منذ القرن 5هـ؛ مثل **مؤلفات المحاسبي وكتاب الإحياء والرسالة القشيرية، وقوت القلوب لأبي المكي وحلية الأولياء لأبي نعيم** وغيرها [4]،كما اهتم العلماء **بالشروح** على غرار: **شرح الشقراطية، شرح الرسالة القشيرية، شرح ابن عاشر، شرح الوغليسية؛ أما الحواشي** فإنّ جل علماء بلاد المغرب قدَّموا حواشي على نفس المؤلفات منها: **حاشية على العقيدة للسنوسي، حواشي حول صحيح البخاري** وغيرها [5]، لذلك كان انتقال المصنفات وتداولها ودارستها؛ والاهتمام بها سواء بالشروح أو بالتحشية أو عن طريق الإعارة والنسخ من أجلى صور التفاعل الثقافي.

إنّ النشاط الذي عرفته حركة تبادل الكتب وشرائها ونسخها، من أهم أوجه الحراك الفكري بين أقطار المغارب، والتي شكّلت أحد روافد الاتصال الثقافي؛ لاسيما إذا كانت هذه المؤلفات التي تناقلها العلماء وأشاعوها في بيئتهم؛ قد أثارت النقاش أو الاهتمام، ومن المعلوم أنّ الكتاب حينما ينقل من جهة إلى جهة قد يصاحبه استحسان فيتم شرحه إن كان متنا مركزا، ويحشّى ويعلّق عليه إن كان في حاجة إلى الزيادة والإتمام، وينتقد أو يردّ عليه إن كانت مواقف صاحبه تدعو إلى ذلك، وبذلك يكون ردّ الفعل الذي يحدثه العمل التأليفي بانتقاله من وسط إلى وسط ومن بيئة إلى بيئة، أكبر رابط لعملية التواصل الثقافي[6].

تعتبر الكتب من الوسائل المهمة في نقل الثقافة وظهورها في بيئة معينة ، فهي أحد روافد الاتصال الثقافي إن لم تكن أهم مظاهره الدالة على وجود حركة علمية قوامها التفاعل الفكري بين أقطار المغارب، فقد ذكر الرحالة الجزائريون عددا لا بأس به من عناوين الكتب التي اشتروها أو نسخوها أو استعاروها وهم في طريقهم إلى الحجاز، كما اهتمت النخب العلمية بالتعريف وترويج الإنتاج العلمي لعلماء المغرب؛ ونذكر على سبيل الاستشهاد أهم هذه المؤلفات: **اختصار معالم الإيمان** و**روضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، شرح الرسالة القشيرية، شرح ابن عاشر، شرح الوغليسية، شرح المختصر، شرح البخاري**، أما الحواشي فإن جل علماء بلاد المغرب قدموا حواشي على نفس

---

[1]. عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافيةبين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص 139.

[2]. أحميدة عميراوي: **بحوث تاريخية**، ط2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 93.

[3]. عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 139.

[4]. الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 هـ و7هـ**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 82-83.

[5]. ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، المرجع السابق، ص 225.

[6]. عبد الله المرابط الترغي: **الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل** من كتاب: **السفر في العالم العربي الإسلامي**، ط1، المغرب، 2003، ص 30.

المؤلفات، منها حاشية على **العقيدة للسنوسي، حاشية على القصائد القادسية، حاشية على المقامات وحواشي حول صحيح البخاري، حاشية على ألفية ابن مالك، حاشية على ألفية العراقي**[1].

كانت الكتب التي تصل بلدا مغاربيا من المشرق أو تؤلف فيها من قبل علمائها؛ سرعان ما تنتقل إلى البلد المجاور ومثل ذلك يحصل أيضا بالنسبة للكتب التي تؤلف في القطر المجاور، وطرق انتقالها متعددة، وإحداها الانتقال مع طلبة العلم والعلماء الذين يرتحلون من بلد إلى آخر؛ **فمختصر خليل** في **الفقه** الذي وصل من الجزائر إلى المغرب؛ نقله عالم جزائري انتقل إلى المغرب، وكذلك الحال بالنسبة **لعقائد السنوسي (الصغرى– الوسطى– الكبرى)**، التي ألَّفها **محمد بن يوسف السنوسي** (ت.1490م) في التوحيد، نقلها أحد الطلبة المغاربة من تلمسان إلى المغرب؛ فأقبل الناس على حفظها وقراءتها[2].

وقد تحدث **الناصري** في رحلته الحجازية أنه عندما نزل **بتوزر** التونسية ودخل مكتبة الفقيه **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منصور الجمني**؛ وجد بها مؤلف للشيخ **محمد بن علي الخروبي الطرابلسي** أصلا الجزائري دارا وقرارا (ت. 963هـ/1556م)؛ الموسوم بـ" **شرح أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي لنظم الشيخ زروق المشهور في عيوب النفس**" في نحو خمسة عشر كراسا، وعلى منظومة الشيخ **عبد الرحمن الأخضري** في التوقيت جامعة والتي سماها "**السراج**"، وعلى **حواشي البطيوي على المكودي، على الخلاصة** في نحو ثمانين كراسا رباعيا[3]، وفي المقابل نجد ما ذكره لنا **العياشي** في رحلته من أنه وجد في قرية **والا** بالقرب من **ورقلة** في روضة أحد الصالحين سفرا من **نوازل البرزلي**؛ وقد أفسد الندى جانبا منه؛ بخط **الإمام ابن مرزوق** ومعه بعض الإجازات لبعض السادة القادرية بخط مشرقي؛ مبديا تعجبه من وصوله إلى هذه القرية[4]، والعجب ليس في وصول هذه المصنفات إلى هذه النواحي القاصية؛ ولكن من تسرب الأفكار والمذاهب والطرق الصوفية هناك .

وفي المقابل كانت مؤلفات الجزائريين حاضرة في دروس العلماء التونسيين بالجامع الأعظم، وسائر مراكز الإشعاع الفكري بالحواضر التونسية؛ من ذلك **عقائد السنوسي**، فقد كان الشيخ **الشريف السعيد**(ت.1112هـ/1701) والشيخ **محمد الصفار**(ت.1127هـ/1715) يدرسان كبرى **السنوسي** بجامع **الزيتونة**، وهذا دون أن ننسى مظان الشيخ **الأخضري** التي راجت في أرجاء الإيالة، وهناك من المشايخ من عكف على شرحها كالشيخ **أبو عبد الله محمد زيتونة** الذي وضع **شرحا للسلم المرونق**– في المنطق **للأخضري**، والعالم العارف **محمد فتاتة** (ت.1115هـ/03-1704) الذي وضع **شرحا للدرة البيضاء** للعلامة في الحساب والفرائض، وقد أقر الشارح بالقصور والعجز مظهرا تواضعه معترفا بسعة علم الشيخ **الأخضري** بقوله:" **وأين الرقعة والثوب**"[5]، دون أن ننسى **منظومته القدسية**(أرجوزة من 364 بيت) التي كانت ضمن المقررات في معظم المدارس والزوايا في تونس، ذلك أن معظم مؤلفات الأخضري

---

[1]– ليلى غويني، **لتواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، المرجع السابق، ص 225.

[2]. عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافيةبين الجزائر والمغرب**، المرجع السابق، ص 140.

[3]– محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص 253.

[4]– أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج1، ص 63

[5]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص ص 197، 199، 212، 229.

كانت تدرس في أهم المعاهد بالمغرب والمشرق كالأزهر والقرويين والزيتونة[1]؛ بل أن تآليفه في شتى فروع المعرفة وفنونها والتي تربو على الثلاثين؛ قد وقع الإقبال عليها من جامعات العالم الإسلامي، وأدخلت برامج التعليم منذ ظهورها[2]، كما وضع الشيخ قاسم **البوني(ت. 1139هـ/1726م)** مؤلفا جوابا عن رسالة من شيخه **سيدي علي عزوز** أسماه" **شرح البوني على كلام سيدي عزوز**"، صاحب زاوية زغوان[3]، بل إن تصانيفه الكثيرة كانت تدرس بالإيالة التونسية، فقد أشار **أحمد بن قاسم البوني**-في زيارته لتونس- أنه قرأ كثيرا من كتاب والده في الوعظ المسمى:" **النور الوضاح الهادي إلى الفلاح**" على جمع من علماء تونس الذين استحسنوه، وأذعنوا له كما يقول، وقالوا عنه " **أنه من صنيع الكلمة**"[4]، ومن المؤكد أن نسخ كتابه " **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**" توزعت في أنحاء البلاد، وفي بعض المدن والجهات من القطر التونسي؛ حين ارتحل **أحمد بن قاسم البوني** طالبا للعلم والإقراء[5].

كانت الكتب تصل من كل مكان عن طريق عمليات البيع والشراء في أغلب الأحيان، فقد روى **الجبرتي** أن والده قد ذكر له أنه ورد عليه في مصر سنة 1196هـ/ ديسمبر 1781 بعض الحجاج الجزائريين وسألوه عن كتب يشترونها، من بينها "**زيج الراصد للسمرقندي**" الذي كانت لديه نسخة منه، وحاول الحاج الجزائري إغراء الشيخ الجبرتي بزيادة الثمن لشراء نسخته منه إلا أنه أبى، وبعد أن عاد الجزائري من من الحج مارا على مصر حضر لدى الشيخ الجبرتي ومعه رزمة كبيرة من الكتب من بينها نسخة من الزيج[6].

لقد كانت تونس معبرا ومدرسة للجزائريين، فهم يتصلون بعلمائها ويتبادلون معهم التآليف والإجازات ونحو ذلك[7]، حيث جاء في وثائق الجامع الكبير بالعاصمة أن المفتي **سعيد قدورة**-الذي كان أيضا وكيلا لأوقاف الجامع-قد اشترى لمكتبة **الجامع الجامع** كتبا كثيرة من فائض الأوقاف[8]، منها تركات مختلفة لكبار العلماء؛ من ذلك نسخة من **صحيح البخاري** آتية من تركة الشيخ **الخروبي**، التي اقتناها من عقب هذا الأخير[9]، وهناك طرق أخرى لانتقال المصنفات من ذلك الإهمال الذي يؤدي إلى ضياع نفائس المؤلفات وانتقالها من بلد إلى آخر، فقد تحدث **ابن المفتي** الذي وصف طابع وحياة العلماء خلال القرنين 17و18م؛ أنهم وجدوا عند الشيخ **الطبار الماروني** عددا من الكتب التي أخذها من مكتبة الجامع الكبير، وعند وفاته أخذ ابنه الكتب إلى تونس وباعها وقبض ثمنها هناك[10]، كما اشترى **الورثيلاني** بعض الكتب من مدينة **صفاقس** منها: **حاشية على البيضاوي** من بعض أهل المدينة غير أنها ليست للشهاب وإنما للقاضي

---

[1]- الدراجي بوزياني: **عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، ط2، Bled Edition، الجزائر، 2009، ص 51، 150.

[2]- المهدي البوعبدلي: "**عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة، العدد 53، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978م، ص 25.

[3]- أبو القاسم محمد كرو: **المرجع السابق**، ص ص 171، 178.

[4]- أحمد بن قاسم البوني: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، المصدر السابق، ص 38.

[5]- أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تح وتع محمد لخضر بوبكر سعيد دحماني، ط1، دار الوسام العربي، عنابة، ديسمبر 2011، ص 62.

[6]- عبد الرحمن الجبرتي: **عجائب الاثار في التراجم والأخبار**، ج2، ص 99.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص ص 295.

[8]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 97.

[9]- Fatiha Loualich : **La famille à Alger 18e et 19e siècles**, **Op.cit**, P 146.

[10]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 100.

زكريا[1]، وكان انتقال المصنفات العلمية بين البلدين يتم أيضا **بمناسبة الحج**؛ عن طريق الحجيج الذين كانوا يأتون معهم بالتآليف لمبادلتها أو يقومون بنسخ ما يجدونه من الكتب القيمة[2]

لقد شاعت ظاهرة انتقال المصنفات بين النخب العلمية عن طريق الإعارة، ذلك أن الكتاب المعار كان ينتقل من مستعير إلى آخر بعبارات وردت في الوثائق مثل " **جملة من الكتب كانت عند فلان وأخذها فلان**"، كما هو الحال مع الشيخ الفاضل **سيدي محمد** مفتي الحنفية بالجزائر الذي كانت عنده كتب تلقاها من القاضي **التونسي بوشناق**، حيث بلغت عدد الكتب التي في كانت حوزة المفتي 27 كتابا؛ إلى جانب كتب أخرى عددها اثنان وستون كتابا أخذها من عند **بوشناق**[3]، و**استعار** الشيخ ابن **عبد الرفيع التونسي** –حفيد الشيخ أبي إسحاق"ت.733هـ" الذي تولى قضاء الجماعة والخطابة بجامع الزيتونة–من الشيخ الجد **يحيى الفكون**(ت.941هـ/1534م) أحد فقهاء قسنطينة؛ تأليف الشيخ **البرزلي**" **الحاوي في الفتاوي**" للنظر؛ بوساطة من الشيخ عمر الوزان[4]، فأعاره الجد المصنف؛ وبقي عنده مدة يسيرة (08 أيام)، ورده بعدها واستعار الثاني، وكان هذا دأبه إلى أن استكمل الأسفار الأربعة بالإعارة، واستنسخ منها نسخة بخط يده" **أي بخط القاضي ابن عبد الرفيع**" الذي كان متوليا منصب القضاء بالمدينة"[5]، كما أشار المقري إلى استعارته **لشرح البردة والشقراطسية** من قرينه العالم علي الشامي بفاس المحروسة[6]، وقد ذكر **الورثيلاني** في رحلته أنه استعار من العلامة التونسي– المدرس في المدرسة الباشية– الفاضل **سيدي أحمد بن عبد الفاضل الصادق**؛ كتاب **شرح على قصيدة البهلولي في أحكام العربة(كذا)**؛ وغير ذلك من تآليفه رضي الله عنه[7]. ومن طرق انتقال المصنفات عمليات النسخ التي يقوم بها العلماء والمشائخ في حراكهم وتنقلاتهم بين الحواضر ومراكز الإشعاع، فقد وردت في إحدى الوثائق التي تعود بتاريخها إلى عام 1173هـ/1759م عملية نسخ لكتاب" **قلايد العقيان**" لسي **الحاج أحمد الزروق**– الذي لا نستبعد أن يكون الشيخ **أحمد الزروق بن أحمد بن قاسم البوني** الذي عاش في نفس الفترة؛ وكانت له زيارات إلى تونس– في 22 كراسة بالحاضرة التونسية، حساب كل كراسة **¼** ريال على يد **حسن الشابي**، كما قام الأخير أيضا بتسفير الكتاب بثلاث ريالات [8]، كما قام الشيخ **أحمد التليلي**(1709–1763م) بنسخ كتاب "**بستان الزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**" الذي جمع فيه محمد

---

[1]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 307.

[2]– عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بن الجزائر والمغرب**...، المرجع السابق، ص 140.

[3]– وافية نفطي: **الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، الحاج لخضر، 2016–2017م، ص 47.

[4]– **الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان**؛ شيخ الزمان، كان بحرا لا يجارى في العلوم فقها وأصولا ونحوا وحديثا، وله اليد الطولى في طريق القوم، وكان ممن تشد له الرحال في طلب العلم، كرس حياته للتدريس ورفض الوظيفة الرسمية "القضاء"، أضاف الثروة المادية إلى العلم والتصوف عندما صاهر عائلة غنية بقسنطينة وهي عائلة ابن أفوناس، توفي سنة 965هـ/1557م، ودفن بمدرسة أفوناس. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 379–384، وانظر أيضا **منشور الهداية** للشيخ عبد الكريم الفكون، ص 35–38.

[5]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 41–42.

[6]– المقري: **الرحلة، المصدر السابق**، ص 97.

[7]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 352.

[8]– **أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 99**، ص 12.

الصباغ القلعي مناقب وكرامات شيخه المليانى[1]، ومن مظاهر التبادل الثقافي الإباضي كذلك قيام علماء **وادي ميزاب باستنساخ المخطوطات الجربية**، ونشرها بين مختلف مواطن الأباضية للاستفادة منها، وهذه العملية مازالت مستمرة إلى يومنا هذا[2]. ومن طرق تلقف المصنفات أيضا حمل المشايخ لإنتاجهم المعرفي وعرضه على أقرانهم في البلاد المهاجر إليها، فقد عرض الشيخ **الورثيلاني** في ظل تواجده **بقابس**-في أعقاب أوبته من رحلته الحجازية-؛ بعض مؤلفاته على طلبتها وفضلائها ومشايخها؛ التي شحذت فيهم الهمم وحركت فيهم العزائم لطلب المزيد من الفنون والمعارف، حيث قال:"...**مع صلحاء قابس وفضلائها وعلمائها، وقد اجتمعوا معنا وطلبوا منا البحث في بعض النوازل... فأسعفتهم على ذلك ... فزادهم ذلك حسن ظن واعتقاد وعجبا ... لا سيما لما رأوا بعض المؤلفات لنا فزادهم تحركا لهممهم وتعاظما لمقاصدهم**"[3]، كما ورد على الجزائر عدد من علماء تونس ومعهم تآليفهم[4]، ورسائلهم ومكتباتهم ومن هؤلاء إبراهيم الغرياني وتاج العارفين وأحمد برناز ومحمد الشافعي وحمودة بن عبد العزيز وإبراهيم الرياحي [5]، وعن أهمية عرض المصنفات وأثرها في حدوث التلاقح الفكري يحدثنا **أبي راس** في رحلته عن الشيخ **إبراهيم الرياحي** الذي طالع تآليفه فأعجب بها وأثنى عليها، واستحسنها، إذ يقول: (...**لما رأى تآليفي وطالعها استحسنها غاية الاستحسان وأنشد عليها قصائد حسان**)[6]، وضمن كتابه بقصيدة نونية **للرياحي** في مدحه يقول فيها:

وسلم الأمر تسليم الورى لأبي *******راس ودن مثل ما دانوا فيزدان

حبر تفيض بعرفان جوانبه******* إن لم تقل فهو للتحقيق عرفان

أنفاسه بضروب العلم سامحة ******* وكل عضو له درس وتبيان

وهذا إلى أن يقول منوها بتآليفه:

فكم أفاد بتحرير وقرر من *******قول وحرر من بحث له شان

وكم أجاد وكم أهدى وكم أرقت ******* له ابتغاء رضى مولاه أجفان.

وقد نفي رائد التجديد الإسلامي مفتي الجزائر الشيخ **محمد ابن محمود بن العنابي** من العاصمة؛ فحمل معه بعض كتبه إلى مصر، وهي لا تزال إلى الآن تحمل ختمه وخطه، كما هاجر الشيخ **الصديق بن يحيى** من نواحي قسنطينة إلى **تونس** ومعه كل الوثائق التاريخية[7].

وعادة ما تصل المصنفات من بلد إلى لآخر نتيجة ضياعها من أصحابها، ويذكر الشيخ **أحمد بن قاسم البوني** (1650-1726م/1063-1139هـ) في **ثبته**، أنه **فقد** أحد مؤلفاته الموسوم بـ"**روضة الأزهار ونفحة الأسحار في**

---

[1]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 143.

[2]- مسعود مزهودي: **المرجع السابق**، ص 313.

[3]- الحسين الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج3، المصدرالسابق، ص 302.

[4]- رقية شارف: **التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وغلى غاية 1267هـ/1850م**: دراسة وصفية -تحليلية-نقدية-مقارنة، مقاربة في المنهج التاريخي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية:2016-2017م، ص 60.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 295.

[6]- أبوراس: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 110-113.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 302.

الصلاة على النبي المختار" على شكل تنبيه الأنام، وفيه مقدمة وخاتمة في غاية الحسن وهو في تونس، إذ يقول" **وقد رزئت بفقده بتونس، جمع الله تعالى بيننا وبينه في الدنيا قبل الموت بمنه**"[1]، كما ترتبط ظاهرة انتقال المؤلفات بالفتن والصراعات السياسية، فقد تحدث صاحب **المشرع الملكي** عن أحد أبناء قسنطينة المسمى **عبد القادر الراجحي القسنطيني**؛ أحد أدعياء العلم الذي كان ساكنا بتونس، ولما دخل عسكر الجزائر القصبة وتونس عقب مقتل **علي باشا** 1756م، تعرف هذا الرجل بأولاد بلده—قسنطينة- فصاروا يأتونه بهذه الكتب (خزائن كتب علي باشا) التي نهبوها من القصبة، وكثير منهم من يتحفه بهذه الكتب من غير أن يعطيه شيئا، فلما علم أنه احتوى على خزائن من المال والكتب؛ خرج بعياله ودخل المحلة، وسافر معها وذهب خوفا منه أن يسعى به إلى البايات(يقصد أبناء حسين بن علي)؛ إذا رجعت الجزايرية فيسلبون منه تلك الألوف والمئات؛ فأصبح وما بات[2].

ولم يقتصر العلماء والمشايخ على استعارة وتبادل الكتب وذكر أعمال نظرائهم من أقطار المغارب، بل قاموا أيضا بالمشاركة في حركة التأليف أثناء حراكهم، فقد أبدع الشيخ **أبو العباس أحمد المقري** في تقديم قصائد وهو تونس؛ للشيخ **تاج العارفين والشيخ أبو القاسم المسراتي القيرواني**[3]، وكان للشيخ **سعيد قدورة التونسي**(ت.1066هـ/1656م) شرح على "**السلم المرونق**" الذي ألفه بالجزائر، وهو متن في علم المنطق للعلامة الأخضري يحتوي على 144 بيتا [4]، وفي نفس الفترة عاش **محمد بن علي القوجيلي**(ت.1080هـ/1669م) أبرز شعراء الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، الذي انتقل إلى **تونس** حيث قضى بها مدة الزمن؛ ونظم بها شعرا؛ خاطب به الأديب التونسي **أبو عبد الله بن عثمان ضاي** سنة 1065هـ/1654م الذي استقبله وأكرم وفادته بالحاضرة التونسية[5]، وقد كان بينهما تبادل للقصائد، و نشير أيضا إلى ما تبادله **محمد القوجيلي** مع **الشريف السوسي** حول السماع الموسيقي[6]. أما الباي **محمد بن حسين بن علي** فقد اتخذ له بستانا سكنه وسلى نفسه بمطالعة الكتب لما كان مقيما بالجزائر[7]، وكانت له له اليد الطولى في الأدب، وذهن ثاقب في حل مشكلات الكتب، وكان في النظم والنثر وعلم العروض فريد عصره، حيث نظم قصيدة فريدة تسمى" **شرح السواكن إلى أشرف الأماكن**" لما كان في مدينة الجزائر تعجز عن مثلها فحول الشعراء، واعتنى بشرحها جماعة، وجعل لها شرحا متوسطا الشيخ **الشافعي الشريف الباجي**، الذي كان قد استقضاه **محمد باي** قبل خروجه من تونس، ووصلت قصيدته إلى تونس؛ حيث اعتبره الشعراء **متنبي الزمان**[8]، وقد أنشدها أيام إقامته في الغربة بالجزائر معربا فيها عن شوقه إلى تونس:

---

[1]- أحمد بن قاسم البوني: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، المصدر السابق، ص 86.

[2]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 57.

[3]- المقري: **الرحلة، المصدر السابق**، ص 153-176،155،154.

[4]- الهواري محمد: **شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066هـ/ 1656م)، دراسة وتحقيق**، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012-2013م، ص 47

[5]- أحمد بن عمار: **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، تق وتع أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص127-128، 136.

[6]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق**، ص 270.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 146.

[8]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج4، ص 129-130.

أتونس بعد الأنس نالتك وحشة فسحي دموعا بل دما يترقرق
لئن ردني ربي إليها بفضـــله لأجري لها نهرا كما النيل يدفق[1]

كما كتب الشيخ الورثيلاني عقب زيارته لمقام الصحابي **أبي لبابة بقابس** جزءا من رحلته، إذ يقول في هذا الجانب" **وقد زبرت شيئا من هذه الرحلة في مقامه (يقصد أبي لبابة) اغتناما لبركته، فكنت أملي على بعض فضلاء جربة وعلمائها وهو يكتب وما قطعنا عن ذلك إلا زيارة أهل بلدنا! أعني زواوة الذين قدموا عسكرا في محلة الأعراض**"[2]، كما أنشد **أبي راس الناصري** إحدى قصائده بالحاضرة التونسية بين يدي مفتي الحنفية بتونس الشيخ **محمد بيرم**[3].

ومن المشايخ أيضا **أحمد بن عمار** مفتي السادة المالكية الذي حل بتونس سنة 1195هـ/1780م **وألف كتابين** وهو بها الأول **رسالة في التفسير والأدب** والثاني **تاريخ في سيرة وآثار باي تونس علي باشا بن حسين**[4] وعلق على بعض أعمال تلميذه **إبراهيم السيالة**؛ الذي جمع ثبت شيخه أحمد بن عمار الذي أتمه سنة 1204هـ/1790م وسماه" **منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد**"[5]، ونذكر كذلك **محمد بن محمود** المعروف **بابن العنابي** الذي تبادل الكتب والشعر مع علماء تونس؛ وخصوصا مع الشيخ **محمد بيرم** سنة 1245هـ/1829م[6]، كما حرر **مصطفى بن عزوز** (ت.1288هـ/1860م) شيخ الطريقة الرحمانية بنفطة؛ رسالة في مناقب شيخه **علي بن عمر الطولقي**؛ أشار إليها ابن المؤلف **محمد المكي بن عزوز** في "**النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية**"[7].

ومن النخب التونسية التي وفدت على البلاد؛ وكان لها حضور في الحراك الفكري، وأوتيت نصيبا من العلم نجد **أحمد علي اللنبيري (الأنبيري) المرالي التونسي** الذي يرجع في أصوله إلى بلاد اليونان، والتي انتقل منها إلى تونس؛ حيث نشأ بها وقرأ بمدارسها، واستوطنها فنسب إليها، ومنها جاء إلى قسنطينة[8]، وقد ترك بعض **الملاحظات حول قسنطينة، وأعمال متنوعة في الخط وكلها بلا قيمة كبيرة**؛ كما يذكر **مارسيي**[9]، ويبدو أن الدافع كان حقدا وحسدا، ذلك أن **ميرسيي** قد سمي بدوره ترجمانا شرعيا بنفس المحكمة خلفا **للنبيري**، وأن كلامه كما يقول صاحب كتاب **أم الحواضر** من قبيل قول العامة" **عدوك صاحب صنعتك**"[10]، ومهما يكن فقد ترك **الأنبيري** مؤلفات كثيرة مست مختلف الميادين: **التاريخ، الدين، الحربية**...من ذلك كتابه الذي وضعه بالعربية **علاج السفينة في بحر قسنطينة**، تناول فيه تاريخ

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ج2، المرجع السابق، ص 243-244.

[2]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج 3، ص 305.

[3]- أبو راس الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح محمد غالم، ج1، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2005، ص 81.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 226.

[5]- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، المرجع السابق، ص 95.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، المرجع السابق، ص 295-296.

[7]- هشام عبيد: تونس **وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية**، تق كمال عمران، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006، ص 505.

[8]- محمد المهدي بن علي شغيب: **المرجع السابق**، ص 280.

[9]- Ernest Mercier **: Op.cit**, P 518.

[10]- محمد المهدي شغيب: **المرجع السابق**، ص 280.

قسنطينة منذ أقدم عصورها إلى أيام الحاج أحمد باي آخر بايات الإقليم الشرقي، وقد اعتمد في غالب أبحاث هذا المصنف على كتابي: **المؤنس لابن أبي دينار**، و**تاريخ قسنطينة** لمؤلفه **الحاج محمد الصالح العنتري**، وله أيضا نسخة مخطوطة من كتاب وضعه بالفرنسية وسماه: **مشاهير الشرقيين**[1]، وكتاب في الصناعة الحربية والعسكرية لا يزل مخطوطا بخزانة الزاوية العثمانية بطولقة والموسوم بـ:" **عون الأفكار الحفظية في علم المدافع والطبجية**"، ألفه بقسنطينة عام 1266هـ/1849م، وقد نقله وترجمه عن الأصل الفرنسي؛ والذي كان من تأليف **نورمان ديلور**، تناول فيه الصناعة الحربية والعسكرية: المدفعية وتاريخها، المنصات، البارود، العيارات، الأخشاب المناسبة، الأطوال، البطاريات، الرتب العسكرية والوظائف، الحفاظ على الأسلحة[2]؛ دون أن اغفال كتاب **العود الجزائري** الذي كتبه أيضا أيام إقامته بالجزائر– قسنطينة–، إذ يقول" **وجملت فوايد اشتغالي الذين عملتهم في سنتين ما دامت إقامتي بالجزائر وصنفت الكتاب وسميته بالعود الجزائري**"، وهو الكتاب الذي قام بعرضه وتقديمه الباحث **احميده عميراوي**، ورغم ما يحيل عليه العنوان من معاني–هل المقصود بالعود: الفرس باللغة الجزائرية والتونسية أم الآلة الموسيقية أم عود شجرة–فإنه احتوى معلومات تاريخية هامة؛ إلى درجة أنه لا يمكن الاستغناء عنه، فهو بحق مصدر من شاهد عيان[3].

كما عمق البعد الصوفي الذي يجمع بين الضفتين التونسية الغربية والجزائرية الشرقية عملية الإثراء من خلال تبادل القصائد المغناة بنغماتها وايقاعاتها الخاصة، على غرار طريقة **سيدي عبد الملك** السني أو **الطريقة القادرية** أو **الطريقة الرحمانية** أو طريقة سيدي مرزوق العجمي[4]، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على التفاعل الثقافي الذي كان قائما بين مشايخ الجزائر وأقرانهم التونسيين.

إنّ النشاط الذي عرفته حركة تبادل المؤلفات وشرائها ونسخها من أهم أوجه التفاعل وصورة من صور الامتزاج والتقارب الثقافي بين النخب العلمية، كما أنها تمثل إسهاما من هذه الفئة في التعريف بالنتاج الفكري لعلماء هذا الفضاء الجغرافي المترامي، لذلك كان انتقال الكتب إحدى قنوات الحراك الفكري للعلماء، ورابطا من روابط الاحتكاك والتواصل وإحدى آليات التلاقح الثقافي بين مثقفي الإيالتين؛ في عصر انعدمت فيه وسائل الاتصالات الحديثة؛ فأصبحت المصنفات خصوصا تلك الكتب النادرة؛ معرضا للثقافة بكل فروعها الدينية واللغوية والتاريخية والفلسفية والاجتماعية؛ بكل ما تحمله من أفكاره وآراء زادت من الإطلاع الأوسع والأشمل على مختلف الفنون وشتى أنواع المعارف، وقوت من ناحية أخرى اللحمة والترابط بين نخب البلدين في فترة كان فيها العالم بمثابة سفيرا لبلاده في مجتمعات المغارب، لقد كان انتقال المصنفات في ظل حراك النخب العلمية والدينية؛ انتقالا للمعارف والأفكار والطرق والأساليب العلمية الشاهدة بحق على ذلك التماهي الفكري الحاصل بين أبناء الإيالتين.

---

[1]– محمد المهدي شغيب: **نفسه**، ص 281.

[2]– عباس كحول: **التراث العربي المخطوط بخزانة زاوية طولقة– مخطوط عون الأفكار الحفظية**...، المرجع السابق، ص 2-3.

[3]– علي النبيري المرالي التونسي: **المصدر السابق**، ص 8.

[4]– محمد المصمودي: **المرجع السابق**، ص 56.

خامسا–الفتاوى والردود:

أجمع أغلب أصحاب المعاجم في تحديد الدلالة اللغوية لمصطلح الفتوى على معنى واحد، فصاحب **القاموس المحيط** يشير إلى الفتيا والفتوى بمعنى ما أفتى به الفقيه، وأفتاه في الأمر أي أبانه[1]، وهو ما يذهب إليه **ابن منظور** الذي يجعلها أصلا واحدا، قال: " أفتاه في الأمر: أبانه له، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، وأفتاه في المسألة إذا أجابه[2] أي أظهر الحكم فيها، فالظاهر مما مر أن معنى الفتوى يدور حول الإبانة والإظهار[3]، أما الفتوى في الاصطلاح الشرعي تعني إصدار تقرير من قبل عالم في فقه الشريعة حول مسألة مختلف فيها؛ يراد حلها حسب القانون الشرعي[4]؛ أي أنها مؤسسة على الإخبار بالحكم الشرعي للنازلة. تعتبر الفتوى عنصرا مهما من عناصر التواصل بين الفقهاء وأفراد المجتمع، حيث كانت المراسلات لا تنقطع، والأسئلة تترى على الفقهاء من العامة في كل نازلة أو حادثة تطرأ على المسلمين في جميع مدن وأقاليم الإيالتين، لذلك ظلت الفتوى الشرعية وسيلة من وسائل حفظ الصلات في كل زمان ومكان، وتعد الفتاوى وكتبها مصادر ثرية بالأخبار السياسية والدينية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية بشكل كبير، وتتضمن أيضا الحلول الصادرة من رجال الشرع الذين بلغوا درجة الاجتهاد، وتعكس الفتاوى حرص الناس على التلاؤم بين الدين وما يفعلونه في واقعهم[5]، وتبرز أهمية النوازل في التعرف على المجتمعات من الداخل من خلال وثائقها التي تسجل اهتمامات الحياة اليومية وهمومها ومسائل الخلاف التي استلزمت الرجوع إلى القاضي أو المفتي[6]، لذلك أضحت الفتاوى تشكل إحدى قنوات وآليات الحراك الفكري بين أقطار المغارب، إذ يكاد يكون كل عالم بشؤون الدين والفقه على الخصوص؛ قد جمع بعض الفتاوى التي تقل أو تكثر حسب مكانته، وحسب نظرة الناس إليه وكثرة تلاميذه[7].

لقد ترك العلماء فتاوى عديدة تطرقت إلى قضايا شتى أبرزت من خلالها الواقع المعيش للجزائريين، وعالجت انشغالات المجتمع ومسحت الضبابية والغشاوة التي سعت إلى حجب النور عليه، وهذا في وقت توسعت فيه نشاطات الطرق الصوفية التي حاولت في غالبيتها إبقاء مظاهر التحجر والانغلاق والانزواء، ومن هذه الفتاوى؛ فتاوى تناولت علاقة المجتمع بأهل الذمة؛ وخاصة اليهود من خلال سلوكاتهم المتعدية على الحقوق التي منحها لهم الإسلام، وأظهرت أنّ هذه الطائفة مهما أعطيت من امتيازات تبقى تتحين الفرص للسطو على مكتسبات الغير[8]؛ فالشيخ **محمد عبد الكريم**

---

[1]– الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص 1320.

[2]– ابن منظور: **لسان العرب**، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، مج5، بدار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 3348.

[3]–أمينة مزيغة:"**مصطلح الفتوى**"، مجلة الغنية، العدد 2 و3، مركز دراس لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، مارس 2013م، ص 350.

[4]- الشيباني بنبلغيث:"**أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر لكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 12، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 1996، ص 05.

[5]- الشريف بنبلغيث:"**أهمية وثائق القضاء وسجلاته في كتابة التاريخ الحديث"الوثائق التونسية انموذجا**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 12، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 1996، ص 121.

[6]– فاطمة الزهراء قشي: **مقالات عن قسنطينة**، ط1، منشورات دار مداد، قسنطينة، الجزائر، 2016، ص 8.

[7]. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج2، المرجع السابق، ص 80.

[8]. إبراهيم زدك: **الفتوى عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518–1830م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، الجزائر، 2011-2012، ص 49.

المغيلي (ت. عام 1503م)؛ كانت له نازلة مع يهود توات، حيث أباح دمائهم وأموالهم وجعل الاعتناء بهم أهم من الاهتمام بغيرهم من الكفار[1]، وقد ألزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنيسهم، ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله **العصنوني** قاضي **توات**، وقد ألّف **المغيلي** في ذلك تأليفا راسل فيه علماء **فاس**، **تونس** و**تلمسان** وممن أجاب في المسألة **الرصاع مفتي تونس** و**أبو مهدي الماواسي** مفتي **فاس**؛ و**ابن زكري** مفتي **تلمسان** وغيرهم، وحين وصل جواب **التنسي** ومعه كلام **السنوسي**؛ أمر جماعته بهدم كنائس اليهود؛ وقتل من عارضهم دونها؛ فهدموها [2].

ومن العائلات التونسية التي برزت في ميدان الفتوى خلال الفترة الحديثة عائلة **سعيد قدورة** التي توارث هذه الخطة، وأدت دورا بارزا في تنشيط المدرسة المالكية ودعم حضور مذهبها في مجالس الفتوى والقضاء في مدينة الجزائر وداخل هيئة المجلس العلمي، وهذا حفاظا على استمرارية المذهب؛ وتفعيله في واقع الناس ليجدوا من يلجئون إليه ليستفتوه في قضاياهم[3]، ولم يكن يستفتى مشايخها من أبناء الحاضرة فحسب بل كانت ترد إليها النوازل من مختلف مناطق البلاد كقسنطينة، وهو ما أشار إليه الشيخ **محمد بن عبد الكريم الفكون**(ت. 1702م)؛ الذي أورد في نوازله اجابات للكثير من القضايا التي وصلت مشيخة الأسرة من المدينة، فقد سئل الإمام العالم المفتي سيدي **سعيد قدورة** في مسألة حق الشفعة للغائب أو الجاهل ببيع حقه، وأجاب العالم المدرسي الإمام الخطيب –سعيد قدورة– أيضا إلى جانب الشيخ الإمام العلامة المفتي بالحاضرة التونسية **سيدي محمد المسراتي** عن نازلة تتعلق بمسألة دخول ولد البنت في الحبس[4].

ومن الفتاوى التي ازدادت انتشارا وشهدت إقبالا كبيرا من شرائح المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية؛ الفتاوى الفقهية المتعلقة بالوقف كظرفية ارتبطت بالحقبة، من ذلك مسألة حبس تخص أسرة الفكون؛ قام" **العم قاسم الفكون**"بتأسيسه سنة 963هـ/1555م، وتتعلق النازلة بمحاولة فسخ الحبس بين المحبس والأحفاد وهم أبناء **قاسم** وأخيه للأب **عبد الكريم** (دفين المويلح)، وتبين هذه المسألة محاولة ورثة قاسم الفكون الاعتراض على الحبس لشرط إضافة في النص وأمكن تأويله، ومنهم طالب بحق أخيه المتوفى عن غير عقب، ومنهم من يرى ضرورة فسخ الحبس لتراجع أحد الشهود في رسم التحبيس ...وهذا بعد وفاة عبد الكريم الجد دفين المويلح سنة 988هـ/1680م أي بعد خمسة وعشرين عاما من تأسيس الحبس...إذ جاء في **كتاب النوازل**: "**مسألة بين الشيخ الفكون وأبناء عمه.نازلة من الأحباس** فسئل عنها فقهاء **مصر** و**تونس** و**فاس** وغيرهما، **نزلت بالجد العبد الفقير إلى الله محمد بن عبد الكريم الفكون دفين قلعة المويلح وأولاد عمه فيما حبسه العم قاسم– رحم الله الجميع– نص الحبس باختصار: الحمد لله، بعد أن استقر على ملك الشيخ الفقيه العالم العلامة المؤلف أبي زكريا يحيى، جميع كذا وكذا وكذا داخل بلد كذا وخارجها،أشهد الشيخ المذكور أنه حبس جميع ما استقر على ملكه من الأماكن المذكورة، والمشار إليها**

---

[1]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 130.

[2]. احمد بابا التنبكتي: **المصدر السابق**، ص 576-577.

[3]–لطيفة حمصي : **المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122–1246هـ/1710–1830م**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر 02، 2011-2012، ص 95-96.

[4]– محمد بن عبد الكريم الفقون: **كتاب نوازل قسنطينة**، تح وتق هواري تواتي، عائشة بلعابيد، ط1، دار الزيتون للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2018، ص 229، 533-536.

كاملها ومشقصها على ولده فلان القريب عهد بالبلوغ، وشقيقتيه فلانة وفلانة الصغيرتين في حجره وتحت ولاية نظره، وعلى ابنته فلانة وعلى فلان وفلان ولدي أخيه لأبيه، الفقيه العالم العلامة الخطيب البليغ أبي محمد عبد الكريم، الصغيرين في حجر والدهما المذكور وتحت ولاية نظره، وعلى كل ولد يحدث له ولأخيه المذكور بقية عمرهما، ذكرا أو أنثى وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا...ومن مات من الذكور كان حظه لعقبه إن كان له عقب، فإن لم يكن له عقب كان ذلك لإخوته...وأذن لأخيه عبد الكريم المذكور في حوز ذلك عنه للمحبس عليهم المذكورين، وللعقب والمرجع وعلى إشهاد المحبس المذكور... عام ثلاثة وستين وتسع مئة...قيد ذلك بتاريخ أواسط شوال عام خمسة وستين وتسع مئة... هل الحبس صحيح ولا مطعن لأحد فيه، أم فاسد ويكون اشتراك المحبس المرجع إليه، بعد انقراض المحبس عليهم مبطل للحبس مطلقا؟ وهل أولاد عبد الكريم إذا طلبوا أولاد قاسم المحبس المذكور أن يحاصصوهم، بأنصبة إخوتهم الذكور الذين ماتوا عن غير عقب؟ وهل رجوع أحد شهيدي الحوزبعد وضع شهادته ومضي خمسة وعشرين عاما...لا يقبل منه لكونه منتصرا لأولاد المحبس، ولأن بينه وبين المقوم عليهم عداوة...هل يكتفي بالشاهد الواحد في الحوز...أجيبونا عن كل فصل يليق به من إقناع الخصم، تؤجرون وترحمون، والسلام عليكم"[1].

استمرت القضية 20 سنة من اليوم الذي رفعت فيه أول مرة إلى آخر جواب ورد من مفتي الحضرة الفاسية **محمد بن بلقاسم الفاسي القصار** سنة 1009هـ/1600م، ولمعرفة معطيات هذه القضية فقهيا توزعت الأجوبة جغرافيا بين قسنطينة والجزائر والقاهرة وفاس مرورا بتونس، حيث تم عرضها على أربعة عشر عالما من بينهم ثلاثة من علماء الحضرة التونسية لم يذكروا بالاسم واكتفى بتقديم نصوصهم الثلاثة تحت عنوان "**وتقيد بعقبة أجوبة مشيخة حضرة تونس حرسها الله**". "**وهذا تقييد بعقبه أجوبة مشيخة حضرة تونس–حرسها الله–: نص الأول:** الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ... فقول الشيخ المجيب رحمه الله: ولا يشترط معاينة البينة التحويز على المشهور بخلاف الرهن صحيح... ويجوز الحبس على أن تكون حيازته بعقد الكراء أو المزارعة... وشهادة الشاهد الواحد في الحوز كافية ... والله تعالى أعلم، وبه التوفيق. **ونص الثاني:** الحمد لله، ما أجاب به **الشيخ المفتي** يمناه رحمه الله تعالى، والشيخ المفتي أمامه صحيح، وبمثله أجيب، والله أعلم وبه التوفيق. **ونص الثالث:** الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، الجواب المنسوخ يمناه من الشيخ العلامة، وتصحيح الشيخين المفتيين له، بأن الحبس إذا شرط محبسه فيه الرجوع بعد انقضاء من حبس عليه، فهو صحيح ...وكذلك الحوز بالشاهد الواحد كاف... والله تعالى أعلم وبه التوفيق... وآخر من أجاب العلامة مفتي الحضرة الفاسية السيد محمد بن بلقاسم القيسي القصار ... في **ثاني صفر تسعة وألف سنة...**"[2].

ويبدو أن الشيخ المفتي **أبو القاسم بن عظوم المرادي** من بين هؤلاء المشار إليهم، وقد أشار إلى ذلك في أجوبته "**وقد وقفت في ما قرب على جواب لبعض فقهاء قسمطينة في نظير النازلة**"[3]، ويذكر في معرض آخر أن الفقيه

---

[1]– محمد بن عبد الكريم الفقون: **كتاب نوازل قسنطينة**، المصدر السابق، ص 418–422.

[2]– محمد بن عبد الكريم الفقون: **نفسه**، ص 423–448.

[3]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج6، ص 352.

محمد بن عبد الكريم ابن الفقيه القاضي يحيى الفكون قد بعث سؤالا من قسنطينة إلى حاكم تونس **الباشا خضر** بتاريخ 996هـ/اواسط أفريل 1588م في خلاف حول تركة لبني الفكون، وقال في كتابه للباشا " **لا يجاوبنا فيه إلا الأندلسي أو ابن عظوم**"، فامتنع الفقيه **الأندلسي** لعذر أبداه، و طلب الباشا من ابن عظوم الجواب عنه، فامتثل[1]، ذلك أن الشيخ المفتي ابن عظوم من الشخصيات التي أسهمت بشكل كبير في معالجة قضايا ومشاغل سكان وأهالي الإيالتين [(2)]، إذ نجده يتحدث عن سعة اطلاعه على الوثائق وشهرته في الآفاق، إذ تصله الاستفتاءات من غالب بلاد إفريقية، فيقول:" **يأتون بنسخها لاستفتائي في ما يعرض لأهلها فيها من الخصومات كوطن طرابلس وجربة وقرقنة والمحرس وجبال مطماطة وقفصة وتوزر وعمالتها وسوسة والمنستير وصفاقس وعمالتها والقيروان ثم الجزائر وقسنطينة وبسكرة وبونة وغيرها**"[3]، ذلك أن الرجل متمكن في مادته، ولا غرابة أن اعتمده الناس واستفتوه في قضاياهم، وخاصة أهل العاصمة والأقاليم القريبة منها، فقد استفتاه بعضهم من أماكن بعيدة نسبيا مثل عنابة والجزائر كما سئل ابن عظوم من تبسة، وعرضت عليه فتاوى من قسنطينة[4]، ويقدم لنا استفتاء من **تبسة** مؤرخا في أوائل ذي القعدة عام 1001هـ/ جويلية 1593م في عدة رسوم تعمير؛ أقدمها هو تعمير **سعيد بن موسى بن عمر الياناشي** ولديه **موسى** و**أحمد جنانا** في حومة **باب شالة** من بلد تبسة[5].

ومن الشخصيات التي كان لها حضور فاعل في الفتوى الفقيه **أبي زكرياء ابن محجوبة القسنطيني** الذي تعاطى المنصب الشرعي؛ حيث تولى رئاسة الفتوى وتقلد خطة القضاء ببلد قسنطينة ونازع فيها القاضي **محمد الكماد**، ويذكر **الفكون** أنه قرأ على عمه الشيخ **قاسم** إلا أنه لم يتقن ما قرأ عليه، ومع ذلك كانت له نباهة بالأمور الشرعية في الفتوى دون غيرها من الفقهيات، فقد أسهم زمن حلوله وإقامته بالحاضرة التونسية مع ذهابه أو أوبته من تأدية مناسك الحج رفقة **أبي العباس حميدة الغربي عام 995هـ/1587م**[6]؛ في الإجابة على الكثير من القضايا والمسائل الدينية التي شغلت بال العامة والمرتبطة في أغلبها بالمواريث والأحباس، حيث قدم جوابا أطال فيه حول سؤال من **أولاد بلعيد الكماد** يتعلق بحبس ثبت بوثيقة بعد بيع حصل زمن تلك الوثيقة بتاريخ 994هـ/اوائل مارس1586م؛ إذ يقول ابن عظوم "**وأجاب عنه الفقيه يحيى ابن محجوبة وقت إقامته بتونس...**"[7] ، كما عقد فيها عقدا بقسمة رباعية في نص لوصية معقدة من التاجر **قاسم بوعشور السوسي** التي تعود في تاريخها لعام 986هـ/جويلية 1587م[8]، وأجاب عن

---

[1]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر نفسه**، ج5، ص 290.

[2]- **أبو القاسم بن محمد بن عظوم المرادي**: ينتمي إلى أسرة العظاظمة التي اشتهرت بالعلم في المجتمع التونسي وفي مدينة القيروان خاصة، ولد عام 930هـ/1523م، تولى منصب الافتاء في تونس عام 1574م وهو صاحب كتاب الاجوبة.

[3]- محمد الحبيب الهيلة: **المفتي أبو القاسم عظوم في عصره "لمعة نور في عصر أفل"**، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009، ص 48.

[4]- احمد قاسم: **ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوي ابن عظوم (1574-1600)**، المرجع السابق، ص 43.

[5]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج4، ص 330-345.

[6]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص ص 63، 78.

[7]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج5، ص 411.

[8]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **نفسه**، ج4، ص 30.

مسألة طويلة وقع فيها الخلاف حول جنة مشجرة بالتين والزيتون تقع بظاهر سوسة[1]، والملاحظ أن **ابن عظوم** قد تهجم على زميله في (الإفتاء)" **ابن محجوبة**"، ونسف أجوبته نسفا، وذكر أنه على باطل ورماه بالجهل، وأنه لم ينل الإفتاء عن جدارة واستحقاق حيث اتهمه بأن تحصيله على الإفتاء لم يكن نتيجة الكفاءة العلمية :" **لكن ابن محجوبة الجهول الغمر لم ينل درجة الإفتاء إلا بالعليطية، لا بأدنى شبهة من أهلية، فهو خابط خبط عشواء وحاطب ليل على نفسه وعلى مستفتيه بالبلوى**"[2]، كما رماه بعدم معرفة الكلام العربي، إذ يقول:" **وقد دل تركيب كلامه هذا إلى آخر جوابه هذا على جهله التام، بمعاني تراكيب الكلام ومدلولات الألفاظ**"[3]، وقد يعزى التهجم بالدرجة الأولى أحيانا إلى سوء العلاقة بين الفقهاء نتيجة تنافسهم على الشهرة؛ وكثيرا ما أبدى ابن عظوم في مناسبات متعددة إعجابه بنفسه واحتقاره لغيره؛ حتى انه كان يرى عدم وجود مثيل له في الإحاطة بالعلوم الشرعية[4].

ومن النوازل ما تعلق بالحياة الاجتماعية؛ كالفتاوى التي عالجت قضية **شرب الدخان والحشيشة** التي اختلف العلماء في حكمها وطال بينهم النزاع وكثرت المؤلفات في ذلك؛ حتى وصلت في القرن 11هـ/17م نحوا من ثلاثين تأليفا[5]، منها كتاب للشيخ **عبد الكريم الفكون**؛ والموسوم بـ: (**محدد السنان في نحور اخوان الدخان**)، وقد كان فيه أكثر جرأة ووضوحا وثورة على تعاطي شرب الدخان؛ فتحرك بالرد على من يحلونه فقال عنهم بأنهم لم يراعوا أحكام الشرع ومصلحة الأمة، فمفتي القيروان أباحه لأنه خدمة للأمير، وفي جانب آخر استند أيضا إلى العلماء الذين يحرمونه واستشهد بأقوالهم، منهم **أبو الغيث القشاش** من تونس الذي نقل عنه أنه أفتى بتحريمه قائلا:(أقول بما قال به المفتون من تحريمه وأفتي بما أفتوا به)[6]، وهو ما يؤكده **العياشي** في رحلته حيث يشير إلى أن مفتي **القيروان** المسمى **جمال الدين** الذي خدم بفتواه– حلية تعاطي الدخان– حضرة أمير إقليمه إذ ذاك... وأنه– **أي العياشي**– لم يأخذ بشأن المسألة بداية تهاونا إذ ذاك؛ لما شاهده من كثرة تعاطي الدخان وحال شاربيه[7]، وقد اعتمد في فتواه بإباحته مستندا إلى أنه من الجمادات وكلها طاهرة ، وأن أصله ورق فهو من النباتات التي لا حرج في استعمالها، وهذه مقتطفات من جواب المصنف عن **مفتي القيروان** في قوله بإباحة شرب الدخان:" **وكنت اطلعت أول ما فشى شربه– أعني الدخان– بهذه البلدة على جواب فيه يذكر أن لمفتي القيروان، خدم به حضرة أمير إقليمه إذ ذاك، طال عهدي به، ولم آخذ فيه بالحزم... لما لم أظن مصير أمر الدخان إلى ما شاهدناه من كثرة تعاطيه وحال شاربيه...أنه اعتمد في فتوى إباحته، وأغرب في إنكار معارضها، واستند أنه من الجمادات وكلها طاهرة إلا ما استثني، وليس هذا منها. وفي**

---

[1]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر نفسه**، ج5، ص 242.

[2]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **نفسه**، ج5، ص 255.

[3]– أبو القاسم بن عظوم المرادي: **نفسه**، ج5، ص 269.

[4]– احمد قاسم: **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم**، المرجع السابق، ص 150.

[5]– حاج بنيرد: **قضايا التأليف في القرنين الحادي عشر والثاني عشر عند المغاربة وميزاتها**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 77، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 2012، ص 96.

[6]– عبد الكريم بن محمد الفكون: **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، تع أبو عبد الرحمن محمود، ط1، منشورات سيرتا، قسنطينة، 2017، ص62–63.

[7]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج2، ص 510.

ظني إلى أنه لجأ إلى أن أصله ورق، فهو من جملة النبات الذي لا حرج في استعماله... ثم هذا المفتي ممن نقل عنه شربه واللهج به في مواطنه وجمع الناس عليه في مسكنه، وإجماعه مع الناس على ذلك! ولعمري إن ثبت عنه ذلك، فلقد أضل بفعله أكثر من قوله، والعوام هوام، ... ثم ما اعتمده دليلا لا ينهض في صحة مدعاه لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى"[1]، وفي المقابل نجد شيخ الإسلام **عبد الكريم الفكون**(ت.1072هـ/1622م) يثني على فتوى الشيخ **أبي الغيث القشاش**(1031هـ/1622م) في مسألة تعاطي الدخان[2].

وقد ركب الشيخ **عبد القادر الراشدي** في تحريمه للدخان –متبعا خطى شيخه الفكون– جواد المبالغة في استقباحه؛ حين استنجد بقول الشيخ **اللقاني** عن جماعة من الأولياء أن الحشيشة تنسي الشهادة عند الموت، وقد أشار إلى أحد التونسيين الذي صرح في نظم له بحرمتها بكونها مفترة؛ وإن ما يضعف حكمه في الدين الحرمة....[3]، وحول مسألة التدخين أيضا؛ نجد **محمد بن راجعون التونسي** وهو من علماء القرن 11هـ/17م (لم نقف على تاريخ وفاته) له **رسالة في الترخيص باستعمال الحشيش (التبغ أو الدخان)**، وقد رد عليه من علماء بونة **قاسم بن عيسى الويشاوي**[4]؛ وهو من أبرز شخصيات بونة الفكرية والدينية والأدبية الذي انتصب للإقراء والإفتاء، وكان من أهل المشورة والنفوذ الروحي، إذ يقول **صاحب الدرة المصونة**[5]:

وبالإمام قاسم الويشاوي********** أكون في الحفظ ليحيى الشاوي

وهو الذي شهر بالرد على ********** التونسي بن راجعون ذو العلا

فقاسم يحرم الحشيشة **********والتونسي يبيحها الخسيسه

وقد استفتى الشيخ **أحمد برناز** (**1663–1726م**) أثناء إقامته بزواوة مع المالكية–الذين يقولون بالرخص والعزائم–عام 1695م؛ الشيخ العلامة الإمام **مصطفى الجنيني الجزائري** في نازلة فقهية تتعلق بالجمع بين المغرب والعشاء ليلة الطين والمطر[6].

وفي المقابل نجد بعض الفتاوى التي تخص **مسائل الجنايات؛** من بينها قضية قتل نفس أجاب عنها القاضي الشيخ **علي شعيب الباجي**(1698–1756م) الذي تعاطى التدريس وبرع في علمي التوثيق والنوازل؛ زمن الباي **حسين بن علي** مؤسس الأسرة الحسينية؛ الذي قلده الأمير منصب القضاء بالمحلة لمنصورة، واتخذه لفك الخصومات بين يديه[7]، وقد فر الشيخ المذكور إلى الجزائر واستوطنها لما دخل **علي باشا** تونس عام 1735م، وأثناء إقامته عرضت عليه العديد من المسائل منها نازلة لها علاقة بأحد أقارب **الدولاتلي** الذي قتل نفسا؛ وحكم الشرع عليه بالحد، فأخذ الداي يسأل العلماء في قضيته لأجل أن يحكموا له بالدية لا بالقتل، فلما جاء **محمد باي بن حسين بن علي** مسلما سأله الداي

---

[1]- عبد الكريم بن محمد الفكون: **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، المصدر السابق، ص58–59.

[2]– المنصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 18.

[3]– عبد القادر الراشدي القسنطيني: **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997، ص 135

[4]– حسن حني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج2، المرجع السابق، ص825.

[5]– أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، المصدر السابق، ص 96–97.

[6]– أحمد برناز: **الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة**، المصدر السابق، ص 212.

[7]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 259.

إن كان يعلم أحدا من العلماء الأفاضل بتونس؛ فيبعث **لعلي باشا** أن يرسله عسى أن تكون له فتوى؛ لأن أمه قد أعيته من كثرة البكاء بين عياله، فأخبره عن الشيخ **علي شعيب** النازل عند عرش **نهد**، وأشار إليه أن يرسل أمرا إلى باي قسنطينة؛ الذي يبعث أمره بدوره إلى قائد عنابة، فإذا وصله بعثه إلى عرش نهد، وأرسل مع أمر الداي؛ أمرين من **محمد باي** واحد إلى شيخ نهد والآخر إلى قاضي والده حسين باي... فوصلت الأوامر في أقرب مدة إلى شيخ قبيلة نهد الذي جهز صهره وعجل بمسيره، فطوى الشيخ **شعيب** المراحل إلى أن وصل مدينة الجزائر، فأنزله **محمد باي** داره، وبعد الضيافة عرض عليه صورة قتل الولد النفس وحكم الشرع عليه بالقتل، وأن الداي متلهف على طالب علم يجده عنده فتوى في عتقه ويعطي في دية المقتول ولو ألفا، فطلب الشيخ علي شعيب الوثائق التي فيها صورة قتل الولد، فبعث محمد باي فجاؤوه بها، فأخذها الشيخ وتأمل فيها، ثم عاد بعدها إلى أحد المؤلفات الموجودة في إحدى خزائن الكتب، وأقام الشيخ الكتاب المرغوب ونظر فصوله إلى أن وجد قضيته .. وبانعقاد المجلس؛ ترددت الوثائق بين القاضي وشهوده وحكموا على الولد بقتله، فعندها تكلم الشيخ **علي شعيب** وجادلهم، وفي القضية باحثهم، فأنكروه، وأخبروه أن المسألة لا مخرج منها إلا إذا كان عنده فيها نص يقدمه، فأخرج لهم الكتاب من تحت ثيابه وأمرهم بالنظر في فتاويه وأحكامه، وسكت كل من حضر المجلس وحكم الشيخ **شعيب** بالدية على الولد حين اتهموه بقتل النفس، وتفرق المجمع والكل يقول: **"القاضي شعيب حكمه مصيب من غير عيب ولا ريب"**[1].

واغتنم الشيخ الورثيلاني فرصة تواجده بقابس وأجاب طلبتها على بعض القضايا والمسائل الدينية والعلمية؛ إذ يقول" **...مع صلحاء قابس وفضلائها وعلمائها، وقد اجتمعوا معنا وطلبوا منا البحث في بعض النوازل من مشكلات الفنون وقوانين العلوم، فأسعفتهم على ذلك بحسب ما فتح لي من الوهب الرباني والمنح الفرداني، فزادهم ذلك حسن ظن واعتقاد وعجبا من الله حيث لم ينقطع مادة الفتح والوهب اللدني...غير أنهم استقلوا مدة الإقامة عندهم ليشفوا عليهم ويبردوا غليلهم، فلم ترتفع وحشة الاتصال من قلوبهم خوفا من الفرقة...**"[2]، كما كان الوزير **حمودة بن عبد العزيز**(ت. 1202هـ/ 1788)، ممن حرر مسائل كلامية وقع خوض علماء زمنه فيها، منها مسألة كاتب فيها بعض علماء قسنطينة علماء جامع الزيتونة فأجابوا عنها، وكان ممن أجاب عنها إلى جانب الشيخ **أبو الفداء إسماعيل التميمي**(ت.أكتوبر 1832م)[3]؛ -من علماء الأمة الذي قدمه الباي التونسي**حمودة باشا** للشهادة، ثم قلده خطة القضاء عام 1806م فالفتوى في مارس 1816م ثم أعيد إلى القضاء، وكان آية في الحفظ والثبات؛ آخذا مآخذ المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية بمداركها وأصولها الشرعية-، وكان يستفتى من حاضرة العلم **فاس ومن قسنطينة والجزائر وطرابلس ويجيب بالكتابة**[4]، فقد حرر في هذا الشأن رسالة ساير فيها **أحمد بن عمار الجزائري** (1709-1791م) مفتي السادة المالكية في نازلة من نوازل الأوقاف[5].

---

[1]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 30-44.

[2]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 302.

[3]- محمد النيفر: **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**، ج1، ص 623.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 12.

[5]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، مج2، ص 1000.

ومن الفتاوى الفقهية أيضا ما ذكره العلامة المالكي **أبي راس الناصري** عندما كان في **تونس**، ومنها أنه ورد عليه سؤال تعلق بحكم الشرع فيمن انتقل من مذهب غلى مذهب، ومن انتقل للاجتهاد، ومن كان يفتي بالمذاهب الأربعة، وعمن قلد غير الأئمة الأربعة-رضي الله عنهم-، حيث أشار إلى موافقة الشرع على انتقال المسلم من مذهب إلى مذهب آخر لكن ضمن نطاق المذاهب الأربعة، وهو ما أجمع العلماء على العمل به، فأورد **أبي راس الناصر** في ذلك أقوالا لعلماء منها أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني جاء في قوله:"**لم نعترض على من تمسك بمذهب من مذاهبهم، ولا على من انتقل من مذهب إلى مذهب، ولا على من قلد غير إمامه في أوقات الضرورة...**"[1]،كما سئل من قبل جماعة من الطلبة في مسألة فقهية، فحواها أن إماما صلى بالناس ناسيا الحدث، والمأمومون لم يكونوا على علم بذلك، حتى إذا أنهى الصلاة علم بذلك فهل الصلاة صحيحة؟ فأجاب **الناصري** بأن الإمام يعيد صلاته، أما المأمومون فلا إعادة مترتبة عليهم أصلا، وأضاف أن الإمام إذا لم يتعمد الحدث والمؤتم ما كان على علم بذلك، فالصلاة صحيحة للمؤتم[2]، كما أن للشيخ المفتي **محمد ابن العنابي**(1770-1851) صاحب **السعي المحمود**؛ فتاوى كثيرة كان يبث عن طريقها أفكاره الإصلاحية، وقد نقل عنه هذه الفتاوى علماء الجزائر وعلماء تونس وعلماء مصر وغيرهم، ذلك أن الرجل كان متمكنا في علوم الدين، حافظا، عميق المعرفة، تولى مناصب دينية عديدة كالفتوى والقضاء والتدريس والأوقاف ونحو ذلك، منها أجوبة على ستة أسئلة وجهها إليه بعضهم من بلاد الروم، ويغلب على الظن أنهم من النصارى، وتوجد نسختين من هذه الأجوبة إحداها مكتوبة بخط تونسي جيد، ولعله خط الشيخ **محمد بيرم الرابع**، وقد فعل ذلك في جوابه على جواز تقليد العامي للعالم، وعلى حلية الصيد بالرصاص والرش، وعلى منع المرأة من مؤاخاة الأجنبي عنها، وعلى تجويز ربط العلاقة بين المسلم والذمي، وأخيرا معالجته الميت المتطور في شكل شيطان في بعض البلاد[3].

عبرت النوازل التي وجدت في زمانها للدفاع عن قضايا ظرفية أو تهم الخلف؛ وكان البت فيها يرجى منه صلاح الأمة والدين، وهي بالتالي انعكاس عفوي وصريح للمشاكل اليومية، وتعبير على العادات السائدة وممارسات الأفراد ومعتقدات الجماعة في ظل ظروف اقتصادية وسياسية سائدة، ومجرد لجوء العلماء إلى طلب الفتوى من خارج موطنهم لدليل على تفتحهم لما يدور في تلك الديار في مجال علوم الدين وإقبالهم على المعرفة، فتكون النوازل- التي تتطلب وقتا طويلا ومعرفة دقيقة بخلفيات القضايا المعروضة-[4]، فهي مرآة عاكسة لواقع الحياة الاجتماعية والفكرية؛ مع ورود الكثير من ردود الفقهاء من مختلف حواضر الإيالتين، والتي أسهمت في تطعيم وإثراء المناقشات السائدة حول مسائل فقهية تمس الحياة اليومية لساكنة البلدين، أكدت أهمية التمسك بالشرع وسريان أحكامه، حيث عالجت هذه الفتاوى على اختلافها وتنوعها قضايا وانشغالات مجتمعية؛ ارتبطت بالعديد من التساؤلات والاستفسارات حول نوازل مختلفة؛ شغلت بال

---

[1]- أبوراس الناصر: فتح **الإله ومنته**، المصدر السابق، ص155-158.

[2]- أبوراس الناصر: **نفسه**، ص 117.

[3]- أبو القاسم سعد الله: "**من آثار ابن العنابي**"، مجلة الأصالة، العدد 40/39، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1976، ص 91.

[4]- فاطمة الزهراء قشي: **مقالات عن قسنطينة**، المرجع السابق، ص 18.

العامة عموما والنخب على وجه الخصوص، ففتحت الباب واسعا للاجتهاد والأجوبة وتبادل الآراء المختلفة للبت فيها، وكانت إحدى أدوات التقارب التي حافظت على روابط الاتصال وآليات استمرارها؛ حيث كانت بحق إحدى القنوات والمسارب التي اتخذها الحراك الفكري بين النخب العلمية للإيالتين؛ أكدت بما لا يدع مجالا للشك على عمق تاريخية الصلات ومتانتها واستمراريتها بين شعوب أقطار المغارب عامة، وبين علماء وفقهاء المنطقة بوجه خاص؛ كوجه آخر من وجوه الحضور الفكري في ظل الدينامية القائمة بين هذه الفئات المثقفة من علماء المنطقة، ومنه يتراءى لنا أن الحراك الفكري للصفوة الهادف إلى معالجة شتى المشاغل والبت في مختلف القضايا والمسائل التي تعترض أفراد الايالتين؛ كان في ديمومة وحركية حثيثة في أغلب الفترات كملمح من ملامح الصلات الفكرية القائمة بين علماء القطرين.

سادسا–حراك النخب في رحاب ركب الحج:

تعتبر رحلات الحج من أهم طرق الاتصال والارتباط الفكري بين الإيالتين؛ أو بشكل عام مدرسة تثقيفية في حياة الفرد والمجتمعات؛ من خلالها يستطيع الفرد الاطلاع على ثقافات الغير وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم ودياناتهم، فلا غرابة إذا مارست النخب العلمية منذ وقت مبكر الرحلة إلى الأمصار الإسلامية بحكم الجوار والقربى[1]، إذ يعد طريق الحج المغاربي أكثر ازدحاما بقوافل الحجاج سنويا في اتجاه واحد لا يتغير؛ تلتقي فيه الوفود من كل حدب وصوب من قرى بلاد المغارب ومدنها؛ فتنمحي الحدود والجنسيات أمام ذلك السيل المتدفق ذهابا وأوبة، وتندمج في حركة روحية واجتماعية واحدة[2]، حيث يعبر آلاف الحجاج سنويا في اتجاه واحد لا يتغير في طريق يزدحم بالقوافل حتى أنه يسمى بـ"**المحجة الكبرى**"، **وفي ظل هذا الحراك المقدس تتماهى ركائب حجيج بلاد المغارب على غرار الركب الفاسي الذي يجتاز الجزائر العاصمة وقسنطينة حيث ينضم إليه الركب الجزائري ليتوقف بتونس والقيروان في رحلة تستغرق قرابة العام للظفر بتحقيق شرف لا مثيل له وهو زيارة قبر خير الأنام[3]، لذلك تعتبر قافلة الحجيج المغاربة التي تقود المسلمين إلى مكة والمدينة– حيث تتجمع وتتضخم بحجيج أقطار المغارب– أهم قافلة في موسم الحج الأعظم**[4].

تعد إيالة تونس من أهم المحطات التي يقف بها طالب العلم وقاصد الحج وقوفا إلزاميا ليستكمل مساره العلمي، لذا حفلت أدبيات الرحلة الحجازية بأوصاف لتونس وساكنتها وزواياها وجوامعها على غرار الجامع الأعظم"الزيتونة"، والتنويه بمشايخها وعلمائها،كما رصدت مظاهر التواصل الثقافي بين النخب العالمة؛ الذي أثمر رصيدا فكريا متميزا[5]؛ كان من دعائم وحدة الفكر وعاملا من عوامل التقارب بين الجزائر وتونس، حيث كان الكثير من الحجاج العلماء أو المتعلمين يمرون قصدا على **المدن والزوايا ليتزودوا بالعلم أو يعلموا، ويتصلون ببعض العلماء فيها، ومنهم من يبقى شهورا**

---

[1]– نعيمة بوبكر يديمي: **المرجع السابق**، ص 33.

[2]– الشيباني بنبلغيث: **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، ط1، دار نهى، صفاقس، تونس، 2008، ص 104.

[3]-Mohamed Amine El Bezzaz : **« La chronique scandaleuse du pèlerinage Marocain à la Mecque au 19e siècle »**, HespérisTamuda, Vol 20-21, Université Mohamed 5, Maroc, 1982, P 319-320.

[4]– لوسات فالنسي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 75.

[5]– يسمينه زمولي: **علماء جزائر القرن التاسع عشر مسارات ومواقف**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 2018–2019، ص 145.

يستمع لدروس العلماء خاصة في المراكز العلمية المشهورة كجامع الزيتونة، وتبعا لذلك كانوا ينقلون الكتب والمخطوطات إلى بلدانهم؛ **حتى اعتبرت رحلات الحج أكبر وسيلة لنقل الكتب والأفكار**، لذلك اعتبر البعض **رحلة الحج مدرسة علمية على ظهور الجمال**[1]؛ نظير ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية الواقعة على طريق الحج، وما يتخللها من شراء للكتب ونسخ للمخطوطات، واتصال مباشر بالمشايخ والعلماء والمتصوفة، حيث تكون العلاقات الأخوية الودية بين الحجاج الجزائريين وأهالي تونس الذين يستقبلونهم ويكرمونهم؛ ويفتحون معهم الحديث حول المسائل الفقهية والدينية[2].

لقد مثل هذا الموسم فرصة كبيرة لحجاج الجزائر لزيارة تونس عند مرورهم بها ذهابا وإيابا والالتقاء بعلمائها والتعرف على مرافقها العلمية والثقافية، وإن انطلاق ذلك السيل من الحضريين والريفيين القاصدين كل سنة بيت الله الحرام وازدهار فن الرحلة والاتصالات الثقافية التي تتم بمناسبة الحج "**ملتقى المثقفين القادمين من سائر العالم الإسلامي**" لأقوى العوامل على التواصل الإسلامي؛ وعلى حد تعبير **أندري ريمون** أن حج بيت الله الحرام عبارة عن "**مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي**"، وقد تجسدت روح التضامن بين حجاج تونس والجزائر من خلال اشتراكهم في رحلات متحدة نحو الشرق، وقد عرف سكان تلك المنطقة ذلك التضامن الذي كان يحدوهم بوجه أعم وشعور أعمق وقد كان المشارقة يسمونهم بلا تمييز "المغاربة"[3]، وكان الحجاج يكرسون جهودهم للاستفادة العلمية عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية الواقعة على طريق الحج-وكانت تونس أولها بالنسبة الجزائريين-أو عن طريق شراء الكتب والمخطوطات للاستفادة منها أو الاتجار بها وذلك فضلا عن ربط الصداقات والاتصال المباشر بين مختلف العلماء ومشايخ الطرق الصوفية والمريدين من الحجيج[4]. لقد كانت قوافل ركب الحجيج الجزائرية المارة بالمحطات التونسية من قرى ومدن (الكاف، توزر، قابس،قفصة، جربة، تونس...)؛ وراء انتشار حركة التأليف والنسخ واقتناء الكتب، حيث كانت تونس بحق معبرا ومدرسة للجزائريين؛ الذين يتصلون بعلمائها ويتبادلون معهم التآليف والإجازات ونحو ذلك[5]، وكانت رحلات الحجيج المتواصلة من الحلقات المهمة التي أسهمت في ترسيخ جذور التواصل بمختلف أشكاله، ولعل التواصل الثقافي أهم حلقة فيه؛ لأن ركب الحجيج كان يمثل مدرسة قائمة بحد ذاتها، تشمل جميع التخصصات وجميع المستويات والأعمار، ولا يخلو ذلك الركب المبارك من عقد الحلقات العلمية أينما حل وارتحل، زيادة على عمليات البيع والشراء، ونقل الأخبار المختلفة بين حواضر ومدن المغرب الأدنى، وكان الحجاج عند عودتهم إلى بلادهم يخبرون الناس عن الطرق التي سلكوها، والأحداث التي صادفوها، وكان النابهون منهم يدونون مشاهداتهم، فيصفون رحلاتهم تسجيلا لفضلهم، وهداية لغيرهم[6].

إن مؤسسة الحج هي القناة الوحدوية التي غالبت ضروب التفتت السياسي والاختلاف المذهبي والتباين الاجتماعي واللغوي، فقد ظلت تؤدي دورها بانتظام سنوي مطرد، تجمع الشتات، وتعمق التواصل، وتغذي ثراء

---

[1]- الشيباني بنبلغيث: **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص 118-119.

[2]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 26.

[3]- لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، المرجع السابق، ص 115-116.

[4]- دلندة الأرقش: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 290-291.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ **الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 294-295.

[6]- عبد الله إنبية المعلول: **التواصل الثقافي بين مدن إفريقية خلال عهد الدولة الحفصية**، المرجع السابق، ص 101.

التنوع الثقافي بين مختلف البيئات[1]، ومادامت تونس محطة رئيسية في طريق الحجيج الجزائريين في الذهاب والأوبة؛ فقد كان الركب وسيلة حراك العلماء المتجهين إلى الحرم الشريف لتأدية المناسك؛ ومناسبة للاحتكاك يتم في ظلها التبادل الثقافي والعلمي بينهم وبين الوافدين، على اعتبار أن الكثير منهم يحطون الرحال بالحواضر العربية لتحصيل العلم وإقراءه على غرار الزيتونة بتونس[2]، حيث يجد العلماء والطلبة ضالتهم بالوقوف على المراكز الثقافية التونسية وحضور بعض الدروس بها على غرار الجامع الأعظم بالحاضرة، وكانت تونس –كما يقول أبو القاسم سعد الله– معبرا ومدرسة للجزائريين فهم يتصلون بعلمائها ويتبادلون معهم التآليف والإجازات ونحو ذلك[3].

ومن ملامح التماهي في ظل حراك ركب الحجيج ما ذكره الفكون من أن الفقيه **أبي زكرياء ابن محجوبة القسنطيني** الذي تولى رئاسة الفتوى وتقلد خطة القضاء ببلد قسنطينة؛ قد أسهم زمن حلوله وإقامته بالحاضرة التونسية مع ذهابه أو أوبته من تأدية مناسك الحج عام 1587م[4]؛ في الإجابة على الكثير من القضايا والمسائل الدينية، وما أورده **العياشي** في رحلته الحجازية عندما أشار إلى أحد الأولياء التونسيين من أهل الخير والصلاح المسمى **سحراوي**؛ من ساكنة مدينة **توزر**، والذي ذهب لتأدية المناسك وزيارة بيت المقدس، وفي أوبته قدم مع ركب أهل الجزائر، وأشار أيضا في موضع آخر من رحلته إلى أحد علماء الجزائر الذي استوطن البلاد التونسية؛ وهو العلامة الفقيه **عاشور القسنطيني** الذي درّس بجامع الزيتونة؛ والذي ارتحل إلى الحجاز مع أمير ركب أهل تونس **أبو الفضل** مفتي تونس في أبهة وفخامة وهيئة حسنة؛ بجميع أسبابه حاملا معه جميع كتبه، ونوى الاستيطان والمجاورة في تلك البلاد، فلما بلغ طرابلس وقع بينه وبين أهل تونس بعض ما يقع من المسافرين في سفرهم من مراجعة في بعض المسائل؛ فانفصل عنهم وعاد لقسنطينة، حيث التقى به **العياشي** وتبرك به واستجازه فأجازه،كما التقى الرحالة بأمير ركب الجزائر وقسنطينة **عبد الكريم بن محمد الفكون** في حجته عام 1164هـ/ فأجازه الأخير إجازة سلوكية؛ مشيرا إلى مؤلفاته ومنها: **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**[5]، ويشير **الورثيلاني** في أعقاب أوبته من حجته الأولى عام 1153هـ/1740م أن الركب نزل بنفطة الجريد ووجد فيها أفاضل من العلماء والصلحاء، وبتوزر زار **الورثيلاني** الولي **أحمد الزريبي**، ودخل بيت الفاضل سيدي **إبراهيم الخليل**، وفي قفصة زار الشيخ **المنصوري وسيدي أحمد بن نفيس**، أما في قابس فقد زار قبر أبي لبابة واجتمع مع فضلائها من طلبة العلم وصلحاء البلد كالمدرس **سيدي عمر**[6]، وتحدث **الناصري** في رحلته أواخر القرن 18م عن بعض مشايخ الزاب الذين نهلوا العلوم بالبلاد التونسية وخصوا بإجازات من أشياخهم، من ذلك مفتي بسكرة **أبي عبد الله محمد الهادي بن أحمد بن سليمان المصمودي** الذي قرأ بقفصة وأجازه علماؤها كالتاودي **لما مر بها حاجا**[7]،

---

[1]– عمار جحيدر: "**التواصل الثقافي بين ليبيا والمغرب**"، أعمال ندوة"**طرق الحج**" بالقاهرة 25-27 جوان 2002، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-2007، ص 29.

[2]– أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830م**، المرجع السابق، ص 472.

[3]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المرجع السابق، ص295.

[4]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص ص 63، 78.

[5]– أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، المصدر السابق، مج2، ص ص 488، 498-499، 519.

[6]– الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج1، ص 263-271.

[7]– محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص ص 215، 216، 222.

وكما هو الحال مع **الأمير عبد القادر** الذي كان صحبة والده **الشيخ محيي الدين** بمعية الوفد الرسمي لبايلك الغرب المتجه إلى البقاع المقدسة لأداء المناسك عام 1240هـ/1824م، حيث نزلوا في طريقهم بالحاضرة التونسية التي حظي فيها **الشيخ محيي الدين** بالتعظيم والتبجيل من أهلها، خصوصا من علمائها المدرسين، حيث أقاموا أحد عشر يوما عند علمائها وأرباب دولتها؛ على غرار العلامة السيد **أحمد المحرزي**، وبعدها اكترى وفد الحجيج مركبين كبيرين أحدهما ايطالي والآخر انجليزي لمواصلة الرحلة إلى الحرم الآمن عبر ميناء تونس [1].

أما علماء الطرق الصوفية ممن مروا بتونس أثناء تأدية فريضة الحج فيكفي أن نذكر مؤسس الطريقة التيجانية **أحمد التجاني** (ت. 1835م) الذي توقف في تونس وأخذ عن بعض صلحائها[2]، حيث نزل بدار العلامة **أبي إسحاق إبراهيم الرياحي** لمكان تقدمه في الطريقة، وعظم الباي **أبي عبد الله حسين باشا**(1824-1835) مقدمه إلا أنه لم يجتمع به، وعند عودة صاحب الطريقة من تأدية المناسك؛ رجع لتونس، فبلغ حاكم الجزائر خبره؛ فكاتب الباي طالبا منه اعتقاله بتونس، وإرساله إلى الجزائر فأنف من ذلك وأعلم الشيخ؛ طالبا منه المكوث بتونس ما شاء؛ إلا أن الأخير آثر تعجيل الرحيل، فكاتب الباي أعيان الهمامة وقفصة والجريد وغيرهم ممن يمر بهم بإجلاله وإكرامه؛ إلى أن وصل لزاويته بعين ماضي[3]، ومن علماء الجزائر الذين أسهموا في إثراء التواصل الثقافي بين الإيالتين **عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري** صاحب الرحلة المسماة" **لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والآل**"، والذي تثقف على يد علماء ومشايخ تونس على ما يبدو أثناء حجته الأولى سنة 1130هـ/1718م؛ كالشيخ **محمد الشافعي** الذي التقى به في الجزائر يوم جاء هاربا من **حاشية محمد باي** المذكور[4]، والشيخ **محمد زيتونة المنستيري** (ت. بتونس سنة 1138هـ/م) الذي قرأ عليه بتونس أو الاسكندرية؛ وكان يسميه **شيخنا "الذي كان يرينا الشيخ زيتونة رحمه الله"**[5].

ومن أشهر الرحلات الحجازية للعلماء الجزائريين؛ التي تعتبر من القرائن الهامة عن ذلك الحراك الثقافي بين الجزائر وتونس في ظل ركب الحج نذكر؛ رحلة العالم الفقيه **أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني** (1653- 1726م)، وهو ينحدر من أسرة مرابطية تتمتع بمكانة لدى أهالي عنابة، له تآليف عديدة ذكرها في إجازاته ويعتبر من أهل الرأي والصلاح بالإضافة إلى العلم خلال القرن 18م[6]؛ له رحلة حجازية موسومة بـ" **الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**"؛ وهي أول رحلة حجازية مذكورة في المصادر؛ فقد أدى فريضة الحج التي أتاحت له فرصة لتدوين أحداث سفره سنة 1762م؛ والذي انطلق من مدينة بونة مرورا بتونس التي عاش بها طويلا إلى أن وصل الحجاز؛ حيث قرأ على عدد من الأساتذة هنا وهناك وأجاز وأجيز، وكغيره من العلماء وصف الحياة الثقافية بالبلاد التونسية وتعرف على بعض علمائها[7]، وقد ذكر **أحمد الزروق** نجل **البوني** الذي أضحى من علماء بونة البارزين؛ شيوخ والده الذين **ناهز عددهم العشرين**

---

[1]- المهدي البوعبدلي: **التعريف بالكتب والمخطوطات**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 22

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ **الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، المرجع السابق، ص 510.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 157.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 225.

[5]- عبد لرزاق بن حمادوش: **المصدر السابق**، ص34.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 182.

[7]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 292.

على لسان أبيه؛ قوله"...**ولي أشياخ عدة ينيف عددهم عن العشرين وإن يسر الله عرفت بهم، وقد ذكرتهم في تأليفنا بالروضة الشهية في الرحلة الحجازية**"، ونصح **أحمد الزروق** القارئ بقراءة هذه الرحلة؛ بقوله:" **فعليك به فإن فيه طرفا وظرفا**"[1]، ومنه تتجلى لنا أهمية الرحلة الحجازية في جانبها العلمي؛ فقد أشارت إلى الشيوخ الذين صادفهم في رحلته؛ ولا يستبعد أن تكون قد جمعت بينهم الدروس والأسئلة والمناظرات والمناقشات في رحاب هذه اللقاءات. ومن الرحلات الحجازية أيضا رحلة **عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي** من أهل القرن 11هـ/17م؛ الذي نظم رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة برا مرورا **بتونس** ومصر؛ في قصيدة طويلة سنة 1063هـ/ 1652م، ذكر فيها العديد من الشيوخ الذين التقى بهم، وفي القصيدة أخبار عن الجزائر وتونس ومصر وطرابلس[2]، وعند أوبته افترق الركب في مدينة **قابس**؛ بعد أن وضع عصا التسيار عند قبر الصحابي **أبي لبابة الأنصاري**؛ وكان يضم حجيجا من مختلف النواحي الجزائرية (ورقلة، ريغ، عنابة، قسنطينة، الزاب)، وأيضا تونسيين وردت أسماؤهم في صحيفة؛ ورافقهم هناك شيخ من **بني جلاب** قاصدا الأتراك لطلب المعونة، ثم نزلوا في موضع آخر بتونس عند مقام **ولي حمروني**؛ يسمى **عبد الله**، ثم جدوا في السير إلى أن نزلوا **بقفصة** التي أقاموا بها مدة يومين لقضاء بعض الحاجيات وزيارة بعض الأئمة[3]، ولا شك أن هذه الزيارات للأولياء والأئمة الأعلام في ظل ركب الحجيج؛ قد تخللتها دروس فقهية ومناقشات فكرية ومطارحات ومساجلات علمية؛ ومعالجة لقضايا اجتماعية ومسائل دينية؛ إلى جانب الظفر بالإجازات العلمية والسلوكية.

كما قام الأديب الشاعر مفتي السادة المالكية بالجزائر **أبو العباس أحمد بن عمار**(1709-1791م) المنحدر من أسرة عريقة في الجزائر أندلسية الأصل، ارتبط رجالها بالوظائف الدينية- برحلة إلى الحرم الآمن أوائل سنة 1166هـ/1752م، وقد جمعته هذه الرحلة الحجازية بثلة من علماء الجزائر؛ وعلى رأسهم الشيخ **الحسين الورثيلاني**، وقد خص هذه الرحلة بمصنف موسوم بـ:" **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**" الذي يقول فيه:" **عزمت على الرحلة إلى الحجاز، عزما نسخت حقيقته المجاز أوائل سنة ست وستين ومائة وألف...وحملني الشوق إلى الحبيب فوق الطوق**"[4]، حيث وضع عصا التسيار في طريقه بالحاضرة التونسية؛ حيث اطلع على رأي قاضي الجماعة بإفريقية وخطيب الحضرة التونسية الشيخ الفقيه الصوفي **أبي عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الفضل قاسم الرصاع**؛ فيما يتعلق بإحياء ليلة المولد النبوي في أحد مصنفاته، ووقف على نظم للشيخ الأديب **أبو بكر بن حبيش الأندلسي** دفين تونس[5]، ويذهب الأستاذ **سعد الله** بالقول أن مفتي السادة المالكية هاجر إلى **تونس** قصد الاستيطان عام 1195هـ/1780م إلا أن بقاءه لم يدم طويلا لأحداث جعلته يغادرها نحو المشرق[6]، ويبدو أنه سرعان ما عاد من أوبته المشرقية ليستقر بصفة نهائية بالبلاد التونسية، وهو ما ذهب إليه الباحث **عبد الله حمادي** في تقديمه لرحلة ابن عمار"

---

[1]- أحمد الزروق: **تعليق على فتوى في الحضانة لأحمد البوني**، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 2160، ص 07.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 388-389.

[3]- عبد الرحمن المجاجي: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 1564، ص 06-07.

[4]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 51.

[5]- أحمد بن عمار: **المصدر نفسه**، ص 195، 237.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 204.

نحلة اللبيب"؛ الذي لا يستبعد أن يكون الأخير قد قصد تونس وقضى نحبه بها عام 1791م[1]. ومن أبرز الرحلات **الحجازية الإباضية** أواخر العهد العثماني بالجزائر رحلة **إبراهيم بن عبد الرحمن المصعبي** (ت.1232هـ/1817م) سنة 1196هـ/1781م؛ المعروفة باسم "**رحلة المصعبي الحجازية**"، والتي حوت كثيرا من الأحداث والفوائد العلمية، وقد استغرقت هذه الرحلة التي انطلقت من مزاب إلى الحجاز ذهابا قرابة 120 يوما وأوبة زهاء 100 يوم، حيث اخترق الركب مدنا تونسية بداية بواد الجريد فالإقامة بقابس يوما كاملا على واد طيب المياه، ومنها إلى طرابلس التي التقوا فيها بجماعة من **جربة** فانضموا إليهم وكان على رأسهم العالم المتبحر **يوسف بن عمرو الجربي**، وفي مصر كان الدخول إلى **وكالة الجاموس**[2]؛ حيث التقوا بالطلبة الإباضية المقيمين هناك وغيرهم، وبمشايخ **جربة** الذين رحبوا بهم وكانوا يرأسهم **الشيخ سلمان**، ثم نزل الشيخ **إبراهيم بن بحمان** بمصر عند **علي بن عمر بن عياد** سليل عائلة **ابن عياد** حكام **جربة التونسية**؛ تاركا عنده متاعه لقضاء حوائجه[3]؛ إذ يقول الشيخ:

دخلت إلى المجاورين وكالة*** بطليون مصر عصر ثلاثيا
عنيت بهم شيوخ جربة سادة*** ذوي العلم والهدى كرام المعاليا
هدات ثقاة هم ضياء جماعة*** كذا شيخهم سلمان طبا فراتيا
فقاموا وسلموا علينا ورحبوا*** فأشكوا لنا ما حل بهم أماميا
أويت بمصر في قضاء حوائجي*** وخزن متاعي للكريم الشماليا
أصيلا حليما ملجأ ذا بشاشة*** علي بن عمرو للحقيقة حاميا.

وبالرغم من آداء العلماء التونسيين لفريضة الحج شأنهم في ذلك شأن بقية العلماء المغاربة فإنهم لم يخلفوا آثارا أدبية عن ذلك؛ فلم يتطور أدب الرحلة الحجازية لدى علماء تونس في العصر الحديث والمعاصر إلا بصفة محتشمة ومتأخرة[4]. ومن أهم تلك الرحلات الحجازية رحلة **الحسين الورثيلاني**(1713-1779) فيما بين 1765-1767م التي دونها في كتابه "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، وقد رافقه في رحلته تلك اثنان وعشرون عالما جزائريا أشهرهم العلامة ابن عمار، وتعد رحلته تلك من أشهر الرحلات الحجازية لعلماء جزائريين، لما احتوته من معلومات تاريخية وملاحظات عن الأماكن التي مر بها فضلا عما فيها من أخبار التصوف والمتصوفة بالمشرق العربي ومغربه خلال القرن الثاني عشر للهجرة، فقد حج **الورثيلاني** ثلاث مرات الأولى سنة 1153هـ/1740م والثانية سنة 1166هـ/1752م والثالثة سنة 1179هـ/1765م [5]. وقد تحدث الورثيلاني في رحلته عن المناطق التي مر بها؛ مثل البلاد التونسية التي زار مرافقها العلمية الشهيرة مثل جامع الزيتونة أوالجامع الأعظم بمدينة تونس، ولقاؤه العديد من علمائها ومحاورتهم؛ وأخذ العلم عن مشائخها وعلمائها في المدن والزوايا التي مر بها في تونس؛ كالفقيه **ابن محجوبة**، والأديب **سيدي حمودة بن**

---

[1]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 08.

[2]- **وكالة الجاموس**: محل إقامة الطلبة المزاولين دروسهم بالأزهر من الإباضية، لها تاريخ عريق من إيواء الطلبة وإكرام الحجيج القاصدين بيت الله الحرام.

[3]- إبراهيم بن بحمان المصعبي: **رحلة المصعبي**، تح يحي بن بهون حاج امحمد، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 69-74.

[4]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 292.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث**، المرجع نفسه، ص 292.

عبد العزيز، والفقيه المحدث **سيدي الكبير الشريف**، والشيخ **سيدي صالح الكواشي**، والفقيه **ناصر القابسي**، والعالم **أحمد التجاني**، والفقيه **سيدي محمد المغربي** وغيرهم من العلماء والصلحاء والطلبة الذين صادفهم بالجامع الأعظم الذي نوه بدوره في الحياة الفكرية، إذ يقول:" ...**وكذا المجتمعون في جامع الزيتونة للإقراء والتدريس، فتقصر العبارة عنهم وعن عدهم...فإن الجامع المذكور قد انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء، والمعارف والعلوم والأذكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم، فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين، فشمس أنوار الفهوم فيه مشرقة، وفوائده وعوائده محققة ومدققة، فهو جنة العارفين، وخلوة للمتعبدين الناسكين، ومزارة للراغبين المشتاقين...**"[1]، كما **درّس الورثيلاني بتونس، وأخذ عنه عدد من الطلبة؛ في صفاقس، وقابس، وتحاور مع العلماء والفقهاء والطلبة**[2]، **حيث قضى قرابة الخمسة أشهر بالبلاد التونسية؛ مشتغلا في التحصيل العلمي وتدريس الفنون وشتى صنوف المعارف، وقد التقى فيها بالنجباء والفضلاء والصلحاء من العلماء.**

ويذكر الورثيلاني في موضع آخر أنه أثناء إقامته بتونس لمدة؛ ترك بها أهله أخذا بخاطر بعض العلماء والصالحين الراغبين في إقامته وهذا بنية الرجوع والتوطن فيها لنشر العلم وبثه في البلاد التونسية[3]، ويعزى هذا لغزارة علم الشيخ الورثيلاني، وقد اغتنم فرصة تواجده بقابس وأجاب طلبتها على بعض المسائل؛ وعرض عليهم مؤلفاته:" ...**مع صلحاء قابس وفضلائها وعلمائها، وقد اجتمعوا معنا وطلبوا منا البحث في بعض النوازل من مشكلات الفنون وقوانين العلوم، فأسعفتهم على ذلك بحسب ما فتح لي من الوهب الرباني والمنح الفرداني، فزادهم ذلك حسن ظن واعتقاد وعجبا من الله حيث لم ينقطع مادة الفتح والوهب اللدني لا سيما لما رأوا بعض المؤلفات لنا فزادهم تحركا لهممهم وتعاظما لمقاصدهم، غير أنهم استقلوا مدة الإقامة عندهم ليشفوا عليهم ويبردوا غليلهم، فلم ترتفع وحشة الاتصال من قلوبهم خوفا من الفرقة...**"[4]، كما استغل وجود بعض فضلاء جربة في المدينة- **قابس**- من نجباء **أولاد الجمني** في مناقشة بعض القضايا والمسائل العلمية؛ إذ يقول:" **وقد اجتمعت أيضا هناك مع جماعة من الفضلاء وجم من النجباء أولاد الجمني الذين هم في نفزاوة، فاستفادوا منا واستفدنا منهم**"[5]، ومنه يتضح أن الشيخ **الورثيلاني** قد زاوج في خضم حراكه بين التحصيل العلمي وتأدية المناسك، حيث أثمرت رحلته حصيلة علمية وثقافية أتاحت له فرصة الوقوف بالمؤسسات العلمية ومراكز الإشعاع، ولقاء عدد كبير من علماء البلاد التونسية.

وتأتي بعد رحلة الورثيلاني من حيث الأهمية؛ رحلة العالم المعروف **بأبي راس الناصر**(ت.1824) الذي يعد من أبرز علماء الجزائر في ميدان التأليف؛ واشتهر **بالحافظ** لغزارة علمه، تجول كثيرا في تونس أثناء رحلتيه للحج الأولى والثانية عامي 1790-1812م[6]، واتصل بمشاهير علماء تونس وصلحائها في تلك الفترة؛ وحضر مجالسها التي كانت تعقد

---

[1]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 315-316.

[2]- يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج1، المرجع السابق، ص 46.

[3]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 305، 339.

[4]- الحسين الورثيلاني: **نفسه**، ص 302.

[5]- الحسين الورثيلاني: **نفسه**، ص 302.

[6]- يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، المرجع السابق، ص 234.

بالحاضرة وبسيدي بوسعيد وكان يعتد برأيه ويناقش أساتذته[1]؛ أمثال **محمد بيرم التونسي الثالث** والشيخ **ابراهيم الرياحي** الذي نوه به ومجده؛ وحلاه بأوصاف منها عالم الدنيا وأديبها وفخر القطر التونسي، وتلقى دروسا على يد العالم التونسي المعروف **محمد بن قاسم المحجوب**؛ إذ يقول:" **واجتمعت بعلمائها وأجلة فقهائها، ونزلت على شيخها ومفتيها الذي لا شيء عليه من نصوص الفتاوى بمحجوب، الشيخ محمد بن المحجوب ذي العلم الغزير والرأي الأثير، والعزم والحزم، والجد، الساعي إلى مساعي الأب والجد.سمعت أهل تونس يقولون في أبيه: إنه مالك الصغير**"[2]، والواضح أن أبي راس قد أسهم مساهمة كبيرة في تفعيل الحراك الفكري خلال إقامته بالبلاد التونسية، ويتجلى هذا في المجالس التي ارتادها والمناقشات العلمية والمناظرات والمساجلات الفكرية التي خاضها متفوقا فيها على أقرانه ونظرائه من العلماء التونسيين، وكان كثير النقاش مع علماء تونس في المسائل الفقهية، وهو ما جعله ينال الحظوة والمكانة والمنزلة لدي حاكم تونس الباي **حمودة باشا**؛ إذ يقول في هذا السياق:" **واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم فتذاكرنا، وتناظرنا، وترافعنا، وتشاجرنا، وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة، والمسائل المخفية. وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله، ثم سألوني عن أشياء صعاب فقهية، فأجبتهم عليها بما عندي من الأثقال الرائعة عليها، من غير توقف...ولما رآني فرح بي، وأجلسني وأكرمني**"[3].

ومن رحلات المتأخرين نذكر؛ رحلة **الحاج ابن الدين الأغواطي**؛ الذي ينتمي إلى عائلة **ابن الدين** إحدى العائلات الأغواطية، كان قليل التعلم كثير الاطلاع، كتب رحلته بطلب من قنصل أمريكا بالجزائر السيد ويليام هودسون الذي قدم إلى الجزائر عام 1825م، حيث تعرف على الحاج ابن الدين بين سنوات 1825-1829، ولعل اسمه "**الحاج**" يدل على أنه أدى مناسك الحج وتوقف في بعض العواصم الإسلامية مثل حجاج وقته، ومن المناطق التونسية التي توقف عندها في رحلته الحجازية **قابس وجربة**؛ التي أشار أنها جزيرة في وسط البحر، تضم فسيفساء بشرية من أجناس وشعوب مختلفة، وأنها تابعة للباي التونسي الذين يعين عليها قائدا يحكمها، وأن غالبية ساكنتها على مذهب بني ميزاب" إباضية"؛ لا يصلّون برفقة المالكية؛ وأن لهم مساجدهم الخاصة بهم[4]، ويستشف من الإشارات التي أوردها الحاج الأغواطي؛ مدى رسوخ ومتانة العلاقات الدينية العقدية والفكرية بين أبناء ميزاب-الذين استقروا بالمنطقة-وإباضيي الجزيرة؛ والتي يعكسها وحدة المذهب.

ومن الرحلات الشعرية نجد قصيدة **محمد بن مسائب التلمساني**[5] الذي سلك في رحلته خلال القرن 12هـ/ 18م خط تلمسان المدينة المنورة فمكة؛ واصفا الأماكن التي مر بها في طريقه إلى الحرم الآمن[6]، وقد نظم قصيدة قص فيها

---

[1]- أبو راس محمد الناصر: **الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، تق وتح أحمد الطويلي، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 2010، ص 22.

[2]- أبو راس الناصر: **فتح الإله ومنته**، المصدر السابق، ص 109-110.

[3]- أبو راس الناصر: **نفسه**، ص 115.

[4]- الحاج ابن الدين الأغواطي: **رحلة الأغواطي**، تر وتح أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 101-102.

[5]- **محمد بن مسائب التلمساني**: ينحدر من أسرة أندلسية قادمة من فاس وضعت عصا التسيار بتلمسان التي عمل بها نساجا، حيث كان هذا الشاعر ملهما منذ صغره بالحيوية والقوة الخارقة، حيث نظم خلال حياته قصيدة من **3034** بيتا شعريا في مواضيع دينية ودنيوية، وقد عاصر شاعرين تلمسانيين شاركاه نفس الفن؛ هما: **محمد بن التريكي** و**الزقاقي**؛ وكلاهما كتبا شعرا ملحونا .

[6]- Ben Cheneb.M : « **Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib** », In R.A, Vol 44, Alger, 1900, P 261-269.

رحلته من **تلمسان** إلى **مكة المكرمة** عبر مدن وقرى الجزائر من غربها إلى شرقها مارا بالطريق التقليدي الذي يسلكه حجاج الغرب (**مليانة، البليدة؛ فمدينة الجزائر ثم مجانة، قسنطينة فالكاف، ثم تونس...الحجاز**)، وقد قام **ابن مسائب** برحلة برية مر فيها بعدد المدن المذكورة فطرابلس ثم مصر، بينما كان الذين يركبون طريق البحر يركبون من تونس وينزلون بالإسكندرية[1]، وتبدأ بهذا الطالع[2]:

يا الورشان أقصد طيبة ***** وسلم على الساكن فيها.

يا الورشان اقصد طيبة ***** وزر وأفقد مرسم شيبه

ونجده يتحدث عن الأنس والراحة التي يجدها وهو يجتاز في رحلته الحجازية مدن البلاد التونسية؛ حيث يقول:

قم يا طير مناش تخاف***** ريح النفس وادخل للكاف

عندهم تأدب وأطرف***** يعجبك صوت مغانيها

قم يا طير ادخل تونس***** زر الباجي وابن يونس

تبات طول الليل مونس***** بهم النفس تزهيها.

إن الرحلات الحجازية الجزائرية أسهمت بشكل لافت في دينامية الحراك الفكري والديني بين الإيالتين في ظل ركائب الحجيج المارة بالبلاد التونسية؛ حيث كانت هذه القوافل مجامع علمية ومنارات فكرية ومكتبات متنقلة؛ تتماهى فيها النخب العلمية في مجالس العلم والتدريس؛ وفي المناقشات الفكرية والمساجلات العلمية والمسائل الدينية والاجتماعية.

إن هذا الحراك النخبوي الروحي نحو البقاع المقدسة في ظل ركب الحجيج جسد طورا مهما من أطوار العلاقات الثقافية بين البلدين، وهذا من خلال سعي النخب العلمية إلى طرق باب الاتصال الثقافي بالإيالة التونسية وتوطيد أواصر الصداقة مع العلماء والفقهاء والاستفادة العلمية عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية التونسية الواقعة على طريق الحج؛ الذي كان فضاء خصبا للحراك الفكري، أين زاول العلماء أنشطتهم في شتى الفنون من مسائل ونوازل وإجازات وحوارات علمية ومطارحات فكرية ومناظرات ونسخ كتب وإعارة مصنفات، فقد كان علماء الركب يبتاعون ويبعون الكتب؛ والتي عكست جانبا من جوانب السعي في التحصيل العلمي من جهة وأهم المشاعل والتحديات التي كانت تواجه الإنسان المغاربي من ناحية أخرى، وكانت روح التواصل تتم بصورة فردية وعفوية، ولا شك أن هذا الحراك الفكري للصفوة قد ساهم في تطور الحركة الفكرية وتدعيم النهضة التعلمية والثقافية في الإيالتين.

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج2، المرجع السابق، ص 389.

[2]- Ben Cheneb.M: **Op. Cit**, P 275-278.

الفصل الرابع: تنقلات النخب العالمة بين البلدين خلال العهد العثماني ودورها في تمتين الصلات الثقافية

أولا–النخب العالمة الجزائرية بالبلاد التونسية.

01–نخب الشرق الجزائري.

02–مشايخ زواوة.

03–علماء الحاضرة الجزائرية.

04–أعلام الغرب الجزائري.

05–صفوة الجنوب.

ثانيا–أسرة الرصاع التلمسانية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني.

ثالثا–النخب العالمة التونسية بالإيالة الجزائرية.

رابعا–عائلة قدورة التونسية بالإيالة لجزائرية خلال العهد العثماني.

تعود العلاقات الثقافية بين أقطار المغارب عموما إلى أمد بعيد، إذ كان العلماء المغاربة والأندلسيون يشكلون مدرسة واحدة، إذ يعتبر القطر التونسي أول لقبلة للعلماء الجزائريين وذلك منذ أن أسس عقبة بن نافع القيروان عام 50هـ، والتي لعبت وجامعها الأعظم دورا ثقافيا رائدا في المنطقة، حيث أضحت المدينة مع مرور الوقت مركز إشعاع فكري يؤمه الطلبة والعلماء على حد سواء؛ لاستكمال تعليمهم وإثراء معارفهم، ومن ثمة يواصلون حراكهم إلى الحواضر المشرقية[1]، **ذلك أن فضاء العالم لا تحده حدود ولا تعرقله قيود، فعالمه أرحب من كل العوالم، وبمقدار ما للشيخ من العلم والأدب وحسن السيرة يكون جاهه وتكون منزلته؛ داخل بلده وخارجها؛ لا فرق في ذلك** [2]، **لذلك استمرت الصلات الثقافية والعلمية بين الإيالتين بواسطة انتقال العلماء والطلبة بين الحواضر الثقافية؛ ذلك أن الكثير من العلماء الأجلاء لم تكن تعيقهم الحدود والحواجز السياسية، ولم يكونوا يخافون أو يرهبون من الملوك والسلاطين؛** لذلك نجد أن حراك العالم لا يعني هجرة فرد أو أسرة إنما يعني حراك خزائن علم ودوائر معارف ومكتبات تضم مختلف نفائس المعرفة إلى الأمصار والأصقاع المقصودة، تفقد البلاد المهاجر منها ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية، حيث كان للصفوة دور بارز في هذا الحراك الفكري من خلال تمازج الأفكار والثقافات، وظلت مشاركتهم نشيطة وفعالة الأمر الذي شكل منهما عاملان مهمان من عوامل التجانس الفكري بين أهل العلم في هاتين الإيالتين، إذ لم تعش النخب العلمية على اختلاف انتماءاتها الدينية في عزلة، حيث كان التواصل الفكري حاضرا في جميع المستويات المجتمعية. فما هي أبرز الأسماء العلمية الجزائرية التي سجلت حضورها في سماء الحياة الثقافية بالبلاد التونسية؟ وما هي أبرز الأعلام التونسية التي جسدت الحركة العكسية للنخب العالمة التي حطت الرحال بالبلاد الجزائرية؟ وهل استطاعت هذه النخب تأكيد حقيقة التواصل الثقافي بين الإيالتين والمشاركة في بناء مجد البلدين؟

أولا–النخب العالمة الجزائرية في البلاد التونسية:

عرف عدد العلماء الجزائريين المتوافدين على تونس ارتفاعا محسوسا في عهد الحفصيين، والذين جعلوا من مدينة تونس مركزا ثقافيا مهما خلفا للقيروان، وأصبح جامع الزيتونة منارة علم؛ يؤمها العلماء والطلبة من كل أنحاء العالم العربي، ولا سيما علماء الجزائر، باعتبارها أقرب مركز علمي من بلادهم، وقد سمحت لهم ثقافته الواسعة، وغزارة علمهم بتقلد عدة مناصب في الحواضر التونسية؛ مثل الفقه والخطابة والتدريس[3]، وقد ترتب عن هذا الحراك نشاط علمي وثقافي متميز، ومن جملة العلماء الجزائريين الذين كانت تربطهم صلات بتونس؛ من علماء القرن الخامس عشر(15م) الذين توافدوا على البلاد التونسية نذكر؛ **خليل الصنهاجي**، المتوفى عام 1423م أصيل مدينة برشك، **وأحمد بن العباس النقاوسي** المتوفى سنة 1444م الذي رحل عن تلمسان للإقامة بتونس والتدريس بها، **وقاسم بن منصور القسنطيني** المتوفى عام 1445م[4]، ومن مشايخ القرن الذين آثروا الاستقرار بالبلاد التونسية نجد؛ **سراج الدين أبو حفص بن أبي يزيد الحسن**

---

[1]– أرزقي شويتام: **"العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية–الفترة الحديثة"**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011، ص 48، 93.

[2]– علي الشريف الطيب:**"ملامح ثقافية من علماء ليبياوأدبائها في العصور الإسلامية"**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 29–30، دبي، الإمارات العربية المتحدة، يوليو2000، ص147.

[3]– أرزقي شويتام:**"العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية–الفترة الحديثة"**، المرجع السابق، ص 94.

[4]– محمد الصالح الجابري: **المرجع السابق**، ص 26، 27.

علي بن سليمان الراشدي نسبا الجزائري مسكنا التونسي موطنا[1]، و**عبد الرحمان الثعالبي**(ت.1471م) الذي صادف بتونس الشيخ **ابن مرزوق** الذي قدم إليها وأخذ عنه[2]، و**محمد بن بلقاسم الأنصاري التلمساني** المعروف **بالرصاع** المتوفى عام 1489م؛ الذي كان قاضيا وإماما وخطيبا بتونس، الشاعر **أحمد بن خلوف** المتوفى عام 1494، **وأحمد اللياني البسكري** المعروف **بابن فاكهة** المتوفى عام 1494م[3]. والملاحظ أن أصل العلماء الجزائريين الذين كانوا يترددون على تونس، لم يكن قاصرا على منطقة معينة من البلاد، بل كان حراكا مناطقيا؛ فهناك البسكري، والمسيلي والتلمساني والقسنطيني، إلا أن غالبيتهم كانوا من بجاية ونواحيها، وربما يعزى ذلك إلى كون تلك الناحية كانت تابعة لحكم الحفصيين بتونس[4].

شهدت الفترة العثمانية حراكا نخبويا واسعا لعدد كبير من العلماء الجزائريين الذين شدوا الرحال إلى تونس الخضراء، حيث برزت الحركات الهجروية المرتبطة بالنخب الجزائرية نحو البلاد التونسية بشكل واضح وملموس بعكس الهجرات التونسية إلى الإيالة الغربية المجاورة، ويعزى هذا إلى القرب الجغرافي؛ زد على ذلك وجود جالية جزائرية كبيرة بمدينة تونس ساعدت على حراك العلماء والفقهاء والمتصوفة؛ الذين ساءت العلاقة بينهم وبين حكام البلاد في الفترات المتأخرة، لذلك رحل إلى عاصمة الإيالة التونسية ومختلف حواضرها طلبة أصبح عددهم بعد ذلك أساتذة مشهورين قاموا بالتدريس في العاصمة أو غيرها من المدن، وقد حرص أكثرهم الرجوع بإجازات مرموقة ينظر إليها بعين الإكبار على عادة أهل المغرب العربي[5]، حيث توالت هجرة العلماء الجزائريين خلال القرن 16م وفي الفترات اللاحقة، لذلك استقطبت الإيالة التونسية العديد من الطلبة والمشايخ الذين كانت لهم مشاركات علمية وأدبية في مختلف جهات الإيالة التونسية.

01-نخب الشرق الجزائري:

كان لإقليم قسنطينة صلات قوية بتونس تعود إلى فترات سابقة للعهد العثماني؛ ما زاد في تنشيط حراك النخب التي آثرت الانتقال إلى الجامع الأعظم؛ لاعتبارات كالقرب الجغرافي ووقوع المدينة في طريق ركب الحجيج؛ ما سهل من وصول علمائها إليها عبورا أو إقامة، ومن هؤلاء العلماء الذين حافظوا على اتصالاتهم بتونس نجد؛ الشيخ **أبو حفص عمر بن علي الراشدي الجزائري** (ت.912هـ/1506م)؛ الذي استوطن تونس، وقرأ بالزيتونة، أتقن العربية والعلوم الدينية، والظاهر أنه اشتغل بالإشهاد العام، ودفن داخل زاوية قاسم الزليجي برحبة الغنم من الحاضرة التونسية [6]، والشيخ العالم **أبي فارس عبد العزيز بن خليفة القسنطيني**(ت.حوالي 932هـ/ 1526)؛ نزيل الحاضرة التونسية ودفين مقبرة الزلاج[7]؛ الذي تزعم حركة تربوية صوفية بتونس، واشتهر اسمه حتى غدا من الأسماء اللامعة[8]، ويصفه **ابن عجيبة** بقوله:" **الشيخ**

---

[1]- أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي: **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح: اليزيد الراضي، ط1، السنتيسي، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص 75.

[2]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج1، ص 561.

[3]- محمد الصالح الجابري: **المرجع السابق**، ص 26-27.

[4]- أرزقيشويتام: **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية-الفترة الحديثة**، المرجع السابق، ص 95.

[5]-أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 40.

[6]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، مج1، ص 505.

[7]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 26-27.

[8]- أبو سالم العياشي: **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر 11هـ/17م**، تح نفيسة الذهبي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996، ص 170.

الإمام العالم الكبير الموسوم بالقطبانية أبو فارس عبد العزيز القسنطيني...وتوفي الشيخ أبو محمد عبد العزيز القسنطيني في صدر العشرة الرابعة من المائة العاشرة والله أعلم، قال صاحب الدوحة وقال الشيخ زروق توفي في أول المائة العاشرة وقال أنه أحد الأبدال وأهل الكرامات التي لا تخطر على بال"[1]، ويذكر **الإفراني** في **نزهته** أن الشيخ **عبد العزيز القسنطيني** من **ساكنة تونس**، حيث حلاه بعديد الأوصاف؛ علامة الزمان وواحد وقته، شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب، المتكلم في الصوفية؛ الذي اشتهر أمره بين **ملوك تونس** حتى ذاع صيته في المشارق والمغارب، تصدى لتغيير المنكر والأمر بالمعروف حتى قبضه الله إليه[2]، ويقول عنه صاحب **الدوحة:" ومنهم شيخ المشايخ المشار إليه بالقطبانية أبو فارس عبد العزير القسمطيني، كان هذا الشيخ من أكابر الأولياء وأعلام الصوفية، ويقال أنه بلغ مقام الأفراد ومنازل الأقطاب، كبير الشأن شهير الذكر، له الشأن العظيم من العلماء العاملين، والأولياء المتقين...وأخباره شهيرة، ومناقبه كثيرة، وكراماته أكثر من أن تحصى، وأصحابه علماء وأكابر، ولا أظن إلا أنهم ألفوا في أخباره، وصنفوا في فضائله وآثاره، وعلى الجملة فهو ممن بلغ الغاية في مقام التربية النبوية، توفي والله أعلم في العشرة الرابعة رحمه الله"**[3].

ومن هؤلاء المدرسين الشيخ **أبي عبد الله محمد العطار**(ق.16م) الذي الذي كان معاصرا للشيخ الوزان، وكان ذا مال وتجارة خرج انتقل بسببها إلى تونس، وجلس في حلقة إمام جامعها الأعظم ومفتيها؛ فوقع بين الأخير وطلبته نقاش في مسألة عقلية، فأجاب الشيخ العطار عنها بتلطف، فرحب به الإمام وأكرمه وأتحفه بالجلوس إلى جانبه؛ وقال له: "مثلك إنما يجلس هنا"[4]، ومن الشخصيات الدينية التي وفدت على البلاد التونسية؛ الفقيه **أبي زكرياء ابن محجوبة** القسنطيني الذي تولى رئاسة الفتوى وتقلد خطة القضاء ببلد قسنطينة، وقد أسهم زمن حلوله وإقامته بالحاضرة التونسية مع ذهابه أو أوبته من تأدية مناسك الحج رفقة أبي العباس حميدة الغربي عام 995هـ/1587م[5]؛ في الإجابة على الكثير من القضايا والمسائل الدينية، ومن علماء الأسرة الفكونية القسنطينية الذين كانت لهم صلات بالإيالة التونسية نذكر؛ الشيخ **يحيى الفكّون** الجدّ الذي انتقل إلى تونس، وصاهر الشيخ الزلديوي الذي استخلفه في إمامة جامع الزيتونة، ثم استقل بالإمامة، وتزوج حفيدة الشيخ البرزلي[6]، وقد استشهد القاضي **يحيى الفكون** المنحدر من أسرة عريقة بقسنطينة، عندما احتل شارلكان تونس عام 1535م؛ حيث قتل في المعركة[7]، أما ابنه **قاسم بن يحيى الفكون** (ت.965هـ/1557م) الذي كان قاضيا بقسنطينة زمن الشيخ الوزان، فقد تولى إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليها به، ومن شيوخه **محمد مغوش التونسي**، وكان العم قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول، وكان ممن تصدى

---

[1]- ابن عجيبة: **مخطوط تحفة أهل الصديقية**، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، ص 28.

[2]- محمد الإفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، المصدر السابق، ص 47-48.

[3]- ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 132، 133.

[4]- عبد الكريم الفكون: **منشورالهداية**، المصدر السابق، ص38.

[5]- عبد الكريم الفكون: **نفسه**، ص ص 63، 78.

[6]. عبد الكريم الفكون: **نفسه**، ص 383.

[7]- Jacques Berque: **Op.cit,** p 135.

للتفسير زمن مشيخة عصره[1]، وفريد عصره شيخ الإسلام **عبد الكريم الفكون الحفيد** (ت.1073هـ/1662م) الذي تقلد وظائف أبيه من تدريس وإمامة وخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة، وأضاف إليها وظيفة قيادة ركب الحج، والتي جعلت منه شخصية دينية سياسية مرموقة ليس في الجزائر فقط؛ ولكن في العالم الإسلامي أيضا؛ خصوصا تلك البلدان التي كان يمر بها ويتوقف عندها كما هو الحال مع تونس[2].

وقد وردت أسماء بعض مشايخ **أسرة الفكون** – ممن آلت إليهم مشيخة الإسلام ورئاسة ركب الحجيج – الذين توقفوا بالبلاد التونسية؛ **كالشيخ بدر الدين الفقون وابنه عبد الكريم**، حيث خصوا بإحسانات من الباي التونسي **علي باي** أثناء مرور الركب في رحلته إلى الحج في رجب عام 1177هـ/ 1763م، وحتى في أوبتهم في رمضان عام 1182هـ/ 1768م[3].

وأيضا العالم العلامة النحوي اللغوي البياني العروضي؛ علم الأعلام الشيخ الإمام الجليل المالكي الشيخ **أبو محمد عاشور بن موسى فكيرين القسنطيني** (ت. 1074هـ/1663-1664م)-الذي كان والده فقيها عالما عاملا **وهو آخر مدرس في ابن الحاجب بقسنطينة–** فقد كانت له غزارة فهم وفطنة في المعقول وخصوصا في علمي النحو والتصريف؛ حافظا لكلام العرب أديبا واسع المعرفة، قدم من مدينة قسنطينة إلى تونس؛ لمظلمة أصابته منها، ولما وضع عصا التسيار بالحاضرة التونسية، سكن بها؛ ودرس بجامعها الأعظم جامع الزيتونة[4]، ويقول عنه **صاحب الذيل**؛ أنه كان إماما جليلا فاضلا، مالكي المذهب، يعلم عدة فنون وأنه كثيرا ما كان ينشد أبياتا من مقامات الحريري، ما من بلد دخله إلا ولاقى الكرم والتجلة والاحترام[5]، وفارس **المعقول والمنقول** الشيخ **العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد** المعروف **بابن الكماد القسنطيني** (ت. 1116هـ/1704-1705م)؛ الذي انتقل إلى تونس، حيث كرس وقته للتدريس والإفتاء، ونسبت إلى الشيخ الكماد فتاوى فقهية مختلفة، فقد كانت له أجوبة حسنة في الكثير من النوازل؛ الدالة على مهارته واتساع ملكته، وهذا ما يفسر غياب وجود مصنفات لهذا الأخير[6]، ومن الذين أخذوا عنه محمد بن **محمد الشريف العياضي الباجي** صاحب " **مفاتيح النصر**" الذي قال عنه :" **وقد سمعت عن جماعة منهم شيخنا علامة الزمان وفريد العصر والأوان علم التحقيق وقدوة أهل الدراية والتوفيق، أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني**"[7].

ومن العلماء الذين وفدوا من حاضرة بايلك الشرق على تونس، **نذكر الشيخ الأصولي الكلامي المحدث الصوفي عبد القادر الراشدي القسنطيني** (ت.1194هـ/ 1780م) الذي تولى القضاء والفتيا بقسنطينة، حيث ورد إلى تونس

---

[1]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 43-44.

[2]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر نفسه، ص 12.

[3]– أ.و.ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144**، ص 188، 195، 187.

[4]– الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 418-419.

[5]– حسين حوحة: **المصدر السابق**، ص 191.

[6]. محمد الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج3، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2004، ص 36.

[7]– محمد الشريف العياضي الباجي: **مفاتيح النصر في التعريف بعلماء المصر**، تح: جمعة شيخة، جامعة تونس، تونس، 1970، ص 33.

ومكث بها مدة، وأخذ عن علمائها، وعاد إلى بلده فدرس ونفع الطلبة[1]، ويبدو أن الراشدي قد آثر العودة والاستقرار بالبلاد التونسية في أعقاب اتهامه بالتجسيم والمروق عن صميم الدين، حيث قوبل بالترحاب من الحكام الذين أكرموا وفادته؛ وحظي بامتيازات نظير المكانة الاجتماعية السامية التي ارتقى إليها، فأضحت للشيخ العالم **عبد القادر الراشدي** (ت.1194هـ/1780م) أملاك وعقارات بالبلاد التونسية، منها أراضي بالحاضرة التونسية، كما تبين من التركة التي خلفها لورثته حسب ما هو وارد في العقد المؤرخ بتاريخ 21 جمادى الثانية 1023هـ/ 1788م[2]، بالإضافة إلى الشيخ **أبو عبد الله محمد الأخضر القسنطيني** الذي كان يحضر درس "**المغني**" في مجلس **حسن الشريف** (ت.18 سبتمبر 1819م) بتونس، والذي تصدر للتدريس وله في صناعة الإنشاء اليد الطولى[3].

كما كان بتونس أيضا في نفس العصر فقهاء انتقلوا من جبل أوراس بالقطر الجزائري مثل العالم الفاضل المدرس **عثمان الأوراسي** –نسبة إلى –الذي كانت له مشاركة في جميع العلوم، تصدر للتدريس فأفاد وأجاد[4]، وتواصل توافد العلماء الجزائريين على البلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد هاجر إليها الشيخ **القاضي أحمد العوادي(ت. سنة 1828م)**؛ المنحدر من قبيلة **العواودة** بجهة **قسنطينة**، الذي درس بالجامع الأعظم"الزينونة"، ثم ولي خطة القضاء **بماطر**، ثم سلم وأقبل على التدريس، والاحتراف بصناعة التوثيق، كما اجتباه الوزير **يوسف صاحب الطابع** إلى التدريس بجامعه، وأفاض عليه من كرمه، فدرس **مختصر خليل بشرح الخرشي، وألفية ابن مالك** [5]، ومن النخب القسنطينية الحنفية التي حلت باليلاد التونسية؛ العالم الجليل الأديب النحوي الشيخ العلامة **أبو الوفا مصطفى بن الشاوش القسنطيني (ت. 1252هـ/ 1836م)**، وقد كان متبحرا في العربية بفنونها؛ متعلقا بمذهب أبي حنيفة، أخذ عن الشيخ **صالح بتونس**، ورجع إلى قسنطينة فدرس وأقرأ، وخطب بالجامع الأخضر، وأفتى على المذهب النعماني[6]، ومن العلماء الجزائريين الذين آثروا الاستقرار بعيدا عن الوطن؛ نجد صاحب العلم والفضل الشيخ **علي بن محمد الميلي الجمالي**(ت. 1248هـ/1832م)؛ المنحدر من عائلة تعود في أصولها إلى مدينة "**ميلة**"، والذي انتقل بمعية أسرته إلى **جمال** من قرى الساحل التونسي واستوطنها، وقد ترك مؤلفات كثيرة منها: تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى"**ثم أورثنا الكتاب**"، والسيوف المشرقية لقطع أعناق القائلين بالجهة والجسمية، الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري فيما ينسبه للإمام الأشعري، الصوارم والأسنة في الاعتراض على أحمد التجاني[7].

يعود حراك الصفوة القائم بين بلد العناب والإيالة التونسية إلى فترات زمنية بعيدة؛ بحكم تاريخية العلاقات والقرب الجغرافي، لذلك استمر محافظا على نفس الوتيرة، ومن مشايخ بونة الذين كانت لهم صلات بتونس؛ نذكر العالم الفقيه

---

[1]– محمد مرتضى الزبيدي: **المعجم المختص ويليه معجم شيوخه الصغير**، اعتنى به محمد صالح يعقوبي–محمد بن ناصر العجمي، ط1، شركة البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، ص 431.

[2]–أ.و. ق: **سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202–1205هـ/1787–1790م**، ص 94.

[3]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 69–70.

[4]– حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 147.

[5]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 151.

[6]– محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، ص 562.

[7]– حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، مج1، ص 244–246.

أبو عبد الله محمد العنابي الضرير(ت. 1095هـ/1684) الذي انتقل إلى الحاضرة التونسية، وفي طريقه مكث في بلد **تستور** من عمل تونس، وقرأ على الشيخ البركة **سيدي علي الكوندي**، وحصل عنه الفقه والنحو، ومنها ارتحل إلى مدينة **سوسة**، واستقر بزاوية الشيخ العالم الورع **سيدي يحيى سيدي أبي راوي**(ت931هـ/1524م). وقرأ على الشيخ العالم الورع **سيدي يحيى**، وعن الشيخ **علي بن موسى الأزهري**، وعن الشيخ البركة القدوة **سيدي أحمد الريغي**، وتمهر في العلوم العقلية والنقلية، وقدم في النهاية إلى مدينة **تونس**، واستكمل على العلامة سيدي **محمد زيتونة**[1].

دون أن نغفل عن أهم العائلات العلمية العنابية؛ وأكثرها ذيوعا وشيوعا؛ **عائلة البوني** التي أخذت مكانة مرموقة مع ميلاد الجزائر الحديثة؛ فقد واكبت هذه العائلة تاريخ المنطقة لأكثر من قرن ونصف القرن على الأقل، وكانت متصلة ومنتمية إلى مجموعة بشرية واسعة ممتدة غربا إلى نواحي قسنطينة وشرقا إلى نواحي الكاف وباجة؛ ومن أبرز مشايخها **الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم البوني التميمي(1063هـ-1653م/1139-1726م)** أحد كبار فقهاء المالكية وعلماء بونة وما جاورها، حيث أخذ العلم من نواحي تونسية عديدة (**باجة، تستور، سليمان، الكاف، والقيروان، سوسة، تونس**)[2]، ذلك أن الشيخ له في طلب العلم رحلات وسفريات طويلة عبر المغرب وتونس وغيرهما، حيث كان يلتقي بالعلماء آخذا منهم علوم الحديث الشريف، طارحا ما لديه من بضاعة مزجاة، وقد أشار في رحلته الحجازية المسماة" **الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**"، إلى **22 من مشايخه الذين أخذ عنهم**، وهي الرحلة التي نصح ابنه **أحمد الزروق** بالإطلاع عليها[3]، ومن هؤلاء الشيوخ الذين نهل عنهم نجد الشيخ **أبو عبد الله محمد الحجيج الأندلسي التونسي** (ت.1108هـ/1697م)، وهو ما يشير إليه في أحد مؤلفاته بقوله:" **أخبرني شيخنا العلامة المشارك سيدي الحاج محمد الأندلسي؛ المعروف بالحجيج التونسي...**"[4]، والشيخ الإمام **سعيد الطرابلسي التونسي** الدار[5]، والشيخ **سيدي علي عزوز** (ت. 1710)؛ الذي بلغ من الشهرة ومن الإشعاع ما حمل صيته إلى عنابة، حيث كانت للشيخ البوني زيارات إلى بلد زغوان في موكب من الفرسان والأعيان والأولاد لملاقاة الشيخ؛ الذي اجتمعوا به[6] قصد التبرك وأخذ الطريقة عن سيدي علي عزوز[7].

ومن النخب التي ارتبط اسمها ببلد العناب؛ رائد التجديد الإسلامي عالم المعقول والمنقول مفتي الحنفية **الشيخ محمد بن محمود العنابي(1775-1850)**، المنحدر من أسرة قديمة في تاريخ الجزائر؛ عريقة في العلم والوظائف الرسمية والفقه الحنفي؛ الذي تقلد مناصب حساسة ووظائف متنوعة[8]؛ كالقضاء الحنفي على عهد **أحمد باشا** (1805-1808)

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 266-267.

[2]- أحمد بن قاسم البوني: **التعريف ببلد بونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تق وتع سعيد دحماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001، ص 31-32، 34.

[3]- أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في صلحاء وعلماء بونة**، المصدر السابق، ص 30.

[4]- أحمد بن قاسم البوني: **التعريف ببلد بونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، المصدر السابق، ص 78.

[5]- أحمد بن قاسم البوني: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، المصدر السابق، ص 32.

[6]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 289-290.

[7]- أبو القاسم محمد كرو: **المرجع السابق**، ص 170.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، المرجع السابق، ص 21-33.

والكتابة إلى باي تونس **حمودة باشا**[1]، وتولى وظيفة نقيب أشراف مكة والمدينة على عهد الداي عمر (1814-1816)، ثم تولى قضاء الأحناف من جديد على زمن الداي علي خوجة (1817) والداي حسين(1818)، بعدها يتوجه ابن العنابي إلى المشرق في الفترة الممتدة من 1235-1244هـ/ 1819-1828م لأسباب سياسية، وتشير الوثائق أنه حل **بتونس** أثناء عودته من الحج أواخر 1244هـ/1828م، حيث أقام معززا مكرما محاطا بالعلماء ولا سيما أسرة **بيرم**، وكلهم أشادوا به واستجازوه ونوهوا بعلمه، وقد أكرم باي تونس وفادته وأحاطه بالتبجيل والتعظيم، وهو ما يعكس مقام ومنزلة ابن العنابي لدى أهل تونس من أمراء وعلماء، ويبدو أنه غادرها سنة 1245هـ/1829م، ويتردد اسمه بعد هذا التاريخ كمفتي تحت اسم محمد بن محمود، من مؤلفاته كتابه "**السعي المحمود في نظام الجنود**" الذي ألفه بالقاهرة سنة 1826م[2].

02-مشايخ زواوة:

كانت تونس قبلة لعلماء **زواوة** الذين وضعوا بها عصا التسيار للأخذ والاغتراف عن مشايخها في شتى مراكز الإشعاع الفكري أو من خلال إسهام هؤلاء في التدريس، وهذا بحكم تجذر العلاقات المتعددة التي تحتفظ بها تونس مع هذه المنطقة من القبائل حيث يتم تجنيد زواوة وحيث تتواجد بعض المراكز التعليمية والروحية الحيوية[3]، ومن علماء **زواوة** الذين كان حضور بالبلاد التونسية؛ نذكر الشيخ الفقيه القاضي **أبو محمد عبد الله بن محمد العباسي** دفين الحاضرة التونسية عام 920هـ/1514م[4]، والشيخ **منصور المتناني البجائي** (**1461م-1524م**)؛ اللغوي الأصولي المنطقي؛ أحد فقهاء المالكية، ارتحل إلى تونس فأخذ عن **أبي الحسن محمد بن محمد الزلديوي**، وحضر مجالس الشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع[5]، والشيخ العلامة الفقيه المحدث **أبو القاسم محمد بن يحيى البجائي**(**ق.11هـ/17م**)، الذي ارتحل إلى تونس، والتي أتم بها دراسته على يد مشيختها، وكان متضلعا في الفقه، وله اهتمام باللغة والنحو، تصدر للتدريس[6]، وتولى الخطابة بجامع الخطبة خارج باب الجزيرة، وكان قاضي الحنفية بتونس المولى **علي الجزيري** يتأنس به، ويفضله على الشيخ براو؛ ألف كتبا منها: **شرح شواهد أربعة كتب، القطر والشذور، والمقدمة، وله شرح على الخزرجية**[7]، أما **الشيخ أبو عبد الله براو** المالكي أصيل بوسديرة بالجزائر[8] من أبناء جبل زواوة، من مشايخ قويسم مؤلف كتاب **سمط اللآل**[9]، راية العربية؛ كان إمام النحو في زمانه، تخرج به خلق كبير من المشايخ؛ وذكر في عداد من

---

[1]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 125.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، المرجع السابق، ص 33-38.

[3]-Mohamed Hédi Chérif: **Pouvoir et société dans la Tunisie…,**T 1, **Op.cit**. P 298.

[4]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، المرجع السابق، ص 236.

[5]- شمس الدين السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج10، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992، ص 172.

[6]- محند أكلي آيت سوكي: **إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2014-2015، ص 140.

[7]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 184-185.

[8]- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 178.

[9]- أحمد عبد السلام: **نفسه**، ص 39.

يصلح في جامع الزيتونة، وكان ممن عاصر أيام المرحوم **يوسف داي**[1]، ويبدو أن سبب عدم توليه المشيخة كونه غريبا عن البلاد، وهو ما يؤكده قول **أبو يحيى الرصاع** إمام وخطيب جامع الزيتونة (من 1609/24-1625م) الذي سئل عمن يليق بإمامة الجامع الأعظم بعده؛ وذكروا له الشيخ **براو** فقال: "...**أهل ومحل ولكن ليس من أهل الحاضرة**"[2]، وهذا عكس ما ذهب إليه الباحث التونسي محمد الهادي الشريف الذي أرجع أصله إلى عائلة مرابطية من بوسديرة التونسية أعالي مجردة على الحدود الغربية للبلاد[3]، وقد حلاه السراج في حلله بقوله: (**شيخ مشايخ الإسلام وعمدة العلماء الأعلام، مربي السالكين، وقدوة المريدين ومرجع المحققين ينبوع المعارف والعلوم، وكاشف الحقائق والفهوم...من تزاحمت الركب بمجلسه من كل محدث وراو، سيدنا أبو عبد الله محمد براو...**) [4]، ومن نواحي جبال القبلة من بربر الغرب **الشيخ ساسي** (توفي قريبا من 1100هـ/1689م) المقرئ بجامع الزيتونة، أخذ القراءات عن الشيخ سلطان المزاحي الأزهري بالجامع الأزهر، وكان عالما بالسبع والعشر، وكان يجود عليه بجامع الزيتونة[5].

تواصل حراك أبناء القبائل إلى البلاد التونسية؛ حيث ارتحل من بلد تاكنات من عمل الجزائر إلى تونس الشيخ العالم **سيدي محمد الشريف الحسني(تزايد في 1163هـ/1659م)** سنة 1093هـ/1682م، وقرأ على مشايخ العصر، وحصّل النحو على الشيخ **فتاتة**، وعلى الشيخ **عبد القادر الجبالي**؛ وأخذ عنه مختصر التلخيص، وحصل التوحيد عن الشيخ **علي الغماد**، وروى الحديث عن **الشيخ المحجوز**، والشيخ **أحمد مجاهد**، واستكمل علم الفرائض والوقت وغيره عن مشايخ العصر، وتصدر للتدريس بجامع الزيتونة، وطالما أفاد وأجاد، وتخرج عليه كثير من الطلبة[6]، ومن علماء زواوة الذين عاشوا خلال القرن 12هـ/18م ووفدوا على البلاد التونسية نجد **الشيخ أحمد البرانسي** من ذرية الولي **عبد الرحمان الثعالبي**، وهو من أشياخ العلامة شيخ الإسلام **أبي عبد الله محمد بيرم الثاني التونسي** الذي كثيرا ما أثنى عليه؛ بما محصله أنه عالم المعقول والمنقول، تصدر للفتوى وصار رئيس المفتين، يغير المنكر على الأمير والمأمور، توفي سنة 1197هـ/82-1783م، وترك ابنا عد من الأعيان بالحاضرة التونسية[7].

ومن قلعة بني عباس نذكر؛ العالم الفقيه **أبو عبد الله محمد** الذي تفقه عن مشايخ البلاد، ورحل إلى مدينة تونس، واستكمل بها علمي المعقول والمنقول، وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم (جامع الزيتونة) برهة من الزمن، وطالما أفاد وأجاد، ثم ولاه الأمير وظيفة القضاء ببلد ماطر من عمل إفريقية، **واستخلف ابنه** النجيب مكانه، وهو رجل عفيف له ولوع بمختصر الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك، "له تقريرات حسنة وألفاظ مستحسنة"[8]، ومن مشايخ زواوة الذين شدوا الرحال إلى الإيالة التونسية مستهل القرن 19م؛ الشيخ الأديب النحوي؛ **محمد الصالح الرحموني بن سليمان**

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 185.

[2]- أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص 135.

[3]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie...,** T 1, Op.cit, P 39.

[4]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 414-415.

[5]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص189.

[6]- حسين خوجة: **المصدر نفسه**، ص 248-249.

[7]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 13.

[8]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 250-251.

العيسوي الزواوي (1152-1242هـ/1739-1826م) الذي ينسب إلى أولاد رحمون من شرفاء العش في مشدالة، انتقل إلى تونس وبها تعلم وأجيز في جامع الزيتونة، وبعد أوبته اشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى ثم في جيل جرجرة، ومن من آثاره" **ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب**"، و" **الدليل على الأجرومية**" و" **شرح على الأزهرية**" و"**شرح البردة**" و"**شرح السلم**" في المنطق[1]، وأيضا **الشيخ أبو عبد الله** (ت. سبتمبر 1855) الذي نشأ في طلب العلم، وله قوة عارضة في الفهم، وحصل العلوم، ودرّس واحترف بالتجارة لمعاشه، ولم يترك العلم ولا نبذه، وقدمه **أبو العباس أحمد باي** لخطة الفتوى، فأحسن القيام بها[2].

ومن مشايخ بني ورثلان الولي الصالح والعالم العامل **الشيخ الحسين الورثيلاني** (1125هـ/1713م /1193هـ/1765م)؛ الذي نشأ في جو مفعم بالعلوم الشرعية والنفحات الروحانية؛ حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى العلوم الشرعية واللغوية، كان كثير الأسفار والرحلات"زواوة، بجاية، والحجاز..."، وقد مكنته هذه الأسفار والرحلات من لقاء الناس على مختلف مستوياتهم العلمية والعقلية كثيرا، فالشيخ حج ثلاث مرات أو أكثر: الأولى 1153هـ/1740م وعمره 18 عاما، والثانية عام 1166هـ/1752 وعمره آنذاك 41 سنة، والثالثة التي امتدت من 1179هـ/1765م إلى غاية الأوبة عام 1181هـ/1767م، وكانت هذه الرحلة الحجازية حافلة بالنشاط العلمي واللقاءات المتكررة بالشخصيات الفاعلة؛ كما هو الحال مع الشيخ لما حل **بتونس** التي حضر مجالسها العلمية[3]، وأفاد واستفاد، وتواصل مع علمائها وصلحائها وفقهائها الذين التقاهم بتونس أثناء عودته من حجته الأخيرة، منها أنه اجتمع بجمع من الفضلاء، وجم من نجباء أولاد الجمني في نفزاوة، فاستفادوا منه واستفاد هو الآخر منهم، وفي صفاقس اتصل برجال العلم وباحث القراء والعلماء بمسجدها في قضايا في علم الكلام وحضر بعض مجالسها في الفقه والنحو[4]، وفي تونس اجتمع الورثيلاني بالكثير من علماء وفقهاء الحاضرة كالمفتي الفقيه المفتي **السيد محجوبة، والأديب حمودة بن عبد العزيز**؛ وكذا المجتمعون في الجامع الأعظم للإقراء والتدريس، حيث أقام في مدينة **تونس** أزيد من **خمسة أشهر** استغلها في نشر العلم" **وقد مكثت فيها نحو خمسة أشهر ونيف، وأنا في تعمير الأوقات بتدريس الفنون، وضبط القواعد من العلوم، فإن تونس قاعدة من قواعد العلم، ومدينة من مدن الفهم، غيرأن أهلها ينكرون البراني**"، وما يعكس بجلاء نجاعة حراك الشيخ الفكري في تونس؛ نية وعزم **الورثيلاني** على العودة إليها للتصدي للتدريس بها أمام إلحاح أهلها " **ولما مكثت في تونس مدة، ثم جئت منها على أحسن الخيرات، وأتم البركات، نعم تركت أهلي هناك أخذا من فيها من العلماء والصالحين ممن بالغوا في محبتي واشتياقي في إقامتي ناويا الرجوع إليها والتوطن فيها رغبة في نشر العلم وبثه، لكثرة الآخذين فيها مع عدم الكلفة للطلبة الآخذين بخلاف وطننا**"[5]. ومنه يتراءى لنا النشاط الفكري البارز والهام الذي قام به الورثيلاني؛ الذي كان بحق انموذجا فريدا للتواصل العلمي والثقافي النخبوي.

---

[1]- أبي القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، المرجع السابق، ص 517.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 97-98.

[3]- أحمد ظريف: **قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 29، 31، 110.

[4]- الحسين الورثيلاني: **المصدر السابق**، مج3، ص 302-307.

[5]- الحسين الورثيلاني: **المصدر نفسه**، ص 327، 339.

03-علماء الحاضرة الجزائرية:

كما توافدت نخب جزائرية على البلاد التونسية من حاضرة البلاد؛ ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا على اتصال بنظرائهم التونسيين؛ نشير إلى الشيخ المحدث **أبو مهدي عيسى الثعالبي الهاشمي** (1611-1699)؛ من أكابر فقهاء المالكية في عصره، المنحدر من ناحية وادي يسر(وطن الثعالبة) بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، الذي أخذ عن الشيخ **سعيد قدورة** وغيره بالعاصمة[1]، ورحل عن الجزائر وتبعه للقراءة عليه في المنطق شيخنا العلامة المحقق **يحيى بن محمد بن محمد أبي البركات** الشهير **بالشاوي** حتى أكمل قراءته عليه، ودخل تونس سنة 1061هـ/1650م التي أقام فيها بعض الوقت، والتقى بعلمائها حيث أخذ عمن بها من أجلائها **كالشيخ زين العابدين**[2]، والشيخ **أبي بكر تاج العارفين البكري** (ت1072)، ولكن **المحبي** لم يذكر عما إذا أجازه أم لا، أما **ابن مخلوف** فقد ذكر العلماء الذين أخذ عنهم الثعالبي بتونس ومصر، ثم أضاف قائلا: " **وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهله**"[3]، ثم واصل الثعالبي رحلته المشرقية؛ حتى وصل مكة المشرفة وحج في سنة 1062هـ، وجاور بها سنة 1063هـ وسكن بخلوة في رباط الداودية، وأخذ عنه إذ ذاك الشيخ علي باحاج وقرأ عليه الصحيحين والموطأ، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن أكابر علمائها كالنور علي الأجهوري والقاضي الشهاب أحمد الخفاجي...واشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة، له مؤلفات منها **مقاليد الأسانيد** [4]، **وكنز الرواة في أسماء شيوخه والتعريف بهم وبمؤلفاتهم**[5].

وفي نفس الفترة عاش **محمد بن علي القوجيلي** (ت.1080هـ/1669م) أبرز شعراء الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، ويبدو أنه كان مشاركا في الحياة السياسية أيضا، فقد كان قاضيا شهيرا، انتقل إلى تونس في مهمة نجهلها، حيث قضى بها مدة الزمن؛ ونظم بها شعرا؛ خاطب به الأديب التونسي **أبو عبد الله محمدبن عثمان ضاي** سنة 1065هـ/1654م الذي استقبله وأكرم وفادته بالحاضرة التونسية[6]، والطبيب الرحالة **عبد الرزاق بن حمادوش** (1695م/ت.1783-1785م) الذي له رحلات وأسفار عديدة، حيث نزل بأحد فنادق مدينة سوسة التونسية في طريقه إلى الحج عام 1130هـ/1717م فرأى بها قوما يضربون العود ورأى إمام مسجد المدينة قد خرج إليهم ووقف طويلا متأملا، ثم أخذ يقص على صاحبه أصل العود، وسمع **ابن حمادوش** ذلك فسجله في الرحلة، ولم يذكر من شيوخه التونسيين الذين أخذ عنهم قراءة(دون إجازة) إلا عالما تونسيا؛ وهو **الشيخ محمد زيتونة**[7].

ومن أكابر العلماء الجزائريين خلال القرن 12هـ/ 18م الذي ينحدر من أسرة عريقة في الجزائر؛ الأديب الشاعر المجيد مفتي السادة المالكية بالجزائر الشيخ **أحمد بن عمار الجزائري** (ت. 1205هـ-1790م)[8]، صاحب الرحلة الحجازية

---

[1]- عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص 91.

[2]- المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج3، ص ص 240، 241، 242.

[3]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج2، ص 451.

[4]- المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج3، ص ص 241، 242.

[5]- عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص 91.

[6]- أحمد بن عمار: **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، المصدر السابق، ص127-128، 136.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري حياته وآثاره**، المرجع السابق، ص 23-24.

[8]- عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق**، ص 200.

المسماة " **نحلة اللبيب**" التي أورد فيها تبادله الشعر ونحوه مع شيخه **محمد بن محمد** المعروف **بابن علي** سنة 1163هـ/ 1749م، كان رفيقا للشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته لأداء المناسك، ويبدو أن ابن عمار لم يطب له المقام في بلاده بعد أن رجع إليها من مجاورة بيت الله الحرام، لأسباب مجهولة، حيث انتقل إلى تونس سنة 1195هـ/ 1780م بقصد الاستيطان إلا أنه سرعان غادرها، ويذهب الأستاذ **سعد الله** بالقول أن رحيله قد يعود لمنافسة العلماء له وموت الباي التونسي، ووفاة صديقه حمودة بن عبد العزيز سنة 1202هـ؛ قد حمله على الهجرة من جديد إلى المشرق ومجاورة الحرم[1]، ويبدو أنه سرعان ما عاد من أوبته المشرقية ليستقر بصفة نهائية بالبلاد التونسية، وهو ما ذهب إليه الباحث **عبد الله حمادي** في تقديمه لرحلة ابن عمار" **نحلة اللبيب**"؛ الذي لا يستبعد أن يكون الأخير قد قصد **تونس** وقضى نحبه بها عام 1791م[2]، حيث جلس للتدريس بالحاضرة التونسية، وتثقف على يد نخبة من رجالها، وتولى الإفتاء بها، ومن تلاميذه الذين درسوا عليه بتونس **إبراهيم سيالة**، و**أحمد الغزال الجزائري**، ويبدو أنه أجاز **الوزير حمودة بن عبد العزيز** أثناء هذه الزيارة التي قادته إلى تونس[3]، ومن آثاره كتاب في التاريخ عن حكم علي باي تونس[4]، ونذكر أيضا الشيخ **أبو الحسن علي الجزيري** (ت. سبتمبر عام 1800م) الذي كان شجاعا مهيبا؛ مقربا من الباي التونسي **حمودة باشا** والذي أيده في طريقته التعليمية في ميدان التربية؛ عندما أنكر على أحد المؤدبين مبالغته في ضرب صبي بحجة أنه لم يحفظ، فقال **الجزيري** لذلك المعلم:" **أن بنيته لا تطيق هذا المقدار، ولعلك أيها المؤدب لم تعلم معنى الضرب**"[5]، ومن من قضاة الجزائر أواخر العهد العثماني **محمد بن مالك الجزائري** (النصف الأول من القرن 19م)، وكان يشتغل بالسياسة والأدب والدين، ويبدو أنه هاجر إلى **تونس** بعد انتقال أحمد بن عمار إليها، وتقدم بعد احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م إلى الباي التونسي هناك يستمنحه الصلات؛ بقصيدة بدأها بالغزل والخمر ثم تخلص إلى مدح المشير **أبي العباس أحمد باي** (1837-1855م)، ومدح تونس في عهده:

يا مالكي كن شفيعي****** لدى أمير حنفي
يبسط قبض اليد ****** في صلاته لمعتفي
دم أحمد الناس لنا ****** وجد بوصل واعطف
تونس بالأنس به ****** تهش للمستعطف
لا زلت يا شمس العلا ****** تحل برج الشرف[6].

حافظت النخب الجزائرية على استمرارية حراكها نحو البلاد التونسية؛ رغم الظروف العصيبة التي كان يعيشها بعض العلماء، كما هو الحال مع الشيخ **حمودة بن محمد بن عيسى الشريف الجزائري** المعروف **بالمقايسي**

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 225-226.
[2]- أحمد بن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، المصدر السابق، ص 08.
[3]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، المرجع السابق، ص 204.
[4]- محمد صالح الجابري: **المرجع السابق**، ص 30.
[5]- ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، المصدر السابق، ص 37.
[6]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ **الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص 264-265.

(ت.1245هـ/1829)؛ الذي درس بالأزهر على عدة مشايخ **كالشيخ محمد الدسوقي المالكي** صاحب الحاشية على شرح مختصر خليل للدردير، **والشيخ عبد الحكيم السيالكوتي الهندي، والشيخ حسن العطار والصبان ومحمد الأمير** الذين أذنوا له بالإقراء[1]، وقد مر بتونس وأقرأ بها وطلب أهلها منه الجلوس والاستقرار بها، وتلبية كل ما هو بحاجة إليه إلا أنه آثر العودة إلى الجزائر التي وجد بها علماء أصحاب جاه؛ لا يحظى الواحد فيها بالمنزلة إلا إذا تردد على أصحاب السلطان، فاضطر إلى بيع كتبه والعيش من صنعته" صناعة المقايس أي الأساور"[2]، ويضاف إلى هذه النخبة الممتازة من رجال الرحلة والعلم الفقيه **أحمد بن سعيد العباس** (ت.سنة 1836م)، وقد أخذ عن الشيخ **حسين الشريف** خطيب جامع الزيتونة[3].

أما عن الأشراف؛ فنجد نقيب أشراف مدينة الجزائر الشيخ **الحاج أحمد الشريف الزهار(1781-1872م)**، والذي تولى نقابة الأشراف بعد والده، ومع مجيئ كارثة الاحتلال أبعدته فرنسا أبعدته فرنسا مع جملة من أبعدت من فحول العاصمة عام 1832م، فأم تونس صحبة أولاده، واستقر بها بضعة أعوام، وازداد تبحرا في العلم والفقه على يد العلامة **إبراهيم الرياحي**[4]، وحضر دروس الشيخ **الحاج الطيب بن عيسى الجزائري**، ومن هناك اتصل **بالحاج أحمد باي** فانتقل إلى قسنطينة، وبسقوطها عام 1837م؛ التحق بمعسكر فتولى كتابة سر الأمير عبد القادر، ولما بسطت فرنسا سيطرتها على البلاد آثر الاستقرار بمعية أولاده بالعاصمة[5]، حيث تسلم من جديد نقابة الأشراف واشتغل بالتجارة في دكان استأجره، واعتكف على الكتابة والتأليف وجمع مختلف أخبار الجزائر، عاجلته المنية عام 1289هـ/1872م وقد تجاوز سن التسعين[6]، ومن العلماء المتأخرين نجد الشيخ الفقيه الأديب المفسر **محمد بن عيسى الجزيري** (ت1303هـ/1885م)؛ الذي استوطن البلاد التونسية، وتصدى للتدريس بالجامع الأعظم؛ وله رسائل بارعة، تقلد الخطط الإدارية السامية" خطة الإنشاء والكتابة"، وكان المعول عليه في تحرير المكاتيب في ذلك العهد[7].

04-أعلام الغرب الجزائري:

لم يقتصر حراك الصفوة على جهة بعينها بل كان حراكا مناطقيا عاما؛ امتد إلى جهات الغرب الجزائري، وفي هذا السياق يتحدث الشيخ **إبراهيم خريف** في كتابه عن عرش المواعدة الذي يعود في الأصل إلى الجد الأول **الشريف سيدي حمد ميعاد** الذي ورد على نفطة قادما من تلمسان سنة 1527م، والذي استقر بالمنطقة يدرس الفقه والدين بزاوية لأحد المرابطين يسمى **محمد الوطاسي**، فأقبل عليه الناس ينتفعون بالعلوم من كل صقع حتى قيل أن حلقة درسه تشتمل على المائتين (200) من الطلبة، واشتهر علمه وصلاحه فصاهره الوطاسي على ابنته، فبنى عليها فأنجبت له ثلاثة أبناء: **حمود، عبد القادر، وعبد الرحمن**، ونشأ من صلبه أربع فرق وهم المعبر عنهم بالمواعدة، وكان له المقام الأسمى في

---

[1]- عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق**، ص 214-215.

[2]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، ص 146.

[3]- محمد صالح الجابري: **المرجع السابق**، ص 29.

[4]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 22.

[5]- محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص 258.

[6]- أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 23.

[7]- حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، مج1، ص 306.

طريق الإرشاد والتضلع في معرفة مناهجه، فاستنارت بهديه هذه البلاد؛ وظهر في عقبه علماء وصلحاء نفع الله بعلومهم الأمة وانقشعت بشموسهم السحب المدلهمة [1].

ويشير صاحب **النفحة المسكية** إلى أحد العلماء الجزائريين الذين لاقاهم بالحاضرة التونسية وهو الشيخ العالم الفقيه والمدرس **أبو العباس النقاوسي** الذي ارتحل من تلمسان ودخل الحاضرة التونسية فأضحى في آفاقها كوكبا، حيث أصبح أديب ونحوي المصر وكان أحد المدرسين الأعلام وأوحد من برع في علمي البيان والكلام وسائر الفنون، وقد حلاه **التمجروتي** بقوله:" **أحد المدرسين الأعلام وأوحد من برع في علمي البيان والكلام ...أديب المصر ونحويه، وعرضيه وبيانيه وحكيمه ومنطقيه وعدديه وفرضيه وأصوله وفروعه وجدليه ...جمع أشتات هذه الفضائل ...وعلم اللغات وسائرها، أما الفروع والأصول فبه كنت فيهما أصول، ولم تر عيني أسرع منه نسخا وكتبا ولا أقرأ لكل خط ما عسى أن يكون صعبا على جودة خطه وصحة نقله وضبطه واتيانه للسحر الحلال بأي شيء أخذ من الأرض لا يميل بشقه ولا يفطه** ..."[2]، ونذكر أيضا علم الأعلام **الشيخ أبو العباس أحمد المقري** (1578-1631م)؛ الذي ولد ونشأ وتثقف بتلمسان التي تلقى بها العلوم الدينية وعلوم اللغة على يد عمه **أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري**، واتصل بعلماء منطقته فنهل عنهم[3]، لينتقل بعدها إلى المغرب الأقصى التي قضى بها حوالي ربع قرن من الزمن تولى فيها الوظائف السامية كالإمامة والخطابة والفتوى، ورغم طول مكثه إلا أن حالة اللاستقرار السياسي دفعته إلى مغادرتها، حيث بدأ جولاته إلى المشرق أواخر رمضان من سنة 1027هـ/1617م قاصدا حج بيت الله الحرام[4]، انطلاقا من ميناء تطوان مرورا بمدينة الجزائر وتونس وصولا إلى الإسكندرية وكان هذا آخر عهد له بالمغرب الأقصى، وفي **تونس** التي توقف بها؛ كاتبه **تاج العارفين** طالبا منه الإجازة قبل قدومه عليه بسوسة، فأجازه إلى جانب الشيخ **أبو القاسم المسراتي القيرواني**[5]، ويبدو أن **المقري** توقف أولا بالحاضرة التونسية؛ وهو ما يشير إليه **الفكون** الذي تحدث عن دخول المقري تونس، ومنها صحبه **أبو محمد تاج العارفين** الذي لم يكن إذ ذاك متوليا إمامة الجامع الأعظم[6]، ويشير صاحب **نور الأرماش** إلى نزوله بها عام 1028هـ/1618م، حيث اضطربت منه علماء تونس ولم يتمالكهم الصبر حتى ناظروه في العلم فوجدوه أعلم أهل زمانه، ودخل زاوية الشيخ أبي الغيث القشاش الذي أحسن إليه[7].

ومن مشايخ قبيلة ولهاصة التي كانت آنذاك في دائرة المجال التلمساني؛ نجد الولي **سيدي يخلف بن محمد الولهاصي**(ت.1054هـ/1644م) الذي حط الرحال بالبلاد التونسية، وأخذ عن الشيخ **أبي الغيث القشاش**[8]، ومن نخب مدينة معسكر بالجهة الغربية نذكر؛ العالم والفقيه والمؤرخ **أبي راس الراشدي المعسكري الجزائري**

---

[1]- إبراهيم خريف: المرجع **السابق**، ص ص103، 104.

[2]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 40.

[3]- محمد خيط: **المرجع السابق**، ص 88.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، المرجع السابق، ج2، ص 213-214.

[5]- أحمد المقري: **الرحلة**، **المصدر السابق**، ص ص 153-154، 155، 176.

[6]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 224.

[7]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 470.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج3، ص 219.

(1150هـ/1737م- 1238هـ/1823م) الذي تثقف ونهل على علماء معسكر، وبمازونة حفظ مختصر خليل الذي أضحى يدرسه للطلبة، وفي سنة 1789-1790م حج ولاقى العلماء في **تونس** والمشرق خاصة الشيخ **مرتضى الزبيدي** صاحب "**تاج العروس**"، وبرجوعه إلى معسكر قلد الفتوى والقضاء والخطابة، واشتغل بالتدريس حيث كان يدرس مقامات الحريري التي ألف عليها شرحين، وكانت له رحلة إلى المغرب الأقصى التي وفد فيها على السلطان **أبي الربيع سليمان العلوي** (**ت.1816**)، وأهدى له نسخة من الشرح الكبير **لمقامات الحريري** مع شرح قصيدة العقيقة المسمى بـ:" **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**"، وأجازه السلطان بجائزة سنية ولقب في فاس **بالحافظ**، كما أن له زيارة إلى **تونس** أكرمه فيها الباي **حمودة باشا الحسيني**، وأخذ عن علمائها الذين فاوضوه في كثير من المسائل[1]، ومن فحول علماء فقهاء مازونة الذين ساقتهم المقادير فاستوطن تونس سنة 1261هـ/1845م؛ الشيخ **أبو عبد الله محمد العربي المازوني**(ت.1309هـ/1891م)، الذي اشتهر بالعلم والفصل، وأصبح من شيوخ الطبقة الأولى بجامع الزيتونة، له خبرة جيدة بالمختصر وشروحه[2]، تصدى للتدريس، وانتفع به في الفقه كثير من علماء جامع الزيتونة[3]، والظاهر أن عدد العلماء الجزائريين بالبلاد التونسية قد انخفض خلال القرن السادس عشر خلافا للمغرب الأقصى؛ حيث ارتفعت أعدادهم ارتفاعا ملموسا[4]، وتواصل توافد العلماء الجزائريين على البلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[5].

05-صفوة الجنوب:

ولشدة الترابط الثقافي والحضاري بين أبناء سوف وإخوانهم التونسيين فإنه لا عجب أن تسمع أشعارا أو أغاني تتردد في تونس، ويتغنى بها أهل سوف، حيث أن تراث منطقة سوف يجمع تراث المناطق المحيطة به خاصة الجنوب التونسي، ذلك أن الثقافة والعادات والتقاليد متقاربة بينهما، حتى أن المتجول في الجنوب التونسي وفي شوارع توزر كأنه يتجول في شوارع وأسواق وادي سوف[6]، ومن أبناء سوف الذين كانت لهم صلات بتونس نجد؛ **خليفة بن حسن القماري**؛ أشهر من نظم خليل واعتنى بالفقه المالكي عناية خاصة، والذي عاش حياته العلمية متنقلا بين مسقط رأسه وبين بسكرة وسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي، ورغم عزلته فقد ظل ينهل من مصادر تونس وقسنطينة، لذلك لا نستبعد أن يكون قد رحل إلى **تونس** وغيرها لطلب العلم أيضا والحج، وكانت له مراسلات مع علماء الخنقة وبسكرة، ولقاءات مع علماء المغرب أثناء مرورهم بالزيبان وإجازاتهم له نظم سماه: " **جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل**" الذي فرغ من نظمه عام 1192هـ؛ وله كتاب يعرف **بالكناش** جمع فيه مسائل فقهية هامة، كما ألف **شرحا على السنوسية**، و**نظم**

---

[1]- أبو راس محمد الناصر: **الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، المصدر السابق، ص 11-12.

[2]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 591.

[3]- محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج4، ص 115-116.

[4]- عمار هلال:"**العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، جامعة الجزائر، 1995، ص 34.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 303.

[6]- عبد القادر عزام عوادي: **هجرة سكان وادي سوف إلى تونس (1912-1962م)**، ط1، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2014، ص 133.

الأجرومية، وقصيدة في **معرفة الأثر وفتاوى وآراء اجتماعية**[1]، كما نجد حضورا علميا لأبناء **قبيلة أولاد سيدي عيسى الجزائرية** (ضواحي المسيلة) الذين أسهموا في الحراك الفكري بالحاضرة التونسية ببث العلم ونشره عن طريق التدريس والتأليف، من ذلك الشيخ **الطاهر بن مسعود بن أبي بكر اليعسوي الفاروقي** (ت. 1234هـ/ 1818م) الذي درس المعقول والمنقول بالزيتونة، وتصدى بعدها لبث العلم بما له من الذكاء والتحصيل فانتفع به كثير من حملة المعقول والمنقول، وتقدم لمشيخة المدرسة السليمانية بعد وفاة شيخها **الغرياني** وأقرأ بها، **وشرح السمرقندية في علم البيان شرحا بديعا** تعقب به شرح العصام والملوي والدمنهوري وسلك فيه مسلك التحقيق، ففاق على سائر شروحها السالفة، وقد استمر على خطته في ملازمة بث العلم إلى أن بلغ من العمر نيفا وستين فأصابه الطاعون وأدركته المنية، ودفن من الغد في جوفي الزلاج، فكان رابع إخوته الدفنين بتونس وهم: الشيخ **محمد الكبير**، والشيخ **العربي**، والشيخ **العابد**، وكلهم علماء قرأوا في بلادهم ولحقوا بأخيهم؛ وكانت وفاتهم بتونس[2].

شكلت الحاضرة التونسية منذ قرون محط أنظار العديد من التواتيين، الذين نزلوا بها واستوطنوها، بل فيهم من عقب هناك بنين وحفدة، أصبحوا يعرفون لاحقا بلقب التواتي تمييزا لهم عن بقية الجاليات الساكنة بالأقاليم التونسية، ورغبة منهم على حفظ الأصول والخصوصيات فنتج عن ذلك التواجد احتلال ثقافي رصدته كتب النوازل من خلال الحراك والتوجه إلى تلك المدينة أو من خلال الاستشهاد بما ذهب إليه الأشياخ المحققون في تونس، والأمر كذلك يصدق على الحاضرة التاريخية الأولى القيروان، حيث تأصلت العلاقات الثقافية بين الحاضرتين منذ القرن 9هـ/15م[3]؛ حينما استفتي المفتي التونسي **محمد الرصاع** حول قضية يهود توات الشهيرة في النصف الثاني من ق 15م، فكان من الذين أوصوا بالتسامح والاعتدال تجاههم[4]، كما ساهمت قوافل الحجيج التي يفد بعضها على تونس في توطيد العلاقات الفكرية؛ حيث تمكن الكثير من طلبة وعلماء توات من الرحيل إلى كل من تلمسان وتونس وطرابلس والمشرق؛ طلبا للعلم وعاد هؤلاء إلى إقليمهم بعدما رسخوا في العلوم الدينية والدنيوية، وأسهم الكثير منهم في الحياة الثقافية للإقليم، فالثقافة التواتية لم تكن محلية الطابع، بل كانت نتيجة سفر الكثير من فقهاء توات إلى كل من فاس وتلمسان وتونس ومصر والحجاز والشام[5].

لقد استقر الكثير من **التواتيين** في **مدينة تونس، وكان منهم المثقفون والأساتذة والفقهاء**، أما الشخصيات العلمية التواتية التي أثرت الحياة الثقافية في تونس وتركت بصماتها على الحركة الفكرية في تلك الحاضرة وأخواتها ورعت عهد الصلة والتواصل بينها وبين توات، حيث نشطت بشكل جلي خلال القرن 12هـ/18م مقارنة مع القرون السابقة، ومن أشهرها؛ **الشيخ عبد الله محمد التواتي**، الذي كان من أشهر معلمي مدرسة "**الباي أبي الحسن علي باشا**"، وكان كثير التأليف والكتابة، وله كتاب باسم:"**شرح شواهد العربية في كتاب سيبويه**" وآخر باسم" **شرح لامية**

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص77-79.

[2]- محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج1، ص 237-238.

[3]- سالم بوتدارة: **الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 259.

[4]- روبار برونشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من نهاية القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ج1، المرجع السابق، ص 440.

[5]- فرج محمود فرج: **المرجع السابق**، ص 117.

الأفعال"[1]، والعالم النحرير النحوي آخر المتكلمين **الشيخ أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي**؛ الذي اشتهر بقسنطينة وبها انتشر علمه، وأقبل عليه الطلبة وانتفعوا به، وحصلت له مشاركة في الأصول والمنطق والبيان، امتحن بسبب بعض من لاذ به، وهذه المحنة هي سبب انتقاله من قسنطينة متجها إلى باجة بتونس التي استوطنها، وبها بزغ نجمه رغم الحسد ومحاولة الانتقاص من شأنه، إلا أن الله وضع له القبول ونشر عليه لواء الولاية إلى أن توفي بها في طاعون 1031هـ/1621م[2]، ومن النخب التواتية أحد فقراء الشيخ **أبي الغيث القشاش التونسي** والمعتقدين فيه، منظر الزاوية القشاشية بتوزر المسمى **الشيخ محمد بن عبد القادر التواتي** (لا يزال حيا زمن القشاش أي النصف الأول من القرن 17م)، والذي استقر **بتوزر التونسية**، وكانت له صلات مع مقدمه على زاوية قفصة **أحمد البرجي** خديم الشيخ؛ الذي ناصره وأيده في موقفه من بعض الأفعال البدعية التي حاربها على غرار استعمال البنادرية، حيث أوضح الولي موقفه بصفة نهائية لصالح **البرجي**، وختم رسالته طالبا منه السلام على بعض صلحاء قفصة كسي **علي بن سعيد والمؤدب محمد المغربي**، والالتفات إلى أحد فقراء الشيخ القادم من **وادي ريغ** لزيارة الشيخ وأخذ العهد، وهذا حتى ينصرف في أمان مع توصية عليه[3]، والمرابط الخير **الشيخ الكواش التواتي التونسي (ت. ق12هـ)** الذي أرسله شيخه مولاي **التهامي اليملحي الحسني** إلى **تونس** نزولا عند رغبة أهلها الذين طلبوا مقدما يجتمعون عليه، فانتقل إليها وبنى بها زاويته خارج باب مدينة تونس، ومنها ذاع صيته واجتمع عليه التونسيون، ولزموا صحبته إلى توفي ودفن بزاويته[4].

بالإضافة إلى الإمام العالم المتفنن في العلوم، الملقب بقاضي الصحراء القاضي **البكري بن عبد الكريم**(1042هـ-1133هـ/1632-1721م)[5]، الذي رحل إلى **تونس** في طريق إلى الحج وأسس بها زاوية مشهورة باسمه إلى الآن، لكنه لم يلبث فيها طويلا حيث رحل عنها إلى ليبيا ثم مصر، ومنها نحو البقاع المقدسة، ثم رجع إلى الجزائر حيث طاب له المقام بتقرت نحو 30 سنة مدرسا ومفتيا[6]، والشيخ **محمد العربي بن محمد التواتي(ت.1149هـ/1736م)** الذي انتصب للتدريس بالجامع الكبير في تونس وتخرج على يديه العديد من الطلبة، كما تولى منصب القضاء وسار فيه بين الناس سيرة حسنة[7]، ومن الشيوخ التواتيين الآخرين الذين أشعوا بمعارفهم وعطاءاتهم الفكرية البلاد التونسية؛ الشيخ **أبو عبد الله محمد التواتي** (1107هـ/1696م)، و**محمد الصغير التواتي** (ت.1180هـ/1766)، الشيخ **احميدة التواتي** (1188هـ/1780م)، والشيخ **محمد السنوسي التواتي** (1780/1194م)[8]، والشيخ **محمد التواتي** (ت.

---

[1]- فرج محمود فرج: **المرجع نفسه**، ص 124-125.

[2]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 57-59.

[3]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 228-233.

[4]- محمد بن الطيب القادري: **المصدر السابق**، ص 2260.

[5]- الصديق حاج أحمد آل المغيلي: **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، ط2، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، 2011، ص 102.

[6]- أحمد بوسعيد: **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ العام، جامعة أدرار، 2011-2012، ص 107-108.

[7]- علي عبد الفتاح صديقي: "**الرحلات ودورها في التواصل العلمي بين توات وغيرها من الحواضر**"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج19، العدد 02، جامعة وهران، 2018، ص 476.

[8]- سالم بوتدارة: **التواصل الثقافي بين الإيالات المغاربية العثمانية**، المرجع السابق، ص193.

1295هـ/1878م)؛ الذي شد الرحال إلى تونس؛ فقرأ على العديد من المشايخ على غرار الشيخ **إبراهيم الرياحي**، وتصدى لتعليم القرآن مدة طويلة، وتقدم مدرسا بجامع الزيتونة، ومن بين ما كان يقرأ؛ شرح الشيخ ميارة على ابن عاشر، والأجرومية[1].

وكان طلبة الخنقة يكملون تعليمهم العالي في الزيتونة بحكم العلاقات التاريخية الوطيدة التي تربط علمائها ببايات تونس، وأيضا القرب الجغرافي من مجال الإيالة، إلى جانب شهرة الخنقة التي كانت حاضرة من حواضر الإشعاع الفكري والديني التي استقطبت العديد من المشايخ والطلبة التونسيين؛ حيث أصبحت نظير مكانتها العلمية؛ قلعة من قلاع العلم والمعرفة، يؤمها الطلبة من كل حدب وصوب، إذ يقول صحاب الذيل عن زاويتها:" **زاويتهم المعروفة بالعلم والبركة، مقر الصلحاء المشهورة في الأماكن الغربية المسماة خنقة سيدي ناجي، يطعمون الطعام ويأوون الفقراء والمساكين في تلك الأماكن الخالية، لهم صيت في تلك البلاد، وينتفع بهم كثير من البلاد**"[2]، ومن مشايخ وطلبة خنقة سيدي ناجي الذين وضعوا عصا التسيار بالحاضرة التونسية، نجد :**الفقيه العالم الشيخ سيدي أحمد بن عمران؛** أصيل **خنقة سيدي ناجي** الذي تفقه في جميع العلوم؛ وكانت له مهارة في سائرها، وتصدر للتدريس، وعين له حضرة الأمير مرتبا للإفادة، وله درس عظيم، مدحه الناس وأثنوا عليه على غرار العلامة الشيخ **سيدي محمد بن عبد الله المغربي الفاسي**[3]، وسلالة الصالحين وخلاصة العلماء المعتقدين حاوي الفنون والمعارف العالم العارف **سيدي أحمد العمري الخنقي**(ت.1089هـ/ 78-1679)، كان ينظم الشعر وله قريحة جيدة، وله معرفة بالتاريخ وأحوال الناس،له ميل للصالحين وأهل الإشارات والتردد على أعتابهم، كثير الزيارات، مداوم على الوظايف والأوراد والتسبيح، له معرفة بطريق القوم، له ولوع بطلب العلم، وفد إلى مدينة تونس فعظمه الباي التونسي، وأكرمه، وأدار عليه إدرارات، وعين له جميع ما يحتاجه، وأحسن إليه كل الإحسان، ولازم خدمة الأمير مدة من الزمان، ورتب له مرتبات وعادات يأخذها في أوقاتها، ثم تصدر للتدريس والإفادة والاستفادة بالجامع الأعظم"جامع الزيتونة[4]، هذه الامتيازات التي حظي بها، جعلته يتمع بحماية طبيعية من السلطة الحاكمة[5]، وله درس عظيم يقرئ فيه **مختصر الشيخ خليل، وألفية ابن مالك** وغيرهما، وله عبارات حسنة، وتقريرات مستحسنة، وأفاد واجاد[6]، ومن مشايخ **الخنقة** نجد الشيخ **محمد بن محمد الطيب** الذي كان كثير التنقل في شبابه، زائرا لأهل العلم والفضل، وكان ينتهز الفرصة في كل حل وترحال من ذهابه إلى عودته للالتقاء بالعلماء والاحتكاك بهم والاستفادة منهم، خصوصا إلى تونس أين تتلمذ على الشيخ **علي النوري الصفاقسي** المتوفى عام 1118هـ/ 1706م، والذي كان يقول عنه، عالما وفقيها وصفيا وورعا وزاهدا ومربيا وأستاذا مدرسا، ويضيف:"**زرته رحمه الله سنة 1103هـ/81-1682م بصفاقس، وأخذت عنه وأجازني بخط يده**"[7]، أما الشيخ **أبا**

---

[1]- محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج4، ص 128.

[2]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 147.

[3]- حسين خوجة: **المصدر نفسه**، ص 147.

[4]- حسين خوجة: **المصدر نفسه**، ص 253-254.

[5]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…,** T 1, **Op.cit**, 334.

[6]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 253-254.

[7]- محمد بن الطيب الخنقي: **المصدر السابق**، ص ز.

عبد الله الحاج محمد الخنقي؛ فقد ذهب أولا إلى مصر وتفقه بها ثم رجع إلى صفاقس فلازم الشيخ **سيدي طيب** في مدرسته سنين كثيرة، فحصل به النفع،[1]، ثم انتقل هذا الفاضل إلى مدينة القيروان واتخذها دارا، تبركا بآثار الصحابة والتابعين، وكان عالما صالحا، مثابرا على نفع الناس بالعلم[2]، فأقام بها ونشر العلم ونفع المسترشدين بها وقبلوه وأكرموا نزله، وتفقه به خلق كثير[3]، وتردى في المدينة بالعفة والوقار والسكينة، فحل في قلوب أهلها، ولم يزل معتقدا منتفعا به معظما، إلى أن توفي سنة 1199هـ/85-1784م، ودفن في تراب القيروان[4].

وكان لأهل بسكرة علاقات متميزة مع علماء الإيالة التونسية في فترات مبكرة[5]، من ذلك الشيخ **عبد الرحمن الاخضري** (1514م-1546م) الذي يعدّ من أبرز العلماء الذين أنجبتهم الجزائر، وأخصبهم إنتاجا وأكثرهم شهرة، كتب في المنطق والفرائض والبيان؛ والمعاني والفلك والحساب، وقد عاش في بنطيوس (من قرى بسكرة)، وتثقف على يد والده، ولعله قرأ على الشيخ الوزان، وذهب أيضا إلى الزيتونة بتونس**6**، أما الشيخ سيدي **محمد القرطبي البسكري** فقد كان أول مدرس لأبناء الشيخ **أبو الغيث القشاش التونسي**(ت.1622م) ، وكان يقرأهم ساعة في الدار وساعة أخرى في الكتاب[7]، ويتحدث **الناصري** عن بعض مشايخ الزاب الذين اجتمع بهم في رحلته الحجازية 1196هـ/1782م؛ على غرار الفقيه **سيدي لخضر بن محمد بن عطية**؛ الذي تخرج بتونس، وله إجازة من شيوخه، ومفتي البلد **أبي عبد الله محمد الهادي بن أحمد بن سليمان المصمودي**، الذي قرأ بقفصة وأجازه علماؤها كالشيخ التاودي لما مر به حاجا [8].

لقد أسهمت العوامل الدينية ولا سيما المذهبية كالمذهبين **الحنفي والإباضي** في تعزيز التواصل الثقافي بين الولايتين، هذا مع العلم بمساهمة التبادل التجاري بينهما ولا سيما وجود قافلة تجارية تربط بين قسنطينة وبلاد تونس في تعزيز الروابط بين البلدين**9**، ذلك أن الحراك النخبوي لم يكن قاصرا على مشايخ المذهب المالكي؛ بل شمل أيضا علماء المذهب الحنفي، فقد ورد من أولاد الترك على البلاد التونسية المولى العلامة **أبو الحسن المولى علي أفندي الجزائري**، وكان علامة زمانه فتوجه من الجزائر إلى اصطنبول، وجاء منها إلى **تونس بوظيفة القضاء**، فطلب نائبا فلم تطب نفسه بنائب من علماء الوقت إلا بالشيخ **ساسي نوينة**، فطلبه للنيابة فأبى فراوده فامتنع، وأمام تهديده لم يسعه إلا الامتثال، فتولى النيابة المذكورة، ولما تمت مدته في القضاء توجه إلى بلد **بنزرت**، فأقام بها أياما، يترصد مركبا يسافر معه، فقتله مملوكه[10].

---

[1]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 416.

[2]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 20.

[3]- محمود مقديش: **المصدر السابق**، مج2، ص 416.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 20.

[5]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 312.

[6]- أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، المرجع السابق، ص 30-31.

[7]- المنتصر بن أبي لحية القفصي: **المصدر السابق**، ص 423.

[8]- محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص 215-216، 222.

[9]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 304.

[10]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 169.

وتجدر الإشارة إلى العلاقات العلمية والثقافية بين علماء المذهب الإباضي بكل من جزيرة جربة وإباضية الجزائر[1]؛ والتي كانت متينة محافظة على استمراريتها ونسق ديمومتها في ظل حركية النخب الإباضية بين المنطقتين.

كانت العلاقات الثقافية بين **إباضية جزيرة جربة** و**إباضية مزاب** وطيدة، فقد ظل الاتصال الثقافي بين المنطقتين في نطاق الطابع المذهبي خلال العهد العثماني كثيفا، حيث حافظت الجماعات الإباضية على تبادل الزيارات بين المشايخ، حيث كانت تلقى دروس المواعظ والفقه والتفسير، وفي العديد من الأحيان نجد إباضية المغرب الأوسط يستنجدون بإخوانهم في جربة ونفوسة لإمدادهم بالعلماء والفقهاء كما هو الحال مع **عمي سعيد بن علي الجربي** في غرداية[2]، وقد يقع العكس أحيانا حيث يتم استجلاب المدرسين والمشايخ من مواطن الإباضية الأخرى؛ كما هو الحال مع **يوسف المصعبي المليكي** في القرن 12هـ/18م للتدريس بالجامع الكبير بجربة[3]، ويعزى هذا التعاون والتآزر والأخذ والعطاء إلى وحدة المذهب"الإباضي" وما ينشأ عنه من تفاهم وتعاون، ونوعية وسلوك ويسر جوار ومصاهرة، وتقارب وتشابه الظروف الاجتماعية والبيئية بين المجتمعين، فكان ذلك كفيلا لفتح آفاق واسعة من التعاون والروابط الاجتماعية، والتي تمظهرت في تبادل الزيارات والوفود، والبعثات الطلابية من جربة وإلى جربة للأخذ والاستزادة، وانتقال العلماء ضمنها إلى مزاب والعكس[4].

لقد كان الطلبة الميزابيون يترددون على المسجد الأعظم(الزيتونة)[5]، وفي المقابل أصبحت مزاب مركز إشعاع استقطب علماء من خارج مزاب...فمن نتائج النهضة التي قام بها **عمي سعيد**، أن شهد وادي مزاب فترة استقرار وأمن[6]، ويبدو أن التلاحم بين أبناء المذهب لم ينقطع في فترة من الفترات ولا في منطقة أو بلد بعينه؛ حيث ظل هذا التضامن قائما حتى خارج أوطانهم الأصلية، ففي مصر أسس أحد التجار الجربيين المسمى **عبد العزيز بن منصور البحار** في القرن 11هـ/17م إلى جانب أفراد الجالية الجربية –بعد اتخاذ مقر للاجتماع فيه، والتطوع بجعل هذا المحل وقفا لذلك الغرض– وكالة بمحيط سوق طولون، سميت في البداية باسمه، ثم سميت بوكالة الجاموس لأنها أضحت بقية القرن 11هـ/ 17م مكانا لتخزين جلود الجواميس وبيعها، وأصبحت قبلة للعديد من العائلات الإباضية، وقد كانت مختصة بسكن الطلبة الإباضيين، وكانت حافلة بالعلماء الأجلاء وعشرات الطلبة من بني ميزاب وجزيرة جربة وجبل نفوسة، والوكالة متكونة من مدرسة، ومكتبة، ومأوى ومحلات تجارية تساهم في التوسعة المادية على العائلات الجربية المهاجرة وغيرها [7].

حافظت مزاب وجربة على تبادل الوفود والزيارات بينهما، والتي غالبا ما يتصدرها عالم أو عالمان مع من يصحبهما من الطلبة ومحبي العلم، فتترك تلك الزيارة حيوية ونشاطا لما يتخللها من دروس ووعظ وما يصحبها من بحث علمي ومراجعة واستشارات في فتاوى أو نوازل عارضة، إلى جانب ذلك نشهد انتقال أعداد من الطلبة سعيا للاستفادة عن

---

[1]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي من خلال الحديث المصادر**، المرجع السابق، ص 304.

[2]– مسعود مزهودي: **المرجع السابق**، ص 313-314.

[3]– محمد المرمي: **المرجع السابق**، ص 31.

[4]– إبراهيم طلاي: **العلاقة بين سكان جربة ومزاب**، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة أفريل 1982، المرجع السابق، ص ص 14، 15.

[5]-Marty (Germine): **Op.cit**, P 331.

[6]– ناصر بالحاج: **المرجع السابق**، ص 60.

[7]– فتحي بوعجيلة: **المرجع السابق**، ص 41.

أي عالم يظهر بجربة أو مزاب، حيث يجد الطالب من الإمكانيات ما يعينه ويشجعه على قضاء فترة في الأخذ والاستزادة المعرفية، فمساجد مزاب بجانبها بيوتات تكون مأوى للطلبة الوافدين من القطرين، وقل مثل ذلك في جربة ومساجدها كالمسجد الكبير في حومة الحشان، كما نلحظ ظاهرة انتقال عالم من منطقة إلى أخرى للقيام بواجب التعليم ونشر الفضيلة والتفقه في الدين، حيث كان علماء الإباضية حريصين على نشر العلم والمعرفة والمحافظة على مستوى رفيع من العلوم الدينية[1]، ومن هؤلاء العلماء الدين وفدوا إلى مزاب للقيام بواجب التعليم ونشر الفضيلة والتفقه في الدين الشيخ **سعيد بن علي بن حميدة الخيري الجربي** (ت.سنة 927هـ/1521) من علماء النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الذي وفد على مزاب تلبية لطلب عزابتها؛ بأمر من شيخه **يونس بن تعاريت** نجدة لها من ورطة الجهل والتخلف، ولمعالجة حالة التداعي التي آل إليها الوضع بالمنطقة[2]، وكان صاحب الفضل في الكثير من الأنظمة والنشاط الاجتماعي والثقافي، فقد أحيا وادي مزاب بتكوينه نهضة دينية وثقافية وأصلح بين العشائر والمدن، فخمدت الفتن التي كانت تشتعل من حين لآخر، نتيجة الجهل والعصبية[3]، وأصبح يلقب "**بعمي سعيد الجربي**" **مصلح وادي ميزاب**، ولعل أبرز ما قام به إسهاما في تعزيز الحياة الثقافية استحداث منهج جديد في التعليم؛ يعرف **بنظام هيئة التلاميذ** ضمانا لاستمرار الحركة العلمية وازدهارها، كما بادر لنسخ عدد كبير من أمهات الكتب وتوفيرها للطلبة؛ كمستلزمات إحياء وتنشيط العلم والثقافة بالمنطقة[4]، وقد رافقه عالمان: **الشيخ بالحاج بن سعيد** الذي استقر **ببني يزقن**، والشيخ **دحمان بن الحاج** الذي آثر الاستقرار **ببنورة**، وفيها تولى الدفاع عن أهلها لما هجم العدو ابن دومة على وادي ميزاب[5]، حيث تولى المشيخة فكان إماما وواعظا ومدرسا، فانتعشت المدينة في عهده بجهاده وبإخلاص في تسيير أمور مدينة بنورة الدينية والسياسية والاجتماعية[6].

ومن أنجب تلاميذ الشيخ عمي سعيد الجربي **أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن موسى المليكي المزابي** (ت.971هـ/1564م)، الذي نشأ على المذهب المالكي ثم تحول إلى المذهب الإباضي فصار من أعلامه، اشتهر بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، استقر به المطاف في بلدة مليكة حيث وجهه شيخه إليها إحياء للعلم بها، من تآليفه: **رسالة بليغة في الرد على بعض الطاعنين في المذهب الإباضي**[7]، ومن أبناء عمي **سعيد بن علي الجربي** ابنه **صالح** الشهير بـ"**بابا صالح**" (ت.949هـ/1542م) أحد أعلام وادي مزاب، الذي رشحه أبوه ليكون خليفة له من بعده، حيث أخذ على عاتقه هو الآخر مهمة نشر العلم والدين، كما أنه كان القائم بحفر الآبار في وادي "**سالم أوعيسى**" بغرداية سنة

---

[1]- إبراهيم محمد طلاي: "**العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب**"، الأيام الدراسية " **من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد**"، تونس، (د.ت)، ص 5-6.

[2]- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص 280.

[3]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: **المرجع السابق**، ص 78.

[4]- رضوان شافو ومحمد بوسعدة: "**دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري**"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتمماعية، العدد 8، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 216، ص 188.

[5]- سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 228.

[6]- حمو محمد عيسى النوري: **نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية من 1505 إلى 1962**، ج1، دار الكروان، باريس، 1984، ص 90.

[7]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، المرجع السابق، ص 325.

913هـ/1507م[1]، ومن علماء جربة الذين وفدوا على ميزاب الشيخ **أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي** (ت. 967هـ/1560)، الذي درس بمليكة على يد الشيخ **أبي مهدي عيسى بن إسماعيل** سنة 961هـ/1554م، وبرجوعه إلى جربة امتهن التدريس بمسجد القصبيين، ونال شهرة ومكانة[2].

وبفضل هذا النشاط الثقافي، قويت الروابط الفكرية والدينية وازدادت متانتها بين مزاب ومواطن الإباضية الأخرى كجزيرة جربة وعمان، وأضحت منطقة مزاب مركز إشعاع يستقطب علماء الخارج، فتوالت زيارات العلماء على وادي ميزاب من وارجلان وجربة وعمان، ومن بعض حواضر بلاد المغرب كمدينة فاس وتلمسان[3]، وفي المقابل توافد طلاب العلم من ميزاب وجبل نفوسة بليبيا على جربة للأخذ عن علمائها ومشايخها؛ كما هو الحال مع الشيخ **سليمان بن أحمد الحيلاتي الصدغياني الجربي** (كان حيا عام 1687/1099م) الذي انتصب للتدريس بالجزيرة، وتوافد عليه طلاب العلم من مختلف مواطن الإباضية للأخذ عنه؛ على غرار أبناء وادي ميزاب[4]، ذلك أن مجتمعات الإباضية تربطها صلات متينة قوامها الزيارات والبعثات العلمية، وإرسال الكتب العلمية التي ألفها الإباضية وغير الإباضية، والاهتمام بجمع تراثهم الثقافي، فلطالما كانت جربة ملاذا وملجأ لأبناء نفوسة ووادي ميزاب والعكس بالعكس؛ ما شكل انموذجا فريدا للتعاون منذ القديم في شتى المجالات الاجتماعية والثقافية[5].

ومن علماء ميزاب الذين وضعوا عصا التسيار بالبلاد التونسية نذكر؛ **بحيو بن موسى المزابي**(حي عام 916هـ/1510) الذي كان من أهل الحرب والبيان، كون جيشا من الصحراء الجزائرية، وقاده للمشاركة في الحرب ضد الإسبان لما استولوا على جزيرة جربة عام 927هـ/1520م، نظم قصيدة في وقائع الحرب[6]؛ ولطالما كان الحراك البيني للنخبة الإباضية جماعيا، فقد استقرت العديد من **العائلات المزابية العلمية** بالبلاد التونسية، كما الحال مع **عائلة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي**(ت. 1187هـ/ 1774م)؛ الذي وفد مع والده إلى جزيرة جربة عام 1103هـ/1692م واستقر بها، وقد تولى هيئة التدريس بها، وترأس مجلس العزابة[7]، حيث كان مفتي الجزيرة ورئيس مجلس الحكم فيها [8]، وقد تم استجلاب **يوسف المصعبي–مجدد معالم الإسلام–** من وادي مزاب للتدريس بالجامع الكبير بجربة [9]، فأحيا الحركة العلمية في جربة، وله مجالس للتدريس في كثير من المساجد غير الجامع الكبير الذي هو محط رحله

---

[1]– حمو محمد عيسى النوري: **المرجع السابق**، ص 67.

[2]– براهيم زدك: **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10–13هـ/19–19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018–2019، ص 225.

[3]– يحي بن عيسى بوراس: **"الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث"**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ص 138.

[4]– محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، المرجع السابق، ص 184.

[5]– يوسف بن محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 175.

[6]– محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، المرجع السابق، ص 85.

[7]– **مجلس العزابة**: هو مجلس يمثل أعلى سلطة ينتخبون من أهل الورع والتفقه في الدين والأمانة والصدق، يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنيوية. للمزيد انظر: يوسف بن محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 121.

[8]– سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 126.

[9]– محمد المرمي: **المرجع السابق**، ص 31.

حيث كان كبير المدرسين به، وكان حكام جربة يجلونه، كتب رسالة إلى الباي **حسين بن علي** يرد من خلالها على من قدح في شهادة الإباضية، حيث حكم على القادح في شهادتهم بالكفر[1]، وكان يعظ الأمراء والحكام ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله في نفوسهم مكانة رفيعة ومنزلة سامية يتحامون جانبه إجلالا لعلمه وقدره وفضله وكانوا يزورونه في مواسم الأعياد[2]، وكتب **المصعبي** رسالة إلى **علي باشا بن محمد باي** تونس لما سمع أن أحد التونسيين يشتم الإباضية، فبين عقيدتهم، ومما جاء فيها:" **الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه المجتبين بالوفاء. أما بعد، فهذه رسالة لسيادتكم تتضمن الشكوى إلى الله حقيقة ثم لسيادتكم ثم للعلماء والقضاة، وذلك أنه أخبرنا بعض الشهود أن رجلا اجتمع مع بعض أولادنا وأخذ في شتم مذهبهم. ولنا أن نخبركم بما هو المعتقد عندنا وعند أئمة الدين–نجوم الهدى بعد الصحابة...وجملة أئمتنا الذين نقلوا الأحكام وأشهرهم بالسنة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان الفارسي...وحاصل معتقدنا ما هو مطابق للقرآن والسنة. فلنصرف العنان على هذا الشخص المتجاسر...هذا ما عندنا، وما نحن عليه من الدين أخبرناكم به إجمالا. وقد قصدنا الشكوى لسيادتكم من هذا التجاسر على المذهب المسند بالتسلسل إلى الصحابة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومات ورد في فضلهم كثير...فإن حاسبتم هذا المتجاسر لينزجر غيره فذلك المرجو من فضلكم، وأجركم على الله –سبحانه وتعالى–وإن أعرضتم عنه وعن شكوانا فقد فوضنا الأمر إلى الله يوم يحكم بين عباده. وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"**[3]. وقد كان في نظر الدولة التركية يمثل العالم والزعيم الإباضي في المغرب الإسلامي، وكان ممثلا للإباضية في جميع المشاكل التي تعترض أبناء المذهب في كل من الجزائر وتونس وليبيا، ترك العديد من الرسائل والحواشي منها: **حاشية على كتاب أصول الدين لتبغورين بن عيسى الملشوطي، تحفة الأحباب في عذر أولي الألباب، حاشية على شرح الجهالات لأبي عمار عبد الكافي، حاشية على تفسير الجلالين، رسالة إلى الشيخ شعبان القنوشي في الوصايا والحقوق، رسالة في تنجيس أبوال الحيوانات المأكولة**[4].

وقد ترك مجدد معالم الإسلام أبناء علماء **كالشيخ محمد بن يوسف المصعبي المليكي المزابي أصلا والجربي** مولدا ومسكنا(ت.عام 1207هـ/1792م)، الذي أخذ العلم عن والده الشيخ يوسف بمدرسة الجامع الكبير، ثم قام بالتدريس فيها، وتولى رئاسة مجلس العزابة بعد والده، إذ كان كان قطبا تدار حوله جميع أمور الجزيرة من رئاسة مجالس التعليم والحكم والتدريس، وهو المرجع في الفتوى، وكانت له هو الآخر مواقف شجاعة مع باي تونس**حمودة باشا الحسيني**، وذلك أن هذا الأخير طلب من علماء جربة أن يوفدوا إليه جماعة من أهل العلم ليختبرهم بسبب وشاية قام بها بعض علماء تونس؛ الذين يعتبرونهم غير أهل علم، فاختار مجلس العزابة وفدا من العلماء يرأسه **محمد المصعبي**، ولما وصل الوفد إلى الحاضرة أكرمهم الباي، وجمع علماء تونس وجربة في محل ليختبرهم، حيث انتهت المناظرة بتفوق

---

[1]– يوسف بن بكير: **المرجع السابق**، ص 80.

[2]– سليمان داود بن يويف: "**صلة جربة بواد مزاب**"، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي الآثار والفنون، تونس، 1986، ص 21.

[3]– سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 128-129.

[4]– يوسف بن بكير: **المرجع السابق**، ص 80-81.

الوفد الجربي، وأدرك الباي من إجابات **المصعبي** الذي قال قولته المأثورة: " **المذهب الإباضي هو أصل الدين، فإننا متمسكون بالأصل لا بالفروع**"؛ مقدار تورع علماء جربة وآدابهم، من مؤلفاته: **حاشية على كتاب تبين أفعال العباد للشيخ أحمد بن محمد بن بكر، وحاشية على المنظومة الحائية لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، وحاشية على كتاب الفرائض للشيخ إسماعيل الجيطالي**[1]، وتخرج على يديه ثلة من العلماء منهم: أبو الأعناق داود بن أبي بكر المصعبي الغرداوي، إبراهيم بن صالح المصعبي، سليمان بن محمد الباروني، وسليمان بن محمد الشماخي، وبموته أخذ نظام العزابة في الاندثار بجزيرة جربة[2]، ومن علماء أسرة المصاعبة نجد أيضا الأديب؛ الناظم للشعر الناسخ للكتب؛ **الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف المصعبي (ت. بعد 1187هـ/1773م)**، الذي أخذ العلم عن والده الشيخ يوسف بجربة، وعن الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي بالقاهرة، ثم تولى التدريس بمدرسة الجامع الكبير وبمدرسة الشيخ بالقشعيين، من مؤلفاته: مرثية في والده الشيخ يوسف، قصيدة في مدح بني مصعب، قصيدة في شيخه عمرو التلالي، وقصيدة ذكر فيها مناقب والده وأخويه سليمان ومهني[3].

ونجد من شيوخ ميزاب الذين رحلوا إلى جربة طلبا للعلم **أبو محمد عبد الله المصعبي(أوائل ق.13هـ/19م)**، والذي لا تربطه صلة بالعائلة المصعبية المستقرة بالجزيرة، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن يوسف المصعبي بجربة، وكان من أجل تلاميذه،كان ثاني اثنين ممن عينهما الشيخ محمد بن يوسف المصعبي في منصب المشيخة بالنيابة عنه، ليتفرغ هو للتدريس بالجامع الكبير، إلا انه أبى وعاد إلى مسقط رأسه ميزاب[4]، وأيضا **الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح اليزقني المزابي**؛ أخذ العلم هو الآخر عن الشيخ يوسف المصعبي بمدرسة الجامع الكبير بجربة، وعن الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي (1110-1187هـ/1697-1773م) بالمدرسة الإباضية وبالجامع الأزهر بالقاهرة، ولما رجع إلى بلاده وادي ميزاب، أخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني صاحب كتاب النيل وشفاء العليل[5]، ومن العلماء الأعلام وكبار المشايخ، سليل بيت العلم، باعث النهضة الحديثة بوادي ميزاب؛ **الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي اليسجني**(1126هـ-1202/1714هـ-1788)؛ وكان قد تلقى مبادئ العلوم في مسقط رأسه بني يسجن، ثم قصد **جربة** في أواخر النصف الأول من القرن 12هـ/18م، فأخذ عن مشايخها، ثم انقطع للشيخ **أبي يوسف بن محمد المصعبي المليكي** (ت.1188هـ/1744م)، حيث مكث في التعليم بجربة 12 سنة متصلة؛ تفرغ فيها كلية لطلب العلم، ثم ارتحل إلى مصر فلازم دروس المدرسة الإباضية **بوكالة الجاموس** العامرة، ودروس الجامع الأزهر، وكان إلى جانب ذلك يعنى بنسخ نفائس الكتب، وكان قد رافق في هذه المرحلة **الشيخ عمرو بن رمضان التلالي الجربي**، ثم عاد إلى وطنه ميزاب حوالي سنة 1157هـ/1744م، بعد إلمامه بعلوم كثيرة، أين شرع في وضع أسس حركة إصلاحية شاملة، فعلم وأرشد، وشمر عن ساعد الجد في الإصلاح والتعليم والوعظ بدار التلاميذ، التي تحولت بمثابة قسم للدراسات العليا،

---

[1]- سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 130-131.

[2]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، المرجع السابق، ص 406.

[3]- سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 132.

[4]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، المرجع السابق، ص 260.

[5]- سالم بن يعقوب: **المرجع السابق**، ص 132-133.

فتخرجت على يديه جحافل من الطلبة، قادوا الحركة الإصلاحية في مواطنهم في مدن ميزاب ووارجلان ووادي ريغ، منهم ابنه **موسى**، والشيخ **ضياء الدين عبد العزيز الثميني**، **وإبراهيم بن بيحمان** وغيرهم، ترك ما لا يقل عن عشرين نصا وحاشية، ولم يؤثر عن الشيخ أي مؤلف ذاتي لاشتغاله بإعداد الرجال عن تأليف الكتب، ترك مكتبة ثرية يتوارثها ذووه أبا عن جد[1]، ومن علماء ومفاتي قصر مليكة بوادي ميزاب **الشيخ أبو العباس أحمد بن رمضان المليكي (ت.1234هـ/1818م)** الذي تنقل إلى **جربة** التي عاش بها، وتتلمذ على يد الشيخ **أبي عبد الله محمد بن يوسف المصعبي المليكي** (ت.1207هـ/1793م)، وتولى التدريس بجامع قايد البلد بجربة[2]، ومن علماء العطف بميزاب الشيخ **عبدالعزيز بن داود (ق.13هـ/19م)**، رحل إلى تونس طلبا للعلم، فأخذ العلوم العقلية والنقلية والتجويد وعلم القراءات من علماء جامع الزيتونة، وعند رجوعه عين شيخا وإماما بالمسجد العتيق بمسقط الرأس، وقاضيا للبلدة، فقام بتنظيم الأوقاف، وكرس حياته لنشر العلم[3]، والشيخ **باحمد بن سليمان القراري (ت.1265هـ/1848م)**؛ الذي نشأ في القرارة حظي بتربية وتوجيه علمي من والده، ليرتحل بعدها طلبا للعلم إلى تونس بين 1812 -1813، وبعودته إلى مسقط رأسه اغتيل والده أمام مرأى عينيه؛ ففر من القرارة ليستقر ببني يزقن، حيث شب ونال نصيبا وافرا من العلم[4]، لقد جسد هذا الحراك البيني بين اباضية وادي ميزاب واباضية تونس المستقرين بجزيرة جربة انموذجا فريدا للتواصل الفكري بين الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة.

ومن العلماء المتصوفة الأوائل الذين وفدوا على البلاد التونسية؛ نجد الولي المرابط **أبي عبد الله بن المغوفل** (ت. سنة 1023هـ/1614م) صاحب أرجوزة "**الفلك الكواكبي**" في أولياء منطقة الشلف، الذي حاول العثمانيون الاستفادة من نفوذه الروحي أول عهدهم، وتشير المصادر أن **ابن المغوفل** قد ظهر أمره وهو ما يزال في **تونس، وأن المشيخة أعطيت له هناك**[5]، ومن العلماء العاملين والأئمة المجتهدين؛ **الشيخ الولي سيدي أحمد التجاني(1737-1815م)**الذي اشتغل بطلب العلوم وحصل معانيها، انتقل بعدها إلى فاس سنة 1171هـ/1757م حيث أخذ الطريقة الناصرية، ومنها رحل إلى تلمسان قاصدا الحج؛ فمر بتونس التي أقام بها سنة كاملة سنة 1186هـ/1772م[6]، وأفاد واستفاد واجتمع بكثير من العلماء الأخيار[7]، حيث نزل بدار العلامة **أبي إسحاق إبراهيم الرياحي**، وعظم الباي التونسي مقدمه رغم أنه لم يجتمع به، وبعد تأدية حج الفريضة رجع لتونس، وبلغ خبر مقدمه إلى داي الجزائر الذي كاتب الباي يطلب منه اعتقاله بتونس أو إرساله إلى الجزائر فأنف لذلك، أخبر الشيخ مع خاصته فاستعجل السفر، وكاتب الأخير أعيان الهمامة وقفصة والجريد بإجلاله وإكرامه إلى أن وصل زاويته بتماسين أواسط 1240هـ/1825م[8]، أما **الولي الشريف أبو عبد**

---

[1]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، المرجع السابق، ج2، ص 460-461.

[2]- صالح بوسليم ومحمة عائشة: **المرجع السابق**، ص 216.

[3]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، المرجع السابق، ج2، ص 257.

[4]- براهيم زدك: **المرجع السابق**، ص 251.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 150-1830**، المرجع السابق، ج2، ص 116.

[6]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، 40-41.

[7]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 542.

[8]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص 157.

الله سيدي محمد البشير الزواوي (ت. 1242هـ/1826م)؛ فقد وفد على الحاضرة التونسية بعد وفاة عمه **سيدي الونيس** المشهور بمقبرة الجلاز، حيث درس في الحديث وفي الفقه، وانجذبت له أرباب السلوك، وعظم في قلوب العامة والخاصة والملوك، يسلمون له بالولاية، ويعتقدون زيارته من أسباب النجاح، قرأ على يديه ابن أبي الضياف **تفسير ابن الفرس**، يقرئ طلبة جامع القصر قبل الانقطاع، أوكل له الباي **أبو الثناء محمود باشا** تعليم وتربية ولديه، فكانا يأتيان لزيارته، وأكبرهم **حسين باي** الذي بنى له الزاوية المعروفة بالحاضرة، وهو أول من احتفل لقراءة فضائل المولد وأخباره، كان محببا للناس لا سيما زواوة فإنه قطب مدارهم، يتبركون بثيابه وسبحته، وبوفاته دفن بزاويته؛ وقام ابن أخيه مقامه، فعمر الدار وحافظ على الآثار[1]، ونذكر أيضا الإمام **محمد بن علي السنوسي**(1788-1859م) أصيل بلدة مستغانم الجزائرية وهذا في رحلته المشرقية لأداء فريضة الحج عام 1823م التي كانت فرصة للقاء كبار علماء العالم الإسلامي، لذلك غادر السنوسي الجزائر ودخل تونس وقابس وجامع الزيتونة، واستفاد من شيوخها، واستفاد الطلاب منه؛ وطلب منه التدريس ولبى الطلب، ليواصل بعدها سيره إلى الحرم الآمن[2].

يتبين من خلال جرد أسماء النخب؛ أن الجزائر كانت قبل الاحتلال تتوفر على احتياط مهم من الكفاءات المعرفية، مما يدل على أن العطاء الثقافي في الوطن لم يكن شحيحا ولا عقيما، وإنما كان عطاء مثمرا بدليل أن الزمر من حملة العلم التي غادرت البلاد في تلك المراحل؛ كانت نخبا هامة من حيث النوعية والكثافة، وأنها أثبتت مستواها في البيئات حيث حلت؛ واكتسبت الشأن والمكانة[3]. من خلال تتبعنا لحراك المثقفين الجزائريين يتراءى لنا **أن صنف منهم دخل في خدمة الحكومة التونسية واستكتب فيها، وسكن تونس ومات فيها، وصنف أقام بتونس إقامة مؤقتة أو دخلها لفترة محدودة ثم انتقل منها حيث مقصده الذي كان عادة مشرقيا، أما الصنف الثالث والأخير من فقد رحل إلى تونس لطلب العلم بها بجامعة الزيتونة، ثم رجع إلى بلاده بعد إتمام دراسته**[4]، ومن هؤلاء العلماء الذين غادروا أوطانهم لأسباب عديدة، وعادوا إليها؛ الشيخ **حمودة المقايسي** و**الحسين الورتيلاني** و**أبي راس** و**محمد الزجاي**[5]، ويتضح جليا مما تقدم مدى حركية النخب الجزائرية نحو البلاد التونسية، والحظوة والمكانة الراقية والمواقع التي احتلها هؤلاء؛ والوظائف والرتب التي تقلدوها، وما تركوه من تأثيرات واضحة وبصمات بارزة في المناطق التي وضعوا فيها عصا التسيار، في زمن عشعش فيه التخلف، وانتشرت فيه البدع والخرافات والإيمان بالغيبيات.

ثانيا-أسرة الرصاع التلمسانية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني:

تعود علاقة آل الرصاع بالحاضرة التونسية إلى النصف الأول من القرن 15م، لما قدم أحد أفرادها المسمى **قاسم** من تلمسان سنة 1425م، واستقر بصفة نهائية بالحاضرة التونسية، وأنجب أبناء أضحى لهم شأن لدى سلاطين بني حفص، أما الابن الشيخ **محمد الرصاع**؛ فقد حط عصا التسيار بها؛ صحبة الوالدة في عام831هـ/1427م بعد أن سبقه الوالد

---

[1]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج7، ص 145-147.

[2]- علي محمد الصلابي: **تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا**، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، 29-30.

[3]- سليمان عشراتي: **المرجع السابق**، ص 225.

[4]- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين**، المرجع السابق، ص 58.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج1، ص 133-434.

بعامين، وقصد بمدينة تونس جامع الزيتونة وإمامه إذ ذاك **أبو القاسم البرزلي**، وفي تونس التي نشأ فيها واستوطنها وترك بها عقبه إلى الآن[1]؛ تفتحت أمامه نوافذ العلم والمعرفة؛ فأقبل على الأخذ والاستفادة من تلاميذ الإمام ابن عرفة[2]، وهناك من يرجع ذكر **آل الرصاع** في تاريخ تونس إلى أوائل القرن الثالث الميلادي وبالتحديد إلى سنة 1210م، وهو تاريخ وفاة الشيخ **أبو محمد عبد الله الرصاع** الذي عثر على قبريته، وعليها نسبه وتاريخ وفاته في الروضة الهنتاتية؛ التي سميت فيما بعد بمقبرة الْقرجاني، ويعلق المؤرخ **سليمان مصطفى زبيس** الذي أورد هذا المشهد؛ على محتوى النقيشة حيث يذكر أن صاحب القبر أتى مع الموحدين لمقاومة النورمان وطردهم من الأراضي التونسية[3]، وقد اشتهرت العائلة بلقب **الرصاع** لأن الجد الرابع للأب كان نجارا؛ يرصع المنابر ويزين السقوف بمسقط رأسه تلمسان، وكان يتصف بالبراعة في الصناعة وروعة الدقة في الترصيع على الخشب، وذكره في المغرب مشهور، وذاع صيته بعد ترصيع جامع العباد[4]، فهو الذي صنع منبر جامع الشيخ أبي مدين الغوث رضي الله عنه[5].

يبدو أن أبناء هذه العائلة كانوا يبحثون في ظل حراكهم عن شرعية لتواجدهم بمدينة تونس؛ التي كانت تضم مختلف النخب الاجتماعية، وبما أن الخطط العلمية والدينية كانت بمثابة وسائط دينامية حيوية تتغلغل وتراقب مستويات الوعي الاجتماعي؛ فإنهم راهنوا على مقولة طلب العلم[6]، لما لها من هيلمان وسطوة على النفوس وسلب للألباب؛ نظير الهيبة والاحترام الذي يحظى به طالب العلم وحامل لواءه، ويمكن معاينة شغف آل الرصاع بالعلم؛ من خلال ما ورد على لسان والد صاحب الفهرست **قاسم**:" **اللهم قد حرمتني أن أكون من أهل العلم فلا تحرمني محبتهم اللهم لا تحرم نسلي منهم ويا ولدي أنا في ركوعي وسجودي أرغب من الله أن يرحمني برجل من أهل العلم من ذريتي هذه نيتي** ..."[7].

يتبين أن أحفاد **قاسم الرصاع** قد تداولوا هذه الرواية فيما بينهم؛ قصد تحفيز أبنائهم على طلب العلم، لأن ذلك سيسمح برقي العائلة، ويضمن لهم نفحة روحية بما أنهم يحققون آمال الأجداد، وما يدفعنا إلى مثل هذا التصور النسبة التي روجها آل الرصاع لضمان مكان ضمن نخبة الحاضرة؛ بإثبات كلمة الأنصاري الدالة على الأصل العربي والانتماء للمدينة المنورة، ولا يخفى أن مثل هذا الانتساب يجعل العائلة تحتفي بقربها من بعض الصحابة؛ ويكسبها شرعية لا مناص من الاعتراف بها، ويفتح أمامها أبواب المراهنة على مكان ضمن المجتمع الحضري[8]، ففي أغلب تراجم أبناء الأسرة نجدهم عزفوا على هذا الوتر، إذ جاء في ترجمة قاسم الرصاع:(**نشأ هذا الفقيه في بيته المشهور ونسبه في الأنصار ولآله عراقة في الحاضرة التونسية من لدن الدولة الحفصية**)[9]، ويبدو أن أبناء الرصاع عمدوا إلى ترويج هذا الخطاب تأسيا

---

[1]- مختار الرصاع: **مشاهد وشواهد من تاريخ آل الرصاع**، دار اليمامة للنشر والتوزيع، تونس، ص 22.

[2]- أبو عبد الله محمد الأنصاري: **فهرست الرصاع**، تحقيق وتعليق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، نهج جامع الزيتونة، تونس، ص 43.

[3]- مختار الرصاع: **المرجع نفسه**، ص04-05.

[4]- أبو عبد الله محمد الأنصاري: **المصدر السابق، ص 16،17**.

[5]-ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، المصدرالسابق، ص 65.

[6]- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 274.

[7]- أبو عبد الله محمد الأنصاري: **المصدر السابق**، ص 18.

[8]-المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني**، المرجع السابق، ص 274، 275.

[9]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص57.

بخطاب الأشراف، الذي يحتفي بآل البيت لضمان مكانة غير قابلة للمنافسة ضمن عائلات الحاضرة التونسية؛ لا سيما وأنها عائلة أجنبية؛ وكان عليها تبرير انتقالها من تلمسان إلى تونس، وقد تواصل هذا الانتساب المعلن خلال القرن 19م، إذ جاء في إحدى وثائق الأحباس أن أحد أفراد العائلة صار مدرجا ضمن طبقة الأولياء الصالحين؛ ويزعم الانتساب إلى الأنصار، وهذه العينة الفريدة تعكس انجذاب الإسلام الرسمي إلى إسلام الزوايا وأرباب الصلاح[1]، بينما ينسب البعض الشيخ **أبو محمد عبد الله الرصاع**؛ إلى **قبيلة كومية الأمازيغية**، ويرجح أن تكون عائلة الرصاع لما نزحت من الجزيرة الخضراء؛ قد احتمت بهذه القبيلة ثم انتسبت إليها، وهذا يدل أن العائلة التي عاشت بالأندلس نزحت إلى تلمسان، ويذهب البعض أبعد من هذا عندما يذكر أن العائلة؛ قدمت إلى تونس في ظروف مختلفة مرتين، وهذا ربما يفسر وجود فروع عدة لآل الرصاع بتونس[2].

01-الحراك الفكري والمكانة العلمية لآل الرصاع بالحاضرة التونسية:

تعد عائلة الرصاع من أعرق عائلات الحاضرة التونسية، التي احتكرت مناصب دينية ردحا من الزمن، حيث توارث الأبناء والأحفاد الإرث العلمي النفيس عن الأجداد، ونبع من هذه النخبة علماء أفذاذ لهم قدم راسخة في المعارف (مفت، إمام، قاض، مدرس..)، فتربعت العائلة على عرش العلم والفقه والقضاء بتونس لعدة قرون طيلة الفترة الحديثة، وقد وصفها حسين خوجة بقوله "**وهم دار كبيرة**"[3]، وقال عنها **أحمد برناز** في مؤلفه "**أهل بيت قديم ببلدنا**"[4]، أما **المؤرخ الشيخ الصغير بن يوسف**فقد نعتها بـ" **بيت كبير**"[5]، و قال عنها **ابن أبي الضياف** في **الإتحاف**:(**ولبيت الرصاع في هذه الحاضرة مجد أصيل وفخر أثيل**)[6]، ويقول عنها **العياضي** في **مفاتيح النصر**:" ...**دار علم ورياسة وبيت فضل وسياسة**"[7]، **لقد أمدت عائلة الرصاع المجتمع التونسي بالعديد من العلماء على مدى ستة قرون**[8].

إن باني بيت شرف العز وحامل لواء العلم الشيخ **محمد الرصاع بن قاسم**؛ تقلد العديد من الخطط الدينية والعلمية، وارتبطت بشخصه في مجال طلب العلم مواقف وفتاوى؛ ونظرة تسامحية نادرة مع أقطاب التصوف، فدحضا لتهمة الحلول سيلجأ الشيخ **أحمد بن مخلوف الشابي**[9] في المائة التاسعة إلى قاضي الجماعة الشيخ **محمد الرصاع** طلبا لإجازته ورفع التهمة عنه، ويذكر **التباسي** أن ذلك بسبب الحسد والطعن في علومه الزكية، لذلك أرسله الشابي من القيروان إلى بعض

---

[1]- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 274،275.

[2]- مختار الرصاع: **المرجع السابق**، ص9-7.

[3]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 221.

[4]-أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص 182.

[5]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 230.

[6]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 168.

[7]- محمد الشريف العياضي الباجي: **المصدر السابق**، ص 22.

[8]- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج1، ص 08.

[9]- **أحمد بن مخلوف الشابي**: مؤسس الطريقة الشابية، نشأ الشيخ الأكبر ببلد الشابة، ومنها انتقل إلى مدينة تونسية طلب العلم في زمن الشيخ الرصاع قاضي القضاة بتونس ومكث بدراسة طلب العلم بها أعواما، انتقل بعدها إلى القيروان توفي سنة 887هـ/1482م، وكانت ولادته سنة 803هـ/1400م، دفن بضريح سيدي عبد الله بن أبي زيد بالقيروان، للمزيد انظر: محمد البهلي، **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، ط2، دار آفاق-برسبكتيف للنشر، تونس، 2013م، ص 193-194.

علماء تونس لإجازة ما هو عليه وأتباعه[1]؛ حول طريقته التربوية الخاصة وشرعية تصوفه، وبالفعل سيمنحه القاضي الإجازة، التي جاء نصها كاملا في مخطوط **مجموع الفضائل**، وهذا مقتطف منها: (**بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه المجتبا (كذا) الكريم وعلى آله وأصحابه أهل المجد والتعظيم أما بعد فقد أجزت الفقيه الصوفي التقي الزكي السني السني أبا العباس أحمد المذكور في ساير الاجازة بالخط كما جرت من مضا من المشيخة العلماالمرتضا وان لم تكن منهم في طريقهم وسيرتهم وهديهم ... التشبيه بآثار الأخيار محبوب والتكحل بكحل فلاحهم مطلوب وقد اسعفت الفقيه المذكور فيما طلبه وقصده بالإجازة إجازة مرضية في الطريقة والحقيقة بشرط ذلك عند أهله بثبوت أهليته في فهمه ودينه...**) "[2]، ولذلك يصعب الفصل بين موقف الرجل المؤيد للتصوف، وموقف قاضي الجماعة أعلى مرجع قضائي في البلاد الذي يستفتى في منح الإجازة[3]؛ ما يعكس لنا الملكات العقلية المحترمة التي يتمتع بها بعض الأولياء من جهة، والمواقف العلنية الموالية للنظريات الصوفية؛ من قبل الشخص الرسمي المؤهل لتمثيل أهل السنة من جهة أخرى[4]، وهذا يبرز لنا مكانة القادة والزعماء الدينيين من آل الرصاع الذين شغلوا وظائف قضائية حيوية[5].

إن امتداد الشهرة العلمية لآل الرصاع تجاوزت العهد الحفصي، فلما مات **الرصاع الأول** وزير الأمير **حميدة الحفصي**، ترك أبناء بلغوا سن التعليم؛ فدخلوا جامع الزيتونة وتعلموا حتى صاروا أئمة أعلاما، وبلغوا الغاية القصوى في العلم[6]، وساهموا في ترقية الحياة الثقافية بالإيالة التونسية، فقد أجمع الدارسون على مكانة عائلة الرصاع في ميدان العلم[7]، ودورها في شتى حقول المعرفة ومختلف الفنون، فقد رزقها الله ذرية كلهم علماء مشاهير قضاة ومفات وعدول[8]، إذ يقول **صاحب الإتحاف** أن بيت الرصاع من أعيان بيوت الحاضرة التونسية الذين لهم ذكر في التواريخ والتآليف العلمية[9]، وما يعكس حضورهم العلمي والديني تواجد مسجد بنهج الوصفان بالحاضرة التونسية؛ يعرف باسم **مسجد الرصاع**، وقد أحدثه أحد أبناء آل الرصاع[10]، ومما يدل على علو شأنهم ورقي مركزهم وسمو منزلتهم ورفعة مقامهم ورسوخهم في العلم؛ ما ذكره الشيخ **أحمد برناز** الذي أورد قصة مفادها؛ أنه كان بمجلس صحبة المفتي الحنفي **درغوث أفندي**، فدخل عليهما العلامة نائب الأحكام **أبو محمد حمودة الرصاع**، فذكر لهما **برناز** اذاية بعض الناس له؛ إلى أن ذكر ما صدر

---

[1]– هشام عبيد: **المرجع السابق**، ص473.

[2]–أحمد بن مخلوف الشابي: **مخطوط مجموع الفضائل في سر منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: 18039**، ص 112،113.

[3]–نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة منوبة، تونس، 2001م، ص 446،447.

[4]–روباربرنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م**، المرجع السابق، ج2، ص367.

[5]- Jaques Berque **: L'intérieure du Maghreb 15-19e siècle.** Éd Gallimart, France,1978, P 104

[6]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 231.

[7]– حسين خوجة: **المصدرالسابق**، ص 39–40.

[8]– الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص 231.

[9]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 50.

[10]– محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، المرجع السابق، ص 245–246.

من أحدهم بإدعائه قراءة كتاب **الدرر**، فسأل المفتي عنه؛ فقال لم يقرأه، فقال "**قول المفتي فتوى انك الآن أفتيت بأنه لم يقرأه**"، ثم سأل القاضي **الرصاع** الشهادة على فتواه؛ لتأكيد كذب الرجل فيما ادعاه؛ قائلا له **أن علم القاضي يقوم مقام شاهدين**[1]، ومن الأمور التي تعكس المكانة الاجتماعية لأفراد العائلة، أنه لما وقع وباء عام 1850م وأضحى يموت بسببه في الحاضرة التونسية أكثر من مائتين في اليوم، أشار العالم الفقيه **أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم** جمع **أربعين شريفا** اسمه "**محمد**"؛ يجتمعون في جامع الزيتونة يقرؤون سورة "**يس**" 40 مرة، ويدعون بدعوات حررها لهم، ومن بين الأشراف المنتخبين لهذا الدعاء السيد **محمد العنابي** والسيد **محمد الرصاع**[2].

ومن نخب آل الرصاع التي برعت في شتى الفنون ومختلف صنوف المعارف وأسهمت في خدمة العلم وتنشيط الحياة الثقافية؛ نذكر:

* **العلامة المفتي الشيخ محمد بن قاسم الرصاع الأنصاري (1416–1489)**؛ باني بيت العلم لعائلة الرصاع ولي قضاء المحلة ثم الأنكحة فالجماعة؛ أي قاضي القضاة، ثم إمامة جامع الزيتونة وخطابته متصدرا للإفتاء والإقراء في الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وغيرها، صاحب تآليف كثيرة منها **تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين، شرح حدود ابن عرفة في الفقه**، وتأليف في **الكلام على الآيات الواقعة في شواهد المغني لابن هشام**، و**شرح البخاري**[3]، و**شرحه للرسالة البيداغوجية للشيخ محمد الظريف** وهي **وصية لطالب العلم**، ولما استفتي في قضية يهود توات التي أثارها الشيخ **محمد بن عبد الكريم المغيلي**؛ اتخذ موقفا مشرفا اتسم بالتسامح والاعتدال تجاههم[4]، **ومن أعلام البيت**؛ شيخ الإسلام الفقيه المحدث المفسر المفتي على مذهب مالك بتونس؛ **الشيخ أبو يحيى الرصاع** (ت. 1034هـ/ 1624م)[5] ، كان إماما خطيبا بجامع الزيتونة ضليعا في الفقه والعربية والأصول وخصوصا تدقيق النوازل، تعاطى الفتوى زمانا ثم تخلى عنها لاشتغاله بوظيفة التدريس والنظر وخطابة جامع الزيتونة وإمامته، ولما تعاطى التفسير أبدى فيه العجائب، وكانت ولايته لجامع الزيتونة سنة 1017هـ/1609م، وكان الشيخ ينسخ كل يوم ورقتين وردا[6]، وكان إلى جانب الفقيه أبي القاسم البرشكي شاهدين على الأرزاق الجارية المخصصة للموظفين القائمين على مسجد **يوسف داي** المعروف بجامع البشامقية ومدرسته[7]، وهو الذي استشير في مرض موته؛ حول أهلية إمامة الجامع الأعظم؛ فأشار إلى الشيخ تاج العارفين، فقال: "**جوهرة ما مستها يدان**"، فتولى الجامع بعده[8]، وبذلك يكون له الفضل في تولية الشيخ تاج العارفين صهر الشيخ **أبي الغيث القشاش**؛ إمامة وخطابة الجامع الأعظم، وقد تخرج عليه تلامذة اشتهر بعضهم على غرار الشيخ **محمد تاج العارفين**، و**أبي الفضل المسراتي**(ت. 1085هـ/1675م) الذي كان مفتيا عالما

1- أحمدبرناز: **المصدر السابق**، ص469.

2- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج4، ص 134.

3- ابن مريم: **المصدر السابق**، ص433-434.

4- أحمد بابا التنبكتي: **المصدر السابق**، ص577.

5- أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص135.

6- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 285،286.

7- محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، المرجع السابق، ص 181.

8- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص185-186.

بالفقه المالكي والنوازل المالكية والحنفية[1]، وقد خلف الشيخ ذرية اشتهروا بالعلم من بينهم الشيخ الفقيه **أحمد بن أبي يحيى الرصاع** الذي تقلد منصب شاهد عدل، والذي ورد اسمه في بعض فتاوى ابن عظوم المرادي عام1581م[2]، وقد جاء ذكره في مواضع أخرى، استفتى فيها هذا الأخير في العديد من المسائل والقضايا الفقهية[3]، وهو ما يعكس لنا جانبا من جوانب حراك آل الرصاع العلمي، واهتماماتهم بمشاكل ومشاغل العامة من المجتمع، ونذكر أيضا **الفقيه العالم** بالنحو والحساب والفرائض؛ **الشيخ أبو العباس أحمد الرصاع**(ت. 1118هـ/1706م)؛ النائب بالمحكمة الشرعية، له في باب القضاء قوة واطلاع على أمهات النوازل[4]، وأيضا **الشيخ المفتي أبو الحسن الشيخ علي الرصاع** (ت. 1132هـ/1720م) الذي تصدر للشهادة العادلة، وله معرفة بعلم التوثيق والنوازل والأحكام، وتولى منصب الفتوى وتعاطى أمرها؛ وعزل عنها مرارا لأمور نسبت إليه ثم أعيد إليها[5]، وخطب بمنبر جامع الزيتونة أيام **مراد باي**[6].

ومن أبناء آل الرصاع نجد؛ الشيخ **محمد حمودة الرصاع** (تزايد بتونس سنة 1088هـ/1677م)؛ إمام المعقول والمنقول والمعدود من أكابر الفحول في جميع الفنون والعلوم؛ كان ضليعا في الفقه والأصلين والنحو والمنطق، تولى القضاء عن جده قاسم[7]، تقلد منصب الفتوى المالكية بالحاضرة؛ وصارت إليه المشيخة في تونس؛ وجلس للتدريس[8]، وتصدر بالنيابة في الأحكام بالمحكمة الشرعية، وعزله الأمير **حسين بن علي** بعد مدة وألزمه رواية البخاري بين يديه بمسجد باردو، والتدريس في جامع الزيتونة بباب الشفاء، وتولى مشيخة المدرسة الحسينية الكبرى[9]، حيث كانت دروسه قبلة رحال الطالبين؛ وفتاويه غاية آمال المستفتين[10]، ونجد من أبناء آل الرصاع أيضا؛ أبو **محمد حمودة** غير أبي عبد الله محمد حمودة الرصاع الشهير **بالموفق**، وهو شاهد عدل يظهر في الرسوم على عهد علي باشا، وعن **أبي محمد حمودة الرصاع الأنصاري** الذي ورد في عدة رسوم كشاهد عدل(1159هـ/1740م)، وينعت في هذه الرسوم بالشيخ الإمام المدرس المحقق المفتي بالحضرة التونسية[11]، **والفقيه الورع** الشيخ **محمد بن حمودة الرصاع بن أبي عبد الله محمد الرصاع** الذي تصدر للتدريس بالجامع الأعظم، وعين له الأمير مرتبا فأفاد وأجاد[12]، ونذكر أيضا ابن عم القاضي

1- حسين خوجة: **المصدر انفسه**، ص186.

2- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **المصدر السابق**، ج3، ص 291.

3- أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج10، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2009، ص 186-187.

4-حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 204.

5-حسين خوجة: **المصدر نفسه**، ص 214.

6-الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 285.

7- أحمد برناز: **المصدر السابق**، ص 182.

8- محمد الشريف العياضي الباجي: **المصدر السابق**، ص 22.

9- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 288.

10- محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج3، ص 170.

11-أحمد السعداوي: **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705-1756م_وثائق أوقاف من العهد الحسيني**، ط1، كلية الآداب والفنونوالإنسانيات بمنوبة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية، مجمع الأطرش للكتاب المختص تونس، 2015م، ص 106.

12- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 273.

حمودة الرصاع؛ الشيخ الحاج محمد الرصاع؛ الذي كان عدلا من عدول مدينة تونس، ووظفه الأمير حسين بن علي شهادة غابة الزيتون، وقد تعرض لملاحقات من رجال الباي المذكور بعد أن أعلن ميله الصريح؛ واشتهر أنه من خواص ومقربي **علي باشا**[1]، ودون أن ننسى الشيخ الفقيه **أبو الفضل قاسم الرصاع** (ت.1223هـ/جويلية 1808م)؛ الذي كان له في الفقه والفرائض معرفة جيدة، حيث تولى قضاء الفريضة وهي الشهادة على بيت المال[2]، و**الشيخ عثمان الرصاع** (ت.1234هـ/ديسمبر1818م)؛ الذي كانت معرفة بالفرائض والتوثيق، وقد ولي **قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال**، وله أبناء نسجوا على منوال آلهم، أكبرهم ولي خطة أبيه وزهد فيها[3]، وأخيرا **الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن الشيخ قاسم الرصاع** (ت.1285هـ/جوان 1868م)؛ الذي تقدم بعد وفاة والده لخطة **قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال**، ثم اختير لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر في أواخر أيامه[4].

لقد مرت المسيرة المهنية لآل الرصاع بمرحلتين متباينتين، تغطي الأولى الفترة الممتدة من أواخر العهد الحفصي إلى القرن 17م، عرفت خلالها العائلة ذروة تنفذها حيث اندمج أبناؤها في خدمة المخزن، واحتكروا وظيفة القضاء والإفتاء لعدة أجيال، ومن أبرز هؤلاء القضاة الذين أنجبتهم العائلة **محمد بن قاسم الرصاع**(ت. 1489م)، وقد شغل خطة الإفتاء، وتولى قضاء الجماعة أي قاضي القضاة وهو أعلى منصب قضائي بمدينة تونس خلال العهد الحفصي[5]، كما أن الشيخ **قاسم بن محمد بن قاسم الرصاع** كان **وزيرا للسلطان الحفصي أحمد؛** أي انخرط في عالم السياسة[6]، وكان الشيخ **أبو يحيى الرصاع المالكي** المذكور، إماما وخطيبا بالجامع الأعظم، وزيادة عن كونه **مفتي؛** كان مؤهلا أن يرتبط بشخصه لقب سام وهو شيخ الإسلام الذي أضحى لقبا رسميا[7]. ولم يقتصر الأمر على إسناد الوظائف فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى الإحسانات التي كانت تقدمها الدولة كهبات إلى أفراد أسرة الرصاع؛ ما يعكس لنا الحظوة التي نالتها هذه العائلة لدى السلط الحاكمة، فقد عثرنا في أحد الدفاتر على تذكرة عبارة عن إحسان **للحاج محمد الرصاع** بقيمة أربعة ريالات في عام 1157هـ/1744م، وقد تحولت إلى عادة حيث وجدنا في موضع آخر إحسان بنفس القيمة لنفس الشخص في شهر أوت 1748م[8]، كما أن بعض كبار علماء **آل الرصاع** كانت لهم نزعة احتكار الوظائف الدينية ذات المداخيل الوفيرة وعلى الجمع بين خطتين أو أكثر، مثل القضاء والإفتاء وشهادة بيت المال، من ذلك شيخ الإسلام **أبو يحيى الرصاع** الذي تقلد الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم سنة 1017هـ/1603م؛ في دولة المرحوم **عثمان داي**، واستمر عليها سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة، وولي الفتوى فسلم فيها لأجل الجامع[9].

1- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص ص 230، 231، 232.

2- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص57،58.

3- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج7، ص110.

4-ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج8، ص168،169.

5-Robert Brunschvig : **Justice religieuse et justice laïque dans la Tunisie des deys et des beys jusqu' aux milieux du 19e siècle,** R.S.I, vol 23, Maisonneuve-larose, Paris, 1966.p 28.

6- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص286.

7- Robert Brunschvig **: Op.cit**, p 32.

8-أ.و. ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 29**.

9- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص66.

وعلى الرغم من تعاظم دور المذهب الحنفي الذي جلبه الأتراك؛ فإن **آل الرصاع**؛ قد حافظوا على مراكزهم على رأس القضاء المالكي طيلة القرن 17م، كما هو الحال مع القاضي **أبو العباس أحمد بن علي الرصاع** (ت.1119-1707)[1] ، لذلك منح المخزن امتيازات مادية لكثير من العلماء المحليين منذ بداية العهد المرادي نظير الوظائف التي تقلدوها والتأثير السياسي الذي يضطلعون به، فقد عمد **حسين بن علي** على تطبيق هذه السياسة على نطاق واسع، فالقضاة المالكية والحنفية كانوا يتقاضون أجرا من البايلك[2]، وعلى ضوء الدفاتر الأرشيفية وجدنا أن الشيخ المفتي **حمودة الرصاع** قد كان يتقاضى خلال فترة حكم الباي **علي باشا** (1735-1756) عشرة ريالات وهذا في شهر جمادى الثانية عام 1159هـ/أوت 1746م ، وفي موضع آخر نجد تذكرة للشيخ بقيمة 15ريالا[3]، وهذا يكشف لنا زيادة راتب الشيخ **حمودة الرصاع** بما قدره 05 ريالات، وبراتب سنوي قدره 120 ريالا، والشيخ **حمودة الرصاع** الشهير **بالموفق** الذي ورد ذكره كشاهد عدل، وكان يتقاضى راتبا قدره 45 ريالا وهذا في جمادى الأولى والثانية من عام 1197هـ/أفريل-ماي1783م، ويتكرر ذكر راتبه لمرة وكرات وهذا إلى غاية جمادى الأولى والثانية من عام 1199هـ/أفريل-ماي1785م[4]، والشيخ **محمد الرصاع** الذي تولى منصب **كاتب دار الباشا** في الفترة الممتدة من (1785-1786)، وقد كان ما يتقاضاه من أجر لقاء عمله يقدر بـ مائة من الأريلة في رجب-شعبان 1199هـ/ ماي-جوان 1785م وهذا على ضوء ما جاء في أحد الدفاتر الأرشيفية[5].

لقد شغل الشيخ **علي بن أحمد الرصاع** (ت 1132هـ/19-1720م)، أعلى خطط القضاء المالكي وتصدر للشهادة العادلة؛ إلى جانب منصب الفتوى خلال فترة حسين بن علي وعزل عنها مرارا لأمور نسبت إليه ثم أعيد إليها[6]؛ كما قام العلامة **حمودة الرصاع** بدور سياسي عند محاولة الوساطة بين **علي باشا** وابنه **يونس**، لما ثار هذا الأخير على أبيه في أواخر رجب 1165هـ/جوان 1752م، إذ يقول صاحب **الإتحاف**" **ولما اشتد الحال وضاق ذرع أهل البلاد بعث الباشا لابنه في غرض الصلح مع أعيان من العلماء منهم...أبو محمد حمودة الرصاع المفتي المالكي... حتى قال ... وكان منصفا: اتسع الخرق على الراقع وليس لكم منا إلا الدعاء**"[7].

أما الفترة التي تميز مسيرة آل الرصاع؛ فتبدأ عقب استرجاع أبناء **حسين بن علي** الحكم سنة 1756م إلى حدود أواخر القرن 19م، وهي فترة ولئن حافظت خلالها على موقعها الاجتماعي وعلى وجاهتها داخل الحاضرة؛ فإنها قد جردت من النفوذ الواسع الذي كانت تتمتع به خاصة خلال القرن 16م و17م، ويبدو أن تعاونهم مع **علي باشا** في خضم الحرب الأهلية قد عاد عليهم بالوبال، فقد مال **حمودة الرصاع** مفتي المالكية آنذاك إلى **ابن علي باشا يونس**،

1- ابن أبي الضياف: **المصدر نفسه**، ج2، ص 87،92.

2- Mohamed Hedi Cherif **: Pouvoir et société dans la Tunisie,** T1, Op.cit, P 313.

3- أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 29.

4-أ.و. ت: الدفتر الإداري والجبائي رقم 21.

5-أ.و. ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 221.

6- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 214.

7- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 139.

وهو ما تسبب في نكبته وفي تراجع موقع عائلته؛ إذ بداية من عام 1756م تم إبعاد أفراد العائلة من المهام المخزنية[1]، أما الشيخ **الحاج محمد الرصاع** الذي كان عدلا من عدول مدينة تونس، ووظفه الأمير حسين شهادة غابة الزيتون بالحاضرة، فقد أظهر ميله واشتهر بأنه من خواص وأحباب علي باشا؛ ما عرضه لمتابعة وملاحقة رجال الباي حسين بن علي، فلجأ الشيخ إلى الاختفاء ثم الفرار ،حيث خرج متنكرا هاربا مع ابن عمه **سيدي عبد الوهاب**، فأما ابن عمه فمات في غيبته، وأما الحاج **محمد الرصاع**؛ قيل تغيب ثماني سنين وقيل سبع وقيل أقل، وهذا إلى أن قدم الأمير **علي باشا** الذي آل الأمر إليه[2]، ولا يستبعد أن يكون هذا الموقف السياسي وراء عزل ابن عمه القاضي **محمد حمودة الرصاع** من نيابة الأحكام بالمحكمة الشرعية، وهذا ما نلمسه من قول صاحب الذيل "**وعزل عن النيابة لأمور نسبوه إليها وترك**"[3].

إن آل الرصاع ما لبثوا أن استعادوا مكانتهم وحظوتهم السابقة في النصف الأخير من القرن 18م، وعاد أفراد العائلة إلى تقلد مناصب القضاء المالكي، وشهادة بيت المال، وبعض الخطط الإدارية خاصة خلال فترة **حمودة باشا**(1782-1814)، فقد عهد إلى **قاسم الرصاع** بمشيخة مدينة تونس في ذي القعدة 1187هـ/16 جانفي1774م، ويبدو أن الحسينيين قد راعوا في ذلك ماضي العائلة وموقعها الاجتماعي؛ ضمن نخب الحاضرة ؛ وهو مؤشر يؤكد على العراقة في الخدمة[4]، وهو ما ذهب إليه ذلك صاحب **الإتحاف** عند حديثه عن **عثمان الرصاع (ت.1818م)**:"**كان ذا همة ووقار ومجد موروث ومكتسب**"[5]، وبالعودة إلى وثائق الأحباس يتبين أن مجمل العقارات التي حصل عليها آل الرصاع حضرية وريفية، وقد تم اقتناؤها بقسط وافر خلال القرن 17م؛ ما يفسر الموقع الاجتماعي الذي كان تحتله العائلة في طبيعة توزع ثروتها؛ التي كانت في أغلبها أملاك محبسة الثروة كانت تتوزع على مدينة تونس وعلى المناطق المجاورة لها[6].

ومهما يكن من أمر فإن **آل الرصاع** قد حافظوا على مناصبهم في جهاز القضاء؛ الذي شهد تحويرات جديدة منذ القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، حيث أن آخر أفراد العائلة الذي تولى منصب القضاء هو **محمد بن عثمان الرصاع** عام 1868م[7]، وبعد هذا التاريخ لا نجد أثرا لعائلة الرصاع في سلك القضاء واكتفى أبناؤها بخطط العدالة أو أضحوا من الشواشية[8]، حيث يظهر أن العائلة ضعفت في آخر أيامها، ولم تبق لها المكانة العلمية التي اشتهرت بها في العهد الحفصي على يد **أبي عبد الله محمد الرصاع** صاحب **الفهرست**[9]، وهو ما يشير إليه **ارنولد قرين** متحدثا عن غروب شمسها وأفول نجمها في النصف الثاني من القرن 19م وبدايات القرن 20م؛ في معرض عن حديثه عن أسر

1-المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 279.

2- الصغير بن يوسف: المصدر السابق، مج1، ص231-232.

3- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 221.

4- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 279.

5- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص110.

6- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسيةخلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 282.

7- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص168.

8- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، المرجع السابق، ص 280.

9- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 40.

تونسية متنفذة، إذ يقول: "**إلا أن...بعض الأسر العلمية المالكية كالرصاع والبكري في القرن الثامن عشر أفل نجمها واختفى ذكرها**"[1].

02-الخطط العلمية والدينية والإدارية التي تقلدها آل الرصاع لفترات طويلة:

تعد عائلة الرصاع من الأسر النبيلة ذات المجد العريق المتوارث؛ والتي احتكر أفرادها بالحاضرة التونسية مناصب إدارية وعلمية ودينية، حيث اضطلعوا بأهم الخطط منذ العهد الحفصي، فقد كانوا من الفقهاء والأئمة الأعلام والمفاتي العظام والخطباء الذين انبروا لنصح الأنام وعدول الإشهاد والقضاة؛ إذ يقول **الوزير السراج:**" **وقد خرج منهم رجال كحب الرمال وأبناؤهم إلى الآن لم تزل يد المقادير توزع عليهم المراتب من طرق الفتيا والقضاء والخطابة والإمامة والعدالة إلى يومنا هذا**"[2]، وعندما ترجم **صاحب الإتحاف** للشيخ **أبو الفضل قاسم**(ت.1808م)؛ قال: "**ولآله عراقة في الحاضرة التونسية، وتسنموا ذرى الخطط العلمية من فتوى وقضاء وإمامة وعدالة ومنهم مؤلفون، ولهم ذكر في كتب التاريخ**"[3].

إذا ما تتبعنا المسار المهني لأصحاب الخطط الإدارية والدينية من حيث طول المدة، نلحظ أن أحد أفراد أسرة الرصاع؛ قد تولى إمامة و خطابة جامع الزيتونة أكثر من أربعين سنة[4]، في حين تولى شيخ الإسلام **أبو يحيى الرصاع** خطابة وإمامة جامع الزيتونة بالحاضرة التونسية سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة[5]، وقد كان قسم من فقهاء المالكية ينتسبون إلى آل الرصاع القاطنين بالعاصمة[6]، ومن هؤلاء الشيخ **أحمد الرصاع** وابنه **قاسم** وحفيده الشيخ **حمودة** الذين باشروا نيابة القضاء المالكي على عهد حسين بن علي[7]، حيث باشرها آل الرصاع مدة قاربت سبعة وثلاثين سنة؛ فالشيخ **أحمد الرصاع** لوحده تعاطى النيابة بالمحكمة الشرعية مدة تقرب من 15 خمسة عشر سنة[8]، وقد تميز بعض الأعوان المتقلدين لخطة الإشهاد بطول فترة ممارستهم المهنية، وكان معظم هؤلاء من أبناء عائلة الرصاع؛ لاضطلاعهم بأهم الخطط، فقد احتكر أبناء هذه الأسرة هذه المهمة لمدة تزيد عن الخمسين سنة، حيث تعاقب عليها كل من **أحمد الرصاع** لمدة **عشرين سنة** (1765-1785م)[9]، والشيخ **حمودة الرصاع** الشهير **بالموفق** الذي ورد ذكره كشاهد عدل[10]، ثم تولى **قاسم** هذه المهمة من بعده عشر سنوات امتدت من (1785-1795)، ليتسلمها **عثمان الرصاع** على اثره سنة 1795م؛ حيث استمر في ممارستها لمدة عشرين سنة كاملة أي إلى حدود سنة 1815م، ومن الملاحظ بالنسبة لهذه

1- ارنولد هـ قرين: **المرجع السابق**، ص 106.

2- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص287.

3- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص57.

4- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج1، ص231.

5- حسين خوجة، **المصدر السابق**، ص 185.

6- أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م**، المرجع السابق، ص 37.

7- محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 187.

8- حسين خوجة، **المصدر السابق**، ص204.

9- سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية، الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات**، المرجع السابق، ص97.

10-أ.و. ت: **الدفتر الإداري والجبائي رقم 21**.

الفئة أن الأعوان من أصحاب المسارات الطويلة، استمروا في مزاولة مهامهم إلى وفاتهم؛ كشاهد بيت المال **عثمان الرصاع**، وهو ما يفسر ضعف تواتر عمليات الارتقاء داخل هذه المجموعة[1]، وبالرغم من أن بعض العائلات العريقة بقيت فاعلة في هذا القطاع لمدة طويلة مثل عائلة الرصاع التي أعطت العدالة أكثر من من عشرة أسماء؛ فإن العديد من الأسماء تظهر لأول مرة من خلال بداية العهد الحسيني[2]، وعلى غرار باقي وجهاء علماء الدين؛ لم تكتف العائلة بالوظائف الدينية بل كان أبناؤها يتقلدون خطط إدارية؛ إلى جانب أنشطة تجارية موازية، من ذلك الشيخ **محمد الرصاع** الذي تولى منصب **كاتب دار الباشا** في الفترة الممتدة من (1785-1786)[3]، كما أن الشيخ **محمد بن عثمان الرصاع** (ت. عام 1868م) آخر أفراد عائلة الرصاع الذي تولى منصب القضاء؛ قد عين كعضو لأول مجلس بلدي لمدينة تونس سنة 1858م[4].

لقد خدم آل الرصاع التلمسانيون المخزن التونسي فترة لا تقل عن أربعة قرون ووفروا ما يربو من تسعة أجيال من العلماء؛ ولا سيما من القضاة، لذلك تصنف هذه العائلة ضمن العائلات الكبرى والوجيهة التي تمتعت بقدر كبير من الهيبة داخل الحاضرة، وتتفق المصادر الإخبارية حول تنفذ هذه المجموعة، فهي من العائلات المخزنية التي احتفظت ببريقها على مدى قرون، ومولت الأوساط الحاكمة بما لا يقل عن 12 قاضيا وأربعة مفتين إلى جانب المدرسين[5]، ولذلك فلا عجب أن ينعتها **حسين خوجة** بـ"**دار كبيرة**"[6]، خاصة وأنها كانت تنسب إلى العلم على مدى أجيال، ولأن الاعتقاد كان سائدا بوراثة المناقب لدى كبرى العائلات، فكان الابن يرث ويحمل إلى حد كبير شهرة أبية ومكانته[7]، بالإضافة إلى عمل اكتسى صبغة القداسة روج له أفراد الأسرة، وكان سببا في رغد العيش، وضمانا لاستمرارية مكانة العائلة وعلو شأنها، ويتمثل في صنع الجد الرابع للعائلة منبر جامع الشيخ أبي مدين شعيب[8].

يمثل آل الرصاع –ذووا الأصول التلمسانية–انموذجا لإحدى بيوتات العلم المالكية بالبلاد التونسية، التي تصدرت سلك القضاة طيلة أجيال، ولعل من العوامل التي ساهمت في استمرارية العائلة وتنفذها تقاليد عائلات العلم المبنية على اقتفاء أثر الآباء والأجداد[9].

ثالثا–النخب العالمة التونسية بالإيالة لجزائرية:

وردت على الجزائر خلال الفترة الحديثة نخب علمية قادمة من الإيالة التونسية؛ إلا أعدادها كانت متواضعة إذا ما قورنت بنظيراتها الجزائرية بالبلاد التونسية، فرغم رحيل الجزائريين إلى تونس لطلب العلم والإقامة والتجارة فإن القليل من

1- سلوى هويدي: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية، الأفراد–المجموعات**، المرجع السابق، ص97.

2- أحمد السعداوي: **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705–1756م**، المرجع السابق، ص 109.

3-أ.و. ت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 221.**

4- مختار الرصاع: **المرجع السابق**، ص 80.

5- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705–1881**، المرجع السابق، ص281.

6- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص221.

7- ارنولد ه قرين: **المرجع السابق**، ص121.

8- أبو عبد الله محمد الأنصاري: **المصدر السابق**، ص 17.

9- المهدي جراد: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705–1881**، المرجع السابق، ص 282.

علماء تونس قد زاروا الجزائر نسبيا خلال العهد العثماني[1]، وإنه من الصعوبة بمكان حصر أعداد هذه النخب بدقة أو الوقوف على جل أسمائها بتقديم معطيات إحصائية، ومع ذلك فإنها حضورها يعكس بجلاء العلاقة الوطيدة بين علماء الجزائر وتونس، وقد تباينت دوافع قدومهم بين من ورد لأسباب مادية طمعا في الامتيازات والوظيف أي نيل الحظوة وإدراك المكانة من خلال الترقي في المناصب، وبين من وفد راغبا في التحصيل العلمي والمعرفي؛ في حين كانت للبعض وجهة تجارية خالصة؛ ومهما اختلفت الدوافع إلا حراكهم أضفى صبغة علمية لا يمكن تلافيها بحال من الأحوال، ومن هؤلاء الذين وفدوا على الغرب؛ تشير الوثائق الأرشيفية إلى بعض الأسماء التي وضعت عصا التسيار بالبلاد الجزائرية في النصف الثاني من القرن 16م؛ كما هو الحال مع **الخطيب أمير محمد** والشيخ **إبراهيم بن حاجي علي**، وهما من سادات العلماء التونسيين طالبين تعيين مقدار من الوظائف لهما، فحصلا على المأمول بتعيين وظيفة لكل منها لقاء أجر يقدر بـ 15 أقجة يوميا وكذا إعفائهما من الرسوم الأميرية، وقد كانا المذكورين يتلقيان مقادير معينة من الوظائف في البلاد التونسية قبل فتحها[2]، ويتحدث صاحب الدوحة عن الفقيه الراوية خاتمة العلماء التونسيين **الشيخ أبو عمران عبد الملك البرجي الأندلسي**(ت.940هـ/1534م)، أحد أشياخ الشيخ أبي عبد الله بن هبة الله، ورد على تلمسان واستقر بها إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة، وكان جليل القدر كبير الشأن[3]، وهذا الشيخ **محمد بن أبي الفضل خروف الأنصاري التونسي** (ت. 1558م) ينشر بين علماء الجزائر وعلماء فاس العلوم العقلية ويتخصص في تدريسها بالقرويين [4]، وهو ما أكده **الكتاني** في **سلوته**، إذ يقول:" **وأقام– رحمه الله– بفاس تقرأ عليه العلوم العقلية، وهو مجدد سند تعليمها بالمغرب، وعنه أخذت على الحقيقة**"[5]، و**الشيخ ابن عبد الرفيع التونسي** –حفيد الشيخ أبي إسحاق"ت.733هـ الذي تولى قضاء الجماعة والخطابة بجامع الزيتونة– الذي تقلد **منصب القضاء بمدينة قسنطينة** زمن الشيخ **يحي الفكون الجد** والشيخ **عمر الوزان**، وقد سبق أن أشرنا أنه استعار من الشيخ الجد **يحيى الفكون** (ت. 941هـ/1534م) تأليف الشيخ **البرزلي**" **الحاوي في الفتاوي**" للنظر، بوساطة من الشيخ عمر الوزان[6].

ومن العارفين الذين لهم قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية، وتفنن في علوم الفقه والحديث؛ الشيخ العالم المتصوف **أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي (ت.963هـ/ 1556م)**؛ الذي ينسبه **صاحب الدوحة** إلى **صفاقس**، وقد كان فصيح العبارة غزير المعرفة كبير الشأن، صاحب تصانيف عديدة؛ منها: **كفاية المريد وتصلية القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش**، و**رسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس**، وغير ذلك[7]، ونجد أيضا من أولياء الله تعالى **الشيخ إبراهيم الزواوي التونسي(ت.** 961هـ/ 1554م)؛ الذي كان محبّا للخير حريصا على لقاء المشايخ

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج2، المرجع السابق، ص 46.

[2]– الطيب يوسفي: **المرجع السابق**، ص 156.

[3]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 133.

[4]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 301.

[5]– محمد الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج3، ص 355.

[6]– عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص 41–42.

[7]– ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 126–127.

والأخذ عنهم، فقد أخذ عن الشيخ **منصور الزواوي**، كما حجّ فلقي الشيخ أحمد بن عقبة الذي أخذ عنه، ولقي أيضا الشيخ **أحمد زروق** الذي تتلمذ عليه، دخل المغرب الأوسط فلقي الشيخ **أبا العباس أحمد بن يوسف الراشدي؛ ونهل من معينه**، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى؛ فأدرك الشيخ أبا محمد عبد العزيز التبّاع بمراكش وأخذ عنه هو الآخر، وفي تونس صحب الشيخ **فتح الله العجمي**، وظهرت على يده خوارق كثيرة في حياته وبعد مماته[1].

ومن علماء تونس المشهورين **الشيخ الفقيه أبي إسحاق إبراهيم الفلاري التونسي**(ت.1039هـ/1630م)، تولى فتية المالكية والتدريس بجامع الزيتونة، وكان منشغلا بالنحو[2]، نزل بقسنطينة على بعض خواصها وبيوتاتها، وخالط أدبائها وفقهائها على غرار الشيخ **أبو زكرياء يحيى بن محجوبة**، وكان يدعي معرفة النحو، واستطال به على أهل الحاضرة، وكانت له مع الفكون محادثات في مسائل نحوية، حيث وقع بينه وبين الفكون الحفيد شبه تحد في مسائل نحوية، وكان يستصغر جانب التواتي في النحو ويرى لنفسه التقدم والصدارة عليه فيه، وبعد مدة عاد إلى بلده أين تفرغ للتدريس حيث ذاع صيته[3]، كما استوطنت الجزائر في ذلك العهد عائلات علمية تونسية؛ على غرار عائلة قدورة، التي سيطرت على الإفتاء المالكي بالجامع الكبير بالحاضرة الجزائرية لعقود، وقد أنجبت علماء ومشايخ تقلدوا عديد الوظائف السامية، وأسهموا في إنعاش وترقية الحياة الفكرية؛ كما هو الحال مع الشيخ **أبو عثمان سعيد بن إبراهيم** المعروف **بقدورة** (ت. 1066هـ/1656م) أحد أئمة المعقول،كان عالما متفننا زاهدا ورعا موصوفا بالصلاح، أخذ عن سيدي سعيد المقري، وله حواش على الصغرى، وعلى خطبة اللقاني وشرح على السلم للأخضري[4]، وأخذ عنه ولده أبو عبد الله **محمد قدورة** ، وسيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي[5]، تولى إمامة مسجد البلاط ثم خطابة جامع سيدي رمضان، الجزائري وشغل منصب الإفتاء بمدينة الجزائر بعد عزل سيدي أحمد زروق بن عمار سنة 1028هـ/1618م[6]، ومن أشهر تلامذة **سعيد قدورة** الشيخ **يحيى الشاوي**؛ الذي على ما يبدو قد أجازه إجازة سلوكية ويتضح هذا في معرض إشارته إلى اتخاذ شيخه للسبحة، والذي أخذها بدوره من أستاذه الشيخ أبي عثمان سعيد المقري، إذ يقول **البوني** في **ثبته** متحدثا عن اتخاذ السبحة المباركة:" **فقد رأيتها في يد شيخنا سيدي يحيى الشاوي رحمه الله تعالى وهو رآها في يد شيخه سيدي سعيد قدورة الجزائري عن أبيعثمان المقري أخبره بها وفي يده سبحة**...والشيخ **سيدي سعيد** المذكور **له مشيخة** على شيخنا الحافظ **الشاوي**، رحم الله تعالى الجميع بمنه، **وأخذ عنه كثيرا**... "[7]، وبوفاة الشيخ سعيد خلفه ابنه العالم الفقيه المحدث **محمد قدورة** في تقلد وظيفة الفتوى نحو الأربعين سنة؛ إلى جانب الخطابة والتدريس[8]، وقد حضر دروسه

---

[1]. أبي حامد العربي بن يوسف الفهري: **مرآة المحاسن من أخبار أبي المحاسن**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني (د.ط.و.ت)، ص 297-298.

[2]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج 2، ص 364، وأنظر أيضا **ذيل بشائر أهل الإيمان** لحسين خوجة، ص 192.

[3]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، المصدر السابق، ص ص 110، 111، 112.

[4]- محمد الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص 220.

[5]- أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج1، ص 558.

[6]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 97.

[7]- أحمد بن قاسم البوني: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، المصدر السابق، ص 75، 79.

[8]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 98-99.

الشيخ **أحمد برناز** في أحد أسفاره إلى الجزائر[1]. ن حراك النخب التونسية إلى الجزائر لم يكن قاصرا على المشايخ والأولياء، بل ارتبط في بعض الأحيان بتنقلات الطلبة؛ وهذا استنادا إلى ما جاء في دفاتر المخلفات وما ورد فيها من إشارات وملاحظات سجلها الساهرون على تصفية التركات تؤكد هذا الحضور، إذ نجد أن بعض هؤلاء الوافدين من التونسيين إلى مدينة الجزائر من الطلبة الراغبين في تحصيل العلم والاستزادة من المعارف، على غرار الطالب التونسي المتوفى بزاوية بن عبد الله[2].

ومن مشايخ تونس الذين وفدوا على الجزائر في القرن 11هـ/17م على رأس وفادة لإبرام الصلح بين الجزائر تونس في أعقاب موقعة **السطارة** عام 1037هـ/1628م نذكر الشيخ **رمضان أفندي** والشيخ **إبراهيم الجديدي**؛ إلى جانب العالمين الشيخ **تاج العارفين البكري** الخطيب الإمام بالجامع الأعظم والشيخ **إبراهيم الغرياني** اللذين تبادلا الرسائل مع الشيخ عبد الكريم الفكون؛ لما وضعا عصا التسيار بـ" **قصر جابر**" قرب عنابة[3]، ومن العلماء الذين وفدوا على البلاد على عهد الداي الحاج مصطفى لاز نذكر **الشيخ مصطفى الأندلسي** الذي استصفيت أمواله وهرب إلى وطن الجزائر التي استقر بها إلى أن أدركته المنية، لأن الباي **حمودة باشا المرادي**(1631-1666) كان حاقدا عليه لأمور بدت منه، وكذلك **الشيخ صالح** شيخ عرب طرود الذي فعل به ما فعل بغيره[4]. ويبدو أن بعض النخب التونسية قد اندمجت في الأوساط المجتمعية الحضرية؛ وكان لها حضور في الشأن العام بالعاصمة وغيرها من المدن والحواضر الجزائرية، فقد ورد في إحدى الوثائق اسم الفقيه العالم السيد **محمد التونسي كشاهد عدل** في رسم بالعدالة لعقد ابتياع دار في أوائل شوال من عام 1056هـ/09 نوفمبر 1646م[5]، ومنهم من اشتغل **بالتدريس** فقد جاء في مخطوط **حبوس قسنطينة** ذكر أسماء بعض **المعلمين التونسيين بقسنطينة**؛ أمثال: المعلم **محمد بن سالم قفة** في أحد عقود الشراء التي ترجع بتاريخها إلى قعدة الحرام عام 1042هـ/نوفمبر 1615م، و**المعلم سعيد الجربي**، وشاهد **عدل تونسي** اسمه **عبد الله بن علي القفصي** الذي ورد ذكره في نص يعود إلى تاريخ أواخر الحجة 985هـ/ديسمبر 1551م[6].

أما خلال القرن 11هـ/17م فقد تولى الشيخ **محمد زيتون التونسي** قضاء الحنفية، وأرسل مع الوفد-المتكون من: **موسى باشا**، والمفتيين: **محمد بن سعيد** عن المالكية **وحسين بن رجب شاوش** عن الحنفية، والقاضيين **محمد بن الحاج** عن المالكية و**محمد زيتون** عن الحنفية- الذي كلفه الداي **شعبان خوجة** بالتوجه إلى محلة الشرق الثائرين على الداي المذكور في سنة 1106هـ/1695م، وقد أنيطت به مهمة تهدئة الأوضاع، لكن الأمر انتهى بعزل الداي المذكور قبل وصول الوفد إلى الشرق، حيث اقتيد إلى السجن وبتقلد الحكم الدولاتي **الحاج أحمد** "04جانفي 1695م؛ سارع

---

[1]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 231.

[2]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر"1700-1830"**، المرجع السابق، ص 34، 35.

[3]- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 216-217.

[4]- ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 237.

[5]- **أ.و.ج: س.م. ش: علبة:123، الوثيقة رقم: 06.**

[6]- مخطوط: **دفتر حبوس الحبوس لمدينة قسنطينة**، رقم المخطوط: 3568، المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة الحفظ والمخطوطات-مصلحة المخطوطات، ص 8، 14، 35.

على الفور بإصدار أمر إعدام شعبان خوجة[1]، وعلى عهده – أي الداي **شعبان خوجة**-وفد على الجزائر من أجل الصلح عام 1695م كوكبة من علماء الإيالة التونسية؛ ضمت كل من الشيخ **أبو الغيث البكري** إمام جامع الزيتونة وخطيبه، والشيخ البركة الولي أبو الحسن **سيدي علي عزوز**، والشيخ العلامة المفتي **محمد فتاتة**، و**محمد خوجة** كاتب الديوان[2].

ومع بداية القرن الموالي وبالضبط على عهد الداي **محمد بكداش**(1707-1710م)؛ **تولى أبو حفص عمر بن محمد التونسي** قضاء العسكر، وقد حاز هذا الرجل مكانة مرموقة بفضل علمه، وصفه **ابن ميمون** بالحياء والعلم والذكاء[3]، كما وفدت على البلاد في أعقاب الفتنة الحسينية الباشية شخصيات علمية تونسية؛ تقلدت بعض المناصب الإدارية إلى جانب حراكها المعرفي؛ على غرار **محمد الشافعي الباجي** والكاتب **أحمد الأصرم القيرواني** والذين استقرا بالجزائر مع أبناء **حسين بن علي**، وبها أسهما في بث العلم وصناعة التوثيق [4]، هذا وقد تصدر الأديب الشاعر **أحمد الأصرم** – الفقيه رئيس كتاب ديوان الإنشاء- للإشهاد بالجزائر[5]، ومن العلماء **محمد بن محمد بن علي الكافي** الشهير **بأبي عتور**(ت.1191هـ/1777م)، الذي خدم الأمير **حسين بن علي** بالكتابة، ولما آل الأمر إلى **علي باشا** عام 1735؛ فر إلى سوسة ومنها إلى طرابلس، ثم العودة إلى صفاقس ومنها التحق بأبناء حسين بن علي في الجزائر حين التجائهم بعد نكبتهم، وخدمهم في غربتهم، وتصدر لإقراء علم الفرائض بمدينة الجزائر[6].

ومن المشايخ أيضا العالم الفقيه الشيخ القاضي العدل سيدي **علي شعيب الباجي** (تزايد سنة 1109هـ/1698م)؛ الذي تعاطى التدريس، وقلده الأمير-**حسين بن علي**- وظيفة القضاء بها مدة، وتخلى عنها، ليقلده الأمير القضاء بالمحلة المنصورة، حيث حصل على علوم شتى، وبرع في علمي التوثيق والنوازل، فقد كان له ولوع بالاطلاع على كتب الأحكام حتى برع وتمهر فيها[7]، وقد فر إلى الجزائر لما دخل **علي باشا** تونس عام 1147هـ/ 1735م، حيث خرج من **نفزة** ومنها بلغ عرش **نهد**، فاغتبط شيخ القبيلة بقدومه، ولما خاف أن يرحل من عنده زوجه ابنته واتخذه إمامه ومقرئ أولاده، وقاضي عرشه، لينتقل بعدها إلى مدينة الجزائر بعد أن استدعاه الداي للبت في نازلة تخص أحد أقربائه بإشارة من أحد أبناء الباي **حسين بن علي**؛ واستطاع أن يجد لها مخرجا شرعيا ...فنال الحظوة والمنزلة لدى حاكم البلاد، والذي أمر للشيخ شعيب بأثاث ودار، فحل بمدينة الجزائر وسكنها، واستقدم عياله من الحاضرة التونسية فاجتمعوا بشيخهم وفرحوا بلقاء الأحباب، واستوطن الشيخ علي شعيب مدينة الجزائر التي توفي بها، وكانت مدة إقامته **بنفزة** و**نهد** و**الجزائر** إما **20** أو **21 سنة**، وأما ولده وبناته ومن بقي من عائلته رجعوا إلى مدينة تونس، وردّت إليهم أملاك الشيخ بأجمعها زمن المرحوم **محمد باي** بمساعدة أخيه **علي باي**[8].

---

[1]-MG. Delphin**: Op.cit**, p 206.

[2]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج2، ص 579.

[3]- ابن ميمون، **المصدر السابق**، ص149.

[4]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج2، ص 146.

[5]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، ج1، ص51.

[6]-حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر**، مج1، المرجع السابق، ص 315-316.

[7]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 259-260.

[8]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج2، ص 30-44.

وهذا يعكس لنا طبيعة العلاقات الحسنة التي ربطت البايات الحسينيين بعلماء وفقهاء تونس في تلك الفترة؛ حتى أنهم استطاعوا جذب العديد من النخب التونسية خارج البلاد؛ دون أن نغفل **محمد الرشيد باي** (1756-1759) مؤسس البيت الحسيني بالبلاد التونسية، كان مشاركا في العلوم مشاركة حسنة، وله عدة قصائد نظمها من غربته في الجزائر يتشوق إلى وطنه، وهي تدل على رسوخه قدمه في الفنون الأدبية[1]، حيث كانت له اليد الطولى في الأدب، والذهن الثاقب في حل مشكلات الكتب، ومن القصائد التي نظمها لما كان في مدينة الجزائر؛ قصيدة فريدة تسمى" **شرح السواكن إلى أشرف الأماكن**" تعجز عن مثلها فحول الشعراء، واعتنى بشرحها جماعة، وجعل لها شرحا متوسطا الشيخ **الشافعي الشريف الباجي** الذي كان فريد عصره في النظم والنثر، ووصلت قصيدته إلى تونس فقل من ينسج نسجها؛ حيث اعتبره الشعراء **متنبي الزمان**[2]، ومن مشايخ **نفزاوة الجريد** الذين كان لهم حراك إلى البلاد الجزائرية؛ **الشيخ أبي اسحاق ابراهيم الجمني**(ت. عام 1134هـ/1722م)؛ (نسبة إلى جمنة من قرى نفزاوة ببلاد الجريد) من علماء جربة[3].

ويذهب البعض بالقول أنه كانت **لإبراهيم الجمني** رغبة في الحصول على علم أهل التصوف الذي شاع في عصره، وتعلق به الناس كثيرا فغادر القيروان إلى **بلاد زواوة** بمنطقة القبائل بالمغرب الأوسط التي ذاع فيها صيت الولي الصالح العارف **سيدي عبد الله بن أبي القاسم الجلالي**، فاجتمع به في زاوية من زوايا خنقة سيدي ناجي[4]، وأخذ عنه، ورحل منها إلى بلاد **زواوة**[5]، **وقد مكث بها ست سنين طالبا للعلم**، وأخذ عن أكابر أجلة منهم الشيخ العالم الفاضل سيدي: **الشيخ محمد السعدي**، والشيخ الفاضل الزاهد العامل **سيدي محمد المغربي**، والشيخ العالم النحرير الشهير **سيدي أبو القاسم القاضي**[6]؛ وكانت له الكلمة العليا والأمر المطاع بجميع بلاد زواوة[7]؛ إلا أن الشيخ لم يحصل على مراده في التزود بالتعاليم الصوفية كما يجب ولم يكتف بما انتفع من الشيخ الجلالي؛ لذلك عزم على التوجه إلى طرابلس لتحصيل المزيد من التعاليم الصوفية[8]، ومنها سافر الشيخ إلى مصر وأقام بها تسع سنين، وأخذ عن أعيان الجامع الأزهر، ثم استأذن مشايخه في النقلة إلى تونس، فكان انتقاله من مصر سنة 1075هـ/1664م، وكان في أوبته رفيقا للشيخ **أبو الحسن علي الأوراسي**[9]، له اعتناء عظيم بمختصر خليل الذي يختمه مرتين في السنة...تخرج عليه خلق كثير وكل من رأى فيه نجابة أجازه وأرسله إلى الجبال لإرشاد الناس ورفع حجاب الجهل...[10]، ويبدو أن زواوة كانت قبلة أيضا للعديد

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 129.

[2]- الصغير بن يوسف: **المصدر السابق**، مج3، ص 115، 129، 130.

[3]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 130-131.

[4]- البشير التليلي: **المرجع السابق**، ص 204.

[5]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 298.

[6]- محمود مقديش: المصدر السابق، ج2، ص437، وانظر أيضا؛ محمد محفوظ: **معجم تراجم المؤلفين التونسيين**، المرجع السابق، ج2، ص56.

[7]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص 298.

[8]- البشير التليلي: **المرجع السابق**، ص 204.

[9]- الوزير السراج: **المصدر السابق**، مج3، ص ص 298، 299.

[10]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 130-131.

من الطلبة التونسيين الذين وفدوا عليها؛ على غرار **علي بن سالم** الذي درس في **القبايل** قادما من **نفزاوة**، والذي حصل بعد أوبته على خصم ضريبي مائة شجرة في الساحل، ويفسر هذا الإحسان الاهتمام الخاص للباي حسين بن علي بمنطقة القبائل الداعمة له بجند زواوة ذوي الأهمية الكبيرة [1].

أما العالم الجليل الإمام الخطيب المدرس **الشيخ أحمد بن مصطفى برناز** (1074-1138هـ/1663-1726م)؛ فقد أخذ عن الشيخ **يحيى الشاوي** بمصر في طريقه إلى الحج، ثم رجع إلى تونس وبعد مدة خرج منها مغاضبا فتوجه نحو الغرب، متنقلا بين الحواضر الفكرية بالجزائر، حيث وضع عصا التسيار ببلد **العناب** التي أخذ بها عن الشيخ **أحمد بن ساسي**، والشيخ **الصديقي المفتي**، ثم دخل قسنطينة فأخذ عن الشيخ **المفتي بركات بن باديس**، والشيخ **علي الكماد**، والشيخ **عبد اللطيف الكماد**، ثم توجه إلى الجزائر؛ وأخذ عن الشيخ **رمضان بن مصطفى العنابي**، والشيخ **علي بن خليل**، والشيخ **محمد بن سعيد قدورة**، ثم رحل إلى بلاد زواوة، فأخذ عن الشيخ **محمد الغربي الفاسي**، ثم عن الشيخ **عبد القادر بن الشيخ الموهوب**، ثم عن القطب الشيخ **سيدي أحمد بن عبد العظيم**، ثم قرأ بها القرآن العظيم بالسبع على الأستاذ **سيدي محمد بن صولة**، وأخذ عن الشيخ **أحمد بن مزيان الزواوي**، وأخذ عن الشيخ **سيدي أحمد البصير البرغوثي**؛ وأجازه في في أوراد لقنه إياها، وقال له:" **أنت لحمة مني**"[2]، بالإضافة إلى العالم الفقيه التونسي الشهير **الوزير حمودة بن عبد العزيز** (ت.**1202هـ/1787-1788**) أحد خواص **علي باي الحسيني** (1759-1782م) الذي قلده قلم الإنشاء، وبعثه سفيرا عنه إلى قسنطينة والجزائر في بعض الأغراض السياسية[3]، ومن مشايخ مدينة الكاف التونسية الذين وفدوا على الجزائر خلال القرن 18م؛ **الشيخ محمود بن الضيف**- جد الشيخ أبو العباس إبراهيم الورتتاني(ت.1302هـ/1884م)- الذي نهل العلم بقسنطينة[4]. والظاهر أن ورود علماء الإيالة التونسية على البلاد الجزائرية رغم ضعفه؛ لم يكن قاصرا على منطقة بجد ذاتها كالحاضرة؛ بل نجد علماء وفدوا من نفطة عاصمة الجريد كالفقيه النبيه **محمد بن تواتي زروق**(ت. في حدود 1255هـ/1839م) الذي تعلم العلم بالديار المصرية، ومكث بأزهرها مدة طويلة حتى حصل على الحظ الوافر من العلوم العقلية والنقلية ثم رجع لبلده نفطة، لينتقل بعدها إلى بلد سوف بعد الإلحاح عليه وتكرار الطلب من أهلها وتجرد لتدريس العلم مرشدا وهاديا [5]، فقد كانت سوف وتقرت وضواحيها قبلة لعلماء تونس الذين وفدوا إليها أفرادا وجماعات؛ كالشيخ **مبارك المازقي التوزري** والشيخ **عثمان بن المكي التوزري**، والشيخ **العربي القيرواني** صاحبي التآليف، المدرسان بجامع الزيتونة[6].

إن الحراك النخبوي لم يكن قاصرا على علماء الظاهر؛ بل امتد تأثيره إلى **مشيخة علم الباطن**؛ فمن متصوفة تونس الذين حطوا الرحال بالبلاد الجزائرية رغبة في لقاء المشايخ والأولياء وتلقي العلم اللدني؛ والظفر بالإجازات السلوكية

---

[1]- Mohamed Hédi Chérif : **Pouvoir et société dans la Tunisie…, T** 1, **Op.cit**, P 314-315.

[2]- حسين خوجة: **المصدر السابق**، ص 231-232.

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج7، ص 22.

[4]- محمد بن عثمان السنوسي: **المصدر السابق**، ج4، ص 124.

[5]- إبراهيم خريف: **المرجع السابق**، ص 156.

[6]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 32-33.

الخاصة بالسائرين في طريق القوم؛ نجد **الشيخ أحمد النوري الصفاقسي**(ت. 1151هـ/1738) الذي كانت له القدم الراسخة في العلوم الدينية عربية وفقها وأصولا وحديثا وتفسيرا وقراءة وأدبا؛ الذي قاده حراكه إلى المغرب بملاقاة الرجال بالجزائر وتلمسان، فأراد المجاوزة إلى السوس فمنعه بعض الصالحين، وارتحل إلى المشرق بقصد الحج ؛ ولقي الأشياخ وأخذ عنهم، وصحب من الكتب شيئا كثيرا، وأكثر من كتب الأدب؛ فأكمل خزانة أبيه[1]، و**الشيخ أحمد التليلي** (1709-1763م) مؤسس الزاوية التليلية بفريانة التونسية، الذي انتقل في فترة سياحته الصوفية العلمية إلى **بلاد الأوراس بالشرق الجزائري**، حيث درس بزاوية **خنقة سيدي ناجي** مدة **سبع سنوات**، وبها أنهى علومه اللغوية والدينية، وأخذ عن مشايخها **الطريقة الرحمانية**[2]، وكان الشيخ قد تحصل عند نهاية دراسته **بزاوية خنقة سيدي ناجي** على إجازة خطية منحها إياه شيخه **عبد الحفيظ الخنقي**، ويبدو أن الشيخ **أحمد التليلي** قد تولى – إثر حصوله على الشهادة- **مهمة التدريس بزاوية الخنقة** قبل أن يشتغل أيضا بالتدريس والقضاء بإحدى قرى وادي سوف بصحراء الجزائر الشرقية، ويستقر بفريانة التي عاد إليها عام 1732م ليؤسس بها الزاوية التليلية[3].

إن الحضور النخبوي التونسي بالجزائر ظل حاضرا رغم محدوديته، فقد ودعت زواوة يوم الثلاثاء ربيع الأول 1144هـ/1756م **عبد الرحمن الخليفوني التونسي** بعد أن توفي بها ووري الثرى بالقرب من زاوية كوكو، وهو الفقيه والمدرس بجامع الزيتونة[4]، وأدى الشيخ **علي نفطي التونسي** (ت. 1213هـ/1792م)- الذي كان شيخ طريقة صوفية في الجنوب التونسي بمنطقة توزر أواخر القرن 18م- دورا في نشر طريقته الدينية في الجنوب الأوراسي بالجزائر إلى أن عاجلته المنية ودفن بقرية غوفي، إذ يوجد قبره في أعلى سفح الجبل؛ ولا نعرف دوافع وأسباب انتقاله وسياحته في هذه المنطقة، لكن المؤكد هو أن قبره الذي أنشأ عليه مسجد أضحى من المزارات الخاصة؛ التي يؤمها الأتباع من الجنوب التونسي[5]، دون أن ننسى علامة تونس الشيخ سيدي **إبراهيم الرياحي**(1767-1850)[6]، الذي وفد إلى الجزائر سنة 1238هـ/1822م؛ في زيارة إلى **تماسين (تقرت)** للقطب الشيخ **الحاج علي التماسيني** الذي تولى مشيخة الطريقة بعد وفاة أحمد التجاني[7]، كما قام الشيخ **محمد بيرم الخامس** (1840- 1889م) بزيارة إلى الجزائر عام 1296هـ/1878م طاف من خلالها بالعديد من المدن الجزائرية: عنابة، قالمة، سكيكدة، جيجل، دلس، والجزائر العاصمة؛ التي التقى فيها بالمفتي المالكي الشيخ **علي بن الحفاف**؛ الذي كان له اطلاع وسعة في الفقه والحديث،

---

[1]- محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مج2، المصدر السابق، ص 368، 369.

[2]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 136-137.

[3]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 139-140.

[4]- الطيب يوسفي: **المرجع السابق**، ص 159.

[5]- جمعة بن زروال: **"هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني"**، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 23، جوان 2017، ص 418-419.

[6]- **الشيخ إبراهيم الرياحي**: العلامة التونسي؛ الذي شهدت له الشيوخ بالرسوخ في العلم، تصدر للتدريس، اختاره الباي حمودة باشا سفيرا للسلطنة الشريفة بالمغرب الأقصى سنة 1218هـ/1803م، عرضت عليه خطة القضاء فأبى وامتنع، قدمه الباي أبو عبد الله حسين باي لرئاسة أهل الشورى من المفتين، وقدمه أبو العباس أحمد باي للخطبة بالجامع الأعظم، وبعثه للدولة العلية مستشفعا في بعض الأغراض السياسية، توفي بوباء الكوليرا عام 1266هـ/1850م. للمزيد انظر: ابن أبي الضياف:**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، ص 73-82.

[7]- محمد البهلي النيال: **المرجع السابق**، ص 229.

واجتمع أيضا بالمفتي الحنفي الشيخ **أحمد أبو قندورة** ؛ المتبحر في المعارف السياسية، المتقن للغة الفرنسية، والذي كانت له مشاركة في الفقه والحديث، وممن اجتمع بهم أيضا نقيب السادة الأشراف **سيدي قدور الشريف**، ونقيب زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي الشيخ **علي بن موسى**، وبعض الوجهاء من الأعيان كالسيد **الشريف الصفصافي**[1]، ويبدو أن التشابه النسبي في النظم السياسية في الولايتين العثمانيتين بحكم إدخال العثمانيين المذهب الحنفي إليهما ليسير جنبا إلى جنب مع المذهب المالكي الموجود أصلا في البلدين؛ قد ساعد في دفع الحركات الهجروية التونسية إلى الجزائر في تلك الفترة على قلتها وارتباط أغلبها بتقلد الوظائف الدينية؛ وهو ما جسمه ورود العديد من القضاة الحنفيين من تونس إلى الجزائر وتقلدهم وظائف دينية خاصة بالمذهب الحنفي[2]، وهذا ما يؤكد الحضور الديني ولا سيما المذهبي وأثره في تعزيز الروابط الثقافية بين الإيالتين المتجاورتين.

ويبدو من خلال المصادر المتوفرة أن انتقال التونسيين إلى الجزائر قد تقلص خلال الثامن عشر مقارنة بالقرون السابقة له وذلك لعدة اعتبارات من أهمها استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية بتونس وانتعاش الحياة الثقافية والعلمية على يدي أبناء حسين بن علي؛ في حين ساءت علاقة السلطة العثمانية بالجزائر بعلمائها، وكان ذلك سببا من الأسباب القوية التي دفعت بعلماء الجزائر إلى الهجرة لطلب العلم بالبلاد التونسية[3]، وقد كانوا في مستوى نظرائهم كفاءة ومنزلة، إذ نجد علماء الجزائر لا يستضغرون أنفسهم أمام مشايخ البلاد العربية، خاصة البلاد المجاورة للجزائر كالمغرب وتونس، حيث تبين نوازل الفكون من خلال التعليقات الواردة على الحواشي والشروح مدى مواكبة العلماء الجزائريين لتطورات الفقه المالكي والحنفي، وكانوا يعتبرون أنفسهم على نفس درجة أقرانهم من المشايخ، بل لقد استطاع بعضهم تولي مشيخات مجامع فقهية ذات صيت إسلامي عريق كالأزهر والزيتونة، من ذلك تقلد الشيخ **يحيى الفكون** مشيخة الجامع الأعظم بتونس، وهذا ما جعل العديد من العلماء والطلبة يفضلون البقاء في تلك البيئة التي تلبي رغباتهم، ولا يغيب عن بالنا تلك العلاقات الحسنة التي ربطت الحكام الحسينيين بعلماء وفقهاء تونس كما تقدم ذكره[4].

إن الحضور النخبوي التونسي المتواضع بالبلاد الجزائرية خلال الفترة الحديثة؛ يعزي إلى جملة من الأسباب والاعتبارات في مقدمتها، اكتفاء علماء تونس الذاتي من طلب العلم لوجود جامع الزيتونة الذي يروي غلتهم؛ وهم إذا ما أرادو الاستزادة المعرفية فإن المشرق وجهتهم، ولم تكن الجزائر تقدم لهم شيئا تقريبا[5] أكثر مما في بلادهم لازدهار حلقات الدروس من المستوى العالي بتونس، نتيجة لجهود حكامها الذين شيدوا المدارس والمساجد والزوايا العلمية، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة وشجعوا العلماء خاصة بجامع الزيتونة؛ الذي رتب فيه الحكام عدد من كبير من المدرسين، وأجروا لهم رواتب ثابتة، ومن جهة أخرى فإن علماء تونس الراغبين في الاستزادة العلمية يلتجأون إلى الجامع الأزهر فيأخذون عن علماء مصر، وعن العلماء المجاورين به من الوافدين من مختلف مناطق العالم الإسلامي[6]. ويلاحظ أيضا في ظل هذا

---

[1]- محمد بيرم الخامس: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج4، ص 1282-1283.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 301.

[3]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجعنفسه، ص 302.

[4]- محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، المرجع السابق، ص 197.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، المرجع السابق، ج2، ص 46.

[6]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، المرجع السابق، ص 259.

الحراك الفكري **أنّ انتقال التونسيين لم يتطور؛ نظرا لتوافد العلماء المستمر على تونس من القرويين خاصة؛ بحيث توفر للتونسيين الحصول على المعرفة وشتّى العلوم دون الهجرة إلى الأقطار المجاورة[1]، وغيرها من الحواضر الفكرية ومراكز الإشعاع العلمي، في ظل استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية بتونس وانتعاش الحياة الثقافية والعلمية في العهد الحسيني[2]، وهذا ما يفسر قلّة هجرة علمائها إلى البلدان المغاربية المجاورة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ حركية هذه الثلّة من النخب العلمية توحي بوجود تماهي فكري، حافظ على أواصر العلاقات الثقافية التي ازدادت متانتها على مر الحقب.**

رابعا–عائلة قدورة التونسية بالإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني.

تعتبر عائلة قدورة من أبرز البيوتات العلمية التي نالت مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي والمديني؛ وحظوة لدى السلطة الحاكمة بالحاضرة الجزائرية، وقد احتلت موقعا متميزا في الأوساط العلمية والدينية، وكانت بحق مدرسة علمية تشد إليها الرحال؛ حيث قدمت عددا من العلماء والفقهاء والشعراء الذين تقلدوا عديد الخطط والمناصب كالإفتاء المالكي بالجامع الأعظم، وأثرت بنشاط أعلامها على واقع الحياة العلمية والدينية، وتأثرت بالمشهد السياسي الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني.

01– أصل عائلة قدورة:

أجمعت المصادر التي أرخت وترجمت لأفراد أسرة قدورة على أنها تنحدر من أصول تونسية، وبالتحديد من قرية **قدورة** القريبة من جزيرة جربة[3]، على الساحل التونسي، وهو ما يؤكده **الإفراني** في صفوته[4] و**الحضيكي** في طبقاته[5] وعبد الله الفاسي في **الإعلام**[6] وغيرهم، وهذا في سياق ترجمتهم **لسعيد قدورة** بقولهم وبلفظ واحد: «**الجزائري الدار، التونسي النجار**»، حيث هاجرت **عائلة قدورة** إلى الجزائر، واستقر رب الأسرة **إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي** بالعاصمة، وعمل **فرانا** أو **خبازا** بمحاداة زاوية سيدي الأكحل قرب باب عزون[7]، وهي أحد أهم شوارع المدينة القريبة من قصر الجنينة[8]، ويقر الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** بجهله صنعة هذا الأخير قبل قدومه إلى الجزائر بل حتى سبب مجيئه[9]، لكن في المقابل نجد من الدارسين من يقول أن العائلة انتقلت إلى الجزائر للاحتراف بالتجارة كغيرها من العائلات الجربية[10]، وهي حرفة لا علاقة لها بحرفة المتعلمين، ولعل تعلق سعيد قدورة فيما بعد بالتجارة يكون قد ورثه من والده؛ ومن تقاليد

---

[1]– دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 305.

[2]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 302.

[3]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 94.

[4]– محمد الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص220.

[5]– محمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج2، تق وتح أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص 571.

[6]– عبد الله بن محمد الفاسي الفهري: **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تق وتح فاطمة نافع، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المملكة المغربية، 2008، ص 164.

[7]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 95.

[8]- مصطفى بن حموش، بدر الدين بلقاضي: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس**، المرجع السابق، ص 234.

[9]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 358.

[10]-دلندة الأرقش، وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، المرجع السابق، ص 304.

أهل جربة[1]؛ دون أن نغفل العلاقات الاجتماعية والعلمية بين اباضية جزيرة جربة واباضية الجزائر[2]، وبقي إبراهيم على هذا النشاط حتى عاجلته المنية ما بين 1001هـ-1002هـ/1592-1593م لتلتحق به زوجته بعد أسبوع من وفاته مخلفا وراءه ولدا؛ هو **سعيد قدورة**؛ المؤسس الفعلي لهذا البيت العلمي وصانع امجاده؛ الذي اقترن اسمه بالجزائر[3].

02-مؤسس البيت العلمي:

هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، المعروف **بقدورة**، وقد اشتهر أيضا بنسبته "الجزائري"[4]، ورغم كثرة المصادر التي ترجمت لحياته، إلا أننا لا نزال نجهل تاريخ ومكان ولادته، فحتى **ابن المفتي** الذي كان من المعجبين به – كان معاصرا لأبناءه وأحفاده- لم يجزم في الموضوع حيث أورد روايتين متناقضتين، فتارة يقول أنه ولد لوالديه بمدينة الجزائر عقب انتقالهم إليها، وفي موضع آخر نجده يشير إلى ولادته بقدورة التونسية، ثم انتقل به الوالد إلى مدينة الجزائر[5]، في حين ذهب بعض المتأخرين **كمحمد البشير ظافر** في **يواقيته** و**ابن مخلوف** في **شجرته**؛ أن ولادته كانت بالجزائر، وأن سعيد بن إبراهيم قدورة تونسي الأصل جزائري المنشأ والمولد[6]، حيث نشأ بمدينة الجزائر؛ ويحدثنا سعد الله في موسوعته الثقافية؛ أن سعيد ذكر -وهو في سن المراهقة (سنة 993هـ/1585م) -أن شيخه **محمد بن أبي القاسم المطماطي** سافر إلى الحج مع **أبي علي أبهلول المجاجي**،[7] وهو بهذا يكون قد عاش فترة نهاية القرن 16م ومنتصف القرن 17م؛ المليئة بالأحداث والاضطرابات السياسية، والحركية الاقتصادية في مدينة الجزائر التي سماها التمجروتي في طريقه إلى الآستانة؛ باستانبول الصغرى عام 997هـ/ 1589م[8]، وقد تلقى سعيد قدورة دراسته الأولى عن الشيخ **محمد بن بلقاسم بن اسماعيل المطماطي** بالجامع الأعظم[9] لمدة ناهزت الثلاث سنوات، لينتقل بعدها إلى زاوية تنس التي كانت منارة للعلم، فتلقى فنون التفسير والحديث والمنطق والبيان والفقه والأصول وغيره على يد الأخوين **محمد** و**علي ابني ابهلول** أصحاب زاوية مجاجة بين سنتي 1005هـ/1695م و1009هـ/1600م؛ ليواصل رحلته العلمية حيث حط الرحال بمدينة **تلمسان** سنة 1012هـ/1603م[10]، فتتلمذ على الشيخ سيدي **سعيد المقري**[11]، وسافر إلى المغرب الأقصى فزار صحراء فجيج وتافيلالت وسجلماسة، ولقي فيها بعض علمائها أمثال الشيخ **أحمد عبد الله السجلماسي** الشاعر والكاتب والمتصوف المعروف **بابن أبي محلي** مع وفد من تلمسان والراشدية لتهنئته على ثورته، وأشار **الناصري** أن

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائرالثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 358.

[2]- دلندة الأرقش، وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، المرجع السابق**، ص 304.

[3]-محفوظ سعيداني: "**الأسرة العلمية بالجزائر"آل قدورة انموذجا"**، مجلة قضايا تاريخية، العدد 9، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2018، ص 105.

[4]- الروداني، **صلة الخلف بموصول السلف**، تح محمد حجي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ص 21.

[5]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 95.

[6]-محمد البشير ظاهر الأزهري: **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، مطبعة الملاجي العباسية، القاهرة، 1324هـ، ص 162.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 358.

[8]- علي بن محمد التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 129.

[9]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 95.

[10]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 359-360.

[11]- عبد الله بن محمد الفاسي الفهري: **الإعلام**، ص 164، الإفراني: **الصفوة**، ص 220، الحضيكي: **الطبقات**، ج2، ص571.

سعيد قدورة كان من تلاميذه[1]، ولا شك أن حراكه إلى **فاس** كونها قبلة الراغبين في الدراسات العليا، وبعد **سبع سنوات** عاد إلى الجزائر سنة 1019م/1610م[2]، توفي **سعيد قدورة** سنة 1066هـ/ 1656م، ودفن بزاوية الولي الصالح **سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري** عند قدم شيخه **محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي**[3].

03-المكانة العلمية لآل قدورة:

اكتسبت أسرة قدورة مكانة علمية هامة؛ سمحت لها بتولي الفتوى المالكية والإمامة والخطابة بالجامع الكبير وتسيير أوقافه لمدة ناهزت القرن من الزمن، فقد تدرج مؤسس البيت وزعيمه **سعيد قدورة** في الوظائف الرسمية؛ حيث اشتغل إماما بجامع البلاط، وخطيب جامع سيدي رمضان؛ ثم إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير؛ إضافة إلى كونه مفتي المالكية منذ سنة 1616م حتى وفاته 1656م[4]، وقد أضحى رئيسا للمجلس العلمي والقضائي وكانت له الأسبقية على زميله الحنفي في هذا المجلس، وهذا يعود لشخصيته ومكانة أسرته التي مهد لها الطريق[5]، حيث توارثت خطة الفتوى بالجزائر العاصمة بفضل المفتي الكبير **سيدي سعيد** الذي شغل هذه الوظيفة **قرابة 40 سنة؛** ليخلفه ابنه الأكبر **محمد** الذي بقي في هذا المنصب إلى غاية 1695م؛ ثم ابنه القاضي **أحمد،** ومن بعده عقبه المباشرين **سعيد** و**عبد الرحمن** ابني **أحمد بن سيدي سعيد،** وعقبه من بناته **عبد الرحمن المرتضى،** فتكون بذلك عائلة قدورة قد شغلت وظيفة **مفتي المالكية** من 1616م إلى عام 1730م من دون انقطاع؛ وبانقطاع إلى غاية 1766م[6]، ولا شك أن **سعيد قدورة** كان من القائمين على **التدريس،** فقد انتشر طلابه في كل بقاع الأرض، وأثر في جيله بل الأجيال اللاحقة له تأثيرا لم يبلغه إلا القليل من العلماء[7]، وكانت مساهمته في **التدريس** التي كانت مهمته الأساسية بارزة؛ حيث أقرأ وعلم بالجامع الأعظم، وانتفع جمع غفير من الناس[8]، وتصدر الشيخ لتدريس **الصحيحين والموطأ رواية ودراية؛** فحضر دروسه خلق عظيم من الطلبة والعلماء والمشايخ، وقصده طالبي الإجازات وعلو السند من سائر ربوع الوطن وخارجها[9].

وأصبح من العلماء الذين تشد إليهم الرحال من مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها للاغتراف من معينه، فمنهم من تخرج على يديه في حلقات الدرس أو بالرواية عنه أو بالإجازة، ومنهم ابنه **محمد** والعديد من التلاميذ؛ من أبرزهم **أبو مهدي عيسى الثعالبي(ت.**1669م) الذي حضر دروسه[10]، والذي أجازه جميع مروياته عن مشايخه، وهو ما أكده **العياشي** في سياق حديثه عن الثعالبي: «**وممن انتفع به من أهل الجزائر أيضا عالمها وفقيهها العلامة المشارك**

---

[1]- أحمد الناصري: **الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى،** المرجع السابق، ج6، ص 30.

[2]- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 360.

[3]- ابن المفتي: **المصدر السابق،** ص ص 98، 99.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 357.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **المرجع نفسه،** ص 364.

[6] - Fatiha loualich : **La famille à Alger 17e et 18e siècles**, Op.cit, P 54.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي(1500-1830)**، ج1، المرجع السابق، ص 367.

[8]- عبد القادر نور الدين: **المرجع السابق،** ص 199.

[9]- محمد الهواري: **المصدر السابق،** ص 74.

[10]- محمد بن الطيب القادري: **المصدر السابق،** ص 1466، وانظر أيضا؛ المحبي: **خلاصة الأثر، ج3،** ص 240.

المسن سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة، أجاز له جميع مروياته عن شيوخه»[1]، والشيخ **أبو عبد الله بن محمد بن سليمان الفاسي بن طاهر السوسي الروداني**(1037هـ/1094هـ/ 1683م) الذي أخذ عن **سعيد قدورة** بالجزائر في طريقه إلى الشرق[2]، وقد أجازه **إجازة سلوكية** بالمصافحة والمشابكة والضيافة النبوية (الأسودين؛ التمر والماء)؛ ومناولة السبحة المباركة وتلقين الذكر[3].

ونهل عنه تلميذه الفقيه **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن العيني التازي**[4] ، كما أخذ عنه الفقيه **محمد بن ابراهيم الهشتوكي**[5]، وتتلمذ عليه أيضا **يحي الشاوي النائلي المليانى** (1030هـ/ 1096هـ)[6]، والفقيهً الأديبً **محمد بن عبد الكريم الجزائري** (ت.1120هـ/ 1691م)[7]، والشيخ **علي الأجهوري** (ت.1066هـ/1655م) الذي روى عنه الأحاديث[8]، وتتلمذ على يد سعيد قدورة **أبو حفص عمر بن محمد المانجلاتي**؛ الذي ذكره في إجازته لابن زاكور، فقال: « **وكنت أخذت عن غيره من المشائخ من أعظمهم وأولاهم شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم نفع الله به ونفعه بعلومه، وأسكنه بحبوحة الجنان: الحديث، والفقه، والنحو، وشيئا من التصوف؛ كالحكم لابن عطاء الله؛ والتنوير**»[9]، كما نهل من معينه **محمد بن اسماعيل** مفتي الجزائر و**أبو عبد الله الموهوب** و**محمد بن عبد الهادي**[10]، ونظرا لشهرته شدت إليه الرحال من مناطق بعيدة كإقليم **توات**؛ فأخذ عنه بمدينة الجزائر الشيخ **عبد الكريم بن امحمد التواتي** (ت.1042هـ) وابنه العلامة الشيخ **البكري بن عبد الكريم(ت.1133هـ)** الملقب بقاضي الصحراء [11]؛ مؤسس الطريقة البكرية بتمنطيط.

لقد كانت مساهمة عائلة قدورة في التدريس لا في التأليف، ولذلك كثر عدد التلاميذ وقلت التصانيف، فالتآليف المنسوبة إلى الشيخ **سعيد قدورة** لا تخرج عن كونها إملاءات مختصرة؛ كان يمليها على طلابه لتوضيح بعض المسائل، وموضوعاتها لا تخرج عن المواد المدرسة؛ لاسيما الحديث والفقه والنحو والمنطق[12]؛ والتي يمكن حصرها في: شرح خطبة مختصر خليل في الفقه[13]، وشرح على خطبة اللقاني[14] في العقائد، رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو، شرح

---

[1]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، ج2، المصدر السابق، ص 169.

[2]- محمد بن سليمان الروداني: **المصدر السابق**، ص ص 7-9.

[3]- محمد بن سليمان الروداني: **المصدر نفسه**، ص 21.

[4]- عبد الرزاق بن حمادوش: **المصدر السابق**، ص 56.

[5]- الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص 220.

[6]- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج3، المصدر السابق، ص 240.

[7]- ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 76.

[8]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: **فهر الفهارس والأثبات وعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المرجع السابق، ج2، ص 782.

[9]- ابن زاكور: **المصدر السابق**، ص ص 48.

[10]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 447.

[11]- الصديق حاج أحمد آل المغيلي: **المرجع السابق**، ص 100،102.

[12]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، المرجع السابق، ج1، ص368.

[13]- أبو القاسم سعد الله: **المرجع نفسه**، ص368.

[14]- الحضيكي: **الطبقات**، المصدر السابق، ج2، ص571.

المنظومة الخزرجية في العروض[1]، نوازل تلمسانية[2]، حاشية على شرح الصغرى[3] للسنوسي، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية[4]، شرح على السلم المرونق في المنطق[5] للأخضري؛ ولقدورة غير هذه الشروح والحواشي، أما ابنه **محمد بن سعيد قدورة** فإنه لم يكن معروفا بالتأليف ولكنه اشتهر في ميدان التدريس، ومن بين مؤلفاته المخطوط الموسوم بـ :«**جليس الزائر وأنيس السائر**»[6]، وقد استطاع **قدورة** أن ينفق على الجامع الكبير وأن يوفر أموالا اشترى بها كتبا لمكتبة الجامع، كما شيد زاوية قرب الجامع أصبحت تعرف بزاوية **الجامع الكبير**، وكذلك شيد مدرسة لفقراء الطلبة والغرباء منهم من فائض أوقاف الجامع الكبير[7]، وتجدر الإشارة أيضا أنه كان شاعرا وراجزا وعروضيا شأنه شأن العلماء؛ من ذلك قصيدته في رثاء شيخه **محمد آبهلول** الذي توفي قتيلا سنة 1002هـ/1593م؛ واعتبره شهيد العلم[8].

لقد احتلت الرسائل خلال العهد العثماني حيزا كبيرا من اهتمام الأدباء والأصدقاء والأحباء، وهذا يعود إلى مزاج كل أديب ومدى علاقاته الإنسانية والاجتماعية، حيث كانت **لسعيد قدورة** مراسلات مع علماء عصره من خلال تبادل الألغاز إما شعرا أو نثرا، فقد تراسل الشيخ مع الشيخ **أبو العباس أحمد المقري**؛ وشاعت بينهما الألغاز[9]منها لغز "**هاج الصنبر**"[10]، كما تبادل مع الشيخ **عبد الكريم الفكون** الرسائل والفتاوى، وكانت بينهما مودة ومحبة[11]، وتتجلى المكانة العلمية للعلامة سعيد قدورة في وصف العلماء له بالعلم والدراية ونعته بالصلاح والولاية، ومن أقوال العلماء الذين أشادوا بمنزلته وعلو شأنه ورفعة مقامه؛ ما حلاه به صاحب كتاب **اليواقيت الثمينة** بقوله: «...**الشيخ العالم والإمام الأفخم مسند المغرب بثغر الجزائر وسند الرواية والدراية بما للمواطن والزائر وعماد الفتيا للمهتدي بمنار هو استناد التدريس للمقتبس من أنواره وفارس المنابر ... برع في تحصيل الفنون ... فقها وحديثا وتفسيرا وعربية وكلاما وغيرها ...واستقر ببلده لنشر خبره ونثر دُرره... ويذكر ويقرر عيون الفنون ويحرر ويفتي في نوازل المسائل ويبلغ ببراعته سؤال كل سائل إلى أن دعاه المنون إلى سلوك السبيل المسنون...**»[12]، كما وصفه **الإفراني** بأنه كان : «**كان رحمه الله عالما متفننا زاهدًا ورعا موصوفًا بالصلاح، وُليَ الفتوى بالجزائر فأحسن فيها**»[13]، ووصفه **محمد بن محمد بن سليمان الروداني** في **فهرسته** بقوله: «... **شيخنا شيخ الإسلام، وصدر أيمة الأنام، أبي عثمان سعيد**

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي(1500-1830)**، المرجع السابق، ج1، ص368.

[2]- نفسه، ص 368.

[3]- إسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج2، مؤسسة التاريخ العربي، [د.م]، 1387هـ، 393.

[4]- سعيد بن إبراهيم قدورة: **مخطوط تقييد على العقيدة الصغرى**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2460.

[5]- القادري: **المصدر السابق**، ص 1466.

[6]- محمد بن سعيد قدورة: **مخطوط جليس الزائر وأنيس السائر**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2600.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، المرجع السابق، ج1، ص363.

[8]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، ص 429.

[9]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، المرجع السابق، ج2، ص ص288-286.

[10]- أحمد المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، المصدر السابق، ص 75.

[11]- عبد الكريم الفكون: **نفسه**، ص 223.

[12]- محمد البشير ظاهر الأزهري: **المرجع السابق**، ص ص 162، 163.

[13]- الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص 220.

بن إبراهيم الجزائري عرف بقدورة»[1]. إن الجاه العلمي الكبير يقترن بالتجارة، وبعض أكابر العلماء كانوا في نفس الوقت من كبار التجار الأثرياء على غرار **سعيد بن ابراهيم قدورة** مؤسس البيت العلمي الذي لم يتقلد الوظائف فقط؛ وإنما تعداها لممارسة أنشطة اقتصادية؛ كمورد إضافي لطلب الرزق وتوسيعه، وأصبح كثير الانشغال عن مهامه ووظائفه السابقة، وجعل لنفسه أربعة نواب بالجامع؛ يدفع لهم من ماله الخاص، ينوبون عنه بالتداول إذا تأخر عن الخطبة أو صلاة الظهر أو العصر ومنهم الفقيه **بن راس العين، مزيان ومحمد بن قرواش**، وكان صاحب ثروة وأملاك، كما كانت له أرض حراثة، وكان ينفق من ماله الخاص لا من دخل الأوقاف[2]، إذ يعد الشيخ سعيد قدورة من كبار التجار الأثرياء في قرن يعتبر العصر الذهبي(17م) للتجارة، حيث كانت ثروته واسعة جدا جمعها بالتجارة والمشاركة في امتلاك سفن القرصنة وعمليات تصدير السلع التي تأتي بها الغنائم البحرية[3]، حيث تعتبر عائلة قدورة من البيوتات العلمية التي احتفظت بمستوى كبير من الثروة في القرنين 18م و19م، وهي التي حافظت على مركزها في تولي المناصب العليا والجاه الكبير المتخلف من قيمة مؤسسيها، وعلى منوال سعيد قدورة كان العلماء الأثرياء في القرن 17م، يستثمرون أموالهم في التجارة الخارجية وفي المشاركة في امتلاك سفن القرصنة، وهذا ما يفسر مستوى الثورة العالي الذي لا مثيل له في القرون اللاحقة[4].

04–علماء البيت "أبناء وأحفاد سعيد قدورة":

أنجب بيت آل قدورة عددا من العلماء الذين استفادوا من الازدهار الحضاري الذي عرفته مدينة الجزائر، وقد ساهموا بحراكهم ونشاطاهم العلمي؛ من تدريس وإمامة وخطابة وإفتاء في بناء مجد الأسرة وصياغة تاريخها؛ ونذكر من هؤلاء:

أ_أبناءه:

***محمد بن سعيد قدورة** (1625-1695م):

نشأ ودرس بمدينة الجزائر وتثقف بها بثقافة عصره، وتتلمذ على علمائها؛ ومنهم والده **سعيد قدورة** الذي عمد على تدريبه على توليه المناصب والوظائف الرسمية منذ صغره؛ فقد أنابه عنه في الخطابة والإمامة والفتيا أثناء حياته[5]، وهو ما أكده **ابن المفتي** بقوله: « **ولما تعاظمت حرمة سيدي سعيد، وكثرت أشغاله قدّم ابنه سيدي محمد العالم الفقيه القدير المفسر المحدث...وكلفه أبوه مع صغر سنه بالفتوى والخطابة والتدريس لفضله ونباهته...**»[6]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ **سعيد قدورة** أناب عنه أول الأمر **محمد بن قرواش** لكن الناس رفضوه بعد أربعة أشهر، فعين لهم ابنه، ولم يكد يوافيه الأجل حتى كان **محمد** هو المرشح الأول للإفتاء[7]، وبعد وفاة والده عين رسميًا في منصب الفتوى بالجامع الأعظم سنة 1066هـ/1656م؛ الذي استمر فيه مدة **أربعين عاما**،[8]؛ فأصبح من كبار علماء مدينة الجزائر،

---

[1]– محمد بن سليمان الروداني: **المصدر السابق**، ص 21.

[2]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص97-98.

[3]– المنور مروش: **المرجع السابق**، ص ص 330، 331.

[4]– المنور مروش: **المرجع نفسه**، ص ص 331، 332.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص 365.

[6]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 98.

[7]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص 365.

[8]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 99.

وكان خطيبا ومفتيًا بها، وشيخا في الفقه والحديث، وعليه يعتمد في رواية الآثار، وتصحيح الرواية والأسانيد[1]. وكان على درجة عالية من العلم، ويستمتع الطالب في مجلسه من حسن الكلام وبديع الألفاظ، وذلك ما أشار إليه **ابن زاكور** بقوله: «**سمعت من إملائه في مجلسه الخطير، جملة وافية من الجامع الصغير وأبوابا من صحيح البخاري، يحمد مواردها المدلج والساري، سماع دراية، وتحقيق رواية، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر، وتنزهت من فهمه وحفظه في جنة ونهر..** »[2]، ورغم المكانة العلمية التي وصل إليها **محمد سعيد قدورة** إلاَّ أن من ترجموا له أرجعوا فضل ما وصل إليه من مجد وشهرة وجاه لوالده، ومنهم حتى المعجبين به **كمحمد بن زاكور الفاسي** الذي درس عليه ووصفه بأوصاف كبار العلماء، ومع ذلك قال: «**وإمامة والده أبي عثمان؛ هي التي أرقته على غيره من الأعيان، وأولته المراتب الخطيرة، والفضائل الشهيرة**»[3]. عاش **محمد سعيد قدورة** في ظروف سياسية حرجة اتسمت بالفتن والفوضى والإنقلابات والمؤمرات؛ التي لم يسلم منها، حيث وشى به خصومه إلى أحد الباشاوات-كما يروي ابن المفتي-فعزله بعض الوقت ثم أعاده بعد أن تبين براءته[4]، ويعد الشيخ **محمد قدورة** من كبار العلماء في وقته، ونظرا لشهرته بالتدريس؛ تتلمذ على يده أخوه **أحمد**، وعلماء أشهرهم: **الشيخ بن زاكور الفاسي (ت.112هـ/1708)** الذي أجازه في جميع مقروءاته معقولا ومنقولا أوائل رجب1682/1094م[5]، و**الشيخ** أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني **المعروف بابن الكماد**؛ الذي أخذ عنه بالجزائر[6]، من مؤلفاته؛ **جليس الزائر وأنيس السائر**[7].

*** أحمد بن سعيد قدورة:**

أبو العباس أحمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة، من كبار فقهاء المالكية في مدينة الجزائر، درس على والده الفقيه الشهير **سعيد قدورة** وغيره من مشيخة الجزائر[8]، كما درس على يد أخيه **محمد**، فتعلم علوم التفسير والفقه والحديث وغيرها من العلوم المتداولة في تلك الفترة، وأصبح ذو فصاحة رائقة وبلاغة فائقة؛ أهلته لتولي الخطابة والإفتاء في الجامع الأعظم، وقد أشاد بذلك معاصره **ابن المفتي**، الذي حلاه بأجمل الصفات؛ قائلا: « **وكان سيدي أحمد بن سيدي سعيد كريم الشمائل نبيها بالدرس، له باع في النحو وأصول العقيدة، ويملك صبرا كبيرا للإجابة على عجل وكفاية على كل المسائل وكان أديبا نجيبا وخطيبا فصيحا**»[9]، ومع ذلك يرى الأستاذ **أبو القاسم سعد الله** أنه **لم يبلغ درجة أبيه أو منزلة أخيه العلمية**[10]، ولا شك في أنه وصل إلى هذا الحكم من خلال الأصداء التي نجدها للعلماء المتميزين من كثرة

---

[1]- ابن زاكور: **المصدر السابق**، ص 69.

[2]- ابن زاكور: **المصدر نفسه**، ص 70.

[3]- ابن زاكور: **المصدر نفسه**، ص 69.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، المرجع السابق، ج1، ص 266.

[5]- ابن زاكور: **المصدر السابق**، ص 71.

[6]- الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص ص 359.

[7]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 101.

[8]- عبد الوهاب بن منصور: **أعلام المغرب العربي**، ج6، المطبعة الملكية، الرباط-المغرب، 1998م، ص **125.**

[9]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 106.

[10]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، المرجع السابق، ج1، ص 366.

التلامذة والمصنفات، وهذا ما لم يحصل مع **أحمد قدورة**[1]. لقد كان **أحمد** من العلماء الأعيان؛ حيث تولى الإفتاء بالجامع الأعظم سنة 1107هـ/ 1695م خلفًا لأخيه **محمد** إلى عام 1118هـ/1706م في فترة الداي **عشي مصطفى**[2]، وقد تعرض **أحمد** للعزل عدة مرات وعوض **بابن أخته عبد الرحمن المرتضى**[3]؛ ليعود بعدها إلى منصبه الذي بقي فيه حتى عهد الداي **محمد بكداش**، الذي **أمر بسجنه ثم اعدامه سنة 1118هـ/ 1706م**؛ بسبب اشتغاله بالسياسة[4]، وكان **أحمد** يحسن نظم الشعر كوالده، فقد وجه لأخيه **محمد** استدعاء نظميا في عشرين بيتا؛ يطلب منه الإجازة[5].

***علال بن سعيد قدورة:**

شغل الشيخ **علال بن سعيد بن إبراهيم قدورة** منصب قاضي المالكية عام 1118هـ/1706م[6]، وهناك خلاف حول صلة القرابة التي تجمع هذا الأخير بالشيخ **سعيد قدورة**، فينما نجد ابن **المفتي** يذكر في تقييداته أن **علال** هو **ابن أخت أحمد قدورة**[7]؛ وهو ما ذهب إليه **ألبير دوفولكس** الذي قال هو الآخر أنه **حفيد قدورة من ابنته**[8]؛ إلا أن العثور على وثيقة أرشيفية في سجلات المحاكم الشرعية، وهي عبارة عن وقف أهلي يعود إلى سنة 1117هـ/ 1705م، وضعت حدا للجدل؛ وأكدت أن **علال** هو **ابن الشيخ سعيد قدورة**[9]، وهو ما أشار إليه صاحب "**تحفة الزائر**" الذي قال **أنه ابن مؤسس البيت**[10]، ولم تأت المصادر على ذكره إلا عرضا عندما توقفت عند حادثة مقتل **أحمد قدورة**، حيث اكتفى ابن المفتي بوصفه "**بسيدي**"[11]، وهي الصفة التي ارتبطت بالعلماء، أعدمه الداي **محمد بكداش** مع أخيه **أحمد** سنة 1118هـ/ 1706م[12].

***إبراهيم بن سعيد قدورة:**

إن المصادر التي ترجمت لعلماء الجزائر لم تتطرق إلى ذكر؛ الشيخ إبراهيم بن سعيد إبراهيم قدورة، وحتى **ابن المفتي** الذي كان من أشد المعجبين والمدافعين عن البيت؛ لم يترجم لإبراهيم، وربما لم يفعل ذلك لأنه لم يتول منصب الإفتاء وكان متوليا وظائف أخرى، ومع ذلك فقد استطعنا التعرف عليه من خلال الإجازة التي كتبها له تلميذ والده الشيخ

---

[1]- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (1520–1830)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 53

[2] -Albert Devoulx: «**Les édifices Religieux De L'ancien Alger**» , **op.cit**, p 290.

[3] -Albert Devoulx: «Les **édifices Religieux De L'ancien Alger**» **, op.cit**, p 291

[4]–محمد بن الأمير عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية– القاهرة، 1903م، ص 70.

[5]–فوزية لزغم: **الإجازات العلمية. لعلماء الجزائر العثمانية**، المرجع السابق، ص 90.

[6]- محمد بن الأمير عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر**، ج1، المرجع السابق، ص 70.

[7]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 106.

[8] -Abert Devoulx: «Les **édifices Religieux De L'ancien Alger**» **, op.cit**, p293.

[9]– فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص56.

[10]– محمد بن الأمير عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر**، المرجع السابق، ج1، ص 70.

[11]– ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 106.

[12] -Abert Devoulx: «Les **édifices Religieux De L'ancien Alger**» **,op.cit**, p293.

عيسى الثعالبي الجزائري سنة **1077هـ/1666م**[1]، وكانت إجازة مطولة؛ بمكة المكرمة على الأرجح لأن الثعالبي في هذه الفترة كان مستقرا بها، وقد أضاف عبارة "المكي" إلى اسمه في هذه الإجازة[2]، ويتبين من خلالها أن **إبراهيم بن سعيد قدورة** من رجال العلم؛ الذين أخذوا على الثعالبي بمكة في رحلته الحجازية[3].

ب_أحفاده:

*** سعيد بن أحمد بن سعيد:**

حفيد الشيخ **سعيد قدورة**، تقلد منصب الإفتاء المالكي سنة 1122هـ/ 1710م[4]؛ واحتفظ بوظيفته لأكثر من **سبع سنوات**[5]، حيث تناوب على هذه الخطة مع ابن عمته **عبد الرحمن المرتضى** وغيره؛ أي أنه عين مرتين وعزل مرتين[6]، ورغم إعجاب **صاحب التقييدات** بالشيخ **سعيد قدورة** إلاَّ أنه يصف حفيده **سعيد بن أحمد**؛ بأنه أجهل الناس بالعلم والفتوى التي بقي فيها حتى سنة 1129هـ/1716م، وأنه غير مؤهل لها معترضا على توليه لهذا المنصب؛ إذ يقول **ابن المفتي**: « **وهذا الحاج سعيد كان أبلد مخلوقات الله تعالى ولم يكن يفرق بين صياح الديك وثغاء الخروف... وصل إلى هذه الخطة بكره ونفور**»[7]، وجاءت توليته بسبب أن أهل المدينة يعتقدون في أسرة آل قدورة الصلاح والكرامات؛ بل يتفقون أن البركة تلتصق حتى بالأبناء في سن الحداثة، وإن لم يتولّ مفت من عائلة سعيد قدورة؛ فإنه سينهال عليها وابل من البؤس كغلاء الأسعار والزلزلة والصاعقة وأشياء أخرى[8]، ولربما هذا ما دفع الباشوات إلى الاستمرار في تعيين المفتيين من هذه العائلة تماشيا مع عقيدة الناس المتوارثة، ووردت الإشارة إلى شخصية **الحاج أحمد بن سعيد كمفتي للمالكية** في الوثائق مرتين، الأولى في بداية شهر ربيع الثاني 1125هـ/1713م، والثانية في شهر رمضان 1126هـ/1714م[9].

***عبد الرحمن بن أحمد المرتضى:**

حفيد الشيخ **سعيد قدورة من ابنته**؛ أما من جهة والده نجده ينتمي إلى أسرة **المرتضى**، وهي من العائلات الشريفة الشهيرة بمدينة الجزائر، ولهذا شغل والده خطة نقيب الأشراف[10]، **بالإضافة إلى أن أسرة المرتضى من الأسر العلمية التي توارثت الإفتاء المالكي بالحاضرة**[11]، وقد تصدى **عبد الرحمن المرتضى** للتدريس؛ فكان حسن الخط ومدرسا

---

[1]- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص ص 56، 57.

[2]- فوزية لزغم:"**إجازتا عيسى الثعالبي للشيخين محمد العيثاوي وإبراهيم قدورة أنموذج عن النشر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع12، جامعة تيارت – الجزائر، 2015م، ص 123.

[3]- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص ص 57، 58.

[4] -AbertDevoulx: «Les **édifices Religieux De L'ancien Alger»,op.cit**, p293.

[5]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 107.

[6]- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع الاسبق، ص ص 58، 59.

[7]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص 107.

[8]- ابن المفتي: **المصدر نفسه**، ص 107.

[9]-فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص59.

[10]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص106.

[11]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، المرجع السابق، ص353.

ناجحا[1]، وقد شغل لفترة من الزمن خطة **نقيب الأشراف** خلفا لوالده، ويصفه ابن المفتي بقوله: «**كان المرتضى حاذقا في علم الكلام، وفي علم الحديث**»[2]، وتولى **عبد الرحمن المرتضى** خطة **الفتوى** بعد مقتل خاله **أحمد قدورة** سنة 1118هـ/ 1706م، **وقد ذكر ابن المفتي** أنه دعي للمرة الثانية لخطتي الفتوى والخطابة بالجامع الكبير أيام الداي **محمد بكداش**، واحتفظ بوظيفته إلى أن قتل الداي سنة 1122هـ/ 1710م[3].

ذكر **ألبير دوفولكس** أن **عبد الرحمن المرتضى** تولى وظيفة الفتوى مرة أخرى، وأول إشارة إليه أواخر جمادي الأولى 1128هـ/ 1715م، وآخر إشارة إليه في بداية الحجة 1134هـ/ 1722م[4]، وهكذا فإن مكانة بيت قدورة العلمية تحولت إلى مكانة دينية، بحيث كان أهالي المدينة ينظرون إليهم كمرابطين يعتقدون فيهم البركة، وتدريجيا أصبح أبناء وأحفاد سعيد قدورة يتناوبون الفتيا مع غيرهم؛ وهذا إلى أن تلاشى ذكر هذا البيت نهائيا[5]، ولم تذكر المصادر التي ترجمت لسعيد قدورة جميع أبنائه، وركزت فقط على أولاده الذين تولوا مناصب عليا من قضاء وافتاء؛ إلا أن الباحثة **فتيحة لواليش** حاولت تسليط الضوء على معظم أفراد العائلة من خلال الوثائق، حيث ذكرت أن **الحاجة الزهراء بنت الولي الصالح سيدي السعيد** لديها محل تجاري[6]، وأن أغلب ممتلكات عائلة سيد قدورة هي حبس للجامع الكبير في مدينة الجزائر[7].

يعد بيت سعيد قدورة أكثر البيوتات العلمية شهرة بالجزائر العثمانية، وقد حاز من النفوذ ما مكنه من تولي الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر أكثر من قرن بدون انقطاع[8]، وبذلك وصل آل قدورة إلى قمة السلم الوظيفي بتعيين من الباشا نفسه[9]، وبلغت مكانة سعيد قدورة عند الباشوات أنهم كانوا يقفون له إجلالا ويقبلون يده، ويبدو أنه عرف كيف يحافظ على مكانته العلمية بينهم ويحتفظ برضاهم عنه أيضا[10]، إضافة إلى ذلك كانت له هيبة ووقار واحترام من الناس والحكام، فكان الباشوات يقدمونه على المفتي الحنفي أو شيخ الإسلام، وكانت لقدورة الأسبقية على زميله الحنفي في المجلس العلمي والقضائي الذي كان ينعقد برئاسة قدورة في الجامع الكبير[11].

إن عائلة سعيد قدورة من الأسر العلمية المتنفذة التي توارث أفرادها الوظائف والخطط كالإمامة والخطابة والفتوى والتدريس، حيث أثرت في أجيال من الجزائريين، اشتهرت الأسرة برواية الحديث، وكثرة التلاميذ الذين تخرجوا على

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص 370.

[2]- ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص106.

[3]- ابن المفتي: **المصدر نفسه**، ص106.

[4] -Abert Devoulx: «Les **édifices Religieux De L'ancien Alger» , op.cit**, p296.

[5]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص 366.

[6] - Fatiha Loualich: **La famille à Alger 18e et 19e siècles**, **op.cit**, p146.

[7] -**Ibid**, p146.

[8]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص 357.

[9]- درقاوي منصور: **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10–13هـ/16–19م) بين التأثير والتأثر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران- الجزائر، 2014-2015م، ص67.

[10]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، المرجع السابق، ج1، ص363.

[11]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...1500–1830**، المرجع نفسه، ج1، ص364.

أعلامها ولا سيما الوالد والابن الأكبر، وقد عكس مجيئها واستقرارها بالعاصمة الجزائرية مدى التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس.

لقد مكن حراك الصفوة من ازدهار الحركة العلمية في إفريقية وربوع الجزائر، وأبقى على الوشيجة الحضارية التي كانت تشد المغرب إلى المشرق، وبالتالي تشد المغرب العربي إلى الحضارة العربية الإسلامية، وتشد المدن المغربية إلى بعضها البعض. وقد اتسم هذا الحراك بتبادل المواقع، وبإنجاب النوابغ في كل الفترات، وإلغاء الحواجز الترابية، إذ كانت النخب لا تشعر بالانتماء إلا للعلم ومواطنه، ولا يطيب لهم العيش إلا حيث رجاله وطلابه[1]، وقد تجلت نتائج وتأثيرات الحراك الايجابي البيني للنخب على الإيالتين؛ بوضوح في الحضور الكبير لعدد من الأعلام والمشيخات والطلبة والأسر العلمية في سماء الحياة الثقافية؛ وإن تباينت الأعداد واختلف التأثير من الجانبين، حيث كانت هذه التنقلات والحركات الهجروية الفردية والجماعية؛ مرآة عاكسة عن مدى دينامية التواصل العلمي بين النخب وما تخلله من تحصيل معرفي (في شتى صنوف المعارف ومختلف الفنون)؛ ما أسهم بحق في نسج ترابط وتلاحم ديني وفكري واجتماعي؛ حقق نوع التكامل والتفاعل الثقافي، وهو ما شكل لبنة قوية في العلاقات زادت من حركية النخب العلمية بين البلدين.

[1]- محمد صالح الجابري: **المرجع السابق**، ص 30.

الفصل الخامس: الطرق الصوفية روافد للحراك بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

أولا–ماهية التصوف.

ثانيا–الحضور الطرقي الصوفي الجزائري بالبلاد التونسية

ثالثا–الحراك الطرقي العكسي أو الوافد.

تمهيد

شهدت الفترة الحديثة انتشارا كبيرا للمد الصوفي؛ بالموازاة مع ذلك انتشرت عقلية زيارة الأولياء والتبرك بهم هي الأخرى لتطبع روح العصر، وتترسخ في المخيال الجمعي لشعوب منطقة شمال إفريقيا، فقد اتسم العهد العثماني في المغارب بانتشار ظاهرة التصوف؛ وسيطرتها على توجيه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية بوجه لم يسبق له مثيل؛ رغم أنه كان منتشراً قبل وبعد هذه الفترة التي ندرسها[1]، ذلك أن التصوف ظاهرة مجتمعية مرتبطة بنمط العيش والإنتاج والعلاقات، ولا تفهم بحال من الأحوال بمعزل عن ظواهر المجتمع الأخرى، وهي منغرسة في تاريخ وجذور وحصيلة شجرة المجتمع؛ فالتصوف غني متعدد الجينات مرتبط بالبنى الاجتماعية في التاريخ؛ بل إن الأوساط الأقرب للصوفية هي الفئات الاجتماعية المهمشة[2]، حيث لعبت الطرق الصوفية دورا مهما في تعميق المشاعر الروحية عند مسلمي الإيالتين، وكانت زواياها أهم مراكز الإعداد والتعبئة، وكانت المعاقل الحقيقية لاستقطاب الأتباع والمريدين، فقد كانت الطريقة بحق الرابطة الروحية التي تملك إمكانيات تفوق العصبية القبلية، فعنصر التلاحم الذي تكونه العصبية؛ يقل في أثره عن حجم التلاحم وعمقه الذي تكونه الطريقة [3]. لقد أضحت الطرقية ظاهرة دينية يتم من خلالها تلبية الحاجيات الروحية للأتباع والمريدين، فقد ساهمت في تقوية أواصر العلاقات المجتمعية عن طريق خلق الاتصالات بين الأتباع والمريدين؛ رافقها حراك فكري روحي تجلى في انتشار العلوم وانتقال المعارف، وما زاد في إرساء هذا التقارب وتدعيمه وجود طرق صوفية ذات أصل جزائري بالإيالة التونسية؛ وحضور طرقي عكسي بالبلاد الجزائرية؛ ما أدى إلى احتكاك روحي كان بمثابة مرآة عاكسة للجوانب التواصلية الثقافية والحضارية بين الجزائر تونس. انطلاقا من هذا تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات: هل يمكن الحديث عن حضور طرقي صوفي جزائري حقيقي بالبلاد التونسية؟ وفيم تجلت رياح الغرب الصوفية؟ وهل كان للحراك الطرقي العكسي أو الوافد حضور بالبلاد الجزائرية؟ وإلى أي مدى أسهم الحراك الطرقي الصوفي البيني في ربط صلات روحية بين الجزائريين والتونسيين؟ وقبل الوقوف على حقيقة الحراك الطرقي البيني ودوره في تمتين الصلات الروحية بين الإيالتين؛ لا بد من الإشارة إلى ماهية التصوف ونشأته ومعاني الطرقية.

أولا–ماهية التصوف:

01–مفهوم التصوف:

اختلف الكثير من الدارسين بما فيهم المستشرقين في أصل التصوف، فمنهم من أرجعه إلى أصل هندي، ومنهم من رده إلى الرهبنة المسيحية، ومنهم من قال بأنه رد فعل للعقلية الآرية ضد الدين الإسلامي والمسلمين في فارس، ومنهم اعتبره امتدادا للفلسفة اليونانية، وآخرون قالوا بأنه نابع من البيئة العربية الإسلامية؛ في حين يقول المتصوفة أنفسهم: أن التصوف مؤسس على الكتاب والسنة وقائم على سلوك الأنبياء والأصفياء؛ يعني هذا أن التصوف هو الإسلام[4]، لذلك نجد مصطلح الصوفية أو التصوف يستخدم للروحانيات في الإسلام؛ على ضوء ما تحيل إليه الدلالات اللغوية التي تربطه

---

[1]– مختار حبّار: "**الحضور الصّوفي في الجزائر على العهد العُثماني**"، مجلة التراث العربي، العدد 57، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، 1994، ص 01.

[2]– سهيل عروسي: **التصوف بين الفقه والإيدلوجيا**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2015، ص 12.

[3]– علي علي أبو شامي: **المرجع السابق**، ص 331.

[4]– احميدة عميراوي: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 125

بشيء مفعم بالأسرار، لا يمكن بلوغه بالوسائل العادية أو المجهود العقلي[1]، وتكاد تتفق معظم الآراء حول التصوف على أنه: **نزعة روحية تنأى بالإنسان عن العالم المادي وترتفع به إلى العالم الروحي، وهو بهذا المعنى يكون ظاهرة إنسانية تنشأ في كل بيئة دينية**[2]، **وبذلك يكون التصوف فكرا باطنيا وتراثا روحيا وعالميا**، ويكون التصوف الإسلامي جزءا من التراث العربي الإسلامي، وجزءا من التصوف العالمي[3].

02-الطرقية: المفهوم والدلالات:

أ- المفهوم اللغوي:

الطريقة لغة هي الطريق والمذهب، كما في قوله تعالى "**ويذهب بطريقتكم المثلى**"[4]، وتجمع على "**طرائق**" كما في قوله تعالى"**كنا طرائق قددا**"[5]، وقد تضارب الاستعمال في حالة المفرد والجمع كالتالي: **طريقة صوفية** في حالة المفرد و**طرق صوفية** في حالة الجمع، والصواب أن يقال **طرائق صوفية**؛ إذ أن طرق مفردها "**طريق**" لا "**طريقة**"، وقد شاع استعمال هذا الخطأ الصوفي[6].

ب-مفهوم الطريقة اصطلاحا:

في رأي السنّيين هي الطريقة التي تأسست على صفتين هما **انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا الغادرة**، وأول طريقة هي التي كانت على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولهذا كانت للتصوف طرق كثيرة، إذن فالطريقة هي **حلقة الوصل بين الشريعة والحقيقة الإلهية**[7]، والطريقة عند الصوفية هي **السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله**[8]، وقد تحدث الشيخ **الشعراني** في هذا السياق عن سر الطريق في **الأنوار القدسية**؛ بقوله:" **أن طريق القوم طريق تصديق وتحقيق، وجهد وعمل، وغض بصر وطهارة قلب، ويد وفرج ولسان، ومن خالف شيئا من أفعالها رفضته الطريق كرها عليه**"[9]؛ **إذا فالطريقة هي سلم الوصول إلى النجاة والسعادة، والتي تقترن بها مجموعة من الشعارات والممارسات والأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى**، لذلك نجد من يطلق على الطريقة تسمية **الورد**؛ لأن تلقي الورد الذي يمثل تعاليم الطريقة وعقيدتها أو مذهبها؛ هو علامة تبني الطريقة والانخراط فيها[10]، وهي أسلوب عملي، ويطلق عليها أيضا؛ **المذهب والرعاية والسلوك** لإرشاد المريد عن طريق اقتفاء أثر طريقة تفكير وشعور وعمل تؤدى من

---

[1]- آنا مري شيمل: **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا-بغداد، 2006، ص 07.

[2]-: الهجويري: **كشف المحجوب**، تر وتع اسعاد عبد الهادي قنديل، ج1، مكتبة الإسكندرية، مصر، يونيو 1974، ص 27.

[3]- احميدة عميراوي: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص 125

[4]- **القرآن الكريم: سورة طه، الآية 63**.

[5]- **لقرآن الكريم: سورة الجن، الآية 11**.

[6]- محمد مكحلي: "**الطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707-1827)**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 104، منشورات مؤسسة التميمي زغوان، سبتمبر 2001، ص92.

[7]- احميدة عميراوي: **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، 2003، ص 14.

[8]- عامر النجار: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها**، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1992، ص 18.

[9]- عبد الوهاب الشعراني: **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**، تح وتق طه عبد الباقي والسيد محمد عيد الشافعي، ج1، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988، ص 104.

[10] عبد العزيز شهبي: **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007، ص 97-98.

خلال تعاقب مراحل المقامات في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية المسماة أحوال إلى معايشة تجربة الحقيقة المقدسة؛ أي أنها تعني ببساطة ذلك المنهج التدريجي للتصوف التأملي وتحرير الروح، وقد بدأت حلقات المريدين في التجمع حول شيخ الطريقة المعترف به، طلبا للتدريب أثناء الاتصال أو الصحبة، ودون الارتباط بأي قيد مبدئي أو قسم بالولاء[1]، ومنه يتضح أن مصطلح الطرقية يستعمل عادة للدلالة على أتباع طريق ولي صالح، وقد ارتبط المعنى منذ القرن السادس عشر(16م) بنشاط الزوايا، حيث حققت الطرقية بفضل انتشارها الواسع ونفوذها الروحي الكبير على الأوساط الشعبية، تأثيرا هائلا على مجرى الحياة بلغ درجة جعلت الحكام والساسة يلجأون إليها لإدارة موازين القوى ولتفادي التصادم معها، وقد تميزت الطرق الصوفية في الجزائر بتأثيراتها العامة وإفرازاتها الثقافية؛ وتجذرها داخل المجتمع[2].

كان للطرق الصوفية نظام إداري يشبه التنظيم الإدارية للحكومات؛ ولاسيما فيما يتصل بالمناصب وجباية المال وتسخير الأتباع، كما أن للطرق أسرارا كأسرار الدولة لم يكن يطلع عليها سوى الذين يتولون شؤونها من رجال الطريقة[3]، وباعتبار أن الطريقة هي رسم طريق لسفر النفس إلى الله تسلكه خلال منازل نفسية مختلفة هي المقامات والأحوال، وهي التطبيق العملي الحرفي للشريعة حتى الحقيقة؛ فقد أصبح غالبية الأهالي ينتمون إلى طريقة صوفية، وهذا يعكس مدى تقبل الأهالي وانخراطهم في صلبها؛ فأصبحت أطرا للانتظام وأنساق موازية لسلطة الباي والعلماء[4].

03-نشأة التصوف:

إذا كان التصوف الإسلامي الذي نشأ منذ القرن الثاني الهجري؛ في بيئة كان مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل؛ فقد تطور ليصبح منهجا دينيا محددا، واتجاها نفسيا وعقليا معينا، وأصبح في القرن الرابع الهجري كفرقة منظمة؛ لها أصولها وفروعها وآدابها ورسومها الخاصة[5]، وظل كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر(12م)، حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفين المسلمين؛ فكان هناك الشيخ المريد أو السالك، ونشأت بعض الحلقات من كبار الصوفية إما في حياتهم أو بعد مماتهم[6]، ولئن بدأ التصوف في المائة الأولى والثانية للهجرة والثانية في شكل **زهد وورع** تمثل في أفراد معينين؛ فإنه لم يلبث أن صار مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص مؤولة من القرآن والحديث يسمى **علم الباطن**[7]؛ مع تطور تلك النزعة الفردية إلى طرق ارتبطت بالصوفية؛ أي أنه مر من مرحلة التصوف الفردي ثم تمذهب في إطار تصوف جماعوي، ويذهب المؤرخ الشيخ **عبد الرحمن الجيلالي** إلى أن انتشار الطرق الصوفية وتفرعها إلى فروع عديدة في جميع الجهات إنما يعود إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي فقط، وقد فاق عدد هذه الطرق-المتسلسلة

---

[1]- سبنسر ترمنجهام: **الفرق الصوفية في الإسلام**، تر وتع عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص 26.

[2]- محمد مكحلي: **الطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 51.

[3]- العيد مسعود: **المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 19.

[4]- محمد علي الحناشي: **الحياة الدينية والعلمية بمدينة الكاف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة تونس، 2004-2005، ص 35.

[5]- قاسم غنى: **تاريخ التصوف في الإسلام**، تر صادق نشأت، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017، ص 233.

[6]- مختار الطاهر فيلالي: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، 1976، ص 33.

[7]- التليلي العجيلي: **الطرق الصوفية بالبلاد التونسية والاستعمار الفرنسي (1881-1939)**، مج2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992، ص 27.

الضاربة في أعماق أغلب أقطار العالم الإسلامي- ثمانين طريقة[1]، فأصبح التصوف ظاهرة عامة في بلاد المغرب ابتداء من هذا القرن، وغدت الطرقية منذ القرن 9هـ/15م ظاهرة اجتماعية وحضارية في المجتمع الإسلامي عامة؛ والمجتمع الجزائري خاصة، بفضل **مدرسة عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي**، ثم تطورت حركة التصوف في القرون اللاحقة بانتشارها في الأرياف ومع تأسيس المرابطين للزوايا، فتشكل ما عرف بالتصوف الشعبي الطرقي في بلاد المغرب[2]، حيث ظهرت الطرق الصوفية في الجزائر منذ بداية القرن 16م، وأخذت تنمو حتى انتشرت على نطاق واسع فيما بعد[3]، واشتهرت منها تسعة طرق هي **الشاذلية، والرحمانية الخلوتية، التجانية، والعيساوية، الطيبية، والسنوسية والعمارية**؛ دون أن نغفل عن **القادرية**؛ أول منظمة أو طريقة صوفية ظهرت في الإسلام [4]. والملاحظ أن حركة التصوف التي أضحت ظاهرة غطت العهد العثماني؛ تعتبر امتدادا للحركة التي بدأت قبلها بقرون، وأن معظم كبار المتصوفة ومؤسسي الطرق الصوفية في التاريخ الإسلامي قد ظهروا قبل القرن 10هـ/16م، ويؤكد الأستاذ سعد الله أن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر بعد القرن 8هـ/14م تتصل بتعاليم **الطريقة الشاذلية**، فمن مجموع 16 طريقة صوفية بالمغرب العربي أواخر القرن 13هـ/19م؛ نجد ثلاثة عشر (13) طريقة صوفية كلها شاذلية الأصل[5].

ثانيا–الحضور الطرقي الصوفي الجزائري بالبلاد التونسية:

شكلت الطرق الصوفية أداة حيوية للتواصل الروحي بين الجزائريين وأشقائهم التونسيين خلال الفترة الحديثة، وقد زادت حركة التواصل من القرب والاطلاع على الطرق الصوفية وحال المتصوفة؛ **فالفكر المغاربي في خصوصياته العلمية لا يعرف انتشارا خارج حدوده الجغرافية؛ إلاّ عبر قوافل رجال التصوف، فحين غابت شروط التواصل الحضارية؛ وتقلبت العلاقات والروابط في ظل الانحطاط وارتفاع سدود العزلة؛ برز التصوف كعامل موحد بين أقطار شمال إفريقيا، وكثقافة مشتركة تسمح على الأقل بالإحساس بالتواصل ووحدة الانتماء، فلا يمكن الحديث عن الشاذلي وزروق والتيجاني؛ إلاّ كثقافة أو جسور ربطت بينها، وأبقت على روابط روحية فكرية حافظت على التواصل والوحدة المفقودة على سائر المستويات**[6]، وبذلك كان للطرق الصوفية تأثير واسع، حيث انتشرت في العديد من المناطق عن طريق طلب العلم والمعرفة، وحتى من خلال الرحلات إلى الأماكن المقدسة، وإلى الكثير من المدن الثقافية التي ازدهرت بها دور العلم والفكر والتقوى؛ سواء كان في ذلك في المغرب الأقصى أو تونس، أو القاهرة أو الحجاز أو بلاد الشام وحتى تركيا[7]، لذلك نجدها **تتجاوز حدود القبيلة أو القرية** وحلفائها خلافا للأولياء الصالحين[8].

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، 253.

[2]– عبد القادر صحراوي: **المرجع السابق**، ص 50-51.

[3]. الطاهر مختار فيلالي: **المرجع السابق**، ص 34.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 254.

[5]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، المرجع السابق، ج1، ص 461.

[6]. عبد المجيد الصغير: "**من أجل إعادة تقويم الحدث الصوفي بالمغرب**"، من كتاب: **الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المغرب، 1997، ص 276.

[7]. أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 94.

[8]– لوسات فالنسي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، المرجع السابق، ص 48.

احتلت الطرقية في المجتمع مكانة هامة، وكان لها الدور الفاعل في الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية، **فقد أسهمت في توطيد عرى العلاقات بين سكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس؛ حيث كانت كل من الرحمانية والقادرية والطيبية والتيجانية والزيانية أكثر حضورا في معظم المناطق الشرقية من البلاد**، إذ كانت منتشرة في **عين البيضاء وطولقة ونفطة والكاف وتماسين وغيرها**[1]؛ ما كان له أثره البارز في خلق صلات روحية بين سكان المناطق التخومية الجزائرية التونسية؛ ما زاد في توطيد اللحمة وتقوية الوشائج الاجتماعية والروابط الدينية التي تعود في جذورها لقرون سابقات، إذ يقول **لويس رين** سنة 1884 « **لقد حاول رؤساء الدين الإسلامي"يقصد رؤساء الطرق الصوفية والمرابطين" إثارة المشاعر الدينية لمكافحة ما يرونه خطرا، كما حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية** » [2]. ولعل **من بين الطرق الصوفية التي شكّلت محاور للالتقاء؛ وروافد للتقارب وقنوات للحراك بين إيالتي الجزائر وتونس:**

01-الطريقة التيجانية:

طريقة دينية صوفية تنسب إلى مؤسسها الشيخ سيدي **أحمد بن محمد بن سالم المختار التيجاني الشريفي الحسني**؛ المولود عام1150 هـ/1773 بمدينة **عين ماضي**(72 كلم غربي الأغواط)، حيث درس على يد والده؛ وحفظ القرآن في سن السابعة على أول مشايخه سيدي **محمد بن حمو التيجاني** (ت.1162هـ/1749) ، ليواصل تحصيل العلوم تحت رعاية وتوجيه سيدي **المبروك بن عافية التيجاني**، وبوفاة الوالد درس بعض الوقت بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى **فاس** عام 1171هـ/1758م، أين أخذ يتردد على المشايخ والعلماء؛ إلا أنه سرعان ما عاد إلى عين ماضي[3]، وبعدها إلى **تلمسان** التي غادرها قاصدا حج بيت الله الحرام عام 1187هـ/1773م، فلما وصل **الحاضرة التونسية** أقام بها و**بسوسة سنة كاملة؛ فألان بما ينشره فيهما من العلوم والأسرار القلوب القاسية والهمم الغافلة؛ فدرس بتونس الحكم العطائية وغيرها، ولقي بها بعض الأولياء منهم الولي الشهير عبد الصمد الرحوي...**[4]، وكانت هذه الوقفة فرصة للشيخ الذي أخذ ينهل من معين أساتذة ومشايخ كرسي الجامع الأعظم (**الزيتونة**)[5]، وكان الشيخ **أحمد التيجاني** يحظى بمودة واحترام باي تونس[6]؛ الذي أرسل إليه يطلب منه المقام بتونس لإقراء العلم وتدريسه والقيام بأمر الدين وتدوينه، وأمر له بدار، وأنفذ له مسجد الزيتونة وعين له مرتبا عظيما، فلما قرأ الكتاب أمسكه ومن الغد سافر إلى مصر[7]، وبعد عودته من الحج مر على شيخه **محمود الكردي** الذي أعطاه الإذن بتأسيس طريقته، وجمع الأتباع من المريدين الذين تبنوها وتلقينهم الذكر، حيث مر في إيابه على **تونس**[8]، وجاب الصحراء لنشر طريقته ثم التجأ إلى **فاس**،

---

[1]- احميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، المرجع السابق، ص 30.

[2]- خير الدين شترة: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي'الجزائر وتونس أنموذجا**، المرجع السابق، ص 400.

[3]- Arnaud(L): «**Histoire De L'Ouali Sidi-Ahmed Et-Tedjani**» , in R.A, N : 5, 1861, O.PU, Alger, P 468-469.

[4]- محمد العربي: **فهرست بغية المستفيد لشرح منية المريد**، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 121.

[5]- Kamel Filali : **L'Algérie mystique… Op.cit,** P 184.

[6]- إدوارد دونوفو: **الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، تر: كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003، ص 80.

[7]- محمد العربي: **المرجع السابق**، ص 121.

[8] -Arnaud (L): **Op.cit,** P 469-470.

وفي هذه المدينة أحس الشيخ **أحمد التيجاني** بأن الوقت قد حان لتأسيس طريقته التي ظل يعمل في الإعداد لها زهاء **ربع قرن من الزمن**[1]. وقد جاء ميلاد **الطريقة التيجانية** عقب **ثماني عشر سنة** (1196-1213هـ/1781-1799م) قضاها سيدي **أحمد التيجاني** داعية نشطا لمذهبه؛ **متنقلا بين الصحراء وتونس، مؤسسا للزوايا؛ معينا المقدمين للدعاية والترويج لطريقته**[2]؛ التي تعرف **بالطريقة الأحمدية** لوجوه عدة بين من يقول سميت بذلك نسبة إلى اسم صاحبها لأن اسمه رضي الله عنه **أحمد**، وبين من يعيد ذلك لكونها **طريقة شكر**، وبين من يربط التسمية بالقطب الذي عليه مدارها هو **الحمد بالوجه الأبلغ سميت أحمدية**؛ وهو ظاهر الوجه الثالث كون أذكارها الدائرة عليها مشتملة كلها على أبلغ المحامد إما تصريحا أو ضمنا، وهي تسمية أطلقها الشيخ **أحمد التيجاني** الختم المحمدي الحائز لكل ما للأولياء من كرامات، وتعرف أيضا **بالإبراهيمية الحنيفية**[3].

إن الطريقة التجانية **ذات طابع ارستقراطي، إذ اتبع طريقتها العلية من الناس**، كبعض سلاطين المغرب، مثل: **عبد الحفيظ** سلطان المغرب الأقصى، **وبايات تونس**[4] **وطبقة التجار والأعيان**[5]، **وبحكم مكانته العلمية وعلاقاته بحكام تونس؛ انتشرت هذه الطريقة في أول الأمر وسط الطبقة الحاكمة والمثقفين**[6]؛ أي أنها اكتسبت الصبغة الأرستقراطية؛ فغالب **أهل الطريقة من الأعيان، وأعيان الأعيان خلاف الطرق الأخرى**[7]، ويبدو أن تأثير الطريقة قد تطور بشكل خاص بالشرق وفي تونس أيضا، إذ يذكر **لويس رين** أن الباي التونسي **محمد الصادق كان تجانيا وأن عدة شخصيات من قصر باردو ينتمون إلى الطريقة التيجانية أيضا**[8]، إن التجانية طريقة **سنية** ظهرت بالجزائر ودخلت **تونس** في أوائل القرن 19م[9]، **وبدأت في التوغل والانتشار بالقطر التونسي شيئا فشيئا بفضل جهود وترحال الخاصة من أتباع الشيخ**، وأولهم كان السيد **محمود التونسي**(ت 1230هـ/1814م)؛ من أصحاب الشيخ؛ والذي كان يشار إليه بالصلاح، وقد تجلت خدمته لهذه الصحبة في كفالة ابني الشيخ وذلك بطلب من التيجاني نفسه[10]، حيث عهد إليه بالتربية والتوجيه الحكيم لهما قبل وفاته[11]، إلى جانب الفقيه **سيدي محمد المشري (1733-1809) خازن أسرار الشيخ أحمد التجاني وكاتبه الخاص وإمامه في الصلاة ومبعوثه لدى المدن والأمصار**، وممثله لدى العلماء والصوفية، استقر **بتونس** لفترة وأصبح حافظا القرآن وللعلوم الشرعية، وكان من أكبر الناشرين للطريقة في الغرب الجزائري؛ حيث كان يتنقل من عين ماضي إلى بلده نواحي تقرت ووادي سوف، وفي الشرق

---

[1]- مختار الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 46-47.

[2]- Louis Rinn : **Marabouts et Khouan**, Adolphe Jourdan, librairie – éditeur, Alger,1884, p 420.

[3]-محمد العربي: **المرجع السابق**، ص 58-62.

[4]- العيد مسعود: **المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 13.

[5]- أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 104.

[6]- التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص 44.

[7]- محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 219.

[8]- Louis Rinn : **Marabouts et Khouan,** Op.cit**,** P 451.

[9]- د. أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 80.

[10]- louis Rinn : **Marabouts et Khouan**, op.cit, P422.

[11] - Arnaud (L): **Op.cit,** P 472**.**

الجزائري اتصل ببعض الأعيان منهم العلامة **محمد بن المطمطية** ناشر الطريقة في **قسنطينة ونواحيها؛ وفي القطر التونسي** حيث كانت له رحلات متعددة، وهكذا كان (**المشري**) **مفتاح الصحراء وتونس وليبيا**[1]، ثم توالى الرجال من تونس لاعتناق الطريقة، فكان أشهرهم الشيخ **المناعي التونسي**، الذي قدم إلى الشيخ **بفاس** فأخذ عنه وأجازه في نشر الطريقة وهو مدفون **بتونس**، ومنهم الشاعر **بن ذنون** الذي نظم قصائد كثيرة في مدح الشيخ وطريقته، ومن أشهر الشعراء التونسيين التيجانيين الأوائل الكبار السيد **محمود قباد** المتوفي صبيحة يوم الأربعاء 03 رجب عام 1288هـ، لكن أشهرهم على الإطلاق مفتي الديار التونسية العلامة **إبراهيم الرياحي**[2]، وسيدي **الطاهر التواتي التيجاني** صاحب الزاوية بتوزر **الذي جلب الطريقة الصوفية إلى توزر الجريد، بل وأسهم في نشرها في كامل الجنوب الغربي التونسي**[3].

انتشرت الطريقة **التجانية بتونس** عن طريق الشيخ **أبو الحسن سيدي علي حرازم الفاسي** الذي لقنه الشيخ الطريقة الخلوتية[4]، و"انتهى من تدوين كتاب **جواهر المعاني** في شهر شعبان سنة 1213هـ/1798م، ولما ظهرت عليه بوادر الولاية أمره شيخه **أحمد التجاني بالسفر**، كما كلفه بأمور توجبت عليه بالمدينة المنورة ومكة، فأطاع الشيخ **علي بن حرازم** الفاسي، وظهر سنة 1216هـ/1801م بمدينة **تونس** وتردد على **جامع الزيتونة**، وتعرف على الشيخ **إبراهيم الرياحي** الذي كان **شاذليا** منخرطا في سلك الطريقة **الرحمانية**–وشيخها في تونس "آنذاك" **سيدي عمر البشيري**–، وكان ذا مكانة في الإفتاء والتدريس؛ فأعجب بالشيخ **الحاج حرازم** غاية الإعجاب حتى أنه أسكنه معه في بيت سكناه **بمدرسة بئر الحجار**، واستأذن في اتباع **الطريقة التجانية** فأذن له، وتلقاها من شيخه هذا؛ الذي حمله على الخروج من الطريقة **الرحمانية** والتخلي عن نسخها[5]، **و يعد إبراهيم الرياحي أول من أدخل ونشر الطريقة التيجانية في تونس؛** بعد أن تلاقها على يد **علي حرازم– أخص أصحاب أحمد التيجاني صاحب الإذن في تلقين الطريقة والإرشاد بها– في أعقاب نزوله بتونس سنة 1211هـ/1797م**، وأثناء سفرته إلى المغرب الأقصى عام 1218هـ/1804م موفدا من الباي **حمودة باشا** إلى السلطان **مولاي سليمان** لجلب الميرة للايالة في أعقاب المسغبة التي عرفتها– فسرح له الأخير الشراء من مملكته وحمله في مراكب بصنجقه–[6]، واجتمع في فاس بشيخه **أحمد التيجاني** الذي تأثر به أشد التأثر يوم الإثنين 17 شوال عام1218هـ[7]، **فأجازه بتلقين الطريقة ونشرها في تونس**، وفي هذا الموضوع يقول إبراهيم الرياحي:" **الحمد لله الذي من علينا بالاجتماع مع شيخنا العالم الهمام رأس العارفين– سيدي علي حرازم–**

---

[1]– محمد المشري: **نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء**، دراسة وتح: عبد القادر موهوبي السايحي الإدريسي الحسني، تين وزيتون للنشر والتوزيع، 2013، ص 19، 31.

[2]– عبد الفتاح مفتاح: **أضواء عل الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، (د.ت)، ص 149.

[3]– علي عبد الوهاب خليل: **المرجع السابق**، صص 83، 177.

[4]– محمد العربي: **المرجع السابق**، ص 127.

[5]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 356.

[6]– ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج3، ص39

[7]– عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق**، ص 150

فأخذنا عنه والمنة لله الطريقة التيجانية المنسوبة لشيخنا أمير الأولياء، مولانا وسيدنا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد في أواسط جمادى الأولى من عام 1216هـ"[1]، وفي سنة 1238هـ/1822م أدى الشيخ إبراهيم زيارة للقطب الشيخ **الحاج علي التماسيني** الذي تولى مشيخة الطريقة بعد وفاة الشيخ أحمد التجاني[2].

لقد كان الشيخ **إبراهيم الرياحي** مدركا للأثر الايجابي الذي يمكن أن تحدثه الطريقة التجانية بأفكارها المعاصرة في التكوين الوجداني والمعرفي في حياة الفرد لا سيما العلماء منهم، فكان يحدث بمزايا هذه الطريقة ويكاتب الأقاليم بفضائلها، فأخذها عنه الخاصة قبل العامة ومن هؤلاء **محمد بن محمد النيفر** مفتي الديار التونسية والشيخ **أبو الفلاح صالح بن محمد النيفر** إمام الجامع الأعظم القاضي ومفتي الديار التونسية [3]، **وأقام أورادها وأسس لها زاويته المشهورة به قرب حوانيت عاشور وكانت له وصلة** بالعارف بالله **الشيخ مصطفى بن عزوز أستاذ الطريقة الرحمانية وله فيها مدائح شعرية ونثرية**... وتجدر الإشارة إلى أن الرياحي له رسالة في المنكرين على الطريقة التيجانية، فلما وردت رسالة عالم مصر وصالحها الشيخ **محمد النميلي التونسي** الأصل المسماة **بالصورام والأسنة** رد فيها على **الشيخ التجاني** على بعض كتابة في صفة الكلام من علم التوحيد؛ انتصر **الرياحي** لأستاذه وألف رسالة سماها **المبرد** لكن لما بلغت هذه الرسالة للشيخ كتب في الرد عليها نحو خمسة وأربعين كراسا [4].

ومن أتباع هذه الطريقة الأحمدية نجد **سيدي أحمد الباجي** والولي **سيدي أحمد بن الطيب التونسي** الأصل ثم **القسنطيني** المعروف **بابن الشرقي** (ت.1853/1854م) الذي ارتحل من **قسنطينة** إلى **تماسين** واجتمع مع الخليفة الأكبر سيدي **الحاج علي التماسيني** أسد الطريقة في بلاد الصحراء قبل سقوط المدينة على يد الفرنسيين، وقد حظي بمشاهدته وإجازته المباركة[5]. وتذهب الباحثة **لطيفة الأخضر** بالقول أن **الطريقة التيجانية** دخلت إلى **تونس** –من الجزائر أيضا – وذلك بصفة متأخرة إذ سبقتها كل الطرق، وسبب هذا هو التأخير النسبي الذي ظهرت فيه الطريقة بأكملها، وقد جاء دخول الطريقة التيجانية إلى تونس، عن طريق **إبراهيم الرياحي** الذي اعتنق بدوره هذه الطريقة سنة 1801م[6]، فكان بذلك **أول من تلقى الطريقة التيجانية بحاضرة تونس، وتعلق بها، ونشرها، وأقام أورادها ووظائفها، وكانت زاويته التي تحمل اسمه –قرب حوانيت عاشور– أول زاوية للطريقة بالبلاد التونسية**[7]، **وقد أصبح ضريح إبراهيم الرياحي أول زاوية تيجانية بتونس بعد موته سنة 1850م**[8]، وتعتبر زاوية الشيخ **إبراهيم الرياحي** ناشر الطريقة التجانية **الزاوية الرئيسية** بالحاضرة التونسية[9]، وللطريقة التجانية زوايا عديدة بالحاضرة منها زاوية "**زقوم**" و"**تروجة**" و"**رحاحية**"

---

[1]– عمر بن محمد الرياحي: **تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي**، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 12.

[2]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 358.

[3]– لطيف زرقي: **الطريقة التجانية في تونس التاريخ والآفاق**، ط1، دار الأهرام للطباعة والنشر، تونس، 2019، ص 26-27.

[4]- ابن مخلوف: **المرجع السابق**، مج1، ص 554-556.

[5]– محمود بن محمد التجاني القسنطيني: **سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة**، د.ت، د.س.ن، ص 18-20.

[6]– لطيفة الأخضر: **الإسلام الطرقي**، ط1، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص50-51.

[7]– محمد بن عثمان السنوسي: **المصدر السابق**، ج1، ص 264-265.

[8]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص51.

[9]-A.N. T: Série **D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 221.**

و"**قمارة**" و"باب **المنارة**"، و**بتوزر** زاوية المقدم **سيدي عبد الرحمان بن السوداني**، وفي **القيروان** زاوية المقدم **سيدي محمد العلاني**، و**بالسرس** شرق **القيروان** زاوية **علي بن بلقاسم**، و**بالسرس** بالشمال زاوية **الشيخ المنوبي**، وزوايا **بنزرت** و**جربة**[1]، وثلاثة زوايا **بسوسة**، وثلاث **بتوزر** ونفس العدد **بقابس** (03)[2]، وعدة زوايا بأماكن أخرى، وتوجد هناك بالعاصمة التونسية أيضا **زوايا مخصوصة بالنساء، ومقدماتها من النساء**، ولهن أعمال خاصة كيفيتها أنهن يجلسن قعودا ويضربن على قصاع بمطارق أو بكفوفهن، وينشدن أمداحا في حق الشيخ بالكلام البربري[3].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تقسيم انتشارها إلى مرحلتين، **الأولى تسبق الحماية الفرنسية** وتميزت بانتشارها في الشمال والشرق، وكانت لزاوية **تماسين** بالجزائر علاقات حسنة مع **حكام تونس**؛ فأغدقوا عليها الهدايا والعطايا، وقدموا لها تسهيلات لبناء الزوايا، وكانت لهذه المواقف أبعاد سياسية أكثر منها روحية، **أما المرحلة الثانية** على عهد **الحماية**؛ حيث وجدت الطريقة التيجانية تسهيلات جديدة في ظل الإدارة الاستعمارية مما جعلها تنتشر **في الجنوب والغرب وتحافظ على ممتلكاتها**، من ذلك **زاوية تماسين** التي كانت لها **ممتلكات عقارية هامة باعتبارها مسؤولة على الزوايا التيجانية بالقطر التونسي، ففي سنة 1901 قدرت مداخيلها من ممتلكاتها في الجريد التونسي وحده بـ 40 ألف فرنك**[4]، فقد كان للطريقة التيجانية **حضور وأتباع بالجريد التونسي**[5]، بل في كل مكان من البلاد التونسية؛ حيث انتشرت الزوايا التي كان على رأسها مقدمين، يعملون على بث تعاليم الطريقة في الأوساط العامة[6]. ويذهب **رين Rinn** بالقول أن **التيجانية** كانت عام **1830** قوة مرتبطة **بفاس** و**تلمسان** و**تونس** وأتباعها في جميع أنحاء الصحراء في **سوف، تماسين، الأغواط** إلى غاية **السودان**، حيث كان لزاوية **عين ماضي** السيادة على **الإقطاعية الدينية...إلى تماسين أين كان لها فرع مهم امتد نشاطه إلى تونس**[7]، والتيجانية لا تزال واسعة الانتشار في **الجنوب التونسي**، والجدير بالتسجيل أن التيجانية هي **الطريقة الوحيدة التي تعطي الورد للنساء وتجعل منهن "أخوات"**[8]، وقد لعبت **الزاوية التيجانية الشهيرة بتماسين** دورا عظيما في تمتين الصلات الثقافية والروحية بين **علماء تونس وأهل واحات تقرت**[9]، والملاحظ أن أنصار **الطريقة التيجانية كانوا بكثرة في الجنوب التونسي، وظلوا على ارتباطهم بالطريقة بعد دخول فرنسا إلى الجزائر بل ساهموا في خدمة الانتفاضات داخل تونس**؛ ومنها ثورة **علي بن غذاهم** ضد العثمانيين سنة **1864**م التي كانت لها ارتباطات ريفية بزاوية **تماسين**[10]، **ورغم انطلاق هذه الطريقة من الحاضرة التونسية؛ فإنها**

---

[1]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 358.

[2]- بن يوسف تلمساني: **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (1782-1900)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998/1997م، ص 107-109.

[3]- محمد بن عثمان الحشايشي: **العادات والتقاليد التونسية**، المرجع السابق، ص 219.

[4]- بن يوسف تلمساني: **المرجع السابق**، ص 108-109.

[5]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 33.

[6]- louis Rinn: **Marabouts et Khouan**, op.cit,p 420.

[7]-Louis Rinn: **le royaume D'Alger sus le dernier dey**, Op.cit, p 81.

[8]- إسماعيل العربي: **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 86.

[9]- إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 33.

[10]- أحمد مريوش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 104-105.

سرعان ما انتشرت في معظم أنحاء البلاد، وقد بلغ عدد أتباعها عام **1891** حوالي **40000 من الإخوان، و24 زاوية**[1]، وحسب إحصائيات أتباع الطرق الصوفية في تونس**1925**(على ضوء وثائق الأرشيف التونسي)؛ **بلغ أتباع التيجانية في القطر التونسي 16.094 مريدا، وينتسبون إلى 24 زاوية على غرار زاوية الكاف**[2].

02-الطريقة الرحمانية:

هي طريقة دينية صوفية، لها أصل شريف؛ تنسب إلى مؤسسها سيدي **محمد بن عبد الرحمان القشتولي الزواوي الأزهري** (1715-1794)؛ المكنى **ببوقبرين**[3]، نظرا للخلاف حول مكان دفنه؛ بين مقر أن جثمانه بالعاصمة وبين قائل أنه بمسقط رأسه بالقبائل "**قرية آيت اسماعيل**"[4]، ويذهب الأصل الأول للطريقة بعيدا إلى **بلاد فارس** وإلى القرن **الرابع عشر ميلادي(14م)**، حيث تعود الطريقة الرحمانية إلى الأصل وهي **الخلواتية**، والمنظم الأول لهذه الطريقة هو: **عمر الخلواتي** الذي تلقى بدوره التكوين الصوفي عن أستاذه **محمد الفارسي**، فتولدت عن **الخلواتية** منذ 1397-1398م طرق عديدة كانت **الرحمانية آخرها**[5]، والطريقة الخلوتية لم يكن لها ذكر بالأرض المغربية، وإنما أتى بها الشيخ الإمام خاتمة المربيين وواسطة عقد الأئمة العارفين **أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي** حين رحل من وطنه إلى **مصر** قاصدا تحصيل علم الشريعة والحقيقة فجاور الجامع الأزهر مستقرا **برواق المغاربة**، وتتلمذ في الطريق على الشيخ الأزهري **محمد بن سالم الحفناوي الخلوتي** بالقاهرة؛ فلقنه الأسماء السبعة وسلك على يديه[6]، وتولى نشر طريقته **ببلاد السودان، الهند، الحجاز، تركيا**[7]، ثم أمره بالرجوع إلى **مصر**؛ فرجع وألبسه الخرقة وأمره أن يرجع إلى وطنه فامتثل، وذهب إلى وطنه واستقر بجبل **جرجرة** في وطن يسمى **قشطولة** من أرض **زواوة، وأذن له في التربية وتعليم الخلق بما هم مطالبون به من أصول الدين**[8]، حيث عمد لبثها بمسقط رأسه وأسس الشيخ **زاويته بقرية آيت اسماعيل سنة 1183هـ/1769م، ومنها انطلقت الطريقة الرحمانية التي تسمى الطريقة الخلوتية**[9]، وعن دور الشيخ المؤسس في نشر تعاليم طريقته يقول صاحب **رسالة المنح الربانية:" فأخذ عنه جم غفير وسلك على يديه خلق كثير، ونشر في تلك الآفاق الأوراد وألقى محبته في قلوب العباد، واستشهد في الأقطار، وكثر أتباعه وعظم حزبه وحببه الله للمؤمنين ورغب فيه الذاكرين**"[10]، وبعد وفاته حوالي سنة 1793/94م؛ ترك لتلاميذه وخاصة لخليفته **عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني، وعلي بنعيسى المغربي** مهمة تركيز إشعاع الطريقة الرحمانية بالقطرين

---

[1]- لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 53.

[2]- عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق**، ص 150.

[3]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[4]- Emile Dermenghem: **le culte des Saint Dans L'islam Maghrébin**, Ed. Gallimard, Paris, France, 1982, P 17.

[5]- لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص46.

[6]- مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي: **رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية**، خزانة المخطوطات، المكتبة الموهوبية، الجزائر، (د.ت)، ص 9.

[7]-Octave Depont- Xavier Coppolani **: les confréries religieuses musulmanes, Alger, 1897**, p 383.

[8]- مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي: **المصدر السابق**، ص 10.

[9] - عبد المنعم القاسمي الحسني: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 339.

[10]- مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي: **المصدر السابق**، ص 10.

الجزائر وتونس[1]. تعد الطريقة الرحمانية من أهم الطرق الصوفية في المغرب العربي لكونها أكثر شعبية في كامل التراب الجزائري والتونسي، كما أن لها أتباع في ليبيا، لقيام رؤسائها بمهام إصلاحية تربوية تعليمية واجتماعية وثقافية وجهادية، وما ساعد في انتشارها التزامها بما جاء في الكتاب والسنة في أورادها؛ لذا أطلق عليها أتباعها اسم"**الطريقة العلمية" لسهولة أذكارها وأورادها**[2]، و**الرحمانية** وهي طريقة **صوفية سلفية** امتدت من شرق **الجزائر** إلى **تونس** في نهاية القرن الثامن عشر(18م)[3]، ويطلق عليها أحد الباحثين "**ريح الغرب**"؛ لأن هذه الطريقة دخلت إلى البلاد التونسية متسربة من الجزائر[4]، و**تعاليم الرحمانية مستمدة من الخلواتية**؛ والتي تتفرد بالخصائص الآتية: **تكريس الأخوة، الحرص على طلب المغفرة والتسامح مع الخلق، المساعدة والصدقة، الخوف من الله**[5].

انتشرت **الطريقة الرحمانية** بمدينة **الكاف** منذ **أواخر القرن الثامن عشر كمحطة أو حلقة أولى لانتشارها بالبلاد التونسية**، وكان ذلك بإيعاز من المؤسس **محمد بن عبد الرحمان** الذي بعث بأحد أتباعه الأساسيين **سي مصطفى الطرابلسي** الذي يعتبره أحد الباحثين **ناشر الطريقة الرحمانية بمدينة الكاف، وأول من فكر في تأسيس الزاوية بها**[6]، لكن المنية عاجلته سنة **1190هـ/1776م** ولم يصل إلى **تونس**[7]؛ ليعوضه **أحمد بن علي بوحجر– من أنحاء عين تموشنت–**الذي انتقل سنة **1777م** إلى **تونس** بحثا عن انتداب المريدين؛ وجلبهم إلى طريقته، حيث استقر **بالكاف** أين قام **بتأسيس زاوية بالمدينة؛ أضحت الزاوية الأم للطريقة الرحمانية في البلاد التونسية**[8] **في حدود سنة 1785/1784م، حيث تمكن من بث أصول الطريقة في الوسط التونسي**(9)، والتي جمعت هؤلاء الأتباع، **وأصبح لها صدى بعيدا في التاريخ الثقافي التونسي**[10]، وفي سنة **1821م** تأسست **زاوية ثانية للطريقة الرحمانية**–بمدينة **الكاف**، وهي زاوية تحمل اسم وريث **سيدي يوسف؛ سيدي محمد الصالح بن يوسف بوحجر**[11]، وقد بلغ إشعاع هاتين الزاويتين حدود مدينة **باجة**؛ حيث نجد بها **زاويتين** تابعتين **لرحمانية الكاف: زاوية سيدي أحمد البكاري، وزاوية سيدي مصطفى القسطلي**، وكذلك إلى حدود **بنزرت** و**ماطر، إلى جانب أنها كانت تشع وتمارس نفوذها على أغلب جهات الشمال الغربي؛ أين كانت تعد حوالي 3000 من الأتباع سنة 1896م**[12]، وقد عرفت **الزاوية**

---

[1]– عبد المنعم القاسمي الحسني: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 309–364–368.

[2]– محمد بن الطاهر قويدري: "**الشيخ العلامة محمد بن عزوز البرجي نور الصحراء ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي**"، الملتقى العاشر للجمعية الخلدونية" **الزوايا ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**"، بسكرة، 20–2011/12/22، ص 07.

[3]– أرنولد هـ. قرين: **المرجع السابق**، ص 80.

[4]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص46.

[5]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[6]– عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 783.

[7]- Andrien Delpech**: « Un diplôme de mok'eddem de la confrérie religieuse rahmania »,** in R.A, Nº 18**,** Alger, 1874, P 420-421.

[8]-A.N. T: Série **D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 271.**

[9]- Monchicourt(Ch): **La région du haut tell en Tunisie « le Kef, Téboursouk**, **Magtar, Thala**, Librairie Armand colin, paris, France, 1913, p 316.

[10]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 43.

[11]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[12]– محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 38.

الأم شهرة واسعة **وكانت من أوائل الزوايا الرحمانية بالقطر التونسي الشقيق،** وأدت دورا هاما في نشر الطريقة وفي الحياة السياسية والدينية في تلك الفترة[1]، **وامتد تأثيرها إلى الشرق الجزائري عامة، واتسع نفوذها في سوق أهراس ونواحيها**[2]، **وهذا يعكس لنا التأثيرات الخارجية خاصة الجزائرية على الحياة الدينية بالكاف خاصة وبالشمال الغربي والقطر التونسي بصفة عامة كإطار أشمل وأعمق؛ إذ كانت هذه المناطق خاصة مناطق الشمال الغربي– ساحة لاستقبال الطرق الصوفية "الدخيلة"** التي ما تفتأ أن تجد بها مناخا ملائما لتدعيم إشعاعها واحتكار مجالات جغرافية شاسعة، فتأثير الزاوية الرحمانية بالكاف يصل إلى حدود مقاطعة قسنطينة[3].

وتتمتع الزاوية الرحمانية بالكاف، نظرا لإشعاعها الهام–بقاعدة بشرية ومادية متينة؛ شأنها في ذلك شأن بقية الطرق الصوفية بالمدينة، والتي حاولت رص صفوفها وإنماء رصيدها البشري الكمي والنوعي (استقطاب النخب) والمجالي الذي من شأنه أن يوفر ويؤمن **"إطارا"** ماديا اقتصاديا هاما؛ إلى جانب ما توفره مصادر أخرى كالأحباس[4]، ويعزى هذا إلى العلاقات المتميزة والوطيدة **ليوسف بوحجر** وطلبته مع المخزن التونسي منذ عهد **حمودة باشا**[5]، إذ يشير **صاحب الإتحاف** إلى مشاركة الشيخ **أبو المحاسن يوسف بوحجر** في محلة **يوسف صاحب الطابع** التي انتصرت على محلة الجزائريين عام 1807م[6]، وتعتبر زاوية **سيدي يوسف بوحجر** من الزوايا المحترمة بمدينة **الكاف** التي لعبت دور الملاذ، حيث كانت تتمتع بحق اللجوء للنساء[(7)]، فهي فضاء مقدس يتمتع بحصانة خاصة تجعله في منأى عن الخضوع لأي سلطة؛ لأنه هو بدوره يمثل سلطة موازية يستمدها من الولي، وكانت **لسيدي يوسف** إلى جانب **الزاوية؛ مدرسة للطلبة تتكون من عشرة أقسام(حجرات) تضم نحو 400 طالب؛ تعمل على تقديم التعليم الديني؛ استمرت مع استمرار تأثير إشعاع الرحمانية إلى غاية الاحتلال الفرنسي**[8].

بقيت عائلة **بوحجر** تتوارث الإشراف على الزواية؛ بعد وفاة **أحمد بن علي بوحجر** (ت.1798–1247/1799هـ)، خلفه أخاه **يوسف بوحجر** والذي توفي بدوره سنة(1247هـ/1831– 1832م) ودفن **بالكاف** بالزاوية التي تحمل اسمه، ليقوم مقامه ابنه **محمد صالح بوحجر** الذي واصل نهج أبيه في إدارة الزاوية، وبعد وفاته حوالي سنة(1859/1276–1860م)؛ خلفه ابنه **علي بن عيسى؛ فاكتسبت الطريقة الرحمانية في عهده شهرة كبيرة، و عرفت في عهده الزاوية تطورا ملحوظا، حيث حظي بزيارة أغلب سكان الإيالة التونسية دون أن ننسى هبّات الحجيج الجزائريين القادمين للزيارة، وذاعت شهرته بعد أن أعلن مناهضته للدخول الفرنسي لتونس؛ وتبنيه حركة المقاومة مع وصول القوات الغازية إلى الكاف،** وأصبح من بعده أحفاده هم المشرفون على إدارة **زاوية سيدي علي**

---

[1]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 46.

[2]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p 426.

[3]– محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 36.

[4]– محمد علي الحناشي: **المرجع نفسه**، ص 39.

[5]– حمادي دالي: المرجع **السابق**، ص 342.

[6]- ابن أبي الضياف: إتحاف **أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، المصدر السابق، ص 45.

[7]- Monchicourt(Ch) : **La région du haut tell en Tunisie** …, Op.cit, p316.

[8]-A.N. T: Série **D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 197.**

بن عيسى بالكاف، وإدارة الطريقة بصفة عامة وهم يتمتعون بشأن وشأو هام لدى السكان، توفي هو الآخر في **أفريل 1901م** عن عمر يناهز **65 سنة**، وترك ابنين هما: **صالح** و**حمدة** اللذين واصلا الإشراف على الزاوية وتسيير شؤونها[1]؛ **ليتجسد بذلك الطابع الوراثي في عملية الإشراف على الزاوية، وفي ذلك تأصيل لزعامة روحية متوارثة،** ولكن ابتداء من عام 1843م بدأ **إشعاع وتأثير زوايا الكاف يخف نتاج حدث سياسي في الجزائر؛ كان له تداعيات على رحمانية الإيالة، ويتمثل في استيلاء الفرنسيين على مدينة بسكرة**[2].

عرفت رحمانية الكاف في إطار هاتين الزاويتين إشعاعا هاما وذلك إلى حدود سنة 1843م؛ أين بدأ نجمها يأفل و يتقلص مع تنامي إشعاع زاوية نفطة التي أنشأها **مصطفى بن عزوز**؛ الذي بث أصول الطريقة الرحمانية في العروش، وجدد للناس أمر دينهم، ولعل ما زاد في شهرتها وقدرتها على المنافسة؛ تلك الخاصية التي تتسم بها طريقته التي لا تشديد فيها إلا من أراد السلوك والخلوة[3]، لذلك تسارع ضعفها وبدأت تتهاوى بسرعة عقب وفاة **علي بن عيسى**، وما زاد في وهنها المنافسة الشديدة التي كانت تلاقيها من الزاوية القادرية هناك؛ والتي كانت تحظى برضاء وتشجيع السلطة الاستعمارية[4]، إلا أن حضور **الطريقة الرحمانية** لم يكن قاصرا على منطقة **الكاف**، بل امتد إلى منطقة **الجريد التونسي** حيث أسس **مصطفى بن عزوز زاوية نفطة** عام **1843م التي أضحت على رأس زوايا الطريقة**[5]، **والتي عم إشعاعها كامل الجنوب الغربي التونسي**.

أما الزاوية–**الأم الثالثة– للطريقة الرحمانية**، فهي **زاوية سليانة**–بقنطرة **سليانة**–التي أسسها سيدي **عبد الملك بن أحمد الحمادي**(ت.1256هـ/1840م) من **أولاد عون**[6]، والذي ظهر في **بداية القرن التاسع عشر، واشتهر أمره بين الناس، حيث تلقى تعليمه الأول بزاوية جده الشيخ حمادة بن محمد العوني**، ثم انتقل إلى **تونس العاصمة** حيث أخذ على الشيخ **صالح الكواش**، والشيخ **حسن الشريف** وغيرهما، انتدبه الباي **حمودة باشا** كاتبا لديه؛ لكنه سرعان ما تخلى عن هذه الوظيفة، وانجذب إلى طريق التصوف" فطلق الدنيا وخطب المرتبة العليا"[7]، وعاد إلى قريته **سليانة** واتخذ بها خلوة للتعبد والتأمل، ويبدو أن علاقته بالباي كانت متميزة حيث مكنه الباي **حمودة باشا مما** يقارب من **300 هكتار** من الأراضي السقوية **بالقنطرة**، أين أسس زاويته التي تبعد حوالي 12كلم عن مدينة **سليانة** حوالي **1807م؛ لاعتقاده في صلاحه وتقواه، ومشاركته في الحملة ضد الحدود الشرقية للجزائر رفقة الباي**[8]، **ويبدو أنه كان من أتباع الطريقة الرحمانية بزاوية الكاف**[9]، وخلفه ابنه **أحمد بن عبد الملك** على رأس الزاوية، والذي أخذ

---

[1] - Monchicourt(Ch) : **La région du haut tell en Tunisie** …, Op.cit, p316.

[2]-A.N. T: Série**D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 271.**

[3]– ابن أبي الضياف: إتحاف **أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج8، المصدر السابق، ص ص 142–143.

[4]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص46–47.

[5]- Cour (A): «**recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes**», in R.A, N 62, 1921, P 319.

[6]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 46.

[7]– ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج8، المصدر السابق، ص 44

[8]- لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 48.

[9]- عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 787.

الطريقة على يد الشيخ **مصطفى بن عزوز؛ الذي كلفه بنشرها في مناطق الشمال الغربي لتونس**، وذلك لما رأى فيه من خصال حميدة، وعلم وصلاح[1]، وما عرف عن هذا الأخير أنه أظهر تجاه التدخل الفرنسي بتونس شيئا من المضض الذي أغضب السلط الفرنسية فسجن بسبب ذلك بتونس، ثم وقع السماح له سنة 1888م بالعودة إلى **سليانة**؛ فاختار أن ينزوي بمنطقة **تبرسق** أين أسس **زاوية بهنشير الشط**[2].

لقد عملت زوايا سيدي عبد الملك على نشر العلم وحفظ القرآن الكريم، كما قامت بأدوار اجتماعية وسياسية مميزة، فقد كانت مقصد كثير من طلبة العلم، خاصة في عهد مؤسسها الشيخ عبد الملك وابنه الشيخ أحمد ثم حفيده الشيخ حسونة[3]، وتجاوز نفوذها قبائل **أولاد عون**، و**دريد** ليشمل قبائل أخرى: **خمير**، **عدون**، فكانت تسعى إلى الصلح ونشر الفضائل بين هذه القبائل[4]، وطبعا هذه الزوايا الثلاث؛ لها مجموعة أخرى من الزوايا التابعة لها، عددها **47 زاوية**، **كما تستحوذ الطريقة الرحمانية بتونس على 114.152 من الأتباع؛ وهذا ما يجعلها كميا في المرتبة الثانية بعد الطريقة القادرية** [5]، وحسب إحصائيات **أفريل 1896م** فقد بلغ أعداد مريدي **زاوية بنزرت** التي تأسست في حدود 1212هـ/1797م نحو **600 من الإخوان**، والذين كانت محجتهم السنوية إلى **الكاف** لزيارة ابن مؤسس الطريقة بتونس؛ في حين بلغ عدد أتباعها **بزاوية ماطر** التي تأسست في حدود عام 1201هـ/1786م؛ نحو **150 مريد**[6].

كان للطريقة الرحمانية زوايا أخرى بمختلف مناطق البلاد التونسية، ومن زواياها **بالحاضرة** نذكر: **زاوية سيدي البشير** التي أسسها الشيخ **محمد البشير الزواوي** المتوفى سنة 1242هـ/1826م، ومن فروع الرحمانية أيضا بتونس زاوية **عين الصابون** أسسها الشيخ **محمد الصالح العمراني بن سيدي يوسف**[7]، وفي سنة **1805م** أنشأ **سي الحاج عرفة** زاوية للطريقة في **مدنين**، وهي المعروفة باسم زاوية"**بوعراطة**" في **مجاز الباب**[8]، أما خارج الحاضرة فنذكر زاوية **القسطلي بباجة**، وزاوية الشيخ **مصطفى بن عزوز بنفطة**[9]، ومن فروع زاوية **نفطة** زاوية **ابن عبد الملك بسليانة** –المشار إليها– و**زاوية الحاج مبارك بتالة** و**زاوية ابن قضوم بالقصرين**[10]، وكان بمنطقة **تبرسق** زاويتان رحمانيتان، واحدة بالمدينة والأخرى في أعلى الجبال التي يمر بها الطريق من **تبرسق** إلى **سيدي زحلي**؛ دون أن ننسى زاوية **أحمد بكاري** المغربي الأصل التي تأسست في **مدينة باجة**، وأنشأت مؤسسة رحمانية في قرية **مدين(بمنطقة باجة)** من طرف **محمد بن مدين الغوث التلمساني الأصل؛ الذي جاء إلى تونس بصفة حاج، وهي الزاوية التي تحمل اسم القرية "زاوية مدين"**[11]،

---

[1]– العجيلي التليلي: **المرجع السابق**، ص 121.

[2]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، المرجع السابق، ص 47.

[3]– عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 788.

[4]– عبد المنعم القاسمي الحسني: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع نفسه، ص 788.

[5]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 47.

[6]-A.N. T: Série **D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 197.**

[7]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 333.

[8]-A.N. T: Série **D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 271.**

[9]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 333.

[10]– محمد البهلي النيال: **المرجع السابق، ص** 234.

[11]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

وانسلخ **فرع الرحمانية بنفطة** عن الجزائر، وأصبح طائفة مميزة يسميها الأهالي **رحمانية عزوزية**، وتفرعت عنها زاوية مدينة **تالة** التي بناها مع مسجد المصلح **سيدي الحاج مبارك بن محمد العلوي**[1]، ومن المحتمل أن تكون الزوايا الرحمانية الأولى بالبلاد التونسية؛ قد تأسست في الفترة الممتدة من 1801-1843م[2]؛ علما أن إشعاع زاوية الرحمانية **بالجريد** وصل أوجه زمن شيخها **مصطفى بن عزوز**[3]، حيث تعددت في عهده الزوايا التابعة له، وأهمها زاوية **سيدي أحمد الزاير** التي تأسست سنة **1847م** في **كدية الحلفاء**، وزاوية **الشيخ مبارك** (ت. 1865) التي تأسست **بتالة** سنة **1860**، وزاوية **سيدي عبد الملك بهنشير الشط** (**سليانة**)- **كما ذكرنا آنفا**- التي أسسها ابنه **حسونة**- شيخ الرحمانية بأولاد عون- وذلك في أفريل من سنة 1911م[4].

انتشرت الرحمانية في كل من الجزائر تونس، وعموما لدى القبائل البدوية في الشمال التونسي في جزء البلاد[5]، لذلك كانت تضم أتباعا من مختلف القبائل[6]؛ فقد انتشرت هذه الطريقة في فضاء **الفراشيش** وما جاورها إلى **ماجر**، واستقطبت نحو **نصف ساكنة** هذه المناطق من المسلمين[7]، وكان أتباع الطريقة الرحمانية الخلوتية كثيرون جدا بالبلاد التونسية؛ وتأثيرها عظيم[8]، **حيث برزت الطريقة الرحمانية كطريقة صوفية مؤثرة في الأفراد مستحوذة على عقول الكثير من الفقراء والأتباع في منطقة الجنوب الغربي التونسي**؛ فلقبت العديد من الزوايا باسمها، ومن أشهرها الزاوية الرحمانية **بنفطة** و**سيدي أحمد السهيلي بقفصة**[9]، وحسب ما تؤكده بعض المصادر فإن حضور الطريقة الرحمانية كان قويا في البلدين(**تونس، الجزائر**)؛ حيث كان بزاوية **الكاف** حوالي **900 مريد** و**32 مقدما** في **سوق أهراس** لوحدها؛ بجانب **18 مقدما كانوا يتلقون الدعم من خمسة (05) فروع تونسية**[10]، **ولعل الانتشار والنمو السريع للطرق الصوفية بالمناطق الغربية بالبلاد التونسية وخاصة بالكاف**؛ يرجع خاصة **لطابع البداوة** الذي يطغى على هذه المناطق الذي جعلها تتمتع ببعض الاستقلالية عن النفوذ المركزي، ودفعها ذلك إلى الانتظام في صلب مؤسسات تقليدية مختزلة في الزوايا تعبر من خلالها على لحمة بين أفرادها[11]، إضافة إلى **انتشار الجهل** الذي يسود سكان تلك المناطق، والذي يمثل حقلا خصبا لتقبل المبادئ الطرقية ظنا أنها من الدين إن لم نقل هي الدين بالنسبة لهم[12]، **وهيمنة الثقافات الشفوية**

---

[1]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 334.

[2]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[3]- ابن أبي الضياف: **المصدر السابق**، ج8، ص 142-143.

[4]- التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص 52.

[5] -A.N.T: Série**D: Carton: 97, Dossier: 3/7, document:12.**

[6]- نور الدين الدقي: **المرجع السابق**، ص 33.

[7]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/7, document : 15.**

[8]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 221.**

[9]- محمد بن عبد الوهاب أحمد: **القبيلة والزاوية في تونس دراسو سوسيوانثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة**، ط1، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، فيفري 2021م، ص 72.

[10]-Cour (A): **recherche sur l'état des confréries religieuses**…Op.cit, p 112.

[11]- محمد علي الحناشي: **المرجع نفسه**، ص 36.

[12]- التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص 70.

المؤمنة بكل ما هو ميتافيزيقي مجرد وغير ملموس–كرامات الأولياء وخوارقهم– وكل ذلك في إطار شبه غياب للإسلام الرسمي المكتوب[1]**، وهذا دون إغفال تأثير العامل الطبيعي؛** فهذه المناطق هي مناطق تتمتع بثروات فلاحية هامة جسدت قاعدة مادية متينة انبنت وارتكزت عليها هذه الطرق لاستقطاب أكبر عدد من الأتباع والمريدين، بالإضافة إلى صعوبة هذه المناطق على غرار مدينة **الكاف؛** خاصة على مستوى المناخ(مناخ بارد جدا خاصة في الشتاء)، والبنية التضاريسية (عامل الارتفاع) وذلك تبعا لانتمائها أو انخراطها في التل العالي، وهذا ما حتم على أهالي هذه المنطقة الاحتماء في حرم الولي كوسيلة للدفاع الذاتي، إضافة إلى مظاهر "التطرف" الطبيعي أو المعطيات الطبيعية القاسية التي من شأنها أن تجعل النفس البشرية ذات شفافية دينية قوامها طلب الاحتماء، واللجوء زمن الكوارث والأزمات إلى أماكن القداسة طمعا في تفريج الكرب واحتماء من المكاره[2]، حيث كان الهروب إلى الدين ضمانا لنوع من الاستقرار والطمأنينة النفسية لا سيما في أوساط العامة[3]، هذه العوامل ستزيد من إشعاع وإثراء الرصيد المجالي الصوفي للمنطقة؛ باكتساح مجالات أوسع وفضاءات جغرافية أرحب تصل إلى عمق البلاد التونسية وتمتد إلى الأراضي الجزائرية.

03–الطريقة العزوزية:

العزوزية الخلوتية فرع من فروع الطريقة الرحمانية، وتنسب إلى الولي الكبير الشيخ **محمد بن عزوز البرجي(1170–1233هـ/)المولود بالبرج قريبا من طولقة ولاية بسكرة** ، والذي حفظ القرآن الكريم في صغره ثم أكب على تحصيل العلم حتى صار من كبار العلماء[4] حيث تتلمذ على القطب **ابن عبد الرحمان الجرجري** وأخذ عن الشيخ سيدي **محمد بن عبد الرحمن باش تارزي الطريقة والإجازة**، فأسس **بالبرج** زاويته وخلوته والتي كانت مقاما لتأدية الصلوات؛ وتقديم دروس العلم والتصوف، حتى أصبحت تعرف **بالطريقة العزوزية** في الزاب والصحراء وأحمر خدو والأوراس وتونس وليبيا[5]، ألف عدة تصانيف منها: **شرح على التلخيص**، وأرجوزة بعنوان: **رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأمهاته**، وانتشرت الطريقة العزوزية في الجنوب الجزائري بفضل أتباعها الداعين إليها، والمعروفين بها وبشيخها؛ وفي مقدمتهم: **الطاهر العبيدي** صاحب الأرجوزة الشهيرة المعروفة في أوساط الأدباء والصالحين **بالنصيحة العزوزية**[6]، حيث وصلت الطريقة العزوزية إلى وادي **سوف؛** وانتشرت على يد مؤسسها **محمد بن عزوز البرجي** الذي زار **سوف** قبل وفاته، والذي كانت مراسلاته إلى مريديه في **سوف** متواصلة وأشهرهم **علي بالليل** من بلدة **الزقم**، وعرفت الطريقة الرسوخ والتوسع على يد الشيخ **سالم العايب** (ت. 1860م)، الذي ربط علاقته بزاوية **طولقة** الرحمانية العزوزية، ووضع نواة زاويته في بادئ الأمر التي تطورت إلى زاوية في حدود 1820، وازدانت عام 1830 بتشييد مسجد مجاور لها، وتعدى تأثير زاويتها سوف إلى بلاد النمامشة ووادي ريغ[7]، وكانت زاوية **برج بن عزوز** قرب **طولقة** قبلة للطلاب بعد

---

[1]– محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 36.

[2]– التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص 70.

[3]– آمال المحفوظي: **المرجع السابق**، ص 111.

[4]– صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر_تاريخها ونشاطها**، ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 158–159.

[5]– عباس كحول: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013، ص 73–74.

[6]– صلاح مؤيد العقبي: **المرجع السابق**، ص 158–159.

[7]– علي غنابزية: **المرجع السابق**، ص 206–208.

استقرار الشيخ **محمد بن عزوز**، وكان من أبرز مريدي هذه الزاوية **علي بن عمر وعبد الحفيظ الخنقي ومختار الجلالي وعلي بن الجروني والصادق بن الحاج والصادق بن رمضان ومبارك بن خويدم البوزيدي والمداني التواتي وبوستة الدراجي وأوريجح البوزيدي، الذين انتشروا عبر المنطقة للدعوة والجهاد في الزاب وأحمر خدو والأوراس والصحراء وتونس وليبيا وغيرها**[1].

انتشرت الطريقة الرحمانية بتونس في عهد الشيخ **محمد بن عبد الرحمن الأزهري** نفسه؛ إلا أنها عرفت شهرة أوسع وحضورا أقوى بعد انتقال الشيخ **مصطفى بن عزوز البرجي**(ت. 14 ماي 1866م)من **الزاب** إلى **الجريد**؛ استجابة لأمر شيخه الشيخ **علي بن عمر** بالذهاب إلى نواحي **تونس**[2]، وبين من يقول أن شقيق مؤسس الطريقة والمبشر الأكثر نفوذا وتأثيرا في الشرق الجزائري؛ اضطر إلى الفرار من الاحتلال (احتلال بسكرة عام 1843م)، واللجوء إلى **نفطة** أين أسس مع مقدمه مباشرة **مؤسسة "زاوية" رحمانية**[3] عام 1843؛ أصبحت ولوقت طويل رأس الطريقة العزوزية، وسرعان ما أصبح إشعاعها يغطي كامل الجنوب الغربي[4]، وأنشأ في زاويته مدرسة هامة لتعليم القرآن الكريم وحفظه، وتدريس كافة فنون العلم، وجهز بيوتا لسكنى المتفرغين لطلب العلم[5]، وقد أخذ الناس عنه **الطريقة الرحمانية** في جميع النواحي التونسية[6]، وساهم في تأسيس العديد من الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية، إذ يصفه **صاحب الإتحاف بالولي الذي دخل القطر التونسي، وبث الطريقة الرحمانية في العروش، وجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأنشأ بنفطة زاويته للصادر والوارد، وطريقته لا تشديد فيه إلا لمن أراد التوغل في السلوك والخلوة، يأمر الناس بالفريضة وذكر " لا إله إلا الله "**، وكان **المشير أبو العباس أحمد باي** يعظم شأنه ويجله واجتمع به غير مرة، وقد من الله به على القطر التونسي فأطفا نار فتنة تأججت سنة 1280هـ/1864م "**ثورة بن غذاهم**"[7].

لقد كان لوصول هذه الشخصية تأثير على إشعاع **الزاوية الأم**؛ سيدة **الكاف**، التي كانت حتى ذلك الحين تتولى **لوحدها إدارة جميع الزوايا الرحمانية التونسية**، فالزاوية التي أسسها **بن عزوز** في **نفطة** أضحت بحق منافسا حقيقيا لنفوذ مؤسسة الكاف، **والواقع أن أتباع بن عزوز كانوا معتادين أثناء ممارستهم للتعاليم الرحمانية الحقيقية؛ على الاعتراف بأنفسهم على أنهم أتباع الشيخ المذكور، ويطلقون على أنفسهم** اسم **عزوزية، وبالتالي فإن هذه التسمية–كما تقدم– ليست سوى فرع مباشر واسم منشق عن الطريقة الرحمانية**[8]، **فالعزوزية الخلوتية** التي تأسست مباشرة بالبلاد التونسية من طرف سيدي **مصطفى بن محمد بن عزوز** هي امتداد للرحمانية[9]. لقد أثرت شخصية الشيخ **مصطفى بن عزوز** في الناس وأصبح **الإخوان الرحمانية** يرسلون إليه أبناءهم ويأتون هم أنفسهم

---

[1]– عباس كحول: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، المرجع السابق، ص 73–74.

[2]– سليمان الصيد: **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص 19.

[3]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[4]- Cour (A) : **recherche sur l'état des confréries religieuses…** Op.cit, P 319-321.

[5]- عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 789.

[6]– سليمان الصيد: **المرجع السابق**، ص 19.

[7]– ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج8، المصدر السابق، ص 142–143.

[8]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[9]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 221.**

للاستفادة من نصائحه وعلومه[1]، وهكذا أصبح الشيخ سيد الرحمانية العظيم في الجنوب التونسي، والذي أعطى **عزوزية نفطة** الطائفة التماسك، والتلاميذ الذين الذين تفتقر إليهم، وأقر أن السلطة العليا ستنتقل بالتناوب والتعيين من فرع إلى آخر[2]، لذلك أصبحت **زاوية نفطة** في **ظرف** قصير جدا من أهم مراكز الطريقة الرحمانية؛ وذلك بفضل شخصية المؤسس، وأصبحت مستقلة تمام الاستقلال عن الرحمانية بالجزائر حتى أنها أصبحت تسمى أحيانا **بالعزوزية**، وأصبح لها بدورها مقاديم وزوايا بالقطر التونسي[3]، حيث أضحت **الزاوية الأم** لهذه الطريقة؛ خصوصا وأن **عدد أتباعها من الإخوان كثير بالبلاد التونسية**[4]، فقد تهاطلت الوفود على الزاوية من **الجنوب الجزائري ومن الشرق القسنطيني وبلاد القبائل وغيرها بل ومن أقطار تونس وليبيا**، تتزود من تعاليمها وتجدد روحيتها[5]، فأهل **بسكرة** و**تبسة** و**الوادي** و**تقرت** كانوا يقصدون **زاوية نفطة** للتعلم والسلوك معا[6]، ومن الذين تولوا التدريس بها: **الصالح الحمادي، أحمد السنوسي القفصي، ابراهيم التوزري، محمد المدني بنعزوز، التارزي بن عزوز..وغير هؤلاء**، ومن الذين تخرجوا من الزاوية: **الشيخ المكي بنعزوز، الشيخ أحمد أمين الشيخ عاشور الخنقي، عبد القادر الياجوري**...إلخ، وبالرغم من وجود الكثير من الزوايا في مدينة **نفطة** إلا أن **زاوية الشيخ مصطفى** استطاعت أن تستقطب الكثير من **سكان الجريد التونسي**، وانضم إليها العديد من المهاجرين ومن سكان المنطقة، ويعزى هذا إلى جملة من العوامل منها: شخصية **الشيخ مصطفى بن عزوز نفسه؛ فقد كانت تملك حضورا قويا، واعتمادها على ثلة من العلماء الأفاضل في التعليم والإرشاد، إلى جانب ربط علاقات وطيدة مع بقية الزوايا والطرق الصوفية، والعلاقات المتميزة مع السلطة الحاكمة في تونس العاصمة، ومشاركتها القوية في دعم المقاومة في الجزائر**، حيث أقامت زاوية **سيدي مصطفى** علاقات وطيدة مع بقية الزوايا الرحمانية منها: زاوية **سيدي سالم بوادي سوف**، زاوية **سيدي علي بن عمر بطولقة، زاوية الهامل ببوسعادة**، زاوية **خنقة سيدي ناجي**[7].

وبوفاة الشيخ **علي بن عثمان** شيخ زاوية **طولقة؛** تفرق أبناء الشيخ **مصطفى**، فمنهم من انتقل معه إلى تونس، ومنهم من استقر بالمناطق الحدودية مثل **خنشلة والجلفة وسوق أهراس**، في حين أصبح ابنه **الكبير الحفناوي** على رأس زاوية **نفطة** بعد وفاة والده الشيخ **مصطفى بن عزوز**، أما **محمد** فقد أسس **زاوية بالقيروان، والمبروك** أسس هو الآخر **زاوية بالأغواط، والمكي أصبح أستاذا بجامع الزيتونة**[8]، كما كان للزاوية **الرحمانية العزوزية الحافظية**- لصاحبها **الشيخ عبد الحفيظ الخنقي- بخنقة سيدي ناجي** فروعا خارج الجزائر **بالكاف وتوزر والقيروان وأتباع في مناطق مختلفة**[9]،

---

[1]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 33.

[2]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.**

[3]- العجيلي التليلي: **المرجع السابق**، ص 125.

[4]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/7, document : 77.**

[5]- سليمان عشراتي: **المرجع السابق**، ص 225.

[6]-أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، المرجع السابق، ص 153.

[7]- عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، المرجع السابق، ص 791-790.

[8]- Cour (A): **recherche sur l'état des confréries religieuses …** Op.cit, P 319-321.

[9]- عباس كحول: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، المرجع السابق، ص 81.

وعن انتشار **تعاليم وهيلمان الطريقة العزوزية**؛ يقول **الحفناوي**:" **قلما يوجد في القطر الجزائري والتونسي ...من ليس منتسبا لطريقته بواسطة أو وسائط، بل كادت أن تسمى الرحمانية بالعزوزية**"[1].

لقد تحولت زاوية نفطة بالجريد التونسي إلى محج للرحمانيين والمجاهدين والمهاجرين، وقام عليها من بعده **ابنه الأزهري**، أما الأحفاد فكانوا بالقصرين وتونس العاصمة، أما الشيخ **محمد بن محمد بن عزوز أخ مصطفى** فقد أسس زاوية **بالقيروان**، وأسس **محمود بن الحفيظ الخنقي زاوية تمغزة بالجنوب التونسي**، وزوايا أخرى عديدة رحمانية منها **زاوية الصابون** للشيخ **محمد الصالح العمراني وزاوية باجة للشيخ القسطلي، وزاوية سليانة لابن عبد المالك وزاوية تالة للحاج مبارك، وزاوية القصرين لابن قضوم وزاوية مجرطالة وزاوية سيدي الفضيل بالكاف، وزاوية سيدي إبراهيم الحفناوي وزاوية سيدي عبد المالك بغار دماو**[2]؛ حتى قارب **عدد الزوايا الرحمانية العزوزية المائة زاوية**، ووصل **عدد الأتباع** إلى **ثلاثمائة وخمسون ألف**، أما زاوية **نفطة** القاعدة الخلفية للمقاومة الوطنية فلها **ستة عشر ألف وخمس مائة وواحد وتسعون من الأتباع**[3]، **لذلك أضحت العزوزية الرحمانية بمثابة المشكاة التي تنير درب الأتباع؛ والنواة التي ينضوي تحت لوائها المريدون من كلا البلدين.**

04-الطريقة القادرية:

أول طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي، تنسب إلى سلطان الأولياء صاحب الأصل الشريف **محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني** (1079-1166م)؛ المولود في **جيل** أو **جلان** قرب بغداد بالقرب من مدينة **بغداد**، وهو **عبد القادر الجيلاني** أو **الجيلالي** في **المشرق العربي** و**المغرب**، و**غيلاني** في **تركيا**، و**القادرية** طريقة أصيلة أي أنها ليست فرع منشق أو تابع لطريقة أم-مثل **الرحمانية**-[4]، وهي **طريقة تسبيح وأوراد وأحزاب** لها رصيد هائل من التآليف التي ألفها الأتباع زيادة عما تركه الشيخ **عبد القادر** نفسه أو ما انتحل باسمه[5]، ورغم الخصوصية الطقوسية **لقادرية الكاف**؛ إلا أن شأنها شأن أغلب الزوايا القادرية بالبلاد لها ذكرها الخاص، إضافة إلى بعض الأدعية والابتهالات بعد الصلوات الخمس[6]، أما المبادئ التي تقوم عليها هذه الطريقة فهي عبارة عن مبادئ روحانية صرفة شأنها شأن كل الطرق الصوفية **من تسامح وتقوى؛ وغير من ذلك من الصفات المستقاة من القرآن وسنة الرسول(ص)، حيث استمرت في المحافظة على روابطها التشريعية مع الإسلام السني للإبقاء على مصداقيتها ومشروعيتها لدى عموم الأهالي والنخب الفكرية المثقفة، لتنشأ نوع من المصالحة بين الإسلام الرسمي والشعبي**[7].

---

[1]- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، المرجع السابق، ص 471.

[2]- عباس كحول: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، المرجع السابق، ص 89.

[3]- عباس كحول: **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 76.

[4]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p293.

[5]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 84.

[6]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/2, document : 269.**

[7]- محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 46.

تعتبر الطريقة القادرية من أهم الطرق الصوفية ومن أقدمها انتشارا بالبلاد التونسية–منذ القرن الثاني عشر ميلادي(12م)– ، عند مرور الشيخ **الغوث أبي مدين شعيب** بهذه الربوع في طريقه عائدا من المشرق نحو **بجاية**، وكان قد اجتمع بمكة بالشيخ **عبد القادر الجيلاني**؛ فأخذ عنه **الطريقة وألبسه الخرقة**[1]، وتعتبر الزاوية التي أسسها **ببغداد** الزاوية الأم لهذه الطريقة؛ باعتبارها أقدم زاوية أسسها **الجد الأول المؤسس للقادرية**، وإليها يرجع النظر على بقية الزوايا المنتشرة بكامل البلاد الإسلامية **بما فيها تلك التي تتواجد بالبلاد التونسية؛ حتى وإن جاء تأسيس زواياها متأخرا نسبيا**[2]، **إذ أن أقدم–أول– زاوية قادرية بالبلاد التونسية يرجع إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، والتي أسسها الشيخ أبي الحسن علي بن عمر المنزلي الشايب(ت.1248هـ/1832م) دفين مدينة الفحص بجهة زغوان (زاوية منزل بوزلفة بالوطن القبلي 1776م)**[3]، والتي أتمها الأمير **حمودة باشا الحسيني**(1782-1814)، وانتصب فيها **للمشيخة تلميذ أبي الحسن الأكبر محمد المعروف (بالإمام المنزلي) فكانت زاوية المنزل أول** زاوية قادرية بتونس، وامتد تأثيرها في كامل الشمال الشرقي بالبلاد التونسية إلى **طرابلس**، وتفرع عنها زاوية **بجربة**[4].

إن الطريقة القادرية –التي كان مركزها **بغداد**– ما لبثت أن انتشرت مشرقا ومغربا لتكون **لها نواة** أخرى بالبلاد التونسية لها وزنها وتأثيرها خاصة في زوايا مدينة **الكاف**، التي تعتبر ثاني أهم مركز للطريقة القادرية بعد **منزل بوزلفة**، ثم تليها في المرتبة الثالثة الزاوية القادرية **بنفطة**، ويشمل إشعاعها خاصة الجنوب التونسي[5]، كما كان للقادرية زاوية **بتوزر**[6]، وزاوية أخرى قادرية في **باجة**؛ ستكون تخليدا لذكرى مبشر وداعية ولي بغداد **سيدي ميلاد**، وسيعين لها وكيل اسمه **محمد**، إلى جانب **زوايا قادرية أخرى مستقلة** عن المراكز الثلاثة (بوزلفة، الكاف، نفطة) توجد كلها بالحاضرة؛ يرأس كل منها مقدم[7]، وأخرى **بقابس** ولعلها التي أسسها الشيخ **الحاج أحمد بن الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي**، وأما الزاوية القادرية **بنهج الديوان بتونس** فقد أسسها شيخ الطريقة القادرية الحاج **محمد المازوني** دفين الزاوية القادرية **بالكاف**؛ سنة **1266هـ/1849م، وأوقف على رعايتها على رعايتها ورعاية شعائرها عدة أوقاف**[8].

انتشرت الطريقة القادرية بالكاف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد كان انتشارها متأخرا نسبيا مقارنة بتاريخ انتشارها بمدينة **منزل بوزلفة** (أواخر القرن الثامن عشر:1776م)، ويعزى انتشار الطريقة القادرية **بالكاف** إلى **سيدي محمد بن عمار الميزوني** (ت.عام 1876م) أصيل مدينة **مازونة** بمنطقة **وهران**[9]، وهي اليوم تابعة لولاية

---

[1]– محمد البهلي النيال: **المرجع السابق**، ص 223.

[2]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 43.

[3]– المنصف شربطي: "**الأبعاد التنظيرية والاجتماعية للطريقة القادرية بالبلاد التونسية من أواخر القرن الثامن عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 104، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2021، ص394.

[4]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهابيوزقرو: **المرجع السابق**، ص 84-85.

[5]-Monchicour(Ch): **La région du haut tell en Tunisie** … Op.cit, p315.

[6]– التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص 42.

[7]- Octave Depont- Xavier Coppolani: **Op.cit**, P310.

[8]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهابيوزقرو: **المرجع السابق**، ص 87.

[9]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص 43.

غليزان، **حيث يعود تأسيس الزاوية الأولى للقادرية بالكاف إليه**، فبعد أن أصبح من أتباع الطريقة القادرية **بباجة** ومن طلاب مقدمها **سيدي ميلاد**، أرسله هذا الأخير **لبث الطريقة القادرية في الوسط والجنوب التونسي**، لكنه ما لبث أن عاد إلى الشمال وأقام لفترة بالقرب من **الكاف**؛ أين تعرف على الأهالي وكسب تقديرهم واحترامهم، وخاصة من طرف **سيدي عمر بوراعي**؛ ليعود مرة ثانية إلى الجنوب–مطماطة– وبعد إلحاح من مريديه رجع إلى **الكاف** ليؤسس أول زاوية قادرية بها[1]، وكان هذا التأسيس في حدود سنة **1834م**[2]، حيث لعبت زاوية **الكاف التي تعتبر أهم زوايا الطريقة القادرية بتونس دورا متعدد الجوانب**[3]، وقد واصلت زاوية **الكاف** تطورها تحت قيادة مؤسسها الحاج **محمد بن عمار الميزوني(ت.عام 1876م)**؛ بدعم ومساعدة ابنه بالتبني وتلميذه المفضل **سيدي قدور** منذ **عام 1865م**[4].

وقد كان ينسب له–العديد من الكرامات، حيث أنه كان يستطيع كشف الأفكار الخفية للمتحدثين معه[5]، كما كان مشهورا بتقواه وزهده؛ **حيث أنه رفض المساهمة في الاكتتاب الذي نظمه الباي لصالح الإمبراطورية العثمانية بسبب الحرب الروسية التركية مخيرا مساعدة الفقراء بشراء القمح لفائدتهم**[6]، لتتجلى لنا البنية الذهنية النمطية السائدة التي عكست لنا صفات التقوى والصفاء والطهر والتفوق، وهو ما أكسب الزاوية مزيدا من الإشعاع و التجذر في نفوس روادها ومريديها، **حيث لعب هذا الفرع القادري دورا مهما في نشر مختلف العلوم سواء بين سكان مدينة الكاف التونسيين أو الوافدين إليها من الجزائر لمختلف الأغراض سواء العلمية أو الاجتماعية أو غيرها، وبذلك تحولت هذه الزاوية إلى محطة وقبلة للجزائريين المارين إلى تونس**[7].

كان تأثير وإشعاع الزاوية القادرية بالكاف هام جدا؛ فهي تشع على كامل الشمال الغربي التونسي، ويصل إشعاعها إلى شرق الجزائر ليشمل مقاطعة قسنطينة؛ وجانب كبير من مدينة الجزائر[8]**؛ دون أن يتسرب إلى أعماق البلاد الجزائرية، ليقتصر إشعاعها فقط على المناطق الشرقية المتاخمة لمدينة الكاف نتيجة لخصوبة البيئة الصوفية في هذه المناطق، لكن ذلك لا ينفي أن إشعاعها بدأ يتقلص منذ منتصف القرن التاسع عشر لصالح تنامي إشعاع زوايا الكاف القادرية والرحمانية.**

تعتبر الزاوية القادرية بالكاف من أهم وأغنى الزوايا بالبلاد التونسية، إذ نجد بها أكثر من **500 طالب ...وتأوي أكثر من 1000 زائر في السنة**[9]**، وكان بها جيش كبير من الطلبة يتلون القرآن ويتعلمون العلوم الدينية والتصوف، ويتوقف بها سنويا آلاف الحجاج**؛ سواء للاستراحة والتزود أو لزيارة المقام، **ومن هذه الزاوية يجيز الشيخ قدور الميزوني من استأهل ليكون مقدما لزاوية فرعية أو بعض فقراء الطائفة القادرية، فيكلفه بشؤون الإخوان في**

---

[1]– محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 43.

[2]- Monchicourt(Ch) : **La région du haut tell en Tunisie** … Op.cit, P 317.

[3] – خير الدين شترة: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي'الجزائر وتونس أنموذجا**، المرجع السابق، ص 405.

[4]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/2, document : 269.**

[5]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص43.

[6]-Monchicourt(Ch) : **La région du haut tell en Tunisie**…Op.cit, P 317.

[7]- الطيب يوسفي: **المرجع السابق**، ص 238.

[8]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, P 305.

[9]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Ibid**, P 305.

كل الحالات[1]، والزاوية القادرية **بالكاف** –شأنها شأن زوايا الحاضرة– **لها حظوة في نفوس البايات**، وقد صدرت لها عدة أوامر علية في احترامها وتقديرها ورعايتها، وقد انتسب عدد من النخب العالمة وأفراد السلطة الحاكمة للطريقة القادرية، إذ اتخذ الأمير **حسين بن علي** (1705– 1740) **القادرية طريقة له إلا أن سند الطريقة كان مفقودا**، ولم تنشأ لها زاوية إلا في عهد الأمير **حمودة باشا(1782–1814م)**[2].

إن الزاوية القادرية في الكاف كانت وراثية في أعقاب الشيخ **محمد الميزوني**[3]، إذ بعد وفاة هذا الأخير خلفه ابنه– بالتبني– **قدور الميزوني**، وذلك وفق أمر علي من **محمد الصادق** باي مؤرخ في **27 رجب1297هـ/1862م** في ولايته على الزاوية القادرية **بالكاف** وزاوية **الديوان بالحاضرة، وهو ما يجعلنا نقر أن زاوية الديوان القادرية بالحاضرة هي تابعة للزاوية القادرية الأم بالكاف؛ شأنها في ذلك شأن العديد من الزوايا الأخرى العائدة لها بالنظر**، وقد ضاهى إشعاع **قادرية الكاف** في عهد **سيدي قدور** زمن والده وتجاوزه، **فقد كان تأثير هذه الشخصية كبيرا جدا ليس فقط في الشمال التونسي؛ ولكن أيضا على القبائل في شرق الجزائر وذلك لأكثر من أربعين سنة**[4]، وكان هذا الأخير قد نال شهرة كبيرة من الجميع إلى جانب والده، وكان على اتصال مع سلطات البايلك، وعندما تم تعيينه خلفا لوالده؛ أظهر له الباي **محمد الصادق** كريم فضله وأغدق عليه بحسناته؛ وقام بإرسال شهادة أعدت له خصيصا، وفي عهد **سيدي قدور** كانت **زاوية الكاف**؛ تضم نحو **ثمانية (08) غرف** "أقسام" مدرسية مخصصة لتعليم عدد معين من الطلاب[5]، وقد أدى **سيدي قدور بن بلقاسم** دوره كزعيم للقادرية بمنطقة **الكاف** بكرامة وشرف منذ 1879 إلى غاية وفاته، ويقال أنه اكتسب أهمية كبيرة بفضل حماية السيد **روي** Roy، ولم يكن لأي ممثل محلي في السلطة حظوة باستقبال زيارة من هذا الزعيم الديني العظيم، وعندما توفي عام 1916م خلفه ابنه الصغير **سي أحمد قدور**[6]، ومع **الجيل الثالث** عدّت الزاوية تحت إمارة **أحمد قدور** الوريث على رأس الفرع بدءا من 1916؛ نحو **المائة من الخدام** و30000 **من المنخرطين؛ توزعوا على الجزء الشرقي من البلاد، وعلى المشارف المباشرة للجزائر المجاورة، وانتشر نفوذه في الشمال من القالة إلى بنزرت، وامتد نحو الجنوب إلى سوف**[7]، **ويشع هيلمانها على كامل الشمال الغربي من التراب التونسي، حيث تمارس نفوذها على أولاد ماجر والفراشيش وأولاد بوغانم وأولاد مومن والزغالمة، وصولا إلى سوق الأربعاء وطبرقة وبنزرت في الشمال**[8]، ولم تحظ المؤسسة بأي وقف قائم الذات، بيد أنه بدا **أولاد قدور** بضياعهم **الخمس** في هيئة أكابر المالكين في الجهة[9].

---

[1]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 87.

[2]– المنصف شربطي: **المرجع السابق**، ص 393.

[3]– المنصف شربطي: **نفسه**، ص 404.

[4]– لطيفة الأخضر: **المرجع السابق**، ص43.

[5]-- A.N. T: **Série D: Carton: 97, Dossier: 3/2, document: 269.**

[6]-- A.N. T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/2, document : 269**.

[7]– توفيق بشروش: **الولي الصالح والأمير في البلاد التونسية**، ج1، المرجع السابق، ص 268–269.

[8]-. Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p305.

[9]– توفيق بشروش: **الولي الصالح والأمير في البلاد التونسية**، ج1، المرجع السابق، ص 269.

تأسست الزاوية القادرية **بنفطة** من طرف العالم الفاضل سيدي **إبراهيم بن أحمد الشريف**[1] (1792-1868م) المعروف **ببرهوم الوالي**؛ و**إبراهيم الغوث** ويعرف **بإبراهيم النفطي**، والذي لجأ إلى **نفطة**؛ التي تزوج بها من إحدى شريفات سلالة **سيدي بوزيد** الذين لجأوا بدورهم إلى **الجريد التونسي**، وبالضبط إلى مدينة **نفطة**، اتصف بالعلم والزهد والصلاح، أخذ القادرية عن شيخه **أبي بكر بن أحمد الشريف**، وعن شيخه **محمد الإمام المنزلي**، ثم أذن له شيخه **أبو بكر الشريف** بتأسيس زاوية، فأسس "**الزاوية القادرية**" في **نفطة** سنة 1234هـ/1819م، التي قدمت خدمات جليلة لأبناء المغرب الإسلامي، حيث ساعدت المحتاجين وأمدت الفقراء والمساكين، وكان يزاول العلم بها أكثر من 500 طالب داخلي يعرفون باسم "**الجوالية**"[2]، وبوفاته عام **1878م** خلفه ابنه **محمد بن إبراهيم** في إدارة شؤون زاوية **نفطة؛ التي أصبحت أهم مؤسسة دينية في الجريد والجنوب التونسي، ووصل تأثيرها إلى سوف والنمامشة بتبسة وامتد إلى أواسط البلاد التونسية**، استقطبت عام 1896 نحو **45 تلميذ، وأكثر من 60 طالب؛ جاءوا بصفة رئيسية من الجزائر**، إلا أن زاوية **نفطة** سرعان ما بدأت في التراجع ابتداء من عام **1868م**؛ بسبب تصرفات أعضائها المكلفين بإدارة الحبوس، ما جعلها موضعا للشكوك[3]، وقد ترك الشيخ **إبراهيم بن أحمد الشريف** أولادا تقاسموا بركة والدهم؛ الأكبر **محمد** تولى الزاوية الأم **بنفطة**، وأسس **الهاشمي** زاوية **البياضة** في وادي **سوف**، وأصبح نائبا لأخيه، أما أخوهما **محمد الطيب** فقد نشر الطريقة في ناحية **ورقلة** وأسس زاوية **الرويسات**، أما الأخ الرابع **الحسين** أسس زاوية **قمار بوادي سوف**، بينما أسس الأخ الخامس زاوية في **تبسة**، والسادس **محمد الإمام** أسس زاوية في **صحن الشعانبة بوادي سوف أيضا**[4].

ولم تلبث الطريقة القادرية أن انتشرت في معظم التراب التونسي، حيث أصبح لها النصيب الكبير من الأتباع بـ**117.681** و بـ**109 زاوية من مجموع الزوايا**، ويعود هذا النفوذ والتوغل إلى سبب بسيط؛ **كونها من أقدم الطرق الصوفية في تونس حتى وإن كان تأسيس زواياها متأخر نسبيا**[5]، وقد أثرت **زوايا تونس** على زوايا **نفطة** و**الكاف** القادرية في المنطقة الجنوبية الشرقية للبلاد؛ **بل امتد تأثيرها إلى كامل القطر الجزائري خاصة بجنوبه؛ فوصلت إلى كامل شمال إفريقيا وجنوب الصحراء**[6]، **وامتد تأثير قادرية الجريد إلى أقصى الجنوب التونسي**

---

[1]- تنحدر أسرة **أحمد الشريف** من **البوازيد** (أبو زيد)، وهي قبائل عربية قحة منتشرة بالعامري ما بين طولقة وفوغالة وبسكرة، وقد هاجر الجد الأول إبراهيم إلى الجنوب الغربي التونسي، واستقر بنفطة لينشط ضمن الزاوية القادرية، وقد أنجب هناك ابنه الهاشمي سنة 1853م من زوجته السوفية من عرش أولاد أحمد، لهذا رجع الهاشمي إلى أرض الوطن عند أخواله سنة 1892م، حيث أسس زاوية قادرية بالبياضة على غرار أجداده، ليواصل نشاطه الديني والفكري هناك ويجند الأتباع وينشر الطريقة إلى أقصى الجنوب، ويربط علاقات ودية مع السودان وغات.إبراهيم مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر**، 1830-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007،ص 100.

[2]- عبد المنعم القاسمي الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2006، ص 43-44.

[3]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/2, document : 269.**

[4]- إبراهيم مياسي: **المرجع السابق**، ص 100.

[5]- التليلي العجيلي: **المرجع السابق**، ص40.

[6]- جيجيك زروق: **المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، ص 195.

والجزائر وصولا إلى غدامس وعين صالح، وتوات وتيدكلت، حيث أقر الطوارق طوعا بالتفوق والسيادة الروحية لزعاماتها، لذلك تبناها وانخرط فيها الكثير منهم[1]**، وهكذا نرى أن الطريقة انتشرت في كامل التراب التونسي، وفاضت على خارجه من جهة الصحراء وحتى بالتراب الجزائري**[2]، وعليه يتبين أن زاويا القادرية بتونس عموما وزوايا الجريد على وجه الخصوص؛ كانت قبلة ومركز جذب لأتباع القادرية من الجزائريين على التخوم الشرقية الشمالية للبلاد الذين ظلوا يتوافدون عليها ، حيث أسهمت بحق في ربط الصلات الروحية بين الجزائريين والتونسيين.

05-الطريقة الحشانية:

وهي طريقة خاصة بأهل **تقرت من الجزائريين القاطنين في تونس**[3]، وتنسب طريقة **أولاد الحشان** إلى **الولي سيدي الحشاني** الذي يتواجد ضريحه بقرية **منزل عبد الرحمان بالشمال الشرقي من شاطئ بحيرة بنزرت**، وأتباع هذه الطريقة من الدخلاء؛ وهم في خدمة الأغنياء أو خدمة الوقد بالحمامات "**الفرانقية**"[4]، وتعد هذه الحرفة عندهم صناعة معتبرة، حتى أن **المرأة الورقلية إذا أرقصت صغيرها تغنت له بهذا الصوت:**

تكبر ممي وتولي قرقوس(قرقوش)**********تكبر يا معمي وتحميس المحموس (المحموش)

تكبريا مشكي ياشيد(سيد)********** وتحمر الشاوي (الجاوي) في مناخر الأكباش.

إن هذه الطريقة ليس لها وظيفة ولا أذكار خاصة؛ ولهم مديح مضطرب؛ ويستخدمون الدف والزكرة والطبلة وليس لهم زوايا خاصة، **وهكذا لا يظهر أن لهم شيخا مؤسسا وإنما ألقوا بأحمالهم على أحد الأولياء حتى يكون لهم احترام كبقية الطرق الأخرى**، ويمارسون **وظائفهم بصفة مختلطة نساء ورجالا**، ويسمون شيخهم" **المقدم**" وشيختهم "**المقدمة" وهما عندهم باعتبار واحد، وعملهم مختلط بين النساء والرجال يمدحون معا ويتراقصون معا ولا يبيحون لأجنبي عنهم الحضور معهم إلا إذا انتسب إليهم؛ أو كان عملهم خاليا من النساء**، ولهم خرجات تمشي فيها النسوة ملتحفات وراء حلقة المديح، ولهم آراء في مسألة **الجان** والصالحين، فهم يعتقدون أن الجان الذي في رؤوسهم من **الجنس الأسود** فيسمونهم **السمران**، ومن معتقداتهم أن كل حمام يسكنه **أولاد الحشان والسمران من الجن**، وأن كل **حشانية** يرأسها واحد منهم، كما أن كل **حشاني** يرأسه واحد منهن، وربما لبست المرأة الراقصة لباس رجل بدعوى أن الساكن برأسها هو الذي فعل ذلك رغما عنها، ولهم عدة خرافات أخرى، وهناك من أهل الذكر من يعتبرونها لا شيء أو كما يقولون: (هدرة فارغة)؛ والظاهر أنهم يقصدون الموسيقى[5].

06-الطريقة العمارية:

تنسب هذه الطريقة التي التصقت بالقادرية **لسيدي عمار بوسنة** صاحب الكرامات وخوارق العادات المولود حوالي سنة 1123هـ/1712م **بزمالة بن مراد**- بلدية واد الزناتي- في عائلة مشهورة بالصلاح؛ منتسبة إلى أحد مقدمي

---

[1]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, P307.

[2]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 88.

[3]-إسماعيل العربي: **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المرجع السابق، ص 86.

[4]- **الفرانقية**: نسبة إلى الفرناق، وهم من يوقدون النار فيه وهو المحل المعد للوقد خلف كل حمام لتسخين الماء.

[5]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 511-512.

الطريقة القادرية[1]، ويذكر الأستاذ **سعد الله أن هذه الطريقة ليست طريقة صوفية عادية لها مؤسسها المشهور بالشرف والبركة والعلم؛ ولكنها ارتبطت بشخصية مغامرة نصف درويش ونصف سياسي**، وأنه لا يستبعد أن يكون الفرنسيون هم الذين كونوا أو لفقوا هذه الطريقة المنسوبة إلى **الشيخ عمار بوسنة** في وقت كانوا فيه يريدون السيطرة على الزوايا والطرق الصوفية، بل كانوا يريدون احتلال **قسنطينة** ثم **احتلال تونس**، فإنهم بهم يجدون كل العون من هذا الدرويش المغلف بأقنعة كثيرة[2]، وكان **سيدي عمار بوسنة في بداية حياته من المنخرطين في الطريقة القادرية**، حيث أنه « **قد تنبأ أحد أتباع القادرية بمجيئه إلى هذا العالم، وأنه سيصبح من أكبر المتحمسين لنشر أصول الطريقة القادرية**[3] »، وأنه ما لبث أن انتسبت إليه طريقة مستقلة عرفت باسمه؛ وهي الطريقة العمارية.

إن الطريقة شأنها شأن بعض الطرق الصوفية الأخرى ليس لديها زوايا وأتباع ومريدين إلا في مناطق معينة ومحدودة من البلاد التونسية، وذلك ناتج خاصة لضعف قدرتها على الاستقطاب، ويظهر أن ممارسات طريقة **سيدي عمار** لم تنطلق إلا حوالي **1815م**، وقد ساهم في بثها ونشرها تعاليمها ومرجعياتها الأدبية والفكرية والدينية وطقوسها **سيدي الحاج مبارك المغربي البخاري المكناسي**، والذي أعلن نفسه الخديم الورع **لسيدي عمار**، وأكسبه هذا التعلق بالولي مكانة في نظر الأصحاب؛ الذين ما إن علموا سنة 1820م أنه يهيئ نفسه لمواصلة ما بدأه سيده؛ حتى أقبلوا عليه جماعات إلى **بوحمام** مصحوبين بالأحباء المتحمسين من القطر الجزائر والتونسي، وأعلنوه خديم **"سيدي عمار بوسنة"، لكن طموحه دفعه لاختيار أكثر مستمعيه حماسا له وطاف بهم كامل القطر الجزائري والقطر التونسي، ونصب في كل المناطق التي ارتادها فقيرا من الموالين له وخلع عليه لقب" خليفة" ومهمته انتداب المريدين، وأضحت هذه المراكز التي وقع اختيارها بكل عناية أماكن للدعاية**، وفي سنة 1830 قام **سيدي الحاج مبارك** بحجته الأولى، وعند رجوعه أعاد من جديد تطوافه بأذكار **سيدي عمار** والتي أضاف إليها في سبيل الدعاية له بعض الآيات التي نقلها عن أذكار الطريقة العيساوية التي أصبح مقدما لها، وفي سنة 1836م قدم بعض خدمات للبعثة الفرنسية الأولى لمقاطعة قسنطينة، وأجازته على ذلك حتى تكسب حياده بأن قام **اللواء يوسف** ببناء زاوية وقبة له على بعد بعض الكيلومترات من **قالمة على سفح جبل ماونة**، وعرفت هذه الزاوية **بعين الدفلة** وأصبحت فيما بعد محل إقامته العادي، ومن سنة 1840 إلى 1870 ظهر **الحاج مبارك** إلى جانب حماسه الديني كسياسي ماهر؛ وحج ثماني مرات، وارتحل إلى المغرب مسقط رأسه ودرس ذكر الحنصالية بالزاوية الأم **بدادس** وتحصل على إجازة المقدم من أكبر شيوخ الزاوية **مولاي إدريس**، وقد جعلت هذه الشهرة أتباعه المتعصبين له يرفعونه عند رجوعه على الأعناق من **قالمة** إلى **بوحمام** في غضون شهر ماي 1876م[4]، ومنه نجد أن **سيدي عمار بوسنة** كان بمثابة الأب الروحي للطريقة، أما الحاج مبارك فهو ناشر تعاليمها وواضع أسسها. وهذه الطريقة الصوفية تعتبر من أحدث الطرق الصوفية حيث أن **ديبون Depont** و**كوبولاني" Coppolani"** يعتبران أن التأسيس الفعلي **للطريقة العمارية** كطريقة صوفية كان سنة

---

[1]-Octave Depont- Xavier Coppolani: **Op.cit**, p356.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، المرجع السابق، ص 60.

[3] - Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p356.

[4]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p 357-358

1882م، وقد أصبح لها **ذكر** وضعه لها **الشيخ سيدي المازوني رئيس فرع القادرية بالكاف**، والذي رأى في جماعة **سيدي عمار بوسنة نواة لفرقة فرعية من القادرية التي هو من أهم مقدميها، واتبع سيدي الحاج المبارك نصائح سيدي الميزوني، وبما أنه كان أميا بالكامل كان مجبرا على إملاء الذكر على بعض خدامه الورعين الذي أصبح صهرا لابنه ورئيسا لطلبة الطائفة، وحفظ هذا الذكر للأتباع الذين يمتلكون الصفات الأساسية لبلوغ درجة المقدم**[1].

انتشرت الطريقة العمارية بالبلاد التونسية، حيث كان لها زاوية بتونس الحاضرة[2]، وكانت الكاف مركزا مشعا لها، وإن كان هذا الإشعاع محدودا مقارنة ببقية الطرق الصوفية بهذه المنطقة (الكاف)، وذلك بالرغم من أنها كانت- الزاوية العمارية بالكاف التي يرجع تأسيسها إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر- في حل واستقلالية عن الزوايا العمارية بالجزائر والتي توجد تحديدا **بعين الدفلة** و**بعين مقرا**، وبالرغم من أن الطريقة العمارية وزاويتها بالكاف لم يكن لها شهرة كبيرة إلا أن الجد المؤسس أو أب الطريقة العمارية **سيدي عمار بوسنة** لم يشد عن العادة فنسجت حول اسمه الأساطير؛ ورسمت حوله هالة من القداسة، وأسندت له الخوارق فوق البشرية التي تقرب من الأذهان معجزات الأنبياء؛ ليتماهى في المخيال الشعبي مشايخ الطرق الصوفية والأولياء الصالحين بالأنبياء، فقد كانت الحيوانات تحترمه وتهابه خاصة الأسود التي كان يستعملها للركوب[3]، وأمام هذه الخوارق والكرامات التي ظهرت على يده كما يقول **كوبولاني**؛ تجمعت حوله فرقة لا يستهان بها من الفقراء عند وفاته بـ"**بوحمام**" قبيلة **بني قايد بجهة نشماية، وأقاموا عليه قبة** أصبحت فيما بعد الزاوية للجماعة[4].

ويتجلى حضور الطريقة العمارية بالبلاد التونسية مع تأسيس زاوية سيدي رمضان بالكاف التي بقيت تابعة للطريقة التي تأسست لأكثر من قرن، وتقع الزاوية العمارية **بالكاف بمنطقة الزعفران القبلي بعراقيب الكاف**[5]، وقد تولى الإشراف على الزاوية ومشيختها **سيدي رمضان الكلاعي**[6]، ثم خلفه على المشيخة **سيدي عمار بوسنة** (من أحفاد الشيخ المؤسس) و**سيدي عمار البودالي** الابن الأصغر الذي أصبح مقدما للزاوية، وردها العادي يتمثل في ترديد عبارة" **لا إله إلا الله**" 600 مرة في اليوم، **أتباعها ومريدوها ليسوا بالكثيرين جدا إذ أن عددهم لا يتجاوز 200 من الإخوان؛ وهم تقريبا جميعهم رحمانيين**[7]، **كما نجد لها زاوية هي فرع للزاوية الأم بالكاف؛ وأكثر من 1200 فقير من الأتباع الذين يجتازون تونس في كل الأوقات**[8]، وتنقسم الطائفة إلى ثلاث فروع على رأس كل واحد منها شيوخ مستقلون: **مقام سيدي عمار بوسنة** الكائن **ببوحمام** قبيلة بني قايد (**نشماية**) بإدارة **سيدي الحاج مبارك** "**عين دفلة**" **بقالمة**؛ بالنسبة إلى قسنطينة والجزائر، وزاوية **أدوق** بالقبائل المقامة لذكرى الشيخ **أحمد بن بلقاسم**، وزاوية

---

[1] - Octave Depont- Xavier Coppolani : **Ibid**, p358.

[2]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 314.

[3]- محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 50.

[4]- Octave Depont- Xavier Coppolani : **Op.cit**, p 356.

[5]- A.N.T : **Série D : Carton : 157, Dossier : 16, document : 126.**

[6]- محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 51.

[7]-A.N. T: Série**D: Carton: 97, Dossier: 3/1, document: 34.**

[8]-Octave Depont- Xavier Coppolani: **Op.cit**, P219.

الكاف (**تونس**) التي كان يديرها **رمضان الكلاعي**، وزاوية أخرى **بالدندان** بالضاحية **الغربية للعاصمة التونسية**[1].لكن المفارقة أن **أتباع الطريقة العمارية- وخاصة من أهالي الكاف-** هم **تقريبا كلهم أتباع للطريقة الرحمانية**، وهذا يبرز لنا التفاعل بين الطرق الصوفية والتداخل على مستوى الانتماء لأتباعها، وهو ما يكشف لنا التكامل فيما بينها وغلبة روح التسامح الطرقي، لكن ذلك لا يجب أن ينفي كذلك بعض مظاهر التنافس لاستقطاب المريدين؛ ومد أو توسيع مجال انتشار الطرق؛ على غرار التنافس الحاصل بين الطريقتين الرحمانية والقادرية بالكاف[2]، **ويبدو أن إشعاع زوايا الطريقة الرحمانية وبالأخص زاوية نفطة هي التي جعلت من أغلب الأتباع رحمانيين**؛ رغم أن الطريقة كانت في امتداداتها **قادرية المنهل** حسب ما يراه **الشيخ المازوني** واضع **وردها**، ومن جهة أخرى يؤدي هذا التنافس إلى إضعاف هذه الطرق في حد ذاتها لحساب جهات أخرى، وهذا التنافس لايجب أن يؤول على أنه تنافس عدائي بل هو تنافس سلمي؛ تسعى من خلاله النخب الطرقية إلى تكوين أو تجميع قاعدة بشرية عريضة منخرطة في صلب وكنه الأطر الفكرية العقدية التي تؤمن بها، وذلك لغايات مادية اقتصادية وكذلك إيديولوجية بالأساس[3].

07-الطريقة الحنصالية:

فرع من **الشاذلية**؛ تنسب إلى مؤسسها **سعيد بن يوسف الحنصالي(ت.1114هـ/1702م)**؛ من أهل القرن **السابع عشر(17م)**؛ من **حنصالة** فرقة من **بني مطير جنوب فاس بالمغرب**، وقد حملها إلى **الجزائر سعدون الفرجيوي** الذي كان قد تتلمذ على الشيخ **يوسف الحنصالي**، وقد أصبح **سعدون** مقدما لشيخه ثم خلفه في ذلك **سيدي معمر** الذي يوجد قبره في **التلاغمة**، ثم خلفه **أحمد الزواوي** الذي أكسب الطريقة الحنصالية شهرة لأنه من عائلة مرابطية من جهة أولا ثم لموقفه من **صالح باي** ثانيا؛ إذ كان لا يخشى أرباب السلطة[4]، ومن رجالات هذه الطريقة الشيخ **أحمد المبارك العطار**(1790-18880)؛ الذي احترف في شبابه التجارة بين **قسنطينة** و**تونس** ما ساعده على حضور دروس **الجامع الأعظم-الزيتونة- بالحاضرة**، وهو من علماء قسنطينة ومؤرخيها المشهورين صاحب كتاب« **تاريخ قسنطينة** »، **والذي كان من أفذاذ الطريقة الحنصالية** وخليفة شيخها **أحمد الزواوي** دفين الزاوية التي تحمل اسمه **بجبل شطابة** (**الروفاك حاليا**)[5]، والذي ترك منظومة في الطريقة الحنصالية سماها «**نصيحة الإخوان**» في أصول التربية وآداب السلوك، **وقد انتشرت في نواحي قسنطينة وبها تمركزت**[6]، **وورد الطريقة الحنصالية** مجموعة من الأدعية التي يرددونها عقب كل صلاة من الصلوات الخمس، لكن بعض الأفعال التي يقوم بها الأتباع تنافي الشرع وروح التصوف السني؛ خاصة مع قراءة **القصيدة الدمياطية** في جماعة برخصة من مقدمهم أين يهيجون ويفقدون توازنهم[7]، وهم أقرب في ذلك إلى العيساوية.

---

[1]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 317.

[2]-Monchicourt(Ch) : **La région du haut tell en Tunisie**…Op.cit, p 318.

[3]- محمد علي الحناشي: **المرجع السابق**، ص 52.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج4، ص 86

[5]- الحاج أحمد المبارك: **منظومة نصيحة الإخوان**، الزاوية القادرية، بسكرة، الجزائر، 1995، ص 06.

[6]- صلاح مؤيد الدين العقبي: **المرجع السابق**، ص156-157.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج4، ص 87.

إن هذه الطريقة التي لا تزال إلى اليوم موجودة في **مقاطعة قسنطينة**، وكان خليفتها قد حافظ على ارتباطها واستمرار علاقاتها مع الزاوية الأم الموجودة بـ: **دادس بالمغرب الأقصى، ومع الكاف في تونس حيث توجد مجموعة من الحنصالية**، ويقدر **لويس رين Louis Rinn** في احصاء عام 1884م عدد زوايا الطريقة الحنصالية بالجزائر: **05 زوايا** و**50 مقدم** و**3598 اخوانيا**[1]؛ في حين يذكر **ادوارد دونوفو** في كتابه **الإخوان** أن عدد مريديها لا يتجاوز **الألفين(2000)**[2].

ثالثا–الحراك الطرقي العكسي أو الوافد:

تجلى المد الطرقي التونسي أو الحراك الصوفي العكسي في طرق صوفية وافدة على الجزائر؛ عكست مقدار الصلات الروحية بين أبناء الشعبين، ويمكن حصرها في:

01–الطريقة الشابية:

تنتسب الطريقة الشابية إلى مؤسسها الصوفي العارف **أحمد بن مخلوف الشابي** (ت. آخر أيام رمضان 887هـ/11 نوفمبر 1482م) أصيل بلدة **الشابة** بالساحل التونسي[3] بين صفاقس وسوسة، ترتبط بالطريقة **الناصرية**؛ باعتبار مؤسسها " **أحمد بن مخلوف**" أحد أتباع سيدي **محمد بن ناصر الدرعي**؛ الذي أوفده إلى **تونس** لبث أصول ومبادئ طريقته، وبعد تجوال وسياحة استقر **بالشابة**، ومن هنا أعطى اسم **الشابي** لأعضاء العائلة ثم أصبح اسما للطائفة[4]، في حين يعتبرها أحد الباحثين؛ طريقة عائلة الأولياء تمارس **الطقوس الناصرية بدون أن يكون لها ارتباط بها، وهي في الأصل شاذلية، وتطورت إلى الناصرية إلا أن القواعد التي يعلمها السادة لأتباعهم تتميز بالرقم سبعين (70) الذي يدخل في ممارساتهم التعبدية**[5]، وتقوم الطريقة **الشابية** على أربعة أصول هي: **الكتاب** و**السنة** و**التوحيد** و**الأخلاق**، **فكتاب الله** هو أصل كل خير، **وسنته صلى الله عليه وسلم** هي الطريق إلى الجنة، وهي سفينة الدين وملة الإسلام، و**التوحيد** أصل الإيمان وكأس الحب وشراب اليقين، والأخلاق هي مبنى طريق القوم[6]، و**منهج الطريقة الشابية** قائم على العمل والتغيير وعدم إسقاط التدبير والانصراف القلبي عن الدنيا، فإن الانشغال القلبي بها يصد المتصوف عن العروج إلى أفق من المعرفة والمحبة الخالصة، حيث لم تجعل الشابية الزهد أساسا لها ولا التقشف غاية أمرها، فلم يدع **ابن مخلوف** أتباعه إلى الانقطاع عن الدنيا والتخلص منها بل إنه دعاهم إلى الاقبال عليها في اعتدال تتحقق به الرغائب، وتظل به القلوب عامرة بالإيمان والشوق إلى خالقها[7].

---

[1]- Louis Rinn**: Marabouts et Khouan**…**Op.cit**, p398.

[2]– ادوارد دونوفو: **المرجع السابق**، ص 75.

[3]– أحمد بن مخلوف الشابي: **مجموع فضائل في سر منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق، مخطوط** بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم: 18039، ص 1.

[4] - Octave Depont- Xavier Coppolani **: Op.cit,** PP481, 282.

[5]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **الطرق الصوفية وروادها بالبلاد التونسية**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2023، ص 252.

[6]–محمد المسعود الشابي: **الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير**، تق وتح عثمان البرهومي، ط1، جمعية الشابي للتنمية الثقافية والاجتماعية، تونس، 2020، ص 230.

[7]– علي الشابي:**"أمير القيروان محمد بن أبي الطيب الشابي 949هـ/1542–956هـ/1557"**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 135، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 2009، ص 69.

انتشرت الشابية في الشرق الجزائري في فترات مبكرة على عهد مؤسس الطريقة الولي أحمد بن مخلوف الشابي، إذ يعتبر الفقيه المتصوف **أحمد بن محمد التباسي التوزري (ت.930هـ/1523م)** الملقب **بالغوث**- الذي خدم الشيخ **أحمد بن مخلوف الشابي** بالقيروان وصحبه وأخذ عنه الطريق- من الأوائل الذين قاموا بالدعاية لطريقته؛ ونشرها في تونس وشرق الجزائر[1]، إلى جانب **أحمد المقنعي الحناشي** (الجزائري)، **وهما دعاة الشابية** في حياة صاحبها أحمد بن مخلوف في إفريقية الحفصية[2]، وتعتبر **الحنانشة** الطليعة المناصرة للطريقة الشابية؛ بعد أن أخذ **المقنعي الحناشي** عن شيخها **أحمد بن مخلوف بالقيروان**، حيث أمده الشيخ وقدمه وجعله داعيا للناس إلى الدخول في طريقته؛ إذ يقول صاحب الفتح المنير:"...**وأتاه الفقير أحمد بن نصر المقنعي وأخذ عنه، وأمده الشيخ وقدمه وصار يدعو الناس ويهديهم على الشيخ، حتى أخذ عنه جملة من الفقراء، فصاروا يحملون الشيخ إلى أهلهم تبركا...وتزايد أمره وأظهر الله طريقته. وأول ما ظهر بالطريقة في تل الحنانشة**"[3]، وشيئا فشيئا اتسعت قاعدة مريديه وأتباعه في البوادي والمدن الحفصية[4]، وانتشرت **الشابية** بعدها بين **بني بربار بالأوراس**، وانتقلت إلى **ششار** أين كان لها أتباع يقومون بزيارات دورية لشيخ الطريقة، كما كان لها حضور **ببونة**، فقد تحدث **صاحب الفتح المنير** عن أحد مقدمي الشابية المسمى **منصور الحولي** في بحيرة **بلد العناب**[5]، وذكر الشيخ **عبد الكريم الفكون** في القرن 11هـ/17م؛ **علي العابد الشابي** الذي كان له نشاط **ببلد العناب**، حيث تمكن من كسب العامة إلى صفه، **وجعل له مزارة ببونة**[6]، **لقد كان للشابية** نفوذ **ديني واسع امتد إلى كل من القالة وسوق أهراس وتبسة والأوراس، والمناطق الحدودية** [7]، حيث نال فضلاء الشابية درجات رفيعة لرسوخهم في العلم والإيمان، واستوطن الكثير منهم **عنابة وضواحيها**: فيما بين **الطارف وقالمة، وسوق أهراس، وسكيكدة وتبسة، وخنشلة**، وقد سعى جل هؤلاء في نشر الإسلام ومكافحة الظلم والباطل وإحقاق الحق وإرجاعه لأهله [8]، وبذلك استطاعت الحركة الشابية مد نفوذها إلى غاية **الأوراس** بعد أن كسبت ولاء قبيلة كبيرة تبنتها هي **الحنانشة**[9]، وقد **انتشرت الشابية في نواحي الجريد ووادي سوف وتبسة والخنقة**، بحيث كان لها زوايا ومقدمون بل وثورات ومداخلات سياسية في هذه المناطق[10].

تركت الشابية التي انتشرت في فترة مبكرة؛ تأثيرا سياسيا وثقافيا في المنطقة التي تضم الوسط والشمال الغربي للبلاد التونسية ومنطقة قسنطينة وبلاد سوف بالجزائر، حيث استقطبت قبائل مختلفة تتصدرها قبيلة **الحنانشة**؛ التي أصبحت

---

[1]- عبد الوهاب بن منصور: **أعلام المغرب العربي**، ج5، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1990، ص 137.

[2]- محمد الأمين بلغيث:"**الطريقة الشابية في تونس والجزائر محاولة لرسم مسار الحركة خلال القرنين 16 و17م**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 114، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، تونس، جانفي 2004، ص 41.

[3]- الشيخ محمد المسعود الشابي: **المصدر السابق**، ص 180-181.

[4]- محمد الأمين بلغيث: **الطريقة الشابية في تونس والجزائر محاولة لرسم مسار الحركة** ...، المرجع السابق، ص 41.

[5]- الشيخ محمد المسعود الشابي: **المصدر السابق**، ص 217-219.

[6]- عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 168-169.

[7]- Laila Babes : **Op.cit**, P 204.

[8]- أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، المصدر السابق، ص 157.

[9]-Jacques Berque : **Op.cit**, p 135.

[10]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1930-1954**، ج4، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 275-276.

قوة ضاربة مطلع القرن 10هـ/16م أفاد منها **سيدي عرفة** لتدعيم الطريقة، إلى جانب قبائل جندها لدعوته: **أولاد سعيد** و**دريد** و**الهمامة**، و**طرود** و**أولاد مهلهل**، و**النمامشة** و**الحراكتة** و**النبائل**؛ في فضاء جغرافي يمتد من وسط تونس إلى جنوبها ومن شمالها الغربي إلى الأوراس بالجزائر[1]، وواصل الشابية بعد سقوط دولتهم بالقيروان سنة 965هـ/1557م الثورة في تونس والجزائر 123 سنة؛ أنهكوا فيها العثمانيين ومؤيديهم في رقعة كانت تمتد من **سوف** إلى **ساحل القالة بالجزائر**، ومن جبال **ورغة** بالشمال الغربي التونسي إلى وسط البلاد وجنوبها الغربي[2]. وقد أشار **ماسكوراي** إلى هيمنة شابية عبد الصمد؛ الذين كانوا أسيادا على المنطقة الممتدة من مرتفعات **النمامشة** إلى جبل **ششار**(خنشلة)، حيث بقيت إحدى فصائلهم المرابطية التي لا تزال تسمى **بالشابية** حول **زاوية بني بربار**[3]، ومن الشابيين من نزل **بعنابة وسوق أهراس وخنشلة**[4]، وقد انعكس هذا التقارب بين الطريقة الشابية والقبائل الداعمة لها على التفكير السياسي للطريقة التي صبغت بطابع قبلي، يميل إلى البداوة أكثر منه إلى البعد المديني الحضري[5]، ولربما هذا ما دفع الباحث **شارل فيرو** لأن يطلق على هذا التحالف الصوفي البدوي–القبلي– تسمية " **جمهورية الشابية الرعوية**" التي هددت الجهود التركية الرامية إلى التحكم في شؤون البلاد [6]، فهي تضم نقاط استقرار قليلة، وعدد كبير من الأقوام المتحركة المترددة في شعاع عريض تمتد فيه مساحات ترحالها المتجمعة من نواحي طرابلس إلى نواحي قسنطينة، ولذلك اعتبر **مونشيكور** الشابية **دولة عرقية أكثر منها ترابية، فهي مزيج رخو من قبائل متحركة** أكثر منها كتلة من المقاطعات[7]؛ حيث لعبت دورا هاما في مقاطعة قسنطينة؛ وجعلت نفسها رأس التكتلات القبلية الثائرة التي تحمل اسم؛ **الحنانشة، النمامشة، الحراكتة، السقنية** أو ببساطة من **الخرارب**، وامتدت كنفدرالية الشابية من **إفريقية إلى نواحي قسنطينة والزيبان؛ حتى ساحل القالة**[8].

استطاعت تحقيق نجاحات كبيرة نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م؛ حيث أثبتت نفسها ببراعة على الساحة السياسية، واستطاعت استيعاب القبائل الحدودية بين الجزائر تونس في مقدمتها قبيلة الحنانشة[9]، ويبدو أن أول اتصال للشابية بالجزائر كان في خضم الحروب بينها وبين السلطة السياسية الحاكمة في تونس[10]؛ حيث كان الشابيون يبحثون لهم عن قواعد خلفية، ففي حروب الشابي مع صاحب تونس نزل في إحدى المرات في منطقة **عين شبرو**—بين تبسة وقسنطينة[11]، وهذا ما دفعها إلى عقد تحالفات مع القبائل القاطنة بالشرق الجزائري، ولعل أشهرها **طرود** التي حاربت إلى

---

[1]– علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ط1، نقوش عربية، تونس، 2015، ص 13.

[2]– علي الشابي: **العلاقات بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر**، المرجع السابق، ص 69.

[3]- Masqueray (E): **« Djebel Chechar »**, In R.A, Vol 22, Paris, France, 1878, P 134.

[4]– محمد النيال: **المرجع السابق**، ص 195.

[5]– متان شريف أوغلو: **"التيار الصوفي في البلاد التونسية وموقفه من السلطة السياسية خلال القرنين 15 و16م"**، مجلة شرقيات، المجلد 14، العدد 03، إستانبول، تركيا، ديسمبر، 2022، ص 1024.

[6]- Féraud (ch): **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P 145.

[7]– شارل مونشيكور: **القيروان والشابية (1450–1592)**، تر محمد العربي السنوسي، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2015، ص 95.

[8]- Féraud (Ch) **: Kitab El Adouani ou les Sahara de Constantine ...**Op.cit, PP 9,10.

[9]- Kamel Filali : **L'Algérie mystique…Op.cit**, P 90.

[10]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص227.

[11]– العدواني، **المصدر السابق، ص**173.

جانب الشيخ **عرفة بن مخلوف الشابي** لقاء منح مرتبات لرؤسائهم، لكن التحالف لم يدم طويلا، فقد انهار في أعقاب المعركة التي دارت بين **الشابي** و**صاحب تونس**–السلطان **الحسن بن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود**– سنة 942هـ/1536م، ذلك أن **طرود** لم ترض بقسمة هذه الحرب من الغنائم[1].

لقد كانت **الطريقة الشابية كسبا للحياة الدينية والوطنية الإفريقية معا**، وقد تجلى هذا المعنى أكثر مع الشيخ **سيدي عرفة الشابي**(ت.1453-1542م) "**ملك القيروان أواخر الدولة الحفصية**" الذي أعطاها من عمق إيمانه وتوهج وطنيته، ما جعل منه القطب الجاذب للقبائل الإفريقية[2]، والذي أعلن استقلاله في **القيروان** وفي الوسط والجنوب الغربي وفي الشمال الغربي، ومنطقة **قسنطينة** إلى **جبال الأوراس** و**بلاد سوف**[3]، حيث امتدت سلطة مشايخ الطريقة الشابية إلى القبائل الحدودية: **الحنانشة، النمامشة، الحراكتة، دريد**، لكن دولتهم التونسية كانت متغيرة[4]، وواصل أحفاد الولي **سيدي عرفة** نشر طريقتهم بصفتها موروثا تركه الأجداد، واستقر بعضهم **بالقيروان** حيث أسس الشيخ **مخلوف** بحياته **زاوية**، وجاء من بعده فبنوا لها **فروعا بتوزر والبرارشة وتبسة**[5]، وكان الأكثر حماسا لخلافة الشيخ **أحمد بن مخلوف** ابنه **بدر الدين** الذي يوجد ضريحه بـ"**قيرية**" من أحواز **تبسة**، وترك عدة ورثة عرفوا **بأولياء بدر الدين** وبلغ أحدهم وهو **بومعيزة محمد الطاهر ابن الحاج الراعي** منصب **القيادة على جهة ترابية من قسنطينة**[6].

إن إضفاء البعد السياسوي على الحركة على حساب الصبغة الدينية؛ أدى إلى بروز تيارين، **تيار ديني** يمثله **مسعود الشابي**، و**تيار سياسي** يمثله **عبد الصمد الشابي** (1551-1616م) الذي دخل في صراع مع بعض قبائل الشرق الجزائري في إطار سلطته عليها ومحاولة إخضاعها، وقد تزعم هذا الرجل قبائل **اللمامشة، الهمامة أولاد زيد**، وبعد نجاحه بالسيطرة على منطقة **الأوراس**؛ قام بفلاحة سهول **باغاي** لحسابه، ثم خلفه ابن عمه **حميدة** وقد قام سكان الأوراس بثورة عليه فما كان منه إلا الفرار إلى تونس[7]، كما فتحت الشابية جبهة أخرى عندما دخلت في صراعات مع السلطات المحلية بالشرق؛ مثلما حدث مع مؤسس **الخنقة** الشيخ **المبارك بن ناجي الأصغر** الذي وقعت على عهده مطاردات بينه وبين شابية **عبد الصمد** خلال القرن 11هـ/17م[8]، **ويبدو أن الصراع مع مشايخ الخنقة يدخل في دائرة التنافس على الزعامة الروحية في المنطقة، بالإضافة إلى علاقات مشايخها المتميزة مع بايات تونس خصوم الشابية**، وهذا على الرغم من ارتباط **أبناء الخنقة ومشايخ الشابية بالطريقة الناصرية التي جاء بها المؤسس سيدي المبارك**، وقد أشار **الناصري** في رحلته أثناء مروره **بخنقة سدي ناجي**؛ ونزوله زاوية **سيدي عبد الحفيظ** مريد الشيخ

---

[1]- إبراهيمالعوامر: **المرجع السابق**، ص 228-229.

[2]– علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، المرجع السابق، ص 150.

[3]– علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، المرجع السابق، ص 203.

[4] - Pierre Boyer : « **Contributiona L'étude de la politique Religieuse Des Turcs dans La régence d'Alger 16eme-19eme siècles** », R.O.M.M, Nº 01, 1966, P 26.

[5]- Octave Depont- Xavier Coppolani**: Op.cit**, P 482.

[6]– حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 252.

[7]– العدواني: **المصدر السابق**، ص 336.

[8]–كريمة بن حسين: **المرجع السابق**، ص 99.

ناصر ومحبه؛ ترديد أهل الزاوية وقراءتهم **لحزب سيف النصر للشيخ محمد بن ناصر الدرعي**[1]، والظاهر أن **طرود** التي حاربت إلى جانب الشابية في البداية سرعان ما قلبت ظهر المجن للطريقة؛ عندما شرعت في الحد من نشاطها السياسي، فقد قام حاكم تونس **يوسف داي** وخليفته من بعده **حمودة باشا المرادي** باستمالة **قبائل طرود** و**دريد** إليهما؛ وبذلك ضربت الشابية في مقتل، فتشتت أمرهم بخيانة خلفائهم على عهد **حمودة باشا** و**عبد الصمد الشابي**[2].

أما داعية الشابية **المسعود الشابي** حفيد عرفة الشابي، و**ثامن شيخ للطريقة الشابية؛** فقد قام **بدور ديني دعوي كبير** في **الأوراس** و**ششار** تحديدا التي كانت منطلقا لهذه الدعوة، وبمنطقة **صحراء سوف**[3]، إذ يبدو أن منطقة الشرق الجزائري كان من أولويات **الشابية،** ولعل أبرز نشاط قام به **المسعود الشابي** رفقة ابنه **علي**– كان قدومه إلى **سوف** حوالي 1015هـ/1607م- هو تلقين بعض الأحكام المتعلقة بالدين الإسلامي أي الدعوة ونشر النهج القويم لقبائل قاطنة بالمنطقة، حيث أن بعض القبائل كانت تجهلها وقد تجول **المسعود الشابي** بالمنطقة ومر بقرى كثيرة؛ حيث نزل **باللجة** (**الزقم حاليا**)، ثم انتقل إلى العديد من المناطق **تكسبت، قرية غنام، تاغزوت**...ثم بقي يتردد بين **الدبيلة** و**غمرة**، و**الدميثة؛** حتى أصلح الله به حال المنطقة[4]، وخلال تنقلاته الدعوية رافقته **نوبة** حسبما ذكره **العدواني** في تاريخه؛ الذي تحدث عن شخصية تدعى **عياط اللجي العدواني**، وقال بأن الرجل سمي **عياط** لأنه "**يعيط على نوبة سيدي المسعود الشابي**"[5]، كما أنه كان يأمر ابنه **علي** كذلك بالقيام بدعوة بعض القبائل للتمسك بتعاليم الإسلام [6].

ويبدو أن هذه الحركة الدعوية لإعادة الناس إلى النهج القويم **بسوف** قد مرت بمرحلتين حسب ما يفهم من كلام **العدواني**، الأولى تزعمها **المسعود الشابي؛** الذي طاف بقراها داعيا (**اللجة، تكسبت، غنام، تاغزوت، كوينين، حاسي خليفة، وأفركان**)، والمرحلة الثانية كانت مع ابنه **علي الشابي** الذي أوتي حظا عظيما في الولاية كما يذكر والده الذي بشره في رؤية أن سوف ستسلم على يديه، فتنقل بين قراها التي أذعنت وأنابت واستجابت لنداءه، وكللت مهمته في الدعوة إلى معرفة الله وتوحيده بالنجاح؛ إذ يقول **العدواني** في معرض حديثه عن نجاح **علي الشابي**:" **أولها اللجة فاستقبلوه...ومنها إلى تكسبت...فأسلموا كلهم...وأتى إلى كانون واده فأسلموا كلهم**"[7]، ومنه نجد أن الفضل في إرساء **دعائم الطريقة الشابية وترسيخ مبادئها** يعود بالدرجة الأولى إلى جهود الشيخ **محمد المسعود وابنه علي**، والتي تجلت آثارها في **شكل مؤسسات دينية كالزوايا** العديدة التي أسستها **في تونس والجزائر**[8]، **والمساجد** وهي موجودة بالخصوص في **سوف**[9]، ومن أشهر زواياها بالجزائر **زاوية جبل ششار** المعروفة باسم: **زاوية سيدي المسعود الشابي** بجبل

---

[1]– محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة **الناصرية الكبرى**، ج1، المصدر السابق، ص 241.

[2]–إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 236، 237.

[3]- Laila Babes : **Op.cit**, P 204.

[4]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص ص 242، 244.

[5]– محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص ص 144-145.

[6]– إبراهيم العوامر، **المرجع السابق**، ص 129، 130.

[7]– محمد العدواني: **المصدر السابق**، ص 110-132.

[8]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1930–1954**، المرجع السابق، ج4، ص 275.

[9]– أبو القاسم سعدالله: **المرجع نفسه**، ص 276.

أوراس قرب **خنشلة**[1]؛ التي وسعت نشاطها وامتد تأثيرها وإشعاعها إلى مناطق **خنشلة، تبسة، وواد سوف، والفضاءات المجاورة**[2]، حيث توافد عليه المريدون من المدن والقرى من الجزائر وتونس، وكانت القبائل هي القاعدة الأساسية التي استهدفتها الزاوية بنشاطها العلمي والإرشادي والإصلاحي[3].

وقد لعبت زاوية **سيدي المسعود الشابي**؛ دورا دعويا واجتماعيا بارزا في حياته، حيث عمل جاهدا هو ومن سيخلفه على رأس الزاوية من عقبه؛ للتحكيم في النزاعات المستمرة بين قبائل **النمامشة وأهالي شاشار**[4]، واستمر **المسعود الشابي** في نشاطه إلى أن توفي حوالي 1619م/1028هـ، ودفن في زاويته الكائنة **بششار** قرب بلدة خنشلة[5]، وأضحت رئاسة الزاوية وراثية في أعقاب **المسعود الشابي**[6]، وقد ساهم **المسعود الشابي** أيضا في نشر تعاليم الطريقة الشابية **بسوف**؛ حين أسس **بالواد مسجدا لا يزال يحمل اسمه إلى الآن**، ولا يزال لهذه الطريقة أتباع في **الوادي والدبيلة** إلى اليوم[7]، وإلى جانب **مسجده بالوادي**؛ أسس **المسعود الشابي مسجدا** آخر **بقمار** سنة 1597م[8]. وإلى جانب هذه المؤسسات الدينية التي لعبت دورا هاما في نشر الوعي؛ أسس الشيخ **علي الشابي** (1591-1663م) منشأة **بيت الشريعة** التعليمية القضائية حوالي 1040هـ/1663م بالجنوب الغربي التونسي(**توزر**)–**كبديل لزاوية ششار**– التي أخذت على عاتقها مهمة تربية أبناء القبائل وتعليمهم اللغة العربية وأصول الطريقة الشابية، وإذكاء جذوة الإيمان في الأماكن القصية في كل من تونس والجزائر، وقد احتفظت بخصائص الزاوية في هيكلتها ووظائفها التربوية والإعاشية وفي تأثيرها الاجتماعي، فأصبحت مقرا للتقاضي ومعهدا تعليميا، **حيث لم تعد مرتبطة بمقرها في جبل ششار وإنما أصبحت في حراك مستمر إلى مواطن القبائل في غرب تونس ووسطها وجنوبها وفي شرق الجزائر وجنوبها مما أتاح لأبناء القبائل أن يترقوا في مدارج المعرفة والعرفان، لذلك أضحت مدرسة متنقلة للقبائل التونسية والجزائرية، حيث استمرت في تأدية مهمتها العلمية والقضائية والإرشادية طوال 237 سنة** أي إلى حدود سنة 1284هـ/1876م، وقد اتخذت خيمة كبرى أضحت زاوية متنقلة؛ بها مكتبة ذات أهمية، سميت **ببيت الشريعة**؛ أصبحت مقصدا لطلاب العلم والتقوى، وملجأ للخصوم، وملاذا للمضطرين إلى الهروب، حيث كان شيوخ بيت الشريعة كثيري الانتقال إلى مواطن القبائل الحليفة خاصة **بمنطقة قسنطينة، والزيبان وسوف**، حيث عكفوا على تلقين المريدين **الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وأصول الطريقة الشابية بشكل تبسيطي**[9]، ويعتبرها **فيرو Féraud خيمة للعدالة تتنقل بين المعسكرات لتسوية المشاكل الدينية والمصالح العامة، وأنها ملاذ آمن للفارين من مرتكبي الخطايا**[10]،

---

[1]– محمد النيال: **المرجع السابق**، ص 195.

[2]- Octave Depont- Xavier Coppolani **: Op.cit**, P 482.

[3]– علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، المرجع السابق، ص 393.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد لعثماني**، المرجع السابق، ص 286.

[5]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، 242، وانظر أيضا: Octave Depont- Xavier Coppolani,**Op.cit**, p 482

[6]- Octave Depont- Xavier Coppolani **: Op.cit**, 482.

[7]- Jamel Haggui: **Op.cit**, P 41.

[8]– إبراهيم العوامر: **المرجع السابق**، ص 242.

[9]– علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، المرجع السابق، 387-401.

[10]- Féraud (ch): **Les Harar seigneurs des Hanencha**, Op.cit, P 145.

وبذلك تكون **مؤسسة بيت الشريعة كقلعة علمية شبيهة؛** -من حيث الدور والوظيفة الدينية والتعليمية-**بالمحاضر** التلقينية في **موريتانيا؛ التي كانت بمثابة جامعات بدوية متنقلة.**

لقد قام متصوفة الشابية في القرنين 16 و17م بدور محمود **شرقي وجنوب مقاطعة قسنطينة، حيث رسخوا الشريعة المحمدية لدى سكان الجبال والصحراء**[1]، حيث شكلت المؤسسات الدينية التي أنشأها **شيوخ الشابية وأتباعهم همزة وصل فكرية وروحية بين تونس والشرق الجزائري من خلال استقطاب الأتباع، وصهر القبائل الريفية داخل منظومة الإسلام الشعبي،** حيث مثلت الأطر الصوفية بحق الطريق الأوحد في ظل تشعب وصعوبة التصوف النخبوي[2]، كما خلفت **الشابية تراثا أدبيا شعبيا** ظل مسيطرا لفترات على مخيال العامة في البلدين، فقد أصبحت **ألغاز عبد الصمد الشابي وأحاجيه** نمطا يحتذى به، ونسقه الخيالي منتهى ما يطمح إليه الأديب الشعبي[3]، ومن شيوخ الطريقة الشابية: **أحمد بن مخلوف** و**محمد الكبير** والشيخ **عرفة** و**محمد المسعود،** ومن الكتب المؤلفة في التصوف " **الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير**" ألفه الشيخ **محمد المسعود الشابي** المتوفى سنة 1029هـ/1618م [4].

02-الطريقة البوعلية:

ظهرت الطريقة البوعلية المتفرعة عن القادرية بالجنوب التونسي، وتنسب إلى مؤسسها **الشيخ أبو علي الحسن بن إبراهيم**(ت.610هـ/1196م)، وكان زنجيا قدم من **سجلماسة** إلى **القيروان** ثم استقر **بنفطة** وبها توفي وقبر؛ بعد أن بلغ السابعة عشر بعد المائة من السنين، وكان من أصحاب وتلاميذ **أبي مدين شعيب دفين تلمسان،** واشتهر **بوعلي بالنفطي** لأنه دفين **نفطة،** كما اشتهر **بالسني لأنه انتصر لأهل السنة ضد المذاهب الأخرى؛ سيما الخارجية التي انتشرت في الجريد والجنوب التونسي ووادي سوف، ونظرا لقربها من الحدود فإن بعض الجزائريين تأثروا بهذه الطريقة التي ترجع إلى القادرية، فقد كان لها أتباع بالشرق الجزائري في قسنطينة وعنابة وتبسة وسوف؛ وهي الجهات التي يقصدها التجار أيضا**[5]، حيث كان لها مقدمون في هذه المناطق، ففي **بونة** نجد **محمد بن فرج،** وفي **قسنطينة محمد بن علي السوفي، وبعين البيضاء سي محمد الشريف،** أما في **بسكرة** فنذكر المقدم **العايش بويش**[6]، ويشير أحد الباحثين **أن انتشارها بسوف** كان بواسطة **الشيخ محمد بن ناصر النفطي**(1800- 1895م)؛ التي أخذها بدوره من **شواش ضريح سيدي بوعلي** يقال لهم **الطواهرية،** والذي وفد على **الوادي** وأسس عام **1850م خلوة** أو **زاوية صغيرة** سرعان ما تحولت إلى **مسجد شمال نزلة أولاد أحمد** ، ولما توفي **الشيخ بن ناصر النفطي** دفن **بالركن الجنوبي الغربي من المسجد؛** ويمكن أن يكون مكان زاويته، **كما ارتبط اسمها بوجود مساجد أخرى حملت**

---

[1]- شارل مونشيكور: **القيروان والشابية (1450-1592)**، المرجع السابق، ص 33.

[2]- يوسف بن حيدة: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر تونس خلال الفرتة العثمانية" الطريقة الشابية نموذجا**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م، ص 214.

[3]- علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، المرجع السابق، ص 391.

[4]- حسين الحاج يوسف وعبد الوهاب بوزقرو: **المرجع السابق**، ص 252.

[5]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854**، ج4، المرجع السابق، ص 274.

[6]- A.N.T : **Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 05.**

اسم الشيخ على غرار مسجد **سيدي بوعلي بالزقم**[1]، **ويعزى هذا إلى القرب الجغرافي من التراب التونسي الذي توغلت منه هذه الطريقة إلى الفضاء الجزائري.**

وقد ذكر **رين Rinn** أن **البوعلية** عرفت من جانب الفرنسيين عام 1876؛ عندما لاحظوا في **عنابة** وجود شخص **تونسي الأصل** من **قابس** اسمه **الحبيب بن الصغير**؛ فاعتقلوه وحاكموه ثم طردوه من الجزائر، **وأتباع هذه الطريقة يقومون في حضرتهم بشطحات غريبة غلى غرار الرقصات السحرية والعصبية التشنجية، وهم بذلك يشبهون أتباع العيساوية**[2]، وقد أشارت **التقارير الفرنسية** إلى النفوذ القوي الذي كانت تتمتع به **البوعلية**؛ فقد ورد في إحصاء **ديبون وكوبولاني** لعام **1897**م؛ **أن لهذه الطريقة زاوية فرعية في خنشلة ومقدم** اسمه **عمار بوخشم، وكان لها في إقليم قسنطينة وحده أربع زوايا، وستة مقدمين، وما يناهز 364 من الإخوان؛ وفيهم النساء، أما شيخها الرئيسي ففي الزاوية الأم بنفطة**[3]. ومن أتباع الشيخ **بوعلي السني**؛ **سيدي مرزوق الزنجي** الذي كان خادما له؛ ثم استقل عنه، **والزنوج من الجنوب التونسي وسوف يجلونه، ولهم احتفال سنوي يقام يوم الاثنين أواسط شهر مارس من كل سنة بوادي سوف، ويجمع الأسر الزنجية المختلفة من أقاصي البلاد وأدناها؛ يقال له ملعب "بابا مرزوق"، وفي الجنوب التونسي** تدعى هذه الحفلة "**بوسعدية**"، وهذه الحفلات ذات بعد روحي؛ بتقديم الزيارات والصدقات، وطلب البركة من القائمين عليها، مثل تمرير العصا المعقوفة التي يضربون بها الطبل على حلق الصغير لحفظه أو شفائه، **لكنها ليست طريقة صوفية فلا زوايا ولا شيوخ ومقدمين ولا أصول ولا أوراد، كما أن الزنوج منقسمون بين الطرق الصوفية الأخرى، إذا فالأمر لا يعدو كونه تكتل عرقي للمحافظة على النسيج الاجتماعي وقيمه الحضارية**[4].

03–الطريقة التليلية "المحلية":

تنتسب هذه الطريقة إلى **الشيخ أحمد التليلي** (1709–1763م) مؤسس **الزاوية التليلية بفريانة التونسية، وهي مزيج من مبادئه وأعماله؛ ومن مختلف أعمال الطرق التي اطلع عليها ومارسها خلال فترة دراسته وسفره في مناطق الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري؛ وأثناء رحلته الدينية إلى المشرق**[5]، وكان الشيخ قد أنهى بزاوية **خنقة سيدي ناجي** التي قضى بها مدة **سبع سنوات؛ علومه الدينية واللغوية**، وأخذ عن مشايخها **الطريقة الرحمانية**[6]، وتحصل على **إجازة خطية** منحها إياه شيخه **عبد الحفيظ الخنقي**، ويبدو أن الشيخ **أحمد التليلي** قد تولى – إثر حصوله على الشهادة– مهمة التدريس **بزاوية الخنقة** قبل أن يشتغل أيضا بالتدريس والقضاء **بإحدى قرى وادي سوف بصحراء الجزائر الشرقية**[7]، **حيث دامت مرحلة تكوينه قرابة ثماني سنوات، وذلك ما بين 1725–1732م توجت ببلوغه مرتبة علماء الظاهر والباطن التي تعتبر أعلى مراحل الهرم الصوفي والعلمي، ليستقر بفريانة ويؤسس**

---

[1]- علي غنابزية: **المرجع السابق**، ص 209.

[2]-Louis Rinn: **Marabouts et Khouan**, Op.cit, P 120.

[3] -Octave Depont- Xavier Coppolani: **Op.cit**, P355.

[4]- محمد العيد قدع: **المرجع السابق**، ص 256.

[5]- محسن التليلي: المرجع **السابق**، ص 139.

[6]– الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 137.

[7]– محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 140.

الزاوية التليلية عام 1733م[1] **بالوسط الغربي التونسي**، ويبدو أن الشيخ قد دون أصول طريقته في كتاب سماه" **مفتاح الحقيقة وسند الطريقة**"، إضافة إلى الروايات الشفوية المتعددة أن **طريقة أحمد التليلي هي القادرية أصلا؛ مع مزيج من العلوية التي سنها أبو علي النفطي**، ومن **الطريقة الشاذلية التي انتشرت بالجزائر على يد الشيخ أحمد بن يوسف الملياني في أواخر القرن 9هـ/15م، وتدعمت على يد الشيخ محمد بن ناصر الدرعي(ت. 1085هـ/1675م) الذي يعد من مجددي الطريقة الشاذلية في عصره**[2]، **وقد تلقى الشيخ أحمد التليلي تعاليم الطريقة الرحمانية عن مشايخ الخنقة**[3]، حيث أخذ الشيخ في أول إطلاع له مبادئ **الطريقة العلوية** عند إقامته **ببلاد الجريد** ودراسته وتدريسه **بزاوية سيدي سالم بنفطة**، وهو ما سيدفعه إلى البحث في أصول هذه الطريقة وهي **أصول قادرية** لأن **أبا علي النفطي** كان من أصحاب **أبي مدين شعيب الأندلسي البجائي وعنه أخذ مبادئ الطريقة القادرية**، وفعلا بعد البحث والتعمق عند انتقاله لاستكمال تعلمه **بزاوية الخنقة** واتصاله بشيوخ الزوايا المنتشرة في مناطق **الأوراس والزيبان والصحراء؛ حيث امتد نفوذ القادرية والشاذلية وامتزجت تعاليمهما امتزاجا فيما عرف بالشاذلية الناصرية**، والتي ارتكزت على تلاوة القرآن وعلى أوراد كلها توحيد وصلوات على النبي أساسا، إضافة إلى اقتدائها **بالقادرية** في أهم خصائصها كظاهرة "إطعام الطعام" التي اشتهرت بها الزاوية التليلية، فضلا عما عرف عن القادرية وأتباعها في مقاطعة الساسة وأصحاب السلطة عامة.

إن من أهم خصائص الطريقة التليلية أنها مزجت بين تعاليم الطريقتين القادرية والشاذلية؛ وهو أمر شائع في أغلب مناطق الشرق الجزائري والصحراء التي احتك أحمد التليلي بزواياها وشيوخها، ولعل هذا ما يفسر لنا اهتمام الشيخ التليلي مثلا بنسخ **بستان الأزهار الذي جمع فيه محمد الصباغ كرامات الشيخ الملياني؛ ناشر الطريقة الشاذلية بربوع الجزائر والمغرب الأقصى، وسر تأثره بهذه الطريقة الصوفية وبسيرة ناشرها.**

إن طريقة الشيخ أحمد التليلي إجمالا هي **بعض القادرية ممزوج ببعض الشاذلية والعلوية، وتظهر أهم ملامحها في الانضباط لتعاليم التصوف السني بلا إغراق ولا شذوذ**، وفي عصامية صاحبها وحيائه الشديد، وحرصه على إطعام الطعام، وتجنب السلطان، ونشر تعاليم الدين، ومقاومة البدع، وذكر القرآن، وتعليمه وإحياء السنة والتذكير بها[4]، وقد أضحت **زاوية أحمد التليلي** التي ألحق بها مدرسة كمرحلة ثانية؛ مركز إشعاع ديني وعلمي وعمراني استوعب المجموعات القبلية التخومية، **وقد ربط أولاد تليل علاقات خارجية مع زوايا الأوراس وبكارية ونقرين وكبريات قبائل الشرق الجزائري كالحنانشة والنمامشة؛** وهذا يعكس لنا المشاعر الدينية العميقة السائدة لدى أبناء هذه الفضاءات الحدودية، فكانت دار علم ونقطة إطعام ولجوء؛ إلى جانب ما توفره هذه المؤسسة الدينية من بركة وأمن وخدمات اجتماعية وعلمية[5].

---

[1]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 138.

[2]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، ص 139-140.

[3]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 137.

[4]- محسن التليلي: **المرجع السابق**، صص 140-143.

[5]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، المرجع السابق، ص 146-149.

إن حراك المتصوفة ولقاءاتهم كانت تتم بصفة دورية ومستمرة، ما يعكس لنا بوضوح قوة العلاقات الروحية بين مؤسسي تلك الطرق وعلمائها مع تلاميذهم ومريدهم من أبناء الإيالتين، لذلك لم يتوان التونسيون عن الحراك صوب الجزائر ولقاء مشايخ ومؤسسي تلك الطرق للظفر بالإجازات السلوكية وإحياء حلقات الذكر وتوطيد الصلات الدينية، وقد أظهرت تلك الزيارات بين المتصوفة وحدة الحقل الثقافي بين البلدين المتجاورين آنذاك، وما سرعة انتشار الطريقة الرحمانية والتجانية من جهة والشابية من جهة أخرى إلا دليل على سرعة تقبل الناس لتلك التعاليم والأفكار والثقافات والتطورات الجديدة التي تحدث في هذا البلد أو ذاك.

إن الحراك الفكري بين البلدين الذي اتخذ صورا متعددة؛ كان في الأساس حراكا ثقافيا دينيا بامتياز، فقد كانت معظم المراسلات والحوارات والمناظرات والمساجلات بين نخب البلدين العلمية تخص قضايا فقهية وعقدية ومسائل في النوازل وإجازات سلوكية، وقد ارتكز الحراك في عمومه على قنوات رئيسة تجلت في رحلات الحجيج وهجرة العلماء ورحلاتهم؛ وتنقلات الطلبة العلمية التي خلقت فضاء للتواصل القوي بين أبناء الإيالتين ثقافيا، والملاحظ أن هذا الحراك النخبوي؛ قد حدث بصورة عفوية بعيدة عن تدخل السلطة التي لم يكن لها أدنى دور في تنظيمها؛ بل أسهمت في نجاحه دينامية التنقلات من هذا البلد إلى ذاك، وهذا يعكس لنا علاقات التأثير والتأثر وميادين الانفتاح الثقافي على المجتمعين في البلدين المتجاورين، وهذا الحراك النخبوي يبرز لنا بجلاء صورة واضحة عن ماهية وخصوصيات هذا الاحتكاك المعرفي والتلاقح الثقافي؛ كاختيار وحتمية نابعة من ثقافة مجتمعية أصيلة تشترك فيها عناصر عديدة من لغة ودين وتاريخ وانتماء قبلي أو مجالي، ومنه يتبين أن العلاقات الثقافية والاجتماعية تجاوزت الأطر السياسية وكانت هي المؤثر الفاعل والأكثر ديمومة واستمرارية في الحراك القائم بين شعبي الإيالتين.

خاتـــمة

خاتمة

توصلنا من خلال ما تم عرضه ومناقشته من مادة علمية تضمنتها فصول الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات؛ يمكن حصرها فيما يلي:

أولا نتائج ذات أبعاد سياسية:

- ✓ تميزت العلاقات بين الإيالتين في تلك الفترة عموما؛ **بالتنوع**؛ وقد أسهم هذا الثراء في زيادة روابط القربى **بين الشعبين**؛ إذ لم تقف الأزمات السياسية والمواجهات العسكرية حائلا وعائقا أمام حراك الجماعات والأفراد والقبائل بين البلدين؛ وهو ما تطرحه إشكالية الولاء القبلي؛ وتأرجحه في التبعية لهذا البلد أو ذاك... لذلك لم تبرز أدوار حكام الإيالتين في تلك الصلات الاجتماعية إلا من خلال اهتماماتهم بركب الحجيج، كمشهد من مشاهد التضامن الاجتماعي الإسلامي.
- ✓ أسهم وكلاء الجزائر بالبلاد التونسية بحضورهم الديبلوماسي في زيادة تقوية الروابط الاجتماعية.
- ✓ إذا كانت تونس قد مثلت تاريخيا قبلة ووجهة لحراك الجزائريين؛ فإن الأخيرة لطالما كانت ملاذا للمظلومين والمضطهدين وحاضنة تاريخية للاجئين السياسيين التونسيين.
- ✓ أخذت تجليات الحراك الاجتماعي طابع الإحسانات والعوايد التي شكلت ملمحا تضامنيا كواقع اجتماعي عملي درج عليه بايات تونس؛ رغم ما تحمله من سياسات هادفة لاستقطاب الأفراد والجماعات والمشيخات والزعامات بما فيها ممثلي الدوائر الرسمية.
- ✓ إن لثقافة التهادي كتقليد حرص عليه حكام الإيالتين الأثر البالغ في تقريب وجهات النظر وتلافي الخلافات وتكريس علاقات الود والاحترام المتبادل؛ من ذلك ظاهرة التهادي بالجواري والغلمان.

ثانيا نتائج ذات أبعاد اجتماعية اقتصادية:

- ✓ إن التركيبة الاجتماعية القريبة من بعضها البعض في البلدين المتجاورين ساهمت بلا شك في تفاعل الإيالتين؛ زادها القرب الجغرافي دينامية، وأضفت عليه وحدة اللغة والعقيدة والتقاطع الكبير في التقاليد ملمحا من ملامح التماهي الاجتماعي؛ ما جعل حركة التنقل والهجرة بين المجالين كالحراك في الفضاء الواحد.
- ✓ ان الحضور الجالياتي البيني كان **شديد التنوع**؛ ومن شتى أنحاء **الإيالتين**؛ إلا أن أهم جالية ارتبط اسمها بالتاريخ السياسي لتونس الحديثة كانت **زواوة** التي استطاعت أن تفرض وجودها في البيئات الجديدة... في حين كان أبناء **جربة** أهم الجاليات التونسية بالبلاد الجزائرية، وعلى الرغم من تباين وتيرة الحراك البيني إلا أن **الحضور الجالياتي الجزائري كان أقوى بكثير إذا ما قورن بالتواجد الجالياتي التونسي؛ في ظل ضآلة أعداد التونسيين بالإيالة الجزائرية.**
- ✓ إن الحراك في عمومه كان **حراكا عاما** مس أغلب الفئات المجتمعية؛ بل شمل حتى **العنصر النسوي**، فقد حضرت أسماء نساء في العديد الوثائق والسجلات الأرشيفية؛ مارسن بعض المهن كالخدمة في بيوت البايات الحسينيين، كما أنه لم يكن قاصرا على مسلمي البلدين؛ **بل شمل أيضا أهل الذمة من اليهود**؛ الذين استقرت عائلات منهم بالمناطق الجنوبية كميزاب أكثر منطقة صحراوية جذبا للعنصر لليهودي، وفي المقابل كان لبعض يهود الجزائر حضور

فاعل في البلاد التونسية لما نالوه من حظوة كبيرة لدى حكامها؛ كما هو الحال مع الذمي إبراهيم الجزائري الذي كان من خواص الباي محمد الرشيد.

- ✓ أن أغلب أبناء الجاليات التونسية التي وضعت عصا التسيار بمختلف أنحاء الإيالة؛ كانت في الغالب الأعم مرتبطا **بالقرويين الأميين** الذين يفتقرون إلى أدنى مستوى تعليمي متميز، ومن فئة **الحرفيين والتجار**، لذا كانت أغلب الأنشطة الممارسة في البلد المهاجر إليه أنشطة فلاحية وتجارية؛ وأعمالا يدوية مألوفة، وقد استطاعت بعض الفئات المهاجرة تغيير مواقعها الاجتماعية في البيئات الجديدة التي استقرت بها؛ **كالوسلاتية بقسنطينة**، وفئة **الجرابة** التي أثبتت حضورها في المشهد الاجتماعي والاقتصادي كجالية تونسية فاعلة ومتميزة ، وأبناء **زواوة** إحدى أهم الدعائم العسكرية التي اعتمد عليها بايات تونس.
- ✓ أثر الحراك القبلي التخومي بشكل لافت في رسم ملامح العلائق الاجتماعية القائمة بين البلدين في ظل سياسة الإحسانات المتبعة خاصة من الجانب التونسي ونخص هنا قبيلة الحنانشة التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في الإيالتين.
- ✓ ارتكزت دعائم الحراك الاجتماعي على المصاهرات البينية التي مست شرائح النسيج المجتمعي مراعية التراتبية والمكانة الاجتماعية؛ وكانت المصاهرات السياسية حاضرة بقوة؛ خاصة تلك التي جمعت السلط الحاكمة مع القبائل المتنفذة.

ثالثا–نتائج ذات أبعاد ثقافية:

- ✓ الملاحظ غياب دور الحكام وسعيهم في توسيع أو ترقية وتفعيل نطاق تلك العلاقات الفكرية؛ وهذا في ظل غلبة التوجهات السياسية والأهداف العسكرية على الاهتمامات الثقافية المحدودة، ما نتج عنه هجرات علمية باتجاه تونس؛ في ظل ضآلة حراك النخب التونسية إلى البلاد الجزائرية خلال الفترة الحديثة.
- ✓ طغيان الثقافة الإحالية النصية؛ التي اصطبغت بطابع التبعية أي العقل النقلي القائم على الحفظ والتلقين، فشاعت **المختصرات والشروح والحواشي** أو كما يسميها الباحث التونسي **لطفي عيسى "الثقافة العصابية"**؛ لذلك غلب طابع التقليد على النتاج العلمي والأدبي؛ كانعكاس للمناخ الثقافي والفكري السائد.
- ✓ أضفى حراك النخب العلمية جوا علميا متميزا في ظل تبادل الزيارات والمجالس العلمية والمناظرات وحركة التأليف وانتقال المصنفات وكثرة المراسلات والفتاوى، حيث سجلت أسر علمية أسمائها في سماء الحياة الثقافية؛ كآل **الرصاع** ، وآل **قدورة**.
- ✓ كان للعنصر اليهودي دور في الحراك الفكري القائم؛ عكسته عديد المراسلات بين أبناء الطائفة من الصفوة اليهودية بالإيالتين؛ حول بعض المسائل الدينية المرتبطة بممارسة الشعائر؛ فقد تم عرض قضية من هذا القبيل من حاخامات الجزائر على حاخام تونس مسعود رفاييل عام 1758م.
- ✓ يتبين من خلال جرد أسماء النخب؛ أن الجزائر كانت قبل الاحتلال **تتوفر على احتياط مهم من الكفاءات المعرفية**، أثبتت مستواها في البيئات التي حلت بها؛ كالشيخ **الورثيلاني** و**أبي راس**، وما يزيد الأمر تأكيدا رواج مؤلفات الجزائريين في دروس العلماء التونسيين من ذلك **عقائد السنوسي ومؤلفات الأخضري**، ومنه نقول أن النخب الجزائرية أسهمت في بناء نهضة تونس الثقافية.

- ✓ تكريس علاقات أخوية وثيقة بين الصفوة، وفي هذا السياق نجد الورثيلاني وأبي راس يتحدثان عن علاقاتهما الوثيقة مع علماء تونس، إلى جانب مفتي السادة المالكية بالجزائر الشيخ أحمد بن عمار وعلاقته بالوزير حمودة وتلميذه إبراهيم السيالة الصفاقسي.
- ✓ شكلت الطرق الصوفية قناة من قنوات التواصل الفكري الروحي بين الجزائر وتونس بحكم ارتباط أغلبها ببعضها البعض وانتشار فروعها في الإيالتين نتيجة تشابه ووحدة الأصول الفكرية والعقدية لهذه التنظيمات الروحانية؛ التي حافظت على استمرارية حراك الفئات الشعبية والنخب العالمية إلى فضاءات المقدس، ومن أبرزها: **القادرية والتجانية والخلوتية الرحمانية**؛ بفرعها المؤثر" **العزوزية**"، و**الشابية** بثقلها السياسي والاجتماعي وحضورها الفكري والعقدي...**لكن الملاحظ هو قوة وأثر الحضور الطرقي الجزائري بالبلاد التونسية؛ ومحدودية وقع الحراك العكسي أو الوافد.**
- ✓ أدى الحراك الفكري غرضه النبيل في تعميق ودعم الجذور المشتركة لتلك الرقعة الجغرافية ذات الامتداد الطبيعي الواحد.

وأخيرا يمكن القول:

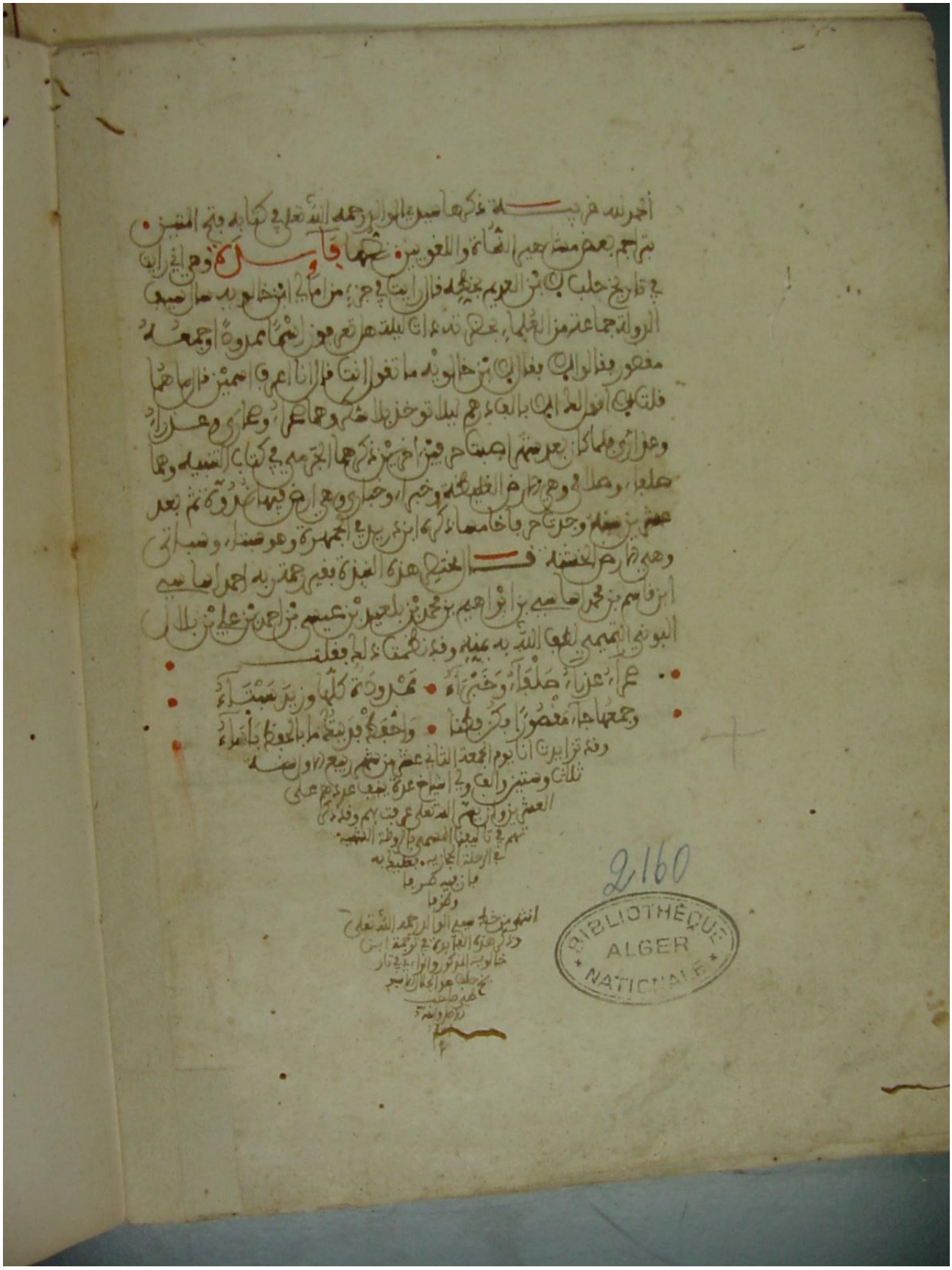
- ❖ تجذر الصلات بين الإيالتين الجزائرية والتونسية في شقها الاجتماعي وجوانبها العلمية؛ والتي تعود إلى فترات زمنية بعيدة.
- ❖ أهمية الحراك الاجتماعي والفكري ودوره في وحدة الشعوب الإسلامية بما فيها أقطار المغارب.
- ❖ أن العلاقات الاجتماعية والثقافية قامت على مجهودات الأهالي في المقام الأول، وأسهمت فيها عوامل عدة أهمها علاقات الجوار بين البلدين، وهذا في ظل غياب دور الحكام في تنسيق وتوثيق العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين.
- ❖ تعتبر الرحلات الحجازية من أهم الركائز والدعائم التي ساعدت على توثيق الصلات الاجتماعية والثقافية بين الإيالتين.
- ❖ كانت الثقافة الإسلامية هي الرابط الأساسي والقناة العملية في الصلات البينية؛ ما يؤكد وحدة الحقل الثقافي.
- ❖ أسهم الارتباط بالباب العالي في تعزيز عملية التبادل الثقافي بين أتباع المذهب الحنفي الرسمي في الجزائر وتونس.
- ❖ إن تطلعات الشعبين المتجاورين كانت أكبر من طموحات حكامهم في ذلك التواصل والتقارب.
- ❖ شكلت النخب العلمية في الإيالتين مدرسة واحدة عبر مر الحقب، نظير التكامل القائم بينها.
- ❖ من خلال ما تقدم نستشف أن العامة والصفوة من ساكنة الإيالتين هم قوام تلك الصلات الاجتماعية والفكرية.

تبقى هذه الدراسة محاولة حاولنا من خلالها التوقف عند تجليات الحراك الاجتماعي والفكري بين الإيالتين على ضوء ما توافر من مادة علمية، ويبقى الباب مفتوحا أمام الباحثين والدارسين لإماطة اللثام عن بعض الجوانب الخفية والغامضة على ضوء مادة مصدرية وثائقية جديدة برؤية مغايرة ومقاربات جديدة؛ من خلال تقديم أعمال جادة تسهم في إضفاء الجدة على فترة حافلة بالأحداث، إلى جانب عقد ندوات وملتقيات تعنى بالتواصل الاجتماعي والفكري بين الإيالتين على وجه الخصوص وبين أقطار المغارب على وجه العموم، والسعي لنفض الغبار على الرصيد الأرشيفي والتراث المخطوط المرتبط بالفترة؛ سعيا في الحصول على المأمول الذي من شأنه أن يسهم في إثراء زوايا

الإهمال وسد مكامن النقص؛ والإجابة على بعض التساؤلات المرتبطة ببعض القضايا والمسائل، وهذا سيزيد بلا شك في تعميق وتوثيق التواصل الثقافي وتمتين الروابط الاجتماعية بين الشعوب الإسلامية. ويبقى هذا العمل على الرغم مما تطلبه من جهد جهيد وبحث دؤوب ونفس طويل وصبر جميل على بعض عقباته التي أرجو أن أكون قد وفقت في تجاوزها محاولة متواضعة أرجو منها إغناء مجال البحث العلمي الأكاديمي في اختصاص العلاقات بين أقطار المغارب؛ فإن أصبت فمن الله وتوفيقه وإن أخطأت فمن نفسي وحسبي أجر المجتهد.

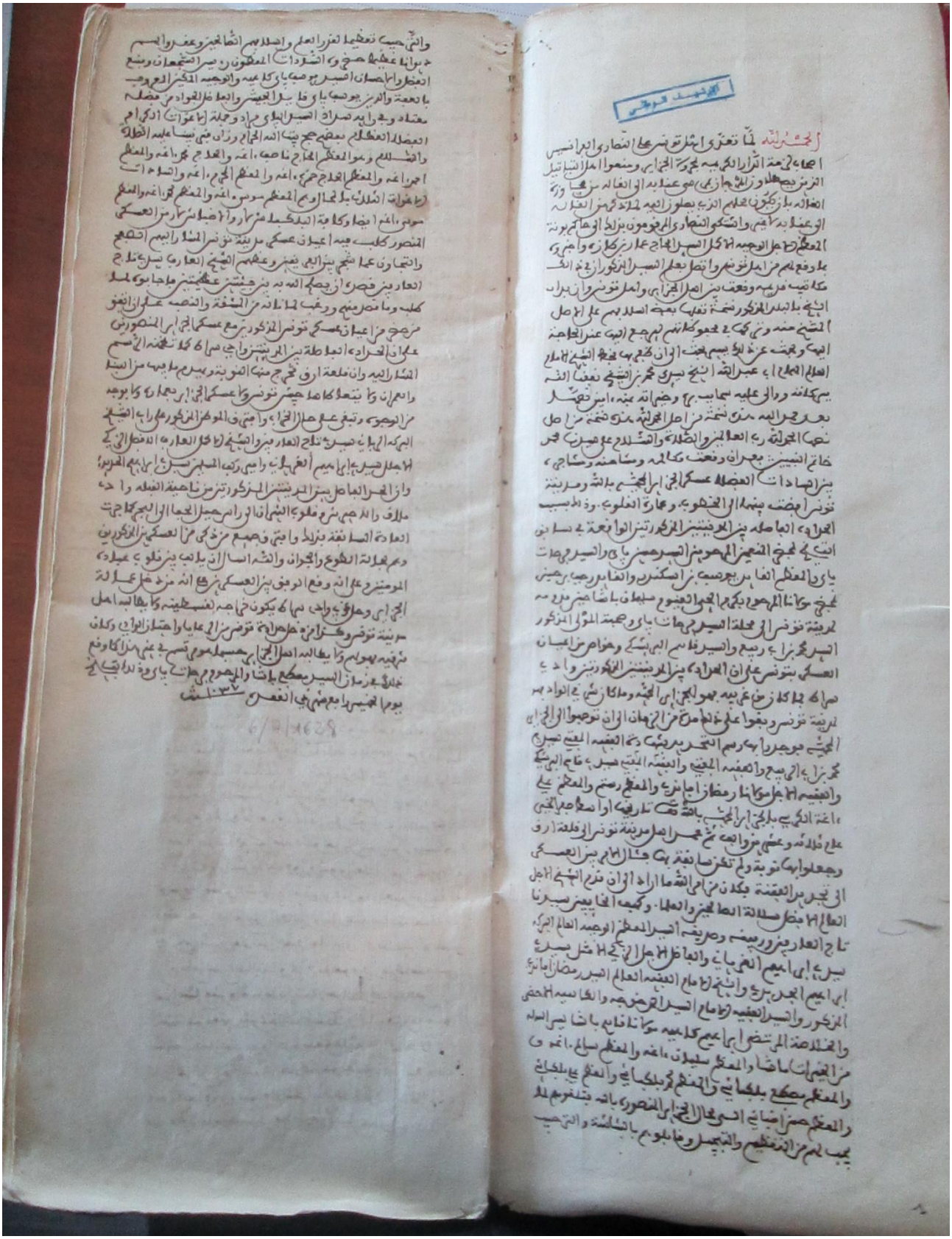
الملاحق

الملحق رقم 01.



رسالة في الحضانة لأحمد الزروق، مخطوط بالمكتبة الوطنية ورد في نهايتها إشارة الرحلة الحجازية لوالده أحمد البوني وأشياخه

الملحق رقم 02.



اتفاقية ترسيم الحدود بين الجزائر وتونس "واذ سراط عام1023هـ/ 1628م"، كما وردت في الدفتر الإداري والجبائي رقم 2847

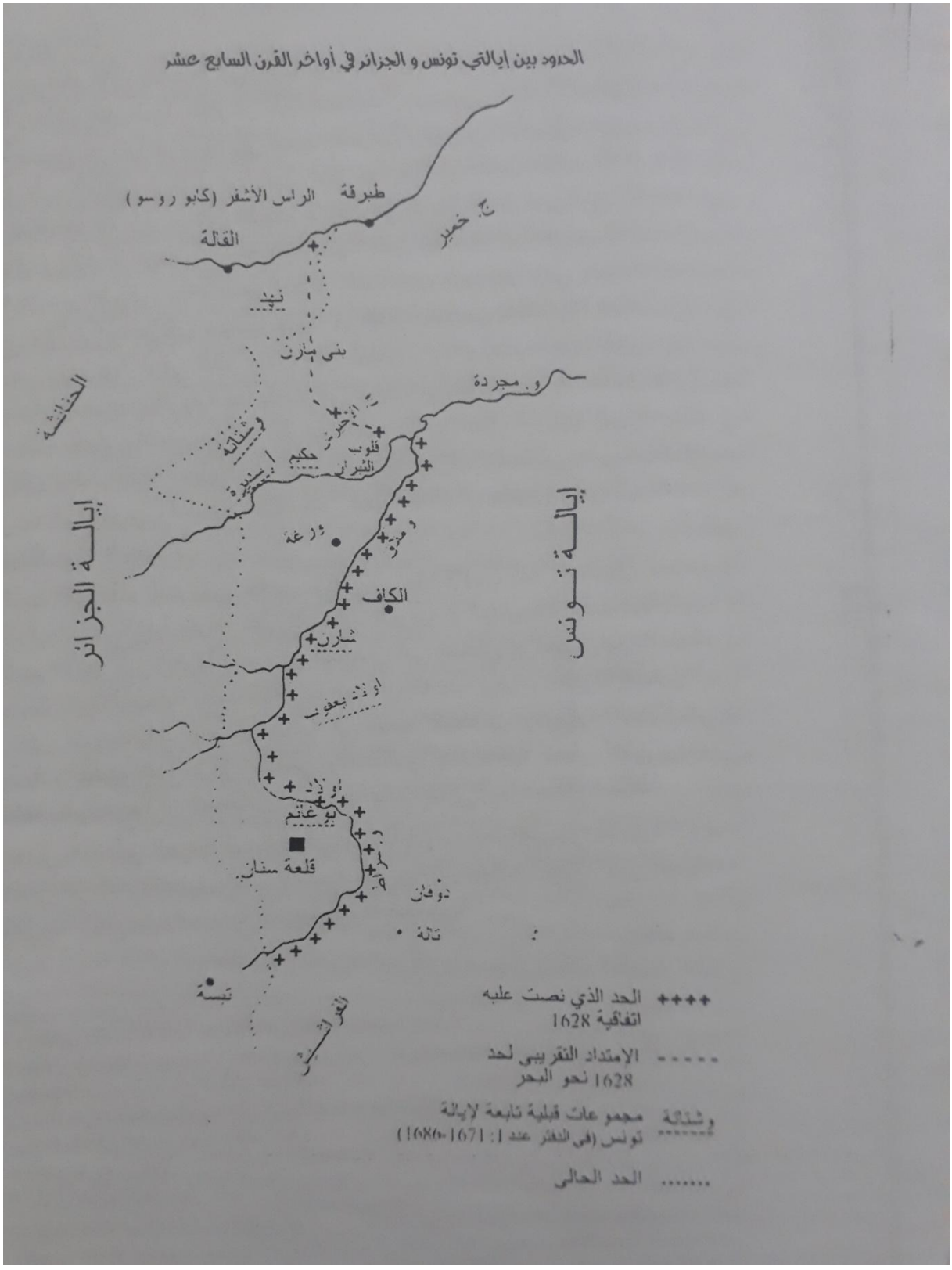
نص اتفاقية ترسيم الحدود بين الجزائر وتونس (اتفاقية واد سراط 1628هـ كما جاءت في الدفتر رقم 2847:

"...الحمد لله هذه نسخة من أصل نصها الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين.. بعد أن وقعت مكالمة ومشاحنة ومشاجرة بين السادات الفضلاء عسكر الجزاير المحمية بالله ومدينة تونس أفضت بينهما إلى الخصوب وعمارة القلوب وذلك بسبب الحدادة الفاصلة بين بين المدينتين المذكورتين الواقعة في سابق التاريخ بمحضر المنعمين المرحومين حسين باي والسيد فرحات باي والمعظم القايد يوسف بن اسكندري والقايد رجب بن حسين بمحضر مولانا المرحوم بكرم الحي القيوم سليمان باشا حين قدومه لمدينة تونس إلى محلة السيد فرحات باي وصحبة المولى المذكور السيد محمد بن أبي ربيع والسيد قاسم البرشكي وخواص من أعيان العسكر بتونس على أن الحدادة بين المدينتين المذكورتين وادي سراط فما كان من غربيه فهو للجزاير المحمية وما شرقي الواد فهو لمدينة تونس وبقوا على ذلك مدة من الزمان إلى أن توجهوا إلى الجزائر المحمية فوجدوا بها رسم التحديد بشهادة الفقيه المفتي سيدي محمد بن أبي الربيع والفقيه المفتي سيدي قاسم البرشكي والفقيه الأجل مولانا رمضان افاندي والمعظم رستم والمعظم علي آغة الكرسي بالجزاير المحمية بالله تعالى تاريخها أواسط صفر الخير عام ثلاثة وعشرين وألف(عام 1023هـ/ م) ثم عمد أهل مدينة تونس إلى قلعة أرق وجعلوا بها نوبة ولم تكن سابقة بها فآل الأمر بين العسكر إلى تجديد الفتنة فكان من أمر الله ما أراد إلى أن قدم الشيخ الأجل العالم الأفضل سلالتة الصالحين والعلماء وكهف الخايفين سيدنا تاج العارفين ورفيقه وصديقه السيد المعظم الوحيد العالم البركة سيدي إبراهيم الغرياني والفاضل الأجل الزكي الأمثل سيدي إبراهيم الجديدي والشيخ الإمام الفقيه العالم السيد رمضان افاندي المذكور والسيد الفقيه الإمام السيد أحمد خوجة والكاهيةالأحضى والخلاصة المرتضى ابراهيمكاهية مولانا قاسم يسر الله من الخيرات ما شاء والمعظم سليمان آغة والمعظم سالم آغة والمعظم مصطفى بلكباشي والمعظم محمد بلكباشي والمعظم علي بلكباشي والمعظم حسن أضباشي إلى محال الجزاير المنصورة بالله يتلقونهم بما يجب لهم من التعظيم والتبجيل وقابلوهم بالبساطة والترحيب تعظيما لقدر العلم واسلافهم الصالحين وعقدوا لهم ديوانا عظيما حضروه السادادات المعظمون سير الشجعان ومنبع الفضل والاحسان السيد يوسف باي كاهية والوجيه المكين المعروف بالفقه والدين يوسف باي قايد الجيش والفاضل الجواد من فضله معتاد وفي رأيه سداد السيد الباي مراد وجملة الاغوات الكرام الفضلاء العظام عظم بيت الله الحرام وزان نبينا عليه الصلاة والسلام وهو المعظم ناصف آغة والحاج محمد آغة والمعظم أحمد آغة والمعظم الحاج حمزة آغة والمعظم اكرم آغة والسادات الآغوات الثلاث بالمحال وهم المعظم موسى آغة والمعظم محمد آغة والمعظم موسى آغة أيضا وكافة البلكباش لار والضباش لار من العسكر المنصور طلب فيه أعيان العسكر مدينة تونس المشار إليهم الصلح والتجاوز عما شجر بين الفريقين وعظهم الشيخ العارف سيدي تاج العارفين قصده أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين فأجابوه لما طلب وما قصد منهم ورغب لما ناله من المشقة والنصب على أن اتفق من حضر من أعيان عسكر تونس المذكورين مع عسكر الجزاير المنصورين على أن الحدادة الفاصلة بين المدينتين وادي سراط كما تضمنه الرسم المشار إليه وأن قلعة أرق تخرج منها النوبة ويهدم ما فيها من البنا والعمران ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزاير بعمارة ولا بوجه من الوجوه وتبقى على حال الخراب وافترق الموطن المذكور على رأي الشيخ البركة

الرباني سيدي تاج العافين والشيخ الأمل العارف الأفضل الزكي الأجل سيدي إبراهيم الغرياني وأمير ركب المسلمين سيدي إبراهيم الجديدي وأن الحد الفاصل بين المدينتين المذكورتين من ناحية القبلة وادي ملاق والأحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر كما جرت العادة السابقة بذلك وجمع من كان من العسكرين المذكورين وهم بحالة الطوع والجد أن والله أسأل أن يألف بين قلوب عباده المؤمنين وعلى أنه وقع الوفق بين العسكرين على أنه من دخل عمالة الجزاير وحل غرب وادي سراط يكون خراجه لقسنطينة ولا يطالبه أهل مدينة تونس وكذا من دخل حدادة تونس من الرعايا واجتاز الوادي وكان شرقيه فهو لهم ولا يطالبه أهل الجزاير حسبما هو مرتسم في غير كما وقع ذلك في زمان السيد مصطفى باشا والمرحوم فرحات باي وذلك بتاريخ يوم الخميس رابع شهر ذي القعدة سنة 1037هـ/ 1628م[1] .

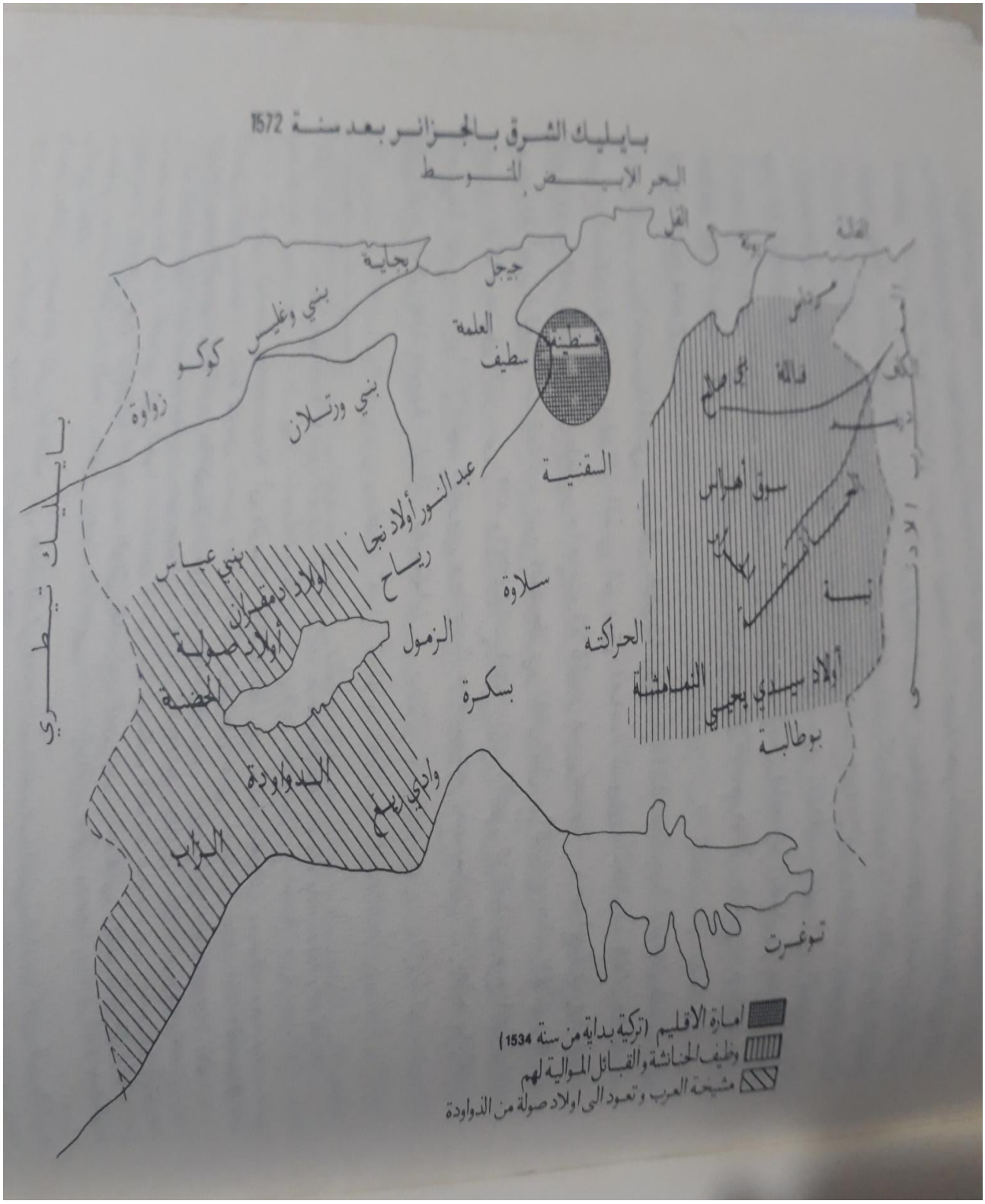
[1]- أ.وت: **الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847**، ص 1-2.

الملحق رقم 03.



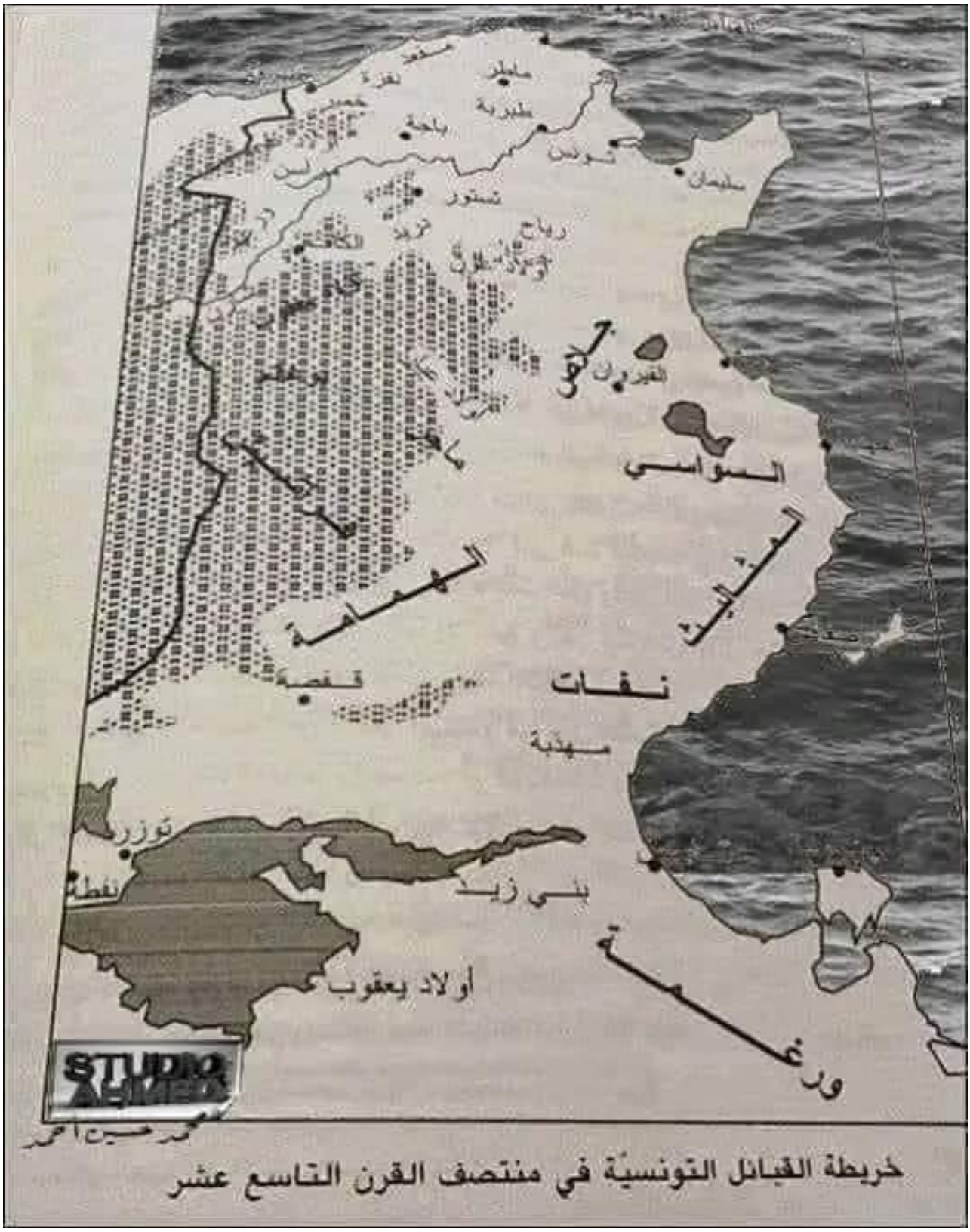
من كتاب فاطمة بن سليمان: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574–1881**، ص 132.

الملحق رقم 04.



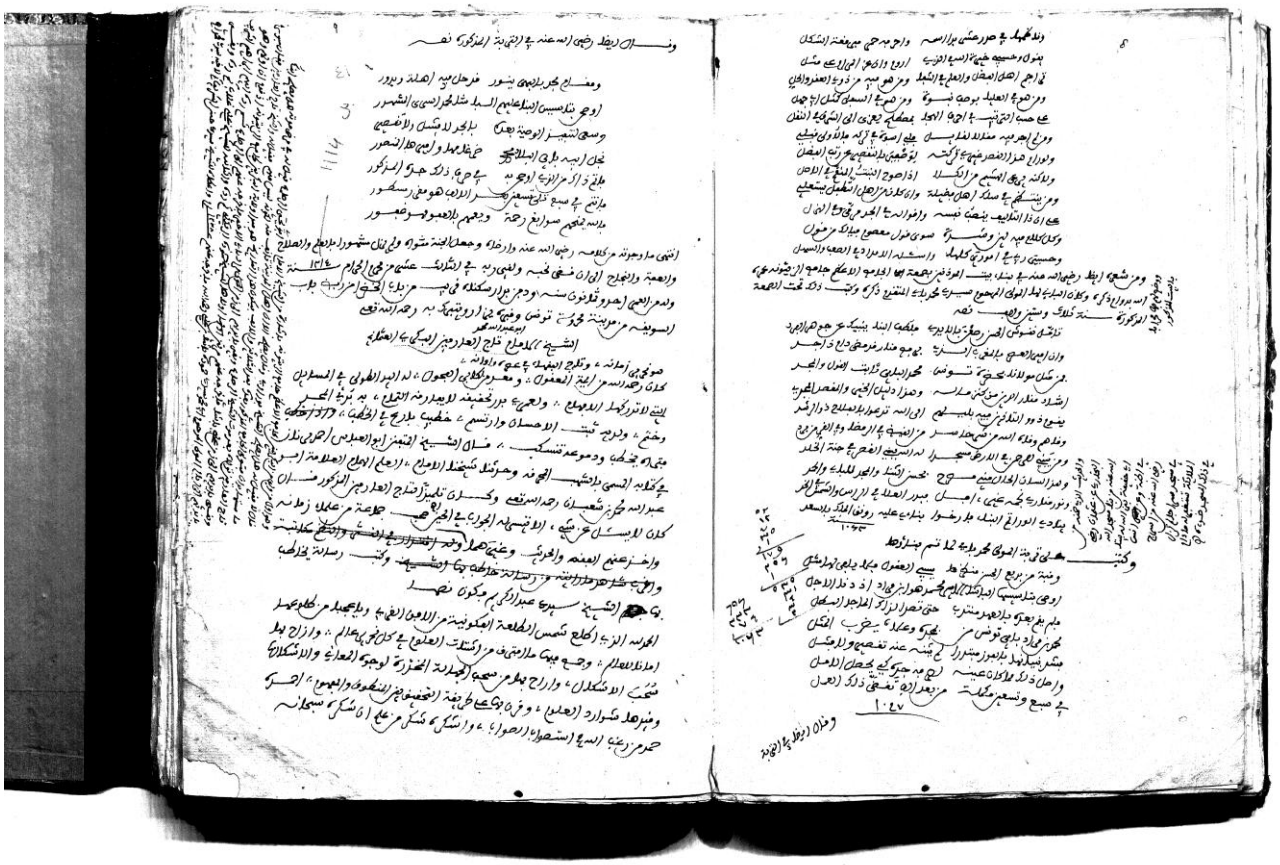
من كتاب الباحث لطفي عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر.**

الملحق رقم 05.



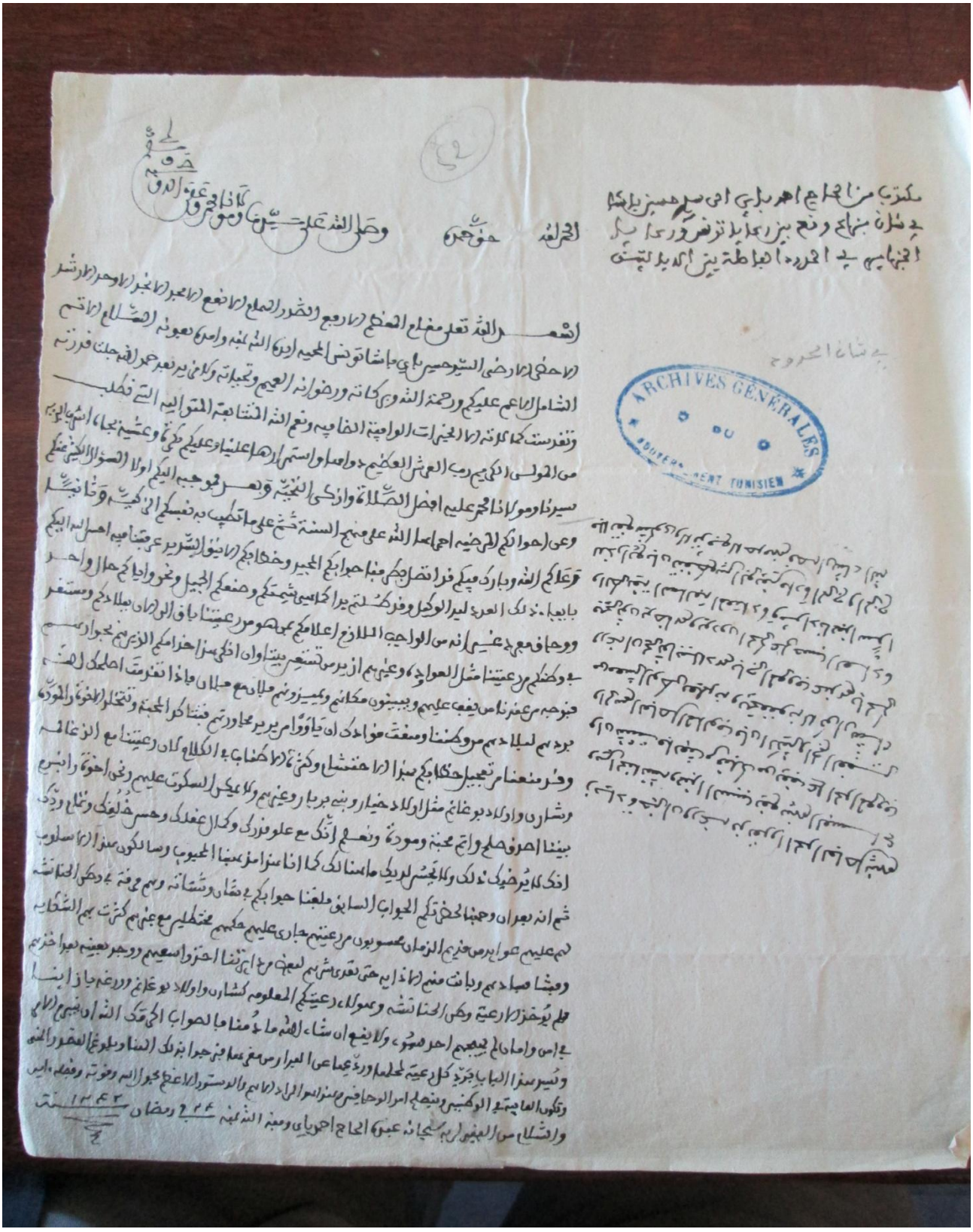
خريطة القبائل التونسية في منتصف القرن التاسع عشر

الملحق رقم 06.



مراسلات بين الشيخ عبد الكريم الفكون والشيخ تاج العارفين خليل بن مصطفى الطواحني الحنفي: كناشالطواحني، مخطوط بالمكتبة الوطنية.

الملحق رقم 07.



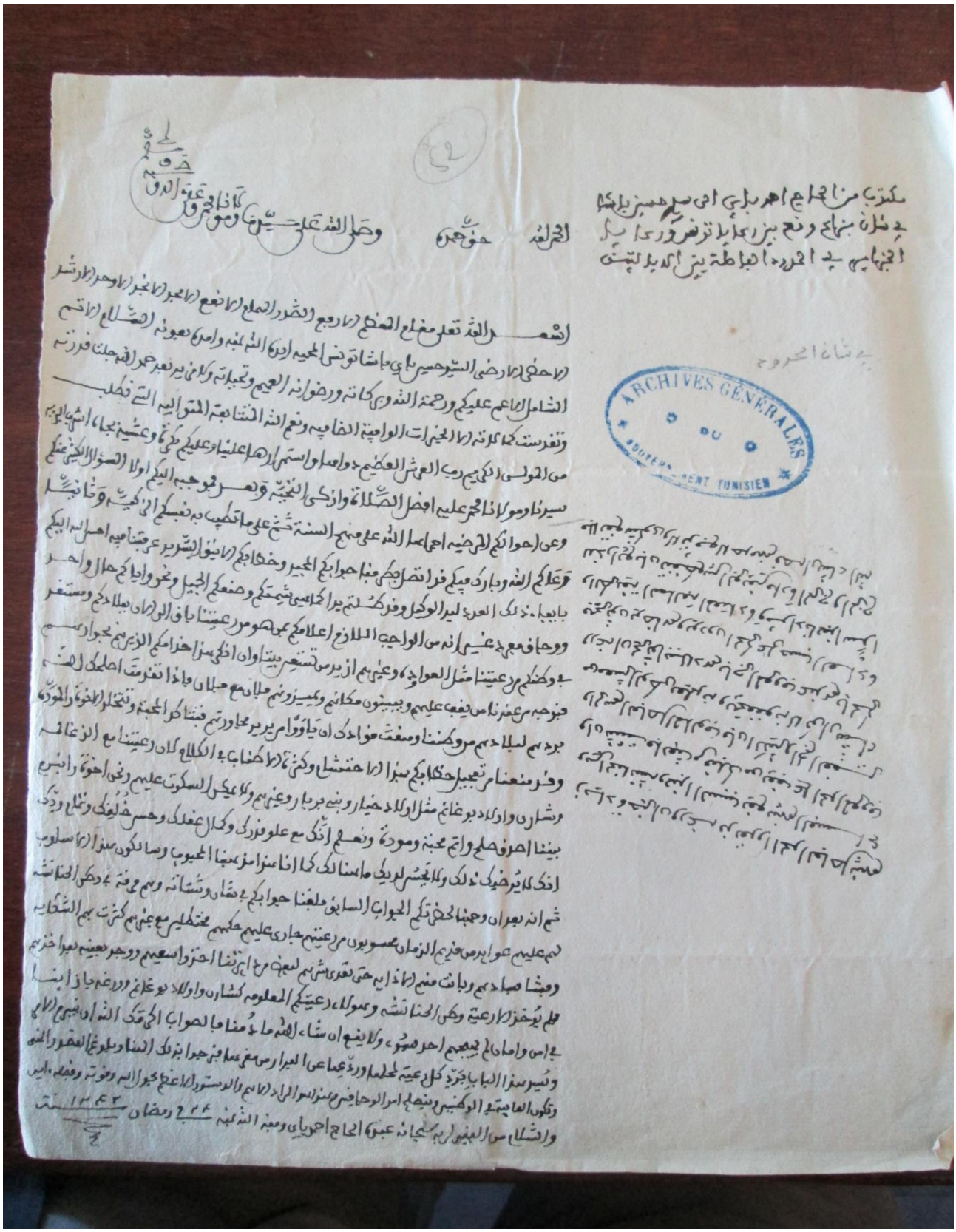
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة من الحاج أحمد باي إلى الباي التونسي حسين باشا–بتاريخ 24 رمضان 1242هـ/ 1826م– في شأن نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر في الحدود الفاصلة بين الإيالتين.

الملحق رقم 08.



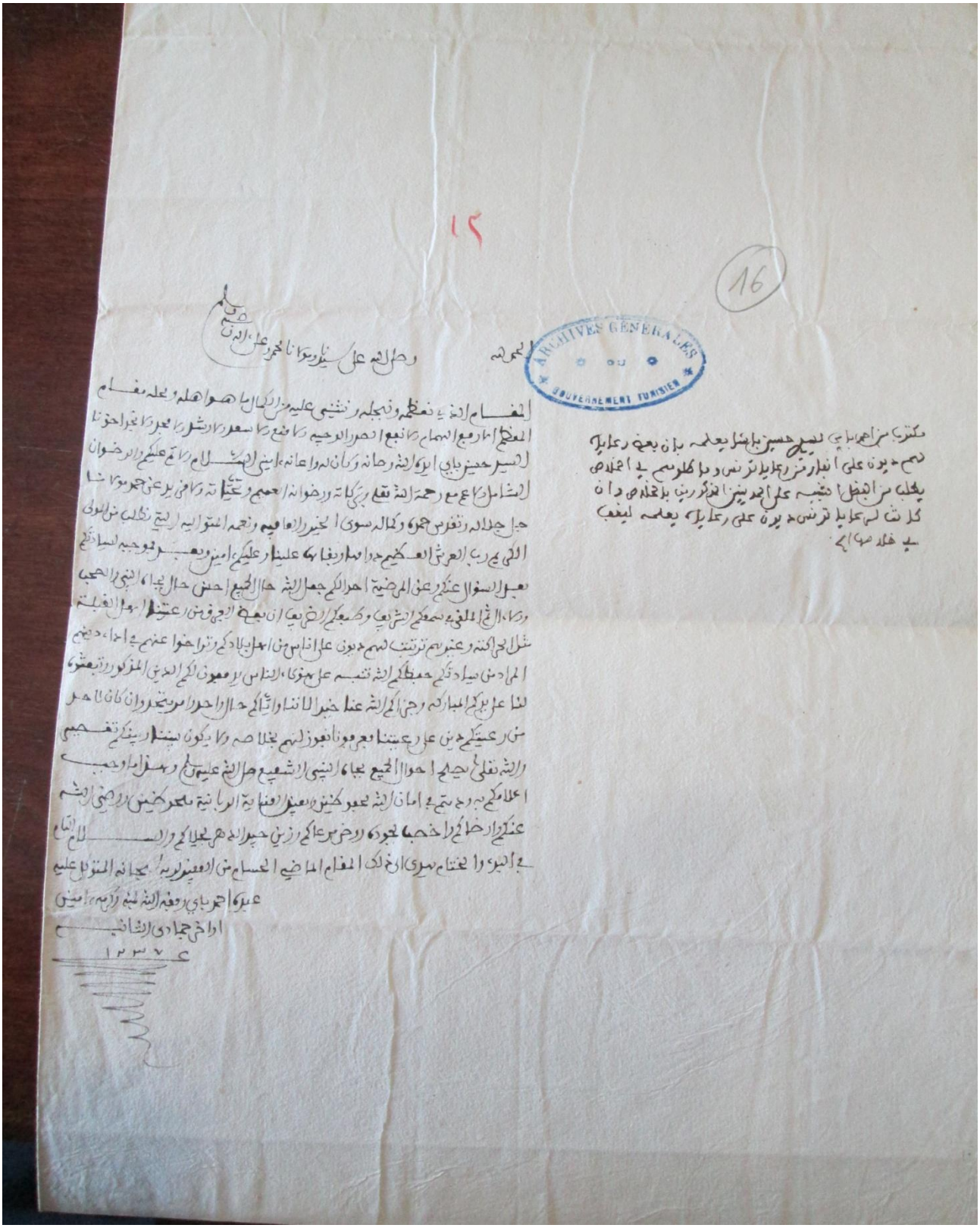
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة من حسين باشا داي الجزائر إلى الباي التونسي محمود باشا بتاريخ أواسط رجب عام 1238هـ/1822م؛ في شأن الحجاج الجزائريين القاصدين بيت الله الحرام على طريق تونس.

الملحق رقم 09.



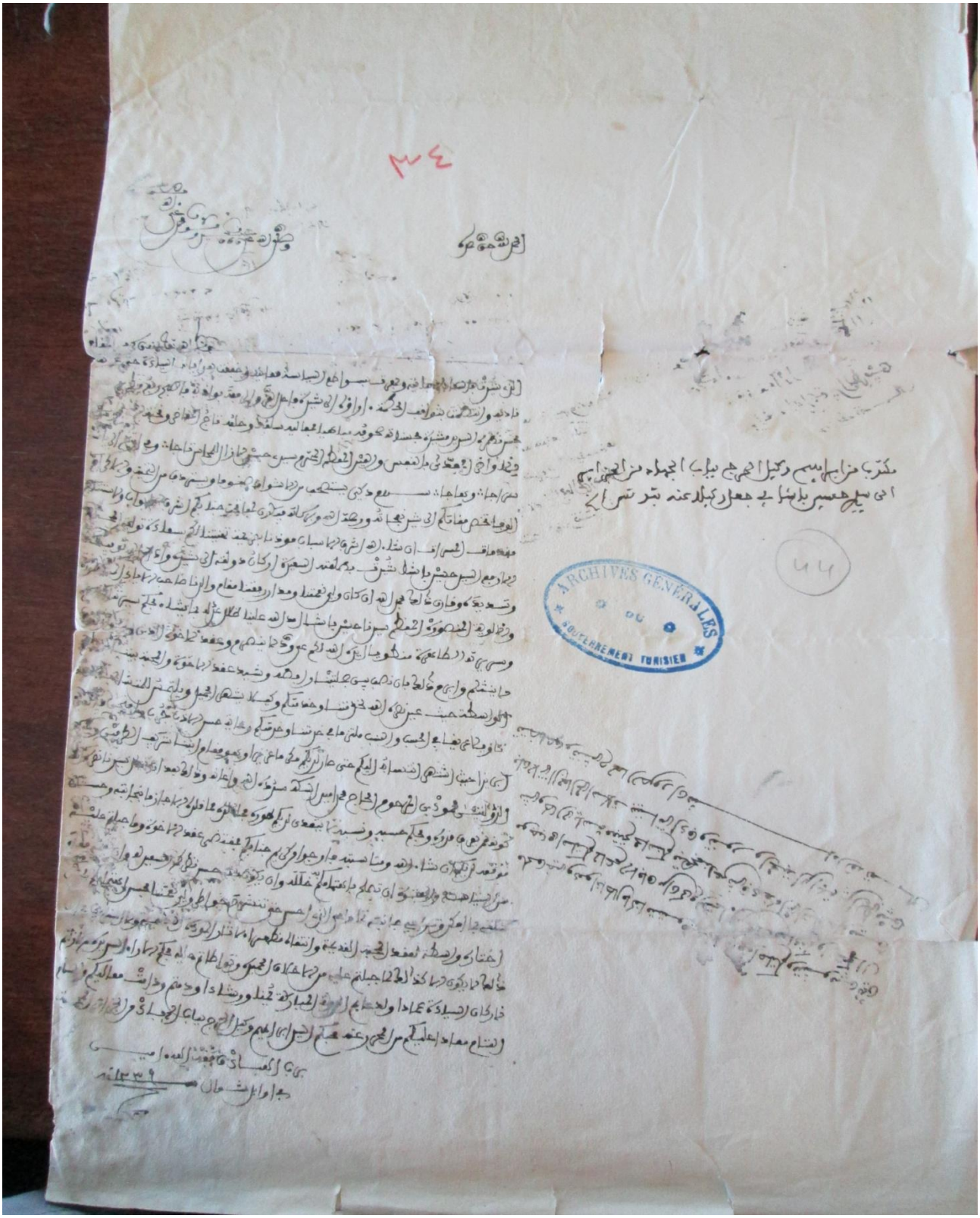
مكتوب من الحاج أحمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا في شأن نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر في الحدود الفاصلة بين الإيالتين بتاريخ 24 رمضان 1242هـ/1826 م

الملحق رقم 10.



أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من أحمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا بتاريخ أواخر جمادى الثانية عام 1237هـ/1821م؛ يطلب فيه التدخل والضغط على أنفار من رعاياه التونسيين، ودفعهم لتسديد ديون بعض إخوانهم الجزائريين الذين مالطوهم فيها، وفي المقابل إن كانت لرعايا تونس على رعاياه يعلمه بذلك.

الملحق رقم 11.



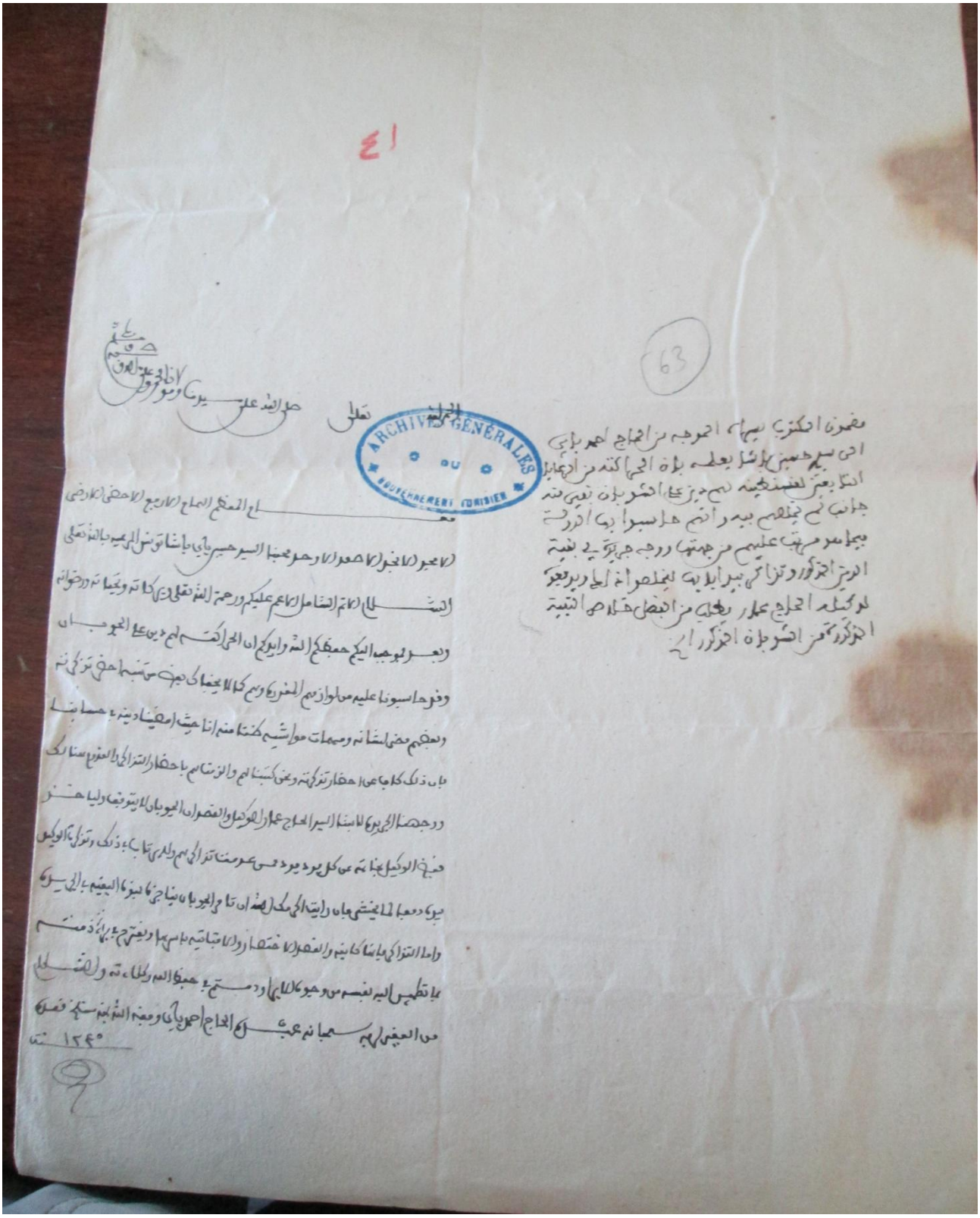
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من وكيل الحرج بباب الجهاد من الجزائر إلى حسين باشا باي تونس في أوائل شوال عام 1239هـ/1823م يعلمه فيه بجعل محمود بن المرحوم أمين السكة وكيلا للجزائر في تونس بأمر من الدولاتلي.

الملحق رقم 12.



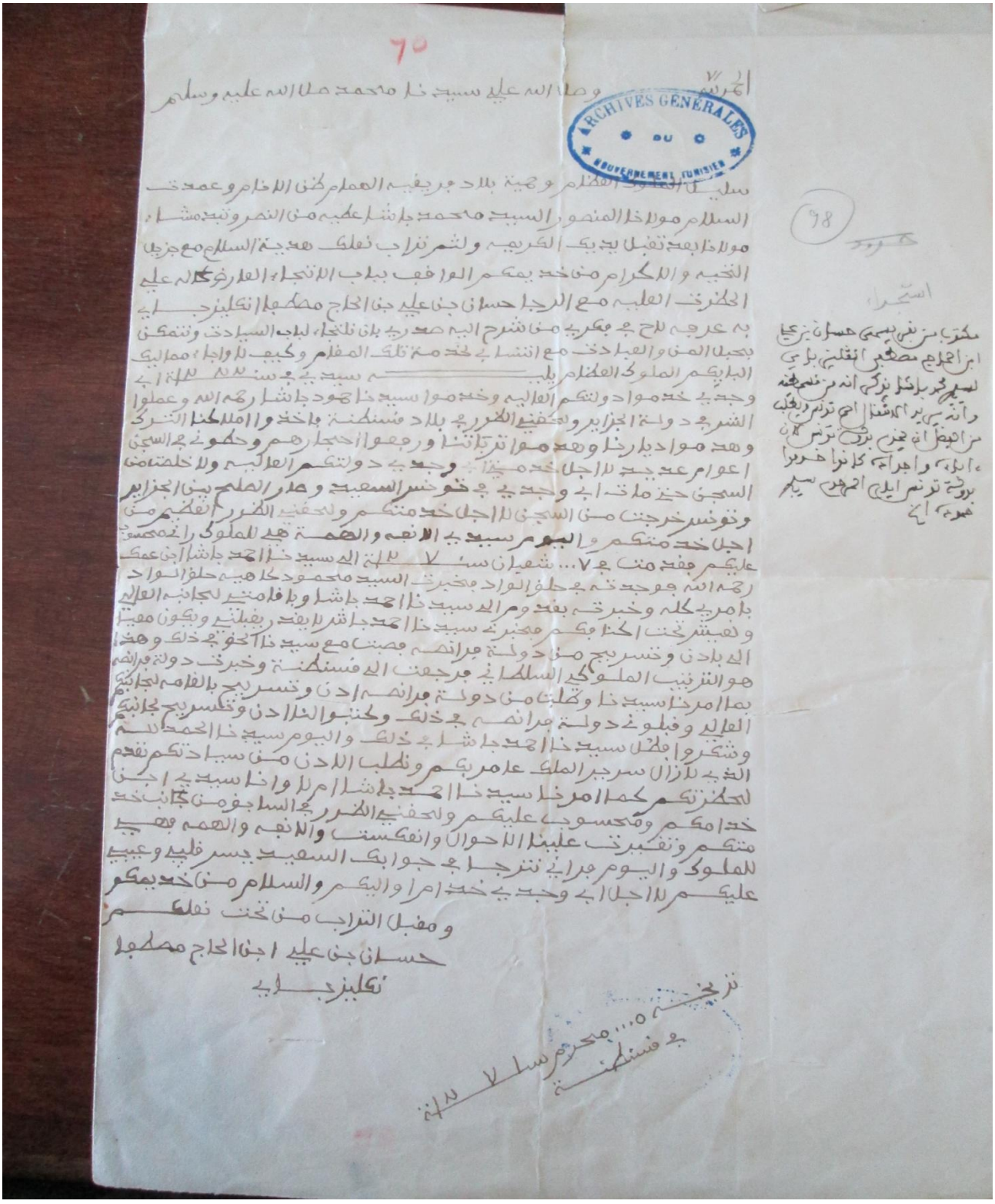
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من أهل تبسة– بتاريخ 1242هـ/1826م–يعلمون فيه إبراهيم باي قسنطينة بنزول عروش الزغالمة من رعية تونس عليهم (أي ببلد تبسة).

الملحق رقم 13.



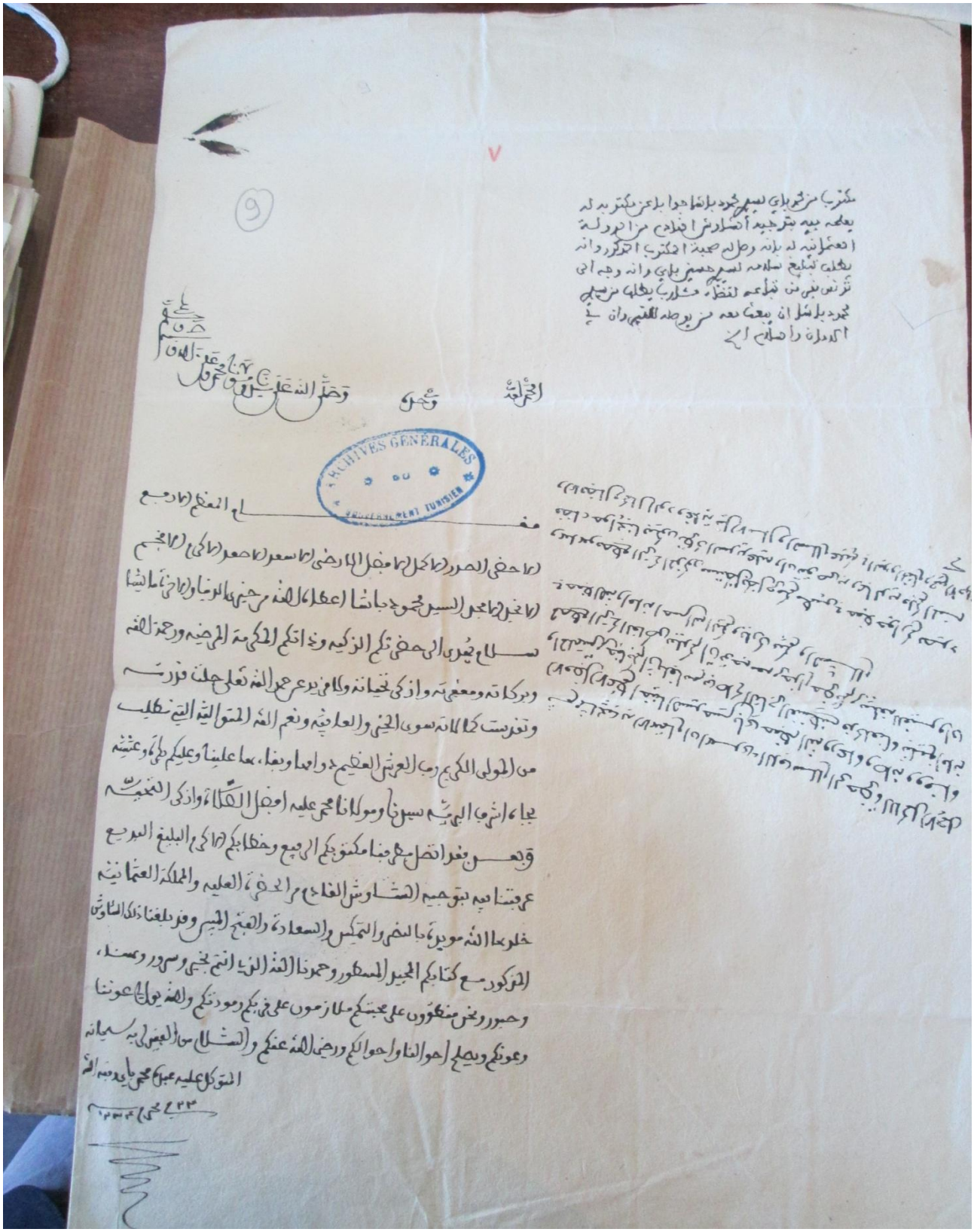
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من الحاج أحمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي أحمد باشا بتاريخ 1240هـ/1824م؛ يعلمه بأن رعاياه من قبيلة الحراكتة التابعين لمقاطعته؛ لهم ديون على رجل تونسي اسمه الشوبان–الجوبان–.

الملحق رقم 14.



أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من أحد أحفاد باي قسنطينة مصطفى انجليز؛ المسمى حسان بن علي إلى الباي التونسي عام 1271هـ/1855م يلتمس فيه السماح له بالدخول إلى الإيالة والاستقرار بها؛ نظير ما قدمه الأجداد والأباء من خدمات للبايات التونسيين.

الملحق رقم 15.



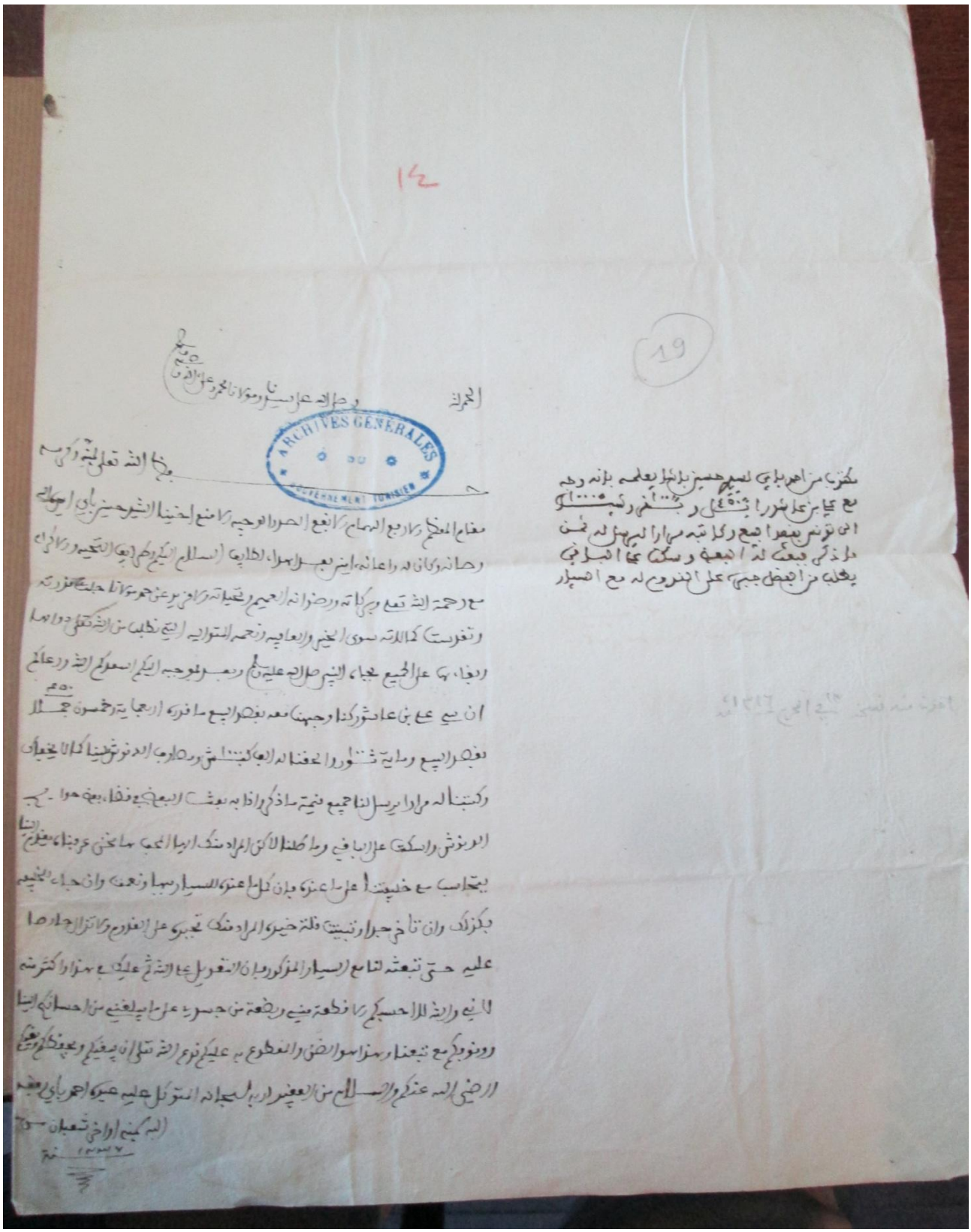
مكتوب من محمد باي إلى الباي التونسي محمود باشا يعلمه بتوجيه الشاوش القادم من الدولة العثمانية وأنه وجه إلى تونس نفر من أتباعه لقضاء مآرب، ويطلب من الأخير الالتفات إليه وتسهيل مهمة وصوله إلى القيروان بتاريخ 23 محرم 1234 هـ /1815م.

الملحق رقم 16.



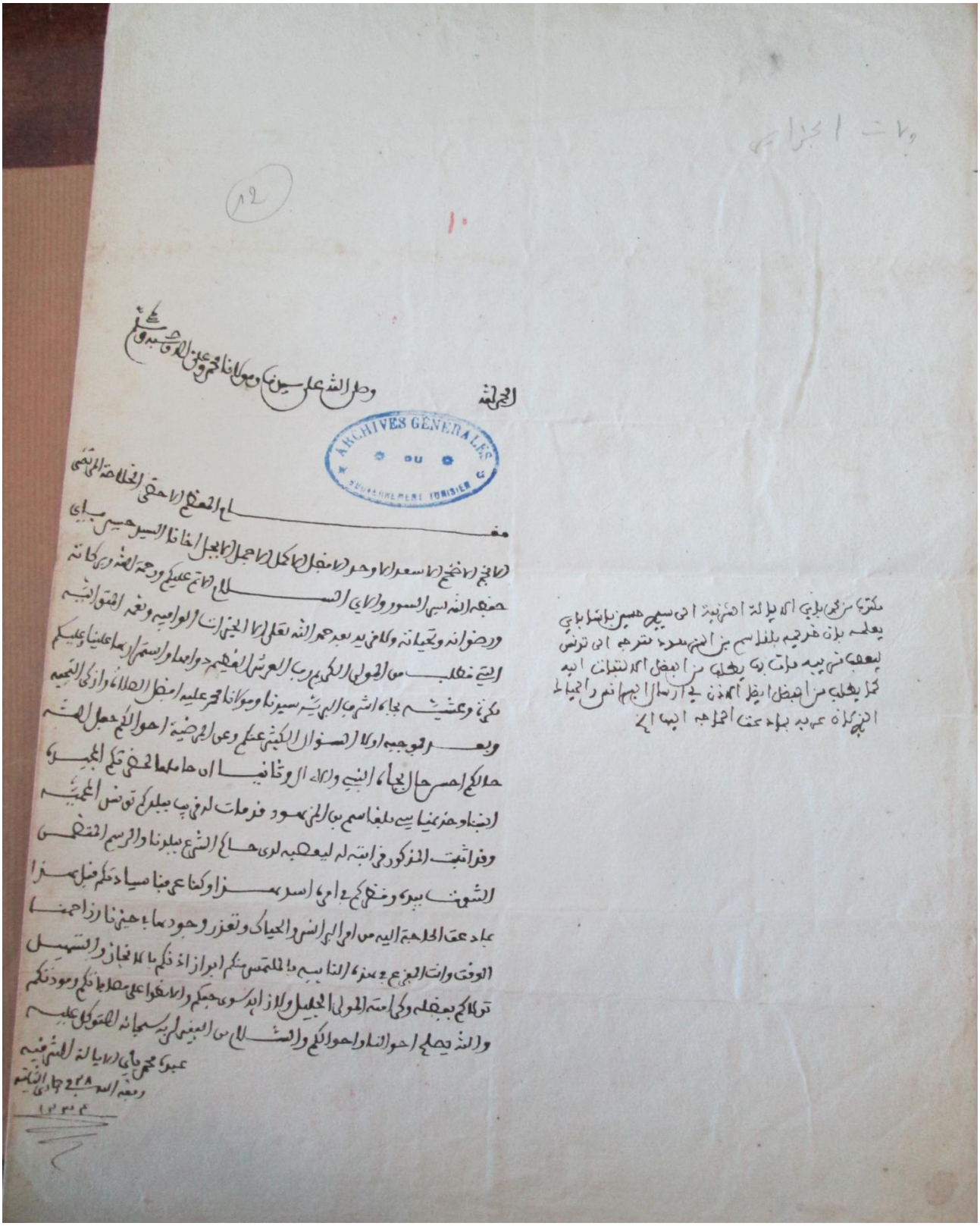
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من حين باشا داي الجزائر إلى الباي التونسي محمود باشا أوائل صفر 1223هـ/1816م؛ يعلمه فيه بازدياد مولود للسلطان العثماني.

الملحق رقم 17.



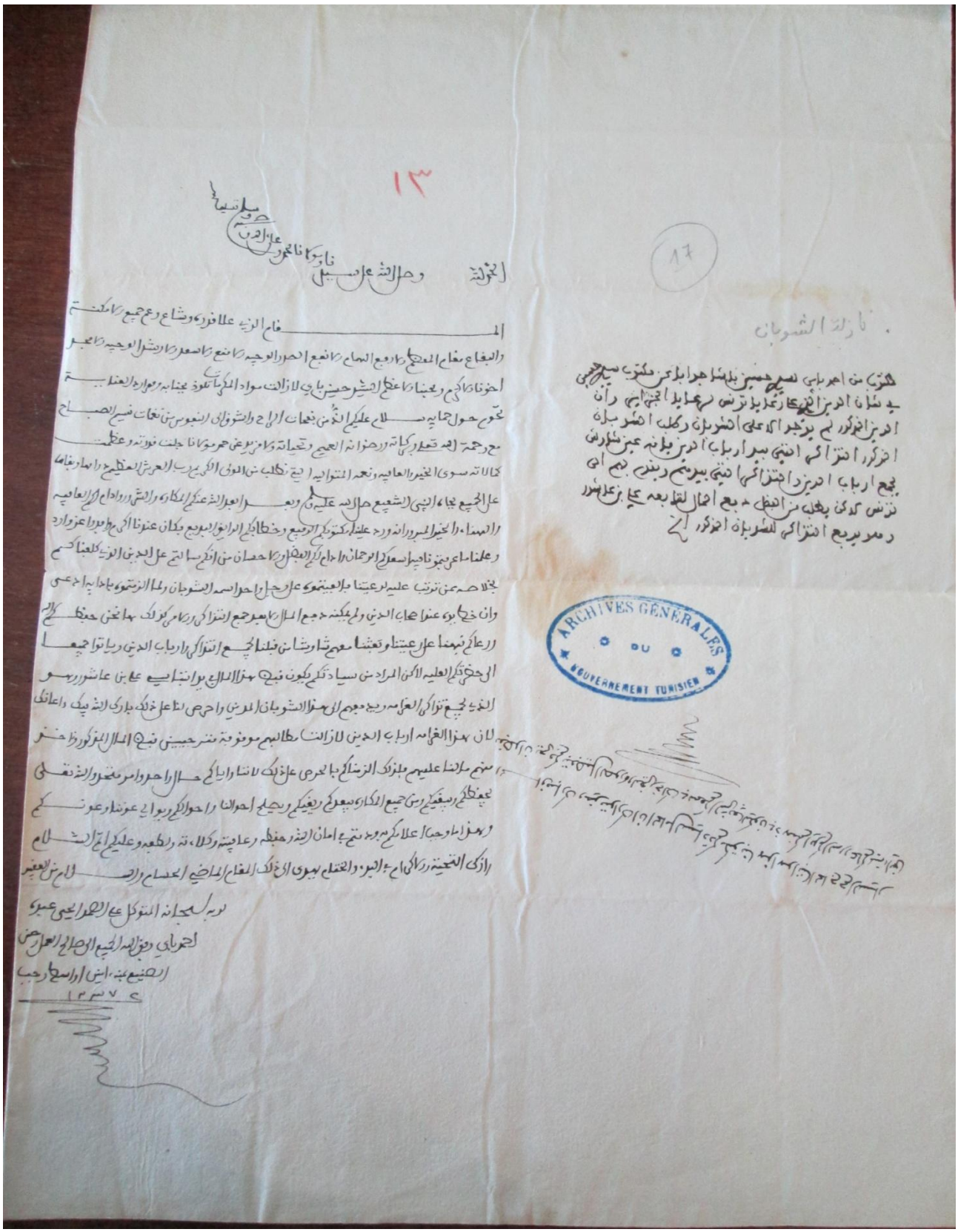
مكتوب من أحمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا يعلمه أنه وجه أحد رعاياه المسمى علي بن عاشور بإبل وبقر إلى تونس قصد البيع، بتاريخ أواخر شعبان 1237 هـ / 1821م.

الملحق رقم 18.



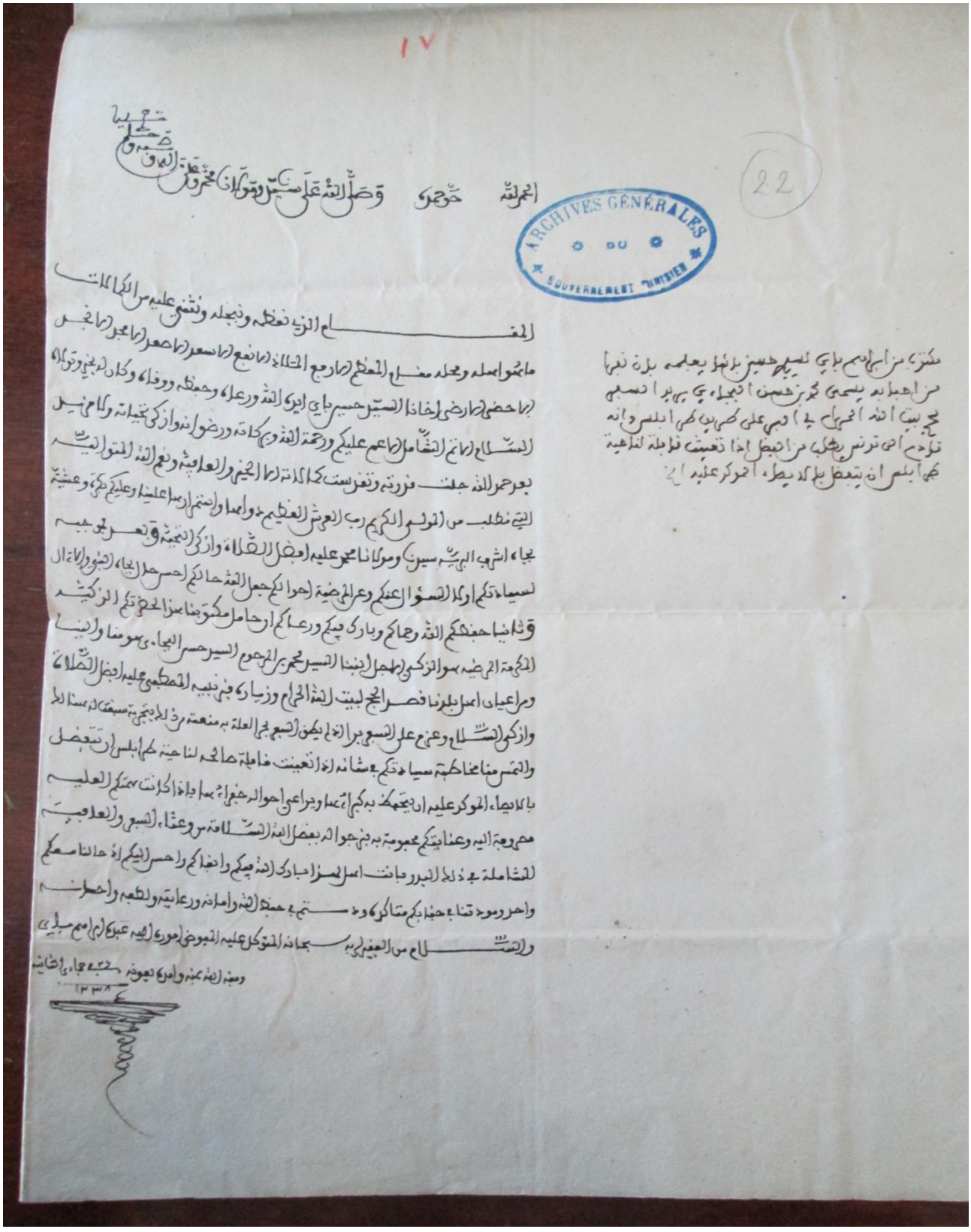
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من محمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا بتاريخ 1234هـ/1818م يعلمه بأنه أرسل خديمه المسمى بلقاسم بن المزهود إلى تونس ليعصب أحد أقربائه الذي مات هناك، إلى جانب الإذن في إرسال البرانس والحياك.

الملحق رقم 19.



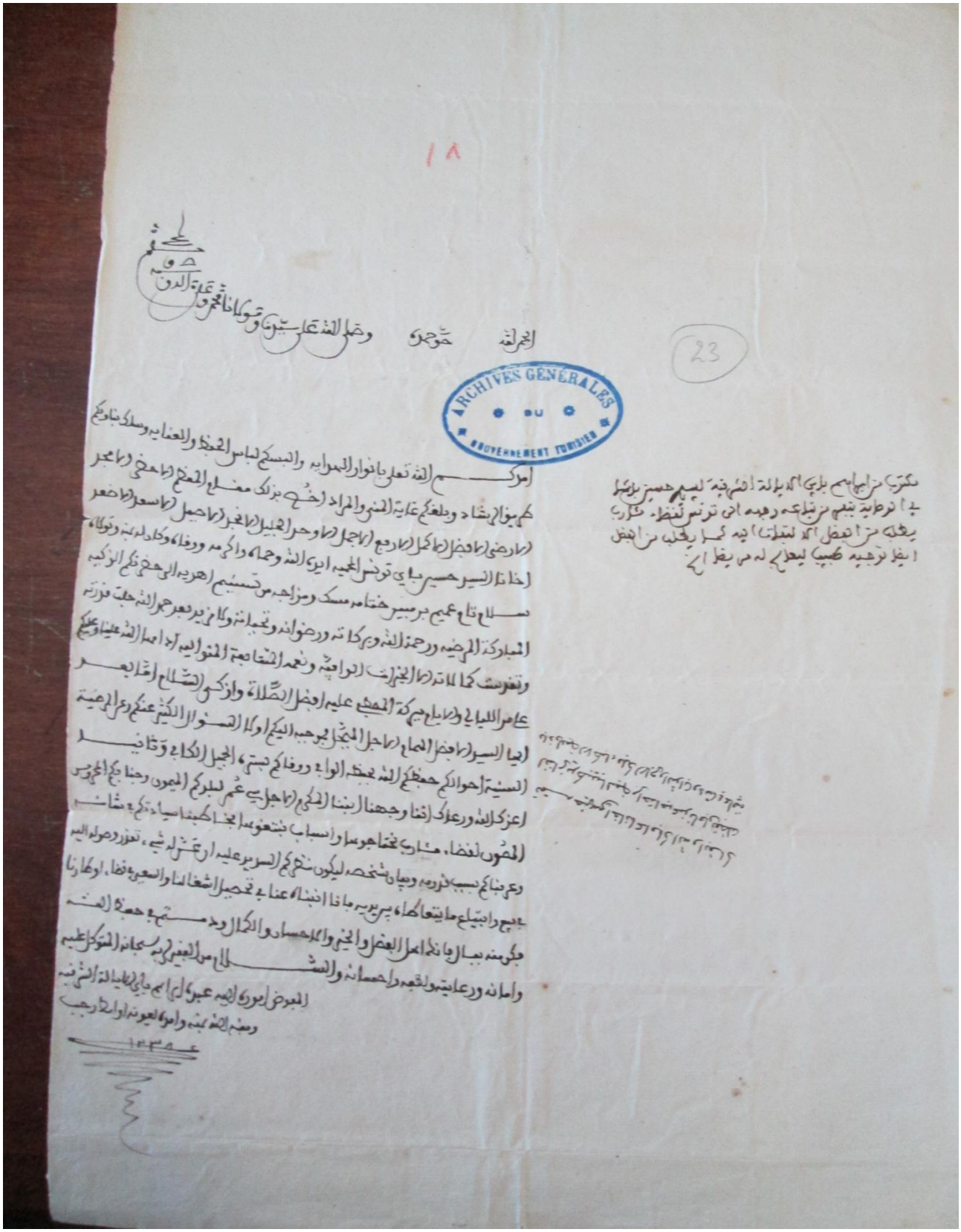
مكتوب من أحمد باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا في شأن الدين الذي على رعايا تونس لرعايا الجزائر بتاريخ أواسط رجب 1237هـ/1821 م.

الملحق رقم 20.



مكتوب من إبراهيم باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا يعلمه أنه وجه نفرا من أحبابه يسمى محمد بن حسن البجادي لحج بيت الله الحرام، ويطلب من الأخير تسهيل مهمته مع القافلة المتجهة إلى الحرم الآمن بتاريخ 26 جمادى الثانية 1238 هـ /1822م.

الملحق رقم 21.



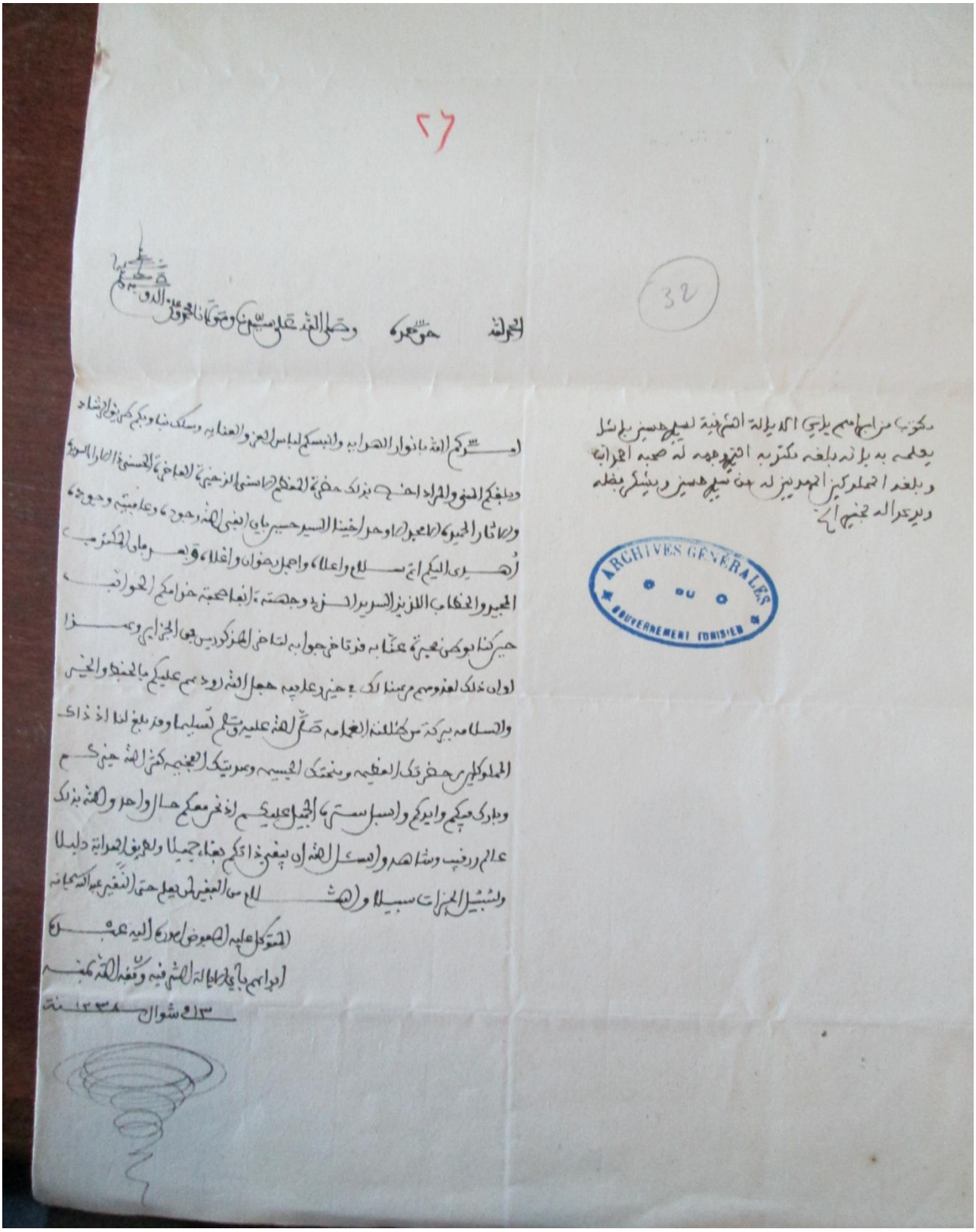
مكتوب من إبراهيم باي قسنطينة إلى الباي التونسي حسين باشا في الوصاية بنفر من أتباعه وجهه إلى تونس لقضاء مآرب، كما يطلب منه إرسال طبيب ليعالج له مريضا بتاريخ أواسط رجب 1238 هـ /1822م.

الملحق رقم 22.



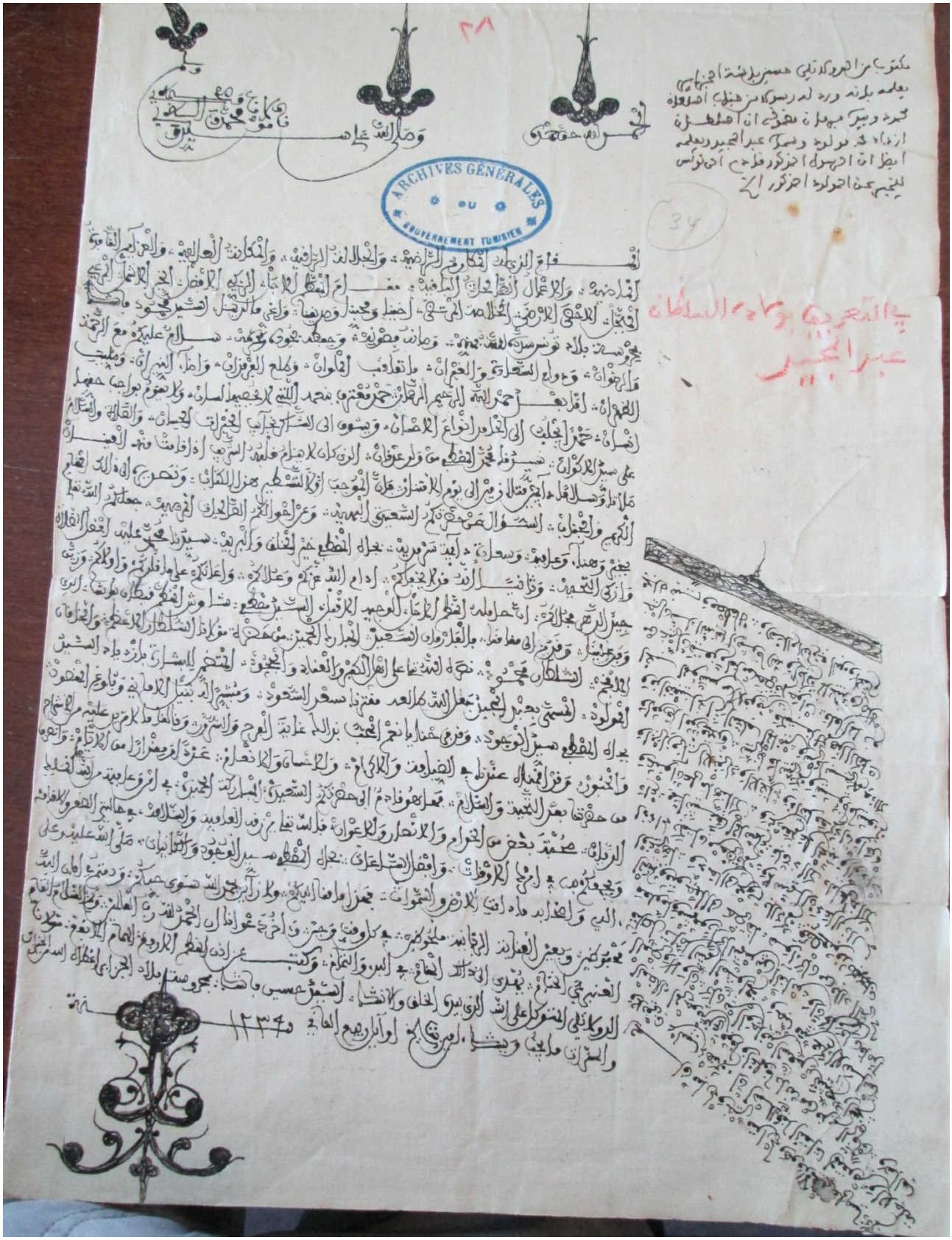
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رد من داي الجزائر حسين باشا على مكتوب للباي التونسي حسين باشا بتاريخ 1238هـ/1822م، يشكره فيه على هديته التي أرسلها والمتمثلة خمسة مماليك.

الملحق رقم 23.



أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة من إبراهيم باي قسنطينة إلى باي الإيالة التونسية حسين باشا بتاريخ 13 شوال 1238هـ/1822م؛ يعلمه فيها بوصول هديته المتمثلة في مملوكين؛ شاكرا فضله، وسعة كرمه.

الملحق رقم 24.



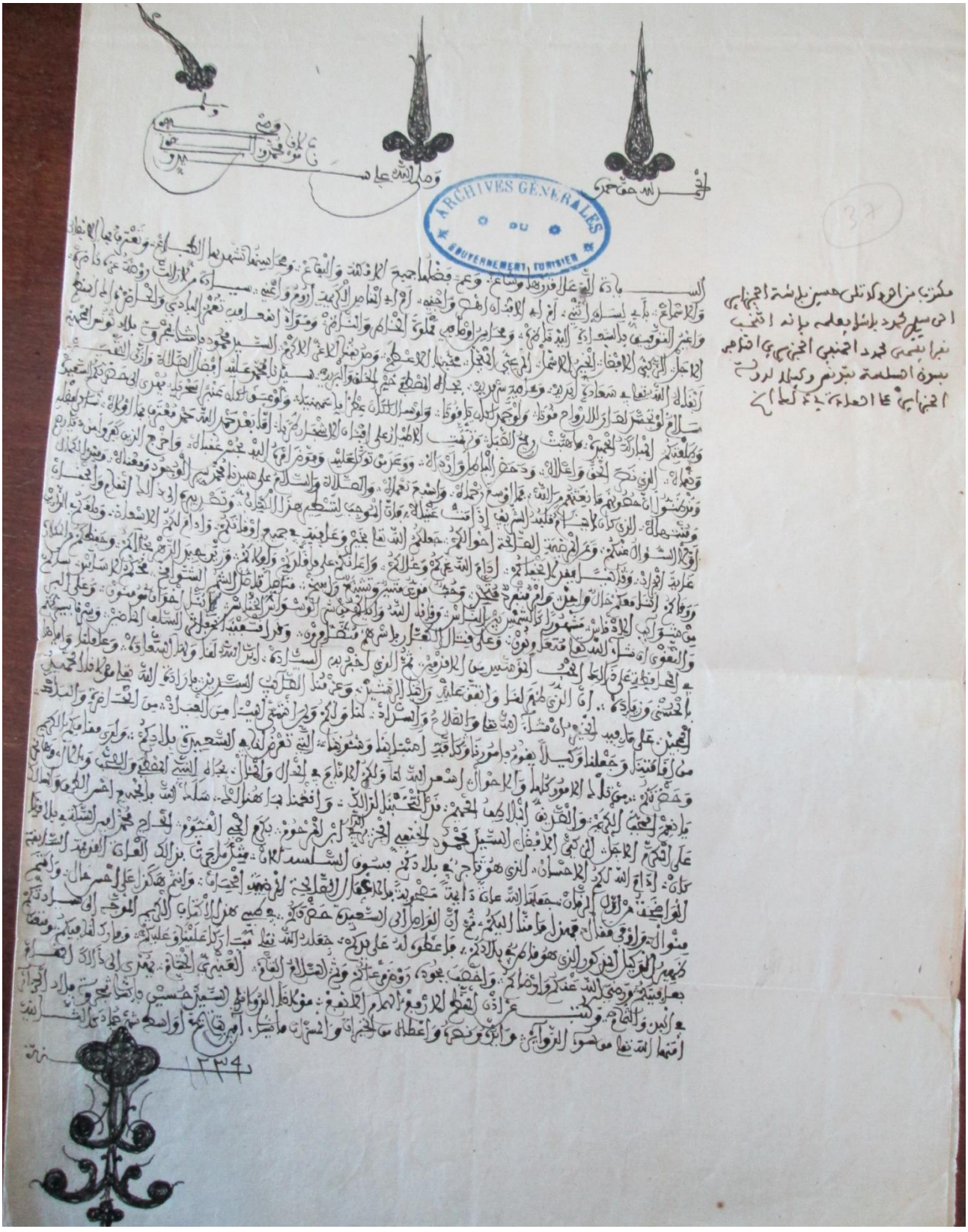
مكتوب من داي الجزائر حسين باشا إلى الباي التونسي يعلمه بازدياد مولود للسلطان العثماني وسماه عبد المجيد بتاريخ أوائل ربيع الثاني 1239 هـ /1823 م.

الملحق رقم 25.



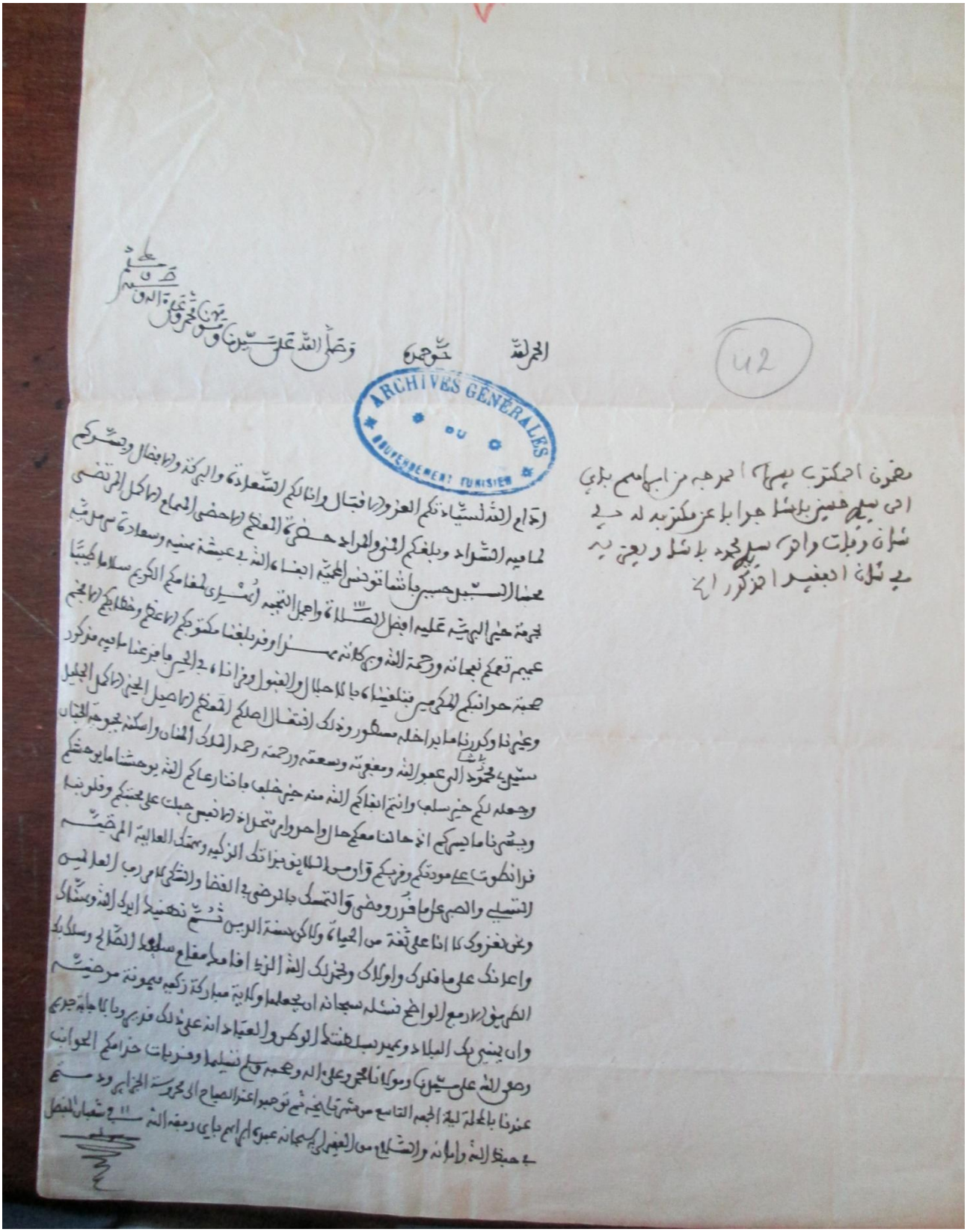
مكتوب من داي الجزائر حسين باشا إلى باي تونس يعلمه بوفاة نفر يسمى يحي بن أحمد الجيجلي بتونس وله زوجة وأخت وعصبة، يطلب من الأخير تمكين مخلفه بيد نفر موجه من الجزائر يسمى علي الجيجلي بتاريخ أواخر جمادى الأولى 1239هـ/1823م.

الملحق رقم 26.



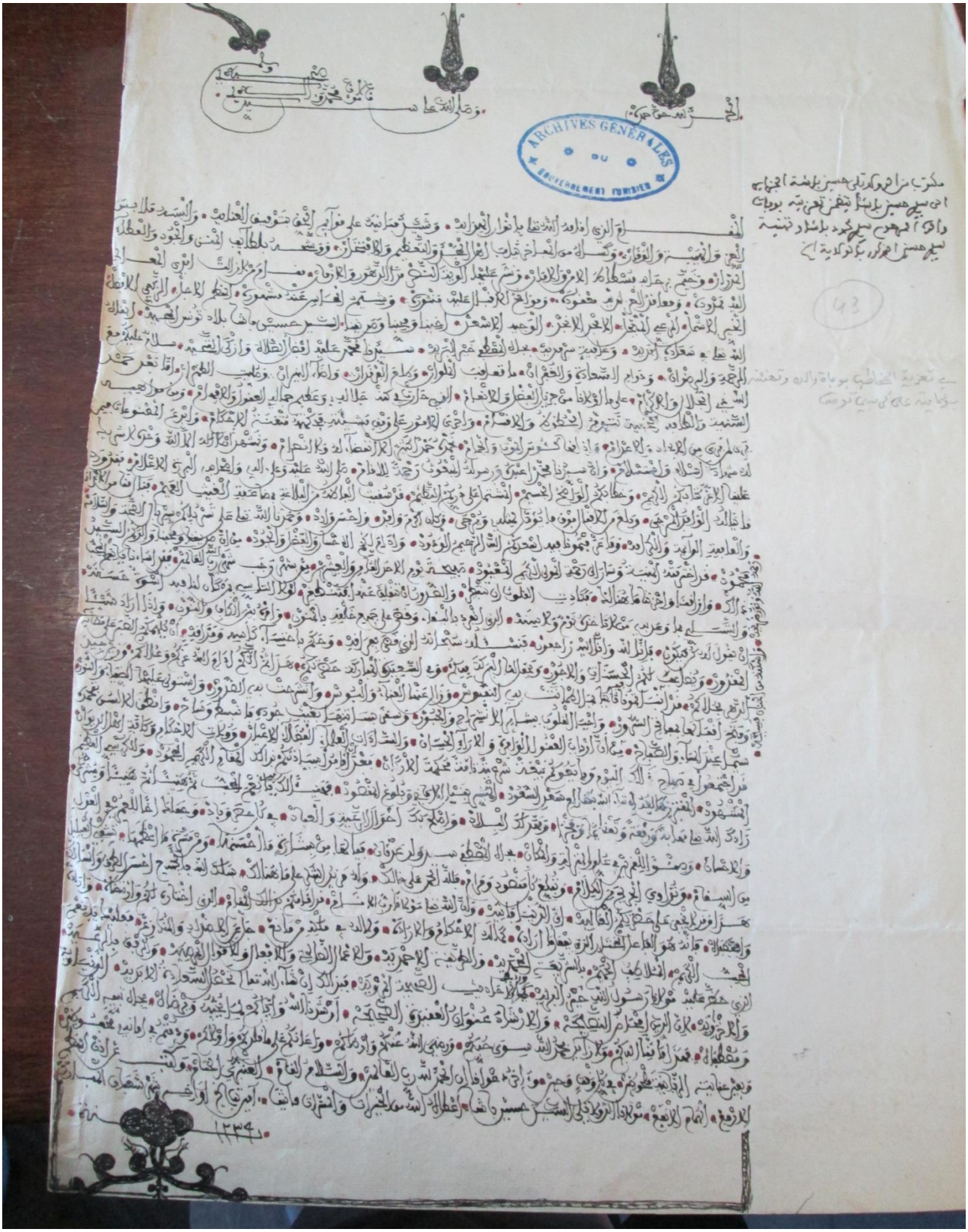
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة من حسين باشا داي الجزائري باي الإيالة التونسية محمود باشا بتاريخ أواسط جمادى 1239هـ/1823م؛ يعلمه بأنه انتخب المسمى محمود الحنفي التاجر بسوق السلسلة بتونس ليكون على العادة وكيلا للجزائر.

الملحق رقم 27.



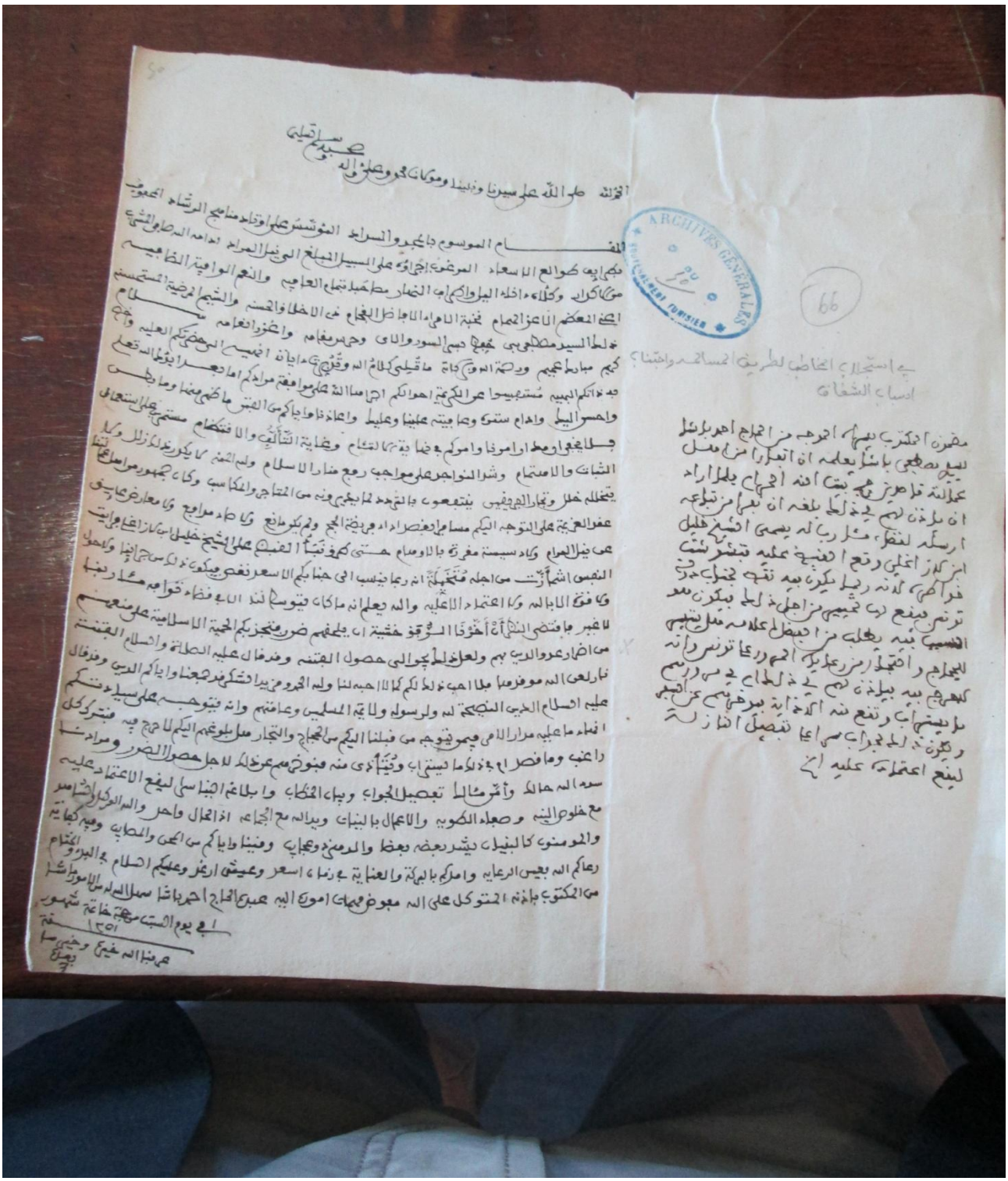
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة تعزية من إبراهيم باي قسنطينة إلى باي تونس حسين باشا في وفاة والده محمود باشا بتاريخ 1239هـ/1823م

الملحق رقم 28.



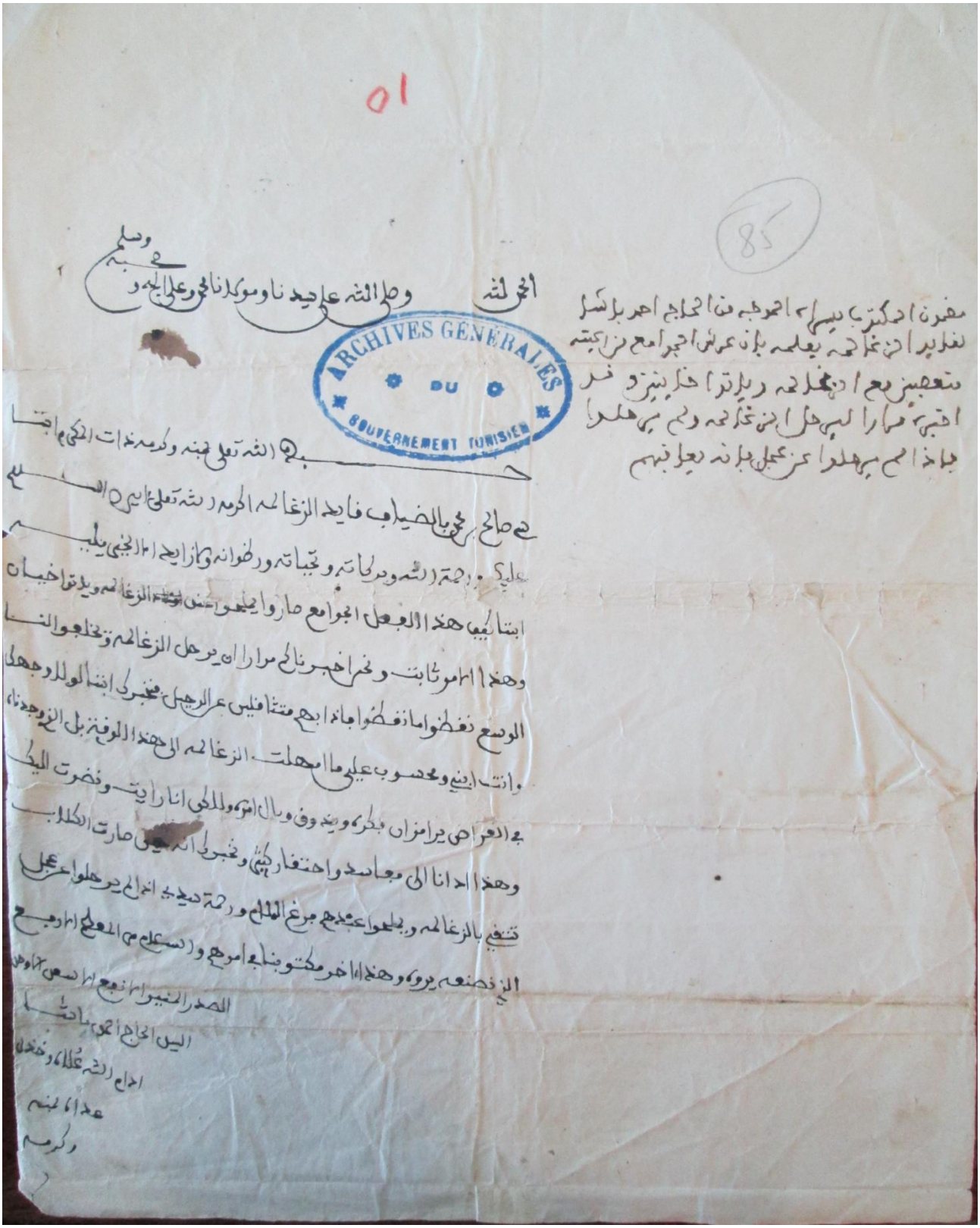
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة تعزية من حسين باشا دولاتلي الجزائر إلى باي تونس حسين باشا في وفاة والده محمود باشا بتاريخ 1239هـ/1823م.

الملحق رقم 29.



أ.و.ت: السلسلة التاريخية، رسالة من الحاج أحمد باشا باي قسنطينة إلى الباي التونسي مصطفى باشا خاتمة ذي الحجة 1251هـ/ 1834م يعلمه أن أنفارا من عمالته قاصدين الحج يطلب منه توفير الأمن لهم أثناء مرورهم على تونس.

الملحق رقم 30.



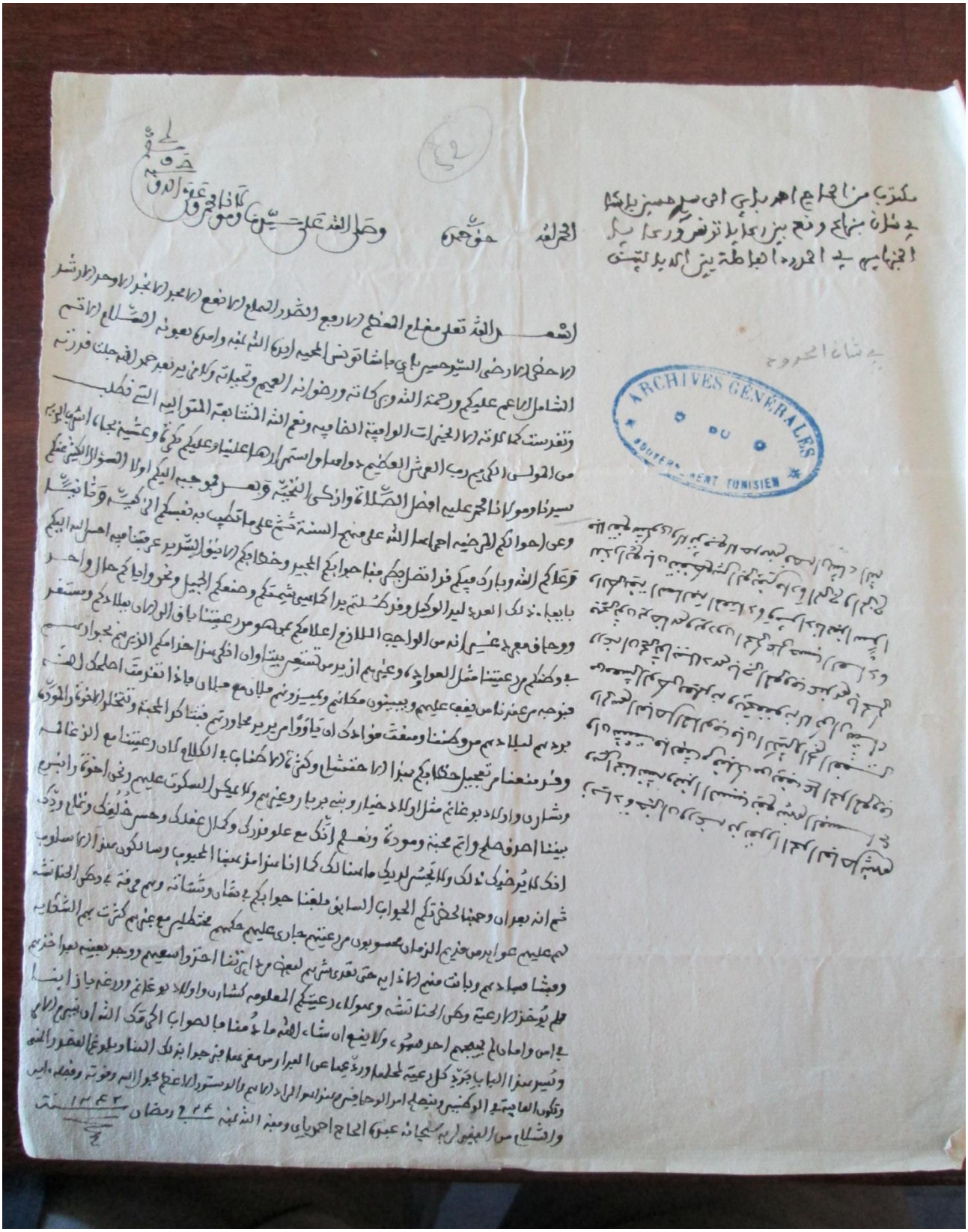
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من الحاج أحمد باشا باي قسنطينة لقائد الزغالمة سي صالح بن محمد بالضياف يعلمه أن عرش الجوامع من رعيته متعصبين بالزغالمة ويأتوا خائنين.

الملحق رقم 31.



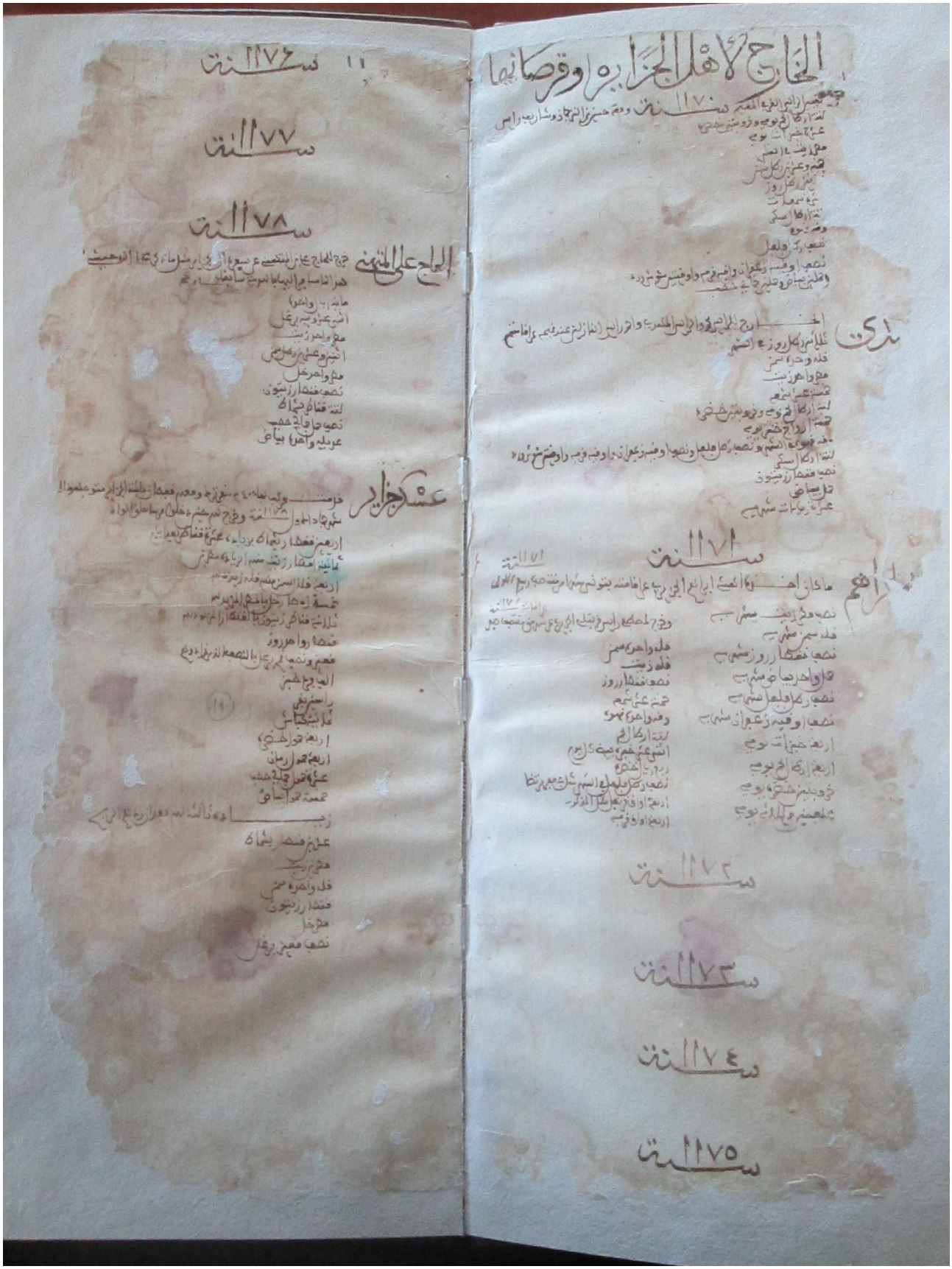
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، مكتوب من الحاج أحمد باي إلى قائد الفراشيش وكافة المشايخ يعلمهم بأنه بلغه نزول أولاد علي بن يحي وأولاد يحي بن طالب من رعيته عندهم؛ طالبا منهم ترحيلهم عن آخرهم.

الملحق رقم 32.



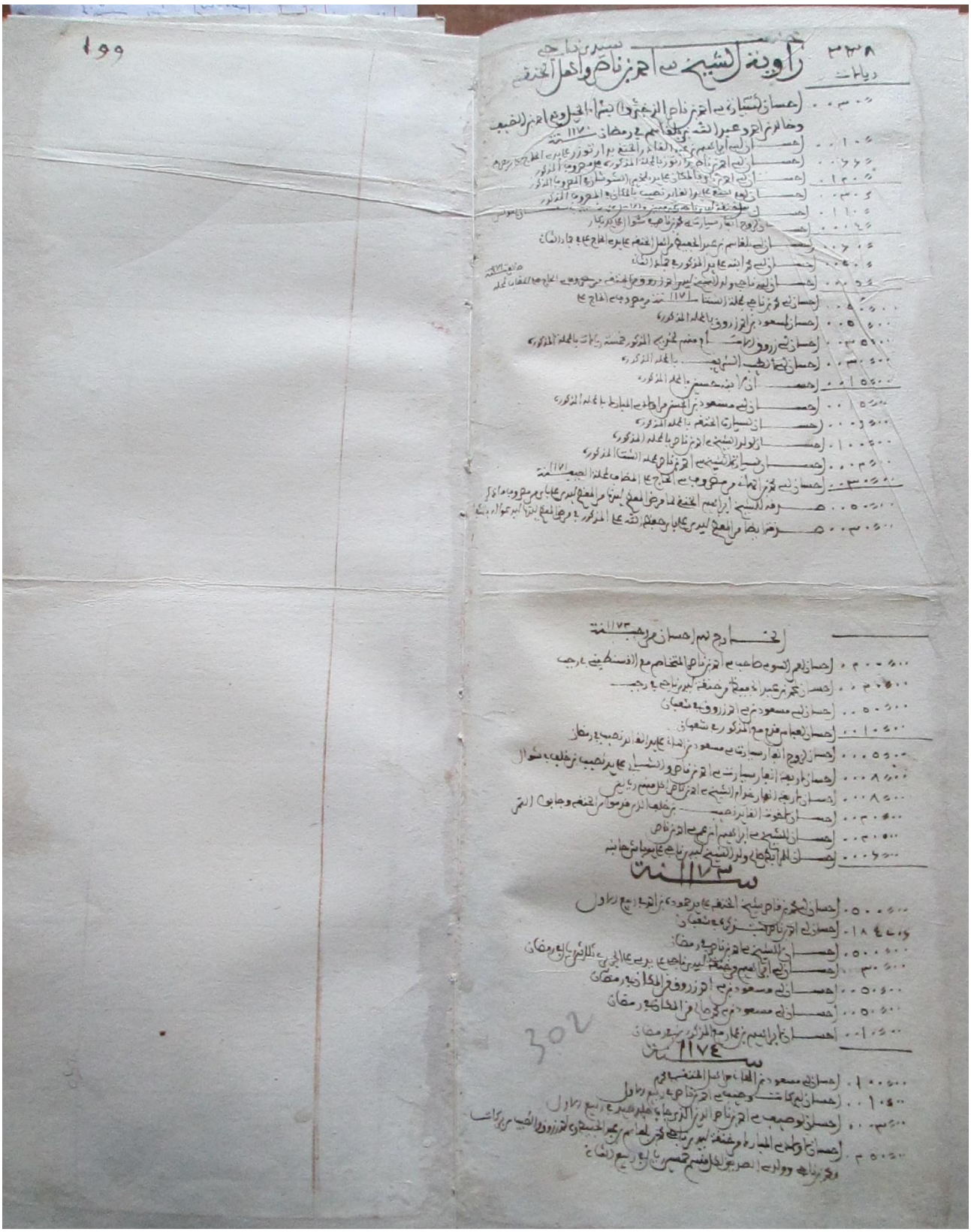
أ.و.ت: السلسلة التاريخية، المكتوب من من الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا باي تونس؛ بشأن نزاع وقع بين رعايا الإيالتين على المناطق الحدودية، ويخبره عن نزول أزيد من 90 بيتا من قبيلة العواودة(ضواحي قسنطينة) بالبلاد التونسية، طالبا منه العمل على إعادتهم إلى بلادهم.

الملحق رقم 33.



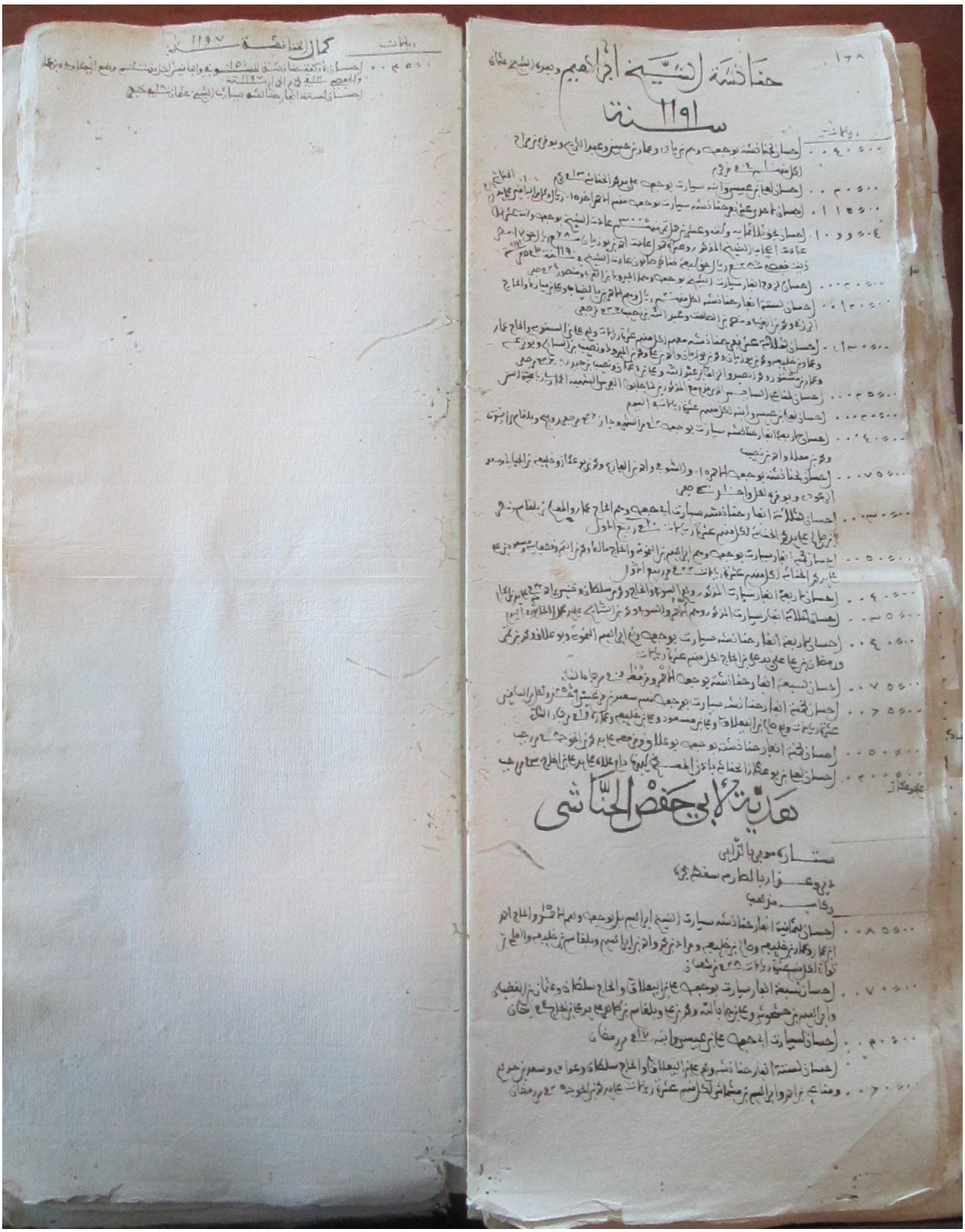
أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 1046. مؤنة مخصصة لعسكر الجزائر في سنوات 1170، 1171هـ، 1178هـ.

الملحق رقم 34.



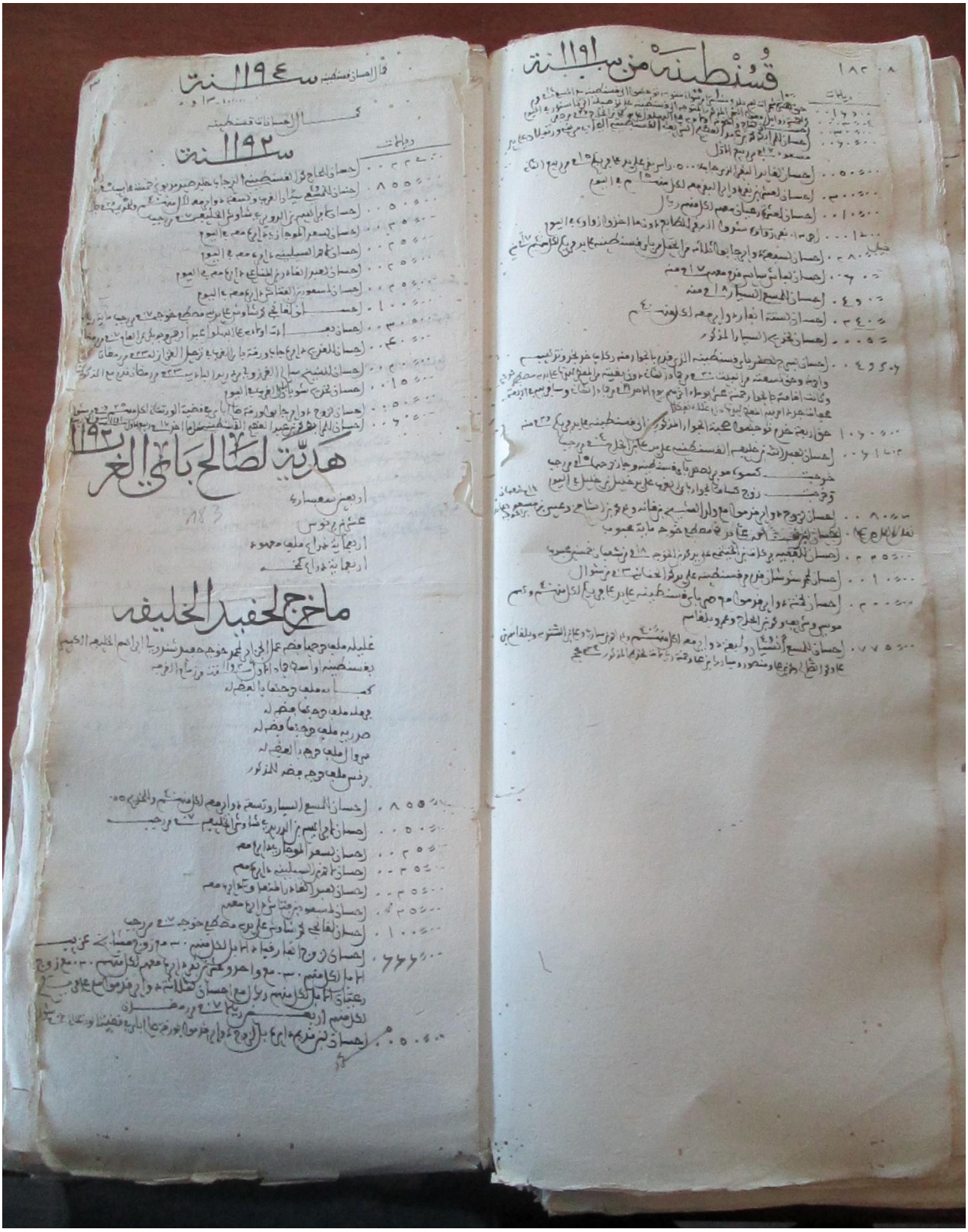
أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2144 إحسانات الباي التونسي على زاوية سيدي أحمد بن ناصر وأهل خنقة سيدي ناجي.

الملحق رقم 35.



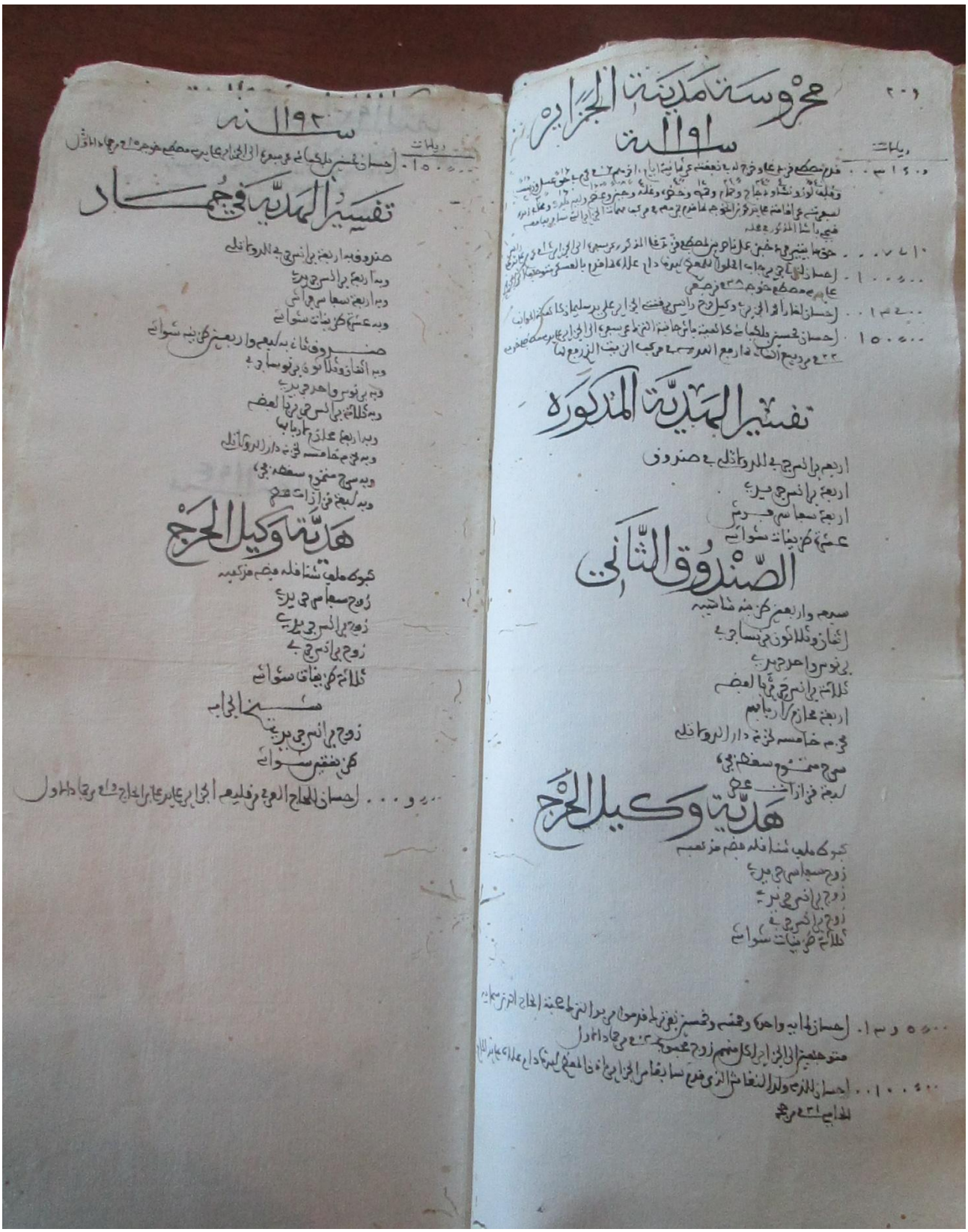
أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145. إحسانات الباي التونسي للحنانشة فرع إبراهيم الحناشي، وهدية خاصة من الباي لأبي حفص الحناشي مشيخة الفرع الآخر للقبيلة.

الملحق رقم 36.



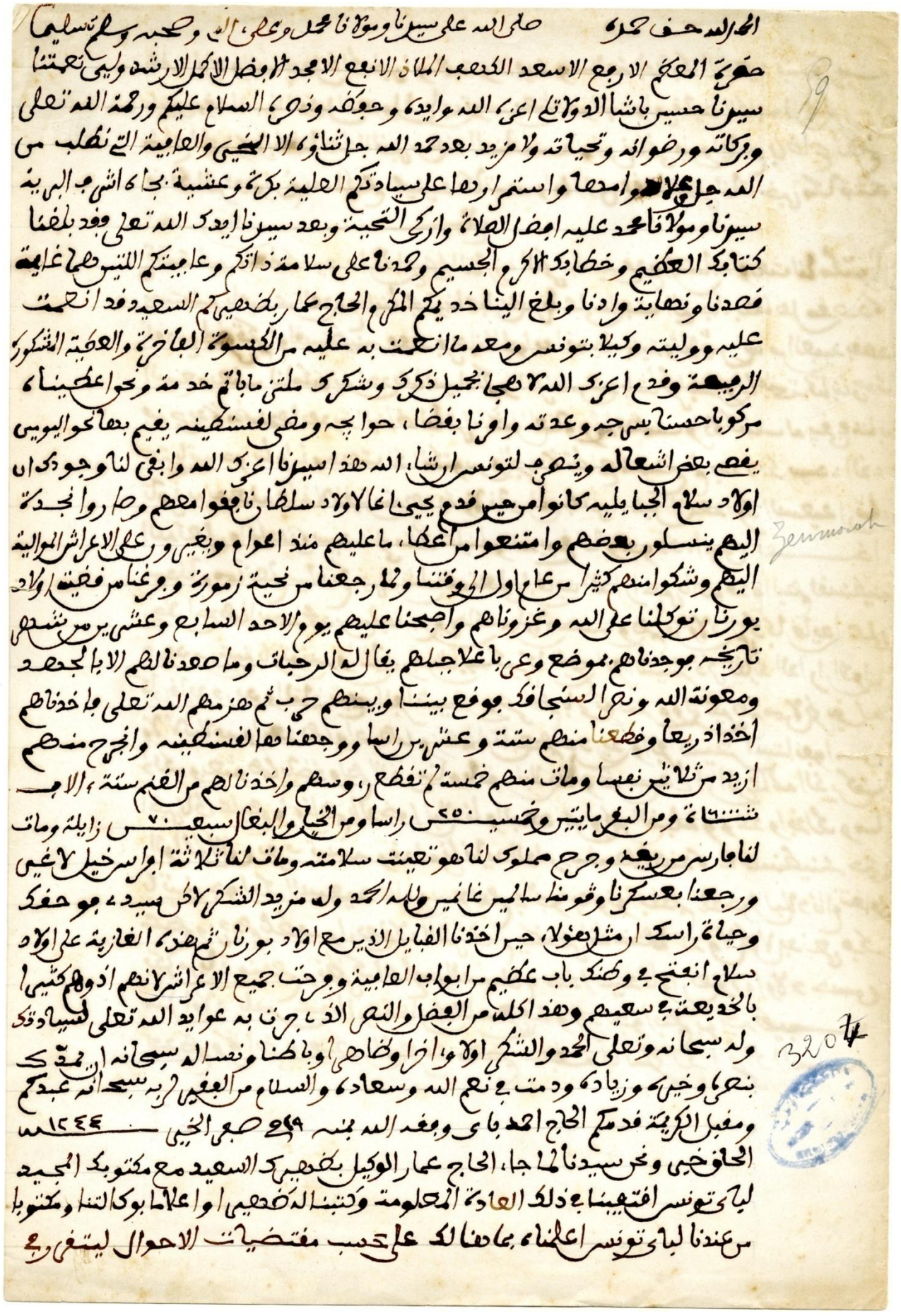
أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145. هدية من الباي التونسي لصالح باي قسنطينة عام 1192هـ/1778م

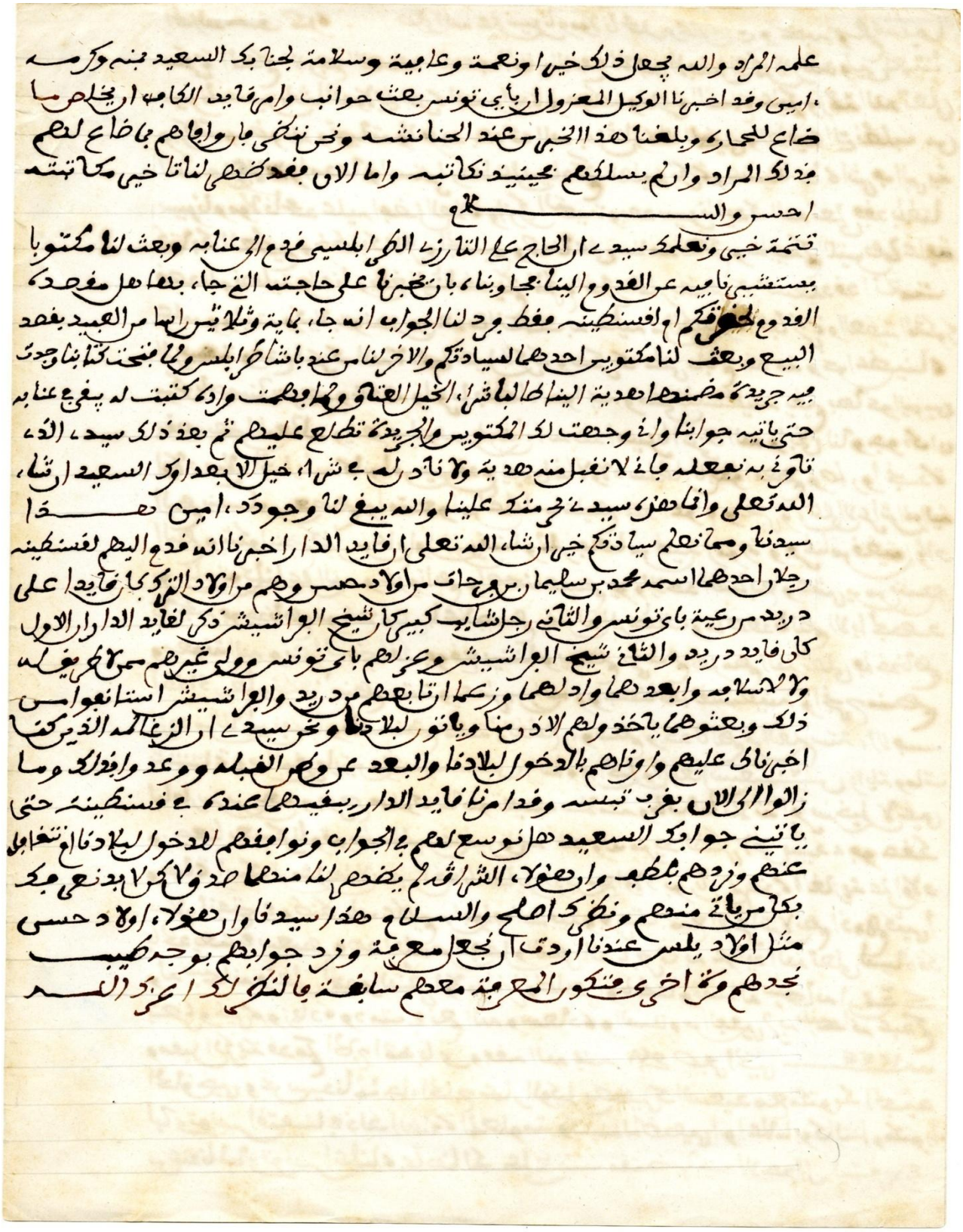
الملحق رقم 37.



أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145. هدية من الباي التونسي لدولاتلي الجزائر واحد وزرائه (وكيل الحرج) عام 1191هـ/1777م وعام 1192هـ/1778م.

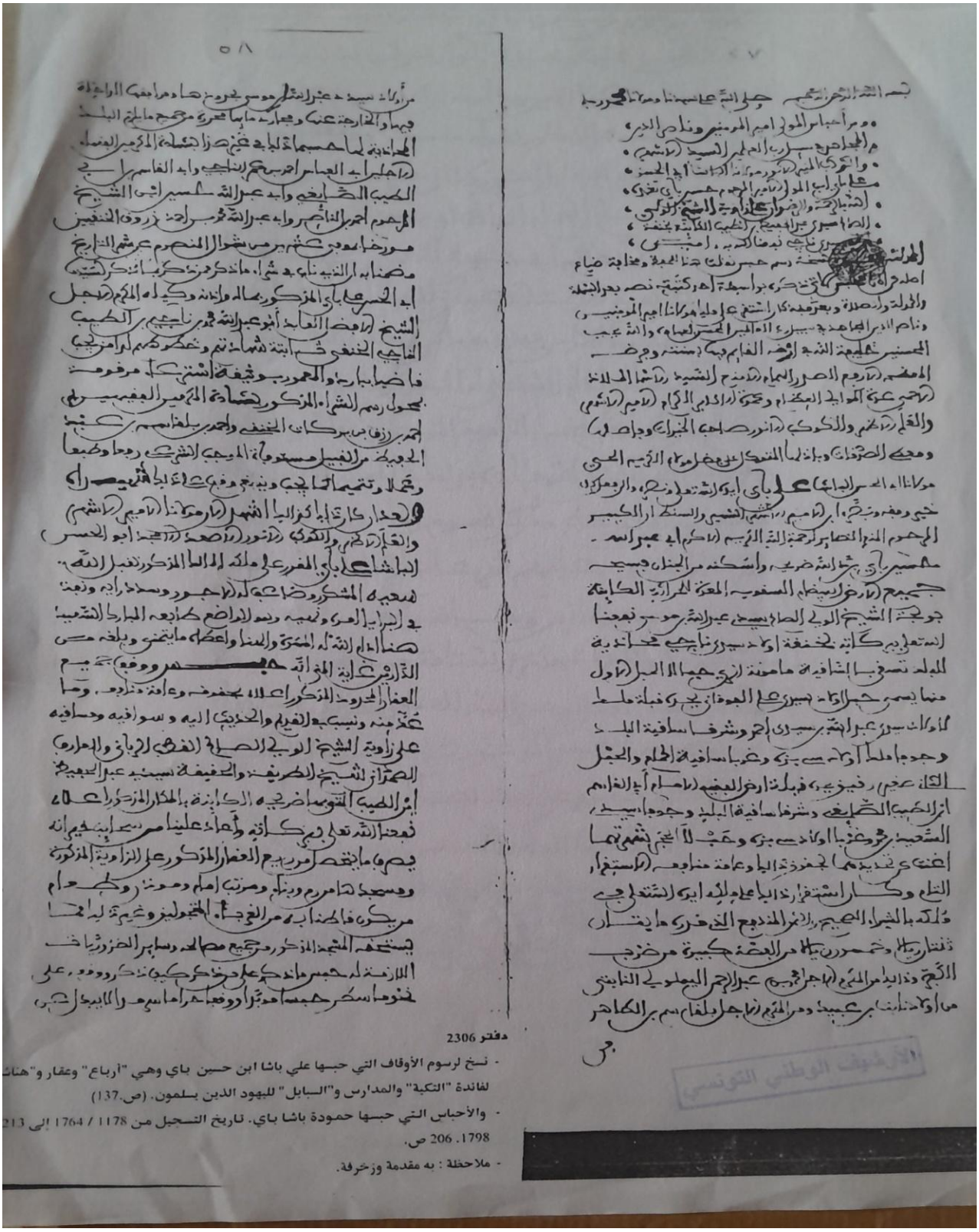
الملحق رقم 38.





المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم: 3206، الوثيقة رقم 59. **تشير إلى لجوء مشيخات قبلية تونسية إلى قسنطينة أحدهما قائد دريد والثاني كبير شيخ الفراشيش.**

الملحق رقم 39.



دفتر 2306

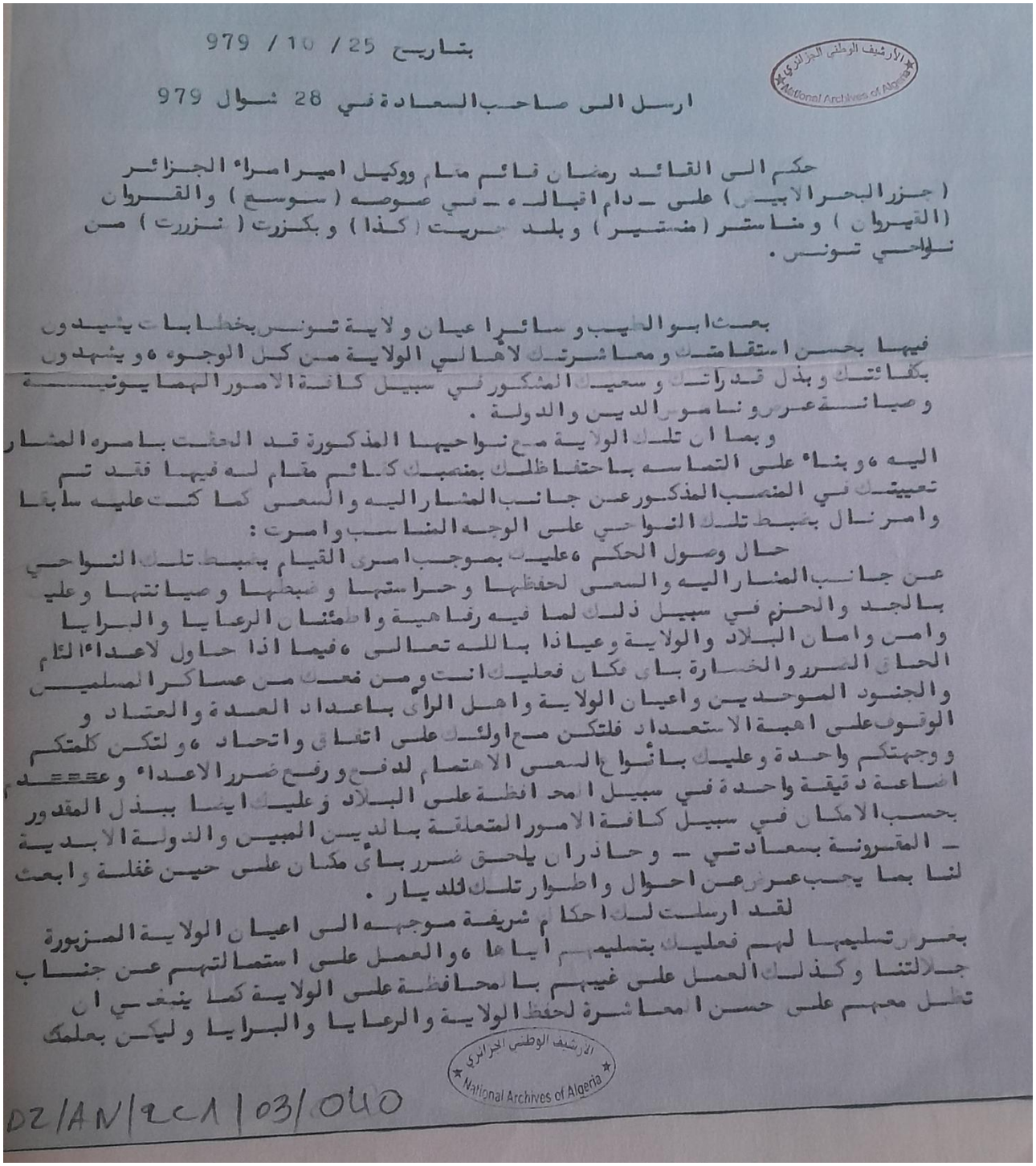
- نسخ لرسوم الأوقاف التي حبسها علي باشا ابن حسين باي وهي "أرباع" وعقار و"هنا
لفائدة "التكية" والمدارس و"السابل" لليهود الذين يسلمون. (ص.137)
- والأحباس التي حبسها حمودة باشا باي. تاريخ التسجيل من 1178 / 1764 إلى 213
1798. 206 ص.
- ملاحظة : به مقدمة وزخرفة.

أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، **الدفتر رقم: 2306، وقف علي باي الحسيني(1759-1782م) على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي، يتمثل في حبس أرض سقوية بولجة سيدي عبد الله بن موسى بخنقة سيدي ناجي .**

نص الوثيقة: " ...من أحباس الولى أمير المؤمنين وناصر الدين ...علي باي ابن المولى الأمير المرحوم حسين باي تغمده الله بالرحمة والرضوان على زاوية الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الحفيظ بن الطيب الكائنة بخنقة سيدي ناجي نفعنا الله به آمين. الحمد لله نسخة رسم نقلت هنا للحفظ ومخافة ضياع أصله عن إذن المحبس الآتي ذكره بواسطة أحد كتبته نصه بعد البسملة والحمد لله والصلاة وبعد فقد كان استقر على ملك مولانا أمير المؤمنين ... مولانا أبي الحسن الباشا علي باي أيده الله تعالى ونصره ....جميع الأرض البيضاء السقوية المعدة للحراثة الكائنة بولجة الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الله بن بن موسى نفعنا الله تعالى به كاينة بخنقة أولاد سيدي ناجي محاذية للبلد تسقى بالساقية مأمونة الري حبالا الحبل الأول منها يسمى حبل أولاد سيدي علي الفوقاني ...والحبل الثاني صغير رقيق يحده قبلة أرض الفقيه الإمام أبي القاسم بن الطيب الصايغي ...شهرتهما أغنت عن تحديدهما بحقوق ذالك وعامة منافعه الاستقرار التام وكان استقرار ذالك على ملكه أيده الله تعالى في ملكه بالشراء الصحيح والثمن المندفع الذي قدره مايتان ثنتان ريالا وخمسون ريالا من الفضة كبيرة من ضرب الكفرة وذالك من المكرم الأجل محمد بن عبد الرحمن اليملولي النابتي من أولاد نابت بن عبيد ومن المكرم الأجل بلقاسم بن الطاهر من أولاد سيدي عبد الله ابن موسى بحدودها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها ومجاري مائها محررة من جميع ما يلزم البلد المحاذية لها حسبما ذالك في غير هذا بشهادة المكرمين الفقهاء الأجلين أبي العباس أحمد بن عمر الناجي وأي القاسم بن أبي الطيب الصايغي وأبي عبد الله حسين ابن الشيخ المرحوم أحمد بن الناصر وأبي عبد الله محمد بن أحمد زروق الخنقيين مؤرخا بموفى عشرين من شوال المنصرم عن شهر التاريخ مضمنا به أن الذي ناب في شراء ما ذكر ممن ذكر بما ذكر لسيدي أبي الحسن علي باي المذكور بماله واذنه وكيله المكرم الأجل الشيخ الأفضل العابد أبو عبد الله محمد بن ناجي بن الطيب الناجي الخنقيثابتة شهادتهم وخطوطهم...قاضيا ببباردو والمحمود بوثيقة استرعاه مرفوقة بمحول رسم بشهادة المكرمين الفقيهين أحمد بن رزق بن بركات الخنقي وأحمد بن بلقاسم بن عبد الحفيظ من القبيل مستوفاة الموجب الشرعي رفا وطبعا وعملا وتتميما كما يجب وينبغي وقف على ذلك شهيداه ..مولانا الأشهر والعلم الأظهر ...الأمجد أبو الحسن الباشا علي باي المقرر على ملكه المالك المذكور تقبل الله سعيه المشكور وضاعف له الأجر ..وهو الواضع طابعه المبارك السعيد...حبس ووقف جميع العقار المحدد المذكور أعلاه بحقوقه وعامة منافعه وما عد منه ونسب في القديم والحديث إليه وسواقيه ومساقيه على زاوية الشيخ الولي الصالح القطب الرباني والعارف الصمداني شيخ الطريقة والحقيقة سيدي عبد الحفيظ ابن الطيب التي بها ضريحه الكائنة بالمكان المذكور أعلاه نفعنا الله ببركاته وأعاد علينا من سحائب خيراته يصرف ما يتحصل من ريع العقار المذكور على الزاوية المذكورة ومسجدها من رم وبناء ومرتب امام ومؤذن وطعام من يكون قاطنا به من الغرباء المتجولين وغير ذلك مما ستحقه المسجد المذكور من جميع مصالحه وساير الضروريات اللازمة له حبس ذلك على من ذكر كيف ذكر ووقعه على نحو ما سطر حبسا مدبرا ووقفا حراما سرمدا لا يبدل...مكتفيا في انعقاد حبسه المذكور بقوله حبست ووقفت ...وعن بقية الأيمة والأعيان القيل يكفي في انعقاد الحبس ذالك ترغيبا للناس في الأحباس وجعل النظر في ذالك لنفسه مدة حياته ثم لمن يكوزن شيخا بالزاوية بالزاوية المذكورة وناظرا عليها الجعل التام شهد على اشهاده بذلك في الحالة الجايزة وهو حفظه الله تعالى ورعاه ومن كل سوء وقاه وحماه على أكمل حالات المشهود عليهم شرعا بتاريخ بتاريخ أواخر ذي القعدة الحرام سنة سبع وثمانين ومائة وألف مه هجرته صلى الله عليه وسلم والمعرفة به أعزه الله تامة متمم ذالك بشهادة الفقيه العدل أبي عبد الله محمد العش ومعه غيره من عدول تونس وبيض رسم التحبيس المذكور طابع السيد الأمير المحبس المذكور مرسوم على الفضة..."

أ.و.ت- الدفتر الإدارية والجبائية، **الدفتر رقم: 2306، وقف علي باي الحسيني(1759-1782م) على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي، يتمثل في حبس أرض سقوية بولجة سيدي عبد الله بن موسى بخنقة سيدي ناجي .**

الملحق رقم 40.



بتاريخ 25 / 10 / 979

ارسل الى صاحب السعادة في 28 شوال 979

حكم الى القائد رمضان قائم مقام ووكيل امير امراء الجزائر (جزر البحر الابيض) على - دام اقباله - في عوضه (سوسع) والقيروان (القيروان) ومناستر (منستير) وبلد حريت (كذا) وبكزرت (نزرت) من نواحي تونس.

بعث ابو الطيب وسائر اعيان ولاية تونس بخطابات يشيدون فيها بحسن استقامتك ومعاشرتك لاهالي الولاية من كل الوجوه، ويشهدون بكفائتك وبذل قدراتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الامور الهمايونية وصيانة عرونا موس الدين والدولة.

وبما ان تلك الولاية مع نواحيها المذكورة قد الحقت بامره المشار اليه، وبناء على التماسه باحتفاظك بمنصبك كقائم مقام له فيها فقد تم تعيينك في المنصب المذكور عن جانب المشار اليه والسعي كما كتب عليه سابقا وامر نال بضبط تلك النواحي على الوجه المناسب وامرت:

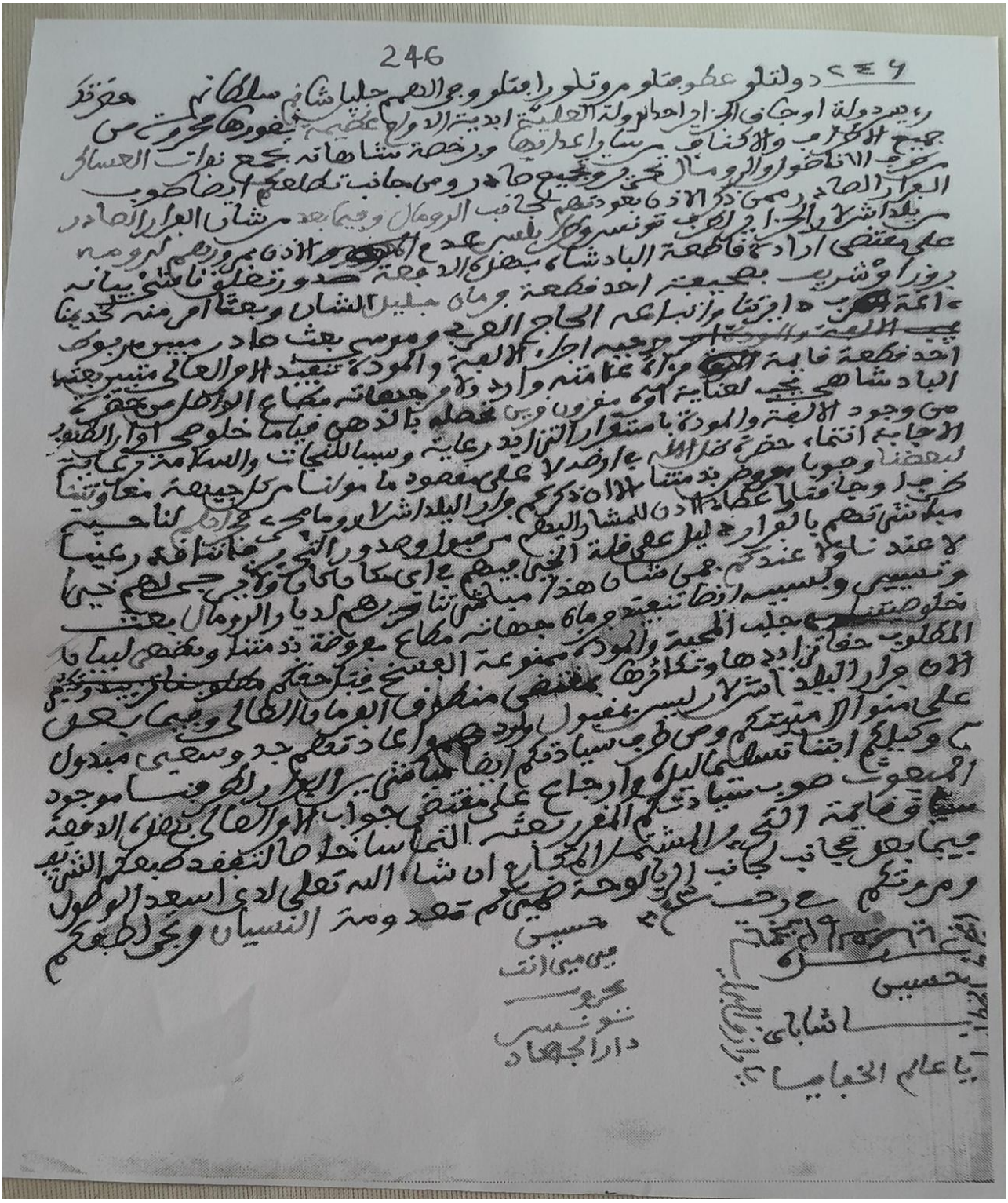
حال وصول الحكم، عليك بموجب امري القيام بضبط تلك النواحي عن جانب المشار اليه والسعي لحفظها وحراستها وضبطها وصيانتها وعليك بالجد والحزم في سبيل ذلك لما فيه رفاهية واطمئنان الرعايا والبرايا وامن وامان البلاد والولاية وعياذا بالله تعالى، فيما اذا حاول لاعداء اللئام الحاق الضرر والخسارة باي مكان فعليك انت ومن معك من عساكر المسلمين والجنود الموحدين واعيان الولاية واهل الراي باعداد العدة والعتاد والوقوف على اهبة الاستعداد فلتكن مع اولئك على اتفاق واتحاد، ولتكن كلمتكم ووجهتكم واحدة وعليك بانواع السعي الاهتمام لدفع ورفع ضرر الاعداء وعدم اضاعة دقيقة واحدة في سبيل المحافظة على البلاد وعليك ايضا ببذل المقدور بحسب الامكان في سبيل كافة الامور المتعلقة بالدين المبين والدولة الابدية - المقرونة بسعادتي - وحاذر ان يلحق ضرر باي مكان على حين غفلة وابعث لنا بما يجب عرضه عن احوال واطوار تلك الديار.

لقد ارسلت لك احكام شريفة موجهة الى اعيان الولاية المزبورة بعزم تسليمها لهم فعليك بتسليمهم اياها، والعمل على استمالتهم عن جناب جلالتنا وكذلك العمل على غيبهم بالمحافظة على الولاية كما ينبغي ان تظل معهم على حسن المعاشرة لحفظ الولاية والرعايا والبرايا وليكن بعلمك

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria
DZ/AN/2C1/03/040

أ.و.ج: مهمة دفتري، صحيفة رقم 25، حكم رقم 37، بتاريخ 1/10/ 979.

الملحق رقم 41.



المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم: 3190، الوثيقة رقم 246. تشير إلى فرار الجند من اليولداش عبر الأراضي التونسية.

المصادر والمراجع المعتمدة

البيبليوغرافيا:

أولا_قائمة المصادر:

*** القرآن الكريم**

01-الوثائق الأرشيفية:

أ-الأرشيف الوطني الجزائري:

- سجلات المحاكم الشرعية:

أ.و.ج: س.م.ش، العلبة 06، الوثيقة 7.

أ.و.ج: س.م.ش: العلبة 2/9، م3، الوثيقة: 1.

أ.و.ج: س.م.ش، العلبة: 10، الوثيقة: 20.

أ.و.ج: س.م.ش، العلبة رقم 1/19، الوثيقة رقم: 38.

أ.و.ج: س.م.ش، العلبة 1/26، الوثيقة 8.

أ.و.ج: س.م.ش، العلبة: 123، الوثيقة رقم: 26.

أ.و.ج: س.م. ش، علبة31، الوثيقة رقم: 41

أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 57، الوثيقة: 02.

أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 58، الوثيقة: 35.

أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 60، الوثيقة: 21.

أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 71-72، الوثيقة: 31.

أ.و.ت: س.م.ش، العلبة: 88، الوثيقة: 19.

أ.و.ج: س.م. ش: علبة:123، الوثيقة رقم: 06.

أ.و.ج: س.م. ش، علبة:130-131، الوثيقة رقم: 99.

- سجلات بيت المال والبايلك:

أ.و.ج: سجلات البابايلك وبيت المال، العلبة رقم: 01، السجل: 02.

أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة 01، السجل: 03.

أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة: 03، السجل: 22.

أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال: العلبة 03، السجل رقم 23.

أ.و.ج: سجلات بيت البايلك وبيت المال، العلبة 10، السجل: 52.

أ.و.ج: سجلات البايلك، العلبة 24، السجل: 168.

أ و.ت: سجلات البايلك، العلبة 24، السجل: 170.

أ.و.ج: سجلات بيت المال: العلبة: 36، السجل: 370.

أ.و.ج: سجلات بيت المال، العلبة 360، السجل: 375.

– سلسلة مهمة دفتري:

– أ.و.ج: مهمة دفتري، صحيفة رقم 25، حكم رقم 37، بتاريخ 1/10/ 979.

– أ.و.ج: مهمة دفتري، صحيفة رقم 54-1-543، حكم رقم 1037، بتاريخ 10/25/ 979.

ب–الرصيد الأرشيفي بالمكتبة الوطنية الجزائرية: قسم المخطوطات

*** المجموعة رقم 1642:**

– الوثيقة رقم: 01، المجموعة رقم: 1642، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

*** المجموعة: 3190:**

– رسالة رقم 13، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

– رسالة رقم 34، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

–رسالة رقم 190، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

– رسالة رقم 246، المجموعة: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

*** المجموعة: 3203**

الوثيقة رقم 04، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

الوثيقة رقم 21، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

الوثيقة رقم 32، المجموعة: 3203، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

*** المجموعة: 3206:**

– الوثيقة رقم: 59، المجموعة رقم: 3206، قسمالمخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

– رسالة رقم: 133-134، المجموعة: 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

ج–أرشيف ولاية قسنطينة:

أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الأول 1202-1205هـ/1787-1790م.

أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الثاني 1205-1210هـ/ 1791-1796م.

أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الثالث 1211-1218هـ/1796-1803م.

أ.و.ق: سجلات المحاكم الشرعية، السجل الرابع 1218-1233هـ/1803-1817م.

د–أرشيف المديرية الجهوية لمسح الأراضي–قسنطينة.D.R.C.C

-Procès-verbal, **Tribu de BehiraThouila**, Exécution du Sénatusconsult de 22 Avril 1863, N° 23.

هـ–الأرشيق الوطني التونسي:

*** الدفاتر الإدارية والجبائية:**

أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 01.

أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 20.

أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية الدفتر الجبائي رقم 21.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 29.
أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 94.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 99.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم: 129.
أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 139.
أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 143.
أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 180.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائيرقم: 221.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم:291.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 620.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 673.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 688.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم: 1046.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم: 2070.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم: 2144.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2145.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم:2306.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2341.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم: 2984.
أ. وت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر الجبائي رقم 2847.
أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر الجبائي رقم:3090.

* **السلسلة التاريخية/ Série historique**:

– أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، ملف رقم: 284، استخدمنا الوثائق التالية: الوثيقة رقم:02. الوثيقة رقم: 04. الوثيقة رقم: 07. الوثيقة رقم:09. الوثيقة رقم: 11. الوثيقة رقم: 13. الوثيقة رقم:14. الوثيقة رقم:16. الوثيقة رقم:17. الوثيقة:18. الوثيقة رقم: 19. الوثيقة رقم:21. الوثيقة رقم 22. الوثيقة رقم:23. الوثيقة رقم 24. الوثيقة رقم:26. الوثيقة رقم:27. الوثيقة رقم: 28. الوثيقة رقم: 29. الوثيقة رقم: 31.الوثيقة رقم: 32. الوثيقة رقم: 34. الوثيقة رقم: 37. الوثيقة رقم:39. الوثيقة رقم: 42. الوثيقة رقم:43. الوثيقة رقم: 50. الوثيقة رقم: 51. الوثيقة رقم: 52. الوثيقة رقم: 55. الوثيقة رقم: 56. الوثيقة قم: 57. الوثيقة رقم: 58. الوثيقة رقم:59.

الوثيقة رقم:63. الوثيقة رقم: 65. الوثيقة رقم:66. الوثيقة رقم: 78. الوثيقة قم: 87. الوثيقة قم: 90. الوثيقة قم: 93. الوثيقة رقم:94. الوثيقة رقم:97. الوثيقة رقم: 98. الوثيقة رقم: 100. الوثيقة رقم: 117.

– أ. و.ت: السلسلة التاريخية، الحافظة: الحافظة 334، الملف 223، استخدمنا الوثائق التالية: الوثيقة رقم: 10. الوثيقة رقم: 12. الوثيقة رقم: 34. الوثيقة رقم: 36. الوثيقة رقم 37. الوثيقة رقم: 33.

*** السلسلة د/Série D:**

-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 221.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 271.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 197.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/7, document : 12.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/7, document : 15.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/7, document : 77.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/2, document : 269.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 05.
-A.N. T : Série D : Carton : 157, Dossier : 16, document : 126.
-A.N. T : Série D : Carton : 97, Dossier : 3/1, document : 34.

***A.N. T: Registre D'immatriculation Des Musulmans et Israélites Algériens en Tunisie, sous le N°: 3968, 1876.**

02–قائمة المصادر المخطوطة:

***المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة:**

01–ابن زرفة أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن: **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3322.

02–قدورة محمد بن سعيد، **مخطوط جليس الزائر وأنيس السائر**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2600.

03–قدورة سعيد بن إبراهيم، **مخطوط تقييد على العقيدة الصغرى**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2460.

04–الزروق أحمد: **تعليق على فتوى في الحضانة لأحمد البوني**، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 2160.

05–المجاجي عبد الرحمن بن خروب: **رحلة المجاجي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1564.

06–مجهول: **مخطوط كيفية سيرة زواوة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3012.

07–مجهول: **مخطوط ملوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور، رقم: 1637**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

08–مخطوط: **دفتر حبوس الحبوس لمدينة قسنطينة**، رقم المخطوط: 3568، المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة الحفظ والمخطوطات–مصلحة المخطوطات.

***المكتبة الوطنية التونسية:**

01–النقاد محمد الطاهر بن أحمد: **ذكر طرف ولاية السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة، مخطوط** رقم 00263، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية.

02-الشابي أحمد بن مخلوف: **مجموع فضائل في سر منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق، مخطوط** بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم: 18039.

03-الطواحني خليل بن مصطفى الحنفي: **كناشالطواحني**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، تونس، رقم 16647.

***المكتبة الوطنية الفرنسية:**

01-الصايم محمد بن سليمان: **كعبة الطائفين وبهجة العارفين**، ج1، ج2، ج3، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم: 4601.

***مؤسسة الملك عبد العزيز-المغرب:**

01-محمد المهدي الفاسي: **مخطوط تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزوليةوالزروقية**، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، رقم (ms 299.M2HTM).

ثالثا: المصادر المحققة:

أ-المصادر العربية:

01-ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، ط1، منشورات دار زخارف للنشر، تونس، فيفري 2016.

02-ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط3، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

03-ابن القاضي أحمد: **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1986.

04-ابن القاضي أحمد: **درة الحجال في أسماء الرجال**، مج3، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

05-ابن المفتي: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، دراسة وتح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009.

06-ابن حمادوش عبد الرزاق: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تق وتح وتع أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

07-ابن خلدون: **العبر**، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.

08-ابن خلدون: **المقدمة**، تح؛ أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.

09-ابن زاكور: **نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

10-ابن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**: تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2013.

11-ابن عبد القادر مسلم الوهراني: **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

12-ابن عسكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، ط2، الرباط، المغرب، 1977.

13-ابن عمار أحمد: **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، تق وتع أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

14-ابن عمار أحمد: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، تح وتق وتع عبد الله حمادي، ط1، منشورات نوميديا، قسنطينة، الجزائر، 2023.

15-ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تق وتح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.

16-ابن مريم: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

17-ابن ميمون محمد: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

18-أبو القاسم ابن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2+ج3، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2005.

19-أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج4+ج5+ج6، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2006.

20-أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج7، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2007.

21-أبو القاسم بن عظوم المرادي: **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج10، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2009.

22-أبو راس الناصر المعسكري: **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، تح وتق أحمد أمين دلاي، CRASC، وهران، الجزائر، 2007.

23-أبو راس الناصر الندرومي: **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان**، دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2011.

24-أبو راس الناصر محمد بن أحمد: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح محمد غالم، ج2، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2008.

25-أبو راس الناصر: **نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تق وتح محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012.

26-أبو راس الناصري: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق بوتح: محمد غالم، ج1، منشوراتCRASC، وهران، 2005.

27-أبو راس محمد الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح محمد غالم، ج1، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2005.

28-أبو راس محمد الناصر الجزائري: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح وتع: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

29-أبو راس محمد الناصر: **الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، تق وتح أحمد الطويلي، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 2010.

30-أبو راس محمد الجربي: **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، تح وع: محمد المرزوقي، المطبعة الرسمية، تونس، 1960.

31-الإسحاقي أبي محمد الشرفي: **رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية**، تح: محمد الأندلسي، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2017.

32-الأغواطي الحاج ابن الدين: **رحلة الأغواطي**، تر وتح أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

33-الإفراني محمد: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تق وتح عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البضاء، المغرب، 2004.

34-الإفراني محمد: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح: السيد هوداس، مطبعة مدينة انجي، 1888.

35-الأنصاري أبو عبد الله محمد: **فهرست الرصاع**، تحقيق وتعليق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، نهج جامع الزيتونة، تونس.

36-الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تق وتح وتع محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2012.

37-الباجي محمد المسعودي: **عقد الفرائد في تذييل الخلاصة وفوائد الرائد**، تق وتح أحمد الطويلي، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018.

38-باش تارزي مصطفى بن عبد الرحمن: **رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية**، خزانة المخطوطات، المكتبة الموهوبية، الجزائر، (د.ت).

39-برناز أحمد: **الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة**، تقديم وتحقيق الطاهر المعموري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1990.

40-بفايفر سيمون: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تق وتع أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

41-بن يوسف الصغير: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق وتح: أحمد الطويلي، مج4، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 2009.

42-بن يوسف الصغير: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق وتح: أحمد الطويلي، مج1، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 1998م.

43-بن يوسف الصغير: **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تق وتح: أحمد الطويلي**، مج2، المطبعة العصرية، تونس، 2009.

44-البوني أحمد بن قاسم: **التعريف ببلد بونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تق وتع سعيد دحماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001.

45-البوني أحمد بن قاسم: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تح وتع محمد لخضر بوبكر سعيد دحماني، ط1، دار الوسام العربي، عنابة، ديسمبر 2011.

46-البوني أحمد بن قاسم: **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، تحقيق: محمد شايب شريف، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2013.

47-بيرم الثاني: **شرح الشيخ بيرم الثاني على نظمه في المفتين الحنفية بتونس**، تق وتح: محمد الزاهي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999.

48-بيرم محمد: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، تح: علي بن الطاهر الشنوفي وآخرون، مج2، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحمة، شركة أوربيس للطباعة، تونس ،1999.

49-التجاني أبو محمد عبد الله: **رحلة التجاني**، تق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981.

50-التلمساني أحمد بن هطال: **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1875**، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2004.

51-التمجروتي علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحابي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988.

52-التمنارتي أبو زيد عبد الرحمن: **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح: اليزيد الراضي، تق: محمد المنوني، ط1، السنتيسي، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

53-التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989.

54-التنلاني عبد الرحمن بن إدريس التواتي الجزائري: **الرحلة إلى الجزائر العاصمة**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

55-جون أندريه بيسونال: **الرحلة إلى تونس 1724**، تر وتح: محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003.

56-الحضيكي محمد: **طبقات الحضيكي**، ج2، تق وتح أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

57-الحيلاتي سليمان بن أحمد الجربي: **علماء جربة المسمى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي**، تح: محمد قوجة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

58-الخنقي محمد بن الطيب: **مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي**، تق وتع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002.

59-خوجة حسين: **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تح وتق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1975.

60-خوجة حمدان: **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء**، تق وتح محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

61-خوجة حمدان: **المرآة**، تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

63-خير الدين بربروس: **مذكرات**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

64-دارفيو شوفاليه: **مذكرات قنصل فرنسا في الجزائر 1673-1674**، تر وتع لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث للنشر والإشهار، برج بوعريريج، الجزائر، 2023.

65-الراشدي عبد القادر القسنطيني: **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق د. عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997.

66-الراشدي عبد القادر القسنطيني: **فهرسة الشيخ عبد القادر الراشدي**، تع وتح نصيرة عزرودي، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2011.

67-الروداني، **صلة الخلف بموصول السلف**، تح محمد حجي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م.

67-الزبيدي محمد مرتضى: **المعجم المختص ويليه معجم شيوخه الصغير**، اعتنى به محمد صالح يعقوبي-محمد بن ناصر العجمي، ط1، شركة البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.

68-الزهار أحمد الشريف: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تق أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

69-الزياني أبو القاسم: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1991.

70-الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

71-السجلماسي أبو العباس الهلالي (ت.1175هـ/1761م): **التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، دراسة وتح: محمد بوزيان بنعلي، تقديم: د. أحمد بوحسن، مطبعة الجسور، ش.م.م، وجدة، المغرب، 2012م.

72-السنوسي محمد بن عثمان: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.

73-السخاوي شمس الدين: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج10، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992.

74-الشابي محمد المسعود: **الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير**، تق وتح عثمان البرهومي، ط1، جمعية الشابي للتنمية الثقافية والاجتماعية، تونس، 2020.

75-شالر وليام: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)**، تعريب وتع وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

76-الشعراني عبد الوهاب: **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**، تح وتق طه عبد الباقي والسيد محمد عيد الشافعي، ج1، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988.

77-شلوصر فندلين: **قسنطينة أيام أحمد باي**، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م.

78-الشويهد عبد الله بن محمد: **قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)**، تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

79-الصفاقسي علي بن محمد: **العقيدة النورية في معتقدات السادات الأشعرية**، دراسة وتح: الحبيب بن طاهر، دار اليمامة للنشر والطباعة والتوزيع، تونس، 2007.

80-عبد الرحمن الجبرتي: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997.

81-العدواني محمد: **تاريخ العدواني**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعدالله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 303-304.

82-العطار الحاج أحمد: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

83-العنتري صالح: **مجاعات قسنطينة**، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

84-العنتري صالح: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ بلد قسنطينة**، مراجعة وتق وتع يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

85-العياشي أبو سالم: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية**، مج1+2، ط1، تح وتع أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2011.

86-العياشي أبو سالم: **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر 11هـ/17م**، تح ودراسة: نفيسة الذهبي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996.

87-العياضي محمد الشريف الباجي: **مفاتيح النصر في التعريف بعلماء المصر**، تح: جمعة شيخة، جامعة تونس، تونس، 1970.

88-الفاسي محمد الطيب: **رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، دمشق، سوريا، 2014.

89-الفقون محمد بن عبد الكريم: **كتاب نوازل قسنطينة**، تح وتق هواري تواتي، عائشة بلعابيد، ط1، دار الزيتون للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2018.

90-الفكون عبد الكريم بن محمد: **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، تع أبو عبد الرحمن محمود، ط1، منشورات سيرتا، قسنطينة، 2017.

91-الفكون عبد الكريم: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

92-الفهري أبو حامد العربي بن يوسف: **مرآة المحاسن من أخبار أبي المحاسن**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني (د.ط.و.ت).

93-الفهري عبد الله بن محمدالفاسي: **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تق وتح فاطمة نافع، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المملكة المغربية، 2008.

94-القادري محمد بن الطيب: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر**، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

95-كاثكارت جيمس ليندر: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر وتع وتق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

96-كاربخال مارمول: **افريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1989.

97-كاريت(إ): **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1842،1841 -أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية**، تر حمزة الأمين اليحياوي، ج6، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

98-كريستيان فردناند ايفالد: **رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835**، تر وتق وتع: منير الفندري، ط1، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991.

99-ماسكاريناس: **مذكرات الأسير البرتغالي جواو كرفالو ماسكاريناس في مدينة الجزائر 1621-1627**، تر وتع لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022.

100-المبارك الحاج أحمد: **منظومة نصيحة الإخوان**، الزاوية القادرية، بسكرة، الجزائر، 1995.

101-المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج3، طبعة مصر، 1284هـ/1867م.

102-المغربي محمد بن محمد: **بغية الطالبين بما تضمنته أم البراهين**، تحقيق: أحميدة عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.

103-المرالي علي النبيري التونسي: **العود الجزائري**، تقديم وعرض: أحميده عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

104-المزاري الآغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحودراسة يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

105-**المشري** محمد: **نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء**، دراسة وتح: عبد القادر موهوبي السايحي الإدريسي الحسني، تين وزيتون للنشر والتوزيع، 2013.

106-المصعبي إبراهيم بن بحمان: **رحلة المصعبي**، تح يحي بن بهون حاج امحمد، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

107-مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري-محمد محفوظ، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

108-المقري أحمد: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد معمر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

109-المقري أحمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح احسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988.

110-المقري أحمد: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تح محمد سالم هاشم، طبعة خاصة المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

111-المكناسي ابن عبد الوهاب محمد: **رحلة المكناسي 1875**، تق وتح: محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

112-المنتصر بن أبي لحية القفصي: **نور الأرماش في مناقب القشاش**، دراسة وتح: لطفي عيسى وحسين بوجرة، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1998.

113-موسى نيلز نيلسون: **أسير نرويجي في مدينة الجزائر**، تر وتع: لخضر بوطبة، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، .2019

114-الناصري محمد بن عبد السلام: **الرحلة الناصرية الكبرى**، دراسة وتح: المهدي الغالي، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013.

115-الناصري أحمد: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح وتع: جعفر الناصري-محمد الناصري، ج8، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1997.

116-هابسترايت (ج. أو): **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هت/1732م)**، تر وتق وتع ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

117-الورثيلاني الحسين: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1+2+3، تح: محفوظ بوكراع-عمار بسطة، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

118-الوزان الحسن: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

119-الوزير الحاج حمودة بن عبد العزيز: **الكتاب الباشي**، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

120-الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تق وتح محمد الحبيب الهيلة، مج2 +3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995.

121-اليوسي أبو الحسن علي بن مسعود: **فهرسة اليوسي**، ت: زكرياء الخثيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، (د.ط)، الرباط، المغرب، 2004.

122-اليوسي محمد: **رحلة اليوسي (1101-1102هـ/ 1690-1691م)**، تح: أحمد الباهي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2018.

ب-المصادر الأجنبية.

01- Broughton (MRS): **Six Years Residence in Algiers,** Second Edition, Saunders and Otley, London, 1939.

02- Carette (E) : **Origine et migration dés principales tribus de l'Algérie**, révisé et Préface : salima Hamouche, 1erEdition, Elassala Edition, Alger, Algérie, 2013.

03- Carette(E) : **Du Commerce de L'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques**, Paris, 1844.

04- Dan Pierre : **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**,2e ed, Paris, 1649.

05- Dunant Henry : **Notice sur la régence de Tunis**, Société Tunisienne de diffusion, Tunis, 1995.

06- Dunant Henry : **Notice sur la régence de Tunis**, Société Tunisienne de diffusion, Tunis, 1995.

07- Esterhazy Walsin : **De la domination Turque dans l'ancienne régence D'Alger**, Librairie de Charles Gosselin, Paris, France, 1840.

08- Eugène Plantet : **Correspondances des Beysde Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830**, T3, Paris, France, 1899.

09- Eugène Plantet : **Correspondances des Beys de Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830**, T2, Paris, France, 1894.

10- Frank Louis et Marcel. J : **Histoire et description de la régence de Tunis**, 2e Edition, Editions Bouslama, Tunis, 1985.

11- Haëdo Diego: **Histoire Des Rois D'Alger**, édition Grand-Alger Livres, Alger, 2004.

12- Haëdo Diego: **Topographie et histoire générale d'Alger**, 3e éd, grand- Alger livres édition, Alger, 2007.

13- Laugier De Tassy: **Histoire Du Royaume D'Alger**, Amsterdam, 1725, Paris, 1830.

14- Lucas (Paul) : **Voyage du sieur Paul Lucas**, T2, Paris, France, 1712.

15- Maggill Thomas : **Nouveau voyage à Tunis**, Imprimerie de G.L.F. Panckoucke, Paris, 1815.

16- Peyssonnel et Desfontaines **: Voyages dans les régences de Tunis et D'Alger**, T1, Paris, 1838.

17- Pijnaker Cornelis : **Description Historique des villes de Tunis, d'Alger et D'autres se Trouvant en Barbarie1626**, Introduction Et Annotation : Gérard Van Krieken, ENAG Editions, Alger, 2015.
18- Plantet Eugéne : **correspondances des Deys D'Alger avec la cour de France**, T2, Editions Bouslama, Tunis, 1981.
19-Poiret (L'Abbé): **Voyage en Barbarie ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les annés 1785 et 1786**, T1, Paris, France, 1789.
20- Rousseau Alphonse: **Chroniques de la régence d'Alger traduit d'un manuscrit arabe intitulé-El-Zohrat-El-Nayerat**, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1841 .
21-Rousseau Alphonse **: les annales Tunisiennes,** Editions Bouslama, Tunis, 1985**.**
22- Rozet et Carette : **Algérie états tripolitains,** 2eme édition, éditions Bouslama, Tunis, 1980.
23- Rozet et Carette : **L'Algérie**, Paris, France, 1850.
24- Rozet(M) : **Voyage Dans La régence D'Alger Ou description du Pays Occupé Par L'armée Française**, Paris, 1833.
25- Shaler(W): **Esquisse de l'état D'Alger**, Trad.M.X. Bianchi, Librairie Ladvocat, Paris, 1830.
26- Shaw (Thomas): **Voyage Dans La Régence D'Alger Aux 18eme Siècle**, Edition Grand-Alger Livres, Alger, 2007.
27-**Tableau De La situation des établissements Français dans Algérie,** de L'imprimerie royale, Paris, 1838.
28-Tobjorn Odegaard : **Les Correspondances de LudolfHammeken Le premier consul Dano-Norvigien à Alger 1746-1751**, ENAG Editions, Alger, 2016.
29-Venture De Paradis: **Alger Au 18e siècle (1788-1790) ,**Edition grand –Alger Livres, Alger, 2006.
30-Vincent-Yves Boutin : **Aperçu Historique Statistique et Topographique Sur L'état D'Alger**, 2e édition, Paris, 1830 .

رابعا: قائمة المراجع.

أ–باللغة العربية.

01–إبراهيم عيسى علي: **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000.

02–ابن إدريس محمد: **ديوان الإمام الشافعي**، تع وتق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 1988.

03–ابن عاشور محمد العزيز: **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991.

04–ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، مج1+ 2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

05–أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

06-أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، طبعة 6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

07-أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1930-1954**، ج4، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

08-أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

09-أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

10-أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2005.

11-أبو القاسم سعد الله: **الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري حياته وآثاره**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

12-أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر،2011.

13-أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

14-أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

15-أبو القاسم سعد الله: **دراسات في الأدب الجزائري الحديث**، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

16-أبو القاسم إبراهيم أحمد: **المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911-1957)**، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت).

17-أبو بكر الصديق حميدي: **دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.

18-أبو شامي علي: **التصوف والطرق الصوفية في العصر العثماني المتأخر**، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2017.

19-أبوعيانة فتحي محمد: **دراسات في الجغرافيا البشرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989.

20-أتينجر صموئيل: **اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)**، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشا عبد الله الشامي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1995.

21-أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989.

22-الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، تونس، 2003.

23-الأرقش دلندة: **"جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية في الإيالة التونسية في العهد العثماني"**، من كتاب: الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990.

24-أرنولد هـ. قرين: **العلماء التونسيون 1873-1915**، تر: حفناوي عمايرية-أسماء معلى، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1995.

25-اسكندر محمد المختار: **المدية بين القديم والحديث**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007.

26-آل المغيلي الصديق حاج أحمد: **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، ط2، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، 2011.

27-أمين سمير: **المغرب العربي الحديث**، تر: كميل.ق. داغر، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1980.

28-أنساعد سميرة: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، (د.ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

29-الباروني يوسف بن احمد: **جزيرة جربة في موكب التاريخ**، تح سعيد بن يوسف الباروني، تونس، 1998.

30-بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

31-براهم محمود: **سيرة الشيخ سيدي عبيد الشريف والتأثير الديني والجهادي لزاويته**، الجزائر، 2005.

32-برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

33-برنيان أندري وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

34-بروديل فرنان: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تر مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993.

35-بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس-منير البعلبكي، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1949.

36-بشروش توفيق: **الولي الصالح والأمير في البلاد التونسية**، ج1، ط1، دار سيناترا، تونس، 2013.

37-بشروش توفيق: **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، مجموعة أيام الناس، تونس، 1992.

38-البعزاتي بناصر: **التواصل المفاهيم والقنوات**، من كتاب: **المفاهيم وأشكال التواصل**، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2021.

39-البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج2، مؤسسة التاريخ العربي، [د.م]، 1387هـ.

40-بل ألفرد: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح الإسلامي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987

41-بلغيث محمد الأمين: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

42-بلقاسم بن محمد بن جراد: **قابس عبر التاريخ**، مطبعة لخدمات السريعة، قابس، تونس، 2001.

43-بلقاضي بدر الدين، حموش مصطفى: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديلفوكس**، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

44-بلكحلة عادل: **الحركة الاجتماعية في المجتمع المحلي**، ط1، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، 2016.

45-بن اشنهو عبد الحميد: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.

46-بن اشنهو عبد اللطيف: **تكون التخلف في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

47-بن الخوجة محمد: **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، تح: الجيلاني بن الحاج يحيى-حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

48-بن الخوجة محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي – الجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

49-بن بكير يوسف: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

50-بن بلغيث الشيباني: **التعليم والأوقاف في المدارس التونسية خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، ج1، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2018.

51-بن جمعة بلقاسم إبراهيم: **الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1864 إلى 1864م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002.

52-بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ**، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2017.

53-بن خروف عمار: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2008.

54-بن زردة توفيق: **الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال دفاتر الأرشيف التونسي**، ط1، منشورات ألفا للوثائق Alpha Doc، قسنطينة، الجزائر، 2021.

55-بن سليمان فاطمة: **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881**، منشورات Edisciences، تونس، 2009.

56-بن صالح ابراهيم أعزام بابا: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، دراسة وتحقيق: ابراهيم بكار بحاز، سليمان بن محمد بومعقل، ط1، المطبعة العالمية، غرداية، الجزائر، 2013.

57-بن طاهر جمال: **الفساد وردعه-الردع المالي وأشكال المقاومة بالبلاد التونسية 1705-1840**، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1995.

58-بن عاشور محمد الطاهر: **أليس الصبح بقريب**، ط2، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2007.

59-بن عبد الكريم محمد: **المقري وكتابه نفح الطيب**، (د.ط)، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

60-بن عتو بلبراوت: **الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016.

61-بن عتو بلبراوت: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، ج2، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016 .

62-بن مصطفى محمد صالح: **العثمانيون في تونس1705-1957 التاريخ الآثار السكان وسلوكاتهم**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2012.

63-بن منصور عبد الوهاب: **أعلام المغرب العربي**، ج5، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1990.

64-بن منصور عبد الوهاب: **أعلام المغرب العربي**، ج6، المطبعة الملكية، الرباط-المغرب، 1998م.

65-بن موسى محمد عمي بابا وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

66-بن يدر كريم: **الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19م**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007.

67-بن يعقوب سالم: **تاريخ جربة وعلمائها**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 2009.

68-بنبلغيث الشيباني: **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، ط1، دار نهى، صفاقس، تونس، 2008.

69-بنبلغيث الشيباني: **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق(1859-1882)**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، 1995.

70-البهلي محمد: **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، ط2، دار آفاق-برسبكتيف للنشر، تونس، 2013م، ص 193-194.

71-بوالنعناع محمد وآخرون: **ديناميات التحول الاجتماعي بالأقاليم الجنوبية للمغرب_أبحاث ودراسات_**، ط1، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، 2019.

72-بوتشيش إبراهيم القادري وآخرون: **الهجرات والحركات البشرية ببلاد المغرب وامتداداتها الراهنة**، تق محمد حسن، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2023.

73-بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.

74-بوداق مصطفى وآخرون: **الجزائر في الوثائق العثمانية**، تر: فاضل بيات، يشار محمد الصالح الشريف، تصميم وتنسيق وطباعة سيستام أوفسات، أنقرة، 2011.

75-بورقية رحمة: **الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991.

76-بوزياني الدراجي: **عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، ط2، Bled Edition، الجزائر، 2009.

77-بوطالب محمد نجيب: **القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار-الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي إلى الاندماج الوطني**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002.

78-بوطبة لخضر: **محاضرات في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2023.

79-البوعبدلي المهدي: **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

80-البوعبدلي المهدي: **التعريف بالكتب والمخطوطات**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

81-بوعجيلة فتحي: **الإباضية التونسيون وأثرهم في الثقافة الوطنية مدخل إلى دراسة الآخر المحلي**، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2016.

82-بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

83-بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

84-بوعزيز يحي: **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، وزارة الثقافة-بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

85-بوعزيز يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ**، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

86-بوعزيز يحي: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 199.

87-بوعمامة فاطمة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9هـ/13-15م**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

88-بوقرة بلقاسم: **من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008.

89-بومنجل عبد الملك: **حوار الحضارات تعارف وتثاقف**، ط1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2019.

90-بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ و7هـ**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004.

91-بيرك جاك: **المغرب الكبير في فترة ما بين الحربين**، تر أحمد خواجة، ط1، معهد تونس للترجمة، تونس، 2022.

92-بيشي رحيمة وثابت جميلة: **يهود منطقة وادي ميزاب خلال القرن 13هـ/18م**، ط1، دار صبحي للنشر، غرداية، 2014.

93-بيك عبد الحميد، **أعيان من المشارقة والمغاربة**، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

94-التازي عبد الهادي: **رحلة الرحلات**، ج1، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، السعودية، 2005.

95-التايب محمد: **السلوك السياسي للقبيلة بتونس في العهد الحديث أولاد سعيد بين الولاء والمقاومة-عائلة الواعر نموذجا (1864-1881)**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2009.

96-التجاني محمود بن محمد القسنطيني: **سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة**، د.ت، د.س.ن.

97-التر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989.

98-الترغي عبد الله المرابط: **الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل** من كتاب: **السفر في العالم العربي الإسلامي**، ط1، المغرب، 2003.

99-ترمنجهام سبنسر: **الفرق الصوفية في الإسلام**، تر وتع عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997.

100-التلاوي جمال نجيب: **المثاقفة**، تر: ماهر مهدي-حنان الشريف، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، 2005.

101-تلي تشالز: **الحركات الاجتماعية 1768-2004**، تر وتق: ربيع وهبة، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005.

102-التليلي محسن: **الدين والسلطة " بحث في تاريخ التدين الاجتماعي من خلال دراسة ظاهرة الزوايا والطرق والأولياء بالوسط الغربي التونسي"**، ط1، منشورات مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة، سوسة، جوان 2016.

103-التليلي مصطفى: **قفصة والقرى الواحية المجاورة حول الحياة الجماعوية (من بداية القرن 18 إلى 1881)**، نشر وتوزيع جمعية صيانة مدينة قفصة، المطبعة سنباكت، جوان 2009.

104-التميمي عبد الجليل: **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والمعلومات، زغوان، تونس، 1989.

105-التميمي عبد الجليل: **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871**، ط2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985.

106-التميمي عبد الجليل: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2009.

107-التميمي عبد الجليل: **موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر**، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق، تونس، 1983.

108-التيمومي الهادي وآخرون: **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، شركة أوزيس للطباعة، قرطاج، تونس،1999.

109-التيمومي الهادي: **كيف صار التونسيون تونسيين-رحلة "حنون" معاصر في رحاب التاريخ**، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، 2021.

110-الجابري محمد صالح: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007.

111-الجابري محمد عابد: **اشكالية الفكر العربي المعاصر**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروتن لبنان، 1990.

112-جدلة إبراهيم: **دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط**، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018.

113-جدي أحمد: **قبيلة الفراشيش في القرن التاسع عشر**، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1996.

114-جراد المهدي: **تجار البلاط بإيالة تونس أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر**، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، تونس، 2017م.

115-جراد المهدي: **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وحدة البحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 2011.

116-الجعبيري فرحات: **دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2017.

117-الجواري رائد راكان: **دراسات في الفكر الجغرافي**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2013.

118-جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر: محمد مزالي-البشير بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

119-الجويلي محمد الهادي: **مجتمعات للذاكرة-مجتمعات للنسيان، دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء بالجنوب التونسي**، تق: محمد نجيب بوطالب، سراس للنشر، تونس، 1994.

120-الجيلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

121-جيورج ميني: **تاريخ اليهود في الجزائر**، تر: لبنى مسعود، جمال بن عمار الأحمر، ط1، مكتبة عراس للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2016.

122-الحاج حسين يوسف وبوزقرو عبد الوهاب: **الطرق الصوفية وروادها بالبلاد التونسية**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2023.

123-حالي محمد: **المجتمع والأزمات الديمغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727-1757)**، مساهمة في الديموغرافيا التاريخية، ط1، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2013.

124-الحباشي محمد علي: **التونسيون الأصول والألقاب-الحملة البورقبية لتهذيب الألقاب**، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2018.

125-الحبابي محمد عزيز: **المغارب: "البلد الذي وحدته الجغرافيا والجيولوجيا عبر العصور"**، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990.

126-الحباشي محمد علي: **عروش تونس**، ط3، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017.

127-حرز الله محمد العربي: **الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930**، دار السبيل، الجزائر، 2009.

128-حسن أحمد سميح: **يهود الجزائر في العصر العثماني**، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022.

129-حسين عثمان وهندي عثمان: **الحراك السياسي " مفاهيم وقضايا "**، ج1، دار فرحة للنشر والتوزيع المنيا، مصر، (د.ت).

130-حسين محمد الخضر: **تونس وجامع الزيتونة**، تح علي الرضا التونسي، ط1، دار النوادر، دمشق، سوريا، 2010.

131-الحشايشي محمد بن عثمان: **العادات والتقاليد التونسية**، در وتح: الجيلالي بن الحاج، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1996.

132-الحشائشي محمد بن عثمان: **تاريخ جامع الزيتونة**، تح علي بن أحمد العلايمي، ط1، دار المازري للنشر والتوزيع، تونس، 2021.

133-الحفناوي محمد: **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: خير الدين شترة، ج2، ط1، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2012.

134-حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر"طبيعية، بشرية، اقتصادية"**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968.

135-حليمي علي عبد القادر: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972. 1.

136-حماش خليفة: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821-1827م قراءة جديدة في رواية مشاركة الأسطول الجزائري وتحطمه في معركة نفارين 20 أكتوبر 1827**، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2021م.

137-حماش خليفة: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016.

138-حماش خليفة: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012.

139-الحماص محمد: **الاستعمار الفرنسي وقبائل الوسط والجنوب بالبلاد التونسية 1881-1950**، ط2، مركز النشر الجامعي، تونس، 2014.

140-الحمروني أحمد: **الشمال الغربي التونسي وثائق وبحوث**، ط1، دار سحر للمعرفة، تونس، 2016.

141-حوتية محمد الصالح: **توات والأزواد**، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2007.

142-حناني إبراهيم: **واقع ومواقف النخبة الأوربية من الحياة في الجزائر والمغرب الكبير في القرنين 17 و18**، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2022.

143-خريف إبراهيم: **المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد**، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2021.

144-خليل أحمد خليل: **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984.

145-الخليل سمير: **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016.

146-خليل علي عبد الوهاب: **توزر الجريد وتاريخها المجيد فسحة ثقافية وسياحية**، ط1، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، 2013.

147-خنوف علي: **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري"نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي"**، الميزان للطباعة والنشر، الجزائر، 1999.

148-خوالدية الضاوي: **قبيلة الهمامة في النصف الأول من القرن العشرين (1881-1950) بين سندان الحسينيين ومطرقة الفرنسيين**، مطبعة دنيا برانت، سيدي بوزيد، تونس، 2010.

149-خير فارس محمد: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني على الاحتلال الفرنسي**، ط2، مكتبة الشرق، بيروت، لبنان، 1979.

150-خيراني ليلى: **واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني 1800-1817م دراسة أرشيفية**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2016.

151-خيط محمد: **المقري أبو العباس أحمد بن محمد 986-1041هـ/1578-1631م**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

152-دالي حمادي: **الدولة والقبيلة والزاوية والفقهاء بالبلاد التونسية 1574-1877**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، تونس، 2021.

153-داود محمد محمد: **معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003.

154-دراج محمد: **الجزائر في المصادر العثمانية-دراسة للمصادر ونصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية**، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.

155-الدقي نور الدين: **تونس من الإيالة إلى الجمهورية 1814-12014**، ط1، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس، 2016.

156-دودو أبو العيد: **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

157-الدوري عبد العزيز: **التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1984.

158-دونوفو إدوارد: **الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، تر: كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003.

159-رائسي ادريس: **القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830-1881)**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016.

160-رشيد يلوح: **التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2014.

161-الرصاع مختار: **مشاهد وشواهد من تاريخ آل الرصاع**، دار اليمامة للنشر والتوزيع، تونس.

162-الرياحي عمر بن محمد: **تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي**، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت).

163-ريمون أندريه: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر لطيف فرح، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.

164-الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

165-الزبيري محمد العربي: **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

166-زرقي لطيف: **الطريقة التجانية في تونس التاريخ والآفاق**، ط1، دار الأهرام للطباعة والنشر، تونس، 2019.

167-زروخي إسماعيل: **حوارات إنسانية في الثقافة العربية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

168-الزواري علي: **"الزاوية النورية وتأثيرها على الحركة التعليمية والعلمية خلال القرن الثامن عشر"**، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، تق عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990.

169-الزاوي علي: "**الوافدون على مدينة صفاقس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع**"، من كتاب **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988.

170-ساحي أحمد: **الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512-1767م**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2015.

171-سبنسر وليم: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

172-سبيلا محمد -الهرموزي نوح: **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفية**، ط1، المركز العلمي للأبحاث والدراسات الإنسانية، الرباط، المغرب، 2017.

173-ستيفن جيمس ويلسون: **الأسرى الأمريكان**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007.

174-السروجي طلعت مطصطفى: **السكان والبيئة رؤية اجتماعية**، ط1، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2014.

175-سعد الله فوزي: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

176-سعد الله فوزي: **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، ج1+2، طبعة خاصة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

177-السعداوي أحمد، **المدينة والوقف في تونس القرن السابع عشر من خلال وثائق الأوقاف**، من كتاب: **العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية**، تنسيق عبد الرحمن المودن-عبد الرحيم بنحادة، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2005.

178-السعداوي أحمد: **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705-1756م_وثائق أوقاف من العهد الحسيني**، ط1، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية، مجمع الأطرش للكتاب المختص تونس، 2015م.

179-السعداوي أحمد: "**العمارة والفنون في العصر الحديث**"، من كتاب: **تونس عبر التاريخ** لمجموعة مؤلفين، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2006.

180-السعداوي أحمد: **تونس في القرن السابع عشر وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2011.

181-سعدي عثمان: **البربر الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.

182-سعيد محمد: **الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع العربي قبيل الإسلام**، ط1، الناشر: شمال-جنوب، تونس، 2009.

183-سعيد محمد: **أنبياء البدو_الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع العربي قبل الإسلام**، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2018.

184-سعيدوني ناصر الدين، البوعبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ–العهد العثماني–**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

185-سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

186-سعيدوني ناصر الدين: **الشرق الجزائري"بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال" من خلال وثائق الأرشيف**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

187-سعيدوني ناصر الدين: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

188-سعيدوني ناصر الدين: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

189-سعيدوني ناصر الدين: **دراسات أندلسية"مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر"**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

190-سعيدوني ناصر الدين: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

191-سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

192-سعيدوني ناصر الدين: **في الهوية والانتماء الحضاري**، طبعة خاصة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

193-سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1999.

194-سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

195-سعيدوني ناصر الدين: **ولايات المغرب العثمانية الجزائر–تونس– طرابلس الغرب**، ط2 منقحة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

196-سعيدوني ناصر الدين: **"الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"**، من كتاب: **الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية، زغوان، تونس، 1986.

197-سكوت جون: **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، تر: محمد عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009.

198-سكيرج أحمد: **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، (د.ن)، 1961.

199-سلطان جاسم: **التراث وإشكالياته الكبرى (نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية)**، ط2، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016.

200-السميراني محجوب: **الجيش التونسي (1831-1881) رافد نهضة وإصلاح**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017.

201-سي يوسف محمد: "**نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني**"، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990.

202-السيد رضوان وآخرون: **التعايش والتعارف في الإسلام مفاهيم ميسرة**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، منظمة التعاون الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2022.

203-سيساوي أحمد: **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية من فالي إلى نابليون الثالث (1838-1871)**، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2017.

204-سيمور شارلوت -سميث: **موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، تر: علياء شكري وآخرون، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2009.

205-الشابي علي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ط1، نقوش عربية، تونس، 2015.

206-الشابي علي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1982.

207-شاطر خليفة: **التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار إيالة تونس من سنة 1815 إلى سنة 1857**، تر: إبراهيم بلقاسم، ط1، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015.

208-الشامي صلاح الدين علي: **جغرافية الوطن العربي الكبير**، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1975.

209-شترة خير الدين: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية 1900-1939**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

210-شترة خير الدين: **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، ج1، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013.

211-شترة خير الدين: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، طبعة خاصة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013.

212-شريعتي علي: **مسؤولية المثقف**، تر إبراهيم الدسوقي شتا، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 2007. 2.

213-الشريف كمال دحومان الهاشمي: **أشراف الجزائر؛ دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

214-الشريف محمد الهادي: **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

215-الشريف محمد الهادي: "**حمودة بن عبد العزيز وأفكاره التقدمية**"، من كتاب: **الحركة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، تق التميمي عبد الجليل، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ص 218.

216-شغيب محمد المهدي: **أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980.

217-شنتوف عيسى: **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**، دار المعرفة باب الوادي، الجزائر، 2008.

218-شهبي عبد العزيز: **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007.

219-الشهراني معلوي بن عبد الله، **أثر الحراك المعرفي على الأمن الفكري**، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

220-شويتام أرزقي: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009.

221-شيمل آنا مري: **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا-بغداد، 2006.

222-صحراوي عبد القادر: **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830)**، دار هومه للطبعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

223-صحراوي فتيحة: **الجزائر في عهد الداي حسين 1818-1830**، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016. 3.

224-الصغير عبد المجيد: "**من أجل إعادة تقويم الحدث الصوفي بالمغرب**"، من كتاب: **الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المغرب، 1997.

225-الصلابي علي محمد: **تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا**، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

226-الصيد سليمان: **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.

227-الضاوي مسعود: **نسب قبيلة الهمامة وتاريخها وأصول القبائل العربية الكبرى وحراكها**، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2020.

228-ضيف الله محمد: **نوافذ على تاريخ نفزاوة**، المغاربية للطباعة، تونس، 2008.

229-الطالبي محمد: **دائرة المعارف التونسية**، تر: رياض المرزوقي والعربي عبد الرزاق، الكراس 4، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1994.

230-طبابي حفيظ: **من البداوة إلى المنجم**، ط1، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2012.

231-الطرابلسي بوراوي: **تاريخ تونس المنسي السكان والأرض**، الأطلسية للنشر، أريانة، تونس، 2015.

232-الطمار محمد: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

233-الطويلي أحمد: **في الحضارة العربية التونسية**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1988.

234-طيار نذير: **قسنطينة تاريخ اسم**، منشورات الوطن، العلمة، سطيف، 2018.

235-ظاهر محمد البشير الأزهري: **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، مطبعة الملاجي العباسية، القاهرة، 1324هـ.

236-ظريف أحمد: **قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني**، دار هومة، الجزائر، 2005..

237-العامري نللي سلامة: **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة منوبة، تونس، 2001م.

238-عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، ط3، دار هومه لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

239-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798**، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1882.

240-عبد السلام أحمد: **المؤرخون التونسيون في القرون 17م و18 و19م**، تر: أحمد عبد السلام، عبد الرزاق الحليوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، قرطاج، تونس، 1993م.

241-عبد الهادي عبد الرحمن: **التاريخ والأسطورة (الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديما)** ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1994.

242-عبد الوهاب حسن حسني: **المنتخب المدرسي من الأدب التونسي**، المطبعة الأميرية، وزارة المعارف العمومية المصرية، القاهرة، 1944.

243-عبد الوهاب حسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح حمادي الساحلي، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001.

244-عبد الوهاب حسن حسني: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

245-عبد الوهاب حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مج3، مكتبة المنار، تونس، 1966.

246-عبيد هشام: **تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية**، تق كمال عمران، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.

247-عثمان الكعاك: **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، معهد الدرسات العربية العالية، القاهرة، مصر، 1958.

248-العجيلي التليلي: **الطرق الصوفية بالبلاد التونسية والاستعمار الفرنسي (1881-1939)**، مج2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992.

249-العربي إسماعيل: **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

250-العربي اسماعيل: **العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

251-العربي محمد: **فهرست بغية المستفيد لشرح منية المريد**، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، (د.ت).

252-عروسي سهيل: **التصوف بين الفقه والإيدلوجيا**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2015.

253-العروق محمد الهادي: **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

254-العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007.

255-عزام عوادي عبد القادر: **هجرة سكان وادي سوف إلى تونس (1912-1962م)**، ط1، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2014.

256-العزري علي بن عمارة: **الإلمام بعروش بني همام**، تح وتق: أسماء خوالدية، ط2، مطبعة قطيف شوقي، قفصة، تونس، 2014.

257-عزيزي محمد الحبيب: **إشكالية الولاية وآلة الحرب والحكم المتجول في المغرب العربي الحديث**، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016.

258-عزيزي محمد الحبيب: **إشكالية الدولة وآلة الحرب-الحكم المتجول في المغرب العربي الحديث**، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016.

259-بسام العسلي: **الجزائر والحملات الصليبية**، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980.

260-عشراتي سليمان: **العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004.

261-العقاد صلاح: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.

262-العقبي صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر_تاريخها ونشاطها**، ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2007.

263-عليليش حبيبة: **الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني القرن 10-13هـ/16-19م**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2017.

264-العماري أحمد: **المغرب في مواجهة الاستعمار دراسات في مسألة الحدود والإصلاح**، ط1، مؤسسة محيط، المغرب، 2022.

265-عمر عبد العزيز عمر: **في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005.

266-عميراوي احميدة: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002م.

267-عميراوي احميدة: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005.

268-عميراوي احميدة: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.

269-عميراوي أحميدة: **مواقف نضالية وإصلاحية**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009.

270-عميراوي احميده: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000.

271-عميراوي احميده: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني"مذكرات تيدنا أنموذجا"**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003.

272-عميراوي احميده: **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري**، دار البعث، قسنطينة، 1984.

273-عميراوي احميده: **علاقات بايليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،2002.

274-عميراوي احميدة: **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، 2003.

275-العوامر إبراهيم محمد الساسي: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ط2، منشورات، ثالة، الأبيار، الجزائر، 2000.

276-العويد نورة: **التواصل الحضاري من منظور إسلامي**، ط1، مشروع سلام للتواصل الحضاري، الرياض، السعودية، 2012.

277-عيسى لطفي: **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

278-عيسى لطفي: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، سراس للنشر، تونس، 1994.

279-عيسى لطفي: **كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار**، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2007.

280-عيسى لطفي: **مغرب المتصوفة**، ط2، الشركة الوطنية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2018.

281-غانم سميح: **موسوعة مصطلحات علم الاجتماع**، مفاهيم-اتجاهات ومدارس-أعلام، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، 2014. 4.

282-الغربي محمد الأزهر: **المجال في المغارب بين التاريخ والذاكرة**، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2015.

283-غريب عبد السميع غريب: **علم الاجتماع مفهومات-موضوعات-دراسات**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، غريب عبد الكريم وآخرون: **التواصل والتثاقف**، ط1، منشورات عالم التربية، الدر البيضاء، المغرب، 2010.

284-الغزي الهادي حمودة: **الأدب التونسي في العصر الحسيني الأول 1705-1881**، ط1، عليسة للنشر والتوزيع، تونس، 2012.

285-غطاس عائشة: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية**، منشورات ANEP، الجزائر، 2012.

286-غلاب عبد الكريم: **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، ط1، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998.

287-غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.

288-غنابزية علي: **مجتمع واد سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م**، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، 2019.

289-غني قاسم: **تاريخ التصوف في الإسلام**، تر صادق نشأت، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017.

290-غيدنز أنتوني – صاتن فيليب: **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، تر: محمود الذوادي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2018.

291-الفخفاخ منصف: **موجز الدفاتر الإدارية والجبائية -الأرشيف الوطني التونسي-**تق: عبد الجليل التميمي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990.

292-فرج محمود: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007. 5.

293-فركوس صالح: **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871**، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.

294-فركوس صالح: **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002.

295-فكاير عبد القادر: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.

296-فلنزي لوسات: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، تر: حمادي الساحلي، د.ط، سراس للنشر، تونس، 1994.

297-فليس فوزي: **عائلات بنزرت تاريخها ومشاهيرها**، ط1، مطبعة Print Copy، بنزرت، تونس، 2013.

298-فيبر ماكس: **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، تر: صلاح هلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011.

299-فيلالي كمال: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط1، ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2016.

300-فيلالي مختار الطاهر: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة. 1976.

301-قاسم أحمد: **البلاد التونسية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600)**، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004.

302-القاسمي عبد المنعم الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2006.

303-القاسمي عبد المنعم الحسني: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013.

304-قاسمية خيرية: **يهود البلاد العربية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015.

305-القشاعي فلة موساوي: **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1815-1871م)**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010.

306-قشي فاطمة الزهراء: **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

307-قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، ميديا بلوس Média-Plus، قسنطينة، الجزائر، 2005.

308-قشي فاطمة الزهراء: **مقالات عن قسنطينة**، ط1، منشورات دار مداد، قسنطينة، الجزائر، 2016.

309-القصير عبد القادر: **الهجرة من الريف إلى المدن دراسة ميدانية اجتماعية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

310-قنان جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائرالحديث (1500-1830)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1987.

311-قندوز عبد القادر: **الطب في ثقافة علماء الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2020.

312-قنديل أماني: **الحراك الاجتماعي في مصر "محاولة للفهم"**، تق محمد أمين إبراهيم، مصر، 2019.

313-كاتب كمال: **أوربيون"أهالي" ويهود بالجزائر 1830-1962**، تر: رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011.

314-كاستال بيار: **حوز تبسة**، تع وتح وتق: العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010.

315-كاستلز ستيفن وميللرمارك: **عصر الهجرة**، تر: منى الدروبي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2013.

316-الكتاني محمد: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج3، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2004.

317-الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.

318-كحول عباس: **زوايا الزيبانالعزوزية مرجعية علم وجهاد**، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013.

319-كوتي باولا: **تاريخ الهجرات الدولية**، تر: عدنان علي، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

320-كوش دنيس: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، 6. بيروت، لبنان، 2007.

321-الكوكي عادل: **وطن باجة دراسة منوغرافية واقتصادية**، ط1، الميسرة للنشر والتوزيع، تونس، 2021.

322-لاغة محي الدين: **نفزاوة (الجنوب التونسي) تاريخ وتراث**، المركز الجامعي، منوبة، تونس، 2018.

323-لبيض سالم: **عكارة في سوسيولوجيا القبيلة المغاربية**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2017.

324-لبيض سالم: **مجتمع القبيلة البناء الاجتماعي وتحولاته في تونس دراسة في قبيلة عكارة**، ط1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2006.

325-لزغم فوزية: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009.

326-لصهب عبد الله: **يهود الجزائر-التكوين الثقافي للطائفة-**، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.

327-الماجري الأزهر: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي 1830-1890 مسار التفكيك وآليات المقاومة**، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2013.

328-الماجري الأزهر: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي"**، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات، منوبة، تونس، 2007.

329-الماجري عبد الكريم: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس(1831-1937)**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010.

330-الماجري عبد الكريم: **الجزائريون بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1830-1939)**، ط1، SotepaGrafic، تونس، 2022.

331-مارشال جوردون: **موسوعة علم الاجتماع**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مج2، ط2، 2007.

332-المازوني محمد: **دراسات في التصوف المغربي**، طباعة ونشر سوس، أغادير، المغرب، 2012.

333-ماسترز بروس: **عرب الإمبراطورية العثمانية تاريخ ثقافي واجتماعي (1516-1918)**، تر: عبد الحكيم ياسين، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018.

334-مالتسان فون هاينريش: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

335-المالكي عبد الرحمن: **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016م.

336-المالكي عبد الرحمن: **الثقافة والمجال-دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب-**، ط1، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2015.

337-مان ميشان: **موسوعة العوم الاجتماعية**، تر: عادل مختار الهواري-سعد عبد العزيز مصلوح، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.

338-محرز أمين: **الجزائر في عهد الآغوات (1669-1671)**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

339-محسن عبد الله: **علم الاجتماع الاتجاهات النظرية وأساليب البحث**، تق وتر عبد الله شلبي، دار الشمس للطباعة، القاهرة، مصر، 2008.

340-محسن محمد: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999.

341-محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.

342-محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984.

343-المحفوظي آمال: **القيروان في الفترة الحديثة قداسة الصورة وعمق الانتماء**، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع والكتاب المختص، تونس، 2017.

344-حمد الناصر علي: **المشجر الفريد في نسب أولاد سيدي عبيد الشريف**، أدليس بلزمة للنشر والترجمة، باتنة، الجزائر، 2020.

345-محمد بن الأمير عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية- القاهرة، 1903م.

346-محمد بن عبد الوهاب أحمد: **القبيلة والزاوية في تونس دراسو سوسيوانثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة**، ط1، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، فيفري 2021م.

347-محمد حمو النوري عيسى: **نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية من 1505 إلى 1962**، ج1، دار الكروان، باريس، 1984.

348-محمد كرو أبو القاسم: **دراسات في التاريخ والتراث**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1991.

349-المدني أحمد توفيق: **جغرافية القطر الجزائري**، ساندیکادینیسیا تیف، الجزائر، 1948.

350-المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، ط1، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007.

351-المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ANEP، الرويبة، الجزائر، 2010.

352-المدني أحمد توفيق: **محمد عثمان باشا داي الجزائر"1766-1791"؛ سيرته، حروبه، أعماله**، نظام الدولة والحياة في عهده، م.و.ك، الجزائر، 1986.

353-المريمي محمد: **إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث**، ط2، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2016.

354-مريوش أحمد: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

355-المشرفي أبو حامد العربي: **ياقوتة النسب الوهاجة**، دراسة وتح بن عمر حمدادو-العربي بوعمامة، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

356-المشيري مبروك: **جزيرة جربة العمارة والعمران وطقوس الانتقال**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2021.

357-المصمودي محمد: **أنثروبولوجيا الإيقاع في المجال الواحي"واحات الجريد التونسي نموذجا"**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2016.

358-معاشي جميلة: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.

359-معجب نورة الحامد سعيد: **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز**، دارة الملك عبد العزيز للطبع والنشر، الرياض، السعودية، 1424هـ.

360-المعلول عبد الله إنبية: **التواصل الثقافي بين مدن إفريقية خلال الدولة الحفصية في الفترة ما بين 634-1236هـ/981-1573م**، ط1، المركز الوطني للدراسات والمحفوظات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2010.

361-معوشي آمال: **يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي 1830-1870م**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.

362-مفتاح عبد الباقي: **أضواء عل الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، (د.ت).354

363-مياسي إبراهيم: **مقاربات في تاريخ الجزائر**، 1830-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

364-مكحلي محمد: **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707-1827)**، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

365-المكني عبد الواحد: **الأصل والفصل في تاريخ عائلات صفاقس**، ط2، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، 2016.

366-المكني عبد الواحد: **شتات أهل وسلات بالبلاد التونسية مقاربة في الأنثروبولوجيا التايخية**، دار سحر للنشر، فيفري 2020.

367-منصور محمد: **المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822**، تر محمد حبيدة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012.

368-مؤدن عبد الرحيم: **الرحلة في الأدب المغربي**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

369-موللر هربرت: **التحركات السكانية في تاريخ أوروبا الحديث**، تر: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.

370-مولود زايد الطيب: **دور الحراك الاجتماعي في الحصول على المكانة الاجتماعية وعلاقته ببنية ونظام المجتمع**، جامعة الزاوية، ليبيا، (د.ت).

371-مونشيكور شارل: **القيروان والشابية (1450-1592)**، تر محمد العربي السنوسي، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2015.

372-الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج4، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2011.

373-نايت بلقاسم مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العلمية قبل سنة 1830**، ج2، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1985.

374-النبهان محمد فاروق: "**الإرث الثقافي والتاريخي بين الشعوب وأثره في تكوين مجموعات اقليمية منسجمة**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990.

375-النجار عامر: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها**، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1992.

376-النجار عبد المجيد عمر: **المستقبل الثقافي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997.

377-النظام زهراء: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، ط1**، منشورات دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2015.

378-النفاتي الطيب: **مجتمع الوطن القبلي زمن الاستعمار الفرنسي دراسة في مواقع فقراء الأرياف**(1881-1956)، دار نيرفانا للطباعة والنشر، تونس، 2012.

379-نورالدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2006.

380-نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.

381-نيسبيت أى. ريتشارد: **جغرافية الفكر**، تر شوقي جلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014.

382-هايت جلبرت: **هجرة الأفكار**، تر: شفيق أسعد فريد، شركة أمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2013.

383-الهجويري: **كشف المحجوب**، تر وتع اسعاد عبد الهادي قنديل، ج1، مكتبة الإسكندرية، مصر، يونيو 1974.

384-الهرماسي محمد عبد الباقي: **المجتمع والدولة في المغرب العربي**، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، .1999

385-هلال عمار: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

386-هلايلي حنيفي: **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010.

387-هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

388-هلايلي حنيفي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007.

389-الهمامي حمة: **المجتمع التونسي دراسة اقتصادية اجتماعية**، ط1، صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 1989م.

390-الهميلي جمال يوسف: **صناعة الفكر**، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2016.

391-هنية عبد الحميد: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012.

392-هويدي سلوى -جراد المهدي: **أعوان الدولة التونسية بتونس خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة: هيكل القياد**، المغربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 2019.

393-هويدي سلوى: **أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات (1735-1814)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2014.

394-الهويريني وليد بن عبد الله: **الحراك الفكري السعودي-لا أورق فكرية من سجلاته التاريخية-ط1**، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، 2016.

395-الهيلة محمد الحبيب: **المفتي أبو القاسم عظوم في عصره "لمعة نور في عصر أفل"**، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009.

396-الوسلاتي نورة: **المروية القبلية بين المعرفة التاريخية والدراسات التراثية"مراجعات في مرويات كتاب العدواني"**، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2020.

397-الوسلاتي نورة: **تمثل البداوة مقاربات في التاريخ الثقافي بين المغاربي والمحلي**، ط1، سوتيمديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019.

398-وولف ب. جون: **الجزائر وأوربا 1500-1830**، تر وتع أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

ب-المراجع باللغة الأجنبية:

01- Alouani Sallah: **Tribus et marabouts -A'Rab et walàya dans l'intérieure de l'Ifriqiya entre 12e et 18e siècles**, Academia scientiarumfennica, Helsinki, Finlande, 2010.

02- Bachrouch Toufik : **Formation Sociale Barbaresque et Pouvoir à Tunis au 17e siècle,** Publication de L'université de Tunis, Tunis, 1977.

03- Beaugaud.H: **Lettres de voyage « France, Italie, Sicile, Malte, Tunisie, Algérie, Espagne »**, Montréal des Presses de la Patrie, 1989.

04- Becker Howard et autres**: La sociologie-Histoire, Idées, Courants**, Science humaine Editions, France, 2009.

05- Belhamissi Moulay: **Alger, L'Europe et la guerre secrète 1518-1830**, éd : ANEP, Alger, 2009.

Belhamissi Moulay**: Histoire de la marine algérienne (1516-1830)**, 2e Edition, ENAL, Alger, 1986.

06- Bernard Caporal: **Oran Capitale du Beylik de L'Ouest (1792-1831),** éditions Alpha, Alger, 2012.

07- Berque Jacques: **l'Intérieur du Maghreb 15è-19é siècle**, Editions Gallimard, France, 1978.

08- Boyer Pierre: **L'évolution de L'Algérie médiane « ancien département d'Alger » de 1830 à 1956**, Paris, Maisonneuve, 1960.

09- Brahimi Denise: **Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux 17e et 18esiècles**, Société nationale et de Diffusion, Alger, 1978.

10- Cazés.D: **Essai Sur L'histoire Des Israélites De Tunis**, Librairie Armand Durlacher, Paris, 1889.

11- Chentouf Tayeb**: Etudes d'histoire de l'Algérie 18e et 19esiecles,** O. P. U, Alger, 2010.

12- Chérif Mohamed Hédi : **Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn bin Ali (1705-1740),** T 1, 2e Edition, C.P.U, Tunisie, 2008.

DaumasPhilippe : **Quatre ans à Tunis, Alger**, Hachette Livre, BNF, France, 1887.
13- De Grammont (D): **Correspondances des consuls D'Alger (1690-1742**), Adolphe Jourdan, Paris, 1890.
14- De Grammont (H.D): **Correspondance Des Consuls D'Alger (1690-1742),** Editions Assala Culture, Alger, 2013 .
15- Depont Octave – CoppolaniXavier **: les confréries religieuses musulmanes,** Alger, 1897**.**
16- Derdour H'sen **: Annaba 25 siècles de vie quotidienne et de Lutte**, T2, S.N.D, Alger, 1981.
17- Dermenghem Emile: **le culte des Saint Dans L'islam Maghrébin**, Ed. Gallimard, Paris, France, 1982.
18- Devoulx (Albert) : **Notice sur les corporations Religieuses D'Alger**, Alger, 1862.
19- Devoulx (Albert) **: Tachrifat**, Recueil De notes Historiques Sur l'administration De L'ancienne D'Alger, Alger, 1852

20- Doutté Edmond : **Notes Sur L'Islam Maghrébin Les marabouts**, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1900.
20- Drif Benjamin **: La communauté juive de Bône (1870-1940): mutations Socio-culturelles a L'époque coloniale, C.H.S**, France, 2015.
21- Dumas (De.M) : **Sahara Algérien** ; étude Géographique, Statistique et Historique sur La région au sud des établissements Français, Paris, 1845.
22- Duveyrier Henri **: Sahara Algérien et Tunisien ; Journal de route**, Annoté par Ch. Maunoire et H. Schirmer, Paris, France, 1905.
23- Emrit (Marcel**) : L'Algérie a L'époque D'Abd-El-kader**, Editions Larose, Paris, 1951.
24- Ernest Mercier: **Histoire de Constantine**, Imp. Ed. Marle et Biron, Paris, 1903.

25- Eseinbeth Maurice: **Les juifs de l'Afrique du Nord Démographique et Onomastique**, Imprimerie Du Lycée, Alger, 1936.

26- Fabiani Louis- Jean : **La Sociologie Histoire, idées et courants**, sciences humaines Editions, Auxerre, France, 2021.
27- Farid Khiari : **Vivre et Mourir en Alger- L'Algérie Ottomane aux 16e et 17e siècles**, éditions L'Harmattan, Paris, France, 2002.
28- Féraud Charles : **Histoire Des Villes De La Province De Constantine « Sétif, Bordj-Bou-Areridj, Mesila-Bousaada »**, Constantine, 1872.

29- Féraud Charles **: Histoire des villes de la province de Constantine- Bougie**, Constantine, 1869.
30- Filali Kamel : **L'Algérie mystiquedes marabouts fondateurs aux khwèn insurgés 15-19 siècle,** 2e édition, Editions Alexandre, Paris, 2020.
31- Gaid Moloud**: Chronique des Beys de Constantine**, O.P.U, Alger, 1983.
32- Gaid Mouloud: **L'Algérie sous les Turcs**, 2e Ed, Editions Mimouni, Alger, 1991.
33- Ganiage Jean : **Les origines du protectorat français en Tunisie (1861-1881)**, préface : Khalifa Chater, BERG Edition, Tunis, 2015.

34- Garffarel Paul **: l'Algérie**, Imprimerie De L'institut, Paris, France, 1883.
35- Garrot (Henri) : **Histoire Générale de L'Algérie**, Imp. crescenzo voutes, Alger, 1910.
36- Garrot Henri : **Les Juifs Algériens ; Leurs Origines**, Librairie Louis Relin, Alger, 1898.
37- Genevois. H : **Légende Des Rois de Koukou**, école second Dioc, El-Harrach, Alger, Algérie, 1974.

38- Gouvion(E), (M) : Ki**tabAyaneEl Maghariba**, Constantine, Ed Fontana, Alger, 1920.

39- Grangaud Isabelle: **La ville imprenenable une histoire sociale de Constantine**, Edition-Media Plus, 2004.
40- Guellouz. E et autres **: Histoire de la Tunisie les temps modernes**, S.T.D, Tunis, 1983.
41- Habart Michel : **Histoire d'un parjure**, les éditions de minuit, Paris, France, 1960, P 54.
42-Haddey. M. J**: Le Livre d'or Des Israélites Algériens**, Imprimerie Typographique De Bouyer, Alger, 1872.

43- Haggui Jamel : **Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962**, Les Editions Sahar-Tunisie, Tunis, 2020.

44- Henri Delmas de Grammont : **Histoire D'Alger sous la domination Turque 1515-1830,** présentation LemnouarMerouche, Editions Bouchene, France, 2002.
45- Jaques Berque **: L'intérieure du Maghreb 15-19e siècle.** Éd Gallimart, France, 1978.
46- Larguéche Dalenda : **Territoire sans Frontiéres la contrebande et ses réseaux dans la régence de Tunis au 19 sciécle**, Centre de publucation universitaire, Tunis, 2001.
47- Lebaron Frédéric : **La Sociologie**, Dunond, Paris, France, 2009.
48- Loualich Fatiha: **La famille à Alger 18e et 19e siècles**, Editions Média-Plus, Constantine, 2017.
49- Mahfoud Kaddache : **L'Algérie durant La période Ottomane**, OPU, Alger, 2002.
50- Mangin(E): **Notes sur l'Histoire de Laghouat,** Adolphe Jordan, Librairie-Editeur, Alger, 1895.
51- Mohamed Touli : **Correspondance Des Consuls De France à Alger 1642-1792**, C.H.A.N, Paris, France, 2001.
52- Monchicourt(Ch): **La région du haut tell en Tunisie « le Kef, Téboursouk**, **Magtar, Thala**, Librairie Armand colin, paris, France, 1913.
53- MongiSamida : **Les Zouaoua, une colonie Kabyle en Tunisie au 19e siècle,** Editions Tunis- Carthage, Tunis, 1986**.**
54- Nacib Youssef : **Cultures Oasiennes, Bou-Saada, Essai D'histoire Sociale**, éditions Zyriab, Alger, 2017.

55- Nouchi André **: Enquête Sur Le Niveau De Vie Des Populations Rurales Constantinoises de La conquête Jusqu'en 1919**, Presses Universitaires De La France, Paris, 1961.
56- Ortar Nathalie et autres : **Migrations, Circulations, Mobilités**, Presses Universitaires de Provence Aix- Marseille Université, France, 2018.
57- Pellissier. E : **Description de la régence de Tunis**, 2e Edition, Editions Bouslama, Tunis, 1980.
58- Puig Nicolas : **Bédouins Sédentarisés et société citadine à Tozour (Sud-ouest Tunisien),** Editions Karthala et IRMC, Paris, France, 2003.
59- Rinn Louis **: Le royaume D'Alger sous le dernier Dey**, Alger, 1900.
60- Rinn Louis : **Marabouts et Khouan**, Adolphe Jourdan, librairie – éditeur, Alger, 1884.
61- Saidouni Nacereddine : **L'algérois Rural a la fin de l'époque Ottomane (1791-1830)**, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2001**.**
62- Saladin Henry : **Tunis et Kairouan**, Librairie Renouard, Paris, France, 1908.
63- TemimiAbdEljelil : **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837**, Tunis, 1978.
64- Trumlet (C) : **L'Algérie légendaire**, Editeur augustin challamel, Paris, 1892.
65- ValensiLucette : **Fellahs Tunisiens L'économie rurale et la vie des compagnes aux 18e et 19e siècles,** Mouton- Paris- La Haye, Hollande, 1977.
66- Vayssette Eugéne: **Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837**, Media Plus, Constantine, 2010 .
67- Vincent Kaufmann **: « Histoire de la notion de mobilité »,** Forum vies mobile**,** 18 Mars 2012.
68- WarscheiI smail: **Droit musulman et Société au Sahara Prémoderne, la justice islamique dans les oasis du grand Touat (Algérie) au 17e- 19e siècles**, Brill-France, 2017.

خامسا: القواميس والمعاجم.

أ–العربية:

01–ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، ت: عبد الله العلايلي، مج1(أ–ر)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت).

02–أبو العينين خضر: **معجم الأخطاء النحوية واللغوية والصرفية الشائعة**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

03–أمون هلا: **معجم تقويم اللغة العربية وتخليصها من الأخطاء الشائعة**، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.

04–انقزو محمد: **معجم المفاهيم والمصطلحات في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط1، رسلان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2015.

05–بدوي أحمد زكي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.

06–البستاني بطرس: **محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987.

07-بودون وف. بوريلو: **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، تر: سليم حداد، ط1، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986.

08-بورون ر. وبوريلو ف.: **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، تر: سليم حداد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1956.

09-بينيت طوني وآخرون: **معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، عالم المعرفة، بيروت لبنان، 2010.

10-جماعة من المختصين: **معجم النفائس الكبير**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.

11-جمعة محمود عبد الرزاق: **الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية**، ط1، منشورات بتانة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2018.

12-حجازي سمير سعيد: **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، ط1، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 2007.

13-الخريف رشود بن محمد: **معجم المصطلحات السكانية والتنموية**، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، السعودية، 2010.

14-ذبيان سامي وآخرون: **قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية**، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1990.

15-رضا أحمد: **معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة**، مج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1985.

16-الزمخشري: **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

17-سعيد جلال الدين: **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب للنشر، تونس، 1947.

18-الشاهين شامل: **معجم المنتقى من الخطأ والصواب في اللغة العربية**، دار غار حراء، القاهرة، مصر، (د.ت).

19-الصالح صالح العلي. أمينة الشيخ سليمان الأحمد: **المعجم الصافي في اللغة العربية**، دار الشرق الأوسط، الرياض، السعودية، 1989.

20-الصالح مصلح: **الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط1، دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،1999.

21-صليبا جميل: **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982.

22-عاطف محمد غيث: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.

23-العدناني محمد: **معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1989.

24-العدناني محمد: **معجم الأخطاء الشائعة**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1985.

25-علوش سعيد: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985.

26-عمر أحمد مختار: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتاب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، 2008.

27-العوفي عيسى سعد والجميدي عبد الرحمن علوي: **القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير**، ط1، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.

28-الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

29-الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

30-فيريول جيل: **معجم مصطلحات علم الاجتماع**، تر وتق: أنسام محمد الأسعد، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2011.

31-قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام-نسخة الشرق الأوسط.

32-المثلوثي الهادي وآخرون: **قاموس الجغرافيا**، ط1، الناشر: شمال- جنوب، تونس، 2002.

33-مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، 2004.

34-مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ج1، 1972م.

35-مجموعة مؤلفين: **المنجد الأبجدي**، ط5، دار الشروق، بيروت، لبنان، .1986

36-محمد جودة مبروك: **المعجم الوجيز في الأخطاء الشائعة**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005.

37-مصلح عدنان: **معجم علم الاجتماع**، ط1، دار أسامة-دار المشرق الثقافي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.

38-المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 2012.

39-نعمة انطوان وآخرون: **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط1، دار الشرق، بيروت، لبنان، 2000م.

40-اليسوعي فردينان توتل: **المنجد الكبير في اللغة**، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2015.

ب-المعاجم الأجنبية:

01-Boudon(R) Et Autre, **Dictionnaire de sociologie**, Larousse, Paris, 2012.
02-**Le Nouveaux Petit Robert De La Langue Française**, Paris, 2009.
03- **Le Petit Larousse Illustre**, Paris, 2012.

سادسا_الرسائل الجامعية.

أ-العربية:

01-أقران ليلى: **الحياة اليومية بمدينة الجزائر من خلال سجل التركات 111-1113هـ/1699-1701م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2016-2017.

02-الإمام رشاد: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، د.ت.

03-أوجرتني محمد: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014-2015.

04-آيت سوكي محند أكلي: **إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2014-2015.

05-آيت سوكي محند آكلي: **تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها في مختلف الجوانب الحياتية-من القرن 10-13هـ/16-19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2006-2007.

06-بالحاج ناصر: **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين 9-13هـ/15-19م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، 2013-2014.

06-بالروين محمد: **الحراك السياسي وأثره على الاستقرار السياسي في دولة الكويت**، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، الكويت، .2013

07-بحري أحمد: **الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002.

08-البرهومي عثمان: **اللزم والمجال الحضري بالإيالة التونسية خلال العهد الحديث 1705-1856م**، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، تونس، 2009.

09-بعارسية صباح: **حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 16**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2005-2006.

10-بن العيفاوي علي: **مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2008-2009.

11-بن تيشة أحمد: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني الجزائر وتونس انموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015.

12-بن جبور محمد: **صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م**، مذكرة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، جامعة وهران، 2002-2003.

13-بن حليمة صحراوي: **الحركات السياسية-الدينية في الجزائر بين القطيعة والاستمرارية**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران، 2010-2011.

14-بن حيدة يوسف: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر تونس خلال الفرتة العثمانية" الطريقة الشابية نموذجا"**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م.

15-بن زردة توفيق: **"التحولات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الخلفية لمدينة قسنطينة خلال القرن 19م مجال عامر الشراقة"**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2018.

16-بن يوسف تلمساني: **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (1782-1900)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998/1997م.

17-بوتدارة سالم: **الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017م.

18-بوترعة شهرزاد: **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرةماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014-2015.

19-بوتوقوماس حفيظة: **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

20-بوتوقوماس حفيظة: **المجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1835-1882**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2017-2018.

21-بوخلوة حسين: **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988-1073هـ، / 1580-1663)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008-2009.

22-بودريعة ياسين: **الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2016-2017.

23-بودية سهام: **دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، أطروحة دكتوراة في التاريخ لحديث، جامعة قسنطينة 2، 2018-2019.

24-بورمضان عبد القادر: **المجتمع والعمران في مدية عنابة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1900م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2021-.2022

25-بوسعيد أحمد: **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ العام، جامعة أدرار، 2011-2012.

26-بوشنافي محمد: **الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر(1700-1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2001-2002.

27-بوشنافي محمد: **القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007-2008م.

28-بوشيبة ذهيبة: **اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس-سيدي بلعباس.

29-بوقادوم حمزة: **الحراك الفكري لعلماء المغرب خلال القرن 16م الشيخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي أنموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 201-2014.

30-بولنوار صبرينة: **مؤسسة بيت المال ودورها الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني**: مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 209، 201.

31-بيرم كمال: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1840-1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011.

32-بيلامي وداد: **النفوذ الاقتصادي السياسي ليهود الجزائر(15156-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004م.

33-بيلامي وداد: **اليهود والشبكة التجارية في إيالة الجزائر والحوض الغربي للمتوسط 1686-1830**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، السنة الجامعية: 2017-2018م.

34-جابو أحمد: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس(1830-1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.

35-الجفالي يوسف: **الجالية الجزائرية بجهة الكاف من سنة 1881 إلى 1929**، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى، 1992-1993.

36-حصام صورية: **العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012-2013.

37-حلوان محمد: **السلطة الاستعمارية في الجزائر ومسائل التخوم مع الإيالة التونسية (1830-1881)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019-2020.

38-حماش خليفة: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

39-حمزة عبد الصمد: **أهل الذمة في الدولة الزيانية (1235-1554)**، أطروحة دكتوراة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، 2016-2017.

40-حمصي لطيفة: **المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/1710-1830م**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، 2011-2012.

41-الحناشي محمد علي: **الحياة الدينية والعلمية بمدينة الكاف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة تونس، 2004-2005.

42-خديجة يعقوب: **شيوخ القبائل ومؤسسة المشيخة في بايلك الشرق الجزائري والوسط الغربي التونسي من 1700إلى 1860**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2، 2017-2018.

43-دحماني توفيق: **الضرائب في الجزائر (1206هـ-1282هـ/1792-1865)**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008.

44-درقاوي منصور: **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10-13هـ/16-19م) بين التأثير والتأثر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م.

45-دوبالي خديجة: **رسائل أحمد باي إلى حسين باشا(1240-1245هـ-1826-1830م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006.

46-رقية مراد: **الوضع الجبائي بالبلاد التونسية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التسع عشر 1705-1820م (قيادة سوسة)**، دكتوراة غير منشورة، اشراف توفيق البشروش، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العام الجامعي، 1998م.

47-رموم محفوظ: **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م دراسة تاريخية أنثروبولوجية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م.

48-زدك إبراهيم: **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/19-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018-2019.

49-زدك إبراهيم: **الفتوى عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، الجزائر، 2011-2012.

50-زروق جيجيك: **المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015.

51-زمولي يسمينة: **علماء جزائر القرن التاسع عشر مسارات ومواقف**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 2018-2019.

52-سالم حمد الحاج: **"الحراك المجالي والتغير الاجتماعي الثقافي"من خلال السكن في العمارات الجماعية بمدينة تونس"**، بحث مقدم لنيل شهادة الدرسات المعمقة في علم الاجتماع، جامعة تونس الأولى، 1996-1997.

53-سالم محمود جذور علي: **أثر التعليم في الحراك الاجتماعي بالمجتمع الليبي**، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2004-2005.

54-شارف رقية: **التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وغلى غاية 1267هـ/1850م**: دراسة وصفية –تحليلية-نقدية-مقارنة، مقاربة في المنهج التاريخي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية:2016-2017م.

55-شترة خير الدين: **مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية من مطلع القرن العشرين إلى غاية سنة 1939**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002.

56-شدري معمر رشيدة: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2005-2006.

57-الشمري جميلة بنت عيادة: **مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة**، ماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

58-طوبال نجوى: **الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية 1122-1246هـ/1710-1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2013-2014.25.

59-طوبال نجوى: **طائفة اليهود بمجتمع الجزائر(1700-1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2004-2005.

60-العمري مومن: **شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

61-غويني ليلى: **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

62-فيلالي السايح: **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1997-1998.

63-قدع محمد العيد: **الروابط الاجتماعية والثقافية بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي (1881-1962)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2019-2020م.

64-قشوان عبد الرزاق: **الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219-1282هـ/ 1804-1871م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2018م.

65-قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، تونس، 1419هـ-1998.

66-كبيش عبد الحكيم: **التمدد الحضري والحراك التنقلي في النطاق الحضري لمدينة سطيف**، أطروحة دكتوراه في تهيئة المجال، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر،2010-2011.

67-كحول عباس: **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

68-لبصير سعاد: **هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

69-لحمر كمال: **صورة المجتمع الجزائري في المجلة الإفريقية 1856-1962**، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011.

70-لزغم فوزية: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (1520-1830)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م.

71-لطرش حنان: **السلطة والمجتمع في الجزائر (1830-1848م) الثابت والمتحول**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2018.

72-لطرش حنان: **السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في العهد العثماني، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006.

73-لعريبي اسمهان: **الحياة الاقتصادية بباليك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2012-2013.

74-لكحل الشيخ: **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851-1908)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018.

75-لواليش فتيحة: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.

76-محمدي رزيقة: **النظام التعليمي في تونس خلال الفترة الحسينية 1117-1298هـ/1705-1881)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2019-2020.

77-محيدب حبيبة: **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2015-2016.

78-مديني البشير: **إسهامات الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 1830-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2014-2015.

79-مديني بشير: **الجالية الجزائرية في تونس-السوافة نموذجا (1876-1954)**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2005-2006.

80-المشيشي فاتن: **ضبط الحدود التونسية الجزائرية بين 1881و 1962 "دلالات التحييز الفرنسي"**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة تونس الأولى، تونس، 2008-2009.

81-مصباحي نبيهة: **زواوة بالبلاد التونسية في الفترة الحديثة**، مذكرة ماجستير في التاريخ لحديث، جامعة تونس1، تونس، 2008-2009.

82-مصطفى عيسى مصطفى محمد: **أثر وسائل التواصل الاجتماعي على الحراك الاجتماعي في السودان**، ماجستير في علم الاجتماع، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2019.

83-معاشي جميلة: **الإنكشارية والمجتمع بباليك الشرق في نهاية العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

84-مغاوري عبد الكريم: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى ومصر خلال العصر الحديث 1492-1822**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

85-مقصودة محمد: **أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين 18 و19م دراسة سوسيو تاريخية مقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، 2018-2019.

86-نفطي وافية: **الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة من خلال وثائق الأوقاف 1830-1930**، مذكرة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، 1995-1996.

87-نفطي وافية: **الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، الحاج لخضر، 2016-2017م.

88-هلايلي حنيفي: **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999-2000.

89-الهواري محمد: **شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066هـ/ 1656م)، دراسة وتحقيق**، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012-2013م.

90-يوسفي الطيب: **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي انموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020م.

ب-الرسائل باللغة الأجنبية:

01-Babes Leila **: Mythe D'Origine et Structures Tribales dans Le constantinois sous La domination Turque**, Thèse Doctorat de 3e Cycle, Etudes Politiques, Université d'Aix-Marseille, France, 1948.

02-Bloch Edouard: **« La peste en Tunisie: Aperçu historique et épidémiologique »,** Thèse pour le doctorat en médecine, Tunis, 1929.

03- Jean Marchika : **La peste en Afrique Septentrionale**, Histoire de peste en Algérie de 1363 à 1830, Thèse de Doctorat en Médecine, Alger, 1927.

04- Martin Claude : **Les Israélites Algériens De 1830 a 1902**, Thèse Pour Doctorat ès-Lettres, Université de Paris, France, 1936.

05-Tabaka Kamila : **vers une nouvelle socio-géographie de la mobilités quotidiennes**, Thèse du Doctorat en Géographie, Université Joseph Fourier-Grenoble, France, 2009.

سابعا_المقالات:

أ-بالمجلات العربية.

01-أبو القاسم سعد الله:"**إعلام الأحبار مقامة لأحمد البوني**"، مجلة الثقافة، العدد 58، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، أوت 1980.

02-إدحمان سعيد:"**دور الأوبئة والجوائح المائية في الهجرات البشرية بالمغرب خلال العصر الحديث**"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 68، لبنان، اكتوبر 2020.

03-الإمام رشاد:"**الأندلسيون في البلاد التونسية في منتصف القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24، تونس، نوفمبر، 1981.

04-الإمام رشاد: "**سياسة حمودة باشا الحسيني 1782-1814**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس، جويلية 1976.

05-أوجرتني محمد: "**قضايا الغلو والتكفير في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها- بوشقرون الوهراني نموذجا-**"، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة حمة لخضر، الواداي، جوان 2017م.

06-أوغلو متان شريف: "**التيار الصوفي في البلاد التونسية وموقفه من السلطة السياسية خلال القرنين 15 و16م**"، مجلة شرقيات، المجلد 14، العدد 03، إستانبول، تركيا، ديسمبر، 2022.

07-الباهي مبروك: "**الحوز القبلي في سباسب إيالة تونس (القرن 16-القرن19م) خطاب الأرض**"، مجلة بصمات، العدد 1، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2006.

08-الباهي مبروك: "**مفاهيم المجال التونسي لدى نخبة من مؤرخي العصر الحديث في القرن (17-18-19)**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 74، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ماي 1994.

09-بحري أحمد: "**ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج8، العدد 9، جامعة وهران، 2012، جامعة وهران.

10-برشان محمد: "**اليهود في منطقة بشار من خلال المصادر المحلية**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 11، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2014.

11-بركاني حسين: "**المقاربة الجينالوجيةلبراديغيم الحراك والثورة عند فرديريك نيتشه**"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج 10، العدد 1، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2021.

12-البرهومي صلاح الدين: "**القطيع في الشمال الجبلي خمير وماكنة ونفزة ومقعد في القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية لمغاربية، العدد 120، مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005.

13-بلغيث محمد الأمين: "**الطريقة الشابية في تونس والجزائر محاولة لرسم مسار الحركة خلال القرنين 16 و17م**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 114، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، تونس، جانفي 2004.

14-بن حسين كريمة: "**خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 89-90، منشورات التميمي للبحث العلمي، والمعلومات، زغوان، تونس، ماي 1998.

15-بن خروف عمار: "**العلاقات بين الجزائر وتونس من 1574 إلى 1671**"، مجلة دراسات إنسانية، العدد 02، جامعة الجزائر، 2002.

16-بن زردة توفيق: "**إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/ 1756م-1192هـ/1779 من خلال الدفترين 2145، 2144 بالأرشيف التونسي**، مجلةالآداب والعلوم الأنسانية، مج 16، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2017.

17-بن زروال جمعة: "**هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني**"، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 23، جوان 2017.

18-بن سليمان فاطمة: "**مجال خمير والسلطة المركزية بتونس في القرن التاسع عشر: من التخوم إلى الحدود ومن المخزن إلى الدولة**"، مجلة روافد، العدد 05، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 1999-2000م.

19-بن منصور عبد الوهاب: "**أثر العامل الجغرافي في التجمعات والأحلاف الإقليمية**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990.

20-بن نعماني سيد أحمد: " **وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج1، العدد 1، جامعة الجزائر، جانفي 2013.

21-بن يويف سليمان داود: "**صلة جربة بواد مزاب**"، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي الآثار والفنون، تونس، 1986.

22-بنبلغيث الشريف:"**أهمية وثائق القضاء وسجلاته في كتابة التاريخ الحديث"الوثائق التونسية انموذجا**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 12، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 1996.

23-بنبلغيث الشيباني: "**أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر لكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 12، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 1996.

24-بنيرد حاج: "**قضايا التأليف في القرنين الحادي عشر والثاني عشر عند المغاربة وميزاتها**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 77، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، مارس 2012.

25-البهنسي أحمد: "**يهود الجزائر في الفكرين الاستشراقي والسياسي الإسرائيلي**"، مجلة دراسات استشراقية، العدد 14، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2018.

26-بوتدارة سالم: "**التواصل الثقافي بين الإيالات المغاربية العثمانية**"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 09، جامعة أم البواقي، الجزائر، جوان 2018.

27-بوراس يحي بن عيسى: "**الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

28-بوراس يحي بن عيسى: "**الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

29-بوسعد الطيب: "**الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني_وادي ريغ نموذجا**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، جامعة غرداية، 2011.

30-بوسلامة محمد: "**هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني 1518-1830**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، العدد 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، جانفي 2019.

31-بوسليم صالح -محمة عائشة: "**من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني 1519-1830**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج4، العدد 05، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، 10 جويلية 2018.

32-بوشنافي محمد: "**هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 04، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، 2009.

33-بوشيبة دهيبة: "**العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 03، العدد: 01، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، .2012

34-البوعبدلي المهدي: "**الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها**"، مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر، 1974.

35-البوعبدلي المهدي: "**عبد الكريم بن الفقون القسنطيني والتعريف بتأليفه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**"، مجلة الأصالة، العدد 51، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1397هـ/ نوفمبر 1977.

36-بوعرفة عبد القادر: "**الحراك الشعبي بالجزائر، الدوافع والعوائق**"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 07، جامعة وهران، 2009.

37-بوعزيز يحي: "**أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين**"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 7، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، جوان 2005.

38-بوعزيز يحي: "**دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881**"، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982م.

39-بوعزيز يحي: "**اسبانيا توسط الجزائر لابرام صلح مع تونس**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 3، العدد 01، جامعة الجزائر، 1988.

40-بوكريديمي نعيمة: "**دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي**"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، جوان 2016.

41-بونو سلفاتوري:"**تاريخ المغرب الكبير قبل الاستعمارمن القرن 15م إلى القرن 19م** "، محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، المجلد 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م.

42-بويزكارن هشام: "**الترحال والانتجاع بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19م**"، مجلة ريحان للنشر العلمي، العدد 37، مركز فكر للدراسات والتطوير، سوريا، 2023.

43-التميمي عبد الجليل: " **العلم القسنطيني أثناء حكم أحمد باي آخر بايات قسنطينة**"، مجلة الأصالة، العدد 65، الجزائر، 1978.

44-التميمي عبد الجليل: "**العلم القسنطيني أثناء حكم أحمد باي آخر بايات قسنطينة**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 02، تونس، 1974جويلية.

45-جابو أحمد: "**أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ما بين 1830-1881**"، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 6، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012 .

46-حاجيات عبد الحميد: "**الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي**"، مجلة الثقافة، العدد 14، الجزائر، 1987.

47-الحبابي محمد عزيز: **المغارب**: "**البلد الذي وحدته الجغرافيا والجيولوجيا عبر العصور**"، من كتاب أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات اقليمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1990.

48-حبّار مختار: "**الحضور الصّوفي في الجزائر على العهد العُثماني**"، مجلة التراث العربي، العدد 57، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، أكتوبر" 1994.

49-حقي محمد صلاح: "**النشاط الاقتصادي لقبيلة الفراشيش في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وعلاقته باقتصاديات البلدان الأوربية**"، مجلة كان التاريخية، العدد 45، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، سبتمبر 2019.

50-حماش خليفة: " **الألقاب التركية في الجزائر في العصر الحديث**"، سلسلة أعمال ملتقيات **الهجرة، الحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي**، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2010.

51-حماش خليفة: "**وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني وقفية الباي التونسي المشير أحمد باشا عام 1256هـ/1840م نموذجا**"، مجلة أوقاف، العدد 22، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2012.

52-حنان مالكي: "**المدرسة والحراك الاجتماعي**"، دورية دفاتر المخبر، العدد 11، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016.

53-الخداري محمد: "**الجزائر في بداية القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية، بحوث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني**"، الرباط 12-14 نوفمبر 2009، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، تركيا، 2013.

54-خليفي عبد القادر: "**الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية**"، مجلة المواقف، العدد 04، منشورات جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009.

55-خنفار حبيب: "**دور العامل الاجتماعي في الحركة العلمية لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ديسمبر 2014.

56-الخويلدي زهير:"**فلسفة الدين بين تاريخية المعتقدات ودنيوية المقدس**"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 2018.

57-دربالي منال: "**لمحة تاريخية عن الأوبئة في تونس**"، كراسات المنتدى، عدد04، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية المرصد الاجتماعي التونسي، 2020.

58-دفع الله خالد محمد: "**استجابة البحوث للسياسات: حالة بحوث الهجرة القسرية في السودان**"، مجلة سياسات عربية، العدد 19، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، مارس 2016.

59-دي ايبالزا ميكال: "**حول ثلاثة أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا**"، تر: عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، العدد 34-35، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1976.

60-رموم محفوظ:"**حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830**"، مجلة الحقيقة، العدد 27، جامعة أدرار، الجزائر، ديسمبر .2013

61-رموم محفوظ: "**الحراك الاجتماعي في مدينة قسنطينة إبان القرن 19م العتق والعتقاء انموذجا**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 140، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2010.

62-روابحي العياشي: "**هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر**"، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج24، عدد 53، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2018.

63-الساحلي خليل: "**الصراع بين قراصنة تونس والجزائر والبندقية في القرن السابع عشر**"، المجلة التاريخية المغربية"، العدد 04، زغوان، تونس، 1975.

64-سعد الله أبو القاسم: "**من آثار ابن العنابي**"، مجلة الأصالة، العدد 40/39، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1976.

65-السعداوي ابراهيم: "**المخزن والمجال الجبلي التونسي بين 1630 ونهاية القرن الثامن عشر**"، العدد 1، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2006.

66-السعداوي محمد: "**الجزائريون السوافة بالحاضرة تونس لمحة عن تاريخ جالية وافدة زمن الحماية 1881-1956**"، دورية كان التاريخية، العدد 58، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، ديسمبر 2022.

67-سعدي علي وجبير عبد الزهرة: " **الحراك الشعبي: دراسة نظرية في المفهوم والأسباب**"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج14، العدد 2، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020.

68-سعيداني محفوظ: "**الأسرة العلمية بالجزائر"آل قدورة انموذجا**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 9، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، جوان 2018.

69-سلاطني مكارم: **"لمحة عن تاريخ الأوبئة بتونس"**، مجلة آفاق فكرية، المجلد: 09، العدد: 03، جامعة الجيلالي البابس، سيدي بلعباس، ديسمبر 2021.

70-سوداني عبد القادر: "**الجزائر والأزمات السياسية في تونس خلال القرنين 18و19م**"، مجلة جيل، العدد 11، لبنان، 2017.

71-الشابي علي:"**أمير القيروان محمد بن أبي الطيب الشابي 949هـ/1542-956هـ/1557**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 135، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 2009.

72-الشابي علي: "**العلاقات بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 17-18، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، جانفي 1980.

73-شافو رضوان وبوسعدة محمد: "**دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري**"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتمماعية، العدد 8، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 216.

74-شافو رضوان: "**انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830-1954م**"، مجلة كان التاريخية، العدد 34، الكويت، ديسمبر 2016

75-شترة خير الدين: "**الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي-الجزائر وتونس أنموذجا**"، الملتقى الدولي الحادي عشر"**التصوف في الإسلام والتحديات الكبرى**"، 9-11 نوفمبر 2008، جامعة أدرار، الجزائر.

76-الشربطي المنصف: "**الأبعاد التنظيرية والاجتماعية للطريقة القادرية بالبلاد التونسية من أواخر القرن الثامن عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 104، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2021.

77-الشربطي المنصف: «**الإحسانات الموزعة على الزوايا في القرن الثامن عشر: الدلالات السياسية والاجتماعية والدينية**» ، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 99-100، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ماي 2000.

78-شرق عامر، درعي فاطمة: "**إحسانات بايات تونس لافتداء الأسرى المغاربة في النصف الأخير من القرن 18م من خلال الدفاتر الجبائية بالأرشيف الوطني التونسي**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر، 2020.

79-شني فيروز: "**التواصل الحضاري بين الترجمة والمثاقفة**"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 50، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2018.

80-شويتام أرزقي: "**العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية-الفترة الحديثة**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011.

81-شويتام أرزقي: "**دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية**"، مجلة أفكار وآفاق، مج3، العدد 04، جامعة الجزائر 2، 2013.

82-الصباغ ليلى: "**الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8، تونس، جانفي 1977.

83-صديقي علي عبد الفتاح: "**الرحلات ودورها في التواصل العلمي بين توات وغيرها من الحواضر**"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج19، العدد 02، جامعة وهران، 2018.

84-صولي فاطمة الزهراء – شويتامأرزقي: "**هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن 18م ومطلع القرن 19 الأسباب والنتائج**"، مجلة عصور، مج21، العدد 01، جامعة وهران، الجزائر، جويلية 2022.

85-طلاي محمد إبراهيم: "**العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب**"، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، تونس، (د.ت).

86-طلاي محمد ابراهيم: **العلاقة بين سكان جربة ومزاب**، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة، أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1986.

87-الطيب علي الشريف: "**ملامح ثقافية من علماء ليبياوأدبائها في العصور الإسلامية**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 29-30، دبي، الإمارات العربية المتحدة، يوليو 2000.

88-العادل محمد: "**الأوضاع التخومية والحدودية بين إيالة تونس وإيالة الجزائر خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 157، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2015.

89-عتيقة مصطفى:"**مساهمة التقاريظ والرسائل في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج4، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2021.

90-عثماني الجباري: "**العلاقات الاجتماعية بين واحتي سوف والجريد التونسي 1854-1914 -دراسة أرشيفية-**"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج3، العدد 01، جامعة يحي فارس، المدية، جانفي 2022.

91-العقيل صالح عبد الله، **دور الحراك الثقافي في التغير الاجتماعي وحماية الأمن الفكري**، مجلة بحوث التربية، العدد 21، جامعة المنصورة، 2011.

92-علاش صباح: "**التناقل الثقافي الحرف التقليدية النسائية بالريف نموذجا**"، مجلة أسيناك، العدد 14، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2019.

93-علواني صالح: "**انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين 7-9هـ/15-16م**"، مجلة إنسانيات، العدد 60-61، CRASC، وهران، الجزائر، 2013.

94-العماري أحمد: "**خلفيات الحدود الجيو-سياسية للأتراك والفرنسيين تجاه وحدة المغرب الكبير**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص 2، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 1985.

95-العمري الطاهر: "**بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي**"، أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، المنتظم بجامعة منتوري، قسنطينة في 23-24 أفريل 2001.

96-الغامدي عبد العزيز صالح: "**دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين والعلماء المغاربة**"، مجلة ميقات الحج، مج 21، العدد 42، طهران، إيران، يناير 2016.

97-الغربي الأزهر: "**منطقة ماطر أواخر القرن 19م**"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت، دوتا:1991-1992، مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس، 1993.

98-غطاس عائشة:"**من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية**"، مجلة إنسانيات، العدد 19-20، CRASC، وهران، الجزائر، 2003.

99-غطاس عائشة: "**تجار مغاربيون بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال وثائق القنصلية لفرنسية**"، من كتاب دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعدالله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

100-غطاس عائشة: "**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983.

101-غنية بلغربي: "**سوسيولوجية الحراك الاجتماعي المهني**"، مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، مج 4، العدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

102-غويني ليلى: "**التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر 2، 2012.

103-فقيقي محمد الكبير: "**التواصل العلمي بين أعلام المغرب ومصر أثناء القرنين 17 و18م من خلال رحلات المغاربة الحجازية**"، مجلة الفسطاط التاريخية، مصر، ماي 2011.

104-فكرة عبد العزيز: "**العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، جامعة تبسة، الجزائر، 2017.

105-فيلالي كمال:"**هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد 03، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، أفريل 2010.

106-فيلالي كمال: "**الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد الأول، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2005.

107-القشاعي فلة موساوي: "**وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جامعة الجزائر 02، 2001.

108-قشي فاطمة الزهراء، حني محفوظ: "**جماعة الجرابة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**"، مجلة الإحياء، مج 21، العدد 28، جامعة باتنة 01، جانفي2012.

109-قشي فاطمة الزهراء، بودية سهام: "**مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800-1825**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 49، جامعة قسنطينة 2، 2018.

110-قشي فاطمة الزهراء: "**التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء**"، من كتاب **الأسماء والتسمية أسماء الأماكن، القبائل والأشخاص في الجزائر**، منشورات CRASC، وهران، الجزائر، 2005.

111-الكعاك عثمان: "**الوحدة الثقافية للمغرب العربي**"، مجلة الأصالة، العدد 11، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1392.

112-كعوان فارس: "**من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر العثمانية: لغة الفرانكا انموذجا**"، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد 02، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، جوان 2020.

113-لبصير سعاد:"**التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 08، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2017.

114-لزغم فوزية: "**إجازتا عيسى الثعالبي للشيخين محمد العيثاوي وإبراهيم قدورة أنموذج عن النشر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع12، جامعة تيارت – الجزائر، 2015م.

115-لزغم فوزية: "**العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671-1830 ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**"، مجلة الخلدونية، مج12، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020.

116-لزغم فوزية: "**بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية، مج3، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، سبمبر 2020.

117-مديني بشير: "**قراءة تاريخية حول الجالية الجزائرية بتونس**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 20، جامعة غرداية، الجزائر، 2014.

118-المرزوقي فتحي:"**المخزن ومخزنة القبائل التونسية من أوائل العهد الحفصي إلى بدايات الحكم العثماني 1230-1686**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 79-80، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1985.

119-مزهودي مسعود: "**العلاقات الثقافية بين أباضية جربة وأباضية المغرب الأوسط في القرنين الرابع والخامس للهجرة**"، حوليات الجامعة التونسية، العدد 39، تونس، 1995.

120-مزيغة أمينة: "**مصطلح الفتوى**"، مجلة الغنية، العد 2 و3، مركز دراس لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، مارس 2013م.

121-مسعود العيد:"**المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، العدد 10، جامعة قسنطينة، أفريل 1988م.

122-مسعود العيد: "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، العدد 03، جامعة قسنطينة، ماي 1980.

123-المعلول عبد الله أنبية: "**هجرة بعض العلماء الليبيين في العهد الحفصي الأسباب والنتائج**"، مجلة الجامعة المغاربية، العدد 01، طرابلس، ليبيا، 2007.

124-معومة وليد الهادي: "**وباء الطاعون في الإيالات العثمانية بشمال إفريقيا-طرابلس، تونس، الجزائر-خلال القرن الثامن عشر**"، مجلة الجامعة الأسمرية، مج35، العدد 3، ليبيا، سبتمبر، 2022.

125-مفتاح تفاحة: "**أوقاف الجامع الكبير بغار الملح من خلال وثيقة أرشيفية تعود إلى أواسط القرن الثامن عشر**"، مجلة السبيل؛ مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد 1، جامعة منوبة، تونس، 2016.

126-مكحلي محمد: "**الطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707-1827)**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 104، منشورات مؤسسة التميمي زغوان، سبتمبر 2001.

127-المنصف التايب: "**المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني**"، مجلة روافد، العدد 04، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس، تونس، 1998.

128-المهدي البوعبدلي: "**عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة، العدد 53، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978م.

129-مهديد إبراهيم: "**الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن 19م والرأسمالية الاستعمارية-إشكالية الاندماج الاجتماعي**"، مجلة إنسانيات، عدد 04، CRASC، وهران، الجزائر، جانفي-أفريل 1998.

130-الناصري محمد المكي: "**وحدة المغرب العربي**"، مجلة الثقافة، العدد 15، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1973.

131-النصيري الأخضر: "**القبيلة في الأبحاث التاريخية والأنتروبولوجيةوالسوسيولوجية**"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 190، تونس، فيراير 2008.

132-النفاتي عادل: "**القبيلة والأرض والسلطة في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**"، مجلة ليكسوس، العدد 49، مركز موكادور للدراسات والأبحاث، المغرب، نوفمبر 2023.

133-نور الدين النوري: "**عشائر مدينة نفطة ومعالمها خلال العهد العثماني**"، مجلة الحوار التوسطي، مج9، العدد 3، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ديسمبر 2018.

134-النيفر محمد البشير: "**تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة**"، المجلة الزيتونية، مج1، ج1، تونس، سبتمبر 1936

135-هلال عمار: "**العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، جامعة الجزائر، 1995.

136-هلايلي حنيفي:"**الحضور الأندلسي بالجزائر على ضوء المحاكم الشرعية**"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، أوت 2002.

137-هلايلي حنيفي: "**الوافدون على مدينة الجزائر العثمانية بين التهميش والاندماج-البساكرة نموذجا**"، المجلة الخلدونية، العدد 06، الجمعية الخلدونية، بسكرة، الجزائر، 2008.

138-هنية عبد الحميد: "**الملكية والأسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر**"، مجلة كراسات تونسية **Les Cahiers de Tunisie**، العدد 121-122، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس 1، تونس، 1982.

139-يوسفي صرهودة: "**الهدايا التونسية لموظفي إيالة الجزائر 1756-1807**"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، العدد 03، الجزائر، 2020.

ب-بالمجلات الفرنسية.

01- Abd ElWahad Mokni: « **Allogènes de Jadis de naguère: La communauté de Zwawa A partir du Milieu du** 19e », Cahier du C.E.R.E.S, N° 3, Tunis, 2010.

02- Andrien Delpech **: « Un diplôme de mok'eddem de la confrérie religieuse rahmania »,** in R.A, Nº 18**,** Alger, 1874.

03- Anonyme : « **Les juifs de Tunisie quelques repères historiques »**, R.C.M, N° 10, Paris- La Haye, Hollande, 1994.

04- Anonyme : « **Note chronologiques pour L'histoire de Constantine** », In R.A, Vol 39, 1895.

05- Arnaud (L) :**« Histoire De L'Ouali Sidi-Ahmed Et-Tedjani** », in R. A, N : 5, 1861, O. PU, Alger.

06- Bachrouch Taoufik : **« Pouvoir et souveraineté territoriale la question de la frontières Tuniso-Algérienne sous Ahmed Bey »**, acte du 1er congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb, CERES, Tunis, 1979.

07- Bargaoui Sami : **« L'évolution d'un espace de médiation sociale : la zàwya de Kairouan à l'époque moderne »**, R.S.I, N° 86, Paris, France, 1997.

08- Ben Cheneb. M : **« Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib** », In R.A, Vol 44, Alger, 1900.

09-Berbrugger(A) : **« Des frontières de l'Algérie »**, In R.A, Vol 4, Alger, 1860.

10-Berbrugger(A) : « **Epitaphe D'Ouzoun Hassan, le conquérant en 1708 »**, In R.A, Vol 09, Challamel Ainé, Librairie, 30rue des Boulanger, Paris, 1865.

11-Berbrugugger(A): **« Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine »**, In R.A, N° 12, O.P.U, Alger, 1868.

12- Bouzid Lamjed : « **Contributions à L'étude Des Gharbis : le Cas De 44 Gharbis Décèdes dans La ville de Tunis »**, In R.H.M, N°122, P.F.T.R.S.I, Tunis 2006.

13- Boyer (P): « **Le Problème Kouloughli dans la régence d'Alger »**, **in** R.O.M.M, N° : Spécial, 1970.

14- Boyer Pierre : « Contributio**n L'étude de la politique Religieuse Des Turcs dans La régence d'Alger16eme-19eme siècles »**, R.O.M.M, Nº 01, 1966.

15- Braudel Fernand:**" l'espagnols en Afrique du Nord de (1492-1577)"**, in.R. A, Volume 69, paris, 1928.

16- Brosselard (Ch): **« Les inscriptions arabes de Tlemcen »**, In. R.A, Vol 05, Alger, 1861.

17- Brunschvig Robert : **Justice religieuse et justice laïque dans la Tunisie des deys et des beys jusqu' aux milieux du 19e siècle,** R.S.I, vol 23, Maisonneuve-larose, Paris, 1966 .

18- Canard.M : « **Une Description de la cote Barbaresque au 18e siècle par un officier de la marine Russe »**, In R.A, Vol 95, Alger, 1951.
19- Cour (A) : **« recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes** », in R.A, N 62, 1921.
20- Cour(A) : **« Constantine en 1802 D'après une chanson populaire du poète Cheikh Balkacem El-Rahmouni El-Hadad »**, In R.A, N° : 60, 1919.
21- Delphin. MG **: « Histoire des pachas d'Alger de 1515-1745 »,** journal Asiatique**,** 11e série, vol xix, imprimerie nationale, paris, 1922.
22- Devoulx Albert : **« Les édifices religieux de L'ancien Alger »**, In R.A, Vol 06, Constantine, 1862.
23- Devoulx (Albert) : **« Les édifices religieux de L'ancien Alger »**, In R.A, N° 10, OPU, Alger, 1866.
24- El Bezzaz Mohamed Amine: **« La chronique scandaleuse du pèlerinage Marocain à la Mecque au 19e siècle »**, HespérisTamuda, Vol 20-21, Université Mohamed 5, Maroc, 1982.
25- Elie de primaudie (F): **« Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique 1505-1574 »,** In R.A, N° 21, 1877.
26- Eseinbeth. M: « **Les juifs En Algérie et en Tunisie a L'époque Turque 1516-1830 »**, InR.A, Vol 96, Paris, France, 1952.
27- Eugéne Vayssettes : **« Histoire des Derniers Beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'hadj-Ahmed »**, In R.A, Vol 03, Alger, 1858.
28- Faure-Biguet(G) :**« Notice sur le cheikh Mohamed Abou Ras en Nasri de Mascara »**, J.A, 9eSerie, T 14, 1899.
29- Federman (Henri) : « **Notices Sur L'histoire Et L'Administration Du Beylik Titteri »,** In. R.A, V 11, Paris, 1867 .
30- Féraud (Ch) **: « Kitab El Adouani ou les Sahara de Constantine et de Tunis »,** in R.S.A.C, Paris, 1868.
31- Féraud (Ch) **: « Notes historique sur les tribus de la province de Constantine »,** in R.S.A.C, Paris, 1869.
32- Féraud (Ch) : **Notes sur Tebessa**, In R.A, Vol 18, Paris, 1874.
33- Féraud (ch) :**« Les Harar seigneurs des Hanencha »**, InR.A, Vol :18, Paris, 1874**.**
34- Féraud Charles : « **Ben-Djallab sultans de Tougourt**, **Notes historiques sur la province deConstantine-Le Souf**″, In R.A, Vol 26, Paris, 1982.
35- Féraud Charles : « **Corporations Des Métiers A Constantine Avant la Conquête Française »**, In R.A, Vol 16, Challamel ainé – Librairie, Paris, 1872.
36- Féraud Charles : « **Les Ben-Djellab sultans de Tougourt »,** In R.A, Vol 23, Alger, 1879.
37- Féraud Charles : « **Les Corporations de métiers a Constantine Avant la conquête Française »,** In R.AF, Vol 16, Alger, 1872.
38- Féraud (Ch) : **« Notes historiques sur la province de Constantine- Les Ben-DjellabSutlan de Tougort »,** In R.A, Vol 26, Alger, 1882.
39- Féraud (Charles) : **« Les descendant D'un personnage des mille et une nuits en Algérie »**, In R.A, 1875.

40- Gustave Mercier: **« Khanguet Sidi Nadji quelques inscriptions arabes inédites »,** R.S.A.C, Constantine, 1916.
41- Haëdo : « **Topographie et histoire générale d'Alger »**, in R.A, Vol 14, Alger, 1870
42- Hoexter Miriam : **« Taxation Des corporations Professionnelles D'Alger à L'époque Turque** », In R.O.M.M, N ° 36, 1983.
43- Holsinger. C (Donald) : « **Migration interne et classes moyennes en Algérie : cas des mozabites »,** in les Cahiers du CRESM, 11e Edition du C.N.R.S, France, 1980**.**
44- Huguet. J : « **Les juifs du Mzab »**, In B. S. A.P, V Série, T3, Paris, France, 1902.
45- Jean Despois : « **Le DjbelOusselat, les Ousseltiya et les Kooub »**, R. C.T, N° 28, Tunis, 1959.
46- Kamel Filali : « **Famines et épidémies facteur potentiel de l'éclipse de l'ottoman en Algérie »**, In Arab historical for Ottoman studies, N° 17-18, F.T.R.S.I, Zaghouan, Tunisie, 1998.
47- Laloé Francais: « **A propos de L'incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les arabes « les manuscrits arabes de Constantine ».** In R.A, N° : 66, Constantine, 1925.
48- Larif Asma - Béatrix « **Edification étatique et environnement culturel en Tunisie »**, Arabica, T33, centre nationale de la recherche scientifique de France, Novembre 1986.
49- Lucette Valensi **: « calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale au 18e et 19e siècles »,** In. A.E.S. C, 24e années, N 6, 1969.
50- Lucette Valensi : **« Esclaves chrétiens et esclaves noirs à Tunis au 18e siècle »**, A.E.S.C, N° 6, Tunis, 1967, P 1277.
51- Marcel(E) **: « Les Tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du 19e siècles »**, Annales Economies, Sociétés, Civilisations, N° 1, 1966.
52- Marty Germine : « Les **Algériens à Tunis »**, In R. I.B.L.A, N° : 42-43, Tunis, 1948.
53- Masqueray (E) : **« Djebel Chechar »**, In R.A, Vol 22, Paris, France, 1878.
54- Mochicourt (Ch) : « **la frontière Algéro- Tunisienne dans le Tell et dans la Steppe »**, in R.A, Vol 82, Alger, 1938.
55- Mohamed HédiChérif : **« Document relatif à des Tribus Tunisiennes des débuts du 18esiècle »**, In R.O.M, N° 33, 1982 .
56- Muratti (P) : « **Le maraboutisme ou naissances d'une famille ethnique dans la région de Tébessa** », In R.A, Vol 80, Paris, 1937.
57- Nizar Sayari et Hicham Rejeb : « **Origine du paysage Andalou dans le nord-ouest Tunisien »**, R.C.M, N° 79, 2009.
58- René Lespés : **« Quelques Documents sur la corporation des mozabites d'Alger dans les premiers temps de la conquête 1830-1838 »**, In R.A, Vol 66, Alger, 1925.
59- Roy (B) : **« Deux Documents inédits sur L'expédition Algérienne de 1628(1037 Hég) contre les Algériens »**, In R. T, N° 120, Institut de Carthage, Tunis, 1917.
60- Simon(H) : **« notes sur la mosquée de Sidi Ocba »**, In R.A, Vol 53, Alger, 1909.

61- Watbled (E) : « **Documents Inédits Sur L'Assassinat Du Pacha Tekelerli 1856-1857** », In : R.A, N : 15, 1871.
62- Yacono(X) : **« Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 »**, In R.A, N° : 98, 1954.

ثامنا_الملتقيات والندوات.

01-بن يويف سليمان داود: "**صلة جربة بواد مزاب**"، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي الآثار والفنون، تونس، 1986.

02-بوعزة الطيب: "**الحداثة نحو مقاربة دلالية سوسيوتاريخية**"، ندوة علمية تحت عنوان: "**الحداثة دلالة ومشروع**"، مؤسسة بلا حدود للدراسات والأبحاث في مدينة الرباط، المغرب، 26-27 اكتوبر 2013.

03-بونو سلفاتوري:"**تاريخ المغرب الكبير قبل الاستعمارمن القرن 15م إلى القرن 19م** "، الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، مج 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م.

04-التليلي البشير: **جربة ومحيطها البحري والقاري**، بحوث في التاريخ والجغرافيا والحضارة، أعمال الدورة 12 والدورة 13، تق: الميخي بورقو، تونس، 2016.

05-التوبجري عبد العزيز بن عثمان بن عثمان: "**التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى**"، المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:" التسامح في الحضارة الإسلامية" المنعقد بالقاهرة 1-2004/5/4، مصر، 2004.

06-جحيدر عمار: "**التواصل الثقافي بين ليبيا والمغرب**"، أعمال ندوة "**طرق الحج**" بالقاهرة 25-27 جوان 2002، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-2007.

07-حماش خليفة: " **الألقاب التركية في الجزائر في العصر الحديث**"، سلسلة أعمال ملتقيات **الهجرة، الحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي**، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2010.

08-الخداري محمد: "**الجزائر في بداية القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية، بحوث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني**"، الرباط 12-14 نوفمبر 2009، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، تركيا، 2013.

09-خوالدية أسماء: "**الوظائف التعليمية لزوايا الجنوب الغربي بالبلاد التونسية خلال العصر الحديث**"، أعمال الندوة العلمية الدولية "حركة المعارف والمؤسسات التعليمية بالمجال العربي المتوسطي" أيام 28-30 نوفمبر 2014، الحمامات، تونس، 2017.

10-سعداوي فوزي: "**تبلور مفهوم حدود السيادة في سياسة بايلك تونس القرن 19م**"، أعمال الندوة الدولية" المجال ببلاد المغارب" 4-5-6 مارس 2004، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، 2004.

11-شترة خير الدين: "**الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي_الجزائر وتونس أنموذجا**"، الملتقى الدولي الحادي عشر"**التصوف في الإسلام والتحديات الكبرى**"، 9-11 نوفمبر 2008، جامعة أدرار، الجزائر.

12-الشريف محمد الهادي: "**القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع من ق16م إلى أواسط ق19**"، من أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي، 30-31 اكتوبر 1997، مجلة الدفاع، ط2، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 1998.

13-طلاي محمد إبراهيم: "**العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب**"، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، تونس، (د.ت).

14-طلاي محمد ابراهيم: **العلاقة بين سكان جربة ومزاب**، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة، أفريل 1982، جمعية صيانة جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1986.

15-عبد السلام أحمد: "**الهجرات وتأثيرها على سكان المجتمع التونسي ما بين 1574 و1880**"، ندوة "**الهجرة التوسطية بين الأمس واليوم**" بجامعة الشريف الإدريسي المفتوحة-يوليو 1988، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1992.

16-العمري الطاهر: "**بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي**"، أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، المنتظم بجامعة منتوري، قسنطينة في 23-24 أفريل 2001.

17-الغربي الأزهر: "**منطقة ماطر أواخر القرن 19م**"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت، دوتا:1991-1992، مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس، 1993.

18-فيلالي كمال: "**الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفكون علامة العصر**"، أعمال الملتقى العلمي الأول حول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، ماي 2008م.

19-فيلالي كمال: **الحراك والرحاب والواقع الحضري في قسنطينة القديمة**، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

20-قادري عبد الحميد: "**التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**"، الملتقى التاريخي الثالث الموسوم بـ:"فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، تقرت، 23-24 أفريل 1998، ط1، الآمال للطباعة، الوادي،1999م.

21-قاسم أحمد: "**مدينة تونس في العهد العثماني من خلال الوثائق**"، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدرسات العثمانية حول "المدن والديمغرافيا التاريخية والبحر خلال العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1994.

22-قويدري محمد بن الطاهر: "**الشيخ العلامة محمد بن عزوز البرجي نور الصحراء ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي**"، الملتقى العاشر للجمعية الخلدونية" **الزوايا ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**"، بسكرة، 20-2011/12/22.

23-كحول عباس: "**التراث العربي المخطوط بخزانة زاوية طولقة- مخطوط عون الأفكار الحفظية في علم المدافع والطبجية**"، الملتقى الدولي الأول: العمارة والفنون من خلال التراث العربي المخطوط، جامعة الجزائر 02، 2016/02/24.

24-لبصير سعاد: "**دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني" 1516-1830**"، الملتقى العلمي:"**سوسيولوجية الهجرة الجزائرية بين الماضي والحاضر**"، مخبر الدراسات السوسيوتاريخية حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2008.

25-لبصير سعاد: "**المدينة المنورة مركز استقطاب العلماء الجزائريين**"، ملتقى الهجرة، الحراك والمعالم الحضرية في الجزائر، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، جوان 2009.

26-مراد رقية: " **التوزيع الجغرافي والتصنيف الوظيفي لعسكر حنفية بايليك تونس في النصف الثاني من القرن 19**"، من أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات العثمانية حول: وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني خلال الثلاثين سنة الماضية، تق عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، اكتوبر 1996.

27-المزوعي فوزي: "**العناصر البشرية المستقرة ببنزرت في منتصف القرن التاسع عشر**"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت، دوتا:1991-1992، مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس، 1993.

28-المزوغي فوزي: "**الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**"، أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت؛ دورتا سنة 1993 وسنة 1994، مجموعة سراس، تونس، 1996.

29-معاشي جميلة: "**الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير**"، أعمال الملتقى: **سوسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر** ماي 2008م، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

30-معاشي جميلة:"**اندماج الإنكشارية في المجتمع القسنطيني من خلال سجلات الزواج والطلاق بأرشيف قسنطينة**"، أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، المنتظم بجامعة منتوري، قسنطينة في 23-24 أفريل 2001.

31-النبهان محمد فاروق: "**قابلية الثقافة الإسلامية للأخذ والعطاء**"، سلسلة ندوات: الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء، مكناس 4-5 ديسمبر 1991، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، 1993.

32-هنية عبد الحميد: "**بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها خلال الفترة الحديثة"ما بين القرن 17و19م**"، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 30-31 مارس 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013.

33-Lachapelle Rejean: **« Définition et analyse des mobilités démographiques »**, Colloque de liège : « Démographie et destin des sous-populations », A I D E L F, France, 1981.

34-Thomson Ann: **« Un Allemand A Alger »**, Colloque International a Aix-en-Provence, Septembre 1985 ; Publication- Diffusion ; Université de province, France, 1987.

تاسعا_الصحف والمقالات الإلكترونية (الإنترنت).

01-أبو الرب صلاح الدين: **الحراك الفكري، جريدة الدستور، /https.www.addustour.com**25 جانفي 2015.

02-إسعاد مقداد: **الجالية ومفهوم الإقليم_الجالية التونسية بالجزائر**، جريدة نيوز الصباح، تونس، 10 سبتمبر 2022.

03-بالروين محمد: "**من الحراك السياسي**"، انترنت، منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية، أوت 2008.

بالروين محمد: من الحراك السياسي، انترنت، منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية، أوت 2008.

04-روعة قاسم:"**المعالم الدينية والزوايا الصوفية مقصد السياحة الروحية في تونس**"، صحيفة القدس العربي، لندن، 12 ماي 2018.

05-شوقي عبد الرحمن محمود: الحراك الاجتماعي، موقع الأولوكة، أنترنت، بتاريخ: 2008/06/24.

06-عبد الرحمن محمود شوقي: "**الحراك الاجتماعي**"، أنترنت، موقع الأولوكة، بتاريخ :2008/06/24.

07-عبد الواحد المكني: "**عسكر زواوة مقدمين في الشقاء مؤخرين في الراتب**"، نيوز براس New Press، موقع تربية وتعليم، 26 ماي 2018.

08-كلاب عمر:"**في مبنى ومعنى الحراك**"، صحيفة الأنباط، 2019، 15-12-2018، Alanbet News. net/Post .

09-محمد الشريف جاكو: "**الحراك الفكري واضطراب الثوابت**"، صحيفة التشاد الإلكترونية، بتاريخ 17 يناير2013.

10-نادر جودة محمد: **الحراك–Mobility**، الموسوعة السياسية https//Political-Encyclopedia.Org، 2022.

تاسعا: المحاضرات.

01-حاكم مليكة: **الحراك الاجتماعي والمهني في الجزائر**، قسم علم الاجتماع، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2019-2020.

02-عميراوي أحميدة: محاضرة بعنوان " **النخب والحراك الاجتماعي**"، ألقيت على طلبة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، بتاريخ: 2012/06/27.

الفهارس العامة

01.فهرس الأعلام والقبائل:

/

ابراهام النقاوة..... 58

ابراهام يايتش 194

إبراهيم البرشكي..... 190

إبراهيم الحليمي 260

إبراهيم الرياحي 100, 184, 372, 422, 429, 430, 431, 437, 446, 479, 484, 491, 509, 529, 530, 635

إبراهيم الزواوي التونسي..... 503

إبراهيم السيالة..... 448, 563

إبراهيم الشريف..... 107, 127, 230, 237, 272

إبراهيم الغرياني 14, 201, 409, 413, 424, 425, 426, 446, 505, 568

إبراهيم الفلاري..... 504

إبراهيم الكريتلي 284

ابراهيم الندرومي..... 168, 258

إبراهيم بن أحمد الشريف 542, 545

ابراهيم بن بوعزيز 222, 223, 225, 279

إبراهيم بن حاجي علي..... 503

إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي 134, 157

إبراهيم بن عبد الله السيالة 421

إبراهيم بن محمد المقايسي 257, 258

إبراهيم خريف 112, 172, 184, 240, 265, 479, 480, 508

إبراهيم خوجة..... 185

إبراهيم زكريا الأندلسي 338

ابن أبي الضياف ... 81, 87, 96, 97, 98, 99, 100, 107, 126, 128, 134, 141, 142, 143, 144, 146, 157, 158, 162, 167, 168, 170, 171, 173, 174, 181, 186, 188, 190, 191, 192, 209, 216, 221, 230, 232, 233, 262, 269, 270, 273, 285, 290, 292, 294, 300, 301, 304, 310, 355, 356, 361, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 375, 377, 381, 382, 409, 413, 414, 415, 424, 429, 447, 456, 461, 472, 475, 476, 478, 485, 491, 492, 493, 494, 495, 496, 498, 499, 500, 501, 506, 508, 509, 529, 534, 535, 537, 539, 616

ابن أبي دينار. 10, 82, 99, 107, 140, 141, 170, 173, 174, 185, 189, 200, 201, 220, 227, 229, 233, 269, 291, 311, 312, 355, 376, 381, 392, 505, 616

ابن الترجمان..... 402

ابن الخوجة 123, 381

ابن الشويهد 57

ابن العنابي 135, 265, 338, 340, 348, 416, 422, 423, 430, 431, 432, 433, 441, 457, 474, 667

ابن المفتي 131, 133, 134, 139, 157, 161, 444, 504, 511, 512, 513, 516, 517, 518, 519, 520, 616
ابن راموول 52
ابن زرفة 73, 615
ابن عاشور 358, 366, 625
ابن عمار 311, 339, 350, 421, 432, 462, 463, 478, 617
ابن لحية القفصي 291
ابن محجوبة 453, 460, 463, 470
ابن مخلوف 109, 380, 383, 419, 420, 424, 431, 438, 477, 481, 491, 514, 530, 550, 625
أبو الحسن علي الأوراسي 507
أبو العباس أحمد المقري 13, 330, 339, 410, 411, 418, 436, 480, 515
أبو الغيث القشاش 189, 290, 291, 379, 383, 454, 485
أبو الفضل البرشكي 187, 355
أبو القاسم البرشكي 200
أبو القاسم سعد الله .. 17, 47, 48, 50, 52, 67, 71, 117, 119, 133, 135, 149, 158, 234, 265, 290, 321, 322, 323, 324, 326, 327, 328, 329, 330, 335, 337, 338, 339, 340, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 354, 388, 389, 390, 393, 395, 398, 400, 404, 405, 406, 410, 416, 418, 421, 422, 423, 424, 425, 427, 428, 429, 431, 432, 433, 436, 437, 441, 444, 445, 446, 447, 448, 450, 457, 459, 460, 461, 462, 465, 466, 473, 474, 477, 478, 480, 482, 485, 491, 492, 503, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 520, 526, 540, 547, 549, 551, 554, 556, 616, 617, 618, 625, 626, 631, 650, 663
أبو حفص عمر بن محمد 139, 431, 445, 506, 514
أبي الغيث ابن الحاج البنزرتي 137
أبي الغيث القشاش 12, 117, 413, 418, 424, 427, 436, 455, 480, 483, 496
أبي النخبة مصطفى 128
أبي بكر بن باب بن إبراهيم 180
أبي عبد الله بن المغوفل 491
أبي لبابة 116, 376, 403, 448, 460
أحمد الأصرم 139, 142, 158, 506
أحمد البجاوي 324
أحمد البدوي 177
أحمد البرانسي 475
أحمد البصير البرغوثي 420, 508
أحمد التجاني 391, 422, 430, 431, 461, 464, 472, 491, 509, 528, 529
أحمد التليلي 116, 136, 243, 245, 247, 265, 300, 379, 383, 404, 420, 445, 509, 557, 558
أحمد التونسي 128, 153
أحمد الجربي 156, 620

أحمد الجموسي 196
أحمد الريغي 473
أحمد الزاير 537
أحمد الزروق..... 420, 445, 461, 462
أحمد الصغير 221, 224
أحمد العثماني..... 308
أحمد العمري الخنقي 484
أحمد العوادي 190, 472
أحمد العيسى..... 355
أحمد الغرابلي 194
أحمد القرومي 333
أحمد القسنطيني 171, 188, 191, 406, 471, 517
أحمد القلي..... 275
أحمد الليانى البسكري..... 469
أحمد المسبح 351
أحمد المقنعي الحناشي 551
أحمد المليانى 278
أحمد النوري الصفاقسي..... 509
أحمد الوسلاتي..... 286
أحمد باشا 100, 209, 285, 290, 293, 299, 302, 307, 371, 372, 374, 382, 415, 441, 473, 580, 596, 597, 666
أحمد باكير 260
أحمد باي 47, 55, 73, 86, 87, 88, 89, 93, 99, 109, 110, 123, 125, 126, 140, 143, 170, 187, 193, 204, 205, 212, 217, 222, 225, 235, 242, 285, 302, 364, 449, 478, 479, 509, 539, 574, 577, 580, 598, 599, 621, 635, 659, 666
أحمد برناز..... 14, 352, 356, 392, 425, 426, 455, 475, 494, 495, 496, 497, 505
أحمد بن أبي الحسن السهيلي..... 143
أحمد بن الحاجة 425, 426
أحمد بن الطيب التونسي..... 530
أحمد بن العباس النقاوسي..... 468
أحمد بن خلوف..... 469
أحمد بن سعيد العباس 479
أحمد بن عمار..... 312, 332, 339, 340, 350, 390, 432, 437, 447, 448, 456, 462, 463, 477, 478, 563
أحمد بن عمر الشريف الجبالي..... 159
أحمد بن قاسم البوني 339, 418, 444, 445, 446, 447, 455, 473, 504, 551, 619

أحمد بن محمد التباسي..... 551
أحمد بن مخلوف..... 494, 495, 550, 551, 553, 556, 616
أحمد بن نصر 222, 270, 385, 551
أحمد توفيق المدني 69, 119, 120, 185, 329, 331, 332, 335, 620
أحمد شلبي..... 304
أحمد عبد الله السجلماسي 512
أحمد مجاهد 475
أحمد ميعاد 172
أحمدالسهيلي..... 537
أحمر خدو..... 538
احميدة التواتي..... 483
احميدة عميراوي 36, 37, 215, 221, 326, 329, 332, 395, 397, 442, 622
أدريان..... 86
ادوارد دونوفو..... 527, 550
ارنست كاريت..... 204
ارنست مارسيي 144
أزنباث 58
إسحاق..... 58, 157, 192, 348, 404, 422, 424, 430, 431, 434, 442, 445, 491, 503, 507
اسحاق برشيشات 58
أسطى حسين التونسي..... 159
أسطى علي..... 137, 259
اسماعيل بن يونس..... 126, 137, 138, 143, 144, 224
آل مقران 66
الأرباع..... 115
الإسحاقي..... 112, 325, 353, 618
الأسطى أحمد بن عمر الشريف الجبايلي..... 159
الأسطى الحاج امحمد السعد..... 159
الأسطى علي البنزرتي..... 159
الأعشاش 214, 228
الإفراني 157, 168, 431, 470, 504, 511, 512, 514, 515, 517, 618
الأميهات..... 244
آلاي سليم..... 107, 162
الباقي الهرماسي 91, 94, 96, 97
البجاوة..... 166

البرارشة 214
البرزلي 264, 439, 443, 445, 470, 493, 503
البروفنس..... 84
البعاصة 211
البقاقرة..... 228
البنادقة..... 60, 105
ألبير دوفولكس 518, 520
التمجروتي 330, 349, 350, 359, 380, 384, 391, 469, 480, 512, 619
التهامي اليملحي..... 483
التواتي بن ناجي 407
الجبرتي 402, 418, 444, 621
الجرابة..... 110, 134, 137, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 157, 160, 261, 376, 670
الجليدات..... 95
الجوامع..... 243, 332, 333, 342, 347, 350, 358, 362, 364, 365, 372, 380, 382, 384, 442, 597
الجوبان 124, 303, 580
الجيلاني بن عبد الله البجاوي..... 177
الحاج إبراهيم..... 124, 145
الحاج إسماعيل..... 124
الحاج الأشهل بوعلاق 233, 234
الحاج الأغواطي 465
الحاج الطيب الوسلاتي..... 160
الحاج بلقاسم بن هندة 151
الحاج عبد العزيز 135, 151
الحاج علي التماسيني 509, 530
الحاج علي الجزايري 124, 168, 195
الحاج علي بوسنينة 136
الحاج علي فلاطو الأندلسي 151
الحاج عمار..... 124, 125, 126, 303
الحاج قاسم بن هندة..... 135
الحاج مالك 124
الحاج مبارك المغربي البخاريالمكناسي..... 547
الحاج محمد البرادعي..... 126
الحاج محمد السعد بن عمر الصفاقسي..... 159
الحاج محمد بن علي رايس..... 125

الحاج مسعود بن زكري 231, 244, 283
الحاج منصور 279
الحاجة جوهرة 160
الحبيب بن الصغير 557
الحراكتة 67, 112, 124, 183, 204, 213, 247, 303, 552, 553, 580
الحسن بن إبراهيم 556
الحسين الورثيلاني ,398 ,397 ,395 ,381 ,368 ,366 ,349 ,343 ,336 ,328 ,325 ,301 ,168 ,146 ,117 ,116 ,107 ,13
402, 403, 408, 436, 438, 440, 441, 445, 456, 460, 462, 463, 464, 476, 478
الحشايشي 178, 179, 182, 374, 379, 382, 528, 531, 633
الحمارنة 403
الحنادرة 211
الحنانشة ,224 ,222 ,221 ,220 ,219 ,218 ,217 ,215 ,205 ,201 ,199 ,170 ,149 ,141 ,111 ,104 ,67 ,18 ,16 ,15
225, 227, 229, 233, 239, 243, 244, 247, 269, 274, 275, 279, 282, 284, 316, 412, 551, 552, 553, 562, 664, 723
الحوافظ 247
الحوامد 237
الخنافسة 147, 231
الخواتم 228
الرشايش 214
الرصاع ,494 ,493 ,492 ,482 ,474 ,462 ,451 ,424 ,362 ,359 ,356 ,268 ,262 ,257 ,195 ,188 ,187 ,173 ,13 ,5
495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 618, 635, 726, 728
الرقبة 240
الركاركة 245, 252
الركبة 91, 315
الزعابة 211
الزغالمة 109, 116, 146, 212, 242, 244, 286, 579, 597
الزلديوي 264, 393, 474
الزهار ... 53, 69, 70, 74, 127, 184, 272, 273, 296, 298, 299, 308, 332, 335, 415, 416, 445, 474, 479, 620
الزهراء بنت عمر 260
الزياني 98, 99, 124, 168, 186, 195, 263, 283, 287, 325, 347, 348, 349, 391, 392, 620
السقنية 232, 552
الشابية ... 5, 10, 13, 18, 215, 219, 224, 227, 229, 232, 237, 266, 431, 494, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 563, 621, 638, 657, 663, 668, 727, 728
الشاذلي بن عبد الرحمان العنابي 194, 290
الشايبنة 114

الشراردة 244
الشوبان 302, 580
الصغير بن يوسف ,230 ,222 ,208 ,204 ,189 ,177 ,175 ,171 ,166 ,156 ,143 ,142 ,141 ,140 ,128 ,108 ,104 11,
264, 269, 270, 274, 276, 284, 287, 294, 310, 356, 367, 368, 369, 447, 456, 494, 495, 498, 500,
501, 506, 507
الطاهر التواتي التيجاني 529
الطاهر بن مسعود 171, 189, 482
الطيب بن شنوف 233
الطيب بوعزة 21
الطيب يوسفي 6, 437, 503, 509, 543
العبادنة 147
العدواني .. 650 ,621 ,554 ,553 ,552 ,258 ,238 ,237 ,236 ,234 ,227 ,226 ,225 ,222 ,218 ,217 ,214 ,213 10,
العربي القيرواني 508
العربي بن يوسف 177, 504, 622
العسيلات 213
العطار ..... 621 ,549 ,479 ,470 ,435 ,406 ,295 ,221 ,220 ,194 ,157 ,154 ,151 ,143 ,127 ,126 ,110 ,107
العطاطفة 228
العلاونة 185, 214
العمامرة 184
العنتري 72, 113, 114, 186, 449, 621
العوابد 146
العواودة 190, 212, 472
العياشي 185, 300, 324, 325, 349, 398, 399, 407, 443, 454, 460, 469, 514, 621, 667
الفراشيش 91, 112, 115, 140, 146, 147, 172, 183, 202, 204, 212, 226, 247, 252, 379, 598, 606, 632
القبائل ... ,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,72 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,62 ,58 ,57 ,56 ,47 ,18 ,17 ,16 ,15 ,14 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7
95, 96, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 112, 113, 114, 115, 119, 131, 133, 163, 166, 169, 172, 173,
174, 176, 183, 198, 199, 202, 204, 205, 206, 208, 210, 211, 212, 214, 215, 216, 217, 219, 222,
224, 226, 227, 228, 229, 234, 236, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 247, 248, 249, 250, 251,
252, 253, 256, 268, 269, 271, 274, 275, 282, 284, 300, 316, 324, 351, 404, 474, 475, 507, 536,
537, 540, 544, 552, 554, 555, 556, 562, 635, 640, 656, 659, 669, 671, 673, 723
القبطان 107, 162, 228, 308
القمامدة 237
الكبلوتي الحناشي 222
الكعوب 93
الكوش التواتي 182, 483

اللنبيري 144, 338, 448
المثاليث 91, 94, 230
المجاهرية 149
المحارزة 147
المرابط القيرواني 157
المراسن 112
المصعبي 13, 169, 407, 463, 486, 488, 489, 490, 491, 623
المكناسي 70, 98, 204, 380, 623
الملا محمد 125
المناعي التونسي 529
المهاذبة 95
المولى أحمد أفندي 357, 359
المولى علي أفندي 485
الناصري 100, 116, 118, 186, 216, 251, 252, 301, 324, 339, 346, 353, 384, 391, 397, 401, 403, 404, 421, 443, 448, 457, 460, 485, 513, 553, 554, 618, 623, 672
النبائل 552
النقاد 10, 105, 123, 283, 295, 415, 615
النمامشة 15, 67, 112, 115, 137, 171, 185, 192, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 232, 240, 243, 244, 247, 250, 265, 270, 282, 300, 301, 414, 538, 552, 553, 555, 723
الهادف بن بلقاسم الفطناسي 241, 259
الهمامة 91, 106, 115, 146, 212, 237, 238, 241, 242, 251, 266, 278, 304, 461, 491, 634, 640
الهوشة 112
الوزان 51, 155, 324, 330, 351, 435, 445, 470, 485, 503, 623
الوزناجي 217, 276
الوزير السراج 99, 127, 128, 173, 185, 186, 200, 268, 291, 304, 360, 367, 376, 377, 381, 383, 409, 413, 414, 436, 471, 475, 496, 497, 498, 501, 504, 506, 507, 624
آمنة بنت بيرم 264
آمنة بنت محمد الوسلاتي 157, 260
أمينة بنت بيرم 135, 264
أولاد إبراهيم 225
أولاد الحمادي 252
أولاد السايح 112, 183, 204
أولاد الشريف 184
أولاد الشيخ 189, 239, 353
أولاد بالليل 92

أولاد بليل..... 92, 236, 239, 260, 723
أولاد بوعزيز 225
أولاد بوعكاز..... 235
أولاد بوعلاق 183
أولاد بوغانم 146, 212, 213, 225, 241
أولاد حمزة..... 92, 236
أولاد خليفة 185, 225
أولاد خيار 163, 214, 216, 228
أولاد رضوان..... 237
أولاد سعود 237
أولاد سعيد..... 92, 93, 189, 199, 203, 236, 552, 631
أولاد سلطان..... 225
أولاد سنان..... 239
أولاد سيدي الشيخ..... 65, 67, 135
أولاد سيدي بوزيد 237
أولاد سيدي سليمان..... 237
أولاد سيدي عبد الملك..... 184, 251, 253
أولاد شنوف 92, 200, 233, 234, 235, 240, 723
أولاد صولة..... 92, 235
أولاد ضيف 181
أولاد عز الدين..... 185
أولاد عزيز 67, 237
أولاد عسال..... 112
أولاد علي..... 11, 104, 112, 140, 141, 208, 211, 228, 242, 598, 619
أولاد عمار 177, 221, 230, 269
أولاد عون..... 91, 535, 536
أولاد عيار..... 241
أولاد قانة 199
أولاد مساهل..... 96
أولاد مسعود..... 199
أولاد معمر 237
أولاد منصر 112
أولاد مهلهل 552
أولاد مهني..... 183

أولاد ميمون..... 240
أولاد ناجي..... 183, 211
أولاد يحيى بن طالب..... 111, 216, 241
أولاد يدير..... 93
أولاد يعقوب..... 91
أولادالحشان..... 546
أولادسيدي تليل..... 211
أولادسيدي عبيد..... 185, 723
ايفالد..... 178, 622

ب

بابيش الجزيري..... 183
بايسونال..... 15, 76, 77, 174, 208
بجاوة..... 11, 166, 167, 240
بحيو بن موسى المزابي..... 488
بدر الدين الفقون..... 471
برفات..... 58
برنية بنت سي عمار..... 267
بعمور بن الحاج..... 180
بكري زهوت..... 195
بلقاسم الرحموني..... 68
بلو..... 29
بليسييه..... 238
بن ختوش..... 128, 271
بن خروف..... 6, 129, 199, 278, 282, 320, 321, 349, 351, 355, 394, 401, 442, 443, 628, 664
بن زاكور..... 330, 517
بن صالحة..... 169, 196
بن قانة..... 66, 67, 235, 280
بنزاك..... 71
بنو مروان..... 239
بنور بن عبد الصمد..... 145
بني بربار..... 266, 551, 552
بني جلاب..... 148, 149, 158, 186, 280, 354, 462, 677
بني رزق..... 230
بني شنوف..... 189, 199, 233, 234, 235

بني عباس 54, 57, 168
بني مازن 116, 204, 208, 245
بني مرزوق 146
بواريه 14, 98, 107
بوبكر 67, 444, 458, 619
بوجناح 183
بوزيان 180, 184, 620
بوعزير الحناشي 107
بوعزيز بن نصر 104, 270
بولقافاريل 348
بونوا لومير 68
بيتريم سوروكين 29

ت

تاج العارفين. 10, 14, 201, 356, 376, 409, 413, 419, 424, 425, 426, 427, 447, 477, 480, 496, 505, 568, 573
توماس شاو 15, 215
تيتيس 86
تيم كريسويل 31

ث

ثابت بن شنوف 141, 199, 200

ج

جارو 54
جفارة 92
جلاص 91, 93, 238
جمال 18, 37, 42, 59, 78, 79, 98, 148, 167, 171, 177, 206, 207, 234, 242, 245, 259, 304, 419, 454, 472, 626, 629, 631, 633, 645, 650
جميلة معاشي 53, 129, 183, 185, 218, 219, 221, 222, 224, 234, 235, 269
جون إيري 31
جون باتيست سلفاغو 174
جيمس ويلسون ستيفن 47, 48, 272

ح

حسان الجزائري 189
حسان بن علي 187, 581
حسن أزرق عينه 104, 109
حسن الكبير 105

حسن حسني عبد الوهاب ,77, 80, 82, 84, 88, 106, 171, 366, 367, 369, 375, 377, 383, 385, 448, 456, 469, 472
479, 506, 507, 619
حسن دردور 104, 149, 155, 218
حسونة المورالي 107, 162
حسونة بن الحاج 171
حسين.. ,11, 17, 24, 36, 55, 57, 68, 73, 83, 85, 92, 99, 100, 106, 108, 109, 110, 124, 125, 126, 128, 129,
130, 134, 135, 137, 139, 140, 142, 143, 152, 153, 157, 158, 159, 162, 170, 173, 177, 181, 183,
186, 188, 189, 191, 192, 195, 205, 208, 212, 216, 222, 223, 224, 227, 228, 230, 232, 242, 250,
257, 260, 264, 266, 268, 269, 274, 275, 276, 281, 282, 284, 285, 286, 287, 289, 290, 292, 293,
294, 297, 298, 299, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 308, 309, 310, 311, 332, 343, 351, 356, 357,
358, 359, 360, 362, 363, 366, 368, 369, 372, 374, 375, 376, 377, 378, 380, 381, 382, 383, 384,
385, 386, 390, 392, 403, 404, 414, 420, 423, 429, 433, 443, 447, 448, 455, 461, 471, 472, 473,
474, 475, 479, 484, 485, 489, 492, 494, 495, 496, 497, 499, 500, 501, 502, 505, 506, 507, 508,
509, 510, 529, 530, 531, 536, 537, 540, 541, 542, 544, 546, 548, 549, 550, 553, 556, 568, 574,
575, 577, 578, 585, 589, 590, 593, 594, 595, 599, 608, 620, 628, 633, 636, 639, 657, 659, 663
حسين البارودي 368, 382
حسين باشا ..... ,73, 107, 109, 110, 124, 125, 126, 130, 140, 152, 162, 205, 242, 284, 285, 286, 287, 292,
293, 294, 297, 298, 302, 304, 306, 309, 310, 423, 461, 574, 575, 577, 578, 585, 589, 590, 593,
594, 595, 599, 659
حمادة بن محمد العوني 535
حمدان الجربي 135, 151, 160
حمدان بن الحاج بوزيد..... 307
حمدان بن عثمان خوجة..... 46, 62, 190, 305, 331, 415
حمودة باشا ,15, 16, 79, 81, 88, 89, 92, 93, 96, 98, 100, 105, 107, 108, 113, 126, 134, 140, 143, 144, 146,
159, 164, 177, 187, 188, 191, 194, 195, 207, 220, 223, 228, 230, 233, 262, 270, 273, 276, 278,
282, 283, 285, 290, 291, 292, 294, 295, 300, 307, 311, 361, 364, 365, 371, 372, 376, 377, 381,
382, 392, 413, 415, 421, 429, 438, 439, 440, 465, 474, 478, 481, 489, 500, 505, 509, 529, 534,
535, 542, 544, 554, 656, 663
حمودة بن عبد العزيز..... 360, 361, 370, 371, 377, 409, 414, 421, 432, 441, 456, 464, 476, 478, 508, 639
حمودة بن محمد بن عيسى..... 478

خ

خالد بن سنان العبسي..... 116
خالد بن نصر 199, 220
خديجة بنت خنيش..... 267
خروف الأنصاري 503
خليفة الشاطر..... 203
خليفة بن حسن القماري 481

خليفة حماش ... 73, 124, 126, 145, 152, 186, 223, 256, 257, 258, 261, 263, 307, 309, 371, 372, 374, 382, 441
خليل الزايدي 287
خليل الصنهاجي 468
خليل بن مصطفى الطواحني 10, 427, 573
خمير 91, 103, 116, 199, 206, 207, 208, 211, 219, 240, 245, 536, 663, 664
خوجة 12, 47, 49, 54, 56, 66, 71, 72, 85, 99, 105, 123, 125, 126, 127, 139, 141, 153, 154, 157, 170, 176, 185, 261, 267, 268, 276, 278, 284, 285, 290, 302, 313, 331, 356, 357, 358, 359, 360, 362, 363, 366, 374, 375, 376, 377, 378, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 390, 392, 403, 404, 409, 413, 415, 420, 436, 443, 455, 472, 473, 474, 475, 484, 485, 494, 495, 496, 497, 499, 500, 501, 502, 504, 505, 506, 507, 508, 568, 620, 635
خير الدين 118, 120, 122, 164, 177, 184, 218, 229, 272, 354, 355, 402, 527, 543, 620, 633, 638, 639, 660, 668, 676

د

دانيال آرون 194
داود بن إبراهيم التلاتي الجربي 488
دحمان بن الحاج 487
دورشي 113, 144
دريد 8, 10, 91, 92, 93, 95, 96, 136, 140, 146, 147, 156, 214, 215, 229, 230, 231, 232, 235, 239, 241, 244, 250, 266, 287, 553, 606, 723
دوران 58, 433
دوغرامون 185
دي فلو 85
ديبوا تانفيل 46

ر

رشاد الإمام 83, 100, 126, 283, 371, 372
رمضان أفندي 200, 357, 376, 409, 412, 413, 505
رمضان الكلاعي 548
رمضان باي 134, 185, 229, 368, 382
روزي 61
رويفع بن ثابت 117, 404
رياح 83, 91, 94, 183, 241, 523
ريمون 49, 83, 151, 172, 178, 191, 268, 400, 459, 635

ز

زواوة. 9, 18, 57, 65, 89, 92, 108, 109, 110, 128, 131, 163, 164, 166, 169, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 190, 191, 267, 281, 344, 350, 351, 377, 392, 404, 410, 420, 448, 474, 475, 476, 492, 507, 508, 509, 532, 561, 562, 615, 638, 656, 662, 679, 722, 726
زيد 91, 146, 237, 238, 240, 242, 250, 442, 469, 494, 538, 545, 553, 619, 645
زينب بنت بلقاسم 259

س

سالم التلمساني..... 165
سالم الجربي..... 137, 152
سالم العايب 191, 538
سالم القبايلي 167
سامح قربوح 188
سامية شرقي 51
سراج الدين أبو حفص..... 468
سعد الشوشان 379
سعدون الفرجيوي..... 549
سعيد الجربي 137, 139, 148, 152, 153, 487, 505
سعيد الشويهد 151
سعيد المقري 410, 418, 504, 512
سعيد بن بوزيد..... 307
سعيد بن علي الجربي 153, 179, 486, 487, 669, 677
سعيد بن مهني الجربي..... 155
سعيد شاوش..... 307
سعيد قدورة..... 10, 135, 139, 145, 264, 348, 352, 405, 418, 428, 429, 431, 444, 447, 451, 477, 504, 508, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 662, 727
سعيدوني... 17, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 56, 57, 58, 59, 60, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 69, 70, 71, 72, 74, 75, 76, 78, 79, 83, 84, 91, 94, 105, 106, 110, 113, 119, 121, 150, 323, 346, 347, 352, 353, 375, 378, 379, 415, 555, 621, 623, 637, 638, 670
سلامون جاكيت 58
سلطان بن منصور بن خالد..... 269
سلمان بن جلاب..... 185
سليمان 22, 38, 68, 82, 100, 124, 129, 135, 140, 147, 148, 151, 153, 156, 160, 207, 218, 230, 232, 234, 237, 258, 260, 262, 287, 300, 301, 330, 348, 358, 368, 390, 391, 398, 407, 408, 418, 421, 422, 460, 469, 473, 476, 481, 485, 488, 489, 490, 491, 492, 493, 514,515, 516, 529, 539, 540, 568, 616, 619, 620, 628, 640, 641, 655, 664, 676
سنان باشا..... 135, 357, 361, 422

سيدي عبيد ... 159, 184, 211, 216, 240, 243, 244, 245, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 265, 290, 627, 646, 647
سيدي علي الكوندي 473
سيدي لحمادي 251, 252, 253
سيدي منصور الجنادي 350
سيزار فيليب فاليار 73
سيلين 227
سيمون بن سماح دوران 148

ش

شارل أندري جوليان 81, 82, 83, 84
شعبان خوجة 413, 506
شقطمة 241
شلوموا التلمساني 182
شنغهاي 163
شيش بورتيش 148

ص

صالح 7, 10, 16, 22, 40, 41, 64, 68, 71, 72, 79, 83, 84, 85, 87, 89, 105, 107, 113, 114, 123, 129, 145, 146, 148, 153, 156, 158, 160, 180, 186, 215, 216, 218, 222, 227, 231, 234, 235, 242, 251, 257, 262, 276, 278, 282, 283, 285, 292, 294, 295, 307, 334, 343, 345, 346, 348, 384, 392, 400, 401, 423, 425, 427, 439, 440, 464, 472, 478, 479, 487, 490, 491, 505, 521, 525, 530, 534, 535, 546, 549, 597, 615, 620, 621, 628, 629, 632, 640, 644, 655, 665, 669, 670
صالح النموشي 282
صالح باي 10, 16, 68, 71, 105, 113, 114, 123, 129, 186, 215, 222, 231, 276, 282, 283, 294, 295, 334, 343, 345, 346, 348, 549, 615, 644
صميدة بن سليمان 287

ط

طاطار 392, 413
طرد بن دابس 225
طرود 10, 107, 163, 181, 184, 225, 226, 227, 228, 237, 238, 240, 242, 245, 280, 303, 392, 505, 552, 554, 723

ع

عاشور القسنطيني 460
عاشور بن موسى فكيرين القسنطيني 471
عائشة المنوبية 379
عائشة بنت محمد 232, 261, 267
عايشة بنت مسعود 258

عبد الجليل التميمي ... 18, 72, 82, 83, 114, 116, 123, 167, 170, 193, 274, 351, 359, 368, 371, 415, 629, 636, 638, 643, 663, 678
عبد الحفيظ الخنقي 170, 289, 509, 540, 557
عبد الحق 21, 116, 403, 442
عبد الحميد بيك 423
عبد الحميد هنية 17, 77, 78, 81, 82, 85, 86, 87, 91, 96, 228, 272, 273
عبد الرحمان الثعالبي 312, 344, 469, 475, 510
عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني 532
عبد الرحمان بن السوداني 530
عبد الرحمن الأخضري 337, 443, 444, 485, 672
عبد الرحمن التنلاني 348
عبد الرحمن الجامعي 332, 342
عبد الرحمن الجربي 137
عبد الرحمن الجيلالي 525, 526
عبد الرحمن الخليفوني 509
عبد الرحمن المرتضى 264, 513, 518, 519
عبد الرحمن اليعقوبي 149, 390
عبد الرزاق بن حمادوشالجزائري 421
عبد الرفيع التونسي 445, 503
عبد الصمد الرحوي 527
عبد العزيز القسنطيني 168, 470
عبد العزيز بن خليفة القسنطيني 469
عبد العزيز بن همام 265
عبد القادر ... 1, 4, 25, 31, 35, 36, 43, 46, 56, 59, 67, 68, 71, 121, 124, 142, 143, 152, 158, 172, 183, 184, 192, 206, 224, 240, 260, 263, 265, 267, 274, 283, 291, 309, 332, 334, 336, 338, 339, 340, 346, 350, 353, 358, 389, 391, 392, 393, 399, 405, 407, 408, 410, 422, 431, 438, 447, 455, 461, 471, 475, 477, 479, 481, 483, 508, 513, 518, 525, 526, 529, 541, 542, 617, 620, 623, 631, 633, 634, 636, 639, 641, 644, 645, 647, 649, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 664, 665, 667, 668, 679
عبد القادر الراشدي 291, 334, 336, 340, 455, 471, 620
عبد الكريم الفكون .. 10, 13, 14, 264, 286, 300, 330, 351, 392, 393, 407, 408, 412, 413, 424, 425, 426, 427, 431, 436, 445, 451, 453, 454, 460, 470, 471, 480, 483, 485, 503, 504, 505, 515, 551, 573, 626, 657, 677
عبد اللطيف المسبح 351
عبد اللطيف بن اشنهو 347
عبد الله بن أبي القاسم الجلالي 404, 507

عبد الله بن صولة 218
عبد الله بن علي القفصي 137, 139
عبد الله بن محمد 57, 144, 150, 151, 154, 257, 474, 511, 512, 514, 621, 622
عبد الله حمادي 107, 312, 455, 462, 478, 617, 620, 621
عبد الله محمد التواتي 483
عبد الملك بن الحاج خلف 259
عبد الواحد المكني 137, 167, 175, 679
عبد بن منصور البحار 180, 486
عبدالعزيز بن داود 491
عبيد الأخضر 245, 251, 252
عثمان الإنكشاري 153
عثمان الأوراسي 472
عثمان بن المكي التوزري 508
عثمان بن صالح 250
عثمان جوبان 302
عثمان داي 80, 81, 82, 141, 359, 364, 365, 498
عثمان سعدي 214
عرفة الشابي 229, 431, 553, 554, 638
عروج 50, 68, 272
عزوز بن عمارة بن دالية 230, 301
عزيزة بنت أحمد 169
عزيزة بنت عبد الواحد 267
عصمان 71, 217, 273, 300
عكارة 92, 95, 212, 242, 645
علج الجربي 153
علي البليلي 260
علي الجربي ابن دحمان 257, 261
علي الجربي بن دحمان 155
علي الحطاب 379
علي الحناشي 170, 189, 525, 533, 534, 537, 538, 541, 543, 548, 549
علي الشرقي الجربي 155
علي العابد الشابي 551
علي العطوي 157
علي العنابي 161, 192

علي الغراب الصفاقسي 367
علي النوري 361, 362, 378, 383, 385, 420, 484
علي باشا... 88, 89, 104, 106, 128, 129, 137, 140, 142, 143, 152, 155, 158, 170, 171, 175, 176, 191, 207,
208, 216, 221, 224, 230, 264, 269, 274, 289, 291, 292, 294, 300, 301, 305, 362, 367, 368, 369,
377, 414, 447, 448, 455, 482, 489, 497, 499, 506
علي باي 11, 105, 106, 108, 113, 127, 137, 141, 142, 144, 156, 159, 160, 166, 175, 182, 193, 195, 221,
223, 224, 262, 269, 270, 274, 277, 278, 280, 281, 284, 287, 289, 291, 300, 370, 377, 409, 414,
420, 471, 478, 506, 508, 607, 608
علي بن الحاج 187, 188
علي بن النيقرو 284
علي بن دحمان 155, 157
علي بن سالم 508
علي بن عاشور التباسي 302
علي بن عثمان 540
علي بن محمد الميلي الجمالي 171, 472
علي بن مسعود 147, 435, 624
علي بنعيسى المغربي 532
علي بوصبع 274, 278
علي حرازم 529
علي شعيب الباجي 140, 264, 455, 506
علي عزوز 89, 378, 403, 409, 413, 428, 440, 444, 473, 506
علي والي بن حمزة 337, 402
عمار البودالي 548
عمار بوسنة 546, 547, 548
عمارة الحمار 157
عمارة بن دالية 230
عمدون 91, 92
عمر 10, 23, 24, 69, 88, 120, 123, 128, 135, 137, 139, 151, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160,
180, 183, 195, 217, 220, 224, 257, 260, 261, 262, 263, 266, 267, 271, 281, 285, 287, 290, 291,
327, 340, 345, 351, 374, 430, 431, 445, 448, 453, 460, 463, 469, 474, 503, 506, 514, 529, 530,
532, 535, 539, 540, 542, 543, 608, 617, 635, 640, 642, 647, 649, 655, 679
عمر بن صالح 180
عمران بن ميراوس أفراتي 58
عمرو بن رمضان التلالي الجربي 490
عمي سعيد 146, 147, 153, 179, 486, 487, 669, 677

عيسى الثعالبي 390, 419, 504, 513, 519, 671
عيسى الدنيدني 286

غ

غانياج 76
غلاس 29
غوستاف لوبون 327

ف

فارس. 16, 59, 93, 131, 143, 152, 212, 215, 218, 220, 221, 234, 311, 320, 327, 405, 469, 523, 532, 616, 627, 634, 669, 671
فاطمة بن سليمان.. ..... 17, 92, 202, 204, 206, 207, 208, 209, 230, 236, 239, 240, 242, 243, 244, 245, 246, 248, 249, 279, 384, 413, 570
فاطمة بنت مسعود 260
فانتور دوبارادي 51, 55, 57, 58, 59, 65, 72, 97, 150, 273, 350
فتيحة لواليش 48, 50, 64, 161, 520
فرج بن علي 267
فرحات بن حسن 134
فرنان بروديل 1, 32, 115
فيالة بنت عبد الرحمن 260
فيرو 16, 18, 183, 213, 218, 219, 222, 233, 552, 555
فيلهلم شيمبر 326
فيليب دوماس 381

ق

قاسم بن خلف المسراتي 404
قاسم بن زكري الجربي 144, 151
قاسم بن مسعود 307
قاسم الفكون 451
قانياج 17
قايد مولود 49
قبجي باشي 298
قدور الميزوني 543, 544
قليان حسين 222, 270
قماطة 213

ك

كارل بروكلمان 336
كارلسون 29

كارلماركس 28, 33
كاهل 29, 100, 111, 112, 323
كريمة بنت حسن..... 160, 262

ل

لطيفة الأخضر 9, 17, 530, 532, 533, 534, 535, 536, 542, 543, 544
للنبيري..... 448
لوجي دوتاسي..... 60
لوجييه دوطاسي..... 15
لورنز فون ستين..... 33
لوسات فالنسي 75, 86, 458, 526
لوسات فلنزي..... 7, 75, 78, 83, 86, 93, 94, 95, 163, 400
لويس رين 252, 527, 528
لويس فرانك 16, 76
ليبست 29

م

ماجر . 17, 91, 96, 112, 183, 198, 204, 211, 212, 213, 216, 238, 241, 243, 244, 247, 249, 252, 265, 379, 405, 509, 537, 544, 557, 558, 646
مارسيل امريت 343
ماسكاريناس..... 69, 70, 343, 622
ماسكوراي 552
ماك جيل..... 75
مبارك الأوراسي 189
مبارك بن محمد العلوي 537
متليلي..... 146, 661
مجردة 81, 181, 207, 219, 226, 227, 234, 359, 475
محمد أغا بن عبد التركي..... 55
محمد الأخضر القسنطيني 168, 472
محمد البشير 191, 355, 356, 377, 492, 512, 515, 536, 640, 672
محمد التلمساني 189, 414
محمد التواتي..... 107, 192, 344, 482, 483
محمد التونسي 139, 144, 157, 158, 160, 161, 258, 260, 262, 505
محمد الحجيج الأندلسي 374, 473
محمد الحسن بن محمد القفصي..... 156
محمد الخضراوي 367, 376

محمد الخنقي 281, 485
محمد الذباح 55
محمد الرشيد 191, 270, 278, 280, 282, 291, 293, 369, 507
محمد السنوسي التواتي 483
محمد الشافعي 139, 142, 158, 429, 436, 461, 506
محمد الشحمي 362, 368
محمد الشريف الحسني 475
محمد الشريف العياضي 471, 494, 497
محمد الصادق 3, 176, 430, 544, 629
محمد الصالح الرحموني 475
محمد الصفاقسي 123, 124, 140, 360
محمد الطيب 143, 159, 353, 484, 545, 622
محمد العربي المازوني 481
محمد العربي زروق 284
محمد العنابي الضرير 473
محمد الفخار 145
محمد القبائلي 188, 476
محمد القرطبي البسكري 189, 485
محمد الكبير 60, 171, 189, 283, 329, 333, 348, 400, 482, 619, 629, 670
محمد المازوني 234, 542
محمد المسراتي 451
محمد المشري 528, 529
محمد المصطاري 89
محمد المغربي 329, 386, 464, 483, 507
محمد الهادي الشريف 174, 176, 190, 362, 365, 371, 475
محمد الورغي 367
محمد الوشتاتي القسنطيني 187
محمد اليعلاوي 281
محمد أمقران 67
محمد باي 128, 134, 141, 142, 143, 157, 166, 185, 223, 225, 250, 274, 275, 276, 282, 285, 306, 307, 364, 370, 381, 413, 429, 447, 456, 461, 489, 506, 585
محمد براو 362, 475
محمد بقطاش 53
محمد بكداش 12, 108, 139, 309, 332, 339, 506, 518, 520

محمد بن إبراهيم بن أحمد 117, 247
محمد بن الحاج بوجمعة 259
محمد بن الحجيج 141
محمد بن الحمام 188
محمد بن الخوجة ... 78, 81, 82, 85, 88, 89, 90, 123, 172, 173, 311, 355, 376, 377, 380, 381, 382, 383, 495, 496, 501
محمد بن المطمطية 529
محمد بن اليا 154
محمد بن اليا والسيد محمد بن الفقير 154
محمد بن بلقاسم بن اسماعيل المطماطي 512, 513
محمد بن تواتي زروق 508
محمد بن جلاب 183, 280
محمد بن حمو التيجاني 527
محمد بن راجعون 455
محمد بن سالم الحفناوي الخلوتي 532
محمد بن سالم الخياري 188, 194
محمد بن سالم قفة 137, 139, 505
محمد بن سعيد الهبري 404
محمد بن سلطان 223, 224, 263, 279
محمد بن سليمانالصايم 68, 390, 391, 398, 407, 408
محمد بن شقرون 397
محمد بن شكر 134
محمد بن شوش 135, 151
محمد بن عبد الرحمان 289, 350, 533
محمد بن عبد الرحمان اليملولي 289
محمد بن عبد الرحمن البوني 402
محمد بن عبد الكريم الجزائري 418, 514
محمد بن عبد الله المغربي الفاسي 484
محمد بن عثمان 171, 178, 179, 182, 187, 189, 214, 283, 310, 334, 339, 346, 368, 374, 379, 380, 382, 383, 391, 429, 481, 482, 484, 497, 500, 502, 508, 528, 530, 531, 621, 633
محمد بن عزوز البرجي 533, 538, 677
محمد بن علي الخروبي 348, 443
محمد بن علي القوجيلي 447, 477
محمد بن عمار 157, 259, 542

محمد بن عيسى الجزيري 479
محمد بن قويدر 287
محمد بن محمد القبائلي 192
محمد بن محمد بن علي 506
محمد بن محمود العنابي 390, 422, 430, 432, 473
محمد بن مزيان التواتي 483
محمد بن مسائب التلمساني 465
محمد بن منصر بن مراد 280
محمد بن ناجي بن الطيب الناجي 289
محمد بن ناصر الدرعي 550, 554, 558
محمد بن يحيى البجائي 474
محمد بن يوسف السنوسي 443
محمد بوعتور 420
محمد بوقفة 222, 270
محمد بيرم 76, 135, 164, 209, 264, 357, 371, 382, 421, 422, 430, 431, 432, 438, 439, 448, 457, 475, 509, 510
محمد بيرم الرابع 135, 265, 357, 423, 430, 431, 432, 457
محمد زيتون 139, 505
محمد زيتونة 360, 362, 421, 443, 461, 473, 477
محمد شكر 141, 413
محمد طاطار 280
محمد فتاتة 409, 413, 443, 506
محمد فريكح 123
محمد منماني باي 304
محمد ميزومورتو 304
محمدالمهدي شغيب 144
محمدبن عثمان ضاي 477
محمود الثاني 129, 297, 298
محمود الكردي 527
محمود باشا 125, 129, 152, 285, 286, 293, 294, 297, 299, 306, 307, 309, 310, 492, 575, 583, 593, 594, 595
محمود بن الحاج محمد أمين السكة 125
محمود مقديش 99, 141, 220, 359, 360, 377, 379, 383, 403, 407, 420, 485, 507, 509
مرابطين 239

مراد الثالث 107, 127, 166, 385
مراد باي 85, 127, 170, 189, 227, 233, 376, 497
مراد كورسو 201
مرتضى الزبيدي 334, 472, 481
مرداس بن نصر بن أحمد 218
مرزوق بن قاسم البربوشي 153
مسعود التونسي 147
مسعود الشابي 553, 554, 555
مسعود المغراوي 368
مسعود رفائيل الفاسي 434
مسغونة 244
مصطفى ,10, 13, 37, 55, 61, 63, 69, 72, 74, 79, 83, 84, 85, 87, 89, 99, 107, 110, 113, 117, 125, 127, 128
130, 136, 139, 140, 145, 149, 151, 153, 154, 158, 162, 184, 185, 186, 187, 188, 194, 201, 205, 232, 247, 256, 263, 266, 267, 270, 276, 278, 280, 285, 293, 295, 296, 298, 299, 303, 307, 308, 310, 325, 339, 340, 343, 348, 352, 374, 382, 383, 392, 398, 402, 407, 409, 413, 420, 423, 427, 432, 448, 455, 472, 493, 505, 508, 511, 518, 530, 532, 533, 535, 536, 539, 540, 541, 568, 573, 581, 596, 616, 618, 619, 628, 629, 630, 631, 662, 669
مصطفى آغا بن محمد التركي 55
مصطفى الأندلسي 107, 140, 392, 505
مصطفى انجليز 107, 186, 187, 232, 276, 581
مصطفى باشا 72, 74, 110, 149, 202, 293, 299, 309, 343, 569, 596
مصطفى خان 296
مطماطة 86, 453, 543
معاد عمراني 6
مقعد 91, 166
منصور النشار 358
موراتو 85
موريتس فاغنر 46
موسى بن أبي سحابة المزابي 430
موسى جوناتان 194
موسى سكر 192
مولاي الشقفة 66, 141
مونشيكور 552, 556, 648
موني بنت علي 162, 261
ميرة العكري 222, 270

ميشال هبار 347
ميمون بن سعدية..... 58
مير لومبارسو 194

ن

نفات..... 91, 106
نفسة بنت الحاج محمد..... 161, 258
نفوسة بنت بعزيز..... 257, 261
نهد..... 11, 14, 15, 116, 140, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 240, 242, 245, 264, 456, 506, 723
نورمان ديلور 449
نيلز 49, 51, 60, 61, 314, 623

ه

هابنسترايت 60, 65
هايدو 14, 49, 57, 315
هاينريش فون مالتسان 136
هذيل..... 166
هربرت فيشر..... 327
هنري دوفيريي 169
هنري سالادين 182

و

وادي ريغ 145, 149, 158, 180, 250, 281, 483, 665, 677
جوزيف بن منير..... 58
ورغة 205, 213, 243, 244, 245
ورغمة..... 76, 91, 92, 137, 207, 257
وريدة بنت الحركاتي 260
وشتاتة..... 112, 242
ولهاصة 239, 480
وليام شالر..... 46, 55, 59, 104, 111, 313, 326, 435
ونيفة 91, 212, 243
ويليام هودسون 465

ي

ياقوت..... 160
ياكوب كوهين..... 195
يحيى آغا 125
يحيى بن أحمد الجيجلي..... 306

يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي..... 490
يحيى الشاوي..... 338, 340, 390, 419, 438, 504, 508
يعقوب بن سرور 183
يوسف الجزيري..... 191, 285
يوسف الليقرو 123
يوسف المصعبي..... 488, 490
يوسف باشا 390
يوسف بن عمرو الجربي..... 463
يوسف بوحجر 533, 534
يوسف خوجة 127
يوسف داي..... 80, 141, 200, 357, 358, 364, 365, 376, 381, 409, 413, 424, 475, 496, 554
يوسف صاحب الطابع..... 358, 383, 472, 534
يونس بن سعيد 430

02.فهرس الأماكن والبلدان:

أحمر خدو 538
أزمير 124, 128, 286, 309
إسبانيا 48, 51, 58, 81, 97, 158, 291, 310, 330, 665
استانبول 47, 129, 286, 297, 308, 309, 327, 337, 349, 360, 364, 405, 552, 663, 666, 676
آسيا 58
إفريقيا 16, 28, 51, 53, 58, 70, 81, 82, 83, 84, 114, 118, 119, 121, 136, 149, 155, 268, 312, 315, 322, 324, 350, 362, 380, 381, 385, 391, 404, 432, 492, 523, 526, 545, 622, 623, 631, 632, 639, 646, 648, 663, 669
الإسكندرية ,21, 23, 29, 32, 38, 70, 71, 79, 98, 121, 128, 309, 327, 400, 401, 418, 421, 461, 480, 518, 524, 625, 626, 632, 636, 638, 642, 643, 647, 649
الأغواط 146, 180, 184, 354, 527, 531
الأناضول 49, 70, 78, 129, 130, 322
الأوراس 89, 172, 185, 215, 217, 219, 274, 280, 509, 551, 552, 553, 558
البحيرة الطويلة 231, 232
البليدة 52, 61, 74, 136, 307, 350
التلاغمة 146, 549
الجريد 93, 99, 110, 111, 112, 148, 156, 163, 174, 181, 184, 191, 214, 216, 218, 223, 226, 229, 232, 237, 238, 239, 240, 241, 243, 244, 245, 247, 250, 251, 259, 266, 286, 386, 400, 404, 460, 463, 507, 508, 529, 535, 539, 540, 545, 551, 556, 558, 634, 647
الجزائر ,3, 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 9, 11, 12, 14, 15, 16, 17, 21, 23, 25, 26, 27, 29, 33, 34, 35, 38, 39, 42, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 78, 79, 80, 83, 84, 86, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 100, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 110, 111, 112, 113, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 154, 155, 156, 157, 158, 160, 161, 162, 163, 164, 166, 168, 169, 170, 172, 173, 174, 176, 178, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 208, 209, 210, 211, 214, 215, 218, 219, 220, 221, 223, 225, 227, 228, 229, 232, 234, 235, 237, 238, 239, 240, 242, 244, 245, 247, 248, 250, 251, 252, 256, 257, 258, 261, 262, 263, 264, 265, 267, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 282, 283, 284, 286, 287, 288, 290, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 302, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 358, 366, 369, 371, 375, 379, 384, 385, 388, 389, 390, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400, 401, 402, 403, 404, 405, 406, 408, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 427, 428, 429, 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436, 437, 440, 441, 442, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 449, 450, 451, 453, 455, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 468, 471, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479,

480, 481, 482, 483, 485, 487, 488, 489, 491, 492, 502, 503, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 523, 524, 525, 526, 527, 529, 530, 531, 532, 533, 535, 537, 538, 539, 540, 541, 543, 544, 545, 547, 549, 550, 551, 552, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 561, 563, 568, 574, 575, 578, 583, 589, 593, 595, 600, 604, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 654, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 676, 677, 678, 679, 721, 722, 724, 727, 728

الحجاز 281, 290, 299, 301, 337, 383, 399, 402, 407, 442, 460, 461, 462, 463, 526, 532

الراشدية..... 352

الروميلي..... 130

الرويسات..... 545

الزاب . ,414 ,410 ,399 ,353 ,345 ,325 ,324 ,300 ,259 ,245 ,241 ,235 ,234 ,184 ,158 ,146 ,141 ,116 ,111 421, 460, 462, 538, 539, 633

, 393, 474

الزيبان..... 56, 119, 170, 219, 231

السودان 22, 37, 72, 89, 408, 431, 531, 532, 545, 662, 667

السويد..... 29

194, 290

الشلف..... 63, 403, 491, 665

الطارف 551

العطف..... 153, 179, 491

القالة..... 108, 116, 206, 207, 208, 209, 223, 234, 239, 242, 245, 246, 342, 544, 551, 552

القاهرة... ,524 ,518 ,512 ,450 ,402 ,401 ,400 ,394 ,366 ,365 ,358 ,126 ,49 ,37 ,33 ,30 ,27 ,26 ,24 ,23 ,22 526, 618, 621, 625, 631, 635, 638, 640, 641, 644, 645, 646, 647, 649, 654, 655

القبائل ... ,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,72 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,62 ,58 ,57 ,56 ,47 ,18 ,17 ,16 ,15 ,14 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7 95, 96, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 112, 113, 114, 115, 119, 131, 133, 163, 166, 169, 172, 173, 174, 176, 183, 198, 199, 202, 204, 205, 206, 208, 210, 211, 212, 214, 215, 216, 217, 219, 222, 224, 226, 227, 228, 229, 234, 236, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 256, 268, 269, 271, 274, 275, 282, 284, 300, 316, 324, 351, 404, 474, 475, 507, 536, 537, 540, 544, 552, 554, 555, 556, 562, 635, 640, 656, 659, 669, 671, 673, 723

القرارة..... 106, 491

القسطنطنية 59

القليعة 52, 74, 275

القيروان .... ,194 ,189 ,188 ,181 ,175 ,167 ,155 ,148 ,138 ,136 ,120 ,117 ,111 ,106 ,96 ,93 ,77 ,65 ,12 ,11 219, 226, 237, 238, 244, 263, 286, 288, 307, 360, 380, 384, 386, 394, 404, 413, 419, 424, 439, 442, 453, 454, 482, 485, 494, 507, 530, 550, 552, 553, 556, 618, 647, 648, 668

الكاف 12, 92, 98, 110, 116, 127, 128, 138, 167, 170, 175, 185, 189, 199, 202, 204, 218, 229, 233, 234, 235, 240, 245, 258, 459, 473, 508, 525, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 541, 542, 543, 544, 548, 549, 550, 658, 659, 723
المدية 55, 135, 136, 212, 324, 341, 627, 669
المسلية 16
المغرب .. 1, 6, 15, 22, 25, 26, 27, 31, 35, 39, 70, 75, 76, 78, 79, 83, 84, 86, 89, 91, 93, 94, 95, 100, 108, 112, 114, 118, 119, 120, 121, 122, 126, 134, 139, 155, 156, 157, 163, 168, 180, 190, 198, 210, 211, 213, 218, 221, 230, 234, 237, 240, 268, 307, 315, 319, 323, 324, 326, 337, 341, 342, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 359, 362, 364, 365, 366, 369, 371, 372, 374, 375, 378, 379, 381, 384, 388, 390, 391, 392, 393, 395, 396, 397, 399, 400, 401, 402, 404, 405, 406, 410, 411, 418, 419, 420, 421, 423, 428, 429, 430, 432, 433, 435, 436, 442, 443, 455, 458, 459, 461, 463, 465, 469, 470, 471, 473, 480, 481, 485, 486, 488, 489, 493, 503, 504, 509, 510, 511, 512, 513, 515, 517, 521, 526, 527, 528, 529, 533, 543, 545, 547, 551, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 626, 627, 629, 630, 631, 633, 636, 637, 639, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 648, 649, 656, 658, 660, 662, 663, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 676
المنستير 98, 175, 177
المهدية 165
الهند 532
انجلترا 29, 61, 84
أوربا 47, 58, 71, 78, 85, 118, 320, 364
أولادالحشان 546
آيت اسماعيل 532

ب

باجة.. 11, 12, 76, 107, 108, 128, 136, 140, 165, 175, 209, 226, 227, 239, 264, 274, 386, 407, 473, 483, 533, 536, 541, 542, 645
بجاية 16, 67, 165, 167, 169, 188, 240, 283, 308, 320, 330, 337, 343, 346, 350, 352, 393, 408, 469, 476, 542, 671
برج بوعريريج 15, 16, 51, 336, 620, 634
بسكرة 35, 57, 112, 115, 136, 159, 170, 184, 199, 216, 231, 237, 244, 325, 328, 354, 395, 407, 421, 481, 485, 509, 533, 535, 538, 539, 540, 549, 556, 622, 645, 662, 664, 666, 672, 677
بغداد 401, 524, 541, 542, 639
بكارية 243, 265, 558
بلنسية 330
بليسييه 238
بليك 84
بنزرت .. 11, 79, 81, 97, 165, 166, 167, 169, 171, 175, 188, 194, 196, 259, 276, 288, 289, 290, 365, 485, 531, 533, 536, 544, 644, 670, 677, 678

بوسعادة 58, 120, 148, 184, 402, 532, 545, 633, 638, 639, 644
بونة.. ..... 52, 104, 139, 141, 155, 158, 171, 193, 232, 339, 403, 444, 455, 461, 472, 473, 551, 556, 619
بئر العاتر 244, 253

ت

تامكرت 206
تبرسق 175, 536
تبسة 26, 105, 109, 111, 113, 116, 146, 147, 159, 171, 172, 185, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 230, 240, 241, 242, 243, 245, 253, 274, 275, 280, 290, 304, 453, 545, 552, 555, 579, 645, 670
ترشيش 226
تركيا 47, 78, 97, 185, 357, 526, 532, 541, 552, 663, 666, 676
تستور 12, 82, 83, 175, 473
تقرت 58, 149, 158, 183, 280, 343, 410, 509, 528, 531, 546, 677
تلمسان 23, 51, 55, 63, 103, 131, 168, 172, 173, 190, 258, 265, 292, 325, 337, 344, 346, 349, 352, 353, 389, 390, 391, 393, 397, 403, 407, 408, 410, 411, 443, 447, 451, 465, 468, 479, 480, 482, 488, 491, 492, 494, 503, 512, 527, 556, 630, 658, 659, 662, 665, 679
تماسين 354, 509, 530, 531
توات 147, 148, 182, 190, 348, 451, 482, 483, 496, 514, 627, 634, 643, 657, 669
توزر ... 148, 168, 180, 181, 186, 240, 241, 244, 251, 252, 301, 365, 438, 440, 459, 460, 481, 509, 529, 555, 634
توقرت 111
تونس 1, 3, 6, 11, 12, 14, 15, 16, 17, 18, 22, 23, 26, 28, 29, 33, 34, 43, 52, 58, 59, 60, 63, 70, 72, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112,113, 114, 115, 116, 117, 119, 120, 122, 123, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 133, 134, 135, 136, 137, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 152, 153, 155, 156, 158, 159, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 211, 212, 214, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 232, 233, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 251, 252, 257, 258, 259, 262, 263, 264, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 296, 297, 299, 300, 301, 302, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 315, 316, 324, 326, 330, 336, 337, 343, 349, 351, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 388, 390, 391, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 400, 403, 404, 405, 406, 407, 409, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 427, 428, 430, 431, 433, 434, 435, 436, 437, 439, 440, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 451, 452, 453, 454, 455, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 468, 469, 470, 471, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479, 480, 481, 482, 483, 484, 485, 487, 489, 491, 492, 493, 494, 495, 497, 498, 500, 501, 502, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 523, 525, 526, 527, 528, 529, 530,

531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 539, 540, 542, 543, 545, 546, 547, 548, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 561, 562, 563, 568, 570, 574, 575, 577, 578, 579, 585, 594, 595, 596, 599, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 676, 677, 678, 679, 721, 722, 725

تيطوان 59

ث

ثابت بن شنوف..... 141, 199, 200

ج

جربة ... 59, 86, 89, 97, 117, 134, 135, 140, 147, 150, 151, 153, 154, 156, 165, 169, 175, 176, 179, 180, 188, 192, 257, 310, 376, 385, 404, 407, 430, 436, 448, 459, 463, 464, 486, 487, 488, 489, 490, 491, 507, 511, 618, 620, 627, 629, 647, 664, 669, 671, 676, 677

جرجرة 15, 66, 174, 175, 476, 532

جزيرة المورة 309

جفارة 92

جمال 18, 37, 42, 59, 78, 79, 98, 148, 167, 171, 177, 206, 207, 234, 242, 245, 259, 304, 419, 454, 472, 626, 629, 631, 633, 645, 650

جندوبة..... 138

جنوة 84, 292

جيجل..... 16, 57, 67, 68, 75, 169, 176, 291, 292, 410, 509

ح

حلق الوادي 98, 195, 207, 276, 287

خ

خنشلة 171, 214, 540, 551, 552, 555, 557

خنقة سيدي ناجي 134, 158, 159, 170, 281, 289, 343, 353, 404, 420, 484, 507, 509, 540, 557, 601, 628

ر

رودس..... 308

روسيا..... 88, 308

ز

زغوان 52, 72, 82, 83, 85, 136, 159, 164, 167, 169, 172, 176, 203, 224, 271, 308, 351, 359, 368, 371, 403, 415, 428, 444, 473, 524, 542, 551, 627, 628, 629, 631, 632, 636, 638, 639, 663, 667, 668, 671, 672, 677, 678

زواوة. 9, 18, 57, 65, 89, 92, 108, 109, 110, 128, 131, 163, 164, 166, 169, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 190, 191, 267, 281, 344, 350, 351, 377, 392, 404, 410, 420, 448, 474, 475, 476, 492, 507, 508, 509, 532, 561, 562, 615, 638, 656, 662, 679, 722, 726

س

سردينيا 84
سطيف 16, 25, 59, 66, 234, 340, 630, 633, 640, 661
سكيكدة 509, 551
سليانة 535, 537
سوسة 11, 12, 29, 77, 98, 167, 175, 185, 238, 245, 285, 288, 354, 357, 377, 386, 403, 419, 454, 473, 477, 506, 631, 640, 647, 654, 659
سوف 10, 56, 92, 111, 112, 115, 156, 163, 181, 184, 185, 191, 193, 202, 204, 212, 214, 216, 218, 225, 226, 228, 230, 238, 240, 241, 244, 245, 250, 266, 301, 304, 410, 430, 481, 508, 509, 528, 531, 538, 544, 545, 551, 553, 554, 556, 557, 641, 643, 660, 669
سوق أهراس 136, 146, 149, 213, 216, 219, 534
سيدي عقبة 116, 159, 235, 354

ش

شرشال 51, 320
ششار 216, 266, 551, 552, 554, 555
شنغهاي 163

ص

صفاقس 77, 99, 137, 141, 167, 175, 180, 203, 238, 257, 360, 376, 385, 420, 437, 438, 444, 458, 464, 476, 485, 506, 550, 628, 629, 630, 632, 636, 648, 649, 676
صقلية 84

ط

طبرقة 88, 106, 175, 203, 207, 209, 213, 276, 303
طرابلس 59, 61, 70, 74, 76, 78, 79, 83, 84, 91, 94, 97, 138, 178, 190, 205, 236, 273, 355, 359, 364, 375, 393, 400, 401, 404, 431, 453, 460, 463, 506, 507, 542, 552, 619, 622, 637, 648, 672
طولقة 338, 354, 449, 538, 539, 540, 545, 640, 677

ع

عنابة 59, 68, 71, 72, 74, 104, 110, 111, 114, 136, 141, 149, 152, 155, 185, 190, 206, 218, 219, 231, 235, 239, 287, 292, 343, 403, 410, 425, 428, 444, 453, 456, 461, 473, 505, 509, 551, 557, 619, 644, 657, 667
عين الخيوطي 231
عين ماضي 325, 527, 528, 531
عيون التوامى 204, 208

غ

غرداية 56, 111, 122, 146, 147, 148, 149, 153, 179, 194, 486, 488, 628, 631, 664, 665, 671

ف

فارس. 16, 59, 93, 131, 143, 152, 212, 215, 218, 220, 221, 234, 311, 320, 327, 405, 469, 523, 532, 616, 627, 634, 669, 671

فاس 26, 59, 100, 118, 148, 233, 234, 312, 330, 337, 352, 353, 369, 372, 389, 391, 392, 393, 403, 410, 411, 428, 451, 456, 465, 481, 482, 488, 491, 503, 513, 527, 529, 622, 646, 665, 669, 670, 672

فرنسا 15, 29, 33, 51, 70, 84, 88, 125, 207, 209, 239, 320, 334, 348, 478, 479, 531, 620

فوة. 249, 250

ق

قابس..... 86, 107, 166, 168, 174, 244, 301, 403, 436, 446, 456, 459, 460, 462, 464, 557, 628

قالمة 146, 206, 218, 509, 547, 657

قرقنة 453

قرنبالية 82

قسنطينة 1, 4, 5, 7, 8, 11, 13, 16, 25, 27, 35, 36, 38, 39, 46, 50, 53, 55, 56, 59, 62, 64, 66, 67, 69, 71, 72, 73, 77, 88, 104, 105, 106, 107, 108, 110, 111, 113, 114, 115, 119, 122, 123, 124, 126, 127, 128, 129, 131, 133, 134, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 148, 149, 152, 153, 156, 157, 158, 163, 164, 166, 170, 171, 177, 183, 186, 187, 190, 191, 192, 193, 194, 199, 201, 205, 208, 211, 212, 215, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 224, 225, 229, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 239, 242, 245, 252, 257, 258, 259, 260, 261, 263, 266, 267, 269, 270, 273, 274, 275, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 293, 294, 295, 299, 301, 302, 304, 306, 307, 309, 312, 322, 324, 328, 332, 334, 336, 338, 340, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 351, 352, 389, 390, 392, 393, 401, 409, 410, 412, 413, 414, 415, 425, 428, 435, 439, 445, 446, 448, 450, 451, 452, 453, 454, 456, 457, 458, 460, 462, 469, 470, 471, 472, 473, 479, 481, 483, 485, 503, 505, 508, 529, 530, 534, 543, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 555, 556, 557, 577, 579, 580, 581, 585, 590, 594, 596, 597, 599, 603, 606, 613, 615, 617, 621, 622, 628, 634, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 644, 648, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 664, 666, 667, 668, 670, 671, 676, 677, 678, 679

قصر جابر 425, 426, 505

قفصة 86, 141, 175, 214, 215, 227, 238, 250, 256, 287, 459, 460, 483, 631, 641

قنتيس..... 243, 253

ك

كابون 81

كوكو..... 57, 65, 128, 271, 509, 636

ل

ليبيا 21, 36, 74, 85, 229, 322, 359, 385, 393, 430, 431, 460, 483, 533, 619, 620, 638, 648, 672, 676, 679

ليفورن..... 57, 58, 84, 86, 87, 149, 195

م

مازونة 321, 330, 332, 346, 347, 352, 353, 481, 542

ماطر 108, 166, 167, 175, 258, 289, 475, 536, 670, 677
مالطا 84, 87, 291
متليلي 146, 661
مجاجة 329, 344, 352, 462, 512
مجردة 81, 181, 207, 219, 226, 227, 234, 359, 475
مدين 390, 493, 502, 536, 542, 556, 558
مرابطين 239
مراكش 369, 397, 411, 623
مرسيليا 84
مستغانم 51, 55, 172, 190, 292, 320, 492
مسغونة 244
مصر 21, 22, 23, 24, 26, 27, 29, 30, 31, 32, 33, 36, 37, 38, 39, 42, 72, 115, 121, 163, 180, 327, 351, 358, 365, 372, 386, 393, 394, 395, 400, 419, 423, 431, 438, 444, 446, 450, 451, 457, 463, 466, 477, 483, 485, 486, 490, 507, 510, 524, 527, 530, 532, 622, 625, 626, 631, 632, 633, 635, 636, 638, 640, 641, 642, 644, 645, 646, 649, 654, 655, 666, 667, 670, 676
معسكر 55, 127, 184, 191, 329, 333, 348, 352, 353, 397, 410, 450, 480, 656, 659, 665, 667
مكناس 89, 122, 136, 369, 678
مليانة 55, 466
موسكو 402

ن

نابل 165, 175, 378
نابولي 88, 286
نشماية 548
نفزاوة 91, 109, 145, 181, 213, 217, 404, 436, 464, 476, 507, 640, 645
نفزة. 91, 166, 506
نفطة .. 108, 148, 172, 184, 191, 216, 219, 238, 241, 244, 250, 251, 265, 377, 479, 508, 535, 536, 539, 540, 541, 542, 545, 556, 672
نقرين 184, 215, 558

و

وادي ريغ 145, 149, 158, 180, 250, 281, 483, 665, 677
ورجلان 324
ورقلة 115, 155, 177, 191, 324, 349, 443, 462, 487, 545, 668
وسلات 11, 91, 106, 137, 138, 224, 257, 261, 269, 648
ولهاصة 239, 480

وهران 15, 23, 33, 38, 51, 58, 59, 61, 71, 73, 106, 109, 129, 135, 149, 152, 156, 169, 172, 185, 186,
190, 196, 214, 251, 283, 307, 309, 310, 322, 324, 332, 333, 334, 336, 337, 338, 339, 346, 349,
351, 393, 410, 434, 448, 451, 483, 518, 520, 524, 542, 617, 618, 620, 622, 623, 630, 639, 641,
656, 657, 658, 659, 661, 662, 663, 665, 669, 670, 671, 672

03. فهرس المحتويات

مقدمة 1
مدخل مفاهيمي: الحراك بين المعاني اللغوية والمفاهيم السيوسيولوجية التاريخية. 20
أولا_ الحراك بين الدلالات اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية. 22
ثانيا_ جذور الحراك في الدراسات السوسيولوجية الغربية. 28
ثالثا_ بين الحراك الاجتماعي والحركات الاجتماعية..... 29
رابعا_ من الفكر إلى الحراك الفكري.. 36

الباب الأول: الحراك الاجتماعي بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهدالعثماني "مظاهر وتجليات"

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

أولا– الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني.....47
01– تعداد السكان وإشكالية الإحصاء. 46
02– بنية المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية..... 47
أ– التنظيم الاجتماعي لسكان المدن. 48
ب– سكان الأرياف: 62
03–الحالة الصحية والمعيشية.....68
ثانيا– الأوضاع الاجتماعية في تونس خلال العهد العثماني.....77
01– تعداد السكان وإشكالية الإحصاء. 75
02– بنية المجتمع التونسي: 77
أ– سكان المدن..... 78
ب–جماعات الريف. 90
03–الحالة الصحية والمعيشية..... 97

الفصل الثاني: خلفيات الحراك الاجتماعي بين الإيالتين" بين الرغبة والضرورة"

أولا: بواعث ودواعي حراك الأفراد والجماعات بين الإيالتين. 104
01–العوامل الرئيسية والمباشرة للحراك 104

أ–العامل السياسي. 104
ب– العامل المادي والتجاري والعلمي. 109
ج–الدافع الاجتماعي. 113
د– الباعث الديني. 116
02– العوامل المساعدة على الحراك الاجتماعي بين الإيالتين. 118
أ–العامل الجغرافي (الوحدة الطبيعية). 118
ب–العامل التاريخي والثقافي والحضاري. 119
ثانيا– وكلاء الجزائر في تونس" تمثيل سياسي وحراك اجتماعي". 125
ثالثا– تنقلات الجند ودورها في تكثيف الحراك بين الإيالتين. 127

الفصل الثالث: الحضور الجالياتي البيني بالإيالتين

أولا_ الجاليات التونسية في البلاد الجزائرية خلال العهد العثماني: 133
01– التوزيع الجغرافي للجاليات التونسية بالبلاد الجزائرية. 133
02– جماعة الجرابة انموذج جالية تونسية متميزة بالإيالة الجزائرية. 150
03–المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات التونسيبة بالجزائر. 155
04– مؤشرات الغنى والثراء لدى بعض أبناء الجالية التونسية بالجزائر. 160
ثانيا– الجاليات الجزائرية في البلاد التونسية خلال العهد العثماني: 163
01–التوزيع االجغرافي للجالية الجزائرية في تونس. 168
02– الجاليات الأكثر حضورا بالبلاد التونسية: 173
أ_ زواوة. 177
ب– الجالية الورقلية: 177
ج– الجالية الميزابية: 178
د– الجالية السوفية: 181
هـ– الجالية التواتية: 182
03–المهن والوظائف التي تقلدها أبناء الجاليات الجزائرية بتونس: 187
04– مؤشرات الثراء والغنى لدى بعض أبناء الجالية الجزائرية. 194

الفصل الرابع: الحراك القبلي بين الإيالتين" حتمية وتماهي"

أولا– حراك القبائل ومسألة تحييز المجال بين الإيالتين.....203
01- المجالات القبلية التخومية ومحاولات ترسيم الحدود: 198
02– قبيلة نهد بين النزعة الاستقلالية والولاء المزدوج.....210
ثانيا– الحراك القبلي ودوره في توثيق العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين: 210
01– حركية التكتلات القبلية الجزائرية في الفضاءات التونسية. 213
أ– النمامشة.....218
ب–الحنانشة.....222
ج–قبيلة طرود.....230
02– الحراك القبلي التونسي نحو الغرب. 229
أ–قبيلة دريد التونسية عديلة الحنانشة: حراك قبلي وامتداد مجالي.....233
ب– أولاد شنوف من الكاف إلى بايلك الشرق.....238
ج– أولاد بليل وأولاد سعيد.....241
د– الهمامة.....240
ثالثا– مظاهر الاندماج والتماهي القبلي بالمناطق التخومية للإيالتين. 239
رابعا– القبيلة المرابطية الولائية " أولادسيدي عبيد" انموذج الانصهار والانشطار القبلي".....254

الفصل الخامس: من صور الحراك الاجتماعي البيني"المصاهرات والإحسانات والاهتمام بالشؤون الاجتماعية"

أولا– المصاهرات. 256
ثانيا– الهدايا والإحسانات. 271
ثالثا– اهتمامات الحكام بالعلاقات الاجتماعية بين البلدين. 284
01–الالتفات إلى شؤون الرعية بالإيالتين (كلا مع رعايا البلد الآخر). 284
02– الاهتمام بالزوايا وأضرحة الأولياء وافتداء الأسرى..... 289
03– المراسلات الرسمية ودورها في تمتين الصلات الاجتماعية بين الإيالتين. 292
04–اهتمام الحكام بالحجاج وركب الحجيج. 299
05–تسوية بعض الشؤون والقضايا الاجتماعية الخاصة (استيفاء الدين، الخطية،مسائل المواريث ...) 302

06–التضامن والتعاون الاجتماعي ضد الأوربيين "في المجال البحري"..... 307
رابعا– الاشتراك والتشابه في العادات والتقاليد. 310

الباب الثاني:الحراك الفكري بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني " ملامح وتجليات"

الفصل الأول: الأوضاع الثقافية في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

أولا– الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.....326
01– واقع الثقافة على ضوء بعض الكتابات المحلية والمصادر الأجنبية. 323
02– جهود بعض الحكام وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية 332
03– طبيعة النتاج العلمي والأدبي..... 335
04– المؤسسات التعليمية والثقافية بالجزائر العثمانية..... 341
أ–الكتاتيب..... 341
ب–المساجد..... 342
ج–الزوايا 344
د– المدارس. 346
هـ–المكتبات..... 347
05– المراكز العلمية المستقطبة للتونسيين خلال العهد العثماني. 349
ثانيا– الأوضاع الثقافية في تونس خلال العهد العثماني.....361
01–واقع الثقافة على ضوء بعض الكتابات والمصادر المحلية. 359
02– مميزات الوضع الثقافي في تونس.....370
03– جهود بعض البايات المراديين والحسينيين وإسهاماتهم لترقية الحياة الفكرية: 364
04– طبيعة النتاج الفكري والعلمي..... 373
06– المؤسسات الثقافية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني:..... 374
أ–الكتاتيب..... 374
ب–المدارس 375
ج–الزوايا 378
د–المساجد..... 379

هـ-المكتبات..... 382
06- المراكز الثقافية المستقطبة للجزائريين خلال العهد العثماني. 384

الفصل الثاني: عوامل حراك النخب العالمة بين البلدين ونشاطها السياسي

أولا- دوافع حراك النخب العالمة بين ا لإيالتين:..... 389
01-العامل السياسي: 389
02-العامل المعرفي" طلب العلم": 394
03-العامل الديني "آداء فريضة الحج". 399
04-زيارة الأولياء والمشايخ والأماكن المقدسة طلبا للبركة والتماس الدعاء والانخراط في سلك الطريقة:. 402
05-العامل الاقتصادي " فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية والتجارية...". 405
06-العامل الاجتماعي " الأمراض، الأوبئة، المجاعات والفقر...". 406
07- الدواعي الديبلوماسية (الرسمية). 408
08-العامل الجغرافي..... 409
ثانيا- الحراك الديبلوماسي للنخب العالمة وأثره على العلاقات بين الإيالتين. 412

الفصل الثالث: تجليات التواصل الفكري لحراك الصفوة بين الإيالتين

أولا- الإجازات. 418
ثانيا-المراسلات..... 424
ثالثا- المجالس والمناظرات العلمية 435
رابعا- انتقال المصنفات العلمية..... 441
خامسا- الفتاوى والردود..... 450
سادسا- حراك النخب في رحاب ركب الحج 458

الفصل الرابع: تنقلات النخب العالمة بين البلدين خلال العهد العثماني ودورها في تمتين الصلات الثقافية

أولا- النخب العالمة الجزائرية في البلاد التونسية 468
01- نخب الشرق الجزائري..... 469
02- مشايخ زواوة.....483

03–علماء الحاضرة الجزائرية. 477
04– أعلام الغرب الجزائري. 479
05– صفوة الجنوب. 481
ثانيا–أسرة الرصاع التلمسانية بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني.....502
01– الحراك الفكري والمكانة العلمية لآل الرصاع بالحاضرة التونسية.....503
02– الخطط العلمية والدينية والإدارية التي تقلدها آل الرصاع لفترات طويلة.....510
ثالثا– النخب العالمة التونسية بالإيالة الجزائرية..... 502
رابعا– عائلة قدورة التونسية بالإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني. 511
01– أصل عائلة قدورة. 511
02– مؤسس البيت العلمي. 512
03– المكانة العلمية لآل قدورة. 513
04– علماء البيت "أبناء وأحفاد سعيد قدورة".....525

الفصل الخامس: الطرق الصوفية روافد للحراك بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني
أولا– ماهية التصوف..... 523
01–مفهوم التصوف..... 523
02– الطرقية: المفهوم والدلالات..... 524
03– نشأة التصوف. 525
ثانيا–الحضور الطرقي الصوفي الجزائري بالبلاد التونسية.....535
01– الطريقة التيجانية..... 527
02– الطريقة الرحمانية. 532
03– الطريقة العزوزية..... 538
04– الطريقة القادرية..... 541
05– الطريقة الحشانية. 546
06– الطريقة العمارية..... 546
07– الطريقة الحنصالية. 549

ثالثا–الحراك الطرقي العكسي أو الوافد. 550
01–الطريقة الشابية..... 559
02–الطريقة البوعلية: 556
03–الطريقة التليلية "المحلية". 557
خاتمة 561
المـلاحـــق 562
المصادر والمراجع المعتمدة..... 562.

الملخص:

شكلت العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني وحدة ثقافية متماسكة متراصة في النسيج الاجتماعي، فقد أدى الحراك الاجتماعي كعملية حيوية تماهت فيها السياسة والاقتصاد والدين إلى موجات هجروية استطاعت الاندماج في البيئات الجديدة، وشكلت على مر الفترات جاليات متباينة أضحى لها وزنها الديمغرافي والاقتصادي وحضورها السياسي؛ كما هو الحال مع **أبناء زواوة** و**طائفة الجرابة**، بالإضافة إلى الحراك القبلي البيني بالمناطق التخومية الذي لا يؤمن بالحواجز السياسية؛ بحكم القرب الجغرافي وعلاقات المصاهرة والنسب واحتواء الشعبين لبعضهما البعض، واهتمامات الحكام بالعلاقات الاجتماعية التي عكستها رسائل الوداد والإحسانات والهدايا وسعي الحكام إلى تيسير قضاء مآرب الرعايا؛ وتسوية المسائل والقضايا الاجتماعية العالقة؛ وهذا في ظل وحدة مظاهر الحياة الاجتماعية كالعادات والتقاليد والأعياد وتشابك اللهجات واللباس والأطعمة.

وكان لحضور الصفوة أثره البارز في توطيد الصلات الثقافية؛ التي كان قوامها الأخذ والعطاء، حيث أسهمت حركية النخب العلمية والدينية من خلال نشاطها المكثف في زيادة دينامية الحراك الفكري بين الإيالتين، وقد أثبت العلماء الجزائريون **كالورثيلاني** و**أبي راس** علو كعبهم أمام أقرانهم التونسيين في كثير من الأحيان، وتقلدوا مناصب دينية وعلمية وإدارية؛ وأسهموا في انتعاش الحياة الثقافية بالإيالة التونسية؛ وهذا من خلال مجالس التدريس والمساجلات والمناظرات، والإجازات العلمية والسلوكية، والفتاوى وانتقال المصنفات، وقد سجلت بعض الأسر العلمية حضورها في سماء الحياة العلمية والإدارية؛ كما هو الحال مع عائلتي **الرصاع التلمسانية** و**قدورة الجربية**؛ اللتان ذاع صيتهما وساهمتا مساهمة فعالة في إحياء الحياة الثقافية والفكرية بعد ركود دام قرون؛ بما قدمتاه من مشايخ وقضاة وعدول؛ تقلدوا مختلف الخطط الدينية والإدارية؛ دون أن نغفل الحضور الصوفي أو ما يعرف **بريح الغرب** الذي جسدته الطريقة **القادرية** و**الرحمانية العزوزية** و**التيجانية**، وفي الجهة المقابلة أثبتت **الشابية** حضورها على مسرح الأحداث السياسية والدينية التي عرفتها الجهة الشرقية من البلاد الجزائرية،وهذا يعكس بوضوح مقدار التفاعل الاجتماعي والثقافي بين أبناء الشعبين كنتاج لعمليات التأثر والتأثير؛ في جو من التعايش والتسامح والانفتاح.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، تونس، الحراك، الاندماج، النخب، التفاعل.

Résumé:

Les relations entre les régences (Eyalets) d'Algérie et de Tunisie durant l'ère ottomane ont formé une unité culturelle cohérente et intégrée dans la stucture social. **La mobilité sociale**, en tant que processus vital où politique, économie et religion s'entremêlent, a engendré des vagues de migration qui ont réussi à s'intégrer dans de nouveaux environnements. Au fil du temps, cela a donné naissance à des communautés variées ayant un poids démographique, économique et une présence politique significative, comme c'est le cas pour les enfants de **Zouawa** et la communauté des **Giraba**. De plus, le mouvement tribal interrégional, qui ne reconnaît pas les barrières politiques en raison de la proximité géographique et des liens de parenté, a facilité l'intégration des deux peuples, tout comme l'intérêt des gouvernants pour les relations sociales, illustré par des lettres de bienveillance, des dons et des efforts pour satisfaire les besoins de population et résoudre les problèmes sociaux persistants. Cela se déroule dans un contexte de similarité des modes de vie, incluant coutumes, traditions, fêtes, dialectes, vêtements et cuisines.

La présence des élites a eu un impact significatif sur le renforcement des liens culturels, fondés sur l'échange mutuel. L'activité des élites scientifiques et religieuses, à travers leurs efforts soutenus, a contribué à dynamiser le mouvement intellectuel entre les deux Eyalets. Les savants algériens, tels que le **Warthilani** et **Abu Ras**, ont souvent prouvé leur supériorité face à leurs homologues tunisiens, occupant des postes religieux, scientifiques et administratifs, et participant à l'épanouissement de la vie culturelle en Tunisie grâce à des cercles d'enseignement, des débats, des licences académiques et comportementales, des fatwas et la transmission d'ouvrages. Certaines familles savantes, comme les familles **Rassaa** de **Tlemcen** et **Qaddoura** de **Jerba**, ont marqué de leur empreinte la vie scientifique et administrative, en apportant des érudits, juges et notaires qui ont occupé diverses fonctions religieuses et administratives. Il convient également de mentionner la présence soufie, incarnée par les confréries comme **Qadiriyya**, **Rahmaniyya Azuziya et Tijaniya**. En revanche, Le groupe de **Châabia** a également affirmé sa présence sur la scène politique et religieuse de l'est algérien, illustrant ainsi le degré d'interaction sociale et culturelle entre les deux peuples, fruit d'un processus d'influence réciproque dans un climat de coexistence, de tolérance et d'ouverture.

Mots-clés: Algérie, Tunisie, mouvement, intégration, élites, interaction.

Abstract

The relations between the regencies of Algeria and Tunisia during the Ottoman era formed a cohesive cultural unit embedded in the social fabric. **Social mobility**, as a vital process in which politics, economics, and religion became intertwined, led to migration waves that were able to integrate into the new environments and formed different communities over time, gaining demographic, economic weight, and political presence. This was evident among the people of **Zawawa** and the **Jaraba** sect, as well as the inter-tribal movement in border areas that did not recognize political barriers. Due to geographical proximity, intermarriage, lineage relations, mutual containment, and rulers' concerns about social relations - expressed through acts of kindness, charity, and gifts - rulers facilitated the fulfillment of subjects' goals and resolved outstanding social issues. Unity in aspects of social life, such as customs, traditions, holidays, dialects, dress, and foods.

Played a significant role in consolidating cultural ties, supported by the elite give-and-take dynamic. The dynamism of scientific and religious elites increased the intellectual **mobility** between the regencies, with Algerian scholars like **Al-Worthilani** and **Abu Ras** outshining their Tunisian counterparts and contributing to the cultural revival in Tunisian province through teaching councils, debates, licenses, fatwas, and scholarly and administrative engagements. Families like **Al-RassaaTilmisania**, and Qaddoura played crucial roles in reviving cultural and intellectual life after centuries of stagnation. Moreover, sheikhs, judges, and justices implemented various religious and administrative plans, alongside the presence of Sufi orders like **Qadiriyya**, **RahmaniyyaAzuziya**, and **Tijaniya**. **The Shabbiya** group also influenced political and religious events in the eastern Algerian region, reflecting significant social and cultural interactions between the two peoples through processes of influence in an atmosphere of coexistence, tolerance, and openness.

Keywords: Algeria, Tunisia, movement, integration, elites, interaction.

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

EmirAbdelkader University Of Islamic Science Constantine



Literature and Islamic Civilization Faculty
Department of History

- **Serial number :.....**
- **Registration number : .....**

Social And Intellectual Mobility Between Algeria and Tunisia During the Ottoman Era

Thesis submitted to obtain a Doctorat of Science in History

Specialization "Economic and Cultural Relations of Ottoman Algeria and the Maghreb Countries"

Submitted By:
Hamza Bougadoum

Supervised By:
Dr. Hanene Latreche

Members of the jury:

Name and Surname	Scientific Rank	Establishments	Quality
Mohamed Oudjertni	**Professor**	Emir Abdelkader University of Islamic Science Constantine	President
Hanene Latreche	**M.C.A**	Emir Abdelkader University of Islamic Science Constantine	Supervisor
Ali Ajgou	**Professor**	University of Batna 01- Hadj Lakhder	Examiner
Lakhder Bouteba	**Professor**	Mohamed Lamine Debaghine Setif 2 University	Examiner
Salah Himeur	**Professor**	Abbes Laghrour University- Khenchela	Examiner
Aida Habbati	**M.C.A**	Emir Abdelkader University of Islamic Science Constantine	Examiner

Academic Year: 2023/2024